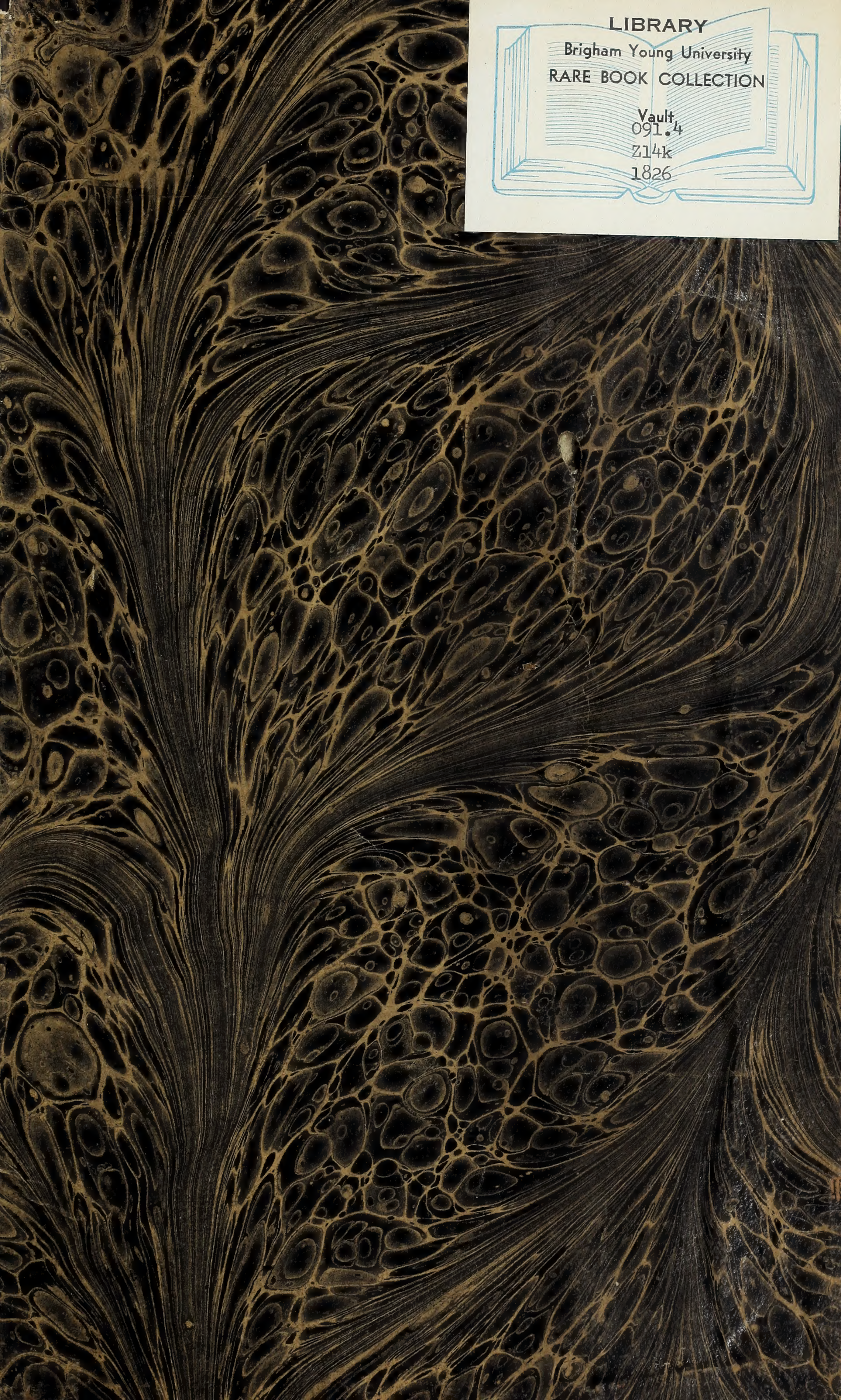
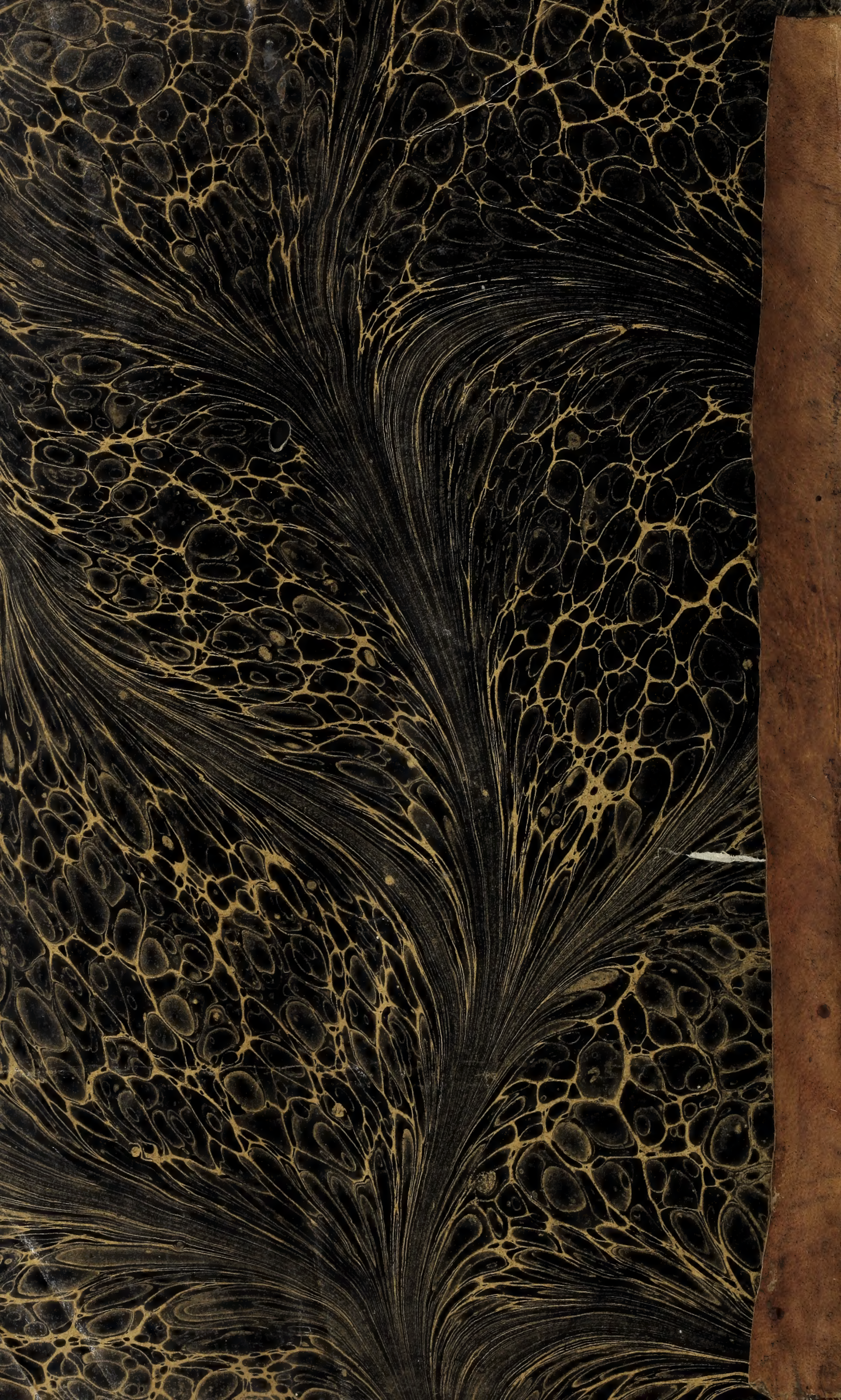



LIBRARY
Brigham Young University
RARE BOOK COLLECTION
Vault
091.4
Z14k
1826



في نوبة الفقير الى ربه
عيدروس بن عمر بن
عيدروس
الحبشي عفا الله
عنهم آمين

A. G. Ellis
12.7.09.

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين على امور الدنيا والدين

الحمد لله الذي انزل القرآن كلاما مولفا منظما ونزله بحسب المصالح منجما وجعله بالتحميد مفتتحا وبالاستعاذة مختتما واوحاه على قسمين متشابها ومحكما وفصله سورا وايات وبين بينهن بفصول وغايات وما هي الا صفات مبتداء مبتدع وسمات منشاء مخترع فسبحان من استاثر بالاولية والقدم ووسم كل شيء موجود سواه بالحدوث من العدم انشاه كتابا ساطعا تبيانه قاطعا برهانه وحيا ناطقا ببينات وحجج قرانا عربيا غير ذي عوج مفتاحا للمنافع الدينية والدنياويه مصداقا لما بين يديه من الكتب السماويه معجزا باقيا دون كل معجز على وجه كل زمان دائر من بين ساير الكتب على لسان كل مكان افحم به من طولب بمعارضته من العرب العرباء وابكم به من تحدي به من مصاقع الخطباء فلم يتصد للاتيان بما يوازيه او يدانيه واحد من فصحائهم ولم ينهض لمقدار اقصر سورة منه ناهض من بلغائهم على انهم كانوا اكثر من حصى البطحاء واوفر عددا من رمال الدهناء ولم ينبض منهم عرق العصبية مع اشتهارهم بالافراط في المضاده والمضاره والقائهم الشراشر على المعازه والمعاره ولقائهم دون المناضلة عن احسابهم الخطط وركوبهم في كل ما يرومونه الشطط ان اتاهم احد بمفخرة اتوه بمفاخر وان رماهم بماثرة رموه بماثر وقد جرد لهم الحجة اولا والسيف اخرا فلم يعارضوا الا السيف وحده على ان السيف وحده مخراق لاعب ان لم تمض الحجة حده فما اعرضوا عن معارضة الحجة الا لعلمهم بان البحر قد زخر فطم على الكواكب وان الشمس قد اشرقت فطمست نور الكواكب والصلوة على خير من اوحي اليه حبيب الله ابي القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ذي اللواء المرفوع في بني لوي ذي الفرع المنيف في عبد مناف بن قصي المثبت بالعصمة المويد بالحكمة الشادخ الغرة الواضح التحجيل النبي الامي المكتوب في التورية والانجيل وعلى اله الاطهار وخلفايه من الاخيار والاصهار وعلى جميع المهاجرين والانصار اعلم ان متن كل علم وعمود كل صناعة طبقات العلماء فيه متدانيه واقدام الصناع فيه متقاربة او متساويه ان سبق العالم العالم لم يسبقه الا بخطا يسيرة او تقدم الصانع الصانع لم يتقدمه الا بمسافة قصيرة وانما الذي تباينت فيه الرتب وتحاكت

جـ

فيه الركب • ووقع فيه الاستباق والتناضل • وعظم التفاوت والتفاضل • حتى انتهى الامر الى ابد من الوهم
متباعد • وترقي الى ان عد الف بواحد • ما في العلوم والصناعات من محاسن النكت والفقر • ومن لطايف
معان فيها مباحث للفكر • ومن غوامض اسرار محتجبه ورآء استار لا يكشف عنها من الخاصة الا اوحد هم
واخصهم • والا واسطتهم وفصهم • وعامتهم عماة لابد عن ادراك حقايقها باحداقهم • عناة في يد
التقليد لا يمن عليهم بجز نواصيهم واطلاقهم • ثم ان املآء العلوم بما يغمر القرايح • وانهضها بما
يبهر الالباب القوارح • من غرايب نكت يلطف مسلكها • ومستودعات اسرار يدق سلكها • علم
التفسير الذي لا يتم لتعاطيه • واجالة النظر فيه • كل ذي علم كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم
القرآن • فالفقيه وان برز على الاقران في علم الفتاوي والاحكام • والمتكلم وان بذ اهل الدنيا في صناعة
الكلام • وحافظ القصص والاخبار وان كان من ابن القرية احفظ • والواعظ وان كان من الحسن البصري
اوعظ • والنحوي وان كان انحى من سيبويه • واللغوي وان كان قد علك اللغات بقوة لحييه •
لا يتصدي احدهم لسلوك تلك الطرايق • ولا يغوص على شيء من تلك الحقايق • الا رجل قد برع في
علمين مختصين بالقرآن • وهما علمي المعاني والبيان • وتمهل في ارتيادهما اونه • وتعب في التنقير
عنهما ازمنه وبعثته • على تتبع مظانهما همة في معرفة لطايف حجة الله • وحرص على استيضاح
معجزة رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم • بعد ان يكون آخذا من ساير العلوم بحظ • جامعا
بين امرين تحقيق وحفظ • كثير المطالعات طويل المراجعات • قد رجع زمانا ورجع اليه • ورد
ورد عليه • فارسا في علم الاعراب • مقدما في حملة الكتاب • وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة
منقادها • مشتعل القريحة وقادها • يقظان النفس • دراكا للمحة وان لطف شانها • متنبها على
الرمزة وان خفي مكانها • لا كزا جاسيا • ولا غليظا جافيا • متصرفا ذا دربة باساليب النظم والنثر •
مرتاضا غير ريض بتلقيح الفكر • قد علم كيف يرتب الكلام ويولف • وكيف ينظم ويصنف • طالما
دفع الى مضايقه • ووقع في مداحضه ومزالقه • ولقد رايت اخوتنا في الدين من افاضل الفية
الناجية العدلية • الجامعين بين علم العربية والاصول الدينية • كلما رجعوا الي في تفسير اية فابرزت
لهم بعض الحقايق من الحجب • افاضوا في الاستحسان والتعجب • واستطيروا شوقا الى المصنف
يضم اطرافا من ذلك • حتى اجتمعوا الي مقترحين ان املي عليهم في الكشف عن حقايق التنزيل •
وعيون الاقاويل في وجوه التاويل • فاستعفيت فابوا الا المراجعة والاستشفاع بعظما الدين وعلما
العدل والتوحيد • والذي حداني على الاستعفا على علمي انهم طلبوا ما الاجابة اليه علي واجبة لان
الخوض فيه كفرض العين • ما ارى عليه الزمان من رثاثة احواله • وركاكة رجاله • وتقاصر هممهم
عن ادني عدد هذا العلم • فضلا عن ان يترقي الى هذا الكلام المؤسس على علم المعاني والبيان فامليت
عليهم مسئلة في الفواتح • وطايفة من الكلام في حقايق سورة البقرة • وكان كلاما مبسوطا
كثير السوال والجواب • طويل الذيول والاذناب • وانما حاولت به التنبيه على غزارة نكت هذا العلم
وان يكون لهم منارا ينتحونه • ومثالا يحتذونه • فلما صمم العزم على معاودة جوار الله • والاناخة
بحرم الله • فتوجهت تلقاء مكة • وجدت في مجتازي بكل بلد من فيه مسكة من اهلها وقليل ما هم

عطشا الاكباد الى العثور على ذلك المملا • متطلعين الى ايناسه • حراصا على اقتباسه • فهز ما رايت من
عطفي • وحرك الساكن من نشاطي • فلما حططت الرحل بمكه • اذا انا بالشعبة السنيه • من الدوحة
الحسنيه • الامير الشريف • الامام شرف آل رسول الله • ابي الحسن علي بن عيسي بن حمزة بن وهاس ادام
الله مجده • وهو النكتة والشامة في بني الحسن مع كثرة محاسنهم • وجموم مناقبهم • اعطش الناس كبدا
والهبهم حشا • واوفاهم رغبه • حتى ذكر انه كان يحدث نفسه في مدة غيبتي عن الحجاز • مع تزاحم
ما هو فيه من المشاده • بقطع الفيافي وطي المهامه • والوفادة علينا بخوارزم ليتوصل الى اصابة
هذا الغرض • فقلت قد ضاقت على المستعفي الحيل • وعيت به العلل ورايتني قد اخذت مني السن •
وتقعقع الشن • وناهزت العشر التي سمتها العرب دقاقة الرقاب • فاخذت في طريقة اخصر من الاولى
مع ضمان التكثير من الفوايد • والفحص عن السرايد • ووفق الله وسدد • ففرغ منه في مدة خلافة ابي بكر
الصديق رضي الله عنه • وكان يقدر تمامه في اكثر من ثلاثين سنة • وما هي الا اية من ايات هذا البيت
المحرم • وبركة افيضت علي من بركات هذا الحرم المعظم • اسال الله ان يجعل ما تعبت فيه منه ينجيني •
ونورا لي على الصراط يسعي بين يدي وعن يميني • وهو نعم المسؤل فاتحة الكتاب مكية وقيل
مكية ومدنيه لانها نزلت بمكة مرة وبالمدينة اخرى • وتسمى ام القران • لاشتمالها على المعاني التي
في القران • من الثنا على الله بما هو اهله • ومن التعبد بالامر والنهي ومن الوعد والوعيد • وسورة
الكنز الوافية لذلك • وسورة الحمد والمثاني لانها تثنى في كل ركعة • وسورة الصلاة لانها تكون فاضلة او
مجزية بقراتها فيها • وسورة الشفا والشافيه • وهي سبع ايات بالاتفاق • الا ان منهم من عد صراط الذين
انعمت عليهم دون التسمية • ومنهم من مذهبه على العكس بسم الله الرحمن الرحيم قرا المدينة والبصرة
والشام وفقهاوها على ان التسمية ليست باية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وانما كتبت للفصل
والتبرك للابتدا بها كما بدي بذكرها في كل امر ذي بال وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله ومن تابعه
ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلوة • وقرا مكة والكوفة وفقهاوهما على انها آية من الفاتحة ومن كل سورة
وعليه الشافعي واصحابه ولذلك يجهرون بها وقالوا قد اثبتها السلف في المصحف مع توصيتهم بتجريد
القرآن ولذلك لم يثبتوا آمين فلولا انها من القران لم يثبتوها وعن ابن عباس من تركها فقد ترك ماية
واربع عشرة اية من كتاب الله فان قلت بم تعلقت البا قلت بمحذوف تقديره بسم الله
اقرا او اتلوا لان الذي يتلوا التسمية مقروّ كما ان المسافر اذا حل او ارتحل فقال بسم الله والبركات كان
المعنى بسم الله احل وبسم الله ارتحل وكذلك الذابح وكل فاعل يبدا في فعله بسم الله كان مضمرا ما جعل
التسمية مبدا له ونظيره في حذف متعلق الجار قوله عز وجل في تسع ايات الى فرعون وقومه اي اذهب في
تسع ايات وكذلك قول العرب في الدعا للمعرس بالرفا والبنين وقول الاعرابي باليمن والبركة بمعنى
اعرست او نكحت ومنه قوله فقلت الى الطعام فقال منهم • فريق يحسد الانس الطعاما
فان قلت لم قدرت المحذوف موخرا قلت لان الاهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق
به لانهم كانوا يبدون باسما آلهتهم فيقولون باسم اللات باسم العزى فوجب ان يقصد الموحد معنى
اختصاص الله تعالى بالابتدا وذلك بتقديمه وتاخير الفعل كما فعل في قوله اياك نعبد حيث صرح

بتقديم الاسم اراة الاختصاص والدليل عليه قوله تعالى باسم الله مجريها ومرساها فان قلت فقد قال
اقرا باسم ربك فقدم الفعل قلت هناك تقديم الفعل اوقع لانها اول سورة نزلت فكان الامر بالقراة
اهم فان قلت ما معنى تعلق اسم الله تعالى بالقراة قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق بها تعلق
القلم بالكتبة في قولك كتبت بالقلم على معنى ان المومن لما اعتقد ان فعله لا يجي معتدا به في الشرع
واقعا على السنة حتى يصدر بذكر اسم الله تعالى لقوله عليه السلام كل امر ذي بال لا يبدا فيه ببسم الله
فهو ابتر • والا لكان فعلا كلا فعل جعل فعله مفعولا باسم الله كما يفعل الكتب بالقلم • والثاني ان
يتعلق بها تعلق الدهن بالانبات في قوله تنبت بالدهن • على معنى متبركا باسم الله اقرا وكذلك قول
الداعي للمعرس بالرفا والبنين ومعناه اعرست ملتبسا بالرفا والبنين وهذا الوجه اعرب واحسن
فان قلت فكيف قال تعالى متبركا باسم الله اقرا قلت هذا مقول على السنة العباد كما يقول
الرجل الشعر على لسان غيره وكذلك قوله الحمد لله رب العالمين الى اخره وكثير من القران على هذا
المنهاج ومعناه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه وكيف يحمدونه ويمجدونه ويعظمونه فان قلت
من حق حروف المعاني التي جاءت على حرف واحد ان تبنى على الفتحة التي هي اخت السكون نحو كاف التشبيه
ولام الابتدا وواو العطف وفايه وغير ذلك فما بال لام الاضافة وبايها بنيتا على الكسر قلت
اما اللام فللفصل بينها وبين لام الابتدا واما البا فلكونها لازمة للحرفية والجر • والاسم احد الاسماء
العشرة التي بنوا اوايلها على السكون فاذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة لئلا يقع ابتداهم بالساكن
اذ كان دابهم ان يبتدوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن لسلامة لغتهم من كل لكنة وبشاعة ولوضعها
على غاية من الاحكام والرصانة واذا وقعت في الدرج لم يفتقر الى زيادة شي ومنهم من لم يزدها
واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سِم وسُم • قال بسم الذي في كل سورة سُمه • وهو من الاسما
المحذوفة الاعجاز كيد ودم واصله سمو بدليل تصريفه كاسما وسمي وسميت واشتقاقه من السمو
لان التسمية تنويه بالمسمى واشادة بذكره ومنه قيل للقب النبز من النبز بمعنى النبر وهو
رفع الصوت والنبر قشر النخلة الاعلى فان قلت فلم حذفت الالف في الخط واثبتت في قوله
باسم ربك الاعلى قلت قد اتبعوا في حذفها حكم الدرج دون الابتدا الذي عليه وضع الخط • لكثرة
الاستعمال وقالوا طولت البا تعويضا من طرح الالف • وعن عمر بن عبد العزيز انه قال لكاتبه طول
البا واظهر السينات ودور الميم والله اصله الاله قال معاذ الاله ان تكون كظبية • ونظيره
الناس اصله الاناس • قال • ان المنايا يطلعن على الاناس الامنينا • فحذفت الهمزة وعوض
عنها حرف التعريف • ولذلك قيل في الندا يا ألله بالقطع كما يقال ودخول حرف الندا على لام التعريف
كما يقال يا إله • والاله من اسما الاجناس كالرجل والفرس اسم يقع على كل معبود بحق او باطل ثم غلب
على المعبود بحق كما ان النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذلك السنة على عام القحط والبيت
على الكعبة والكتاب على كتاب سيبويه • واما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق
على غيره ومن هذا الاسم اشتق تاله واله واستاله كما قيل استنوق واستحجر في الاشتقاق من الناقة
والحجر فان قلت اسم هو ام صفة قلت بل اسم غير صفة الا تراك تصفه ولا تصف

به لا تقول شي اله كما لا تقول شي رجل وتقول اله واحد صمد كما تقول رجل كريم خير وايضا فان
صفاته تعالى لابد لها من موصوف تجري عليه فلو جعلتها كلها صفات بقيت غير جارية على اسم
موصوف بها وهذا محال **فان قلت** هل لهذا الاسم اشتقاق **قلت** معنى الاشتقاق ان ينتظم
الصيغتين فصاعدا معنى واحد وصيغة هذا الاسم وصيغة قولهم اله اذا تحير ومن اخواته دله
وعله ينتظمها معنى التحير والدهشة وذلك ان الاوهام تتحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن
ولذلك كثر الضلال وفشى الباطل وقل النظر الصحيح **فان قلت** هل تفخم لامه **قلت**
نعم قد ذكر الزجاج ان تفخيمها سنة وعلى ذلك العرب كلهم واطباقهم عليه دليل على انهم ورثوه
كابرا عن كابر والرحمن فعلان من رحم كغضبان وسكران من غضب وسكر وكذلك والرحيم فعيل
منه كمريض وسقيم من مرض وسقم وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قالوا رحمن الدنيا
والاخرة ورحيم الدنيا ويقولون ان الزيادة في البنا لزيادة المعنى وقال الزجاج في الغضبان هو
الممتلي غضبا ومما طن على اذني من ملح العرب انهم يسمون مركبا من مراكبهم بالشقدف وهو
مركب خفيف ليس في ثقل محامل العراق فقلت في طريق الطايف لرجل منهم ما اسم هذا المحمل اردت
المحمل العراقي فقال اليس ذاك اسمه الشقدف قلت بلى قال فهذا اسمه الشقنداف فزاد في بنا الاسم
لزيادة المسمى وهو من الصفات الغالبة كالدبران والعيوق والصعق لم يستعمل في غير الله عز وجل
كما ان الله من الاسما الغالبة واما قول بني حنيفة في مسيلمة رحمن اليمامة وقول شاعرهم فيه ،
وانت غيث الورى لازلت رحمانا ، فباب من تعنتهم في كفرهم **فان قلت** كيف تقول الله
رحمن اتصرفه ام لا **قلت** اقيسه على اخواته من بابه نحو عطشان وغرثان وسكران
فلا اصرفه **فان قلت** قد شرط في امتناع صرف فعلان ان يكون فعلان فعلى واختصاصه
بالله تعالى يحظر ان يكون فعلان فعلى فلم تمنعه الصرف **قلت** كما حظر ان يكون له مونث
على فعلى كعطشى فقد حظر ان يكون له مونث على فعلانة كندمانة فاذا لا عبرة بامتناع التانيث
للاختصاص العارض فوجب الرجوع الى الاصل قبل الاختصاص وهو القياس على نظايره **فان
قلت** ما معنى وصف الله تعالى بالرحمة ومعناها العطف والحنو ومنها الرحم لانعطافها
على ما فيها **قلت** هو مجاز عن انعامه على عباده لان الملك اذا عطف على رعيته ورق لهم
اصابهم بمعروفه وانعامه كما انه اذا ادركته الفظاظة والقسوة عنف بهم ومنعهم خيره و
معروفه **فان قلت** فلم قدم ما هو ابلغ من الوصفين على ما هو دونه والقياس الترقي
من الادنى الى الاعلى كقولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض **قلت** لما قال الرحمن
فتناول جلايل النعم وعظايمها واصولها اردفه الرحيم كالتتمة والرديف ليتناول ما دق
منها ولطف الحمد لله رب العالمين • الرحمن الرحيم • ملك يوم الدين • اياك نعبد واياك
نستعين • اهدنا الصراط المستقيم • صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم
ولا الضالين الحمد والمدح اخوان وهو الثنا والندا على الجميل من نعمة وغيرها تقول حمدت الرجل
على انعامه وحمدته على حسبه وشجاعته واما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان

والجوارح قال ، افادتكم النعماء مني ثلاثة ، يدي ولساني والضمير المحجبا ، والحمد باللسان وحده فهو احدى
شعب الشكر ومنه قوله عليه السلام الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وانما جعله راس الشكر لان ذكر
النعمة باللسان والثنا على موليها اشيع لها وادل على مكانها من الاعتقاد واداب الجوارح لخفا عمل القلب
وما في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي ويجلي على كل مشتبه
والحمد نقيضه الذم والشكر نقيضه الكفر وارتفاع الحمد بالابتدا وخبره الظرف الذي هو لله واصله
النصب الذي هو قراءة بعضهم باضمار فعله على انه من المصادر التي تنصبها العرب بافعال مضمرة في
معنى الاخبار كقولهم شكرا وكفرا وعجبا وما اشبه ذلك ومنها سبحانك ومعاذ الله …لونها منزلة افعا
ويسدون بها مسدها ولذلك لا يستعملونها معها ويجعلون استعمالها كالشريعة المنسوخة والعدل
بها عن النصب الى الرفع على الابتدا للدلالة على ثبات المعنى واستقراره ومنه قوله تعالى قالوا سلاما
قال سلام رفع السلام الثاني للدلالة على ان ابراهيم صلوات الله حياهم بتحية احسن من تحيتهم لان
الرفع دال على معنى ثبات السلام لهم دون تجدده وحدوثه والمعنى نحمد الله حمدا ولذلك قيل اياك
نعبد واياك نستعين لانه بيان لحمدهم له كانه قيل كيف يحمدون فقيل اياك نعبد فان قلت ما
معنى التعريف فيه قلت هو نحو التعريف في ارسلها العراك وهو تعريف الجنس ومعناه الاشارة
الى ما يعرفه كل احد من ان الحمد ما هو والعراك ما هو من بين اجناس الافعال والاستغراق الذي يتوهمه
كثير من الناس وهم منهم وقرا الحسن البصري الحمدِ لله بكسر الدال لاتباعها اللام وقرا ابراهيم بن
ابي عبلة الحمدُ لُله بضم اللام لاتباعها الدال والذي جرهما على ذلك والاتباع انما يكون في كلمة واحدة كقولهم
منحدر الجبل ومغيرة تنزل الكلمتين منزلة كلمة واحدة لكثرة استعمالهما مقترنتين واشف القراتين
قراة ابراهيم حيث جعل الحركة البنائية تابعة للاعرابية التي هي اقوى بخلاف قراة الحسن الرب
المالك ومنه قول صفوان بن لابي سفيان لان يربني رجل من قريش احب الي من ان يربني رجل من
هوازن تقول ربه يربه فهو رب كما تقول نم عليه ينم فهو نم ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة
كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب الا في الله وحده وهو في غيره على التقييد بالاضافة كقولهم
رب الدار ورب الناقة وقوله تعالى ارجع الى ربك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي وقرا زيد بن
علي رضي الله عنه رب العالمين بالنصب على المدح وقيل بما دل عليه الحمد كانه قيل نحمد الله رب العالمين
العالم اسم لذوي العلم من الملايكة والثقلين وقيل كل ما علم به الخالق من الاجسام والاعراض فان قلت
لم جمع قلت ليشمل كل جنس مما سمي به فان قلت هو اسم غير صفة وانما يجمع بالواو والنون
صفات العقلا او ما هو في حكمها من الاعلام قلت ساغ ذلك لمعنى الوصفية فيه وهي الدلالة على
معنى العلم قرئ ملك يوم الدين ومالك بتخفيف اللام وقرا ابو حنيفة رضي الله عنه ملك يوم الدين
بلفظ الفعل ونصب اليوم وقرا ابو هريرة رضي الله عنه مالك بالنصب وقرا غيره ملك وهو
نصب على المدح ومنهم من قرا مالك بالرفع وملك هو الاختيار لانه قراة اهل الحرمين ولقوله تعالى لمن الملك
اليوم ولقوله تعالى ملك الناس ولان الملك يعم والملك يخص ويوم الدين يوم الجزا ومنه قولهم كما تدين
تدان وبيت الحماسه ، ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا ، فان قلت ما هذه الاضافة

لها

لهم

قلت هي اضافة اسم الفاعل الى الظرف على طريق الاتساع مجري مجرى المفعول به كقولهم يا سارق
الليلة اهل الدار والمعنى على الظرفية ومعناه مالك الامر كله في يوم الدين كقوله لمن الملك اليوم فان
قلت فاضافة اسم الفاعل اضافة غير حقيقية فلا يكون معطيه معنى التعريف فكيف ساغ وقوعه
صفة للمعرفة قلت انما تكون غير حقيقية اذا اريد باسم الفاعل الحال او الاستقبال فكان في تقدير
الانفصال كقولك مالك الساعة او غدا فاما اذا قصد معنى الماضي كقولك هو مالك عبده امس او
زمان مستمر كقولك زيد مالك العبيد كانت الاضافة حقيقية كقولك مولا العبيد وهذا هو المعنى
في مالك يوم الدين ويجوز ان يكون المعنى ملك الامور يوم الدين كقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة اصحاب
النار ونادى اصحاب الاعراف والدليل عليه قراءة ابي حنيفة رضي الله عنه ملك يوم الدين وهذه
الاوصاف التي اجريت على الله سبحانه وتعالى من كونه ربا مالكا للعالمين لا يخرج منهم شيء من ملكوته
وربوبيته ومن كونه منعما بالنعم كلها الظاهرة والباطنة والجلايل والدقايق ومن كونه مالكا للامر كله
في العاقبة يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به وانه به حقيق في قوله الحمد لله دليل
على ان من كانت هذه صفاته لم يكن احد احق منه بالحمد والثنا عليه بما هو اهله ايا ضمير منفصل
للمنصوب واللواحق التي تلحقه من الكاف والها واليا في قولك اياك واياه واياي لبيان الخطاب والغيبة
والتكلم ولا محل لها من الاعراب كما لا محل للكاف من ارايتك وليست باسما مضمرة وهو مذهب
الاخفش وعليه المحققون واما ما حكاه الخليل عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا
الشواب فشي شاذ لا يعمل عليه وتقديم المفعول لقصد الاختصاص كقوله تعالى قل افغير الله
تامروني اعبد قل اغير الله ابغي ربا والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعونة وقرئ اياك
بتخفيف اليا واياك بفتح الهمزة وهياك بقلب الهمزة هاء قال طفيل الغنوي
وهياك والامر الذي ان تراحبت ، موارده ضاقت عليك مصادره ، والعبادة اقصى غاية الخضوع
والتذلل ومنه ثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة وقوة النسج ولذلك لم يستعمل الا في الخضوع
لله تعالى لانه مولي اعظم النعم فكان حقيقا باقصى غاية الخضوع فان قلت لم عدل
عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب قلت هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة الى
الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين
بهم وقوله والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه ، وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات
في ثلاثة ابيات ، تطاول ليلك بالاثمد ، ونام الخلي ولم ترقد ، وبات وباتت له ليلة ،
كليلة ذي العاير الارمد ، وذلك من نباء جاءني ، وخبرته عن ابي الاسود ، وذلك على عادة
افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه ولان الكلام اذا نقل من اسلوب الى اسلوب كان ذلك احسن تطرية
لنشاط السامع وايقاظا للاصغا اليه من اجرايه على اسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوايد ومما
اختص به هذا الموضع انه لما ذكر الحقيق بالحمد واجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم
بمعلوم عظيم الشان حقيق بالثنا وغاية الخضوع والاستعانة به في المهمات فخوطب ذلك المعلوم
المتميز بتلك الصفات فقيل اياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا

نستعينه

نستعينه ليكون الخطاب ادل على العبادة له لذلك التميز الذي لا يحق العبادة الا به فان قلت لم
قرنت الاستعانة بالعبادة قلت ليجمع بين ما يتقرب به العباد الى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتا جون
اليه من جهته فان قلت فلم قدمت العبادة على الاستعانة قلت لان تقديم الوسيلة قبل
طلب الحاجة ليستوجبوا الاجابة اليها فان قلت لم اطلقت الاستعانة قلت ليتناول
كل مستعان فيه والاحسن ان يراد الاستعانة به وبتوفيقه على اداء العبادة ويكون قوله اهدنا بيان
للمطلوب من المعونة كانه قيل كيف اعينكم فقالوا اهدنا الصراط المستقيم وانما كان احسن لتلاوم
الكلام واخذ بعضه بحجزة بعض وقرا ابن حبيش نِستعين بكسر النون هدى اصله ان يتعدى باللام
او بالى كقوله تعالى ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم وانك لتهدي الى صراط مستقيم فعومل معاملة
اختار في قوله واختار موسى قومه ومعنى طلب الهداية وهم مهتدون طلب زيادة الهدى بمنح
الالطاف كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وعن
علي وابي رضي الله عنهما اهدنا ثبتنا وصيغة الامر والدعاء واحدة لان كل واحد منهما طلب وانما يتفاوتان
في الرتبة وقرا عبد الله ارشدنا الصراط الجادة من سرط الشيء اذا ابتلعه لانه يسترط السابلة
اذا سلكوه كما سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا لاجل الطا كقولك مصيطر في مسيطر وقد
وقد تشم الصاد صوت الزاي وقرئ بهن جميعا وفصحاهن اخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة
في الامام ويجمع سرطا نحو كتاب وكتب ويذكر ويونث كالطريق والسبيل والمراد به طريق الحق وهو
ملة الاسلام صراط الذين انعمت عليهم بدل من الصراط المستقيم وهو في حكم تكرير العامل كانه
قيل اهدنا الصراط المستقيم اهدنا صراط الذين انعمت عليهم كما قال تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم
فان قلت ما فايدة البدل وهلا قيل اهدنا صراط الذين انعمت عليهم قلت فايدته التوكيد لما فيه من
التثنية والتكرير والاشعار بان الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط
المسلمين بالاستقامة على ابلغ وجه واكده كما تقول هل ادلك على اكرم الناس وافضلهم فلان فيكون ذلك ابلغ
في وصفه بالكرم والفضل من قولك هل ادلك على فلان الاكرم الافضل لانك ثنيت ذكره مجملا اولا ومفصلا
ثانيا واوقعت فلانا تفسيرا وايضاحا للاكرم الافضل فجعلته علما في الكرم والفضل وكانك قلت من اراد رجلا
جامعا للخصلتين فعليه بفلان فهو المشخص المعين لاجتماعهما فيه غير مدافع ولا منازع والذين انعمت عليهم
هم المومنون واطلق الانعام ليشمل كل انعام لان كل من انعم الله تعالى عليه بنعمة الاسلام لم تبق نعمة الا اصابته
واشتملت عليه وعن ابن عباس هم اصحاب موسى قبل ان يغيروا وقيل هم الانبيا وقرا ابن مسعود صراط من
انعمت عليهم • غير المغضوب عليهم بدل من الذين انعمت عليهم على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا
من غضب الله تعالى والضلال وصفه على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين
السلامة من غضب الله تعالى والضلال فان قلت كيف صح ان تقع غير صفة للمعرفة وهو لا يتعرف
وان اضيف الى المعارف قلت الذين انعمت عليهم لا توقيت فيه فهو كقوله •
ولقد امر على اللئيم يسبني • ولان المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم عليهم فليس في غير اذا الا
الذي ياتي عليه ان يتعرف وقرئ بالنصب على الحال وهي قراة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطا

جون
وثان
بيان التوكيد
بهام ب

رضي الله عنه وروينت عن ابن كثير وذو الحال الضمير في عليهم والعامل انعمت وقيل المغضوب عليهم هم
اليهود لقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه والضالون هم النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل فان
قلت ما معنى غضب الله تعالى قلت هو ارادة الانتقام من العصاة وانزال العقوبة بهم وان يفعل
بهم ما يفعله الملك اذا غضب على من تحت يده نعوذ بالله من غضبه ونسأله رضاه ورحمته فان قلت
اي فرق بين عليهم الاولى والثانية قلت الاولى محلها النصب على المفعولية والثانية محلها الرفع على
الفاعلية فان قلت لم دخلت لا في ولا الضالين قلت لما في غير معنى النفي كانه قيل لا المغضوب
عليهم ولا الضالين وتقول انا زيد غير ضارب مع امتناع قولك انا زيدا مثل ضارب لانه بمنزلة قولك انا زيدا
لا ضارب وعن عمر وعلي رضي الله عنهما انهما قرآ وغير الضالين وقرا ايوب السختياني ولا الضألين بالهمزة
كما قرا عمرو بن عبيد ولا جأن وهذه لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ومنها ما حكاه ابو زيد من قولهم شأبة
ودأبة آمين صوت سمي به الفعل الذي هو استجب كما ان رويد وحيهل وهلم اصوات سميت بها
الافعال التي هي امهل واسرع واقبل وعن ابن عباس سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين
فقال افعل وفيه لغتان مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال آمين فزاد الله
ما بيننا بعدا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقنني جبريل آمين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب وقال انه
كالختم على الكتاب وليس هي من القرآن بدليل انه لم يثبت في المصاحف وعن الحسن لا يقولها الامام لانه
الداعي وعن ابي حنيفة رحمه الله تعالى مثله والمشهور عنه وعن اصحابه انه يخفيها وروى الاخفاء عبد الله
ابن مغفل وانس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الشافعي يجهر بها وعن وائل بن حجر ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان اذا قرا ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال لابي بن كعب الا اخبرك بسورة لم تنزل في التورية والانجيل والفرقان مثلها قلت بلى يا
رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته وعن حذيفة بن اليمان ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرا صبي من صبيانهم
في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم العذاب بذلك اربعين سنة سورة البقرة
وهي مايتان وسبع وثمانون اية بسم الله الرحمن الرحيم الم ذلك
الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم
ينفقون والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون اولئك على
هدى من ربهم واولئك هم المفلحون الم اعلم ان الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف
المبسوطة التي منها ركبت الكلم فقولك صاد اسم يسمى به صه من ضرب اذا تهجيته وكذلك رابا
اسمان لقولك ره به وقد روعيت في هذه التسمية لطيفة وهي ان المسميات لما كانت الفاظا كاسامها
وهي حروف وحدان والاسامي عدد حروفها مرتقى الى الثلاثة اتجه لهم طريق الى ان يدلوا في التسمية على
المسمى فلم يغفلوها وجعلوا المسمى صدر كل اسم فيها كما ترى الا الالف فانهم استعاروا الهمزة مكان مسماها
لانه لا يكون الا ساكنا ومما يضاهيها في ايداع اللفظ دلالة على المعنى التهليل والحولقة والحيعلة والبسملة
وحكمها ما لم تلها العوامل ان تكون ساكنة الاعجاز موقوفة كاسماء الاعداد فيقال الف لام ميم كما تقول

واحده

واحد اثنان ثلاثة فاذا وليتها العوامل ادركها الاعراب كقولك هذه الف وكتبت الفا ونظرت الى الف وهكذا
كل اسم عمدت الى تادية ذاته فحسب قبل ان يحدث فيه بدخول العوامل شيء من تاثيراتها فحقك ان تلفظ به
موقوفا الا ترى انك اذا اردت ان تلقي على الحاسب اجناسا مختلفة ليرفع حسبانها كيف تصنع وكيف تلفظها
اغفالا من سمة الاعراب فتقول دار غلام جاريه ثوب بساط ولو اعربت ركبت شططا فان قلت
لم قضيت لهذه الالفاظ بالاسمية وهلا زعمت انها حروف كما وقع في عبارات المتقدمين قلت قد
استوضحت بالبرهان النير انها اسما غير حروف فعلمت ان قولهم خليق بان يصرف الى التسامح وقد وجدنا هم
متسامحين في تسمية كثير من الاسما التي لا يقدح اشكال في اسميتها كالظروف وغيرها بالحروف ومستعملين
الحرف في معنى الكلمة وذلك ان قولك الف دلالته على اوسط حروف قال وقام دلالة فرس على الحيوان المخصوص
لا فضل فيما يرجع الى التسمية بين الدلالتين الا ترى ان الحرف ما دل على معنى في غيره وهذا كما ترى دال على
معنى في نفسه ولانها يتصرف فيها بالامالة كقولك تا با وبالتفخيم كقولك يا ها وبالتعريف والتنكير والجمع
والتكسير والتصغير والوصف والاسناد والاضافة وجميع ما للاسما المتصرفة ثم اني عثرت من جانب
الخليل على نص في ذلك قال سيبويه قال الخليل يوما وسال اصحابه كيف تقولون اذا اردتم ان تلفظوا
بالكاف التي في لك والبا التي في ضرب فقيل نقول با كاف فقال انما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف
وقال اقول كه به وذكر ابو علي في كتاب الحجة في يس وامالة يا انهم قالوا يا زيد في الندا واما لوا وان كان
حرفا قال فاذا كانوا قد اما لوا ما لا يمال من الحروف من اجل اليا فلان يميلوا الاسم الذي هو يس اجدر الا ترى
ان هذه الحروف اسما لما يلفظ بها فان قلت من اي قبيل هي من الاسما امعربة ام مبنية قلت
بل هي اسما معربة وانما سكنت سكون زيد وعمرو وغيرهما من الاسما حيث لا يمسها اعراب لفقد مقتضيه
وموجبه والدليل على ان سكونها وقف وليس ببنا انها لو بنيت لحذي بها حذو كيف واين وهولاء ولم يقل
صاد قاف نون مجموعا فيها بين الساكنين فان قلت فلم لفظ المتهجي بما اخره الف منها مقصورا
فلما اعرب مد فقال هذه باؤ وهاء وياء وذلك يخيل ان وزانها وزان قولك لا مقصورة فاذا جعلتها
اسما مددت وقلت كتبت لاء قلت هذا التخييل يضمحل بما لخصته من الدليل والسبب في ان قصرت
متهجاة ومدت حين مسها الاعراب ان حال التهجي خليقة بالاخف الاوجز واستعمالها فيه اكثر فان
قلت قد تبين انها اسما الحروف المعجم وانها من قبيل المعربة وان سكون اعجازها عند الهجا لاجل
الوقف فما وجه وقوعها على هذه الصورة فواتح للسور قلت فيه اوجه احدها وعليه اطباق الاكثر
انها اسما السور وقد ترجم صاحب الكتاب الباب الذي كسره على ذكرها في حد ما لا ينصرف بباب اسما السور
وهي في ذلك على ضربين احدهما ما لا يتاتى فيه اعراب نحو كهيعص والمر والثاني ما يتاتى فيه الاعراب وهو
اما ان يكون اسما فردا كصاد وقاف ونون او اسما عدة مجموعها على زنة مفرد كحم وطس ويس فانها
موازنة لقابيل وهابيل وكذلك طسم يتاتي فيها ان تفتح نونها وتصير ميم مضمومة الى طس فيجعلا اسما
واحدا كدارابجرد فالنوع الاول يحكي ليس الا واما النوع الثاني فسايغ فيه الامران الاعراب والحكاية قال
قاتل محمد بن طلحة السجاد وهو شريح بن اوفي العبسي ويروي لمالك بن الحارث، يذكرني حم والرمح شاجر،
فهلا تلا حم قبل التقدم، فاعرب حم ومنعها من الصرف وهكذا كل ما اعرب من اخواتها لاجتماع

سببي منع الصرف فيها وهما العلمية والتانيث والحكاية ان يجئ بالقول بعد نقله على استيفا صورته
الاولى كقولك ؛ دعني من تمرتان وبدات بالحمد لله ، وقرات سورة انا انزلناها وقال ؛
وجدنا في كتاب بني تميم ؛ احق الخيل بالركض المعار ، وقال ذو الرمه ؛ سمعت الناس ينتجعون غيثا
فقلت لصيدح انتجعي بلالا ، وقال اخر ؛ تنادوا بالرحيل غدا وفي ترحالهم نفسي ، وروي منصو با
ومجرورا ويقول اهل الحجاز في استعلام من يقول رايت زيدا من زيدا ، وقال سيبويه سمعت
من العرب لا من اين يا فتى فان قلت فما وجه من قرا صاد وقاف ونون مفتوحات قلت قراة صح
الاوجه ان يقال [illegible] نصب وليس بفتح وانما لم يصحبه التنوين لامتناع الصرف على ما ذكرت وانتصابها
بفعل مضمر نحو اذكر وقد اجاب سيبويه مثل ذلك في حم وطس ويس لو قرئ به وحكى ابو سعيد
السيرافي ان بعضهم قرا ياسين ويجوز ان يقال حركت لالتقا الساكنين كما قرا من قرا ولا الضالين
فان قلت هلا زعمت انها مقسم بها وانها نصبت نصب قولهم نعم الله لافعلن على حذف حرف
الجر واعمال فعل القسم وقال ذو الرمة ؛ الا رب من قلبي له الله ناصح ؛ وقال اخر ؛ فذاك امانة
الله الثريد قلت ان القران والقلم بعد هذه الفواتح محلوف بهما فلو زعمت ذلك لجمعت
بين قسمين على مقسم عليه واحد وقد استكرهوا ذلك قال الخليل في قوله عز وجل ، والليل اذا
يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى الواوان الاخرتان ليستا بمنزلة الاولى ولكنهما الواوان
اللتان يضمان الاسما الى الاسما في قولك مررت بزيد وعمرو والاولى بمنزلة التا والبا قال سيبويه
قلت للخليل فلم لا تكون الاخريان بمنزلة الاولى فقال انما اقسم الله بهذه الاشيا على شي واحد فلو
كان انقضى قسمه بالاول على شي لجاز ان يستعمل كلاما اخر فيكون كقولك بالله لافعلن بالله لاخرجن
اليوم ولا يقوى ان تقول وحقك وحق زيد لافعلن والواو الاخرة واو قسم لا يجوز مستكرها قال
وتقول وحياتي ثم حياتك لافعلن فثم ها هنا بمنزلة الواو هذا ولا سبيل فيما نحن بصدده الى
ان نجعل الواو للعطف لمخالفة الثاني الاول في الاعراب فان قلت فقدرها مجرورة باضمار البا
القسمية لا بحذفها فقد جا عنهم الله لافعلن مجرورا ونظيره قولهم لاه ابوك غير انها فتحت في موضع
الجر لكونها غير مصروفة واجعل الواو للعطف حتى يتسبب لك المصير الى نحو ما اشرت اليه قلت
هذا لا يبعد عن الصواب ويعضده ما رووا عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال اقسم الله بهذه الحروف
فان قلت فما وجه قراة بعضهم صاد وقاف بالكسر قلت وجهها ما ذكرت من التحريك
لالتقا الساكنين والذي بسط من عذر المحرك ان الوقف لما استمر بهذه الاشيا شاكلت كذلك ما اجتمع
في اخره ساكنان من المبنيات فعوملت تارة معاملة الان واخرى معاملة هولا فان قلت هل
تسوغ لي في المحكية ما سوغت لي في المعربة من ارادة معنى القسم قلت لا عليك في ذلك وان
تقدر حرف القسم مضمرا في نحو قوله عز وجل حم والكتاب المبين كانه قال اقسم بهذه السورة وبالكتاب ب
المبين انا جعلناه واما قوله صلى الله عليه وسلم حم لا ينصرون فيصلح ان يقضى له بالجر والنصب
جميعا على حذف الجار واضماره فان قلت فما معنى تسمية السور بهذه الالفاظ خاصة
قلت كان المعنى في ذلك الاشعار بان القران ليس الا كلما عربية معروفة التركيب من مسميات

هذا

هذه الالفاظ كما قال عز من قايل قرانا عربيا فان قلت فما بالها مكتوبة في المصحف على صورة الحروف
انفسها لا على صورة اساميها قلت لان الكلم لما كانت مركبة من ذوات الحروف واستمرت العادة متى
تهجيت ومتى قيل للكاتب اكتب كيت وكيت ان يلفظ بالاسما ويقع في الكتابة الحروف انفسها عمل على تلك
الشاكلة المالوفة في كتابة هذه الفواتح وايضا فان شهرة امرها واقامة السن الاسود والاحمر لها وان
اللافظ بها غير متهجاة لا يحلى بطايل منها وان بعضها مفرد لا يخطر ببال غير ما هو عليه من مورده امنت
وقوع اللبس فيها وقد اتفقت في خط المصحف اشيا خارجة عن القياسات التي بني عليها علم الخط والهجا
ثم ما عاد ذلك بضير ولا نقصان لاستقامة اللفظ وبقا الحفظ وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف
قال عبد الله بن درستويه في كتابه المترجم بكتاب الكتاب المتمم في الخط والهجا خطان لا يقاسان
خط المصحف لانه سنة وخط العروض لانه يثبت فيه ما اثبته اللفظ ويسقط عنه ما اسقطه والوجه
الثاني ان يكون ورود هذه الاسما معدودة على نمط التعديد كالايقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقران
وبغرابة نظمه وكالتحريك للسطر في ان هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن اخرهم كلام منظوم من عين
ما ينظمون منه كلامهم ليودبهم النظر الى ان يستيقنوا ان لم تتساقط مقدرتهم دونه ولم يظهر معجزهم
عن ان ياتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة وهم امرآء الكلام وزعماء الحوار وهم الحراص على التساجل
في اقتضاب الخطب والمتهالكون على الافتنان في القصيد والرجز ولم يبلغ من الجزالة وحسن النظم المبالغ
التي بدت بلاغة كل ناطق وشقت غبار كل سابق ولم يتجاوز الحد الخارج من قوى الفصحا ولم يقع وراء
مطامح اعين البصرا الا انه ليس بكلام البشر وانه كلام خالق القوى والقدر وهذا القول من القوة والخلا
بالقبول بمنزل ولناصره على الاول ان يقول ان القران انما نزل بلسان العرب مصبوبا في اساليبهم
واستعمالاتهم والعرب لم يتجاوزوا ما سموا به اسمين ولم يسم احد منهم بمجموع ثلاثة اسما واربعة وخمسة
والقول بانها اسما السور حقيقة يخرج الى ما ليس في لغة العرب ويودي ايضا الى صيرورة الاسم والمسمى
واحدا فان اعترضت عليه بانه قول معول على وجه الدهر وانه لا سبيل الى رده اجابك بان له محملا سوى
ما يذهب اليه وانه نظير قول الناس فلان يروي قفا نبك وعفت الديار ويقول الرجل لصاحبه ما
قرات فيقول الحمد لله وبراة من الله ورسوله ويوصيكم الله في اولادكم والله نور السموات والارض وليست
هذه الجمل باسامي هذه القصايد وهذه السور والاي وانما تعني القصيدة التي ذاك استهلالها وتلاوة
السورة او الاية التي تلك فاتحتها فلما جرى الكلام على اسلوب من يقصد التسمية واستفيد منها ما يستفاد
من التسمية قالوا ذلك على سبيل المجاز دون الحقيقة وللمجيب على الاعتراضين على الوجه الاول ان
يقول التسمية بثلاثة اشيا فصاعدا مستكره لعمري وخروج عن كلام العرب ولكن اذا جعلت اسما واحدا
على طريقة حضرموت فاما اذا جعلت غير مركبة منثورة نثر اسما العدد فلا استكراه فيها لانها من باب
التسمية بما حقه ان يحكى حكاية كما سموا بتابط شرا وبرق نحره وشاب قرناها وكما لو سمي بزيد منطلق
او ببيت شعر وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وبين التسمية بطايفة
من حروف المعجم دلالة قاطعة على صحة ذلك واما تسمية السور كلها بفاتحتها فليست بتصيير الاسم
والمسمى واحدا لانها تسمية مولف بمفرد والمولف غير المفرد الا ترى انهم جعلوا اسم الحرف مولفا منه

ومن حرفين مضمومين اليه كقولهم صاد فلم يكن من جعل الاسم والمسما واحدا حيث كان الاسم
مولفا والمسما مفردا • والوجه الثالث ان ترد السور مصدرة بذلك ليكون اول ما يقرع الاسماع كلاما
مستقلا بوجه من الاعراب وبقدمة من دلايل الاعجاز وذلك ان النطق بالحروف انفسها كانت العرب
فيه مستوية الاقدام الاميون منهم واهل الكتاب بخلاف النطق باسامي الحروف فانه كان مختصا بمن
خط وقرا وخالط اهل الكتاب وتعلم منهم وكان مستغربا مستبعدا من الامي التكلم بها استبعاد الخط
والتلاوة كما قال عز وجل وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون فكا ن
حكم النطق بذلك مع اشتهار انه لم يكن ممن اقتبس شيا من اهله حكم الاقاصيص المذكورة في القران التي
لم تكن قريش ومن دان بدينها في شي من الاحاطة بها في ان ذلك حاصل به من جهة الوحي وشاهد بصحة
نبوته وبمنزلة من يتكلم بالرطانة من غير ان يسمعها من احد واعلم انك اذا تاملت ما اورده
الله عز سلطانه في الفواتح من هذه الاسما وجدتها نصف اسامي حروف المعجم اربعة عشر سوى وهي
الالف واللام والميم والصاد والرا والكاف والها واليا والعين والطا والسين والحا والقاف والنون
في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم ثم اذا نظرت في هذه الاربعة عشر وجدتها مشتملة
على انصاف اجناس الحروف بيان ذلك ان فيها من المهموسة نصفها الصاد والكاف والها والسين
والحا ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والرا والعين والطا والقاف واليا والنون ومن
الشديدة نصفها الكاف والالف والطا والقاف ومن الرخوة نصفها اللام والميم والرا والصاد والها
والعين والسين والحا واليا والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والطا ومن المنفتحة نصفها
الالف واللام والميم والرا والكاف والها والعين والسين والحا والقاف واليا والنون ومن المستعلية
نصفها القاف والصاد والطا ومن المنخفضة نصفها الالف واللام والميم والرا والكاف والها
واليا والعين والسين والحا والنون ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطا ثم اذا استقريت
الكلم وتراكيبها رايت الحروف التي الغى الله تعالى ذكرها من هذه الاجناس المعدودة مكثورة
بالمذكورة منها فسبحان الذي دقت في كل شي حكمته وقد علمت ان معظم الشي وجله ينزل منزلة
كله وهو المطابق الى ما ذكرت من التنكيت لهم والزام الحجة اياهم ومما يدل على انه تعمد بالذكر
من حروف المعجم اكثرها وقوعا في تراكيب الكلم ان الالف للطايف التنزيل واختصاراته فكان
الله عز اسمه عدد على العرب الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم اشارة الى ما ذكرت والالف واللام لما تكاثر
وقوعها فيها جاتا في معظم هذه الفواتح مكررتين وهي فواتح سورة البقرة وآل عمران والروم والعنكبوت
ولقمن والسجدة والاعراف والرعد ويونس وابراهيم وهود ويوسف والحجر فان قلت
فهلا عددت باجمعها في اول القرآن وما لها جات مفرقة على السور قلت لان عادة الله
على ان المتحدى به مولف فيها لا غير وتجديده في غير موضع واحد اوصل الى الغرض واقر له في الاسماع
والقلوب من ان يفرد ذكره مرة وكذلك مذهب كل تكرير جا في القران فمطلوب منه تمكين المكرر
في النفوس وتقريره فان قلت فهلا جات على وتيرة واحدة ولم اختلفت اعداد حروفها
فوردت ص وق ون على حرف وطه وطس ويس وحم على حرفين والم والر وطسم على

والالف صح

ثلاثة

ثلاثة احرف والمص والمر على اربعة احرف وكهيعص وحمعسق على خمسة احرف قلت هذا على
على عادة افتنانهم في اساليب الكلام وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب وكما ان ابنية كلامهم على حرف
وحرفين الى خمسة احرف لم يتجاوز ذلك سلك بهذه الفواتح ذلك المسلك فان قلت فما وجه
اختصاص كل سورة بالفاتحة التي اختصت بها قلت اذا كان الغرض هو التنبيه والمبادي كلها في
تادية هذا الغرض سواء لا مفاضلة كان تطلب وجه الاختصاص ساقطا كما اذا سمي الرجل بعض اولاده
زيدا والاخر عمروا لم يقل له لم خصصت ولدك هذا بزيد وذلك بعمرو لان الغرض هو التمييز وهو
حاصل اية سلك وكذلك لا يقال لم سمي هذا الجنس بالرجل وذاك بالفرس ولم قيل للاعتماد الضرب
وللانتصاب القيام ولنقيضه القعود فان قلت ما بالهم عدوا بعض هذه الفواتح اية دون
بعض قلت هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور اما الم فاية حيث وقعت من
السور المفتتحة بها وهي ست وكذلك المص اية والمر لم تعد اية والر ليست باية في سورها الخمس وطسم
اية في سورتيها وطه ويس ايتان وطس ليست باية وحم اية في سورها كلها وحم عسق ايتان و
كهيعص اية واحدة وص وق ونون ثلاثتها لم تعد اية هذا مذهب الكوفيين وما عداهم لم يعدوا شيا
اية فان قلت فكيف عدوا ما هو في حكم كلمة واحدة اية قلت كما عد الرحمن وحده ومدهامتان هتان
وحدها ايتين على طريق التوقيف فان قلت ما حكمها في باب الوقف قلت يوقف على جميعها
وقف التمام اذا حملت على معنى مستقل غير محتاج الى ما بعده وذلك اذا لم تجعل اسما للسور ونعق
بها كما ينعق بالاصوات او جعلت وحدها اخبار المبتدا محذوف كقوله عز قايلا الم الله اي
هذه الم ثم ابتدا فقال الله لا اله الا هو فان قلت هل لهذه الفواتح محل من الاعراب قلت
نعم لها محل فيمن جعلها اسما للسور لانها عنده كساير الاسما الاعلام فان قلت ما محلها قلت
يحتمل الاوجه الثلاثة اما الرفع فعلى الابتدا واما النصب والجر فلما مر من صحة القسم بها وكونها بمنزلة الله
والله على اللغتين ومن لم يجعلها اسما للسور لم يتصور ان يكون لها محل في مذهبه كما لا محل للجمل المبتداة
والمفردات المعدودة فان قلت لم صحت الاشارة بذلك الى ما ليس ببعيد قلت وقعت الاشارة
الى الم بعد ما سبق التكلم به وتقضى والمقتضي في حكم المتباعد وهذا في كل كلام يحدث الرجل بحديث
ثم يقول وذلك مما لا شك فيه ويحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا وكذا وقال الله تعالى لا فارض ولا بكر
عوان بين ذلك وقال ذلكما مما علمني ربي ولانه لما وصل المرسل الى المرسل اليه وقع في حد البعد كما تقول
لصاحبك وقد اعطيته شيا احتفظ بذلك وقيل معناه الم ذلك الكتاب الذي وعدوا به فان قلت
لم ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مونث وهو السورة قلت لا اخلو من ان اجعل الكتاب خبره او صفته
فان جعلته خبره كان ذلك في معناه ومسماه مسماه فجاز اجراء حكمه عليه في التذكير كما اجري عليه في التانيث
في قولهم من كانت امك وان جعلته صفته فانما اشير به الى الكتاب صريحا لان اسم الاشارة مشار به
الى الجنس الواقع صفة له تقول هند ذلك الانسان او ذلك الشخص فعل كذا وقال الذبياني ٥
نبيت نعما على الهجران عاتبة ٥ سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري ٥ فان قلت اخبرني عن
تاليف ذلك الكتاب مع الم قلت ان جعلت الم اسما للسورة ففي التاليف وجوه ان يكون الم مبتدا

اولا وذلك مبتدا ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدا الاول ومعناه ان ذلك الكتاب هو الكتاب الكامل كان ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص وانه الذي يستاهل ان يسمى كتابا كما تقول هو الرجل اي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال وكما قال

فان الذي حانت بفلج دماؤهم ، هم القوم كل القوم يا ام خالد ، وان يكون الكتاب صفة ومعناه هو الكتاب الموعود به وان يكون الم خبر مبتدا محذوف اي هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان الكتاب صفة وان يكون هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة اخرى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدا خبره الكتاب اي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل او الكتاب صفة والخبر ما بعده او قدر مبتدا محذوف اي هو يعني المولف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرا عبد الله الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه وتاليف هذا ظاهر والريب مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه ما روى الحسن بن علي رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمانينة اي فان كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس وتشخص بالقلوب من نوائبه ومنه انه مر بظبي خاقف فقال لا يربه احد بشيء فان قلت كيف نفي الريب على سبيل الاستغراق وكم من مرتاب فيه قلت ما نفي ان احدا لا يرتاب فيه وانما المنفي كونه متعلقا للريب ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب ان يقع فيه الا ترى الى قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله فما ابعد وجود الريب منهم وانما عرفهم الطريق المزيل للريب وهو ان يحزروا انفسهم ويروزوا قواهم في البلاغة هل تتم للمعارضة او تتضاءل دونها فيتحققوا عند عجزهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة فان قلت فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول في قوله لا فيها غول قلت لان القصد في ايلاء الريب حرف النفي نفي الريب عنه واثبات انه حق وصدق لا باطل وكذب كما كان المشركون يدعونه ولو اولي الظرف لقصد الى ما يبعد عن المراد وهو ان كتابا اخر فيه الريب لا فيه كما قصد في قوله لا فيها غول تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بانها لا تغتال العقول كما تغتالها هي كانه قيل ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب والنقيصة وقرا ابو الشعثا لا ريب فيه بالرفع والفرق بينها وبين المشهورة ان المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم انهما وقفا على ريب ولا بد للواقف من ان ينوي خبرا ونظيره قوله تعالى لا ضير وقول العرب لا باس وهي كثيرة في لسان اهل الحجاز والتقدير لا ريب فيه فيه هدى الهدى مصدر على فعل كالسرى والبكا وهو الدلالة الموصلة الى البغية بدليل وقوع الضلالة في مقابلها قال تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقال لعلى هدى او في ضلال مبين ويقال مهدي في موضع المدح كمهتد ولان اهتدى مطاوع هدى ولن يكون المطاوع في خلاف معنى اصله الا ترى الى نحو غمه فاغتم وكسره فانكسر واشباه ذلك فان قلت فلم قيل هدى للمتقين والمتقون مهتدون قلت هو كقولك للعزيز المكرم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة الى ما هو ثابت فيه واستدامته كقوله اهدنا الصراط المستقيم ووجه اخر

ثالث وهو انه سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل
قتيلا فله سلبه وعن ابن عباس رضي الله عنهما اذا اراد احدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض وتضل الضالة وتكون
الحاجة فسمى المشارف للقتل والمرض والضلال قتيلا ومريضا وضالة ومنه قوله تعالى ولا يلدوا الا فاجرا
كفارا اي صايرا الى الفجور والكفر فان قلت فهلا قيل هدى للضالين قلت لان الضالين فريقان
فريق علم بقاؤهم على الضلالة وهو المطبوع على قلوبهم وفريق علم ان مصيرهم الى الهدى فلا يكون هدى
للفريق الباقين على الضلالة فبقي ان يكون هدى لهؤلاء فلو جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى
للصايرين الى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام باجرايه على الطريقة التي ذكرنا فقيل هدى للمتقين •
وايضا فقد جعل ذلك سلما الى تصدير السورة التي هي اولى الزهراوين وسنام القران واول المثاني بذكر
اولياء الله والمرتضين من عباده • والمتقي في اللغة هو اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة نه
ومنه فرس واق وهذه الدابة تقي من وجاها اذا اصابه ضلع من غلظ الارض ورقة الحافر فهو يقي حافره
ان يصيبه ادنى شيء يولمه وهو في الشريعة الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل او ترك ک
واختلف في الصغاير فقيل الصحيح لا يتناولها لانها تقع مكفرة عن مجتنب الكباير وقيل يطلق على الرجل
اسم المومن لظاهر الحال والمتقي لا يطلق الا عن خبرة كما لا يجوز اطلاق العدل الا على المختبر ومحل هدى
للمتقين الرفع لانه خبر مبتدا محذوف او خبر مع لا ريب فيه او مبتدا اذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه ويجوز
ان ينصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة او الظرف والذي هو ارسخ عرقا في البلاغة ان يضرب
عن هذا المحال صفحا وان يقال ان قوله تعالى الم جملة براسها وطايفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها
وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وقد اصيب بترتيبها مفصل البلاغة
وموجب حسن النظم حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق وذلك لمجيئها متآخية آخذا
بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالاولى معتنقة لها وهلم جرا الى الثالثة والرابعة • بيان ذلك انه نبه
اولا على انه الكلام المتحدى به ثم اشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي وشدا
من اعضاده ثم نفى عنه ان يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله لانه لا كمال اكمل مما للحق
واليقين ولا نقص انقص مما للباطل والشبهة وقيل لبعض العلماء فيم لذتك قال في حجة تتبختر اتضاحا
وفي شبهة تتضاءل افتضاحا • ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله
وحقا لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من الاربع بعد ان رتبت هذا الترتيب
الانيق ونظمت هذا النظم السري من نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى الغرض بالطف وجه
وارشقه وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف وفي الرابعة
الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع الصفة الذي هو هاد وايراده منكرا والايجاز في ذكر
المتقين • زادنا الله اطلاعا على اسرار كلامه وتبيينا لنكت تنزيله وتوفيقا للعمل بما فيه والذين يومنون
اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة او مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني الذين يومنون او هم الذين
يومنون واما منقطع عن المتقين مرفوع على الابتدا مخبر عنه باولئك على هدى فاذا كان موصولا كان الوقف
حسنا غير تام واذا كان منقطعا كان وقفا تاما فان قلت ما هذه الصفة اواردة بيانا وكشفا

للمتقين ام مسرودة مع المتقين تفيد غير فايدتها ام جاءت على سبيل المدح والثنا كصفات الله تعالى الجارية
عليه تمجيدا قلت يحتمل ان يراد على طريق البيان والكشف لاشتمالها على ما اسست عليه حال المتقين من
فعل الحسنات وترك السيئات اما الفعل فقد انطوى تحت ذكر الايمان الذي هو اساس الحسنات ومنصبها وذكر
الصلوة والصدقة لان هاتين اما العبادات البدنية والمالية وهما العيار على غيرهما الم تر كيف سمى رسول الله
صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين وجعل الفاصل بين الاسلام والكفر ترك الصلاة وسمى الزكوة قنطرة
الاسلام وقال تعالى وويل للمشركين الذين لا يوتون الزكاة فلما كانتا بهذه المثابة كان من شانهما استجرار ساير
العبادات واستتباعها ومن ثم اختصر الكلام اختصارا بان استغنى عن عد الطاعات بذكر ما هو كالعنوان ان
لها والذي اذا وجد لم يتوقف اخوته ان يقترن به مع ما في ذلك من الافصاح عن فضل هاتين العبادتين
واما الترك فكذلك الا ترى الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشا والمنكر ويحتمل ان لا يكون بيانا
للمتقين وتكون صفة برأسها دالة على فعل الطاعات ويراد بالمتقين الذين يجتنبون المعاصي ويحتمل
ان يكون مدحا للموصوفين بالتقوى وتخصيصا للايمان بالغيب واقام الصلوة وايتا الزكوة بالذكر اظهارا
لانافتها على ساير ما يدخل تحت حقيقة هذا الاسم من الحسنات والايمان افعال من الامن يقال امنته
وامننيه غيري ثم يقال امنه اذا صدقه وحقيقته امنه التكذيب والمخالفة واما تعديته بالبا فلتضمنه
معنى اقر واعترف واما ما حكى ابو زيد عن العرب ما امنت ان اجد صحابة اي ما وثقت فحقيقته صرت
ذا امن اي ذا سكون وطمانينة وكلا الوجهين حسن في قوله يومنون بالغيب اي يعترفون به
او يثقون بانه حق ويجوز ان لا يكون بالغيب صلة للايمان وان يكون في موضع الحال اي يومنون غايبين
عن المومن به وحقيقته ملتبسين بالغيب كقوله الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم اني لم اخنه بالغيب
ويعضده ما روي ان اصحاب عبد الله ذكروا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وايمانهم فقال ابن
مسعود ان امر محمد كان بينا لمن راه والذي لا اله غيره ما امن مومن افضل من ايمان بغيب ثم قرا هذه
الاية فان قلت فما المراد بالغيب ان جعلته صلة وان جعلته حالا قلت ان جعلته صلة
كان بمعنى الغايب اما تسمية بالمصدر من قولك غاب الشي غيبا كما سمي الشاهد بالشهادة قال الله تعالى
عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض غيبا وعن النضر بن شميل شربت الابل حتى
وارت غيوب كلاها يريد بالغيب الخمصة التي تكون في موضع الكلية اذا بطنت الدابة انتفخت واما ان
يكون فعيلا خفف كما قيل قيل واصله قيل والمراد به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتدا الا علم اللطيف الخبير
وانما نعلم نحن منه ما علمناه او نصب لنا دليلا عليه ولهذا لا يجوز ان يطلق فيقال فلان يعلم الغيب
وذلك نحو الصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد وغير
ذلك وان جعلته حالا كان بمعنى الغيبة والخفا فان قلت ما الايمان الصحيح قلت ان يعتقد
الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله فمن اخل بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو منافق ومن اخل بالشهادة ه
فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق ومعنى اقامة الصلوة تعديل اركانها وحفظها من ان يقع زيغ في فرايضها
وسننها وادابها من اقام العود اذا قومه او الدوام عليها والمحافظة كما قال عز وعلا والذين هم على صلوتهم
دايمون والذين هم على صلواتهم يحافظون من قامت السوق اذا نفقت واقامها قال

اقامة

قامت غزالة سوق الضراب ، لاهل العراقين حولا قميطا ، لانها اذا حوفظ عليها كانت النافق الذي تتوجه
اليه الرغبات ويتنافس فيه المخلصون واذا عطلت او اضيعت كانت كالشي الكاسد الذي لا يرغب فيه
والتجلد والتشمر لادائها وان لا يكون في موديها فتور عنها ولا توان من قولهم قام بالامر وقامت الحرب على ساقها
وفي ضده قعد عن الامر وتقاعد عنه اذا تقاعس وتثبط او اداوها فعبر عن الادا بالاقامة لان القيام
بعض اركانها كما عبر عنه بالقنوت والقنوت القيام وبالركوع وبالسجود وقالوا سبح اذا صلى لوجود التسبيح فيها
فلولا انه كان من المسبحين • والصلوة فعلة من صلى كالزكوة من زكى وكتبتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة
صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده ونظيره كفر اليهودي اذا طاطا راسه وانحنا عند
تعظيم صاحبه لانه ينثني عن الكاذبين وهما الكافرتان وقيل للداعي مصل لانه تشبيها في تخشعه بالراكع والساجد جد
واسناد الرزق الى نفسه للاعلام بانهم ينفقون الحلال الطلق الذي يستاهل ان يضاف الى الله تعالى ويسمى رزقا
منه وادخل من التبعيضية صيانة لهم وكفا عن الاسراف والتبذير المنهي عنه وقدم مفعول الفعل دلالة
على كونه اهم كانه قال ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به وجايز ان يراد به الزكاة المفروضة لاقترانه
باخت الزكاة وشقيقتها وهي الصلوة وان تراد هي وغيرها من النفقات في سبل الخير لمجيه مطلقا فيصلح
ان يتناول كل منفق وانفق الشي وانفده اخوان • وعن يعقوب نفق الشي ونفد واحد وكل ما جاء مما
فاوه نون وعينه فاء فدال على معنى الخروج والذهاب ونحو ذلك اذا تاملت فان قلت والذين
يومنون اهم غير الاولين ام هم الاولون وانما وسط العاطف كما يوسط بين الصفات في قولك هو الشجاع
والجواد في قوله ، الى الملك القرم وابن الهمام ، وليث الكتيبة في المزدحم ، وقوله ، يا لهف زيابة للحارث ،
الصابح فالغانم فالايب ، قلت يحتمل ان يراد بهولاء مومنو اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه من
الذين امنوا فاشتمل ايمانهم على كل وحي انزل من عند الله وايقنوا بالاخرة ايقانا زال معه ما كانوا عليه من انه لا
يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات واجتماعهم على الاقرار بالنشاة
الاخرة واعادة الارواح في الاجساد ثم افتراقهم فرقتين منهم من قال يجري حالهم في التلذذ بالمطاعم والمشارب رب
والمناكح على حسب مجراها في الدنيا ودفعه اخرون فزعموا ان ذلك انما احتيج اليه في هذه الدار من اجل
نماء هذه الاجسام ولمكان التوالد والتناسل واهل الجنة مستغنون عنه فلا يتلذذون الا بالنسيم والارواح
العبقة والسماع اللذيذ والفرح والسرور واختلافهم في الدوام والانقطاع فيكون المعطوف غير المعطوف
عليه • ويحتمل ان يراد وصف الاولين ووسط العاطف على معنى انهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه
فان قلت فاذا اريد بهولا غير اولئك فهل يدخلون في جملة المتقين ام لا قلت ان عطفتهم على
الذين يومنون بالغيب دخلوا وكانت صفة التقوى مشتملة على الرمزين مومني اهل الكتاب وغيرهم وان
عطفتهم على المتقين لم يدخلوا وكانه قيل هدى للمتقين وهدى للذين يومنون بما انزل اليك فان قلت قوله
بما انزل اليك ان عني به القران باسره والشريعة عن اخرها فلم يكن منزلا وقت ايمانهم فكيف قيل انزل
بلفظ المضي وان اريد به المقدار الذي سبق انزاله وقت ايمانهم فهو ايمان ببعض المنزل واشتمال الايمان على
الجميع سالفه ومترقبه واحد قلت المراد المنزل كله وانما عبر عنه بلفظ الماضي وان كان بعضه مترقبا
تغليبا للموجود على ما لم يوجد كما يغلب المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغايب فيقال انا وانت فعلنا

وانت وزيد تفعلان ولانه اذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول جعل كانه قد نزل وانتهى نزوله
ويدل عليه قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى ولم يسمعوا جميع الكتاب ولا كان كله منزلا و
لكن سبيله سبيل ما ذكرنا ونظيره قولك كلما خطب به فلان فهو فصيح وما تكلم بشيء الا وهو نادر ولا
تريد بهذا الماضي منه فحسب دون الاتي لكونه معقودا بعضه ببعض مربوطا آتيه بماضيه وقرا يزيد
بن قطيب بما انزل اليك وما انزل من قبلك على لفظ ما سمي فاعله • وفي تقديم الاخرة وبناء يوقنون على هم
تعريض باهل الكتاب وبما كانوا عليه من اثبات امر الاخرة على خلاف حقيقته وان قولهم ليس بصادر عن
ايقان وان اليقين ما عليه من آمن بما انزل اليك وما انزل من قبلك والايقان اتقان العلم بانتفا الشك
والشبهة عنه • والاخرة تانيث الاخر الذي هو نقيض الاول وهي صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار
الاخرة بجعلها للذين وهي من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا وعن نافع انه خففها بان حذف الهمزة
والقا حركتها على اللام كقوله دابة الارض • وقرا ابو حية النميري يؤقنون بالهمزة جعل الضمة في جار
الواو كانها فيه فقلبها قلب واو وجوه ووقتت ونحوها • لحب المؤقدان الى موسى • وجعدة اذا اضا
الوقود • اولئك على هدى الجملة في محل الرفع ان كان الذين يؤمنون مبتدا والا فلا محل لها ونظم
الكلام على الوجهين انك اذا نويت الابتدا بالذين يؤمنون بالغيب فقد ذهبت به مذهب الاستيناف
وذلك انه لما قيل هدى للمتقين واختص المتقون بان الكتاب لهم هدى اتجه لسايل ان يسال فيقول
ما بال المتقين مخصوصين بذلك فوقع قوله الذين يؤمنون بالغيب الى ساقته كانه جواب لهذا السوال
المقدر وجيء بصفة المتقين المنطوية تحتها خصايصهم التي استوجبوا بها من الله ان يلطف
بهم ويفعل بهم ما لا يفعل بمن ليسوا على صفتهم اي الذين هولاء عقايدهم واعمالهم احقا بان
يهديهم الله ويعطيهم الفلاح ونظيره قولك احب رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار الذين
قارعوا دونه وكشفوا الكرب عن وجهه اولئك اهل للمحبة وان جعلته تابعا للمتقين وقع الاستيناف
على اولئك كانه قيل للمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فاجيب بان اولئك الموصوفين غير
مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا واعلم ان هذا النوع من الاستيناف
يجيء تارة باعادة اسم من استونف عنه الحديث كقولك احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان
وتارة باعادة صفته كقولك احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك منك فيكون الاستيناف
باعادة صفته احسن وابلغ لانطوائها على بيان الموجب وتلخيصه فان قلت هل يجوز ان
يجري الموصول الاول على المتقين وان يرفع الثاني على الابتدا واولئك خبره قلت نعم على ان يجعل
اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا باهل الكتاب الذين يؤمنون بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهم ظانون انهم على الهدى وطامعون انهم ينالون الفلاح عند الله وفي اسم الاشارة الذي هو اولئك
ايذان بان ما يرد عقيبه فالمذكورون قبله اهل لاكتسابه من اجل الخصال التي عددت لهم كما قال
حاتم • ولله صعلوك • ثم عدد خصالا فاضلة ثم عقب تعديدها بقوله • فذلك ان يهلك فحسبي ثناؤه
وان عاش لم يقعد ضعيفا مذمما • ومعنى الاستعلا في قوله على هدى مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم
عليه وتمسكهم به شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد

صربوا

صرحوا بذلك في قولهم جعل الغواية مركبا وامتطا الجهل واقتعد غارب الهوى • ومعنى هدى من ربهم
اي ممنوح من عنده واوتوه من قبله وهو اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على اعمال الخير والترقي الى الافضل
فالافضل ونكر هدى ليفيد ضربا مبهما لايبلغ كنهه ولا يقادر قدره كانه قيل على اي هدى كما تقول لو ابصرت
فلانا لابصرت رجلا • قال الهذلي ، فلا واني الطير المربه بالضحى ، على خالد لقد وقعت على لحم ، والنون
من ربهم ادغمت بغنة وبغير غنة فالكسائي وحمزة ويزيد وورش في رواية والهاشمي عن ابن كثير لم يغنوها
وقد اغنها الباقون الا ابا عمرو فقد روي عنه فيها روايتان وفي تكرير اوليك تنبيه على انهم كما ثبتت لهم الاثرة
بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح فجعلت كل واحدة من الاثرتين في تميزهم بها عن غيرهم بالمثابة التي لو انفردت
كفت مميزة على حيالها فان قلت لم جاء مع العاطف وما الفرق بينه وبين قوله تعالى اولئك كالانعام
بل هم اضل اوليك هم الغافلون قلت قد اختلف الخبران ها هنا فلذلك دخل العاطف بخلاف الخبرين
ثمه فانهما متفقان لان التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهايم شي واحد فكانت الجملة الثانية مقررة
لما في الاولى فهي من العطف بمعزل • وهم فصل وفايدته الدلالة على ان الوارد بعده خبر لا صفة والتو
وايجاب ان فايدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره او هو مبتدا والمفلحون خبره والجملة خبر اوليك كيد
الاول • ومعنى التعريف في المفلحون الدلالة على ان المتقين هم الناس الذي بلغك انهم مفلحون في الاخرة
كما اذا بلغك ان انسانا قد تاب من اهل بلدك فاستخبرت من هو فقيل زيد التايب اي هو الذي اخبرت
بتوبته • او على انهم الذين ان حصلت صفة المفلحين وتحققوا ما هم وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم
هم لا يعدون تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك هل عرفت الاسد وما جبل عليه من فرط الاقدام ان زيدا
هو هو فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد على طرق شتى
وهي ذكر اسم الاشارة وتكريره وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل بينه وبين اوليك ليبصرك
مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا ويثبطك عن الطمع الفارغ والرجاء
الكاذب والتمني على الله ما لا تقتضيه حكمته ولم تسبق به كلمته • اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا
في زمرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة • والمفلح الفايز بالبغية كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر
ولم تستغلق عليه والمفلج بالجيم مثله ومنه قولهم للمطلقة استفلحي بامرك بالحا والجيم والتركيب دال
على معنى الشق والفتح وكذلك اخواته في الفا والعين نحو فلق وفلذ وفلي ان الذين كفروا سواء عليهم
ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون لما قدم ذكر اوليايه وخلاصة عباده بصفاتهم التي اهلتهم
لاصابة الزلفى عنده وبين ان الكتاب هدى ولطف لهم خاصة قفى على اثره بذكر اضدادهم وهم العتاة
المردة من الكفار الذي لا ينفع فيهم الهدى ولا يجدي عليهم اللطف وسوا عليهم وجود الكتاب وعدمه وانذار
الرسول وسكوته فان قلت لم قطعت قصة الكفار عن قصة المومنين ولم تعطف كنحو قوله ان الابرار
لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وغيره من الاي الكثيرة قلت ليس وزان هاتين القصتين وزان
ما ذكرت لان الاولى فيما نحن فيه مسوقة لذكر الكتاب وانه هدى للمتقين وسيقت الثانية لان
الكفار من صفتهم كيت وكيت فبين الجملتين تباين في الغرض والاسلوب وهما على حد لا مجال فيه للعاطف على حد
فان قلت هذا اذا زعمت ان الذين يومنون جار على المتقين فاما اذا ابتداته وبنيت الكلام لصفة

المومنين ثم عقبته بكلام اخر في صفة اضدادهم كان مثل تلك الآي المتلوة قلت قد مر لي ان الكلام المبتدأ
عقيب المتقين سبيله سبيل الاستيناف وانه مبني على تقدير سوال فذلك ادراج له في حكم المتقين وتابع له في
المعنى وان كان مبتدا في اللفظ فهو في الحقيقة كالجاري عليه والتعريف في الذين كفروا يجوز ان يكون
للعهد وان يراد بهم ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم وان يكون للجنس متناولا
كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوي بعده وغيرهم ودل على تناوله للمصرين الحديث عنهم باستوا الانذار
وتركه عليهم • وسوا اسم بمعنى الاستوا وصف به كما يوصف بالمصادر ومنه قوله تعالى الى كلمة سوا بيننا
وبينكم في اربعة ايام سوا للسايلين بمعنى مستوية وارتفاعه على انه خبر لانّ وانذرتهم ام لم تنذرهم
في موضع المرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه كما تقول ان
زيدا مختصم اخوه وابن عمه او يكون ءانذرتهم ام لم تنذرهم في موضع الابتدا وسوا خبرا مقدما بمعنى
سواء عليهم انذارك وعدمه والجملة خبر لانّ فان قلت الفعل فاعله ابدا خبر لا مخبر عنه فكيف
صح الاخبار عنه في هذا الكلام قلت هو من جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ الى جانب
المعنى وقد وجدنا العرب في ذلك يميلون في مواضع من كلامهم مع المعاني ميلا بينا من ذلك قولهم لا تاكل
السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن منك اكل السمك وشرب اللبن وان كان ظاهر اللفظ على ما يصح
من عطف الاسم على الفعل • والهمزة وأم مجردتان لمعنى الاستوا وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام
راسا قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف الندا في قولك اللهم اغفر لنا
ايتها العصابة يعني ان هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام كما ان ذلك جرا على صورة الندا
ولا ندا ومعنى الاستوا استواهما في علم المستفهم عنهما لانه قد علم ان احد الامرين كاين اما الانذار وا ها
عدمه ولكن لا بعينه فكلاهما معلوم بعلم غير معين • وقرى أأنذرتهم بتحقيق الهمزتين والتخفيف
اعرب واكثر وبتخفيف الثانية بين بين وبتوسط الالف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين
بين وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه والقا حركته على الساكن قبله كما قرى قد افلح فان قلت فما
تقول فيمن يقلب الثانية الفا قلت هو لاحن خارج من كلام العرب خروجين احدهما الاقدام
على جمع الساكنين على غير حده وحده ان يكون الاول حرف لين والثاني حرفا مدغما نحو قوله الضالين
وخويصه والثاني اخطا طريق التخفيف لان طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها ان تخرج
بين بين فاما القلب الفا فهو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها كهمزة راس والانذار التخويف
من عقاب الله بالزجر عن المعاصي فان قلت ما موقع لا يومنون قلت اما ان يكون جملة
موكدة للجملة قبلها او خبرا لانّ والجملة قبلها اعتراض ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم
غشاوة الختم والكتم اخوان لان في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتما له وتغطية لان لا يتوصل
اليه ولا يطلع عليه • والغشاوة الغطا فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البنا لما يشتمل على الشيء كالعصابة
والعمامة فان قلت ما معنى الختم على القلوب والاسماع وتغشية الابصار قلت لا ختم
ولا تغشية ثَمّ على الحقيقة وانما هو من باب المجاز ويحتمل ان يكون من كلا نوعيه وهما الاستعارة والتمثيل
اما الاستعارة فان تجعل قلوبهم لان الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص الى ضمايرها من قبل اعراضهم عنه واستكبارهم

عن قبوله

عن قبوله واعتقاده واسماعهم لانها تمجه وتنبوا عن الاصغاء اليه وتعاف استماعه كانها مستوثق
منها بالختم • وابصارهم لانها لا تجتلي ايات الله المعروضة ودلايله المنصوبة كما تجتليها اعين المعتبرين المستبصر
كانما غطي عليها وحجبت وحيل بينها وبين الادراك • واما التمثيل فان تمثل حيث لم يستنفعوا بها في الاغرا
الدينية التي كلفوها وخلقوا من اجلها باشيا ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها بالختم وبالتغطية وقد
جعل بعض المازنيين الحبسة في اللسان والعي ختما عليه فقال ؎ ختم الاله على لسان عذافر ختما فليس
على الكلام بقادر ؎ واذا اراد النطق خلت لسانه لحما يحركه لصقر نافر ؎ فان قلت فلم اسند الختم الى
الله تعالى واسناده اليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل اليه بطرقه وهو قبيح والله يتعالى عن فعل
القبيح علوا كبيرا لعلمه بقبحه وعلمه بغناه عنه وقد نص على تنزيه ذاته بقوله وما انا بظلام للعبيد وما
ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين • ان الله لا يامر بالفحشا ونظاير ذلك مما نطق به التنزيل قلت القصد الى
صفة القلوب بانها كالمختوم عليها واما اسناد الختم الى الله تعالى فلينبه على ان هذه الصفة في فرط تمكنها
وثبات قدمها كالشي الخلقي غير العرضي الا ترى الى قولهم فلان مجبول على كذا ومفطور عليه
يريدون انه بليغ في الثبات عليه وكيف يتخيل ما خيل اليك وقد وردت الاية ناعية على الكفار شناعة
صفتهم وسماجة حالهم ونيط بذلك الوعيد بعذاب عظيم • ويجوز ان تضرب الجملة كما هي وهي ختم
الله على قلوبهم مثلا كقولهم سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقا اذا اطال الغيبة وليس للوادي
ولا للعنقا عمل في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال من طارت به العنقا فكذلك مثلت
حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها نحو قلوب الاغتام التي هي في
خلوها عن الفطا كقلوب البهايم او بحال قلوب البهايم انفسها او بحال قلوب مقدر ختم الله عليها
حتى لا تعي شيا ولا تفقه وليس له عز وجل فعل في تجافيها عن الحق ونبوها عن قبوله وهو متعال عن ذلك
ويجوز ان يستعار الاسناد في نفسه من غير الله تعالى لله فيكون الختم مسندا الى اسم الله على سبيل المجاز وهو لغير ٥
حقيقة تفسير هذا ان للفعل ملابسات شتى تلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب
له فاسناده الى الفاعل حقيقة وقد يسند الى هذه الاشيا على طريق المجاز المسمى استعارة وذلك لمضاهاتها
الفاعل في ملابسة الفعل كما يضاهي الرجل الاسد في جراته فيستعار له اسمه فيقال في المفعول به عيشة راضية
وماء دافق وفي عكسه سيل مفعم وفي المصدر شعر شاعر وذيل ذايل وفي الزمان نهاره صايم وليله قايم وفي
المكان طريق ساير ونهر جار واهل مكة يقولون صلى المقام وفي المسبب بنى الامير المكان المدينة وناقة
ضبوث وحلوب وقال ؎ اذا ردعا في القدر من يستعيرها ؎ فالشيطان هو الخاتم في الحقيقة او الكافر الا
ان الله سبحانه لما كان هو الذي اقدره ومكنه اسند الختم اليه كما اسند الفعل الى المسبب ووجه رابع وهو
انهم لما كانوا على القطع والبت ممن لا يومن ولا تغني عنهم الايات والنذر ولا تجدي عليهم الالطاف المحصلة
والمقربة ان اعطوها لم يبق بعد استحكام العلم بانه لا طريق الى ان يومنوا طوعا واختيارا طريق الى ايمانهم الا القسر
والالجاء واذا لم يبق طريق الى ان يقسرهم الله ويلجئهم ثم لم يقسرهم ولم يلجئهم لئلا ينتقض الغرض في التكليف
عبر عن ترك القسر والالجا بالختم اشعارا بانهم الذين ترامى امرهم في التصميم على الكفر والاصرار عليه الى
حد لا يتناهون عنه الا بالقسر والالجا وهي الغاية القصوى في وصف لجاجهم بالغي واستشرايهم في الضلال

البغي ووجه خامس وهو ان يكون حكاية لما كان الكفرة يقولونه تهكما من قولهم اكنة مما تدعونا اليه وفي
اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ونظيره في الحكاية والتهكم قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
منفكين حتى تاتيهم البينة فان قلت اللفظ يحتمل ان يكون الاسماع داخلة في حكم الختم وفي حكم التغشية
فعلى ايهما يعول قلت على دخولها في حكم الختم لقوله وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولوقفهم
على وقفهم سمعهم دون قلوبهم فان قلت اي فايدة في تكرير الجار في قوله وعلى سمعهم قلت لولم يكرر لكان
انتظاما للقلوب والاسماع في تعدية واحدة وحين استجد للاسماع تعدية على حدة كان ادل على شدة الختم في الموضعين
ووحد السمع كما وحد البطن في قوله ٭ كلوا في بعض بطنكم تعفوا ٭ فان زمانكم زمن خميص ٭ يفعلون ذلك اذا امن
اللبس فان لم يومن كقولك فرسهم وثوبهم وانت تريد الجمع رفضوه ولك ان تقول السمع مصدر في اصله والمصادر
لا تجمع فلمح الاصل يدل عليه جمع الاذن في قوله وفي اذاننا وقر وان تقدر مضافا اي وعلى حواس سمعهم وقرا ابن
ابي عبلة وعلى اسماعهم فان قلت فهلا منع ابا عمرو والكسائي من امالة ابصارهم ما فيه من حروف الاستعلا
وهو الصاد قلت لان الرا المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير كان فيها كسرتين وذلك اعون
شيء على الامالة وان يمال له ما لا يمال ٭ والبصر نور العين وهو ما يبصر به الرائي ويدرك به المرئيات كما ان
البصيرة نور القلب وهو ما به يستبصر ويتامل وكانهما جوهران لطيفان خلقهما الله فيهما التين للابصار
والاستبصار وقرئ غشاوة بالكسر والنصب وغشاوة بالضم والرفع وغشاوة بالفتح والنصب وغشوة
بالكسر والرفع وغشوة بالفتح والنصب وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع من العشا ولهم عذاب عظيم
العذاب مثل النكال بناء ومعنى لانك تقول اعذب عن الشيء اذا امسك عنه كما تقول نكل عنه ومنه العذب
لانه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فانه يزيده ويدل عليه تسميتهم اياه نقاخا لانه ينقخ العطش اي يكسره
وفراتا لانه يرفته على القلب ثم اتسع فيه فسمي كل الم فادح عذابا وان لم يكن نكالا اي عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة
والفرق بين العظيم والكبير ان العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكان العظيم فوق الكبير كما ان
الحقير دون الصغير ويستعملان في الجثث والاحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره
ومعنى التنكير ان على ابصارهم نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطا التعامي عن ايات الله تعالى
ولهم من بين الالام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله تعالى اللهم اجرنا من عذابك ولا تبلنا بسخطك
يا واسع المغفرة ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمومنين يخادعون الله والذين
امنوا وما يخادعون الا انفسهم وما يشعرون افتتح سبحانه بذكر الذين اخلصوا دينهم لله وواطات
فيه قلوبهم السنتهم ووافق سرهم علنهم وفعلهم قولهم ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا قلوبا
والسنة ثم ثلث بالذين امنوا بافواههم ولم تومن قلوبهم وابطنوا خلاف ما اظهروا وهم الذين قال فيهم ٭
مذبذبين بين ذلك لا الى هولاء ولا الى هولاء ٭ وهم المنافقين وكانوا اخبث الكفرة وابغضهم اليه وامقتهم
عنده لانهم خلطوا بالكفر تمويها وتدليسا وبالشرك استهزاء وخداعا ولذلك انزل فيهم ان المنافقين في الدرك
الاسفل من النار ووصف حال الذين كفروا في ايتين وحال الذين نافقوا في ثلاث عشرة اية نعى عليهم
فيها خبثهم ومكرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزا بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم
ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الامثال الشنيعة ٭ وقصة المنافقين عن اخرها معطوفة على قصة الذين

قلوبنا في صح

محذوفا صح

كفروا

كفروا كما تقطع الجملة على الجملة واصل ناس اناس لحذفت همزته تخفيفا كما قيل لوقة في الوقة وحذفها مع لام
التعريف كاللازم لا يكاد يقال الاناس ويشهد لاصله انسان واناس واناسي وانس وسموا لظهورهم وانهم
يونسون اي يبصرون كما سمي الجن جنا لاجتنانهم ولذا سموا بشرا ووزن ناس فعال لان الزنة على الاصل
الاترك تقول في وزن قه افعل وليس معك الا العين وحدها وهو من اسما الجمع كرجال واما نويس فمن المصغر
الاتي على خلاف مكبره كانيسان ورويجل ولام التعريف فيه للجنس ويجوز ان تكون للعهد والاشارة الى الذين كفروا
المار ذكرهم كانه قيل ومن هولاء من يقول وهم عبد الله بن ابي واصحابه ومن كان في حالهم من اهل التصميم
على النفاق ونظير موقعه موقع القوم في قولك نزلت ببني فلان فلم يقروني والقوم لئام • ومن في من يقول
موصوفة كانه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا كقوله من المومنين رجال ان جعلت اللام للجنس وان
جعلتها للعهد فموصولة كقوله ومنهم الذين يوذون النبي فان قلت كيف يجعلون بعض اوليك والمنا فعول
غير المختوم على قلوبهم قلت الكفر جمع الفريقين معا وصيرهم جنسا واحدا وكون المنافقين نوعا
من نوعي هذا الجنس مغايرا للنوع الاخر بزيادة زادوها على الكفر الجامع بينهما من الخديعة والاستهزاء لا
يخرجهم من ان يكونوا بعضا من الجنس فان الاجناس انما تنوعت لمغايرات وقعت بين بعضها وبعض وتلك
المغايرات انما تاتي بالنوعية ولا تابي الدخول تحت الجنسية فان قلت فلم اختص بالذكر الايمان بالله
والايمان باليوم الاخر قلت اختصاصهما بالذكر كشف عن افراطهم في الخبث وتماديهم في الدعارة لان
القوم كانوا يهودا وايمان اليهود بالله ليس بايمان لقولهم عزير ابن الله وكذا ايمانهم باليوم الاخر لانهم يعتقد ونه
على خلاف صفته فكان قولهم امنا بالله وباليوم الاخر خبثا مضاعفا وكفرا موجها لان قولهم هذا لو صدر
عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم عقيدتهم فهو كفر لا ايمان فاذا قالوه على وجه النفاق خديعة على المسلمين
واستهزاء بهم واروهم انهم مثلهم في الايمان الحقيقي كان خبثا الى خبث وكفرا الى كفر وايضا فقد اوهموا في
هذا المقال انهم اختاروا الايمان من جانبيه واكتنفوه من قطريه واحاطوا باوله واخره وفي تكرير الباء انهم
ادعوا كل واحد من الايمانين على صفة الصحة والاستحكام فان قلت كيف طابق قوله وما هم بمومنين
قولهم امنا بالله وباليوم الاخر والاول في ذكر شان الفعل لا الفاعل والثاني في ذكر شان الفاعل لا الفعل
قلت القصد الى انكار ما ادعوه ونفيه فسلك في ذلك طريق ادى الى الغرض المطلوب وفيه من التوكيد
والمبالغة ما ليس في غيره وهو اخراج ذواتهم وانفسهم من ان تكون طايفة من طوايف المومنين لما علم
من حالهم المنافية لحال الداخلين في الايمان واذا شهد عليهم بانهم في انفسهم على هذه الصفة فقد انطوى
تحت الشهادة عليهم بذلك نفي ما انتحلوا اثباته لانفسهم على سبيل القطع والبت ونحوه قوله تعالى يريدون
ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها وهو ابلغ من قولك وما يخرجون منها فان قلت فلم
جا الايمان مطلقا في الثاني وهو مقيد في الاول قلت يحتمل ان يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور
عليه وان يراد بالاطلاق انهم ليسوا من الايمان في شي قط لا من الايمان بالله واليوم الاخر ولا من الايمان
بغيرهما فان قلت ما المراد باليوم الاخر قلت يجوز ان يراد به الوقت الذي لا حد له وهو الابد
الدايم الذي لا ينقطع لتاخره عن الاوقات المنقضية وان يراد الوقت المحدود من النشور الى ان يدخل
اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه اخر الاوقات المحدودة التي لا حد للوقت بعده والخدع ان

يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه من قولهم ضب خادع وخدع اذا امر الحارش يده على باب جحره اوهمه اقباله عليه ثم خرج من باب اخر فان قلت كيف ذلك ومخادعة الله تعالى والمومنين لا تصح لان العالم الذي لا تخفى عليه خافية لا يخدع والحكيم الذي لا يفعل القبيح لا يخدع والمومنون وان جاز ان يخدعوا لم يجز ان يخدعوا الا ترى الى قوله * واستمطروا من قريش كل منخدع * وقول ذي الرمة * ان الحليم وذا الاسلام يختلب * فقد جا النعت بالانخداع ولم يات بالخدع قلت فيه وجوه احدها ان يقال كانت صورة صنعهم مع الله حيث يتظاهرون بالايمان وهم كافرون صورة صنع المخادعين وصورة صنع الله معهم حيث امر باجرا احكام المسلمين عليهم وهم عنده في عداد شرار الكفرة واهل الدرك الاسفل من النار صورة صنع الخادع وكذلك صورة صنع المومنين معهم حيث امتثلوا امر الله فيهم فاجروا احكامهم عليهم * والثاني ان يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم ان الله ممن يصح خداعه لان من كان ادعاوه الايمان بالله نفاقا لم يكن عارفا بالله ولا بصفاته ولا ان لذاته تعلقا بكل معلوم ولا انه غني عن فعل القبايح فلم يبعد من مثله تجويز ان يكون الله في زعمه مخدوعا ومصابا بالمكروه من وجه خفي وتجويز ان يدلس على عباده ويخدعهم والثالث ان يذكر الله ويراد الرسول لانه خليفته في ارضه والناطق عنه باوامره ونواهيه مع عباده كما يقال قال الملك كذا ورسم كذا وانما القايل والراسم وزيره او بعض خاصته الذين قولهم قوله ورسمهم رسمه مصداقه قوله * ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم * ومن يطع الرسول فقد اطاع الله * والرابع ان يكون من قولهم اعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين امنوا بالله وفايدة هذه الطريقة قوة الاختصاص ولما كان المومنون من الله بمكان سلك بهم ذلك المسلك * ومنه والله ورسوله احق ان يرضوه * وكذلك ان الذين يوذون الله ورسوله * ونظيره في كلامهم علمت زيدا فاضلا الغرض فيه ذكر احاطة العلم بفضل زيد ولكن ذكر زيد توطية وتمهيدا لذكر فضله فان قلت هل للاقتصار بخادعت على واحد وجه صحيح قلت وجهه ان يقال عني به فعلت الا انه اخرج في زنة فاعلت لان الزنة في اصلها للمغالبة والمباراة والفعل متى غولب فيه فاعله جا ابلغ واحكم منه اذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مبار لزيادة قوة الداعي اليه ويعضده قراة من قرا يخدعون الله والذين امنوا وهو ابو حيوة ويخادعون بيان ليقول ويجوز ان يكون مستانفا كانه قيل ولم يدعون الايمان كاذبين وما رفقهم في ذلك فقيل يخادعون فان قلت علم كانوا يخادعون قلت كانوا يخادعونهم عن اغراضهم ومقاصدهم منها متاركتهم واعفاوهم عن المحاربة وعما يطرقون به من سواهم من الكفار ومنها اصطناعهم بما يصطنعون به المومنين من اكرامهم والاحسان اليهم واعطايهم الحظوظ من المغانم ونحو ذلك من الفوايد ومنها اطلاعهم لاختلاطهم بهم على الاسرار التي كانوا حراصا على اذاعتها الى منابذيهم فان قلت فلو ظهروا عليهم حتى لا يصلوا الى هذه الاغراض بخداعهم عنها قلت لم يظهر عليهم لما احاط به علما من المصالح التي لو اظهر عليهم لانقلبت مفاسد واستبقا ابليس وذريته ومتاركتهم وما هم عليه من اغوايهم المنافقين وتلقينهم النفاق اشد من ذلك ولكن السبب فيه ما علمه تعالى من المصلحة فان قلت ما المراد بقوله وما يخادعون الا انفسهم قلت يجوز ان يراد وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين الا انفسهم لان ضررها يلحقهم ومكرها يحيق بهم كما تقول فلان يضار فلانا وما يضار الا نفسه

اي دايرة

اي دايرة الضرر راجعة اليه وغير متخطية اياه وان يراد حقيقة المخادعة اي وهم في ذلك يخدعون انفسهم
حيث يمنوها الاباطيل ويكذبونها فيما يحدثونها به وانفسهم كذلك تمنيهم وتحدثهم بالاماني وان يرادوما
يخادعون فجيء به على لفظ يفاعلون للمبالغة • وقرئ وما يخدعون ويخدعون من خدع ويخدعون
بفتح اليا بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على لفظ مالم يسم فاعله • والنفس ذات الشيء
وحقيقته يقال عندي كذا انفسا • ثم قيل للقلب نفس لان النفس به الا ترى الى قولهم المرء باصغريه
وكذلك بمعنى الروح • وللدم نفس لان قوامها بالدم وللما نفس لفرط حاجتها اليه قال الله تعالى وجعلنا
من الما كل شيء حي • وحقيقة نفس الرجل بمعنى عين اصيبت نفسه كقولهم صدر الرجل وقولهم فلان
يوامر نفسه اذا تردد في الامور واتجه له رايان وداعيان لا يدري على ايهما يعرج كانهم ارادوا داعي النفس
وهاجسي النفس فسموها نفسين اما لصدورهما عن النفس واما لان الداعيين لما كانا كالمشيرين
عليه والامرين له شبهوهما بذاتين فسموهما نفسين والمراد بالانفس هنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم
ذواتهم ان الخداع لاصق بهم لا يعدوهم الى غيرهم ولا يتخطاهم الى من سواهم • ويجوز ان يراد قلوبهم
ودواعيهم وآراؤهم • والشعور علم الشيء علم حسي من الشعار ومشاعر الانسان حواسه والمعنى ان
لحوق ضرر ذلك انهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له في قلوبهم مرض فزادهم الله
مرضا استعمال المرض في القلب يجوز ان يكون حقيقة ومجازا فالحقيقة ان يراد الالم كما تقول في
جوفه مرض والمجاز ان يستعار لبعض اعراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل الى المعاصي
والعزم عليها واستشعار الهوى والجبن والضعف وغير ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض
كما استعير الصحة والسلامة في نقايض ذلك والمراد به هنا ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر او
من الغل والحسد والبغضا لان صدورهم كانت تغلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين غلا
وحنقا ويبغضونهم البغضا التي وصفها الله في قوله قد بدت البغضا من افواههم وما تخفي صدورهم
اكبر ويتحرقون عليهم حسدا • ان تمسسكم حسنة تسوهم وناهيك بما كان من ابن ابي وقول سعد
ابن عباده لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعف عنه يا رسول الله واصفح فوالله لقد اعطاك الله الذ ي
اعطاك ولقد اصطلح اهل هذه البحيرة ان يعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاكه
شرق بذلك • او يراد ما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور لان قلوبهم كانت قوية اما القوة فطمعهم
فيما كانوا يحدثون به ان ريح الاسلام تهب حينا ثم تسكن ولواءه يخفق اياما ثم يقر فضعفت حين
ملكها الياس عند انزال الله على رسوله النصر واظهار دين الحق على الدين كله واما لجراتهم وجسارتهم
في الحروب فضعفت جبنا وخورا حين قذف الله في قلوبهم الرعب وشاهدوا شوكة المسلمين وامداد
الله لهم بالملايكة • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر • ومعنى زيادة
الله اياهم مرضا انه كلما انزل على رسوله الوحي فسمعوه كفروا به فازدادوا كفرا الى كفرهم فكان الله هو
الذي زادهم ما ازدادوه اسناد للفعل الى المسبب له كما اسنده الى السورة في قوله فزادتهم رجسا
الى رجسهم لكونها سببا او كلما زاد رسوله نصرة وتبسطا في البلاد ونقصا من اطراف الارض ازدادوا
حسدا وغلا وبغضا وازدادت قلوبهم ضعفا وقلة طمع فيما عقدوا به رجاهم وجبنا وخورا ويحتمل

ان يراد بزيادة المرض الطبع • وقرا ابو عمرو في رواية الاصمعي مرض ومرضا بسكون الرا يقال الم فهو اليم
كوجع فهو وجيع ووصف العذاب به نحو قوله ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون نحو قوله • وخيل قد
دلفت لها بخيل • تحية بينهم ضرب وجيع • وهذا على طريقة قولهم جد جده والالم في الحقيقة للمولم
كما ان الجد للجاد • والمراد بكذبهم قولهم امنا بالله وباليوم الاخر وفيه رمز الى قبح الكذب وسماجته وتخييل
ان العذاب الاليم لاحق بهم من اجل كذبهم ونحوه قوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا والقوم كفرة وانما
خصت الخطيئات استعظاما لها وتنفيرا عن ارتكابها والكذب الاخبار بالشي على خلاف ما هو به
وهو قبيح كله • واما ما يروى عن ابراهيم صلوات الله عليه انه كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض
ولكن لما كانت صورته صورة الكذب سمي به وعن ابي بكر رضي الله عنه وروي مرفوعا
اياكم والكذب فانه مجانب الايمان • وقرئ يكذبون من كذبه الذي هو نقيض صدقه ومن كذب الذي هو
مبالغة في كذب كما بولغ في صدق فقيل صدق ونظيرهما بان الشي وبين وقلص الثوب وقلص وبمعنى
الكثرة كقولك موتت البهايم وبركت الابل ومن قولهم كذب الوحشي اذا جرا شوطا ثم وقف لينظر
ما وراه لان المنافق متوقف متردد في امره ولذلك قيل له مذبذب وقال عليه السلام مثل المنافق كمثل
الشاة العايرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا
انما نحن مصلحون الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون واذا قيل معطوف على يكذبون ويجوز
ان يعطف على يقول امنا لانك لو قلت ومن الناس من اذا قيل لهم لا تفسدوا كان صحيحا والاول
اوجه • والفساد خروج الشي عن حال استقامته وكونه منتفعا به ونقيضه الصلاح وهو
الحصول على الحالة المستقيمة النافعة والفساد في الارض هو هيج الحروب والفتن لان في ذلك فساد
ما في الارض وانتفا الاستقامة عن احوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية قال الله
تعالى واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل • اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك
الدما • ومنه قيل لحرب كانت بين طي حرب الفساد وكان فساد المنافقين في الارض انهم كانوا
يما يلون الكفار ويمالونهم على المسلمين بافشا اسرارهم اليهم واغرائهم عليهم وذلك مما يودي الى هيج
الفتن بينهم فلما كان ذلك من صنيعهم موديا الى الفساد قيل لهم لا تفسدوا كما تقول للرجل لا تقتل
نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار اذا قدم على ما هذه عاقبته • وانما لقصر الحكم على شي كقولك انما
ينطلق زيد او لقصر الشي على حكم كقولك انما زيد كاتب ومعنى انما نحن مصلحون ان صفة المصلحين
خلصت لهم وتمحضت من غير شايبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد والا مركبة من همزة الاستفهام
وحرف النفي لاعطا معنى التنبيه على تحقق ما بعدها والاستفهام اذا دخل على النفي افاد تحقيقا كقوله
اليس ذلك بقادر ولكونها في هذا المنصب من التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى
به القسم • واختها التي هي اما من مقدمات اليمين وطلايعها • اما والذي لا يعلم الغيب غيره • اما
والذي ابكى واضحك • رد الله ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين ابلغ رد وادله على سخط عظيم
والمبالغة فيه من جهة الاستيناف وما في كلمتي الكلمتين الا وان من التاكيدين وتعريف الخبر وتوسيط
الفصل وقوله لا يشعرون واذا قيل لهم امنوا كما امن الناس قالوا انومن كما امن السفهاء الا

انهم

انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون انوهم في النصيحة من وجهين احدهما تقبيح ما هم عليه لبعده من الصواب
وجره الى الفساد والفتنة والثاني تبصيرهم الطريق الاسد من اتباع ذوي الاحلام ودخولهم في عدادهم
فكان من جوابهم ان سفهوهم وجهلوهم لتمادي جهلهم وفي ذلك تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة فان
قلت كيف صح ان يسند قيل الى لا تفسدوا وامنوا واسناد الفعل الى الفعل مما لا يصح قلت
الذي لا يصح هو اسناد الفعل الى معنى الفعل وهذا اسناد له الى لفظه كانه قيل واذا قيل لهم هذا القول
وهذا الكلام فهو نحو قولك الف ضرب من ثلثة احرف ومنه زعموا مطية الكذب وما في كما يجوز ان تكون
كافة مثلها في ربما ومصدرية مثلها في بما رحبت واللام في الناس للعهد اي كما امن رسول الله ومن معه
وهم ناس معهودون او عبد الله بن سلام واشياعه لانهم من جلدتهم ومن ابنا جنسهم اي كما امن اصحابكم
واخوانكم او للجنس اي كما امن الكاملون في الانسانية او جعل المومنون كانهم الناس على الحقيقة ومن
عداهم كالبهائم في فقد التمييز بين الحق والباطل والاستفهام في انومن في معنى الانكار واللام في
السفها مشار بها الى الناس كما تقول لصاحبك ان زيدا قد سعى بك فيقول او قد فعل السفيه ويجوز
ان تكون للجنس وينطوي تحته الجاري ذكرهم على زعمهم واعتقادهم لانهم عندهم اعرق الناس في السفه
فان قلت لم سفهوهم واستركوا عقولهم وهم العقلا المراجيح قلت لانهم لجهلهم واخلالهم
بالنظر وانصاف انفسهم اعتقدوا ان ما هم فيه هو الحق وان ما عداه الباطل ومن ركب متن الباطل كان
سفيها ولانهم كانوا في رياسة وبسطة في قومهم ويسار وكان اكثر المومنين فقرا ومنهم موال كصهيب
وبلال وخباب فدعوهم سفها تحقيرا لشانهم وارادوا عبد الله ابن سلام واشياعه ومفارقتهم دينهم
وما غاظهم من اسلامهم وفت في اعضادهم قالوا ذلك على سبيل التجلد توقيا من الشماتة بهم مع
علمهم انهم من السفه بمعزل والسفه سخافة العقل وخفة الحلم فان قلت لم فصلت هذه
الاية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون قلت لان امر الديانة والوقوف على ان المومنين على
الحق وهم على الباطل يحتاج الى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة واما النفاق وما فيه من البغي
المودي الى الفتنة والفساد في الارض فامر دنيوي مبني على العادات معلوم عند الناس خصوصا
عند العرب في جاهليتهم وما كان قائما بينهم من التغاور والتناحر والتحارب فهو كالمحسوس المشاهد
ولانه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه احسن طباقا له واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا
واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزءون الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون نهم
يعمهون مساق هذه الاية بخلاف ما سيقت له اول قصة المنافقين فليس بتكرير لان تلك في بيان
مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان ما كانوا يعملون عليه مع المومنين من التكذيب لهم والاستهزا
بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وايهامهم انهم معهم فاذا فارقوهم الى سطار دينهم صدقوهم ما في
قلوبهم وروي ان عبد الله بن ابي واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله انظروا كيف ارد هولا السفها عنكم فاخذ بيد ابي بكر فقال مرحبا
بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل نفسه
وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي بن كعب الفاروق

لقوي في دين الله شديد الغضب على اعداء الله الباذل نفسه وماله وابنته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ
بيد علي وقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال علي يا عبد الله اتق الله ولا تنافق فان المنافقين شر خليقة الله تعالى فقال عبد الله مهلا ابا الحسن الي
تقول هذا والله ان ايماننا كايمانكم ثم افترقوا فقال عبد الله لاصحابه كيف رايتموني فعلت فاثنوا عليه خيرا
فنزلت ويقال لقيته ولاقيته اذا استقبلته قريبا منه وهو جاري ملاقي وملامري وقرا ابو حنيفة رحمه الله
واذا لاقوا وخلوت بفلان واليه اذا انفردت معه ويجوز ان تكون من خلا بمعني مضي وخلاك ذم اي عداك ومضي
عنك ومنه القرون الخالية ومن خلوت به اذا سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه
واذا انهوا السخرية بالمومنين الى شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول احمد اليك فلانا واذمه اليك وشياطينهم
الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وقد جعل سيبويه نون الشيطان في موضع من كتابه اصلية وفي اخر زايدة
والدليل على اصالتها قولهم تشيطن واشتقاقه من شطن اذا ابعد لبعده من الصلاح والخير ومن شاط اذا ابطل اذا
جعلت نونه زايدة ومن اسمايه الباطل • انا معكم انا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم فان قلت لم كانت
مخاطبتهم المومنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بان قلت ليس ما خاطبوا به المومنين جد يرا
باقوى الكلامين واوكدهما لانهم في ادعا حدوث الايمان منهم ونشئه من قبلهم لا في ادعاء انهم اوحديون في
الايمان غير مشقوق فيه غبارهم وذلك اما لان انفسهم لا تساعدهم عليه اذ ليس من عقايدهم باعث ومحرك
وهكذا كل قول لم يصدر عن اريحية وصدق رغبة واعتقاد واما لانه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد و
المبالغة وكيف يقولونه ويطمعون في رواجه وهم بين ظهراني المهاجرين والانصار الذين مثلهم في التورية والا بجيل
الا ترى الى حكاية الله قول المومنين ربنا اننا امنا واما مخاطبة اخوانهم فهم فيما اخبروا به عن انفسهم من الثبات
على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر والبعد من ان يزلوا عنه على صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح للتكلم
به وما قالوه من ذلك فهو رايج عنهم ومتقبل منهم فكان مظنة للتحقيق ومسنة للتوكيد فان قلت اني
تعلق قوله انما نحن مستهزون بقوله انا معكم قلت هو توكيد له لان قوله انا معكم معناه الثبات على
اليهودية وقوله انما نحن مستهزون رد للاسلام ودفع له منهم لان المستهزي بالشي المستخف به منكر له
ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض الشي تاكيد لثباته او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر
او استيناف كانهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم انا معكم فقالوا ما بالكم ان صح انكم معنا توافقون
اهل الاسلام فقالوا انما نحن مستهزون والاستهزا السخرية والاستخفاف واصل الباب الخفة من
الهزء وهو القتل السريع وهزا يهزا مات على المكان عن بعض العرب مشيت فلعبت فظننت لاهزان على
مكاني وناقته تهزا به اي تسرع وتخف فان قلت لا يجوز الاستهزا على الله تعالى لانه متعال عن
القبيح والسخرية من باب العبث والجهل الا ترى الى قوله قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من
الجاهلين فما معنى استهزائه بهم قلت معناه انزال الهوان والحقارة بهم لان المستهزي غرضه
الذي يرميه هو طلب الخفة والزراية بمن يهزا به وادخال الهوان والحقارة عليه والاشتقاق كما ذكرنا
شاهد لذلك وقد كثر التهكم في كلام الله بالكفرة والمراد به تحقير شانهم وازدراء امرهم والدلالة على ان
مذاهبهم حقيقة بان يسخر منها الساخرون ويضحك الضاحكون ويجوز ان يراد به ما مر في يخادعون

مع انه

من انه يجرى عليهم احكام المسلمين في الظاهر وهو مبطن بادخار ما يراد بهم من العذاب وقيل يسمي جزاء الاستهزا
باسمه كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها • فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه فان قلت كيف ابتدي قوله الله
يستهزئ بهم ولم يعطف على الكلام قبله قلت هو استيناف في غاية الجزالة والفخامة وفيه ان الله عز وجل
هو الذي يستهزئ بهم الاستهزا الابلغ الذي ليس استهزاوهم اليه باستهزاء ولا يوبه له في مقابلته لما ينزل
بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل وفيه ان الله هو الذي يتولا الاستهزا بهم انتقاما للمومنين ولا يحوج
المومنين يعارضونهم باستهزاء مثله فان قلت فهلا قيل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله انما نحن
مستهزون قلت لان يستهزئ يفيد حدوث الاستهزا وتجدده وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات
الله فيهم وبلاياه النازلة بهم اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين وما كانوا يخلون في اكثر اوقاتهم
من تهتك استار وتكشف اسرار ونزول في شانهم واستشعار حذر من ان ينزل فيهم يحذر المنافقون ان تنزل
عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزوا ان الله مخرج ما تحذرون • ويمدهم في طغيانهم من مد الجيش
وامده اذا زاده والحق به ما يقويه ويكثره وكذلك مد الدواة وامدها زادها ما يصلحها ومددت السراج
والارض اذا اصلحتهما بالزيت والسماد ومده الشيطان في الغي وامده اذا واصله بالوساوس حتى يتلاحق
عنه ويزداد انهماكا فيه فان قلت لم زعمت انه من المدد دون المد في العمر والاملا والامهال
قلت كفاك دليلا انه من المدد دون المد قراة ابن كثير وابن محيصن ويمدهم وقراة نافع
واخوانهم يمدونهم على ان الذي بمعنى امهله انما هو مد له مع اللام كاملى له فان قلت كيف جاز ان
يوليهم الله مددا في الطغيان وهو فعل الشيطان الا ترى الى قوله واخوانهم يمدونهم في الغي قلت اما
ان يحمل على انهم لما منعهم الله الطافه التي يمنحها المومنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم عليه بقيت
قلوبهم يتزايد الرين والظلمة فيها تزايد الانشراح والنور في قلوب المومنين فسمي ذلك التزايد مددا واسند
الى الله سبحانه لانه مسبب عن فعله بهم بسبب كفرهم • واما على منع القسر والالجا واما ان يسند فعل الشيطان
الى الله تعالى لانه بتمكينه واقداره والتخلية بينه وبين اغوا عباده فان قلت فما حملهم على تفسير المد
في الطغيان بالامهال وموضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوع عليه قلت استجرهم الى ذلك خوف الاقدام
على ان يسندوا الى الله ما اسند الى الشيطان ولكن المعنى الصحيح ما طابقه اللفظ وشهد بصحته والا كان
منه بمنزلة الاروى من النعام • ومن حق مفسر كلام الله الباهر وكلامه المعجز ان يتعاهد في مذاهبه بقا
النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدي سليما من القادح فاذا لم يتعاهد اوضاع اللغة فهو من
تعاهد النظم والبلاغة على مراحل ويعضد ما قلناه قول الحسن في تفسيره في ضلالتهم يتمادون وان هولا
من اهل الطبع والطغيان الغلو في الكفر ومجاوزة الحد في العتو وقرا زيد بن علي رضي الله عنهما في طغيانهم
بالكسر وهما لغتان كلقيان ولقيان وغنيان وغنيان فان قلت اي نكتة في اضافته اليهم قلت
فيها ان الطغيان والتمادي في الضلالة مما اقترفته انفسهم واجترحته ايديهم وان الله بري منه رد لاعتقاد
الكفرة القايلين لو شا الله ما اشركنا ونفيا لوهم من عسى يتوهم عند اسناد المد الى ذاته لو لم يضف الطغيان
اليهم ان الطغيان فعله فلما اسند المد اليه على الطريق الذي ذكر اضاف الطغيان اليهم ليميط الشبهة
ويقلعها ويدفع في صدر من يلحد في صفاته ومصداق ذلك انه حين اسند المد الى الشياطين اطلق الغي ولم

يقيده بالاضافة في قوله واخوانهم يمدونهم في الغي • والعمه مثل العمى الا ان العمى عام في البصر والراي
والعمه في الراي خاصة وهو التحير والتردد لا يدري اين يتوجه • ومنه قوله بالجاهلين العمه اي الذين لا را
لهم ولا دراية بالطرق وسلك ارضا عمها لا منار بها • قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ومعنى اشتراء الضلالة بالهدى اختيارها عليه واستبدالها
به على سبيل الاستعارة لان الاشترا فيه اعطا بدل واخذ اخر ومنه ، اخذت بالجمة راسا ازعرا ،
وبالثنايا الواضحات الدردرا ، وبالطويل العمر عمرا حيدرا ، كما اشترى المسلم اذ تنصرا ، وعن
وهب قال الله عز وجل فيما يعيب به بني اسرائيل تتفقهون لغير الدين وتتعلمون لغير العمل وتبتاعون
الدنيا بعمل الاخرة فان قلت كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى قلت جعلوا
لتمكنهم منه واعراضه لهم كانه في ايديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوها به ولان
القيم هو فطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها فكل من ضل فهو مستبدل خلاف الفطرة • والضلالة
الجور عن القصد وفقد الاهتدا يقال ضل منزله وضل دريص نفقه فاستعير للذهاب عن الصواب
في الدين • والربح الفضل على راس المال وكذلك يسمى الشف من قولك اشف بعض ولده على بعض اذا فضله
ولهذا على هذا شف • والتجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح وناقة تاجرة كانها من
حسنها وسمنها تبيع نفسها ، وقرا ابن ابي عبلة تجاراتهم فان قلت كيف اسند الخسران الى التجا
وهو لاصحابها قلت هو من الاسناد المجازي وهو ان يسند الفعل الى شي يتلبس بالذي هو في
الحقيقة له كما تلبست التجارة بالمشترين فان قلت هل يصح ربح عبدك وخسرت جاريتك على
الاسناد المجازي قلت نعم اذا دلت الحال وكذلك الشرط في صحة رايت اسدا وانت تريد المقدام ان لم
تقم حال دالة لم تصح فان قلت هب ان شرا الضلالة بالهدى وقع مجازا في معنى الاستبدال فما معنى
ذكر الربح والتجارة كان ثم مبايعة على الحقيقة قلت هذا من الصنعة البديعة التي تبلغ بالمجا
الذروة العليا وهو ان تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفى باشكال لها واخوات اذا تلاحقن لم كلاما
احسن ديباجة واكثر ماء ورونقا منه وهو المجاز المرشح وذلك نحو قول العرب في البليد كان اذني
قلبه خطلا وان جعلوه كالحمار ثم رشحوا ذلك روما لتحقيق البلادة فادعوا لقلبه اذنين وادعوا لهما
الخطل ليمثلوا البلادة تمثيلا يلحقها ببلادة الحمار مشاهدة معاينة ونحوه ،
ولما رايت النسر عز ابن داية ، وعشش في وكريه جاش له صدري ، لما شبه الشيب بالنسر والشعر
الفاحم بالغراب اتبعه ذكر التعشيش والوكر ونحوه قول بعض فتاكهم في امه ، فما ام الردين وان
ادلت ، بعالمة باخلاق الكرام ، اذا الشيطان قصع في قفاها ، تنفقناه بالحبل التوام ، اي اذا
دخل الشيطان في قفاها استخرجناه من نافقايه بالحبل المثنى المحكم • يريد اذا حردت واساءت
الخلق اجتهدنا في ازالة غضبها واماطة ما يسوء من خلقها استعار التقصيع اولا ثم ضم اليه التنفق ثم
الحبل التوام فكذلك لما ذكر سبحانه الشرا اتبعه ما يشاكله ويواخيه وما يكمل ويتم بانضمامه اليه تمثيلا
لخسارهم وتصويرا لحقيقته فان قلت ما معنى قوله فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين قلت
معناه ان الذي يطلبه التجار في متصرفاتهم شيئان سلامة راس المال والربح وهولاء قد اضاعوا

لطلبتين معا لان راس مالهم كان هو الهدي فلم يبق لهم مع الضلالة وحين لم يبق في ايديهم الا
الضلالة لم يوصفوا باصابة الربح وان ظفروا بما ظفروا به من الاغراض الدنيوية لان الضال خاسر
دامر ولانه لا يقال لمن لم يسلم راس ماله قد ربح • وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار
المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله
ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل
زيادة في الكشف وتتميما للبيان ولضرب العرب الامثال واستحضار العلما المثل والنظاير شان
ليس بالخفي في ابراز خبيات المعاني ورفع الاستار عن الحقايق حتى يريك المتخيل في صورة المحقق والمتوهم
في معرض المتيقن والغايب كانه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الالد وقمع لسورة الجامح الابي ولامر ما اكثر هم
الله في كتابه المبين وفي ساير كتبه امثاله وفشت في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الانبيا والحكما
قال الله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون ومن سور الانجيل سورة الامثال
والمثل في اصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل
للقول الساير الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلا ولا راوه اهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول
الا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثم حوفظ عليه وحمي من التغيير فان قلت ما معنى مثلهم
كمثل الذي استوقد نارا وما مثل المنافقين ومثل الذي استوقد نارا حتى شبه احد المثلين بصاحبه قلت
قد استعير المثل استعارة الاسد للمقدام للحال او للصفة او القصة اذا كان لها شان وفيها غرابة كانه قال
قيل حالهم العجيبة الشان كحال الذي استوقد نارا وكذلك قوله مثل الجنة التي وعد المتقون اي وفيما
قصصنا عليك من العجايب قصة الجنة العجيبة ثم اخذ في بيان عجايبها ولله المثل الاعلى اي الوصف الذي له
شان من العظمة والجلالة مثلهم في التورية اي صفتهم وشانهم المتعجب منه ولما في المثل من معنى الغرابة قالوا
فلان مثلة في الخير والشر فاشتقوا منه صفة للعجيب الشان فان قلت كيف مثلت الجماعة بالواحد
قلت وضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا والذي سوغ الذي موضع الذين
هم ولم يجز وضع القائم موضع القايمين ولا نحوه من الصفات امران احدهما ان الذي لكونه وصلة الى وصف
كل معرفة بجملة وتكاثر وقوعه في كلامهم ولكونه مستطالا بصلته حقيق بالتخفيف ولذلك نهكوه بالحذف
فحذفوا ياءه ثم كسرته ثم اقتصروا على اللام وحدها في اسما الفاعلين والمفعولين والثاني ان جمعه ليس بمنزلة
جمع غيره بالواو والنون انما ذلك علامة لزيادة الدلالة الا ترى ان ساير الموصولات لفظ الجمع والواحد فيهن
واحد او قصد جنس المستوقدين او اريد الجمع او الفوج الذي استوقد نارا على ان المنافقين وذواتهم لم
يشبهوا بذات المستوقدين حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد انما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ونحوه
قوله تعالى مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله ينظرون اليك نظر المغشي
عليه من الموت ووقود النار سطوعها وارتفاع لهبها ومن اخواته وقل قد في الجبل اذا اصعد وعلى والنار
جوهر لطيف مضيء حار محرق والنور ضوءها وضوء كل نير وهو نقيض الظلمة واشتقاقها من نار
ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا والنور مشتق منها • والاضاءة فرط الانارة ومصداق ذلك
هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الاية متعدية ويحتمل ان تكون غير متعدية مسندة الى ما حوله

والتانيث للحمل على المعنى لان ماحوله المستوقد اماكن واشيا ويعضده قراة ابن ابي عبلة ضات وفيه وجه اخر وهوان يستتر في الفعل ضمير النار ويجعل اشراق ضوء النار حوله بمنزلة اشراق النار نفسها على ان ما مزيد او موصولة في معنى الامكنة وحوله نصب على الظرف وتاليفه للدوران والاضافة ومنه قيل للعام حول لانه يدور فان قلت اين جواب لما قلت فيه وجهان احدهما ان جوابه ذهب الله بنورهم والثاني انه محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به وانما جاز حذفه لاستطالة الكلام مع امن الالباس الدال عليه فكان الحذف اولى من الاثبات لما فيه من الوجازة مع الاعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو ابلغ من اللفظ في اداء المعنى كانه قيل فلما اضات ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام متحيرين متحسرين على فوت الضوء خايبين بعد الكدح في احيا النار فان قلت فاذا قدر الجواب محذوفا فبم يتعلق ذهب الله بنورهم قلت يكون كلاما مستانفا كانهم لما شبهت حالهم بحال المستوقد الذي طفيت ناره اعترض سايل فقال ما بالهم قد اشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل له ذهب الله بنورهم ويكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان فان قلت قد رجع الضمير في هذا الوجه الى المنافقين فما مرجعه في الوجه الثاني قلت مرجعه الذي استوقد نارا لانه في معنى الجمع واما جمع هذا الضمير وتوحيده في حوله فللحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى فان قلت فما معنى اسناد الفعل الى الله تعالى في قوله ذهب الله بنورهم قلت اذا طفيت النار بسبب سماوي ريح او مطر فقد اطفاها الله وذهب بنور المستوقد ووجه اخر وهو ان يكون المستوقد في هذا الوجه مستوقد نار لا يرضاها الله ثم اما ان تكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للاسلام وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها قليلة البقا الا ترى الى قوله كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله واما نارا حقيقية اوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها الى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طريق العبث فاطفاها الله وخيب امانيهم فان قلت كيف صح في النار المجازية ان توصف باضاءة ما حول المستوقد قلت هو خارج على طريقة المجاز المرشح فاحسن تدبره فان قلت هلا قيل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما اضاءت قلت ذكر النور ابلغ لان الضوء فيه دلالة على الزيادة فلو قيل ذهب الله بضوئهم لاوهم الذهاب بالزيادة وبقا ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم راسا وطمسه اصلا الا ترى كيف ذكر عقيبه وتركهم في ظلمات والظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف اتبعها ما يدل على انها ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله لا يبصرون فان قلت فلم وصفت بالاضاءة قلت هذا على مذهب قولهم للباطل صولة ثم يضمحل ولريح الضلالة عصفة ثم تخفت ونار العرفج مثل للنزوة كل طماح والفرق بين اذهبه وذهب به ان معنى اذهبه ازاله وجعله ذاهبا ويقال ذهب به اذا استصحبه ومضى به والمعنى اخذ الله نورهم وامسكه وما يمسك الله فلا مرسل له فهو ابلغ من الاذهاب وقرا اليماني اذهب الله نورهم. وترك بمعنى طرح وخلا اذا علق بواحد كقولهم، تركه ترك ظبي ظله، فاذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فيجري مجرى افعال القلوب كقول عنترة، فتركته جزر السباع ينشنه، ومنه قوله وتركهم في ظلمات اصله هم ثم دخل ترك فنصب الجزئين. والظلمة عدم النور وقيل عرض ينافي النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك وشغلك لانها تسد البصر وتمنع الروية وقرا الحسن ظلمات بسكون اللام وقرا

المجاز

اليماني في ظلمة على التوحيد والمفعول الساقط من لايبصرون من قبيل المتروك المطرح الذي لايلتفت الى
خطاره بالبال لامن قبيل المقدر المنوي كان الفعل غير متعد اصلا نحو يعمهون في قوله ونذرهم في طغيانهم
يعمهون فان قلت فبم شبهت حالهم بحال المستوقد قلت في انهم عقب الاضاءة خبطوا في ظلمة
وتورطوا في حيرة فان قلت واين الاضاءة في حال المنافق وهل هو ابدا الا حائر خابط في ظلمات الكفر
قلت المراد ما استضاؤا به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة على السنتهم ووراء استضاءتهم
بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق التي ترمي بهم الى ظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد ويجوز ان يشبه بذهاب
الله بنور المستوقد اطلاع الله على اسرارهم وما افتضحوا به بين المؤمنين واتسموا به من سمة النفاق والاوجه
ان يراد به الطبع لقوله صم بكم وفي الاية تفسير اخر وهو انهم لما وصفوا بانهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب
ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة التي اشتروها وطبع بها
على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه اياهم في الظلمات وتنكير النار للتعظيم صم بكم عمي كانت حواسهم
سليمة ولكن لما سدوا عن الاصاخة الى الحق مسامعهم وابوا ان ينطقوا به السنتهم وان ينظروا ويتبصروا
بعيونهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وانتقضت بناها التي بنيت عليها للاحساس والادراك كقوله
صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا اصم عما ساءه سميع اصم عن الشيء الذي
لا اريده واسمع خلق الله حين اريد فاصممت عمرا واعميته عن الجود والفخر يوم الفخار فان قلت
كيف طريقته عند علماء البيان قلت طريقة قولهم هم ليوث للشجعان ويحور للاسخياء الا ان هذا في
الصفات وذلك في الاسماء وقد جاءت الاستعارة في الاسماء والصفات والافعال جميعا تقول رايت ليوثا ولقيت
صما عن الخير ودجا الاسلام واضاء الحق فان قلت هل يسمى ما في الاية استعارة قلت مختلف فيه
والمحققون على تسميته تشبيها بليغا لا استعارة لان المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة انما تطلق
حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لان يراد به المنقول عنه والمنقول اليه لولا دلالة الحال
او فحوى الكلام كقول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين
السحرة منهم كانهم يتناسون التشبيه ويضربون عن توهمه صفحا قال ابو تمام ويصعد حتى يظن الجهول
بان له حاجة في السماء ولبعضهم لا تحسبوا ان في سرباله رجلا ففيه غيث وليث مسبل مشبل وليس
لقائل ان يقول طوى ذكرهم عن الجملة بحذف المبتدا فاتسلق بذلك الى تسميته استعارة لانه في حكم المنطوق به
نظيره قول من يخاطب الحجاج اسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر فهم لا يرجعون
ومعنى لا يرجعون انهم لا يعودون الى الهدى بعد ان باعوه او عن الضلالة بعد ان اشتروها تسجيلا عليهم بالطبع
او اراد انهم بمنزلة المتحيرين الذين بقوا جامدين في مكانهم لا يبرحون ولا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون وكيف
يرجعون الى حيث ابتدؤا منه او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون اصابعهم في
اذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء
لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم ثم ثنى الله سبحانه وتعالى
في شانهم بتمثيل اخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف وايضاحا عقيب ايضاح وكما يجب على البليغ في مظان الاجمال
والايجاز ان يجمل ويوجز وكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل والاشباع ان يفصل ويشبع انشد الجاحظ

يرمون بالخطب الطوال وتارة ، وحي الملاحظ خيفة الرقباء ، ومما ثني من التمثيل في التنزيل قوله وما يستوي
الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات ، والا ترى الى ذي
الرمة كيف صنع في قصيدته ، اذاك ام نمش بالوشي اكرعه ، اذاك ام حاصب بالسي مرتعه فان قلت
قد شبه المنافق في التمثيل الاول بالمستوقد نارا واظهاره الايمان بالاضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار
فماذا شبه في التمثيل الثاني بالصيب وبالظلمات وبالرعد والبرق وبالصواعق قلت لقايل ان يقول
شبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب تحيى به حيوة الارض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات
وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة من الافزاع والبلايا والفتن من جهة اهل
الاسلام بالصواعق والمعنى او كمثل ذوي صيب والمراد كمثل قوم اخذتهم السما على هذه الصفة فلقوا منها
ما لقوا فان قلت هذا تشبيه اشيا باشيا فاين ذكر المشبهات وهلا صرح به كما في قوله وما يستوي الاعمى
والبصير والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيي وفي قول امرء القيس ، كان قلوب الطير رطبا ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالي ، قلت كما جا ذلك صريحا فقد جا مطويا ذكره على سنن الاستعارة
كقوله تعالى وما يستوي البحران هذا عذب فرات سايغ شرابه وهذا ملح اجاج ، ضرب الله مثلا رجلا فيه شركا
متشاكسون ورجلا سلما لرجل ، والصحيح الذي عليه علماء البيان لا يتخطونه ان التمثيلين جميعا من جملة
التمثيلات المركبة لا المفرقة لا يتكلف لواحد واحد شيء يقدر شبهه به وهو القول الفحل والمذهب الجزل بيانه ان
العرب تاخذ اشيا فرادى معزولا بعضها من بعض لم ياخذ هذا بحجزة ذلك فتشبهها بنظايرها كما فعله امرء
القيس وجاء في القرآن وتشبه كيفية حاصلة من مجموع اشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيا
واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها الاية الغرض تشبيه حال اليهود
في جهلها بما معها من التورية واياتها الباهرة بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة وتساوي الحالتين
عنده من حمل اسفار الحكمة وحمل ما سواها من الاوقار لا يشعر من ذلك الا بما يمر به فيه من الكد والتعب
وكقوله واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر فاما
ان يراد تشبيه الافراد بالافراد غير منوط بعضها ببعض ومصيره شيا واحدا فلا فلذلك لما وصف وقوع المنافقين
في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الامر عليهم بما يكابده من طفيت ناره
بعد ايقادها في ظلمة الليل وكذلك من اخذته السما في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق
فان قلت الذي كنت تقدره في المفرق من التشبيه من حذف المضاف وهو قولك او كمثل ذوي صيب
هل تقدر مثله في المركب منه قلت لولا طلب الراجع في قوله تعالى يجعلون اصابعهم في اذانهم ما يرجع
اليه لكنت مستغنيا عن تقديره لاني اراعي الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام فلا علي اولي حرف التشبيه مفرد
يتاتى التشبيه به ام لم يله الا ترى الى قوله انما مثل الحيوة الدنيا الاية كيف ولي الماء الكاف وليس الغرض تشبيه
الدنيا بالماء ولا بمفرد اخر يتمحل لتقديره ومما هو بين في هذا قول لبيد ، وما الناس الا كالديار واهلها ،
بها يوم حلوها وغدوا بلاقع ، لم يشبه الناس بالديار وانما شبه وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم وفنائهم
بحلول اهل الديار فيها ووشك نهوضهم عنها وتركها خلا خاوية فان قلت اي التمثيلين ابلغ قلت
الثاني لانه ادل على فرط الحيرة وشدة الامر وفظاعته ولذلك اخروهم يتدرجون في نحو هذا من الاهون

ة

دون صح

الاغلظ

الى الاغلظ فان قلت لم عطف احد التمثيلين على الاخر بحرف الشك قلت او في اصلها لتساوي
شيئين فصاعدا في الشك ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوي في غير الشك وذلك قولك جالس الحسن او ابن
سيرين تريد انهما سيان في استصواب ان يجالسا ومنه قوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا اي الاثم والكفور
متساويان في وجوب عصيانهما فكذلك قوله او كصيب معناه ان كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفيتي
هاتين القصتين وان القصتين سوا في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبايتهما مثلتها فانت مصيب
وان مثلتها بهما جميعا فكذلك والصيب المطر الذي يصوب اي ينزل ويقع ويقال للسحاب صيب ايضا قال الشماخ
واسحم دان صادق الرعد صيب • وتنكير صيب لانه اريد نوع من المطر شديد هابل كما تكون النار في التمثيل الاول
وقرى كصايب والصيب لا يكون الامن السما قلت الفايدة فيه انه جا بالسما معرفة فنفى ان يصوب
من سماء اي من افق واحد من بين ساير الافاق لان كل افق من افاقها سما كما ان كل طبقة من الطباق سماء في قوله
واوحى في كل سماء امرها والدليل عليه قوله • الذلذكراها اذا ماذكرتها • ومن بعد ارض بيننا وسماء •
والمعنى انه غمام مطبق اخذ بافاق السما وكما جا بصيب وفيه مبالغات من جهة التركيب والبنا والتنكير امد
ذلك بان جعله مطبقا وفيه ان السحاب من السما يحدر ومنها ياخذ ماه لا كزعم من يزعم انه ياخذه من البحر
ويويده قوله تعالى وينزل من السما من جبال فيها من برد فان قلت بم ارتفع ظلمات قلت بالظرف
على الاتفاق لاعتماده على موصوف والرعد الصوت الذي يسمع من السحاب كان اجرام السحاب
تضطرب وتنتفض اذا حدتها الريح فتصوت عند ذلك من الارتعاد والبرق الذي يلمع من السحاب من
برق الشي بريقا اذا لمع فان قلت قد جعل الصيب مكانا للظلمات فلا يخلو اما ان يراد به السحاب او المطر
فايهما اريد فما ظلماته قلت اما ظلمات السحاب فاذا كان اسحم مطبقا فظلمتا سحمته وتطبيقه مضمومة
اليهما ظلمة الليل واما ظلمة المطر فظلمة تكاثفه وانسجامه بتتابع القطر وظلمة اظلال غمامه مع ظلمة الليل
فان قلت كيف يكون المطر مكانا للبرق والرعد وانما مكانهما السحاب قلت اذا كانا في اعلاه ومصبه
وملتبسين في الجملة به فهما فيه الا ترى انك تقول فلان في البلد وما هو منه الا في حيز يشغله جرمه فان قلت
هلا جمع الرعد والبرق اخذا بالابلغ كقول البحتري • يا عارضا متلفعا ببروده • يختال بين بروقه ورعوده •
وكما قيل ظلمات قلت فيه وجهان احدهما ان يراد العينان ولكنهما لما كانا مصدرين في الاصل يقال
رعدت السماء رعدا وبرقت برقا روعي حكم اصلهما بان ترك جمعهما وان اريد معنى الجمع • والثاني ان يراد
الحدثان كانه قيل وارعاد وابراق وانما جات هذه الاشيا منكرات لان المراد انواع منها كانه قيل فيه ظلمات
داجية • ورعد قاصف • وبرق خاطف • وجاز رجوع الضمير في يجعلون الى اصحاب الصيب مع كونه محذوفا
قايما مقامه الصيب كما قال اوهم قايلون لان المحذوف باق معناه وان سقط لفظه الا ترى الى حسان كيف
عول على بقاء معناه في قوله • يسقون من ورد البريص عليهم • بردى يصفق بالرحيق السلسل • حيث ذكر
يصفق لان المعنى ماء بردى • ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستانفا لانه لما ذكر الرعد والبرق دل على ما يوذن
بالشدة والهول فكان قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون اصابعهم في اذانهم قال فكيف
حالهم مع مثل ذلك البرق فقيل يكاد البرق يخطف ابصارهم فان قلت روس الاصبع هو الذي يجعل
في الاذن فهلا قيل انامله قلت هذا من الاتساعات في اللغة التي لا يكاد الحاضر يحصرها كقوله تعالى

البلغ • والسماء هذه الظلة عن الحسن البصري • حذف مضاف فان قلت لم [illegible] ما الذي نفقد ذكر والصيب

فا

فاغسلوا وجوهكم وايديكم. فاقطعوا ايديهما اراد البعض الذي هو الى المرفق والذي الى الرسغ وايضا ففي ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل فان قلت فالاصبع التي يسد بها الاذن اصبع خاصة فلم ذكر الاسم العام دون الخاص قلت لان السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها اولى بآداب القرآن الا ترى انهم قد استبشعوها فكنوا عنها بالمسبحة والسباحة والمهللة والدعاءة فان قلت فهلا ذكر بعض هذه الكنايات قلت هي الفاظ مستحدثة لم يتعارفها الناس في ذلك العهد وانما احدثوها بعد. وقوله من الصواعق متعلق بيجعلون اي من اجل الصواعق يجعلون اصابعهم في آذانهم لقولهم سقاه من الغيمة. الصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار قالوا تنقدح من السحاب اذا اصطكت اجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء الا اتت عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود ويحكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفيت ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته فصعق اي مات اما بشدة الصوت او بالاحراق ومنه قوله تعالى وخر موسى صعقا. وقرأ الحسن من الصواقع وليس بقلب للصواعق لان كلا البنائين سواء في التصرف واذا استويا كان كل واحد بناء على حياله الا تراك تقول صقعه على راسه وصقع الديك وخطيب مصقع مجهر بخطبته ونظيره جذب في جبذ ليس بقلبه لاستوائهما في التصرف وبناؤها اما ان يكون صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية او مصدرا كالكاذبة والعافية. وقرأ ابن ابي ليلى حذار الموت وانتصب على انه مفعول له كقوله، واغفر عوراء الكريم ادخاره، والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض لا يصح معه احساس معاقب للحيوة واحاطة الله بالكافرين مجاز والمعنى انهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة وهذه الجملة اعتراض لا محل لها. والخطف الاخذ بسرعة وقرأ مجاهد يخطف بكسر الطاء، والفتح افصح واعلى وعن ابن مسعود يختطف وعن الحسن يخطف بفتح الياء والخاء واصله يختطف وعنه يخطف بكسرهما على اتباع الياء الخاء وعن زيد بن علي يخطف من خطف وعن ابي يتخطف من قوله ويتخطف الناس من حولهم. كلما اضاء لهم مشوا فيه استيناف ثالث كانه جواب لمن يقول كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته وهذا تمثيل لشدة الامر على المنافقين بشدته على اصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما ياتون وما يذرون اذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف ان يخطف ابصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة فاذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن الحركة. ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد فاصمهم او في ضوء البرق فاعماهم واضاء اما متعد بمعنى كلما نور لهم ممشى ومسلكا اخذوه والمفعول محذوف واما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وملقى ضوئه ويعضده قراءة ابن ابي عبلة كلما ضاء لهم والمشي جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد فهو سعي فاذا ازداد فهو عدو فان قلت كيف قيل مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا قلت لانهم حراص على وجود ما همهم به معقود من امكان المشي وتأتيه فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها وليس كذلك التوقف والتحبس واظلم يحتمل ان يكون غير متعد وهو الظاهر وان يكون متعديا منقولا من ظلم الليل ويشهد له قراءة يزيد بن قطيب اظلم على ما لم يسم فاعله وجاء في شعر حبيب بن اوس، هما اظلما حالي ثمت اجليا، ظلاميهما عن وجه امرد اشيب، وهو وان كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية

فاجعل

فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه الا ترى الى قول العلما الدليل عليه بيت الحماسة فيقنعون بذلك لوثوقهم
بروايته واتقانه . ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الما جمد ومفعول
شا محذوف لان الجواب يدل عليه والمعنى ولو شا الله ان يذهب سمعهم وابصارهم لاذهب بها ولقد تكاثر
هذا الحذف في شا واراد لا يكادون يبرزون المفعول الا في الشي المستغرب كنحو قوله ، فلو شيت ان ابكي دما
لبكيته ، وقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا . ولو اراد الله ان يتخذ ولدا . ولو شا الله لذهب بسمعهم بقصيف
الرعد وابصارهم بوميض البرق . وقرا ابن ابي عبلة لاذهب باسماعهم بزيادة البا كقوله ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة والشي ما صح ان يعلم ويخبر عنه قال سيبويه في ساقة الباب المترجم بباب مجارى
اواخر الكلم من العربية وانما يخرج التانيث من التذكير الا ترى ان الشي يقع على ما اخبر عنه من قبل ان يعلم
اذكر هو ام انثى والشي مذكر وهو اعم العام كما ان الله اخص الخاص يجري على الجسم والعرض والقديم تقول
شي لا كالاشيا اي معلوم لا كساير المعلومات وعلى المعدوم والمحال فان قلت كيف قيل على كل شي قدير
وفي الاشيا ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل وفعل قادر اخر قلت مشروط في حد القادر ان لا يكون الفعل
مستحيلا فالمستحيل مستثنى في نفسه عند ذكر القادر على الاشيا كلها فكانه قيل على كل شي مستقيم قدير
ونظيره فلان امير على الناس اي على من وراه منهم ولم يدخل فيه نفسه وان كان من جملة الناس واما الفعل
بين قادرين فمختلف فيه فان قلت مم اشتقاق القدير قلت من التقدير لانه يوقع فعله على مقدار قوته
واستطاعته وما يتميز به عن العاجز يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم
تتقون لما عدد الله فرق المكلفين من المومنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم واحوالهم ومصارف امورهم
وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله تعالى ويرديها اقبل عليهم بالخطاب وهو من
الالتفات المذكور عند قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين وهو فن من الكلام جزل فيه هز وتحريك من السامع
كما انك اذا قلت لصاحبك حاكيا عن ثالث لكما ان فلانا من قصته كيت وكيت وقصصت عليه ما فرط منه ثم
عدلت بخطابك الى الثالث فقلت يا فلان من حقك ان تلزم الطريقة الحميدة في مجاري امورك وتستوي على جادة
السداد في مصادرك ومواردك نبهته بالتفاتك نحوه فضل تنبيه واستدعيت اصغاه الى ارشادك زيادة استدعا
واوجدته بالانتقال من الغيبة الى المواجهة هازا من طبعه شيا لا يجده اذا استمررت على لفظ الغيبة وهكذا الاف
في الحديث والخروج منه من صنف الى صنف يستفتح الاذان للاستماع ويستهش الانفس للقبول وبلغنا باسناد
صحيح عن ابراهيم عن علقمة ان كل شي نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي ويا ايها الذين امنوا فهو مدني فقوله يا
ايها الناس اعبدوا ربكم خطاب لمشركي مكة ويا حرف وضع في اصله لندا البعيد صوت يهتف به الرجل لمن يناديه
واما ندا القريب فله اي والهمزة ثم استعمل في مناداة من سها وغفل وان قرب تنزيلا له منزلة من بعد فاذا نودي به
القريب المفاطن فذلك للتاكيد المؤذن بان الخطاب الذي يتلوه معنى به جدا فان قلت فما بال الداعي
يقول في جواره يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد واسمع به وابصر قلت هو استقصار
منه لنفسه واستبعاد لها من مظان الزلفى وما يقربه الى رضوان الله ومنازل المقربين هضما لنفسه واقرارا
عليها بالتفريط في جنب الله مع فرط التهالك على استجابة دعوته والاذن لندايه وابتهاله واي هذه وصلة الى
ندا ما فيه الالف واللام كما ان ذو والذي وصلتان الى الوصف باسما الاجناس ووصف المعارف بالجمل

ان الله على كل شي قدير

وهو اسم مبهم يفتقر الى ما يوضحه ويزيل ابهامه فلا بد من ان يردفه اسم جنس او ما يجري مجراه يتصف
به حتى يصح المقصود بالندا فالذي يعمل فيه حرف الندا هو اي والاسم التابع له صفته كقولك يا زيد الظريف
الا ان ايا لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك من الصفة وفي هذا التدرج من الابهام الى التوضيح ضرب
من التاكيد والتشديد وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لفايدتين معاضدة حرف الندا ومكانفته بتاكيد
معناه ووقوعها عوضا مما يستحقه اي من الاضافة فان قلت لم كثر في كلام الله تعالى الندا على هذه الطريقة ما لم
يكثر في غيره قلت لاستقلاله باوجه من التاكيد واسباب من المبالغة لان كل ما نادى الله له عباده من
اوامر ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده واقتصاص اخبار الامم الدارجة عليهم وغير ذلك مما
نطق به كتابه امور عظام وخطوب جسام ومعان عليهم ان يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصايرهم اليها
وهم عنها غافلون فاقتضت الحال ان ينادوا بالاكد الابلغ فان قلت لا يخلو الامر بالعبادة من ان يكون
متوجها الى المومنين والكافرين جميعا او الى كفار مكة خاصة على ما روي عن علقمة والحسن فالمومنون عابدون
ربهم فكيف امروا بما هم متلبسون به وهل هو الا كقول القايل، فلو اني فعلت كنت كمن، تساله وهو قايم ان يقوما
واما الكفار فلا يعرفون الله ولا يقرون به فكيف يعبدونه قلت المراد بعبادة المومنين ازديادهم منها
واقبالهم وثباتهم عليها. واما عبادة الكفار فمشروط فيها ما لا بد لها منه وهو الاقرار كما يشترط على المامور
بالصلوة والزكوة شرايطهما من الوضوء والنية وغيرهما وما لا بد للفعل منه فهو مندرج تحت الامر به وان
لم يذكر حيث لم ينفعل الا به وكان من لوازمه على ان مشركي مكة كانوا يعرفون الله ويعترفون به ولين سالتهم
من خلقهم ليقولن الله فان قلت قد جعلت قوله اعبدوا متناولا لاثنين معا الامر بالعبادة والامر
بازديادها قلت الازدياد من العبادة عبادة وليس شيا اخر فان قلت ربكم ما المراد به قلت
كان المشركون معتقدين ربوبيتين ربوبية الله تعالى وربوبية الهتهم فان خصوا بالخطاب فالمراد به
اسم يشترك فيه رب السماوات والارض والالهة التي كانوا يسمونها اربابا وكان قوله الذي خلقكم صفة
موضحة مميزة وان كان الخطاب للفرق جميعا فالمراد به ربكم على الحقيقة. والذي خلقكم صفة جرت عليه
على طريق المدح والتعظيم ولا يمتنع هذا الوجه في خطاب الكفرة خاصة الا ان الاول اوضح واصح والخلق
ايجاد الشي على تقدير واستوا يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس وقرا ابو عمرو خلقكم
بالادغام وقرا ابو السميفع وخلق من قبلكم وفي قراة زيد بن علي والذين من قبلكم وهي قراة مشكلة
ووجهها على اشكالها ان يقال اقحم الموصول الثاني بين الاول وصلته تاكيدا كما اقحم جرير في قوله،
يا تيم تيم عدي لا ابا لكم، تيما الثاني بين الاول وما اضيف اليه وكاقحامهم لام الاضافة بين المضاف
والمضاف اليه في لا ابا لك. ولعل للترجي والاشفاق تقول لعل زيدا يكرمني ولعله يهينني. وقال
الله تعالى لعله يتذكر او يخشى لعل الساعة قريب الا ترى الى قوله والذين امنوا مشفقون منها وقد جات على سبيل
الاطماع في مواضع من القران ولكن لانه اطماع من كريم رحيم اذا اطمع فعل ما يطمع فيه لا محالة لجري اطماعه
مجرى وعده المحتوم وفاوه به قال من قال ان لعل بمعنى كي ولعل لا تكون بمعنى كي ولكن الحقيقة ما القيت
اليك وايضا فمن ديدن الملوك وما عليهم اوضاع امرهم ورسومهم ان يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون
انفسهم على انجازها على ان يقولوا عسى ولعل ونحوهما من الكلمات او يخيلوا اخالة او يظفر منهم بالرمزة

او الابتسامة

او الابتسامة او النظرة الحلوة فاذا عثروا على شي من ذلك لم يبق للطالب ما عندهم شك في النجاح والفوز بالمطلوب
فعلى مثله ورد كلام ملك الملوك ذي العز والكبريا او يجي على طريق الاطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد كقوله
تعالى يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم فان قلت فلعل
التي في الاية ما معناها وموقعها قلت ليست مما ذكرنا في شي لان قوله خلقكم لعلكم تتقون لا يجوز ان يحمل
على رجاء الله تقواهم لان الرجا لا يجوز على عالم الغيب والشهادة وحمله على ان يخلقهم راجين للتقوى ليس
بسديد ايضا ولكن لعل واقعة في الاية موقع المجاز لا الحقيقة لان الله تعالى خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف
وركب فيهم العقول والشهوات وازاح العلة في اقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين ووضع في ايديهم زمام
الاختيار واراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو منهم ان يتقوا لترجح امرهم وهم مختارون بين
الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المرتجي بين ان يفعل وان لا يفعل ومصداقه قوله عز وجل ليبلوكم ايكم
احسن عملا وانما يبلو ويختبر من تخفى عليه العواقب ولكن شبه بالاختبار بنا امرهم على الاختيار فان قلت
كما خلق المخاطبين لعلهم يتقون فكذلك خلق الذين من قبلهم كذلك فلم قصره عليهم دون من قبلهم قلت
لم يقصره عليهم ولكن غلب المخاطبين على الغايبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا فان قلت
فهلا قيل تعبدون لاجل اعبدوا او اتقوا لمكان تتقون ليتجاوب طرفا النظم قلت ليست التقوى غير
العبادة حتى يودي ذلك الى تنافر النظم وانما التقوى قصارى امر العابد ومنتهى جهده فاذا قال اعبدوا
ربكم الذي خلقكم للاستيلا على اقصى غايات العبادة كان ابعث على العبادة واشد الزاما لها واثبت لها
في النفوس ونحوه ان تقول لعبدك احمل خريطة الكتب فما ملكتك يميني الا لجر الاثقال ولو قلت
لحمل خرايط الكتب لم يقع من نفسه ذلك الموقع الذي جعل لكم الارض فراشا والسما بنا وانزل من السما
ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون قدر سبحانه من موجبات
عبادته وملزمات حق الشكر له خلقهم احيا قادرين اولا لانه سابقة اصول النعم ومقدمتها والسبب في
التمكن من العبادة والشكر وغيرهما ثم خلق الارض التي هي مكانهم ومستقرهم الذي لا بد لهم منه وهي بمنزلة
عرصة المسكن ومتقلبه ومفترشه ثم خلق السما التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار
ثم ما سواه عز وجل من شبه عقد النكاح بين المقلة والمظلة بانزال الما منها عليها والاخراج به من بطنها
اشباه النسل المنتج من الحيوان من الوان الثمار رزقا لبني آدم ليكون لهم ذلك معتبرا ومتسلقا الى النظر
الموصل الى التوحيد والاعتراف ونعمة يتعرفونها فيقابلونها بلازم الشكر ويتفكرون في خلق انفسهم وخلق
ما فوقهم وتحتهم وان شيا من هذه المخلوقات كلها لا يقدر على ايجاد شي منها فيتيقنوا عند ذلك ان لا بد لها
من خالق ليس كمثلها حتى يجعلوا المخلوقات له اندادا وهم يعلمون انها لا تقدر على نحو ما هو عليه قادر
والموصول مع صلته اما ان يكون في محل النصب وصفا كالذي خلقكم او على المدح والتعظيم واما ان
يكون رفعا على الابتدا وفيه ما في النصب من المدح وقرا يزيد الشامي بساطا وقرا طلحة مهادا ومعنى
جعلها فراشا وبساطا ومهادا للناس انهم يقعدون عليها وينامون ويتقلبون كما يتقلب احدهم على فراشه
وبساطه ومهاده فان قلت هل فيه دليل على ان الارض مسطحة وليست بكرية قلت ليس فيه
الا ان الناس يفترشونها كما يفعلون بالمفارش وسوا كانت على شكل السطح او شكل الكرة فالافتراش غير

مستنكر ولا مدفوع لعظم حجمها واتساع جرمها وتباعد اطرافها واذا كان متسهلا في الجبل وهو وتد من اوتاد الارض فهو في الارض ذات الطول والعرض اسهل والبنا مصدر سمي به المبني بيتا كان اوقبة او خبا او طرافا وابنية العرب اخبيتهم ومنه بنى على امراته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خبا جديدا فان قلت ما معنى اخراج الثمرات بالما وانما اخرجت بقدرته ومشيته قلت المعنى انه جعل الما سببا في خروجها ومادة لها كما الفحل في خلق الولد وهو قادر على ان ينشي الاجناس كلها بلا اسباب ولا مواد كما انشا نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشا الاشيا مدرجا لها من حال الى حال وناقلا من مرتبة الى مرتبة حكما ودواعي يجدد فيها للملكة والنظار بعيون الاستبصار من عباده عبرا وافكارا صالحة وزيادة طمانينة وسكون الى عظيم قدرته وغرايب حكمة ليس ذلك في انشايها بغتة من غير تدريج وترتيب ٠ ومن في من الثمرات للتبعيض بشهادة قوله فاخرجنا به من كل الثمرات ٠ وقوله فاخرجنا به ثمرات ولكن المنكرين يعني ماء ورزقا يكتنفانه وقد قصد بتنكيرهما معنى البعضية فكانه قيل وانزلنا من السما بعض الما فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا هو المطابق لصحة المعنى لانه لم ينزل من السما كله ولا اخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل الرزق كله في الثمرات ويجوز ان يكون للبيان كقولك انفقت من الدراهم الفا فان قلت فبم انتصب رزقا قلت ان كانت من للتبعيض كان انتصابه بانه مفعول له وان كانت مبينة كان مفعولا لاخرج فان قلت والثمار ... قلت فيه وجهان احدهما ان يقصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك فلان ادركت ثمرة بستانه تريد ثماره ونظيره قولهم كلمة الحويدرة لقصيدته وقولهم للقرية المدرة وانما هي مدر متلاحق والثاني ان الجموع يتعاور بعضها موضع بعض لالتقائها في الجمعية كقولهم كم تركوا من جنات وعيون وثلاثة قروء ويعضد الوجه الاول قراة محمد بن السميقع من الثمرة على التوحيد ٠ ولكم صفة جارية على الرزق ان اريد به العين وان جعل اسما للمعنى فهو مفعول به كانه قيل رزقا اياكم فان قلت بم تعلق فلا تجعلوا قلت فيه ثلاثة اوجه ان يتعلق بالامر اي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له اندادا لان اصل العبادة واساسها التوحيد وان لا يجعل لله ند ولا شريك ٠ او بلعل على ان ينتصب تجعلوا انتصاب فاطلع في قوله عز وجل لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى في رواية حفص عن عاصم اي خلقكم لكي تتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه وبالذي جعل لكم اذا رفعته على الابتدا اي هو الذي خصكم بهذه الايات العظيمة والدلايل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركا ٠ والند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المناوي قال جرير ٦ اتيما تجعلون الي ندا ٦ وما تيم لذي حسب نديد ٦ ونادت الرجل خالفته ونافرته من ند ندودا اذا نفر ٠ ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه فان قلت كانوا يسمون اصنامهم باسمه ويعظمونها بما يعظم به من القرب وما كانوا يزعمون انها تخالف الله وتناويه قلت تقربوا اليها وعظموها وسموها الهة اشبهت حالهم حال من يعتقد انها الهة مثله قادرة على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكما تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم واستفظع شانهم بان جعلوا اندادا كثيرة لمن لا يصح ان يكون له ند قط وفي ذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين قومه ٦ اربا واحدا ام الف رب ٦ ادين اذا تقسمت الامور ٠ وقرا محمد بن السميقع فلا تجعلوا لله ندا ٠ فان قلت ما معنى وانتم تعلمون قلت معناه وحالكم وصفتكم انكم من صحة تمييزكم بين الصحيح والفاسد والمعرفة بدقايق

بل الثمرات دون الثمر ... على السما الكثير ... قال الثمر الجمع ... فان قلت ... الثمار قلت فيه وجهان

الامر

الامور وغوامض الاحوال والاصابة في التدابير والدها والفطنة بمنزل لا يدفعوا عنه وهكذا كانت العرب
خصوصا ساكنوا الحرم من قريش وكنانة لا يصطلى بنارهم في استحكام المعرفة بالامور وحسن الاحاطة بها
ومفعول تعلمون متروك كانه قيل وانتم من اهل العلم والمعرفة والتوبيخ فيه اكد اي انتم العرافون المميزون ثم
ان ما انتم عليه في امر ديانتكم من جعل الاصنام لله اندادا هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل ويجوز ان تقدر وانتم
تعلمون انه لا يماثل او وانتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت او وانتم تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كقوله
هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شي وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله
وادعوا شهداكم من دون الله ان كنتم صادقين لما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية ويحققها
ويبطل الاشراك ويهدمه وعلم الطريق الى اثبات ذلك وتصحيحه وعرفهم ان من اشرك فقد كابر عقله
وغطا على ما انعم عليه من معرفته وتمييزه عطف على ذلك ما هو الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وما يدحض الشبهة في كون القران معجزة واراهم كيف يتعرفون اهو من عند الله كما يدعي ام هو من عند نفسه
كما يدعون بارشادهم الى ان يحرروا انفسهم ويذوقوا طباعهم وهم ابنا جنسه واهل جلدته فان قلت
لم قيل مما نزلنا على لفظ التنزيل دون الانزال قلت لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو
من مجازه لمكان التحدي وذلك انهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله مخالفا لما يكون من عند الناس لم ينزل
هكذا نجوما سورة بعد سورة وايات غب ايات على حسب النوازل وكفاء الحوادث وعلى سنن ما نرى عليه
اهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا حينا فحينا وشيا فشيا حسب ما يعن لهم من الاحوال
المتجددة والحاجات السانحة لا يلقي الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمي الناثر بمجموع خطبه او رسايله ضربة
فلو انزله الله لانزله خلاف هذه العادة جملة واحدة قال الله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران
جملة واحدة فقيل ان ارتبتم في هذا الذي وقع انزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا انتم نوبة واحدة من نوبه
وهلموا نجما فردا من نجومه سورة من اصغر السور او ايات شتى مفترقات وهذه غاية التبكيت ومنتهى
ازاحة العلل وقرى على عبادنا يريد رسول الله وامته والسورة الطايفة من القران المترجمة التي اقلها
ثلاث ايات وواوها ان كانت اصلا فاما ان تسمى بسورة المدينة وهي حايطها لانها طايفة من القران محدودة
محوزة على حيالها كالبلد المسور او لانها محتوية على فنون من العلم واجناس من الفوايد كاحتوا سور المدينة
على ما فيها واما ان تسمى بالسورة التي هي الرتبة قال النابغة ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس
غرابها بمطار لان السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القاري وهي ايضا في انفسها
مرتبة طوال واوساط وقصار او لرفعة شانها وجلالة محلها في الدين وان جعلت واوها منقلبة عن همزة
فلانها قطعة وطايفة من القران كالسورة التي هي البقية من الشي والفضلة منه فان قلت ما فايدة
تفصيل القران وتقطيعه سورا قلت ليست الفايدة في ذلك واحدة ولامر ما انزل الله التوراة والانجيل
والزبور وساير ما اوحاه الى انبيايه على هذا المنهاج مسورة مترجمة السور وبوب المصنفون في كل فن
كتبهم ابوابا موشحة الصدور بالتراجم ومن فوايده ان الجنس اذا انطوت تحته انواع واشتمل على اصناف
كان احسن وانبل وافخم من ان يكون بيانا واحدا ومنها ان القاري اذا ختم سورة او بابا من الكتاب ثم اخذ
في اخر كان انشط له واهز لعطفه وابعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ومثله المسافر

اذا علم انه قطع ميلا او طوى فرسخا او انتهى الى راس بريد نفس ذلك منه ونشطه للسير ومن ثم جزا القراة القران اسباعا واجزا وعشورا واخماسا ومنها ان الحافظ اذا حذق السورة انه احذ من كتاب الله طايفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه ويجل في نفسه ويغتبط به ومنه حديث انس رضي الله عنه كان الرجل اذا قرا البقرة وال عمران جد فينا ومن ثم كانت القراة في الصلوة بسورة تامة افضل ومنها ان التفصيل سبب تلاحق الاشكال والنظاير وملائمة بعضها لبعض وبذلك تتلاحظ المعاني ويتجاوب النظم الى غير من الفوايد والمنافع • من مثله متعلق بسورة صفة لها اي بسورة كاينة من مثله والضمير لما نزلنا او لعبدنا ويجوز ان يتعلق بقوله فاتوا والضمير للعبد فان قلت وما مثله حتى ياتوا بسورة من ذلك المثل قلت معناه فاتوا بسورة مما هو على صفته في البيان العرب وعلو الطبقة في حسن النظم • اوفاتوا ممن هو على حاله من كونه بشرا عربيا او اميا لم يقرا الكتاب ولم ياخذ من العلماء ولا قصد الى مثل ونظير هنالك ولكنه نحو قول القبعثرى للحجاج وقد قال له لاحملنك على الادهم مثل الامير حمل على الادهم والاشهب اراد من كان على صفة الامير من السلطان والقدرة وبسط اليد ولم يقصد احدا يجعله مثلا للحجاج • ورد الضمير الى المنزل اوجه لقوله تعالى فاتوا بسورة من مثله فاتوا بعشر سور مثله على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله • ولان القران جدير بسلامة الترتيب والوقوع على اصح الاساليب • والكلام مع رد الضمير الى المنزل احسن ترتيبا وذلك ان الحديث في المنزل لا في المنزل عليه وهو مسوق اليه ومربوط به فحقه ان لا ينفك عنه برد الضمير الى غيره الا ترى ان المعنى وان ارتبتم في ان القران منزل من عند الله فهاتوا انتم نبذا مما يماثله ويجانسه • وقضية الترتيب لو كان الضمير مردودا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقال وان ارتبتم في ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرانا من مثله ولانه اذا خوطبوا جميعا وهم الجم الغفير بان ياتوا بطايفة يسيرة من جنس ما اتى به هذا الواحد واحد منهم كان ابلغ في التحدي من ان يقال لهم لياتي واحد اخر بمثل ما اتى به هذا الواحد ولان هذا التفسير هو الملايم لقوله وادعوا شهداكم • والشهدا جمع شهيد بمعنى الحاضر والعالم بالشهادة • ومعنى دون ادنى مكان من الشي ومنه الشي الدون وهو الدني الحقير ودون الكتب اذا جمعها لان جمع الاشيا ادنا بعضها من بعض وتقليل المسافة بينها يقال هذا دون ذاك اذا كان احط منه قليلا ودونك هذا اصله خذ من دونك اي من ادنى مكان منك فاختصر واستعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو في الشرف والعلم • ومنه قول من قال لعدوه وقد راه بالثنا عليه انا دون هذا وفوق ما في نفسك واتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي حكم الى حكم • قال الله تعالى لا يتخذ المومنون الكافرين اوليا من دون المومنين اي لا يتجاوزوا ولاية المومنين الى ولاية الكافرين وقال امية ٭ يا نفس مالك دون الله من واق ٭ اي اذا تجاوزت وقاية الله ولم تناليها لم يقك غيره • ومن دون الله متعلق بادعوا او بشهداكم فان علقت بشهداكم فمعناه ادعوا الذين اتخذتموهم الهة من دون الله وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيمة انكم على الحق او ادعوا الذين يشهدون لكم بين يدي الله من قول الاعشى ٭ تريك القذا من دونها وهي دونه ٭ اي تريك القذا من قدامها وهي قدام القذا لرقتها وصفائها • وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد الذي لا ينطق في معارضة القران المعجز

بفصاحة

بفصاحته غاية التهكم بهم اوادعوا شهداكم من دون الله اي من دون اوليايه ومن غير المومنين ليشهدوا
لكم انكم اتيتم بمثله وهذا من المساهلة وارخا العنان والاشعار بان شهداهم وهم مدارة القوم الذين هم
وجوه المشاهد وفرسان المقاولة والمناقلة تاتي عليهم الطباع وتجمح بهم الانسانيه والانفه ان يرضوا لانفسهم
الشهادة بصحة الفاسد البين عندهم فساده واستقامة المحال الجلي في عقولهم احالته وتعليقه بالدعا
في هذا الوجه جايزه وان علقته بالدعا فمعناه ادعوا من دون الله شهداكم يعني لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا
الله يشهد انما ندعيه حق كما يقوله العاجز عن اقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهدا من الناس الذين
شهاداتهم بينة تصحح بها الدعاوي عند الحكام وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم وانخزالهم وان الحجة قد
بهرتهم ولم تبق لهم متشبثا غير قولهم الله يشهد انا صادقون • وقولهم هذا تسجيل منهم على انفسهم بتناهي
العجز وسقوط القدرة وعن بعض العرب انه سيل عن نسبه فقال قرشي والحمد لله فقيل له قولك الحمد لله في
هذا المقام ريبة • اوادعوا من دون الله شهداكم يعني ان الله شاهدكم لانه اقرب اليكم من حبل الوريد وهو
بينكم وبين اعناق رواحلكم والجن والانس مشاهدوكم فادعوا كل من يشهدكم واستظهروا به من الجن والانس
الا الله تعالى لانه القادر وحده على ان ياتي بمثله دون كل شاهد من شهدايكم فهو في معنى قوله قل لين اجتمعت
الانس والجن الاية فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت
للكافرين لما ارشدهم الى الجهة التي يعرفون امر النبي صلى الله عليه وسلم وما جا به حتى يعثروا على حقيقته
وسره وامتياز حقه من باطله • قال لهم فاذا لم تعارضوه ولم يتسهل لكم ما تبغون وبان لكم انه معجوز عنه فقد
صرح الحق عن محضه ووجب التصديق فامنوا وخافوا العذاب المعد لمن كذب وفيه دليلان على اثبات
النبوة صحة كون المتحدى به معجزا والاخبار بانهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه الا الله فان قلت انتفا
اتيانهم بالسورة واجب فهلا جي باذا التي للوجوب دون ان الذي للشك قلت فيه وجهان احدهما
ان يساق القول معهم على حسب حسبانهم وطمعهم وان العجز عن المعارضة كان قبل التامل كالمشكوك فيه
لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام • والثاني ان يتهكم بهم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق
من نفسه بالغلبة على من يقاويه ان غلبتك لم ابق عليك وهو يعلم انه غالبه ويتيقنه تهكما به فان قلت
لم عبر عن الاتيان بالفعل واي فايدة في تركه اليه قلت لانه فعل من الافعال تقول اتيت فلانا فيقال لك
نعم ما فعلت والفايدة فيه انه جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصارا ووجازة تغنيك عن طول المكني
عنه الا ترى ان الرجل يقول ضربت زيدا في موضع كذا على صفة كذا وشتمته ونكلت به ويعد كيفيات
وافعالا فتقول له بئسما فعلت ولو ذكرت ما اثبته عنه لطال عليك وكذلك لو لم يعدل عن لفظ الاتيان الى
لفظ الفعل لاستطيل ان يقال فان لم تاتوا بسورة من مثله ولن تاتوا بسورة من مثله فان قلت ولن
تفعلوا ما محلها قلت لا محل لها لانها جملة اعتراضية فان قلت ما حقيقة لن في باب النفي قلت
لا ولن اختان في نفي المستقبل الا ان في لن توكيدا وتشديدا تقول لصاحبك لا اقيم غدا فان انكر عليك قلت
لن اقيم غدا كما تفعل في انا مقيم واني مقيم وهي عند الخليل في احدى الروايتين عنه اصلها لا ان وعند الفرا
لا ابدلت الفها نونا وعند سيبويه واحدى الروايتين عن الخليل حرف مقتضب لتاكيد نفي المستقبل فان
قلت من اين لك انه اخبار بالغيب على ما هو به حتى يكون معجزة قلت لانهم لو عارضوه بشي لم يمتنع

ان يتواصفه الناس ويتناقلوه اذ خفا مثله فيما عليه مبني العادة محال لاسيما والطاعنون فيه اكثف عددا من
الذابين عنه فحين لم ينقل علم انه اخبار بالغيب على ما هو به فكان معجزة فان قلت ما معنى اشتراطه تعالى في
اتقا النار انتفا اتيانهم بسورة من مثله قلت انهم اذا لم ياتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم
صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد ولم ينقادوا ولم يشايعوا استوجبوا
العقاب بالنار فقيل لهم ان استبنتم العجز فاتركوا العناد فوضع فاتقوا النار موضعه لان اتقا النار لصيقه
وضميمه ترك العناد من حيث انه من نتايجه لان من اتقى النار ترك المعاندة ونظيره ان يقول الملك لحشمه
ان اردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي يريد فاطيعوني واتبعوا امري وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط
وهو من باب الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغة وفايدته الايجاز الذي هو من حلية القران وتهويل
شان العناد بانابة اتقا النار منابه وابرازه في صورته مشيعا ذلك بتهويل صفة النار وتفظيع امرها • •
والوقود ما ترفع به النار واما المصدر فمضموم وقد جا فيه الفتح قال سيبويه وسمعنا من العرب من
يقول وقدت النار وقودا عاليا ثم قال والوقود اكثر والوقود الحطب • وقرا عيسى بن عمر الهمداني بالضم
تسميه بالمصدر كما تقول فلان فخر قومه وزين بلده ويجوز ان يكون مثل قولك حياة المصباح السليط
اي ليست حياته الا به فكان نفس السليط حياته فان قلت صلة الذي والتي يجب ان تكون قصة
معلومة للمخاطب فكيف علم اوليك ان نارا لاخرة توقد بالناس والحجارة قلت لا يمتنع ان يتقدم لهم بذلك
سماع من اهل الكتاب او سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم او سمعوا قبل هذه الاية قوله تعالى في
سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة فان قلت فلم جات النار موصوفة بهذه الجملة منكرة
في سورة التحريم وها هنا معرفة قلت تلك الآية نزلت بمكة فعرفوا منها نارا موصوفة بهذه الصفة
ثم نزلت هذه بالمدينة مشارا بها الى ما عرفوه اولا فان قلت ما معنى قوله تعالى وقودها الناس والحجارة
قلت معناه انها نار ممتازة عن غيرها من النيران بانها لا تتقد الا بالناس والحجارة وبان غيرها ان
اريد احراق الناس بها او احما الحجارة اوقدت اولا بوقود ثم طرح فيها ما يراد احراقه او احماوه وتلك اعاذنا
الله منها برحمته الواسعة توقد بنفس ما يحرق ويحمي بالنار وبانها لافراط حرها وشدة ذكايها اذا اتصلت
بما لا يشتعل به نار اشتعلت وارتفع لهبها فان قلت انار الجحيم كلها موقدة بالناس والحجارة ام هي
نيران شتى منها نار بهذه الصفة قلت بل هي نيران شتى منها نار توقد بالناس والحجارة يدل على ذلك
تنكيرها في قوله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا فانذرتكم نارا تلظى ولعل لكفار الجن والشياطين نارا وقودها
الشياطين كما ان لكفرة الانس نارا وقودها هم جزا لكل جنس بما يشاكله من العذاب فان قلت لم قرن
ما الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم وقودا قلت لانهم قرنوها انفسهم في الدنيا حيث نحتوها اصناما
وجعلوها لله اندادا وعبدوها من دونه قال تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وهذه الآية
مفسرة لما نحن فيه فقوله انكم وما تعبدون من دون الله في معنى الناس والحجارة وحصب جهنم في معنى
وقودها ولما اعتقد الكفار في حجارتهم المعبودة من دون الله انها الشفعاء والشهدا يستشفعون بهم
ويستدفعون المضار عنهم عن انفسهم بمكانهم جعلها الله عذابهم فقرنهم بها محماة في نار جهنم ابلاغا في
ايلامهم واغراقا في تحسيرهم ونحوه ما يفعله بالكافرين الذين جعلوا ذهبهم وفضتهم عدة وذخيرة فتبجحوا

بها ومنعوها من الحقوق حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وقيل هي حجارة الكبريت وهو
تخصيص بغير دليل وذهاب عما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له بمعاني التنزيل • اعدت هيئت لهم وجعلت
عدة لعذابهم وقرأ عبد الله اعتدت من العتاد بمعنى العدة **وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان
لهم جنات تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل
واتوا به متشابها ولهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون** من عادته عز وعلا في كتابه ان يذكر
الترغيب مع الترهيب ويشفع البشارة بالانذار ارادة التنشيط لاكتساب ما يزلف والتثبيط عن
اقتراف ما يتلف فلما ذكر الكفار واعمالهم واوعدهم بالعقاب قفاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين
التصديق والاعمال الصالحة من فعل الطاعات وترك المعاصي وحموها من الاحباط بالكفر والكبائر بالثوا ب
فان قلت من المامور بقوله وبشر قلت يجوز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يكون
كل احد كما قال عليه السلام وبشر المشائين الى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيمة لم يامر بذلك واحدا بعينه
وانما كل احد مامور به وهذا الوجه احسن واجزل لانه يوذن بان الامر لعظمه وفخامة شانه محقوق بان
يبشر به كل من قدر على البشارة به فان قلت علام عطف هذا الامر ولم يسبق امر ولا نهي يصح عطفه
عليه قلت ليس اعتمد بالعطف هو الامر حتى يطلب له مشاكل من امر او نهي يعطف عليه انما المعتمد
بالعطف هو جملة وصف ثواب المومنين فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول زيد يعاقب
بالقيد والازهاق وبشر عمرا بالعفو والاطلاق ولك ان تقول هو معطوف على قوله فاتقوا كما تقول يا بني
تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني اسد باحساني اليهم وفي قراءة زيد بن علي رضي الله
عنه وبشر على لفظ المبني للمفعول عطفا على اعدت والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن
ثم قال العلماء اذا قال لعبيده ايكم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق اولهم لانه هو
الذي اظهر سروره بخبره دون الباقين ولو قال مكان بشرني اخبرني عتقوا جميعا لانهم اخبروه
جميعا ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من اوائل ضوئه واما فبشرهم بعذاب اليم فمن
العكس في الكلام الذي يقصد به الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزا به وتألمه واغتمامه كما يقول الرجل
لعدوه ابشر بقتل ذريتك ونهب مالك ومنه قوله • فاعتبوا بالصيلم • والصالحة نحو الحسنة في جريها
مجرى الاسم قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة من ال لام بظهر الغيب تاتيني • والصالحات
كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس فان قلت اي فرق بين لام
الجنس الداخلة على المفرد وبين الداخلة على المجموع قلت اذا دخلت على المفرد كان صالحا لان يراد به
الجنس الى ان يحاط به وان يراد به بعضه الى الواحد منه واذا دخلت على المجموع صلح ان يراد به جميع الجنس
وان يراد به بعضه لا الى الواحد منه لان وزانه في تناول الجمعية في الجنس وزان المفرد في تناول الجنسية
والجمعية في جمل الجنس لا في وحدانه فان قلت فما المراد بهذا المجموع مع اللام قلت الجملة
من الاعمال الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب حال المومن في مواجب التكليف • والجنة البستان
من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير • تسقي جنة سحقا • اي نخلا طوالا
والتركيب دائر على معنى الستر وكأنها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة التي هي المرة من مصدر جنه اذا

ستره كانها ستره واحدة لفرط التفافها وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان فان قلت
الجنة مخلوقة ام لا قلت قد اختلف في ذلك والذي يقول انها مخلوقة يستدل بسكنى ادم وحوى
الجنة ومجيئها في القرآن على نهج الاسما الغالبة اللاحقة بالاعلام كالنبي والرسول والكتاب ونحوها فان
قلت مامعنى جمع الجنة وتنكيرها قلت الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنات
كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان فان
قلت اما يشترط في استحقاق الثواب بالايمان والعمل الصالح ان لا يحبطهما المكلف بالكفر والاقدام
على الكبائر وان لا يندم على ما اوجده من فعل الطاعة وترك المعصية فهلا شرط ذلك قلت
لما جعل الثواب مستحقا بالايمان والعمل الصالح والبشارة مختصة بمن يتولاهما وركز في العقول ان
الاحسان انما يستحق فاعله عليه المثوبة والثنا اذا لم يعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه وانه لا يبقى
مع وجود مفسده احسانا • واعلم بقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم وهو اكرم الناس عليه واعزهم
لئن اشركت ليحبطن عملك وقال للمومنين ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم كان
اشتراط حفظهما من الاحباط والندم كالداخل تحت الذكر فان قلت كيف صورة جري الانهار
من تحتها قلت كما ترى الاشجار النابتة على شواطي الانهار الجارية • وعن مسروق انهار الجنة
تجري في غير اخدود وانزه البساتين واكرمها ما كانت اشجاره مظللة والانهار في خلالها مطردة
ولولا ان الماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى وان الجنان والرياض وان كانت ابهى شي واحسنه
لا تروق النواظر ولا تبهج الانفس ولا تجلب الاريحية والنشاط حتى يجري فيها الماء والا كان
الانس الاعظم فايتا والسرور الاوفر مفقودا وكانت كتماثيل لا ارواح لها وصور لا حياة لها
لما جا الله تعالى بذكر الجنات مشفوعا بذكر الانهار الجارية من تحتها مسوقين على قران واحد كالشيئين
لا بد لاحدهما من صاحبه ولما قدمه على ساير نعوتها • والنهر المجرا الواسع فوق الجدول ودون
البحر يقال لبردى نهر دمشق وللنيل نهر مصر واللغة العالية النهر بفتح الها ومدار التركيب
على السعة واسناد الجري الى الانهار من الاسناد المجازي كقولهم بنو فلان يطاهم الطريق وصيد
عليه يومان فان قلت لم نكرت الجنات وعرفت الانهار قلت اما تنكير الجنات فقد ذكر واما
تعريف الانهار فان يراد الجنس كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب وانواع الفواكه
يشير الى الاجناس التي في علم المخاطب او يراد انهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الاضافة
كقوله واشتعل الراس شيبا او يشار باللام الى الانهار المذكورة في قوله تعالى فيها انهار من ماء غير
اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه الاية • وقوله كلما رزقوا منها لا يخلو من ان يكون صفة ثانية لجنات
او خبر مبتدا محذوف او جملة مستانفة لانه لما قيل ان لهم جنات لم يخل خلد السامع ان يقع فيه تلك الجنات
اشباه ثمار جنات الدنيا ام اجناس اخر لا تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها اشباه ثمار جنات
الدنيا اي اجناسها اجناسها وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا الله تعالى فان قلت ما موقع من
ثمرة قلت هو كقولك كلما اكلت من بستانك من الرمان شيا حمدتك فموقع من ثمرة موقع قو
من الرمان كانه قيل كلما رزقوا من الجنات من اي ثمرة كانت من تفاحها او رمانها او عنبها او غير

ذلك

ذلك رزقا قالوا ذلك فمن الاولى والثانية كلتاهما لابتدا الغاية لان الرزق قد ابتدا من الجنات
والرزق من الجنات قد ابتدي من ثمرة ٭ وتنزيله تنزيل ان تقول رزقني فلان فيقال لك من اين
فتقول من بستانه فيقال من اي ثمرة رزقك فتقول من الرمان ٭ وتحريره ان رزقوا جعل مطلقا
مبتدا من ضمير الجنات ثم جعل مقيدا بالابتدا من ضمير الجنات مبتديا من ثمرة وليس المراد بالثمرة
التفاحة الواحدة والرمانة الفذة على هذا التفسير وانما المراد النوع من انواع الثمار ووجه اخر وهو
ان يكون من ثمرة بيانا على منهج قولك رايت منك اسدا تريد انت اسد وعلى هذا يصح ان يراد بالثمرة
النوع من الثمار والجنات الواحدة فان قلت كيف قيل هذا الذي رزقنا من قبل وكيف يكون ذات
الحاضر عندهم في الجنة هي ذات الذي رزقوه في الدنيا قلت معناه هذا مثل الذي رزقنا من
قبل وشبهه بدليل قوله تعالى واتوا به متشابها وهذا كقولك ابو يوسف ابو حنيفة تريد انه لاستحكام
الشبه كان ذاته ذاته فان قلت الى م يرجع الضمير في قوله واتوا به قلت الى
المرزوق في الدنيا والاخرة جميعا لان قوله هذا الذي رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه
في الدارين ٭ ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير لدلالة
قوله غنيا او فقيرا على الجنسين ولو رجع الضمير على المتكلم به لقيل اولى به على التوحيد فان قلت
لاي غرض تتشابه ثمر الدنيا وثمر الجنة وما بال ثمر الجنة لم يكن اجناسا اخر قلت لان الانسان
بالمالوف انس والى المعهود اميل واذا راي ما لم يالفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه ولانه اذا ظفر
بشيء من جنس ما سلف له به عهد وتقدم له معه الف وراي فيه مزية ظاهرة وفضيلة بينة وتفاوتا
بينه وبين ما عهد بليغا افرط ابتهاجه واغتباطه وطال به استعجابه واستغرابه وتبين كنه النعمة
فيه وتحقق مقدار الغبطة به ولو كان جنسا لم يعهده وان كان فائقا حسب ان ذلك الجنس لا يكون الا
كذلك فلا يتبين موقع النعمة حق التبين فحين ابصروا الرمانة من رمان الدنيا ومبلغها في الحجم وان الكبرى
لا تفضل عن حد البطيخة الصغيرة ثم يبصرون رمانة الجنة تشبع السكن والنبقة من نبق
الدنيا في حجم الفلكة ثم يرون نبق الجنة كقلال هجر كما راوا ظل الشجرة من شجر الدنيا وقدر امتداده
ثم يرون الشجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك ابين للفضل واظهر
للمزية واجلب للسرور وازيد في التعجب من ان يفاجئوا ذلك الرمان وذلك النبق من غير عهد سابق
بجنسهما وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الامر وتمادي
الحال في ظهور المزية وتمام الفضيلة ٭ وعلى ان ذلك التفاوت العظيم هو الذي يستملي تعجبهم
ويستدعي تبجحهم في كل اوان ٭ عن مسروق نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها وثمرها امثال
القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى وانهارها تجري في اخدود والعنقود اثنى عشر ذراعا
ويجوز ان يرجع الضمير في واتوا به الى الرزق كما ان هذا اشارة اليه ويكون المعنى ان ما يرزقونه من
ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا في نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى احدهم بالصحفة فياكل منها ثم يؤتى
بالاخرى فيقول هذا الذي اتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف ٭ وعنه
عليه السلام والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فما هي بواصلة الي

فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فاذا ابصروها والهمه هيئة الاولى قالوا ذلك والتفسير الاول
هو هو فان قلت كيف موقع قوله واتوا به متشابها من نظم الكلام قلت هو
كقولك فلان احسن بفلان ونعم ما فعل ورأي من الراي كذا وكان صوابا منه ومنه قوله وجعلوا
اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون وما اشبه ذلك من الجمل التي تساق في الكلام معترضة للتقرير
والمراد بتطهير الازواج ان طهرن مما يختص بالنسا من الحيض والاستحاضة وما لا يختص
بهن من الاقذار والادناس ويجوز لمجيئه مطلقا ان يدخل تحته الطهر من دنس الطباع وطبع الاخلاق
الذي عليه نسا الدنيا مما يكتسبن بانفسهن وما ياخذنه من اعراق السوء والمناصب الردية والمناشي
المفسدة ومن ساير عيوبهن ومثالبهن وخبثهن وكيدهن فان قلت فهلا جاءت
الصفة مجموعة كالموصوف قلت هما لغتان فصيحتان يقال النسا فعلن وهن فاعلات
وفواعل والنسا فعلت وهي فاعلة ومنه بيت الحماسة واذا العذارى بالدخان تقنعت
واستعجلت نصب القدور فملت والمعنى وجماعة ازواج مطهرة وقرا زيد بن علي
مطهرات وقرا عبيد بن عمير مطهرة وفي كلام بعض العرب ما احوجني الى بيت الله فاطهر
به اطهرة اي فاتطهر به تطهرة فان قلت فهلا قيل طاهرة قلت في مطهرة فخامة
لصفتهن ليست في طاهرة وهي الاشعار بان مطهرا طهرهن وليس ذلك الا الله عز وجل المريد
بعباده الصالحين ان يخولهم كل مزية فيما اعد لهم والخلد الثبات الدايم والبقا اللازم الذي
لا ينقطع قال الله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون وقال امرؤ القيس
الا انعم صباحا ايها الطلل البالي وهل ينعمن من كان في العصر الخالي وهل ينعمن الا سعيد
مخلد قليل الهموم ما يبيت باوجال ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها
فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد
الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين سيقت
هذه الاية لبيان ان ما استنكره الجهلة والسفها واهل العناد والمراء من الكفار واستغربوه
من ان تكون المحقرات من الاشيا مضروبا بها المثل ليس بموضع للاستنكار والاستغراب من قبل
ان التمثيل انما يصار اليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب وادنا المتوهم
من المشاهد فان كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله وان كان حقيرا كان المتمثل به
مثله كذلك فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل اذا الا امرا تستدعيه حال المتمثل له
وتستجره الى نفسها فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية الا ترى الى الحق لما كان واضحا
جليا ابلج كيف يمثل له بالضيا والنور والى الباطل لما كان بضد صفته كيف يمثل له بالظلمة
ولما كانت حال الالهة التي جعلها الكفار انداد الله لا حال احقر منها واقل ولذلك جعل بيت
العنكبوت مثلها في الضعف والوهن وجعلت اقل من الذباب واخس قدرا وضربت لها
البعوضة فالذي دونها مثلا لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل للمتمثل استحي من تمثيلها
بالبعوضة لانه مصيب في تمثيله محق في قوله سايق للمثل على قضية مضربه محتذ

عليه

على مثال ما يحتكمه ويستدعيه ولبيان ان المومنين الذين عادتهم الانصاف والعمل على العدل والتسوية والنظر في الامور بناظر العقل اذا سمعوا مثل هذا التمثيل علموا انه الحق التي لا تمر الشبهة بساحته والصواب الذي لا يرتع للخطا حوله • وان الكفار الذين غلبهم الجهل على عقولهم وعصبهم على بصايرهم فلا يتفطنون يلقون اذ ها نهم او عرفوا انه الحق الا ان حب الرياسة وهوا الالف والعادة لا تخليهم ان ينصفوا فاذا سمعوه عاندوا وكابروا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالانكار وان ذلك سبب زيادة هدى المومنين وانهماك الفاسقين في غيهم وضلالهم والعجب منهم كيف انكروا ذلك وما زال الناس يضربون الامثال بالبهايم والطيور واخشاش الارض والحشرات والهوام • وهذه امثال العرب بين ايديهم مسيرة في حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها باحقر الاشيا فقالوا اجمع من ذرة واجرا من الذباب واسمع من قراد واصرد من جرادة واضعف من فراشة واكل من السوس وقالوا في البعوضة اضعف من بعوضة واعز من مخ البعوض وكلفتني مخ البعوض ولقد ضربت الامثال في الانجيل بالاشيا المحقرة كالزوان والنخالة وحبة الخردل والحصاة والارضة والدود والزنابير والتمثيل بهذه الاشيا وباحقر منها مما لا تغني استقامته وصحته على من به ادنى مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذي لا يبقى له متمسك بدليل ولا متشبث بامارة ولا اقناع ان يرمي لفرط الحيرة والعجز عن اعمال الحيلة بدفع الواضح وانكار المستقيم والتعويل على المكابرة والمغالطة اذا لم يجد سوا ذلك معولا وعن الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فانزل الله تعالى هذه الآية والحياء تغير وانكسار يعتري الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحيوة يقال حيي الرجل كما يقال نسي وحشي وشظي الفرس اذا اعتلت هذه الاعضا جعل الحيي لما يعتريه من الانكسار والتغير منتكس القوة منتقص الحيوة كما قالوا فلان هلك حياء من كذا ومات حياء ورايت الهلاك في وجهه من شدة الحياء وذاب حياء وجمد في مكانه خجلا فان قلت كيف جاز وصف القديم سبحانه به ولا يجوز عليه التغير والخوف والذم وذلك في حديث سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد اليه يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا قلت هو جار على سبيل التمثيل مثل تركه تخييب العبد وانه لا يرد يديه صفرا من عطايه لكرمه بترك من يترك رد المحتاج اليه حياء منه وكذلك معنى قوله ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يتمثل بها لحقارتها ويجوز ان تقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة واطباق الجواب على السوال وهو فن من كلامهم بديع وطراز عجيب منه قول ابي تمام • من مبلغ افنى يعرب كلها • اني بنيت الجار قبل المنزل وشهد رجل عند شريح فقال انك لسبط الشهادة فقال الرجل انها لم تجعد عني فقال لله بلادك وقبل شهادته فالذي سوغ بناء الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة ولولا بناء الدار لم

يصح بناء الجار وسبوط الشهادة لامتنع تجعيدها ولله در امر التنزيل واحاطته بفنون
البلاغة وشعبها لا تكاد تستغرب فيها فنا الا عثرت عليه فيه على اقوم مناهجه واسد مدارجه
وقد استعير الحيا فيما لا يصح فيه. قال ‹ اذا ما استحين الماء يعرض نفسه › كرعن بسبت
في اناء من الورد ٠ وقرا ابن كثير في رواية سبل يستحي بياء واحدة وفيه لغتان التعدي
بالجار والتعدي بنفسه يقولون استحييت منه واستحييته وهما محتملان هنا ٠ وضرب
المثل اعتماده وصنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم ٠ وفي الحديث اضطرب رسول الله صلى
الله عليه وسلم خاتما من ذهب وما هذه ابهامية وهي التي اذا اقترنت باسم مبهم نكرة ابهمته
ابهاما وزادته شيعا وعموما كقولك اعطني كتابا ما تريد اي كتاب كان اوصلة للتاكيد كالتي
في قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم كانه قيل لا يستحيي ان يضرب مثلا حقا او البتة هذا اذا نصبت
بعوضة فان رفعتها فهي موصولة صلتها الجملة لان التقدير هو بعوضة فحذف صدر الجملة كما
حذف في تماما على الذي احسن ٠ ووجه اخر حسن جميل وهي ان تكون التي فيها معنى الاستفهام
لما استنكفوا من تمثيل الله لاصنامهم بالمحقرات قال ان الله لا يستحيي ان يضرب للانداد ما شاء
من الاشيا المحقرة مثلا بله البعوضة فما فوقها كما يقال فلان لا يبالي بما وهب ما دينار وديناران
والمعنى ان الله ان يتمثل للانداد وحقارة شانها بما لا شي اصغر منه واقل كما لو تمثل بالجزء الذي لا
يتجزا او بما لا يدركه لتناهيه في صغره الا هو وحده بلطفه او بالمعدوم كما تقول العرب فلان اقل
من لا شي في العدد ولقد الم به قوله تعالى ان الله يعلم ما تدعون من دونه من شيء ٠ وهذه
القراة تعزى الى روبة بن العجاج وهو امضغ العرب للشيح والقيصوم والمشهود له بالفصاحة
وكانوا يشبهونه به الحسن وما اظنه ذهب في هذه القراة الا الى هذا الوجه وهو المطابق لفصاحته
وانتصب بعوضة بانها عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال عن النكرة مقدمة
عليه او انتصبا مفعولين مجرى ضرب مجرى جعل واشتقاق البعوض من البعض وهو القطع
كالبضع والعضب يقال بعضه البعوض وانشد ‹ لنعم البيت بيت ابي دثار › اذا ما خاف
بعض القوم بعضا › ومنه بعض الشي لانه قطعة منه والبعوض في اصله صفة على فعول
كالقطوع فغلبت وكذلك الخموش ٠ فما فوقها فيه معنيان احدهما فما تجاوزها وزاد عليها
في المعنى الذي ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة نحو قولك لمن يقول فلان اسفل الناس وانذلهم
هو فوق ذلك تريد هو ابلغ واعرق فيما وصف به من السفالة والنذالة ٠ والثاني فما زاد عليها في
الحجم كانه قصد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لانهما اكبر من البعوضة
كما تقول لصاحبك وقد ذم من عرفته يشح بادني شي فيقال فلان يبخل بالدرهم والدرهمين
هو لا يبالي ان يبخل بنصف درهم فما فوقه تريد بما فوقه ما بخل به وهو الدرهم والدرهمان كانك
قلت فضلا عن الدرهم والدرهمين ونحوه في الاحتمالين ما سمعناه في صحيح مسلم عن ابراهيم
عن الاسود قال دخل شباب من قريش على عايشة وهي بمنى وهم يضحكون فقالت ما يضحككم
قالوا فلان خر على طنب فسطاط فكادت عنقه او عينه ان تذهب فقالت لا تضحكوا اني سمعت

رسول الله

صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة يحتمل فما عدا الشوكة وتجاوزها في القلة وهي نحو نخبة النملة في قوله عليه السلام ما اصاب المومن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وهي عضتها ويحتمل ما هو اشد من الشوكة واوجع كالخرور على طنب الفسطاط فان قلت كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهي النهاية في الصغر قلت ليس كذلك فان جناح البعوضة اقل منها واصغر بدرجات وقد ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا وفي خلق الله حيوان اصغر منها ومن جناحها ربما رايت في تضاعيف الكتب العتيقة دويبة لا يكاد يجليها البصر الحاد الا بحركتها فاذا سكنت فالسكون يوازيها ثم اذا لوحت لها بيدك حادت عنها وتجنبت مضرتها فسبحان من يدرك صورة تلك واعضائها الظاهرة والباطنة وتفاصيل خلقتها ويبصر بصرها ويطلع على ضميرها ولعل في خلقه ما هو اصغر منها واصغر سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون ولبعضهم

يا من يرى مد البعوض جناحها ، في ظلمة الليل البهيم الاليل
ويرى نياط عروقها في نحرها ، والمخ في تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب من فرطاته ، ما كان منه في الزمان الاول

واما حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء وفائدته في الكلام ان يعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب فاذا قصدت توكيد ذلك وانه لا محالة ذاهب وانه بصدد الذهاب وانه منه عزيمة قلت اما زيد فذاهب قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شيء فزيد ذاهب وهذا التفسير مدل بفائدتين بيان كونه تاكيدا وانه في معنى الشرط ففي ايراد الجملتين مصدرتين به وان لم يقل فالذين امنوا يعلمون والذين كفروا يقولون احماد عظيم للمومنين واعتداد بعلمهم انه الحق ونعي على الكافرين اغفالهم حظهم وعنادهم ورميهم بالكلمة الحمقا والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يقال حق الامر اذا ثبت ووجب وحقت كلمة ربك وثوب محقق محكم النسج وماذا فيه وجهان ان يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي فتكون كلمتين وان تكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما واحدا فتكون كلمة واحدة فهو على الوجه الاول مرفوع المحل على الابتدا وخبره ذا مع صلته وعلى الثاني منصوب المحل في حكم ما وحده لو قلت ما اراد الله والاصوب في جوابه ان يجي على الاول مرفوعا وعلى الثاني منصوبا ليطابق الجواب السوال وقد جوزوا عكس ذلك كما تقول في جواب من قال ما رايت خيرا اي المرئي خير وفي جواب ما الذي رايت خير اي رايت خيرا وقري قوله تعالى ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو بالرفع والنصب على التقديرين والارادة نقيض الكراهة وهي مصدر اردت الشيء اذا طلبته نفسك ومال اليه قلبك وفي حدود المتكلمين الارادة معنى يوجب للحي حالا لاجلها يقع منه الفعل على وجه دون وجه وقد اختلفوا في ارادة الله تعالى فبعضهم على انه للباري صفة مثل صفة المريد منا التي هي القصد وهو امر زايد على كونه عالما غير ساه وبعضهم على ان معنى ارادته لافعاله هو انه فعلها وهو غير ساه ولا مكره ومعنى ارادته لافعال غيره انه امر بها والضمير في انه الحق للمثل او لان يضرب وفي قولهم

لامرجح

ماذا اراد الله بهذا مثلا استرذال واستحقار كما قالت عايشة في عبد الله بن عمرو بن العاص
يا عجبا لابن عمرو هذا ومثلا نصب على التمييز كقولك لمن اجاب بجواب عن ماذا اردت بهذا
جوابا ولمن حمل سلاحا رديا كيف تنتفع بهذا سلاحا او على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم اية وقوله
تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين باما
وان فريق العالمين بانه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة وان العلم بكونه
حقا من باب الهدى الذي ازداد به المومنون نورا الى نورهم وان الجهل بحسن مورده من باب
الضلالة التي زادت الجهلة خبطا في ظلماتهم فان قلت لم وصف المهديون بالكثرة والقلة
صفتهم وقليل من عبادي الشكور وقليل ما هم الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة وجدت الناس
اخبر تقله قلت اهل الهدى كثير في انفسهم وحين يوصفون بالقلة انما يوصفون بها
بالقياس الى اهل الضلال وايضا فان القليل من المهديين كثير في الحقيقة وان قلوا في الصورة
فسموا ذهابا الى الحقيقة كثيرا قال الشاعر ٭ ان الكرام كثير في البلاد وان ٭ قلوا كما غيرهم
قل وان كثروا ٭ واسناد الاضلال الى الله تعالى اسناد الفعل الى السبب لانه لما ضرب به المثل فضل
به قوم واهتدى به قوم تسبب لضلالهم وهداهم ٭ وعن مالك بن دينار رحمه الله انه دخل على محبوس
قد اخذ بمال عليه وقيد فقال يا ابا يحيى اما ترى ما نحن فيه من القيود فرفع مالك راسه فراى
سلة فقال لمن هذه السلة فقال لي فامر بها تنزل فاذا دجاج واخبصة فقال مالك
هذه وضعت القيود على رجلك ٭ وقرا زيد بن علي رضي الله عنه وعن اشياعه يضل به كثير
وكذلك وما يضل به الا الفاسقون ٭ والفسق الخروج عن الحق قال روبة ٭ فواسقا عن قصدها
جوايرا ٭ والفاسق في الشريعة الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين
اي بين منزلة المومن والكافر وقالوا ان اول من حد له هذا الحد ابو حذيفة واصل بن عطا رضي
الله عنه وكونه بين بين ان حكمه حكم المومن في انه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن في
مقابر المسلمين وهو كالكافر في الذم واللعن والبراة منه واعتقاد عداوته وان لا تقبل له شهادة
ومذهب مالك بن انس والزيدية ان الصلاة لا تجزي خلفه ويقال للخلعا المردة من الكفار
الفسقة وقد جا الاستعمال في كتاب الله تعالى بئس الاسم الفسوق بعد الايمان يريد اللمز
والتنابز ان المنافقين هم الفاسقون الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون
ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض النقض الفسخ وفك التركيب فان قلت
من اين ساغ استعمال النقض في ابطال العهد قلت من تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة
لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين ٭ ومنه قول ابن التيهان في بيعة العقبة يا رسول الله
ان بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها فنخشى ان الله اعزك ٭ واظهرك ان ترجع الى قومك
وهذا من اسرار البلاغة ولطايفها ان يسكتوا عن ذكر الشي المستعار ثم يرمزوا اليه بذكر شي هو من
روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ونحوه قولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف
منه الناس واذا تزوجت امراة فاستوثرها لم تقل هذا الا وقد نبهت على الشجاع والعالم

بانهما اسد ويجروا على المراة بانها فراش • والعهد الموثق وعهد اليه في كذا اذا اوصاه به ووثقه عليه
واستعهد منه اذا اشترط عليه واستوثق منه والمراد بهولا الناقضين لعهد الله احبار اليهود المتعنتون ن
وموافقوهم الكفار جميعا فان قلت فما المراد بعهد الله قلت ما ركز في عقولهم من الحجة على
التوحيد كانه امر وصاهم به ووثقه عليهم وهو معنى قوله واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى
واخذ الميثاق عليهم بانهم اذا بعث اليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره فيما
تقدمه من الكتب المنزلة عليهم كقوله واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقوله في الانجيل لعيسى صلوات الله عليه
سانزل عليك كتابا فيه نبا بني اسرائيل وما اريته اياهم من الايات وما انعمت عليهم وما نقضوا من
ميثاقهم الذي وثقوا به وما ضيعوا من عهدي اليهم وحسن صنعه للذين قاموا لميثاق الله واوفوا بعهده
ونصره اياهم وكيف انزل باسه ونقمته بالذين غدروا ونقضوا ميثاقه ولم يوفوا بعهده لكن اليهود فعلوا
باسم عيسى ما فعلوا باسم محمد صلى الله عليه وسلم من التحريف والجحود وكفروا به كما كفروا به وقيل هو اخذ
الله العهد عليهم ان لا يسفكوا دماهم ولا يبغي بعضهم على بعض ولا يقطعوا ارحامهم وقيل عهد الله الى
خلقه ثلاثة عهود • العهد الاول الذي اخذه على ذرية ادم الاقرار بربوبيته وهو قوله واذ اخذ ربك
وعهد خص به النبيين ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وهو قوله واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم • وعهد خص به العلما وهو قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس
ولا تكتمونه والضمير في ميثاقه للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله والزامه انفسهم ويجوز ان يرجع
الضمير الى الله من بعد توثقته عليهم او من بعد ما وثق به عهده من اياته في كتبه وانذار رسله • ومعنى
قطعهم ما امر الله به ان يوصل قطعهم الارحام وموالاة المومنين وقيل قطعهم ما بين الانبيا من الوصلة
والاتحاد والاجتماع على الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض فان قلت ما الامر قلت طلب
الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور لان الداعي الذي يدعو اليه من يتولاه
شبه بامر يامره به فقيل له امر تسمية للمفعول به بالمصدر كانه مامور به كما قيل له شان والشان الطلب
والقصد يقال شانت شانه اي قصدت قصده اوليك هم الخاسرون لانهم استبدلوا النقض بالوفا
والقطع بالوصل والفساد بالصلاح وعقابها بثوابها كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم
ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون معنى الهمزة التي في كيف مثله في قوله اتكفرون بالله ومعكم
ما يصرف عن الكفر ويدعوا الى الايمان وهو الانكار والتعجب • ونظيره قولك اتطير بغير جناح
وكيف تطير بغير جناح فان قلت قولك اتطير بغير جناح انكار للطيران لانه مستحيل بغير جناح
واما الكفر فغير مستحيل مع ما ذكر من الاماتة والاحيا قلت قد اخرج في صورة المستحيل
لما قوي من الصارف عن الكفر والداعي الى الايمان فان قلت فقد تبين امر الهمزة وانها لانكار الفعل
والايذان باستحالته في نفسه او لقوة الصارف عنه فما تقول في كيف حيث كان انكارا للحال التي يقع
عليها كفرهم قلت حال الشي تابعة لذاته فاذا امتنع ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت الحال
فكان انكار حال الكفر لانها تبيع ذات الكفر ورديفها انكارا لذات الكفر وثباتها على طريق الكناية
وذلك اقوى لانكار الكفر وابلغ • وتحريره انه اذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها وقد علم ان كل ح

ويجوز ان يكون [illegible] عليه الصلاة والسلام [illegible]

موجود لا ينفك من حال وصفة عند وجوده ومحال ان يوجد بغير صفة من الصفات كان انكارا لوجوده
على الطريق البرهاني • والواو في قوله وكنتم امواتا للحال فان قلت فكيف صح ان يكون حالا وهو ماض
ولا يقال جيت وقام الامير ولكن وقد قام الا ان تضمر قد قلت لم تدخل الواو على كنتم وحده ولكن على
جملة قوله كنتم امواتا الى ترجعون كانه قيل كيف تكفرون بالله وقصتكم هذه وحالكم انكم كنتم امواتا نطفا
في اصلاب ابائكم فجعلكم احياء ثم يميتكم بعد هذه الحيوة ثم يحييكم بعد الموت ثم يحاسبكم فان قلت
بعض القصة ماض وبعضها مستقبل والماضي والمستقبل كلاهما لا يصح ان يقع حالا حتى يكون فعلا حاضرا
وقت وجود ما هو حال عنه فما الحاضر الذي وقع حالا قلت هو العلم بالقصة كانه قيل كيف تكفرون
وانتم عالمون بهذه القصة وباولها واخرها فان قلت فقد آل المعنى الى قولك على اي حال تكفرون
في حال علمكم بهذه القصة فما وجه صحته قلت قد ذكرنا ان معنى الاستفهام في كيف للانكار وان انكار
الحال متضمن لانكار الذات على سبيل الكناية فكانه قيل ما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قلت
ان اتصل علمهم بانهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم فلم يتصل بالاحيا الثاني والرجوع قلت قد
تمكنوا من العلم بهما بالدلائل الموصلة اليه فكان ذلك بمنزلة حصول العلم وكثير منهم علموا ثم عاندوا •
والاموات جمع ميت كالاقوال جمع قيل فان قلت كيف قيل لهم اموات في حال كونهم جمادا وانما يقال
ميت فيما يصح فيه الحيوة من البنى قلت بل يقال ذلك لعادم الحيوة كقوله بلدة ميتا واية لهم الارض الميتة
اموات غير احياء • ويجوز ان يكون استعارة لاجتماعهما في ان لا روح ولا احساس فان قلت فما المراد
بالاحيا الثاني قلت يجوز ان يراد به الاحيا في القبر وبالرجوع النشور وان يراد به النشور وبالرجوع
المصير الى الجزا فان قلت لم كان العطف الاول بالفا والاعقاب بثم قلت لان الاحيا الاول
قد تعقب الموت الى البقا بغير تراخ واما الموت فقد تراخى عن الاحيا والاحيا الثاني كذلك متراخ عن الموت
ان اريد به النشور تراخيا ظاهرا وان اريد به احيا القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع الى الجزا
ايضا متراخ عن النشور فان قلت من اين انكر اجتماع الكفر مع القصة التي ذكرها به لانها مشتملة
على ايات بينات تصرفهم عن الكفر وعلى نعم جسام حقها ان تشكر ولا تكفر قلت يحتمل الامرين
جميعا لان ما عدده ايات وهي مع كونها ايات من اعظم النعم **هو الذي خلق لكم ما في الارض**
جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات لكم لاجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم
اما الانتفاع الدنيوي فظاهر واما الانتفاع فالنظر فيه وما فيه من عجايب الصنع الدالة على الصانع القا
الحكيم وما فيه من التذكير بالاخرة وبثوابها وعقابها لاشتماله على اسباب الانس واللذة من فنون المطاعم
والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة البهية وعلى اسباب الوحشة والمشقة من انواع
المكاره كالنيران والصواعق والسباع والاحناش والسموم والغموم والمخاوف وقد استدل بقوله تعالى خلق
لكم على ان الاشيا التي يصح ان ينتفع بها ولم تجر مجرى المحظور في العقل خلقت في الاصل مباحة مطلقا
لكل احد ان يتناولها وينتفع بها فان قلت هل لقول من زعم ان المعنى خلق لكم الارض وما فيها
وجه صحة قلت ان اراد بالارض الجهات السفلية دون الغبرا كما تذكر السما ويراد الجهات
العلوية جاز ذلك فان الغبرا وما فيها واقعة في الجهات السفلية وجميعا نصب على الحال من الموصول

سموات

الثاني

الثاني والاستوا الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود وغيره اذا قام واعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم
المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء ومنه استعير قوله ثم استوى الى السما اي قصد اليها بارادته
ومشيئته بعد خلق ما في الارض من غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر والمراد بالسما جهات العلو كانه قيل ثم
استوى الى فوق • والضمير في فسواهن ضمير مبهم وسبع سموات تفسيره كقولهم ربه رجلا وقيل الضمير
راجع الى السماء والسماء في معنى الجنس وقيل جمع سماة والوجه العربي هو الاول ومعنى تسويتهن تعديل
خلقهن وتقويمه واخلاوه من العوج والفطور او اتمام خلقهن • وهو بكل شيء عليم فمن ثم خلقهن
خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في الارض على حسب حاجات اهلها ومنافعهم ومصالحهم فان
قلت ما فسرت به معنى الاستوا الى السما يناقضه ثم لاعطايه معنى التراخي والمهلة قلت ثم ههنا
لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السموات على خلق الارض لا للتراخي في الوقت كقوله تعالى ثم كان من
الذين امنوا على انه لو كان بمعنى التراخي في الوقت لم يلزم ما اعترضت به لان المعنى انه حين قصد الى السما لم يحدث
فيما بين ذلك اي في تضاعيف القصد اليها خلقا اخر فان قلت اما يناقض هذا قوله تعالى والارض بعد ذلك
دحاها قلت لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السما واما دحوها فمتاخر وعن الحسن خلق الله الارض
في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك
الفهر في موضعها وبسط منها الارض فذلك قوله كانتا رتقا وهو الالتزاق واذ قال ربك للملايكة اني
جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك
ونقدس لك واذ نصب باضمار اذكر ويجوز ان ينتصب بقالوا فيكون ظرفا والملايكة جمع ملاك
على الاصل كالشمايل في جمع شمال والحاق التا لتانيث الجمع • وجاعل من جعل الذي له مفعولان
دخل على المبتدا والخبر وهما قوله تعالى في الارض خليفة فكانا مفعوليه ومعناه مصير في الارض خليفة
والخليفة من يخلف غيره والمعنى خليفة منكم لانهم كانوا سكان الارض فخلفهم فيها آدم وذريته فان قلت
فهلا قيل خلايف او خلفا قلت اريد بالخليفة ادم واستغنى بذكره عن ذكر بنيه كما يستغنى بذكر ابي القبيلة
في قولك مضر وهاشم او اريد من يخلفكم او خلفا يخلفكم فوحد لذلك وقرئ خليقة بالقاف ويجوز
ان يريد خليفة مني لان آدم كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي انا جعلناك خليفة في الارض فان
قلت لاي غرض اخبرهم بذلك قلت ليسالوا ذلك السوال ويجابوا بما اجيبوا به فيعرفوا حكمته
في استخلافهم قبل كونهم صيانة لهم عن اعتراض الشبهة في وقت استخلافهم وقيل ليعلم عباده المشاورة
في امورهم قبل ان يقدموا عليها وعرضها على ثقاتهم ونصحايهم وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن
المشاورة • اتجعل فيها تعجب من ان يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية وهو الحكيم الذي لا يفعل
الا الخير ولا يريد الا الخير فان قلت من اين عرفوا ذلك حتى يتعجبوا منه وانما هو غيب قلت
عرفوه باخبار من الله او من جهة اللوح او ثبت في علمهم ان الملايكة وحدهم هم الخلق المعصومون وكل خلق
سواهم ليسوا على صفتهم او قاسوا احد الثقلين على الاخر حيث اسكنوا الارض فافسدوا فيها قبل سكنى
الملايكة • وقرئ ويسفك بضم الفا ويُسفِك ويسفّك من اسفك وسفك والواو في ونحن للحال كما
تقول اتحسن الى فلان وانا احق منه بالاحسان • والتسبيح تبعيد الله من السوء وكذلك تقديسه من سبح

في الارض والماو قدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد • وبحمدك في موضع الحال اي نسبح حامدين لك وملتبسين
بحمدك لانه لولا انعامك علينا بالتوفيق واللطف لم نتمكن من عبادتك قال اني اعلم ما لا تعلمون اي اعلم من المصالح
في ذلك ما هو خفي عنكم فان قلت هلا بين لهم تلك المصالح قلت كفى العباد ان يعلموا ان افعال الله
كلها حسنة وحكمة وان خفي عليهم وجه الحسن والحكمة على انه قد بين لهم بعض ذلك فيما اتبعه من قوله وعلم آدم
الاسما كلها وعلم آدم الاسما كلها ثم عرضهم على الملايكة فقال انبئوني باسماء هولاء ان كنتم
صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم قال يا آدم انبئهم باسمائهم
فلما انباهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما
كنتم تكتمون واشتقاقهم آدم من الادمة ومن اديم الارض نحو اشتقاقهم يعقوب من العقب وادريس من
الدرس وابليس من الابلاس وما آدم الا اسم اعجمي واقرب امره ان يكون على فاعل كآزر وعابر وعازر وشالخ
وفالع واشباه ذلك • الاسما كلها اي اسما المسميات فحذف المضاف اليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الاسما
لان الاسم لا بد له من مسمى وعوض منه اللام كقوله واشتعل الراس شيبا فان قلت هلا زعمت انه حذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وان الاصل وعلم آدم مسميات الاسما قلت لان التعليم وجب تعليقه
بالاسما لا بالمسميات لقوله انبئوني باسماء هولاء انبئهم باسمائهم فلما انباهم باسمائهم فكما علق الانبا بالاسما لا
بالمسميات ولم يقل انبئوني بهولاء وانبئهم بهم وجب تعليق التعليم بها فان قلت ما معنى تعليمه اسما
المسميات قلت اراه الاجناس التي خلقها وعلمه ان هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وهذا
اسمه كذا وعلمه احوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية • ثم عرضهم اي عرض المسميات وانما
ذكر لان في المسميات العقلا فغلبهم وانما استنباهم وقد علم عجزهم عن الانبا على سبيل التبكيت • ان كنتم
صادقين يعني في زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين سفاكين للدما ارادة للرد عليهم وان فيمن يستخلفه
من الفوايد العلمية التي هي اصول الفوايد كلها ما يستاهلون لاجله ان يستخلفوا فاراهم بذلك وبين لهم بعض
ما اجمل من ذكر المصالح في استخلافهم في قوله اني اعلم ما لا تعلمون وقوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات
والارض استحضار لقوله لهم اني اعلم ما لا تعلمون الا انه جا به على وجه ابسط من ذلك واشرح • وقري
وعُلِّم آدمُ على البنا للمفعول • وقرا عبد الله عرضهن • وقرا ابي عرضها والمعنى عرض مسمياتهن او مسمياتها تهما
لان العرض لا يصح في الاسما • وقري انبيهم بقلب الهمزة ياء وانبهم بحذفها والها مكسورة فيهما
واذ قلنا للملايكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين السجود لله
على سبيل العبادة ولغيره على وجه التكرمة كما سجدت الملايكة لآدم وابو يوسف واخوته له • ويجوز ان لا تختلف
الاحوال والاوقات فيه • وقرا ابو جعفر للملايكة اسجدوا بضم التا للاتباع ويجوز استهلاك الحركة الاعرا بية
بحركة الاتباع الا في لغة ضعيفة كقولهم الحمد لله • الا ابليس استثنا منقطع لانه كان جنيا واحدا بين
اظهر الالوف من الملايكة مغمورا بهم فغلبوا عليه في قوله فسجدوا ثم استثني منهم استثني واحد منهم ويجوز
ان يجعل منقطعا • ابى امتنع مما امر به واستكبر منه • وكان من الكافرين من جنس كفرة الجن وشياطينهم فلذ لك
ابى واستكبر كقوله كان من الجن ففسق عن امر ربه وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا
منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فازلهما الشيطان عنها

فاخرجهما

فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين
فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم قلنا اهبطوا منها جميعا فاما ياتينكم
مني هدي فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون السكنى من السكون لانها نوع من اللبث والاستقرار وانت تاكيد للمستكن
في اسكن ليصح العطف عليه. ورغدا وصف للمصدر اي اكلا رغدا واسعا رافها. وحيث للمكان المبهم اي اي
مكان من الجنة شئتما اطلق لهما الاكل من الجنة على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلة حين لم يحظر عليهما بعض
الاكل ولا بعض المواضع الجامعة للماكولات من الجنة حتى لا يبقى لهما عذر في التناول من شجرة و[illegible]ة من بين اشجارها
الفائتة للحصر وكانت الشجرة فيما قيل الحنطة او الكرمة او التينة. وقرئ ولا تقربا بكسر التا. وهذي والشجرة بكسر الشين
والشيرة بكسر الشين واليا وعن ابي عمرو انه كرهها وقال يقراها برابر مكة وسودانها من الظالمين من الذين ظلموا انفسهم
بمعصية الله. فتكونا جزم عطف على تقربا او نصب جواب للنهي. الضمير في عنها للشجرة اي فحملهما الشيطان على الزلة
بسببها. وتحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما عنها وعن هذه مثلها في قوله وما فعلته عن امري وقوله.
ينهون عن اكل وعن شرب. وقيل فازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما عنها وابعدهما كما تقول زل عن مرتبته وزل
عني ذاك اذا ذهب عنك. وزل من الشهر كذا. وقرئ فازالهما فاخرجهما مما كانا فيه من النعيم والكرامة او من الجنة ان كان
الضمير للشجرة في عنها. وقرا عبد الله فوسوس لهما الشيطان عنها وهذا دليل على ان الضمير للشجرة لان المعنى
صدرت وسوسته عنها فان قلت كيف توصل الى ازلالهما ووسوسته لهما بعد ما قيل له اخرج منها قلت
يجوز ان يمنع دخولها على جهة التقريب والتكرمة كدخول الملائكة ولا يمنع ان يدخل على جهة الوسوسة ابتلاء لادم
وحوى وقيل كان يدنو من السما فيكلمهما وقيل قام عند الباب فنادى. وروي انه اراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل
في فم الحية حتى دخلت به وهم لا يشعرون. قلنا اهبطوا خطاب لادم وحوى وابليس وقيل والحية والصحيح انه لادم
وحوى والمراد هما وذريتهما لانهما لما كانا اصل الانس ومتشعبهم جعلا كانهما الانس كلهم والدليل عليه قوله تعالى
قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ويدل على ذلك قوله فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين
كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وما هو الا حكم يعم الناس كلهم ومعنى بعضكم لبعض عدو
ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض والهبوط النزول الى الارض. مستقر موضع استقرار
او استقرار. ومتاع وتمتع بالعيش. الى حين يريد الى يوم القيمة وقيل الى الموت. ومعنى تلقي الكلمات استقبالها
بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرئ بنصب آدم ورفع الكلمات على انها استقبلته بان بلغته واتصلت به فان
قلت ما هن قلت قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الاية وعن ابن مسعود ان احب الكلام الى الله ما قاله ابونا حين
اقترف الخطية سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر
الذنوب الا انت. وعن ابن عباس قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى الم تسبق
رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واكتفى
بذكر توبة آدم دون توبة حوى لانها كانت تبعا له كما طوي ذكر النساء في اكثر القران والسنة لذلك وقد ذكرها في قوله
قالا ربنا ظلمنا انفسنا. فتاب عليه فرجع عليه بالرحمة والقبول فان قلت لم كرر قلنا اهبطوا قلت للتاكيد
ولما نيط به من زيادة قوله فاما ياتينكم مني هدى فان قلت ما جواب الشرط الاول قلت الشرط الثاني مع جوا
به

كقولك ان جيتني فان قدرت احسنت اليك والمعنى فاما ياتينكم مني هدي برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله
عليكم بدليل قوله والذين كفروا وكذبوا باياتنا في مقابلة قوله فمن تبع هداي فان قلت فلم جي بكلمة الشك
واتيان الهدي كاين لا محالة لوجوبه قلت للايذان بان الايمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال
الكتب وانه ان لم يبعث رسولا ولم ينزل كتابا كان الايمان به وتوحيده واجبا لما ركب فيهم من العقول ونصب
لهم من الادلة ومكنهم من النظر والاستدلال فان قلت الخطية التي اهبط بها ادم ان كانت كبيرة فا
لكبيرة لا تجوز على الانبيا وان كانت صغيرة فلم جرى عليه ما جرى بسببها من نزع اللباس والاخراج من الجنة
والاهباط من السما كما فعل بابليس ونسبته الى الغي والعصيان ونسيان العهد وعدم العزيمة والحاجة الى
التوبة قلت ما كانت الا صغيرة مغمورة باعمال قلبه من الاخلاص والافكار الصالحة التي هي اجل الاعمال
واعظم الطاعات وانما جرى عليه ما جرى تعظيما للخطية وتفظيعا لشانها وتهويلا ليكون ذلك لطفا له
ولذريته في اجتناب الخطايا واتقاء الماثم والتنبيه على انه اخرج من الجنة بخطية واحدة فكيف يدخلها
ذو خطايا جمة ● وقري فمن تبع هدي على لغة هذيل فلا خوف بالفتح يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت
عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون وامنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا
اول كافر به ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا واياي فاتقون اسرائيل هو يعقوب عليه السلام لقب
له ومعناه في لسانهم صفوة الله وقيل عبد الله وهو بزنة ابراهيم واسمعيل غير منصرف مثلهما لوجود
العلمية والعجمة ● وقري اسرائل واسرال ● وذكرهم النعمة ان لا يخلوا بشكرها ويعتدوا بها
ويستعظموها ويطيعوا مانحها واراد به ما انعم به على ابائهم مما عدد عليهم من الانجاء من
فرعون وعذابه ومن الغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم وغير ذلك وما انعم به
عليهم من ادراك زمن محمد صلى الله عليه وسلم المبشر به في التورية والانجيل ● والعهد
يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعا يقال اوفيت بعهدك اي ما عاهدتك عليه واوفيت بعهدي
اي بما عاهدتني عليه كقوله تعالى ومن اوفى بعهده من الله ● ومعنى اوفوا بعهدي واوفوا بما
عاهدتموني عليه من الايمان بي والطاعة لي كقوله ومن اوفى بما عاهد عليه الله ومنهم
من عاهد الله ● رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ● اوف بعهدكم بما عاهدتكم عليه
من حسن الثواب على حسناتكم ● واياي فارهبون فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيدا
رهبته وهو اوكد في افادة الاختصاص من اياك نعبد ● وقري اوف بالتشديد
اي ابالغ في الوفاء بعهدكم كقوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها ويجوز ان يريد
بقوله تعالى ● واوفوا بعهدي ما عاهدوا الله عليه ووعدوه من الايمان بنبي الرحمة
والكتاب المعجز ويدل عليه قوله تعالى وامنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ● اول
كافر به اول من كفر به واول فريق او فوج كافر به اي ولا يكن كل واحد منكم
اول كافر به ● كقولك كسانا حلة اي كل واحد منا ● وهذا تعريض بانه كان يجب ان يكونوا
اول من يومن به لمعرفتهم به وبصفته ● ولانهم كانوا المبشرين بزمان من اوحي اليه
القران والمستفتحين على الذين كفروا وكانوا يعدون اتباعه اول الناس كلهم فلما بعث كان امرهم على العكس صح كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل

الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة الى قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما
جاءتهم البينة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ويجوز ان يراد ولا تكونوا مثل اول كافر به يعني من اشرك
به من اهل مكة اي ولا تكونوا وانتم تعرفونه مذكورا في التورية موصوفا مثل من لم يعرفه وهو
مشرك لا كتاب له وقيل الضمير في به لما معكم لانهم اذا كفروا بما يصدقه فقد كفروا به والاشترا
استعارة للاستبدال كقوله • اشتروا الضلالة بالهدى • وقوله كما اشترى المسلم اذ تنصر • وقوله
فاني اشتريت الحلم بعدك بالجهل يعني ولا تستبدلوا باياتي ثمنا قليلا • والا فالثمن هو المشترى به
والثمن القليل هو الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو اصبحوا اتباعا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فاستبدلوها وهي بدل قليل ومتاع يسير بايات الله وبالحق الذي كل كثير اليه
قليل وكل كبير اليه صغير فما بال القليل الحقير • وقيل كانت عامتهم يعطون احبارهم من زروعهم
وثمارهم ويهدون اليهم الهدايا ويرشونهم الرشا على تحريفهم الكلم • وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم
من الشرائع • وكان ملوكهم يدرون عليهم الاموال ليكتموا ويحرفوا ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا
الحق وانتم تعلمون • واقيموا الصلوة واتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين • اتامرون الناس بالبر
وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون الباء التي في الباطل ان كانت صلة مثلها في
قولك لبست الشيء بالشيء وخلطته به فان المعنى ولا تكتبوا في التورية ما ليس فيها فيختلط الحق المنزل
بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميز بين حقها وباطلكم الذي تكتبونه وان كانت بالاستعانة كالتي في قولك
كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق مشتبها بباطلكم الذي تكتبونه • وتكتموا جزم داخل تحت حكم
النهي بمعنى ولا تكتموا او منصوب باضمار ان والواو بمعنى الجمع اي ولا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان
الحق كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن فان قلت لبسهم وكتمانهم ليسا بفعلين متميزين حتى
ينهوا عن الجمع بينهما لانهم اذا لبسوا الحق بالباطل فقد كتموا الحق قلت بل هما متميزان لان لبس الحق
بالباطل ما ذكرنا من كتبهم في التورية ما ليس منها وكتمانهم الحق ان يقولوا لا نجد في التورية صفة محمد عليه
السلام او حكم كذا او نحو ذلك او يكتبوه على خلاف ما هو عليه • وفي مصحف عبد الله وتكتمون بمعنى كاتمين
وانتم تعلمون في حال علمكم انكم لابسون كاتمون وهو اقبح لهم لان الجهل بالقبيح ربما عذر راكبه واقيموا
الصلوة يعني صلاة المسلمين وزكوتهم واركعوا مع الراكعين منهم لان اليهود لا ركوع في صلاتهم وقيل الركوع
الخضوع والانقياد لما يلزمهم في دين الله ويجوز ان يراد بالركوع الصلاة كما يعبر عنها بالسجود وان يكون امرا
بان تصلى مع المصلين يعني في الجماعة كانه قيل واقيموا الصلوة وصلوها مع المصلين لا منفردين • اتامرون الناس
الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم • والبر سعة الخير والمعروف • ومنه البر لسعته ويتناول كل خير
ومنه قولهم صدقت وبررت وكان الاحبار يامرون من نصحوه في السر من اقاربهم وغيرهم باتباع محمد صلى
الله عليه وسلم ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون واذا اتوا بصدقات ليفرقوها خانوا
فيها وعن محمد بن واسع بلغني ان ناسا من اهل الجنة اطلعوا على ناس من اهل النار فقالوا لهم قد كنتم تامروننا
باشياء عملناها فدخلنا الجنة قالوا كنا نامركم بها ونخالف الى غيرها • وتنسون انفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات
وانتم تتلون الكتاب تبكيت مثل قوله وانتم تعلمون • يعني تتلون التورية وفيها نعت محمد عليه الصلاة والسلام

م

وفيها الوعد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل؛ افلا تعقلون توبيخ عظيم بمعنى افلا تفطنون لقبح ما قدمتم عليه
حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه فكانكم في ذلك مسلوبو العقول لان العقول تاباه وتدفعه ونحوه اف
لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة الا على الخاشعين
الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني
فضلتكم على العالمين واستعينوا على حوايجكم الى الله بالصبر والصلوة اي بالجمع بينهما وان تصلوا
صابرين على تكاليف الصلاة محتملين لما فيها وما يجب فيها من اخلاص القلب وحفظ النيات ودفع
الوساوس ومراعاة الارب والاحتراس من المكاره مع الخشية والخشوع واستحضار العلم بانه انتصاب
بين يدي جبار السموات ليسال فك الرقاب عن سخطه من عذابه • ومنه قوله تعالى وامر اهلك بالصلوة
واصطبر عليها • واستعينوا على البلايا والنوايب بالصبر عليها • والالتجا الى الصلوة عند وقوعها
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة • وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه نعي اليه اخوه قثم وهو في سفر فاسترجع وتنحى عن الطريق فصلى ركعتين اطال فيهما الجلوس
ثم قام يمشي الى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلاة وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن
المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر ويجوز ان يراد بالصلاة الدعا وان يستعان على البلا
بالصبر والالتجا الى الدعا والابتهال الى الله في دفعه وانها الضمير للصلوة او للاستعانة ويجوز ان
يكون لجميع الامور التي امر بها بنو اسرائيل ونهوا عنها من قوله تعالى واذكروا نعمتي الى واستعينوا لكبيرة
لشاقة ثقيلة من قولك كبر على هذا الامر كبر على المشركين ما تدعوهم اليه فان قلت ما لها لم تثقل
على الخاشعين والخشوع في نفسه مما يثقل قلت لانهم يتوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها
فتهون عليهم الا ترى الى قوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم اي يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده
ويطمعون فيه وفي مصحف عبد الله يعلمون ومعناه يعلمون ان لا بد من لقاء الجزا فيعملون على
حسب ذلك ولذلك فسر يظنون بيتيقنون واما من لم يوقن بالجزا ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة
خالصة فثقلت عليه كالمنافقين والمرائين باعمالهم ومثاله من وعد على بعض الاعمال والصنايع اجرة
زايدة على مقدار عمله فتراه يزاوله برغبة ونشاط وانشراح صدر ومضاحكة لحاضريه كانه يستلذ
مزاولته بخلاف حال عامل يتسخره بعض الظلمة ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة
عيني في الصلاة • وكان يقول يا بلال روحنا والخشوع الاخبات والتطامن ومنه الخشعة الرملة المتطامنة
واما الخضوع فاللين والانقياد ومنه خضعت بقولها اذا لينته • واني فضلتكم نصب عطف على نعمتي
اي اذكروا نعمتي وتفضيلي على العالمين على الجم الغفير من الناس كقوله تعالى باركنا للعالمين يقال
رايت عالما من الناس يراد الكثرة واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيا ولا يقبل منها شفاعة
ولا يوخذ منها عدل ولا هم ينصرون يوما يريد يوم القيمة لا تجزي لا تقضي عنها شيا من الحقوق
ومنه الحديث في جذعة بن دينار تجزي عنك ولا تجزي عن احد بعدك وشيا مفعول به ويجوز ان
يكون في موضع مصدر اي قليلا من الجزا لقوله تعالى ولا يظلمون شيا ومن قرا لا يجزي من اجزا
عنه اذا اغنى عنه فلا يكون في قراته الا بمعنى شيا من الاجزا وقرا ابو السرار الغنوي لا تجزي نسمة عن

تسمية

نسمية وهذه الجملة منصوبة المحل صفة ليوما فان قلت فاين العايد منها الى الموصوف قلت هو محذوف تقديره
لا تجزي فيه ونحوه ما انشده ابو علي، تروحي اجدر ان تقيلي، اي ما اجدر بان تقيلي فيه. ومنهم من ينزل فيقول اتسع فيه
فاجري مجرى المفعول به فحذف الجار ثم حذف الضمير كما حذف من قوله. ام مال اصابوا. ومعنى التنكير ان نفسا من
الانفس لا تجزي عن نفس شيا من الاشيا وهو الاقناط الكلي القطاع للمطامع وكذا قوله ولا يقبل منها شفاعة ولا يوخذ
منها عدل اي فدية لانها معادلة للمفدي ومنه الحديث لا يقبل منه صرف ولا عدل اي توبة ولا فدية وقرا قتادة ولا
يقبل منها شفاعة على بنا الفعل للفاعل وهو الله عز وجل ونصب الشفاعة. وقيل كانت اليهود تزعم ان اباءهم الانبيا يشفعون
لهم فايسوا فان قلت هل فيه دليل على ان الشفاعة لا تقبل للعصاة قلت نعم لانه نفى ان تقضي نفس عن نفس حقا
اخلت به من فعل او ترك ثم نفى ان تقبل منها شفاعة شفيع فعلم انها لا تقبل للعصاة فان قلت الضمير في ولا تقبل
منها الى اي النفسين يرجع قلت الى الثانية العاصية غير المجزي عنها وهي التي لا يوخذ منها عدل. ومعنى لا تقبل
منها شفاعة ان جات بشفاعة شفيع لم تقبل منها ويجوز ان ترجع الى النفس الاولى على انها لو شفعت لها لم تقبل
شفاعتها كما لا تجزي عنها شيا ولو اعطت عدلا عنها لم يوخذ منها. ولا هم ينصرون يعني ما دلت عليه النفس
المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى العباد والاناسي كما تقول ثلاثة انفس واذ نجيناكم من ال فرعون
يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم اصل ال اهل
ولذلك يصغر باهيل فابدلت هاوه الفا وخص استعماله باولي الخطر والشان كالملوك واشباههم فلا
يقال ال الاسكاف والحجام. وفرعون علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس. ولعتو
الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا وتجبر وفي ملح بعضهم، قد جاء موسى الكليم فزاد في، اقصى تفرعنه
وفرط عرامه. وقرى انجيناكم ونجيتكم. يسومونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما، قال عمرو بن كلثوم،
اذا ما الملك سام الناس خسفا، ابينا ان نقر الخسف فينا، واصله من سام السلعة اذا طلبها كانه بمعنى يبغونكم
سوء العذاب ويريدونكم عليه. والسوء مصدر السيء يقال اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما
ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيء اشده وافظعه كانه قبحه بالاضافة الى سايره. ويذبحون بيان لقوله
يسومونكم ولذلك ترك العاطف كقوله يضاهون قول الذين كفروا. وقرا الزهري يذبحون بالتخفيف كقوله
قطعت الثياب وقطعتها. وقرا عبد الله يقتلون وانما فعلوا بهم ذلك لان الكهنة انذروا فرعون بانه يولد
مولود يكون على يده هلاكه كما انذر نمرود فلم يغن عنهما اجتهادهما في التحفظ وكان ما شا الله. والبلا المحنة
ان اشير بذلكم الى صنيع فرعون والنعمة ان اشير به الى الانجا واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا ال
فرعون فرقنا فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم. وقرئ فرقنا بمعنى فصلنا يقال فرق بين الشيئين
وفرق بين الاشيا لان المسالك كانت اثني عشر على عدد الاسباط فان قلت ما معنى بكم قلت فيه اوجه ان يراد انهم
كانوا يسلكونه ويتفرق الما عند سلوكهم فكانما فرق بهم كما يفرق بين الشيئين بما يتوسط بينهما وان يراد فرقناه بسببكم
وبسبب انجائكم. وان يكون في موضع الحال بمعنى فرقناه ملتبسا بكم كقوله، تدوس بنا الجماجم والتريبا، اي تدوسها
ونحن راكبوها. وروي ان بني اسرائيل قالوا لموسى اين اصحابنا لا نراهم قال سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم
قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم اعني على اخلاقهم السيئة فاوحى الله اليه ان قل بعصاك هكذا فقال
بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم وانتم تنظرون الى ذلك وتشاهدونه ولا تشكون

فيه واذ واعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون لما دخل بنو اسرايل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله موسى ان ينزل عليه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل اربعين ليلة لان الشهور غررها بالليالي. وقرى واعدنا لان الله وعده الوحي ووعده هو المجي للميقات الي الطور من بعده من بعد مضيه الي الطور وانتم ظالمون باشراككم. ثم عفونا عنكم حين تبتم. من بعد ذلك من بعد ارتكابكم الامر العظيم وهو اتخاذكم العجل. لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا النعمة في العفو عنكم. الكتاب والفرقان يعني الكتاب الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل يعني التورية كقولك رايت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجراة ونحوه قوله تعالى ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وضيا وذكرا يعني الكتاب الجامع بين كونه فرقانا وضياء وذكرى او التورية والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصى واليد وغيرهما من الايات. او الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفراق البحر. وقيل النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله يوم الفرقان يريد به يوم بدر واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم حمل قوله فاقتلوا انفسكم على الظاهر وهو البخع وقيل معناه قتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتلوا العبدة وروي ان الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه فلم يمكنهم المضي لامر الله فارسل ضبابة وسحابة سودا لا يتباصرون تحتها وامروا ان يحتبوا بافنية بيوتهم وياخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم وقيل لهم اصبروا فلعن الله من مد طرفه او حل حبوته او اتقى بيد او رجل فيقولون امين فقتلوهم الى المسا حتى دعا موسى وهرون وقالا يا رب هلكت بنو اسرايل البقية البقية فكشفت السحابة ونزلت التوبة فسقطت الشفار من ايديهم فكانت القتلى سبعين الفا فان قلت ما الفرق بين الفاءات قلت الاولى للتسبيب لا غير لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب لان المعني فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم من قبل ان الله جعل توبتهم قتل انفسهم. ويجوز ان يكون القتل تمام توبتهم فيكون المعنى فتوبوا فاتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم والثالثة متعلقة بمحذوف ولا يخلوا اما ان ينتظم في قول موسى فيتعلق بشرط محذوف كانه قال فان فعلتم فقد تاب عليكم واما ان يكون خطابا من الله لهم على طريقة الالتفات فيكون التقدير ففعلتم ما امركم به موسى. فتاب عليكم بارئكم فان قلت من اين اختص هذا الموضع بذكر الباري قلت الباري هو الذي خلق الخلق بريا من التفاوت. ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ومميزا بعضه من بعض بالاشكال المختلفة والصور المتباينة فكان فيه تقريع بما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذي براهم بلطف حكمته على الاشكال المختلفة ابريا من التفاوت والتنافر الى عبادة البقرة التي هي مثل في الغباوة والبلادة في امثال العرب ابلد من ثور حتى عرضوا انفسهم لسخط الله ونزول امره بان يفك ما ركبه من خلقهم وينثر ما نظم من صورهم واشكالهم حين لم يشكروا النعمة في ذلك وغمطوها بعبادة من لا يقدر على شي منها واذ قلتم يا موسى لن نومن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون قيل القايلون السبعون الذين صعقوا وقيل قاله عشرة الاف منهم. جهرة عيانا وهي مصدر من قولك جهر بالقراة وبالدعا كان الذي يرى بالعين جاهر بالروية والذي يرى بالقلب مخافت بها وانتصابها على المصدر لانها نوع من الروية فنصبت بفعلها كما تنصب القرفصى بفعل الجلوس وعلى الحال بمعنى ذوي جهرة. وقري جهرة بفتح وهي اما مصدر كالغلبة واما جمع جاهر وفي هذا

الكلام

الكلام دليل على ان موسى عليه السلام رادهم القول وعرفهم ان رؤيته ما لا يجوز عليه ان يكون في جهة محال وان من استجاز على الله
الرؤية فقد جعله من جملة الاجسام او الاعراض فرادوه بعد بيان الحجة ووضوح البرهان ولجوا فكانوا في الكفر كعبدة
العجل فسلط عليهم الصعقة كما سلط على اوليك القتل تسوية بين الكفرين ودلالة على عظمهما بعظم المحنة • والصاعقة
ما صعقهم اي اماتهم قيل نار وقعت من السما فاحرقتهم وقيل صيحة جات من السما وقيل ارسل الله جنودا سمعوا بحسها
فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وموسى عليه السلام لم تكن صعقته موتا ولكن غشية بدليل قوله فلما افاق والظاهر
انه اصابهم ما ينظرون اليه لقوله وانتم تنظرون • وقرا علي رضي الله عنه فاخذتكم الصعقة • لعلكم تشكرون نعمة البعث
بعد الموت او نعمة الله بعد ما كفرتموها اذ رايتم باس الله في رميكم بالصاعقة واذاقتكم الموت وظللنا عليكم الغمام وانزلنا
عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون وظللنا وجعلنا الغمام
تظلكم وذلك في التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في
ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وينزل عليهم المن وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان
صاع ويبعث الله الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه كلوا على ارادة القول وما
ظلمونا يعني فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه واذ قلنا ادخلوا
هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد
المحسنين فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السما بما كانوا يفسقون ن
القرية بيت المقدس وقيل اريحا من قرى الشام امروا بدخولها بعد التيه • والباب باب القرية وقيل هو باب القبة
التي كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى امروا بالسجود عند الانتها الى الباب شكرا لله وتوا ضعا
وقيل السجود ان ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم بخشوع واخبات وقيل طوطي لهم الباب ليخفضوا رؤسهم
فلم يخفضوها ودخلوا متزحفين على اوراكهم • حطة فعلة من الحط كالجلسة والركبة وهي خبر مبتدا محذوف
اي مسيلتنا حطة او امرك حطة والاصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وانما رفعت لتعطي معنى الثبات
كقوله • صبر جميل فكلانا مبتلي • والاصل صبرا على اصبر صبرا وقرا ابن ابي عبلة بالنصب حطة في قراة من نصبها
على الاصل وقيل معناه امرنا حطة اي نحط في هذه القرية ونستقر فيها فان قلت هل يجوز ان تنصب حطة في
قراة من نصبها بقولوا على معنى قولوا هذه الكلمة قلت لا يبعد والاجود ان تنصب باضمار فعلها وينتصب محل
ذلك المضمر بقولوا وقرئ يغفر لكم على البنا للمفعول بالياء والتاء • وسنزيد المحسنين اي من كان محسنا منكم كانت تلك
الكلمة سببا في زيادة ثوابه ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة • فبدل الذين ظلموا اي وضعوا مكان حطة قولا غيرها
يعني انهم امروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه معنى ما امروا به ولم يمتثلوا امر الله
وليس الغرض انهم امروا بلفظ بعينه وهو لفظ الحطة فجاوا بلفظ اخر لانهم لو جاوا بلفظ اخر مستقل بمعنى ما امروا
به ولم يواخذوا به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب اليك او اللهم اعف عنا وما اشبه ذلك • وقيل قالوا
مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا اي حنطة حمرا استهزا منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب
ما عند الله الى طلب ما يشتهون من اغراض الدنيا • وفي تكرير الذين ظلموا زيادة في تقبيح امرهم وايذان بان انزال الرجز
عليهم لظلمهم وقد جا في سورة الاعراف فارسلنا عليهم على الاضمار • والرجز العذاب وقرئ بضم الراء وروي
انه مات منهم في ساعة بالطاعون اربعة وعشرون الفا وقيل سبعون الفا واذ استسقى موسى لقومه فقلنا

اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين عطشوا في التيه فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر واللام اما للعهد والاشارة الى حجر معلوم فقد روي انه حجر طوري حمله معه وكان حجرا مربعا له اربعة اوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاث اعين لكل سبط عين تسيل في جدول الى السبط الذي امران يسقيهم وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا وقيل اهبطه آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع الى شعيب فدفعه اليه مع العصا • وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل اذ رموه بالادرة ففر به فقال له جبريل يقول الله تعالى ارفع هذا الحجر فان لي فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته • واما للجنس اي اضرب الشيء الذي يقال له الحجر وعن الحسن لم يامره ان يضرب حجرا بعينه قال وهذا اظهر في الحجة وابين في القدرة وروي انهم قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض ليست فيها حجارة فحمل حجرا في مخلاته فحيث ما نزلوا القاه • وقيل كان يضربه بعصاه فينفجر فيضربه بها فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون • وقيل كان من رخام وكان ذراعا في ذراع وقيل كان مثل راس الانسان وقيل كان من اس الجنة طوله عشرة اذرع على طول موسى وله شعبتان تتقدان في الظلمة وكان يحمل على حمار • فانفجرت الفاء متعلقة بمحذوف اي فضرب فانفجرت او فان ضربت فقد انفجرت كما ذكرنا في قوله فتاب عليكم وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع الا في كلام بليغ • وقرئ عشرة بكسر الشين وبفتحها وهما لغتان • كل اناس كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها • كلوا على ارادة القول من رزق الله مما رزقكم الله من الطعام وهو المن والسلوى ومن ماء العيون وقيل الماء ينبت منه الزروع والثمار فهو رزق يوكل منه ويشرب • والعثي اشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم لانهم كانوا متمادين فيه

واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سالتم وضربت عليهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم فاجموا ما كانوا فيه من النعمة وطلبت انفسهم الشقاء • على طعام واحد ارادوا ما رزقوا في التيه من المن والسلوى فان قلت هما طعامان فما لهم قالوا على طعام واحد قلت ارادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل الوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها قيل لا ياكل فلان الا طعاما واحدا يراد بالوحدة نفي التبدل والاختلاف ويجوز ان يريدوا انهما ضرب واحد لانهما معا من طعام اهل التلذذ والترف ونحن قوم فلاحة اهل زراعات فما نريد الا ما الفناه وضرينا به من الاشياء المتفاوتة كالبقول والحبوب ونحو ذلك • ومعنى يخرج لنا يظهر لنا ويوجد والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايب البقول التي ياكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث واشباهها • وقرئ وقثائها بالضم • والفوم الحنطة ومنه فوموا لنا اي اختبزوا وقيل الثوم ويدل عليه قراءة ابن مسعود وثومها وهو للعدس والبصل اوفق • الذي هو ادنى الذي هو اقرب منزلة وادون مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار فيقال هو داني المحل وقريب المنزلة كما يعبر بالبعد عن عكس ذلك فيقال بعيد المحل وبعيد الهمة يريدون الرفعة والعلو • وقرا زهير الفرقبي ادنا بالهمزة من الدناءة • اهبطوا مصرا وقرئ اهبطوا بالضم اي انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج وبلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين وهي اثنا عشر فرسخا في ثمانية فراسخ • ويحتمل ان يريد العلم وانما صرفه مع اجتماع السببين فيه وهما التعريف والتانيث لسكون وسطه

كقوله نوحا ولوطا وفيهما العجمة والتعريف وان اريد به البلد فما فيه الا سبب واحد وان يريد مصرا من الامصار وفي مصحف عبدالله وقرابه الاعمش اهبطوا مصر بغير تنوين كقوله ادخلوا مصر وقيل هو مصرايم فعرب وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ضربت عليهم الذلة جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليهم او الصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازم كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه فاليهود صاغرون اذلا اهل مسكنة ومدقعة اما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة ان تضاعف عليهم الجزية • وباؤا بغضب من الله من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته له وكافاته اي صاروا احقا بغضبه • ذلك اشارة الى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والخلاقة بالغضب اي ذلك بسبب كفرهم وقتلهم للانبيا لا يكون الا بغير الحق فما فايدة ذكره قلت معناه انهم قتلوهم بغير الحق عندهم لانهم لم يقتلوا ولا افسدوا في الارض فيقتلوا وانما نصحوهم ودعوهم الى ما ينفعهم فقتلوهم فلو سيلوا وانصفوا من انفسهم لم يذكروا وجها يستحقون به القتل عندهم • وقرا علي رضي الله عنه ويقتلون بالتشديد • ذلك تكرير للاشارة • بما عصوا بسبب ارتكابهم انواع المعاصي واعتدايهم حدود الله في كل شي مع كفرهم بايات الله وقتلهم الانبيا • وقيل هو اعتداهم في السبت ويجوز ان يشار بذلك الى الكفر وقتل الانبيا على معنى ان ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم لانهم انهمكوا فيهما وعلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الايات وقتل الانبيا او ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى والصابين من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ان الذين امنوا بالسنتهم من غير مواطات القلوب وهم المنافقون • والذين هادوا والذين تهودوا يقال هاد يهود وتهود اذا دخل في اليهودية وهو هايد والجمع هود • والنصارى هم جمع نصران يقال رجل نصران وامراة نصرانة قال ، نصرانة لم تحنف • والياء في نصراني للمبالغة كالتي في احمري سموا لانهم نصروا المسيح • والصابئين وهو من صبا اذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملايكة • من امن من هولاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل في ملة الاسلام دخولا اصيلا وعمل صالحا فلهم اجرهم الذي يستوجبونه بايمانهم وعملهم فان قلت ما محل من امن قلت الرفع ان جعلته مبتدا خبره فلهم اجرهم والنصب ان جعلته بدلا من اسم ان والمعطوف عليه فخبر ان في الوجه الاول الجملة كما هي وفي الثاني فلهم والفا لتضمن من معنى الشرط واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين واذ اخذنا ميثاقكم بالعمل على ما في التورية • ورفعنا فوقكم الطور حتى قبلتم واعطيتم الميثاق وذلك ان موسى صلوات الله عليه وسلامه جاهم بالواح فراوا ما فيها من الاصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبريل فقلع الطور من اصله ورفعه فظلله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا القي عليكم حتى قبلوا • خذوا على ارادة القول

وقد قتلت اليهود لعنوا شعياء وزكريا ويحيى وغيرهم فان قلت قتل الانبياء

ما آتيناكم بقوة من الكتاب • بقوة بجد وعزيمة • واذكروا ما فيه واحفظوا ما في الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عليه • لعلكم تتقون رجاء منكم ان تكونوا متقين او قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا • ثم توليتم ثم اعرضتم عن الميثاق والوفاء به • فلولا فضل الله عليكم بتوفيقكم للتوبة لخسرتم وقرئ خذوا ما آتيناكم وتذكروا واذكروا
ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت وان ناسا منهم اعتدوا فيه اي جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد وذلك ان الله ابتلاهم فما كان يبقى حوت في البحر الا اخرج خرطومه يوم السبت فاذا مضى تفرقت كما قال الله تعالى تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم • قردة خاسئين خبران اي كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد فجعلناها يعني المسخة • نكالا عبرة تنكل من اعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل القيد • لما بين يديها لما قبلها وما خلفها وما بعدها من الامم والقرون لان مسختهم ذكرت في كتب الاولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين او اريد بما بين يديها ما بحضرتها من القرى والامم وقيل نكالا عقوبة منكلة لما بين يديها لاجل ما تقدمها من ذنوبهم وما تأخر منها • وموعظة للمتقين الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم او لكل متق سمعها كان في بني اسرائيل شيخ موسر وإذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين كان في بني اسرائيل شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاؤوا يطالبون بديته فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيا فيخبرهم بقاتله • قالوا أتتخذنا هزوا اتجعلنا مكان هزو او اهل هزو او مهزوا بنا والهزو نفسه لفرط الاستهزاء • من الجاهلين لان الهزو في مثل هذا من باب الجهل والسفه وقرئ هزؤا بضمتين وهزءا بسكون الزاي نحو كفؤا وكفءا • وقرأ حفص هزوا بالضمتين والواو وكذلك كفوا • والعياذ واللياذ من واد واحد قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون في قراءة عبد الله سل لنا ربك • ما هي سؤال عن حالها وصفتها وذلك انهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيا فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشان الخارجة عما عليه البقر والفارض ض
المسنة وقد فرضت فروضا فهي فارض قال خفاف بن ندبة • لعمري لقد اعطيت ضيفك فارضا • تساق اليه ما تقوم على رجل • وكأنها سميت فارضا لانها فرضت سنها اي قطعتها وبلغت آخرها • والبكر الفتية • والعوان النصف قال • نواعم بين ابكار وعون • وقد عونت فان قلت بين تقتضي شيئين فصاعدا فمن اين جاز دخولها على ذلك قلت لانه في معنى شيئين حيث وقع مشارا به الى ما ذكر من الفارض والبكر فان قلت كيف جاز ان يشار به الى شيئين مؤنثين وانما هو للاشارة الى واحد مذكر قلت جاز ذلك على تأويل ما ذكر وما تقدم للاختصار في الكلام كما جعلوا افعل نائبا عن افعال جمة تذكر قبله تقول للرجل نعم ما فعلت وقد ذكر لك افعالا كثيرة وقصة طويلة كما تقول له ما احسن ذلك وقد يجري الضمير مجرى اسم الاشارة في هذا قال ابو عبيدة • قلت لرؤبة في قوله • فيها خطوط من سواد وبلق • كأنه في الجلد توليع البهق • ان اردت الخطوط فقل كأنها وان اردت السواد والبلق فقل كأنهما فقال اردت كأن ذاك ويلك • والذي حسن منه ان

اسما الاشارة تثنيتها وجمعها وتانيثها ليست على الحقيقة وكذلك الموصولات ولذلك جا الذي بمعنى الجمع • ما يؤمرون اي
ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله امرتك الخير او امركم بمعنى مامورکم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير قالوا
ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفرا فاقع لونها تسر الناظرين الفقوع اشد ما يكون
من الصفرة وانصعه يقال في التوكيد اصفر فاقع ووارس كما يقال اسود حالك وحانك وابيض يقق ولهق واحمر قانی ورد ديجي
واخضر ناضر ومدهام • واورق خطباني وارمك رداني • فان قلت فاقع هنا واقع خبرا عن اللون فلم يقع توكيدا
لصفرا قلت لم يقع خبرا عن اللون انما وقع توكيدا لصفرا الا انه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل واللون من سببها
وملتبس بها فلم يكن فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفرا فاقع لونها فان قلت فهلا قيل صفرا فاقعة واي فايدة
في ذكر اللون قلت الفايدة فيه التوكيد لان اللون اسم للهيئة وهي الصفرة فكانه قيل شديدة الصفرة صفرتها
فهو من قولك جد جده وجنونك مجنونه • وعن وهب اذا نظرت اليها خيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها • والسرور
لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه • وعن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفرا قل همه لقوله تسر الناظرين • وعن
الحسن البصري صفرا فاقع لونها سودا شديدة السواد ولعله مستعار من صفة الابل لان سوادها تعلوه صفرة
وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر وقال الاعشى ، تلك خيلي منه وتلك ركابي ، هن صفر اولادها كالزبيب ،
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شا الله لمهتدون قال انه يقول انها بقرة لا ذلول
تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جيت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون
ما هي مرة ثانية تكرير للسوال عن حالها وصفتها واستكشاف زايد ليزدادوا بيانا لوصفها • وعن النبي صلى الله عليه وسلم
لو اعترضوا ادني بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصا شوم • وعن بعض الخلفا انه كتب
الى عامله بان يذهب الى قوم فيقطع اشجارهم ويهدم دورهم فكتب اليه بايهما ابدا فقال ان قلت لك بقطع الشجر سالتني باي
نوع منها ابدا • وعن عمر بن عبد العزيز اذا امرتك ان تعطي فلانا شاة سالتني اضان ام ماعز فان بينت لك قلت اذكر
ام انثى فان اخبرتك قلت اسودا ام بيضا فاذا امرتك بشي فلا تراجعني • وفي الحديث اعظم الناس جرما من
سال عن شي لم يحرم فحرم لاجل مسالته • ان البقر تشابه علينا اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير
فاشتبه علينا ايها نذبح • وقرى تشابه بمعنى تتشابه بطرح التا وادغامها في الشين وتشابهت ومتشابهة ومتشا به
وقرا محمد ذو الشامة ان الباقر يشابه بالياء والتشديد • جا في الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم اخر الابد •
اي لو لم يقولوا ان شا الله والمعنى انا لمهتدون الى البقرة المراد ذبحها او الى ما خفي علينا من امر القاتل • لا ذلول
صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعني لم تذلل للكراب واثارة الارض ولا هي من النواضح التي يسنى عليها لسقي
الحروث • ولا الاولى للنفي والثانية مزيدة لتاكيد الاولى لان المعنى لا ذلول تثير وتسقي على ان الفعلين صفتان
لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية • وقرا ابو عبد الرحمن السلمي لا ذلول بمعنى لا ذلول هناك اي حيث هي وهو نفي
لذلولها وان توصف به فيقال هي ذلول ونحوه قولك مررت برجل بقوم لا بخيل ولا جبان اي فيهم او حيث هم
وقرى تسقي بالناس اسقي • مسلمة سلمها الله من العيوب او معفاة من العمل سلمها اهلها منه كقوله ، ، ،
او معبرا لظهر ينبي عن وليته ، ما حج ربه في الدنيا ولا اعتمرا ، او مخلصة اللون من سلم له كذا اذا خلص له لم تشب
صفرتها شي من الالوان • لا شية فيها لا لمعة في نقبتها من لون اخر سوى الصفرة فهي صفراء كلها حتى قرنها
وظلفها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا اخر ومنه ثور موشي القوايم • الآن جيت

بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وما بقي اشكال في امرها. فذبحوها اي فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف كلها فذبحوها
وقوله. وما كادوا يفعلون استثقال لاستقصائهم واستبطاء لهم وانهم لتطويلهم المفرط وكثرة استكشافهم ما كادوا
يذبحونها وما كادت تنتهي سؤالاتهم وما كاد ينقطع خيط اسهابهم فيها وتعمقهم وقيل وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل
لخوف الفضيحة في ظهور القاتل. وروي انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني
استودعكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت وكانت من احسن البقر واسمنه فساوموها اليتيم وامه حتى
اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة اربعين سنة
فان قلت كانت البقرة التي تناولها الامر بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بلون وصفات
فذبحوا المخصوصة فما فعل الامر الاول. قلت رجع منسوخا لانتقال الحكم الى البقرة المخصوصة والنسخ قبل الفعل
جائز على ان الخطاب كان لابهامه متناولا لهذه البقرة المخصوصة الموصوفة كما تناول غيرها ولو وقع الذبح عليها
بحكم الخطاب قبل التخصيص لكان امتثالا له فكذلك اذا وقع عليها بعد التخصيص واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها
والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم اياته لعلكم تعقلون
واذ قتلتم نفسا خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم. فادارأتم فاختلفتم واختصمتم في شانها لان المتخاصمين
يدرأ بعضهم بعضا اي يدفعه ويزحمه او تدافعتم بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فدفع المطروح عليه الطارح او
لان الطرح في نفسه دفع او دفع بعضكم بعضا عن البراءة واتهمه. والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهر لا محالة ما
كتمتم من امر القتل لا يتركه مكتوما فان قلت كيف اعمل مخرج وهو في معنى المضي قلت قد حكى ما كان مستقبلا
في وقت التدارؤ كما حكى الحاضر في قوله باسط ذراعيه وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وهما فادارأتم
فقلنا والضمير في اضربوه اما ان يرجع الى النفس والتذكير على تاويل الشخص والانسان واما الى القتيل لما دل
عليه من قوله ما كنتم تكتمون. ببعضها ببعض البقرة واختلف في البعض الذي ضرب به فقيل لسانها وقيل فخذها
اليمنى وقيل عجبها وقيل العظم الذي يلي الغضروف وهو اصل الاذن وقيل الاذن وقيل البضعة بين الكتفين
والمعنى فضربوه فحيي فحذف ذلك لدلالة قوله كذلك يحيي الله الموتى. روي انهم لما ضربوه قام باذن الله واوداجه جه
تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتا فاخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك. كذلك يحيي الله
الموتى اما ان يكون خطابا للذين حضروا حياة القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيمة. ويريكم
اياته ودلائله على انه قادر على كل شيء. لعلكم تعقلون تعملون على قضية عقولكم وان من قدر على احياء نفس
واحدة قدر على احياء الانفس كلها لعدم الاختصاص حتى لا تنكروا البعث واما ان يكون خطابا للمنكرين في زمن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قلت هلا احياه ابتداء ولم شرط في احيائه ذبح البقرة وضربه ببعضها قلت
في الاسباب والشروط حكم وفوائد وانما شرط ذلك لما في ذبح البقرة من التقرب واداء التكليف واكتساب الثواب
والاشعار بحسن تقديم القربة على الطلب وما في التشديد عليهم لتشديدهم من اللطف لهم ولاخرين في ترك التشديد
والمسارعة الى امتثال اوامر الله وارتسامها على الفور من غير تفتيش وتكثير سؤال ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة
والدلالة على بركة البر بالوالدين والشفقة على الاولاد وتجهيل الهازئ بما لا يعلم كنهه ولا يطلع على حقيقته
من كلام الحكماء وبيان ان من حق المتقرب الى ربه ان يتنوق في اختيار ما يتقرب به وان يختاره فتي السن غير قحم
ولا ضرع حسن اللون بريا من العيوب يونق من ينظر اليه وان يغالي بثمنه كما يروى عن عمر رضي الله عنه انه ضحى

بنجيبة

بنجيبة بثلثماية دينار وان الزيادة في الخطاب نسخ له وان النسخ قبل الفعل جايز وان لم يجز قبل وقت الفعل وامكانه لاداا
الى البدا وليعلم بما امره من مس الميت بالميت وحصول الحياة عقيبه ان الموثر هو المسبب لا الاسباب لان الموتين الحاصلين
في الجسمين لا يعقل ان يتولد منهما حياة فان قلت فما للقصة ان تقص على ترتيبها وكان حقها ان يقدم ذكر القتيل والضرب
ببعض البقرة على الامر بذبحها وان يقال واذ قتلتم نفسا فادارتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها قلت
كلما قص من قصص بني اسرائيل انما قص تعديدا لما وجد منهم من الجنايات وتقريعا لهم عليها ولما جدد فيهم من الايات
العظام وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين متحدتين فالاولى لتقريعهم
على الاستهزا وترك المسارعة الى الامتثال وما يتبع ذلك والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الاية العظيمة
وانما قدمت قصة الامر بذبح البقرة على ذكر القتيل لانه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض في تثنية التقريع
ولقد روعيت نكتة بعد ما استونفت الثانية استينافا قصة برأسها ان وصلت بالاولى دلالة على اتحادهما بضمير البقرة
لا باسمها الصريح في قوله اضربوه ببعضها حتى يتبين انهما قصتان فيما يرجع الى التقريع وتثنيته باخراج الثانية مخرج
الاستيناف مع تاخيرها وانها قصة واحدة بالضمير الراجع الى البقرة ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة
او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الما وان منها لما يهبط
من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون معنى ثم قست قلوبكم استبعاد القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب
ورقتها ونحوه ثم انتم تمترون وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار وان المواعظ لا تؤثر فيها.
وذلك اسم اشارة الى احيا القتيل او الى جميع ما تقدم من الايات المعدودة. فهي كالحجارة فهي في قسوتها مثل الحجارة. او اشد
قسوة منها واشد معطوف على الكاف اما على معنى او مثل اشد قسوة فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وتعضده قراة
الاعمش بنصب الدال عطفا على الحجارة واما على او هي في نفسها اشد قسوة والمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او
بجوهر اقسى منها وهو الحديد مثلا او من عرفها شبهها بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة فان قلت لم قيل هي اشد
قسوة وفعل القسوة مما يخرج عنه افعل التفضيل وفعل التعجب قلت لكونه ابين وادل على فرط القسوة ووجه اخر
وهو ان لا يقصد معنى الاقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة كانه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم اشد
قسوة وقرئ قساوة وترك ضمير المفضل عليه لعدم الالباس كقولك زيد كريم وعمرو اكرم وقوله. وان من الحجارة
بيان لفضل قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة وتقرير لقوله او اشد قسوة وقرئ وان بالتخفيف وهي ان المخففة
من الثقيلة التي تلزمها اللام الفارقة ومنها قوله وان كل لما جميع. والتفجر التفتح بالسعة والكثرة وقرا مالك بن
دينار ينفجر بالنون. يشقق يتشقق وبه قرا الاعمش والمعنى وان من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الما
الكثير الغزير ومنها ما ينشق انشقاقا بالطول او بالعرض فينبع منه الما ايضا. يهبط يتردى من اعلا الجبل وقرئ
بضم البا. والخشية مجاز عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع على ما يريد فيها وقلوب هولاء لا تنقاد ولا تفعل ما
امرت به. وقرئ يعملون باليا والتا وهو وعيد افتطمعون ان يومنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام
الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين. ان يومنوا
لكم ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله فامن له لوط يعني اليهود. وقد كان فريق منهم طايفة
منهم ممن سلف منهم. يسمعون كلام الله وهو ما يتلونه من التورية. ثم يحرفونه كما حرفوا صفة رسول الله صلى
الله عليه وسلم واية الرجم وقيل كان قوم من السبعين المختارين سمعوا كلام الله تعالى حين كلم موسى عليه السلام

ج

ب

بالطور وما امر به ونهي ثم قالوا سمعنا اسه يقول في اخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشيا فافعلوا وان شيتم لا تفعلوا
فلا باس وقري كلم اسه ٭ من بعد ما عقلوه من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم ولم يبق لهم شبهة في صحته ٭ وهم يعلمون
انهم كاذبون مفترون ٭ والمعني ان كفر هولاء وحرفوا فلهم سابقة في ذلك واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلا
بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح اسه عليكم ليحاجوكم به عند ربكم افلا تعقلون اولا يعلمون ان اسه
يعلم ما يسرون وما يعلنون واذا لقوا يعني اليهود ٭ قالوا قال منافقوهم ٭ امنا بانكم على الحق وان محمدا هو الرسول
المبشر به ٭ واذا خلا بعضهم الذين لم ينافقوا ٭ الى بعض الذين نافقوا قالوا عاتبين عليهم ٭ اتحدثونهم بما فتح الله
عليكم بما بين لكم في التورية من صفة محمد وقال المنافقون لاعقابهم يرونهم التصلب في دينهم اتحدثونهم انكارا عليهم
ان يفتحوا عليهم شيا في كتابهم فينافقون المومنين وينافقون اليهود ٭ ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم
في كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم هكذا محاجة عند اسه الا تراك تقول هو في كتاب اسه هكذا وهو عند
اسه هكذا بمعني واحد ٭ يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان ومنهم اميون
لا يعلمون الكتاب الا اماني وان هم الا يظنون ومنهم اميون لا يحسنون الكتب فيطالعوا التورية ويتحققوا ما فيها
هم لا يعلمون الكتاب التورية ٭ الا اماني الا ما هم عليه من امانيهم وان اسه يعفو عنهم ويرحمهم ولا يواخذهم بخطاياهم
وان اباهم الانبيا يشفعون لهم وما تمنيهم احبارهم من ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة وقيل الا اكاذيب مختلفة
سمعوها من علمايهم فتقبلوها على التقليد ٭ قال اعرابي لابن داب في شي حدث به اهذا شي رويته ام تمنيته اي
اختلقته وقيل الا ما يقرون من قوله ، تمنى كتاب اسه اول ليلة ، والاشتقاق من منى اذا قدر لان المتمني يقدر في
نفسه ويحرر ما يتمناه وكذا المختلق والقاري يقدر ان كلمة كذا بعد كذا ٭ والا اماني من الاستثنا المنقطع ٭ وقري
اماني بالتخفيف ٭ ذكر العلما الذين عاندوا بالتحريف مع العلم والاستيقان ثم العوام الذين قلدوهم ونبه على
انهم في الضلال سوا لان العالم عليه ان يعمل بعلمه وعلى العامي ان لا يرضي بالتقليد والظن وهو متمكن من العلم
فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند اسه ليشتروا به ثمنا قليلا
فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون يكتبون الكتاب المحرف بايديهم تاكيد وهو من
مجاز التوكيد كما تقول لمن ينكر معرفة ما كتبه ٭ يا هذا كتبته بيمينك هذه ٭ مما يكسبون من الرشا ٭ ايهما
وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة قل اتخذتم عند اسه عهدا فلن يخلف اسه عهده ام تقولون على
اسه ما لا تعلمون بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاوليك اصحاب النار هم فيها خالدون
والذين امنوا وعملوا الصالحات اوليك اصحاب الجنة هم فيها خالدون اياما معدودة اربعين يوما عدد
ايام عبادة العجل وعن مجاهد كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب مكان كل الف يوما ٭ فلن يخلف متعلق
بمحذوف تقديره ان اتخذتم عنده عهدا فلن يخلف اسه عهده ٭ وام اما ان تكون معادلة بمعني اي الامرين كاين على سبيل التقرير
لان العلم واقع بكون احدهما ويجوز ان تكون منقطعة بلى اثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا النار اي بلى تمسكم ابدا بدليل
قوله هم فيها خالدون ٭ من كسب سيئة من السيات يعني كبيرة من الكباير ٭ واحاطت كما يحيط العدو ولم ينفص عنها بالتوبة وقري به خطيئته تملك واستولت عليه صح
وقري خطاياه وخطياته وقيل في الاحاطة كان ذنبه اغلب من طاعته وسال رجل الحسن عنها فقال سبحان اسه الا اراك ذا لحية
وما تدري ما الخطية انظر في المصحف فكل اية نهاك فيها اسه عنها واخبرك انه من عمل بها ادخله النار فهي الخطية المحيطة واذ
اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا

للناس

للناس حسنا واقيموا الصلوة واتوا الزكوة ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون لا تعبدون اخبار في معنى
النهي كما تقول تذهب الى فلان تقول له كذا تريد الامر وهو ابلغ من صريح الامر والنهي لانه كانه سورع الى الامتثال والانتهاء
فهو يخبر عنه وتنصره قراءة عبد الله وابي لا تعبدوا ولا بد من ارادة القول ويدل عليه ايضا قوله وقولوا وقوله
بالوالدين احسانا اما ان يقدر وتحسنون بالوالدين او واحسنوا وقيل هو جواب قوله اخذنا ميثاق بني اسرائيل اجراء
له مجرى القسم كانه قيل واذ اقسمنا عليهم لا تعبدون وقيل معناه ان لا تعبدوا فلما حذفت ان رفع كقوله
الا ايهاذا الزاجري احضر الوغا ويدل عليه قراءة عبد الله ان لا تعبدوا ويحتمل ان لا تعبدوا ان تكون ان فيه مفسرة
وان تكون ان مع الفعل بدلا عن الميثاق كانه قيل اخذنا ميثاق بني اسرائيل توحيدهم وقرئ بالتاء حكاية لما خوطبوا
به وبالياء لانهم غيب. حسنا قولا هو حسن في نفسه لافراط حسنه وقرئ حسنا وحسنى على المصدر كبشرى.
ثم توليتم على طريقة الالتفات اي توليتم عن الميثاق ورفضتموه. الا قليلا منكم قيل هم الذين اسلموا منهم
وانتم معرضون وانتم قوم عادتكم الاعراض عن المواثيق والتولية واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم
ولا تخرجون انفسكم من دياركم ثم اقررتم وانتم تشهدون ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا
منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان ياتوكم اسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم
افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا ويوم القيمة
يردون الى اشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا
يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم لا يفعل ذلك بعضكم ببعض
جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا او دينا وقيل اذا قتل غيره فكانما قتل نفسه لانه يقتص منه. ثم اقررتم بالميثاق
واعترفتم على انفسكم بلزومه. وانتم تشهدون عليها كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها وقيل وانتم تشهدون
اليوم يا معشر اليهود على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق. ثم انتم هؤلاء استبعاد لما اسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان
بعد اخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم والمعنى ثم انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون يعني انكم قوم اخرون غير اولئك
المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول رجعت بوجه غير الوجه الذي خرجت به وقوله. تقتلون بيان لقوله
ثم انتم هؤلاء وقيل هؤلاء موصول بمعنى الذي وقرئ تظاهرون بحذف التاء وادغامها وتتظاهرون باثباتها وتظهرون
بمعنى تتظهرون اي تتعاونون عليهم وقرئ تفدوهم وتفادوهم واسرى واسارى وهو ضمير الشان ويجوز ان يكون مبهما
تفسيره اخراجهم. افتؤمنون ببعض الكتاب اي بالفداء. وتكفرون ببعض اي بالقتال والاجلاء وذلك ان قريظة كانوا حلفاء
الاوس والنضير حلفاء الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه واذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم واذا اسر رجل من الفريقين
جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا
نستحيي ان نذل حلفاءنا. الا خزي قتل بني قريظة واسرهم واجلاء بني النضير وقيل الجزية وانما رد من فعل ذلك منهم الى اشد
العذاب لان عصيانه اشد وقرئ تردون وتعملون بالياء والتاء. فلا يخفف عنهم عذاب الدنيا بنقصان الجزية. ولا هم ينصرون هم
احد بالدفع عنهم وكذلك عذاب الاخرة ولقد اتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل واتينا عيسى بن مريم
البينات وايدناه بروح القدس افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون
وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون الكتاب التورية اتاه اياها جملة واحدة ويقال
قفاه اذا اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وقفاه به اتبعه اياه يعني وارسلنا على اثره الكثير من الرسل كقوله ثم ارسلنا

رسلنا تترى وهم يوشع • واشمويل • وشمعون • وداود • وسليمان • وشعيا • وارميا • وعزير • وحزقيل • والياس • واليسع
ويونس • وزكريا • ويحيى • وغيرهم • وقيل عيسى بالسريانية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وقيل المريم بالعربية من النساء كالزير
من الرجال وبه فسر قول روبة قلت لزيرلم تصله مريمه • ووزن مريم عند النحويين مفعل لان فعيلا بفتح الفا لم يثبت الابنية
الابنية كما ثبت نحو عثير وعليب • البينات المعجزات الواضحات والحجج كاحيا الموتى وابرا الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات
وقرى وايدناه ومنه آجده بالجيم اذا قواه يقال الحمد لله الذي آجدني بعد ضعف واوجدني بعد فقر • بروح القدس
بالروح المقدسة كما تقول حاتم الجود ورجل صدق ووصفها بالقدس كما قال وروح منه فوصفه بالاختصاص والتقريب
للكرامة وقيل لانه لم تضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث • وقيل بجبريل وقيل بالانجيل كما قال في القران روحا من امرنا وقيل
باسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره والمعنى ولقد اتينا يا بني اسرائيل انبياكم ما اتيناهم • افكلما جاكم رسول منهم بالحق
استكبرتم عن الايمان به فوسط بين الفا وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجيب من شانهم ويجوز ان يريد ولقد اتيناهم
ما اتيناهم ففعلتم ما فعلتم ثم وبخهم على ذلك ودخول الفا لعطفه على المقدر فان قلت هلا قيل وفريقا قتلتم
قلت هو على وجهين ان يراد الحال الماضية لان الامر فظيع فاريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب وان
يراد وفريقا تقتلونهم بعد لانكم تحومون حول قتل محمد لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة • وقال
عليه السلام عند موته ما زالت اكلة خيبر تعادني فهذا اوان قطعت ابهري • غلف جمع اغلف اي هي خلقة وجبلة
مغشاة باغطية لا يتوصل اليها ما جا به محمد ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه
ثم رد الله ان تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق بان الله لعنهم وخذلهم بسبب كفرهم
فهم الذين غلفوا قلوبهم بما احدثوا من الكفر الزايغ عن الفطرة وتسببوا بذلك لمنع الالطاف التي تكون للمتوقع ايمانهم وللمومنين
فقليلا ما يومنون فايمانا قليلا يومنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب ويجوز ان تكون القلة بمعنى العدم وقيل
غلف تخفيف غلف جمع غلاف اي قلوبنا اوعية للعلم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره • وروي عن ابي عمرو قلوبنا غلف
بضمتين فلما جاهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاهم ما عرفوا
كفروا به فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على
من يشا من عباده فباوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين كتاب من عند الله هو القران مصدقا لما معهم
من كتابهم لا يخالفه وقرى مصدقا على الحال فان قلت كيف جاز نصبها على النكرة قلت اذا وصف النكرة تخصص فصح
انتصاب الحال عنه وقد وصف كتاب بقوله من عند الله وجواب لما محذوف وهو نحو كذبوا به واستهانوا بمجيه وما اشبه ذلك
يستفتحون على الذين كفروا يستنصرون على المشركين اذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان وقيل معنى
يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة اي يسالون انفسهم الفتح في استعجب
واستسخر او يسال بعضهم بعضا ان يفتح عليهم • فلما جاهم ما عرفوا من الحق كفروا به بغيا وحسدا وحرصا
على الرياسة الكافرين اي عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة على ان اللعنة لحقتهم لكفرهم واللام للعهد ان تكون
للجنس ويدخلوا فيه دخولا اوليا • ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل • بئس بمعنى بئس شيا اشتروا به انفسهم
والمخصوص بالذم • ان يكفروا واشتروا بمعنى باعوا بغيا وحسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة اشتروا • ان ينزل
لان ينزل او على ان ينزل اي حسدوه على ان ينزل الله من فضله الذي هو الوحي • على من يشاء وتقتضي حكمته ارساله
فباوا بغضب على غضب فصاروا احقا بغضب مترادف لانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد بعد

الزمان الذي كان محمد نعته وصفته في التورية ويقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم صح

عليهم كالسابق صح

على صح

ت

عيسى

عيسى عليهما الصلاة والسلام وقتيل محمد وقولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من انواع كفرهم وإذا قيل لهم آمنوا
بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء
الله من قبل إن كنتم مؤمنين ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون بما أنزل الله
مطلق فيما أنزل الله من كل كتاب قالوا نؤمن بما أنزل علينا مقيد بالتورية ويكفرون بما وراءه قالوا ذلك والحال انهم
يكفرون بما وراء التورية وهو الحق مصدقا لما معهم منها غير مخالف له وفيه رد لمقالتهم لانهم اذا كفروا بما يوافق
التورية فقد كفروا بها ثم اعترض عليهم بقتلهم الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتورية والتورية لا تسوغ قتل الانبياء
وانتم ظالمون يجوز ان يكون حالا اي عبدتم العجل وانتم واضعون العبادة غير موضعها وان يكون اعتراضا بمعنى وانتم قوم
عادتكم الظلم وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا
وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين وكرر رفع الطور
لما نيط به من زيادة ليست مع الاولى مع ما فيه من التوكيد واسمعوا ما امرتم به في التورية قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك
فان قلت كيف طابق قوله جوابهم قلت طابقه من حيث انه قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة
فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة وأشربوا في قلوبهم العجل اي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب
الصبغ وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله عز وجل إنما يأكلون في بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم قل
بئس ما يأمركم به ايمانكم بالتورية لانه ليس في التورية عبادة العجاجيل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم كما قال
قوم شعيب أصلواتك تأمرك أن نترك وكذلك اضافة الايمان اليهم وقوله إن كنتم مؤمنين تشكيك في ايمانهم
وقدح في صحة دعواهم له قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم
صادقين ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين خالصة نصب على الحال من الدار الآخرة
والمراد الجنة اي سالمة لكم خاصة بكم ليس لاحد سواكم فيها حق يعني ان صح قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا
او نصارى والناس للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون فتمنوا الموت لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاق اليها وتمنى
سرعة الوصول الى النعيم والتخلص من الدار ذات الشوائب كما روي عن المبشرين بالجنة ما روي كان علي رضي
الله عنه يطوف بين الصفين في غلالة فقال له ابنه الحسن رضي الله عنه ما هذا بزي المحاربين فقال يا بني لا يبالي
ابوك أسقط على الموت ام عليه سقط الموت وعن حذيفة انه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقة لا افلح
من ندم يعني على التمني وقال عمار بصفين الآن ألاقي الاحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة
يحب الموت ويحن اليه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي
على وجه الارض يهودي بما قدمت ايديهم بما اسلفوا من موجبات النار من الكفر بمحمد عليه السلام وما جاء به وتحريف
كتاب الله وسائر انواع الكفر والعصيان وقوله ولن يتمنوه ابدا من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما اخبر به
كقوله تعالى ولن تفعلوا فان قلت ما ادريك انهم لم يتمنوا قلت لانهم لو تمنوا لنقل ذلك كما نقل سائر
الحوادث ولكان ناقلوه من اهل الكتاب وغيرهم من اولي المطاعن في الاسلام اكثر من الذر وليس منهم احد نقل ذلك
فان قلت التمني من اعمال القلوب وهو سر لا يطلع عليه احد فمن اين علمت انهم لم يتمنوا قلت
ليس التمني من اعمال القلوب انما هو قول الانسان بلسانه ليت لي كذا اذا قاله قالوا تمنى وليت كلمة التمني ومحال ان
يقع التحدي بما في القلوب والضمائر ولو كان التمني بالقلوب وتمنوا لقالوا قد تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل انهم

قالوا ذلك فإن قلت لم يقولوا لأنهم علموا أنهم لا يصدقون قلت كم حكي عنهم من أشياء قاوروا بها المسلمين من الافتراء على الله
وتحريف كتابه وغير ذلك مما علموا أنهم غير مصدقين فيه ومما لا محمل له إلا الكذب البحت ولم يبالوا فكيف يمتنعون من أن يقولوا
إن التمني من أفعال القلوب • وقد نقلناه من الخيال أن يكونوا صادقين في قولهم وإخبارهم عن ضمائرهم وكان الرجل
يخبر عن نفسه بالإيمان فيصدق مع احتمال أن يكون كاذبا لأنه أمر خاف لا سبيل إلى الاطلاع عليه • والله عليم بالظالمين
تهديد لهم • ولتجدنهم أحرص الناس على حيوة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من
العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون • هو من وجد بمعنى علم المتعدي إلى مفعولين في قولهم وجدت زيدا
ذا الحفاظ ومفعولاه هم أحرص فإن قلت لم قال على حيوة بالتنكير قلت لأنه أراد حيوة مخصوصة وهي الحياة
المتطاولة • ولذلك كانت القراءة بها أوقع من قراءة أبي على الحيوة • ومن الذين أشركوا محمول على المعنى لأن معنى أحرص الناس
أحرص من الناس فإن قلت ألم يدخل الذين أشركوا تحت الناس قلت بلى ولكنهم أفردوا بالذكر لأن حرصهم
شديد • ويجوز أن يراد وأحرص من الذين أشركوا فحذف لدلالة أحرص الناس عليه • وفيه توبيخ عظيم ~~لأن من له كتاب~~
~~وهو مقر بالجزاء~~ لأن الذين أشركوا لا يؤمنون بعاقبة • وما يعرفون إلا الحيوة الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد لأنها جنتهم
فإذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا بأعظم التوبيخ • فإن قلت لم زاد حرصهم
على حرص المشركين قلت لأنهم علموا لعلمهم بحالهم أنهم صائرون إلى النار لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك •
وقيل أراد بالذين أشركوا المجوس لأنهم كانوا يقولون لملوكهم • عش ألف نيروز وألف مهرجان • وعن ابن
عباس رضي الله عنهما هو قول الأعاجم زي هزار سال • وقيل ومن الذين أشركوا كلام مبتدأ أي ومنهم ناس يود
أحدهم على حذف الموصوف كقوله عز وجل • وما منا إلا له مقام معلوم • والذين أشركوا على هذا مشار به إلى
اليهود لأنهم قالوا عزير ابن الله • والضمير في وما هو لأحدهم وأن يعمر فاعل ~~وما هو~~ بمزحزحه • أي وما أحد
بمزحزحه من النار تعميره • وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وأن يعمر بدل منه ويجوز أن يكون هو
مبهما وأن يعمر موضحه والزحزحة التبعيد والإنحاء • فإن قلت يود أحدهم ما موقعه قلت هو بيان
لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف فإن قلت كيف اتصل لو يعمر بيود أحدهم قلت هي حكاية لودادتهم
ولو في معنى التمني • وكان القياس لو أعمر إلا أنه جرى على لفظ الغيبة لقوله يود أحدهم كقولك حلف بالله
ليفعلن • قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين
من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين • روي أن عبد الله بن صوريا
من أحبار فدك حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عمن يهبط عليه بالوحي فقال جبريل عليه السلام • فقال ذاك
عدونا ولو كان غيره لآمنا بك • وقد عادانا مرارا وأشدها أنه أنزل على نبينا أن بيت المقدس سيخربه بختنصر
فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل عليه السلام • فقال إن كان ربكم أمره بهلاككم فإنه
لا يسلطكم عليه • وإن لم يكن إياه فعلى أي حق تقتلونه • وقيل أمره الله أن يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا • وروي
أنه كان لعمر رضي الله عنه أرض بأعلى المدينة وكان ممره على مدارس اليهود وكان يجلس إليهم ويسمع كلامهم فقالوا
يا عمر قد أحببناك وإنا لنطمع فيك فقال والله ما آتيكم لحبكم ولا أسألكم لأني شاك في ديني وإنما أدخل عليكم
لأزداد بصيرة في أمر محمد صلى الله عليه وسلم • وأرى آثاره في كتابكم • ثم سألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع
محمدا على أسرارنا • وهو صاحب كل خسف وعذاب • وإن ميكائيل يجيء بالخصب والسلام • فقال لهم وما منزلتهما من الله •

قالوا

قالوا اقرب منزلة جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر رضي الله عنه لئن كانا كما تقولون فما
هما بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع
عمر رضي الله عنه فوجد جبريل عليه السلام قد سبقه بالوحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد وافقك ربك يا عمر فقال
عمر لقد رايتني في دين الله بعد ذلك اصلب من الحجر وقرئ جبرئيل بوزن قفشليل وجبريل بحذف الياء
وجبرئل بحذف الهمزة وجبريل بوزن قنديل وجبرال بلام مشددة وجبرائيل بوزن جبراعيل وجبرائل
بوزن جبراعل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله الضمير في نزله للقرآن ونحو هذا الاضمار
اعني اضمار ما لم يسبق ذكره فيه فخامة لشأن صاحبه حيث يجعل لفرط شهرته كانه يدل على نفسه ويكتفي عن اسمه الصريح
بذكر شيء من صفاته على قلبك اي حفظه اياك وفهمكه باذن الله بتيسيره وتسهيله فان قلت كان حق الكلام ان
يقال على قلبي قلت جاءت على حكاية كلام الله كما تكلم به كانه قيل قل ما تكلمت به من قولي من كان عدوا لجبريل فانه نزله
على قلبك فان قلت كيف استقام قوله فانه نزله جزاء للشرط قلت فيه وجهان احدهما ان عادى جبريل
احد من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو انصفوا لاحبوه وشكروا له
صنيعه في انزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم والثاني ان عاداه احد فالسبب في عداوته انه نزل عليك الكتاب
مصدقا لكتابهم وموافقا له وهم كارهون للقرآن ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته
له كقولك ان عاداك فلان فقد آذيته واسأت اليه افرد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من جنس آخر وهو مما ذكر
ان التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات وقرئ ميكال بوزن قنطار وميكائيل كميكاعيل وميكائل
كميكاعل وميكئيل كميكعيل وميكئل كميكعل قال ابن جني العرب اذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه
عدو للكافرين اراد عدو لهم فجاء بالظاهر ليدل على ان الله انما عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة كفر
واذا كانت عداوة الانبياء كفرا فما بال الملائكة وهم اشرف والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه اشد العقاب
ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم
بل اكثرهم لا يؤمنون الا الفاسقون الا المتمردون من الكفرة وعن الحسن اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي
وقع على اعظم ذلك النوع من كفر وغيره وعن ابن عباس قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا
بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك لها فنزلت واللام في الفاسقون للجنس والاحسن ان تكون اشارة الى اهل
الكتاب اوكلما الواو للعطف على محذوف معناه اكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا وقرأ ابو السمال بسكون
الواو على ان الفاسقون بمعنى الذين فسقوا فكانه قيل وما يكفر بها الا الذين فسقوا او نقضوا عهد الله مرارا
كثيرة وقرئ عوهدوا وعهدوا واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود وكم اخذ الله الميثاق منهم
ومن آبائهم فنقضوا وكم عاهدهم رسول الله فلم يفوا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة والنبذ
الرمي بالذمام ورفضه وقرأ عبد الله نقضه فريق منهم لان منهم من لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون بالتوراة
وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون به ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق
لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون كتاب الله
يعني التوراة لانهم بكفرهم برسول الله المصدق لما معهم كافرون بها نابذون لها وقيل كتاب الله القرآن نبذوه
بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول كانهم لا يعلمون انه كتاب الله لا يداخلهم فيه شك يعني ان علمهم بذلك رصين ولكنهم

كابروا وعاندوا ونبذوه وراء ظهورهم وهو مثل لتركهم واعراضهم عنه مثل بما يرمي به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات اليه وعن الشعبي هو بين ايديهم يقرؤونه ولكنهم نبذوا العمل به وعن سفيان ادرجوه في الديباج والحرير وحلّوه بالذهب ولم يحلّوا حلاله ولم يحرّموا حرامه وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ وَاتَّبَعُوا اي نبذوا كتاب الله وراء

واتبعوا ما تتلوا الشياطين يعني واتبعوا كتب السحر والشعوذة التي كانت تقرؤها على ملك سليمان اي على عهد ملكه وفي زمانه وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمون الى ما سمعوا اكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وقد دوّنوها في الكتب يقرؤونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمن سليمان حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تمّ لسليمان ملكه الا بهذا العلم وبه تسخر الجن والانس والريح التي تجري بامره وما كفر سليمان تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر والعمل به وسماه كفرا ولكن الشياطين هم الذين كفروا باستعمال السحر وتدوينه يعلمون الناس السحر يقصدون به اغواءهم واضلالهم وما انزل على الملكين عطف على السحر اي ويعلمونهم ما انزل على الملكين وقيل هو عطف على ما تتلوا اي واتبعوا ما انزل هاروت وماروت عطف بيان للملكين علمان لهما والذي انزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله للناس من تعلمه منهم وعمل به كان كافرا ومن تجنبه او تعلمه لئلا يعمل به ولكن ليتوقاه ولئلا يغترّ به كان مؤمنا

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لم يعرف الشر من الناس يقع فيه

كما ابتلي قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني وقرا الحسن على الملكين بكسر اللام على ان المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل وما يعلمان الملكان احدا حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة اي ابتلاء واختبار من الله فلا تكفر فلا تتعلم معتقدا انه حق فتكفر فيتعلمون الضمير لما دل عليه من احد اي فيتعلم الناس من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين من حيلة وتمويه كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده ~~فعلا من افعاله وربما لم يحدث ويتعلمون ما يضرهم~~ الفرك والنشوز والخلاف ابتلاء منه لان السحر له اثر في نفسه بدليل قوله وما هم بضارين به بالسحر من احد الا باذن الله لانه ربما احدث الله عنده فعلا من افعاله وربما لم يحدث ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم يقصدون به الشر وفيه ان اجتنابه اصلح كتعلم الفلسفة الذي لا يؤمن ان تجرّ الى الغواية ولقد علم هؤلاء اليهود ان من اشتراه اي استبدل ما تتلوا الشياطين من كتاب الله ما له في الاخرة من خلاق من نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم اي باعوها وقرا الحسن الشياطون وعن بعض العرب بستان فلان حوله بساتون وقد ذكر وجهه فيما بعد وقراءة الزهري هاروت وماروت بالرفع على هما هاروت وماروت وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف ولو كانا من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا وقرا طلحة وما يعلمان من اعلم وقرئ بين المرء بضم الميم وكسرها مع الهمزة والمرّ بالتشديد على تقدير التخفيف والوقف كقولهم فرج واجراء الوصل مجرى الوقف وقرا الاعمش وما هم بضاري بطرح النون والاضافة الى احد والفصل بينهما بالظرف فان قلت كيف يضاف الى احد وهو مجرور بمن قلت جعل الجار

يفرقون به
بين المرء وزوجه وما
هم بضارين به من احد
ويتعلمون

جزواً

جزؤا من الجرور • فإن قلت كيف اثبت لهم العلم اولا في قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمي ثم نفاه
عنهم في قوله لو كانوا يعلمون قلت معناه لو كانوا يعملون بعلمهم جعلهم حين لم يعملوا به كانهم منسلخون عنه •
ولو انهم امنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون ولو انهم امنوا برسول الله عليه السلام
والقران واتقوا الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين لمثوبة من عند الله خير وقرئ لمثوبة
كمشورة ومشورة لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير مما هم فيه • وقد علموا لكنه جهلهم لترك العمل بالعلم فان
قلت كيف اوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب لو قلت لما في ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة
واستقرارها كما عدل عن النصب الى الرفع في سلام عليكم لذلك فان قلت فهلا قيل لمثوبة الله خير •
قلت لان المعنى لشيء من الثواب خير لهم • ويجوز ان يكون قوله ولو انهم امنوا تمنيا لايمانهم • على سبيل المجاز
عن ارادة الله ايمانهم واختيارهم له كانه قيل وليتهم امنوا ثم ابتدئ لمثوبة من عند الله خير •
٢/١ يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم كان •
المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا القى عليهم شيئا من العلم راعنا يا رسول الله اي راقبنا
وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهمه ونحفظه • وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية وهي راعينا فلما سمعوا او سريانية
بقول المؤمنين راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول عليه الصلاة والسلام • وهم يعنون به تلك المسبة فنهي
المؤمنون عنها وامروا بما هو في معناها • وهو انظرنا من نظره اذا انتظره • وقرأ ابي انظرنا من النظرة
اي امهلنا حتى نحفظ • وفي قراءة عبد الله بن مسعود راعونا على انهم كانوا يخاطبونه بلفظ الجمع للتوقير • وقرأ الحسن
راعنا بالتنوين من الرعن وهو الهوج • اي لا تقولوا قولا راعنا منسوبا الى الرعن • بمعنى رعنيا كدارع ولابن لانه
لما اشبه قولهم راعينا وكان سببا في السب اتصف بالرعن • واسمعوا واحسنوا سماع ما يكلمكم به رسول الله
ويلقي عليكم من المسائل باذان واعية • واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة • وطلب المراعاة • او واسمعوا
سماع طاعة وقبول • ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى
لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه تاكيدا عليهم ترك تلك الكلمة • وروي ان سعد بن معاذ سمعها منهم فقال يا اعداء
الله عليكم لعنة الله • والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله لاضربن عنقه • فقالوا اولستم
تقولونها فنزلت وللكافرين • ولليهود الذين تهاونوا برسول الله عليه السلام وسبوه عذاب اليم ما يود الذين
كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء
والله ذو الفضل العظيم من الاولى للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون
كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين • والثانية مزيدة لاستغراق الخير والثالثة
لابتداء الغاية • والخير الوحي وكذلك الرحمة ~~ان ينزل عليكم~~ كقوله تعالى اهم يقسمون رحمة ربك
والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون ان ينزل عليكم شيء من الوحي • والله يختص
بالنبوة من يشاء • ولا يشاء الا ما تقتضيه الحكمة • والله ذو الفضل العظيم • اشعار بان ايتاء النبوة من الفضل
العظيم كقوله تعالى ان فضله كان عليك كبيرا ما ننسخ من اية او ننسها نأت بخير منها او مثلها
الم تعلم ان الله على كل شيء قدير روي انهم طعنوا في النسخ فقالوا الا ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم
عنه ويامرهم بخلافه • ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا فنزلت وقرئ ما ننسخ من اية • وما ننسخ بضم النون من انسخ

او ننسأها وقرئ ننسها وننسها وتنسها على خطاب الرسول وقرأ عبد الله ما ننسك من آية او ننسخها وقرأ
حذيفة ما ننسخ من آية او ننسكها ونسخ الآية ازالتها بابدال اخرى مكانها وانساخها الامر بنسخها وهو ان يأمر
جبريل عليه السلام بان يجعلها منسوخة بالاعلام بنسخها ونسؤها تأخيرها واذهابها لا الى بدل وانساؤها ان يذهب
بحفظها عن القلوب والمعنى ان كل آية نذهب بها على ما توجبه المصلحة من ازالة لفظها وحكمها معا او من ازالة
احدهما الى بدل او غير بدل نأت بآية خير منها للعباد اي باية العمل بها اكثر للثواب او مثلها في ذلك على كل شيء
قدير فهو يقدر على الخير وما هو خير منه وعلى مثله في الخير ألم تعلم ان الله له ملك السموات والارض وما لكم
من دون الله من ولي ولا نصير ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر
بالايمان فقد ضل سواء السبيل له ملك السموات والارض فهو يملك اموركم ويدبرها ويجريها
على حسب ما يصلحكم وهو اعلم بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ، لما بين لهم انه مالك امورهم ومدبرها على
حسب مصالحهم من نسخ الآيات وغيره وقررهم على ذلك بقوله ألم تعلم اراد ان يوصيهم بالثقة به فيما هو اصلح
لهم مما يتعبدهم به وينزل عليهم وان لا يقترحوا على رسولهم ما اقترحته آباء اليهود على موسى من الاشياء التي كانت
عاقبتها وبالا عليهم كقولهم اجعل لنا الها ارنا الله جهرة وغير ذلك ومن يتبدل الكفر بالايمان ومن ترك الثقة
بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم
من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي
الله بامره ان الله على كل شيء قدير واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لانفسكم من خير
تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير روي ان فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من
اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر رضي الله عنهما بعد وقعة احد الم تروا الى ما اصابكم ولو كنتم على
الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم
قالوا شديد قال فاني قد عاهدت ان لا اكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبأ وقال
حذيفة واما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا
ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت فان قلت بم تعلق قوله من عند
انفسهم قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق بود على معنى انهم تمنوا ان ترتدوا عن دينكم وتمنيهم ذلك من عند
انفسهم ومن قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم انكم على الحق
فكيف يكون تمنيهم من قبل الحق واما ان يتعلق بحسدا اي حسدا متبالغا منبعثا من اصل نفوسهم فاعفوا واصفحوا فاسلكوا
معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة حتى يأتي الله بامره الذي هو قتل بني قريظة واجلاء
بني النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الانتقام منهم من خير من حسنة
من صدقة او غيرهما تجدوه عند الله تجدوا ثوابه عنده ان الله بما تعملون بصير عالم لا يضيع عنده عمل عامل
وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم
صادقين الضمير في وقالوا لاهل الكتاب من اليهود والنصارى والمعنى وقالت اليهود لن يدخل الجنة
الا من كان هودا والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بان السامع يرد الى كل
فريق قوله وامنا من الالباس لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه ونحوه وقالوا

شديدم

صلاة

انشاء

كونوا

كونوا هودًا او نصارى والهود جمع هائد كعائذ وعوذ وبازل وبزل فان قلت كيف قيل كان هودًا على توحيد الاسم
وجمع الخبر قلت حمل الاسم على لفظ من والخبر على معناه كقراءة الحسن الا من هو صالوا الجحيم نقوله تعالى
فان له نار جهنم خالدين وقرا ابي بن كعب رضي الله عنه الا من كان يهوديا او نصرانيا فان قلت لم قيل تلك امانيهم
وقولهم لن يدخل الجنة امنية واحدة قلت اشير بها الى الاماني المذكورة وهي امنيتهم ان لا ينزل على المؤمنين
خير من ربهم وامنيتهم ان يردوهم كفارًا وامنيتهم ان لا يدخل الجنة غيرهم اي تلك الاماني الباطلة امانيهم
فقوله قل هاتوا برهانكم متصل بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودًا او نصارى وتلك امانيهم اعتراض
او اريد امثال تلك الامنية امانيهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه يريد ان امانيهم جميعًا في البطلان
مثل امنيتهم هذه والامنية افعولة من التمني مثل الاضحوكة والاعجوبة هاتوا برهانكم هلموا حجتكم على
اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم وهذا اهدم شي لمذهب المقلدين وان كل قول لا دليل
عليه فهو باطل غير ثابت وهات بمنزلة هاء في معنى احضر بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن
فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة
من اسلم وجهه لله من اخلص نفسه له لا يشرك به غيره وهو محسن في عمله فله اجره الذي يستوجبه فان
قلت من اسلم وجهه كيف موقعه قلت يجوز ان يكون بلى ردًا لقولهم ثم يقع من اسلم
كلامًا مبتدأ ويكون من متضمنًا لمعنى الشرط وجوابه فله اجره وان يكون من اسلم فاعلًا لفعل محذوف
اي بلى يدخلها من اسلم ويكون قوله فله اجره كلامًا معطوفًا على يدخلها من اسلم وقالت اليهود ليست
النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين
لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون على شيء على شيء يصح ويعتد
به وهذه مبالغة عظيمة لان المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء فاذا نفي اطلاق اسم الشيء عليه فقد بولغ
في ترك الاعتداد به الى ما ليس بعده وهذا كقولهم اقل من لا شي وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب
للجنس اي قالوا ذلك وحالهم انهم من اهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التورية او الانجيل او غيرهما
من كتب الله وآمن به ان لا يكفر بالباقي لان كل واحد من الكتابين مصدق للثاني شاهد بصحته وكذلك كتب
الله جميعًا متواردة في تصديق بعضها بعضًا كذلك اي مثل ذلك الذي سمعت به على ذلك المنهاج قال
الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم قالوا لكل اهل دين ليسوا على شي وهذا
توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم وروي ان وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم اتاهم احبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود ما انتم على شي من الدين وكفروا
بعيسى والانجيل وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى والتورية فالله يحكم بين اليهود والنصارى يوم القيمة
بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب الذي استحقه وعن الحسن حكم الله بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار
ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا
خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ان يذكر ثاني مفعولي منع لانك تقول
منعته كذا ومثله وما منعنا ان نرسل بالآيات وما منع الناس ان يؤمنوا ويجوز ان يحذف حرف الجر مع ان
ولك ان تنصبه مفعولا له بمعنى منعها كراهة ان يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله وان مانعها من ذكر الله

مفرّط في الظلم والسبب فيه انّ النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس ان يصلّوا فيه
وانّ الروم غزوا اهله فخرّبوه واحرقوا التورية وقتلوا وسبوا. وقيل منعوا المشركين رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية فان قلت فكيف قيل مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد
واحد وهو بيت المقدس او المسجد الحرام قلت لا باس بان يجيء الحكم عامًّا وان كان السبب خاصًّا كما
تقول لمن اذى صالحًا واحدًا ومن اظلم ممّن اذى الصالحين وكما قال عزّ وجلّ ويل لكلّ همزة لمزة
والمنزول فيه الاخنس بن شريق. وسعى في خرابها بانقطاع الذكر او بتخريب البنيان وينبغي ان يراد بمن منع
العموم كما اريد بمساجد الله ولا يراد الذين منعوا باعيانهم من اولئك النصارى او المشركين. اولئك الما نوى
ما كان لهم ان يدخلوها اي ما كان ينبغي لهم ان يدخلوا مساجد الله الّا خائفين على حال التهيّب وارتعاد
الفرايص من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلًا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحقّ
والواجب الّا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوّهم وقيل ما كان لهم في حكم الله يعني انّ الله قد حكم وكتب في اللوح انه
ينصر المؤمنين ويقوّيهم حتى لا يدخلوها الّا خائفين. روي انه لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى
الّا متنكّرًا مسارقة. وقال قتادة لا يوجد نصراني في بيت المقدس الّا انهك ضربًا وابلغ اليه
في العقوبة وقيل نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يحجّنّ بعد هذا العام مشرك ولا يطوفنّ بالبيت عريان
وقرا عبد الله الّا خيّفًا وهو مثل صيّم. وقد اختلف الفقهاء في دخول الكافر المسجد فجوّزه ابو حنيفة
ولم يجوّزه مالك وفرّق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره. وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية
بينهم وبينه كقوله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله. خزي قتل وسبي او ذلّة بضرب
الجزية وقيل فتح مدائنهم قسطنطينية ورومية وعمورية. ولله المشرق والمغرب فاينما
تولّوا فثمّ وجه الله انّ الله واسع عليم ولله المشرق والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب
والارض كلّها لله هو مالكها ومتولّيها. فاينما تولّوا ففي اي مكان فعلتم التولية يعني تولية وجوهكم شطره
القبلة بدليل قوله تعالى فولّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولّوا وجوهكم شطره. فثمّ
وجه الله اي جهته التي امر بها ورضيها والمعنى انكم اذا منعتم ان تصلّوا في المسجد الحرام او في بيت المقدس
فقد جعلت لكم الارض مسجدًا فصلّوا في اي بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فانّ التولية
ممكنة في كلّ مكان لا يختصّ امكانها في مسجد دون مسجد ولا في مكان دون مكان. انّ الله واسع الرحمة
يريد التوسعة على عباده والتيسير عليهم عليم بمصالحهم. وعن ابن عمر رضي الله عنهما نزلت في صلاة المسافر
على الراحلة اينما توجّهت وعن عطاء عميت القبلة على قوم فصلّوا الى انحاء مختلفة فلمّا اصبحوا تبيّنوا خطاهم
فعذروا. وقيل معناه فاينما تولّوا للدعاء والذكر ولم يرد الصلاة وقرا الحسن فاينما تَولّوا بفتح التاء من
التولّي يريد فاينما توجّهوا القبلة. وقالوا اتّخذ الله ولدًا سبحانه بل له ما في السموات والارض كلّ له
قانتون. وقالوا وقرئ بغير واو يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله والملائكة بنات الله سبحانه
تنزيه له عن ذلك وتبعيد. بل له ما في السموات والارض هو خالقه ومالكه ومن جملته الملائكة وعزير والمسيح كلّ
له قانتون منقادون لا يمتنع شيء منهم على تكوينه وتقديره ومشيئته ومن كان بهذه الصفة لم يجانس ومن
حقّ الولد ان يكون من جنس الوالد والتنوين في كلّ عوض من المضاف اليه اي كلّ ما في السموات والارض ويجوز ان

يراد

يراد كل من جعلوه لله ولدا له قانتون مطيعون عابدون مقرّون بالربوبية منكرون لما اضافوا اليهم فان قلت
كيف جاء بما الذي لغير اولي العلم مع قوله قانتون قلت هو كقوله سبحان ما سخركن لنا وكانه جاء بما دون
من تحقيرا لهم وتصغيرا لشأنهم كقوله عز وجل وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا • بديع السموات والارض
واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون • يقال بدع الشيء فهو بديع كقولك بزع الرجل
فهو بزيع وبديع السموات من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اي بديع سمواته وارضه وقيل البديع بمعنى
المبدع كما ان السميع في قول عمرو • أمن ريحانة الداعي السميع • بمعنى المسمع وفيه نظر
كن فيكون من كان التامة • اي احدث فيحدث • وهذا مجاز من الكلام وتمثيل ولا قول ثم كما
لا قول في قوله • اذ قالت الانساع للبطن الحق • وانما المعنى ان ما قضاه من الامور واراد كونه
فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كالمأمور المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف
ولا يمتنع ولا يكون منه الاباء اكد بهذا استبعاد الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة
لاحوال الاجسام في توالدها وقرئ بديع السموات مجرورا على انه بدل من الضمير في له وقرأ المنصور بالنصب
على المدح وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت
قد بينا الآيات لقوم يوقنون • وقال الذين لا يعلمون • وقال الجهلة من المشركين وقيل من اهل
الكتاب ونفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا به • لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا الله كما يكلم الملائكة وكلم موسى
استكبارا منهم وعتوا ~~قد بينا الآيات لقوم يوقنون~~ • او تأتينا آية جحودا لان يكون ما آتاهم
من آيات الله آيات واستهانة بها تشابهت قلوبهم اي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى كقوله تعالى
اتواصوا به • قد بينا الآيات لقوم يوقنون اي انها آيات يجب الاعتراف بها والاذعان لها والاكتفاء
بها عن غيرها • انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسئل عن اصحاب الجحيم • انا ارسلناك لان
تبشر وتنذر لا لتجبر على الايمان وهذه تسلية لرسول الله عليه الصلاة والسلام وتسرية عنه لانه كان يغتم
ويضيق صدره لاصرارهم وتصميمهم على الكفر ولا تسأل عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان
بلغت وبلغت جهدك في دعوتهم كقوله تعالى فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب • وقرئ ولا تسأل
على النهي روي انه قال ليت شعري ما فعل ابواي فنهي عن السؤال عن احوال الكفرة والاهتمام باعداء الله
وقيل معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول كيف فلان سائلا عن الواقع في بلية فيقال لك لا تسأل
عنه ووجه التعظيم ان المستخبر يجزع ان يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته فلا تسأله ولا تكلفه ما يضجره او انت
يا مستخبر لا تقدر على استماع خبره لايحاشه السامع واضجاره فلا تسأل وتعضد القراءة الاولى قراءة عبد الله ولن
تسأل وقراءة ابي رضي الله عنه وما تسأل • ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم
قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي
ولا نصير • كانهم قالوا لن نرضى عنك وان بالغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا اقناطا منهم لرسول الله صلى الله
عليه وسلم عن دخولهم في الاسلام فحكى الله تعالى كلامهم • ولذلك قال قل ان هدى الله هو الهدى على طريقة
اجابتهم عن قولهم يعني ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى بالحق والذي يصح ان يسمى هدى وهو الهدى
كله ليس وراءه هدى وما تدعون الى اتباعه ما هو بهدى انما هو هوى • الا ترى الى قوله ولئن اتبعت اهواءهم

أي أهواءهم التي هي أهواء وبدع بعد الذي جاءك من العلم أي من الدين المعلوم صحته بالبراهين الصحيحة الذين آتيناهم
الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون يا بني إسرائيل اذكروا
نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل
منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون الذين آتيناهم الكتاب هم مؤمنو أهل الكتاب
يتلونه حق تلاوته لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك يؤمنون
بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به من المحرفين فأولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الضلالة بالهدى
وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال
لا ينال عهدي الظالمين ابتلى إبراهيم ربه بكلمات اختبره بأوامر ونواه واختبار الله عبده
مجاز عن تمكينه من اختيار أحد الأمرين ما يريد الله وما يشتهيه العبد كأنه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه
على حسب ذلك وقرأ أبو حنيفة رحمة الله عليه وهي قراءة ابن عباس إبراهيم ربه رفع إبراهيم ونصب ربه والمعنى أنه
دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه إليهن أم لا فإن قلت الفاعل في القراءة المشهورة يلي الفعل
في التقدير فتعلق الضمير به إضمار قبل الذكر قلت الإضمار قبل الذكر أن يقال ابتلى ربه إبراهيم فأما ابتلى
إبراهيم ربه أو ابتلى ربه إبراهيم فليس واحد منهما بإضمار قبل الذكر أما الأول فقد ذكر فيه صاحب الضمير قبل
الضمير ذكرا ظاهرا وأما الثاني فإبراهيم فيه مقدم في المعنى وليس كذلك ابتلى ربه إبراهيم فإن الضمير فيه قد تقدم
لفظا ومعنى فلا سبيل إلى صحته والمستكن في فأتمهن في إحدى القراءتين لإبراهيم بمعنى فقام بهن حق القيام وأداهن أحسن
التأدية من غير تفريط وتوان ونحوه وإبراهيم الذي وفى وفي الأخرى لله تعالى بمعنى فأعطاه الله ما طلبه لم ينقص
منه شيئا ويعضده ما روي عن مقاتل أنه فسر الكلمات بما سأل إبراهيم ربه ~~فإن قلت ما العامل في إذ قلت~~
في قوله تعالى رب اجعل هذا البلد آمنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا ربنا تقبل منا فإن قلت
ما العامل في إذ قلت إما مضمر نحو واذكر إذ ابتلى أو وإذ ابتلاه كان كيت وكيت وإما قال إني جاعلك فإن قلت
فما موقع قال قلت هو على الأول استئناف كأنه قيل فماذا قال له ربه حين أتم الكلمات فقيل قال إني جاعلك
للناس إماما وعلى الثاني جملة معطوفة على ما قبلها ويجوز أن يكون بيانا لقوله ابتلى وتفسيرا له فيراد بالكلمات
ما ذكره من الإمامة وتطهير البيت ورفع قواعده والإسلام قبل ذلك في قوله تعالى إذ قال له ربه أسلم وقيل
في الكلمات هي خمس في الرأس الفرق وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس في البدن
الختان والاستحداد والاستنجاء وتقليم الأظفار ونتف الإبط وقيل ابتلاه من شرائع الإسلام بثلاثين
سهما عشر في براءة التائبون العابدون وعشر في الأحزاب إن المسلمين والمسلمات وعشر في المؤمنون وسأل
سائل إلى قوله والذين هم على صلواتهم يحافظون وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والإحرام
والتعريف وغيرهن وقيل ابتلاه بالكواكب والقمر والشمس والختان وذبح ابنه والنار والهجرة والإمام
اسم من يؤتم به على زنة الإله كالإزار لما يؤتزر به أي يأتمون بك في دينهم ومن ذريتي عطف على الكاف كأنه قال
وجاعل بعض ذريتي كما يقال لك سأكرمك فتقول وزيدا لا ينال عهدي الظالمين وقرئ الظالمون أي من كان
ظالما من ذريتك لا يناله استخلافي وعهدي إليه بالإمامة وإنما ينال من كان عادلا بريئا من الظلم وقالوا في هذا
دليل على أن الفاسق لا يصلح للإمامة وكيف يصلح لها من لا يجوز حكمه وشهادته ولا تجب طاعته ولا يقبل خبره

ولا يتقدّم للصلوة وكان ابو حنيفة رحمة الله عليه يفتي سرًّا بوجوب نصرة زيد بن علي رضي الله عنهما وحمل المال اليه والخروج
معه على اللص المتغلب المتسمي بالامام والخليفة كالدوانيقي واشباهه وقالت له امرأة اشرت على ابني بالخروج مع
ابرهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن حتى قتل فقال ليتني مكان ابنك وكان يقول في المنصور واشياعه لو ارادوا بناء مسجد
واراد وني على عد آجره لفعلت وعن ابن عيينة لا يكون الظالم اماما قط وكيف يجوز نصب الظالم للامامة والامام
انما هو لكف الظلمة فاذا نصب من كان ظالما في نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى الذئب ظلم
وَاِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَاَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ اِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا اِلَى اِبْرَاهِيمَ وَاِسْمٰعِيلَ
اَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ والبيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا مثابة
مباءة ومرجعا للحاج والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون اليه اي يثوب اليه اعيان الذين يزورونه
او امثالهم وامنا وموضع امن كقوله تعالى حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم ولان الجاني يأوي
اليه فلا يتعرض له حتى يخرج وقرئ مثابات لانه مثابة لكل من الناس لا يختص به واحد منهم سواء العاكف
فيه والباد واتخذوا على ارادة القول اي وقلنا اتخذوا وامنه موضع صلوة تصلون فيه وهو على وجه
الاختيار والاستحباب دون الوجوب وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه اخذ بيد عمر فقال هذا مقام
ابراهيم فقال عمر رضي الله عنه افلا نتخذه مصلى يريد افلا نؤثره لفضله بالصلوة فيه تبركا به وتيمنا بموطئ قدم
ابراهيم فقال لم اؤمر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
استلم الحجر ورمل ثلاثة اشواط ومشى اربعة حتى اذا فرغ عمد الى مقام ابراهيم عليه السلام فصلى خلفه ركعتين
وقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقيل مصلى مدعى ومقام ابراهيم الحجر الذي فيه اثر قدميه
والموضع الذي كان فيه الحجر حين وضع عليه قدميه وهو الموضع الذي يسمى مقام ابراهيم وعن عمر رضي الله عنه
انه سأل المطلب بن ابي وداعة هل تدري اين كان موضعه الاول فقال نعم فأراه موضعه اليوم وعن عطا
مقام ابراهيم عرفة والمزدلفة والجمار لانه قام في هذه المواضع ودعا فيها وعن النخعي الحرم كله مقام
ابراهيم وقرئ واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس من مكان ابراهيم الذي وسم
به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها عهدنا امرناهما ان طهرا بيتي بان طهرا او اي طهرا
والمعنى طهراه من الاوثان والانجاس وطواف الجنب والحائض والخبائث كلها او اخلصاه لهؤلاء لا يغشيه
غيرهم والعاكفين المجاورين الذين عكفوا عنده اي اقاموا لا يبرحون او المعتكفين ويجوز ان يريد بالعاكفين
الواقفين يعني القائمين في الصلاة كما قال تعالى للطائفين والقائمين والركع السجود والمعنى للطائفين
والمصلين لان القيام والركوع والسجود هيئات المصلي وَاِذْ قَالَ اِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا بَلَدًا اٰمِنًا
وَارْزُقْ اَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ اٰمَنَ مِنْهُمْ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَاُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ اَضْطَرُّهُ اِلٰى
عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ اي اجعل هذا البلد او هذا المكان بلدا امنا ذا امن كقوله
في عيشة راضية او آمنا من فيه كقولك ليل نائم ومن آمن منهم بدل من اهله يعني وارزق المؤمنين من
اهله خاصة ومن كفر عطف على من آمن كما عطف ومن ذريتي على الكاف في جاعلك فان قلت لم خص
ابراهيم عليه السلام المؤمنين حتى رد عليه قلت قاس الرزق على الامامة فعرف الفرق بينهما لان الاستخلاف
استرعاء يختص بمن ينصح للمرعي وابعد الناس عن النصيحة الظالم بخلاف الرزق فانه قد يكون استدراجا للمرزوق والزاما

الجنة له. والمعنى وارزق من كفر فامتعه قليلا. ويجوز ان يكون من كفر مبتدا متضمنا معنى الشرط وقوله فامتعه جواب للشرط اي
ومن كفر فانا امتعه. وقرئ فامتعه فاضطره فالزه الى عذاب النار لز المضطر الذي لا يملك الامتناع مما اضطر اليه. وقرا
ابي فنمتعه قليلا ثم نضطره. وقرا يحيى بن وثاب فاضطره بكسر الهمزة. وقرا ابن عباس فامتعه قليلا ثم اضطره على لفظ
الامر والمراد الدعاء من ابراهيم عليه السلام دعا ربه بذلك فان قلت فكيف تقدير الكلام على هذه القراءة قلت
في قال ضمير ابرهيم اي قال ابراهيم بعد مسالته اختصاص المؤمنين بالرزق ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره. وقرا ابن
محيصن فاطره بادغام الضاد في الطاء كقولهم اطجع وهي لغة مرذولة لان الضاد من الحروف الخمسة التي يدغم فيها ما يجاورها ولا كما قالوا
تدغم هي فيما يجاورها وهي حروف ضم شفر وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا انك
انت السميع العليم يرفع حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس والاصل لما فوقه وهي صفة غالبة
ومعناها الثابتة ومنه قعدك الله اي اسال الله ان يقعدك اي يثبتك. ورفع الاساس البناء عليها لانها اذا بني عليها
نقلت عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر. ويجوز ان يكون المراد بها سافات البناء لان
كل ساف قاعدة للذي يبنى عليه ويوضع فوقه. ومعنى رفع القواعد رفعها بالبناء لانه اذا وضع سافا فوق
ساف فقد رفع السافات. ويجوز ان يكون المعنى واذ يرفع ابراهيم ما قعد من البيت اي استوطا يعني جعل هيئة القاعدة
المستوطئة مرتفعة عالية بالبناء. وروي انه كان مؤسسا قبل ابراهيم فبنى على الاساس. وروي ان الله تعالى
انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لآدم عليه السلام اهبطت لك ما
يطاف به كما يطاف حول عرشي. فتوجه آدم من ارض الهند اليه ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك
يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج آدم اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى
ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور. ثم ان الله تعالى امر ابراهيم عليه السلام ببنائه وعرفه
جبريل عليه السلام مكانه. وقيل بعث الله تعالى سحابة اظلته ونودي ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص. وقيل بناه من خمسة
اجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودي واسسه من حراء. وجاءه جبريل عليه السلام بالحجر الاسود من
السماء. وقيل تمخض ابو قبيس فانشق عنه وقد خبئ فيه في ايام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من الجنة فلما لمسته الحيض
في الجاهلية اسود. وقيل كان ابراهيم يبني واسمعيل يناوله الحجارة. ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة
لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم. ربنا اي يقولان ربنا وهذا الفعل في محل النصب
على الحال وقد اظهره عبد الله في قراءته ومعناه يرفعانها قائلين. ربنا انك انت السميع لدعائنا العليم بضمائرنا
ونياتنا فان قلت هلا قيل قواعد البيت واي فرق بين العبارتين قلت في ابهام القواعد وتبيينها بعد الابهام
ما ليس في اضافتها لما في الايضاح بعد الابهام من تفخيم لشان المبين. مسلمين لك مخلصين لك اوجهنا من قوله
اسلم وجهه او مستسلمين يقال اسلم له وسلم واستسلم اذا خضع واذعن والمعنى زدنا اخلاصا او اذعانا لك. وقرئ اذا
مسلمين على الجمع كانهما ارادا انفسهما وهاجر او اجريا التثنية على حكم الجمع لانها منه ومن ذريتنا واجعل من ذريتنا
امة مسلمة لك ومن للتبعيض او للتبيين كقوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم. فان قلت لم خصا ذريتهما
بالدعاء قلت لانهم احق بالشفقة والنصيحة قوا انفسكم واهليكم نارا ولان اولاد الانبياء اذا صلحوا صلح بهم غيرهم
وشايعوهم على الخير. الا ترى ان المتقدمين من العلماء والكبراء اذا كانوا على السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم
وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم وارنا منقول من راى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين اي وبصرنا

متعبداتنا في الحج او عرفناها وقيل مذابحنا وقرئ ارنا بسكون الراء قياسا على فخذ في فخذ وقد استرذل لان
الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها فاسقاطها اجحاف وقرأ ابو عمرو باشمام الكسرة وقرأ عبد الله وارهم
مناسكهم وتب علينا ما فرط منا من الصغائر او استتبنا لذريتنا **ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم
آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم** وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم
من انفسهم روي انه قيل له قد استجيب لك وهو في آخر الزمان فبعث الله فيهم محمدا عليه السلام قال
صلى الله عليه وسلم انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي يتلو عليهم آياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى
اليه من دلائل وحدانيتك وصدق انبيائك ويعلمهم الكتاب القرآن والحكمة الشريعة وبيان الاحكام ويزكيهم
ويطهرهم من الشرك وسائر الارجاس كقوله تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث **ومن يرغب
عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين** ومن يرغب
انكار واستبعاد لان يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملة ابراهيم ومن سفه نفسه في محل
الرفع على البدل من الضمير في يرغب وصح البدل لان من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك احد الا زيد
سفه نفسه امتهنها واستخف بها واصل السفه الخفة ومنه زمام سفيه وقيل انتصاب النفس على التمييز نحو
غبن رأيه وألم رأسه ويجوز ان يكون في شذوذ تعريف المميز نحو قوله

ولا بفزارة الشعر الرقابا ... اجب الظهر ليس له سنام

وقيل معناه سفه في نفسه فحذف الجار كقولهم زيد ظني مقيم اي في ظني والوجه هو الاول وكفى شاهدا
بما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وذلك انه اذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ
في اذالة نفسه وتعجيزها حيث خالف بها كل نفس عاقلة ولقد اصطفيناه بيان لخطأ رأي من رغب عن ملته
لان من جمع الكرامة عند الله في الدارين بان كان صفوته وخيرته في الدنيا وكان مشهودا له بالاستقامة على الخير
في الآخرة لم يكن احد اولى بالرغبة في طريقته منه **اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين**
اذ قال ظرف لاصطفيناه اي اخترناه في ذلك الوقت او انتصب باضمار اذكر كأنه قيل اذكر
ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملة مثله ومعنى قال له اسلم اخطر بباله النظر في الدلائل
المؤدية الى المعرفة والاسلام فقال اسلمت اي فنظر وعرف وقيل اسلم اي اذعن واطع وروي
ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التوراة
اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون
فاسلم سلمة وابى مهاجر ان يسلم فنزلت **ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله
اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون** وقرئ واوصى وهي في مصاحف اهل الشام والحجاز
والضمير في بها لقوله اسلمت لرب العالمين على تأويل الكلمة والجملة ونحوه رجوع الضمير في قوله وجعلها
كلمة باقية الى قوله اني براء مما تعبدون الا الذي فطرني وقوله كلمة باقية دليل على ان التأنيث على
تأويل الكلمة ويعقوب عطف على ابراهيم داخل في حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه ايضا وقرئ ويعقوب
بالنصب عطفا على بنيه ومعناه ووصى بها ابراهيم بنيه ونافلته يعقوب يا بني على اضمار القول عند البصريين
وعند الكوفيين يتعلق بوصى لانه في معنى القول ونحوه قول القائل

قد صح

استشهادا على ما ذكره صح

رجلان من ضبة أخبرانا • إنا رأينا رجلا عريانا • بكسر الهمزة فهو في تقدير القول عندنا
وعندهم يتعلق بفعل الاخبار • وفي قراءة أبي وابن مسعود رضي الله عنهما • ان يا بني • إن الله اصطفى لكم الدين • أعطاكم
الدين الذي هو صفوة الاديان وهو دين الاسلام • ووفقكم للأخذ به • فلا تموتن • معناه فلا يكن موتكم الا على حال
كونكم ثابتين على الاسلام • فالنهي في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الاسلام اذا ماتوا • كقولك لا تصل الا
وانت خاشع • فلا تنهاه عن الصلاة ولكن عن ترك الخشوع في حال صلوته • فان قلت فأي نكتة في ادخال حرف النهي
على الصلوة وليس بمنهي عنها • قلت النكتة فيه اظهار ان الصلاة التي لا خشوع فيها كلا صلوة فكأنه قال أنهاك عنها اذا لم
تصلها على هذه الحالة • ألا ترى الى قوله عليه السلام لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد • فانه كالتصريح بقولك لا تصل الا في (لجار المسجد)
المسجد • وكذلك المعنى في الآية اظهار ان موتهم لا على حال الثبات على الاسلام موت لا خير فيه وانه ليس بموت
السعداء • وان من حق هذا الموت ان لا يحل فيهم • وتقول في الأمر ايضا مت وانت شهيد • وليس مرادك الأمر
بالموت • ولكن بالكون على صفة الشهداء اذا مات • وانما امرته بالموت اعتدادا منك بميتته واظهارا لفضلها على غيرها
وانها حقيقة بأن يحث عليها • أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون
من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسمعيل وإسحق إلها واحدا ونحن له مسلمون
أم كنتم شهداء • أم المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار • والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر • اي ما كنتم
حاضرين يعقوب عليه السلام اذ حضره الموت • اي حين احتضر • والخطاب للمؤمنين بمعنى ما شاهدتم ذلك
وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحي • وقيل الخطاب لليهود لأنهم كانوا يقولون ما مات نبي الا على
اليهودية • الا انهم لو شهدوه وسمعوا ما قاله لبنيه • وما قالوه لظهر لهم حرصه على ملة الاسلام ولما ادعوا عليه
اليهودية • فالآية منافية لتوطئهم فكيف يقال لهم ام كنتم شهداء • ولكن الوجه ان تكون ام متصلة على ان
يقدر قبلها محذوف • كأنه قيل اتدعون على الانبياء اليهودية • ام كنتم شهداء • اذ حضر يعقوب الموت
يعني ان اوائلكم من بني اسرائيل كانوا مشاهدين له اذ اراد بنيه على التوحيد وملة الاسلام • وقد علمتم ذلك فما لكم
تدعون على الانبياء ما هم منه براء • وقرئ حضر بكسر الضاد وهي لغة • ما تعبدون • اي شيء تعبدون • وما عام
في كل شيء • فاذا علم فرق بما ومن • وكفاك دليلا قول العلماء من لما يعقل • ولو قيل من تعبدون لم يعم الا
اولي العلم وحدهم • ويجوز ان يقال ما تعبدون سؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد افقيه
ام طبيب ام غير ذلك من الصفات • وابراهيم واسمعيل واسحق • عطف بيان لآبائك • وجعل اسمعيل وهو عمه
من جملة آبائه • لان العم اب والخالة ام • لانخراطهما في سلك واحد وهو الأخوة لا تفاوت بينهما •
ومنه قوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه • اي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة • وقال
في العباس هذا بقية آبائي • وقال ردوا علي ابي فاني اخشى ان تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة
بن مسعود • وقرأ ابي واله ابراهيم بطرح آبائك • وقرئ ابيك • وفيه وجهان ان يكون واحدا وابراهيم
وحده عطف بيان له • وان يكون جمعا بالواو والنون • قال • وفديننا بالأبينا •
إلها واحدا • بدل من إله آبائك كقوله تعالى • بالناصية ناصية كاذبة • او على الاختصاص اي
نريد باله آبائك إلها واحدا • ونحن له مسلمون • حال من فاعل نعبد او من مفعوله لرجوع الهاء اليه في له • ويجوز ان
يكون جملة معطوفة على نعبد • وان يكون جملة اعتراضية مؤكدة • اي ومن حالنا انا له مسلمون مخلصون التوحيد او مذعنون

تلك

تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون تلك اشارة الى الامة المذكورة التي هي ابرهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون • والمعنى ان احدا لا ينفعه كسب غيره متقدما كان او متأخرا فكما ان اولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا فكذلك انتم لا ينفعكم الا ما كسبتم وذلك انهم افتخروا بآبائهم ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني هاشم لا يأتيني الناس باعمالهم وتأتوني بانسابكم • ولا تسئلون عما كانوا يعملون • ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تنفعكم حسناتهم وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين بل ملة ابراهيم بل نكون ملة ابراهيم اي اهل ملته لقول عدي بن حاتم اني من دين يريد من اهل دين • وقيل بل نتبع ملة ابراهيم • وقرئ ملة ابراهيم بالرفع اي ملته ملتنا او امرنا ملته او نحن ملته بمعنى اهل ملته • وحنيفا حال من المضاف اليه كقولك رأيت وجه هند قائمة • والحنيف المائل عن كل دين باطل الى دين الحق • والحنف الميل في القدمين وتحنف اذا مال • وانشد

ولكنا خلقنا اذ خلقنا • حنيفا ديننا عن كل دين •

وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم لان كلا منهم يدعي اتباع ابرهيم وهو على الشرك قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين [illegible] فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم [illegible] وهو السميع العليم صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون قولوا خطاب للمؤمنين ويجوز ان يكون خطابا للكافرين • اي قولوا لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل • وكذلك قوله بل ملة ابرهيم يجوز ان يكون على بل اتبعوا انتم ملة ابراهيم او كونوا اهل ملته • والسبط الحافد • وكان الحسن والحسين رضي الله عنهما سبطي رسول الله صلى الله عليه وسلم • والاسباط حفدة يعقوب ذراري ابنائه الاثني عشر • لا نفرق بين احد منهم لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى • واحد في معنى الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه • بمثل ما آمنتم به من باب التبكيت لان دين الحق واحد لا مثل له وهو دين الاسلام • ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فلا يوجد اذن دين آخر يماثل دين الاسلام في كونه حقا حتى ان آمنوا بذلك الدين المماثل له كانوا مهتدين • فقيل فان آمنوا بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير • اي فان حصلوا دينا آخر مثل دينكم مساويا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا • وفيه ان دينهم الذي هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل لانه حق وهدى وما سواه باطل وضلال • ونحو هذا قولك للرجل الذي تشير عليه هذا هو الرأي الصواب • فان كان عندك رأي اصوب منه فاعمل به • وقد علمت ان لا اصوب من رأيك • ولكنك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على ان ما رأيت لا رأي وراءه • ويجوز ان لا تكون الباء صلة • وتكون باء الاستعانة كقولك كتبت بالقلم وعملت بالقدوم • اي فان دخلوا في الايمان بشهادة مثل شهادتكم التي آمنتم بها • وقرأ ابن عباس وابن مسعود بما آمنتم به • وقرأ ابي بالذي آمنتم به • وان تولوا عما تقولون لهم • ولم ينصفوا فانما هم الا في شقاق اي في مناواة ومعاندة لا غير وليسوا من طلب الحق في شيء او وان تولوا عن الشهادة والدخول في ~~صبغة الله مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله~~ فسيكفيكهم الله ضمان من الله لاظهار رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم وقد انجز وعده بقتل قريظة وسبيهم • واجلاء بني النضير • ومعنى السين ان ذلك كائن لا محالة وان تأخر

في الايمان بهام

إلى حين ﴿وهو السميع العليم﴾ وعيد لهم أي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه
أو وعد لرسول الله عليه الصلاة والسلام بمعنى يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك وما تريده من إظهار دين الحق وهو مستجيب
لك وموصلك إلى مرادك ﴿صبغة الله﴾ مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله كما انتصب وعد الله عما تقدمه وهي
فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لأن الإيمان يطهر النفوس والأصل فيه
أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم فإذا فعل الواحد
منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانيا حقا فأمر المسلمون أن يقولوا لهم قولوا آمنا بالله وصبغنا الله بالإيمان صبغة
لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا أو يقول المسلمون صبغنا الله بالإيمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم وإنما
جيء بلفظ الصبغة على طريقة المشاكلة كما تقول لمن يغرس الأشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام
﴿ومن أحسن من الله صبغة﴾ يعني أنه يصبغ عباده بالإيمان ويطهرهم به من أوضار الكفر فلا صبغة أحسن من صبغته
وقوله ﴿ونحن له عابدون﴾ عطف على آمنا بالله وهذا العطف يرد قول من زعم أن صبغة الله بدل من ملة إبراهيم
أو نصب على الإغراء بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه من فك النظم وإخراج الكلام عن التئامه واتساقه وانتصابها
على أنها مصدر مؤكد هو الذي ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام ﴿قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا
وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون أم تقولون إن إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب
والأسباط كانوا هودا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله
بغافل عما تعملون تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾
وقرأ زيد بن ثابت أتحاجونا بإدغام النون والمعنى أتجادلوننا في شأن الله واصطفائه النبي صلى الله عليه وسلم
من العرب دونكم وتقولون لو أنزل الله على أحد لأنزل علينا وترونكم أحق بالنبوة منا وهو ربنا وربكم نشترك
جميعا في أننا عباده وهو ربنا وهو يصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده كلهم سواء في ذلك لا يختص به عجمي دون عربي
إذا كان أهلا للكرامة ﴿لنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾ يعني أن العمل هو أساس الأمر وبه العبرة وكما أن لكم أعمالا يعتبرها الله في إعطاء
الكرامة ومنعها فنحن كذلك ثم قال ﴿ونحن له مخلصون﴾ فجاء بما هو سبب الكرامة أي نحن له موحدون نخلصه بالإيمان
فلا تستبعدوا أن يؤهل أهل إخلاصه لكرامته بالنبوة وكانوا يقولون نحن أحق بأن تكون النبوة فينا لأنا أهل كتاب
والعرب عبدة أوثان ﴿أم يقولون﴾ يحتمل فيمن قرأ بالتاء أن تكون معادلة للهمزة في أتحاجوننا بمعنى أي الأمرين تأتون
المحاجة في حكم الله أم ادعاء اليهودية والنصرانية على الأنبياء والمراد بالاستفهام عنهما إنكارهما معا وأن تكون منقطعة
بمعنى بل أتقولون والهمزة للإنكار أيضا وفيمن قرأ بالياء لا تكون إلا منقطعة ﴿قل أأنتم أعلم أم الله﴾ يعني أن الله شهد
لهم بملة الإسلام في قوله تعالى ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ﴿ومن أظلم ممن كتم شهادة
عنده من الله﴾ التي عنده أنه شهد بها وهي شهادته لإبراهيم بالحنيفية ويحتمل معنيين أحدهما أن أهل الكتاب
لا أحد أظلم منهم لأنهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها والثاني أنا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن أحد أظلم
منا فلا نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة في كتبهم وسائر شهاداته ومن في قوله شهادة عنده من الله
مثلها في قولك هذه شهادة مني لفلان إذا شهدت له ومثله براءة من الله ورسوله ﴿سيقول السفهاء
من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط
مستقيم وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ سيقول

أي كتم شهادة الله

السفهاء

السفهاء الخفاف الاحلام وهم اليهود لكراهتهم التوجه الى الكعبة وانهم لا يرون النسخ وقيل المنافقون لحرصهم على
الطعن والاستهزاء وقيل المشركون قالوا رغب عن قبلة آبائه ثم رجع اليها والله ليرجعن الى دينهم فان قلت
اي فائدة في الاخبار بقولهم قبل وقوعه قلت فائدته ان مفاجأة المكروه اشد والعلم به قبل وقوعه
ابعد من الاضطراب اذا وقع لما يتقدمه من توطين النفس وان الجواب العتيد قبل الحاجة اليه اقطع
للخصم واردّ لشغبه وقبل الرمي يراش السهم ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم وهي بيت المقدس لله المشرق
والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها يهدي من يشاء من اهلها الى صراط مستقيم وهو ما توجبه
الحكمة والمصلحة من توجيههم تارة الى بيت المقدس واخرى الى الكعبة وكذلك جعلناكم ومثل ذلك الجعل
العجيب جعلناكم امة وسطا خيارا وهي صفة بالاسم الذي هو وسط الشيء ولذلك ~~جعلناكم ومثل ذلك الجعل~~
استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ونحوه قوله صلى الله عليه وسلم انطوا الثبجة يريد الوسيطة بين
السمينة والعجفاء وصفا بالثبج الذي هو وسط الظهر الا انه الحق تاء التأنيث مراعاة لحق الوصف وقيل للخيار
وسط لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعواز والاوساط محمية محوطة ومنه قول الطائي

كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا

وقد اكتريت بمكة جمل اعرابي للحج فقال اعطني من سطاتهنه اراد من خيار الدنانير او عدولا لان الوسط عدل بين
الاطراف ليس الى بعضها اقرب من بعض لتكونوا شهداء على الناس روي ان الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ
الانبياء فيطالب الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون
فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد
صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فان قلت هلا قيل لكم شهيدا وشهادته لهم لا عليهم قلت لما كان الشهيد كالرقيب
والمهيمن على المشهود له جيء بكلمة الاستعلاء ومنه قوله تعالى والله على كل شيء شهيد كنت انت الرقيب عليهم وانت
على كل شيء شهيد وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة العدول الاخيار ويكون الرسول
شهيدا عليكم يزكيكم ويعلم بعدالتكم فان قلت لم اخرت صلة الشهادة اولا وقدمت آخرا قلت
لان الغرض في الاول اثبات شهادتهم على الامم وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم وما
جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على
الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم قد نرى تقلب وجهك في السماء
فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان
الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون التي كنت عليها ليست بصفة للقبلة
انما هي ثاني مفعولي جعل يريد وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم امر بالصلاة الى بيت المقدس بعد الهجرة تألفا لليهود ثم حول الى الكعبة فيقول
وما جعلنا القبلة التي يجب ان تستقبلها الجهة التي كنت عليها اولا بمكة يعني وما رددناك اليها الا امتحانا للناس
وابتلاء لنعلم الثابت على الاسلام الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقه فيرتد كقوله تعالى
وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الآية ويجوز ان يكون بيانا للحكمة في جعل بيت المقدس قبلته يعني ان اصل

امرك ان تستقبل الكعبة وان استقبالك بيت المقدس كان امرا عارضا لغرض وانما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها قبل
وقتك هذا وهي بيت المقدس لنمتحن الناس وننظر من يتبع الرسول منهم ومن لا يتبعه وينفر عنه وعن ابن عباس رضي الله
عنه كانت قبلته بمكة بيت المقدس إلا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فان قلت كيف قال لنعلم ولم يزل
عالما بذلك قلت معناه لنعلمه علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمه موجودا حاصلا ونحوه ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
ويعلم الصابرين وقيل ليعلم رسول الله عليه الصلاة والسلام والمؤمنون وانما اسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه واهل
الزلفى عنده وقيل معناه ليميز التابع من الناكص كما قال تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم
موضع التمييز لان العلم به يقع التمييز وان كانت لكبيرة هي ان المخففة من الثقيلة التي تلزمها اللام الفارقة
والضمير في كانت لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الردة او التحويلة او الجعلة ويجوز ان يكون للقبلة
لكبيرة لثقيلة [illegible] إلا على الذين هدى الله الا على الثابتين الصادقين في اتباع الرسول الذين لطف الله بهم وكانوا
اهلا للطفه • وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على الايمان وانكم لم تزلوا ولم ترتابوا بل شكر صنيعكم
واعد لكم الثواب العظيم ويجوز ان يراد وما كان الله ليترك تحويلكم لعلمه ان تركه مفسدة واضاعة لايمانكم
وقيل من كان صلى الى بيت المقدس قبل التحويل فصلاته غير ضائعة عن ابن عباس رضي الله عنهما لما وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالوا كيف بمن مات قبل التحويل من اخواننا فنزلت لرءوف رحيم لا يضيع اجورهم ولا يترك
ما يصلحهم ويحكى عن الحجاج انه قال للحسن ما رايك في ابي تراب فقرا قوله الا على الذين هدى الله
ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله عليه السلام وختنه على ابنته واقرب الناس اليه واحبهم وقرئ إلا
ليعلم على البناء للمفعول ومعنى العلم المعرفة ويجوز ان يكون من متضمنة لمعنى الاستفهام معلقا عنها العلم كقولك
علمت ازيد في الدار ام عمرو وقرا ابن ابي اسحق على عقبيه بسكون القاف وقرا اليزيدي لكبيرة بالرفع ووجهها
ان تكون كان مزيدة كما في قوله • وجيران لنا كانوا كرام • والاصل وان هي لكبيرة كقولك ان زيد لمنطلق ثم وان
كانت لكبيرة وقرئ ليضيع بالتشديد قد نرى ربما نرى ومعناه كثرة الرؤية كقوله
• قد اترك القرن مصفرا انامله • تقلب وجهك تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم
ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود وكان يراعي نزول جبريل والوحي بالتحويل فلنولينك فلنعطينك ولنمكننك
من استقبالها من قولك وليته كذا اذا جعلته واليا له او فلنجعلنك تلي سمتها دون سمت بيت المقدس ترضيها تحبها
وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التي اضمرتها ووافقت مشيئة الله وحكمته شطر المسجد الحرام نحوه قال
• واطعن بالقوم شطر الملوك • وقرا ابي تلقاء المسجد الحرام • عن البراء بن عازب رضي الله عنه قدم النبي صلى الله
عليه وسلم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال
الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلاة الظهر
فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين
وشطر المسجد نصب على الظرف اي اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد اي في جهته وسمته لان استقبال عين القبلة فيه
حرج عظيم على البعيد وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين ليعلمون
انه الحق اي التحويل الى الكعبة هو الحق لانه كان في بشارة انبيائهم برسول الله عليه السلام انه يصلي الى القبلتين وقرئ

الى الكعبة

بالياء والتاء ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم
بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين ما تبعوا جواب
القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط بكل آية بكل برهان قاطع أن التوجه إلى الكعبة هو الحق ما تبعوا قبلتك
لأن تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بإيراد الحجة إنما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم لما في كتبهم من نعتك أنك
على الحق وما أنت بتابع قبلتهم حسم لأطماعهم إذ كانوا ماجوا في ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجوا
أن يكون صاحبنا الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه إلى قبلتهم. وقرئ بتابع قبلتهم على الإضافة وما
بعضهم بتابع قبلة بعض يعني أنهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شأن القبلة لا يرجى اتفاقهم كما لا يرجى
موافقتهم لك وذلك أن اليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس أخبر عز وعلا عن تصلب كل
حزب فيما هو فيه وثباته عليه فالمحق منهم لا يزل عن مذهبه لتمسكه بالبرهان والمبطل لا يقلع عن باطله لشدة
شكيمته في عناده وقوله ولئن اتبعت أهواءهم بعد الإفصاح عن حقيقة حاله المعلومة عنده في قوله
وما أنت بتابع قبلتهم كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير بمعنى ولئن اتبعتهم مثلا بعد وضوح البرهان
والإحاطة بحقيقة الأمر إنك إذا لمن الظالمين المرتكبين الظلم الفاحش وفي ذلك لطف للسامعين وزيادة تحذير
واستفظاع لحال من يترك الدليل بعد إنارته ويتبع الهوى وتهييج وإلهاب للثبات على الحق فإن قلت
كيف قال وما أنت بتابع قبلتهم ولهم قبلتان لليهود قبلة وللنصارى قبلة قلت كلتا القبلتين باطلة مخالفة
لقبلة الحق فكانتا بحكم الاتحاد في البطلان قبلة واحدة الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم
وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولكل وجهة هو موليها
فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا إن الله على كل شيء قدير يعرفونه يعرفون رسول
الله صلى الله عليه وسلم معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص كما يعرفون أبناءهم
لا يشتبه عليهم أبناؤهم وأبناء غيرهم. وعن عمر رضي الله عنه أنه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله
فقال أنا أعلم به مني بابني قال ولم قال لأني لست أشك في محمد أنه نبي فأما ولدي فلعل والدته خانت
فقبل عمر رضي الله عنه رأسه. وجاز الإضمار وإن لم يسبق له ذكر لأن الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع
ومثل هذا الإضمار فيه تفخيم وإشعار بأنه لشهرته وكونه علما معلوم بغير إعلام وقيل الضمير للعلم
أو القرآن أو تحويل القبلة وقوله كما يعرفون أبناءهم يشهد للأول وينصره الحديث عن عبد الله بن سلام
رضي الله عنه فإن قلت لم اختص الأبناء قلت لأن الذكور أشهر وأعرف وهم لصحبة الآباء
ألزم وبقلوبهم ألصق وإن فريقا منهم استثناء لمن آمن منهم أو لجهالهم الذين قال فيهم ومنهم أميون
لا يعلمون الكتاب الحق من ربك يحتمل أن يكون الحق خبر مبتدأ محذوف أي هو الحق أو مبتدأ خبره
من ربك وفيه وجهان أن تكون اللام للعهد والإشارة إلى الحق الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو إلى
الحق الذي في قوله ليكتمون الحق أي هذا الذي يكتمونه هو الحق من ربك وأن يكون للجنس على معنى الحق من
الله لا من غيره يعني أن الحق ما ثبت أنه من الله كالذي أنت عليه وما لم يثبت أنه من الله كالذي عليه أهل الكتاب
فهو الباطل فإن قلت إذا جعلت الحق خبر مبتدأ فما محل من ربك قلت يجوز أن يكون خبرا بعد خبر
وأن يكون حالا وقرأ علي رضي الله عنه وكرم وجهه الحق من ربك على الإبدال من الأول أي يكتمون الحق من ربك

فلا تكونن من الممترين الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم او في انه من ربك ولكل من اهل الاديان المختلفة وجهة قبلة
وفي قراءة ابي ولكل قبلة هو موليها هو موليها وجهه فحذف المفعولين وقيل هو لله تعالى اي الله موليها اياه وقرئ
ولكل وجهة على الاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها فزيدت اللام لتقدم المفعول كقولك لزيد ضربت ولزيد
ابوه ضاربه وقرأ ابن عامر هو مولاها اي هو مولى تلك الجهة قد وليها والمعنى لكل امة قبلة تتوجه اليها منكم
ومن غيركم فاستبقوا انتم الخيرات واستبقوا اليها غيركم من امر القبلة وغيره ومعنى اخر وهو ان يراد ولكل منكم
يا امة محمد وجهة اي جهة يصلي اليها جنوبية او شمالية او شرقية او غربية فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يأت
بكم الله جميعا للجزاء من موافق ومخالف لا تعجزونه او يكون المعنى فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهي الجهات المسامتة
للكعبة وان اختلفت اينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعا يجمعكم ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة
وكانكم تصلون حاضري المسجد الحرام ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما
الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم
شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولاتم نعمتي عليكم
ولعلكم تهتدون ومن حيث خرجت اي من اي بلد خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان
المأمور به وقرئ يعملون بالياء والتاء وهذا التكرير لتأكيد امر القبلة وتشديده لان النسخ من مظان الفتنة والشبهة
وتسويل الشيطان والحاجة الى الفصل بينه وبين البداء فكرر عليهم ليثبتوا ويعزموا ويجدوا ولانه نيط بكل
واحد ما لم ينط بالآخر فاختلفت فوائدها الا الذين ظلموا استثناء من الناس ومعناه لئلا يكون حجة لاحد من اليهود الا
للمعاندين منهم القائلين ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء
فان قلت اي حجة كانت للمنصفين منهم لو لم يحول حتى احترز من تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين
قلت لانهم يعرفونه بسياق الحجة ويجوز ان يكون المعنى لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض في ترككم
التوجه الى الكعبة التي هي قبلة ابراهيم واسمعيل عليهما السلام ابي العرب الا الذين ظلموا منهم وهم اهل مكة
حين يقولون بدا له فرجع الى قبلة ابائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه الا الذين
ظلموا منهم على ان الا للتنبيه ووقف على حجة ثم استأنف منبها فلا تخشوهم فلا تخافوا مطاعنهم في قبلتكم
فانهم لا يضرونكم واخشوني فلا تخالفوا امري وما رأيته مصلحة لكم ومتعلق اللام محذوف معناه ولاتمام
النعمة عليكم واراد في اهتداكم امرتكم بذلك او يعطف على علة مقدرة كانه قيل ~~تمام النعمة الوصف~~
~~على الاسلام~~ واخشوني لاوفقكم ولاتم نعمتي عليكم وقيل هو معطوف على لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول
الجنة وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم اياتنا ويزكيكم
ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون
يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات
بل احياء ولكن لا تشعرون كما ارسلنا اما ان يتعلق بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في الاخرة بالثواب كما اتممتها
عليكم في الدنيا بارسال الرسول او بما بعده اي كما ذكرتكم بارسال الرسول فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا
لي ما انعمت به عليكم ولا تكفرون ولا تجحدوا نعمائي اموات بل احياء هم اموات بل هم احياء ولكن لا تشعرون
كيف حالهم في حياتهم وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار

يل

على ارواح آل فرعون غدوة وعشيا فيصل اليهم الوجع وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها وقالوا
يجوز ان يجمع الله من اجزاء الشهيد جملة فيحييها ويوصل اليها النعيم وان كانت في حجم الذرة وقيل نزلت في شهداء بدر
وكانوا اربعة عشر ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر
الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة
واولئك هم المهتدون ولنبلونكم ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون وتثبتون
على ما انتم عليه من الطاعة وتسلمون لامر الله وحكمه ام لا بشيء بقليل من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه وبشر
الصابرين المسترجعين عند البلاء لان الاسترجاع تسليم واذعان وعن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة
جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وروي انه طفئ سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هي قال نعم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وانما قلل في قوله بشيء ليؤذن ان
كل بلاء اصاب الانسان وان جل ففوقه ما يقل اليه وليخفف عليهم ويريهم ان رحمته معهم في كل حال لا تزايلهم وانما
وعدهم ذلك قبل كونه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص عطف على شيء او على الخوف بمعنى وشيء من نقص الاموال والخطاب في
وبشر لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يتأتى منه البشارة وعن الشافعي رضي الله عنه الخوف خوف الله والجوع
صيام شهر رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد
وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله عز وجل للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول
الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد والصلاة
الحنو والتعطف فوضعت موضع الرأفة وجمع بينها وبين الرحمة كقوله تعالى رأفة ورحمة رؤوف رحيم والمعنى عليهم
رأفة بعد رأفة ورحمة اي رحمة واولئك هم المهتدون لطريق الصواب حيث استرجعوا وسلموا لامر الله والله اعلم
ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان
الله شاكر عليم الصفا والمروة علمان للجبلين كالصمان والمقطم والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة من اعلام
مناسكه ومتعبداته والحج القصد والاعتمار الزيارة فغلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما في المعاني
كالنجم والبيت في الاعيان واصل يطوف يتطوف فادغم وقرئ ان يطوف من طاف فان قلت كيف قيل
انهما من شعائر الله ثم قيل لا جناح عليه ان يطوف بهما قلت كان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة وهما
صنمان يروى انهما كانا رجلا وامرأة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون
الله فكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل
الجاهلية وان لا يكون عليهم جناح في ذلك فرفع عنهم الجناح واختلف في السعي فمن قائل هو تطوع بدليل رفع الجناح
وما فيه من التخيير بين الفعل والترك كقوله عز وجل فلا جناح عليهما ان يتراجعا وغير ذلك ولقوله
تعالى خيرا لقوله تعالى فمن تطوع خيرا لقوله ومن تطوع خيرا فهو خير له ويروى ذلك عن انس وابن عباس وابن الزبير
رضوان الله عليهم وتنصره قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما وعن ابي حنيفة رحمه الله انه واجب وليس
بركن وعلى تاركه دم وعند الاولين لا شيء عليه وعند مالك والشافعي هو ركن لقوله صلى الله عليه وسلم اسعوا فان الله كتب
عليكم السعي وقرئ ومن يطوع بمعنى ومن يتطوع فادغم وفي قراءة عبد الله ومن تطوع بخير ان الذين يكتمون ما
انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون

في قوله

أقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول م

ومن تطوع

م

إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم إن الذين يكتمون من أحبار اليهود ما أنزلنا
في التوراة من البينات من الآيات الشاهدة على أمر محمد صلى الله عليه وسلم والهدى والهداية بوصفه إلى اتباعه
والإيمان به من بعد ما بيناه ولخصناه للناس في الكتاب في التوراة لم ندع فيه موضع إشكال ولا اشتباه
على أحد منهم فعمدوا إلى ذلك المبين الملخص فكتموه ولبسوا على الناس أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الذين
يتأتى منهم اللعن عليهم وهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين وأصلحوا ما أفسدوا من أحوالهم وتداركوا ما فرط منهم
وبينوا ما بينه الله في كتابهم فكتموه وبينوا للناس ما أحدثوه من توبتهم ليمحوا سمة الكفر عنهم ويعرفوا بضد
ما كانوا يعرفون به ويقتدي بهم غيرهم من المفسدين إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم
لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون إن الذين كفروا يعني الذين
ماتوا من هؤلاء الكاتمين ولم يتوبوا ذكر لعنتهم أحياء ثم لعنتهم أمواتا وقرأ الحسن والملائكة والناس أجمعون
بالرفع عطفا على محل اسم الله لأنه فاعل في التقدير كقولك عجبت من ضرب زيد وعمرو تريد من أن ضرب زيد
عمرو كأنه قيل أولئك عليهم أن لعنهم الله والملائكة فإن قلت ما معنى قوله والناس أجمعين وفي الناس
المسلم والكافر قلت أراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المؤمنون وقيل يوم القيامة يلعن بعضهم بعضا
خالدين فيها في اللعنة وقيل في النار إلا أنها أضمرت تفخيما لشأنها وتهويلا ولا هم ينظرون من الإنظار
أي لا يمهلون ولا يؤجلون أو لا ينتظرون ليعتذروا أو لا ينظر إليهم نظر رحمة وإلهكم إله واحد لا إله
إلا هو الرحمن الرحيم إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع
الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب
المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون إله واحد فرد في الإلهية لا شريك له فيها ولا يصح أن يسمى غيره
إلها ولا إله إلا هو تقرير للوحدانية بنفي غيره وإثباته الرحمن الرحيم المولي لجميع النعم أصولها وفروعها ولا شيء سواه
بهذه الصفة فإن كل ما سواه إما نعمة وإما منعم عليه وقيل كان للمشركين حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فلما سمعوا
بهذه الآية تعجبوا وقالوا إن كنت صادقا فأت بآية نعرف بها صدقك فنزلت إن في خلق السموات والأرض واختلاف
الليل والنهار واعتقابهما لأن كل واحد منهما يعقب الآخر كقوله تعالى جعل الليل والنهار خلفة بما ينفع
الناس بالذي ينفعهم مما يحمل فيها أو ينفع الناس فإن قلت قوله وبث فيها عطف على أنزل أم أحيا قلت الظاهر أنه
عطف على أنزل داخل تحت حكم الصلة لأن قوله فأحيا به الأرض عطف على أنزل فاتصل به وصارا جميعا كالشيء
الواحد فكأنه قيل وما أنزل في الأرض من ماء وبث فيها من كل دابة ويجوز عطفه على أحيا على معنى فأحيا
بالمطر الأرض وبث فيها من كل دابة لأنهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا وتصريف الرياح في مهابها قبولا
ودبورا وجنوبا وشمالا وفي أحوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقما ولواقح وقيل تارة بالرحمة
وتارة بالعذاب والسحاب المسخر للرياح تقلبه في الجو بمشيئة الله يمطر حيث شاء لآيات لقوم يعقلون
ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون لأنها دلائل على عظيم القدرة وباهر الحكمة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل
لمن قرأ هذه الآية فمج بها أي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها وقرئ والفلك بضمتين وتصريف الريح على الإفراد
ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ
يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب

ويعتبرون

وتتفطن

وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم
حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار اندادا امثالا من الاصنام وقيل من الرؤسا الذين كانوا يطيعونهم وينزلون على اوامرهم ونواهيهم واستدل بقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ومعنى يحبونهم يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب كحب الله كتعظيم الله والخضوع له اي كما يحب الله تعالى فالكاف مصدر من المبني للمفعول وانما استغني عن ذكر من يحبه لانه غير ملتبس وقيل كحبهم الله اي يسوون بينه وبينهم في محبتهم لانهم كانوا يقرون بالله ويتقربون اليه فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين والذين آمنوا اشد حبا لله لا يعدلون عنه الى غيره بخلاف المشركين فانهم يعدلون عن اندادهم الى الله عند الشدائد فيفزعون اليه ويخضعون له ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه فيقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره او يأكلونه كما اكلت باهلة الههما من حيس عام المجاعة ولو يرى الذين ظلموا اشارة الى متخذي الانداد اي ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم ان القدرة كلها لله على كل شيء من العقاب والثواب دون اندادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين اذا عاينوا العذاب يوم القيمة لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم فحذف الجواب كما في قوله عز وجل ولو ترى اذ وقفوا على النار وقولهم لو رأيت فلانا والسياط تأخذه ويرى شامي ولو ترى على خطاب الرسول او كل مخاطب اي ولو ترى ذلك لرأيت امرا عظيما وقرئ اذ يرون على البناء للمفعول واذ في المستقبل كقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة اذ تبرأ بدل من اذ يرون العذاب اي تبرأ المتبوعون وهم الرؤساء من الاتباع وقرأ مجاهد الاول على البناء للفاعل والثاني على البناء للمفعول اي تبرأ الاتباع من الرؤساء ورأوا العذاب الواو للحال اي تبرءوا في حال رؤيتهم العذاب وتقطعت عطف على تبرأ والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب والمحاب والاتباع والاستتباع كقوله تعالى لقد تقطع بينكم ولو في معنى التمني ولذلك اجيب بالفاء الذي يجاب به التمني كأنه قيل ليت لنا كرة فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك الارآء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم اي ندامات وحسرات فلا يرون الا حسرات مكان اعمالهم وما هم بخارجين بمنزلته في قوله هم يفرشون اللبد كل طمرة في دلالته على قوة امرهم فيما اسند اليهم لا على الاختصاص **يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون** حلالا مفعول كلوا او حال مما في الارض طيبا طاهرا من كل شبهة ولا تتبعوا خطوات الشيطان فتدخلوا في حرام او شبهة او تحريم حلال او تحليل حرام ومن للتبعيض لان كل ما في الارض ليس بمأكول وقرئ خطوات بضمتين وخطوات بضمة وسكون وخطؤات بضمتين وهمزة جعلت الضمة على الطاء كأنها على الواو وخطوات بفتحتين وخطوات بفتحة وسكون والخطوة المرة من الخطو والخطوة ما بين قدمي الخاطي وهما كالغرفة والغرفة والقبضة والقبضة يقال اتبع خطواته ووطئ على عقبه اذا اقتدى به واستن بسنته مبين ظاهر العداوة لا خفاء به انما يأمركم بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته اي لا يأمركم بخير قط انما يأمركم بالقبيح والفحشاء وما يتجاوز الحد في القبح من العظائم وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وهو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله مما لا يجوز عليه فان قلت

كيف كان الشيطان آمراً مع قوله ليس لك عليهم سلطان قلت شبه تزيينه وبعثه على الشر بامر الامر كما تقول
أمرتني بكذا وتحته رمز الى انكم منه بمنزلة المامورين لطاعتكم له وقبولكم وساوسه ولذلك قال ولآمرنهم
فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله وقال تعالى ان النفس لأمارة بالسوء لما كان
الانسان بطبعها فيعطيها ما اشتهت لهم الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات للنداء
على ضلالهم لانه لا ضال اضل من المقلد كانه يقول للعقلاء انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون قيل هم المشركون
وقيل هم طايفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا
فانهم كانوا خيراً منا واعلم والفينا بمعنى وجدنا بدليل بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا اولو كان اباؤهم الواو
للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجب معناه أيتبعونهم ولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئاً من الدين ولا يهتدون
للصواب ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون لابد
من مضاف محذوف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او ومثل الذين كفروا كبهائم الذي
ينعق والمعنى ومثل داعيهم الى الايمان في انهم لا يسمعون من الدعاء الا جرس النغمة ودوي الصوت من غير
القاء اذهان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع الا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجرها
لها ولا تفقه شيئاً اخر ولا تعي كما يفهم العقلاء ويعون ويجوز ان يراد بما لا يسمع الاصم الاصلخ الذي لا يسمع
من كلام الرافع صوته بكلامه الا النداء والتصويت لا غير من غير فهم للحروف وقيل معناه ومثلهم في اتباعهم
اباءهم وتقليدهم لهم كمثل البهائم التي لا تسمع الا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته فكذلك هؤلاء يتبعونهم
على ظاهر حالهم ولا يفقهون اهم على حق ام باطل وقيل ومعناه ومثلهم في دعائهم الاصنام كمثل الناعق
بما لا يسمع الا ان قوله الا دعاء ونداء لا يساعد عليه لان الاصنام لا تسمع شيئاً والنعيق التصويت يقال
نعق المؤذن ونعق الراعي بالضان قال الاخطل
فانعق بضانك يا جرير فانما منتك نفسك في الخلاء ضلالا
واما نغق الغراب فبالغين المعجمة صم هم صم وهو رفع على الذم يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما
رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به
لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم من طيبات ما رزقناكم من
مستلذاته لان كل ما رزقه الله لا يكون الا حلالاً واشكروا لله الذي رزقكموها ان كنتم اياه تعبدون
ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الله تعالى اني والجن والانس في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري وقرئ حرم على البناء
للفاعل وحرم على البناء للمفعول وحرم بوزن كرم وما اهل به لغير الله اي ذبح به الصوت للصنم وذلك قول
اهل الجاهلية باسم اللات والعزى غير باغ على مضطر اخر بالاستيثار عليه ولا عاد سد الجوعة فان قلت
في [illegible] وهو السمك والجراد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احلت لي ميتتان ودمان قلت
قصد ما يتفاهمه الناس ويتعارفونه في العادة الا ترى ان القايل اذا قال اكل فلان ميتة لم يسبق الوهم
الى السمك والجراد كما لو قال اكل دماً لم يسبق الى الكبد والطحال ولاعتبار العادة والتعارف قالوا من حلف
لا ياكل لحماً فاكل سمكاً وان اكل لحماً في الحقيقة وقال الله تعالى لتاكلوا منه لحماً طرياً وشبهوه بمن حلف لا يركب

لم يختم

بلغ المقابلة

وانه فرث كأنما لم يحنث وان سماه الله تعالى دابة في قوله تعالى إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فان قلت
فما له ذكر لحم الخنزير دون شحمه قلت لان الشحم داخل في ذكر اللحم لكونه تابعا له وصفة فيه بدليل قولهم لحم سمين
يريدون انه شحيم إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ
فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ في بطونهم
مثل رطونهم ويقال اكل فلان في بطنه واكل في بعض بطنه الا النار لانه اذا اكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة
فكانه اكل النار ومنه قولهم اكل فلان الدم اذا اكل الدية التي هي بدل منه قال
اكلت دما ان لم ارعك بضرة وقال يأكلن كل ليلة اكافا
اراد ثمن الاكاف فسماه اكافا لتلبسه به بكونه ثمناله ولا يكلمهم الله تعريض بحرمانهم حال اهل [illegible] في تكرمة
الله اياهم بكلامه وتزكيتهم بالثناء عليهم وقيل نفي الكلام عبارة عن غضبه عليهم لمن غضب على صاحبه فصرمه
وقطع كلامه وقيل لا يكلمهم الله بما يحبون ولكن بنحو قوله قال اخسئوا فيها ولا تكلمون أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا
الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ
اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار
من غير مبالاة منهم كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما اصبرك على القيد والسجن تريد انه لا يتعرض لذلك
الا من هو شديد الصبر على العذاب وقيل فما اصبرهم فاي شيء صبرهم يقال اصبره على كذا وصبره بمعنى وهذا
اصل معنى فعل التعجب والذي روى عن الكسائي انه قال قال لي قاضي اليمن بمكة اختصم الي رجلان من العرب
فحلف احدهما على حق صاحبه فقال له ما اصبرك على الله فمعناه ما اصبرك على عذاب الله وذلك بان الله نزل
اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل ما نزل من الكتب بالحق وان الذين اختلفوا في كتب الله فقالوا في بعضها حق وفي
بعضها باطل وهم اهل الكتاب لفي شقاق بعيد لفي خلاف بعيد عن الحق والكتاب للجنس او كفرهم ذلك بسبب ان الله
نزل القرآن بالحق كما يعلمون وان الذين اختلفوا فيه من المشركين فقال بعضهم سحر وبعضهم شعر وبعضهم
اساطير الاولين لفي شقاق بعيد يعني ان اولئك لو لم يختلفوا ولم يشاقوا لما جسر هؤلاء ان يكفروا لَّيْسَ الْبِرَّ
أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ
وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ
وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ
الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ البر اسم للخير ولكل فعل مرضي ان تولوا وجوهكم
قبل المشرق والمغرب الخطاب لاهل الكتاب لان اليهود تصلي قبل المغرب الى بيت المقدس والنصارى قبل
المشرق وذلك انهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة وزعم كل واحد
من الفريقين ان البر التوجه الى قبلته فرد عليهم وقيل ليس البر فيما انتم عليه فانه منسوخ خارج من البر ولكن البر
ما نبينه وقيل كثر خوض المسلمين واهل الكتاب في امر القبلة فقيل ليس البر العظيم فيما انتم عليه [illegible]
~~البر ولكن البر~~ الذي يجب ان تذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البر امر القبلة ولكن البر الذي يجب الاهتمام
به وصرف الهمة اليه بر من آمن وقام بهذه الاعمال وقرئ ليس البر على انه خبر مقدم وقرأ عبد الله بان تولوا على بالنصب م
ادخال الباء على الخبر للتأكيد كقولك ليس المنطلق بزيد ولكن البر من آمن على تأويل حذف المضاف اي بر من آمن

او يقال البر بمعنى ذي البر او كما قالت فانما هي اقبال وادبار وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت
ولكن البر بفتح الباء وقرئ ولكن البار وقرأ ابن عامر ونافع ولكن البر بالتخفيف الكتاب جنس كتب الله او القرآن
على حبه مع حب المال والشح به كما قال ابن مسعود رضي الله عنه ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر
ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل على حب الله وقيل على حب الايتاء يريد ان يعطيه
وهو طيب النفس باعطائه وقدم ذوي القربى لانهم احق قال عليه الصلاة والسلام صدقتك على المسكين صدقة
وعلى ذي رحمك اثنتان لانها صدقة وصلة وقال صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح
واطلق ذوي القربى واليتامى والمراد الفقراء منهم لعدم الالباس والمسكين الدائم السكون الى الناس لانه لا شيء له كالمسكير
لدائم السكر ابن السبيل المسافر المنقطع وجعل ابنا للسبيل لملازمته له كما يقال للص القاطع ابن الطريق وقيل هو الضيف
لان السبيل يرعف به والسائلين المستطعمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للسائل حق وان جاء على ظهر فرسه وفي
الرقاب وفي معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها وقيل في فك الاسارى فان
قلت قد ذكر ايتاء المال في هذه الوجوه ثم قفاه بايتاء الزكوة فهل دل ذلك على ان في المال حقا سوى الزكوة
قلت يحتمل ذلك وعن الشعبي ان في المال حقا سوى الزكوة وتلا هذه الآية ويحتمل ان يكون ذلك بيان مصارف الزكوة
او يكون حثا على نوافل الصدقات والمبار وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة يعني وجوبها وروي ليس في المال
حق سوى الزكوة والموفون عطف على من آمن واخرج الصابرين منصوبا على الاختصاص والمدح اظهارا لفضل
الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الاعمال وقرئ والصابرون وقرئ والموفين والصابرين والباساء
الفقر والشدة والضراء المرض والزمانة صدقوا كانوا صادقين جادين في الدين يا ايها الذين آمنوا كتب
عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف
واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم عن عمر
ابن عبد العزيز والحسن البصري وعطاء وعكرمة وهو مذهب مالك والشافعي ان الحر لا يقتل بالعبد والذكر
لا يقتل بالانثى اخذا بهذه الآية ويقولون هي مفسرة لما ابهم في قوله ان النفس بالنفس وان تلك واردة لحكاية
ما كتب في التورية على اهلها وهذه خوطب بها المسلمون وكتب عليهم ما فيها وعن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي
وقتادة والثوري وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه انها منسوخة بقوله النفس بالنفس والقصاص ثابت بين الحر
والعبد والذكر والانثى ويستدلون بقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون تتكافأ دماؤهم وبان التفاضل غير معتبر في الانفس
بدليل ان جماعة لو قتلوا واحدا قتلوا به وروي انه كان بين حيين من احياء العرب دماء في الجاهلية
وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى والاثنين بالواحد فتحاكموا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين جاء الله بالاسلام فنزلت وامرهم ان يتباوؤا فمن عفي له من اخيه شيء معناه فمن عفي له من
جهة اخيه شيء من العفو على انه كقولك سير بزيد بعض السير وطائفة من السير ولا يصح ان يكون شيء في معنى
المفعول به لان عفى لا يتعدى الى مفعول به الا بواسطة واخوه هو ولي المقتول وقيل له اخوه لانه لابسه من
قبل انه ولي الدم ومطالبه به كما تقول للرجل قل لصاحبك كذا لمن بينه وبينه ادنى ملابسة او ذكره بلفظ الاخوة
ليعطف احدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والاسلام فان قلت ان عفى يتعدى بعن لا باللام
فما وجه قوله فمن عفي له قلت يتعدى بعن الى الجاني والى الذنب فيقال عفوت عن فلان عما جنى كما تقول

وعن ذنبه

ذنبه قال تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى
كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه وعلى هذا ما في الآية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته فاستغنى
عن ذكر الجناية فان قلت هلا فسرت عفي بترك حتى يكون شيء في معنى المفعول به قلت لان
عفا الشيء بمعنى تركه ليس بثبت ولكن اعفاه ومنه قوله عليه السلام واعفوا اللحى فان قلت فقد ثبت قولهم عفا
اثره اذا محاه وازاله فهلا جعلت معناه فمن محي له من اخيه شيء قلت عبارة قلقة في مكانها والعفو
في باب الجنايات عبارة متداولة مشهورة في الكتاب والسنة واستعمال الناس فلا يعدل عنها الى اخرى قلقة
نابية عن مكانها وترى كثيرا ممن يتعاطى هذا العلم يجترئ اذا اعضل عليه تخريج وجه للمشكل من كلام الله
عز وجل على اختراع لغة وادعاء على العرب ما لا تعرفه وهذه جرأة يستعاذ بالله منها فان قلت
لم قيل شيء من العفو قلت للاشعار بانه اذا عفي له طرف من العفو وبعض منه بان يعفى عن بعض
الدم او عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم تجب الا الدية فاتباع بالمعروف فليكن
اتباع او فالامر اتباع وهذه توصية للمعفو عنه والعافي جميعا يعني فليتبع الولي القاتل بالمعروف بان لا يعنف
به ولا يطالبه الا مطالبة جميلة وليؤد اليه القاتل بدل الدم اداء باحسان بان لا يمطله ولا يبخسه ذلك
الحكم المذكور من العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لان اهل التوراة كتب عليهم القصاص البتة وحرم العفو
واخذ الدية وعلى اهل الانجيل العفو وحرم القصاص والدية وخيرت هذه الامة بين الثلث القصاص والدية
والعفو توسعة عليهم وتيسيرا فمن اعتدى بعد ذلك التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل او القتل
بعد اخذ الدية فقد كان الولي في الجاهلية يؤمن القاتل بقبوله الدية ثم يظفر به فيقتله فله عذاب اليم نوع
من العذاب شديد الالم في الآخرة وعن قتادة العذاب الاليم ان يقتل لا محالة ولا يقبل منه دية لقوله
صلى الله عليه وسلم لا اعافي احدا قتل بعد اخذه الدية ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب
لعلكم تتقون ولكم في القصاص حيوة كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو ان القصاص قتل وتفويت للحياة
وقد جعل مكانا وظرفا للحيوة ومن اصابة محز البلاغة بتعريف القصاص وتنكير الحيوة لان المعنى ولكم في هذا الجنس من
الحكم الذي هو القصاص حيوة عظيمة وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل مهلهل باخيه كليب
حتى كاد يفني بكر بن وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع بينهم التناحر فلما جاء الاسلام
بشرع القصاص كانت فيه حيوة اي حيوة او نوع من الحيوة وهي الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم
بالاقتصاص من القاتل لانه اذا هم بالقتل فعلم انه يقتص منه فارتدع سلم صاحبه من القتل وسلم هو
من القود فكان القصاص سبب حيوة نفسين وقرأ ابو الجوزاء ولكم في القصص حيوة اي فيما قص عليكم من حكم
القتل والقصاص وقيل القصص القرآن اي ولكم في القرآن حيوة للقلوب كقوله تعالى روحا من
امرنا ويحيى من حي عن بينة لعلكم تتقون اي ارينكم ما في القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون
تعملون عمل اهل التقوى في المحافظة على القصاص والحكم به وهو خطاب له فضل اختصاص بالائمة كتب
عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين فمن
بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم
فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم اذا حضر احدكم الموت اذا دنا منه وظهرت اماراته خيرا مالا كثيرا عن عائشة رضي الله

أن رجلاً أراد الوصية وله عيال وأربعماية دينار فقالت ما أرى فيه فضلاً وأراد آخر أن يوصي فسألته كم مالك فقال ثلثة
الآف قالت كم عيالك قال أربعة قالت إنما قال الله إن ترك خيراً وإن هذا لشيء يسير فاتركه لعيالك • وعن علي رضي الله عنه
أن مولى له أراد أن يوصي وله سبعماية فمنعه وقال قال الله تعالى إن ترك خيراً والخير هو المال وليس لك مال والوصية
فاعل كتب وذكر فعلها للفاصل ولأنها بمعنى أن يوصي ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله بعد ما سمعه • والوصية
للوارث ~~وتلقي الأمة إياه بالقبول~~ كانت في بدء الإسلام فنسخت بآية المواريث • وبقوله صلى الله عليه وسلم إن الله أعطى
كل ذي حق حقه • ألا لا وصية لوارث • وتلقي الأمة إياه بالقبول حتى لحق بالمتواتر • وإن كان من الآحاد لأنهم لا يتلقون
بالقبول إلا الثبت الذي صحت روايته • وقيل لم تنسخ والوارث يجمع له بين الوصية والميراث بحكم الآيتين •
وقيل ما هي بمخالفة لآية المواريث • ومعناها كتب عليكم ما أوصى به الله من توريث الوالدين والأقربين من قوله
تعالى يوصيكم الله في أولادكم • أو كتب على المحتضر أن يوصي للوالدين والأقربين • بتوفير ما أوصى به الله لهم
عليهم وأن لا ينقص من أنصبائهم بالمعروف بالعدل وهو أن لا يوصي للغني ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث
حقاً مصدر مؤكد • أي حق ذلك حقاً • فمن بدله فمن غير الإيصاء ~~المغير أو التبديل إلا على مبدليه دون غيرهم~~
~~من الموصي والموصى له لأنهما بريان من الحيف ٥ إن الله سميع عليم وعيد المبدل ٥ فمن خاف فمن توقع~~ من وجهه
إن كان موافقاً للشرع من الأوصياء والشهود بعد ما سمعه وتحققه فإنما إثمه على الذين يبدلونه فما إثم الإيصاء
المغير أو التبديل إلا على مبدليه دون غيرهم من الموصي والموصى له لأنهما بريان من الحيف ٥ إن الله سميع عليم وعيد
للمبدل ٥ فمن خاف فمن توقع وعلم وهذا في كلامهم شائع يقولون أخاف أن ترسل السماء يريدون التوقع والظن الغالب
الجاري مجرى العلم ٥ جنفاً ميلاً عن الحق بالخطأ في الوصية ٥ أو إثماً أو تعمد الحيف فأصلح بينهم بين الموصى لهم وهم
الوالدان والأقربون • بإجرائهم على طريق الشرع ٥ فلا إثم عليه حينئذ لأن تبديله تبديل باطل إلى حق ذكر من يبدل
بالباطل ثم من يبدل بالحق • ليعلم أن كل تبديل لا يؤثم يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب
على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى
الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون
كما كتب على الذين من قبلكم على الأنبياء والأمم من لدن آدم عليه السلام إلى عهدكم قال علي كرم الله وجهه أولهم
آدم يعني أن الصوم عبادة قديمة أصلية ما أخلى الله أمة من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم • لعلكم تتقون
بالمحافظة عليها • وتعظيمها لأصالتها وقدمها أو لعلكم تتقون المعاصي لأن الصائم أظلف لنفسه وأردع لها من مواقعة
السوء • قال النبي صلى الله عليه وسلم فعليه بالصوم فإن الصوم فيه وجاء • أو لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين لأن الصوم
شعارهم وقيل معناه أنه كصومهم في عدد الأيام • وهو شهر رمضان كتب على أهل الإنجيل فأصابهم موتان •
فزادوا عشراً بعده فجعلوه خمسين يوماً وقيل كان وقوعه في البرد الشديد فشق عليهم في أسفارهم ومعايشهم فجعلوه
بين الشتاء والربيع وزادوا عشرين يوماً كفارة لتحويله عن وقته • وقيل الأيام المعدودات عاشوراء وثلثة أيام
من كل شهر • كتب على رسول الله صلى الله عليه وسلم صيامها حين هاجر ثم نسخت بشهر رمضان • وقيل كتب عليكم كما
كتب عليهم • أن يتقوا المفطر بعد أن يصلوا العشاء وبعد أن يناموا ثم نسخ ذلك بقوله تعالى أحل لكم ليلة الصيام الآية
ومعنى معدودات موقتات بعدد معلوم أو قلائل كقوله تعالى دراهم معدودة وأصله أن
المال القليل يقدر بالعدد ويتحكر فيه والكثير يهال هيلاً ويحثى حثياً وانتصاب أياماً بالصيام كقولك

نويت

نودي للخروج يوم الجمعة أو على سفر او راكب سفر فعدة فعليه عدة • وقرئ بالنصب بمعنى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة
وقيل مكتوب عليهما ان يفطرا ويصوما ساعة من ايام اخر • واختلف في المرض المبيح للافطار فمن قائل كل مرض لان الله
لم يخص مرضا دون مرض كما لم يخص سفرا دون سفر فكما ان لكل مسافر ان يفطر فكذلك كل مريض • وعن ابن سيرين انه
دخل عليه يوما في رمضان وهو يأكل • فاعتل بوجع اصبعه • وسئل مالك عن الرجل يصيبه الرمد الشديد او الصداع ٤
المضر وليس به مرض يضجعه فقال انه في سعة من الافطار • وقائل هو المرض الذي يعسر معه الصوم ويزيد فيه
لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر • وعن الشافعي رضي الله عنه لا يفطر حتى يجهده الجهد غير المحتمل
واختلف ايضا في القضاء فعامة العلماء على التخيير • وعن ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ان الله لم يرخص لكم في فطره
وهو يريد ان يشق عليكم في قضائه ان شئت فواتر وان شئت ففرق • وعن علي وابن عمر والشعبي وغيرهم • انه
يقضى كما فات متتابعا • وفي قراءة ابي فعدة من ايام اخر متتابعات فان قلت فكيف قيل فعدة على التنكير
ولم يقل فعدتها اي فعدة الايام المعدودات قلت لما قيل فعدة والعدة بمعنى المعدود فأمر بان يصوم
اياما معدودة مكانها علم انه لا يؤمر بعدد على عددها فاغنى ذلك عن التعريف بالاضافة • وعلى الذين يطيقونه
وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر بهم ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره
عند اهل العراق وعند اهل الحجاز مد وكان ذلك في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم
فرخص لهم في الافطار والفدية • وقرا ابن عباس رضي الله عنه يطوقونه بمعنى يتكلفونه تفعيل من الطوق اما بمعنى
الطاقة او القلادة اي يكلفونه او يقلدونه ويقال لهم صوموا • وعنه يتطوقونه بمعنى تكلفونه واصلهما يطيوقونه على انهما من
فيعل وتفيعل فادغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم تديّر المكان وما بها ديار وفيها وجهان احدهما نحو معنى
يطوقونه بمعنى يتكلفونه او يتقلدونه • ويطّوقونه بادغام التاء في الطاء • ويطيّقونه • ويطيقونه بمعنى يتطيقونه
واصلهما يطيوقونه • ويتطيوقونه على انهما من فيعل وتفيعل من الطوق • فادغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء
كقولهم • تديّر المكان وما بها ديار • وفيه وجهان احدهما نحو معنى يطيقونه • والثاني يكلفونه او يتكلفونه
على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء الافطار والفدية وهو على هذا الوجه ثابت غير منسوخ
ويجوز ان يكون هذا معنى يطيقونه اي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم • فمن تطوع خيرا فزاد على مقدار الفدية
فهو خير له فالتطوع اخير له او الخير وقرئ فمن يطوع بمعنى يتطوع • وان تصوموا ايها المطيقون • او المطوقون
وحملتم على انفسكم وجهدتم طاقتكم خير لكم من الفدية وتطوع الخير • ويجوز ان ينتظم في الخطاب المريض والمسافر
ايضا وفي قراءة ابي رضي الله عنه والصيام خير لكم • شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس
وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا او على سفر فعدة من
ايام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم
تشكرون • الرمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف
والالف والنون كما قيل ابن داية للغراب باضافة الابن الى داية البعير لكثرة وقوعه عليها اذا دبرت • فان قلت
لم سمي شهر رمضان قلت الصوم فيه عبادة قديمة فكانهم سموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع
ومقاساة شدته كما سموه ناتقا لانه كان ينتقهم اي يزعجهم اضجارا بشدته عليهم • وقيل لما نقلوا اسماء الشهور
عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر • فان قلت فاذا كانت التسمية واقعة

مع المضاف والمضاف اليه جميعا فما وجه ما جاء في الاحاديث من نحو قوله عليه الصلاة والسلام من صام رمضان ايمانا
واحتسابا من ادرك رمضان فلم يغفر له قلت هو من باب الحذف لامن الالباس كما قال
• بما اعيا النطاسي حذيما • اراد ابن حذيم وارتفاعه على انه مبتدأ خبره الذي انزل فيه القرآن او على انه
بدل من الصيام في قوله كتب عليكم الصيام او على انه خبر مبتدأ محذوف • وقرئ بالنصب على صوموا
شهر رمضان او على الابدال من اياما معدودات او على انه مفعول وان تصوموا ومعنى انزل فيه القرآن ~~وهو~~
~~قوله كتب عليكم الصيام كما تقول~~ ابتدي فيه انزاله وكان ذلك في ليلة القدر • وقيل انزل جملة الى السماء
الدنيا ثم نزل الى الارض نجوما • وقيل انزل في شانه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام كما تقول
انزل في عمر رضي الله عنه كذا وفي علي رضي الله عنه كذا • وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم اول
ليلة من رمضان • وانزلت التورية لست مضين والانجيل لثلث عشرة • والقرآن لاربع وعشرين • هدى
للناس وبينات • نصب على الحال اي انزل وهو هداية الى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات مما يهدي للناس
الى الحق • ويفرق بين الحق والباطل • فان قلت ما معنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله هدى للناس
قلت ذكر اولا انه هدى ثم ذكر انه بينات من جملة ما هدى به الله وفرق به بين الحق والباطل من وحيه
وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال • فمن شهد منكم الشهر فليصمه • فمن كان شاهدا اي
حاضرا مقيما غير مسافر في الشهر فليصم فيه ولا يفطر • والشهر منصوب على الظرف • وكذلك الهاء في فليصمه
ولا يكون مفعولا به كقولك شهدت الجمعة لان المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر • يريد الله ان ييسر عليكم
ولا يعسر وقد نفى عنكم الحرج في الدين وامركم بالحنيفية السمحة التي لا اصر فيها • ومن جملة ذلك ما رخص
لكم فيه من اباحة الفطر في السفر والمرض • ومن الناس من فرض الفطر على المريض والمسافر حتى زعم ان من
صام منهما فعليه الاعادة • وقرئ اليسر والعسر بضمتين • الفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره
ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون • شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من امر الشاهد
بصوم الشهر وامر المرخص له بمراعاة عدة ما افطر فيه • ومن الترخيص في اباحة الفطر فقوله لتكملوا علة الامر بمراعاة
العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر • ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير
وهذا نوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد يهتدي الى تبيينه الا النقاب المحدث من علماء البيان • وانما عدي فعل
التكبير بحرف الاستعلاء لكونه مضمنا معنى الحمد كانه • قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم • ومعنى ولعلكم تشكرون
وارادة ان تشكروا • وقرئ ولتكملوا بالتشديد • فان قلت هل يصح ان يكون ولتكملوا معطوفا على علة مقدرة
كانه قيل لتعلموا ما تعملون ولتكملوا العدة او على اليسر كانه قيل يريد الله بكم اليسر ويريد بكم لتكملوا كقوله
تعالى يريدون ليطفئوا قلت لا يبعد ذلك والاول اوجه • فان قلت ما المراد بالتكبير قلت
تعظيم الله والثناء عليه • وقيل هو تكبير يوم الفطر • وقيل هو التكبير عند الاهلال • واذا سألك عبادي عني
فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون • فاني قريب
تمثيل لحاله في سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه حاجة من سأله بحال من قرب مكانه فاذا دعي اسرعت
تلبيته ونحوه • ونحن اقرب اليه من حبل الوريد • وقوله صلى الله عليه وسلم هو بينكم وبين اعناق رواحلكم وروي
ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه • فنزلت فليستجيبوا لي اذا دعوتهم

للايمان والطاعة كما اني اجيبهم اذا دعوني لحوائجهم وقرئ يرشدون ويرشدون بفتح الشين وكسرها أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ كان الرجل اذا امسى حل له الاكل والشرب والجماع الى ان يصلي العشاء الآخرة او يرقد فاذا صلاها او رقد فلم يفطر حرم الله عليه الطعام والشراب والنساء الى القابلة ثم ان عمر رضي الله عنه واقع اهله بعد صلاة العشاء الآخرة فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اعتذر الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة واخبره بما فعل فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء فنزلت وقرئ احل لكم ليلة الصيام الرفث اي احل الله وقرا عبد الله الرفوث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه كلفظ النيك وقد ارفث الرجل وعن ابن عباس انه انشد وهو محرم. وهن يمشين بنا هميسا. ان تصدق الطير ننك لميسا. فقيل له ارفثت فقال انما الرفث ما كان عند النساء قال الله تعالى فلا رفث ولا فسوق فكني به عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من شيء من ذلك فان قلت لم كني عنه ههنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح بخلاف قوله وقد افضى بعضكم الى بعض فلما تغشاها باشروهن او لامستم النساء دخلتم بهن فاتوا حرثكم من قبل ان تمسوهن فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن قلت استهجانا لما وجد منهم قبل الاباحة كما سماه اختيانا لانفسهم فان قلت لم عدي الرفث بالى قلت لتضمينه معنى الافضاء لما كان الرجل والمراة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه قال الجعدي. اذا ما الضجيع ثنى عطفها. تثنت فكانت عليه لباسا. فان قلت ما موقع قوله هن لباس لكم قلت هو استئناف كالبيان لسبب الاحلال وهو انه اذا كان بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذلك رخص لكم في مباشرتهن وتختانون انفسكم تظلمونها وتنقصونها حظها من الخير والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة فتاب عليكم حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قسم الله لكم واثبت في اللوح من الولد بالمباشرة اي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله تعالى له النكاح من التناسل وقيل هو نهي عن العزل لانه في الحرائر وقيل وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم وعن قتادة وابتغوا ما كتب الله لكم من الاباحة بعد الحظر وقرا ابن عباس رضي الله عنهما واتبعوا وقراءة الاعمش واتوا وقيل معناه واطلبوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من الثواب ان اصبتموها وقمتموها وهو قريب من بدع التفاسير الخيط الابيض اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود والخيط الاسود ما يمتد معه من غبش الليل شبها بخيطين ابيض واسود قال ابو دواد

فلما اضاءت لنا سدفة ٭ ولاح من الصبح خيط انارا ٭

وقوله من الفجر بيان للخيط الابيض واكتفي به عن بيان الخيط الاسود لان بيان احدهما بيان للثاني ويجوز ان تكون من للتبعيض لانه بعض الفجر واوله فان قلت اهذا من باب الاستعارة ام من باب التشبيه قلت قوله من الفجر اخرجه من باب الاستعارة كما ان قولك رايت اسدا مجاز فاذا زدت من فلان رجع تشبيها فان قلت فلم زيد من الفجر حتى كان تشبيها وهلا اقتصر به على الاستعارة التي هي ابلغ من التشبيه وادخل في الفصاحة قلت

لان من شرط المستعار ان يدل عليه الحال او الكلام ولو لم يذكر من الفجر لم يعلم ان الخيطين مستعاران فزيد من الفجر فكان
تشبيها بليغا وخرج من ان يكون استعارة فان قلت فكيف التبس على عدي بن حاتم مع هذا البيان حتى قال
عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادي فكنت اقوم من الليل فانظر اليهما فلا يتبين لي
الابيض من الاسود فلما اصبحت غدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فضحك وقال ان كان وسادك
لعريضا وروي انك لعريض القفا انما ذاك بياض النهار وسواد الليل قلت غفل عن البيان ولذلك
عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قفاه لانه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته وانشدني بعض البدويين
لبدوي عريض القفا ميزانه في شماله • قد انحص من حسب القراريط شاربه • فان قلت
فما تقول فيما روي عن سهل بن سعد الساعدي انها نزلت ولم ينزل من الفجر وكان رجال اذا ارادوا الصوم
ربط احدهم في رجله الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال ياكل ويشرب حتى يتبيناله فنزل بعد ذلك من الفجر فعلموا
انه انما يعني بذلك الليل والنهار وكيف جاز تاخير البيان وهو يشبه العبث حيث لا يفهم منه المراد اذ ليس باستعارة
لفقد الدلالة ولا بتشبيه قبل ذكر الفجر فلا يفهم منه اذا الا الحقيقة وهي غير مرادة قلت اما من لا يجوز
تاخير البيان وهم اكثر الفقهاء والمتكلمين وهو مذهب ابي علي وابي هاشم فلم يصح عندهم هذا الحديث
واما من يجوزه فيقول ليس بعبث لان المخاطب يستفيد منه وجوب الخطاب ويعزم على فعله اذا استوضح المراد
به ثم اتموا الصيام الى الليل قالوا فيه دليل على جواز النية بالنهار في صوم رمضان وعلى جواز تاخير
الغسل الى الفجر وعلى نفي صوم الوصال وانتم عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف ان يحبس نفسه
في المسجد يتعبد فيه والمراد بالمباشرة الجماع لما تقدم من قوله احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم فالآن
باشروهن وقيل معناه ولا تلامسوهن بشهوة والجماع يفسد الاعتكاف وكذلك اذا لمس او قبل فانزل
وعن قتادة كان الرجل اذا اعتكف خرج فباشر امراته ثم رجع الى المسجد فنهاهم الله عن ذلك وقالوا فيه دليل على ان
الاعتكاف لا يكون الا في المسجد وانه لا يختص به مسجد دون مسجد وقيل لا يجوز الا في مسجد نبي وهو احد المساجد
الثلثة وقيل في مسجد جامع والعامة على انه في مسجد جماعة وقرا مجاهد في المسجد تلك الاحكام التي ذكرت
حدود الله فلا تقربوها فلا تغشوها فان قلت كيف قيل فلا تقربوها مع قوله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود
الله قلت من كان في طاعة الله والعمل بشرائعه فهو متصرف في حيز الحق فنهي ان يتعداه لان من تعداه وقع في
حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي ان يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا يداني الباطل
وان يكون في الواسطة متباعدا عن الطرف فضلا ان يتخطاه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل ملك حمى
وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه فالرتع حول الحمى وقربان حيزه واحد ويجوز ان يريد
بحدود الله محارمه ومناهيه خصوصا لقوله ولا تباشروهن وهي حدود لا تقرب • **ولا تاكلوا اموالكم بينكم**
بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتاكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون ولا ياكل بعضكم مال
بعض بالباطل بالوجه الذي لم يبحه الله تعالى ولم يشرعه ولا تدلوا بها ولا تلقوا امرها والحكومة فيها الى
الحكام لتاكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من اموال الناس بالاثم بشهادة الزور او باليمين الكاذبة او بالصلح مع العلم بان
المقضي له ظالم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال للخصمين انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته
من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فلا ياخذن منه شيئا فانما اقطع له قطعة من نار

فبكيا وقال كل واحد منهما حتى لصاحبي فقال اذهبا فتوجّا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه وتدلوا بها وتلقوا بعضها الى حكام الناس على وجه الرشوة وتدلوا مجزوم داخل في حكم النهي او منصوب باضمار ان لتاكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة او ملتبسين بالاثم وانتم تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب المعصية مع العلم بها اقبح وصاحبه احق بالتوبيخ
يسئلونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون ، روي ان معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاري رضي الله عنهما قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلي ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة فنزلت مواقيت معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم وايام حيضهن ومدد حملهن وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته كان ناس من الانصار اذا احرموا لم يدخل احد منهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج او يتخذ سلما يصعد فيه وان كان من اهل الوبر خرج من خلف الخباء فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من دخول الباب ولكن البر بر من اتقى ما حرم الله فان قلت ما وجه اتصاله بما قبله قلت كانه قيل لهم عند سؤالهم عن الاهلة وعن الحكمة في نقصانها وتمامها معلوم ان كل ما يفعله الله لا يكون الا حكمة بالغة ومصلحة لعباده فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها انتم مما ليس من البر في شيء وانتم تحسبونها برا ويجوز ان يجري ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر انها مواقيت للحج لانه كان من افعالهم في الحج ويحتمل ان يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم في سؤالهم وان مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخله من ظهره والمعنى ليس البر وما ينبغي ان تكونوا عليه بان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله ثم قال واتوا البيوت من ابوابها اي وباشروا الامور من وجوهها التي يجب ان تباشر عليها ولا تعكسوا والمراد وجوب توطين النفوس وربط القلوب على ان جميع افعال الله حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسال عنه لما في السؤال من الاتهام بمقارفة الشك لا يسال عما يفعل وهم يسالون
وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا فان الله غفور رحيم المقاتلة في سبيل الله هو الجهاد لاعلاء كلمة الله واعزاز الدين الذين يقاتلونكم الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا المشركين كافة عن الربيع بن انس هي اول اية نزلت في القتال بالمدينة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتل ويكف عمن كف او الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من اهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء او الكفرة كلهم لانهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم فهم في حكم المقاتلة قاتلوا او لم يقاتلوا وقيل لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلثة ايام فرجع لعمرة القضاء خاف المسلمون ان لا يفي لهم قريش ويصدوهم ويقاتلوهم في الحرم في الشهر الحرام ورفع عنهم الجناح في ذلك ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال من نهيتم عن قتاله من النساء والشيوخ والصبيان والذين بينكم وبينهم عهد او بالمثلة او بالمفاجاة من غير دعوة حيث ثقفتموهم حيث

حيث وجدتموهم في حل او حرم والثقف وجود على وجه الاخذ والغلبة ومنه رجل ثقف سريع الاخذ لاقرانه
قال: فاما تثقفوني فاقتلوني * فمن اثقف فليس الى خلود *
من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح والفتنة
اشد من القتل اي المحنة والبلاء الذي ينزل بالانسان يتعذب به اشد عليه من القتل وقيل لبعض الحكماء
ما اشد من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت جعل الاخراج من الوطن من الفتن والمحن التي يتمنى عندها الموت
ومنه قول القائل: لقتل بحد السيف اهون موقعا * على النفس من قتل بحد فراق *
وقيل الفتنة عذاب الاخرة ذوقوا فتنتكم وقيل الشرك اعظم من القتل في الحرم وذلك انهم كانوا يستعظمون
القتل في الحرم ويعيبون به المسلمين فقيل والشرك الذي هم عليه اشد واعظم مما يستعظمونه ويجوز ان يراد
وفتنتهم اياكم بصدكم عن المسجد الحرام اشد من قتلكم اياهم في الحرم او من قتلهم اياكم ان قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم
ولا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم فان قاتلوكم جعل وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم يقال قتلتنا بنو فلان
قال: فان تقتلونا نقتلكم فان انتهوا عن الشرك والقتال كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم
حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات
قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين
وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين
حتى لا تكون فتنة اي شرك ويكون الدين خالصا ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان
الا على الظالمين فلا تعدوا على المنتهين لان مقاتلة المنتهين عدوان وظلم فوضع قوله الا على الظالمين موضع
على المنتهين او فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين سمى جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم
فاعتدوا عليه او اريد انكم ان تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيسلط عليكم من يعدو عليكم قاتلهم المشركون
عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك
في ذي القعدة الشهر الحرام بالشهر الحرام اي هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه يعني تهتكون حرمته عليهم
كما هتكوا حرمته عليكم والحرمات قصاص اي وكل حرمة يجري فيها القصاص من هتك حرمة اي حرمة كانت اقتص
منه بان تهتك له حرمة فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا واكد ذلك بقوله فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله في حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا الى ما لا يحل
لكم الباء في بايديكم مزيدة مثلها في اعطى بيده للمنقاد والمعنى ولا تقبضوا التهلكة ايديكم اي لا تجعلوها آخذة
بايديكم مالكة لكم وقيل بايديكم بانفسكم وقيل تقديره ولا تلقوا انفسكم بايديكم كما يقال اهلك فلان نفسه بيده
اذا تسبب لهلاكها والمعنى النهي عن ترك الانفاق في سبيل الله لانه سبب الهلاك او عن الاسراف في النفقة حتى يفقر
نفسه ويضيع عياله او عن الاستقتال والاخطار بالنفس او عن ترك الغزو الذي هو تقوية للعدو
وروي ان رجلا من المهاجرين حمل على صف العدو فصاح به الناس القى بيده الى التهلكة فقال
ابو ايوب الانصاري رضي الله عنه نحن اعلم بهذه الاية ~~وانما فشى الاسلام وكثر اهله ووضعت الحرب~~
~~اوزارها رجعنا الى اهالينا واموالنا واولادنا~~ انما انزلت فينا صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصرناه
وشهدنا معه المشاهد وآثرناه على اهالينا واموالنا واولادنا فلما فشى الاسلام وكثر اهله ووضعت الحرب

اوزارها

أوزارها رجعنا إلى أهالينا وأولادنا وأموالنا نصلحها ونقيم فيها فكانت التهلكة الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد. وحكى أبو علي في الحلبيات عن أبي عبيدة التهلكة والهلاك والهلك واحد قال فدلّ هذا من قول أبي عبيدة على أن التهلكة مصدر ومثله ما حكاه سيبويه من قولهم التضرّة والتسرّة ونحوها في الأعيان التنضبة والتتفلة ويجوز أن يقال أصلها التهلِكة كالتجربة والتبصرة ونحوهما على أنها مصدر من هلّك فأبدلت من الكسرة ضمة كما جاء الجوار في الجوار

وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ

وأتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله من غير توانٍ ولا نقصان يقع منكم فيهما قال

تمام الحج أن تقف المطايا ... على خرقاء واضعة اللثام

جعل الوقوف عليها كبعض مناسك الحج الذي لا يتم إلا به وقيل إتمامهما أن تحرم بهما من دويرة أهلك روي ذلك عن علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وقيل أن تفرد لكل واحد منهما سفراً كما قال محمد حجة كوفية وعمرة كوفية أفضل وقيل أن تكون النفقة حلالاً وقيل أن تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشيء من التجارة والأغراض الدنيوية فإن قلت هل فيه دليل على وجوب العمرة قلت ما هو إلا أمر بإتمامهما ولا دليل في ذلك على كونهما واجبين أو تطوعين فقد يؤمر بإتمام الواجب والتطوع جميعاً إلا أن تقول الأمر بإتمامهما أمر بأدائهما بدليل قراءة من قرأ وأقيموا الحج والعمرة والأمر للوجوب في أصله إلا أن يدل دليل على خلاف الوجوب كما دل في قوله فاصطادوا فانتشروا ونحو ذلك فيقال لك فقد دلّ الدليل على نفي الوجوب وهو ما روي أنه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن أن تعتمر خير لك وعنه صلى الله عليه وسلم الحج جهاد والعمرة تطوع فإن قلت فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال إن العمرة لقرينة الحج وعن عمر رضي الله عنه أن رجلاً قال له إني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي أهللت بهما جميعاً فقال هديت لسنة نبيك وقد نظمت مع الحج في الأمر بالإتمام فكانت واجبة مثل الحج قلت كونها قرينة للحج أن القارن يقرن بينهما وأنهما يقترنان في الذكر فيقال حج فلان واعتمر والحجاج والعمار ولأنها الحج الأصغر ولا دليل في ذلك على كونها قرينة له في الوجوب وأما حديث عمر رضي الله عنه فقد فسر الرجل كونهما مكتوبين عليه بقوله أهللت بهما وإذا أهل بالعمرة وجبت عليه كما إذا كبّر بالتطوع من الصلاة والدليل الذي ذكرنا أخرج العمرة من صفة الوجوب فبقي الحج وحده فيها بمنزلة قولك صم شهر رمضان وستة من شوال في أنك تأمره بفرض وتطوع وقرأ علي وابن مسعود والشعبي والعمرةُ لله بالرفع كأنهم قصدوا بذلك إخراجها عن حكم الحج وهو الوجوب فإن أحصرتم يقال أحصر فلان إذا منعه أمر من خوف أو مرض أو عجز قال الله تعالى الذين أحصروا في سبيل الله وقال ابن ميادة

وما هجر ليلى أن تكون تباعدت ... عليك ولا أن أحصرتك شغول

وحصر إذا حبسه عدو عن المضي أو سجن ومنه قيل للمحبس الحصير وللملك الحصير لأنه محجوب هذا هو الأكثر في كلامهم

وهما بمعنى المنع في كل شي مثل صدّه واصدّه وكذلك قال الفراء وابو عمرو الشيباني وعليه قول ابي حنيفة رحمة
الله عليه كل منع عنده من عدو كان او مرض او غيرهما معتبر في حكم الاحصار وعند مالك والشافعي رحمة الله عليهما اثباته
منع العدو وحده وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل ف فما استيسر من الهدي
فما تيسر منه ~~يقال تيسر~~ يقال يسر الامر واستيسر كما يقال صعب واستصعب والهدي جمع هدية كما يقال في
جدية السرج جدي وقرئ من الهدي بالتشديد جمع هديّة كمطيّة ومطيّ يعني فان منعتم من المضي الى البيت
وانتم محرمون بحج او عمرة فعليكم اذا اردتم التحلل ما استيسر من الهدي من بعير او بقرة او شاة فان قلت
اين ومتى ينحر هدي المحصر قلت ان كان حاجا فبالحرم متى شاء عند ابي حنيفة يبعث به ويجعل للمبعوث
على يده يوم امار وعندهما في ايام النحر وان كان معتمرا فالحرم في كل وقت عندهم جميعا و ما استيسر رفع
بالابتداء اي فعليه ما استيسر او نصب على فاهدوا ما استيسر و ولا تحلقوا رؤوسكم الخطاب للمحصرين اي ولا
تحلوا حتى تعلموا ان الهدي الذي بعثتموه الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب نحره فيه ومحل الدين وقت
وجوب قضائه وهو ظاهر على مذهب ابي حنيفة فان قلت فان النبي صلى الله عليه وسلم نحر هديه حيث احصر
قلت كان محصره طرف الحديبية الذي الى اسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري ان النبي صلى الله
عليه وسلم نحر هديه في الحرم وقال الواقدي الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة ف فمن كان منكم
مريضا فمن كان به مرض يحوجه الى الحلق او به اذى من رأسه وهو القمل او الجراحة فعليه اذا احتلق فدية من
صيام ثلثة ايام او صدقة على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر او نسك وهو شاة وعن كعب بن عجرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق راسك وصم ثلثة ايام
او اطعم ستة مساكين او انسك بشاة وكان كعب يقول نزلت في هذه الاية وروي انه عليه السلام مر
به وقد قرح راسه فقال كفى بهذا اذى وامره ان يحلق ويطعم او يصوم و والنسك مصدر وقيل جمع
نسيكة وقرا الحسن او نسك بالتخفيف ف فاذا امنتم الاحصار يعني فاذا لم تحصروا وكنتم في حال امن وسعة
فمن تمتع اي استمتع بالعمرة الى الحج واستمتاعه بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها الى الله تعالى قبل الانتفاع
تقربه بالحج وقيل اذا احل من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرما عليه الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي
هو هدي المتعة وهو نسك عند ابي حنيفة رحمة الله عليه ويأكل منه وعند الشافعي رضي الله عنه يجري مجرى الجنايات
ولا يأكل منه ويذبحه يوم النحر عندنا وعنده يجوز ذبحه اذا احرم بحجته و فمن لم يجد الهدي فعليه صيام ثلثة ايام في
الحج اي في وقته وهو اشهره ما بين الاحرامين احرام العمرة واحرام الحج وهو مذهب ابي حنيفة والافضل ان يصوم يوم
التروية وعرفة ويوما قبلهما و وان مضى هذا الوقت لم يجزئه الا الدم وعند الشافعي رضي الله عنه لا يصام
الا بعد الاحرام بالحج تمسكا بظاهر قوله في الحج و وسبعة اذا رجعتم بمعنى اذا نفرتم وفرغتم من افعال الحج عند
ابي حنيفة وعند الشافعي هو الرجوع الى اهاليهم وقرا ابن ابي عبلة وسبعة بالنصب عطفا على محل ثلثة ايام
كانه قيل فصيام ثلثة ايام كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما فان قلت ما فائدة الفذلكة قلت عن وجله
الواو قد تجيء للاباحة في نحو قولك جالس الحسن وابن سيرين الا ترى انه لو جالسهما جميعا او واحدا منهما كان ممتثلا
ففذلكت نفيا لتوهم الاباحة وايضا ففائدة الفذلكة في كل حساب ان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا
ليحاط به من جهتين فيتأكد العلم وفي امثال العرب علمان خير من علم وكذلك كاملة تاكيد اخر وفيه زيادة

توصيه

توصية بصيامها وأن لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها كما تقول للرجل إذا كان لك اهتمام بأمر تأمره به وكان منك بمنزل الله الله لا تقصّر. وقيل كاملة في وقوعها بدلاً من الهدي. وفي قراءة أبيّ رضي الله عنه فصيام ثلاثة أيام متتابعات. ذلك إشارة إلى التمتع عند أبي حنيفة رحمة الله عليه وأصحابه لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عندهم ومن تمتع منهم أو قرن كان عليه دم وهو دم جناية لا يأكل منه. وأما القارن والمتمتع من أهل الآفاق فدمهما دم نسك يأكلان منه وعند الشافعي إشارة إلى الحكم الذي هو وجوب الهدي أو الصيام ولم يوجب عليهم شيئاً. وحاضرو المسجد الحرام أهل المواقيت فمن دونها إلى مكة عند أبي حنيفة رحمه الله. وعنده أهل الحرم ومن على مسافة لا تقصر فيها الصلاة. واتقوا الله في المحافظة على حدوده وما أمركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره واعلموا أن الله شديد العقاب لمن خالف ليكون علمكم بشدة عقابه لطفاً لكم في التقوى

الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب

أي وقت الحج أشهر كقولك البرد شهران والأشهر المعلومات شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة عند أبي حنيفة وعند الشافعي تسع ذي الحجة وليلة يوم النحر وعند مالك ذو الحجة كله. فإن قلت ما فائدة توقيت الحج بهذه الأشهر قلت فائدته أن شيئاً من أفعال الحج لا يصح إلا فيها والإحرام بالحج لا ينعقد أيضاً عند الشافعي في غيرها وعند أبي حنيفة ينعقد إلا أنه مكروه. فإن قلت فكيف كان الشهران وبعض الثالث أشهراً قلت اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما فلا سؤال فيه إذن وإنما كان يكون موضعاً للسؤال لو قيل ثلاثة أشهر معلومات. وقيل نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رأيتك سنة كذا أو على عهد فلان ولعل العهد عشرون سنة أو أكثر وإنما رآه في ساعة منها. فإن قلت ما وجه مذهب مالك وهو مروي عن عروة بن الزبير رضي الله عنه قلت قالوا وجهه أن العمرة غير مستحبة فيها عند عمر وابن عمر رضي الله عنهما فكأنها مخلصة للحج لا مجال فيها للعمرة. وعن عمر رضي الله عنه أنه كان يخفق الناس بالدرة وينهاهم عن الاعتمار فيهن. وعن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال لرجل إن أطعتني انتظرت حتى إذا أهللت المحرم خرجت إلى ذات عرق فأهللت منها بعمرة. وقالوا لعل من مذهب عروة جواز تأخير طواف الزيارة إلى آخر الشهر. معلومات معروفة عند الناس لا يشكلن عليهم، وفيه أن الشرع لم يأت على خلاف ما عرفوه وإنما جاء مقرراً له. فمن فرض فيهن الحج فمن ألزمه نفسه بالتلبية أو بتقليد الهدي وسوقه عند أبي حنيفة وعند الشافعي رضي الله عنهما بالنية. فلا رفث فلا جماع لأنه يفسده أو فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشريعة. وقيل هو السباب والتنابز بالألقاب. ولا جدال ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين وإنما أمر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب في كل حال لأنه مع الحج أسمج كلبس الحرير في الصلاة والتطريب في قراءة القرآن والمراد بالنفي وجوب انتفائها وأنها حقيقة بأن لا تكون. وقرئ المنفيات الثلاث بالنصب وبالرفع. وقرأ أبو عمرو وابن كثير الأولين بالرفع والآخر بالنصب لأنهما حملا الأولين على معنى النهي كأنه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق والثالث على معنى الإخبار بانتفاء الجدال كأنه قيل ولا شك ولا خلاف في الحج وذلك أن قريشاً كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرونه سنة وهو النسيء فرد إلى وقت واحد ورد الوقوف إلى عرفة فأخبر الله تعالى أنه قد ارتفع الخلاف في الحج. واستدل على أن المنهي عنه هو الرفث

والفسوق دون الجدال بقوله صلى الله عليه وسلم من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته امه وانه عليه
السلام لم يذكر الجدال وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي عن الشر وان يستعملوا مكان القبيح
من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة او جعل فعل الخير عبارة
عن ضبط انفسهم حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه وينصره قوله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى اي اجعلوا
زادكم الى الآخرة اتقاء القبائح فان خير الزاد اتقاؤها وقيل كان اهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون
ونحن نحج بيت الله افلا يطعمنا فيكونون كلا على الناس فنزلت فيهم ومعناه وتزودوا واتقوا الاستطعام وابرام
الناس والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى واتقون وخافوا عقابي يا اولي الالباب يعني ان قضية اللب تقوى
الله ومن لم يتقه من الالباء فكانه لا لب له ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات
فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين فضلا من ربكم
عطاء منه وتفضلا وهو النفع والربح بالتجارة وكان ناس من العرب يتأثمون ان يتجروا ايام الحج واذا دخل العشر
كفوا عن البيع والشرى فلم تقم لهم سوق ويسمون من يخرج بالتجارة الداج ويقولون هؤلاء الداج وليسوا
بالحاج وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها في ايام الموسم وكانت معايشهم
منها فلما جاء الاسلام تأثموا فرفع عنهم الجناح في ذلك وابيح لهم وانما يباح ما لم يشغل عن العبادة وعن ابن
عمر رضي الله عنهما ان رجلا قال له انا قوم نكري في هذا الوجه وان قوما يزعمون ان لا حج لنا فقال
سال رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سالت فلم يرد عليه حتى نزل ليس عليكم جناح فدعا به فقال انتم حجاج
وعن عمر رضي الله عنه انه قيل له هل كنتم تكرهون التجارة في الحج فقال وهل كانت معايشنا الا من التجارة
في الحج وقرأ ابن عباس رضي الله عنه فضلا من ربكم في مواسم الحج ان تبتغوا في ان تبتغوا وافضتم دفعتم بكثرة
وهو من افاضة الماء وهو صبه بكثرة واصله افضتم انفسكم فترك ذكر المفعول كما ترك في دفعوا من موضع
كذا وصبوا وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه صب في دقران وهو يحرش بعيره بمحجنه ويقال افاضوا في الحديث
وهضبوا فيه وعرفات علم للموقف سمي بجمع كاذرعات فان قلت هلا منعت الصرف وفيها السببان
التعريف والتأنيث ~~كان اي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث ولا يصح تقدير التاء فيها لان هذه التاء~~
~~لاختصاصها بجمع المؤنث~~ قلت لا يخلو التأنيث اما ان يكون بالتاء التي في لفظها واما بتاء مقدرة كما في سعاد
فالتي في لفظها ليست للتأنيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث ولا يصح تقدير التاء فيها لان هذه التاء
لاختصاصها بجمع المؤنث مانعة من تقديرها كما لا تقدر تاء التأنيث في بنت لان التاء التي هي بدل من الواو
لاختصاصها بالمؤنث كتاء التأنيث فابت تقديرها وقالوا سميت بذلك لانها وصفت لابراهيم عليه الصلاة والسلام
فلما ابصرها عرفها وقيل ان جبريل عليه السلام حين كان يدور به في المشاعر اراه اياها فقال قد عرفت وقيل التقى
فيها آدم وحواء فتعارفا وقيل لان الناس يتعارفون فيها والله اعلم بحقيقة ذلك وهي من الاسماء المرتجلة
لان العرفة لا تعرف في اسماء الاجناس الا ان يكون جمع عارف وقيل فيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة
لان الافاضة لا تكون الا بعده وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحج عرفة فمن ادرك عرفة فقد ادرك الحج
فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والتكبير ~~والمشعر الحرام~~ والثناء والدعوات وقيل بصلاة المغرب والعشاء
والمشعر الحرام قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعليه الميقدة وقيل المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة من مأزمي

عرفة

عرفة الى وادي محسر وليس المأزمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام والصحيح انه الجبل لما روى جابر رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل
ولم يزل واقفا حتى اسفر وقوله تعالى عند المشعر الحرام • معناه مما يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلك للفضل
كالقرب من جبل الرحمة والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر او جعلت اعقاب المزدلفة لكونها
في حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر المعلم لانه معلم للعبادة ووصف بالحرام لحرمته وعن ابن عباس رضي الله
عنهما انه نظر الى الناس ليلة جمع فقال لقد ادركت الناس هذه الليلة لا ينامون وقيل سميت المزدلفة وجمعا
لان آدم عليه السلام اجتمع فيها مع حواء وازدلف اليها اي دنا منها • وعن قتادة لانه يجمع فيها بين الصلوتين
ويجوز ان يقال وصفت بفعل اهلها لانهم يزدلفون الى الله اي يتقربون بالوقوف فيها • كما هداكم ما
مصدرية • او كافة والمعنى اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة واذكروه كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا
عنه • وان كنتم من قبله من قبل الهدى لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وان هي المخففة
من الثقيلة واللام هي الفارقة • ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم فاذا
قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم او اشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتنا
في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة
حسنة وقنا عذاب النار اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب • ثم افيضوا •
ثم لتكن افاضتكم من حيث افاض الناس ولا تكن من المزدلفة وذلك لما كان عليه الحمس من الترفع على الناس والتعالي
عليهم وتعظمهم عن ان يساووهم في الموقف وقولهم نحن اهل الله وقطان حرمه فلا نخرج منه فيقفون بجمع
وسائر الناس بعرفات فان قلت فكيف موقع ثم قلت نحو موقعها في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن
الى غير كريم تأتي بثم لتفاوت ما بين الاحسان الى الكريم والاحسان الى غيره وبعد ما بينهما فكذلك حين امرهم
بالذكر عند الافاضة من عرفات قال ثم افيضوا لتفاوت ما بين الافاضتين وان احداهما صواب والثانية
خطأ وقيل ثم افيضوا من حيث افاض الناس وهم الحمس اي من المزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفات • وقرئ
من حيث افاض الناس بكسر السين اي الناسي وهو آدم عليه السلام من قوله عز وجل ولقد عهدنا الى آدم من
قبل فنسي يعني ان الافاضة من عرفات شرع قديم فلا تخالفوه • واستغفروا الله من مخالفتكم في الموقف
ونحو ذلك من جاهليتكم • فاذا قضيتم مناسككم فاذا فرغتم من عباداتكم الحجية ونفرتم • فاذكروا الله •
كذكركم آباءكم فاكثروا ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر آبائكم ومفاخرهم وايامهم وكانوا اذا قضوا مناسكهم •
وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعددون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن ايامهم او اشد ذكرا في موضع جر
عطف على ما اضيف اليه الذكر في قوله كذكركم كما تقول كذكر قريش آباءهم او قوم اشد منهم ذكرا او في موضع نصب عطف على آبائكم بمعنى صح او اشد ذكرا من آبائكم على ان ذكرا من فعل المذكور • فمن الناس من يقول معناه اكثروا
ذكر الله ودعاءه فان الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله الا اغراض الدنيا • ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين
• آتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا اي اعطاءنا في الدنيا خاصة • وما له في الآخرة من خلاق اي من طلب خلاق وهو
النصيب او ما لهذا الداعي في الآخرة من نصيب لان همه مقصور على الدنيا والحسنتان ما هو طلبة الصالحين في الدنيا من الصحة
والكفاف والتوفيق في الخير وطلبتهم في الآخرة من الثواب • وعن علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة
وفي الآخرة الحوراء • وعذاب النار امرأة السوء اولئك الداعون بالحسنتين لهم نصيب مما كسبوا اي نصيب من جنس ما كسبوا

والمشعر

بلغ

من الاعمال الحسنة. وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة او من اجل ما كسبوا كقوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا او لهم نصيب
مما دعوا به نعطيهم منه ما يستوجبونه بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الآخرة. وسمى الدعاء كسبا لانه من الاعمال
والاعمال موصوفة بالكسب بما كسبت ايديكم. ويجوز ان يكون اولئك للفريقين جميعا وان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا
﴿والله سريع الحساب﴾ يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب العباد فبادروا واكثروا الذكر وطلب الآخرة او وصف
نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة اعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر منه. روي
انه يحاسب الخلق على قدر حلب شاة. وروي في مقدار فواق ناقة وروي في مقدار لمحة ﴿واذكروا الله في
ايام معدودات فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا انكم
اليه تحشرون﴾ ● الايام المعدودات ايام التشريق. وذكر الله فيها التكبير في ادبار الصلوات وعند الجمار.
وعن عمر رضي الله عنه انه كان يكبر في فسطاطه بمنى فيكبر من حوله حتى يكبر الناس في الطريق وفي الطواف.
فمن تعجل فمن عجل في النفر او استعجل النفر وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل في الامر واستعجل
ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة اوفق لقوله. ومن تاخر كما هي كذلك في قوله. تقدم
يدرك المتاني بعض حاجته. وقد يكون من يكون من المستعجل الزلل. لاجل المتاني. في يومين بعد يوم النحر
يوم القر وهو الذي يسميه اهل مكة يوم الرؤس. واليوم بعده ينفر اذا فرغ من رمي الجمار كما يفعل الناس اليوم
وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه ويروى عن قتادة وعند ابي حنيفة رحمة الله عليه واصحابه ينفر قبل
طلوع الفجر ومن تاخر حتى رمى في اليوم الثالث والرمي في اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند ابي
حنيفة وعند الشافعي رضي الله عنهما لا يجوز فان قلت كيف قال فلا اثم عليه عند التعجل والتاخر جميعا
قلت دلالة على ان التعجل والتاخر مخير فيهما كانه قيل فتعجلوا او تاخروا وان قلت اليس التاخر بافضل
وقيل ان اهل قلت بلى ويجوز ان يقع التخيير بين الفاضل والافضل كما خير المسافر بين الصوم والافطار
وان كان الصوم افضل. وقيل ان اهل الجاهلية كانوا فريقين منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل المتاخر آثما
فورد القرآن بنفي المآثم عنهما جميعا لمن اتقى اي ذلك التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتاخر لاجل الحاج المتقي
لئلا يتخالج في قلبه شيء منهما فيحسب ان احدهما يرهق صاحبه آثاما في الاقدام عليه لان ذا التقوى حذر
متحرز من كل ما يريبه ولانه هو الحاج على الحقيقة عند الله ثم قال واتقوا الله ليعبأ بكم. ويجوز ان يراد
ذلك الذي مر ذكره من احكام الحج وغيره لمن اتقى لانه هو المنتفع به دون من سواه كقوله تعالى ذلك خير
للذين يريدون وجه الله. ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو
الد الخصام﴾ ، من يعجبك قوله اي يروقك ويعظم في قلبك ومنه الشيء العجيب الذي يعظم في النفس وهو
الاخنس بن شريق كان رجلا حلو المنطق اذا لقي رسول الله عليه السلام الان له القول وادعى انه يحبه وانه
مسلم وقال يعلم الله اني صادق. وقيل هو عام في المنافقين كانت تحلو السنتهم وقلوبهم امر من الصبر.
فان قلت بم يتعلق قوله في الحياة الدنيا قلت بالقول اي يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا. لان ادعاءه
المحبة بالباطل يطلب به حظا من حظوظ الدنيا ولا يريد به الآخرة كما تراد بالايمان الحقيقي والمحبة الصادقة
للرسول عليه السلام فكلامه اذا في الدنيا لا في الآخرة. ويجوز ان يتعلق بيعجبك اي قوله حلو فصيح في الدنيا
فهو يعجبك في الدنيا ولا يعجبك في الآخرة لما يرهقه في الموقف من الحبسة واللكنة او لانه لا يؤذن له في الكلام

فلا ينظر

ولا يتكلم حتى يخبل كلامه ويشهد الله على ما في قلبه اي يحلف ويقول الله شاهد على ما في قلبي من محبتك ومن الاسلام
وقرئ ويشهد الله وفي مصحف ابي رضي الله عنه ويستشهد الله وهو الد الخصام وهو شديد الجدال والعداوة للمسلمين
وقيل كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا واهلك مواشيهم واحرق زروعهم والخصام المخاصمة واضافة
الالد بمعنى في كقولهم ثبت الغدر او جعل الخصام الد على المبالغة وقيل الخصام جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى
وهو اشد الخصوم خصومة وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله
لا يحب الفساد وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد وإذا تولى
عنك وذهب بعد إلانة القول واحلاء المنطق سعى في الارض ليفسد فيها كما فعل بثقيف وقيل وإذا تولى
واذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الارض وباهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم
حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل على ان الفعل للحرث والنسل
والرفع للعطف على سعى وقرأ الحسن بفتح اللام وهي لغة نحو ابى يأبى وروي عنه ويهلك على البناء
للمفعول اخذته العزة بالاثم من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه اي حملته العزة التي فيه وحمية
الجاهلية على الاثم الذي ينهى عنه والزمته ارتكابه وان لا يخلي عنه ضرارا ولجاجا او على رد قول الواعظ ومن
الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة
ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم
يشري نفسه يبيعها اي يبذلها في الجهاد وقيل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل وقيل نزلت في صهيب
ابن سنان اراده المشركون على ترك الاسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فقال لهم انا شيخ كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان
كنت عليكم لم اضركم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه ماله واتى المدينة والله رءوف بالعباد حيث
كلفهم الجهاد فعرضهم لثواب الشهداء والسلم بكسر السين وفتحها وقرأ الاعمش بفتح السين واللام وهو الاستسلام
والطاعة اي استسلموا لله واطيعوه كافة لا يخرج احد منكم يده عن طاعته وقيل هو الاسلام والخطاب لاهل
الكتاب لانهم آمنوا بنبيهم وكتابهم او للمنافقين لانهم آمنوا بالسنتهم ويجوز ان يكون كافة حالا من السلم
لانها تؤنث كما تؤنث الحرب • قال •

السلم تأخذ منها ما رضيت به • والحرب تكفيك من انفاسها جرع

على ان المؤمنين امروا بان يدخلوا في الطاعات كلها وان لا يدخلوا في طاعة دون طاعة او في شعب
الاسلام وشرائعه كلها وان لا يخلوا بشيء منها • وعن عبد الله بن سلام انه استأذن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يقيم على السبت وان يقرأ من التوراة في صلوته من الليل وكافة من الكف كانهم كفوا
ان يخرج منهم احد باجتماعهم فان زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات اي الحجج
والشواهد على ان ما دعيتم الى الدخول فيه هو الحق فاعلموا ان الله عزيز غالب لا يعجزه الانتقام
منكم حكيم لا ينتقم الا بحق • وروي ان قارئا قرأ والله غفور رحيم فسمعه اعرابي فانكره
ولم يقرأ القرآن وقال ان كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لانه
اغراء عليه وقرأ ابو السمال زللتم بكسر اللام وهما لغتان نحو ضللت وضللت هل ينظرون الا ان
يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الامر والى الله ترجع الامور سل بني اسرائيل كم آتيناهم

واذا تولى

من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب اتيان الله اتيان امره وبأسه
كقوله تعالى او يأتي امر ربك فجاءهم بأسنا ويجوز ان يكون المأتي به محذوفاً بمعنى ان يأتيهم الله
ببأسه او بنقمته للدلالة عليه بقوله فان الله عزيز في ظلل جمع ظلة وهي ما اظلك وقرئ ظلال وهي جمع ظلة كقلة
وقلال او جمع ظل وقرئ والملائكة بالرفع كقوله هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة وبالجر عطفاً على ظلل
او على الغمام فان قلت لم يأتيهم العذاب في الغمام قلت لان الغمام مظنة الرحمة فاذا نزل منه العذاب
كان الامر افظع واهول لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اغم كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب
كان اسر فكيف اذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث
يتوقع الغيث ومن ثم اشتد على المتفكرين في كتاب الله تعالى قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
وقضي الامر وقرئ وقضاء الامر اهلاكهم وتدميرهم وقرأ معاذ بن جبل رضي الله عنه وقضاء الامر على المصدر المرفوع
عطفاً على الملائكة وقرئ ترجع وترجع على البناء للفاعل والمفعول بالتأنيث والتذكير فيهما سل امر للرسول
صلى الله عليه وسلم او لكل واحد وهذا السؤال سؤال تقريع كما يسأل الكفرة يوم القيمة كم آتيناهم من
آية بينة على ايدي انبيائهم وهي معجزاتهم او من آية في الكتب شاهدة على صحة دين الاسلام ونعمة الله
آياته وهي اجل نعمة من الله تعالى لانها اسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم اياها ان
الله اظهرها لتكون اسباب هداهم فجعلوها اسباب ضلالتهم كقوله عز وجل فزادتهم رجساً
الى رجسهم او حرفوا آيات الكتب الدالة على دين محمد عليه الصلاة والسلام فان قلت كم استفهامية
ام خبرية قلت تحتمل الامرين ومعنى الاستفهام فيها التقريع فان قلت ما معنى من بعد ما جاءته
قلت معناه من بعد ما تمكن من معرفتها او عرفها كقوله تعالى ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه لانه
اذا لم يتمكن من معرفتها او لم يعرفها فكانها غائبة عنه وقرئ ومن يبدل بالتخفيف زين للذين
كفروا الحيوة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة والله يرزق من
يشاء بغير حساب المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها في اعينهم بوساوسه وحببها اليهم فلا يريدون
غيرها ويجوز ان يكون الله قد زينها لهم بان خذلهم حتى استحسنوها واحبوها او جعل امهاله المزين تزييناً
وتدل عليه قراءة من قرأ زين للذين كفروا الحيوة الدنيا على البناء للفاعل ويسخرون من الذين آمنوا كان
الكفرة يسخرون من المؤمنين الذين لا حظ لهم في الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب رضي الله عنهم
وغيرهم اي لا يريدون غيرها وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها او ممن يطلب غيرها والذين
اتقوا فوقهم يوم القيمة لانهم في عليين من السماء وهم في سجين من الارض او حالهم عالية لحالهم لانهم في
كرامة وهم في هوان او هم عالون عليهم متطاولون يضحكون منهم كما يتطاول هؤلاء عليهم في الدنيا
ويرون الفضل لهم عليهم فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون والله يرزق من يشاء بغير حساب
بغير تقدير يعني انه يوسع على من توجب الحكمة التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره فهذه التوسعة
عليكم من جهة الله لما فيها من الحكمة وهي استدراجهم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان اولياؤه المؤمنون احق
بها منكم فان قلت لم قال من الذين آمنوا ثم قال والذين اتقوا قلت ليريك انه لا يسعد عنده الا المؤمن
المتقي وليكون بعثاً للمؤمنين على التقوى اذا سمعوا ذلك كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين

ومنذرين

وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً متفقين على دين الاسلام فبعث الله النبيين يريد فاختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه عليه وفي قراءة عبد الله كان الناس امة واحدة فاختلفوا فبعث الله والدليل عليه قوله تعالى وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا وقيل كان الناس امة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والاول الوجه فان قلت متى كان الناس امة واحدة متفقين على الحق قلت عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون على شريعة من الحق فاختلفوا وقيل بين نوح ومن كان معه في السفينة وانزل معهم الكتاب يريد الجنس او مع كل واحد منهم كتابه ليحكم الله او الكتاب او النبي المنزل عليه فيما اختلفوا فيه من الحق ودين الاسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق وما اختلف فيه في الحق الا الذين اوتوه الا الذين اوتوا الكتاب المنزل لازالة الاختلاف واستحكامه بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة انصاف منهم ومن الحق بيان لما اختلفوا فيه اي فهدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وانكار الحسبان واستبعاده لما ذكر ما كانت عليه الامم من الاختلاف على النبيين تشجيعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين واهل الكتاب وانكارهم لآياته وعداوتهم له قال لهم على طريقة الالتفات التي هي ابلغ ام حسبتم ولما فيها معنى التوقع وهي في النفي نظيرة قد في الاثبات والمعنى ان اتيان ذلك متوقع منتظر ومثل الذين خلوا حالهم التي هي مثل في الشدة ومستهم بيان للمثل وهو استيناف كأن قائلا قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم البأساء وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة بما اصابهم من الاهوال والافزاع حتى يقول الرسول الى الغاية التي قال الرسول ومن معه فيها متى نصر الله اي بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان الشدة وفي هذه الغاية دليل على تناهي الامر في الشدة وتماديه في العظم لان الرسل لا يقادر قدر ثباتهم واصطبارهم وضبطهم لانفسهم فاذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية في الشدة التي لا مطمح وراءها الا ان نصر الله قريب على ارادة القول يعني فقيل لهم ذلك اجابة لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وقرئ حتى يقول بالنصب على اضمار ان ومعنى الاستقبال لان ان علم له وبالرفع على انه في معنى الحال كقولك شربت الابل حتى يجيء البعير يجر بطنه الا انها حال ماضية محكية فان قلت كيف طابق الجواب السؤال في قوله تعالى قل ما انفقتم وهم قد سألوا عن بيان ما ينفقون واجيبوا ببيان المصرف قلت قد تضمن قوله ما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبني الكلام على ما هو اهم وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا ان تقع موقعها قال الشاعر ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق

اي ازدادوا الاختلاف لما انزل اليهم ... وجعلوا نزول الكتاب سببا في شدة الاختلاف

بعد مجيء البينات

وعن السدي هي منسوخة بفرض الزكوة • وعن الحسن هي في التطوع كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا
شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ وهو كره لكم من الكراهة
بدليل قوله وعسى أن تكرهوا شيئا ثم إما أن يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر موضع الوصف مبالغة
كقولها • فإنما هي إقبال وإدبار كأنه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له وإما أن يكون فعلا بمعنى مفعول
كالخبز بمعنى المخبوز أي وهو مكروه لكم وقرأ السلمي بالفتح على أن يكون بمعنى المضموم كالضعف والضعف • ويجوز
أن يكون بمعنى الإكراه على سبيل المجاز كأنهم أكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم • ومنه قوله تعالى
حملته أمه كرها ووضعته كرها • وعلى قوله وعسى أن تكرهوا شيئا جميع ما كلفوه فإن النفوس تكرهه
وتنفر عنه وتحب خلافه والله يعلم ما يصلحكم وما هو خير لكم وأنتم لا تعلمون ذلك يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ
قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ
أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ
وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ إِنَّ
الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش على سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش
فيها عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه وأسروا اثنين واستاقوا العير وفيها من تجارة الطائف • وكان ذلك أول
يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة • فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف
ويبذعر فيه الناس إلى معايشهم • فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم العير وعظم ذلك على أصحاب السرية وقالوا ما
نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والأسارى • وعن ابن عباس رضي الله عنه لما نزلت
أخذ رسول الله عليه السلام الغنيمة • والمعنى يسألك الكفار أو المسلمون عن القتال في الشهر الحرام وقتال فيه بدل
الاشتمال من الشهر وفي قراءة عبد الله عن قتال فيه على تكرير العامل كقوله تعالى للذين استضعفوا
لمن آمن منهم وقرأ عكرمة قتل فيه قل قتل فيه كبير أي إثم كبير • وعن عطاء أنه سئل عن القتال في الشهر
الحرام فحلف بالله ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام إلا أن يقاتلوا فيه وما نسخت • وأكثر
الأقاويل على أنها منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم • وصد عن سبيل الله •
مبتدأ وأكبر خبره يعني وكبائر قريش من صدهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام • وكفرهم بالله وإخراج
أهل المسجد الحرام وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون أكبر عند الله مما فعلته السرية من القتال
في الشهر الحرام على سبيل الخطأ والبناء على الظن • والفتنة الإخراج أو الشرك والمسجد الحرام عطف على سبيل
الله ولا يجوز أن يعطف على الهاء في به • ولا يزالون يقاتلونكم إخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وأنهم
لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم • وحتى معناها التعليل كقولك فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة
أي يقاتلونكم كي يردوكم • وإن استطاعوا استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه إن ظفرت بي فلا
تبق علي وهو واثق بأنه لا يظفر به • ومن يرتدد ومن يرجع عن دينه إلى دينهم ويطاوعهم على رده إليه
فيمت على الردة • فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة لما يفوتهم بإحداث الردة مما للمسلمين في الدنيا
من ثمرات الإسلام وباستدامتها والموت عليها من ثواب الآخرة • وبها احتج الشافعي رضي الله عنه على أن الردة

قلت كيف صح العطف قبل الفراغ من المعطوف عليه وقد
[illegible] من ذلك قلت وكفر به في معنى الصد عن سبيل
[illegible] باتحادهما هو الذي سوغ ذلك كأنه لا فصل [illegible]
[illegible] وصد عن سبيل الله والمسجد الحرام إلا أنه قدم لفرط
[illegible] عليه كما في قوله لم يكن له كفوا أحد كان من حق
الكلام أن يقال ولم يكن أحد كفوا له إلا أنه قيل لم يكن
له لفرط العناية كذلك ههنا

لاتحبط

3

بلغ مقابلة

لا تحبط الاعمال حتى يموت عليها وعند ابي حنيفة رحمة الله عليه انها تحبطها وان رجع مسلما. ان الذين امنوا والذين هاجروا
روي ان عبد الله بن جحش واصحابه حين قتلوا الحضرمي ظن قوم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر فنزلت
اولئك رحمة الله. وعن قتادة هؤلاء خيار هذه الامة ثم جعلهم الله اهل رجاء كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن
خاف هرب. ويسئلونك عن الخمر والميسر ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون
في الدنيا والاخرة ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح نزلت في الخمر اربع ايات نزلت بمكة ومن ثمرات
النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم ان عمر ومعاذا رضي الله
عنهما ونفرا من الصحابة قالوا يا رسول الله افتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت فيهما اثم
كبير ومنافع للناس فشربها قوم وتركها اخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ناسا منهم فشربوا وسكروا
فام بعضهم فقرا قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى فقل من يشربها
ثم دعا عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى انشد سعد شعرا
فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه موضحة فشكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم
بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر رضي الله عنه انتهينا يا رب
وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة في بئر فبنيت مكانها منارة لم اؤذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جفت
ونبت فيه الكلأ لم ارعه وعن ابن عمر رضي الله عنهما لو ادخلت اصبعي فيه لم تتبعني وهذا هو الايمان حقا وهم
الذين اتقوا الله حق تقاته والخمر ما غلا واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب وهو حرام وكذلك نقيع الزبيب
والتمر الذي لم يطبخ فان طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم غلا واشتد ذهب خبثه ونصيب الشيطان منه وحل شربه
ما دون السكر اذا لم يقصد بشربه اللهو والطرب عند ابي حنيفة رحمة الله عليه وعن بعض اصحابه لان اقول
مرارا هو حلال احب الي من ان اقول مرة هو حرام ولان اخر من السماء فاتقطع قطعا احب الي من ان اتناول منه
قطرة وعند اكثر الفقهاء هو حرام كالخمر وكذلك كل ما اسكر من كل شراب وسميت خمرا لتغطيتها العقل والتمييز
كما سميت سكرا لانها تسكرهما اي تحجزهما وكانها سميت بالمصدر من خمره خمرا اذا ستره للمبالغة والميسر القمار
مصدر من يسر كالموعد والمرجع من فعلهما يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه من اليسر لانه اخذ مال الرجل بيسر
وسهولة من غير كد ولا تعب او من اليسار لانه سلب يساره وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان الرجل في الجاهلية يخاطر
على اهله وماله قال اوله لعب بالشعب اذ ييسرون اي يتعلمون ما يعمل الياسرون بالميسور فان قلت
كيف صفة الميسر قلت كانت لهم عشرة اقدح وهي الازلام والاقلام الفذ والتوأم والرقيب والحلس والمسبل
والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة اجزاء وقيل
ثمانية وعشرين الا لثلثة وهي المنيح والسفيح والوغد ولبعضهم لي في الدنيا سهام ليس فيهن ربح واساميهن
وغد وسفيح ومنيح للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة
وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم
رجل رجل قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج
له قدح مما لا نصيب له لم ياخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا ياكلون منها
ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم وفي حكم الميسر انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما

يرجون م

قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما ويسئلونك

والنافس م

وعن النبي صلى الله عليه وسلم إياكم وهاتين الكعبتين المشؤومتين فإنهما من ميسر العجم • وعن علي رضي الله عنه أن النرد والشطرنج
من الميسر • وعن ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر • والمعنى يسألونك عما في تعاطيهما بدليل قوله فيهما إثم كبير • وإثمهما
وعقاب الإثم في تعاطيهما أكبر من نفعهما • وهو الالتذاذ بشرب الخمر والقمار والتوصل بهما إلى مصادقة الفتيان
ومعاشرتهم والنيل من مطاعمهم ومشاربهم وعطاياهم • وسلب الأموال بالقمار • والافتخار على الأبرام • وقرئ
إثم كثير بالثاء • وفي قراءة أبي وإثمهما أقرب من نفعهما • ومعنى الكثرة أن أصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الآثام
من وجوه كثيرة • العفو نقيض الجهد وهو أن ينفق ما لا يبلغ إنفاقه منه الجهد واستفراغ الوسع •
قال • خذي العفو مني تستديمي مودتي • ويقال للأرض السهلة العفو • وقرئ بالرفع والنصب
وعن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلاً أتاه ببيضة من ذهب أصابها في بعض المغازي • فقال خذها مني صدقة
فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم • فأتاه من الجانب الأيمن فقال مثله فأعرض عنه • فأتاه من الجانب الأيسر فأعرض
عنه فقال هاتها مغضباً فأخذها فحذفه بها حذفاً لو أصابه لشجه أو عقره • ثم قال يجيء أحدكم بماله كله يتصدق به ويجلس
يتكفف الناس • إنما الصدقة عن ظهر غنى • في الدنيا والآخرة • إما أن يتعلق بتتفكرون فيكون المعنى • لعلكم تتفكرون
فيما يتعلق بالدارين فتأخذون بما هو أصلح لكم كما بينت لكم أن العفو أصلح من الجهد في النفقة أو تتفكرون في الدارين
فتؤثرون أبقاهما وأكثرهما منافع • ويجوز أن يكون إشارة إلى قوله • وإثمهما أكبر من نفعهما لتتفكروا في عقاب الإثم
في الآخرة • والنفع في الدنيا حتى لا تختاروا النفع العاجل على النجاة من العقاب العظيم • وإما أن يتعلق بيبين على
معنى يبين لكم الآيات في أمر الدارين • وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون • ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح
لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم • لما
نزلت إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً • اعتزلوا اليتامى وتحاموهم وتركوا مخالطتهم والقيام بأموالهم والاهتمام
بمصالحهم فشق ذلك عليهم وكادوا يوقعهم في الحرج • فقيل إصلاح لهم خير أي مداخلتهم على وجه الإصلاح لهم ولأموالهم
خير من مجانبتهم وإن تخالطوهم وتعاشروهم ولم تجانبوهم فهم إخوانكم في الدين • ومن حق الأخ أن يخالط أخاه •
وقد حملت المخالطة على المصاهرة • والله يعلم المفسد من المصلح أي لا يخفى على الله من داخلهم بإفساد وإصلاح إن الله عزيز
فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الإصلاح • ولو شاء الله لأعنتكم لحملكم على العنت وهو المشقة
وأحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم • وقرأ طاوس قل إصلاح إليهم ومعناه إيصال الصلاح إليهم • وقرئ لأعنتكم بطرح
الهمزة وإلقاء حركتها على اللام • وكذلك فلا إثم عليه • إن الله عزيز غالب يقدر على أن يعنت عباده ويحرجهم ولكنه حكيم
لا يكلف إلا ما يتسع فيه طاقتهم • ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم
ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار والله يدعو
إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون • ولا تنكحوا وقرئ بضم التاء أي لا تتزوجوهن
أو ولا تزوجوهن • والمشركات الحربيات والآية ثابتة • وقيل المشركات الحربيات والكتابيات جميعاً لأن أهل الكتاب من أهل
الشرك لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله إلى قوله
سبحانه عما يشركون • وهي منسوخة بقوله والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وسورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ منها شيء قط
وهو قول ابن عباس والأوزاعي • وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن أبي مرثد الغنوي إلى مكة ليخرج
منها ناساً من المسلمين • وكان يهوى امرأة في الجاهلية اسمها عناق فأتته وقالت ألا تخلو فقال ويحك إن الإسلام حال بيننا

والأدب فيهما

فقالت

فقالت فهل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله فاستامره فنزلت ولامة مومنة ولامراة
مومنة حرة كانت او مملوكة وكذلك ولعبد مومن لان الناس كلهم عبيد الله واماؤه ولو اعجبتكم ولو كان الحال
ان المشركة تعجبكم وتحبونها فان المومنة خير منها مع ذلك اولئك اشارة الى المشركات والمشركين اي يدعون الى الكفر
فحقهم ان لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المومنين الا المناصبة والقتال والله يدعوا الى الجنة يعني
واولياء الله وهم المومنون يدعون الى الجنة والمغفرة وما يوصل اليهما فهم الذين تجب موالاتهم ومصاهرتهم
وان لا يوثروا على غيرهم باذنه بتيسير الله وتوفيقه للعمل الذي تستحق به الجنة والمغفرة وقرا الحسن والمغفرة
باذنه بالرفع اي والمغفرة حاصلة بتيسيره ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض
ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فاتوهن من حيث امركم الله ان الله يحب التوابين
ويحب المتطهرين المحيض مصدر يقال حاضت محيضا كقولك جاء مجيئا وبات مبيتا قل هو اذى
اي الحيض شيء يستقذر ويوذي من يقربه نفرة منه وكراهة له فاعتزلوا النساء فاجتنبوهن يعني فاجتنبوا
مجامعتهن روي ان اهل الجاهلية كانوا اذا حاضت المراة لم يواكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فرش
ولم يساكنوها في بيت كفعل المجوس واليهود فلما نزلت اخذ المسلمون بظاهر اعتزالهن فاخرجوهن من بيوتهم
فقال ناس من الاعراب يا رسول الله ان البرد شديد والثياب قليلة فان اثرناهن بالثياب هلك سائر اهل البيت
وان استاثرنا بها هلكت الحيض فقال صلى الله عليه وسلم انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن
من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يعتزلونهن في
كل شيء فامر الله بالاقتصاد بين الامرين وبين الفقهاء خلاف في الاعتزال فابو حنيفة وابو يوسف يوجبان ما اشتمل اعتزاله
عليه الازار ومحمد بن الحسن لا يوجب الا اعتزال الفرج وروى محمد حديث عايشة رضي الله عنها ان عبد الله
ابن عمر رضي الله عنهما سالها هل يباشر الرجل امراته وهي حايض فقالت تشد ازارها على سفلها ثم ليباشرها
ان شاء وما روى زيد بن اسلم رضي الله عنه ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم ما يحل لي من امراتي وهي
حايض قال لتشد عليها ازارها ثم شانك باعلاها ثم قال وهذا قول ابي حنيفة وقد جاء ما هو ارخص من هذا
عن عايشة رضي الله عنها انها قالت يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك وقرى يطهرن بالتشديد اي يتطهرن بدليل
قوله فاذا تطهرن وقرا عبد الله حتى يتطهرن ويطهرن بالتخفيف والتطهر الاغتسال والطهر انقطاع دم الحيض
وكلتا القراءتين مما يجب العمل به فذهب ابو حنيفة رحمة الله عليه الى ان له ان يقربها في اكثر الحيض بعد انقطاع
الدم وان لم تغتسل وفي اقل الحيض لا يقربها او يمضي عليها وقت صلوة وذهب الشافعي رضي الله عنه الى انه لا يقربها حتى تطهر حتى تغتسل
وتتطهر فتجمع بين الامرين وهو قول واضح ويعضده قوله فاذا تطهرن فاتوهن من حيث امركم الله من المأتى الذي
امركم الله تعالى به وحلله لكم وهو القبل ان الله يحب التوابين مما عسى يندر منهم من ارتكاب
ما نهوا عنه من ذلك ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش او ان الله يحب التوابين الذين يطهرون انفسهم
بطهرة التوبة من كل ذنب ويحب المتطهرين من جميع الاقذار كمجامعة الحايض والطاهر قبل الغسل واتيان
ما ليس بمباح وغير ذلك نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم واتقوا الله واعلموا
انكم ملاقوه وبشر المومنين ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع
عليم حرث لكم مواضع حرث لكم وهذا مجاز شبههن بالمحارث تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف التي منها النسل بالبذور

وقوله فأتوا حرثكم أنى شئتم تمثيل أي فأتوهن كما تأتون أراضيكم التي تريدون أن تحرثوها من أي جهة شئتم لا يحظر
عليكم جهة دون جهة والمعنى جامعوهن من أي شق أردتم بعد أن يكون المأتي واحدا وهو موضع الحرث وقوله هو أذى
فاعتزلوا النساء من حيث أمركم الله فأتوا حرثكم أنى شئتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة وهذه
وأشباهها في كلام الله آداب حسنة على المؤمنين أن يتعلموها ويتأدبوا بها ويتكلفوا مثلها في محاوراتهم ومكاتباتهم
روي أن اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته وهي مجبية من دبرها في قبلها كان ولدها أحول فذكر ذلك لرسول
الله فقال كذبت اليهود ونزلت وقدموا لأنفسكم ما يجب تقدمه من الأعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتم
عنه وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطء واتقوا الله فلا تجترئوا على المناهي واعلموا أنكم ملاقوه فتزودوا
ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين المستوجبين للمدح والتعظيم بترك القبائح وفعل الحسنات فإن قلت ما موقع
قوله نساؤكم حرث لكم مما قبله قلت موقعه موقع البيان والتوضيح لقوله فأتوهن من حيث أمركم الله يعني أن المأتي
الذي أمركم الله به هو مكان الحرث ترجمة له وتفسيرا وإزالة للشبهة ودلالة على أن الغرض الأصلي في الإتيان
هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا تأتوهن إلا من المأتي الذي يتعلق به هذا الغرض فإن قلت ما بال
يسألونك جاء بغير واو ثلاث مرات ثم مع الواو ثلاثا قلت كان سؤالهم عن تلك الحوادث الأول وقع في أحوال
متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لأن كل واحد من السؤالات سؤال مبتدأ وسألوا عن الحوادث الأخر في وقت
واحد فجيء بحرف الجمع لذلك كأنه قيل يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن الإنفاق والسؤال عن كذا وعن كذا
العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة وهي اسم ما تعرضه دون الشيء من عرض العود على الإناء فيعترض دونه
ويصير حاجزا ومانعا منه تقول فلان عرضة دون الخير والعرضة أيضا المعرض للأمر قال
فلا تجعلوني عرضة للوائم ومعنى الآية على الأولى أن الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم أو إصلاح ذات
بين أو إحسان إلى أحد أو عبادة ثم يقول أخاف الله أن أحنث في يميني فيترك البر إرادة البر في يمينه فقيل ولا
تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أي حاجزا لما حلفتم عليه وسمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
لعبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه إذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك أي
على شيء مما حلفت عليه وقوله أن تبروا وتتقوا وتصلحوا عطف بيان لأيمانكم أي للأمور المحلوف عليها التي هي
البر والتقوى والإصلاح بين الناس فإن قلت بم تعلقت اللام في لأيمانكم قلت بالفعل أي ولا تجعلوا
الله لأيمانكم برزخا وحجازا ويجوز أن يتعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض بمعنى لا تجعلوه شيئا يعترض البر
من اعترضني كذا ويجوز أن تكون اللام للتعليل ويتعلق أن تبروا بالفعل أو بالعرضة أي ولا تجعلوا الله لأجل
أيمانكم به عرضة لأن تبروا ومعناها على الأخرى ولا تجعلوا الله معرضا لأيمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به
ولذلك ذم من أنزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين بأشنع المذام وجعل الحلاف مقدمتها وأن تبروا علة للنهي
أي إرادة أن تبروا وتتقوا وتصلحوا لأن الحلاف مجترئ على الله تعالى غير معظم له فلا يكون برا متقيا ولا يثق به
الناس فلا يدخلونه في وساطاتهم وإصلاح ذات بينهم لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم
بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولذلك قيل لما لا يعتد
به في الدية من أولاد الإبل لغو واللغو من اليمين الساقط الذي لا يعتد به في الأيمان وهو الذي لا عقد معه
والدليل عليه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان بما كسبت قلوبكم واختلف الفقهاء فيه فعند أبي حنيفة رحمه الله

وأصحابه

واصحابه وهو ان يحلف على الشيء يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه وعند الشافعي رضي الله عنه هو قول العرب
لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف ولو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام
لانكر ذلك ولعله قال لا والله الف مرة وفيه معنيان احدهما لا يؤاخذكم الله اي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم
بالظن ولكن يعاقبكم بما كسبت قلوبكم اي اقترفته من اثم القصد الى الكذب في اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه
خلاف ما يقوله وهو اليمين الغموس والثاني لا يؤاخذكم اي لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذي لا قصد
معه ولكن يلزمكم الكفارة بما كسبت قلوبكم اي بما نوت قلوبكم وقصدت من الايمان ولم يكن كسب اللسان
وحده والله غفور حليم حيث لم يؤاخذكم باللغو في ايمانكم ۞ للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة
اشهر فان فاؤا فان الله غفور رحيم وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم قرأ عبد الله آلوا من نسائهم
وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما يقسمون من نسائهم فان قلت كيف عدي بمن وهو معدى بعلى قلت
قد ضمن في هذا القسم المخصوص معنى البعد فكانه قيل يبعدون من نسائهم مؤلين او مقسمين ويجوز ان يراد لهم
من نسائهم تربص اربعة اشهر كقولك لي منك كذا والايلاء من المرأة ان يقول والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا
على التقييد بالاشهر او لا اقربك على الاطلاق ولا يكون فيما دون اربعة اشهر الا ما يحكى
عن ابراهيم النخعي وحكم ذلك انه اذا فاء اليها في المدة بالوطء ان امكنه او بالقول ان عجز صح الفيء وحنث
القادر ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان مضت الاربعة بانت بتطليقة عند ابي حنيفة وعند
الشافعي رضي الله عنهما لا يصح الايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ثم يوقف المولي فاما ان يفيء واما ان يطلق وان
ابى طلق عليه الحاكم ومعنى قوله فان فاؤا فان فاؤا في الاشهر بدليل قراءة عبد الله فان فاؤا فيهن فان فاؤا
ان يكونه
فان الله غفور رحيم يغفر للمولين ما عسى يقدمون عليه من طلب ضرار النساء بالايلاء وهو الغالب وان كان
على رضا منهن اشفاقا منهن على الولد من الغيل او لبعض الاسباب لاجل الفيئة التي هي مثل التوبة وان عزموا الطلاق
فتربصوا الى مضي المدة فان الله سميع عليم وعيد على اصرارهم وتركهم الفيئة وعلى قول الشافعي رضي الله عنه معناه
فان فاؤا وان عزموا الطلاق بعد مضي المدة فان قلت كيف موقع الفاء اذا كانت الفيئة قبل انتهاء مدة التربص
قلت موقع صحيح لان قوله فان فاؤا وان عزموا تفصيل لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل يعقب
المفصل كما تقول انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الى آخره والا لم اقم الا ريثما اتحول
فان قلت ما تقول في قوله فان الله سميع عليم وعزمهم الطلاق مما يعلم ولا يسمع قلت الغالب ان العازم
للطلاق وترك الفيئة والضرار لا يخلو من مقاولة ودمدمة ولا بد له من ان يحدث نفسه ويناجيها بذلك وذلك
حديث لا يسمعه الا الله كما يسمع وسوسة الشيطان ۞ والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء ولا يحل لهن
ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن احق بردهن في ذلك ان
ارادوا اصلاحا ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم ۞ والمطلقات
اراد المدخول بهن من ذوات الاقراء فان قلت كيف جازت ارادتهن خاصة واللفظ يقتضي العموم قلت
بل اللفظ مطلق في تناول الجنس صالح لكله وبعضه فجاء في احد ما يصلح له كالاسم المشترك فان قلت
فما معنى الاخبار عنهن بالتربص قلت هو خبر في معنى الامر واصل الكلام وليتربص المطلقات واخراج
الامر في صورة الخبر تاكيد للامر واشعار بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكانهن امتثلن الامر بالتربص

فهو مخبر عنه موجودا، ونحوه قولهم في الدعاء رحمك الله أخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة كأنما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها وبناؤه
على المبتدأ مما زاده أيضا فضل تأكيد ولو قيل ويتربص المطلقات لم يكن بتلك الوكادة. فإن قلت هلا قيل
يتربصن ثلاثة قروء كما قيل تربص أربعة أشهر وما معنى ذكر الأنفس. قلت في ذكر الأنفس تهييج لهن على التربص وزيادة
بعث لأن فيه ما يستنكفن منه فيحملهن على أن يتربصن وذلك أن أنفس النساء طوامح إلى الرجال فأمرن أن يقمعن
أنفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص. والقروء جمع قرء أو قرء وهو الحيض بدليل قوله
صلى الله عليه وسلم دعي الصلاة أيام أقرائك وقوله عليه الصلاة والسلام طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان
ولم يقل طهران وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر فأقام الأشهر
مقام الحيض دون الأطهار ولأن الغرض الأصيل في العدة استبراء الرحم والحيض هو الذي تستبرأ به
الأرحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء من الأمة بالحيضة ويقال أقرأت المرأة إذا حاضت وامرأة
مقرئ وقال أبو عمرو بن العلاء دفع فلان جاريته إلى فلانة تقرئها أي تمسكها عندها حتى تحيض للاستبراء فإن
قلت فما تقول في قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن والطلاق الشرعي إنما هو في الطهر قلت معناه مستقبلات
لعدتهن كما تقول لقيته لثلاث بقين من الشهر تريد مستقبلا لثلاث وعدتهن الحيض الثلاث فإن قلت فما تقول
في قول الأعشى * لما ضاع فيها من قروء نسائكا * قلت أراد لما ضاع فيها من عدة نسائك لشهرة القروء
عندهم في الاعتداد بهن أي من مدة طويلة كالمدة التي تعتد فيها النساء استطال مدة غيبته عن أهله كل عام لاقتحامه في
الحروب والغارات وأنه تمر على نسائه مدة كمدة العدة ضائعة لا يضاجعن فيها أو أراد من أوقات نسائك فإن
القرء والقارئ جاء في معنى الوقت ولم يرد لا حيضا ولا طهرا. فإن قلت فعلام انتصب ثلاثة قروء
قلت على أنه مفعول به كقولك المحتكر يتربص الغلاء أي يتربصن مضي ثلاثة قروء أو على أنه ظرف أي يتربصن
مدة ثلاثة قروء. فإن قلت لم جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الأقراء قلت يتسعون في ذلك
فيستعملون الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما في الجمعية ألا ترى إلى قوله بأنفسهن وما هي إلا نفوس كثيرة ولعل القروء كل واحد منهما
كانت أكثر استعمالا في جمع قرء من الأقراء فأوثر عليه تنزيلا للقليل الاستعمال منزلة المهمل فيكون مثل قولهم
ثلاثة شسوع. وقرأ الزهري ثلاثة قرو بغير همز. ما خلق الله في أرحامهن من الولد أو من دم الحيض وذلك
إذا أرادت المرأة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها أن تضع ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها
أو كتمت حيضها وقالت وهي حائض قد طهرت استعجالا للطلاق. ويجوز أن يراد اللاتي يبغين إسقاط
ما في بطونهن من الأجنة فلا يعترفن به ويجحدنه لذلك فجعل كتمان ما في أرحامهن كناية عن إسقاطه. إن كن
يؤمن بالله واليوم الآخر تعظيم لفعلهن وأن من آمن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم. والبعول
جمع بعل والتاء لاحقة لتأنيث الجمع كما في الحزونة والسهولة ويجوز أن يراد بالبعولة المصدر من قولك بعل
حسن البعولة يعني وأهل بعولتهن أحق بردهن برجعتهن وفي قراءة أبي رضي الله عنه بردتهن في ذلك في مدة
ذلك التربص. فإن قلت كيف جعلوا أحق بالرجعة كأن للنساء حقا فيها قلت المعنى أن الرجل
إن أراد الرجعة وأبتها المرأة وجب إيثار قوله على قولها وكان هو أحق منها لا أن لها حقا في الرجعة
إن أرادوا بالرجعة إصلاحا لما بينهم وبينهن وإحسانا إليهن ولم يريدوا مضارتهن ولهن مثل الذي عليهن
وتجب لهن من الحق على الرجال مثل الذي يجب لهم عليهن بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات

الناس

لناس فلا يكلفنهم ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم • ولا يعنف احد الزوجين صاحبه والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب
الواجب في كونه حسنة لا في جنس الفعل فلا يجب عليه اذا غسلت ثيابه او خبزت له ان يفعل نحو ذلك ولكن يقابله •
بما يليق بالرجال • درجة زيادة في الحق وفضيلة قيل المراة تنال من اللذة مثل ما ينال الرجل وله الفضيلة بقيامه
عليها وانفاقه في مصالحها الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان ولا يحل لكم ان تاخذوا مما
آتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما
افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون الطلاق بمعنى التطليق
كالسلام بمعنى التسليم اي التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة ولم يرد بالمرتين واحدة م
التثنية ولكن التكرير كقوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين ونحو
ذلك من التثاني التي يراد بها التكرير قولهم لبيك وسعديك وهذاذيك ودواليك وقوله تعالى فامساك وحنانيك م
بمعروف او تسريح باحسان تخيير لهم بعد ان علمهم كيف يطلقون بين ان يمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام بمواجبهن
وبين ان يسرحوهن السراح الجميل الذي علمهم وقيل معناه الطلاق الرجعي مرتان لانه لا رجعة بعد الثالث
فامساك بمعروف اي برجعة • او تسريح باحسان اي بان لا يراجعها حتى تبين بالعدة او بان لا يراجعها مراجعة
يريد بها تطويل العدة عليها وضرارها وقيل بان يطلقها الثالثة في الطهر الثالث وروي ان سائلا سال رسول الله عليه
الصلاة والسلام اين الثالثة فقال صلى الله عليه وسلم او تسريح باحسان وعند ابي حنيفة رحمة الله عليه واصحابه الجمع
بين الطلقتين والثلث بدعة • والسنة ان لا يوقع عليها الا واحدة في طهر لم يجامعها فيه • لما روي في حديث ابن عمر
رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل قرء تطليقة
وعند الشافعي رضي الله عنه لا باس بارسال الثلث لحديث العجلاني الذي لاعن امراته فطلقها ثلثا بين يدي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليه • وروي ان جميلة بنت اخت عبد الله بن ابي كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه
وهو يحبها فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعيب
عليه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا هو
اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت • وكان قد اصدقها حديقة فاختلعت منه بها وهو اول خلع كان
في الاسلام فان قلت لمن الخطاب في قوله ولا يحل لكم ان تاخذوا ان قلت للازواج لم يطابقه قوله فان
خفتم ان لا يقيما حدود الله وان قلت للائمة والحكام فهؤلاء ليسوا باخذين منهن ولا بمؤتيهن قلت يجوز
الامران جميعا ان يكون اول الخطاب للازواج وآخره للائمة والحكام • ونحو ذلك غير عزيز في القرآن وغيره وان يكون
الخطاب كله للائمة والحكام لانهم الذين يامرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكانهم الآخذون والمؤتون • مما آتيتموهن
مما اعطيتموهن من الصدقات الا ان يخافا الا يقيما حدود الله الا ان يخاف الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما
من مواجب الزوجية لما يحدث من نشوز المراة وسوء خلقها • فلا جناح عليهما فلا جناح على الرجل فيما اخذ ولا عليها فيما
اعطت • فيما افتدت به فيما افتدت به نفسها واختلعت به من بذل ما اوتيت من المهر والخلع بالزيادة على المهر مكروه
وهو جائز في الحكم • وروي ان امراة نشزت على زوجها فرفعت الى عمر رضي الله عنه فاباتها في بيت الزبل
ثلث ليال ثم دعاها فقال كيف وجدت مبيتك قالت ما بت مذ كنت عنده اقر لعيني منهن • فقال لزوجها اخلعها
ولو بقرطها • قال قتادة يعني بمالها كله هذا اذا كان النشوز منها فان كان منه كره له ان ياخذ منها شيئا • وقرئ الا ان يخافا

على البناء للمفعول وابدال الا يقيما من الف الضمير وهو من بدل الاشتمال تقولك خيف زيد تركه اقامة حدود الله ونحوه واسروا
النجوى الذين ظلموا ويعضده قراءة عبد الله الا ان تخافوا وفي قراءة ابي رضي الله عنه الا ان يظنا وتجوز ان يكون الخوف بمعنى
الظن يقولون اخاف ان يكون كذا وافرق ان يكون كذا يريدون اظن فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا
غيره فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون
فان طلقها الطلاق المذكور الموصوف بالتكرار في قوله الطلاق مرتان واستوفى نصابه او فان طلقها مرة ثالثة بعد المرتين
فلا تحل له من بعد من بعد ذلك التطليق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى المراة كما يسند
الى الرجل كما التزوج ويقال فلانة ناكح في بني فلان وقد تعلق من اقتصر على العقد في التحليل بظاهره وهو سعيد بن
المسيب رضي الله عنه والذي عليه الجمهور انه لا بد من الاصابة لما روى عروة عن عايشة رضي الله عنها ان امراة رفاعة
جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن ابن الزبير تزوجني وان ما معه
مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة قالت نعم فقال لا حتى تذوقي عسيلته
ويذوق عسيلتك وروي انها لبثت ما شاء الله ثم رجعت فقالت انه قد كان مسني فقال لها كذبت في قولك الاول
فلن اصدقك في الاخر فلبثت حتى قبض رسول الله عليه الصلاة والسلام فاتت ابا بكر رضي الله عنه فقالت ارجع الى زوجي
الاول فقال قد عهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر رضي الله عنه
قالت مثله لعمر رضي الله عنه فقال ان اتيتيني بعد مرتك هذه لارجمنك فمنعها فان قلت فما تقول في النكاح المعقود
بشرط التحليل قلت ذهب سفين والاوزاعي وابو عبيد ومالك وغيرهم الى انه غير جائز وهو جائز عند ابي حنيفة
رحمه الله عليه مع الكراهة وعنهما انهما ان اضمرا التحليل ولم يصرحا به فلا كراهة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه لعن المحلل
والمحلل له وعن عمر رضي الله عنه لا اوتي بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما وعن عثمان رضي الله عنه لا الا نكاح رغبة
غير مدالسة فان طلقها الزوج الثاني ان يتراجعا ان يرجع كل واحد منهما الى صاحبه بالزواج ان ظنا ان كان في ظنهما
انهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل ان علما انهما يقيمان لان اليقين مغيب عنهما لا يعلمه الا الله تعالى ومن فسر
الظن هاهنا بالعلم فقد وهم من طريق اللفظ والمعنى لانك لا تقول علمت ان يقوم زيد ولكن علمت انه يقوم ولان الانسان
لا يعلم ما في الغد وانما يظن ظنا وإذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف
ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا ايات الله هزوا واذكروا نعمة الله
عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم فبلغن اجلهن اي
اخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على المدة كلها وعلى اخرها يقال لعمر الانسان اجل وللموت الذي ينتهي به اجل
وكذلك الغاية والامد يقول النحويون من لابتداء الغاية والى لانتهاء الغاية وقال اذا انتهى امده ويتسع في
البلوغ ايضا فيقال بلغ البلد اذا شارفه وداناه ويقال قد وصلت ولم يصل وانما شارف ولانه قد علم ان الامساك
بعد تقضي الاجل لا وجه له لانها بعد تقضيه غير زوجة له وفي غير عدة منه فلا سبيل له عليها فامسكوهن بمعروف
فاما ان يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة او سرحوهن بمعروف وإما ان يخليها حتى تنقضي عدتها وتبين من غير
ضرار ولا تمسكوهن ضرارا كان الرجل يطلق المراة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن
ليطول العدة عليها فهو الامساك ضرارا لتعتدوا لتظلموهن وقيل لتلجئوهن الى الافتداء فقد ظلم نفسه بتعريضها
لعقاب الله ولا تتخذوا ايات الله هزوا اي جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا فقد اخذتموها

كل حي يستكمل مدة العمر ومود ح

هزوا

[illegible] التورية هزوًا ولعبًا ويقال لمن لم يجد في الامر انما انت لاعب وهازئ

وقيل كان الرجل يعتق ويطلق ويتزوج ويقول كنت لاعبًا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة ◦ واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما انزل

عليكم من الكتاب والحكمة من القران والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها يعظكم به بما انزل عليكم والله اعلم

وَاِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ اَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ اَنْ يَنْكِحْنَ اَزْوَاجَهُنَّ اِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ

بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ اَزْكَى لَكُمْ وَاَطْهَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ وَاَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ فبلغن اجلهن فلا

تعضلوهن اما ان يخاطب به الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلمًا وقسرًا ولحمية الجاهلية

لا يتركونهن يتزوجن من شئن من الازواج والمعنى ان ينكحن من ازواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن واما

لان يخاطب به الاولياء في عضلهن ان يرجعن الى ازواجهن روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل

اخته ان ترجع الى الزوج الاول وقيل في جابر بن عبد الله رضي الله عنه حين عضل بنت عم له والوجه ان يكون

خطابا للناس اي لا يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين والعضل

الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج ◦ وانشد لابن هرمة ◦

◦ وان قصائدي لك فاصطنعني ◦ عقائل قد عضلن عن النكاح ◦

وبلوغ الاجل على الحقيقة وعن الشافعي دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين اذا تراضوا اذا تراضى الخطاب

والنساء بالمعروف بما يحسن في الدين والمروءة من الشرائط وقيل بمهر المثل ومن مذهب ابي حنيفة رحمه الله

انها اذا زوجت نفسها باقل من مهر مثلها فللاولياء ان يعترضوا فان قلت لمن الخطاب في قوله ذلك

يوعظ به قلت يجوز ان يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل واحد ونحو ذلك خير لكم واطهر

ازكى لكم واطهر من ادناس الاثام وقيل ازكى واطهر افضل واطيب والله يعلم ما في ذلك من الزكاء

والطهر وانتم لا تعلمونه او والله يعلم ما تستصلحون به من الاحكام والشرائع وانتم تجهلونه وَالْوَالِدَاتُ

يُرْضِعْنَ اَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ اَرَادَ اَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ

لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ اِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَاِنْ

اَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَاِنْ اَرَدْتُمْ اَنْ تَسْتَرْضِعُوا اَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ

عَلَيْكُمْ اِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا اَنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ يرضعن مثل يتربصن في انه

خبر في معنى الامر المؤكد كاملين توكيد كقوله تعالى تلك عشرة كاملة لانه مما يتسامح فيه فتقول

اقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما ولوا ابن عباس رضي الله عنهما ان تكمل الرضاعة بكسر الراء والرضعة وان

تتم الرضاعة وان يتم الرضاعة برفع الفعل تشبيها لان بما لتاخيهما في التاويل فان قلت كيف اتصل قوله لمن

اراد بما قبله قلت هو بيان لمن توجه اليه الحكم كقوله تعالى هيت لك لك بيان للمهيت به اي هذا الحكم لمن اراد اتمام

الرضاع وعن قتادة حولين كاملين ثم انزل الله تعالى اليسر والتخفيف فقال لمن اراد ان يتم الرضاعة اراد

انه يجوز النقصان وعن الحسن ليس ذلك بوقت لا ينقص منه بعد ان لا يكون في الفطام ضرر وقيل اللام متعلقة

بيرضعن كما تقول ارضعت فلانة لفلان ولده اي يرضعن حولين لمن اراد ان يتم الرضاعة من الاباء لان الاب

يجب عليه ارضاع الولد دون الام وعليه ان يتخذ له ظئرًا الا اذا تطوعت الام بارضاعه وهي مندوبة الى ذلك

٢١

وترك الرضاعة

الام عند ابي حنيفة

ولا تجبر عليه • ولا يجوز استيجار ... ابي حنيفة ما دامت زوجة له او معتدة من نكاح • وعند الشافعي يجوز فاذا انقضت
عدتها جاز بالاتفاق فان قلت كيف قال الوالدات مأمورات بان يرضعن اولادهن قلت اما ان يكون امرا على
وجه الندب • واما على وجه الوجوب اذا لم يقبل الصبي الا ثدي امه او لم يوجد له ظئر • او كان الاب
عاجزا عن الاستيجار • وقيل اراد الوالدات المطلقات • وايجاب النفقة والكسوة لاجل الرضاع • وعلى المولود له وعلى
الذي يولد له وعلى الذي يولد له وهو الوالد وله في محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم في المغضوب عليهم فان قلت
لم قيل المولود له دون الوالد قلت ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم لان الاولاد للآباء • ولذلك ينسبون
اليهم لا الى الامهات • وانشد للمأمون بن الرشيد رحمه الله تعالى •

فانما امهات الناس اوعية • مستودعات وللابناء آباء •

فكان عليهم ان يرزقوهن ويكسوهن اذا ارضعن ولدهم كالاظآر • الا ترى انه ذكره باسم الوالد حيث
لم يكن هذا المعنى وهو قوله تعالى • واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا • بالمعروف
تفسيره ما يعقبه وهو ان لا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه • ولا يتضارا • وقرئ لا تكلف بفتح التاء ولا نكلف
بالنون • وقرئ لا تضار بالرفع على الاخبار وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول وان يكون الاصل تضارر بكسر الراء
او تضارر بفتحها وقرأ لا تضار بالفتح اكثر القراء • وقرأ الحسن بالكسر على النهي وهو محتمل للبناءين ايضا ويبين
ذلك انه قرئ لا تضارر ولا تضارر بالجزم وفتح الراء الاولى وكسرها • وقرأ ابو جعفر لا تضار بالسكون مع
التشديد على نية الوقف • وعن الاعرج لا تضار بالسكون والتخفيف وهو من ضاره يضيره • ونوى الوقف كما نواه
ابو جعفر او اختلس الضمة فظنه الراوي سكونا • وفي كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تضارر • والمعنى
لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو ان تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان
تشغل قلبه بالتفريط في شان الولد وان تقول بعد ما الفها الصبي اطلب له ظئرا وما اشبه ذلك ولا يضار
مولود له امرأته بسبب ولده بان يمنعها شيئا مما وجب عليه من رزقها وكسوتها ولا ياخذه منها وهي تريد ارضاعه
ولا يكرهها على الارضاع وكذلك اذا كان مبنيا للمفعول فهو نهي عن ان يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن ان
يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد ويجوز ان تكون تضار بمعنى تضر وان تكون الباء من صلته اي لا تضر
والدة بولدها فلا تسيء غذاءه وتعهده ولا تفرط فيما ينبغي له ولا تدفعه الى الاب بعد ما الفها ولا يضر
الوالد به بان ينتزعه من يدها او يقصر في حقها فتقصر هي في حق الولد فان قلت كيف قيل بولدها
وبولده قلت لما نهيت المرأة عن المضارة اضيف اليها الولد استعطافا لها عليه وانه ليس باجنبي منها
فمن حقها ان تشفق عليه وكذلك الوالد • وعلى الوارث عطف على المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تفسير
للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه فكان المعنى وعلى وارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق
والكسوة اي ان مات المولود له لزم من يرثه ان يقوم مقامه في ان يرزقها ويكسوها بالشريطة التي ذكرت
من المعروف وتجنب الضرار • وقيل هو وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه • واختلفوا فعند ابن ابي
ليلى كل من ورثه • وعند ابي حنيفة رحمه الله عليه كل من كان ذا رحم محرم منه • وعند الشافعي رضي الله تعالى عنه
لا نفقة فيما عدا الولاد • وقيل من ورثه من عصبته مثل الجد والاخ وابن الاخ والعم وابن العم • وقيل المراد
وارث الاب وهو الصبي نفسه وانه ان مات ابوه وورثه وجبت عليه اجرة رضاعه في ماله ان كان له مال

فان لم

فان لم يكن له مال اجبرت الام على ارضاعه وقيل على الوارث على الباقي من الابوين من قوله صلى الله عليه وسلم واجعله
الوارث منا فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما في ذلك زادا على الحولين او نقصا وهذه توسعة
بعد التحديد وقيل هو في غاية الحولين لا يتجاوز وانما اعتبر تراضيهما في الفصال وتشاورهما اما الاب فلا كلام
فيه واما الام فلانها احق بالتربية وهي اعلم بحال الصبي وقرئ فان اراد استرضع منقول من ارضع يقال ارضعت
المراة الصبي واسترضعتها الصبي فتعدى به الى مفعولين كما تقول انجح الحاجة واستنجحته الحاجة والمعنى ان تسترضعوا المراضع
اولادكم فحذف احد المفعولين للاستغناء عنه كما تقول استنجحت الحاجة ولا تذكر من استنجحته وكذلك حكم
كل مفعولين لم يكن احدهما عبارة عن الاول اذا سلمتم الى المراضع ما اتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله
عز وجل اذا قمتم الى الصلاة وقرئ ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله تعالى انه كان
وعده ماتيا اي مفعولا وروى شيبان عن عاصم ما اوتيتم اي ما اتيكم الله واقدركم عليه من الاجرة ونحوه وانفقوا
مما جعلكم مستخلفين فيه وليس التسليم بشرط للجواز والصحة وانما هو ندب الى الاولى ويجوز ان يكون بعثا على ان يكون
الشيء الذي تعطاه المرضع من اهنإ ما يكون لتكون طيبة النفس راضية فيعود ذلك اصلاحا لشأن الصبي
واحتياطا في امره فامر بايتائه ناجزا يدا بيد كانه قيل اذا اديتم اليهن يدا بيد ما اعطيتموهن بالمعروف فتعلق
بسلمتم امروا ان يكونوا عند تسليم الاجرة مستبشري الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما
امكن حتى يؤمن تفريطهن بقطع معاذيرهن والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن
اربعة اشهر وعشرا فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير
والذين يتوفون منكم على تقدير حذف المضاف اراد وازواج الذين يتوفون منكم يتربصن وقيل معناه يتربصن
بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اي يستوفون اجالهم وهي قراءة علي رضي الله عنه
والذي يحكى ان ابا الاسود الدؤلي كان يمشي خلف جنازة فقال له رجل من المتوفي بكسر الفاء فقال
الله وكان احد الاسباب الباعثة لعلي رضي الله عنه على ان امره بان يضع كتابا في النحو يناقضه هذه القراءة
ويتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا يعتددن هذه المدة وهي اربعة اشهر وعشرة ايام وقيل عشرا ذهابا
الى الليالي والايام داخلة معها ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين الى الايام تقول صمت عشرا ولو ذكرت
خرجت من كلامهم ومن البين فيه قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما فاذا بلغن
اجلهن فاذا انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة وجماعة المسلمين فيما فعلن في انفسهن من التعرض
للخطاب بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع والمعنى انهن لو فعلن ما هو منكر كان على الائمة ان يكفوهن
وان فرطوا كان عليهم الجناح ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء او اكننتم في انفسكم علم الله انكم
ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا الا ان تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى
يبلغ الكتاب اجله واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه واعلموا ان الله غفور حليم فيما عرضتم به
هو ان يقول لها انك لجميلة او صالحة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج وعسى الله ان ييسر لي امراة صالحة ونحو
ذلك من الكلام الموهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول اني
اريد ان انكحك او اتزوجك او اخطبك وروى ابن المبارك عن عبد الرحمن بن سليمان عن خالته قالت دخل
علي ابو جعفر محمد بن علي رضي الله عنهم وانا في عدتي فقال قد علمت قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدي علي

وقدمي في الاسلام فقلت غفر الله لك اتخطبني في عدتي وانت يؤخذ عنك فقال قد فعلت انما اخبرتك بقرابتي
من رسول الله وموضعي قد دخل رسول الله عليه السلام على ام سلمة رضي الله عنها وكانت عند ابن عمها ابي سلمة فتوفي
عنها فلم يزل يذكر لها منزلته من الله تعالى وهو متحامل على يده حتى اثر الحصير في يده من شدة تحامله عليها فما كانت تلك
خطبة **فان قلت** اي فرق بين الكناية والتعريض **قلت** الكناية ان تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له والتعريض
ان تذكر شيئا تدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك لاسلم عليك ولانظر الى وجهك الكريم
ولذلك قالوا وحسبك بالتسليم مني تقاضيا وكأنه امالة الكلام الى عرض يدل على الغرض ويسمى التلويح لانه يلوح
منه ما تريده او اكننتم في انفسكم او سترتم واضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم لا معرضين ولا مصرحين علم
الله انكم ستذكرونهن لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن ولا تصبرون عنه وفيه طرف من التوبيخ
كقوله تعالى علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم **فان قلت** اين المستدرك بقوله تعالى ولكن لا تواعدوهن
سرا **قلت** هو محذوف لدلالة ستذكرونهن عليه تقديره علم الله انكم ستذكرونهن فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن
سرا والسر وقع كناية عن النكاح الذي هو الوطء لانه مما يسر قال الاعشى

ولا تقربن جارة ان سرها عليك حرام فانكحن او تأبدا

ثم عبر به عن النكاح الذي هو الوطء العقد لانه سبب فيه كما فعل بالنكاح الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا
فان قلت بم يتعلق حرف الاستثناء قلت بلا تواعدوهن اي لا تواعدوهن مواعدة قط الا مواعدة معروفة
غير منكرة اولا تواعدوهن الا بان تقولوا اي لا تواعدوهن الا بالتعريض ولا يجوز ان يكون استثناء
منقطعا من سرا لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وقيل لا تواعدوهن جماعا وهو ان يقول لها ان نكحتك
كان كيت وكيت يريد ما يجري بينهما تحت اللحاف الا ان تقولوا قولا معروفا يعني من غير رفث والافحاش في
الكلام وقيل لا تواعدوهن سرا اي في السر على ان المواعدة في السر عبارة عن المواعدة بما يستهجن لان مسارتهن في الغالب
بما يستحيا من المجاهرة به وعن ابن عباس رضي الله عنهما الا ان تقولوا قولا معروفا هو ان تواثقها ان لا تتزوج
غيره ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الامر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة في النهي عن عقد النكاح في العدة
لان العزم على الفعل يتقدمه فاذا نهي عنه كان عن الفعل انهى ومعناه ولا تعزموا عقدة النكاح وقيل معناه ولا
تقطعوا عقدة النكاح وحقيقة العزم القطع بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل
وروي لمن لم يبيت الصيام حتى يبلغ الكتاب اجله يعني ما كتب وفرض من العدة يعلم ما في انفسكم من العزم
على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموا عليه غفور حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم ان طلقتم
النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف
حقا على المحسنين وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا ان يعفون
او يعفو الذي بيده عقدة النكاح وان تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون
بصير لا جناح عليكم لا تبعة عليكم من ايجاب مهر ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن ما لم تجامعوهن او تفرضوا لهن
فريضة الا ان تفرضوا لهن فريضة او حتى تفرضوا وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك ان المطلقة غير
مدخول بها ان سمي لها مهر فلها نصف المسمى وان لم يسم لها فليس لها نصف مهر المثل ولكن المتعة والدليل
على ان الجناح تبعة المهر قوله وان طلقتموهن الى قوله فنصف ما فرضتم فقوله فنصف ما فرضتم اثبات للجناح

كقولك طويل النجاد والحمائل لطويل القامة وكثير الرماد للمضياف ع

المنفي

المبني ثمه والمتعة درع وملحفة وخمار على حسب الحال عند أبي حنيفة رحمة الله عليه إلا أن يكون مهر مثلها أقل من ذلك
فلها الأقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص من خمسة دراهم لأن أقل المهر عشرة دراهم ولا ينقص من نصفها
على الموسع الذي له سعة والمقتر الضيق الحال قدره مقداره الذي يطيقه لأن ما يطيقه هو الذي يختص به
وقرئ بفتح الدال والقدْر والقدَر لغتان وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل من الأنصار تزوج
امرأة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها قبل أن يمسها أمتعتها قال لم يكن عندي شيء قال متعها بقلنسوتك وعند أصحابنا
لا تجب المتعة إلا لهذه وحدها وتستحب لسائر المطلقات ولا تجب متاعا تأكيد لمتعوهن بمعنى تمتيعا بالمعروف
بالوجه الذي يحسن في الشرع والمروءة حقا صفة لمتاعا أي متاعا واجبا عليهم أو حق ذلك حقا على المحسنين على الذين
يحسنون إلى المطلقات بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كما قال صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه إلا
أن يعفون يريد المطلقات فإن قلت أي فرق بين قولك الرجال يعفون والنساء يعفون قلت الواو
في الأول ضميرهم والنون علم الرفع والواو في الثاني لام الفعل والنون ضميرهن والفعل مبني لا أثر في لفظه
للعامل وهو في محل النصب ويعفو عطف على محله أو الذي بيده عقدة النكاح الولي يعني إلا أن تعفو المطلقات
عن أزواجهن فلا يطالبنهم بنصف المهر وتقول المرأة ما رآني ولا خدمته ولا استمتع بي فكيف آخذ منه
شيئا أو يعفو الولي الذي يلي عقد نكاحهن وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه وقيل هو الزوج وعفوه
أن يسوق المهر إليها كاملا وهو مذهب أبو حنيفة رحمة الله عليه والأول ظاهر الصحة وتسمية الزيادة على الحق
عفوا فيها نظر إلا أن يقال كان الغالب عندهم أن يسوق إليها المهر عند التزوج فإذا طلقها استحق أن يطالبها
بنصف ما ساق إليها فإذا ترك المطالبة فقد عفا عنها أو سماه عفوا على طريق المشاكلة وعن جبير بن مطعم أنه
تزوج امرأة وطلقها قبل أن يدخل بها فأكمل لها الصداق وقال أنا أحق بالعفو وعنه أنه دخل على سعد
بن أبي وقاص رضي الله عنه فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث إليها بالصداق كاملا فقيل له لم تزوجتها
قال عرضها علي فكرهت أن أرده قيل فلم بعثت بالصداق قال فأين الفضل والفضل التفضل أي ولا تنسوا
أن يتفضل بعضكم على بعض وتمروا ولا تستقصوا وقرأ الحسن أو يعفو الذي بسكون الواو وإسكان الواو والياء
في موضع النصب تشبيه لهما بالألف لأنهما أختاها وقرأ أبو نهيك وأن يعفو بالياء وقرئ ولا تنسوا الفضل بكسر
الواو حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين فإن خفتم فرجالا أو ركبانا فإذا أمنتم
فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون والصلاة الوسطى أي الوسطى بين الصلوات أو الفضلى من قولهم للأفضل الأوسط
وإنما أفردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وهي صلاة العصر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال يوم الأحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وقال صلى الله عليه وسلم
إنها الصلاة التي شغل عنها سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب وعن حفصة رضي الله عنها أنها قالت
لمن كتب لها المصحف إذا بلغت هذه الآية فلا تكتبها حتى أمليها عليك كما سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام
يقرؤها فأملت عليه والصلاة الوسطى صلاة العصر وروي عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهما والصلاة
الوسطى وصلاة العصر بالواو فعلى هذه القراءة يكون التخصيص لصلاتين إحداهما الصلاة الوسطى إما الظهر
وإما الفجر وإما المغرب على اختلاف الروايات فيها والثانية العصر وقيل فضلها لما في وقتها من اشتغال
الناس بتجاراتهم ومعايشهم وعن ابن عمر رضي الله عنهما هي صلاة الظهر لأنها في وسط النهار وكان النبي صلى الله عليه وسلم

يصليها بالهاجرة ولم تكن صلوة اشد على اصحابه منها وعن مجاهد هي الفجر لانها بين صلاتي النهار وصلوتي الليل
وعن قبيصة بن ذويب هي المغرب لانها وتر النهار ولا تنقص في السفر من ثلث وفي قراة عبد الله وعلى الصلوة الوسطى
وقرات عايشة رضي الله عنها والصلوة الوسطى بالنصب على المدح والاختصاص وقرا نافع الوصطى بالصاد وقوموا لله
في الصلوة قانتين ذاكرين الله في قيامكم والقنوت ان تذكر الله قايما وعن عكرمة كانوا يتكلمون في الصلاة
فنهوا وعن مجاهد هو الركود وكف الايدي والبصر وروي انهم كانوا اذا قام احدهم الى الصلوة هاب الرحمن
ان يمد بصره او يلتفت او يقلب الحصى او يحدث نفسه بشيء من امور الدنيا فان خفتم فان كان بكم خوف من عدو
او غيره فرجالا فصلوا راجلين وهو جمع راجل كقايم وقيام او رجل يقال رجل اي راجل وقرئ فرجالا بضم الراء
ورجالا بالتشديد ورجلا وعند ابي حنيفة رحمه الله عليه لا يصلون في حال المشي والمسابقة ما لم يمكن الوقوف وعند الشافعي
رضي الله عنه يصلون في كل حال والراكب يومي ويسقط عنه التوجه الى القبلة فاذا امنتم فاذا زال خوفكم فاذكروا
الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون من صلوة الامن او فاذا امنتم فاشكروا الله على الامن واذكروه بالعبادة كما احسن اليكم
بما علمكم من الشرايع وكيف تصلون في حال الخوف وفي حالة الامن والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا
وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من
معروف والله عزيز حكيم او حكم الذين يتوفون وصية تقديره فيمن قرا وصية بالرفع ووصية الذين
يتوفون وصية لازواجهم او والذين يتوفون اهل وصية لازواجهم ومن قرا بالنصب والذين يتوفون يوصون
وصية كقولك انما انت سير البريد باضمار تسير او الزم الذين يتوفون وصية ويدل عليه قراة عبد الله كتب
عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكان قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم
متاعا الى الحول وقرا ابي رضي الله عنه متاع لازواجهم متاعا وروي عنه رضي الله عنه فمتاع لازواجهم
ومتاعا نصب بالوصية الا اذا اضمرت يوصون فانه نصب بالفعل وعلى قراة ابي متاعا نصب بمتاع لانه في معنى التمتيع
كقولك الحمد لله حمد الشاكرين واعجبني ضرب لك زيدا ضربا شديدا وغير اخراج مصدر موكد كقولك هذا القول
غير ما تقول او بدل من متاعا او حال من الازواج اي غير مخرجات والمعنى ان حق الذين يتوفون عن ازواجهم
ان يوصوا قبل ان يحتضروا بان تمتع ازواجهم بعدهم حولا كاملا اي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن
من مساكنهن وكان ذلك في اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وقيل نسخ ما زاد منه
على هذا المقدار ونسخت النفقة بالارث الذي هو الربع والثمن واختلف في السكنى فعند ابي حنيفة
رحمة الله عليه واصحابه لا سكنى لهن فيما فعلن في انفسهن من التزين والتعرض للخطاب من معروف
مما ليس بمنكر شرعا فان قلت كيف نسخت الاية المتقدمة المتاخرة قلت قد تكون الاية
متقدمة في التلاوة وهي متاخرة في التنزيل كقوله سيقول السفهاء مع قوله قد نرى تقلب وجهك في السماء
وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تعقلون
وللمطلقات متاع عم المطلقات بايجاب المتعة لهن بعد ما اوجبها لواحدة منهن وهي المطلقة غير المدخول بها
وقال حقا على المتقين كما قال ثمه حقا على المحسنين وعن سعيد بن جبير وابي العالية والزهري انها
واجبة لكل مطلقة وقيل قد تناولت التمتيع الواجب والمستحب جميعا وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة
الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ان الله لذو فضل

او حكم الذين يتوفون

على

على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون الم تر تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب واخبار الاولين وتعجيب من شأنهم
ويجوز ان يخاطب به من لم ير ولم يسمع لان هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجيب • روي ان اهل داوردان
قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله تعالى ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا انه لا مفر من حكم
الله وقضائه وقيل مر عليهم حزقيل عليه السلام بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقه
واصابعه تعجبا مما راى فاوحي اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله فنادى فنظر اليهم قياما يقولون سبحانك اللهم وبحمدك
لا اله الا انت وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد فهربوا حذرا من الموت فاماتهم الله تعالى ثمانية
ايام ثم احياهم وهم الوف فيه دليل على الالوف الكثيرة • واختلف في ذلك فقيل عشرة وقيل ثلاثون وقيل سبعون •
ومن بدع التفاسير الوف متالفون جمع آلف كقاعد وقعود فان قلت ما معنى قوله تعالى فقال لهم الله موتوا
قلت معناه فاماتهم الله تعالى وانما جيء به على هذه العبارة للدلالة على انهم ماتوا ميتة رجل واحد بامر الله ومشيئته
وتلك ميتة خارجة عن العادة كانهم امروا بشيء فامتثلوه امتثالا من غير اباء ولا توقف كقوله تعالى انما
امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون • وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة • وان الموت اذا لم يكن
منه بد ولم ينفع منه مفر فاولى ان يكون في سبيل الله لذو فضل على الناس حيث يبصرهم ما يعتبرون به ويستبصرون
كما بصر اولئك وكما بصركم باقتصاص خبرهم او لذو فضل على الناس حيث احيا اولئك ليعتبروا فيفوزوا ولو شاء لتركهم موتى
الى يوم البعث والدليل على انه ساق هذه القصة بعثا على الجهاد ما اتبعه من الامر بالقتال في سبيل الله وقاتلوا في سبيل
الله واعلموا ان الله سميع عليم سميع يسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون عليم بما يضمرونه وهو من وراء الجزاء
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون
اقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه والقرض الحسن اما المجاهدة في نفسها واما النفقة في سبيل الله اضعافا
كثيرة قيل الواحد بسبعمائة وعن السدي كثيرة لا يعلم كنهها الا الله تعالى والله يقبض ويبسط يوسع على عباده ويقتر
فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدلكم الضيقة بالسعة واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم الم تر الى الملأ
من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم
القتال الا تقاتلوا قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم
القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين لنبي لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل ابعث لنا ملكا
انهض للقتال معنا اميرا نصدر في تدبير الحرب عن رايه وننتهي
الى امره طلبوا من نبيهم نحو ما كان يفعل رسول الله عليه الصلاة والسلام من التامير على الجيوش التي كان يجهزها ومن
امرهم بطاعته وامتثال اوامره • وروي انه صلى الله عليه وسلم امر الناس اذا سافروا ان يجعلوا احدهم اميرا
عليهم نقاتل قرئ بالنون والجزم على الجواب وبالنون والرفع على انه حال اي ابعثه لنا مقدرين القتال •
او استئناف كانه قال لهم ما تصنعون بالملك فقالوا نقاتل • وقرئ يقاتل بالياء والجزم على الجواب • وبالرفع على
انه صفة لملكا وخبر هل عسيتم ان لا تقاتلوا والشرط فاصل بينهما • والمعنى هل قاربتم ان لا تقاتلوا يعني هل
الامر كما اتوقعه انكم لا تقاتلون اراد ان يقول عسيتم ان لا تقاتلوا بمعنى اتوقع جبنكم عن القتال فادخل
هل مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون واراد بالاستفهام التقرير وتثبيت ان المتوقع كائن وانه صائب في توقعه
كقوله تعالى هل اتى على الانسان معناه التقرير وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة • وما لنا الا نقاتل

واعلموا ان الله سميع

وأيّ داعٍ لنا إلى ترك القتال وأيّ غرض لنا فيه • وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا وذلك أن قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل
بحر الروم بين مصر وفلسطين • فأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين • إلّا قليلاً منهم قيل كان القليل منهم ثلثمائة
وثلثة عشر على عدد أهل بدر والله عليم بالظالمين • وعيد لهم على ظلمهم في القعود عن القتال وترك الجهاد • وقال لهم
نبيهم إنّ الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنّى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة
من المال قال إنّ الله اصطفيه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم
وقال لهم نبيهم إنّ آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون
تحمله الملئكة إنّ في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين طالوت اسم أعجمي كجالوت وداود وإنما امتنع من الصرف
لتعريفه وعجمته • وزعموا أنه من الطول لما وصف به من البسطة في الجسم ووزنه إن كان من الطول فعلوت منه أصله
طولوت إلّا أنّ امتناع صرفه يدفع أن يكون منه إلّا أن يقال هو اسم عبراني وافق عربيّاً كما وافق حنطا حنطة وبشمالا ها
رحمانا رحيماً • بسم الله الرحمن الرحيم فهو من الطول كما لو كان عربيّاً وكان أحد سببيه العجمة لكونه عبرانيّاً • أنّى كيف
ومن أين وهو إنكار لتملكه عليهم واستبعاد له • فإن قلت ما الفرق بين الواوين في ونحن أحق ولم يؤت قلت
الأولى للحال والثانية لعطف الجملة على الجملة الواقعة حالاً قد انتظمتهما معاً في حكم واو الحال • والمعنى كيف يتملك علينا
والحال أنه لا يستحق التملك لوجود من هو أحق بالملك وأنه فقير • ولا بدّ للملك من مال يعتضد به وإنما قالوا ذلك لأنّ
النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب • والملك في سبط يهوذا ولم يكن طالوت من أحد السبطين ولأنه كان رجلاً سقّاء
أو دبّاغاً فقيراً • وروي أن نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكاً فأتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها إلّا طالوت
قال إنّ الله اصطفيه عليكم تخيّره عليكم يريد أن الله هو الذي اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكم الله ثم ذكر له
مصلحتين أنفع مما ذكروا من النسب والمال • وهما العلم المبسوط والجسامة • والظاهر أن المراد بالعلم المعرفة بما طلبوه لأجله من أمر
الحرب • ويجوز أن يكون عالماً بالديانات وبغيرها • وقيل قد أوحي إليه ونبّئ • وذلك أن الملك لا بدّ أن يكون من أهل العلم
فإنّ الجاهل مزدري غير منتفع به • وأن يكون جسيماً يملأ العين جهارة • لأنه أعظم في النفوس وأهيب في القلوب
والبسطة السعة والامتداد • وروي أن الرجل القائم كان يمدّ يده فينال رأسه • يؤتي ملكه من يشاء أي الملك له
غير منازع فيه فهو يؤتيه من يشاء من يستصلحه للملك والله واسع الفضل والعطاء يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد
الفقر عليم بمن يصطفيه للملك فلما فصل طالوت بالجنود قال إنّ الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم
يطعمه فإنه مني إلّا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلّا قليلاً منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا
اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين
ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم
بإذن الله وقتل داود جالوت وآتيه الله الملك والحكمة وعلّمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت
الأرض ولكنّ الله ذو فضل على العالمين تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين التابوت
صندوق التورية وكان موسى عليه السلام إذا قاتل قدّمه فكانت تسكن نفوس بني إسرائيل ولا يفرّون والسكينة السكون
والطمأنينة وقيل صورة كانت فيه من زبرجد أو ياقوت لها رأس كرأس الهرّ وذنب كذنبه وجناحان فتئنّ فيزفّ
التابوت نحو العدوّ وهم يمضون معه فإذا استقرّ ثبتوا وسكنوا ونزل النصر • وعن علي رضي الله عنه كان لها وجه
كوجه الإنسان وفيها ريح هفّافة • وبقية هي رضاض الألواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التورية • وكان رفعه الله تعالى بعد موسى

فنزلت

فلا يجدونك الموتى م

نزلت به الملائكة تحمله وهم ينظرون إليه فكان ذلك آية لاصطفاء الله تعالى طالوت وقيل كان مع موسى عليه السلام ومع أنبياء بني
إسرائيل بعده يستفتحون به فلما غيرت بنو إسرائيل غلبهم عليه الكفار فكان في أرض جالوت فلما أراد الله تعالى أن يملك طالوت
أصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مدائن فقالوا هذا بسبب التابوت بين أظهرنا فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة إلى طالوت
وقيل كان من خشب الشمشار مموها بالذهب نحوا من ثلاثة أذرع في ذراعين وقرأ أبي وزيد بن ثابت التابوه
بالهاء وهي لغة الأنصار فإن قلت ما وزن التابوت قلت لا يخلو من أن يكون فعلوتا أو فاعولا فلا يكون
فاعولا لقلته نحو سلس وقلق ولأنه تركيب غير معروف فلا يجوز ترك المعروف إليه فهو إذا فعلوت من التوب وهو الرجوع لأنه ظرف توضع
فيه الأشياء وتودعه فلا يزال يرجع إليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع إليه فيما يحتاج إليه من مودعاته وأما من قرأ بالهاء
فهو فاعول عنده إلا فيمن جعل هاءه بدلا من التاء لاجتماعهما في الهمس وأنهما من حروف الزيادة ولذلك أبدلت من تاء
التأنيث وقرأ أبو السمال سكينة بفتح السين والتشديد وهو غريب وقرئ يحمله بالياء فإن قلت من آل موسى
وآل هرون قلت الأنبياء من بني يعقوب بعدهما لأن عمران هو ابن قاهث بن لاوي بن يعقوب فكان أولاد
يعقوب آلهما ويجوز أن يراد مما تركه موسى وهرون والآل مقحم لتفخيم شأنهما فصل عن موضع كذا إذا انفصل عنه
وجاوزه وأصله فصل نفسه ثم كثر محذوف المفعول حتى صار في حكم غير المتعدي كانفصل وقيل فصل عن البلد
فصولا ويجوز أن يكون فصله فصلا وفصل فصولا كوقف وصد ونحوهما والمعنى انفصل عن بلده بالجنود
روي أنه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا رجل متزوج
بامرأة لم يبن عليها ولا أبتغي إلا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع إليه ممن اختار ثمانون ألفا وكان الوقت قيظا
وسلكوا مفازة فسألوا أن يجري الله لهم نهرا فقال إن الله مبتليكم بما اقترحتموه من النهر فمن شرب منه فمن
ابتداء شربه من النهر بأن كرع فيه فليس مني فليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كأنه بعضه لاختلاطهما
واتحادهما ويجوز أن يراد فليس من جملتي وأشياعي ومن لم يطعمه ومن لم يذقه من طعم الشيء إذا ذاقه ومنه طعم
الشيء لمذاقه قال وإن شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا ألا ترى كيف عطف عليه البرد وهو النوم ويقال
ما ذقت غماضا ونحوه من الابتلاء ما ابتلي به أهل أيلة من ترك الصيد مع إتيان الحيتان شرعا بل هو أشد منه وأصعب
وإنما عرف ذلك طالوت بإخبار من النبي وإن كان نبيا كما يروى عن بعضهم فبالوحي وقرئ بنهر بالسكون فإن قلت
مم استثني قوله إلا من اغترف قلت من قوله فمن شرب منه فليس مني والجملة الثانية في حكم المتأخرة إلا
أنها قدمت للعناية كما قدم والصابئون في قوله عز وجل إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون ومعناه
الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والدليل عليه قوله فشربوا منه أي فكرعوا فيه إلا قليلا منهم
وقرئ غرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف وقرأ أبي والأعمش إلا قليل بالرفع وهذا من ميلهم مع المعنى
والإعراض عن اللفظ جانبا وهو باب جليل من علم العربية فلما كان معنى فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه حمل عليه كأنه
قيل فلم يطيعوه إلا قليل منهم ونحوه قول الفرزدق لم يدع من المال إلا مسحت أو مجلف كأنه قال
لم يبق من المال إلا مسحت أو مجلف وقيل لم يبق مع طالوت إلا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا والذين آمنوا يعني القليل
قال الذين يظنون يعني الخلص منهم الذين نصبوا بين أعينهم لقاء الله وأيقنوه أو الذين تيقنوا أنهم يستشهدون
عما قريب ويلقون الله والمؤمنون مختلفون في قوة اليقين ونصوع البصيرة وقيل الضمير في قالوا لا طاقة لنا للكثير
الذين انخزلوا والذين يظنون هم القليل الذين ثبتوا معه كأنهم تقاولوا بذلك والنهر بينهما يظهر أولئك عذرهم

في الاهوال ويرد عليهم هؤلاء ما يعتقدون به وروي ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه واداوته والذين شربوا منه اسودت شفاههم وغلبهم العطش وجالوت جبار من العمالقة من اولاد عمليق بن عاد وكانت بيضته فيها ثلثمائة رطل وثبت اقدامنا وهب لنا ما نثبت به في مداحض الحرب من تقوية القلوب والقاء الرعب في قلب العدو ونحو ذلك من الاسباب كان ايشى ابو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم فاوحى الى اشمويل ان داود بن ايشى هو الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد مر في طريقه ثلثة احجار دعاه كل واحد منها ان يحمله وقال له انك تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت فقتله وزوجه طالوت بنته وروي انه حسده واراد قتله ثم تاب وآتاه الله الملك في مشارق الارض المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنو اسرائيل على ملك قط قبل داود والحكمة والنبوة وعلمه مما يشاء من صنعة الدروع وكلام الطير والدواب وغير ذلك ولولا دفع الله الناس ولولا ان الله يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الارض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الارض وقيل ولولا ان الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الارض بعيث الكفار فيها وقتل المسلمين اولو لم يدفعهم بهم لعم الكفر ونزلت السخطة فاستؤصل اهل الارض تلك آيات الله يعني القصص التي اقتصها من حديث الالوف واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت واظهاره بالآية التي هي نزول التابوت من السماء وغلبة الجبابرة على يدي صبي بالحق باليقين الذي لا يشك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك وانك لمن المرسلين حيث تخبر بها من غير ان تعرف بقراءة كتاب ولا سماع اخبار

قوله تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد

تلك الرسل اشارة الى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في السورة او التي ثبت علمها عند رسول الله عليه الصلاة والسلام فضلنا بعضهم على بعض لما اوجب ذلك من تفاضلهم في الحسنات منهم من كلم الله منهم من فضله الله بان كلمه من غير سفير وهو موسى عليه الصلاة والسلام وقرئ كلم الله بالنصب وقرأ اليماني كالم الله من المكالمة ويدل عليه قولهم كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات اي ومنهم من رفعه على سائر الانبياء فكان بعد تفاوتهم في الفضل افضل منهم بدرجات كثيرة والظاهر انه اراد محمدا صلى الله عليه وسلم لانه هو المفضل عليهم حيث اوتي ما لم يؤته احد من الآيات المتكاثرة المرتقية الى الف او اكثر ولو لم يؤت الا القرآن وحده لكفى به فضلا منيفا على سائر ما اوتي الانبياء لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات وفي هذا الابهام من تفخيم فضله واعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على انه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس ويقال للرجل من فعل هذا فيقول احدكم او بعضكم يريد به الذي تعورف واشتهر بنحوه من الافعال فيكون افخم من التصريح به وانوه بصاحبه وسئل الحطيئة عن اشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث اراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت نفسي لم يفخم امره ويجوز ان يريد ابرهيم ومحمدا عليهما الصلاة والسلام وغيرهما من اولي العزم من الرسل وعن ابن عباس رضي الله عنهما كنا في المسجد نتذاكر فضل الانبياء فذكرنا نوحا بطول عبادته وابراهيم بخلته وموسى بتكليم الله اياه وعيسى برفعه الى السماء وقلنا رسول الله افضل منهم بعث الى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهو خاتم الانبياء فدخل فقال فيم انتم فذكرنا له فقال لا ينبغي لاحد ان يكون خيرا من يحيى بن زكريا فذكر انه لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها

فان قلت

بلغ المقابلة

بالذكر

فان قلت فلم خص موسى وعيسى عليهما السلام من بين سائر الانبياء قلت لما اوتيا من الايات العظيمة والمعجزات
الباهرة ولقد بين الله تعالى وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو اية من الايات • فلما كان هذان
النبيان قد اوتيا ما اوتيا من عظام الايات خصا بالذكر في باب التفضيل وهذا دليل بين • ان من زيد تفضيلا
بالايات منهم فقد فضل على غيره ولما كان نبينا محمد عليه السلام هو الذي اوتي منها ما لم يؤت احد في كثرتها
وعظمها كان هو المشهود له باحراز قصبات الفضل غير مدافع • اللهم ارزقنا شفاعته يوم الدين ولو شاء الله مشيئة الجاء
وقسر ما اقتتل الذين من بعد الرسل لاختلافهم في الدين وتشعب مذاهبهم وتكفير بعضهم بعضا • ولكن
اختلفوا فمنهم من امن لالتزامه دين الانبياء ومنهم من كفر لاعراضه عنه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره
للتاكيد ولكن الله يفعل ما يريد من الخذلان والعصمة يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي يوم
لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون انفقوا مما رزقناكم اراد الانفاق الواجب لاتصال
الوعيد به من قبل ان ياتي يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الانفاق لانه لا بيع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه
ولا خلة • حتى يسامحكم اخلاؤكم به وان اردتم ان يحط عنكم ما في ذمتكم من الواجب لم تجدوا شفيعا يشفع
لكم في حط الواجبات لان الشفاعة ثم في زيادة الفضل لا غير والكافرون هم الظالمون اراد والتاركون الزكوة هم
الظالمون • فقال والكافرون للتغليظ • كما قال في اخر اية الحج ومن كفر مكان ومن لم يحج ولانه جعل ترك الزكوة
من صفات الكفار في قوله تعالى • وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة • وقرئ لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة
بالرفع الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي
يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه
السموات والارض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء وهو على اصطلاح
المتكلمين الذي يصح ان يعلم ويقدر والقيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه وقرئ القيام والقيم والسنة
ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس • قال ابن الرقاع العاملي •

• وسنان اقصده النعاس • فرنقت في عينه سنة وليس بنائم •

اي لا تاخذه نعاس ولا نوم وهو تاكيد للقيوم لان من جاز عليه ذلك استحال ان يكون قيوما • ومنه حديث موسى
صلوات الله عليه • انه سال الملائكة وكان ذلك من قومه كطلب الرؤية اينام ربنا فاوحى الله تعالى اليهم ان •
يوقظوه ثلثا ولا يتركوه ينام ثم قال خذ بيدك قارورتين مملوءتين فاخذهما والقى الله عليه النعاس فضرب
احديهما على الاخرى فانكسرتا ثم اوحى الله اليه قل لهؤلاء اني امسك السموات والارض بقدرتي فلو اخذني نوم
او نعاس لزالتا • من ذا الذي يشفع عنده بيان لملكوته وكبريائه وان احدا لا يتمالك ان يتكلم يوم القيمة
الا اذا اذن له في الكلام كقوله تعالى وتقدس لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن يعلم ما بين ايديهم وما
خلفهم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء • او لما دل عليه من ذا من
الملائكة والانبياء • من علمه من معلوماته • الا بما شاء الا بما علم • الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل من مقعد القاعد •
وفي قوله • وسع كرسيه اربعة اوجه احدها ان كرسيه لم يضق عن السموات والارض لبسطته وسعته وما هو الا تصوير
لعظمته وتخييل فقط ولا كرسي ثمة ولا قعود ولا قاعد كقوله تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض
جميعا قبضته والسموات مطويات بيمينه من غير تصور قبضة وطي ويمين وانما هو تخييل لعظمة شانه وتمثيل حسي

يوم القيمه

[illegible] والثالث وسع ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك صح

الا ترى الى قوله وما قدروا الله حق قدره والثاني وسع علمه وسمي العلم كرسيا تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك
والرابع ما روي انه خلق كرسيا هو بين يدي العرش ودونه السموات والارض وهو الى العرش كاصغر شيء وعن
الحسن الكرسي هو العرش ولا يؤده ولا يثقله ولا يشق عليه حفظهما حفظ السموات والارض وهو العلي الشان
العظيم الملك والقدرة **فان قلت** كيف ترتبت الجمل في اية الكرسي من غير حرف عطف **قلت**
ما منها جملة الا وهي واردة على سبيل البيان لما ترتبت عليه والبيان متحد بالمبين فلو توسط بينهما عاطف لكان كما
تقول العرب بين العصا ولحائها فالاولى لبيان قيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه والثانية
لكونه مالكا لما يدبره والثالثة لكبرياء شانه والرابعة لاحاطته باحوال الخلق وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب
للشفاعة وغير المرتضى والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها او لجلاله وعظم قدره **فان قلت** لم فضلت
هذه الاية حتى ورد في فضلها ما ورد منه قوله صلى الله عليه وسلم ما قرئت هذه الاية في دار الا اهتجرتها الشياطين
ثلثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة يا علي علمها اهلك وولدك وجيرانك فما نزلت اية اعظم منها
وعن علي رضي الله عنه سمعت نبيكم على اعواد المنبر وهو يقول من قرا اية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة
لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه امنه الله
على نفسه وجاره والابيات حوله وتذاكر الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين افضل ما في القران فقال لهم
علي رضي الله عنه اين انتم عن اية الكرسي ثم قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي سيد البشر
ادم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور
وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القران وسيد القران البقرة وسيد البقرة اية الكرسي **قلت**
لما فضلت له سورة الاخلاص من اشتمالها على توحيد الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى ولا مذكور اعظم من
رب العزة فما كان ذكرا له كان افضل من سائر الاذكار وبهذا يعلم ان اشرف العلوم واعلاها منزلة عند الله
تعالى علم اهل العدل والتوحيد ولا يغرنك عنه كثرة اعدائه فان العرانين تلقاها محسدة لا اكراه في الدين قد
تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها
والله سميع عليم لا اكراه في الدين اي لم يجر الله امر الايمان على الاجبار والقسر ولكن على التمكين والاختيار ونحوه
قوله تعالى ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين اي
لو شاء لقسرهم على الايمان ولكنه لم يفعل وبنى الامر على الاختيار قد تبين الرشد من الغي قد تميز الايمان
من الكفر بالدلائل الواضحة فمن يكفر بالطاغوت فمن اختار الكفر بالشيطان او الاصنام والايمان بالله فقد استمسك
بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق المحكم المامون انفصامها اي انقطاعها وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال
بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كانه ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده والتيقن به وقيل هو اخبار في
معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين ثم قال بعضهم هو منسوخ بقوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل
هو في اهل الكتاب خاصة لانهم حصنوا انفسهم باداء الجزية وروي انه كان لانصاري من بني سالم بن عوف
ابنان فتنصرا قبل ان يبعث رسول الله عليه الصلاة والسلام ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما
حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصاري يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر فنزلت
فخلاهما الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت

وجار جاره صح

بلغ مقابلة

يخرجونهم

يخرجونهم من النور الى الظلمات اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون الله ولي الذين امنوا اي ارادوا ان يومنوا
يلطف بهم حتى يخرجهم بلطفه وتاييده من الكفر الى الايمان والذين كفروا اي صمموا على الكفر امرهم على عكس ذلك
او الله ولي المومنين يخرجهم من الشبه في الدين ان وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم له من حلها حتى يخرجوا منها
الى نور اليقين • والذين كفروا اولياؤهم الشياطين يخرجونهم من نور البينات التي تظهر لهم الى ظلمات
الشك والشبهة ألم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه ان اتيه الله الملك اذ قال ابرهيم ربي الذي يحيي
ويميت قال انا احيي واميت قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت
الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين ألم تر تعجيب من محاجة نمرود في الله وكفره به ان اتيه الله الملك
متعلق بحاج على وجهين احدهما حاج لان اتاه الله الملك على معنى ان ايتاء الملك ابطره واورثه الكبر والعتو
فحاج لذلك او على انه وضع المحاجة في ربه موضع ما وجب عليه من الشكر على ان اتاه الملك فكان المحاجة كانت
لذلك كما تقول عاداني فلان لاني احسنت اليه تريد انه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان ونحوه
قوله تعالى • وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والثاني حاج وقت ان اتيه الله الملك • فان قلت
كيف جاز ان يؤتي الله تعالى الملك الكافر قلت فيه قولان اتاه ما غلب به • وتسلط من المال والخدم
والاتباع واما التغليب والتسليط فلا وقيل ملكه امتحانا لعباده واذ قال نصب بحاج او بدل من ان اتاه اذا
جعل بمعنى الوقت انا احيي واميت يريد اعفي عن القتل واقتل وكان الاعتراض عتيدا ولكن ابرهيم صلوات
الله عليه لما سمع جوابه الاحمق لم يحاجه فيه ولكن انتقل الى ما لا يقدر فيه على نحو ذلك الجواب ليبهته اول شيء وهذا
دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة الى حجة وقرئ فبهت الذي كفر اي فغلب ابراهيم الكافر • وقرا ابو حيوة
فبهت على بوزن قرب وقيل كانت هذه المحاجة حين كسر الاصنام وسجنه نمرود ثم اخرجه من السجن ليحرقه
فقال له من ربك الذي تدعو اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت او كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها
قال انى يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال
بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك اية للناس وانظر الى
العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شيء قدير او كالذي معناه او ارايت
مثل الذي فحذف لدلالة ألم تر عليه لان كلتيهما كلمة تعجيب ويجوز ان يحمل على المعنى دون اللفظ كانه قيل ارايت
كالذي حاج ابراهيم او كالذي مر على قرية والمار كان كافرا بالبعث وهو الظاهر لانتظامه مع نمرود في سلك
ولكلمة الاستبعاد التي هي انى يحيي • وقيل هو عزير او الخضر • اراد ان يعاين احياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه
ابرهيم عليه السلام وقوله انى يحيي اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الاحياء واستعظام لقدرة المحيي والقرية
بيت المقدس حين خربه بخت نصر وقيل هي التي خرج منها الالوف وهي خاوية على عروشها تفسيره فيما
بعد يوما او بعض يوم بناء على الظن • روي انه مات ضحى • وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال
قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فراى بقية من الشمس فقال او بعض يوم • وروي ان طعامه كان تينا
وعنبا وشرابه عصيرا او لبنا فوجد التين والعنب كما جنيا والشراب على حاله لم يتسنه لم يتغير • والهاء اصلية
او هاء سكت • واشتقاقه من السنة على الوجهين لان لامها هاء او واو وذلك ان الشيء يتغير بمرور الزمان
وقيل اصله يتسنن من الحما المسنون فقلبت نونه حرف علة كتقضي البازي ويجوز ان يكون معنى لم يتسنه لم تمر عليه

السنون التي مرت عليه يعني هو بحاله كما كان كانه لم يلبث مائة سنة وفي قراءة عبد الله فانظر الى طعامك وهذا شرابك لم يتسنن
وقرا ابيّ رضي الله عنه لم يسّنّه بادغام التاء في السين • وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه ونخرت وكان له حمار قد
ربطه ويجوز ان يراد وانظر اليه سالما في مكانه كما ربطته وذلك من اعظم الايات ان يعيشه مائة عام من غير علف
ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير ولنجعلك اية للناس فعلنا ذلك يريد احياءه بعد الموت وحفظ ما معه وقيل
اتى قومه راكب حمار وقال انا عزير فكذبوه فقال هاتوا التورية فاخذ يهذها هذا عن ظهر قلبه وهم ينظرون في الكتاب
فما خرم حرفا فقالوا هو ابن الله ولم يقرا التورية ظاهرا احد قبل عزير فذلك كونه اية وقيل رجع الى منزله فراى اولاده
شيوخا وهو شاب فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام هي عظام الحمار او عظام الموتى الذي
تعجب من احيائهم كيف ننشرها كيف نحييها وقرا الحسن ننشرها من نشر الله الموتى بمعنى انشرهم فنشروا • وقرئ
بالزاي بمعنى نحركها ونرفع بعضها الى بعض للتركيب وفاعل تبين مضمر تقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير قال
اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قولهم ضربني وضربت زيدا ويجوز فلما تبين له
ما اشكل عليه يعني امر احياء الموتى وقرا ابن عباس رضي الله عنهما فلما تبين له على البناء للمفعول وقرا عبد الله قيل
اعلم فان قلت فان كان المار كافرا كيف يسوغ ان يكلمه الله تعالى قلت كان الكلام بعد البعث ولم
يكن اذ ذاك كافرا وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ
فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ أرني بصرني فان قلت كيف قال له اولم تؤمن وقد علم انه اثبت الناس ايمانا قلت ليجيب بما اجاب
به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين وبلى ايجاب لما بعد النفي معناه بلى امنت ولكن ليطمئن قلبي ليزيد سكونا
وطمانينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال وتظاهر الادلة اسكن للقلوب وازيد للبصيرة واليقين ولان
علم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف العلم الضروري فاراد بطمانينة القلب العلم الذي لا مجال فيه للتشكيك
فان قلت بم تعلقت اللام في ليطمئن قلت بمحذوف تقديره ولكن سالت ذلك ارادة طمانينة القلب
فخذ اربعة من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة • فصرهن اليك بضم الصاد وكسرها بمعنى فاملهن واضممهن اليك
قال ولكن اطراف الرماح تصورها •
• وفرع يصير الجيد وحف • كانه على الليت قنوان الكروم الدوالح •
وقرا ابن عباس رضي الله عنهما فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره يصره اذا جمعه
نحو ضره يضره ويضره • وعنه فصرهن من التصرية وهي الجمع ايضا • ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا يريد ثم
جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال والمعنى على كل جبل من الجبال التي بحضرتك وفي ارضك قيل كانت اربعة
اجبل • وعن السدي سبعة • ثم ادعهن وقل لهن تعالين باذن الله • ياتينك سعيا ساعيات مسرعات في
طيرانهن او في مشيهن على ارجلهن فان قلت ما معنى امره بضمها الى نفسه بعد ان ياخذها قلت ليتاملها
ويعرف اشكالها وهياتها وحلاها لئلا تلتبس عليه بعد الاحياء ولا يتوهم انها غير تلك ولذلك قال
ياتينك سعيا وروي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها ودماءها
ولحومها وان يمسك رؤسها ثم امر ان يجعل اجزاءها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين
باذن الله فجعل كل جزء يطير الى الاخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن كل جثة الى راسها

وقرئ قال اعلم على لفظ الامر

وقرئ

وقرئ جزّا بضمتين وجزّا بالتشديد ووجهه انه خفف بطرح همزته ثم شدد في الوقف اجراء للوصل مجرى الوقف مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

مثل الذين ينفقون لا بد من حذف مضاف اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة والمنبت هو الله تعالى ولكن الحبة لما كانت سببا اسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء ومعنى انباتها سبع سنابل ان تخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب لكل واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كانها ماثلة بين عيني الناظر فان قلت كيف صح هذا التمثيل والممثل به غير موجود قلت بل هو موجود في الدخن والذرة وغيرهما وربما فرخت ساق البرة في الاراضي القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ ولو لم يوجد لكان صحيحا على سبيل الفرض والتقدير فان قلت هلا قيل سبع سنبلات على حقه من التمييز بجمع القلة كما قال وسبع سنبلات خضر قلت هذا لما قدمت عند قوله ثلثة قروء من وقوع امثلة الجمع متعاورة مواقعها • والله يضاعف لمن يشاء اي يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت احوال المنفقين او يضاعف سبع مائة ويزيد عليها اضعافها لمن يستوجب ذلك • المن ان يعتد على من احسن اليه باحسانه ويريه انه اصطنعه واوجب عليه حقا له وكانوا يقولون اذا صنعتم صنيعة فانسوها • ولبعضهم • وان امرءا اسدى الي صنيعة • وذكرنيها مرة للئيم • وفي نوابغ الكلم صنوان من منح سائله ومنّ • وفيها • طعم الآلاء احلى من المن • وهي امر من الآلاء مع المن • والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما ازل اليه ومعنى ثم اظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق كما جعل الاستقامة على الايمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا فان قلت اي فرق بين قوله لهم اجرهم وقوله فيما بعد فلهم اجرهم قلت الموصول لم يضمن ههنا معنى الشرط وضمنه ثمة والفرق بينهما من جهة المعنى ان الفاء فيها دلالة على ان الانفاق به استحق الاجر وطرحها عار عن تلك الدلالة قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ

قول معروف رد جميل ومغفرة وعفو عن السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسؤول او ونيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل او وعفو من جهة السائل لانه اذا رده ردا جميلا عذره خير من صدقة يتبعها اذى وصح الاخبار عن المبتدأ النكرة لاختصاصه بالصفة والله غني لا حاجة به الى منفق يمن ويؤذي • حليم عن معاجلته بالعقوبة وهذا سخط منه ووعيد له ثم بالغ في ذلك بما اتبعه كالذي ينفق ماله اي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كابطال المنافق الذي ينفق ماله رئاء الناس لا يريد بانفاقه رضى الله ولا ثواب الآخرة • فمثله كمثل صفوان مثله ونفقته التي لا ينتفع بها البتة بصفوان بحجر املس عليه تراب وقرأ سعيد بن المسيب رضي الله عنه صفوان بوزن كروان فاصابه مطر عظيم القطر فتركه صلدا اجرد نقيا من التراب الذي كان عليه ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق لا يقدرون على شيء مما كسبوا كقوله عز وجل فجعلناه هباء منثورا ويجوز ان تكون الكاف في محل النصب على الحال اي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق فان قلت كيف قال لا يقدرون بعد قوله كالذي ينفق قلت اراد بالذي ينفق الجنس او الفريق الذي ينفق ٥

ولا اذى والذي يتعاقبان لكانه قيل لمن ينفق ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من
انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فآتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير
وتثبيتا من انفسهم وليثبتوا منها ببذل المال الذي هو شقيق الروح وبذله اشق شيء على النفس على سائر العبادات
الشاقة وعلى الايمان لان النفس اذا رضيت بالتحامل عليها وتكليفها ما يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها وقل طمعها
في اتباعه لشهواتها وبالعكس فكان انفاق المال تثبيتا لها على الايمان واليقين ويجوز ان يراد وتصديقا للاسلام
وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم لانه اذا انفق المسلم ماله في سبيل الله علم ان تصديقه وايمانه بالثواب من اصل
نفسه ومن اخلاص قلبه ومن على التفسير الاول للتبعيض مثلها في قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه وعلى
الثاني لابتداء الغاية كقوله تعالى حسدا من عند انفسهم ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم عند
المؤمنين انها صادقة الايمان مخلصة فيه ويعضده قراءة مجاهد وتبيينا من انفسهم فان قلت فما معنى التبعيض قلت
معناه ان من بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه معا فهو الذي ثبتها كلها وتجاهدون
في سبيل الله باموالكم وانفسكم والمعنى ومثل نفقة هؤلاء في زكائها عند الله كمثل جنة وهي البستان بربوة
بمكان مرتفع وخصها لان الشجر فيها ازكى واحسن ثمرا اصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها
ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل فان لم يصبها وابل فطل فطل صغير القطر يكفيها لكرم منبتها او مثل
حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل وكما ان كل واحد من المطرين يضعف
اكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت او قليلة بعد ان يطلب بها وجه الله ويبذل فيها الوسع زاكية عند الله زائدة
في زلفاهم وحسن حالهم عنده وقرئ كمثل حبة وبربوة بالحركات الثلث واكلها بضمتين ايود احدكم ان تكون
له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء
فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون الهمزة في ايود للانكار
ويروى له جنات وذرية ضعاف والاعصار الريح التي تستدير في الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود وهذا مثل
لمن يعمل الاعمال الحسنة لا يبتغي بها وجه الله فاذا كان يوم القيمة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت
له جنة من ابهى الجنان واجمعها للثمار فبلغ الكبر وله اولاد ضعاف والجنة معاشهم ومنتعشهم فهلكت بالصاعقة
وعن عمر رضي الله عنه انه سأل عنها الصحابة فقالوا الله اعلم فغضب وقال قولوا نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس رضي الله عنه
في نفسي منها شيء يا امير المؤمنين قال قل يا ابن اخي ولا تحقر نفسك قال ضرب مثلا لعمل قال لاي عمل قال لرجل غني
يعمل الحسنات ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى اغرق اعماله كلها وعن الحسن هذا مثل قل والله من يعقله
من الناس شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه افقر ما كان الى جنته وان احدكم والله افقر ما يكون الى عمله اذا
انقطعت عنه الدنيا فان قلت كيف قال جنة من نخيل واعناب ثم قال له فيها من كل الثمرات قلت
النخيل والاعناب لما كانا اكرم الشجر واكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وان كانت محتوية على سائر
الاشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم اردفهما ذكر كل الثمرات ويجوز ان يريد بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له فيها
كقوله تعالى وكان له ثمر بعد قوله جنتين من اعناب وحففناهما بنخل فان قلت علام عطف
قوله واصابه الكبر قلت الواو للحال لا للعطف ومعناه ان تكون له جنة وقد اصابه الكبر وقيل يقال
وددت ان يكون كذا ووددت لو كان كذا فحمل العطف على المعنى كانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه

الكبير يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون
ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد من طيبات ما كسبتم من جياد مكسوباتكم ومما أخرجنا لكم
من الحب والثمر والمعادن وغيرها فإن قلت فهلا قيل وما أخرجنا لكم عطفا على ما كسبتم حتى يشتمل الطيب على
المكسوب والمخرج من الأرض قلت معناه ومن طيبات ما أخرجنا لكم إلا أنه حذف لذكر الطيبات ولا تيمموا
الخبيث ولا تقصدوا المال الرديء منه تنفقون تخصونه بالإنفاق وهو في محل الحال وقرأ عبد الله ولا تأمموا
وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما ولا تيمموا بضم التاء ويممه وتيممه وتأممه سواء في معنى قصده ولستم بآخذيه وحالكم
أنكم لا تأخذونه في حقوقكم إلا أن تغمضوا فيه إلا بأن تتسامحوا في أخذه وتترخصوا فيه من قولك أغمض فلان عن بعض
حقه إذا غض بصره ويقال للبائع أغمض أي لا تستقص كأنك لا تبصر • وقال الطرماح •

• لم يفتنا بالوتر قوم وللضيم • رجال يرضون بالإغماض •

وقرأ الزهري تغمضوا وأغمض وغمض بمعنى وعنه تغمضوا بضم الميم وكسرها من غمض يغمض ويغمض وقرأ
قتادة تغمضوا على البناء للمفعول بمعنى إلا أن تدخلوا فيه وتجذبوا إليه وقيل إلا أن توجدوا مغمضين وعن الحسن لو وجدتموه
في السوق يباع ما أخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه
الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم أي يعدكم في الإنفاق
الفقر ويقول لكم إن عاقبة إنفاقكم أن تفتقروا وقرئ الفقر بالضم والفقر بفتحتين والوعد يستعمل في الخير والشر
قال عز وجل النار وعدها الله الذين كفروا ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل ومنع الصدقات إغراء
الآمر للمأمور والفاحش عند العرب البخيل والله يعدكم في الإنفاق مغفرة لذنوبكم وكفارة لها وفضلا وأن يخلف عليكم
أفضل مما أنفقتم أو ثوابا عليه في الآخرة يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا
الألباب يؤتي الحكمة يوفق للعلم والعمل به والحكيم عند الله هو العالم العامل • وقرئ ومن يؤت الحكمة بمعنى ومن يؤته
الله الحكمة • وهكذا قرأ الأعمش وخيرا كثيرا تنكير تعظيم كأنه قال فقد أوتي أي خير كثير وما يذكر إلا أولوا الألباب يريد
الحكماء العلماء العمال والمراد به الحث على العمل بما تضمنت الآي في معنى الإنفاق وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر
فإن الله يعلمه وما للظالمين من أنصار وما أنفقتم من نفقة في سبيل الله أو في سبيل الشيطان • أو نذرتم من نذر في طاعة الله
أو في معصيته فإن الله يعلمه لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه • وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات أو ينفقون أموالهم في
المعاصي أو لا يفون بالنذور أو ينذرون في المعاصي من أنصار ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه إن تبدوا
الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ونكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون بصير
ما في نعما نكرة غير موصولة ولا موصوفة ومعنى فنعما هي فنعم شيئا إبداؤها وقرئ بكسر النون وإن تخفوها وتؤتوها
الفقراء وتصيبوا بها مصارفها مع الإخفاء فهو خير لكم فالإخفاء خير لكم • والمراد الصدقات المتطوع بها • فإن
الأفضل في الفرائض أن يجاهر بها • وعن ابن عباس رضي الله عنهما صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا
وصدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا • وإنما كانت المجاهرة بالفرائض أفضل لنفي التهمة حتى إذا
كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان إخفاؤه أفضل • والمتطوع إن أراد أن يقتدى به كان إظهاره أفضل ونكفر
قرئ بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفاء أو على أنه خبر مبتدأ محذوف أي ونحن نكفر أو على أنه جملة من فعل
وفاعل مبتدأة ومجزوما على محل الفاء وما بعده لأنه جواب الشرط • وقرئ ويكفر بالياء مرفوعا والفعل لله تعالى أو للإخفاء

وتكفر بالنار مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات وقرأ الحسن بالياء والنصب باضمار ان ومعناه ان تخفوها يكن خيرا لكم
وان يكفر عنكم ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه
الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون ليس عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الانتهاء
عما نهوا عنه من المن والاذى والانفاق من الخبيث وما عليك الا ان تبلغهم النواهي فحسب ولكن الله
يهدي من يشاء يلطف بمن يعلم ان اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهي عنه وما تنفقوا من خير من مال فلانفسكم فهو لانفسكم
لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم وما تنفقون وليست نفقتكم الا لابتغاء وجه الله ولطلب
ما عنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة
فلا عذر لكم في ان ترغبوا عن انفاقه وان يكون على احسن الوجوه واجملها وقيل حجت اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما
فاتتها امها تسألها وهي مشركة فابت ان تعطيها فنزلت وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه كانوا يتقون ان يرضخوا لقراباتهم
من المشركين وروي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار في اليهود ورضاع وقد كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا
كرهوا ان ينفقوهم وعن بعض العلماء لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك واختلف في الواجب فجوز ابو حنيفة صرف
صدقة الفطر الى اهل الذمة وأباه غيره للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل
اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم الجار متعلق
بمحذوف والمعنى اعمدوا الفقراء او اجعلوا ما تنفقون للفقراء كقوله تعالى في تسع آيات ويجوز ان يكون خبر
مبتدأ محذوف اي صدقاتكم للفقراء والذين احصروا في سبيل الله هم الذين احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم
به ضربا في الارض للكسب وقيل هم اصحاب الصفة وهم نحو من اربعمائة رجل من مهاجري قريش لم يكن لهم مساكن في المدينة
ولا عشائر وكانوا في صفة المسجد وهي سقيفته يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل
سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن كان عنده فضل اتاهم به اذا امسى وعن ابن عباس رضي الله عنهما وقف رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوما على اصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال ابشروا يا اصحاب الصفة
فمن بقي من امتي على النعت الذي انتم عليه راضيا بما فيه فانه من رفقائي في الجنة يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف
مستغنين من اجل تعففهم عن المسألة تعرفهم بسيماهم من صفرة الوجه ورثاثة الحال والالحاف الالحاح وهو اللزوم
وان لا يفارق الا بشيء يعطاه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض البذي السائل الملحف ومعناه انهم ان سألوا سألوا بتلطف ولم يلحوا وقيل
هو نفي للسؤال والالحاف جميعا كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره يريد نفي المنار والاهتداء به الذين ينفقون
اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون بالليل والنهار
سرا وعلانية يعمون الاوقات والاحوال بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه
ولم يتعللوا بوقت ولا حال وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل
وعشرة بالنهار وعشرة في السر وعشرة في العلانية وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في علي لم يملك الا اربعة دراهم
فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقيل نزلت في علف الخيل وارتباطها في سبيل الله
وعن ابي هريرة رضي الله عنه كان اذا مر بفرس سمين قرأ هذه الآية الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم
الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا واحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة

إذا بحثوا

من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون الربوا كتب بالواو على
لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون من قبورهم الا كما يقوم الذي
يتخبطه الشيطان اي المصروع وتخبط الشيطان من زعمات العرب يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط
الضرب على غير استواء كخبط العشواء فورد على ما كانوا يعتقدون له والمس الجنون ورجل ممسوس وهذا ايضا من زعماتهم
وان الجني يمسه فيختلط عقله وكذلك جن الرجل معناه ضربته الجن ورأيتهم لهم في الجن قصص واخبار وعجائب
وانكار ذلك عندهم كانكار المشاهدات فان قلت بم يتعلق قوله من المس قلت بلا يقومون اي لا يقومون
من المس الذي بهم الا كما يقوم المصروع ويجوز ان يتعلق بيقوم اي كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى انهم يقومون
يوم القيامة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الاجداث
يوفضون الا اكلة الربوا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم اكلوا الربوا فارباه الله في بطونهم حتى اثقلهم
فلا يقدرون على الايفاض ذلك العقاب بسبب قولهم انما البيع مثل الربوا فان قلت هلا قيل انما الربوا
مثل البيع لان الكلام في الربوا لا في البيع فوجب ان يقال انهم شبهوا الربوا بالبيع فاستحلوه وكانت شبهتهم
انهم قالوا لو اشترى الرجل ما لا يساوي الا درهما بدرهمين جاز فكذلك اذا باع درهما بدرهمين قلت
جيء به على طريق المبالغة وهو انه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربوا انهم جعلوه اصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا به البيع
وقوله واحل الله البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم بينهما ودلالة على ان القياس يهدمه النص لانه جعل الدليل
على بطلان قياسهم احلال الله وتحريمه فمن جاءه موعظة فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربوا فانتهى فتبع
النهي وامتنع فله ما سلف فلا يؤاخذ بما مضى منه لانه اخذ قبل نزول التحريم وامره الى الله يحكم في شأنه يوم
القيمة وليس من امره اليكم شيء فلا تطالبوه به ومن عاد الى الربوا فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وهذا دليل
بين على تخليد الفساق وذكر فعل الموعظة لان تأنيثها غير حقيقي ولانها في معنى الوعظ وقرأ ابي والحسن فمن جاءته
يمحق الله الربوا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار اثيم يمحق الله الربوا يذهب ببركته ويهلك المال
الذي يدخل فيه وعن ابن مسعود رضي الله عنه الربوا وان كثر الى قل ويربي الصدقات ما يتصدق به بان يضاعف
عليه الثواب ويزيد المال الذي اخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وفي الحديث ما نقصت زكوة من مال قط
كل كفار اثيم تغليظ في امر الربوا وايذان بانه من فعل الكفار لا من فعل المسلمين ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
٢١ واقاموا الصلوة واتوا الزكوة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين اخذوا ما شرطوا على الناس من الربوا وبقيت لهم بقايا فامروا ان
يتركوها ولا يطالبوا بها روي انها نزلت في ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال
والربوا وقرأ الحسن ما بقى بقلب الياء الفا على لغة طيء وعنه ما بقي بياء ساكنة ومنه قول جرير

هو الخليفة فارضوا ما رضي لكم ماضي العزيمة ما في حكمه جنف

ان كنتم مؤمنين ان صح ايمانكم يعني ان دليل صحة الايمان وثباته امتثال ما امرتم به من ذلك فان لم تفعلوا
فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون فأذنوا بحرب فاعلموا
بها من اذن بالشيء اذا علم به وقرئ فآذنوا فاعلموا بها غيركم وهو من الاذن وهو الاستماع لانه من طرق العلم وقرأ
الحسن فايقنوا وهو دليل لقراءة العامة فان قلت هلا قيل بحرب الله ورسوله قلت كان هذا ابلغ لان المعنى فأذنوا

بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله وروي انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله فان
تبتم وان تبتم من الارتباء فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون المديونين بطلب الزيادة عليها ولا تظلمون بالنقصان منها فان قلت
هذا حكمهم ان تابوا فما حكمهم لو لم يتوبوا قلت قالوا يكون مالهم فيئا للمسلمين وروى المفضل عن عاصم لا تَظلمون
ولا تُظلمون وان كان ذو عسرة فنظرة الي ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون وان كان ذو عسرة وان وقع
غريم من غرمائكم ذو عسرة اي ذو اعسار وقرأ عثمان ذا عسرة على وان كان الغريم ذا عسرة وقرئ ومن كان ذا عسرة فنظرة
فالحكم او فالامر نظرة وهي الانظار وقرئ فنظرة بسكون الظاء وقرأ عطاء فناظره بمعنى فصاحب الحق ناظره اي
منتظره او صاحب نظرته على طريقة النسب كقولهم مكان عاشب وباقل بمعنى ذو عشب وذو بقل وعنه فناظره على
الامر بمعنى فسامحه بالنظرة وباشره بها الي ميسرة الى يسار وقرئ بضم السين كمقبرة ومقبرة ومشرقة ومشرفة
وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كقوله • واخلفوك عد الامر الذي وعدوا • وقوله تعالى
واقام الصلوة • وان تصدقوا خير لكم ندب الى ان يتصدقوا برؤس اموالهم على من اعسر من غرمائهم او ببعضها كقوله تعالى
وان تعفوا اقرب للتقوى وقيل اريد بالتصدق الانظار لقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان
له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون انه خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وان علمه كأنه لا يعلمه وقرئ تصدقوا بتخفيف
الصاد على حذف التاء واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ترجعون
قرئ على البناء للفاعل والمفعول وقرئ يرجعون بالياء على طريقة الالتفات وقرأ عبد الله تردون وقرأ ابي تصيرون
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها اخر اية نزل بها جبرئيل عليه السلام وقال ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة
وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات
يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب ان يكتب
كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فان كان الذي عليه الحق سفيها
او ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل
وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا
تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة وادنى الا ترتابوا الا ان تكون
تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها واشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا
شهيد اذا تداينتم اذا داين بعضكم بعضا يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او اخذا كما تقول
بايعته اذا بعته او باعك قال رؤبة • داينت اروى والديون تقضى • فمطلت بعضا وادت بعضا •
والمعنى اذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه فان قلت هلا قيل اذا تداينتم الى اجل مسمى واي حاجة الى ذكر الدين
كما قال • داينت اروى • ولم يقل بدين قلت ذكر ليرجع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر
لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولانه ابين لتنويع الدين الى مؤجل وحال فان قلت
ما فائدة قوله مسمى قلت ليعلم ان من حق الاجل ان يكون معلوما كالتوقيت بالسنة والاشهر والايام ولو قال
الى الحصاد او الدياس او رجوع الحاج لم يجز لعدم التسمية وانما امر بكتبة الدين لان ذلك اوثق وآمن من النسيان
وابعد من الجحود والامر للندب • وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلف
وعنه اشهد ان الله اباح السلم المضمون الى اجل معلوم في كتابه وانزل فيه اطول اية متعلق بكاتب صفة له اي كاتب مأمون

على ما يكتب بالسوية والاحتياط لا يزيد على ما يجب أن يكتب ولا ينقص وفيه أن يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط
حتى يجيء مكتوبه معدلا بالشرع وهو أمر للمتداينين بتخير الكاتب وأن لا يستكتبوا إلا فقيها دينا ولا يأب كاتب
ولا يمتنع أحد من الكتاب وهو معنى تنكير كاتب أن يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير
وقيل هو كقوله تعالى وأحسن كما أحسن الله إليك أي ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها وعن الشعبي
هي فرض كفاية وكما علمه الله يجوز أن يتعلق بأن يكتب وبقوله فليكتب فإن قلت أي فرق بين الوجهين قلت
إن علقته بأن يكتب فقد نهي عن الامتناع من الكتابة المقيدة ثم قيل له فليكتب يعني فليكتب تلك الكتابة لا يعدل
عنها للتوكيد وإن علقته بقوله فليكتب فقد نهي عن الامتناع من الكتابة على سبيل الإطلاق ثم أمر بها مقيدة
وليملل الذي عليه الحق ولا يكن المملي إلا من وجب عليه الحق لأنه هو المشهود على ثباته في ذمته وإقراره به والإملاء
والإملال لغتان قد نطق بهما القرآن فهي تملى عليه ولا يبخس منه من الحق شيئا والبخس النقص وقرئ شيا بطرح
الهمزة وشيا بالتشديد سفيها محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف أو ضعيفا صبيا أو شيخا مختلا أو لا يستطيع أن يمل
هو أو غير مستطيع للإملاء بنفسه لعي به أو خرس فليملل وليه الذي يلي أمره من وصي إن كان سفيها أو صبيا أو وكيل
إن كان غير مستطيع أو ترجمان يمل عنه وهو يصدقه وقوله أن يمل هو فيه أنه غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذي
يترجم عنه واستشهدوا شهيدين واطلبوا أن يشهد لكم شهيدان على الدين من رجالكم من رجال المؤمنين والحرية والبلوغ
شرط مع الإسلام عند عامة العلماء وعن علي رضي الله عنه لا تجوز شهادة العبد في شيء وعند شريح وابن سيرين وعثمان
البتي أنها جائزة ويجوز عند أبي حنيفة رحمة الله عليه شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل فإن لم يكونا
فإن لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان فليشهد رجل وامرأتان وشهادة النساء مع الرجال مقبولة عند أبي
حنيفة فيما عدا الحدود والقصاص ممن ترضون ممن تعرفون عدالتهم أن تضل إحداهما أن لا تهتدي إحداهما
للشهادة بأن تنساها من ضل الطريق إذا لم يهتد له وانتصابه على أنه مفعول له أي إرادة أن تضل فإن قلت
كيف يكون ضلالها مرادا لله تعالى قلت لما كان الضلال سببا للإذكار والإذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب
والمسبب منزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما كانت إرادة الضلال المسبب عنه الإذكار إرادة للإذكار فكأنه قيل
إرادة أن تذكر إحداهما الأخرى إن ضلت ونظيره قولهم أعددت الخشبة أن يميل الحائط فأدعمه وأعددت
السلاح أن يجيء عدو فأدفعه وقرئ فتذكر بالتخفيف والتشديد وهما لغتان وقرأ حمزة إن تضل
إحداهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد كقوله عز وجل ومن عاد فينتقم الله منه وقرئ أن تضل
إحداهما على البناء للمفعول والتأنيث ومن بدع التفاسير فتذكر فتجعل إحداهما الأخرى ذكرا يعني أنهما إذا
اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر إذا ما دعوا ليقيموا الشهادة وقيل ليستشهدوا وقيل لهم شهداء قبل التحمل
تنزيلا لما يشارف منزلة الكائن وعن قتادة كان الرجل يطوف في الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم
أحد فنزلت كنى بالسأم عن الكسل صفة المنافق ومنه الحديث لا يقول المؤمن كسلت ويجوز أن يراد
لأن الكسل
من كثرت مداينته فاحتاج أن يكتب لكل دين صغير أو كبير كتابا فربما مل لكثرة الكتب والضمير في تكتبوه
للدين أو الحق صغيرا أو كبيرا على أي حال كان الحق من صغر أو كبر ويجوز أن يكون الضمير للكتاب وأن يكتبوه
مختصرا أو مشبعا ولا يخلوا بكتابته إلى أجله إلى وقته الذي اتفق الغريمان على تسميته ذلكم إشارة إلى أن
تكتبوه لأنه في معنى المصدر أي ذلكم الكتب أقسط أعدل من القسط وأقوم للشهادة وأعون على إقامة الشهادة

وأدنى أن لا ترتابوا وأقرب من انتفاء الريب فإن قلت مم بني افعلا التفضيل اعني اقسط واقوم قلت
يجوز على مذهب سيبويه أن يكونا مبنيين من اقسط واقام وأن يكون اقسط من قاسط على طريقة النسب بمعنى ذي قسط واقوم
من قويم وقرئ ولا يسأموا أن يكتبوه بالياء فيهما فإن قلت ما معنى تجارة حاضرة وسواء كانت المبايعة بدين او بعين
فالتجارة حاضرة وما معنى ادارتها بينهم قلت اريد بالتجارة ما يتجر فيه من الابدال
ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد والمعنى الا أن تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد فلا بأس أن لا تكتبوه لانه لا يتوهم
فيه ما يتوهم في التداين وقرئ تجارة حاضرة بالرفع على كان التامة وقيل هي الناقصة على أن الاسم تجارة
حاضرة والخبر تديرونها وبالنصب على الا أن تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله بني اسد هل
تعلمون بلاءنا ● اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا ● اي اذا كان اليوم يوما ● واشهدوا اذا تبايعتم
امر بالاشهاد على التبايع مطلقا ناجزا او كالئا لانه احوط وابعد مما عسى يقع من الاختلاف ويجوز أن يراد واشهدوا
اذا تبايعتم هذا التبايع يعني التجارة الحاضرة على أن الاشهاد كاف فيه دون الكتابة وعن الحسن إن شاء اشهد وإن
شاء لم يشهد وعن الضحاك هي عزيمة من الله ولو على باقة بقل ولا يضار يحتمل البناء للفاعل والمفعول والدليل
عليه قراءة عمر ولا يضارر بالاظهار والكسر وقراءة ابن عباس رضي الله عنهما ولا يضارر بالاظهار والفتح والمعنى نهي
الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة الى ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة والنقصان او النهي عن الضرار بهما بأن
يعجلا عن مهم ويلزا او لا يعطى الكاتب حقه من الجعل او يحمل الشهيد مؤونة مجيئه من بلد وقرأ الحسن ولا يضار بالكسر
وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم وإن تفعلوا وإن تضاروا فإنه فإن
الضرار فسوق بكم وقيل وإن تفعلوا شيئا مما نهيتم عنه وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان
مقبوضة فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها
فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم على سفر مسافرين وقرأ ابن عباس وأبي رضي الله عنهما كتابا وقال ابن عباس رضي الله عنه
أرأيت إن وجدت الكاتب ولم تجد الصحيفة والدواة وقرأ ابو العالية كتبا وقرأ الحسن كتابا جمع كاتب فرهن
فالذي يستوثق به رهن وقرئ فرهن بضم الهاء وسكونها وهو جمع رهن كسقف وسقف وفرهان فإن قلت
لم شرط السفر في الارتهان ولا يختص به سفر دون حضر وقد رهن رسول الله صلى الله عليه وسلم درعه في غير
سفر قلت ليس الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصة ولكن السفر لما كان مظنة لاعواز الكتب والاشهاد
امر على سبيل الارشاد الى حفظ المال من كان على سفر بأن يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والاشهاد
وعن مجاهد والضحاك انهما لم يجوزاه الا في حال السفر اخذا بظاهر الآية واما القبض فلا بد من اعتباره وعند مالك
يصح الارتهان بالايجاب والقبول بدون القبض فإن أمن بعضكم بعضا فإن أمن بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه
به وقرأ أبي فإن اومن اي آمنه الناس ووصفوا المديون بالامانة والوفاء والاستغناء عن الارتهان من مثله فليؤد
الذي اؤتمن امانته حث للمديون على أن يكون عند ظن الدائن به وامنه منه وائتمانه له وأن يؤدي اليه الحق الذي
ائتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمى الدين امانة وهو مضمون لائتمانه عليه بترك الارتهان منه والقراءة أن تنطق بهمزة ساكنة
بعد الذال او ياء فتقول الذيتمن او الذي ايتمن وعن عاصم انه قرأ الذتمن بادغام الياء في التاء قياسا على اتسر في الافتعال
من اليسر وليس بصحيح لان الياء منقلبة عن الهمزة فهي في حكم الهمزة واتزر عامي وكذلك ريا في رؤيا آثم خبر إن وقلبه رفع
بآثم على الفاعلية كأنه قيل فإنه يأثم قلبه ويجوز أن يرتفع قلبه بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر إن فإن قلت هلا اقتصر

على

على قوله فانه آثم وما فائدة ذكر القلب والجملة هي الآثمة لا القلب وحده قلت كتمان الشهادة هو ان يضمرها ولا يتكلم بها فلما
كان اثما مقترفا بالقلب اسند اليه لان اسناد الفعل الى الجارحة التي يعمل بها ابلغ الا تراك تقول اذا اردت التوكيد هذا
مما ابصرته عيني ومما سمعته اذني ومما عرفه قلبي ولان القلب هو رئيس الاعضاء والمضغة التي ان صلحت صلح الجسد
كله وان فسدت فسد الجسد كله فكأنه قيل فقد تمكن الاثم في اصل نفسه وملك اشرف مكان فيه ولئلا يظن ان كتمان
الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم ان القلب اصل متعلقه ومعدن اقترافه واللسان ترجمان عنه
ولان افعال القلوب اعظم من افعال سائر الجوارح وهي لها كالاصول التي تتشعب منها الا ترى ان اصل الحسنات
والسيئات الايمان والكفر وهما من افعال القلوب فاذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بانه من
من معاظم الذنوب وعن ابن عباس اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور
وكتمان الشهادة وقرئ قلبه بالنصب كقوله سفه نفسه وقرأ ابن ابي عبلة اثم قلبه اي جعله اثما لله ما في السموات وما
في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل
شيء قدير وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يعني من السوء يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء لمن استوجب المغفرة بالتوبة
مما اظهر منه او اضمر ويعذب من يشاء ممن استوجب العقوبة بالاصرار ولا يدخل فيما يخفيه الانسان الوساوس وحديث
النفس لان ذلك مما ليس في وسعه الخلو منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه تلاها
فقال لئن اخذنا الله بهذا لنهلكن ثم بكى حتى سمع نشيجه فذكر لابن عباس رضي الله عنه فقال يغفر الله لابي عبد الرحمن قد
وجد المسلمون منها مثل ما وجد فنزل لا يكلف الله نفسا وقرئ فيغفر ويعذب مجزومين عطفا على جواب الشرط
ومرفوعين على فهو يغفر ويعذب فان قلت كيف يقرأ الجازم قلت يظهر الراء ويدغم الباء ومدغم الراء في
اللام لاحن مخطئ خطأ فاحشا وراويه عن ابي عمرو مخطئ مرتين لانه يلحن وينسب الى اعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل
عظيم والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة والسبب في قلة الضبط قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا الا اهل
النحو وقرأ الاعمش يغفر بغير فاء مجزوما على البدل من يحاسبكم كقوله

متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا ۞ تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

ومعنى هذا البدل التفصيل لجملة الحساب لان التفصيل اوضح من المفصل فهو جار مجرى بدل البعض من الكل او بدل الاشتمال
كقولك ضربت زيدا رأسه واحببت زيدا عقله وهذا البدل واقع في الافعال وقوعه في الاسماء لحاجة القبيلين
الى البيان آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد
من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير والمؤمنون ان عطف على الرسول كان الضمير الذي
التنوين نائب عنه في كل راجعا الى الرسول والمؤمنين اي كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله من المذكورين ووقف
عليه وان كان مبتدأ كان الضمير للمؤمنين ووحد ضمير كل في آمن على معنى كل واحد منهم آمن وكان يجوز ان يجمع كقوله
تعالى وكل اتوه داخرين وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما وكتابه يريد القرآن او الجنس وعنه الكتاب اكثر من الكتب
فان قلت كيف يكون الواحد اكثر من الجمع قلت لانه اذا اريد بالواحد الجنس والجنسية قائمة في وحدان الجنس
كلها لم يخرج منه شيء واما الجمع فلا يدخل تحته الا ما فيه الجنسية من الجموع لا نفرق يقولون لا نفرق وعن ابي
عمرو لا يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرأ عبد الله لا يفرقون واحد في معنى الجمع كقوله تعالى فما منكم من احد
عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين سمعنا اجبنا غفرانك منصوب باضمار فعله يقال غفرانك لا كفرانك اي نستغفرك

ولا نكفرك وقرئ وكتبه ورسله بالسكون لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا
ان نسينا او اخطانا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف
عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين الوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه ولا
يحرج فيه اي لا يكلفها الا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى الطاقة والمجهود وهذا اخبار عن عدله ورحمته
كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر لانه كان في امكان الانسان وطاقته ان يصلي اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر
ويحج اكثر من حجة وقرا ابن ابي عبلة وسعها بالفتح لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما
اكتسبت من شر ...ؤاخذ بذنبها غيرها ولا يثاب غيرها بطاعتها فان قلت لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب
قلت في الاكتساب اعتمال فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة اليه وامارة به كانت في تحصيله اعمل واجد
فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم يكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال • اي لا تؤاخذنا
بالنسيان او الخطاء ان فرط منا فان قلت النسيان والخطاء متجاوز عنهما فما معنى الدعاء بترك المؤاخذة بهما • ه
قلت ذكر النسيان والخطا والمراد بهما وهما مسببان عنه من التفريط والاغفال • الا ترى الى قوله تعالى وما
انسانيه الا الشيطان والشيطان لا يقدر على فعل النسيان وانما يوسوس فتكون وسوسته سببا للتفريط الذي منه النسيان
ولانهم كانوا متقين الله حق تقاته فما كانت تفرط منهم فرطة الا على وجه النسيان والخطاء فكان وصفهم بالدعاء
بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به كانه قيل ان كان النسيان والخطا مما يؤاخذ به فما فيهم سبب مؤاخذة
الا الخطا والنسيان ويجوز ان يدعو الانسان بما علم انه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله لاستدامته والاعتداد بالنعمة
فيه • الاصر العبء الذي يأصر حامله اي يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله استعير للتكليف الشاق من نحو قتل الانفس وقطع
موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك وقرئ آصارا على الجمع وفي قراءة ابي ولا تحمل علينا بالتشديد فان قلت
اي فرق بين هذه التشديدة والتي في ولا تحملنا قلت هذه للمبالغة في حمل عليه وتلك لنقل حمله من مفعول واحد
الى مفعولين ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من العقوبات النازلة بمن قبلنا طلبوا الاعفاء عن التكليفات الشاقة التي كلفها
من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها وقيل المراد به الشاق الذي لا يكاد يستطاع
من التكاليف وهذا تكرير لقوله ولا تحمل علينا اصرا مولانا سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا او متولي امورنا فانصرنا
فمن حق المولى ان ينصر عبيده او فان ذلك عادتك او فان ذلك من امورنا التي عليك توليها • وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت • وعنه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرا الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه • وعنه عن النبي عليه الصلاة والسلام اوتيت خواتيم سورة
البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبي قبلي • وعنه عن رسول الله عليه السلام انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما
الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قراهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل فان قلت
هل يجوز ان يقال قرات سورة البقرة • او قرات البقرة قلت لا باس بذلك وقد جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم
من آخر سورة البقرة وخواتيم سورة البقرة وعن علي رضي الله عنه خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش
وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه رمى الجمرة ثم قال من ههنا والذي لا اله غيره رمى الذي انزلت عليه سورة
البقرة ولا فرق بين هذا وبين قولك سورة الزخرف وسورة الممتحنة والمجادلة واذا قيل قرات البقرة
لم يشكل ان المراد سورة البقرة كقوله تعالى واسئل القرية • وعن بعضهم انه كره ذلك وقال يقال قرات السورة

النبي

التي يذكر فيها البقرة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فإن تعلمها
بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة. قيل وما البطلة. قال السحرة والله تعالى أعلم

سورة آل عمران مدنية | بسم الله الرحمن الرحيم | وهي مائتا آية

الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم ميم حقها أن يوقف عليها كما وقف على ألف ولام وأن يبدأ ما بعدها كما تقول واحد اثنان
وهي قراءة عاصم وأما فتحها فهي حركة الهمزة ألقيت عليها حين أسقطت للتخفيف فإن قلت هذا ليس بدرج
كيف جاز إلقاء حركتها عليها وهي همزة وصل لا تثبت في درج الكلام فلا تثبت حركتها لأن ثبات حركتها
كثباتها قلت هذا ليس بدرج لأن ميم في حكم الوقف والسكون والهمزة في حكم الثابت وإنما حذفت
تخفيفاً وألقيت حركتها على الساكن قبلها ليدل عليها ونظيره قولهم واحد اثنان بإلقاء حركة الهمزة على الدال
فإن قلت هلا زعمت أنها حركة لالتقاء الساكنين قلت لأن التقاء الساكنين لا يبالى به في باب الوقف
وذلك قولك هذا إبرهيم وداود وإسحق. ولو كان التقاء الساكنين في حال الوقف يوجب التحريك لحرك الميمان
في الف لام ميم لالتقاء الساكنين ولما انتظر ساكن آخر فإن قلت إنما لم يحركوا لالتقاء الساكنين في ميم لأنهم
أرادوا الوقف وأمكنهم النطق بساكنين. فإذا جاء ساكن ثالث لم يمكن إلا التحريك فحركوا قلت الدليل على أن
الحركة ليست لملاقاة الساكن أنه كان يمكنهم أن يقولوا واحد اثنان بسكون الدال مع طرح الهمزة فيجمعوا بين ساكنين كما
قالوا أصيم ومديق فلما حركوا الدال علم أن حركتها هي حركة الهمزة الساقطة لا غير وليست لالتقاء الساكنين فإن
قلت فما وجه قراءة عمرو بن عبيد بالكسر قلت هذه القراءة على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وما هي بمقبولة
نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل
الفرقان إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام والتوراة والإنجيل
اسمان أعجميان وتكلف اشتقاقهما من الوري والنجل ووزنهما بتفعلة وإفعيل إنما يصح بعد كونهما عربيين. وقرأ الحسن
الأنجيل بفتح الهمزة وهو دليل على العجمة لأن أفعيل بفتح الهمزة عديم في أوزان العرب فإن قلت لم قيل
نزل الكتاب وأنزل التوراة والإنجيل لأن القرآن نزل منجما ونزل الكتابان جملة. وقرأ الأعمش نزل عليك الكتاب
بالتخفيف ورفع الكتاب هدى للناس لقوم موسى وعيسى ومن قال نحن متعبدون بشرائع من قبلنا فسره على العموم فإن
قلت ما المراد بالفرقان قلت جنس الكتب السماوية لأن كلها فرقان يفرق بين الحق والباطل أو الكتب
التي ذكرها كأنه قال بعد ذكر الكتب الثلاثة وأنزل ما يفرق بين الحق والباطل من كتبه أو من هذه الكتب أو أراد
الكتاب الرابع وهو الزبور. كما قال وآتينا داود زبورا. وهو ظاهر أو كرر ذكر القرآن بما هو نعت له ومدح
من كونه فارقا بين الحق والباطل بعد ما ذكره باسم الجنس تعظيما لشأنه وإظهارا لفضله بآيات الله من كتبه المنزلة
وغيرها ذو انتقام له انتقام شديد لا يقدر على مثله منتقم. إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء
هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم لا يخفى عليه شيء في العالم فعبر عنه بالسماء
والأرض فهو مطلع على كفر من كفر وإيمان من آمن وهو مجازيهم عليه كيف يشاء من الصور المختلفة المتفاوتة.
وقرأ طاوس تصوركم أي صوركم لنفسه ولتعبده كقولك أثلت مالا إذا جعلته أثلة أي أصلا وتأثلته إذا أثلته لنفسك

ويأتله اذا اتلت لنفسك وعن سعيد بن جبير هذا احتجاج على من زعم ان عيسى كان ربا فانه نبه بقوله مصوّرا في الرحم على انه عبد لغيره
وكان يخفى عليه ما لا يخفى على الله هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب وأخر
متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم
تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب
محكمات احكمت عبارتها بان حفظت من الاحتمال والاشتباه متشابهات مشتبهات محتملات هن ام الكتاب اي اصل
الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد اليها ومثال ذلك لا تدركه الابصار الى ربها ناظرة لا يأمر بالفحشاء امرنا مترفيها
فان قلت فهلا كان القرآن كله محكما قلت لو كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولة مأخذه ولاعرضوا عما
يحتاجون فيه الى الفحص والتأمل من النظر والاستدلال ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل الى معرفة الله وتوحيده
الا به ولما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولما في تقادح العلماء واتعابهم
القرائح في استخراج معانيه ورده الى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله ولان المؤمن
المعتقد ان لا مناقضة في كلام الله ولا اختلاف اذا رأى فيه ما يتناقض في ظاهره واهمه طلب ما يوفق بينه ويجريه
على سنن واحد ففكر وراجع نفسه وغيره ففتح الله عليه وتبين مطابقة المتشابه المحكم ازداد طمأنينة الى معتقده وقوة
في ايقانه الذين في قلوبهم زيغ هم اهل البدع فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب
اليه المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول اهل الحق ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم
وابتغاء تأويله وطلب ان يأولوه التأويل الذي يشتهونه وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم اي لا يهتدي
الى تأويله الحق الذي يجب ان يحمل عليه الا الله وعباده الذين رسخوا في العلم اي ثبتوا فيه وتمكنوا منه وعضوا
فيه بضرس قاطع ومنهم من يقف على قوله الا الله ويبتدئ والراسخون في العلم يقولون ويفسرون المتشابه
بما استأثر الله بعلمه وبمعرفة الحكمة فيه من آياته كعدد الزبانية ونحوه والاول هو الوجه ويقولون كلام مستأنف موضح لحال
الراسخون بمعنى هؤلاء العالمون بالتأويل يقولون آمنا به اي بالمتشابه كل من عند ربنا اي كل واحد منه ومن المحكم
من عنده او بالكتاب كل من متشابهه ومحكمه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه وما يذكر
الا اولوا الالباب مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن التأمل ويجوز ان يكون يقولون حالا من الراسخين وقرأ
عبد الله ان تأويله الا عند الله وقرأ ابي ويقول الراسخون ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك
رحمة انك انت الوهاب لا تزغ قلوبنا لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا وارشدتنا لدينك
او لا تمنعنا الطافك بعد اذ لطفت بنا من لدنك رحمة من عندك نعمة بالتوفيق والمعونة وقرئ لا تزغ بالتاء
والياء ورفع القلوب ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد جامع الناس ليوم اي
تجمعهم لحساب يوم او لجزاء يوم كقوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقرئ جامع الناس على الاصل ان الله
لا يخلف الميعاد معناه ان الالهية تنافي خلف الميعاد كقولك ان الجواد لا يخيب سائله والميعاد الموعد ان الذين
كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك هم وقود النار وقرأ علي رضي الله عنه لن
يغني بسكون الياء وهذا من الجد في استثقال الحركة على حروف اللين من في قوله من الله مثله في قوله تعالى
ان الظن لا يغني من الحق شيئا والمعنى لن تغني عنهم من رحمة الله او من طاعة الله شيئا اي بدل رحمته وطاعته
وبدل الحق ومنه ولا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفعه جده وحظه من الدنيا اي بدل طاعتك وعبادتك وما

قلوبنا

عندك

وما عندك ولي معناه قوله عز وجل وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وقرئ وقود
بالضم بمعنى اهل وقودها والمراد بالذين كفروا من كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس هم قريظة والنضير كداب
آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب الدأب مصدر
دأب في العمل اذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الانسان من شأنه وحاله والكاف مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء
الكفرة كدأب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم ويجوز ان ينتصب محل الكاف بلن تغني او بالوقود اي لن تغني عنهم مثل
ما لم تغن عن اولئك او توقد بهم النار كما توقد بهم تقول انك لتظلم الناس كدأب ابيك تريد كظلم ابيك ومثل ما كان يظلمهم
وان فلانا لمحارف كدأب ابيه تريد كما حورف ابوه كذبوا بآياتنا تفسير لدأبهم ما فعلوا وفعل بهم على انه جواب سؤال مقدر
عن حالهم قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قل للذين كفروا هم مشركو مكة ستغلبون
يعني يوم بدر وقيل هم اليهود لما غلب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر قالوا هذا والله النبي الامي الذي بشرنا
به موسى وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى ننظر الى وقعة اخرى فلما كان يوم احد شكوا وقيل جمعهم رسول الله عليه السلام
بعد وقعة بدر في سوق بني قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا مثل ما نزل بقريش واسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل
بهم فقد عرفتم اني نبي مرسل فقالوا لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة لئن
قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقرئ سيغلبون ويحشرون بالياء كقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا
يغفر لهم على قل لهم قولي لك سيغلبون فان قلت اي فرق بين القراءتين من حيث المعنى قلت معنى القراءة بالتاء ماقد سلف
الامر بان يخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر الى جهنم فهو اخبار بمعنى ستغلبون وتحشرون وهو الكائن من نفس المتوعد
به والذي يدل عليه اللفظ ومعنى القراءة بالياء الامر بان يحكي لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه كانه قال
اد اليهم هذا القول الذي هو قولي لك سيغلبون ويحشرون قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل
الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي
الابصار قد كان لكم آية الخطاب لمشركي قريش في فئتين التقتا يوم بدر يرونهم مثليهم يرى المشركون المسلمين
مثلي عدد المشركين قريبا من الفين او مثلي عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين اراهم الله اياهم مع قلتهم اضعافهم
ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم وكان ذلك مددا لهم من الله كما امدهم بالملائكة والدليل عليه قراءة نافع ترونهم بالتاء
اي ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي فئتكم الكافرة او مثلي انفسهم فان قلت فهذا مناقض لقوله في سورة الانفال
ويقللكم في اعينهم قلت قللوا اولا في اعينهم حتى اجترؤا عليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا فكان التقليل
والتكثير في حالين مختلفين ونظيره من المحمول على اختلاف الاحوال قوله تعالى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس
ولا جان وقوله وقفوهم انهم مسؤلون وتقليلهم تارة وتكثيرهم اخرى في اعينهم ابلغ في القدرة واظهار الآية
وقيل يرى المسلمون المشركين مثلي المسلمين على ما قرر عليه امرهم من مقاومة الواحد الاثنين في قوله ان يكن منكم مائة
صابرة يغلبوا مائتين بعد ما كلفوا ان يقاوم الواحد العشرة في قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ولذلك
وصف ضعفهم بالقلة لانه قليل بالاضافة الى عشرة الاضعاف وكان الكافرون ثلاثة امثالهم وقراءة نافع لا تساعد عليه
وقرأ ابن مصرف يرونهم على البناء للمفعول بالياء والتاء اي يريهم الله ذلك بقدرته وقرئ فئة تقاتل واخرى كافرة بالجر
على البدل من فئتين وبالنصب على الاختصاص او على الحال من الضمير في التقتا رأي العين يعني رؤية ظاهرة مكشوفة
لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات والله يؤيد بنصره من يشاء كما ايد اهل بدر بتكثيرهم في اعين العدو والله اعلم

زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام
والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب زين للناس المزين هو الله سبحانه وتعالى للابتلاء كقوله
انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ويدل عليه قراءة مجاهد زين للناس على تسمية الفاعل. وعن الحسن الشيطان والله
زينها لهم لانا لا نعلم احدا اذمّ لها من خالقها حب الشهوات جعل الاعيان التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة
محروصا على الاستمتاع بها والوجه ان يقصد تخسيسها فيسميها شهوات لان الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها
شاهد على نفسه بالبهيمية. وقال زين للناس حب الشهوات ثم جاء بالتفسير ليقرر اولا في النفوس ان المزين لهم حبه
ما هو الا شهوات لا غير. ثم يفسره بهذه الاجناس فيكون اقوى لتخسيسها وادل على ذم من يستعظمها ويتهالك عليها
ويرجح طلبها على طلب ما عند الله. والقنطار المال الكثير قيل ملء مسك ثور. وعن سعيد بن جبير مائة الف دينار ولقد
جاء الاسلام يوم جاء. وبمكة مائة رجل قد قنطروا والمقنطرة مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم الف مؤلفة
وبدرة مبدرة. والمسومة المعلمة من السومة. وهي العلامة او المطهمة. او المرعية من اسام الدابة وسومها والانعام
الازواج الثمانية ذلك المذكور متاع الحيوة قل اؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد للذين اتقوا عند ربهم
جنات كلام مستانف فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم كما تقول هل ادلكم على رجل عالم عندي رجل
من صفته كيت وكيت. ويجوز ان تتعلق اللام بخير. واختص المتقين لانهم هم المنتفعون به وترتفع جنات على هو جنات
وتنصرها قراءة من قرأ جنات بالجر على البدل من خير. والله بصير بالعباد يثيب ويعاقب على الاستحقاق او
بصير بالذين اتقوا وباحوالهم فلذلك اعدّ لهم الجنات الذين يقولون ربنا اننا امنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا
عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار شهد الله
انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله
الاسلام الذين يقولون نصب على المدح. او رفع ويجوز الجر صفة للمتقين او للعباد والواو المتوسطة
بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها وقد مر الكلام في ذلك. وخص الاسحار لانهم كانوا
يقدمون قيام الليل فيحسن طلب الحاجة فيه ان الله يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وعن
الحسن كانوا يصلون في اول الليل حتى اذا كان السحر اخذوا في الدعاء والاستغفار. هذا نهارهم وهذا
ليلهم شهدت دلالته على وحدانيته بافعاله الخاصة التي لا يقدر عليها غيره وبما اوحى من اياته الناطقة
بالتوحيد كسورة الاخلاص واية الكرسي وغيرهما بشهادة الشاهد في البيان والكشف وكذلك اقرار الملائكة
واولي العلم بذلك واحتجاجهم عليه قائما بالقسط مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والاجال
ويثيب ويعاقب وما يامر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم وانتصابه
على انه حال مؤكدة منه كقوله وهو الحق مصدقا. فان قلت لم جاز افراده بنصب الحال دون
المعطوفين عليه ولو قلت جاءني زيد وعمرو راكبا لم يجز. قلت انما جاز هذا لعدم الالباس
كما جاز في قوله ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة ان انتصب نافلة حالا عن يعقوب ولو قلت جاءني
زيد وهند راكبا جاز لتميزه بالذكورة او على المدح. فان قلت اليس من حق المنتصب على
المدح ان يكون معرفة كقوله الحمد لله الحميد انا معشر الانبياء لا نورث. انا بني نهشل لا ندعي لاب

طلبها علم

قلت

بلغ المقابلة

بالقسط الا هو

بمعنى زيادة في فايدتها عامل فيها كقولك
انا عبد الله شجاعا وكذلك لو قلت

قلت قد جاء نكرة كما جاء معرفة وانشد سيبويه فيما جاء منه نكرة قول الهذلي

ويأوي الي نسوة عطل ۝ وشعثا مراضيع مثل السعالي

فان قلت هل يجوز ان يكون صفة للمنفي كانه قيل لا اله قائما الا هو قلت لا يبعد فقد رأيناهم يتسعون في الفصل بين الصفة والموصوف فان قلت قد جعلته حالا من فاعل شهد فهل يصح ان ينتصب حالا عن هو في لا اله الا هو قلت نعم لانها حال مؤكدة والحال المؤكدة لا تستدعي ان يكون في الجملة التي لا رجل الا عبد الله شجاعا وهو اوجه من انتصابه عن فاعل شهد وكذلك انتصابه على المدح فان قلت هل دخل قيامه بالقسط في حكم شهادة الله والملائكة واولي العلم كما دخلت الوحدانية قلت نعم اذا جعلته حالا من هو او نصبا على المدح منه او صفة للمنفي كانه قيل شهد الله والملائكة واولوا العلم انه لا اله الا هو وانه قايم بالقسط وقراءة عبد الله رضي الله عنه القايم بالقسط على انه بدل من هو او خبر مبتدا محذوف وقرا ابو حنيفة رحمة الله عليه قيما بالقسط العزيز الحكيم صفتان مقررتان لما وصف به ذاته من الوحدانية والعدل يعني انه العزيز الذي لا يغالبه اله آخر الحكيم الذي لا يعدل عن العدل في افعاله فان قلت ما المراد باولي العلم الذين عظمهم هذا التعظيم حيث جمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله قلت هم الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة وهم علماء العدل والتوحيد وقرئ انه بالفتح وان الدين بالكسر على ان الفعل واقع على انه بمعنى شهد الله على انه او بانه وقوله ان الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة موكدة للجملة الاولى فان قلت ما فايدة هذا التوكيد قلت فايدته ان قوله لا اله الا هو توحيد وقوله قايما بالقسط تعديل فاذا اردفه قوله ان الدين عند الله الاسلام فقد اذن ان الاسلام هو العدل والتوحيد وهو الدين ~~ان من ذهب الي التشبيه او ما يودي اليه~~ عند الله وما عداه فليس عنده في شي من الدين وفيه ان من ذهب الي تشبيه او ما يودي اليه كاجازة الرؤية او ذهب الي الجبر الذي هو محض الجور لم يكن على دين الله الذي هو الاسلام وهذا بين جلي كما ترى وقرئا مفتوحين على ان الثاني بدل من الاول كانه قيل شهد الله ان الدين عند الله الاسلام والبدل هو المبدل منه في المعنى فكان بيانا صريحا لان دين الله هو التوحيد والعدل وقرئ الاول بالكسر والثاني بالفتح على ان الفعل واقع على ان وما بينهما اعتراض موكد وهذا ايضا شاهد على ان دين الاسلام هو العدل والتوحيد فترى القراءات كلها متعاضدة على ذلك وقرا عبد الله رضي الله عنه انه لا اله الا هو وقرا ابي رضي الله عنه ان الدين عند الله للاسلام وهي مقوية لقراءة من فتح الاولى وكسر الثانية وقرئ شهداء لله بالنصب على انه حال من المذكورين قبله وبالرفع على هم شهداء لله فان قلت فعلام عطف على هذه القراءة والملائكة واولوا العلم قلت على الضمير في شهداء لله وجاز لوقوع الفاصل بينهما فان قلت لم كرر قوله لا اله الا هو قلت ذكره اولا للدلالة على اختصاصه بالوحدانية وانه لا اله الا تلك الذات المتميزة ثم ذكره ثانيا بعد ما قرن باثبات الوحدانية اثبات العدل للدلالة على اختصاصه بالامرين كانه قال لا اله الا هو الموصوف بالصفتين ولذلك قرن به قوله تعالى العزيز الحكيم لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين ءاسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد الذين اوتوا الكتاب اهل الكتاب من اليهود

والنصارى واختلافهم أنهم تركوا الاسلام والعدل من بعد ما جاءهم العلم أنه الحق الذي لا محيد عنه فثلثت النصارى
وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا كنا احق بان تكون النبوة فينا من قريش لانهم اميون ونحن اهل كتاب وهذا تجوير
لله بغيا بينهم اي ما كان ذلك الاختلاف وتظاهر هؤلاء بمذهب وهؤلاء بمذهب الا حسدا بينهم وطلبا منهم
للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسا يطأون اعقابهم لا شبهة في الاسلام وقيل هو اختلافهم
في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث آمن به بعض وكفر بعض وقيل هو اختلافهم في الايمان بالانبياء فمنهم من
آمن بموسى صلوات الله عليه ومنهم من آمن بعيسى عليه الصلاة والسلام وقيل هم اليهود واختلافهم ان موسى
عليه السلام حين احتضر استودع التورية سبعين حبرا من بني اسرائيل وجعلهم امناء عليها واستخلف يوشع فلما مضى
قرن بعد قرن اختلف ابناء السبعين بعد ما جاءهم علم التورية بغيا بينهم وتحاسدا على حظوظ الدنيا والرياسة
وقيل هم النصارى واختلافهم في امر عيسى عليه السلام بعد ما جاءهم العلم انه عبد الله ورسوله فان حاجوك
فان جادلوك في الدين فقل اسلمت وجهي لله اي اخلصت نفسي وجملتي لله وحده لم اجعل فيها لغيره شركا بان
اعبده وادعو الها معه يعني ان ديني دين التوحيد وهو الدين القديم الذي ثبتت عندكم صحته قل يا اهل
الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا فهو دفع للمحاجة بان ما هو عليه
ومن معه من المؤمنين هو حق اليقين الذي لا لبس فيه فما معنى المحاجة فيه ومن اتبعني عطف على التاء في اسلمت
وحسن للفاصل ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه وقل للذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى
والاميين والذين لا كتاب لهم من مشركي العرب ءاسلمتم يعني انه قد اتاكم من البينات ما يوجب الاسلام
ويقتضي حصوله لا محالة فهل اسلمتم ام انتم بعد على كفركم وهذا كقولك لمن لخصت له المسألة ولم تبق من طرق
البيان والكشف طريقا الا سلكته هل فهمتها لا ام لك ومنه قوله عز وجل فهل انتم منتهون بعد ما
ذكر الصوارف عن الخمر والميسر وفي هذا الاستفهام استصغار وتعيير بالمعاندة وقلة الانصاف لان المنصف اذا تجلت
له الحجة لم يتوقف اذعانه للحق والمعاند بعد تجلي الحجة ما يضرب اسدادا بينه وبين الاذعان وكذلك في هل
فهمتها توبيخ بالبلادة وكلة القريحة وفي هل انتم منتهون بالتقاعد عن الانتهاء والحرص الشديد على
تعاطي المنهي عنه فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم حيث خرجوا من الضلال الى الهدى ومن الظلمة
الى النور وان تولوا لم يضروك فانك رسول منبه ما عليك الا ان تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى والله علم
ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من
الناس فبشرهم بعذاب اليم اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين ان
الذين كفروا قرأ الحسن يقتّلون النبيين بالتشديد وقرأ حمزة ويقاتلون الذين يامرون وقرأ عبد الله رضي
الله عنه وقاتلوا وقرأ ابي رضي الله عنه يقتلون النبيين والذين يامرون وهم اهل الكتاب قتل اولوهم
الانبياء وقتلوا اتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا حول قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
لولا عصمة الله وعن ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيامة قال
عليه الصلاة والسلام رجل قتل نبيا او قتل رجلا امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأها ثم قال عليه الصلاة والسلام
يا ابا عبيدة قتلت بنوا اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من
عباد بني اسرائيل فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار في الدنيا والآخرة لان لهم اللعنة

كما ثبتت عندي وما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني فيه ونحوه صح

ولهم

والخزي في الدنيا والعذاب في الاخرة فان قلت لم دخلت الفاء في خبر انّ قلت لتضمن اسمها معنى الجزاء
كانه قيل الذين يكفرون فبشرهم بمعنى من يكفر فبشرهم وانّ لا تغيّر معنى الابتداء وكان دخولها كلا دخول
ولو كان مكانها ليت او لعل لامتنع ادخال الفاء لتغيّر معنى الابتداء الم تر الى الذين اوتوا نصيبا
من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بانهم قالوا لن تمسنا
النار الا اياما معدودات وغرّهم في دينهم ما كانوا يفترون فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب
فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون اوتوا نصيبا من الكتاب يريد احبار اليهود وانهم حصلوا
نصيبا وافرا من التورية ومن اما للتبعيض واما للبيان او حصلوا من جنس الكتب المنزلة او من اللوح التورية
وهي نصيب عظيم يدعون الى كتاب الله وهو التورية ليحكم بينهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دخل مدارسهم فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت قال عليه السلام على ملة ابرهيم
قالا ان ابرهيم كان يهوديا قال عليه الصلاة والسلام فانّ بيننا وبينكم التورية فهلموا اليها فابيا وقيل نزلت
في الرجم وقد اختلفوا فيه وعن الحسن وقتادة كتاب الله القران لانهم قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه
ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم بان الرجوع الى كتاب الله واجب وهم معرضون وهم قوم لا يزال
الاعراض ديدنهم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول والوجه ان يراد ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من
اسلم من احبارهم وبين من لم يسلم وانهم دعوا الى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم في صحته وهو التورية
ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الذين لم يسلموا وذلك ان قوله ليحكم بينهم يقتضي ان
يكون اختلافا واقعا بينهم لا بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك التولي والاعراض بسبب
تسهيلهم على انفسهم امر العقاب وطمعهم في الخروج من النار بعد ايام قلائل كما طمعت المجبرة والحشوية
وغرّهم في دينهم ما كانوا يفترون من ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم كما غرّت اولئك شفاعة رسول
الله في كبائرهم فكيف اذا جمعناهم فكيف يصنعون فكيف تكون حالهم وهو استعظام لما اعدّ لهم وتهويل وانهم
يقعون فيما لا حيلة في دفعه والمخلص منه وان ما حدّثوا به انفسهم وسهّلوه عليها تعلل بباطل وتطمّع بما لا يكون وروي
ان اول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار
قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير
انك على كل شيء قدير الميم في اللهم عوض من يا فلذلك لا يجتمعان وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء
في القسم وبدخول حرف النداء عليه وفيه لام التعريف وبقطع همزته في يا الله وبغير ذلك مالك الملك اي
تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون تؤتي الملك من تشاء تعطي من تشاء النصيب الذي قسمت
له واقتضته حكمتك من الملك وتنزع الملك ممن تشاء النصيب الذي اعطيته منه فالملك الاول عام شامل
والملكان الاخران خاصان بعضان من الكل روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فتح مكة وعد امته
ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم هم اعز وامنع من
ذلك وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا
واخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله
يخبره فاخذ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحا

في جوف بيت مظلم وكبّر وكبّر المسلمون وقال عليه الصلاة والسلام اضاءت لي منها قصور الحيرة كأنها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال عليه الصلاة والسلام اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال عليه الصلاة والسلام اضاءت لي منها قصور صنعاء واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت فان قلت كيف قال بيدك الخير فذكر الخير دون الشر قلت لان الكلام انما وقع في الخير الذي يسوقه الى المؤمنين وهو الذي انكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه اولياءك على رغم من اعدائك ولان كل افعال الله تعالى من نافع وضار صادر عن الحكمة والمصلحة فهو خير كله كايتاء الملك ونزعه **تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب** ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما وحال الحي والميت في اخراج احدهما من الآخر وعطف عليه رزقه بغير حساب دلالة على ان من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة للافهام ثم قدر ان يرزق بغير حساب من يشاء من عباده فهو قادر على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم وفي بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونوا يولى عليكم **لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا ان تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير** نهوا ان يوالوا الكافرين لقرابة بينهم او صداقة قبل الاسلام او غير ذلك من الاسباب التي يتصادق بها ويتعاشر وقد كرر ذلك في القرآن ومن يتولهم منكم فانه منهم لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء لا تجد قوما يؤمنون بالله الآية والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم واصل من اصول الايمان من دون المؤمنين يعني ان لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ومن يوال الكفرة فليس من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم الولاية يعني انه منسلخ من ولاية الله راسا وهذا امر معقول فان موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان قال

تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب

الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاؤه وقرئ تقية قيل للمتقي تقاة وتقية كقولهم ضرب الامير لمضروبه رخص لهم في موالاتهم اذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالقة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصى كقول عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة اعدائه وهذا وعيد شديد ويجوز ان يضمن تتقوا معنى تحذروا وتخافوا فيعدى بمن وينتصب تقاة او تقية على المصدر كقوله عز وجل اتقوا الله حق تقاته **قل ان تخفوا ما في** ... **قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم** ان تخفوا ما في صدوركم من ولاية الكفار او غيرها مما لا يرضى الله ولا يدري ما محبة الله ما تحقيقه وطريقه وتعرفه وصفته الا لانه تصور في نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشقة فسماها الله بجهله

... الله ويعلم ما في السموات ... على كل شيء قدير يوم تجد كل نفس ما عملت ... تود لو ان بينها وبينه امدا ... والله رؤوف بالعباد قل ان كنتم ... يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله ...

ودعارته

ودعارته ثم صفق وطرب ونعر وصعق على تصورها وربما رأيت المني قد ملأ إزار ذلك المحب عند صعقته
وحمقى العامة حواليه قد ملؤوا أردانهم بالدموع لما رققهم من حاله وترى تحبون وتحبكم وتحببكم من حبه تحبه
قال • أحب أبا مروان من حب تمره • وأعلم أن الرفق بالجار أرفق •
• ووالله لولا تمره ما حببته • ولا كان أدنى من عبيد ومشرق •

فإن تولوا يحتمل أن يكون ماضياً وأن يكون مضارعاً بمعنى فإن تتولوا ويدخل في جملة ما يقول الرسول لهم آل
إبراهيم إسمعيل وإسحق وأولادهما وآل عمران موسى وهارون ابنا عمران بن يصهر وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن
ماثان وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة • ذرية بدل من آل إبراهيم وآل عمران • بعضها من بعض يعني
أن الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهارون من عمران وعمران من يصهر ويصهر
من قاهث وقاهث من لاوي ولاوي من يعقوب ويعقوب من إسحاق وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران
بن ماثان بن سليمان بن داود بن إيشى بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق وقد دخل في آل إبراهيم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل بعضها من بعض في الدين كقوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض • والله سميع
عليم • يعلم من يصلح للاصطفاء أو يعلم أن بعضهم من بعض في الدين أو سميع عليم لقول امرأة عمران ونيتها •
إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع
العليم فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني
سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها
نباتاً حسناً وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً • وإذ منصوب به وقيل بإضمار
اذكر • وامرأة عمران هي امرأة عمران بن ماثان أم مريم البتول جدة عيسى عليه الصلاة والسلام وهي حنة بنت فاقوذ
وقوله إذ قالت امرأة عمران على إثر قوله وآل عمران مما يرجح أن عمران هو عمران بن ماثان
جد عيسى والقول الآخر يرجحه أن موسى يقرن بإبراهيم كثيراً في الذكر • فإن قلت كانت لعمران
بن يصهر بنت اسمها مريم أكبر من موسى وهارون ولعمران بن ماثان مريم البتول فما أدراك أن عمران
هذا هو أبو مريم البتول دون عمران أبي مريم التي هي أخت موسى وهارون • قلت كفى بكفالة
زكريا دليلاً على أنه عمران أبو البتول لأن زكريا بن آذن وعمران بن ماثان كانا في عصر واحد وقد تزوج
زكريا بنته إيشاع أخت مريم فكان يحيى وعيسى ابني خالة • روي أنها كانت عاقراً لم تلد إلى أن عجزت فبينا
هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخاً له فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت اللهم إن لك علي نذراً شكراً
إن رزقتني ولداً أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم • وهلك عمران وهي
حامل • محرراً معتقاً لخدمة بيت المقدس لا يد لي عليه ولا أستخدمه ولا أشغله بشيء وكان هذا النوع من
النذر مشروعاً عندهم • وروي أنهم كانوا ينذرون هذا النذر فإذا بلغ الغلام خير بين أن يفعل وأن لا يفعل
وعن الشعبي محرراً مخلصاً للعبادة • وما كان التحرير إلا للغلمان • وإنما بنت الأمر على التقدير أو طلبت أن ترزق
ذكراً • فلما وضعتها الضمير لما في بطني وإنما أنث على المعنى لأن ما في بطنها كان أنثى في علم الله أو على تأويل الجبلة
أو النفس أو النسمة • فإن قلت كيف جاز انتصاب أنثى حالاً من الضمير في وضعتها وهو كقولك وضعت
الأنثى أنثى • قلت الأصل وضعته أنثى وإنما أنث لتأنيث الحال لأن الحال وذا الحال لشيء واحد كما أنث

الاسم في ما كانت أمك لتأنيث الخبر ونظيره قوله فان كانتا اثنتين واما على تاويل الحبلة او النسمة فهو
ظاهر كانه قيل اني وضعت الحبلة او النسمة انثى فان قلت فلم قالت اني وضعتها انثى وما ارادت الى هذا
القول قلت قالته تحسرا على ما رأت من خيبة رجائها وعكس تقديرها فتحزنت الى ربها لانها كانت ترجو
وتقدر ان تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة ولتكلمها بذلك على وجه التحسر والتحزن قال الله تعالى
والله اعلم بما وضعت تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بقدر ما وهب لها منه ومعناه والله يعلم بالشيء الذي وضعت
وما علق به من عظائم الامور وان يجعله وولده آية للعالمين وهي جاهلة بذلك لا تعلم منه شيئا فلذلك تحسرت
وفي قراءة ابن عباس رضي الله عنه والله اعلم بما وضعت على خطاب الله لها اي انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب
وما علم الله من عظم شانه وعلو قدره وقرئ وضعت بمعنى ولعل لله فيه سرا وحكمة ولعل هذه
الانثى خير من الذكر تسلية لنفسها فان قلت فما معنى قوله وليس الذكر كالانثى قلت هو بيان لما في
قوله والله اعلم بما وضعت من التعظيم للموضوع والرفع منه ومعناه وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت
لها واللام فيهما للعهد فان قلت علام عطف قوله واني سميتها مريم قلت هو عطف على اني وضعتها
انثى وما بينهما جملتان معترضتان كقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم فان قلت فلم ذكرت تسمية
مريم لربها قلت لان مريم في لغتهم بمعنى العابدة فارادت بذلك التقرب والطلب اليه ان يعصمها
حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها وان يصدق فيها ظنها بها الا ترى كيف اتبعته طلب الاعاذة لها ولولدها من
الشيطان واغوائه وما يروى من الحديث ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان
اياه الا مريم وابنها فالله اعلم بصحته فان صح فمعناه ان كل مولود يطمع الشيطان في اغوائه الا مريم وابنها فانهما كانا
معصومين وكذلك كل من كان في صفتهما كقوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين واستهلاله صارخا
من مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه كانه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن اغويه ونحوه من التخييل
قول ابن الرومي • لما تؤذن الدنيا به من صروفها • يكون بكاء الطفل ساعة يولد •
واما حقيقة المس والنخس كما يتوهم اهل الحشو فكلا ولو سلط ابليس على الناس ينخسهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا
مما يبلونا به من نخسه فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن فيه وجهان احدهما ان يكون
القبول اسم ما يقبل به الشيء كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد وهو اختصاصه لها باقامتها مقام الذكر
في النذر ولم تقبل قبلها انثى في ذلك او بان تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تنشأ وتصلح للسدانة وروي
ان حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هارون وهم في
بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب
قربانهم وكانت بنو ماثان رؤوس بني اسرائيل واحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا انا احق بها عندي اختها
فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فارتفع قلم زكريا
فوق الماء ورسبت اقلامهم فتكفلها والثاني ان يكون مصدرا على تقدير حذف المضاف بمعنى فتقبلها بذي
قبول حسن اي بامر ذي قبول حسن وهو الاختصاص ويجوز ان يكون معنى فتقبلها فاستقبلها كقولك تعجله بمعنى استعجله
وتقضاه بمعنى استقضاه وهو كثير في كلامهم من استقبل الامر اذا اخذه باوله وعنفوانه قال القطامي وخير
الامر ما استقبلت منه وليس بان تتبعه اتباعا ومنه المثل خذ الامر بقوابله اي فاخذها في اول امرها

حين

حين ولدت بقبول حسن ى وانبتها نباتا حسنا مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها في جميع احوالها
وتربي وكفلها زكريا بوزن وعملها وكفلها زكريا بتشديد الفاء ونصب زكريا والفعل لله تعالى بمعنى ضمها
اليه وجعله كافلا لها وضامنا لمصالحها ويؤيدها قراءة ابي رضي الله عنه واكفلها من قوله اكفلنيها وقرا مجاهد
فتقبلها ربها وانبتها وكفلها على لفظ الامر في الافعال الثلاثة ونصب ربها تدعوا بذلك اي فاقبلها يا ربها
وربها واجعل زكريا كافلها قيل بنى لها زكريا عليه السلام محرابا في المسجد اي غرفة تصعد اليها بسلم وقيل
المحراب اشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى
المحاريب وروي انه كان لا يدخل عليها الا هو وحده وكان اذا خرج غلق عليها سبعة ابواب وجد
عندها رزقا كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط وكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف
وفاكهة الصيف في الشتاء قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير
حساب هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء انى
لك هذا من اين لك هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت في غير حينه والابواب مغلقة عليك
لا سبيل للداخل به اليك قالت هو من عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت وهي صغيرة كما تكلم عيسى عليه السلام
وهو في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه جاع في زمن قحط فاهدت له فاطمة رضي الله عنها رغيفين وبضعة
لحم آثرته بها فرجع بها اليها وقال عليه السلام هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملو خبزا ولحما فبهتت
وعلمت انها نزلت من عند الله فقال لها صلى الله عليه وسلم انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء
بغير حساب فقال عليه السلام الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليه علي بن ابي طالب والحسن والحسين رضي الله عنهم وجميع اهل بيته حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت فاطمة
رضي الله عنها على جيرانها ان الله يرزق من جملة كلام مريم رضي الله عنها او من كلام رب العزة عز من قائل بغير
حساب بغير تقدير لكثرته او تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل بحسب الاستحقاق هنالك في ذلك المكان
حيث هو قاعد عند مريم في المحراب او في ذلك الوقت فقد يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما راى حال مريم في كرامتها
على الله ومنزلتها رغب في ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولد اختها حنة في النجابة والكرامة على الله وان كانت عاقرا
عجوزا فقد كانت اختها كذلك وقيل لما راى الفاكهة في غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر ذرية ولدا
والذرية تقع على الواحد والجمع سميع الدعاء مجيبه فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك
بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين قال رب انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر
وامراتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء قرئ فناداه الملائكة وقيل ناداه جبريل عليه السلام وانما قيل
الملائكة على قولهم فلان يركب الخيل ان الله يبشرك بالفتح على بان الله وبالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع
من القول وقرئ يبشرك ويبشرك من بشره وابشره ويبشرك بفتح الباء من بشر ويحيى ان كان
اعجميا وهو الظاهر فمنع صرفه للتعريف والعجمة كموسى وعيسى وان كان عربيا فللتعريف ووزن الفعل كيعمر
مصدقا بكلمة من الله بعيسى مؤمنا به قيل هو اول من آمن به وسمي عيسى عليه الصلاة والسلام كلمة لانه لم يوجد
الا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير سبب آخر وقيل مصدقا بكلمة من الله مؤمنا بكتاب منه وسمي الكتاب
كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا الذي يسود قومه اي يفوقهم في الشرف وكان يحيى عليه الصلاة والسلام

فائقا لقومه وفائقا للناس كلهم في أنه لم يركب سيئة قط ويا لها من سيادة والحصور الذي لا يقرب النساء حصرا لنفسه أي
منعا لها من الشهوات وقيل هو الذي لا يدخل مع القوم في الميسر • قال الأخطل •

• وشارب مربح بالكأس نادمني • لا بالحصور ولا فيها بسوار •

فاستعير لمن لا يدخل في اللعب واللهو • وقد روي أنه مر وهو طفل بصبيان فدعوه إلى اللعب
فقال عليه السلام ما للعب خلقت من الصالحين ناشئا من الصالحين لأنه كان من أصلاب الأنبياء صلوات الله عليهم
أو كائنا من جملة الصالحين كقوله • وإنه في الآخرة لمن الصالحين • أنى يكون لي غلام استبعاد من حيث العادة كما قالت
مريم • وقد بلغني الكبر • كقولهم أدركته السن العالية • والمعنى أثر في الكبر • فأضعفني وكانت له تسع وتسعون سنة
ولامرأته ثمان وتسعون • كذلك أي يفعل الله ما يشاء من الأفعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد بين
الشيخ الفاني والعجوز العاقر • أو كذلك الله مبتدأ وخبر أي على نحو هذه الصفة • الله • ويفعل ما يشاء بيان له
أي يفعل ما يريد من الأفاعيل الخارقة للعادات • قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة
أيام إلا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار آية علامة أعرف بها الحبل لأتلقى النعمة إذا جاءت
بالشكر قال آيتك أن لا تقدر على تكليم الناس ثلاثة أيام وإنما خص تكليم الناس ليعلمه أنه يحبس لسانه عن القدرة
على تكليمهم خاصة مع إبقاء قدرته على التكلم بذكر الله • ولذلك • قال • واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار يعني
في أيام عجزك عن تكليم الناس وهي من الآيات الباهرة • فإن قلت لم حبس لسانه عن كلام الناس • قلت ليخلص
المدة ~~المذكورة~~ لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره توفرا منه على قضاء حق تلك النعمة الجسيمة وشكرها التي طلب الآية
من أجلها كأنه لما طلب الآية من أجل الشكر قيل له آيتك أن يحبس لسانك إلا عن الشكر وأحسن الجواب • وأوقعه
ما كان مشتقا من السؤال ومنتزعا منه • إلا رمزا إلا إشارة بيد أو رأس أو غيرهما وأصله التحرك يقال ارتمز إذا
تحرك ومنه قيل للبحر الراموز • وقرأ يحيى بن وثاب إلا رمزا بضمتين جمع رموز كرسول ورسل • وقرئ رمزا
بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم وهو حال منه ومن الناس معا • كقوله •

• متى ما تلقني فردين ترجف • روانف أليتيك وتستطارا •

بمعنى إلا مترامزين كما يكلم الناس الأخرس بالإشارة ويكلمهم والعشي من حين تزول الشمس إلى أن تغيب والإبكار من طلوع
الفجر إلى وقت الضحى وقرئ والأبكار بفتح الهمزة جمع بكر كسحر وأسحار يقال • أتيته بكرا بفتحتين • فإن قلت الرمز
ليس من جنس الكلام فكيف استثني منه • قلت لما أدى مؤدى الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمي كلاما ويجوز أن
يكون استثناء منقطعا • وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين •
يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك • وما كنت لديهم
إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون • يا مريم ~~اقنتي لربك واسجدي واركعي~~
روي أنهم كلموها شفاها معجزة لزكريا عليه السلام أو إرهاصا لنبوة عيسى عليه الصلاة والسلام • اصطفاك أولا
حين تقبلك من أمك ورباك واختصك بالكرامة السنية • وطهرك مما يستقذر من الأفعال ومما قذفك به اليهود •
واصطفاك آخرا على نساء العالمين • بأن وهب لك عيسى من غير أب • ولم يكن ذلك لأحد من النساء • أمرت بالصلاة
بذكر القنوت والسجود • لكونهما من هيئات الصلاة وأركانها ثم قيل لها واركعي مع الراكعين بمعنى • ولتكن صلاتك
مع المصلين أي في الجماعة • أو وانظمي نفسك في جملة المصلين وكوني معهم في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم وتحمل

أن

أن يكون في زمرتهم من كان يقوم ويسجد في صلاته ولا يركع وفيه من يركع فأمرت بأن تركع مع الراكعين ولا تكون مع من لا يركع • ذلك إشارة إلى ما سبق من نبإ زكريا ويحيى ومريم وعيسى يعني أن ذلك من الغيوب التي لم تعرفها إلا بالوحي • فإن قلت لم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم من غير شبهة وترك نفي استماع الأنباء من حفاظها وهو موهوم قلت كان معلوما عندهم علما يقينا أنه ليس من أهل السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحي فلم يبق إلا المشاهدة وهي في غاية الاستبعاد والاستحالة فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي مع علمهم بأنه لا سماع له ولا قراءة ونحوه • وما كنت بجانب الغربي • وما كنت بجانب الطور • وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم • أقلامهم أزلامهم • وهي قداحهم التي طرحوها في النهر مقترعين وقيل هي الأقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة اختاروها للقرعة تبركا بها • إذ يختصمون في شأنها تنافسا في التكفل بها • فإن قلت أيهم يكفل بم يتعلق قلت بمحذوف دل عليه يلقون أقلامهم كأنه قيل يلقونها ينظرون أيهم يكفل أو ليعلموا أو يقولون

إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين • المسيح لقب من الألقاب المشرفة كالصديق والفاروق وأصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله وجعلني مباركا أينما كنت وكذلك عيسى معرب من أيشوع ومشتقهما من المسح والعيس كالراقم في الماء • فإن قلت إذ قالت بم يتعلق قلت هو بدل من وإذ قالت الملائكة ويجوز أن يبدل من إذ يختصمون على أن الاختصام والبشارة وقعا في زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا • فإن قلت لم قيل عيسى ابن مريم والخطاب لمريم قلت لأن الأبناء ينسبون إلى الآباء لا إلى الأمهات • فأعلمت بنسبته إليها أنه يولد من غير أب فلا ينسب إلا إلى أمه وبذلك فضلت واصطفيت على نساء العالمين • فإن قلت لم ذكر ضمير الكلمة قلت لأن المسمى بها مذكر • فإن قلت لم قيل اسمه المسيح عيسى ابن مريم وهذه ثلاثة أشياء الاسم منها عيسى وأما المسيح والابن فلقب وصفة قلت الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز من غيره فكأنه قيل الذي يعرف به ويتميز ممن سواه مجموع هذه الثلاثة • وجيها حال من كلمة • وكذلك قوله ومن المقربين • ويكلم • ومن الصالحين أي يبشرك به موصوفا بهذه الصفات وصح انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة • والوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة وكونه من المقربين رفعه إلى السماء وصحبته للملائكة • ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولا إلى بني إسرائيل • والمهد ما يمهد للصبي من مضجعه سمي بالمصدر • وفي المهد في محل النصب على الحال • وكهلا عطف عليه بمعنى ويكلم الناس طفلا وكهلا • ومعناه يكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الأنبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الأنبياء • ومن بدع التفاسير أن قولها رب نداء لجبريل عليه السلام بمعنى يا سيدي • ونعلمه عطف على يبشرك أو على وجيها أو على يخلق أو هو كلام مبتدأ • وقرأ عاصم ونافع ويعلمه بالياء • ~~فإن قلت علام تحمل ورسولا ومصدقا من المنصوبات المتقدمة وقوله أني قد جئتكم~~ أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين • فإن قلت علام تحمل ورسولا ومصدقا من المنصوبات المتقدمة وقوله أني قد جئتكم ولما بين يدي من التوراة

يا نبي حمله عليها قلت هو من المضايق وفيه وجهان احدهما ان تضمر له وارسلت على ارادة القول تقديره ويعلمه
الكتاب والحكمة ويقول ارسلت رسولاً باني قد جئتكم ومصدقاً لما بين يدي والثاني ان الرسول والمصدق
فيهما في معنى النطق فكانه قيل وناطقاً باني قد جئتكم باني اصدق ما بين يدي وقرا اليزيدي ورسول
عطفاً على كلمة اني قد جئتكم اصله ارسلت باني قد جئتكم فحذف الجار وانتصب بالفعل او اني اخلق نصب صح
بدل من اني قد جئتكم او جر بدل من اية او رفع على هي اني اخلق لكم وقرئ اني بالكسر على الاستيناف اي اقدر لكم شيئاً
مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير فيكون طيراً فيصير طيراً كساير الطيور
حياً طياراً وقرا عبد الله رضي الله عنه فانفخها قال تعلى الريح فرنيه وجبهته
كالهبرقي تنحى ينفخ الفحما وقيل لم يخلق غير الخفاش الاكمه
الذي ولد اعمى وقيل هو الممسوح العين ويقال لم يكن في هذه الامة اكمه غير قتادة بن دعامة السدوسي صاحب
التفسير وروي انه ربما اجتمع عليه خمسون الفاً من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى عليه السلام
وما كانت مداواته الا بالدعاء وحده وكرر باذن الله دفعاً لوهم من توهم فيه اللاهوتية وروي انه احيا
سام بن نوح وهم ينظرون فقالوا هذا سحر فارنا اية فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا وقرئ
تدخرون بالذال والتخفيف ولاحل رد على قوله باية من ربكم اي جئتكم باية من ربكم ولاحل لكم ويجوز ان يكون
مصدقاً مردوداً عليه ايضاً اي جئتكم باية وجئتكم مصدقاً وما حرم الله عليهم في شريعة موسى عليه الصلاة والسلام
الشحوم والثروب ولحوم الابل والسمك وكل ذي ظفر فاحل لهم عيسى بعض ذلك قيل احل لهم من السمك والطير
ما لا صيصية له واختلفوا في احلاله لهم السبت وقرئ حرم عليكم على تسمية الفاعل وهو ما بين يدي من التورية
او عليه او الله عز وجل او موسى عليه الصلاة والسلام لان ذكر التورية دل عليه ولانه كان معلوماً عندهم
ومصدقاً لما بين يدي من التورية ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون
ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصاري الى الله قال
الحواريون نحن انصار الله امنا بالله واشهد بانا مسلمون ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول
فاكتبنا مع الشاهدين ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك
الي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة ثم الي مرجعكم
فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون وقرئ حرم بوزن كرم وجئتكم باية من ربكم شاهدة على صحة رسالتي وهي
قولي ان الله ربي وربكم لان جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه وقرئ بالفتح على البدل من اية وقوله تعالى
فاتقوا الله واطيعون اعتراض فان قلت كيف جعل هذا القول اية من ربه قلت لان الله تعالى جعله
له علامة يعرف بها انه رسول كساير الرسل حيث هداه للنظر في ادلة العقل والاستدلال ويجوز ان يكون
تكريراً لقوله جئتكم باية من ربكم اي جئتكم باية بعد اخرى مما ذكرت لكم من خلق الطير والابرا والاحيا
والانباء بالخفيات وبغيره من ولادة من غير اب ومن كلامي في المهد ومن ساير ذلك وقرا عبد الله رضي الله
عنه وجئتكم بايات من ربكم فاتقوا الله لما جئتكم به من الايات واطيعوني فيما ادعوكم اليه ثم ابتدا فقال ان
الله ربي وربكم ومعنى من فتح ولان الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله لايلاف قريش فليعبدوا ويجوز ان يكون
المعنى وجئتكم باية على ان الله ربي وربكم وما بينهما اعتراض فلما احس فلما علم عيسى منهم الكفر علماً لا شبهة فيه كعلم

ما يبدأ بالحواريين والى الله من صلة انصاري مضمنا معنى الاضافة كانه قيل من الذين يضيفون انفسهم الى الله ينصرونني
كما ينصرني او يتعلق بمحذوف حالا من الياء اي من انصاري ذاهبا الى الله ملتجئا اليه نحن انصار الله اي انصار دينه
ورسوله وحواري الرجل صفوته وخالصته ومنه قيل للحضريات الحواريات لخلوص الوانهن ونظافتهن
قال فقل للحواريات يبكين غيرنا ۔ ولا يبكنا الا الكلاب النوابح
وفي وزنه الحوالي وهو الكثير الحيلة وانما طلبوا شهادته باسلامهم تاكيدا لايمانهم لان الرسل يشهدون يوم
القيمة لقومهم وعليهم مع الشاهدين مع الانبياء الذين يشهدون لاممهم او مع الذين يشهدون بالوحدانية
وقيل مع امة محمد صلى الله عليه وسلم لانهم شهداء على الناس ومكروا الواو لكفار بني اسرائيل الذين احس منهم الكفر صح
ومكرهم انهم وكلوا به من يقتله غيلة ومكر الله ان رفع عيسى صلوات الله عليه الى السماء والقى شبهه على من اراد
اغتياله حتى قتل والله خير الماكرين اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر
المعاقب اذ قال الله ظرف لخير الماكرين او لمكر الله اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومعناه اني عاصمك من ان
يقتلك الكفار ومؤخرك الى اجل كتبته لك ومميتك حتف انفك لا قتلا بايديهم ورافعك الى سمائي ومقر
ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم وخبث صحبتهم وقيل متوفيك قابضك من الارض من توفيت
مالي على فلان اذا استوفيته وقيل مميتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن وقيل متوفي نفسك بالنوم
من قوله والتي لم تمت في منامها ورافعك وانت نائم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ وانت في السماء آمن
مقرب فوق الذين كفروا الى يوم القيمة يعلونهم بالحجة وفي اكثر الاحوال بها وبالسيف ومتبعوه هم المسلمون
لانهم متبعوه في اصل الاسلام وان اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى فاحكم
بينكم تفسير الحكم فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين واما
الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر
الحكيم ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين
~~بالقتل في الدنيا والسبي والاسر واخذ الجزية وفي الآخرة بالنار~~ قوله فاعذبهم فيوفيهم اجورهم وقرئ فنوفيهم
بالياء ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره نتلوه ومن الآيات خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف
ويجوز ان يكون ذلك بمعنى الذي ونتلوه صلته ومن الآيات الخبر ويجوز ان ينتصب ذلك بمضمر يفسره نتلوه والذكر
الحكيم القرآن وصف بصفة من هو من سببه او كانه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه ان مثل عيسى ان شان عيسى وحاله
الغريبة كشان آدم وقوله خلقه من تراب جملة مفسرة لماله شبه عيسى بآدم عليه السلام اي خلق آدم من تراب
ولم يكن ثمة اب ولا ام فكذلك حال عيسى فان قلت كيف شبه به وقد وجد هو بغير اب ووجد آدم عليهما الصلاة
والسلام بغير اب وام قلت هو مثيله في احد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به
لان المماثلة مشاركة في بعض الاوصاف ولانه شبه به في انه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما في ذلك
نظيران ولان الوجود من غير اب وام اغرب واخرق للعادة من الوجود من غير اب فشبه الغريب بالاغرب
ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو اغرب مما استغربه وعن بعض العلماء رحمه الله تعالى
انه اسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له قال فآدم اولى لانه لا ابوين له قالوا كان يحيي الموتى قال
فحزقيل اولى لان عيسى احيا اربعة نفر واحيا حزقيل ثمانية آلاف فقالوا كان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس اولى لانه

طيح واجري ثم قام بها ﴿خلقه﴾ من تراب قدّره جسدا من طين ﴿ثم قال له كن﴾ اي انشأه بشرا كقوله ثم
انشأناه خلقا اخر ﴿فيكون﴾ حكاية حال ماضية ﴿الحق من ربك﴾ خبر مبتدأ محذوف اي هو الحق ﴿فلا تكن﴾
اهل خيبر محمد والطيش ونهيه عن الامتراء وجلّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ان يكون ممتريا من
باب التهييج لزيادة الثبات والطمأنينة وان يكون لطفا لغيره ﴿فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم
فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾
فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم اي من البينات الموجبة للعلم ﴿تعالوا﴾ هلموا والمراد
المجئ بالرأي والعزم كما تقول تعال نفكر في هذه المسألة ﴿ندع ابناءنا وابناءكم﴾ ~~ونساءنا ونساءكم~~ اي يدع
كل مني ومنكم ابناءه ونساءه ونفسه الى المباهلة ﴿ثم نبتهل﴾ ثم نتباهل بان نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم
والبهلة بالفتح والضم اللعنة وبهله الله لعنه وابعده من رحمته من قولك ابهله اذا اهمله وناقة باهل
لا صرار عليها واصل الابتهال هذا ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه وان لم يكن التعانا وروي انه لما دعاهم
الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى فقال
والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل
قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة
على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا
للحسين اخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامّنوا فقال اسقف نجران
يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا
يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيمة فقالوا يا ابا القاسم رأينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك ونثبت
على ديننا قال صلى الله عليه وسلم فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا قال عليه السلام
فاني اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا
على ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة الف في صفر والف في رجب وثلاثين درعا عادية من حديد فصالحهم
على ذلك وقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة
وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤوس الشجر ولما حال
الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وعليه
مرط مرحل من شعر اسود فجاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله ثم فاطمة ثم علي ثم قال انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت ﴿فان قلت﴾ ما كان دعاؤه الى المباهلة الا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه وذلك
امر يختص به وبمن يكاذبه فما معنى ضم الابناء والنساء ﴿قلت﴾ ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه
حيث استجرأ على تعريض اعزته وافلاذ كبده واحب الناس اليه لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته
بكذب خصمه مع احبته واعزته هلاك الاستئصال ان تمت المباهلة وخص الابناء والنساء لانهم اعز الاهل
والصقهم بالقلوب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل ومن ثم كانوا يسوقون مع انفسهم الظعائن
في الحروب لتمنعهم من الهرب ويسمون الذادة عنها باذواحهم حماة الحقائق وقدمهم في الذكر على الانفس لينبه
على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وليؤذن بانهم مقدمون على الانفس مفدون بها وفيه دليل لا شيء اقوى منه على فضل

المرط الكساء والمرحل ... الذي اي المنقش فيه صور الرحال منه

حتى يهلك خصمه

اصحاب الكساء عليهم السلام ودينه برهان واضح على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يرو احد من موافق ولا مخالف
انهم اجابوا الى ذلك **ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم** ان هذا الذي
قص عليك من نبأ عيسى لهو القصص الحق وقرئ بتحريك الهاء على الاصل وبالسكون لان اللام من هو ينزل منزلة
بعضه فخفف كما خفف عضد وهو اما فصل بين اسم ان وخبرها واما مبتدأ والقصص الحق خبره والجملة خبر ان فان
قلت لم جاز دخول اللام على الفصل قلت اذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل اجوز لانه
اقرب الى المبتدأ منه واصلها ان تدخل على المبتدأ ومن في قوله وما من اله الا الله بمنزلة البناء على الفتح في لا اله الا الله في افادة معنى
الاستغراق والمراد الرد على النصارى في تثليثهم فان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم بالعذاب المذكور في قوله
زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون **قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد
الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا
مسلمون** يا اهل الكتاب قيل هم اهل الكتابين وقيل وفد نجران وقيل يهود المدينة سواء بيننا وبينكم
مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيها القرآن والتورية والانجيل وتفسير الكلمة قوله ان لا نعبد الا الله ولا
نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله يعني تعالوا اليها حتى لا نقول عزير ابن الله ولا المسيح
ابن الله لان كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا ولا نطيع احبارنا فيما احدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع
الى ما شرع الله لقوله عز وجل اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا
الا ليعبدوا الها واحدا وعن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال عليه السلام اليس كانوا يحلون
لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال عليه السلام هو ذاك وعن الفضيل لا ابالي اطعت مخلوقا
في معصية الخالق او صليت لغير القبلة وفي كلمة بسكون اللام وقراءة الحسن سواء بالنصب بمعنى استوت
استواء فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فوجب عليكم ان تعترفوا
وتسلموا بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب في جدال او صراع او غيرهما اعترف باني انا الغالب وسلم لي
الغلبة ويجوز ان يكون من باب التعريض ومعناه اشهدوا واعترفوا بانكم كافرون حيث توليتم عن الحق بعد
ظهوره **يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابرهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده افلا تعقلون ها انتم
هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون ما كان ابرهيم يهوديا
ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ان اولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه وهذا النبي
والذين امنوا والله ولي المؤمنين** زعم كل فريق من اليهود والنصارى ان ابراهيم كان منهم وجادلوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فيه فقيل لهم ان اليهودية انما حدثت بعد نزول التورية والنصرانية بعد نزول
الانجيل وبين ابراهيم وموسى الف سنة وبينه وبين عيسى الفان فكيف يكون ابراهيم صلى الله عليه وسلم على دين
لم تحدث الا بعد عهده بازمنة متطاولة افلا تعقلون حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال ها انتم هؤلاء
ها للتنبيه وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة مستأنفة مبينة للجملة الاولى يعني انتم هؤلاء الاشخاص
الحمقى وبيان حماقتكم وقلة عقولكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما نطق به التورية ~~من دين ابراهيم~~ والانجيل فلم تحاجون
فيما ليس لكم به علم ولا ذكر له في كتابكم من دين ابرهيم عليه الصلاة والسلام وعن الاخفش ها انتم على الاستفهام فقلبت
الهمزة هاء ومعنى الاستفهام التعجب من حماقتهم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته والله يعلم علم ما حاججتم

هؤلاء انتم

فيه وانتم جاهلون به ثم اعلمهم بانه بريء من دينكم وما كان الا حنيفا مسلما وما كان من المشركين كما لم يكن منكم او اراد
بالمشركين اليهود والنصارى لاشراكهم به عزيرا والمسيح ان اولى الناس بابرهيم ان اخصهم به واقربهم منه من
الولي وهو القرب للذين اتبعوه في زمانه وبعده وهذا النبي خصوصا والذين امنوا من امته وقرئ وهذا
النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه اي اتبعوه واتبعوا وبالجر عطفا على ابرهيم ودت طائفة من
اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله
وانتم تشهدون يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون وقالت طائفة
من اهل الكتاب امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره لعلهم يرجعون
ودت طائفة من اليهود دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا رضي الله تعالى عنهم الى اليهودية وما يضلون الا
انفسهم وما يعود وبال الاضلال الا عليهم لان العذاب يضاعف لهم بضلالهم واضلالهم او وما يقدرون
على اضلال المسلمين وانما يضلون امثالهم من اشياعهم بايات الله بالتورية والانجيل وكفرهم بها انهم لا يؤمنون
بما نطقت به من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرها وشهادتهم اعترافهم بانها ايات الله او تكفرون
بالقران ودلائل نبوة الرسول وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تكفرون بايات الله جميعا وانتم تعلمون
انها حق وقرئ تلبسون بالتشديد وقرا يحيى بن وثاب تلبسون بفتح الباء اي تلبسون الحق مع الباطل كقوله
كلابس ثوبي زور وقوله اذا هو بالمجد ارتدى وتازرا وجه النهار اوله قال
من كان مسرورا بمقتل مالك فليات نسوتنا بوجه نهار
والمعنى اظهروا الايمان بما انزل اول النهار واكفروا به في اخره لعلهم يشكون في دينهم ويقولون ما رجعوا
وهم اهل كتاب وعلم الا لامر قد تبين لهم فيرجعون برجوعكم تواطا اثنا عشر من احبار يهود خيبر
فقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد اول النهار من غير اعتقاد واكفروا به اخر النهار وقولوا انا نظرنا
في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه وبطلان دينه فاذا فعلتم
ذلك شك اصحابه في دينهم وقيل هذا في شان القبلة لما صرفت الى الكعبة قال كعب بن الاشرف لاصحابه
امنوا بما انزل عليهم من الصلاة الى الكعبة وصلوا اليها في اول النهار ثم اكفروا به في اخره وصلوا الى الصخرة
لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى
احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته
من يشاء والله ذو الفضل العظيم ولا تؤمنوا متعلق بقوله ان يؤتى احد وما بينهما اعتراض اي ولا تظهروا
ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم اراد واسروا تصديقكم بان المسلمين قد اوتوا
من كتب الله مثل ما اوتيتم ولا تفشوه الا الى اشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين
لئلا يدعوهم الى الاسلام او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى والضمير في يحاجوكم لاحد لانه في معنى الجمع
ولا تؤمنوا لغير اتباعكم ان المسلمين يحاجوكم يوم القيمة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة فان قلت فما معنى الاعتراض
قلت معناه ان الهدى هدى الله من شاء ان يلطف به حتى يسلم او يزيد ثباته على الاسلام كان ذلك
ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من
يشاء يريد الهداية والتوفيق او يتم الكلام عند قوله الا لمن تبع دينكم على معنى ولا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر

هذا النبي م

وقيل

وهو

دبو ايمانهم وجه النهار الا لمن تبع دينكم الا لمن كانوا تابعين لدينكم من اسلموا منكم لان رجوعهم كان ارجى عندهم
من رجوع من سواهم ولان اسلامهم كان اغيظ لهم وقوله ان يؤتى معناه لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من فضل
العلم والكتاب دعاكم الى ان قلتم ذلك ودبرتموه لا لشيء آخر يعني ان ما بكم من الحسد والبغي ان يؤتى احد مثل
ما اوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم الى ان قلتم ما قلتم والدليل عليه قراءة ابن كثير أأن يؤتى احد بزيادة
همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ بمعنى ألأن يؤتى احد **فان قلت** فما معنى قوله او يحاجوكم على هذا **قلت**
معناه دبرتم ما دبرتم لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ولما يتصل به عند كفركم به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند
ربكم ويجوز ان يكون هدى الله بدلا من الهدى وان يؤتى احد خبر ان على معنى قل ان هدى الله ان يؤتى احد
مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم فيقرعوا باطلكم بحقهم ويدحضوا حجتكم وقرئ إن يؤتى احد على ان النافية
وهو متصل بكلام اهل الكتاب اي ولا تؤمنوا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم حتى يحاجوكم
عند ربكم يعني ما يؤتون مثله فلا يحاجونكم ويجوز ان ينتصب ان يؤتى بفعل مضمر يدل عليه قوله ولا تؤمنوا الا
لمن تبع دينكم كانه قيل قل ان الهدى هدى الله فلا تنكروا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم لان قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع
دينكم انكار لان يؤتى احد مثل ما اوتوا عن ابن عباس رضي الله عنه ومن اهل الكتاب من
ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بانهم
قالوا ليس علينا في الاميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون من ان تأمنه بقنطار هو عبد الله
بن سلام استودعه رجل من قريش الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداها اليه ومن ان تأمنه بدينار فنحاص بن عازوراء
استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه وقيل المأمونون على الكثير النصارى لغلبة الامانة عليهم والخائنون
في القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على رأسه
متوكلا عليه بالمطالبة والتعنيف او بالرفع الى الحاكم واقامة البينة عليه وقرئ يؤده بكسر الهاء والوصل
وبكسرها بغير وصل وبسكونها وقرأ يحيى بن وثاب تئمنه بكسر التاء ودمت بكسر الدال من دام يدام ذلك
اشارة الى ترك الاداء الذي دل عليه لا يؤده اي تركهم اداء الحقوق بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اي
لا يتطرق علينا عتاب وذم في شأن الاميين يعنون الذين ليسوا من اهل الكتاب وما فعلنا بهم من حبس اموالهم
والاضرار بهم لانهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم ويقولون لم يجعل لهم في كتابنا حرمة وقيل
بايع اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك
في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت
قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر وعن ابن عباس رضي الله عنه انه سأله رجل فقال انا نصيب
في الغزو من اموال اهل الذمة الدجاجة والشاة قال فتقولون ماذا قال نقول ليس علينا في ذلك بأس قال
هذا كما قال اهل الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل انهم اذا ادوا الجزية لم تحل اكل اموالهم الا بطيبة انفسهم ويقولون
على الله الكذب بادعائهم ان ذلك في كتابهم وهم يعلمون انهم كاذبون بلى من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب
المتقين بلى اثبات لما نفوه من السبيل عليهم في الاميين اي بلى عليهم سبيل فيهم وقوله من اوفى بعهده جملة مستأنفة
مقررة للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير في بعهده راجع الى من اوفى على ان كل من وفى بما عاهد عليه واتقى الله
في ترك الخيانة والغدر فان الله يحبه **فان قلت** فهذا عام يخيل انه لو وفى اهل الكتاب بعهودهم وتركوا الخيانة

لأحبه الله قلت اجل لانهم اذا اوفوا بالعهود وفوا اول شي بالعهد الاعظم وهو ما اخذ عليهم في كتابهم من
الايمان برسول مصدق لما معهم ولو اتقوا الله في ترك الخيانة لاتقوه في ترك الكذب على الله وتحريف كلمه ويجوز ان
يرجع الضمير الى الله تعالى على ان كل من وفى بعهد الله واتقاه فان الله يحبه ويدخل في ذلك الايمان وغيره من
الصالحات وما وجب اتقاؤه من الكفر واعمال السوء فان قلت فاين الضمير الراجع من الجزاء الى من قلت
عموم المتقين قام مقام رجوع الضمير وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في عبد الله بن سلام وبحيرا الراهب ونظرائهما
من مسلمة اهل الكتاب ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لاخلاق لهم ولا يكلمهم الله
ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوه عليه من الايمان
بالرسول المصدق لما معهم وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا من الترؤس
والارتشاء ونحو ذلك وقيل نزلت في ابي رافع ولبابة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب حرفوا التورية وبدلوا صفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذوا الرشوة على ذلك وقيل جاءت جماعة من اليهود الى كعب بن الاشرف في سنة اصابتهم
ممتارين فقال لهم هل تعلمون ان هذا الرجل رسول الله قالوا نعم قال لقد هممت ان اميركم واكسوكم فحرمكم الله خيرا
كثيرا فقالوا لعله شبه علينا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا فكتبوا صفة غير صفته ثم رجعوا اليه وقالوا قد غلطنا
وليس هو بالنعت الذي نعت لنا ففرح ومارهم وعن الاشعث بن قيس رضي الله عنه نزلت في كانت بيني وبين
رجل خصومة في بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شاهداك او يمينه فقلت اذن يحلف ولا
يبالي فقال من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان وقيل نزلت في رجل اقام سلعة
في السوق فحلف لقد اعطي بها ما لم يعطه والوجه ان نزولها في اهل الكتاب وقوله بعهد الله يقوي رجوع الضمير
في بعهده الى الله ولا ينظر اليهم مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر الى فلان تريد نفي اعتداده به
واحسانه اليه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم فان قلت اي فرق بين استعماله فيمن يجوز عليه النظر وفيمن لا يجوز عليه
قلت اصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية لان من اعتد بالانسان التفت اليه واعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة
عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثم نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه
فيمن يجوز عليه النظر وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو
من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون لفريقا هم كعب بن الاشرف ومالك بن
الصيف وحيي بن اخطب وغيرهم يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف وقرا اهل المدينة يلوون
بالتشديد كقوله تعالى لووا رؤوسهم وعن مجاهد وابن كثير يلون ووجهه انهما قلبا الواو المضمومة همزة ثم خففوها
بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها فان قلت الام يرجع الضمير في لتحسبوه قلت الى ما دل عليه يلوون السنتهم
بالكتاب وهو المحرف ويجوز ان يراد يعطفون السنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب وقرئ ليحسبوه بالياء
بمعنى يفعلون ذلك ليحسبه المسلمون من الكتاب ويقولون هو من عند الله تاكيد لقوله هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم
وتسجيل بالكذب ودلالة على انهم لا يعرضون ولا يورون وانما يصرحون بانه في التورية هكذا وقد انزله الله على
موسى كذلك لفرط جراتهم على الله وقساوة قلوبهم ويأسهم من الاخرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود الذين قدموا
على كعب بن الاشرف غيروا التورية وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذت قريظة ما كتبوه
فخلطوه بالكتاب الذي عندهم ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من

دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ما كان لبشر تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى عليه السلام
وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد من نصارى نجران قالا لرسول الله اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان
ان نعبد غير الله وان نامر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله
نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا
الحق لاهله والحكم والحكمة وهي السنة ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا والرباني منسوب الى الرب بزيادة
الالف والنون كما يقال رقباني ولحياني وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته وعن محمد بن الحنفية رضي الله عنه انه قال حين مات
ابن عباس رضي الله عنهما اليوم مات رباني هذه الامة وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء وقيل علماء معلمين وكانوا يقولون
الشارع الرباني العالم العامل المعلم بما كنتم بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين للعلم اوجب ان تكون الربانية
التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة وكفى به دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه وكد روحه في جمع
العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل فكان مثله مثل من غرس شجرة حسناء تونقه وتدرسون على ان ادرس بمعنى درس
كاكرم وكرم وانزل ونزل وتدرسون من التدريس تدرسون تقرؤن وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون
على ان ادرس بمعنى درس ويجوز ان يكون معناه ومعنى تدرسون بالتخفيف تدرسونه على الناس كقوله تعالى لتقرأه
على الناس فيكون معناهما معنى تدرسون من التدريس وفيه ان من علم ودرس العلم ولم يعمل به فليس من الله في شيء وان
السبب بينه وبين ربه منقطع حيث لم تثبت النسبة اليه الا للمتمسكين بطاعته ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين
اربابا ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون قرئ ولا يامركم بالنصب عطفا على ثم يقول وفيه وجهان احدهما ان تجعل
لا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر ان يستنبئه الله وينصبه للدعاء الى اختصاص الله
وترك الانداد ثم يامر الناس بان يكونوا عبادا له ويامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا كما تقول ما كان لزيد ان
اكرمه ثم يهينني ويستخف بي والثاني ان تجعل لا غير مزيدة والمعنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى
قريشا عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح فلما قالوا له انتخذك ربا قيل لهم ما كان لبشر ان
يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة والانبياء والقراءة بالرفع على ابتداء الكلام اظهر وينصرها قراءة
عبد الله ولن يامركم والضمير في ولا يامركم وايامركم للبشر وقيل لله والهمزة في ايامركم للانكار وبعد اذ انتم مسلمون
دليل على ان المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استاذنوه ان يسجدوا له واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم
من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال اأقررتم واخذتم على ذلكم اصري
قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين ميثاق النبيين فيه غير وجه احدها ان يكون على ظاهره
من اخذ الميثاق على النبيين بذلك والثاني ان يضيف الميثاق الى النبيين اضافته الى الموثق لا الى الموثق عليه كما تقول ميثاق
الله وعهد الله كانه قيل واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم والثالث ان يراد ميثاق اولاد النبيين
وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف والرابع ان يراد اهل الكتاب وان يرد على زعمهم تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من
محمد لانا اهل الكتاب ومنا كان النبيون ويدل عليه قراءة ابي وابن مسعود رضي الله عنهما واذ اخذ الله ميثاق الذين
اوتوا الكتاب واللام في لما اتيتكم لام التوطئة لان اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وفي لتؤمنن به لام جواب
القسم وما يحتمل ان تكون المتضمنة لمعنى الشرط ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا وان تكون موصولة
بمعنى للذي اتيتكموه لتؤمنن به وقرئ لما اتيناكم وقرأ حمزة لما اتيتكم بكسر اللام ومعناه لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب

والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به لرسوله ولتنصرنه لاجل اني اتيتكم الحكمة وان الرسول الذي امركم بالايمان
به ونصرته موافق لكم غير مخالف للتعليل على معنى اخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ويجوز ان تكون ما موصولة فان
قلت كيف يجوز ذلك والعطف على آتيتكم وهو قوله ثم جاءكم لا يجوز ان يدخل تحت حكم الصلة لانك لا تقول
للذي جاءكم رسول مصدق لما معكم قلت بلى لان ما معكم في معنى ما آتيتكم فكانه قيل للذي آتيتكموه وجاءكم رسول
مصدق له وقرأ سعيد بن جبير لما بالتشديد بمعنى حين آتيتكم بعض الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له وجب
عليكم الايمان به ونصرته وقيل اصله لمن ما فاستثقلوا اجتماع ثلث ميمات وهي الميمان والنون المنقلبة ميما بادغامها في
الميم فحذفوا احديها فصارت لما ومعناه لمن اجل ما آتيتكم لتؤمنن به وهذا نحو من قراءة حمزة في المعنى اصري عهدي
وقرئ اصري بالضم وسمي اصرا لانه مما يؤصر اي يشد ويعقد ومنه الاصار الذي يعقد به ويجوز ان يكون المضموم
لغة في اصر كعبر وعبر وان يكون جمع اصار فاشهدوا فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وانا على ذلكم من اقراركم
وتشاهدكم من الشاهدين وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع اذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل
الخطاب للملائكة فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون افغير دين الله يبغون وله اسلم من في السموات والارض
طوعا وكرها واليه يرجعون فمن تولى بعد ذلك الميثاق والتوكيد فاولئك هم الفاسقون اي المتمردون من الكفار
دخلت همزة الانكار على الفاء العاطفة جملة على جملة والمعنى فاولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت
الهمزة بينهما ويجوز ان يعطف على محذوف تقديره أيتولون فغير دين الله يبغون وقدم المفعول الذي هو غير دين الله
على فعله لانه اهم من حيث ان الانكار الذي هو معنى الهمزة متوجه الى المعبود بالباطل وروي ان اهل الكتاب اختصموا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا فيه من دين ابرهيم عليه الصلاة والسلام وكل واحد من الفريقين ادعى انه اولى به
فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بريء من دين ابراهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا ناخذ بدينك فنزلت وقرئ
يبغون بالياء وترجعون بالتاء وهي قراءة ابي عمرو لان الباغين هم المتولون والراجعون جميع الناس وقرئا بالياء معا وبالتاء
معا طوعا بالنظر في الادلة والانصاف من نفسه وكرها بالسيف او بمعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل على بني اسرائيل وادراك
الغرق فرعون والاشفاء على الموت فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وانتصب طوعا وكرها على الحال بمعنى طائعين ومكرهين
امر رسول الله بان يخبر عن نفسه وعمن معه بالايمان فلذلك وحد الضمير في قل وجمع في آمنا ويجوز ان يؤمر بان
يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك اجلالا من الله لقدر نبيه قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابرهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون
فان قلت لم عدي انزل في هذه الآية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها بحرف الانتهاء قلت لوجود المعنيين
جميعا لان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل فجاء تارة باحد المعنيين واخرى بالآخر ومن قال انما قيل
علينا لقوله قل والينا لقوله قولوا تفرقة بين الرسول والمؤمنين لان الرسول يأتيه الوحي على طريق الاستعلاء
ويأتيهم على وجه الانتهاء فقد تعسف الا ترى الى قوله تعالى بما انزل اليك وانزلنا اليك الكتاب والى قوله
آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا ونحن له مسلمون موحدون مخلصون انفسنا له لا نجعل له شريكا في عبادتها
ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ثم قال ومن يبتغ غير الاسلام يعني التوحيد
واسلام الوجه لله دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين من الذين وقعوا في الخسران مطلقا من غير تقييد للشياع
وقرئ ومن يبتغ غير الاسلام دينا بالادغام كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول

على ان ما مصدرية والفعلان معها اعني آتيناكم
وجاءكم في معنى المصدرين واللام داخلة للتعليل
على معنى اخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول

حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين كيف يهدي الله قوما كيف يلطف بهم وليسوا من أهل اللطف
لما علم الله من تصميمهم على كفرهم ودل على تصميمهم بأنهم كفروا بعد إيمانهم وبعد ما شهدوا بأن الرسول حق وبعد ما جاءتهم
الشواهد من القرآن وسائر المعجزات التي تثبت بمثلها النبوة وهم اليهود كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد أن كانوا
مؤمنين به وذلك حين عاينوا ما يوجب قوة إيمانهم من البينات وقيل نزلت في رهط كانوا أسلموا ثم رجعوا عن الإسلام
ولحقوا بمكة منهم طعمة بن أبيرق ووحوح بن الأسلت والحارث بن سويد بن الصامت فإن قلت علام عطف
قوله وشهدوا قلت فيه وجهان أن يعطف على ما في إيمانهم من معنى الفعل لأن معناه بعد أن آمنوا كقوله فأصدق
وأكن وقول الشاعر ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب وأن تكون الواو
للحال بإضمار قد بمعنى كفروا وقد شهدوا أن الرسول حق والله لا يهدي لا يلطف بالقوم الظالمين المعاندين الذين علم
أن اللطف لا ينفعهم أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم
العذاب ولا هم ينظرون إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم إلا الذين تابوا من
بعد ذلك الكفر العظيم والارتداد وأصلحوا ما أفسدوا أو دخلوا في الصلاح وقيل نزلت في الحارث بن سويد
حين ندم على ردته وأرسل إلى قومه أن سلوا هل لي من توبة فأرسل إليه أخوه الجلاس بالآية فأقبل إلى المدينة فتاب
وقبل رسول الله عليه الصلاة والسلام توبته إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم
وأولئك هم الضالون إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به
أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين ثم ازدادوا كفرا هم اليهود كفروا بعيسى والإنجيل بعد إيمانهم بموسى والتوراة
ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد والقرآن أو كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما كانوا به مؤمنين قبل مبعثه ثم ازدادوا
كفرا بإصرارهم على ذلك وطعنهم فيه في كل وقت وعداوتهم له ونقضهم ميثاقه وفتنتهم للمؤمنين وصدهم عن الإيمان به
وسخريتهم بكل آية تنزل وقيل نزلت في الذين ارتدوا بمكة ولحقوا بمكة وازديادهم الكفر أن قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب
المنون وإن أردنا الرجعة نافقنا بإظهار التوبة فإن قلت قد علم أن المرتد كيفما ازداد كفرا فإنه مقبول التوبة
إذا تاب فما معنى لن تقبل توبتهم قلت جعلت عبارة عن الموت على الكفر لأن الذي لا تقبل توبته من الكفار هو الذي
يموت على الكفر كأنه قيل إن اليهود والمرتدين الذين فعلوا ما فعلوا مائتون على الكفر داخلون في جملة من لا تقبل توبتهم
فإن قلت فلم قيل في إحدى الآيتين لن تقبل بغير فاء وفي الأخرى فلن يقبل قلت قد أوذن بالفاء أن
الكلام بني على الشرط والجزاء وأن سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر وبترك الفاء أن الكلام مبتدأ
وخبر ولا دليل فيه على التسبب كما تقول الذي جاءني له درهم لم تجعل المجيء سببا في استحقاق الدرهم بخلاف قولك فله درهم
فإن قلت فحين كان معنى لن تقبل توبتهم بمعنى الموت على الكفر فهلا جعل الموت على الكفر مسببا عن ارتدادهم
وازديادهم الكفر لما في ذلك من قساوة القلوب وركوب الرين وجره إلى الموت على الكفر قلت
لأنه كم من مرتد مزداد للكفر يرجع إلى الإسلام ولا يموت على الكفر فإن قلت فأي فائدة في هذه الكناية أعني أن
كني عن الموت على الكفر بامتناع قبول التوبة قلت الفائدة فيها جليلة وهي التغليظ في شأن أولئك الفريق من الكفار
وإبراز حالهم في صورة حالة الآيسين من الرحمة التي هي أغلظ الأحوال وأشدها ألا ترى أن الموت على الكفر إنما يخاف
من أجل اليأس من الرحمة ذهبا نصب على التمييز وقرأ الأعمش ذهب بالرفع ردا على ملء كما يقال عندي عشرون
نفسا رجاله قلت كيف موقع قوله ولو افتدى به قلت هو كلام محمول على المعنى كأنه قيل فلن تقبل

من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا ويجوز ان يراد ولو افتدى بمثله لقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض
جميعا ومثله معه والمثل يحذف كثيرا في كلامهم كقولك ضربت ضرب زيد تريد مثل ضربه وابو يوسف ابو حنيفة تريد مثله
ولا هيثم الليلة للمطي وقضية ولا ابا حسن لها تريد ولا مثل هيثم ولا مثل ابي حسن كما انه يراد في نحو قولهم
مثلك لا يفعل كذا تريد انت وذلك ان المثلين يسد احدهما مسد الاخر فكانا في حكم شيء واحد وان يراد فلن يقبل من
احدهم ملء الارض ذهبا كان قد تصدق به ولو افتدى به ايضا لم يقبل منه وقرئ فلن يقبل من احدهم ملء الارض على البناء
للفاعل وهو الله عز وجل ونصب ملء وقيل لارض بتخفيف الهمزتين لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا
من شيء فان الله به عليم لن تنالوا البر لن تبلغوا حقيقة البر ولن تكونوا ابرارا وقيل لن تنالوا بر الله وهو ثوابه حتى تنفقوا
مما تحبون حتى تكون نفقتكم من اموالكم التي تحبونها وتؤثرونها كقوله عز وجل انفقوا من طيبات ما كسبتم وكان السلف
رحمة الله عليهم اذا احبوا شيئا جعلوه لله وروي انها لما نزلت جاء ابو طلحة رضي الله عنه فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي
بيرحى فضعها يا رسول الله حيث اراك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال رابح او مال رايح واني ارى ان
تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها في اقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله
فحمل عليها رسول الله عليه الصلاة والسلام اسامة بن زيد رضي الله عنه فكأن زيدا وجد في نفسه وقال انما اردت ان اتصدق
به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان الله تعالى قد قبلها منك وكتب عمر رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري رضي الله
عنه ان يبتاع له جارية من سبي جلولا يوم فتحت مدائن كسرى فلما جاءت اعجبته فقال ان الله يقول لن تنالوا البر حتى
تنفقوا مما تحبون فاعتقها ونزل بابي ذر رضي الله عنه ضيف فقال للراعي ائتني بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة فقال خنتني
قال وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ان يوم حاجتي اليه ليوم اوضع في حفرتي وقرأ عبد الله
حتى تنفقوا بعض ما تحبون وهذا دليل على ان من في مما تحبون للتبعيض ونحوه اخذت من المال ومن في من شيء للتبيين
ما تنفقوا اي من اي شيء كان طيب تحبونه او خبيث تكرهونه فان الله عليم بكل شيء تنفقونه فمجازيكم بحسبه كل الطعام
كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين
فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون كل الطعام كل المطعومات او كل انواع الطعام
والحل مصدر يقال حل الشيء حلا كقولك ذلت الدابة ذلا وعز الرجل عزا وفي حديث عايشة رضي الله عنها كنت اطيبه
لحله وحرمه ولذلك استوى في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال الله تعالى لا هن حل لهم والذي
حرم اسرائيل وهو يعقوب عليه السلام على نفسه لحوم الابل والبانها وقيل العروق كان به عرق النسا فنذر ان شفي ان يحرم
على نفسه احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه فحرمه وقيل اشارت عليه الاطباء باجتنابه ففعل وذلك باذن
من الله فهو كتحريم الله ابتداء والمعنى ان المطاعم كلها لم تزل حلالا لبني اسرائيل من قبل انزال التورية وتحريم ما حرم عليهم
منها لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها شيء قبل ذلك غير المطعوم الواحد الذي حرمه ابوهم اسرائيل على نفسه فتبعوه على تحريمه
وهو رد على اليهود وتكذيب لهم حيث ارادوا براءة ساحتهم مما نعى عليهم في قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا
حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الى قوله تعالى عذابا اليما وفي قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم
حرمنا عليهم شحومهما الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم وجحود ما غاظهم واشمأزوا منه وامتعضوا مما نطق به
القرآن من تحريم الطيبات عليهم لبغيهم وظلمهم فقالوا لسنا باول من حرمت عليه وما هو الا تحريم قديم كانت محرمة
على نوح وابرهيم عليهما الصلاة والسلام ومن بعدهما من بني اسرائيل وهلم جرا الى ان انتهى التحريم الينا فحرمت علينا كما حرمت

بلغ المقابلة

على من قبلنا وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم بالبغي والظلم والصد عن سبيل الله واكل الربوا واخذ اموال الناس بالباطل وما عدد من مساويهم التي كلما ارتكبوا منها كبيرة حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم قل فأتوا بالتورية فاتلوها امر بان يحاجهم بكتابهم ويبكتهم بما هو ناطق به من ان تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما يدعونه • فروي انهم لم يجسروا على اخراج التورية وبهتوا وانقلبوا صاغرين • وفي ذلك الحجة البينة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه فمن افترى على الله الكذب بزعمه ان ذلك كان محرما على بني اسرائيل قبل انزال التورية من بعد ما لزمهم من الحجة القاطعة فاولئك هم الظالمون المكابرون الذين لا ينصفون من انفسهم ولا يلتفتون الى البينات قل صدق الله فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين قل صدق الله تعريض بكذبهم كقوله تعالى ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وهي ملة الاسلام التي عليها محمد صلى الله عليه وسلم ومن آمن معه حتى تتخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم الى تحريف كتاب الله لتسوية اغراضكم والزمتكم تحريم الطيبات التي احلها الله لابرهيم عليه الصلاة والسلام ولمن تبعه ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابرهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين وضع للناس صفة لبيت والواضع هو الله عز وجل تدل عليه قراءة من قرأ وضع للناس بتسمية الفاعل وهو الله ومعنى وضع الله بيتا للناس انه جعله متعبدا لهم فكأنه قال ان اول متعبد للناس الكعبة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن اول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما قال اربعون سنة • وعن علي رضي الله عنه ان رجلا قال له اهو اول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة • واول من بناه ابرهيم • ثم بناه قوم من العرب من جرهم ثم هدم فبنته العمالقة ثم هدم فبناه قريش • وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو اول بيت حج بعد الطوفان وقيل هو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والارض • خلقه قبل الارض بالفي عام وكان زبدة بيضاء على الماء فدحيت الارض تحته وقيل هو اول بيت بناه آدم في الارض وقيل لما اهبط آدم قالت له الملائكة طف حول هذا البيت فلقد طفنا قبلك بالفي عام • وكان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح فرفع في الطوفان الى السماء الرابعة تطوف به ملائكة السموات للذي ببكة للبيت الذي ببكة • وهي علم للبلد الحرام • ومكة وبكة • لغتان فيه نحو قولهم النبيط والنميط • في اسم موضع بالدهناء ونحو من الاعتقاب امر راتب وراتم • وحمى مغمطة ومغبطة • وقيل مكة البلد • وبكة موضع المسجد • وقيل اشتقاقها من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيها • وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضا الرجال والنساء • يصلي بعضهم بين يدي بعض لا يصلح ذلك الا بمكة كأنها سميت ببكة وهي الزحمة قال الشاعر •

• اذا الشريب اخذته اكه • فخله حتى يبك بكه •

وقيل تبك اعناق الجبابرة اي تدقها لم يقصدها جبار الا قصمه الله مباركا كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وانتصابه على الحال من المستكن في الظرف لان التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه المقدر في الظرف من فعل الاستقرار وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم مقام ابرهيم عطف بيان لقوله آيات بينات فان قلت كيف صح بيان الجماعة بالواحد قلت فيه وجهان احدهما ان يجعل وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شانه وقوة دلالته على قدرة الله ونبوة ابرهيم عليه الصلاة والسلام من تأثير قدمه في حجر صلد

كقوله تعالى ان ابراهيم كان امة والثاني اشتماله على ايات لان اثر القدم في الصخرة الصماء اية وغوصه فيها الى الكعبين
اية والانة بعض الصخرة دون بعض اية وابقاؤه دون سائر ايات الانبياء عليهم الصلاة والسلام اية لابراهيم خاصة
وحفظه مع كثرة اعدائه من المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوف سنة اية ويجوز ان يراد فيه ايات بينات مقام
ابراهيم وامن من دخله لان الاثنين نوع من الجمع كالثلثة والاربعة ويجوز ان تذكر هاتان الايتان ويطوى ذكر
غيرهما دلالة على تكاثر الايات كانه قيل فيه ايات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله وكثير سواهما ونحوه في طي الذكر
قول جرير • كانت حنيفة اثلاثا • فثلثهم من العبيد • وثلث من مواليها •
ومنه قوله عليه افضل الصلاة والسلام حبب الي من دنياكم ثلث • الطيب • والنساء • وقرة عيني في الصلاة • وقراءة
ابن عباس وابي ومجاهد وابو جعفر المدني في رواية قتيبة اية بينة على التوحيد وفيها دليل على ان مقام ابراهيم واقع
وحده عطف بيان فان قلت كيف اجزت ان يكون مقام ابراهيم والامن عطف بيان للايات وقوله ومن دخله
كان امنا جملة مستانفة اما ابتدائية واما شرطية قلت اجزت ذلك من حيث المعنى لان قوله ومن دخله كان
امنا دل على امن داخله فكانه قيل فيه ايات بينات مقام ابراهيم وامن داخله الا ترى انك لو قلت فيه اية بينة من دخله
كان امنا صح لانه في معنى قولك فيه اية بينة امن من دخله فان قلت كيف كان سبب هذا الاثر قلت فيه قولان
احدهما انه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف ابراهيم عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه جاء زائرا
من الشام الى مكة فقالت له امراة اسمعيل عليه الصلاة والسلام انزل حتى تغسل راسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته
على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق راسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الاخر فبقي اثر قدميه
عليه ومعنى ومن دخله كان امنا معنى قوله اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة
ابراهيم عليه الصلاة والسلام رب اجعل هذا البلد امنا • وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجا الى الحرم لم يطلب
وعن عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه • وعن ابي حنيفة رحمه الله عليه من لزمه القتل
في الحل بقصاص او ردة او زنا فالتجا الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر
الى الخروج • وقيل امنا من النار • وعن النبي صلى الله عليه وسلم من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة امنا
وعنه عليه الصلاة والسلام الحجون والبقيع ~~وليس بالوحيد مقبرة فقال يبعث الله منها مقبرتا مكة والمدينة~~ • وعن ابن مسعود
رضي الله تعالى عنه وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة
ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا
وجوههم كالقمر ليلة البدر • وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم
مسيرة مائتي عام من استطاع بدل من الناس • وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وكذا عن
ابن عباس رضي الله عنهما وابن عمر وعليه اكثر العلماء وعن ابن الزبير هو على قدر القوة ومذهب مالك رضي الله عنه
ان الرجل اذا وثق بقوته لزمه • وعنه ذلك على قدر الطاقة • وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على
السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة له ولا زاد وعن الضحاك اذا قدر ان يوجر نفسه فهو مستطيع وقيل له في ذلك
فقال ان كان لبعضهم ميراث بمكة اكان يتركه بل كان ينطلق اليه ولو حبوا فكذلك يجب عليه الحج والضمير في اليه
للبيت او للحج وكل ما اتى الى الشيء فهو سبيل اليه وفي هذا الكلام انواع من التاكيد والتشديد منها قوله تعالى
ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وفيه ضربان من التاكيد احدهما ان الابدال تثنية للمراد وتكرير له

يؤخذ باطرافهما وينثران في الجنة ح

يعني انه حق واجب لله في رقاب الناس لا ينفكون عن ادائه والخروج من عهدته ومنها انه ذكر الناس ثم ابدل عنه ح

والثاني

والثاني ان الايضاح ~~الايضاح~~ بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال ايراد في صورتين مختلفتين • ومنها قوله ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا • ونحوه من التغليظ من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر • ومنها ذكر الاستغناء عنه وذلك مما يدل على المقت والسخط والخذلان ومنها قوله على العالمين • وان لم يقل عنه وما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان لانه اذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة • ولانه يدل على الاستغناء الكامل فكان ادل على عظم السخط الذي وقع عبارة عنه وعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه نزلت في اليهود فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب وروي انه لما نزل قوله ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله عليه الصلاة والسلام اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فامنت به ملة واحدة وهم المسلمون • وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر وعن النبي صلى الله عليه وسلم حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة وروي حجوا قبل ان لا تحجوا قبل ان يمنع البر جانبه • وعن ابن مسعود رضي الله عنه حجوا هذا البيت قبل ان تنبت في البادية شجرة لا ياكل منها دابة الا نفقت • وعن عمر رضي الله عنه لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا ويروى حج البيت بالنشر قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله والله شهيد على ما تعملون قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من امن تبغونها عوجا وانتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين والله شهيد الواو للحال والمعنى لم تكفرون بايات الله التي دلتكم على صدق محمد صلى الله عليه وسلم والحال ان الله شهيد على اعمالكم فمجازيكم عليها وهذه الحال توجب ان لا تجسروا على الكفر باياته قرأ الحسن تصدون من اصده عن سبيل الله عن دين حق علم انه سبيل الله التي امر بسلوكها وهو الاسلام وكانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم وقيل اتت اليهود الاوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا لمثله • تبغونها عوجا تطلبون لها اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة فان قلت كيف تبغونها عوجا وهو محال قلت فيه معنيان احدهما انكم تلبسون على الناس حتى توهموهم ان فيها عوجا بقولكم ان شريعة موسى لا تنسخ وبتغييركم صفة رسول الله عليه الصلاة والسلام عن وجهها ونحو ذلك والثاني انكم تتعبون انفسكم في اخفاء الحق وابتغاء ما لا يتأتى لكم من وجود العوج فيما هو اقوم من كل مستقيم • وانتم شهداء انها سبيل الله التي لا يصد عنها الا ضال مضل او وانتم شهداء بين اهل دينكم عدول يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في عظائم امورهم وهم الاحبار • وما الله بغافل عما تعملون وعيد ومحل تبغونها نصب على الحال قيل مر شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من الانصار من الاوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون فغاظه ذلك حيث تالفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه من الاشعار وكان يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج • وكان الظفر فيه للاوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين والانصار • فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله عليه الصلاة والسلام فما كان يوم اقبح اولا واحسن اخرا من ذلك اليوم والله اعلم

اي يتعذر عليكم قطع البر الى مكة اما لعدم الامن او العجز

النفوق موت الدابة يقال نفقت الدابة تنفق نفوقا ماتت

وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم يا ايها الذين
آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون وكيف تكفرون معنى الاستفهام فيه الانكار والتعجب والمعنى
من اين يتطرق اليكم الكفر والحال ان آيات الله وهي القرآن المعجز تتلى عليكم على لسان الرسول غضة طرية وبين اظهركم
رسول الله عليه الصلاة والسلام ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه ويجوز ان يكون حثا
لهم على الالتجاء اليه في دفع شرور الكفار ومكايدهم فقد هدي فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول اذا جئت
فلانا فقد افلحت كان الهدى قد حصل فهو مخبر عنه حاصلا. ومعنى التوقع في قد ظاهر لان المعتصم بالله متوقع للهدى
كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده حق تقاته واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم
ونحوه فاتقوا الله ما استطعتم يريد بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئا. وعن عبد الله هو ان يطاع
فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وروي مرفوعا. وقيل هو ان لا يأخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط
ولو على نفسه او ابنه او ابيه. وقيل لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد
ولا تموتن معناه ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت كما تقول لمن تستعين به على لقاء العدو
لا تأتني الا وانت على حصان فلا تنهاه عن الاتيان ولكنك تنهاه عن خلاف الحال التي شرطت عليه في وقت الاتيان
واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا
وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون قولهم اعتصمت بحبله
يجوز ان يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بحمايته بامتساك المتدلي من مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه وان يكون
الحبل استعارة لعهده والاعتصام لوثوقه بالعهد او ترشيحا لاستعارة الحبل بما يناسبه والمعنى واجتمعوا على استعانتكم
بالله ووثوقكم به ولا تفرقوا عنه او اجتمعوا على التمسك بعهده الى عباده وهو الايمان والطاعة او بكتابه لقول النبي صلى الله عليه وسلم
القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي
الى صراط مستقيم ولا تفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى او كما كنتم متفرقين في الجاهلية
متدابرين يعادي بعضكم بعضا ويحاربه او ولا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع والالفة التي انتم عليها
مما يأباه جامعكم والمؤلف بينكم وهو اتباع الحق والتمسك بالاسلام كانوا في الجاهلية بينهم الاحن والعداوات والحروب المتواصلة
فالف الله بين قلوبهم بالاسلام وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا وصاروا اخوانا متراحمين متناصحين مجتمعين على امر
واحد قد نظم بينهم وازال الاختلاف وهو الاخوة في الله. وقيل هم الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام فوقعت بينهما العداوة
وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة الى ان اطفأ الله ذلك بالاسلام والف بينهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وكنتم
على شفا حفرة من النار وكنتم مشفين على ان تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر فانقذكم منها بالاسلام والضمير
للحفرة او للنار او للشفا وانما انث لاضافته الى الحفرة وهو منها كما قال كما شرقت صدر القناة من الدم
وشفا الحفرة وشفتها حرفها بالتذكير والتأنيث ولامها واو الا انها في المذكر مقلوبة وفي المؤنث محذوفة ونحو الشفا
والشفة الجانب والجانبة فان قلت كيف جعلوا على حرف حفرة من النار قلت لو ماتوا على ما كانوا عليه وقعوا
في النار فمثلت حياتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار بالقعود على حرفها مشفين على الوقوع فيها كذلك مثل ذلك
البيان البليغ يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ارادة ان تزدادوا هدى ولتكن منكم امة يدعون
الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون ولتكن منكم امة من للتبعيض لان الامر بالمعروف

الم

ولا تفرقوا م

والنهي

والنهي عن المنكر من فروض الكفايات ولانه لا يصلح له الا من علم المعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الامر في اقامته وكيف يباشر
فان الجاهل ربما نهى عن معروف وامر بمنكر وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ
في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده انكاره الا تماديا او على من الانكار عليه عبث كالانكار على اصحاب المآصر والجلادين
واضرابهم وقيل من للتبيين بمعنى وكونوا امة تامرون كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف
واولئك هم المفلحون هم الاخصاء بالفلاح دون غيرهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر من خير الناس قال آمرهم بالمعروف
وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم وعنه صلى الله عليه وسلم من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة
رسوله وخليفة كتابه وعن علي رضي الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب لله
غضب الله له وعن حذيفة رضي الله عنه يأتي على الناس زمان تكون فيهم جيفة الحمار احب اليهم من مؤمن يامرهم بالمعروف
وينهاهم عن المنكر وعن سفيان الثوري كان الرجل محببا في جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن والامر بالمعروف
تابع للمامور به ان كان واجبا فواجب وان كان ندبا فندب واما النهي عن المنكر فواجب كله لان جميع المنكر تركه واجب
لاتصافه بالقبح فان قلت ما طريق الوجوب قلت قد اختلف فيه الشيخان فعند ابي علي السمع والعقل وعند
ابي هاشم السمع وحده فان قلت ما شرائط النهي قلت ان يعلم الناهي ان ما ينكره قبيح لانه اذا لم يعلم لم يأمن ان ينكر الحسن
وان لا يكون ما ينهى عنه واقعا لان الواقع لا يحسن الذم عليه والنهي عن امثاله وان لا يغلب على ظنه ان المنهي يزيد في النهي عنه وانما يحسن صح
منكراته وان لا يغلب على ظنه ان نهيه لا يؤثر لانه عبث فان قلت فما شروط الوجوب قلت ان يغلب
على ظنه وقوع المعصية نحو ان يرى الشارب قد تهيأ لشرب الخمر باعداد آلاته وان لا يغلب على ظنه انه ان انكر لحقته
مضرة عظيمة فان قلت كيف يباشر الانكار قلت يبتدئ بالسهل فان لم ينفع ترقى الى الصعب لان الغرض
كف المنكر قال الله تعالى فاصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا فان قلت فمن يباشره قلت كل مسلم تمكن
منه واختص بشرائطه وقد اجمعوا ان من رأى غيره تاركا للصلاة وجب عليه الانكار لانه معلوم قبحه لكل احد واما
الانكار الذي بالقتال فالامام وخلفاؤه اولى لانهم اعلم بالسياسة ومعهم عدتها فان قلت فمن يؤمر وينهى قلت
كل مكلف وغير المكلف صح اذا هم بضرر غيره منع كالصبيان والمجانين وينهى الصبيان عن المحرمات حتى لا يتعودوها كما يؤخذون بالصلاة
ليمرنوا عليها فان قلت هل يجب على مرتكب المنكر ان ينهى عما يرتكبه قلت نعم يجب عليه لان تركه ارتكابه
وانكاره واجبان عليه فبتركه احد الواجبين لا يسقط عنه الواجب الآخر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوه
وعن الحسن انه سمع مطرف بن عبد الله يقول لا اقول ما لا افعل فقال واينا يفعل ما يقول ود الشيطان لو ظفر
بهذه منكم فلا يأمر احد بمعروف ولا ينهى عن منكر فان قلت كيف قيل يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف قلت
الدعاء الى الخير عام في التكاليف من الافعال والتروك والامر بالمعروف والنهي عن المنكر خاص فجيء بالعام ثم عطف عليه
الخاص ايذانا بفضله كقوله تعالى والصلاة الوسطى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم
البينات واولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم
بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون
كالذين تفرقوا واختلفوا وهم اليهود والنصارى من بعد ما جاءهم البينات الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهي كلمة الحق
وقيل هم مبتدعوا هذه الامة وهم المشبهة والمجبرة والحشوية واشباههم يوم تبيض وجوه نصب بالظرف وهو لهم
او باضمار اذكروا وقرئ تبيض وتسود بكسر حرف المضارعة وتبياض وتسواد والبياض من النور والسواد من الظلمة

فمن كان من اهل نور الحق وُسم ببياض اللون واسفاره واشراقه وابيضت صحيفته واشرقت وسعى النور بين يديه وبيمينه
ومن كان من ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكسوفه وكمده واسودت صحيفته واظلمت واحاطت به الظلمة من كل جانب
نعوذ بالله وبسعة رحمته من ظلمات الباطل ومن اهله اكفرتم فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجب من حالهم والظاهر انهم
اهل الكتاب وكفرهم بعد الايمان تكذيبهم برسول الله عليه الصلاة والسلام بعد اعترافهم به قبل مجيئه وعن عطا تبيض
وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه بني قريظة والنضير وقيل هم المرتدون وقيل اهل البدع والاهواء وعن ابي امامة
رضي الله عنه هم الخوارج ولما رآهم على درج دمشق دمعت عيناه ابي امامة ثم قال كلاب النار هؤلاء شر قتلى تحت اديم
السماء الذين [illegible]هم هؤلاء فقال له ابو غالب اشي تقوله برايك ام شي سمعته من رسول الله عليه الصلاة والسلام قال بل سمعته من
رسول الله غير مرة قال فما شانك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا ثم قرا هذه الآية ثم اخذ بيده
فقال ان بارض منهم لكثيرا فاعاذك الله منهم وقيل هم جميع الكفار لاعراضهم عما اوجبه الاقرار حين اشهدهم على انفسهم
الست بربكم قالوا بلى ففي رحمة الله ففي نعمته وهي الثواب المخلد فان قلت كيف موقع قوله هم فيها خالدون بعد قوله
ففي رحمة الله قلت موقع الاستيناف كانه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون
تلك آيات الله نتلوها عليك وما الله يريد ظلما للعالمين ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور
تلك آيات الله الواردة في الوعد والوعيد نتلوها عليك ملتبسة بالحق والعدل من جزاء المحسن والمسي بما يستوجبانه
وما الله يريد ظلما فياخذ احدا بغير جرم او يزيد في عقاب مجرم او ينقص من ثواب محسن ونكر ظلما وقال للعالمين
على معنى ما يريد شيئا من الظلم لاحد من خلقه فسبحان من يحلم عمن يصفه بارادة القبائح والرضا بها من هنا تفسير للآية
الثالثة كان عبارة عن وجود الشي في زمان ماض على سبيل الابهام وليس فيه دليل على عدم سابق ولا انقطاع طارئ
ومنه قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما ومنه قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون
كنتم خير امة كانه قيل وجدتم خير امة وقيل كنتم في علم الله خير امة وقيل كنتم في الامم قبلكم مذكورين بانكم خير امة
موصوفين به اخرجت اظهرت وقوله تامرون كلام مستانف بين به كونهم خير امة كما تقول زيد كريم يطعم الناس
ويكسوهم ويقوم بما يصلحهم وتؤمنون بالله جعل الايمان بكل ما يجب الايمان به ايمانا بالله لان من آمن ببعض ما يجب
الايمان به من رسول او كتاب او بعث او حساب او عقاب او ثواب او غير ذلك لم يعتد بايمانه فكانه غير مؤمن
بالله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا والدليل
عليه قوله ولو آمن اهل الكتاب مع ايمانهم بالله لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه لانهم انما آثروا دينهم
على دين الاسلام حبا للرياسة واستتباع العوام ولو آمنوا لكان لهم من الرياسة والاتباع وحظوظ الدنيا ما هو خير
مما آثروا دين الباطل لاجله مع الفوز بما وعدوه على الايمان من ايتاء الاجر مرتين منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام
واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا
ينصرون لن يضروكم الا ضررا مقتصرا على اذى بقول من طعن في الدين او تهديد او نحو ذلك وان يقاتلوكم يولوكم
الادبار منهزمين ولا يضروكم بقتل او اسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون لهم نصر من احد ولا يمنعون منكم وفيه تثبيت
لمن اسلم منهم لانهم كانوا يؤذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم بانهم لا يقدرون ان يتجاوزوا الاذى
بالقول الى ضرر يبالى به مع انه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل فان قلت

اهله

خير قتلى تحت اديم السماء

الا اذى

هلا جزم المعطوف في قوله ثم لا ينصرون فان قلت عدل به عن حكم الجزاء الى حكم الاخبار ابتداء كانه ~~قال ثم شانهم وقصتهم التي اخبر~~
~~عنها~~ قيل ثم اخبركم انهم لا ينصرون فان قلت فاي فرق بين رفعه وجزمه في المعنى قلت لو جزم لكان نفي النصر مقيدا
بمقاتلتهم كتولية الادبار وحين رفع كان نفي النصر وعدا مطلقا كانه قال ثم شانهم وقصتهم التي اخبركم عنها وابشركم ~~بها وابشركم~~
بها بعد التولية انهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعدها بجناح ولا يستقيم لهم امر وكان كما اخبر من
حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر فان قلت فما الذي عطف عليه هذا الخبر قلت جملة الشرط والجزاء
كانه قيل اخبركم انهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم اخبركم انهم لا ينصرون فان قلت فما معنى التراخي في ثم قلت التراخي
في المرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم اعظم من الاخبار بتوليتهم الادبار فان قلت فما موقع الجملتين اعني منهم
المؤمنون ولن يضروكم قلت هما كلامان واردان على طريق الاستطراد عند اجراء ذكر اهل الكتاب كما يقول القايل وعلى ذكر
فلان فان من شانه كيت وكيت ولذلك جاءا من غير عاطف ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس
وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا
وكانوا يعتدون بحبل من الله في محل النصب على الحال بتقدير الا معتصمين او متمسكين او متلبسين بحبل من الله وهو استثناء من اعم عام الاحوال
والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين اي لا عز
لهم قط الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من الجزية وباءوا بغضب من الله استوجبوه وضربت عليهم المسكنة كما يضرب البيت
على اهله فهم ساكنون في المسكنة ~~بسبب كفرهم بايات الله وقتلهم الانبياء ثم قال ذلك بما عصوا اي ذلك كاين بسبب عصيانهم لله~~
غير ظاعنين عنها وهم اليهود عليهم لعنة الله وغضبه ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بغضب الله اي
ذلك كاين بسبب كفرهم بايات الله وقتلهم الانبياء ثم قال ذلك بما عصوا اي ذلك كاين بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده
ليعلم ان الكفر وحده ليس بسبب في استحقاق سخط الله وان سخط الله يستحق بركوب المعاصي كما يستحق بالكفر ونحوه مما خطيئاتهم اغرقوا واخذهم
الربا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قايمة يتلون ايات الله اناء الليل وهم
يسجدون يؤمنون بالله واليوم الاخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات واولئك من الصالحين
وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين الضمير في ليسوا لاهل الكتاب اي ليس اهل الكتاب مستوين وقوله
من اهل الكتاب امة قايمة كلام مستانف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تامرون بالمعروف بيانا لقوله كنتم خير امة
امة قايمة مستقيمة عادلة من قولك اقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين اسلموا منهم ويعبر عن تهجدهم بتلاوة القران
في ساعات الليل مع السجود لانه ابين لما يفعلون وادل على حسن صورة امرهم وقيل عنى صلاة العشاء لان اهل
الكتاب لا يصلونها وعن ابن مسعود رضي الله عنه اخر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العشاء ثم خرج الى المسجد
فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرا هذه الاية
وقوله يتلون ويؤمنون في محل الرفع صفتان لامة تالون مؤمنون وصفهم بخصايص ما كانت في اليهود من
تلاوة ايات الله بالليل ساجدين ومن الايمان بالله لان ايمانهم به كلا ايمان لاشراكهم به عزيرا وكفرهم ببعض الكتب
والرسل دون بعض ومن الايمان باليوم الاخر لانهم يصفونه بخلاف صفته ومن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
لانهم كانوا مداهنين ومن المسارعة في الخيرات لانهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها والمسارعة في الخير فرط
الرغبة فيه لان من رغب في الامر سارع في توليه والقيام به واثر الفور على التراخي واولئك الموصوفون بما
وصفوا به من جملة الصالحين الذين صلحت احوالهم عند الله ورضيهم واستحقوا ثناءه عليهم ويجوز ان يريد بالصالحين المسلمين

عام

سخط الله

اي امة قايمة

فلن يكفروه لما جاء وصف الله عز وجل بالشكر في قوله والله شكور حليم في معنى توفية الثواب نفى عنه نقيض ذلك فإن قلت
لم عُدّي إلى مفعولين وشكر وكفر لا يتعديان إلا إلى واحد تقول شكر النعمة وكفرها قلت ضُمّن معنى الحرمان فكأنه قيل فلن
تحرموه جزاءه وقرئ تفعلوا وتكفروه بالياء والتاء والله عليم بالمتقين بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على أنه
لا يفوز عنده إلا أهل التقوى إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ
النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ
فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ الصِّرّ الريح الباردة نحو الصرصر قال لا تعدلن أتاويين تضربهم
نكباء صِرٌّ بأصحاب المحلّات كما قالت ليلى الأخيلية ولم تغلب الخصم الألد وتملأ الجفان سديفا يوم نكباء صرصر
فإن قلت فما معنى قوله كمثل ريح فيها صر قلت فيه أوجه أحدها أن الصر في صفة الريح بمعنى الباردة فوصف بها
القرّة بمعنى فيها قرّة صرّ كما تقول برد بارد على المبالغة والثاني أن يكون الصر مصدرا في الأصل بمعنى البرد فجيء به على
أصله والثالث أن يكون من قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ومن قولك إن ضيّعني فلان ففي الله كاف
وكافل قال وفي الرحمن للضعفاء كاف شبّه ما كانوا ينفقون من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس
لا يبتغون به وجه الله بالزرع الذي حسّه البرد فذهب حطاما وقيل هو ما كانوا يتقربون به إلى الله مع كفرهم وقيل ما أنفقوا في
عداوة رسول الله عليه الصلاة والسلام فضاع عنهم لأنهم لم يبلغوا بإنفاقه ما أنفقوه لأجله وشبّه بحرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلك
عقوبة لهم على معاصيهم لأن الإهلاك عن سخط أشد وأبلغ فإن قلت فلم قال ظلموا أنفسهم ولم يقتصر بقوله أصابت الحرث أو أصاب
حرث القوم قلت لأن الغرض تشبيه ما ينفقون بشيء يذهب بالكلية حتى لا يبقى منه شيء وحرث الكافرين الظالمين هو الذي يذهب
على الكلية لا منفعة لهم فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة فأما حرث المؤمن فلا يذهب لأنه وإن كان يذهب صورة فلا
يذهب معنى لما فيه من حصول الأعواض له في الآخرة والثواب بالصبر على الذهاب فإن قلت الغرض تشبيه ما أنفقوا من أموالهم
في قلة جدواه وضياعه بالحرث الذي ضربته الصر والكلام غير مطابق للغرض حيث جعل ما ينفقون ~~كمثل المهلك ريح~~ ممثلا
بالريح قلت هو من التشبيه المركب الذي مر في تفسير قوله كمثل الذي استوقد نارا ويجوز أن يراد مثل إهلاك ما ينفقون
كمثل ريح أو مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ تنفقون بالتاء وما ظلمهم الله الضمير للمنفقين على إهلاك ص
معنى وما ظلمهم الله بأن لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث لم يأتوا بها مستحقة للقبول أو لأصحاب الحرث الذين ظلموا
أنفسهم أي وما ظلمهم الله بإهلاك حرثهم ولكن ظلموا أنفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكنّ بالتشديد
بمعنى ولكنّه أنفسهم يظلمون على إسقاط ضمير الشأن لأنه إنما يجوز في الشعر يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ ولكن انفسهم يظلمونها هم ولا يجوز ان يراد ص
خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ
بطانة الرجل ووليجته خصيصه وصفيّه الذي يفضي إليه بشقوره ثقة به شبّه ببطانة الثوب كما يقال فلان شعاري
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار شعار والناس دثار من دونكم من دون أبناء جنسكم وهم المسلمون ويجوز تعلقه
بلا تتخذوا وبطانة على الوصف أي بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم لا يألونكم خبالا يقال ألا في الأمر يألو إذا قصّر
فيه ثم استعمل معدّى إلى مفعولين في قولهم لا آلوك نصحا ولا آلوك جهدا على التضمين والمعنى لا أمنعك نصحا والخبال
الفساد ودّوا ما عنتّم على أن ما مصدرية والعنت شدة الضرر والمشقة وأصله انهياض العظم بعد جبره أي تمنّوا أن يضرّوكم ودّوا عنتكم ص
في دينكم ودنياكم أشد الضرر وأبلغه قد بدت البغضاء من أفواههم لأنهم لا يتمالكون مع ضبطهم أنفسهم وتحاملهم عليها أن ينفلت من
ألسنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين وعن قتادة قد بدت البغضاء لأوليائهم من المنافقين والكفار لإطلاع بعضهم بعضا على ذلك

وفي

في براءة عبد الله قد بدا البغضاء • قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الإخلاص في الدين وموالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه
إن كنتم تعقلون ما بين لكم فعملتم به • فإن قلت كيف موقع هذه الجمل • قلت يجوز أن يكون لا يألونكم صفة للبطانة وكذلك قد بدت
البغضاء كأنه قيل بطانة غير آليكم خبالا بادية بغضاؤهم • وأما قد بينا فكلام مبتدأ • وأحسن منه وأبلغ أن تكون مستأنفات
كلها على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة • **ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا
آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور إن تمسسكم حسنة تسؤهم
وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط** ها للتنبيه
وأنتم مبتدأ وأولاء خبره أي أنتم أولاء الخاطئون في موالاة منافقي أهل الكتاب وقوله تحبونهم ولا يحبونكم بيان
لخطئهم في موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لأهل البغضاء • وقيل أولاء موصول تحبونهم ولا يحبونكم صلته والواو
في وتؤمنون للحال وانتصابها من لا يحبونكم أي لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم
فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم • وفيه توبيخ شديد بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم ونحوه فإنهم
يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون • ويوصف المغتاظ والنادم بعض الأنامل والبنان والإبهام •
• قال الحرث بن ظالم المري • فأقتل أقواما لئاما أذلة • يعضون من غيظ رؤوس الأباهم •
قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بأن يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة ما يغيظهم من قوة الإسلام وعز أهله وما
لهم في ذلك من الذل والخزي والتبار • إن الله عليم بذات الصدور فهو يعلم ما في صدور المنافقين من الحنق والبغضاء
وما يكون منهم في حال خلو بعضهم ببعض • وهو كلام داخل في جملة المقول أو خارج منها • فإن قلت فكيف معناه على الوجهين
قلت إذا كان داخلا في جملة المقول فمعناه أخبرهم بما يسرونه من عضهم الأنامل غيظا إذا خلوا وقل لهم إن الله عليم بما هو
أخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور فلا تظنوا أن شيئا من أسراركم يخفى عليه • وإذا كان خارجا فمعناه قل
لهم ذلك يا محمد • ولا تتعجب من اطلاعي إياك على ما يسرون فإني أعلم ما هو أخفى من ذلك وهو ما أضمروه في صدورهم
ولم يظهروه بألسنتهم • ويجوز أن لا يكون ثم قول وأن يكون قوله قل موتوا بغيظكم أمرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطيب
النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله أن يهلكوا غيظا بإعزاز الإسلام وإذلالهم به كأنه قيل حدث نفسك
بذلك • الحسنة الرخاء والخصب والنصرة والغنيمة ونحوها من المنافع والسيئة ما كان ضد ذلك • وهذا بيان لفرط معاداتهم
حيث يحسدونهم على ما نالهم من الخير ويشمتون بهم فيما أصابهم من الشدة • فإن قلت كيف وصفت الحسنة بالمس والسيئة
بالإصابة • قلت المس مستعار لمعنى الإصابة فكان المعنى واحدا • ألا ترى إلى قوله إن تصبك حسنة تسؤهم
وإن تصبك مصيبة • ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك • إذا مسه الشر جزوعا وإذا
مسه الخير منوعا • وإن تصبروا على عداوتهم وتتقوا ما نهيتم عنه من موالاتهم • أو وإن تصبروا على تكاليف الدين
ومشاقه وتتقوا الله في اجتنابكم محارمه كنتم في كنف الله فلا يضركم كيدهم • وقرئ لا يضركم من ضاره يضيره
ويضركم على أن ضمة الراء لاتباع ضمة الضاد كقولك مد يا هذا • وروى المفضل عن عاصم لا يضركم بفتح الراء
وهذا تعليم من الله وإرشاد إلى أن يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى • وقد قال الحكماء إذا أردت أن
تكبت من يحسدك فازدد فضلا في نفسك • إن الله بما يعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط ففاعل بكم ما أنتم
أهله • وقرئ بالياء بمعنى أنه عالم بما يعملون في عداوتكم فمعاقبهم عليه • **وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد
للقتال والله سميع عليم** • واذكر إذ غدوت من أهلك بالمدينة وهو غدوه إلى أحد من حجرة عائشة رضي الله عنها • روي

الغيظ زيادة له

ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعا فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ودعا عبد الله بن ابي بن سلول ولم يدعه
قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو
قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا
قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النسآء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله
اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون انا قد جبنا عنهم وقال عليه الصلاة والسلام اني قد رايت في منامي بقرا مذبحة
حولي فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة
فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج
بنا الى اعدائنا فلم يزالوا به حتى دخل فلبس لامته فلما راوه قد لبس لامته ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله
صلى الله عليه وسلم والوحي ياتيه وقالوا اصنع يا رسول الله ما رايت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل
فخرج يوم الجمعة بعد صلوة الجمعة واصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال فمشى على رجليه فجعل يصف اصحابه
للقتال كانما يقوم بهم القدح ان راى صدرا خارجا قال تاخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره
الى احد وامر عبد الله بن جبير رضي الله عنه على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا ياتونا من ورائنا تبوي المؤمنين
تنزلهم وقرا عبد الله للمؤمنين بمعنى تسوي لهم وتهيئ مقاعد للقتال مواطن ومواقف وقد اتسع في قعد وقام حتى اجريا
مجرى صار واستعمل المقعد والمقام في معنى المكان ومنه **قولـه تعالى** في مقعد صدق وقوله قبل ان تقوم من مقامك
من مجلسك وموضع حكمك والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم وضمائركم **اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما
وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون** اذ همت بدل من اذ
غدوت او عمل فيه معنى سميع عليم والطائفتان حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الف وقيل في تسعمائة وخمسين والمشركون في ثلثة الاف ووعدهم الفتح ان صبروا
فانخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري فقال انشدكم
الله في نبيكم وانفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله
عليه الصلاة والسلام وعن ابن عباس رضي الله عنه اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا والظاهر انها ما كانت الا همة
وحديث نفس وكما لا تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع ثم يردها صاحبها الى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال المكروه كما قال
عمرو بن الاطنابة • اقول لها اذا جشات وجاشت • مكانك تحمدي او تستريحي • حتى قال معوية عليكم بحفظ الشعر فقد كدت
اضع رجلي في الركاب يوم صفين فما ثبتني الا قول عمرو بن الاطنابة • ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية والله
تعالى يقول والله وليهما ويجوز ان يراد والله ناصرهما ومتولي امرهما فما لهما تفشلان ولا يتوكلان على الله **فان قلت**
فما معنى ما روي من قول بعضهم عند نزول الاية والله ما يسرنا انا لم نهم بالذي هممنا به وقد اخبرنا الله بانه ولينا
قلت معنى ذلك فرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء الله وانزاله فيهم اية ناطقة بصحة الولاية وان
تلك الهمة غير الماخوذ بها لانها لم تكن عن عزيمة وتصميم كانت سببا لنزولها والفشل الجبن والخور وقرا عبد الله
والله وليهم **لقولـه تعالى** وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا امرهم بان لا يتوكلوا الا عليه ولا يفوضوا
امورهم الا اليه ثم ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر وهم في حال قلة وذلة والاذلة جمع
قلة والذلان جمع الكثرة وجاء بجمع القلة ليدل على انهم على ذلتهم كانوا قليلا وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال

وقلة

وقلة السلاح والمال والمركوب وذلك أنهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم إلا فرس واحد
وقلتهم أنهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان عدوهم في حال كثرة زهاء ألف مقاتل ومعهم مائة فرس والشكة والشوكة
وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به فاتقوا الله في الثبات مع الرسول لعلكم تشكرون
بتقواكم ما أنعم به عليكم من نصرته أو لعلكم ينعم الله عليكم نعمة أخرى تشكرونها فوضع الشكر موضع الانعام لأنه سبب له
إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم
من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم
به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم إذ تقول ظرف لنصركم على أن يقول لهم ذلك يوم بدر أو بدل ثان
من إذ غدوت على أن يقول لهم يوم أحد فإن قلت كيف يصح أن يقول لهم ولم تنزل فيه الملائكة قلت يوم أحد
قاله لهم مع اشتراط الصبر والتقوى عليهم فلم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا حيث خالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك
لم تنزل الملائكة ولو تموا على ما شرط عليهم لنزلت وإنما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات
ويثقوا بنصر الله ومعنى ألن يكفيكم إنكار أن لا يكفيهم الامداد بثلاثة آلاف من الملائكة وإنما جيء بلن الذي هو لتأكيد
النفي للإشعار بأنهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين من النصر وبلى إيجاب لما بعد لن يعني
بلى يكفيكم الامداد بهم فأوجب الكفاية ثم قال إن تصبروا وتتقوا يمددكم بأكثر من ذلك العدد مسومين للقتال
ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا من قولك قفل من غزوته وخرج من فوره إلى غزوة أخرى وجاء فلان ورجع
من فوره ومنه قول أبي حنيفة رحمة الله عليه الأمر على الفور لا على التراخي وهو مصدر من فارت القدر إذا
غلت فاستعير للسرعة ثم سميت به الحالة التي لا ريث فيها ولا تعرج على شيء من صاحبها فقيل خرج من فوره كما
تقول من ساعته لم يلبث والمعنى أنهم إن يأتوكم من ساعتهم هذه يمددكم ربكم بالملائكة في حال إتيانهم لا يتأخر
نزولهم عن إتيانهم يريد أن الله يعجل نصرتكم وييسر فتحكم إن صبرتم واتقيتم وقرئ منزلين بالتشديد
ومنزلين بكسر الزاي بمعنى منزلين النصر ومسومين بفتح الواو وكسرها بمعنى معلمين ومعلمين أنفسهم أو خيلهم قال
الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على أكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الأبيض في نواصي الدواب وأذنابها
وعن مجاهد مجزوزة أذناب خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم
بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه تسوموا فإن الملائكة قد تسومت
وما جعله الله الهاء لأن يمدكم أي وما جعل الله إمدادكم بالملائكة إلا بشارة لكم بأنكم تنصرون ولتطمئن به
قلوبكم كما كانت السكينة ~~ولكن ذلك مما يقوي به الله~~ لبني إسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة لقلوبهم وما النصر إلا من عند الله
لا من عند المقاتلة إذا تكاثروا ولا من عند الملائكة والسكينة ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة والطمع في
الرحمة ويربط به على قلوب المجاهدين العزيز الذي لا يغالب في حكمه الحكيم الذي يعطي النصر ويمنعه لما يرى من
المصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم
أو يعذبهم فإنهم ظالمون ولله ما في السموات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور
رحيم ليقطع طرفا من الذين كفروا ليهلك طائفة منهم بالقتل والأسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسر
سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم أو يكبتهم أو يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فينقلبوا خائبين غير ظافرين
بمبتغاهم ونحوه ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ويقال كبته بمعنى كبده إذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة

وقيل في قول أبي الطيب لأكبت حاسدا وأرى عدوا. هو من الكبد والرية. واللام متعلقة بقوله لقد نصركم الله او
بقوله وما النصر الا من عند الله. او يتوب عطف على ما قبله. وليس لك من الامر شيء اعتراض والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم
او يهزمهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم شيء انما انت عبد مبعوث لانذارهم
ومجاهدتهم. وقيل او يتوب منصوب باضمار ان وان يتوب في حكم اسم معطوف باو على الامر او على شيء اي ليس لك
من امرهم شيء او من التوبة عليهم او من تعذيبهم او ليس لك من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم. وقيل او بمعنى الا
ان كقولك لالزمنك او تعطيني حقي على معنى ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم او يعذبهم
فتشتفي منهم. وقيل [illegible] عليه الصلاة والسلام عتبة بن أبي وقاص يوم أحد وكسر رباعيته فجعل صلى الله عليه وسلم يمسح الدم
عن وجهه وسالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه يغسل الدم عن وجهه وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم
بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت. وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه ان فيهم من يؤمن. عن الحسن يغفر
لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء ان يغفر الا للتائبين ويعذب من يشاء ولا يشاء ان يعذب الا المستوجبين للعذاب
وعن عطاء يغفر لمن يتوب اليه ويعذب من لقيه ظالما واتباعه قوله او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون
تفسير بين لمن يشاء وانهم المتوب عليهم او الظالمون ولكن اهل الاهواء والبدع يتصامون عن آيات الله فيخبطون خبط
عشواء ويطيبون انفسهم بما يفترون على ابن عباس رضي الله عنه من قولهم يهب الذنب الكبير لمن يشاء ويعذب
من يشاء على الذنب الصغير. يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون
لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة نهي عن الربوا مع توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله
زاد في الاجل فاستغرق بالشيء الطفيف مال المديون. واتقوا النار التي اعدت للكافرين واطيعوا الله
والرسول لعلكم ترحمون. واتقوا النار الآية كان ابو حنيفة رحمة الله عليه يقول هي اخوف آية في القرآن حيث
اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه. وقد امد ذلك بما اتبعه من تعليق رجا
المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله. ومن تامل هذه الآيات وامثالها لم يحدث نفسه بالاطماع الفارغة والتمني
وفي ذكره تعالى لعل وعسى في نحو هذه المواضع وان قال الناس ما قالوا ما لا يخفى على العارف الفطن من دقة مسلك التقوى وصعوبة
اصابة رضا الله وعزة التوصل الى رحمته وثوابه. وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض
اعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين
في مصاحف اهل المدينة والشام سارعوا بغير واو وقرأ الباقون بالواو وتنصره قراءة أبي وعبد الله وسابقوا ومعنى المسارعة
الى المغفرة والجنة الاقبال على ما يستحقان به. عرضها السموات والارض اي عرضها عرض السموات والارض كقوله
تعالى عرضها كعرض السماء والارض والمراد وصفها بالسعة والبسطة فشبهت باوسع ما علمه الناس من خلقه
وابسطه وخص العرض لانه في العادة ادنى من الطول للمبالغة كقوله تعالى بطائنها من استبرق. وعن
ابن عباس رضي الله عنهما كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض. في السراء والضراء في حال الرخاء
واليسر وحال الضيقة والعسر لا يخلون بان ينفقوا في كلتا الحالتين ما قدروا عليه من كثير او قليل كما حكي عن
بعض السلف الله ربما تصدق ببصلة وعن عائشة رضي الله عنها انها تصدقت بحبة عنب. او في جميع الاحوال
لانها لا تخلو من حال مسرة ومضرة لا يمنعهم حال فرح وسرور ولا حال محنة وبلاء من المعروف وسواء عليهم كان
الواحد منهم في عرس او في حبس. فانه لم يدع الاحسان وافتتح بذكر الانفاق لانه اشق شيء على النفس وادله على الاخلاص

ولانه كان في ذلك الوقت اعظم الاعمال للحاجة اليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين. كظم القربة اذا ملأها وشد
فاها. وكظم البعير اذا لم يجتر. ومنه كظم الغيظ وهو ان يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له اثرا. وعن النبي
عليه الصلاة والسلام من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا. وعن عائشة رضي الله عنها ان خادما
لها غاظتها فقالت لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء. والعافين عن الناس اذا جنى عليهم احد لم يؤاخذوه.
وروي ينادي مناد يوم القيمة اين الذين كانت اجورهم على الله فلا يقوم الا من عفا. وعن ابن عيينة انه رواه
للرشيد وقد غضب على رجل فخلاه. وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد
كانوا كثيرا في الامم التي مضت. والله يحب المحسنين يجوز ان تكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته
هؤلاء المذكورين وان تكون للعهد فتكون اشارة الى هؤلاء. والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا
الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون اولئك جزاؤهم
مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين والذين اذا فعلوا والذين
عطف على المتقين اي اعدت للمتقين وللتائبين. وقوله اولئك اشارة الى الفريقين. ويجوز ان يكون والذين
مبتدأ خبره اولئك. فاحشة فعلة متزايدة القبح. او ظلموا انفسهم اي اذنبوا اي ذنب كان مما يؤاخذون به. وقيل
الفاحشة الزنا وظلم النفس ما دونه من القبلة واللمسة ونحوها. وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة. ذكروا
الله تذكروا عقابه او وعيده او نهيه او حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء منه. فاستغفروا لذنوبهم فتابوا عنها
لقبحها نادمين عازمين. ومن يغفر الذنوب الا الله وصف لذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة وان التائب
من الذنب عنده كمن لا ذنب له وانه لا مفزع للمذنبين الا فضله وكرمه وان عدله يوجب المغفرة للتائب لان
العبد اذا جاء في الاعتذار والتنصل باقصى ما يقدر عليه وجب العفو والتجاوز وفيه تطييب لنفوس العباد
وتنشيط للتوبة وبعث عليها وردع عن اليأس والقنوط وان الذنوب وان جلت فان عفوه اجل وكرمه اعظم
والمعنى انه وحده معه مصححات المغفرة وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه. ولم يصروا ولم يقيموا
على قبيح فعلهم غير مستغفرين. وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة. وروي
لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار. وهم يعلمون حال من فعل الاصرار وحرف النفي منصب عليهما معا والمعنى
وليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي عنها وبالوعيد عليها لانه قد يعذر من لا يعلم قبح القبيح
وفي هذه الآيات بيان قاطع ان الذين آمنوا على ثلاث طبقات متقون وتائبون ومصرون وان الجنة للمتقين
والتائبين منهم دون المصرين ومن خالف في ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه. قال ونعم اجر العاملين بعد قوله
جزاؤهم لانهما في معنى واحد وانما خالف بين اللفظين لزيادة التنبيه على ان ذلك جزاء واجب على عمل واجر مستحق عليه
لا كما يقول المبطلون. وروي ان الله عز وجل اوحى الى موسى عليه الصلاة والسلام ما اقل حياء من يطمع في جنتي بغير
عمل. كيف اجود برحمتي على من يبخل بطاعتي. وعن شهر بن حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب. وانتظار الشفاعة
بلا سبب نوع من الغرور. وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق وجهالة. وعن الحسن رحمة الله عليه يقول الله يوم القيمة
جوزوا الصراط بعفوي وادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها باعمالكم. وعن رابعة العدوية البصرية رحمة الله عليها انها
كانت تنشد
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها . ان السفينة لا تجري على اليبس .
والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات. قد خلت من قبلكم سنن فسيروا

فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ
الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ قد خلت من قبلكم سنن يريد ما سنه الله في الامم المكذبين من وقايعه كقوله تعالى
ولن تجد لسنة الله تبديلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ولا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل هذا
بيان للناس ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب يعني حثهم على النظر في سوء عواقب المكذبين قبلهم والاعتبار
بما يعاينون من اثار هلاكهم وهدى وموعظة للمتقين يعني انه مع كونه بيانا وتبيينا للمكذبين فهو زيادة تثبيت
وموعظة للذين اتقوا من المومنين ويجوز ان يكون قوله قد خلت جملة معترضة للبعث على الايمان وما
يستحق به ما ذكر [illegible] اجر العاملين ويكون قوله هذا بيان اشارة الى ما لخص وبين من امر المتقين والتائبين والمصرين
ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية من الله لرسوله وللمومنين عما اصابهم يوم احد وتقوية من قلوبهم يعني ولا تضعفوا عن
الجهاد لما اصابكم اي لا يورثنكم ذلك وهنا وجبنا ولا تبالوا به ولا تحزنوا على من قتل منكم وجرح وانتم
الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم واغلب لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم يوم احد او وانتم الاعلون
شانا لان قتالكم لله ولاعلاء كلمته وقتالهم للشيطان ولاعلاء كلمة الكفر ولان قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار
او هي بشارة لهم بالعلو والغلبة اي وانتم الاعلون في العاقبة وان جندنا لهم الغالبون وان كنتم مومنين متعلق
بالنهي يعني ولا تهنوا ان صح ايمانكم على ان صحة الايمان توجب قوة القلب والثقة بصنع الله وقلة المبالاة
باعدايه او بالاعلون اي ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ القَوْمَ
قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ
وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الكَافِرِينَ قرئ قرح بفتح القاف وضمها وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح
وبالضم المها وقرا ابو السمال قرح بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى ان نالوا منكم يوم احد
يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فانتم اولى بان لا تضعفوا ونحوه فانهم يالمون
كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون وقيل كان ذلك يوم احد فقد نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر رسول الله
عليه الصلاة والسلام فان قلت فكيف قيل قرح مثله وما كان قرحهم يوم احد مثل قرح المشركين قلت
بل كان مثله ولقد قتل يومئذ خلق من الكفار الا ترى الى قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم
باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون وتلك الايام تلك مبتدأ والايام
صفته ونداولها خبره ويجوز ان يكون تلك الايام مبتدا وخبرا كما تقول هي الايام تبلي كل جديد والمراد بالايام
اوقات الظفر والغلبة نداولها نصرفها بين الناس نديل تارة لهولاء وتارة لهولاء كقوله وهو من ابيات الكتاب
فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر وفي امثال العرب الحرب سجال وعن ابي سفيان انه صعد الجبل يوم احد
فمكث ساعة ثم قال اين ابن ابي كبشة اين ابن ابي قحافة اين ابن الخطاب فقال عمر رضي الله عنه هذا رسول الله
وهذا ابو بكر وها انا عمر فقال ابو سفين يوم بيوم والايام دول والحرب سجال فقال عمر رضي الله عنه لا سوا
قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال انكم تزعمون ذلك فقد خبنا اذا وخسرنا والمداولة مثل المعاودة
قال يرد المياه فلا يزال مداولا في الناس بين تمثل وسماع يقال داولت بينهم الشي
فتداولوه وليعلم الله الذين امنوا فيه وجهان احدهما ان يكون المعلل محذوفا معناه وليتميز الثابتون على
الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك وهو من باب التمثيل بمعنى فعلنا ذلك فعل من يريد ان يعلم من الثابت

فقد نلتم منهم قبله م

على

على الإيمان منكم من غير الثابت وإلا فالله عز وجل لم يزل عالما بالأشياء قبل كونها وقيل معناه وليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو أن يعلمهم موجودا منهم الثبات والثاني أن تكون العلة محذوفة وهذا عطف عليه معناه وفعلنا ذلك ليكون كيت وكيت وليعلم الله وإنما حذف للإيذان بأن المصلحة فيما فعل ليست بواحدة ليسليهم عما جرى عليهم وليبصرهم أن العبد يسوءه ما يجري عليه من المصائب ولا يشعر أن لله تعالى في ذلك من المصالح ما هو غافل عنه ويتخذ منكم شهداء وليكرم ناسا منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم أحد أو ليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الأمم يوم القيامة بما يبتلى به صبركم من الشدائد من قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس والله لا يحب الظالمين اعتراض بين بعض التعليل وبعض ومعناه والله لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الإيمان المجاهدين في سبيل الله الممحصين من الذنوب والتمحيص التطهير والتصفية ويمحق الكافرين ويهلكهم يعني إن كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وغير ذلك مما هو أصلح لهم وإن كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار ولما يعلم الله بمعنى ولما تجاهدوا لأن العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لأنه منتف بانتفائه يقول الرجل ما علم الله في فلان خيرا يريد ما فيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم إلا أن فيه ضربا من التوقع فدل على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل وتقول وعدني أن يفعل كذا ولما تريد ولم يفعل وأنا أتوقع فعله وقرئ ولما يعلم الله بفتح الميم وقيل أراد النون الخفيفة ولما يعلمن فحذفها ويعلم الصابرين نصب بإضمار أن والواو بمعنى الجمع كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن وقرأ الحسن بالجزم على العطف وروى عبد الوارث عن أبي عمرو ويعلم بالرفع على أن الواو للحال كأنه قيل ولما تجاهدوا وأنتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون ولقد كنتم تمنون الموت خوطب به الذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون أن يحضروا مشهدا مع رسول الله عليه الصلاة والسلام ليصيبوا من كرامة الشهادة ما نال شهداء بدر وهم الذين ألحوا على رسول الله عليه الصلاة والسلام في الخروج إلى المشركين وكان رأيه في الإقامة الى بالمدينة يعني وكنتم تمنون الموت قبل أن تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته فقد رأيتموه وأنتم تنظرون أي رأيتموه معاينين مشاهدين له حين قتل بين أيديكم من قتل من إخوانكم وأقاربكم وشارفتم أن تقتلوا وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله بإلحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم عنده فإن قلت كيف يجوز تمني الشهادة وفي تمنيها تمني غلبة الكافر المسلم قلت قصد متمني الشهادة إلى نيل كرامة الشهداء لا غير ولا يذهب وهمه إلى ذلك المتضمن كما أن من يشرب دواء الطبيب النصراني قاصد إلى حصول المأمول من الشفاء ولا يخطر بباله أن فيه جر منفعة وإحسان إلى عدو الله وتنفيقا لصناعته ولقد قال عبد الله بن رواحة حين نهض إلى مؤتة وقيل له ردكم الله لكنني أسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرغ تقذف

أو طعنة بيدي حران مجهزة ❊ بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا

حتى يقولوا إذا مروا على جدثي ❊ أرشدك الله من غاز وقد رشدا

وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه أقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير رضي الله عنه وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم أحد حتى قتله ابن قمئة وهو يرى أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ ألا إن محمدا قد قتل

النبل

وقيل كان الصارخ الشيطان ففشا في الناس خبر قتله فانكفأوا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى عباد الله حتى انحازت
اليه طائفة من اصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وامهاتنا اتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا
مدبرين • فنزلت وروي انه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن ابي يأخذ لنا من ابي سفيان امانا
وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم • فقال انس بن النضر عم انس بن مالك رضي الله
عنه يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا
على ما مات عليه • ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل
حتى قتل • و[illegible] بعض المهاجرين انه مر بانصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان اشعرت ان محمدا قد قتل فقال ان كان
قد قتل فقد بلغ فقاتلوا على دينكم والمعنى وما محمد الا رسول • قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا وكما ان اتباعهم بقوا
متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم ان تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض من بعثة الرسول تبليغ الرسالة والزام الحجة
لا وجوده بين اظهر قومه • افإن مات الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة قبلها على معنى التسبيب والهمزة لانكار ان يجعلوا
خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد هلاكه بموت او قتل مع علمهم ان خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب
ان يجعل سببا للتمسك بدين محمد عليه الصلاة والسلام لا للانقلاب عنه فان قلت لم ذكر القتل وقد علم انه لا يقتل
قلت لكونه مجوزا عند المخاطبين فان قلت اما علموه من ناحية قوله والله يعصمك من الناس قلت هذا مما
يختص بالعلماء منهم وذوي البصيرة الا ترى انهم سمعوا خبر قتله فهربوا على انه يحتمل العصمة من فتنة الناس واضلالهم والانقلاب
على الاعقاب • الادبار عما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم به من امر الجهاد وغيره وقيل الارتداد وما ارتد احد من المسلمين ذلك
اليوم الا ما كان من قول المنافقين ويجوز ان يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
واسلامه • فلن يضر الله شيئا يعني فما ضر الا نفسه لان الله تعالى لا يجوز عليه المضار والمنافع • وسيجزي الله الشاكرين الذين لم
ينقلبوا كانس بن النضر واضرابه وسماهم شاكرين لانهم شكروا نعمة الله الاسلام فيما فعلوا وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله
كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين المعنى ان موت
الانفس محال ان يكون الا بمشيئة الله فاخرجه مخرج فعل لا ينبغي لاحد ان يقدم عليه • الا ان يأذن الله له فيه تمثيلا ولان ملك
الموت هو الموكل بذلك فليس له ان يقبض نفسا الا باذن الله • وهو على معنيين احدهما تحريضهم على الجهاد وتشجيعهم على
على لقاء العدو باعلامهم ان الحذر لا ينفع وان احدا لا يموت قبل بلوغ اجله وان خوض المهالك واقتحم المعارك والثاني
ذكر ما صنع الله برسوله عند غلبة العدو والتفافهم عليه واسلام قومه له نهزة للمختلس من الحفظ والكلاءة وتأخير الاجل كتابا
مصدر مؤكد لان المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا موقتا له اجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر ومن يرد ثواب الدنيا تعريض بالذين
شغلتهم الغنائم يوم احد نؤته منها اي من ثوابها وسنجزي الجزاء المبهم • الذين شكروا نعمة الله • فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وقرئ
يؤته وسيجزي بالياء فيهما وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا
والله يحب الصابرين وقرئ قاتل وقتل بالتشديد والفاعل ربيون او ضمير النبي عليه الصلاة والسلام • ومعه ربيون
حال عنه بمعنى قتل كائنا معه ربيون والقراءة بالتشديد تنصر الوجه الاول • وعن سعيد بن جبير ما سمعنا بنبي قتل في القتال
والربيون الربانيون • وقرئ بالحركات الثلاث فالفتح على القياس والضم والكسر من تغييرات النسب وقرئ فما وهنوا
بكسر الهاء والمعنى فما وهنوا عند قتل النبي وما ضعفوا عن الجهاد بعده وما استكانوا للعدو وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن
والانكسار عند الارجاف بقتل النبي عليه الصلاة والسلام وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا

ان

أن يتضعضع وأبا المنافق عبد الله بن أبي في طلب الأمان من أبي سفيان وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا
فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ وما كان قولهم إلا هذا القول وهو إضافة الذنوب والإسراف
إلى أنفسهم مع كونهم ربانيين هضمًا لها واستقصارًا والدعاء بالاستغفار منها مقدمًا على طلب تثبيت الأقدام في مواطن الحرب
والنصرة على العدو ليكون طلبهم إلى ربهم عن زكاة وطهارة وخضوع أقرب إلى الاستجابة. فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ
ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ فآتاهم الله ثواب الدنيا من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر وخص ثواب
الآخرة بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وأنه المعتد به عنده تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ إن تطيعوا الذين
كفروا قال علي رضي الله عنه نزلت في المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا في دينهم. وعن الحسن
إن تستنصحوا اليهود والنصارى وتقبلوا منهم لأنهم كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان نبيًا
حقًا لما غلب ولما أصابه وأصحابه ما أصابهم وإنما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يومًا له ويومًا عليه. وعن السدي إن
تستكينوا لأبي سفيان وأصحابه وتستأمنوهم يردوكم إلى دينهم وقيل هو عام في جميع الكفار وأن على المؤمنين أن يجانبوهم
ولا يطيعوهم في شيء ولا ينزلوا على حكمهم ولا يشاوروهم حتى لا يستجروهم إلى موافقتهم بل الله مولاكم أي ناصركم لا تحتاجون
معه إلى نصرة أحد وولايته وقرئ بالنصب على بل أطيعوا الله مولاكم سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا
أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ سنلقي قرئ بالنون والياء والرعب
بسكون العين وضمها قيل قذف الله في قلوب المشركين الخوف يوم أحد فانهزموا إلى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة
وقيل ذهبوا إلى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئًا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستأصلوهم
فلما عزموا على ذلك ألقى الله في قلوبهم الرعب فأمسكوا بما أشركوا بسبب إشراكهم أي كان السبب في إلقاء الله الرعب
في قلوبهم إشراكهم به ما لم ينزل به سلطانًا آلهة لم ينزل الله بإشراكها حجة. فإن قلت كان هناك حجة حتى
ينزلها الله فيصح لم الإشراك قلت لم يعن أن هناك حجة إلا أنها لم تنزل عليهم لأن الشرك لا يستقيم أن يقوم
عليه حجة وإنما المراد نفي الحجة ونزولها جميعًا كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر. وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ
بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ
ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ولقد صدقكم الله وعده وعدهم الله النصر بشرط
الصبر والتقوى في قوله تعالى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم. ويجوز أن يكون الوعد قوله تعالى
سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب فلما فشلوا وتنازعوا لم يرعبهم وقيل لما رجعوا إلى المدينة قال ناس من
المؤمنين من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت وذلك أن رسول الله عليه الصلاة والسلام جعل أحدًا خلف
ظهره واستقبل المدينة وأقام الرماة عند الجبل وأمرهم أن يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين أو عليهم
فلما أقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يحسونهم
أي يقتلونهم قتلًا ذريعًا حتى إذا فشلتم والفشل الجبن وضعف الرأي وتنازعوا فقال بعضهم قد انهزم المشركون
فما موقفنا ههنا وقال بعضهم لا نخالف أمر رسول الله عليه الصلاة والسلام فمن ثبت مكانه عبد الله بن جبير رضي الله عنه
أمير الرماة في نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله ومنكم من يريد الآخرة ونفر أعقابهم ينهبون وهم الذين أرادوا
الدنيا فكر المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير وأقبلوا على المسلمين وحالت الريح دبورًا وكانت صبًا حتى هزموا

وقتلوا منى فتلوا . وهو قوله ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ليمتحن صبركم على المصائب وثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم
لما علم من ندمكم على ما فرط منكم من عصيان امر النبي صلى الله عليه وسلم والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو او هو
متفضل عليهم في جميع الاحوال سواء اديل لهم او اديل عليهم لان الابتلاء رحمة كما ان النصرة رحمة فان قلت
اين متعلق حتى اذا قلت محذوف تقديره حتى اذا فشلتم منعكم نصره ويجوز ان يكون المعنى صدقكم الله وعده الى وقت
فشلكم اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم في اخراكم فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم
ولا ما اصابكم والله خبير بما تعملون اذ تصعدون نصب بصرفكم او بقوله ليبتليكم او باضمار اذكر والاصعاد
الذهاب في الارض والابعاد فيه يقال صعد في الجبل يقال اصعدنا من مكة الى المدينة وقرا الحسن رحمه الله عليه
تصعدون يعني في الجبل وتعضد الاولى قراءة ابي اذ تصعدون في الوادي وقرا ابو حيوة تصعدون بفتح التاء وتشديد
العين من تصعد في السلم وقرا الحسن تلوون بواو واحدة وقد ذكرنا وجهها وقرئ يصعدون ويلوون بالياء
والرسول يدعوكم كان يقول الي عباد الله الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم
الاخرى وهي المتاخرة يقال جئت في اخر الناس واخراهم كما تقول في اولهم واولاهم بتاويل مقدمتهم وجماعتهم الاولى
فاثابكم عطف على صرفكم اي فجازاكم الله غما حين صرفكم عنهم وابتلاكم بسبب غم اذقتموه رسول الله عليه الصلاة والسلام
بعصيانكم له او غما مضاعفا غما بعد غم وغما متصلا بغم من الاغتمام بما ارجف به من قتل رسول الله عليه الصلاة والسلام
~~من قتل رسول الله~~ والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر لكيلا تحزنوا على ~~ما فاتكم~~ لتتمرنوا على تجرع
الغموم وتضروا باحتمال الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب من المضار ويجوز ان يكون
الضمير في فاثابكم للرسول عليه الصلاة والسلام اي فاساكم في الاغتمام وكما غمكم ما نزل به من كسر الرباعية والشجة
وغيرهما غمه ما نزل بكم فاثابكم غما اغتمه لاجلكم بسبب غم اغتممتموه لاجله ولم يثربكم على عصيانكم ومخالفتكم لامره
وانما فعل ذلك ليسليكم وينفس عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله ولا على ما اصابكم من غلبة العدو ثم انزل
عليكم من بعد الغم امنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد اهمتهم انفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية
يقولون هل لنا من الامر من شيء قل ان الامر كله لله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك يقولون
لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم
وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور انزل الله الامن على المؤمنين
وازال عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم وعن ابي طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافنا فكان السيف
يسقط من يد احدنا فياخذه ثم يسقط فياخذه وما احد الا يميل تحت حجفته وعن ابن الزبير رضي الله عنه لقد رايتني
مع رسول الله عليه الصلاة والسلام حين اشتد علينا الخوف فارسل الله علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب
ابن قشير والنعاس يغشاني يقول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا والامنة الامن وقرئ امنة بسكون الميم
كانها المرة من الامن ونعاسا بدل من امنة ويجوز ان يكون هو المفعول وامنة حالا منه متقدمة عليه كقولك رايت راكبا
رجلا او مفعولا له بمعنى نعستم امنة ويجوز ان تكون حالا من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع امن كبار وبررة
يغشى قرئ بالياء والتاء ردا على النعاس او على الامنة طائفة منكم هم اهل الصدق واليقين وطائفة هم المنافقون
قد اهمتهم انفسهم ما بهم الا هم انفسهم لا هم الدين ولا هم رسول الله عليه الصلاة والسلام والمسلمين او قد اوقعتهم
انفسهم وما حل بهم في الهموم والاشجان فهم في التشاكي والتباكي غير الحق في حكم المصدر ومعناه يظنون بالله غير الظن الحق

والاصعاد في الارض

الذي

الذي يجب أن يظن به وظن الجاهلية بدل منه ويجوز أن يكون المعنى يظنون بالله ظن الجاهلية وغير الحق تأكيد ليظنون كقولك
هذا القول غير ما تقول وهذا القول لا قولك وظن الجاهلية كقولك حاتم الجود ورجل صدق يريد الظن المختص بالملة
الجاهلية ويجوز أن يراد ظن أهل الجاهلية أي لا يظن مثل ذلك الظن إلا أهل الشرك الجاهلون بالله يقولون لرسول الله
عليه الصلاة والسلام يسألونه هل لنا من الأمر من شيء معناه هل لنا معاشر المسلمين من أمر الله نصيب قط يعنون النصر والإظهار
على العدو قل إن الأمر كله لله ولأوليائه المؤمنين وهو النصر والغلبة كتب الله لأغلبن أنا ورسلي وإن جندنا لهم الغالبون
يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك معناه يقولون لك فيما يظهرون هل لنا من الأمر من شيء سؤال المؤمنين المسترشدين وهم فيما
يبطنون على النفاق يقولون في أنفسهم أو بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم إن الأمر كله لله لو كان لنا من الأمر شيء أي لو كان الأمر
كما قال محمد إن الأمر كله لله ولأوليائه وأنهم الغالبون لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة قل لو كنتم
في بيوتكم يعني من علم الله منه أنه يقتل ويصرع في هذه المصارع وكتب ذلك في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم
في بيوتكم لبرز من بينكم الذين علم الله أنهم يقتلون إلى مضاجعهم وهي مصارعهم ليكون ما علم أنه يكون والمعنى أن الله كتب
في اللوح قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك أنهم الغالبون لعلمه أن العاقبة في الغلبة لهم وأن دين الإسلام يظهر
على الدين كله وأن ما ينكبون به في بعض الأوقات تمحيص لهم وترغيب في الشهادة وحرصهم على الشهادة مما يحرضهم على الجهاد فتحصل
الغلبة وقيل معناه هل لنا من التدبير من شيء يعنون لم نملك شيئا من التدبير حيث خرجنا من المدينة إلى أحد وكان علينا أن
نقيم ولا نبرح كما كان رأي عبد الله بن أبي وغيره ولو ملكنا من التدبير شيئا لما قتلنا في هذه المعركة قل إن التدبير كله لله يريد أن
الله عز وجل قد دبر الأمر كما جرى ولو أقمتم بالمدينة ولم تخرجوا من بيوتكم لما نجا من القتل من قتل منكم وقرئ كتب
عليهم القتال وكتب عليهم القتل على البناء للفاعل ولبرز بالتشديد وضم الباء وليبتلي الله ليمتحن ما في صدور المؤمنين من الإخلاص
وليمحص ما في قلوبهم من وساوس الشيطان فعل ذلك أو فعل ذلك لمصالح جمة وللابتلاء والتمحيص فإن قلت كيف مواقع
الجمل التي بعد قوله وطائفة قلت قد أهمتهم صفة لطائفة ويظنون صفة أخرى أو حال بمعنى قد أهمتهم أنفسهم ظانين
أو استئناف على وجه البيان للجملة قبلها ويقولون بدل من يظنون فإن قلت كيف صح أن يقع ما هو مسألة عن الأمر
بدلا من الإخبار بالظن قلت كانت مسألتهم صادرة عن الظن فلذلك جاز إبداله منه ويخفون حال من يقولون
وقل إن الأمر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال ويقولون بدل من يخفون والأجود أن يكون استئنافا إن الذين
تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم
استزلهم طلب منهم الزلل ودعاهم إليه ببعض ما كسبوا من ذنوبهم ومعناه أن الذين انهزموا يوم أحد كان السبب في توليهم أنهم
كانوا أطاعوا الشيطان فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعتهم التأييد وتقوية القلوب حتى تولوا وقيل استزلال الشيطان
إياهم هو التولي وإنما دعاهم إليه بذنوب قد تقدمت لهم لأن الذنب يجر إلى الذنب كما أن الطاعة تجر إلى الطاعة ويكون
لطفا فيها وقال الحسن رحمة الله عليه استزلهم بقبوله ما زين لهم من الهزيمة ~~وقيل ذكرهم تلك الخطايا فكرهوا لقاء الله معها~~
~~فأخروا الجهاد حتى~~ وقيل بعض ما كسبوا هو تركهم المركز الذي أمرهم رسول الله عليه الصلاة والسلام بالثبات فيه فجرهم
ذلك إلى الهزيمة وقيل ذكرهم تلك الخطايا فكرهوا لقاء الله معها فأخروا الجهاد حتى يصلحوا أمرهم ويجاهدوا على حالة
مرضية فإن قلت لم قيل ببعض ما كسبوا قلت هو كقوله تعالى ويعفو عن كثير ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم
واعتذارهم إن الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بالعقوبة يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا
لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة

في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير وقالوا لاخوانهم اي لاجل اخوانهم كقوله تعالى وقال الذين
كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ومعنى الاخوة اتفاق الجنس او النسب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها
وابعدوا للتجارة او غيرها او كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى كقوله عفى الحياض اجون وقرئ بتخفيف الزاي
على حذف التاء من غزاة فان قلت كيف قيل اذا ضربوا مع قالوا قلت هو على حكاية الحال الماضية كقولك
حين يضربون في الارض فان قلت ما متعلق ليجعل قلت قالوا اي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم
على ان اللام مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا بمعنى لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده
ليجعله الله حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم فان قلت ما معنى اسناد الفعل الى الله تعالى قلت
معناه ان الله عز وجل عند اعتقادهم ذلك المعتقد الفاسد يضع الغم والحسرة في قلوبهم ويضيق صدورهم عقوبة فاعتقاده
فعلهم وما يكون عنده من الغم والحسرة وضيق الصدور فعل الله عز وجل كقوله تعالى يجعل صدره ضيقا حرجا
كانما يصعد في السماء ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في
قلوبهم لان مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون ومضادتهم مما يغمهم ويغيظهم والله يحيي ويميت رد لقولهم اي الامر بيده
قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد كما يشاء وعن خالد بن الوليد رضي الله عنه انه قال عند موته ما في موضع شبر
الا وفيه ضربة او طعنة وها انا ذا اموت كما يموت العير فلا نامت عيون الجبناء والله بما تعملون بصير فلا تكونوا مثلهم
وقرئ بالياء يعني الذين كفروا ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما تجمعون لمغفرة جواب
القسم وهو ساد مسد جواب الشرط وكذلك لالى الله تحشرون كذب الكافرين اولا في زعمهم ان من سافر من
اخوانهم او غزا لو كان بالمدينة لما مات ونهى المسلمين عن ذلك لانه سبب التقاعد عن الجهاد ثم قال لهم ولئن تم عليكم ما
تخافونه من الهلاك بالموت او القتل في سبيل الله فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل الله خير مما تجمعون من
الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وعن ابن عباس رضي الله عنهما خير من طلاع الارض ذهبة حمراء وقرئ بالياء اي يجمع الكفار
ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون لالى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب تحشرون
ولوقوع اسم الله هذا الموقع مع تقديمه وادخال اللام على الحرف المتصل به شان ليس بالخفي وقرئ متم بضم الميم وكسرها
من مات يموت ومات يمات فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم
واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين ما مزيدة للتوكيد
والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا رحمة من الله ونحوه فبما نقضهم ميثاقهم ومعنى الرحمة ربطه على جاشه وتوفيقه
للرفق والتلطف بهم حتى اثابهم غما بغم واساهم بالمباثة بعد ما خالفوه وعصوا امره وانهزموا وتركوه ولو كنت فظا
جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك احد منهم فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر
لهم فيما يختص بحق الله اتماما للشفقة عليهم وشاورهم في الامر يعني في امر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي لتستظهر
برايهم ولما فيه من تطييب قلوبهم والرفع من اقدارهم وعن الحسن رحمه الله عليه قد علم الله انه ما به اليهم حاجة ولكنه
اراد ان يستن به من بعده وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما تشاور قوم قط الا هدوا لارشد امرهم وعن ابي هريرة رضي الله عنه
ما رايت احدا اكثر مشاورة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كان سادات العرب اذا لم يشاوروا في الامر
شق عليهم فامر الله رسوله بمشاورة اصحابه لئلا يثقل عليهم استبداده بالراي دونهم وقرئ وشاورهم في بعض
الامر فاذا عزمت فاذا قطعت الراي على شيء بعد الشورى فتوكل على الله في امضاء امرك على الارشد الاصلح فان ما هو اصلح

بلغ المقابلة

انه لا يعلمه الا الله لا انت ولا من تشاوره. وقرئ فاذا عزمت بضم التاء بمعنى فاذا عزمت لك على شيء وارشدتك اليه فتوكل
علي ولا تشاور بعد ذلك احدا إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى
اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا احد يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي
ينصركم وهذا تنبيه على ان الامر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه ونحوه ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها
وما يمسك فلا مرسل له من بعده من بعد خذلانه او هو من قولك ليس لك من يحسن اليك من بعد فلان تريد اذا جاوزته
وقرأ عبيد بن عمير وان يُخذِلكم من اخذله اذا جعله مخذولا وفيه ترغيب في الطاعة وفيما يستحقون به النصر من الله
والتأييد وتحذير من المعصية ومما يستوجبون به العقوبة بالخذلان وعلى الله وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض
اليه لعلمهم انه لا ناصر سواه ولان ايمانهم يوجب ذلك ويقتضيه وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ
يَوْمَ الْقِيٰمَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ يقال غل شيئا من المغنم غلولا واغل اغلالا اذا اخذه في خفية
يقال اغل الجازر اذا سرق من اللحم شيئا مع الجلد والغل الحقد الكامن في الصدر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من بعثناه على عمل
فغل شيئا جاء يوم القيمة يحمله على عنقه وقوله هدايا الولاة غلول وعنه ليس على المستعير غير المغل ضمان
وعنه لا اغلال ولا اسلال ويقال اغله اذا وجده غالا ~~ولا يوجد غالا الا اذا كان غالا~~ كقولك ابخلته واجبنته
ومعنى وما كان لنبي ان يغل وما صح له ذلك يعني ان النبوة تنافي الغلول وكذلك من قرأ على البناء للمفعول فهو راجع
الى معنى الاول لان معناه وما صح له ان يوجد غالا ولا يوجد غالا الا اذا كان غالا وفيه وجهان احدهما ان
يبرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وينزه وينبه على عصمته فان النبوة والغلول متنافيان لئلا يظن ظان
به شيئا منه وان لا يستريب به احد كما روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها
وروي انها نزلت في غنائم احد حين ترك الرماة المركز وطلبوا الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من اخذ
شيئا فهو له وان لا يقسم الغنائم ~~كما يقسم الغنائم~~ كما لم يقسم يوم بدر فقال لهم رسول الله عليه الصلاة والسلام الم اعهد
اليكم الا تتركوا المركز حتى يأتيكم امري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال صلى الله عليه وسلم بل ظننتم انا نغل ولا
نقسم لكم. والثاني ان يكون مبالغة في النهي لرسول الله عليه الصلاة والسلام على ما روي انه بعث طلائع فغنمت غنائم
فقسمها ولم يقسم للطلائع فنزلت يعني وما كان لنبي ان يعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بالسوية وسمى حرمان بعض
الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا لصورة الامر ولو قرئ ان يغل من اغل بمعنى غل لجاز يأت بما غل يوم القيمة يأت بالشيء الذي غله بعينه
يحمله كما جاء في الحديث جاء يوم القيمة يحمله على عنقه وروي الا لا اعرفن احدكم يأتي ببعير له رغاء وببقرة لها خوار وبشاة
لها ثغاء فينادي يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك من الله شيئا فقد بلغتك وعن بعض جفاة الاعراب انه سرق نافجة مسك
فتليت عليه الآية فقال اذا احملها طيبة الريح خفيفة المحمل ويجوز ان يراد يأت بما احتمل من وباله وتبعته واثمه فان قلت
هلا قيل ثم يوفى ما كسب ليتصل به قلت جيء بعام دخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى
وهو ابلغ واثبت لانه اذا علم الغال ان كل كاسب خيرا او شرا مجزي موفى جزاءه علم انه غير متخلص من تبعة ما غل مع عظم
ما اكتسب. وهم لا يظلمون اي يعدل بينهم في الجزاء كل جزاؤه على قدر كسبه أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ
اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ هم درجات اي هم متفاوتون كما
تتفاوت الدرجات كقوله انصب للمنية تعتريهم رجالي. ام هم درج السيول. وقيل ذوو درجات
والمعنى تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين او التفاوت بين الثواب والعقاب والله بصير بما يعملون عالم باعما

لهم

وذرءا لما مجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم نفس
الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين لقد من الله على المؤمنين على من امن مع رسول الله من قومه وخص
المؤمنين منهم لانهم هم المنتفعون بمبعثه من انفسهم من جنسهم عربيا مثلهم وقيل من ولد اسماعيل عليه الصلاة كما انهم من ولده
فان قلت فما وجه المنة عليهم في ان كان من انفسهم قلت اذا كان منهم كان اللسان واحدا فسهل اخذ ما يجب
عليهم اخذه عنه وكانوا واقفين على احواله في الصدق والامانة فكان ذلك اقرب لهم الى تصديقه والوثوق به وفي
كونه من انفسهم شرف لهم كقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وفي قراءة النبي عليه الصلاة والسلام وقراءة فاطمة
رضي الله عنها من انفسهم اي من اشرفهم لان عدنان ذروة اسماعيل عليه الصلاة والسلام ومضر ذروة نزار بن معد بن
عدنان وخندف ذروة مضر ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وذروة قريش محمد المصطفى صلى الله
عليه وعلى اله وفيما خطب به ابو طالب في تزويج خديجة رضي الله عنها وقد حضر معه بنو هاشم ورؤساء
مضر الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابرهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس
حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما امنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله من لا
يوزن به فتى من قريش الا رجح به وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وقرئ لمن من الله على المؤمنين
اذ بعث فيهم وجهان ان يراد لمن من الله على المؤمنين منه او بعثه اذ بعث فيهم فحذف لقيام الدلالة او يكون وفيه
اذ في محل الرفع كاذا في قولك اخطب ما يكون الامير اذا كان قائما بمعنى لمن من الله على المؤمنين وقت بعثه
يتلو عليهم اياته بعد ما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي ويزكيهم ويطهرهم من دنس القلوب
بالكفر ونجاسة سائر الجوارح بملابسة المحرمات وسائر الخبائث وقيل ياخذ منهم الزكوة ويعلمهم الكتاب والحكمة
القران والسنة بعد ما كانوا اجهل الناس وابعدهم من دراسة العلوم وان كانوا من قبل بعثة الرسول
لفي ضلال ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وتقديره وان الشان والحديث
كانوا من قبل في ضلال مبين ظاهر لا شبهة فيه اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا قل مبين
هو من عند انفسكم ان الله على كل شيء قدير اصابتكم مصيبة يريد ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم قد اصبتم
مثليها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين ولما نصب بقلتم واصابتكم في محل الجر باضافة لما اليه وتقديره اقلتم
حين اصابتكم وانى هذا نصب لانه مقول والهمزة للتقرير والتقريع فان قلت علام عطفت الواو هذه الجملة
قلت على ما مضى من قصة احد من قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده ويجوز ان يكون معطوفة على محذوف
كانه قيل افعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا انى هذا من اين هذا كقوله انى لك هذا لقوله تعالى من عند انفسكم وقوله
من عند الله والمعنى انتم السبب فيما اصابكم لاختياركم الخروج من المدينة او لتخليتكم المركز وعن علي رضي الله عنه
لاخذكم الفداء من اسارى بدر قبل ان يؤذن لكم ان الله على كل شيء قدير فهو قادر على النصر وعلى منعه وعلى ان
يصيب بكم تارة ويصيب منكم اخرى وما اصابكم يوم احد يوم التقى الجمعان جمعكم وجمع المشركين فهو كائن باذن الله
اي بتخليته استعار الاذن لتخليته الكفار فانه لم يمنعهم منهم ليبتليهم لان الاذن مخل بين المأذون له ومراده
وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل
الله او ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يقولون بافواههم ما ليس في
قلوبهم والله اعلم بما يكتمون وليعلم وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون وليظهر ايمان هؤلاء ونفاق هؤلاء وقيل لهم

لي

من جملة الصلة عطف على نافقوا وإنما لم يقل فقاتلوا لأنه جواب لسؤال اقتضاه دعاء المؤمنين لهم إلى القتال كأنه قيل
فماذا قالوا لهم فقيل قالوا لو نعلم ويجوز أن تقتصر الصلة على نافقوا ويكون وقيل لهم كلاماً مبتدأ قسم الأمر عليهم بين أن
يقاتلوا للآخرة كما يقاتل المؤمنون وبين أن يقاتلوا إن لم يكن بهم غم الآخرة دفعاً عن أنفسهم وأهليهم وأموالهم فأبوا القتال
وجحدوا القدرة عليه رأساً لنفاقهم ودغلهم وذلك ما روي أن عبد الله بن أبي انخزل مع حلفائه فقيل له فقال ذلك
وقيل أو ادفعوا العدو بتكثيركم سواد المجاهدين وإن لم تقاتلوا لأن كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه وعن
سهل بن سعد الساعدي وقد كف بصره لو أمكنني لبعت داري ولحقت بثغر من ثغور المسلمين فكنت بينهم وبين عدوهم
قيل وكيف وقد ذهب بصرك قال لقوله تعالى أو ادفعوا أراد أكثروا سوادهم ووجه آخر وهو أن يكون معنى قولهم لو
نعلم قتالاً لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالاً لاتبعناكم يعنون أن ما أنتم فيه لخطإ رأيكم وزللكم عن الصواب ليس بشيء ولا يقال
قتال إنما هو إلقاء بالأنفس إلى التهلكة لأن رأي عبد الله كان في الإقامة بالمدينة وما كان يستصوب الخروج هم للكفر
يومئذ أقرب منهم للإيمان يعني أنهم قبل ذلك اليوم كانوا يتظاهرون بالإيمان وما ظهرت منهم أمارة تؤذن بكفرهم
فلما انخزلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الإيمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لأهل
الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان لأن تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال تقوية للمشركين يقولون بأفواههم لا يتجاوز
إيمانهم أفواههم ومخارج الحروف منهم ولا تعي قلوبهم منه شيئاً وذكر الأفواه مع القلوب تصوير لنفاقهم وأن
إيمانهم موجود في أفواههم معدوم في قلوبهم خلاف صفة المؤمنين في مواطأة قلوبهم لأفواههم والله أعلم بما يكتمون
من النفاق وبما يجري بعضهم مع بعض من ذم المؤمنين وتجهيلهم وتخطئة رأيهم والشماتة بهم وغير ذلك لأنكم تعلمون بعض
ذلك علماً مجملاً بأمارات وأنا أعلم كله علم إحاطة بتفاصيله وكيفياته الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا
ما قتلوا قل فادرؤوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين الذين قالوا في إعرابه أوجه أن يكون نصباً على الذم
أو على الرد على الذين نافقوا أو رفعاً على هم الذين قالوا أو على الإبدال من واو يكتمون ويجوز أن يكون جراً بدلاً من الضمير في بأفواههم
أو قلوبهم • كقوله • على حالة لو أن في القوم حاتماً على جوده لضن بالماء حاتم •
لإخوانهم لأجل إخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم أحد أو إخوانهم في النسب وفي سكنى الدار وقعدوا أي قالوا
وقد قعدوا عن القتال لو أطاعونا إخواننا فيما أمرناهم به من القعود ووافقونا فيه لما قتلوا كما لم نقتل قل فادرؤوا
عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين معناه قل إن كنتم صادقين في أنكم وجدتم إلى دفع القتل سبيلاً وهو القعود عن القتال فجدوا
إلى دفع الموت سبيلاً يعني أن ذلك الدفع غير مغن عنكم لأنكم إن دفعتم القتل الذي هو أحد أسباب الموت لم تقدروا على
دفع سائر أسبابه المبثوثة ولا بد لكم من أن يتعلق بكم بعضها وروي أنه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقاً
فإن قلت فقد كانوا صادقين في أنهم دفعوا القتل عن أنفسهم بالقعود فما معنى قوله إن كنتم صادقين قلت
معناه أن النجاة من القتل يجوز أن يكون سببها القعود عن القتال وأن يكون غيره لأن أسباب النجاة كثيرة وقد يكون قتال
الرجل سبب نجاته ولو لم يقاتل لقتل فما يدريكم أن سبب نجاتكم القعود وأنكم صادقون في مقالتكم وما أنكرتم أن يكون
السبب غيره ووجه آخر إن كنتم صادقين في قولكم لو أطاعونا وقعدوا ما قتلوا يعني أنهم لو أطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين
كما قتلوا مقاتلين وقوله فادرؤوا عن أنفسكم الموت استهزاء بهم أي إن كنتم رجالاً دفاعين لأسباب الموت فادرؤوا جميع
أسبابه حتى لا تموتوا ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ولا تحسبن الخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد وقرئ بالياء على ولا يحسبن رسول الله أو ولا يحسبن حاسب ويجوز أن يكون الذين قتلوا فاعلاً

ويكون التقدير ولا يحسبنهم الذين قتلوا امواتا اي ولا يحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا فان قلت كيف جاز حذف
المفعول الاول قلت هو في الاصل مبتدا فحذف كما حذف المبتدا في قوله احياء والمعني هم احياء لدلالة الكلام عليهما
وقري ولا يحسبن بفتح السين وقتلوا بالتشديد واحياء بالنصب علي معني بل احسبهم احياء عند ربهم مقربون عنده
ذوو زلفي كقوله فالذين عند ربك يرزقون مثل ما يرزق سائر الاحياء عند ربهم مقربون ياكلون ويشربون
وهو تاكيد لكونهم احياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله تعالى فرحين بما اتيهم من فضله
ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون فرحين بما اتيهم
الله من فضله وهو التوفيق في الشهادة وما ساق اليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم احياء
مقربين معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها وعن رسول الله عليه الصلاة والسلام لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله
ارواحهم في اجواف طير خضر تدور في انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الي قناديل من ذهب معلقة في
ظل العرش ويستبشرون باخوانهم المجاهدين الذين لم يلحقوا بهم اي لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم يريد الذين من
خلفهم قد بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم وقيل لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم ان لا خوف عليهم
بدل من الذين والمعني يستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المومنين وهو انهم يبعثون امنين
يوم القيمة بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث
للباقين بعدهم على ازدياد الطاعة والجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء واصابة فضلهم واحماد لحال
من يري نفسه في خير فيتمني مثله لاخوانه في الله وبشري للمومنين بالفوز في الماب يستبشرون بنعمة من الله
وفضل وان الله لا يضيع اجر المومنين وكرر يستبشرون ليعلق به ما هو بيان لقوله ان لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون من ذكر النعمة والفضل وان ذلك اجر لهم على ايمانهم يجب في عدل الله وحكمته ان يحصل لهم ولا يضيع وقري
وان الله بالفتح عطفا على النعمة والفضل وبالكسر على الابتداء وعلى ان الجملة اعتراض وهي قراءة الكسائي وتعضدها قراءة
عبد الله والله لا يضيع الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر
عظيم الذين استجابوا مبتدا خبره للذين احسنوا او صفة للمومنين او نصب على المدح وروي ان ابا سفيان واصحابه
لما رجعوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله عليه الصلاة والسلام فاراد ان يرهبهم ويريهم
من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب ابي سفين وقال لا يخرجن معنا احد الا من حضر يومنا بالامس
فخرج رسول الله عليه الصلاة والسلام مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال وكان باصحابه
القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقي الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت ومن في للذين
احسنوا منهم للتبيين مثلها في قوله تعالى وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان الذين استجابوا لله والرسول
قد احسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم وعن عروة ابن الزبير رضي الله عنه قالت لي عايشة رضي الله عنها ان ابويك لمن الذين
استجابوا لله والرسول تعني ابا بكر والزبير رضي الله عنهما الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم
فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم روي ان ابا سفين
نادي عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه الصلاة والسلام ان شاء الله فلما كان القابل
خرج ابا سفين في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فالقي الله الرعب في قلبه فبدا له ان يرجع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي
وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم اني واعدت محمدا ان نلتقي بموسم بدر وان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه

ندبهم له

الشجر

التجروا ونشرب فيه اللبن وتدبدلنا ولئن خرج محمد ولم اخرج زاده ذلك جرأة فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندي عشر
من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا بالرأي أتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم احد
الا شريد افتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم فوالله لا يفلت منكم احد وقيل مر بابي سفين ركب
من عبد القيس يريدون المدينة للميرة فجعل لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوهم فكره المسلمون الخروج فقال عليه
الصلاة والسلام والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله
ونعم الوكيل وقيل هي الكلمة التي قالها ابرهيم عليه الصلاة والسلام حين ألقي في النار حتى وافوا بدرا واقاموا بها
ثمان ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا ثم انصرفوا الى المدينة سالمين غانمين ورجع ابو سفيان الى مكة فسمى
اهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا انما خرجتم لتشربوا السويق فالناس الاولون المثبطون والآخرون ابو سفيان
واصحابه وان قلت كيف قيل الناس ونعيم هو المثبط وحده قلت قيل ذلك لانه من جنس الناس كما ان كان م
يقال فلان يركب الخيل ويلبس البرود وما له الا فرس واحد وبرد فرد ولانه حين قال ذلك لم يخل من ناس من
اهل المدينة يضامّونه ويصلون جناح كلامه ويثبطون مثل تثبيطه فان قلت الام يرجع المستكن في فزادهم قلت
الى المقول الذي هو ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كانه قيل قالوا لهم هذا الكلام فزادهم ايمانا او الى مصدر قالوا
كقولك من صدق كان خيرا له او الى الناس اذا اريد به نعيم وحده فان قلت كيف زادهم نعيم او مقوله ايمانا
قلت لما لم يسمعوا قوله واخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد واظهروا حمية الاسلام كان ذلك اثبت ليقينهم
واقوى لاعتقادهم كما يزداد الايقان بتناصر الحجج ولان خروجهم على اثر تثبيطه الى وجهة العدو طاعة عظيمة
والطاعات من جملة الايمان لان الايمان اعتقاد واقرار وعمل وعن ابن عمر رضي الله عنهما قلنا يا رسول الله ان الايمان
يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وعن عمر رضي الله عنه انه كان
ياخذ بيد الرجل فيقول قم بنا نزدد ايمانا وعنه لو وزن ايمان ابي بكر بايمان هذه الامة لرجح به حسبنا الله محسبنا
الله اي كافينا يقال احسبه الشيء اذا كفاه والدليل على انه بمعنى المحسب انك تقول هذا رجل حسبك فتصف به
النكرة لان اضافته لكونه في معنى اسم الفاعل غير حقيقية ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا بنعمة من
الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله
وهي السلامة وحذر العدو منهم وفضل وهو الربح في التجارة كقوله تعالى ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا
من ربكم لم يمسسهم سوء لم يلقوا ما يسوءهم من كيد عدو واتبعوا رضوان الله بجراءتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم
قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا وفي ذلك تحسير لمن تخلف عنهم واظهار لخطأ رأيهم حيث حرموا انفسهم ما
فاز به هؤلاء وروي انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم انما ذلكم الشيطان
يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين الشيطان خبر ذلكم بمعنى انما ذلكم المثبط هو الشيطان ويخوف
اولياءه جملة مستأنفة بيان لشيطنته او الشيطان صفة لاسم الاشارة ويخوف الخبر والمراد بالشيطان نعيم او ابو
سفين واصحابه ويدل عليه قراءة ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف بمعنى انما ذلكم قول الشيطان اي قول
ابليس لعنه الله يخوف اولياءه وقوله فلا تخافوهم وقيل يخوف اولياءه القاعدين يخوفكم اولياءه الذين هم
ابو سفين واصحابه ويدل عليه قراءة ابن عباس رضي الله عنهما وابن مسعود رضي الله عنه يخوفكم اولياءه وقوله فلا تخافوهم
وقيل يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله عليه الصلاة والسلام فان قلت فالام رجع الضمير في

ولا تخافوهم على هذا التفسير قلت الى الناس في قوله إن الناس قد جمعوا لكم فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا وخافوني فجاهدوا مع رسولي وسارعوا الى ما يأمركم به ان كنتم مؤمنين. يعني ان الايمان يقتضي أن تؤثروا خوف الله على خوف الناس ولا تخشون احدا الا الله. ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله الا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا ويرغبون فيه اشد رغبة وهم الذين نافقوا من المتخلفين وقيل هم قوم ارتدوا عن الاسلام فان قلت فما معنى قوله ولا يحزنك ومن حق الرسول ان يحزن لنفاق من نافق وارتداد من ارتد قلت معناه لا يحزنوك لخوف ان يضروك ويعينوا عليك الا ترى الى قوله انهم لن يضروا الله شيئا يعني انهم لا يضرون بمسارعتهم في الكفر غير انفسهم وما وبال ذلك عائدا على غيرهم ثم بين كيف يعود وباله عليهم بقوله يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة اي نصيبا من الثواب ولهم بدل الثواب عذاب عظيم وذلك ابلغ ما ضر به الانسان نفسه فان قلت هلا قيل لا يجعل الله لهم حظا في الآخرة واي فائدة في ذكر الارادة قلت فائدته الاشعار بان الداعي الى حرمانهم وتعذيبهم قد خلص خلوصا لم يبق معه صارف قط حين سارعوا في الكفر تنبيها على تماديهم في الطغيان وبلوغهم الغاية فيه حتى ان ارحم الراحمين يريد ان لا يرحمهم. ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان اما ان يكون تكريرا للمذكورين للتأكيد والتسجيل عليهم بما اضاف اليهم واما ان يكون عاما للكفار والاول خاصا فيمن نافق من المتخلفين او ارتد عن الاسلام او على العكس. وشيئا نصب على المصدر لان المعنى شيئا من الضرر وبعض الضرر ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين الذين كفروا فيمن قرأ بالتاء نصب وانما نملي لهم خير لانفسهم بدل منه اي ولا تحسبن انما نملي للكافرين خير لهم وان مع ما في حيزه ينوب عن المفعولين كقوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون. وما مصدرية بمعنى ولا تحسبن ان املاءنا خير وكان حقها في قياس علم الخط ان تكتب مفصولة ولكنها وقعت في الامام متصلة فلا تخالف ويتبع سنة الامام في خط المصحف فان قلت كيف صح مجيء البدل ولم يذكر الا احد المفعولين ولا يجوز الاقتصار بفعل الحسبان على مفعول واحد قلت صح ذلك من حيث ان التعويل على البدل والمبدل منه في حكم المنحى الا تراك تقول جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع سكوتك على متاعك ويجوز ان يقدر مضاف محذوف على ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وهو فيمن قرأ بالياء رفع والفعل متعلق بان وما في حيزه والاملاء لهم تخليتهم وشأنهم مستعار من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء وقيل هو امهالهم والمعنى ولا تحسبن ان الاملاء خير لهم من منعهم او قطع آجالهم انما نملي لهم ما هذه حقها ان تكتب متصلة لانها كافة دون الاولى وهذه جملة مستأنفة تعليل للجملة قبلها كانه قيل ما بالهم لا يحسبون الاملاء خيرا لهم فقيل انما نملي لهم ليزدادوا اثما فان قلت كيف جاز ان يكون ازدياد الاثم غرضا لله تعالى في املائه لهم قلت هو علة للاملاء وما كل علة بغرض الا تراك تقول قعدت عن الغزو للعجز والفاقة وخرجت من البلد مخافة الشر وليس شيء منها بغرض لك وانما هي علل واسباب فكذلك ازدياد الاثم جعل علة للاملاء وسببا فيه فان قلت كيف يكون ازدياد الاثم علة للاملاء كما كان العجز علة للقعود وقرأ يحيى بن وثاب بكسر الاولى وفتح الثانية ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لازدياد الاثم كما

يفعلون

وإطالة عمرهم

عن الحرب قلت لما كان في علم الله المحيط بكل شيء انهم مزدادون اثما فكان الاملاء وقع من اجله وبسببه على طريق المجاز

يعملون وانما نملي ليتوبوا ويدخلوا في الايمان. وقوله انما نملي لهم خير لانفسهم اعتراض بين الفعل ومعموله ومعناه ان
املاءنا خير لانفسهم ان عملوا فيه وعرفوا انعام الله عليهم بتفسيح المدة وترك المعاجلة بالعقوبة. فان قلت فما
معنى قوله ولهم عذاب مهين على هذه القراءة قلت معناه ولا تحسبوا ان املاءنا لزيادة الاثم والتعذيب
والواو للحال كانه قيل ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين. ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز
الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله
ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم اللام لتاكيد النفي على ما انتم عليه من اختلاط المؤمنين المخلص والمنافق
حتى يميز الخبيث من الطيب حتى يعزل المنافق عن المخلص. وقرئ يميز من ميز وفي رواية عن ابن كثير يميز
من اماز بمعنى ميز. فان قلت لمن الخطاب في انتم قلت للمصدقين جميعا من اهل الاخلاص والنفاق كانه قيل
ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي انتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وانه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم
على التصديق جميعا حتى يميزهم منكم بالوحي الى نبيه واخباره باحوالكم. ثم قال وما كان الله ليطلعكم على الغيب
اي وما كان الله ليؤتي احدا منكم علم الغيوب فلا تتوهموا عند اخبار الرسول بنفاق الرجل واخلاص الآخر انه يطلع
على ما في القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها وايمانها ولكن الله يرسل الرسول فيوحي اليه ويخبره بان في الغيب كذا
وان فلانا في قلبه النفاق وفلان في قلبه الاخلاص. فيعلم ذلك من جهة اخبار الله لا من جهة اطلاعه على المغيبات
ويجوز ان يراد ولا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بان يكلفكم التكاليف الصعبة التي
لا يصبر عليها الا الخلص الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى كبذل الارواح في الجهاد وانفاق الاموال في سبيل الله
فيجعل ذلك عيارا على عقائدكم وشاهدا بضمائركم حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض من طريق الاستدلال لا من
جهة الوقوف على ذات الصدور والاطلاع عليها فان ذلك مما استاثر الله به وما كان الله ليطلع احدا منكم على
الغيب ومضمرات القلوب حتى يعرف صحيحها من فاسدها مطلعا عليها ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيخبره
ببعض المغيبات. فآمنوا بالله ورسله بان تقدروه حق قدره وتعلموه وحده مطلعا على الغيوب وان تنزلوهم
منازلهم بان تعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يخبرون الا بما اخبرهم الله به من
الغيوب وليسوا من علم الغيب في شيء. وعن السدي قال الكافرون ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن
يكفر فنزلت. ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون
به يوم القيمة ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير. ولا تحسبن من قرأ بالتاء قدر مضافا محذوفا
اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون كان المفعول الاول عنده محذوفا تقديره ولا يحسبن الذين يبخلون هو خيرا لهم
وكذلك من قرأ بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله عليه الصلاة والسلام او ضمير احد ومن جعل فاعله الذين
يبخلون كان المفعول الاول عنده محذوفا تقديره ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم هو خيرا لهم والذي
سوغ حذفه دلالة يبخلون عليه وهو فصل. وقرأ الاعمش بغير هو. سيطوقون تفسير لقوله هو شر لهم اي سيلزمون
وبال ما بخلوا به الزام الطوق. وفي امثالهم تقلدها طوق الحمامة اذا جاء بهنة ويذم. وقيل يجعل ما
يسب بها
بخل به من الزكاة حية يطوقها في عنقه يوم القيمة تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر راسه وتقول انا مالك
وعن النبي صلى الله عليه وسلم في مانع الزكاة يطوق شجاعا اقرع. وروي بشجاع اسود وعن النخعي سيطوقون بطوق
من نار. ولله ميراث السموات والارض اي وله ما فيهما مما يتوارثه اهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه بالتاء والياء

ولا ينفقونه في سبيل الله ونحوه قوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وقرئ بما يعملون بالياء والتاء فالتاء على طريقة الالتفات
وهي ابلغ في الوعيد والياء على الظاهر قال ذلك اليهود حين سمعوا قول الله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا
حسنا فلا يخلوا اما ان يقولوه عن اعتقاد لذلك او عن استهزاء بالقرآن وايهما كان فالكلمة عظيمة لا تصدر الا عن متمردين
في كفرهم ومعنى سماع الله له انه لم يخف عليه وانه اعد له كفاءه من العقاب لقد سمع الله قول الذين قالوا
ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق
سنكتب ما قالوا في صحائف الحفظة او سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب فان قلت
كيف قال لقد سمع الله ثم قال سنكتب وهلا قيل ولقد كتبنا قلت ذكر وجود السماع اولا مؤكدا بالقسم ثم
قال سنكتب على جهة الوعيد بمعنى لن يفوتنا قتلهم الانبياء وجعل قتلهم الانبياء قرينة له ايذانا بانهما في العظم اخوان ابدا اثباته وتدوينه كما لن يفوتنا
وبان هذا ليس باول ما ركبوه من العظائم وانهم اصلاء في الكفر ولهم فيه سوابق وان من قتل الانبياء لم يستبعد
منه الاجتراء على مثل هذا القول وروي ان رسول الله صلى الله عليه والسلام كتب مع ابي بكر رضي
الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلاة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال
فنحاص اليهودي ان الله فقير حين سألنا القرض فلطمه ابو بكر رضي الله عنه في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم
من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله عليه الصلاة والسلام وجحد ما قاله فنزلت ونحوه قوله يد الله مغلولة
ونقول ذوقوا عذاب النار وننتقم منهم بان نقول لهم يوم القيمة ذوقوا عذاب الحريق كما اذقتم المسلمين الغصص
يقال للمنتقم منه احس وذق وقال ابو سفين لحمزة رضي الله عنه ذق عقق وقرأ حمزة سيكتب بالياء على البناء
للمفعول ويقول بالياء وقرأ الحسن والاعرج سيكتب بالياء وتسمية الفاعل وقرأ ابن مسعود ويقال ذوقوا ذلك
بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد ذلك اشارة الى ما تقدم من عقابهم وذكر الايدي لان
اكثر الاعمال تزاول بهن فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب فان قلت فلم عطف قوله وان الله
ليس بظلام للعبيد على ما قدمت ايديكم وكيف جعل كونه غير ظلام للعبيد شريكا لاجترائهم السيئات في استحقاق التعذيب
قلت معنى كونه غير ظلام للعبيد انه عادل عليهم ومن العدل ان يعاقب المسيء منهم ويثيب المحسن والله اعلم
الذين قالوا ان الله عهد الينا الا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من
قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين عهد الينا امرنا في التورية واوصانا بان لا نؤمن لرسول
حتى يأتينا بهذه الاية الخاصة وهو ان يرينا قربانا تنزل نار من السماء فتأكله كما كان انبياء بني اسرائيل تلك ايتهم
كان يقرب بالقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار من السماء فتأكله وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله لان
اكل النار القربان لم يوجب الايمان للرسول الاتي به الا لكونه اية ومعجزة فهو اذن وسائر الايات سواء فلا يجوز
ان يعينه الله تعالى من بين الايات وقد الزمهم الله ان انبياءهم جاؤهم بالبينات الكثيرة التي اوجبت عليهم التصديق
وجاؤهم ايضا بهذه الاية التي اقترحوها فلم قتلوهم ان كانوا صادقين ان الايمان يلزمهم باتيانها وقرئ بقربان
بضمتين ونظيره السلطان فان قلت ما معنى قوله وبالذي قلتم قلت معناه وبمعنى الذي قلتموه من قولكم
قربان تأكله النار ومؤداه كقوله ثم يعودون لما قالوا اي لمعنى ما قالوا فان كذبوك فقد كذب رسل
من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير في مصاحف اهل الشام وبالزبر وهي الصحف والكتاب
المنير التورية والانجيل والزبور وهذه الاية تسلية لرسول الله عليه الصلاة والسلام من تكذيب قومه وتكذيب اليهود

كل

كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما
الحياة الدنيا إلا متاع الغرور قرأ اليزيدي ذائقةٌ الموتَ على الأصل وقرأ الأعمش ذائقةُ الموتَ بطرح التنوين
مع النصب كقوله * ولا ذاكرَ اللهَ إلا قليلا * فإن قلت كيف اتصل به قوله وإنما توفون أجوركم قلت اتصاله
به على أن كلكم تموتون لا بد لكم من الموت لا توفون أجوركم على طاعاتكم ومعاصيكم عقيب موتكم وإنما توفونها
يوم قيامكم عن القبور فإن قلت فهذا يوهم نفي ما يروى أن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر
النار قلت كلمة التوفية تزيل هذا الوهم لأن المعنى أن توفية الأجور وتكميلها يكون ذلك اليوم وما يكون
قبل ذلك فبعض الأجور. الزحزحة التنحية والإبعاد تكرير الزح وهو الجذب بعجلة. فقد فاز فقد حصل له
الفوز المطلق المتناول لكل ما يفاز به ولا غاية للفوز وراء النجاة من سخط الله والعذاب السرمد ونيل
رضوان الله والنعيم المخلد. اللهم وفقنا لما ندرك به عندك الفوز في المآب. وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي إلى الناس ما يحب
أن يؤتى إليه. وهذا شامل للمحافظة على حقوق الله وحقوق العباد. شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام
ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته. والشيطان هو المدلس الغرور. وعن سعيد بن جبير إنما هذا لمن
آثرها على الآخرة فأما من طلب الآخرة بها فإنها متاع بلاغ. لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين
أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور
خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا أنفسهم على احتمال ما سيلقون من الأذى والشدائد والصبر عليها حتى إذا لقوها
لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه. والبلاء في
الأنفس القتل والأسر والجراح وما يرد عليها من أنواع المخاوف والمصائب. وفي الأموال الإنفاق في سبيل الخير
وما يقع فيها من الآفات. وما يسمعون من أهل الكتاب المطاعن في الدين الحنيف وصد من أراد الإيمان وتخطئة
من آمن. وما كان من كعب بن الأشرف من هجائه لرسول الله عليه الصلاة والسلام وتحريض المشركين ومن
فنحاص ومن بني قريظة والنضير. فإن ذلك فإن الصبر والتقوى من عزم الأمور من معزومات الأمور أي مما يجب
العزم عليه من الأمور أو مما عزم الله أن يكون يعني أن ذلك عزمة من عزمات الله لا بد لكم أن تصبروا وتتقوا.
وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا
به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون وإذ أخذ الله واذكر وقت أخذ الله ميثاق أهل الكتاب لتبيننه الضمير للكتاب
أكد عليهم إيجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل إذا عزم عليه وقيل له آلله لتفعلن. فنبذوه وراء
ظهورهم فنبذوا الميثاق وتأكيده عليهم يعني لم يراعوه ولم يلتفتوا إليه. والنبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك
الاعتداد. ونقيضه جعله نصب عينيه وألقاه بين عينيه وكفى به دليلا على أنه مأخوذ على العلماء أن يبينوا الحق
للناس وما علموه وأن لا يكتموا منه شيئا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارهم
أو لجر منفعة وحطام دنيا أو لتقية مما لا دليل عليه ولا أمارة أو لبخل بالعلم وغيرة أن ينسب إليه غيرهم. وعن
النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن أهله ألجم بلجام من نار. وعن طاوس أنه قال لوهب إني أرى الله سوف
يعذبك بهذه الكتب. وقال والله لو كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرأيت أن الله سيعذبك. وعن محمد بن كعب
لا يحل لأحد من العلماء أن يسكت على علمه ولا يحل للجاهل أن يسكت على جهله حتى يسأل. وعن علي رضي الله عنه ما أخذ الله على

اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا • وقرئ ليبيننه ولا يكتمونه بالياء لانهم غيب وبالتاء على حكاية مخاطبتهم
لقوله تعالى وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون ان يحمدوا
بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم • لا تحسبن خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
واحد المفعولين الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تاكيد تقديره لا تحسبنهم فائزين • وقرئ لا تحسبن
فلا تحسبنهم بضم الباء على خطاب المؤمنين ولا يحسبن فلا يحسبنهم بالياء وفتح الباء فيهما على ان الفعل للرسول
وقرأ ابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الفعل للذين يفرحون والمفعول الاول محذوف
على لا يحسبنهم الذين يفرحون بمفازة بمعنى لا يحسبن انفسهم الذين يفرحون فائزين وفلا يحسبنهم تاكيد ومعنى
بما أتوا بما فعلوا واتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال الله تعالى انه كان وعده ماتيا • لقد جئت شيئا فريا •
ويدل عليه قراءة ابي يفرحون بما فعلوا وقرئ آتوا بمعنى اعطوا • وعن علي رضي الله عنه بما اوتوا ومعنى بمفازة
من العذاب منجاة منه • روي ان رسول الله عليه الصلاة والسلام سال اليهود عن شيء مما في التورية فكتموا
الحق واخبروه بخلافه واروه انهم قد صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا فاطلع الله رسوله على ذلك وسلاه
بما انزل من وعيدهم • اي لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون ان تحمدهم بما لم يفعلوا
من اخبارك بالصدق عما سالتهم عنه ناجين من العذاب ومعنى يفرحون بما اوتوا من علم التورية • وقيل يفرحون
بما فعلوا من كتمان نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم • ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من اتباع دين ابرهيم عليه الصلاة
والسلام • حيث ادعوا ان ابرهيم كان على اليهودية وانهم على دينه • وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو مع رسول الله عليه
الصلاة والسلام • فلما قفل اعتذروا اليه بانهم راوا المصلحة في التخلف واستحمدوا اليه بترك الخروج • وقيل هم المنافقون
يفرحون بما اتوا من اظهار الايمان للمسلمين ومنافقتهم وتوصلهم بذلك الى اغراضهم ويستحمدون اليهم بالايمان
الذي لم يفعلوه على الحقيقة لابطانهم الكفر • ويجوز ان يكون شاملا لكل من ياتي بحسنة فيفرح بها فرح اعجاب
ويحب ان يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانة والزهد بما ليس فيه • ولله ملك السموات والارض والله على كل
شيء قدير • ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم والله على كل شيء قدير فهو يقدر على عقابهم • ان في
خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب • لآيات لادلة واضحة على
الصانع وعظيم قدرته وباهر حكمته لاولي الالباب للذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار ولا
ينظرون اليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب الفطر • وفي النصائح الصغار املا عينيك من زينة هذه الكواكب
واجلهما في جملة هذه العجائب • متفكرا في قدرة مقدرها متدبرا في حكمة مدبرها قبل ان يسافر بك القدر
ويحال بينك وبين النظر • وعن ابن عمر رضي الله عنهما قلت لعائشة رضي الله عنها اخبريني باعجب ما رايت من
رسول الله عليه الصلاة والسلام فبكت واطالت • ثم قالت كل امره عجب • اتاني في ليلتي فدخل في لحافي حتى
الصق جلده بجلدي • ثم قال يا عائشة هل لك ان تاذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لاحب
قربك واحب هواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضا ولم يكثر من صب الماء • ثم قام يصلي فقرأ
من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله واثنى عليه • وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى
رايت دموعه قد بلت الارض فاتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فراه يبكي • فقال له يا رسول الله اتبكي وقد غفر
الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال عليه الصلاة والسلام يا بلال افلا اكون عبدا شكورا • ثم قال ومالي لا ابكي وقد

انزل

انزل الله علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض ثم قال ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها • وروي ويل لمن لاكها بين فكيه
ولم يتامّلها • وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلي الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الي السماء ثم يقول
ان في خلق السموات والارض • وحكي ان الرجل من بني اسرائيل كان اذا عبد الله ثلثين سنة اظلته سحابة فعبدها فتي من فتيانها
فلم تظلّه فقالت له امه لعلّ فرطة فرطت منك في مدتك قال ما اذكر قالت لعلّك نظرت مرة الي السماء ولم
تعتبر قال لعلّ قالت فما اوتيت الا من ذاك • الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلي جنوبهم ويتفكرون في
خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار يذكرون الله ذكرا دائبا
علي اي حال كانوا من قيام او قعود واضطجاع لا يخلون بالذكر في اغلب احوالهم • وعن ابن عمر وعروة بن الزبير
رضي الله عنهما • وجماعة انهم خرجوا يوم العيد الي المصلي فجعلوا يذكرون الله • فقال بعضهم اما قال الله تعالي يذكرون
الله قياما وقعودا • فقاموا يذكرون الله علي اقدامهم • وعن النبي صلي الله عليه وسلم من احبّ ان يرتع في رياض الجنة فليكثر
ذكر الله وقيل معناه يصلّون في هذه الاحوال علي حسب استطاعتهم • قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لعمران بن الحصين
صلّ قائما فان لم تستطع فقاعدا • فان لم تستطع فعلي جنب تومي ايماء وهذه حجة للشافعي رضي الله عنه في اضطجاع
المريض علي جنبه كما في اللحد وعند ابي حنيفة رحمة الله عليه انه يستلقي حتي اذا وجد خفة قعد ومحل علي جنوبهم
نصب علي الحال • عطفا علي ما قبله • كانه قيل قياما وقعودا ومضطجعين • ويتفكرون في خلق السموات والارض
وما يدلّ عليه اختراع هذه الاجرام العظام وابداع صنعتها وما دبّر فيها مما تكلّ الافهام عن ادراك بعض عجائبه علي
عظم شأن الصانع وكبرياء سلطانه وعن سفين الثوري انه صلّي خلف المقام ركعتين ثم رفع راسه الي السماء فلما
راي الكواكب غشي عليه وكان يبول الدم من طول حزنه وفكرته • وعن النبي صلي الله عليه وسلم بينما رجل مستلق علي فراشه
اذ رفع راسه فنظر الي النجوم والي السماء فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وعن النبي
صلي الله عليه وسلم لا عبادة كالتفكر وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النبات
وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة • وروي عن النبي عليه الصلاة والسلام لا تفضّلوني
علي يونس ابن متي فانه كان يرفع له في كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله الذي هو عمل
القلب لان احدا لا يقدر ان يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل اهل الارض • ما خلقت هذا باطلا • علي ارادة القول
اي يقولون ذلك وهو في محل الحال بمعني يتفكرون قائلين والمعني ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لداعي
حكمة عظيمة وهو ان تجعلها مساكن للمكلفين وادلة لهم علي معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك ولذلك
وصل به قوله فقنا عذاب النار لانه جزاء من عصي ولم يطع فان قلت هذا اشارة الي السموات والارض لانها
في معني المخلوق ماذا قلت الي الخلق علي ان المراد به المخلوق كانه قيل ويتفكرون في مخلوق السموات والارض
اي فيما خلق منها ويجوز ان يكون اشارة الي السموات والارض لانهما في معني المخلوق كانه قيل ما خلقت هذا المخلوق
العجيب باطلا وفي هذا ضرب من التعظيم كقوله تعالي ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم • ويجوز ان يكون باطلا
حالا من هذا وسبحانك اعتراض للتنزيه من العبث ان يخلق شيئا بغير حكمة ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته
وما للظالمين من انصار فقد اخزيته فقد ابلغت في اخزائه وهو نظير قوله فقد فاز ومما يحوم به
كلامهم من ادرك مرعي الضمان • فقد ادرك • ومن سبق فلانا فقد سبق • وما للظالمين اللام اشارة الي من تدخل
النار واعلام بان من يدخل النار فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان امنوا

بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار تقول سمعت رجلا يقول كذا وسمعت
زيدا يتكلم فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لأنك وصفته بما يسمع او جعلته حالا عنه فاغناك عن ذكره ولولا الوصف
او الحال لم يكن منه بد وان يقال سمعت كلام فلان او قوله فان قلت فاي فائدة في الجمع بين المنادي وينادي قلت
ذكر النداء مطلقا ثم مقيدا بالايمان تفخيما لشان المنادي لانه لا منادي اعظم من مناد ينادي للايمان ونحوه قولك مررت
بهاد يهدي للاسلام وذلك ان المنادي اذا اطلق ذهب الوهم الى مناد للحرب او لاطفاء النائرة او لاغاثة المكروب
او لكفاية بعض النوازل او لبعض المنافع وكذلك الهادي قد يطلق على من يهدي للطريق ويهدي لسداد الراي وغير ذلك فاذا
قلت ينادي للايمان ويهدي للاسلام فقد رفعت من شان المنادي والهادي وفخمته ويقال دعاه لكذا والى كذا
وندبه له واليه وناداه له واليه ونحوه هداه للطريق واليه وذلك ان معنى انتهاء الغاية ومعنى الاختصاص واقعان
جميعا والمنادي هو الرسول ادعو الى الله ادع الى سبيل ربك وعن محمد بن كعب القرآن ان آمنوا اي آمنوا او بان
آمنوا ذنوبنا كبائرنا سيئاتنا صغائرنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين في جملتهم والابرار جمع بر او بار كرب وارباب
وصاحب واصحاب ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد على رسلك
على هذه صلة للوعد في قولك وعد الله الجنة على الطاعة والمعنى ما وعدتنا على تصديق رسلك الا تراه كيف اتبع ذكر المنادي
للايمان وهو الرسول وهو قوله آمنا وهو التصديق ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف اي ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا
على رسلك لان الرسل محملون ذلك فانما عليه ما حمل وقيل على السنة رسلك والموعود هو الثواب وقيل النصرة على
الاعداء فان قلت كيف دعوا الله بانجاز ما وعد والله لا يخلف الميعاد قلت معناه طلب التوفيق
فيما يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد او هو باب من اللجاء الى الله والخضوع له كما كان الانبياء عليهم السلام يستغفرون
مع علمهم انهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم والتضرع اليه واللجاء الذي هو سيماء العبودية فاستجاب
لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من
ديارهم واوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري
من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب يقال استجاب له واستجابه فلم يستجبه
عند ذاك مجيب اني لا اضيع قرئ بالفتح على حذف الباء وبالكسر على ارادة القول وقرئ لا اضيع بالتشديد من
ذكر او انثى بيان لعامل بعضكم من بعض اي يجمع ذكوركم واناثكم اصل واحد فكل واحد منكم من الآخر اي من اصله
او كانه منه لفرط اتصالكم واتحادكم وقيل المراد وصلة الاسلام وهذه جملة معترضة بينت بها شركة النساء مع
الرجال فيما وعد الله عباده العاملين وروي ان ام سلمة رضي الله عنها قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في
الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له والتفخيم كانه قال فالذين عملوا
هذه الاعمال السنية الفائقة وهي المهاجرة عن اوطانهم فارين الى الله بدينهم من دار الفتنة واضطروا الى الخروج
الى ديارهم التي ولدوا فيها ونشاوا بما سامهم المشركون من الخسف واوذوا في سبيلي من اجله وبسببه يريد سبيل
الدين وقاتلوا وقتلوا وغزوا المشركين واستشهدوا وقرئ وقتلوا بالتشديد وقتلوا وقاتلوا على التقديم
بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقتلوا على بناء الاول للفاعل والثاني للمفعول وقتلوا وقاتلوا على بنائهما للفاعل
ثوابا في موضع المصدر المؤكد بمعنى اثابة او تثويبا من عند الله لان قوله لاكفرن عنهم ولادخلنهم في معنى لاثيبنهم
وعنده مثل اي يختص به وبقدرته وفضله لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه كما يقول الرجل عندي ما تريد يريد اختصاصه

به وتملكه وان لم يكن بحضرته وهذا تعليم من الله كيف يدعى وكيف يبتهل اليه ويتضرع وتكرير ربنا من باب
الابتهال واعلام بما يوجب حسن الاجابة وحسن الاثابة من احتمال المشاق في دين الله والصبر على صعوبة تكاليفه
وقطع الاطماع الكسالى المتمنين عليه وتسجيل على من لا يرى الثواب موصولا اليه بالعمل بالجهل والغباوة وحكى
عن جعفر الصادق رضي الله عنه من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد الله وقرأ
هذه الاية وعن الحسن رضي الله عنه حكى عنهم انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم اخبر انه استجاب لهم الا انه
اتبع ذلك رافع الدعاء وما يستجاب به فلابد من تقديمه بين يدي الدعاء لا يغرنك تقلب الذين كفروا
في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد اي لا تنظر الى ما هم
لا يغرنك
عليه من سعة الرزق والمضطرب ودرك العاجل واصابة حظوظ الدنيا ولا تغترر بظاهر ما ترى من تبسطهم
في الارض وتصرفهم في البلاد يتكسبون ويتجرون ويتدهقنون عن ابن عباس رضي الله عنه هم اهل مكة وقيل
هم اليهود وروي ان ناسا من المؤمنين كانوا يرون ما كانوا فيه من الخصب والرخاء ولين العيش فيقولون
ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فان قلت كيف جاز ان يغتر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بذلك حتى ينهى عن الاغترار به قلت فيه وجهان احدهما ان مدره القوم ومقدمهم يخاطب
بشيء فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا فكانه قيل لا يغرنكم والثاني ان رسول الله كان غير مغرور بحالهم فأكد عليه ما كان
عليه وثبت على التزامه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين فلا تطع المكذبين وهذا في النهي نظير
قوله في الامر اهدنا الصراط المستقيم يا ايها الذين آمنوا آمنوا وقد جعل النهي في الظاهر للتقلب وهو في المعنى للمخاطب
وهذا من تنزيل السبب منزلة المسبب لان التقلب لو غره لاغتر به فمنع السبب ليمتنع المسبب وقرئ لا يغرنك بالنون
الخفيفة متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اي ذلك متاع قليل وهو التقلب في البلاد اراد قلته في جنب ما فاتهم
من نعيم الآخرة او في جنب ما اعد الله للمؤمنين من الثواب او اراد انه قليل في نفسه لانقضائه وكل زائل قليل قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع وبئس المهاد وساء
ما مهدوا لانفسهم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند
الله وما عند الله خير للابرار النزل والنزل ما يقام للنازل قال ابو الشعر الضبي

وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا ۞ جعلنا القنا والمرهفات له نزلا

وانتصابه اما على الحال من جنات لتخصصها بالوصف والعامل اللام ويجوز ان يكون بمعنى مصدر مؤكد كانه قيل رزقا
او عطاء من عند الله وما عند الله من الكثير الدائم خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل وقرأ مسلمة
بن محارب والاعمش نزلا بالسكون وقرأ يزيد بن القعقاع لكن الذين اتقوا بالتشديد وان من اهل الكتاب
لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا اولئك لهم
اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب وان من اهل الكتاب عن مجاهد نزلت في عبد الله بن سلام وغيره
من مسلمة اهل الكتاب وقيل في اربعين من اهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على
دين عيسى عليه الصلاة والسلام فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي ملك الحبشة ومعنى اصحمة عطية بالعربية وذلك انه
لما مات نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات
بغير ارضكم فخرج الى البقيع ونظر الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى

يصلي الى علج نصراني لم يره قط وليس على دينه فنزلت ودخلت لام الابتداء على اسم ان لفصل الظرف بينهما لقوله
وان منكم لمن ليبطئن • وما انزل اليكم من القران وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يؤمن
لان من يؤمن في معنى الجمع لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعل من لم يسلم ~~من قوله اولئك~~ من احبارهم
وكبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم اي ما يختص بهم من الاجر وهو ما وعده من قوله اولئك يؤتون
اجرهم مرتين • يؤتكم كفلين من رحمته وان الله سريع الحساب • لنفوذ علمه في كل شيء فهو عالم بما يستوجبه كل عامل
من الاجر ويجوز ان يراد ان ما توعدون لآت قريب بعده ذكر الموعد يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا
ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون اصبروا على الدين وتكاليفه وصابروا اعداء الله في الجهاد اي غالبوهم
في الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا اقل صبرا منهم وثباتا والمصابرة باب من الصبر ذكره بعد الصبر على
ما يجب الصبر عليه تخصيصا لشدته وصعوبته ورابطوا واقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين للغزو قال
الله تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم • وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة في سبيل الله
كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته الا لحاجة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام وعنه صلى الله
عليه وسلم من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تجب الشمس والله اعلم

سورة النساء مدنية | بسم الله الرحمن الرحيم | وهي مائة وسبع وسبعون آية

يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا
الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا يا ايها الناس يا بني آدم خلقكم من نفس واحدة فرعكم من اصل
واحد وهو نفس آدم ابيكم فان قلت علام عطف قوله وخلق منها زوجها قلت فيه وجهان احدهما ان
يعطف على محذوف كانه قيل من نفس واحدة انشأها او ابتدأها وخلق منها زوجها وانما حذف لدلالة المعنى عليه
والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها وهي انه انشأها من تراب وخلق زوجها حواء من ضلع من اضلاعها
وبث منهما نوعي جنس الانس وهما الذكور والاناث فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل لكيفية خلقهم منها والثاني
~~رجالا كثيرا ونساء غيركم من الامم الفائتة للحصر فان قلت الذي يقتضيه سداد نظم الكلام وجزالته~~
~~ان يجاء عقيب الامر بالتقوى بما يوجبها ويدعو اليها ويبعث عليها فكيف كان خلقه اياهم من نفس واحدة~~
ان يعطف على خلقكم ويكون الخطاب في يا ايها الناس للذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى خلقكم
من نفس آدم لانهم من جملة الجنس المفرع منه وخلق منها امكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الامم
الفائتة للحصر فان قلت الذي يقتضيه سداد نظم الكلام وجزالته ان يجاء عقيب الامر بالتقوى
بما يوجبها او يدعو اليها ويبعث عليها فكيف كان خلقه اياهم من نفس واحدة على التفصيل الذي ذكره موجبا
للتقوى وداعيا اليها قلت لان ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادرا
على كل شيء ومن المقدورات عقاب العصاة فالنظر فيه يؤدي الى ان يتقى القادر عليه ويخشى عقابه ولانه
يدل على النعمة السابغة عليهم فحقهم ان يتقوه في كفرانها والتفريط فيما يلزمهم من القيام بشكرها او اراد
بالتقوى تقوى مخصوصة وهي ان يتقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق بينهم فلا يقطعوا ما يجب عليهم وصله فقيل اتقوا
ربكم الذي وصل بينكم حيث جعلكم صنوانا مفرعة من ارومة واحدة فيما يجب على بعضكم لبعض فحافظوا عليه ولا تغفلوا

من قرأ سورة آل عمران أعطي بكل آية منها أمانا على جسر جهنم ع

عنه

عنه وهذا المعنى مطابق لمعاني السورة • وقرئ • وخالق منها زوجها وباث منهما بلفظ اسم الفاعل وهو خبر مبتدإ
محذوف تقديره وهو خالق • تساءلون به تتساءلون به فأدغمت التاء في السين • وقرئ تسألون بطرح التاء
أي يسأل بعضكم بعضاً بالله وبالرحم فيقول بالله وبالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف وأناشدك الله والرحم • أو تسألون به
غيركم بالله وبالرحم • وقيل تفاعلون موضع تفعلون للجمع كقولك رأيت الهلال وتراءيناه • وتنصره قراءة من
من قرأ تسألون مهموزاً وغير مهموز • وقرئ والأرحام بالحركات الثلاث • فالنصب على واتقوا الله والأرحام أو أن
يعطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمراً • وتنصره قراءة ابن مسعود رضي الله عنه • تسألون به وبالأرحام
والجر على عطف الظاهر على المضمر وليس بسديد لأن الضمير المتصل كاسمه والجار والمجرور كشيء واحد • وكانا في
قولك • مررت به وزيد وهذا غلامه وزيد شديدي الاتصال فلما اشتد الاتصال لتكرره أشبه العطف
على بعض الكلمة فلم يجز ووجب تكرير العامل كقولك مررت به وبزيد • وهذا غلامه وغلام زيد ألا ترى
إلى صحة قولك رأيتك وزيداً ومررت بزيد وعمرو لما لم يقو الاتصال لأنه لم يتكرر وقد تمحل لصحة هذه القراءة
بأنها على تقدير تكرير الجار ونظيرها قول الشاعر • فاذهب فما بك والأيام من عجب • • والرفع
على أنه مبتدأ خبره محذوف كأنه قيل والأرحام كذلك على معنى والأرحام مما يتقى أو والأرحام مما يتساءل به • والمعنى أنهم
كانوا يقرون بأن لهم خالقاً • وكانوا يتساءلون بذكر الله والرحم • فقيل لهم اتقوا الله الذي خلقكم واتقوا الذي
تتناشدون به واتقوا الأرحام فلا تقطعوها • أو واتقوا الله الذي تتعاطفون بإذكاره وبإذكار الرحم • وقد آذن
عز وجل إذ قرن الأرحام باسمه أن صلتها منه بمكان كما قال ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً • وعن الحسن إذا
سألك بالله فأعطه • وإذا سألك بالرحم فأعطه • وللرحم حجنة عند العرش • ومعناه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما الرحم
معلقة بالعرش • فإذا أتاها الواصل بشت به وكلمته • وإذا أتاها القاطع احتجبت منه • وسئل ابن عيينة عن قوله
عليه الصلاة والسلام تخيروا لنطفكم • فقال يقول لأولادكم وذلك أن يضع ولده في الحلال ألم تسمع قوله واتقوا الله
الذي تساءلون به والأرحام • وأول صلته أن يختار له الموضع الحلال فلا يقطع رحمه ولا نسبه فإنما للعاهر
الحجر • ثم يختار الصحة ويجتنب الدعوة ولا يضعه موضع سوء يتبع شهوته وهواه بغير هدى من الله • وآتوا اليتامى
أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوباً كبيراً وإن خفتم
ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع • اليتامى الذين مات آباؤهم فانفردوا
عنهم واليتم الانفراد ومنه الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة • وقيل اليتم في الأناسي من قبل الآباء وفي البهائم من قبل
الأمهات • فإن قلت كيف جمع اليتيم على يتامى واليتيم فعيل كمريض • قلت فيه وجهان أن يجمع على يتمى كأسرى
لأن اليتم من وادي الآفات والأوجاع ثم يجمع فعلى على فعالى كأسارى ويجوز أن يجمع على فعائل لجري اليتيم مجرى
الأسماء نحو صاحب وفارس • فيقال يتائم ثم يتامى على القلب وحق هذا الاسم أن يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى
الانفراد عن الآباء إلا أنه قد غلب أن يسموا به قبل أن يبلغوا مبلغ الرجال • فإذا استغنوا بأنفسهم عن كافل وقائم
عليهم وانتصبوا كفاة يكفلون غيرهم ويقومون عليهم زال عنهم هذا الاسم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يتيم أبي طالب إما على القياس • وإما حكاية للحال التي كان عليها صغيراً ناشئاً في حجر عمه توضيعاً له • وأما قوله عليه الصلاة
والسلام لا يتم بعد الحلم • فما هو إلا تعليم شريعة لا لغة يعني أنه إذا احتلم لم تجر عليه أحكام الصغار • فإن قلت
ما معنى قوله وآتوا اليتامى أموالهم • قلت إما أن يراد باليتامى الصغار • وبإتيانهم الأموال أن لا يطمع فيها الأولياء

والاوصيا وولاة السوء وقضاته ويكفوا عنها ايديهم الخاطفة حتى تاتي اليتامى اذا بلغوا سالمة غير محذوفة واما ان يراد الكبار تسمية
لهم يتامى على القياس او لقرب عهدهم اذا بلغوا بالصغر كما تسمى الناقة عشرا بعد وضعها على ان فيه اشارة الى ان لا يوخر دفع
اموالهم اليهم عن حد البلوغ ولا يمطلوا ان اونس منهم الرشد وان يوتوها قبل ان يزول عنهم اسم اليتامى والصغار
وقيل هي في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال فمنعه عمه فترافعا الى النبي عليه الصلاة
والسلام فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع ماله اليه فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ومن يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما
قبض الفتى ماله انفقه في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر وبقي الوزر قالوا يا رسول الله
قد عرفنا انه ثبت الاجر فكيف بقي الوزر وهو ينفق ماله في سبيل الله قال ثبت اجر الغلام وبقي الوزر على والده ولا
تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما ابيح لكم من المكاسب ورزق
الله المبثوث في الارض فتاكلوه مكانه او لا تستبدلوا الامر الخبيث وهو اختزال اموال اليتامى بالامر الطيب وهو
حفظها والتورع منها والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز منه التعجل بمعنى الاستعجال والتاخر بمعنى الاستيخار
قال ذو الرمة • فيا كرم السكن الذين تحملوا • عن الدار والمستخلف المتبدل •
اراد ويا لوم ما استخلفته الدار واستبدلته وقيل هو ان يعطي رديا ويأخذ جيدا وعن السدي ان يجعل شاة
مهزولة مكان سمينة وهذا ليس بتبديل الا ان يكارم صديقا له فياخذ منه عجفا مكان سمينة من مال الصبي ولا تاكلوا
اموالهم الى اموالكم ولا تنفقوها معها وحقيقته ولا تضموها اليها في الانفاق حتى لا تفرقوا بين اموالكم واموالهم قلة مبالاة
بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال فان قلت قد حرم عليهم اكل مال اليتامى وحده ومع اموالهم فلم ورد
النهي عن اكله معها قلت لانهم اذا كانوا مستغنين عن اموال اليتامى بما رزقهم الله من مال حلال وهم مع
ذلك يطمعون فيها كان القبح ابلغ والذم احق ولانهم كانوا يفعلون كذلك فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون ازجر
لهم والحوب الذنب العظيم ومنه قوله عليه الصلاة والسلام ان طلاق ام ايوب لحوب فكانه قيل كان ذنبا كبيرا
وقرا الحسن حوبا بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوبا وقرئ حابا ونظير الحوب والحاب القول والقال والطرد والطرد
ولما نزلت الاية في اليتامى وما في اكل اموالهم من الحوب الكبير خاف الاولياء ان يلحقهم الحوب بترك الاقساط في حقوق
اليتامى واخذوا يتحرجون من ولايتهم وكان الرجل منهم ربما كان تحته العشر من الازواج والثمان والست فلا يقوم
بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ترك العدل
بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لان من تحرج من ذنب او تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تايب
لانه انما وجب ان يتحرج من الذنب ويتاب منه لقبحه والقبح قايم في كل ذنب وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا وهم
يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا
تحوموا حول المحرمات وقيل كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال او يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره
فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن وفقد من يغضب لهن ان يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب
لهن فقيل لهم ان خفتم ان لا تقسطوا في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم ويقال للاناث اليتامى
كما يقال للذكور وهو جمع يتيمة على القلب كما قيل ايامى والاصل ايايم ويتايم وقرا النخعي تقسطوا بفتح التاء على ان لا
مزيدة مثلها في لئلا يعلم يريد وان خفتم ان تجوروا ما طاب لكم ما حل لكم من النساء لان منهن ما حرم كاللاتي في اية التحريم

وقيل

وقيل ما ذهابا الى الصفة لان ما سؤال عن الصفة كما ان من سؤال عن الذات ولان الاناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء ومنه قوله تعالى او ما ملكت ايمانكم مثنى وثلاث ورباع معدولة عن اعداد مكررة وانما منعت الصرف لما فيها من العدلين عدلها عن صيغها وعدلها عن تكررها وهي نكرات تعرفن بلام التعريف يقول فلان ينكح المثنى والثلاث والرباع ومحلهن النصب على الحال مما طاب تقديره فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا فان قلت الذي اطلق للناكح في الجمع ان يجمع بين ثنتين او ثلاث او اربع فما معنى التكرير في مثنى وثلاث ورباع قلت الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما اراد من العدد الذي اطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا المال وهو الف درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة ولو افردت لم يكن له معنى فان قلت فلم جاء العطف بالواو دون او قلت كما جاء بالواو في المثال الذي حذوته لك ولو ذهبت تقول اقتسموا هذا المال درهمين درهمين او ثلاثة ثلاثة او اربعة اربعة اعلمت انه لا يسوغ لهم ان يقتسموه الا على احد انواع هذه القسمة وليس لهم ان يجمعوا بينها فيجعلوا بعض القسم على تثنية وبعضه على تثليث وبعضه على تربيع وذهب معنى تجويز الجمع بين انواع القسمة التي دلت عليه الواو وتحريره ان الواو دلت على اطلاق ان يأخذ الناكحون من ارادوا نكاحها من النساء على طريق الجمع ان شاؤوا مختلفين في تلك الاعداد وان شاؤوا متفقين فيها محظورا عليهم ما وراء ذلك وقرأ ابراهيم وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم ذلك ادنى الا تعولوا فان خفتم ان لا تعدلوا بين هذه الاعداد كما خفتم ترك العدل فيما فوقها فواحدة فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع راسا فان الامر كله يدور مع العدل فاينما وجدتم العدل فعليكم به وقرئ فواحدة بالرفع على فالمقنع واحدة او فكفت واحدة او فحسبكم واحدة او ما ملكت ايمانكم سوى في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين الاماء من غير حصر ولا توقيت عدد ولعمري انهن اقل تبعة واقل شغبا واخف مؤونة من المهائر لا عليك اكثرت منهن ام اقللت عدلت بينهن في القسم ام لم تعدل عزلت عنهن ام لم تعزل وقرأ ابن ابي عبلة من ملكت ذلك اشارة الى اختيار الواحدة والتسري ادنى ان لا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وميزان فلان عائل وعال الحاكم في حكمه اذا جار وروي ان اعرابيا حكم عليه حاكم فقال له اتعول علي وقد روت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا تعولوا ان لا تجوروا والذي يحكى عن الشافعي رحمه الله انه فسر ان لا تعولوا ان لا يكثر عيالكم فوجهه ان يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولك مانهم يمونهم اذا انفق عليهم لان من كثر عياله لزمه ان يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال والرزق الطيب وكلام مثله من اعلام العلم وائمة الشرع ورؤوس المجتهدين حقيق بالحمل على الصحة والسداد وان لا يظن به تحريف تعيلوا الى تعولوا فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تظنن بكلمة خرجت من في اخيك سوءا وانت تجد لها محملا وكفى بكتابنا المترجم بكتاب شافي العي من كلام الشافعي شاهدا بانه كان اعلى كعبا واطول باعا في كلام العرب من ان يخفى عليه مثل هذا ولكن للعلماء طرقا واساليب فسلك في تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات فان قلت كيف يقل عيال من تسرى وفي السراري نحو ما في المهائر قلت ليس كذلك لان الغرض بالتزوج التوالد والتناسل بخلاف التسري ولذلك جاز العزل عن السراري بغير اذنهن فكان التسري مظنة لقلة الولد بالاضافة الى التزوج تزوج الاربع وقرأ طاوس ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله وهذه القراءة تعضد تفسير الشافعي من حيث المعنى الذي قصده وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا صدقاتهن مهورهن وفي

في الحيرة

كتزوج الواحدة بالاضافة الى

حديث بن شوح قتفي ابن عباس لها بالصدقة • وقرئ صدقاتهن بفتح الصاد وسكون الدال على تخفيف صدقاتهن وصدقاتهن
بضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة بوزن غرفة • وقرئ صدقاتهن بضم الصاد والدال على التوحيد وهو تثقيل صدقة
كقولك في ظلمة ظلمة • نحلة من نحله كذا إذا أعطاه إياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا ومنه حديث أبي بكر رضي الله عنه
إني كنت نحلتك جداد عشرين وسقا بالعالية وانتصابها على المصدر لأن النحلة والإيتاء بمعنى الإعطاء فكأنه قال وانحلوا
النساء صدقاتهن نحلة • أي أعطوهن مهورهن عن طيبة أنفسكم أو على الحال من المخاطبين • أي آتوهن صدقاتهن ناحلين
طيبي النفوس بالإعطاء أو من الصدقات أي منحولة معطاة عن طيبة الأنفس وقيل نحلة من الله عطية من الله عطية من عنده
وتفضلا منه عليهن وقيل النحلة الملة ونحلة الإسلام خير النحل وفلان ينتحل كذا أي يدين به والمعنى آتوهن مهورهن ديانة
على أنها مفعول لها ويجوز أن يكون حالا من الصدقات أي دينا من الله شرعه وفرضه والخطاب للأزواج وقيل
للأولياء لأنهم كانوا يأخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك النافجة لمن تولد له بنت يعنون تأخذ مهرها
فتنفج به مالك أي تعظمه • الضمير في منه جار مجرى اسم الإشارة كأنه قيل عن شيء من ذلك كما قال تعالى قل أؤنبئكم
بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات ومن الحجج المسموعة من أفواه العرب ما روي عن رؤبة أنه قال قيل له في قوله
كأنه في الجلد توليع البهق • فقال أردت كأن ذلك أو يرجع إلى ما هو في معنى الصدقات وهو الصداق
لأنك لو قلت وآتوا النساء صداقهن لم تخل بالمعنى فهو نحو قوله • فأصدق • وأكن من الصالحين • كأنه قيل أصدق
ونفسا تمييز وتوحيدها لأن الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه والمعنى فإن وهبن لكم شيئا من الصداق وتجافت
عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن إلى الهبة من شكاسة أخلاقكم وسوء معاشرتكم فكلوه فأنفقوه قالوا فإن
وهبت له ثم طلبت منه بعد الهبة علم أنها لم تطب عنه نفسا وعن الشعبي أن رجلا أتى مع امرأته شريحا في عطية أعطتها
إياه وهي تطلب أن ترجع فقال شريح رده عليها فقال الرجل أليس قد قال الله تعالى فإن طبن لكم قال لو طابت نفسها
عنه لما رجعت فيه وعنه أقيلها فيما وهبت ولا أقيله لأنهن يخدعن وحكي أن رجلا من آل أبي معيط أعطته امرأته
ألف دينار صداقا كان لها عليه فلبث شهرا ثم طلقها فخاصمته إلى عبد الملك بن مروان فقال الرجل أعطتني طيبة بها نفسها
فقال عبد الملك فأين الآية التي بعدها فلا تأخذوا منه شيئا اردد عليها وعن عمر رضي الله عنه أنه كتب إلى قضاته
أن النساء يعطين رغبة ورهبة فأيما امرأة أعطت ثم أرادت أن ترجع فذلك لها • وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم • سئل عن هذه الآية فقال إذا جادت لزوجها بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان ولا يؤاخذكم
الله به في الآخرة وروي أن ناسا كانوا يتأثمون أن يرجع أحدهم في شيء مما ساق إلى امرأته فقال الله تعالى إن طابت
نفس واحدة من غير إكراه ولا خديعة فكلوه سائغا هنيئا • وفي الآية دليل على ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط
حيث بني الشرط على طيب النفس فقيل فإن طبن لكم عن شيء منه ولم يقل فإن وهبن أو سمحن إعلاما بأن المراعى هو
تجافي نفسها عن الموهوب طيبة • وقيل فإن طبن لكم عن شيء منه ولم يقل فإن طبن لكم عنه بعثا لهن على تقليل الموهوب
وعن الليث بن سعد لا يجوز تبرعها إلا باليسير • وعن الأوزاعي لا يجوز تبرعها ما لم تلد أو تقم في بيت زوجها سنة
ويجوز أن يكون تذكير الضمير لينصرف إلى الصداق الواحد فيكون متناولا بعضه ولو أنث لتناول ظاهره هبة
الصداق كله لأن بعض الصدقات واحدة منها فصاعدا • الهنيء والمريء ~~ما يحمد عاقبته~~ صفتان من هنؤ الطعام
ومرؤ إذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء ما يلذه الآكل والمريء ما يحمد عاقبته وقيل هو ما يساغ في مجراه
وقيل لمدخل الطعام من الحلقوم إلى فم المعدة المريء لمروء الطعام فيه وهو انسياغه وهما وصف للمصدر أي أكلا هنيئا

مريئا او حال من الضمير اي كلوه وهو هنيء مريء وقد يوقف على فكلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء وعلى انهما صفتان اقيمتا مقام
المصدر كانه قيل هنيئا مريئا وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في الاباحة وازالة التبعة ﴿ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي
جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا﴾ السفهاء المبذرون اموالهم الذين
ينفقونها فيما لا ينبغي ولا يدي لهم باصلاحها وتثميرها والتصرف فيها والخطاب للاولياء واضاف الاموال اليهم
لانها من جنس ما يقيم به الناس معايشهم كما قال ولا تقتلوا انفسكم فما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والدليل على انه خطاب للاولياء
في اموال اليتامى قوله وارزقوهم فيها واكسوهم جعل الله لكم قياما اي تقومون بها وتنتعشون ولو ضيعتموها لضعتم فكانها
في انفسها قيامكم وانتعاشكم وقرئ قيما بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقرأ عبد الله بن عمر قواما بالكسر وقوام الشيء
ما يقام به كقولك هو ملاك الامر لما يملك به وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولان اترك ما لا يحاسبني الله
عليه خير من ان احتاج الى الناس وعن سفيان وكانت له بضاعة يقلبها لولاها لتمندل بي بنو العباس وعن غيره
وقيل له انها تدنيك من الدنيا فقال لئن ادنتني من الدنيا لقد صانتني عنها وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا فانكم في زمان اذا
احتاج احدكم كان اول ما ياكل دينه وربما رأوا رجلا في جنازة فقالوا له اذهب الى دكانك ﴿وارزقوهم فيها﴾ واجعلوها
مكانا لرزقهم بان تتجروا فيها وتتربحوا حتى تكون نفقتهم من الارباح لا من صلب المال فلا ياكلها الانفاق وقيل هو امر
لكل احد ان لا يخرج ماله الى احد من السفهاء قريب له او اجنبي رجل او امرأة يعلم انه يضعه فيما لا ينبغي ويفسده
قولا معروفا قال ابن جريج عدة جميلة ان صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وعن عطاء اذا ربحت اعطيتك وان غنمت
في غزاتي جعلت لك حظا وقيل ان لم يكن ممن وجبت عليك نفقته فقل عافانا الله واياك بارك الله فيك وكل ما سكنت اليه
النفس واحبته لحسنه عقلا او شرعا من قول او عمل فهو معروف وما انكرته ونفرت منه لقبحه فهو منكر ﴿وابتلوا اليتامى
حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان
يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا
عليهم وكفى بالله حسيبا﴾ وابتلوا اليتامى واختبروا عقولهم وذوقوا احوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ
بلغوا النكاح حتى اذا تبينتم منهم رشدا اي هداية فادفعوا اليهم اموالهم من غير تاخير عن حد البلوغ وبلوغ
النكاح ان يحتلم لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد والايناس الاستيضاح فاستعير
للتبين واختلف في الابتلاء والرشد فالابتلاء عند ابي حنيفة واصحابه ان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى يستبين
حاله فيما يجيء منه والرشد التهدي الى وجوه التصرف وعن ابن عباس رضي الله عنهما الصلاح في العقل والحفظ
للمال وعند مالك والشافعي رضي الله عنهما الابتلاء ان يتتبع احواله وتصرفه في الاخذ والعطاء ويتبصر مخايله وميله
الى الدين والرشد الصلاح في الدين لان الفسق مفسدة للمال فان قلت فان لم يؤنس منه رشد الى حد البلوغ فالحكم
قلت عند ابي حنيفة واصحابه ينتظر الى خمس وعشرين سنة لان مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ثماني عشرة سنة فاذا
زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير احوال الانسان لقوله عليه الصلاة والسلام مروهم بالصلاة لسبع دفع
اليه ماله اونس منه رشد او لم يونس وعند اصحابه لا يدفع اليه ابدا الا بايناس الرشد فان قلت ما معنى تنكير
الرشد قلت معناه نوعا من الرشد وهو الرشد في التصرف والتجارة او طرفا من الرشد ومخيلة من مخايله حتى
لا ينتظر به تمام الرشد فان قلت كيف نظم هذا الكلام قلت ما بعد حتى الى فادفعوا اليهم اموالهم جعل
غاية للابتلاء وهي حتى التي تقع بعدها الجمل كالتي في قوله فما زالت القتلى تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة اشكل

والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية لان اذا متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله فان انستم منهم رشدا فادفعوا
اليهم اموالهم جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط ودفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وقرا ابن مسعود رضي الله عنه
فان احستم بمعنى احسستم قال احسن به فهن اليه شوس وقري رشدا بفتحتين ورشدا بضمتين اسرافا وبدارا
مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل ان يكبر
اليتامى فينتزعوها من ايدينا ثم قسم الامر بين ان يكون الوصي غنيا وبين ان يكون فقيرا فالغني يستعفف من اكلها ولا يطمع
ويقتنع بما رزقه الله من الغنى اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله والفقير ياكل قوتا مقدرا محتاطا في اكله على وجه الاجرة
او استقراضا على ما في ذلك من الاختلاف ولفظ الاكل بالمعروف والاستعفاف مما يدل على ان للوصي حقا لقيامه
عليها وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افاكل من ماله قال بالمعروف غير متاثل مالا ولا واق مالك
بماله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان ولي اليتيم قال له افاشرب من لبن ابله قال ان كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتسقيها
يوم وردها وتهنا جرباها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وعنه يضرب بيده مع ايديهم فلياكل بالمعروف ولا يلبس
عمامة فما فوقها وعن ابراهيم لا يلبس الكتان والحلل ولكن ما سد الجوعة ووارى العورة وعن محمد بن كعب يتقرم
تقرم البهيمة وينزل نفسه منزلة الاجير فيما لا بد منه وعن الشعبي ياكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول
عند الضرورة ويقضي وعن مجاهد يستسلف فاذا ايسر ادى وعن سعيد بن جبير ان شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر
ولبس ما يستره من الثياب واخذ القوت ولا يجاوزه فان ايسر قضاه وان اعسر فهو في حل وعن عمر بن الخطاب رضي الله
اني انزلت نفسي من مال الله منزلة والي اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف واذا ايسرت قضيت واستعفف
ابلغ من عف كانه طالب زيادة العفة فاشهدوا عليهم بانهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم وذلك ابعد من التخاصم
والتجاحد وادخل في الامانة وبراءة الساحة الا ترى انه اذا لم يشهد فادعي عليه صدق مع اليمين عند ابي حنيفة واصحابه
وعند مالك والشافعي رحمهما الله لا يصدق الا بالبينة وكان في الاشهاد الاستحراز من توجه الحلف المفضي الى التهمة او من
وجوب الضمان اذا لم يقم البينة وكفى بالله حسيبا اي كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض او محاسبا فعليكم بالتصادق
واياكم والتكاذب للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما
قل منه او كثر نصيبا مفروضا واذا حضر القسمة اولوا القربى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا
الاقربون هم المتوارثون من ذوي القرابات دون غيرهم مما قل منه او كثر بدل مما ترك بتكرير العامل ونصيبا مفروضا
نصب على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا لا بد لهم من ان يحوزوه ولا يستاثر به ويجوز ان ينتصب
انتصاب المصدر المؤكد كقوله فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة روي ان اوس بن الصامت الانصاري ترك امراته
ام كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن وكان اهل الجاهلية لا يورثون
النساء والاطفال ويقولون لا يرث الا من طاعن بالرماح وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة فجاءت ام كحة الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت يوصيكم الله فبعث اليهما
لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كحة الثمن
والبنات الثلثين والباقي ابني العم واذا حضر القسمة اي قسمة التركة اولوا القربى ممن لا يرث فارزقوهم منه
الضمير لما ترك الوالدان والاقربون وهو امر على الندب قال الحسن كان المؤمنون يفعلون ذلك اذا اجتمعت
الورثة حضرهم هؤلاء فرضخوا لهم بالشيء من رثة المتاع فحضهم الله على ذلك تاديبا من غير ان يكون فريضة قالوا ولو كان

فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم صح

فقال انا ضربه قال مما لست ضاربا منه ولدك

واليتامى صح

فريضة

فريضة لضرب له حظ ومقدار كالغريم بن الحقوق وذلك ان عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي بكر قسم ميراث ابيه وعايشة رضي الله عنها حية فلم يدع في الدار احدا الا اعطاه وتلا هذه الآية وقيل هو على الوجوب وقيل هو منسوخ باية الميراث كالوصية وعن سعيد ابن جبير ان ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس والقول المعروف ان يلطفوا لهم القول ويقولوا خذوا بارك الله عليكم ويعتذروا اليهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يستكثروه ولا يمنوا عليهم وعن الحسن والنخعي ادركنا الناس وهم يقسمون على القرابات والمساكين واليتامى من العين يعنيان الورق والذهب فاذا قسم الورق والذهب وصارت القسمة الى الارضين والرقيق وما اشبه ذلك قالوا لهم قولا معروفا كانوا يقولون لهم بورك فيكم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا لو مع ما في حيزه صلة للذين والمراد بهم الاوصياء امروا بان يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى ويشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وشفقتهم عليهم وان يقدروا ذلك في انفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة ويجوز ان يكون المعنى وليخشوا على اليتامى من الضياع وقيل هم الذين يجلسون الى المريض فيقولون ان ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئا فقدم مالك بالوصايا فامروا بان يخشوا ربهم على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولاد انفسهم لو كانوا ويجوز ان يتصل بما قبله وان يكون امرا للورثة بالشفقة على الذين يحضرون القسمة من ضعفاء اقاربهم واليتامى والمساكين وان يتصوروا انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضائعين محتاجين هل كانوا يخافون عليهم الحرمان والخيبة فان قلت ما معنى وقوع لو تركوا وجوابه صلة للذين قلت معناه وليخش الذين صفتهم وحالهم انهم لو شارفوا ان يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وكاسبهم كما قال القائل

لقد زاد الحياة الي حبا ۔ بناتي انهن من الضعاف
احاذر ان يرين البؤس بعدي ۔ وان يشربن رنقا بعد صاف

وقرئ ضعفا وضعافى وضعافى نحو سكارى وسكارى والقول السديد من الاوصياء ان لا يؤذوا اليتامى ويكلموهم كما يكلمون اولادهم بالادب الحسن والترحيب ويدعوهم بيا بني ويا ولدي ومن الجالسين الى المريض ان يقولوا له اذا اراد الوصية لا تسرف في وصيتك فتجحف باولادك مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد انك ان تترك اولادك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس وكان الصحابة رضوان الله عليهم يستحبون ان لا تبلغ الوصية الثلث ومن المتقاسمين ميراثهم ان يلطفوا القول ويجملوه للحاضرين ظلما ظالمين او على وجه الظلم من اولياء السوء وقضاته في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل فلان في بطنه وفي بعض بطنه قال كلوا في بعض بطنكم تعفوا ومعنى ياكلون نارا ياكلون ما يجر الى النار فكانه نار في الحقيقة وروي انه يبعث آكل مال اليتيم يوم القيمة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان ياكل مال اليتيم في الدنيا وقرئ سيصلون بضم الياء وتخفيف اللام وتشديدها سعيرا نارا من النيران مبهمة الوصف يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصي بها او دين اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما يوصيكم يعهد اليكم ويامركم في اولادكم في شان ميراثهم بما هو العدل والمصلحة وهذا اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين

يستنفعه م

فان قلت هلا قيل للانثيين مثل حظ الذكر او للانثى نصف حظ الذكر قلت ليبدأ ببيان حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك
ولان قوله للذكر مثل حظ الانثيين قصد الى بيان فضل الذكر وقولك للانثيين مثل حظ الذكر قصد الى بيان نقص الانثى وما
كان قصدا الى بيان فضله كان ادل على فضله من القصد الى بيان نقص غيره عنه ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث
وهو السبب لورود الاية فقيل كفى الذكور ان ضوعف لهم نصيب الاناث فلا يتمادى في حظهن حتى يحرمن مع ادلائهن
من القرابة بمثل ما يدلون به فان قلت فان حظ الانثيين الثلثان فكانه قيل للذكر الثلثان قلت
اريد حال الاجتماع لا الانفراد اي اذا اجتمع الذكر والانثيان كان له سهمان كما ان لهما سهمين واما في حال الانفراد
فالابن يأخذ المال كله والبنتان تأخذان الثلثين والدليل على ان الغرض حكم الاجتماع انه اتبعه حكم الانفراد
وهو قوله فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك والمعنى للذكر منهم اي من اولادكم فحذف الراجع اليه لانه
مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم فان كن نساء فان كانت البنات او المولودات نساء خلصا ليس معهن رجل
يعني بنات ليس معهن ابن فوق اثنتين يجوز ان يكون خبرا ثانيا لكان وان يكون صفة لنساء اي نساء زائدات
على اثنتين وان كانت واحدة وان كانت البنت او المولودة منفردة فذة ليس معها اخرى فلها النصف وقرئ
واحدة بالرفع على كان التامة والقراءة بالنصب اوفق لقوله فان كن نساء وقرأ زيد بن ثابت النصف بالضم والضمير
في ترك للميت لان الاية لما كانت في الميراث علم ان التارك هو الميت فان قلت قوله للذكر مثل حظ الانثيين
كلام مسوق لبيان حظ الذكر من الاولاد لا لبيان حظ الانثيين فكيف صح ان يردف قوله فان كن نساء وهو لبيان
حظ الاناث قلت وان كان مسوقا لبيان حظ الذكر الا انه لما فقه منه وتبين حظ الانثيين مع اخيهما
كان كانه مسوق للامرين جميعا فلذلك صح ان يقال فان كن نساء فان قلت هل يصح ان يكون الضميران في
كن وكانت مبهمين ويكون نساء وواحدة تفسيرا لهما قلت لا ابعد ذلك فان قلت لم قيل فان كن نساء ولم يقل
وان كانت امرأة قلت لان الغرض ثمة خلوصهن اناثا لا ذكر فيهن ليميز بين ما ذكر من اجتماعهن مع الذكور
في قوله للذكر مثل حظ الانثيين وبين انفرادهن واريد ههنا ان يميز بين كون البنت مع غيرها وبين كونها
وحدها لا قرينة لها فان قلت قد ذكر حكم البنتين في حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت
في حال الانفراد ولم يذكر حكم البنتين في حال الانفراد فما حكمهما وما باله لم يذكر قلت اما حكمهما فمختلف
فيه فابن عباس ابى تنزيلهما منزلة الجماعة لقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين فاعطاهما حكم الواحدة وهو ظاهر مكشوف
واما سائر الصحابة فقد اعطوهما حكم الجماعة والذي يعلل به قولهم ان قوله للذكر مثل حظ الانثيين قد دل على ان
حكم الانثيين حكم الذكر وذلك ان الذكر كما يحوز الثلثين مع الواحدة فالانثيان كذلك يحوزان الثلثين فلما ذكر
ما دل على حكم الانثيين قيل فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك على معنى فان كن جماعة بالغات ما بلغن من
العدد فلهن ما للانثيين وهو الثلثان لا يتجاوزنه لكثرتهن ليعلم ان حكم الجماعة حكم الثنتين بغير تفاوت وقيل
ان البنتين امس رحما بالميت من الاختين فاوجبوا لهما ما اوجب الله للاختين ولم يروا ان يقصروا بهما عن حظ من هو ابعد
رحما منهما وقيل ان البنت لما وجب لها مع اخيها الثلث كانت احرى ان يجب لها الثلث اذا كانت مع اخت
مثلها ويكون لاختها معها مثل ما كان يجب لها ايضا مع اخيها لو انفردت معه فوجب لهما الثلثان ولابويه
الضمير للميت ولكل واحد منهما بدل من لابويه بتكرير العامل وفائدة هذا البدل انه لو قيل ولابويه السدس لكان ظاهره
اشتراكهما فيه ولو قيل ولابويه السدسان لاوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى خلافها فان قلت فهلا قيل

على ان كان تامة م

ولكل

ولكل واحد من ابويه السدس واي فائدة في ذكر الابوين اولا ثم في الابدال منهما قلت لان في الابدال والتفصيل
بعد الاجمال تاكيدا والبدل متوسط بينهما للبيان وقرا الحسن ونعيم بن ميسرة السدس بالتخفيف وكذلك الثلث والربع والثمن
او تشديدا
والسدس مبتد
والولد يقع على الذكر والانثى ويختلف حكم الاب في ذلك فان كان ذكرا اقتصر بالاب على السدس وان كان انثى عصب مع
اعطاء السدس فان قلت قد بين حكم الابوين في الارث مع الولد ثم حكمهما مع عدمه فهلا قيل فان لم يكن له ولد فلامه
الثلث واي فائدة في قوله وورثه ابواه قلت معناه فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك كما قال
لكل واحد منهما السدس مما ترك لانه اذا ورثه ابواه مع احد الزوجين كان للام ثلث ما بقي بعد اخراج نصيب الزوج لا ثلث
ما ترك الا عند ابن عباس والمعنى ان الابوين اذا خلصا تقاسما الميراث للذكر مثل حظ الانثيين فان قلت ما [illegible]له في ان كان لها
ثلث ما بقي دون ثلث المال قلت فيه وجهان احدهما ان الزوج انما استحق ما يسهم له بحق العقد لا بالقرابة
فاشبه الوصية في قسمة ما وراءه والثاني ان الاب اقوى في الارث من الام بدليل انه يضعف عليها اذا خلصا ويكون صاحب
فرض وعصبة وجامعا بين الامرين فلو ضرب لها الثلث كملا لادى الى حط نصيبه عن نصيبها الا ترى ان امراة لو تركت
زوجا وابوين فصار للزوج النصف وللام الثلث والباقي للاب حازت الام سهمين والاب سهما واحدا فينقلب الحكم
الى ان يكون للانثى مثل حظ الذكرين فان كان له اخوة فلامه السدس الاخوة يحجبون الام عن الثلث الى السدس وان كانوا
لا يرثون مع الاب فيكون لها السدس وللاب خمسة الاسداس ويستوي في الحجب الاثنان فصاعدا الا عند ابن عباس وعنه انهم
ياخذون السدس الذي حجبوا عنه الام فان قلت فكيف صح ان يتناول الاخوة الاخوين والجمع خلاف التثنية قلت
الاخوة تفيد معنى الجمعية المطلقة بغير كمية والتثنية كالتثليث والتربيع في افادة الكمية وهذا موضع الدلالة على الجمع المطلق
فدل بالاخوة عليه وقرئ فلامه بكسر الهمزة اتباعا للجرة الا تراها لا تكسر في قوله وجعلنا ابن مريم وامه اية من بعد وصية
متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها لا بما يليه وحده كانه قيل قسمة هذه الانصباء من بعد وصية يوصي بها وقرئ
يوصي بها بالتخفيف والتشديد ويوصى بها على البناء للمفعول مخففا فان قلت ما معنى او قلت معناها الاباحة وانه
ان كان احدهما او كلاهما قدم على قسمة الميراث كقولك جالس الحسن او ابن سيرين فان قلت لم قدمت الوصية على الدين
والدين مقدم عليها في الشريعة قلت لما كانت الوصية مشبهة للميراث في كونها ماخوذة من غير عوض كان اخراجها
مما يشق على الورثة ويتعاظمهم ولا تطيب انفسهم بها فكان اداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فان نفوسهم مطمئنة الى
ادائه فلذلك قدمت على الدين بعثا على وجوبها والمسارعة الى اخراجها مع الدين ولذلك جيء بكلمة او للتسوية بينهما
في الوجوب ثم اكد ذلك ورغب فيه بقوله اباؤكم وابناؤكم لا تدرون من انفع لكم من ابائكم وابنائكم الذين يموتون امن اوصى منهم
ام من لم يوص يعني ان من اوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الاخرة بامضاء وصيته فهو اقرب لكم نفعا واحضر جدوى ممن
ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الاخرة اقرب واحضر من عرض الدنيا ذهابا الى حقيقة الامر لان عرض
الدنيا وان كان عاجلا قريبا في الصورة الا انه فان فهو في الحقيقة الابعد الاقصى وثواب الاخرة وان كان اجلا الا انه باق فهو
في الحقيقة الاقرب الادنى وقيل ان الابن ان كان ارفع درجة من ابيه في الجنة سال ان يرفع ابوه اليه فيرفع وكذلك الاب
ان كان ارفع درجة من ابنه سال ان يرفع ابنه اليه فانتم لا تدرون في الدنيا ايهم اقرب لكم نفعا وقيل فرض الله الفرائض
على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم لكم انفع فوضعتم انتم الاموال على غير حكمة وقيل الاب تجب عليه النفقة
على الابن اذا احتاج وكذلك الابن اذا كان محتاجا فهما في النفع بالنفقة لا يدرى ايهما اقرب نفعا وليس شيء من هذه الاقاويل
بملائم للمعنى ولا مجاوب له لان هذه الجملة اعتراضية ومن حق الاعتراض ان يؤكد ما اعترض بينه ويناسبه والقول

ما تقدم «فريضة» نصبت نصب المصدر المؤكد اي فرض ذلك فرضا «ان الله كان عليما» بمصالح خلقه «حكيما» في كل ما فرض وقسم من المواريث وغيرها «ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين» فان كان لهن ولد منكم او من غيركم جعلت المراة على النصف من الرجل بحق الزواج كما جعلت بحق النسب والواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن «وان كان رجل» يعني الميت «يورث» من ورث اي يورث منه وهو صفة لرجل «وكلالة» خبر كان اي وان كان رجل موروث منه كلالة او يجعل يورث خبر كان وكلالة حالا من الضمير في يورث وقرئ يورث ويورث بالتخفيف والتشديد على البناء للفاعل وكلالة حال او مفعول به فان قلت ما الكلالة قلت تنطلق على ثلاثة على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين وعلى القرابة من غير جهة الولد والوالد ومنه قولهم ما ورث المجد عن كلالة كما تقول ما صمت عن عي وما كف عن جبن والكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء قال الاعشى

فاليت لا ارثي لها من كلالة

فاستعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد لانها بالاضافة الى قرابتهما كالة ضعيفة واذا جعل صفة للموروث او الوارث فبمعنى ذي كلالة كما تقول فلان من قرابتي تريد من ذوي قرابتي ويجوز ان يكون صفة كالهجاجة والفقاقة للاحمق فان قلت فان جعلتها اسما للقرابة في الاية فعلام تنصبها قلت على انها مفعول له اي يورث لاجل الكلالة او يورث غيره لاجلها فان قلت فان جعلت يورث على البناء للمفعول من اورث فما وجهه قلت الرجل حينئذ هو الوارث فان قلت فالضمير في قوله فلكل واحد منهما الى من يرجع حينئذ قلت الى الرجل والى اخيه او اخته وعلى الاول اليهما فان قلت اذا رجع الضمير اليهما افاد استواءهما في حيازة السدس من غير مفاضلة الذكر الانثى فهل تبقى هذه الفائدة قائمة في هذا الوجه قلت نعم لانك اذا قلت السدس له او لواحد من الاخ او الاخت على التخيير فقد سويت بين الذكر والانثى وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه سئل عن الكلالة فقال اقول فيه برايي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطا فمني ومن الشيطان والله منه بريء الكلالة ما خلا الولد والوالد وعن عطاء والضحاك ان الكلالة هو الموروث وعن سعيد بن جبير هو الوارث وقد اجمعوا على ان المراد اولاد الام ويدل عليه قراءة ابي وله اخ او اخت من الام وقراءة سعيد بن ابي وقاص وله اخ او اخت من ام وقيل انما استدل على ان الكلالة ههنا الاخوة للام خاصة بما ذكره في اخر السورة من ان للاختين الثلثين وان للاخوة كل المال فعلم ههنا لما جعل للواحد السدس وللاثنين الثلث ولم يزادوا شيئا على الثلث انه يعني بهم الاخوة للام والا فالكلالة عامة لمن عدا الولد والوالد من سائر الاخوة الاخياف والاعيان واولاد العلات وغيرهم «غير مضار وصية من الله والله عليم حليم» غير مضار حال اي يوصي بها وهو غير مضار لورثته وذلك ان يوصي بزيادة على الثلث او يوصي بالثلث فما دونه ونيته مضارة ورثته ومغاضبتهم لا وجه الله وعن قتادة كره الله الضرار في الحياة وعند الممات ونهى عنه وعن الحسن المضارة في الدين ان يوصي بدين ليس عليه ومعناه الاقرار وصية من الله مصدر مؤكد اي يوصيكم الله بذلك وصية كقوله فريضة من الله ويجوز ان تكون منصوبة بغير مضار اي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بزيادته على الثلث او وصية من الله بالاولاد وان لا يدعهم عالة باسرافه في الوصية وتنصره قراءة الحسن غير مضار وصية من الله بالاضافة والله عليم بمن جار او عدل في وصيته حليم عن الجائر لا يعاجله وهذا وعيد فان قلت فيم يوصي ضمير الرجل اذا جعلته الموروث فكيف تعمل اذا جعلته الوارث قلت كما عملت في قوله ~~فمن خاف~~ يوصين بها فلهن ثلثا ما ترك ~~على ما لم يسم فاعله~~ لانه علم ~~ان من يوصي فيتضمن~~ ان التارك والموصي هو الميت فان قلت فاين ذو الحال

يعني

الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين وان كان رجل يورث كلالة او امراة وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها او دين صح

تمام من ~~وحاشي تلافي~~ محمد

لا الموروث صح

فيمن قرأ يوصي بها على ما لم يسم فاعله قلت يضمر يوصي فينتصب عن فاعله لانه لما قيل يوصي بها علم ان ثم موصيا كما قال يسبح له
على ما لم يسم فاعله فعلم ان ثم مسبحا فاضمر يسبح فكما كان رجال فاعل ما يدل عليه يسبح كان غير مضار حالا عما يدل عليه
يوصي بها تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك
الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين واللاتي
يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت
او يجعل الله لهن سبيلا واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا
رحيما تلك اشارة الى الاحكام التي ذكرت في باب اليتامى والوصايا والمواريث وسماها حدودا لان الشرائع كالحدود
المضروبة الموقتة للمكلفين لا يجوز لهم ان يتجاوزوها ويتخطوها الى ما ليس لهم بحق وقرئ ندخله بالياء والنون وكذلك
ندخله نارا خالدا فيها وقيل يدخله وخالدين حملا على لفظ من ومعناه وانتصب خالدين وخالدا على الحال فان قلت
هل يجوز ان يكونا صفتين لجنات ونارا قلت لا لانهما جريا على غير من هما له فلا بد من الضمير وهو قولك خالدين هم
فيها وخالدا هو فيها واللاتي يأتين الفاحشة يرهقنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها بمعنى وفي قراءة
ابن مسعود يأتين بالفاحشة والفاحشة الزنا لزيادتها في القبح على كثير من القبائح فامسكوهن في البيوت قيل معناه
فخلدوهن محبوسات في بيوتكم وكان ذلك عقوبتهن في اول الاسلام ثم نسخ بقوله تعالى الزانية والزاني الآية
ويجوز ان تكون غير منسوخة بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصي بامساكهن في البيوت
بعد ان يحددن صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال او يجعل الله لهن
سبيلا هو النكاح الذي يستغنين به عن السفاح وقيل السبيل هو الحد لانه لم يكن مشروعا في ذلك الوقت
فان قلت ما معنى يتوفاهن الموت والتوفي والموت بمعنى واحد كانه قيل او يميتهن الموت قلت يجوز ان يراد حتى يتوفاهن هن
ملائكة الموت لقوله الذين تتوفاهم الملائكة قل يتوفاكم ملك الموت او حتى يأخذهن الموت ويستوفي ارواحهن
واللذان يأتيانها منكم يريد الزاني والزانية فآذوهما فوبخوهما وذموهما وقولوا لهما اما استحييتما اما خفتما الله فان تابا
واصلحا وغيرا الحال فاعرضوا عنهما واقطعوا التوبيخ والمذمة فان التوبة تمنع استحقاق الذم والعقاب ويحتمل ان
يكون خطابا للشهود العاثرين على سرهما ويراد بالايذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع الى الامام والحد فان تابا
قبل الرفع الى الامام فاعرضوا عنهما ولا تتعرضوا لهما وقيل نزلت الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين وقرئ
واللذان بتشديد النون واللذأن بالهمزة وتشديد النون انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون
من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم
الموت قال اني تبت الآن التوبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته وغفر له يعني انما القبول والغفران واجب على الله لهؤلاء
بجهالة في موضع الحال اي يعملون السوء جاهلين سفهاء لان ارتكاب القبيح مما يدعو اليه السفه والشهوة لا مما تدعو اليه الحكمة والعقل
وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته ومن قريب من زمان قريب والمعنى من الزمان القريب ما قبل حضرة الموت
الى قوله حتى اذا حضر احدهم الموت فبين ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك
في حكم القريب وعن ابن عباس قبل ان ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن النخعي
ما لم يؤخذ بكظمه وروى ابو ايوب عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن عطاء
ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن ان ابليس قال حين اهبط الى الارض وعزتك لا افارق ابن آدم ما دام روحه في جسده

هن

إن الذين توفتهم الملائكة ٤

الموت ٨

لمتاب وعزتي لا أغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر فان قلت ما معنى من في قوله من قريب قلت معناه التبعيض اي
يتوبون في بعض زمان قريب كأنه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانا قريبا ففي اي جزء تاب من اجزاء هذا الزمان
فهو تائب من قريب والا فهو تائب من بعيد فان قلت ما فائدة قوله فاولئك يتوب الله عليهم بعد قوله انما التوبة على الله لهم
قلت قوله انما التوبة على الله اعلام بوجوبها عليه كما يجب على العبد بعض الطاعات وقوله فاولئك يتوب الله عليهم
عدة بانه يفي بما وجب عليه واعلام بان الغفران كائن لا محالة كما يعد العبد الوفاء بالواجب ولا الذين يموتون وهم كفار
اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما ولا الذين يموتون عطف على الذين يعملون السيئات سوى بين الذين سوفوا توبتهم الى حضرة
الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في انه لا توبة لهم لان حضرة الموت اول احوال الآخرة فكما ان المائت على الكفر
قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوف الى حضرة الموت لمجاوزة كل واحد منهما اوان التكليف والاختيار اولئك
اعتدنا لهم في الوعيد نظير قوله فاولئك يتوب الله عليهم في الوعد ليتبين ان الامرين كائنان لا محالة فان قلت
من المراد بالذين يعملون السيئات أهم الفساق من اهل القبلة ام الكفار قلت فيه وجهان احدهما ان يراد الكفار لظاهر
قوله وهم كفار وان يراد الفساق لان الكلام انما وقع في الزانيين والاعراض عنهما ان تابا واصلحا ويكون قوله وهم
كفار واردا على سبيل التغليظ كقوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين وقوله فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا
من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر لان من كان مصدقا ومات وهو لا يحدث نفسه بالتوبة فحاله قريبة من حال
الكافر لانه لا يجترئ على ذلك الا قلب مصمت يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن
لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا ان يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا
ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا كانوا
يبلون النساء بضروب من البلايا ويظلمونهن بانواع من الظلم فزجروا عن ذلك كان الرجل اذا مات له قريب من اب او اخ
او حميم عن امرأة القى ثوبه عليها وقال انا احق بها من كل احد فقيل لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها اي ان تأخذوهن
على سبيل الارث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك او مكرهات وقيل كان يمسكها حتى تموت فقيل لا يحل لكم ان
تمسكوهن حتى ترثوا منهن وهن غير راضيات بامساككم وكان الرجل اذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء
العشرة والقهر لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن والعضل الحبس والتضييق ومنه
عضلت المرأة بولدها اذا اختنقت رحمها به فخرج بعضه وبقي بعضه والا ان يأتين بفاحشة مبينة وهي النشوز وشكاسة
الخلق وايذاء الزوج واهله بالبذاء والسلاطة الا ان يكون سوء العشرة من جهتهن فقد عذرتم في طلب الخلع ويدل عليه
قراءة أبي الا ان يفحشن عليكم وعن الحسن الفاحشة الزنا فان فعلت حل لزوجها ان يسألها الخلع وقيل كانوا اذا اصابت
امرأته فاحشة اخذ منها ما ساق اليها واخرجها وعن ابي قلابة ومحمد بن سيرين لا يحل الخلع حتى يوجد رجل على بطنها وعن
قتادة لا يحل له ان يحبسها ضرارا حتى تفتدي منه يعني وان زنت وقيل نسخ ذلك بالحدود وكانوا يسيئون معاشرة النساء
فقيل لهم وعاشروهن بالمعروف وهو النصفة في المبيت والنفقة والاجمال في القول فان كرهتموهن فلا تفارقوهن
لكراهة الانفس وحدها فربما كرهت النفس ما هو اصلح في الدين واحمد وادنى الى الخير واحبت ما هو بضد ذلك ولكن
بالنظر في اسباب الصلاح وكان الرجل اذا طمحت عينه الى استطراف امرأة بهتت التي تحته ورماها بفاحشة حتى
يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج غيرها فقيل وان اردتم استبدال زوج الآية والقنطار المال العظيم من
قنطرت الشيء اذا رفعته ومنه القنطرة لانها بناء مشيد قال

لتعظم

كقنطرة الرومي اقسم ربها • لتكتنفن حتى تشاد بقرمد •

وعن عمر رضي الله عنه انه قام خطيبا فقال ايها الناس لا تغالوا بصدق النساء فلو كانت مكرمة في الدنيا او تقوى عند الله لكان اولا • ثم
بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصدق امراة من نسائه اكثر من اثنتي عشرة اوقية • فقامت اليه امراة فقالت له يا امير المومنين
لم تمنعنا حقا جعله الله لنا والله يقول وآتيتم احداهن قنطارا فقال عمر كل احد اعلم من عمر • ثم قال لاصحابه تسمعونني اقول •
مثل هذا فلا تنكرونه علي حتى ترد علي امراة ليست من اعلم النساء اتاخذونه بهتانا واثما مبينا وكيف تاخذونه وقد افضى
بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا
وساء سبيلا والبهتان ان تستقبل الرجل بامر قبيح تقذفه به وهو بريء منه لانه يبهت عند ذلك اي [illegible] وانتصب بهتانا
على الحال اي باهتين وآثمين او على انه مفعول له وان لم يكن غرضا كقولك قعد عن القتال جبنا • والميثاق الغليظ حق الصحبة
والمضاجعة كانه قيل واخذن به منكم ميثاقا غليظا • اي بافضاء بعضكم الى بعض ووصفه بالغلظ لقوته وعظمه فقد قالوا
صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما جرى بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج • وقيل هو قول الولي عند العقد انكحتك على
ما في كتاب الله من امساك بمعروف او تسريح باحسان • وعن النبي صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان في ايديكم
اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله • كانوا ينكحون رواباتهم وناس منهم ممقوتين من ذوي مرواتهم ويسمونه نكاح
المقت وكان المولود عليه يقال له المقتي • ومن ثمة قيل ومقتا كانه قيل هو فاحشة في دين الله بالغة في القبح قبيح ممقوت
في المروة ولا مزيد على ما يجمع القبحين • وقرئ لا يحل لكم بالتاء على ان ترثوا النساء بمعنى الوراثة وكرها بالفتح والضم من الاكراه
والاكراه • وقرئ بفاحشة مبينة من ابانت بمعنى تبينت او بينت كما قرئ مبينة بكسر الياء وفتحها • ويجعل الله بالرفع على
انه في موضع الحال • وآتيتم احداهن يريد احداهن كما قرئ فلا اثم عليه فان قلت تعضلوهن ما وجه اعرابه قلت النصب
عطفا على ان ترثوا ولا لتاكيد النفي اي لا يحل لكم ان ترثوا النساء ولا ان تعضلوهن فان قلت اي فرق بين تعديه ذهب
بالباء وبينها بالهمزة قلت اذا عدي بالباء فمعناه الاخذ والاستصحاب كقوله فلما ذهبوا به واما الاذهاب فكالازالة فان قلت
الا ان ياتين ما هذا الاستثناء قلت هو استثناء من اعم عام الظرف او المفعول له كانه قيل ولا تعضلوهن في جميع الاوقات
الا وقت ان ياتين بفاحشة او ولا تعضلوهن لعلة من العلل الا لان ياتين بفاحشة فان قلت من اي وجه صح قوله
فعسى ان تكرهوا جزاء للشرط قلت من حيث ان المعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه
خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه فان قلت كيف استثنى ما قد سلف مما نكح اباؤكم قلت كما استثنى غير ان سيوفهم من قوله
ولا عيب فيهم يعني ان امكنكم ان تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فلا يحل لكم غيره • وذلك غير ممكن والغرض المبالغة
في تحريمه وسد الطريق الى اباحته كما يعلق بالمحال في التابيد في نحو قولهم حتى يبيض القار • وحتى يلج الجمل في سم الخياط •
حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وامهاتكم اللاتي ارضعنكم
واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا
دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان
الله كان غفورا رحيما معنى حرمت عليكم امهاتكم تحريم نكاحهن لقوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء ولان تحريم نكاحهن
هو الذي يفهم من تحريمهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها • ومن تحريم لحم الخنزير تحريم اكله • وتدخل بنات الاخت
تخفيف الهمزة وقد نزل الله الرضاعة منزلة النسب • حتى سمى المرضعة اما للرضيع والمراضعة اختا وكذلك زوج
المرضعة ابوه وابواه جداه واخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه

وأمّ المرضعة جدّته وأختها خالته وكلّ من ولد لها من هذا الزوج إخوته وأخواته لأبيه وأمّه ومن ولد لها من غيره فهم
إخوته وأخواته لأمّه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وقالوا تحريم الرضاع كتحريم النسب إلّا
في مسئلتين إحديهما أنه لا يجوز للرجل أن يتزوج أخت ابنه من النسب ويجوز أن يتزوج أخت ابنه من الرضاع لأنّ المانع
في النسب وطاؤه أمّها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع والثانية لا يجوز أن يتزوج أمّ أخيه من النسب ويجوز في الرضاع
لأنّ المانع في النسب وطء الأب إيّاها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع ومن نسائكم متعلّق بربائبكم ومعناه أنّ الربيبة
من المرأة المدخول بها محرّمة على الرجل حلال له إذا لم يدخل بها فإن قلت هل يصحّ أن يتعلّق بقوله وأمّهات نسائكم
قلت لا يخلوا [illegible] أن يتعلّق بهنّ وبالربائب فتكون حرمتهنّ وحرمة الربائب غير مبهمتين جميعا وإمّا أن يتعلّق بهنّ دون الربائب
فتكون حرمتهنّ غير مبهمة فلا يجوز الأوّل لأنّ معنى من مع أحد المتعلّقين خلاف معناه مع الآخر ألا تراك إذا قلت وأمّهات نسائكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهنّ فقد جعلت من لبيان النساء وتمييز المدخول بهنّ وإذا قلت وربائبكم من نسائكم
اللاتي دخلتم بهنّ فإنّك جاعل من لابتداء الغاية كما تقول بنات رسول الله عليه الصلاة والسلام من خديجة رضي الله تعالى عنها
وليس بصحيح أن يعني بالكلمة الواحدة في خطاب واحد معنيان مختلفان ولا يجوز الثاني لأنّ ما يليه هو الذي يستوجب التعليق به
ما لم يعترض أمر لا يردّ إلّا أن تقول أعلّقه بالنساء والربائب وأجعل من للاتصال كقوله تعالى المنافقون والمنافقات
بعضهم من بعض فإنّي لست منك ولست منّي ما أنا من دد ولا الدد منّي وأمّهات النساء متّصلات بالنساء لأنهنّ أمّهاتهنّ
كما أنّ الربائب متّصلات بأمّهاتهنّ لأنهنّ بناتهنّ هذا وقد اتّفقوا على أنّ تحريم أمّهات النساء مبهم دون تحريم الربائب على
ما عليه ظاهر كلام الله تعالى وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في رجل تزوّج امرأة ثم طلّقها قبل أن يدخل بها أنّه قال
لا بأس أن يتزوّج ابنتها ولا يحلّ له أن يتزوّج أمّها وعن عمر وعمران بن الحصين رضي الله عنهما أنّ الأمّ تحرم بنفس العقد
وعن مسروق هي مرسلة فأرسلوا ما أرسل الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما أبهموا ما أبهم الله إلّا ما روي عن علي وابن
عباس وزيد وابن عمر وابن الزبير رضوان الله تعالى عليهم أجمعين أنّهم قرأوا وأمّهات نسائكم اللاتي دخلتم بهنّ وكان ابن
عباس يقول والله ما نزل إلّا هكذا وعن جابر روايتان وعن سعيد بن المسيّب عن زيد رضي الله عنهما إذا ماتت عنده فأخذ
ميراثها كره أن يخلف على أمّها وإذا طلّقها قبل أن يدخل بها فإن شاء فعل أقام الموت مقام الدخول في ذلك كما قام مقامه
في باب المهر وسمّي ولد المرأة من غير زوجها ربيبا وربيبة لأنّه يربّهما كما يربّ ولده في غالب الأمر ثم اتّسع فيه فسمّيا
بذلك وإن لم يربّهما فإن قلت ما فائدة قوله في حجوركم قلت فائدته التعليل للتحريم وأنهنّ لاحتضانكم لهنّ
أو لكونهنّ بصدد احتضانكم وفي حكم التقلّب في حجوركم إذا دخلتم بأمّهاتهنّ وتمكّن بدخولكم حكم الزواج وثبتت الخلطة
والألفة وجعل الله بينكم المودّة والرحمة وكانت الحال خليقة بأن تجروا أولادهنّ مجرى أولادكم كأنّكم في العقد
على بناتهنّ عاقدون على بناتكم وعن علي رضي الله عنه أنّه شرط ذلك في التحريم وبه أخذ داود فإن قلت ما معنى دخلتم
بهنّ قلت هي كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب يعني أدخلتموهنّ الستر والباء للتعدية واللمس
ونحوه يقوم مقام الدخول عند أبي حنيفة رحمة الله عليه وعن عمر رضي الله عنه أنّه خلا بجارية فجرّدها فاستوهبها
ابن له فقال إنّها لا تحلّ لك وعن مسروق أنّه أمر أن تباع جاريته بعد موته وقال أما إنّي لم أصب منها
إلّا ما يحرّمها على ولدي من اللمس والنظر وعن الحسن في الرجل يملك الأمة فيغمزها لشهوة أو يكشفها أنّها لا تحلّ لولده
بحال وعن عطاء وحماد بن أبي سليمان إذا نظر إلى فرج امرأة فلا ينكح أمّها ولا ابنتها وعن الأوزاعي إذا دخل
بالأم فعرّاها ولمسها بيده وأغلق الباب وأرخى الستر فلا يحلّ له نكاح ابنتها وعن ابن عباس وطاوس وعمرو بن دينار

وحرمة الربائب مبهمة ص

او يقبلها م

أنّ

أن التحريم لا يتبع الا بالاجماع وحلائل الذين من اصلابكم دون من تبنيتم وقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش
الاسدية بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب حين فارقها زيد بن حارثة وقال الله تعالى لكي لا يكون على المؤمنين حرج في ازواج
ادعيائهم وان تجمعوا في موضع الرفع عطف على المحرمات اي وحرم عليكم الجمع بين الاختين والمراد حرمة النكاح لان التحريم في
الآية تحريم النكاح واما الجمع بينهما في ملك اليمين فعن عثمان وعلي رضي الله عنهما انهما قالا احلتهما آية وحرمتهما آية يعنيان
هذه الآية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح علي التحريم وعثمان التحليل الا ما قد سلف ولكن ما مضى مغفور بدليل
قوله ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم كتاب الله عليكم واحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا
باموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من
بعد الفريضة ان الله كان عليما حكيما ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت ايمانكم
من فتياتكم المؤمنات والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض والمحصنات القراءة بفتح الصاد وعن طلحة بن مصرف انه قرأ بكسر الصاد
وهن ذوات الازواج لانهن احصن فروجهن بالتزويج فهن محصنات ومحصنات الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانهم
من اللاتي سبين ولهن ازواج في دار الكفر فهن حلال لغزاة المسلمين وان كن محصنات وفي معناه قول الفرزدق

وذات حليل انكحتها رماحنا • حلال لمن يبني بها لم تطلق

كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اي كتب الله ذلك عليكم كتابا وفرضه فريضة وهو تحريم ما حرم فان قلت علام عطف قوله
واحل لكم قلت على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله اي كتب الله عليكم تحريم ذلك واحل لكم ما وراء ذلكم ويدل عليه
قراءة اليماني كتب الله عليكم واحل لكم وروي عن اليماني كتب الله عليكم على الجمع والرفع اي هذه فرائض الله عليكم ومن قرأ واحل
لكم على البناء للمفعول فقد عطفه على حرمت ان تبتغوا مفعول له بمعنى بين لكم ما يحل مما يحرم ارادة ان يكون ابتغاؤكم باموالكم
التي جعل الله لكم قياما في حال كونكم محصنين غير مسافحين لئلا تضيعوا اموالكم وتفقروا انفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا دنياكم
ودينكم ولا مفسدة اعظم مما يجمع بين الخسرانين والاحصان العفة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام والاموال المهور وما
تخرج في المناكح فان قلت اين مفعول تبتغوا قلت يجوز ان يكون مقدرا وهو النساء والاجود ان لا يقدر وكأنه قيل
ان تخرجوا اموالكم ويجوز ان يكون ان تبتغوا بدلا من ما وراء ذلكم والمسافح الزاني من السفح وهو صب المني وكان الفاجر
للفاجرة سافحيني وماذيني فما استمتعتم به منهن فما استمتعتم به من المنكوحات من جماع او خلوة صحيحة او عقد عليهن فآتوهن
اجورهن عليه فاسقط الراجع الى ما لانه لا يلبس كقوله ان ذلك لمن عزم الامور باسقاط منه ويجوز ان يكون ما في معنى النساء ومن
للتبعيض او للبيان ويرجع الضمير اليه على اللفظ في به وعلى المعنى في فآتوهن واجورهن مهورهن لان المهر ثواب على البضع وفريضة
حال من الاجور بمعنى مفروضة او وضعت موضع ايتاء لان الايتاء مفروض او مصدر مؤكد اي فرض ذلك فريضة فيما
تراضيتم به من بعد الفريضة فيما تحط عنه من المهر او تهب له من كله او تزيد لها على مقداره وقيل فيما تراضيا به من مقام او فراق
وقيل نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة ايام حين فتح الله تعالى مكة على رسوله ثم نسخت كان الرجل ينكح المرأة وقتا معلوما
ليلة او ليلتين او اسبوعا بثوب او غير ذلك ويقضي منها وطره ثم يسرحها سميت متعة لاستمتاعه بها او لتمتيعه لها بما يعطيها
وعن عمر لا أوتى برجل تزوج امرأة الى اجل الا رجمتهما بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه اباحها ثم اصبح يقول
يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيامة وقيل ابيح مرتين وحرم مرتين
~~وعن النبي صلى الله عليه وسلم~~ وعن ابن عباس هي محكمة يعني لم تنسخ وكان يقرأ فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى ويروى انه
رجع عن ذلك عند موته وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي بالمتعة وقولي في الصرف والطول الفضل يقال لفلان على فلان

الجزء

طولاً اي زيادةً وفضلاً وقد طال له طولاً فهو طائل قال • لقد زادني حباً لنفسي انني • بغيض الى كل امرء غير طائل •
ومنه قولهم ما خلا منه بطائل • اي بشيءٍ يعتد به مما له فضل وخطر • ومنه الطول في الجسم لانه زيادة فيه كما ان القصر قصور فيه
ونقصان والمعنى ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح امة قال ابن عباس من ملك ثلثمائة درهم فقد
وجب عليه الحج وحرم عليه نكاح الاماء وهو الظاهر وعليه مذهب الشافعي واما ابو حنيفة رحمه الله فيقول الغني والفقير سوا
في جواز نكاح الامة ويفسر الاية بان من لم يملك فراش الحرة على ان النكاح هو الوطي فله ان ينكح امة وفي رواية عن ابن عباس
انه قال مما وسع الله على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان كان موسراً وكذلك قوله من فتياتكم المؤمنات
الظاهر ان لا يجوز نكاح الامة الكتابية وهو مذهب اهل الحجاز وعند اهل العراق يجوز نكاحها ونكاح الامة المؤمنة
افضل فحملوه على الفضل لا على الوجوب • واستشهدوا على ان الايمان ليس بشرط بوصف الحرائر به مع علمنا انه ليس بشرط فيهن على
الاتفاق ولكنه افضل فان قلت لم كان نكاح الامة منحطاً عن نكاح الحرة قلت لما فيه من اتباع الولد الام في الرق
ولثبوت حق المولى فيها وفي استخدامها ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله نقصان راجع الى الناكح ومهانة
والعزة من صفات المؤمنين وقوله من فتياتكم اي من فتيات المسلمين لا من فتيات غيركم وهم المخالفون في الدين فان قلت
فما معنى قوله والله اعلم بايمانكم قلت معناه ان الله اعلم بتفاضل ما بينكم وبين ارقائكم في الايمان ورجحانه ونقصانه فيهم وفيكم
وربما كان ايمان الامة ارجح من ايمان الحرة والمرأة افضل في الايمان من الرجل • وحق المؤمنين ان لا يعتبروا الا فضل الايمان لا فضل
الاحساب والانساب وهذا تأنيس بنكاح الاماء وترك الاستنكاف منه بعضكم من بعض اي انتم وارقاؤكم متواصلون متناسبون
لاشتراككم في الايمان لا يفضل حرٌ عبداً الا برجحان فيه فانكحوهن باذن اهلهن وآتوهن اجورهن بالمعروف محصنات
غير مسافحات ولا متخذات اخدان فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك
لمن خشي العنت منكم وان تصبروا خير لكم والله غفور رحيم يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب
عليكم والله عليم حكيم والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلاً عظيماً يريد الله ان
يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفاً يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولا
تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيماً ومن يفعل ذلك عدواناً وظلماً فسوف نصليه ناراً وكان ذلك على الله يسيراً
باذن اهلهن اشتراط لاذن الموالي في نكاحهن ويحتج به لقول ابي حنيفة ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن لانه اعتبر اذن الموالي
لا عقدهم وآتوهن اجورهن بالمعروف وادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار واحواج الى الاقتضاء واللز فان قلت
الموالي هم ملاك مهورهن لا هن والواجب اداؤها اليهم فلم قيل وآتوهن قلت لانهن وما في ايديهن مال الموالي فكان اداؤها
اليهن اداء الى الموالي او على ان اصله فآتوا مواليهن فحذف المضاف محصنات عفائف ولا متخذات اخدان اخلاء في السر كانه قيل
غير مجاهرات بالسفاح ولا مسرات له فاذا احصن بالتزويج وقرئ احصن فعليهن نصف ما على المحصنات اي الحرائر من العذاب
من الحد كقوله وليشهد عذابهما ويدرأ عنها العذاب ولا رجم عليهن لان الرجم لا يتنصف ذلك اشارة الى نكاح
الاماء لمن خشي العنت منكم لمن خاف الاثم الذي يؤدي اليه غلبة الشهوة واصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل
مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة المآثم وقيل اريد به الحد لانه اذا هويها خشي ان يواقعها فيحد فيتزوجها وان تصبروا
في محل الرفع على الابتداء اي وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحرائر صلاح البيت والاماء
هلاك البيت يريد الله ليبين لكم اصله يريد الله ان يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة لارادة التبيين كما زيدت في لا
ابا لك لتأكيد اضافة الاب والمعنى يريد الله ان يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم وان يهديكم مناهج من كان

نكاح م

بلغ

قبلكم

قبلكم من الانبياء والصالحين والطرق التي سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم ويتوب عليكم ويرشدكم الى الطاعات ان قمتم بها كانت كفارات
لسيئاتكم فيتوب عليكم ويكفر لكم والله يريد ان يتوب عليكم ان تفعلوا ما تستوجبون به ان يتوب عليكم ويريد الذين
يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما وموافقتهم على اتباع الشهوات وقيل هم اليهود وقيل المجوس كانوا يحلون نكاح الاخوات
من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله قالوا فانكم تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات
الاخ والاخت فنزلت يقول يريدون ان تكونوا زناة مثلهم يريد الله ان يخفف عنكم باحلال نكاح الامة وغيره من الرخص
وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات وعن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من بني ادم قط الا اتاهم
من قبل النساء فقد اتى علي ثمانون سنة وذهبت احدى عيني وانا اعشو بالاخرى وانا اخوف ما اخاف علي فتنة النساء
وقرئ ان يميلوا بالياء والضمير للذين يتبعون الشهوات وقرأ ابن عباس وخلق الانسان ضعيفا على البناء للفاعل ونصب
الانسان وعنه ثماني ايات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله
يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله
لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم بالباطل بما لم تبحه الشريعة من نحو السرقة والخيانة
والغصب والقمار وعقود الربوا الا ان تكون تجارة وقرئ تجارة على الا ان تكون التجارة تجارة عن تراض منكم ه
والاستثناء منقطع معناه ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض او ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه وقوله عن تراض
صفة لتجارة اي تجارة صادرة عن تراض وخص التجارة بالذكر لان اسباب الرزق اكثرها متعلق بها والتراضي رضى المتبايعين بما تعاقدا عليه
في حال البيع وقت الايجاب والقبول وهو مذهب ابي حنيفة رحمة الله عليه وعند الشافعي تفرقهما عن مجلس العقد متراضيين
ولا تقتلوا انفسكم من كان جنسكم من المؤمنين وعن الحسن لا تقتلوا اخوانكم ولا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة
وعن عمرو بن العاص انه تأوله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ علي رضي الله عنه ولا
تقتّلوا بالتشديد ان الله كان بكم رحيما ما نهاكم عما يضركم الا لرحمته عليكم وقيل معناه انه امر بني اسرائيل بقتلهم
انفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم وكان بكم يا امة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة ه
ذلك اشارة الى القتل اي ومن يقدم على قتل الانفس عدوانا وظلما لا خطأ ولا اقتصاصا وقرئ عدوانا بالكسر ونصليه
بتخفيف اللام وتشديدها ونصليه بفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله عز
وجل او لذلك لكونه سببا للصلي نارا هي نار مخصوصة شديدة العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لان الحكمة تدعو اليه
ولا صارف عنه من ظلم او نحوه كبائر ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما ولا
تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من
فضله ان الله كان بكل شيء عليما ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون وقرئ كبير ما تنهون عنه
اي ما كبر من المعاصي التي نهاكم الله عنها والرسول نكفر عنكم سيئاتكم نمط ما تستحقونه من العقاب في كل وقت على صغائركم
ونجعلها كأن لم تكن لزيادة الثواب المستحق على اجتنابكم الكبائر وصبركم عنها على عقاب السيئات والكبيرة والصغيرة
انما وصفتا بالكبر والصغر باضافتهما اما الى طاعة او معصية او ثواب فاعلها والتكفير اماطة المستحق من العقاب بثواب ازيد
او بندم على الطاعة وعن علي رضي الله عنه الكبائر سبع الشرك والقتل والقذف والزنا واكل مال اليتيم والفرار من الزحف
والتعرب بعد الهجرة وزاد ابن عمر السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ان رجلا قال له الكبائر
سبع فقال هي الى سبعمائة اقرب لانه لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وروي الى سبعين وقرئ يكفر بالياء

وهو الميل عن القصد والحق ولا ميل
اعظم منه بمساعدتهم ع

الا ان يقع تجارة م

كبائر ما تنهون عنه ع

او بتوبة والاحباط نقيضه وهو
اماطة الثواب المستحق بعقاب ازيد

ومدخلاً بضم الميم وفتحها بمعنى المكان والمصدر فيهما ﴿ولا تتمنوا﴾ نهوا عن التحاسد وعن تمني ما فضل الله به بعض الناس من الجاه والمال لان ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم باحوال العباد وبما يصلح المقسوم له من بسط في الرزق او قبض ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض﴾ فعلى كل واحد ان يرضى بما قسم له علماً بان ما قسم له هو مصلحته ولو كان خلافه لكان مفسدة له ولا يحسد اخاه على حظه ﴿للرجال نصيب مما اكتسبوا﴾ جعل ما قسم لكل من الرجال والنساء على حسب ما عرف الله من حاله الموجبة للبسط والقبض كسباً له ﴿واسئلوا الله من فضله﴾ ولا تتمنوا انصباء غيركم من الفضل ولكن سلوا الله من خزائنه التي لا تنفد وقيل كان الرجال قالوا ان الله فضلنا على النساء في الدنيا لنا سهمان ولهن سهم واحد فنرجوا ان يكون لنا اجران في الآخرة على الاعمال ولهن اجر واحد فقالت ام سلمة ونسوة معها ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم فنزلت ﴿مما اكتسبن﴾ تبيين لكل اي ولكل شيء مما ترك الوالدان والاقربون من المال جعلنا موالي وراثاً يلونه ويحوزونه او ولكل قوم جعلناهم موالي نصيب مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلناهم موالي صفة لكل والضمير الراجع الى كل محذوف والكلام مبتدأ وخبر كما تقول لكل من خلقه الله انساناً من رزق الله اي حظ من رزق الله او ولكل احد جعلنا موالي مما ترك اي وراثاً يلون على ان من صلة موالي لانهم في معنى الوراث وفي ترك ضمير كل ثم فسر الموالي بقوله الوالدان والاقربون كانه قيل من هم فقيل الوالدان والاقربون ﴿والذين عاقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شيء شهيداً الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً ان الله كان علياً كبيراً وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من اهله وحكماً من اهلها ان يريدا اصلاحاً يوفق الله بينهما ان الله كان عليماً خبيراً﴾ والذين عاقدت ايمانكم مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع خبره مع الفاء وهو قوله فآتوهم نصيبهم ويجوز ان يكون منصوباً على قولك زيداً فاضربه ويجوز ان يعطف على الوالدان ويكون المضمر في فآتوهم للموالي والمراد بالذين عاقدت ايمانكم موالي الموالاة كان الرجل يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وارثك وتطلب بي واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه خطب يوم الفتح فقال ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به فانه لم يزده الاسلام الا شدة ولا تحدثوا حلفاً في الاسلام وعند ابي حنيفة رحمه الله انه لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح عنده وورث بحق الموالاة خلافاً للشافعي رحمة الله عليه وقيل المعاقدة التبني ومعنى عاقدت ايمانكم عاقدتهم ايديكم وماسحتموهم وقرئ بالتشديد والتخفيف بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم قوامون على النساء يقومون عليهن آمرين ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا وسموا قواماً لذلك والضمير في بعضهم للرجال والنساء جميعاً يعني انما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء وفيه دليل على ان الولاية انما تستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة والقهر وقد ذكروا في فضل الرجال العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة في الغالب والفروسية والرمي وان منهم الانبياء وفيهم العلماء والامامة الكبرى والصغرى والجهاد والاذان والخطبة والاعتكاف وتكبيرات التشريق عند ابي حنيفة والشهادة في الحدود والقصاص وزيادة السهم والتعصيب في الميراث والحمالة والقسامة والولاية في النكاح والطلاق والرجعة وعدد الازواج واليهم الانتساب وهم اصحاب اللحى والعمائم وبما انفقوا وبسبب ما اخرجوا في نكاحهن من اموالهم في المهور والنفقات روي ان سعد بن الربيع كان نقيباً من نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم وقال افرشته كريمتي فلطمها فقال لتقتص منه فنزلت فقال أردنا أمرا وأراد الله أمرا والذي أراد الله خير
ورفع القصاص واختلف في ذلك فقيل لا قصاص بين الرجل وامرأته فيما دون النفس ولو شجها ولكن يجب العقل وقيل لا قصاص
إلا في الجرح والقتل وأما اللطمة ونحوها فلا • فالصالحات قانتات مطيعات قائمات بما عليهن للأزواج حافظات للغيب الغيب
خلاف الشهادة أي حافظات لمواجب الغيب إذا كان الأزواج غير شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن حفظه في حال
الغيبة من الفروج والبيوت والأموال وعن النبي صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة إن نظرت إليها سرتك وإن
أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية • وقيل للغيب لأسرارهم بما حفظ الله بما
حفظهن الله حين أوصى بهن الأزواج في كتابه وأمر رسوله فقال استوصوا بالنساء خيرا وبما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن
لحفظ الغيب أو بما حفظهن حين وعدهن الثواب العظيم على حفظ الغيب وأوعدهن بالعذاب الشديد على الخيانة وما مصدرية
وقرئ بما حفظ الله بالنصب على أن ما موصولة أي حافظات للغيب بالأمر الذي يحفظ حق الله وأمانة الله وهو التعفف
والتحصن والشفقة على الرجال والنصيحة لهم وقرأ ابن مسعود فالصوالح قوانت حوافظ للغيب بما حفظ الله فأصلحوا إليهن
نشوزها ونشوصها أن تعصي زوجها ولا تطمئن إليه وأصله الانزعاج في المضاجع في المراقد أي لا تداخلوهن تحت
اللحف أو هي كناية عن الجماع وقيل هو أن يوليها ظهره في المضاجع وقيل في المضاجع في بيوتهن التي يبتن فيها أي
لا تبايتوهن وروي في المضجع وفي المضطجع وذلك ليعرف أحوالهن وتحقق أمرهن في النشوز أمر بوعظهن
أولا ثم بهجرانهن في المضاجع ثم بالضرب إن لم ينجع فيهن الوعظ والهجران وقيل معناه أكرهوهن على الجماع
واربطوهن من هجر البعير إذا شده بالهجار وهذا من تفسير الثقلاء وقالوا يجب أن يكون ضربا غير مبرح
لا يجرحها ولا يكسر لها عظما ويجتنب الوجه وعن النبي صلى الله عليه وسلم علق سوطك حيث يراه أهلك وعن
أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها كنت رابعة أربع نسوة عند الزبير بن العوام فإذا غضب على إحدانا ضربها بعود
المشجب حتى يكسره عليها ويروى عن الزبير أبيات • قال في أسماء • ولولا بنوها حولها لخبطتها •
فلا تبغوا عليهن سبيلا فأزيلوا عنهن التعرض بالأذى والتوبيخ والتجني وتوبوا عليهن واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن بعد رجوعهن
إلى الطاعة والانقياد وترك النشوز إن الله كان عليا كبيرا • فاحذروه واعلموا أن قدرته عليكم أعظم من قدرتكم على
من تحت أيديكم ويروى أن أبا مسعود الأنصاري رضي الله عنه رفع سوطه ليضرب غلاما له فبصر به رسول الله
صلى الله عليه وسلم فصاح به أبا مسعود لله أقدر عليك منك عليه فرمى بالسوط وأعتق الغلام أو إن الله كان عليا
كبيرا وأنكم تعصونه على علو شأنه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فأنتم أحق بالعفو عمن يجني عليكم إذا
رجع وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن
الله كان عليما خبيرا واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار
ذي القربى والجار الجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا الذين يبخلون ويأمرون
الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس
ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما
رزقهم الله وكان الله بهم عليما إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما
شقاق بينهما أصله شقاقا بينهما فأضيف الشقاق إلى الظرف على طريق الاتساع لقوله بل مكر الليل والنهار وأصله بل مكر في الليل
والنهار أو على أن جعل البين مشاقا والليل والنهار ماكرين على قولهم نهارك صائم والضمير للزوجين ولم يجر ذكرهما

في المضجع

يجري ذكرهما يدل عليهما وهو الرجال والنساء ﴿حكماً من أهله﴾ رجلاً مقنعاً رضاً يصلح للحكومة والعدل والإصلاح بينهما وإنما كان بعث
الحكمين من أهلهما لأن الأقارب أعرف ببواطن الأحوال وأطلب للصلاح وإنما تسكن إليهم نفوس الزوجين ويبرز إليهما ما في ضمائرهما
من الحب والبغض وإرادة الصحبة والفرقة وموجبات ذلك ومقتضياته وما يزويانه عن الأجانب ولا يحبان أن يطلعوا عليه
فإن قلت فهل يليان الجمع والتفريق بينهما إن رأيا ذلك قلت قد اختلف فيه فقيل ليس إليهما ذلك إلا بإذن
الزوجين وقيل ذلك إليهما وما جعلا حكمين إلا وإليهما بناء الأمر على ما تقتضيه اجتهادهما وعن عبيدة السلماني
شهدت علياً رضي الله عنه وقد جاءته امرأة وزوجها ومع كل واحد فئام من الناس فأخرج هؤلاء حكماً وهؤلاء
حكماً فقال علي رضي الله عنه للحكمين أتدريان ما عليكما إن عليكما إن رأيتما أن تفرقا فرقتما وإن رأيتما أن تجمعا
جمعتما فقال الزوج أما الفرقة فلا فقال علي رضي الله عنه كذبت والله لا تبرح حتى ترضى بكتاب الله لك وعليك
فقالت المرأة رضيت بكتاب الله لي وعلي وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان وعن الشعبي ما قضى الحكمان جاز والألف في ﴿يريدا
إصلاحاً﴾ ضمير الحكمين و﴿يوفق الله بينهما﴾ للزوجين أي إن قصدا إصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما
ناصحة لوجه الله بورك في وساطتهما وأوقع الله بطيب نفوسهما المودة والرحمة وقيل الضميران للحكمين أي إن قصدا
إصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما فيتفقان على الكلمة الواحدة ويتساندان في طلب الوفاق
حتى يحصل الغرض ويتم المراد وقيل الضميران للزوجين أي إن يريدا إصلاح ما بينهما وطلبا الخير وأن يزول
عنهما الشقاق يطرح الله بينهما الألفة وأبدلهما بالشقاق وفاقاً وبالبغضاء مودة ﴿إن الله كان عليماً خبيراً﴾
يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المفترقين ﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن
الله ألف بينهم﴾ ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ وأحسنوا بهما إحساناً ﴿وبذي القربى﴾ وبكل من بينكم وبينه قربى من أخ
أو عم أو غيرهما ﴿والجار ذي القربى﴾ الذي قرب جواره ﴿والجار الجنب﴾ الذي جواره بعيد وقيل الجار القريب
النسيب والجار الجنب الأجنبي وقرئ والجار ذا القربى نصباً على الاختصاص كما قرئ حافظوا على الصلوات والصلاة
الوسطى تنبيهاً على عظم حقه لإدلائه بحقي الجوار والقربى ﴿والصاحب بالجنب﴾ هو الذي صحبك بأن حصل بجنبك
إما رفيقاً في السفر وإما جاراً ملاصقاً وإما شريكاً في تعلم علم أو حرفة وإما قاعداً إلى جنبك في مسجد أو مجلس أو غير
ذلك من أدنى صحبة التأمت بينك وبينه فعليك أن ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة إلى الإحسان
وقيل الصاحب بالجنب المرأة ﴿وابن السبيل﴾ المسافر المنقطع به وقيل الضيف ﴿المختال﴾ التياه الجهول الذي
يتكبر عن إكرام أقاربه وأصحابه ومماليكه فلا يتحفى بهم ولا يلتفت إليهم وقرئ والجار الجنب بفتح الجيم وسكون
النون ﴿والذين يبخلون﴾ بدل من قوله من كان مختالاً فخوراً أو نصب على الذم ويجوز أن يكون رفعاً عليه
وأن يكون مبتدأ خبره محذوف كأنه قيل الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون أحقاء بكل ملامة وقرئ
بالبخل بضم الباء وفتحها وبفتحتين وضمتين أي يبخلون بذات أيديهم وبما في أيدي غيرهم فيأمرونهم بأن
يبخلوا به مقتاً للسخاء ممن وجد وفي أمثال العرب أبخل من الضنين بنائل غيره قال
وإن امرأ ضنت يداه على امرئ ❊ بنيل يد من غيره لبخيل ❊ ولقد رأينا ممن
بلي بداء البخل من إذا طرق سمعه أن أحداً جاد على أحد شخص به وحل حبوته واضطرب ودارت عيناه
في رأسه كأنما نهب رحله وكسرت خزانته ضجراً من ذلك وحسرة على وجوده وقيل هم اليهود كانوا يأتون رجالاً من الأنصار
يتنصحون لهم ويقولون لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون وقد عابهم بكتمان نعمة الله وما آتاهم

نفسها وحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق بالألفة والتقى في ع

الأجنبي وأنشد للعباس بن قيس لا يجتنبنا مجاور أبداً ذو رحم أو مجاور جنب ع

من

من فضل الغنى والتفاقر الى الناس وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا انعم الله على عبد نعمة احب ان ترى نعمته عليه وبنى عامل
للرشيد قصرا حذاء قصره فنمّ به عنده فقال الرجل يا امير المؤمنين ان الكريم يسره ان يرى اثر نعمته فاحببت ان اسرك
بالنظر الى آثار نعمتك فاعجبه كلامه • وقيل نزلت في شأن اليهود الذين كتموا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
رئاء الناس للفخار وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا لابتغاء وجه الله • وقيل نزلت في مشركي مكة المنفقين
اموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فساء قرينا حيث حملهم على البخل والرياء وكل شر ويجوز ان يكون وعيدا
لهم بان الشيطان يقرن بهم في النار وماذا عليهم واي تبعة ووبال عليهم في الايمان والانفاق في سبيل الله والمراد الذم
والتوبيخ والا فكل منفعة ومصلحة في ذلك وهذا كما يقال للمنتقم ما ضرك لو عفوت • وللعاق ما كان يرزؤك لو كنت
بارا وقد علم انه لا مضرة ولا مرزئة في العفو والبر ولكنه ذم وتوبيخ وتجهيل بمكان المنفعة • وكان الله بهم عليما
وعيد • الذرة النملة الصغيرة وفي قراءة عبد الله رضي الله عنه مثقال نملة • وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه ادخل يده في التراب
فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة • وقيل كل جزء من اجزاء الهباء في الكوة ذرة • وفيه دليل على انه لو
نقص من الاجر ادنى شيء واصغره او زاد في العقاب لكان ظلما وانه لا يفعله لاستحالته في الحكمة لا لاستحالته في القدرة
وان تك حسنة وان تك مثقال الذرة حسنة وانما انث ضمير المثقال لكونه مضافا الى مؤنث • وقرئ بالرفع على كان
التامة • يضاعفها يضاعف ثوابها لاستحقاقها عنده الثواب في كل وقت من الاوقات المستقبلة غير المتناهية • وعن
عثمان النهدي انه قال لابي هريرة رضي الله عنه بلغني عنك انك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله
يعطي عبده المؤمن بالحسنة الف الف حسنة فقال ابو هريرة رضي الله عنه لا بل سمعته يقول ان الله تعالى يعطيه الفي الف حسنة
ثم تلا هذه الآية والمراد الكثرة لا التحديد • ويؤت من لدنه اجرا عظيما • ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل
عطاء عظيما • وسماه اجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا بثباته • وقرئ يضعفها بالتشديد والتخفيف من ضعف واضعف
وقرأ ابن هرمز نضاعفها بالنون • فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا
الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا • فكيف يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم اذا جئنا من كل
امة بشهيد يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم كقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم • وجئنا بك على هؤلاء المكذبين شهيدا
وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قرأ سورة النساء على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا
فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال حسبنا • لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا ولا يقدرون على كتمانه لان جوا
لو يدفنون فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى • وقيل يودون انهم لم يبعثوا وانهم كانوا والارض سواء • وقيل تصير البهائم
ترابا فيودون حالها • ولا يكتمون الله حديثا ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم • وقيل الواو للحال اي يودون
ان يدفنوا تحت الارض وانهم كانوا لا يكتمون الله حديثا ولا يكذبون في قولهم والله ربنا ما كنا مشركين لانهم اذا قالوا ذلك وجحدوا
شركهم ختم الله على افواههم عند ذلك وتكلمت ايديهم وارجلهم بتكذيبهم والشهادة عليهم بالشرك فلشدة الامر عليهم يتمنون
ان تسوى بهم الارض • وقرئ تسوى بحذف التاء من تتسوى يقال سويته فتسوى نحو لويته فتلوى • وتسوى بادغام
التاء في السين كقوله يسمعون وماضيه اسّوى كازكى • يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا
ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط
او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم ان الله عفورا رحيما
روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا فدعا نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم حين كانت الخمر

ساحة فأكلوا وشربوا فلما ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب قدموا أحدهم ليصلي بهم فقرأ أعبد ما تعبدون
وأنتم عابدون ما أعبد فنزلت فكانوا لا يشربون في أوقات الصلوات فإذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون إلا وقد ذهب
عنهم السكر وعلموا ما يقولون ثم نزل تحريمها ومعنى لا تقربوا الصلاة لا تغشوها ولا تقوموا إليها واجتنبوها كقوله
ولا تقربوا الزنا ولا تقربوا الفواحش وقيل معناه ولا تقربوا مواضعها وهي المساجد لقوله عليه الصلاة والسلام جنبوا مساجدكم
صبيانكم ومجانينكم وقيل هو سكر النعاس وغلبة النوم لقوله • ورأوا بسكر سنانهم كل الزبون • وقرئ سكارى
بفتح السين وسكرى على أن يكون جمعا نحو هلكى وجوعى لأن السكر علة تلحق العقل أو مفردا بمعنى وأنتم جماعة سكرى
كقولك امرأة سكرى وسُكرى بضم السين كحبلى على أن تكون صفة للجماعة وحكى جناح بن حبيش كسلى وكسلى
بالفتح والضم ولا جنبا عطف على قوله وأنتم سكارى لأن محل الجملة مع الواو النصب على الحال كأنه قيل لا تقربوا الصلاة
سكارى ولا جنبا والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لأنه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الإجناب إلا عابري
سبيل استثناء من عامة أحوال المخاطبين وانتصابه على الحال فإن قلت كيف جمع بين هذه الحال والتي قبلها قلت كأنه قيل لا تقربوا
الصلاة في حال الجنابة إلا ومعكم حال أخرى تعذرون فيها وهي حال السفر وعبور السبيل عبارة عنه ويجوز أن لا يكون
حالا ولكن صفة لقوله جنبا أي لا تقربوا الصلاة جنبا غير عابري سبيل أي جنبا مقيمين غير معذورين فإن قلت
كيف تصح صلاتهم على الجنابة لعذر السفر قلت أريد بالجنب الذين لم يغتسلوا كأنه قيل لا تقربوا الصلاة غير مغتسلين
حتى تغتسلوا إلا أن تكونوا مسافرين وقال من فسر الصلاة بالمسجد معناه لا تقربوا المسجد جنبا إلا مجتازين فيه وقيل إن رجالا من الأنصار
كانت أبوابهم في المسجد فتصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا إلا في المسجد فرخص لهم وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأذن
لأحد أن يجلس في المسجد أو يمر فيه وهو جنب إلا لعلي رضي الله عنه لأن بيته كان في المسجد فإن قلت أدخل في حكم الشرط
أربعة وهم المرضى والمسافرون والمحدثون وأهل الجنابة فبمن تعلق الجزاء الذي هو الأمر بالتيمم عند عدم الماء منهم قلت
الظاهر أنه تعلق بهم جميعا وأن المرضى إذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول إليه فلهم أن يتيمموا وكذلك
السفر إذا عدموه لبعده والمحدثون وأهل الجنابة كذلك إذا لم يجدوه لبعض الأسباب وقال الزجاج الصعيد وجه الأرض ترابا
كان أو غيره وإن كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه
فإن قلت فما يصنع بقوله في سورة المائدة فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه أي بعضه وهذا لا يتأتى في الصخر الذي لا تراب
عليه قلت قالوا إن من لابتداء الغاية فإن قلت قولهم إنها لابتداء الغاية قول متعسف ولا يفهم أحد من العرب
من قول القائل مسحت برأسه من الدهن ومن التراب ومن الماء إلا معنى التبعيض قلت هو كما تقول والإذعان للحق أحق من المراء
إن الله كان عفوا غفورا كناية عن الترخيص والتيسير لأن من كانت عادته أن يعفو عن الخاطئين ويغفر لهم آثر أن يكون
ميسرا غير معسر فإن قلت كيف نظم في سلك واحد بين المرضى والمسافرين وبين المحدثين والمجنبين والمرض والسفر
سببان من أسباب الرخصة والملامسة سبب لوجوب الوضوء والجنابة سبب لوجوب الغسل قلت أراد سبحانه أن يرخص
للذين وجب عليهم التطهر وهم عادمون للماء في التيمم بالتراب فخص أولا من بينهم مرضاهم وسفرهم لأنهم المتقدمون
في استحقاق بيان الرخصة لهم لكثرة المرض والسفر وغلبتهما ثم عم كل من وجب عليه
التطهر وأعوزه الماء لخوف عدو أو سبع أو عدم آلة استقاء أو إرهاق في مكان لا ماء فيه أو غير ذلك مما لا يكثر كثرة المرض والسفر
وقرئ من غيط قيل هو تخفيف غيط كهين في هين والغيط بمعنى الغائط ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة
ويريدون أن تضلوا السبيل والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه

إذا كان الطريق فيه إلى الماء أو كان الماء فيه أو احتلمتم فيه

بلغ مقابلة

ويقولون

بلغ مقابلة

وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا الم تر من رؤية القلب وعدي بالى على معنى الم ينته علمك اليهم او بمعنى الم تنظر اليهم اوتوا نصيبا من الكتاب حظا من علم التورية وهم احبار اليهود يشترون الضلالة يستبدلونها بالهدى وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح الايات لهم على صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه هو النبي العربي المبشر به في التورية والانجيل ويريدون ان تضلوا انتم ايها المؤمنون سبيل الحق كما ضلوه وتنخرطوا في سلكهم لا يكفيهم ضلالتهم بل يحبون ان يضل معهم غيرهم وقرئ ان يضلوا بالياء بفتح الضاد وكسرها والله اعلم باعدائكم منكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء واطلعكم على احوالهم وما يريدون بكم فاحذروهم ولا تستنصحوهم في اموركم ولا تستشيروهم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا فثقوا بولايته ونصرته دونهم او لا تبالوا بهم فان الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب لانهم يهود ونصارى وقوله والله اعلم وكفى بالله وكفى بالله جمل توسطت بين البيان والمبين على سبيل الاعتراض او بيان لاعدائكم وما بينهما اعتراض او صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا ويجوز ان يكون كلاما مبتدا على ان يحرفون صفة مبتدا محذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون كقوله

وما الدهر الا تارتان فمنهما … اموت واخرى ابتغي العيش اكدح

اي فمنهما تارة اموت فيها يحرفون الكلم عن مواضعه يميلونه عنها ويزيلونه لانهم اذا بدلوه ووضعوا مكانه كلما غيره فقد اما لوه عن مواضعه التي وضعه الله فيها وازالوه عنها وذلك نحو تحريفهم اسمر ربعة عن موضعه في التورية بوضعهم آدم طوال مكانه ونحو تحريفهم الرجم بوضعهم الحد بدله فان قلت كيف قيل ههنا عن مواضعه وفي المائدة من بعد مواضعه قلت اما عن مواضعه فعلى ما فسرنا من ازالته عن مواضعه التي اوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من ابدال غيره مكانه واما من بعد مواضعه فالمعنى انه كانت له مواضع هو قمن بان يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقاره والمعنيان متقاربان وقرئ يحرفون الكلام والكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة ويقولون سمعنا قولك وعصينا امرك واسمع غير مسمع حال من المخاطب اي اسمع وانت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم اي اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لانه لو اجيبت دعوتهم عليه لم يسمع فكان اصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على ان قولهم لا سمعت دعوة مستجابة او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكانك لم تسمع شيئا او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه ناب ويجوز على هذا ان يكون غير مسمع مفعول اسمع اي اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك لا تعيه نبوا عنه ويحتمل المدح اي اسمع غير مسمع مكروها من قولك اسمع فلانا اذا سبه وكذلك قولهم راعنا يحتمل راعنا نكلمك اي ارقبنا وانتظرنا ويحتمل شبه كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا فكانوا سخرية بالدين وهزؤا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والاهانة ويظهرون به التوقير والاكرام ليا بالسنتهم فتلا بها وتحريفا اي يفتلون بالسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها ويفتلون بالسنتهم

تخفيف كلمة

ما يضمرونه من الشتم الى ما يظهرونه من التوقير نفاقا فان قلت كيف جاؤا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعد ما صرحوا
وقالوا سمعنا وعصينا قلت جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء ويجوز
ان يقولوه فيما بينهم ويجوز ان لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كانهم نطقوا به وقرأ ابي رضي الله عنه
وانظرنا من الانظار وهو الامهال فان قلت الام يرجع الضمير في قوله لكان خيرا لهم قلت الى انهم قالوا لان
المعنى ولو ثبت قولهم سمعنا واطعنا لكان قولهم ذلك خيرا لهم واقوم واعدل واسد ولكن لعنهم الله بكفرهم اي خذلهم بسبب
كفرهم وابعدهم عن الطافه فلا يؤمنون الا قليلا اي ضعيفا ركيكا لا يعبا به وهو ايمانهم بمن خلقهم مع كفرهم
بغيره او اراد بالقلة العدم كقوله • قليل التشكي للمهم يصيبه • كثير الهوى شتى النوى والمسالك •
اي عديم التشكي او الا قليلا منهم قد امنوا ان نطمس وجوها • اي نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب
وانف وفم فنردها على ادبارها فنجعلها على هيئة ادبارها وهي الاقفاء مطموسة مثلها والفاء للتسبيب وان جعلتها
للتعقيب على انهم توعدوا بعقابين احدهما عقيب الاخر ردها على ادبارها بعد طمسها والمعنى ان نطمس وجوها
فننكسها الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام ووجه اخر وهو ان يراد بالطمس القلب والتغيير كما طمس اموال
القبط فقلبها حجارة وبالوجوه رؤسهم ووجهاؤهم اي من قبل ان نغير احوال وجهائهم فنسلبهم اقبالهم
ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وادبارهم او نردهم الى حيث جاؤا منه وهي اذرعات الشام يريد
اجلاء بني النضير فان قلت لمن الراجع في قوله او نلعنهم قلت للوجوه ان اريد الوجهاء او لاصحاب
الوجوه لان المعنى من قبل ان نطمس وجوه قوم او يرجع الى الذين اوتوا الكتاب على طريقة الالتفات
او نلعنهم او نخزيهم بالمسخ كما مسخنا اصحاب السبت فان قلت فاين وقوع الوعيد قلت هو مشروط بالايمان
وقد امن منهم ناس وقيل هو منتظر ولا بد من طمس ومسخ لليهود قبل يوم القيامة ولان الله تعالى اوعدهم
باحد الامرين بطمس وجوه منهم او بلعنهم فان كان الطمس تبديل احوال رؤسائهم او اجلاءهم الى الشام فقد
كان احد الامرين وان كان غيره فقد حصل اللعن فانهم ملعونون بكل لسان والظاهر اللعن المتعارف دون
المسخ الا ترى الى قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة
والخنازير وكان امر الله مفعولا فلا بد ان يقع احد الامرين ان لم يؤمنوا فان قلت قد ثبت ان الله
عز وجل يغفر الشرك لمن تاب منه فلحصر وانه لا يغفر ما دون الشرك من الكبائر الا بالتوبة فما وجه قوله ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قلت الوجه ان يكون الفعل المنفي والمثبت جميعا
موجهين الى قوله لمن يشاء كانه قيل ان الله لا يغفر لمن يشاء الشرك ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك على ان المراد
بالاول من لم يتب وبالثاني من تاب ونظيره قولك ان الامير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء
يريد لا يبذل الدينار لمن لا يستاهله ويبذل القنطار لمن يستاهله فقد افترى اثما اي ارتكبه وهو مفتر مفتعل
ما لا يصح كونه الم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا انظر كيف يفترون
على الله الكذب وكفى به اثما مبينا الذين يزكون انفسهم اليهود والنصارى قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا
لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقيل جاء رجال من اليهود الى رسول الله باطفالهم فقالوا هل على هؤلاء
ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار يكفر عنا بالليل وما عملناه بالليل يكفر عنا بالنهار فنزلت
ويدخل فيها كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى والزلفى عند الله تعالى فان قلت

إيمانا

اما

اما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اني لامين في السماء امين في الارض قلت انما قال ذلك حين قال له المنافقون
اعدل في القسمة اكذابا لهم اذ وصفوه بخلاف ما وصفه به ربه وشتان من شهد الله له بالتزكية ومن شهد لنفسه او شهد
له من لا يعلم بل الله يزكي من يشاء اعلام بان تزكية الله هي التي يعتد بها لا تزكية غيره لانه هو العالم بمن هو
اهل للتزكية ومعنى يزكي من يشاء يزكي المرتضين من عباده الذين عرف منهم الزكاء فوصفهم به ولا يظلمون
اي الذين يزكون انفسهم يعاقبون على تزكيتهم انفسهم حق جزائهم او من يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص
من ثوابهم ونحوه فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم انهم عند الله
ازكياء وكفى بزعمهم هذا اثما مبينا من بين سائر اثامهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون
بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا اولئك الذين لعنهم الله
ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا الجبت الاصنام
وكل ما عبد من دون الله والطاغوت الشيطان وذلك ان حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا
الى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انتم اهل كتاب وانتم
اقرب الى محمد منكم الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا لالهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت
لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال ابو سفيان انحن اهدى سبيلا ام محمد فقال كعب ماذا
يقول محمد قالوا يامر بعبادة الله وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري
الضيف ونفك العاني وذكروا افعالهم فقال انتم اهدى سبيلا وصف اليهود بالبخل والحسد وهما شر خصلتين
يمنعون ما اوتوا من النعمة ويتمنون ان يكون لهم نعمة غيرهم فقال ام لهم نصيب من الملك على ان ام منقطعة
ومعنى الهمزة لانكار ان يكون لهم نصيب من الملك ثم قال فاذا لا يؤتون الناس اي لو كان لهم نصيب من الملك
فاذا لا يؤتون احدا مقدار نقير لفرط بخلهم والنقير النقرة في ظهر النواة وهو مثل في القلة كالفتيل والقطمير
والمراد بالملك اما ملك اهل الدنيا واما ملك الله لقوله تعالى قل لو كنتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم
خشية الانفاق وهذا اوصف لهم بالشح واحسن لطباقه نظيره من القران ويجوز ان يكون معنى الهمزة في ام
لانكار انهم قد اوتوا نصيبا من الملك وكانوا اصحاب اموال وبساتين وقصور مشيدة كما يكون احوال الملوك وانهم
لا يؤتون احدا مما يملكون شيئا وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه فاذا لا يؤتوا على اعمال اذن عملها الذي هو النصب
وهي ملغاة في قراءة العامة كانه قيل فلا يؤتون الناس نقيرا اذن ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من
فضله فقد اتينا ال ابراهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما فمنهم من امن به ومنهم من صد عنه وكفى
بجهنم سعيرا ان الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا
العذاب ان الله كان عزيزا حكيما ام يحسدون الناس بل ايحسدون رسول الله والمؤمنين على انكار الحسد
واستقباحه وكانوا يحسدونهم على ما اتاهم الله من النصرة والغلبة وازدياد العز والتقدم كل يوم فقد اتينا الزام لهم
بما عرفوه من ايتاء الله الكتاب والحكمة ال ابراهيم الذين هم اسلاف محمد صلى الله عليه وانه ليس ببدع ان يؤتيه الله مثل
ما اوتي اسلافه وعن ابن عباس رضي الله عنه الملك في ال ابرهيم ملك يوسف وداود وسليمان صلوات الله عليهم وقيل
استكثروا نساءه فقيل لهم كيف استكثرتم له التسع وقد كان لداود صلوات الله عليه مائة ولسليمان صلوات الله
عليه ثلثمائة مهيرة وسبعمائة سرية فمنهم فمن اليهود من امن به اي بما ذكر من حديث ال ابرهيم ومنهم من صد عنه

الم

وانكره مع علمه بصحته او من اليهود من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من انكر نبوته او من آل ابراهيم صلوات الله
عليه من آمن بابراهيم صلوات الله عليه ومنهم من كفر كقوله فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون بدلناهم جلودا غيرها ابدلناهم
اياها فان قلت كيف يعذب مكان الجلود العاصية جلودا لم تعص قلت العذاب للجملة الحساسة
وهي التي عصيت لا للجلد وعن فضيل تبدل النضيج غير نضيج وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم تبدل جلودهم كل يوم
سبع مرات وعن الحسن سبعين مرة يبدلون جلودا بيضا كالقراطيس ليذوقوا العذاب ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع
كقولك للعزيز اعزك الله اي ادامك على عزك وزادك فيه عزيزا لا يمتنع عليه شيء مما يريده بالمجرمين حكيما لا يعذب
الا بعدل من يستحقه ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
ابدا لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين
الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا ظليلا صفة مشتقة من لفظ الظل لتاكيد معناه
كما يقال ليل اليل ويوم ايوم وما اشبه ذلك وهو ما كان فينانا لا جواب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه
ولا برد وليس ذلك الا ظل الجنة رزقنا الله بتوفيقه لما يزلف اليه التفيؤ تحت ذلك الظل وفي قراءة عبد الله رضي الله
عنه سيدخلهم بالياء ان تؤدوا الامانات الى اهلها الخطاب عام لكل احد في كل امانة وقيل نزلت في عثمان بن
طلحة بن عبد الدار رضي الله عنه وكان سادن الكعبة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة يوم الفتح
اغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وابى ان يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي بن
ابي طالب يده واخذه منه وفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح
ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامر عليا رضي الله عنه ان يرده الى عثمان ويعتذر اليه فقال عثمان لعلي اكرهت
وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله في شانك وقرأ عليه هذه الآية فقال عثمان رضي الله عنه اشهد ان لا اله الا
الله وان محمدا رسول الله فهبط جبريل صلوات الله عليه واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السدانة في اولاد عثمان
ابدا وقيل خطاب للولاة باداء الامانات والحكم والعدل وقرئ الامانة على التوحيد نعما يعظكم به ما اما ان تكون
منصوبة موصوفة بيعظكم به واما ان تكون مرفوعة موصولة به كانه قيل نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي
يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف اي نعما يعظكم به ذاك وهو المامور به من اداء الامانات والعدل في الحكم وقرئ
نعما بفتح النون يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله
والى الرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تاويلا لما امر الولاة باداء الامانات والعدل
في الحكم الى اهلها وان يحكموا بالعدل امر الناس بان يطيعوهم وينزلوا على قضاياهم والمراد باولي الامر منكم امراء الحق لان
امراء الجور الله ورسوله بريئان منهم فلا يعطفون على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم وانما يجمع بين الله ورسوله
والامراء الموافقين لهما في ايثار العدل واختيار الحق والامر بهما والنهي عن اضدادهما كالخلفاء الراشدين ومن
تبعهم باحسان وكان الخلفاء يقولون اطيعوني ما عدلت فيكم فان خالفت فلا طاعة لي عليكم وعن ابي حازم ان
مسلمة بن عبد الملك قال له ألستم امرتم بطاعتنا في قوله واولي الامر منكم قال اليس قد نزعت عنكم اذا خالفتم
الحق فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وقيل هم امراء السرايا وعن النبي صلى الله عليه وسلم من اطاعني
فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع اميري فقد اطاعني ومن يعص اميري فقد عصاني وقيل هم العلماء
الدينون الذين يعلمون الناس ويامرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فان تنازعتم في شيء فان اختلفتم انتم

واولوا

واولوا الامر منكم في شيء من امور الدين فردوه الى الله ورسوله اي ارجعوا فيه الى الكتاب والسنة وكيف يلزم طاعة امراء
الجور وقد جنح الله الامر بطاعة اولي الامر بما لا يبقى معه شك وهو ان امرهم اولا باداء الامانات وبالعدل في
الحكم وامرهم آخرا بالرجوع الى الكتاب والسنة فيما اشكل وامراء الجور لا يؤدون امانة ولا يحكمون بعدل ولا يردون
شيئا الى الكتاب ولا الى السنة انما يتبعون شهواتهم حيث ذهبت بهم فهم منسلخون عن صفات الذين هم اولوا الامر
عند الله ورسوله واحق اسمائهم اللصوص المتغلبة ذلك اشارة الى الرد اي الرد الى الكتاب والسنة خير لكم واصلح
واحسن تاويلا من تاويلكم الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا
الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل
الله والى الرسول رايت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت
ايديهم ثم جاءوك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فاعرض
عنهم وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغا وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو انهم اذ ظلموا
انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما روي ان بشرا المنافق خاصم
يهوديا فدعاه اليهودي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودي فلم يرض المنافق وقال تعالى نتحاكم الى عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فقال اليهودي لعمر رضي الله عنه قضى لنا رسول الله فلم يرض بقضائه فقال للمنافق اكذلك قال
نعم فقال عمر رضي الله عنه مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل عمر رضي الله عنه فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به
عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل صلوات الله عليه
ان عمر رضي الله عنه فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت الفاروق والطاغوت
كعب بن الاشرف سماه الله طاغوتا لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم او على التشبيه بالشيطان
والتسمية باسمه او جعل اختيار التحاكم الى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان وقرئ
بما انزل على البناء للفاعل وقرا عباس بن الفضل ان يكفروا بها ذهابا بالطاغوت الى الجمع كقوله تعالى
اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم وقرا الحسن تعالوا بضم اللام على انه حذف اللام من تعاليت تخفيفا كما قالوا ما باليت
بالة واصلها بالية كعافية وكما قال الكسائي في اية اصلها آيية فاعلة فحذفت اللام فلما حذفت اللام وقعت
واو الجمع بعد اللام من تعالى فضمت فصار تعالوا نحو تقدموا ومنه قول اهل مكة تعالي بكسر اللام للمراة وفي شعر
الحمداني تعالي اقاسمك الهموم تعالي والوجه فتح اللام فكيف يكون حالهم وكيف
يصنعون يعني انهم يعجزون عند ذلك فلا يصدرون امرا ولا يوردونه اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم
من التحاكم الى غيرك واتهامهم لك في الحكم ثم جاءوك حين يصابون فيعتذرون اليك ويحلفون ما اردنا
بتحاكمنا الى غيرك الا احسانا لا اساءة وتوفيقا بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك ففرج
عنا بدعائك وهذا وعيد لهم على فعلهم وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار عند حلول بأس
الله وقيل جاء اولياء المنافق يطلبون بدمه وقد اهدره الله فقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا
بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم بما حكم به فاعرض عنهم ولا تعاقبهم لمصلحة في استبقائهم
ولا تزد على كفهم بالموعظة والنصيحة عما هم عليه وقل لهم في انفسهم قولا بليغا بالغ في وعظهم بالتخويف والانذار فان قلت

واحسن عاقبة وقيل احسن

بم تعلق قوله في أنفسهم قلت بقوله بليغاً أي قل لهم قولاً في أنفسهم مؤثراً في قلوبهم يغتمون به اغتماماً ويستشعرون منه الخوف
استشعاراً وهو التوعد بالقتل والاستيصال إن نجم منهم النفاق واطلع قرنه واخبرهم أن ما في نفوسهم من الدغل والنفاق
معلوم عند الله وانه لا فرق بينكم وبين المشركين وما هذه المكافة إلا لاظهاركم الايمان واسراركم الكفر واضماره فان فعلتم
ما تكشفون به غطاءكم لم يبق إلا السيف او يتعلق بقوله قل لهم في معنى انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولاً بليغاً
وان الله يعلم ما في قلوبهم لا يخفى عليه فلا يغني عنكم ابطانه فاصلحوا انفسكم وطهروا قلوبكم وداووها من مرض النفاق وإلا
انزل الله بكم ما انزل الله بالمجاهرين بالشرك من انتقامه وشراً من ذلك واغلظ او قل لهم في انفسهم خالياً بهم ليس معهم غيرهم
مساراً لهم بالنصيحة لانها في السر انجع وفي الامحاض ادخل قولاً بليغاً يبلغ منهم ويؤثر فيهم وما ارسلنا من رسول وما ارسلنا
رسولاً قط إلا ليطاع باذن الله بسبب اذن الله في طاعته وبانه امر المبعوث اليهم بان يطيعوه ويتبعوه لانه مؤد عن الله فطاعته
طاعة الله ومعصيته معصية الله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ويجوز ان يراد بتيسير الله وتوفيقه في طاعته ولو انهم اذ ظلموا
انفسهم بالتحاكم إلى الطاغوت جاؤك تائبين من النفاق متنصلين عما ارتكبوا فاستغفروا الله من ذلك بالاخلاص وبالغوا في الاعتذار
اليك من ايذائك برد قضائك حتى انتصبت لهم شفيعاً لهم إلى الله لوجدوا الله تواباً أي لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت
لهم وعدل عنه إلى طريقة الالتفات تفخيماً لشان رسول الله وتعظيماً لاستغفاره وتنبيهاً على ان شفاعة من اسمه الرسول من الله
بمكان عظيم **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا
تسليماً** فلا وربك لا يؤمنون معناه فوربك كقوله عز وجل فوربك لنسألنهم اجمعين ولا مزيدة لتوكيد معنى القسم كما زيدت
في لئلا يعلم لتاكيد وجوب العلم ولا يؤمنون جواب القسم فان قلت هلا زعمت انها زيدت لتظاهر لا في لا يؤمنون
قلت يأبى ذلك استواء النفي والاثبات فيه وذلك قوله فلا اقسم بما تبصرون إلى قوله رسول كريم فيما شجر
بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه حرجاً ضيقاً لا تضيق صدورهم من حكمك وقيل شكاً لان
الشاك في ضيق من امره حتى يلوح له اليقين ويسلموا وينقادوا ويذعنوا لما تاتي به من قضائك لا يعارضونه بشيء من قولك
سلم لامر الله واسلم له وحقيقته سلم نفسه له واسلمها اذا جعلها سالمة له خالصة وتسليماً تاكيد للفعل بمنزلة تكريره وكانه قيل
وينقادوا لحكمه انقياداً لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت في شان المنافق واليهودي وقيل في شان الزبير وحاطب
ابن ابي بلتعة وذلك انهما اختصما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال عليه الصلاة
والسلام اسق يا زبير ثم ارسل الماء إلى جارك فغضب حاطب وقال لان كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر واستوف حقك ثم ارسله إلى جارك كان قد اشار على الزبير برأي
فيه السعة له ولخصمه فلما احفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال
لمن كان القضاء فقال الانصاري قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله تعالى هؤلاء يشهدون
انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنباً مرة في حياة موسى فدعانا إلى التوبة منه وقال اقتلوا
انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفاً في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم مني الصدق
لو امرني محمد ان اقتل نفسي لقتلتها وروي انه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر رضي الله عنه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم والذي نفسي بيده ان من امتي رجالاً الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك فنزلت الآية في شان حاطب ونزلت في شان هؤلاء
ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان

خيراً

خيرا واشد تثبيتا واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما ومن يطع الله والرسول فاولئك مع
الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى
بالله عليما ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم اي لو اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل من قتلهم انفسهم او خروجهم
من ديارهم حين استتيبوا من عبادة العجل ما فعلوه الا ناس منهم الا قليل وهذا توبيخ عظيم والرفع على البدل من الواو في
فعلوه وقرئ الا قليلا بالنصب على اصل الاستثناء او على الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من اتباع رسول الله وطاعته
والانقياد لما يراه ويحكم به لانه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى لكان خيرا لهم في عاجلهم وآجلهم واشد
تثبيتا لايمانهم وابعد من الاضطراب فيه واذا جواب لسؤال مقدر كانه قيل وماذا يكون لهم ايضا بعد التثبيت فقيل
واذا لو ثبتوا لآتيناهم لان اذا جواب وجزاء من لدنا اجرا عظيما لقوله ويؤت من لدنه ا[illegible] عظيما في ان المراد
العطاء المتفضل به من عنده وتسميته اجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا بثباته ولهديناهم ولطفنا بهم ووفقناهم
لازدياد الخيرات والصديقون افاضل صحابة الانبياء الذين تقدموا في تصديقهم كابي بكر الصديق رضي الله عنه وصدقوا
في اقوالهم وافعالهم وهذا ترغيب للمؤمنين في الطاعة حيث وعدوا مرافقة اقرب عباد الله الى الله وارفعهم درجات
عنده وحسن اولئك رفيقا فيه معنى التعجب كانه قيل وما احسن اولئك رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن
بسكون السين يقول المتعجب حسن الوجه وجهك وحسن الوجه وجهك بالفتح والضم مع التسكين والرفيق كالصديق
والخليط في استواء الواحد والجمع فيه ويجوز ان يكون مفردا بين به الجنس في باب التمييز وروي ان ثوبان مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ورضي عنه كان شديد الحب لرسول الله قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف
الحزن في وجهه فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت
اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك فذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع
النبيين وان دخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت فقال النبي صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى اكون عنده احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين وحكي ذلك عن جماعة
من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين ذلك مبتدأ والفضل صفته ومن الله الخبر ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ والفضل
من الله خبره والمعنى ان ما اعطي المطيعون من الاجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الله لانه تفضل به عليهم تبعا لثوابهم
وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه او اراد ان فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله لانهم اكتسبوا بتمكينه وتوفيقه وكفى بالله
عليما بعباده فهو يوفقهم على حسب احوالهم يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات او انفروا جميعا وان
منكم لمن ليبطئن فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا خذوا حذركم الحذر والحذر بمعنى كالاثر
والاثر يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كانه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا
واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم فانفروا اذا نفرتم الى العدو اما ثبات جماعات متفرقة سرية بعد سرية واما جميعا
اي مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بانفسكم الى التهلكة وقرئ فانفروا بضم الفاء اللام في لمن للابتداء بمنزلتها في
قوله ان الله لغفور رحيم وفي ليبطئن جواب قسم محذوف تقديره وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن والقسم والجواب صلة من والضمير
الراجع منها اليه ما استكن في ليبطئن والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمبطئون منهم المنافقون لانهم كانوا يغزون
معهم نفاقا ومعنى ليبطئن ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وبطأ بمعنى ابطأ كعتم بمعنى اعتم اذا ابطأ وقرئ ليبطئن
بالتخفيف يقال بطأ على فلان وابطأ علي وبطؤ نحو ثقل ويقال ما ابطأ بك فيعدى بالباء ويجوز ان يكون منقولا من بطؤ

نحو قتل من قتل فيراه ليبطئن غيره وليثبطه عن الغزو وكان هذا ديدن المنافق عبد الله بن ابي وهو الذي ثبط الناس يوم احد
فان اصابتكم مصيبة من قتل او هزيمة ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم يكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم
فأفوز فوزا عظيما فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب
فسوف نؤتيه اجرا عظيما وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون
ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا فضل من الله فتح
او غنيمة ليقولن وقرأ الحسن ليقولن بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من لان قوله لمن ليبطئن في معنى الجماعة وقوله كأن لم يكن بينكم
وبينه مودة اعتراض بين الفعل الذي هو ليقولن وبين مفعوله وهو يا ليتني والمعنى كأن لم تتقدم له معكم موادة لان المنافقين
كانوا يوادون المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن والظاهر انه تهكم بهم لانهم كانوا اعدى
عدو المؤمنين واشدهم حسدا لهم فكيف يوصفون بالمودة الا على وجه العكس تهكما بحالهم وقرئ فأفوز بالرفع عطفا
على كنت معهم لينتظم الكون معهم والفوز معنى التمني فيكونا متمنيين جميعا ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف بمعنى فانا افوز
في ذلك الوقت يشرون بمعنى يشترون ويبيعون قال ابن مفرغ
وشريت بردا ليتني ... من بعد برد كنت هامه
فالذين يشرون الحيوة الدنيا هم المبطئون وعظوا بان يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا الايمان بالله ورسوله ويجاهدوا
في سبيل الله حق الجهاد والذين يبيعون هم المؤمنون الذين يستحبون الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها والمعنى ان صد الذين
مرضت قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون ووعد المقاتل في سبيل الله ظافرا او مظفورا
به ايتاء الاجر العظيم على اجتهاده في اعزاز دين الله والمستضعفين فيه وجهان ان يكون مجرورا عطفا على سبيل الله اي في
خلاص المستضعفين ومنصوبا على الاختصاص يعني واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين لان سبيل الله عام في كل خير
وخلاص المستضعفين من المسلمين من ايدي الكفار من اعظم الخير واخصه والمستضعفون هم الذين اسلموا بمكة وصدهم المشركون
عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم مستذلين يلقون منهم الاذى الشديد وكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم
الخروج الى المدينة وبقي بعضهم الى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولي وناصر وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولى ونصرهم
اقوى النصر ولما خرج استعمل على اهل مكة عتاب بن اسيد فرأوا منه الولاية والنصرة كما ارادوا قال ابن عباس رضي الله عنه
كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا اعز بها من الظلمة فان قلت لم ذكر الولدان قلت تسجيلا بافراط ظلمهم
حيث بلغ اذاهم الولدان غير المكلفين ارغاما لآبائهم ومبغضة لهم لمكانهم ولان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم
في دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس صلوات الله عليه وكما وردت السنة باخراجهم
في الاستسقاء وعن ابن عباس رضي الله عنه كنت انا وامي من المستضعفين من النساء والولدان ويجوز ان يراد بالرجال والنساء
الاحرار والحرائر وبالولدان العبيد والاماء لان العبد والامة يقال لهما الوليد والوليدة وقيل للولدان والولائد الولدان
لتغليب الذكور على الاناث كما يقال الآباء والاخوة فان قلت لم ذكر الظالم وموصوفه مؤنث قلت هو وصف للقرية
الا انه مسند الى اهلها فاعطي اعراب القرية التي ظلم اهلها لانه صفتها وذكر لاسناده الى الاهل كما تقول من هذه القرية التي ظلم
اهلها ولو انث فقيل الظالمة اهلها لجاز لا لتأنيث الموصوف ولكن لان الاهل يذكر ويؤنث فان قلت هل يجوز
من هذه القرية الظالمين اهلها قلت نعم كما تقول التي ظلموا اهلها على لغة من يقول اكلوني البراغيث ومنه واسروا
النجوى الذين ظلموا الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان

ان

إن كيد الشيطان كان ضعيفا ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق
منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع
الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا رغب الله المؤمنين ترغيبا وشجعهم تشجيعا باخبارهم أنهم إنما يقاتلون في
سبيل الله فهو وليهم وناصرهم وأعداؤهم يقاتلون في سبيل الشيطان فلا ولي لهم إلا الشيطان وكيد الشيطان للمؤمنين إلى جنب
كيد الله للكافرين أضعف شيء وأوهنه كفوا أيديكم أي كفوها عن القتال وذلك أن المسلمين كانوا مكفوفين عن مقاتلة
الكفار ما داموا بمكة وكانوا يتمنون أن يؤذن لهم فيه فلما كتب عليهم القتال بالمدينة كع فريق منهم لا شكا في الدين
ولا رغبة عنه ولكن نفورا عن الإخطار بالأرواح وخوفا من الموت كخشية الله من إضافة المصدر إلى المفعول فإن قلت
ما محل كخشية الله من الإعراب قلت محلها النصب على الحال من الضمير في يخشون أي يخشون الناس مثل أهل خشية الله
أي مشبهين لأهل خشية الله أو أشد خشية بمعنى أو أشد خشية من أهل خشية الله وأشد معطوف على الحال فإن قلت
لم عدلت عن الظاهر وهو كونه صفة للمصدر ولم تقدره يخشون خشية مثل خشية الله بمعنى مثل ما يخشى الله قلت أبى ذلك
قوله أو أشد خشية لأنه وما عطف عليه في حكم واحد ولو قلت يخشون الناس أشد خشية لم يكن إلا حالا عن ضمير الفريق ولم
ينتصب انتصاب المصدر لأنك لا تقول خشي فلان أشد خشية فتنصب خشية وأنت تريد المصدر وإنما تقول أشد
خشية فتجرها وإذا نصبتها لم يكن أشد خشية إلا عبارة عن الفاعل حالا منه اللهم إلا أن تجعل الخشية خاشية وذات
خشية على قولهم جد جده فتزعم أن معناه يخشون الناس خشية مثل خشية الله أو أشد خشية من خشية الله ويجوز على هذا
أن يكون محل أشد مجرورا عطفا على خشية الله تريد كخشية الله أو أشد خشية منها لولا أخرتنا إلى أجل قريب استزادة
في مدة الكف واستمهال إلى وقت آخر كقوله لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون
أدنى شيء من أجوركم على مشاق القتال فلا ترغبوا عنه وقرئ ولا يظلمون بالياء أينما تكونوا يدرككم الموت ولو
كنتم في بروج مشيدة وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من
عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك
وقرئ يدرككم على مشاق القتال بالرفع وقيل هو على حذف الفاء كأنه قيل فيدرككم الموت وشبه بقول القائل
من يفعل الحسنات الله يشكرها ويجوز أن يقال حمل على ما يقع موقع أينما تكونوا وهو أينما كنتم كما
حمل ولا ناعب على ما يقع موقع ليسوا مصلحين وهو ليسوا بمصلحين فرفع كما رفع زهير يقول
لا غائب مالي ولا حرم وهو قول نحوي سيبويه ويجوز أن يتصل بقوله ولا تظلمون فتيلا أي ولا تنقصون
شيئا مما كتب من آجالكم أينما تكونوا في ملاحم حروب أو غيرها ثم ابتدأ قوله يدرككم الموت ولو كنتم في بروج
مشيدة والوقف على هذا الوجه على أينما تكونوا والبروج الحصون مشيدة مرفوعة وقرئ مشيدة من شاد القصر
إذا رفعه أو طلاه بالشيد وهو الجص وقرأ نعيم بن ميسرة مشيدة بكسر الياء وصفا لها بفعل فاعلها مجازا كما قالوا
قصيدة شاعرة وإنما الشاعر فارضها السيئة تقع على البلية والمعصية والحسنة على النعمة والطاعة قال الله تعالى
وبلوناهم بالحسنات والسيئات وقال إن الحسنات يذهبن السيئات والمعنى وإن تصبهم نعمة من خصب ورخاء
نسبوها إلى الله وإن تصبهم بلية من قحط وشدة أضافوها إليك وقالوا هي من عندك وما كانت إلا بشؤمك كما حكى الله تعالى
عن قوم موسى وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن قوم صالح قالوا اطيرنا بك وبمن معك وأرسلناك للناس
رسولا وكفى بالله شهيدا من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا ويقولون طاعة

وروي عن اليهود لعنهم الله انهم تشاءمت برسول الله فقالوا منذ دخل المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها فرد الله عليهم
بقوله قل كل من عند الله يبسط الارزاق ويقبضها على حسب المصالح لا يكادون يفقهون حديثا فيعلمون ان الله هو الباسط
القابض وكل ذلك صادر عن حكمة وصواب ثم قال ما اصابك يا انسان خطابا عاما من حسنة اي من نعمة واحسان فمن الله
تفضلا منه واحسانا وامتنانا وامتحانا وما اصابك من سيئة اي من بلية ومصيبة فمن نفسك لانك السبب فيها بما اكتسبت
يداك وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وعن عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب
حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا
من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير
الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فاعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا افلا يتدبرون القرآن
ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وارسلناك للناس رسولا اي رسولا للناس جميعا لست برسول العرب
وحدهم انت رسول العرب والعجم لقوله عز وجل وما ارسلناك الا كافة للناس قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وكفى
بالله شهيدا على ذلك فما ينبغي لاحد ان يخرج عن طاعتك واتباعك من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه لا يأمر الا بما امر الله به
ولا ينهى الا عما نهى الله عنه فكانت طاعته في امتثال ما امر به والانتهاء عما نهى الله عنه وروي انه قال من احبني فقد احب الله
ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون الا تسمعون ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى ان نعبد غير الله ما
يريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت ومن تولى عن الطاعة فاعرض عنه فما ارسلناك الا
حفيظا ومهيمنا عليهم تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم كقوله وما انت عليهم بوكيل ويقولون اذا امرتهم بشيء طاعة
بالرفع اي امرنا وشأننا طاعة ويجوز النصب بمعنى اطعناك طاعة وهذا من قول المرتسم سمعا وطاعة وسمع وطاعة
ونحوه قول سيبويه وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقال له كيف اصبحت فيقول حمد الله وثناء عليه كانه قال امري وشأني
حمد الله ولو نصب حمد الله وثناء عليه كان على الفعل والرفع يدل على ثبات الطاعة واستقرارها بيت طائفة زورت
طائفة وسوت غير الذي تقول خلاف ما قلت وما امرت به او خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة لانهم ابطنوا الرد
لا القبول والعصيان لا الطاعة وانما ينافقون بما يقولون ويظهرون والتبييت اما من البيتوتة لانه قضاء الامر وتدبيره
بالليل يقال هذا امر بيت بليل واما من ابيات الشعر لان الشاعر يدبرها ويسويها والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحائف
اعمالهم ويجازيهم عليه على سبيل الوعيد او يكتبه في جملة ما يوحى اليك فيطلعك على اسرارهم فلا يحسبوا ان ابطانهم يغني
عنهم فاعرض عنهم ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم وتوكل على الله في شأنهم فان الله يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم
اذا قوي امر الاسلام وعز انصاره وقرئ بيت طائفة بالادغام وتذكير الفعل لان تأنيث الطائفة غير حقيقي ولانها
في معنى الفريق والفوج تدبر الامر تأمله والنظر في ادباره وما يؤول اليه في عاقبته ومنتهاه ثم استعمل في كل تأمل فمعنى
تدبر القرآن تأمل معانيه وتبصر ما فيه لوجدوا فيه اختلافا كثيرا لكان الكثير منه مختلفا متناقضا قد تفاوت نظمه
وبلاغته ومعانيه فكان بعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته وبعضه اخبارا بغيب قد وافق
المخبر عنه وبعضه اخبارا مخالفا للمخبر عنه وبعضه دالا على صحيح عند العلماء وبعضه دالا على معنى فاسد غير ملتئم فلما جاء
كله بلاغة معجزة فائتة لقوى البلغاء وتناصر صحة معان وصدق اخبار علم انه ليس الا من عند قادر على ما لا يقدر
عليه غيره عالم بما لا يعلمه احد سواه واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم
لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك

وحرض

وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا فإن قلت أليس نحو قوله فإذا هي ثعبان
مبين كأنها جان فوربك لنسألنهم فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان من الاختلاف قلت ليس باختلاف عند
المتدبرين هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم تكن فيهم خبرة بالأحوال ولا استبطان للأمور كانوا إذا بلغهم خبر عن
سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمن وسلامة أو خوف وخلل أذاعوا به وكانت إذاعتهم مفسدة ولو ردوا ذلك الخبر إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أولي الأمر منهم وهم كبار الصحابة البصراء بالأمور والذين كانوا يؤمرون منهم لعلمه لعلم
تدبير ما أخبروا به الذين يستنبطونه منهم الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بأمور الحرب ومكايدها
وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولي الأمر على أمن ووثوق بالظهور على بعض الأعداء أو على خوف واستشعار
فيذيعونه فينتشر فيبلغ الأعداء فتعود إذاعتهم مفسدة ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر وفوضوه إليهم وكانوا
كأن لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطونه تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون ويذرون فيه وقيل كانوا يسمعون من أفواه
المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالا على المؤمنين ولو ردوه إلى الرسول
وإلى أولي الأمر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع أو لا يذاع هؤلاء لعلمه الذين يستنبطونه منهم لعلم
صحته وهل هو مما يذاع أو لا يذاع هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول وأولي الأمر أي يتلقونه منهم
ويستخرجون علمه من جهتهم يقال أذاع السر وأذاع به قال

أذاع به في الناس حتى كأنه ... بعلياء نار أوقدت بثقوب

ويجوز أن يكون المعنى فعلوا به الإذاعة وهو أبلغ من أذاعوه وقرئ لعلْمه بإسكان اللام كقوله

يضجر كما ضجر بازل ... من الأدم دبرت صفحتاه وغاربه

والنبط الماء يخرج من البئر أول ما تحفر وإنباطه واستنباطه إخراجه واستخراجه فاستعير لما يستخرجه
الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدابير فيما يعضل ويهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته وهو إرسال الرسل
وإنزال الكتب والتوفيق لاتبعتم الشيطان لبقيتم على الكفر إلا قليلا منكم أو إلا اتباعا قليلا لما ذكر في الآي
قبلها تثبطهم عن القتال وإظهارهم الطاعة وإضمارهم خلافها قال فقاتل في سبيل الله إن أفردوك وتركوك وحدك
لا تكلف إلا نفسك غير نفسك وحدها أن تقدمها إلى الجهاد فإن الله هو ناصرك لا الجنود فإن شاء نصرك وحدك كما
ينصرك وحولك الألوف وقيل دعا الناس في بدر الصغرى إلى الخروج وكان أبو سفيان واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللقاء فيها فكره بعض الناس أن يخرجوا فنزلت فخرج وما معه إلا سبعون لم يلو على أحد ولو لم يتبعه أحد لخرج وحده وقرئ
لا تكلف بالجزم على النهي ولا نكلف بالنون وكسر اللام أي لا نكلف نحن إلا نفسك وحدها وحرض المؤمنين وما عليك
في شأنهم إلا التحريض فحسب لا التعنيف بهم عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا وهم قريش وقد كف بأسهم فقد بدا لأبي
سفيان وقال هذا عام مجدب وما كان معه زاد إلا السويق ولا يلقون إلا في عام مخصب فرجع بهم والله أشد
بأسا وأشد تنكيلا تعذيبا من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان
الله على كل شيء مقيتا وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان على كل شيء حسيبا الشفاعة الحسنة هي
التي روعي بها حق مسلم ودفع بها عنه شر أو جلب إليه خير وابتغي بها وجه الله ولم تؤخذ عليها رشوة وكانت في أمر
جائز لا في حد من حدود الله ولا في حق من الحقوق والسيئة ما كان بخلاف ذلك وعن مسروق أنه شفع شفاعة فأهدى
المشفوع له جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما في قلبك لما تكلمت في حاجتك ولا أتكلم فيما بقي منها وقيل

الشفاعة الحسنة هي الدعوة للمسلم لانها في معنى الشفاعة الى الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب
استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك مقيتا شهيدا حفيظا مقتدرا
واقات على الشي قال الزبير بن عبد المطلب • وذي ضغن كففت النفس عنه • وكنت على اساءته مقيتا •
وقال • السموأل • ألي الفضل ام علي اذا حوسبت • انى على الحساب مقيت •
واشتقاقه من القوت لانه يمسك النفس ويحفظها • الا احسن منها ان يقول وعليكم السلام • ورحمة الله اذا قال السلام
عليكم وان يزيد وبركاته اذا قال ورحمة الله • وروي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال
وعليك السلام ورحمة الله • وقال اخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال
اخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله وتلا الاية فقال انك لم تترك
لي فضلا فرددت عليك مثله • او ردوها او اجيبوها بمثلها • ورد السلام ورجعه جوابه بمثله • لان المجيب يرد قول
المسلم ويكرره وجواب التسليمة واجب والتخيير انما وقع بين الزيادة وتركها • وعن ابي يوسف رحمه الله من قال
لاخر اقرئ فلانا السلام • وجب عليه ان يفعل • وعن النخعي السلام سنة والرد فريضة • وعن ابن عباس رضي الله عنه
الرد واجب • وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس • وردت عليه
الملائكة • ولا يرد السلام في الخطبة • وقراءة القرآن جهرا ورواية الحديث • وعند مذاكرة العلم والاذان والاقامة وعن
ابي يوسف رحمه الله لا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري من عذر
في حمام او غيره • وعن الطحاوي رحمه الله ان المستحب رد السلام على الطهارة • وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه يتيمم لرد
السلام قالوا ويسلم الرجل اذا دخل على امرأته ولا يسلم على اجنبية • ويسلم الماشي على القاعد • والراكب على الماشي • وراكب
الفرس على راكب الحمار • والصغير على الكبير • والاقل على الاكثر • واذا التقيا ابتدرا • وعن ابي حنيفة رحمه الله
لا يجهر بالرد يعني الجهر الكثير • وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم • اي وعليكم ما قلتم
لانهم كانوا يقولون السام عليكم • وروي لا تبتدئ اليهودي بالسلام وان بدأك فقل وعليك • وعن الحسن يجوز ان يقول
للكافر وعليك السلام • ولا يقل ورحمة الله • فانها استغفار • وعن الشعبي انه قال لنصراني سلم عليه وعليك السلام ورحمة
الله • فقيل له فقال اليس في رحمة الله يعيش • وقد رخص بعض العلماء في ان يبدأ اهل الذمة بالسلام • اذا دعت الى
ذلك حادثة تحوج اليهم • وروي ذلك عن النخعي • وعن ابي حنيفة رحمه الله لا يبدأ لهم بسلام في كتاب
ولا غيره • وعن ابي يوسف رحمه الله لا تسلم عليهم ولا تصافحهم واذا دخلت فقل السلام على من اتبع الهدى ولا بأس بالدعاء
بما يصلحه في دنياه • على كل شيء حسيبا اي محاسبكم على شيء من التحية وغيرها الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب
فيه ومن اصدق من الله حديثا فما لكم في المنافقين فئتين والله اركسهم بما كسبوا اتريدون ان تهدوا من اضل الله
ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا
في سبيل الله فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا لا اله الا هو اما خبر
للمبتدأ او اعتراض والخبر ليجمعنكم • ومعناه الله والله ليجمعنكم الى يوم القيمة اي ليحشرنكم اليه والقيمة والقيام كالطلابة
والطلاب وهي قيامهم من القبور او قيامهم للحساب • قال الله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين • ومن اصدق من الله
حديثا لانه عز وعلا صادق لا يجوز عليه الكذب • وذلك ان الكذب مستقبح بصارف عن الاقدام عليه وهو
قبحه ووجه قبحه الذي هو كونه كذبا واخبارا عن الشيء بخلاف ما هو عليه فمن كذب لم يكذب الا لانه محتاج الى

او يكذب لجرّ منفعة او دفع مضرة او هو غني عنه الا انه يجهل غناه او هو جاهل بقبحه او هو سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب في اخباره ولا يبالي بايهما نطق وربما كان الكذب احلى على حنكه من الصدق وعن بعض السفهاء انه عوتب فقال لو غرغرت لهواتك به ما فارقتها وقيل لكذاب هل صدقت قط فقال لولا اني صادق في قولي لا لقلتها فكان الحكيم الذي لا يجوز عليه الحاجات العالم بكل معلوم منزها عنه كما هو منزه عن سائر القبائح فئتين نصب على الحال كقولك ما لك قائما وروى ان قوما من المنافقين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون وقيل كانوا قوما هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على دينك وما اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد ثم رجعوا وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا يسارا وقيل هم قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة ومعناه ما لكم اختلفتم في شان قوم نافقوا نفاقا ظاهرا وتفرقتم فيه فرقتين وما لكم لم تبتّوا القول بكفرهم والله اركسهم اي ردهم في حكم المشركين كما كانوا بما كسبوا من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين واحتيالهم على رسول الله او اركسهم في الكفر بان خذلهم حتى اركسوا فيه لما علم من مرض قلوبهم اتريدون ان تهدوا ان تجعلوا من جملة المهتدين من اضل الله من جعله من جملة الضلال وحكم عليه بذلك او خذله حتى ضل ودّوا ركستهم وركسوا فيها فتكونون عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز والمعنى ودوا كفركم فكونكم معهم شرعا واحدا فيما هم عليه من الضلال واتباع دين الآباء فلا تتولوهم وان امنوا حتى يظاهروا ايمانهم بهجرة صحيحة هي لله ورسوله لا لغرض من اغراض الدنيا مستقيمة اي بعدها بداء ولا تعرب فان تولوا عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة فحكمهم حكم المشركين يقتلون حيث وجدوا في الحل والحرم وجانبوهم مجانبة كلية وان بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق او جاءوكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا الا الذين يصلون استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم ومعنى يصلون الى قوم ينتهون اليهم ويتصلون بهم وعن ابي عبيدة هو من الانتساب وصلت الى فلان واتصلت به اذا انتميت اليه وقيل ان الانتساب لا اثر له في منع القتال فقد قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم من هو معه من هو من انسابهم والقوم هم الاسلميون كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وذلك انه وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من اوى الى هلال ولجأ اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال وقيل القوم بنو بكر بن زيد مناة كانوا في الصلح او جاءوكم لا يخلو اما ان يكون معطوفا على صفة قوم كانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم او على صلة الذين كانه قيل الا الذين يتصلون بالمعاهدين او الذين لا يقاتلونكم والوجه العطف على الصلة لقوله فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا بعد قوله فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم فقرر ان كفهم عن القتال احد سببي استحقاقهم لنفي التعرض عنهم وترك الايقاع بهم فان قلت كل واحد من الاتصالين له تاثير في صحة الاستثناء واستحقاق ازالة

التعريض لاتصاله بالمعاهدين والاتصال بالكافين لان الاتصال بهؤلاء او هؤلاء دخول في حكمهم فهلا جوزت ان يكون العطف
على صفة قوم ويكون قوله فان اعتزلوكم تقريرا لحكم اتصالهم بالكافين واختلاطهم بهم وجريهم على سننهم قلت هو جائز
ولكن الاول اظهر واجرى على اسلوب الكلام وفي قراءة ابي رضي الله عنه بينكم وبينهم ميثاق جاؤكم حصرت بغير او
وجهه ان يكون جاؤكم بيانا ليصلون او بدلا او استينافا او صفة بعد صفة لقوم حصرت صدورهم في موضع الحال
باضمار قد والدليل عليه قراءة من قرا حصرة صدورهم وحصرات صدورهم وحاصرات صدورهم وجعله المبرد
صفة لموصوف محذوف على او جاؤكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاؤكم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله
صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم عن ان يقاتلوكم او كراهة ان يقاتلوكم فان
قلت كيف [illegible] ان يسلط الله الكفرة على المؤمنين قلت ما كانت مكافتهم الا لقذف الله الرعب في قلوبهم
ولو شاء لمصلحة يراها من ابتلاء ونحوه لم يقذفه فكانوا متسلطين مقاتلين غير مكافين فذلك معنى التسليط وقرى
فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد فان اعتزلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم اي الانقياد والاستسلام وقرى
بسكون اللام مع فتح السين فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون اخرين هم قوم من اسد
وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليامنوا المؤمنين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم كلما
ردوا الى الفتنة كلما دعاهم قومهم الى قتال المسلمين اركسوا فيها قلبوا فيها اقبح قلب واشنعه وكانوا شرا فيها من كل
عدو وحيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم سلطانا مبينا حجة لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر واضرارهم
باهل الاسلام او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم في قتلهم وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير
رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله الا ان يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان
من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة
من الله وكان الله عليما حكيما ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له
عذابا عظيما وما كان لمؤمن وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله لقوله تعالى وما كان لنبي ان يغل وما كان لنا ان
نعود فيها ان يقتل مؤمنا ابتداء غير قصاص الا خطأ الا على وجه الخطأ فان قلت بم انتصب خطأ قلت
بانه مفعول له اي ما ينبغي له ان يقتله لعلة من العلل الا للخطأ وحده ويجوز ان يكون حالا بمعنى لا يقتله في حال من
الاحوال الا في حال الخطأ وان يكون صفة للمصدر اي الا قتلا خطأ والمعنى ان من شان المؤمن ان ينتفي منه وجود قتل
المؤمن ابتداء البتة الا اذا وجد منه خطأ من غير قصد بان يرمي كافرا فيصيب مسلما او يرمي شخصا على انه كافر
فاذا هو مسلم وقرى خطاء بالمد وخطا بوزن عمى بتخفيف الهمزة وروي ان عياش اخا ابي جهل لامه اسلم وهاجر ابن ابي ربيعة
خوفا من قومه الى المدينة وذلك قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقسمت امه لا تاكل ولا تشرب ولا يؤويها
سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحارث بن زيد بن ابي انيسة فاتياه وهو في اطم ففتل منه ابو جهل في الذروة
والغارب وقال اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا عن
المدينة كتفاه وجلده كل واحد منهما مائة جلدة فقال للحارث هذا اخي فمن انت يا حارث لله علي ان وجدتك خاليا
ان اقتلك وقدم ما به على امه فحلفت لا يحل كتافه او يرتد ففعل ثم هاجر بعد ذلك واسلم الحارث وهاجر
فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر باسلامه فانحى عليه فقتله فنزلت ثم اخبر باسلامه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال قتلته ولم اشعر باسلامه فتحرير رقبة فعليه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر والعتيق الكريم لان الكرم في الاحرار كما

أنْ

أن اللؤم في العبيد ومنه عتاق الخيل وعتاق الطير لكرامها وحر الوجه أكرم موضع منه وقولهم للئيم عبد وفلان عبد
الفعل أي لئيم الفعل والرقبة عبارة عن النسمة كما عبر عنها بالرأس في قولهم فلان يملك كذا رأسا من الرقيق والمراد
برقبة مؤمنة كل رقبة كانت على حكم الإسلام عند عامة العلماء وعن الحسن لا تجزي إلا رقبة قد صلت وصامت
ولا تجزي الصغيرة وقاس عليها الشافعي كفارة الظهار فاشترط الإيمان وقيل لما أخرج نفسا مؤمنة عن جملة
الأحياء لزمه أن يدخل نفسا مثلها في جملة الأحرار لأن إطلاقها من قيد الرق كإحيائها من قبل أن الرقيق
ممنوع من تصرف الأحرار ودية مسلمة إلى أهله مؤداة إلى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين
سائر التركة في كل شيء يقضى منها الدين وتنفذ الوصية وإذا لم يبق وارث فهي لبيت المال لأن المسلمين يقومون
مقام الورثة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وارث من لا وارث له وعن عمر رضي الله عنه أنه قضى بدية
المقتول فجاءت امرأة تطلب ميراثها من عقله فقال لا أعلم لك شيئا إنما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فقام
الضحاك بن سفيان الكلابي فقال كتب إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرني أن أورث امرأة أشيم الضبابي
من عقل زوجها أشيم فورثها عمر رضي الله عنه وعن ابن مسعود رضي الله عنه يرث كل وارث من الدية غير القاتل
وعن شريك لا يقضى من الدية دين ولا تنفذ وصية وعن ربيعة الغرة لأم الجنين وحدها وذلك خلاف قول الجماعة
فإن قلت على من تجب الرقبة والدية قلت على القاتل إلا أن الرقبة في ماله والدية تتحملها عنه العاقلة فإن لم تكن
له عاقلة فهي في بيت المال فإن لم يكن ففي ماله إلا أن يصدقوا إلا أن يتصدقوا عليه بالدية ومعناه العفو كقوله
إلا أن يعفون ونحوه وأن تصدقوا خير لكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وقرأ أبي رضي الله عنه
إلا أن يتصدقوا فإن قلت بم تعلق قوله أن يصدقوا وما محله قلت تعلق بعليه أو بمسلمة كأنه قيل وتجب عليه
الدية أو يسلمها إلا حين يتصدقون عليها ومحلها النصب على الظرف بتقدير حذف الزمان كقولهم اجلس ما دام
زيد جالسا ويجوز أن يكون حالا من أهله بمعنى إلا متصدقين فإن كان من قوم عدو لكم من قوم كفار أهل حرب وذلك نحو
رجل أسلم في قومه الكفار وهو بين أظهرهم لم يفارقهم فعلى قاتله الكفارة إذا قتله خطأ وليس على عاقلته لأهله شيء
لأنهم كفار محاربون وقيل كان الرجل يسلم ثم يأتي قومه وهم مشركون فيغزوهم جيش المسلمين فيقتل فيهم خطأ
لأنهم يظنونه كافرا مثلهم وإن كان من قوم كفرة لهم ذمة كالمشركين الذين عاهدوا المسلمين وأهل الذمة من
الكتابيين فحكمه حكم مسلم من المسلمين فمن لم يجد رقبة بمعنى لم يملكها ولا ما يتوصل إليها فعليه صيام شهرين
متتابعين توبة من الله قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه إذا قبل توبته يعني شرع ذلك توبة منه أو نقلكم
من الرقبة إلى الصوم توبة منه هذه الآية فيها من التهديد والإيعاد والإبراق والإرعاد أمر عظيم وخطب غليظ
ومن ثم روي عن ابن عباس رضي الله عنه ما روي أن توبة قاتل المؤمن عمدا غير مقبولة وعن سفيان كان أهل العلم
إذا سئلوا قالوا لا توبة له وذلك محمول منهم على الاقتداء بسنة الله في التغليظ والتشديد وإلا فكل ذنب ممحو بالتوبة
وناهيك بمحو الشرك دليلا وفي الحديث لزوال الدنيا أهون على الله من قتل امرئ مسلم وفيه لو أن رجلا قتل
بالمشرق وآخر رضي بالمغرب لأشرك في دمه وفيه إن هذا الإنسان بنيان الله ملعون من هدم بنيانه وفيه من
أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله والعجب من قوم يقرؤون هذه
الآية ويرون ما فيها ويسمعون هذه الأحاديث العظيمة وقول ابن عباس بمنع التوبة ثم لا تدعهم أشعبيتهم
وطماعيتهم الفارغة واتباعهم هواهم وما يخيل إليهم مناهم أن يطمعوا في العفو عن قاتل المؤمن أفلا يتدبرون القرآن

أم على قلوب أقفالها ثم ذكر سبحانه التوبة في قتل الخطأ لما عسى يقع من نوع تفريط فيما يجب من الاحتياط والتحفظ فيه حسم
للأطماع وأي حسم ● لقد أسمعت لو ناديت حيا ● ولكن لا حياة لمن تنادي ●
فإن قلت هل فيها دليل على خلود من لم يتب من أهل الكبائر قلت ما أبين الدليل فيها وهو تناول قوله
ومن يقتل أي قاتل كان من مسلم أو كافر تائب غير التائب فليأت بدليل مثله يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم
في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك
كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيرا فتبينوا وقرئ فتثبتوا وهما من التفعل بمعنى
الاستفعال أي اطلبوا بيان الأمر وثباته ولا تتهوكوا فيه من غير روية وقرئ السلم والسلام فهما الاستسلام
وقيل التسليم الذي هو تحية أهل الإسلام لست مؤمنا وقرئ مؤمنا بفتح الميم من أمنه أي لا نؤمنك وأصله أن
مرداس بن نهيك رجل من أهل فدك أسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان عليها غالب
ابن فضالة الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقته بإسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه إلى عاقول من الجبل وصعد
فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله أسامة بن زيد واستاق غنمه فأخبروا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه إرادة ما معه ثم قرأ الآية على أسامة فقال يا رسول
الله استغفر لي قال فكيف بلا إله إلا الله قال أسامة فما زال يعيدها حتى وددت أن لم أكن أسلمت إلا يومئذ
ثم استغفر لي وقال أعتق رقبة تبتغون عرض الحياة الدنيا تطلبون الغنيمة التي هي حطام سريع النفاد فهو الذي يدعوكم
إلى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الإسلام
ويتعوذ به من التعرض له لتأخذوا ماله كذلك كنتم من قبل أول ما دخلتم في الإسلام سمعت من أفواهكم كلمة الشهادة
فحصنت دماءكم وأموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطأة قلوبكم لألسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالإيمان
والتقدم فيه وأن صرتم أعلاما فيه فعليكم أن تفعلوا بالداخلين في الإسلام كما فعل بكم وأن تعتبروا ظاهر الإسلام
في المكافة ولا تقولوا إن تهليل هذا لاتقاء القتل لا لصدق النية فتجعلوه سلما إلى استباحة دمه وماله وقد حرمهما
الله وقوله فتبينوا تكرير للأمر بالتبيين ليؤكد عليهم إن الله كان بما تعملون خبيرا فلا تتهافتوا في القتل وكونوا محترزين
محتاطين في ذلك لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل
الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى غير أولي الضرر قرئ بالحركات الثلاث بالرفع
صفة للقاعدون والنصب استثناء منهم أو حال عنهم والجر صفة للمؤمنين والضرر المرض والعاهة من عمى أو عرج
أو زمانة أو نحوها وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه كنت إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيته السكينة فوقعت
فخذه على فخذي حتى خشيت أن ترضها ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت في كتف لا يستوي القاعدون
من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن أم مكتوم وكان أعمى يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة
كذلك ثم سري فقال اقرأ يا زيد فقرأت لا يستوي القاعدون من المؤمنين فقال غير أولي الضرر قال زيد أنزلها الله وحدها فألحقتها والذي
نفسي بيده لكأني أنظر إلى ملحقها عند صدع في الكتف وعن ابن عباس رضي الله عنه لا يستوي القاعدون عن بدر والخارجون
إليها وعن مقاتل إلى تبوك فإن قلت معلوم أن القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان فما فائدة نفي الاستواء قلت
معناه الإذكار بما بينهما من التفاوت العظيم والبون البعيد ليأنف القاعد ويترفع بنفسه عن انحطاط منزلته فيهتز للجهاد
ويرغب فيه وفي ارتفاع طبقته ونحوه هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون أريد به التحريك من حمية الجاهل وأنفته

ليهاب به الى التعلم ولينهض بنفسه عن صنعة الجهل الى شرف العلم فضل الله المجاهدين جملة موضحة لما نفي من استواء المجاهدين
والقاعدين غير اولي الضرر لكون الجملة كانه قيل ما لهم لا يستوون فاجيب بذلك والمعنى على القاعدين غير اولي الضرر
لكون الجملة بيانا للجملة الاولى المتضمنة لهذا الوصف وكلا وكل فريق من المجاهدين والقاعدين وعد الله الحسنى
اي المثوبة الحسنى وهي الجنة وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله
غفورا رحيما ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن
ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا وان كان المجاهدون مفضلين على القاعدين
درجة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقد خلفتم بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم وهم
الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت افئدتهم تهوي الى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر او غيره
فان قلت قد ذكر الله مفضلين درجة ومفضلين درجات فمن هم قلت اما المفضلون درجة واحدة فهم
الذين فضلوا على القاعدين الاضراء واما المفضلون درجات فالذين فضلوا على القاعدين الذين اذن لهم في التخلف
اكتفاء بغيرهم لان الغزو فرض كفاية فان قلت لم نصب درجة واجرا ودرجات قلت نصب قوله درجة
لوقوعها موقع المرة من التفضيل كانه قيل فضلهم تفضيلة ونظيره قولك ضربه سوطا بمعنى ضربه ضربة واما اجرا
فقد انتصب بفضل لانه في معنى اجرهم اجرا ودرجات ومغفرة ورحمة بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات
نصب درجة كما تقول ضربه اسواطا بمعنى ضربات كانه قيل وفضلهم تفضيلا ونصب اجرا عظيما على انه حال
عن النكرة التي هي درجات مقدمة عليها وانتصب مغفرة ورحمة باضمار فعلهما من قراءة توفتهم ومضارعا بمعنى
تتوفاهم كقراءة من قرأ توفاهم على مضارعه وتوفيتهم بمعنى ان الله يتوفى الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم
من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم قالوا قال الملائكة للمتوفين فيم كنتم في اي شيء كنتم من امر دينكم
وهم ناس من اهل مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة فان قلت كيف صح وقوع قوله كنا مستضعفين في
الارض جوابا عن قولهم فيم كنتم وكان حق الجواب ان يقولوا كنا في كذا او لم نكن في شيء قلت معنى فيم كنتم التوبيخ بانهم
لم يكونوا في شيء من الدين حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا فقالوا كنا مستضعفين اعتذارا مما وبخوا به واعتلالا
بالاستضعاف وانهم لم يتمكنوا من الهجرة حتى يكونوا في شيء فبكتتهم الملائكة بقولهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا
فيها ارادوا انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من اظهار دينكم ومن الهجرة الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم كما فعل المهاجرون الى ارض الحبشة وهذا دليل على ان الرجل اذا كان في بلد لا يتمكن فيه من اقامة امر
دينه كما يجب لبعض الاسباب والعوائق عن اقامة الدين لا تنحصر او علم انه في غير بلده اقوم بحق الله وادوم على
العبادة حقت عليه المهاجرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض
استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد اللهم ان كنت تعلم ان هجرتي اليك لم تكن الا للفرار
بديني فاجعلها سببا في خاتمة الخير ودرك المرجو من فضلك والمبتغى من رحمتك وصل جواري لك بعكوفي عند
بيتك بجوارك في دار كرامتك يا واسع المغفرة الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون
سبيلا فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا
وسعة ثم استثنى من اهل الوعيد المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة في الخروج لفقرهم وعجزهم ولا معرفة لهم بالمسالك
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بهذه الاية الى مسلمي مكة فقال جندب بن ضمرة او ضمرة بن جندب

بنيه احملوني فاني لست من المستضعفين واني لا اهتدي الطريق والله لا ابيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها
الى المدينة وكان شيخا كبيرا فمات بالتنعيم فان قلت كيف ادخل الولدان في جملة المستثنين من اهل الوعيد كانهم
كانوا يستحقون الوعيد مع الرجال والنساء لو استطاعوا حيلة واهتدوا سبيلا قلت الرجال والنساء قد تكونون مستطيعين
مهتدين وقد لا يكونون كذلك واما الولدان فلا يكونون الا عاجزين عن ذلك فلا يتوجه عليهم وعيد لان سبب
خروج النساء والرجال من جملة اهل الوعيد انما هو كونهم عاجزين فاذا كان العجز متمكنا في الولدان لا ينفكون عنه كانوا
خارجين من جملتهم ضرورة هذا اذا اريد بالولدان الاطفال ويجوز ان يراد المراهقون منهم الذين عقلوا ما يعقل
الرجال والنساء فيلحقوا بهم في التكليف وان اريد العبيد والاماء البالغون فلا سؤال فان قلت الجملة التي هي لا
يستطيعون سبيلا ما موقعها قلت هي صفة للمستضعفين او للرجال والنساء والولدان وانما جاز ذلك والجمل نكرات
لان الموصوف وان كان فيه حرف التعريف فليس لشيء بعينه كقوله • ولقد امر على اللئيم يسبني • فان قلت
لم قيل عسى الله ان يعفو عنهم بكلمة الاطماع قلت للدلالة على ان ترك الهجرة امر مضيق لا توسعة فيه حتى ان
المضطر البين الاضطرار من حقه ان يقول عسى الله ان يعفو عني فكيف بغيره مراغما مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه
قومه اي يفارقهم على رغم انوفهم والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب يقال راغمت
الرجل اذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك قال النابغة الجعدي •

• كطود يلاذ باركانه • عزيز المراغم والمذهب • وقرئ مرغما •

ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما
واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين
كانوا لكم عدوا مبينا قرئ ثم يدركه الموت بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وقيل رفع الكاف منقول
من الهاء كانه اراد ان يقف عليها ثم نقل حركة الهاء الى الكاف كقوله • والحق بالحجاز فاستريحا • كقوله من عنزي
سبني لم اضربه • وقرئ يدركه بالنصب على اضمار ان كقوله • والحق بالحجاز فاستريحا • فقد وقع اجره •
على الله فقد وجب ثوابه عليه وحقيقة الوجوب الوقوع والسقوط فقد علم الله كيف يثيبه وذلك واجب
عليه وروي في قصة جندب بن ضمرة رضي الله عنه انه لما ادركه الموت اخذ يصفق بيمينه على شماله ثم
قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات حميدا فبلغ خبره اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم فقالوا لو توفي بالمدينة لكان اتم اجرا فقال المشركون وهم يضحكون ما ادرك هذا
ما طلب فنزلت وقالوا كل هجرة لغرض ديني من طلب علم او حج او جهاد او فرار الى بلد يزداد فيه طاعة
او قناعة وزهدا في الدنيا او ابتغاء رزق طيب فهي هجرة الى الله ورسوله وان ادركه الموت في طريقه فاجره
واقع على الله • الضرب في الارض هو السفر وادنى مدة السفر الذي يجوز فيه القصر عند ابي حنيفة رحمه الله مسيرة
ثلاثة ايام ولياليهن سير الابل ومشي الاقدام على القصد ولا اعتبار بابطاء الضارب واسراعه فلو سار مسيرة
ثلاثة ايام ولياليها في يوم قصر ولو سار مسيرة يوم في ثلاثة ايام لم يقصر وعند الشافعي رضي الله عنه ادنى مدة السفر
اربعة برد مسيرة يومين • وقوله عز وجل فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ظاهره التخيير بين القصر والاتمام
وان الاتمام افضل والى التخيير ذهب الشافعي رضي الله عنه • وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اتم في السفر وعن
عائشة رضي الله عنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت مكة قلت يا رسول الله

بابي

بابي انت وامي قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال عليه الصلاة والسلام احسنت يا عايشة وما عاب علي وكان
عثمان رضي الله عنه يتم ويقصر وعند ابي حنيفة رحمه الله القصر في السفر عزيمة غير رخصة لا يجوز غيره وعن عمر
رضي الله عنه صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم وعن عايشة رضي الله عنها اول ما فرضت الصلوة
فرضت ركعتين ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر فان قلت فما تصنع بقوله فليس عليكم جناح ان تقصروا
قلت كانهم الفوا الاتمام فكان مظنة لان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا في القصر فنفي عنهم الجناح لتطيب انفسهم
بالقصر ويطمينوا اليه وقرئ تقصروا من اقصر وجاء في الحديث اقصار الخطبة بمعنى تقصيرها وقرأ الزهري
تقصروا بالتشديد والقصر ثابت بنص الكتاب في حال الخوف خاصة وهو قوله ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا
واما في حال الامن فبالسنة وفي قراءة عبد الله رضي الله عنه من الصلوة ان يفتنكم القتال والتعرض بما يكره ليس فيهما
ان خفتم ان يفتنكم على انه مفعول له بمعنى كراهة ان يفتنكم والمراد بالفتنة القتال والتعرض بما يكره واذا كنت
فيهم فاقمت لهم الصلوة تعلق بظاهره من لا يرى صلوة الخوف بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث شرط كونه فيهم
وقال من راها بعده ان الائمة نواب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل عصر قوام بما كان يقوم وكان الخطاب
له متناولا لكل امام يكون حاضر الجماعة في حال الخوف عليه ان يؤمهم كما ام رسول الله صلى الله عليه وسلم الجماعات
التي كان يحضرها والضمير في فيهم للخائفين واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا
اسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم
واسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم
ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا
فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلوة ان الصلوة ان
الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا والضمير في فيهم للخائفين فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين فلتقم احديهما
معك فصل بهم وليأخذوا اسلحتهم الضمير اما للمصلين واما لغيرهم فان كان للمصلين فقالوا ياخذون من السلاح ما لا يشغلهم
عن الصلوة كالسيف والخنجر ونحوهما وان كان لغيرهم فلا كلام فيه فاذا سجدوا فليكونوا يعني غير المصلين من ورائكم
يحرسونكم وصفة صلوة الخوف عند ابي حنيفة رحمه الله ان يصلي الامام باحدى الطائفتين ركعة ان كانت
الصلوة ركعتين والاخرى بازاء العدو ثم تقف هذه بازاء العدو وتأتي الاخرى فيصلي بها ركعة ويتم
صلوته ثم تقف بازاء العدو وتأتي اخرى يصلي بها ركعة ويتم صلوته ثم تقف بازاء العدو وتأتي الاولى
فتؤدي الركعة بغير قراءة وتتم صلوتها والسجود على ظاهره عند ابي حنيفة رضي الله عنه وعند مالك رحمه الله
بمعنى الصلوة لان الامام عنده يصلي بطائفة ركعة وتقف قائما حتى تتم صلوتها وتسلم وتذهب ثم يصلي بالثانية
ركعة وتقف قاعدا حتى تتم صلوتها ويسلم بهم ويعضده ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك وقرئ
وامتعاتكم فان قلت كيف جمع بين الاسلحة وبين الحذر في الاخذ قلت جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ
آلة يستعملها الغازي فجمع بينه وبين الاسلحة في الاخذ وجعلا ماخوذين ونحوه قوله تعالى والذين تبوؤا الدار
والايمان جعل الايمان مستقرا لهم ومتبوأ لتمكنهم فيه فلذلك جمع بينه وبين الدار في التبوء فيميلون عليكم فيشدون
عليكم شدة واحدة ورخص لهم في الاسلحة ان ثقل عليهم حملها بسبب ما يبلهم من مطر ويضعفهم من مرض وامرهم
مع ذلك باخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهجم عليهم العدو فان قلت كيف طابق الامر بالحذر قوله ان الله اعد للكا

فرين

عفا بأمتينا قلت الأمر بالحذر من العدو يوهم توقع غلبته واعتزازه فنفي عنهم ذلك الإيهام بإخبارهم أن الله
يهين عدوهم ويخذله وينصرهم عليه لتقوى قلوبهم وليعلموا أن الأمر بالحذر ليس لذلك وإنما هو تعبد من الله كما قال
ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وفإذا قضيتم الصلوة فإذا صليتم في حال الخوف والقتال فاذكروا الله فصلوها قياما مسايفين
ومقارعين وقعودا جاثين على الركب مرامين وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح وفإذا اطمأننتم حين تضع الحرب أوزارها
وأمنتم فأقيموا الصلوة فاقضوا ما صليتم في تلك الأحوال التي هي أحوال القلق والانزعاج وإن الصلوة كانت على المؤمنين
كتابا موقوتا محدودا بأوقات لا يجوز إخراجها عن أوقاتها على أي حال كنتم خوف أو أمن وهذا ظاهر على مذهب الشافعي
رضي الله عنه في إيجابه الصلوة على المحارب في حال المسايفة والمشي والاضطراب في المعركة إذا حضر وقتها فإذا اطمأن فعليه
القضاء وأما عند أبي حنيفة رحمه الله فهو معذور في تركها إلى أن يطمئن وقيل معناه فإذا قضيتم صلوة الخوف فأديموا
ذكر الله تعالى مهللين مكبرين مسبحين داعين بالنصرة والتأييد في كافة أحوالكم من قيام وقعود واضطجاع فإن ما أنتم فيه من خوف
وحرب جدير بذكر الله ودعائه واللجأ إليه فإذا اطمأننتم فإذا أقمتم فأقيموا الصلوة فأتموها ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن
تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما إنا أنزلنا إليك الكتاب
بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيما ولا تهنوا ولا تضعفوا
ولا تتوانوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال والتعرض به ثم ألزمهم الحجة بقوله وإن تكونوا تألمون أي ليس ما تكابدون
من الألم بالجرح والقتل مختصا بكم إنما هو أمر مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم ثم إنهم يصبرون ويتشجعون فما
لكم لا تصبرون مثل صبرهم مع أنكم أولى منهم بالصبر لأنكم ترجون من الله ما لا يرجون من إظهار دينكم على سائر الأديان ومن
الثواب العظيم في الآخرة وقرأ الأعرج إن تكونوا تألمون بفتح الهمزة بمعنى ولا تهنوا لأن تكونوا تألمون وقوله فإنهم يألمون
كما تألمون تعليل وقرئ فإنهم ييلمون كما تيلمون وروي أن هذا في بدر الصغرى كان بهم جراح فتواكلوا وكان الله عليما
حكيما لا يكلفكم شيئا ولا يأمركم إلا بما هو عالم به مما يصلحكم روي أن طعمة بن أبيرق أحد بني ظفر سرق درعا من جار له
اسمه قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين رجل من اليهود
والتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى منزل
اليهودي فأخذوها فقال دفعها إلي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا إلى رسول الله فسألوه أن يجادل عن صاحبهم
وقالوا إن لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل وأن يعاقب اليهودي وقيل هم
أن يقطع يده فنزلت وروي أن طعمة هرب إلى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله بما
أراك الله بما عرفك الله وأوحى به إليك وعن عمر رضي الله عنه لا يقولن أحدكم قضيت بما أراني الله فإن الله لم يجعل ذلك إلا
لنبيه ولكن ليجتهد رأيه لأن الرأي من رسول الله كان مصيبا لأن الله كان يريه إياه وهو منا الظن والتكلف ولا تكن للخائنين
خصيما ولا تكن لأجل الخائنين مخاصما للبرآء يعني لا تخاصم اليهود لأجل بني ظفر واستغفر الله مما هممت به من عقاب اليهودي
ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما يستخفون من الناس ولا يستخفون من
الله الناس وهو معهم يختانون أنفسهم يخونونها بالمعصية كقوله عز وعلا علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم جعلت
معصية العصاة خيانة منهم لأنفسهم كما جعلت ظلما لها لأن الضرر راجع إليهم فإن قلت لم قيل للخائنين يختانون
أنفسهم وكان السارق طعمة وحده قلت لوجهين أحدهما أن بني ظفر شهدوا له بالبراءة ونصروه فكانوا شركاء له في
الإثم والثاني أنه جمع ليتناول طعمة وكل من خان خيانته فلا تخاصم لخائن قط ولا تجادل عنه فإن قلت لم قيل خوانا

بلغ مقابلة

بلغ مقابلة

ايما على المبالغة فان قلت كان الله عالما من طعمة بالافراط في الخيانة وركوب المآثم ومن كانت تلك خاتمة امره لم يشك
في حاله وقيل واذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات وعن عمر رضي الله عنه انه امر بقطع يد سارق فجاءت
امه تبكي وتقول هذه اول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده في اول مرة يستخفون من
الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا ها انتم
هؤلاء جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا ومن يعمل سوءا او يظلم
نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما ومن
يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا يستخفون يستترون من الناس حياء منهم
وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله ولا يستحيون منه وهو معهم وهو عالم بهم مطلع عليهم لا يخفى عليه خاف من
سرهم وكفى بهذه الاية ناعية على الناس ما هم فيه من قلة الحياء والخشية من ربهم مع علمهم ان كانوا مؤمنين انهم
في حضرته لا سترة ولا غفلة ولا غيبة وليس الا الكشف الصريح والافتضاح اذ يبيتون يدبرون ويزورون
واصله ان يكون بالليل ما لا يرضى من القول وهو تدبير طعمة ان يرمي بالدرع في دار زيد ليسرق دونه ويحلف
ببراءته فان قلت كيف سمي التدبير قولا وانما هو معنى في النفس قلت لما حدث بذلك نفسه سمي قولا على المجاز
ويجوز ان يراد بالقول الحلف الكاذب الذي حلف به بعد ان بيته وتوركه الذنب على اليهودي ها انتم هؤلاء
ها للتنبيه في انتم واولاء وهما مبتدا وخبر وجادلتم جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا كما تقول لبعض الاسخياء انت حاتم
تجود بمالك وتؤثر على نفسك ويجوز ان يكون اولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم صلته والمعنى هبوا انكم
خاصمتم عن طعمة وقومه في الدنيا فمن يخاصم عنهم في الآخرة اذا اخذهم الله بعذابه وقرأ عبد الله رضي الله عنه اي عنه
طعمة وكيلا حافظا ومحاميا من بأس الله وانتقامه ومن يعمل سوءا قبيحا متعديا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي
او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل ومن يعمل سوءا من ذنب دون الشرك او يظلم نفسه بالشرك وهذا بعث
لطعمة على الاستغفار والتوبة لتلزمه الحجة مع العلم بما يكون منه او لقومه لما فرط منهم من نصرته والذب عنه
فانما يكسبه على نفسه اي لا يتعداه ضرره الى غيره فليبق على نفسه من كسب السوء خطيئة صغيرة او اثما او كبيرة ثم
يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا فقد احتمل بهتانا واثما لانه بكسب الاثم آثم وبرمي البريء باهت فهو جامع بين
الامرين وقرأ معاذ بن جبل رضي الله عنه ومن يكسب بكسر الكاف والسين المشددة واصله يكتسب ولولا فضل الله عليك
ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وانزل الله عليك الكتاب
والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة
او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما ولولا فضل
الله عليك ورحمته اي عصمته والطافه وما اوحي اليك من الاطلاع على سرهم لهمت طائفة منهم من بني ظفر ان يضلوك
عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل مع علمهم بان الجاني هو صاحبهم فقد روي ان ناسا منهم كانوا يعلمون كنه القصة
وما يضلون الا انفسهم لان وباله عليهم وما يضرونك من شيء لانك انما عملت بظاهر الحال وما كان يخطر ببالك ان
الحقيقة على خلاف ذلك وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور وضمائر القلوب او من امور الدين والشرائع
ويجوز ان يراد بالطائفة بنو ظفر ويرجع الضمير في منهم الى الناس وقيل الآية في المنافقين لا خير في كثير من نجواهم
من تناجي الناس الا من امر بصدقة الا نجوى من امر بصدقة على انه مجرور بدل من كثير كما تقول في الاخير

قيامهم الا قيام ويجوز ان يكون منصوبا على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير. وقيل المعروف القرض وقيل
اغاثة الملهوف وقيل هو عام في كل جميل ويجوز ان يراد بالصدقة الواجب وبالمعروف ما يتصدق به على سبيل التطوع
وعن النبي صلى الله عليه وسلم كلام ابن ادم كله عليه لا له الا ما كان من امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله. وسمع سفيان رجلا
يقول ما اشد هذا الحديث فقال الم تسمع الله يقول لا خير في كثير من نجواهم فهذا هو بعينه او شرط في استيجاب الاجر العظيم
او ما سمعته يقول والعصر ان الانسان لفي خسر فهذا هو بعينه وشرط في استيجاب الاجر العظيم ان ينوي فاعله عبادة الله
والتقرب اليه وان يبتغي به وجهه خالصا لان الاعمال بالنيات. فان قلت كيف قال الا من امر ثم قال ومن يفعل
ذلك قلت قد ذكر الامر بالخير ليدل به على فاعله لانه اذا دخل الآمر به في زمرة الخيرين كان الفاعل فيهم ادخل
ثم قال ومن يفعل ذلك فذكر الفاعل وقرن به الوعد بالاجر العظيم ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع
غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ويجوز ان يراد ومن يأمر بذلك فعبر عن الامر بالفعل كما يعبر
به عن سائر الافعال وقرئ يؤتيه بالياء ويتبع غير سبيل المؤمنين وهو السبيل الذي هم عليه من الدين الحنيفي القيم وهو
دليل على ان الاجماع حجة لا تجوز مخالفتها كما لا تجوز مخالفة الكتاب والسنة لان الله عز وجل جمع بين اتباع
غير سبيل المؤمنين وبين مشاقة الرسول في الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا كموالاة الرسول
نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال بان نخذله ونخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وقرئ ونصله بفتح
النون من صلاه وقيل هي في طعمة وارتداده وخروجه الى مكة ان الله لا يغفر ان يشرك به تكرير للتأكيد وقيل تكرر
لقصة طعمة وروي انه مات مشركا وقيل جاء شيخ من العرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني شيخ منهمك في
الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جرأة
على الله ولا مكابرة له وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما ترى حالي
عند الله فنزلت وهذا الحديث ينصر قول من فسر من يشاء بالتائب من ذنبه الا اناثا هي اللات والعزى
ومناة وعن الحسن لم يكن حي من احياء العرب الا ولهم صنم يعبدونه ويسمونه انثى بني فلان وقيل كانوا
يقولون في اصنامهم هن بنات الله وقيل المراد الملائكة بنات الله وقرئ انثا جمع انيث او اناث ووثنا واثنا
بالتخفيف والتثقيل جمع وثن كقولك اسد واسد واسد وقلبت الواو الفا نحو اجوه في وجوه وقرأت عائشة رضي الله
عنها اوثانا وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولاضلنهم ولامنينهم
ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا
مبينا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا اولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا والذين آمنوا
وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا ومن اصدق من الله قيلا
وان يدعون وان يعبدون بعبادة الاصنام الا شيطانا لانه هو الذي اغراهم على عبادتها فاطاعوه فجعلت طاعتهم له
عبادة ولعنه الله وقال لاتخذن صفتان بمعنى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع نصيبا مفروضا
مقطوعا واجبا فرضته لنفسي من قولهم فرض له في العطاء وفرض الجند رزقه قال الحسن من كل
الف تسعمائة وتسعين الى النار ولامنينهم الاماني الباطلة من طول الاعمار وبلوغ الآمال ورحمة الله للمجرمين
بغير توبة والخروج من النار بعد دخولها بالشفاعة ونحو ذلك ولابتكنهم الاذان تعليمهم بالبحائر كانوا يشقون

ان يدعون من دونه الا اناثا

اذن

أذن الناقة إذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكراً وحرّموا على أنفسهم الانتفاع بها وتغييرهم خلق الله فقء
عين الحامي وإعفاؤه عن الركوب وقيل الخصاء وهو في قول عامّة العلماء مباح في البهائم وأمّا في بني آدم فمحظور
وعند أبي حنيفة رحمه الله يكره شري الخصيان وإمساكهم واستخدامهم لأنّ الرغبة فيهم تدعو إلى خصائهم
وقيل فطرة الله التي هي دين الإسلام وقيل للحسن إنّ عكرمة يقول هو الخصاء فقال كذب عكرمة هو دين الله
وعن ابن مسعود رضي الله عنه هو الوشم وعنه لعن الله الواشرات والمتنمّصات والمستوشمات المغيّرات خلق الله
وقيل التخنّث وعد الله حقّاً مصدران الأوّل مؤكّد لنفسه والثاني مؤكّد لغيره ومن أصدق من الله قيلاً
توكيد ثالث بليغ فإن قلت ما فائدة هذه التوكيدات قلت معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة وأمانيّه
الباطلة لقرنائه بوعد الله الصادق لأوليائه ترغيباً للعباد في إيثار ما يستحقّون به تنجّز وعد الله على ما يتجرّعون
في عاقبته غصص إخلاف مواعيد الشيطان ليس بأمانيّكم ولا أمانيّ أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له
من دون الله وليّاً ولا نصيراً ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنّة ولا
يظلمون نقيراً ومن أحسن ديناً ممّن أسلم وجهه لله وهو محسن واتّبع ملّة إبراهيم حنيفاً واتّخذ الله إبراهيم
خليلاً في ليس ضمير وعد الله أي ليس ينال ما وعد الله من الثواب بأمانيّكم ولا بأمانيّ أهل الكتاب والخطاب للمسلمين
لأنّه لا يتمنّى وعد الله إلّا من آمن به وكذلك ذكر أهل الكتاب معهم لمشاركتهم لهم في الإيمان بوعد الله وعن
مسروق والسدّي هي في المسلمين وعن الحسن ليس الإيمان بالتمنّي ولكن ما وقر في القلوب وصدّقه
العمل إنّ قوماً ألهتهم أمانيّ المغفرة حتّى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظنّ بالله وكذبوا
لو أحسنوا الظنّ بالله لأحسنوا العمل وقيل إنّ المسلمين وأهل الكتاب افتخروا فقال أهل الكتاب نبيّنا
قبل نبيّكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن أولى بالله منكم وقال المسلمون نحن أولى منكم نبيّنا خاتم النبيّين وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله فنزلت ويحتمل أن يكون الخطاب للمشركين إن كان الأمر
كما يزعم هؤلاء لنكوننّ خيراً منهم وأحسن حالاً لأوتينّ مالاً وولداً إنّ لي عنده للحسنى وكان أهل الكتاب
يقولون نحن أبناء الله وأحبّاؤه لن تمسّنا النار إلّا أيّاماً معدودة ويعضده تقدّم ذكر أهل الشرك قبله
وعن مجاهد أنّ الخطاب للمشركين وقوله من يعمل سوءاً يجز به وقوله ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى
بعد ذكر تمنّي أهل الكتاب نحو من قوله بلى من كسب سيّئة وأحاطت به خطيئته وقوله والذين آمنوا وعملوا
الصالحات عقيب قوله وقالوا لن تمسّنا النار إلّا أيّاماً معدودة وإذا أبطل الله الأمانيّ وأثبت أنّ
الأمر كلّه معقود بالعمل وأنّ من أصلح عمله فهو الفائز ومن أساء عمله فهو الهالك تبيّن الأمر ووضح ووجب
قطع الأمانيّ وحسم المطامع والإقبال على العمل الصالح ولكنّه نصح لا تعيه الآذان ولا تلقى إليه الأذهان
فإن قلت ما الفرق بين من الأولى والثانية قلت الأولى للتبعيض أراد ومن يعمل بعض الصالحات
لأنّ كلّاً لا يتمكّن من كلّ الصالحات لاختلاف الأحوال وإنّما يعمل منها ما هو تكليفه وفي وسعه وكم من مكلّف
لا حجّ عليه ولا جهاد ولا زكاة وتسقط عنه الصلاة في بعض الأحوال والثانية لتبيين الإبهام في من يعمل
فإن قلت كيف خصّ الصالحون بأنّهم لا يظلمون وغيرهم مثلهم في ذلك قلت فيه وجهان أحدهما أن
يكون الراجع في ولا يظلمون لعمّال السوء وعمّال الصالحات جميعاً والثاني أن يكون ذكره عند أحد الفريقين
دالّاً على ذكره عند الآخر لأنّ كلا الفريقين مجزيّون بأعمالهم لا تفاوت بينهم ولأنّ ظلم المسيء أن يزاد في
عقابه وأرحم الراحمين معلوم أنّه لا يزيد في عقاب المجرم فكان ذكره مستغنىً عنه وأمّا المحسن فله ثواب

وتوابع للثواب من فضل الله هي في حكم الثواب فجاز ان ينقص من الفضل لانه ليس بواجب وكان نفي الظلم دلالة
على انه لا يقع نقصان في الفضل اسلم وجهه لله اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له لا يعرف لها ربا ومعبودا الا
سواه وهو محسن وهو عامل للحسنات تارك للسيئات حنيفا حال من المتبع او من ابرهيم كقوله تعالى بل ملة
ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين وهو الذي تحنف اي مال عن الاديان كلها الى دين الاسلام واتخذ الله ابرهيم خليلا
مجاز عن اصطفائه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله والخليل المخال وهو الذي يخالك اي يوافقك
في خلالك او يسايرك في طريقك من الخل وهو الطريق في الرمل او يسد خللك كما تسد خلله او يداخلك خلال
منازلك وحجبك فان قلت ما موقع هذه الجملة قلت هي جملة اعتراضية لا محل لها من الاعراب كنحو ما يجيء
في الشعر من قولهم والحوادث جمة فائدتها تاكيد وجوب اتباع ملته لان من بلغ من الزلفى عند الله ان اتخذه
خليلا كان جديرا بان يتبع ملته وطريقته ولو جعلتها معطوفة على الجملة قبلها لم يكن لها معنى وقيل ان ابرهيم عليه
الصلاة والسلام بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابرهيم يطلب
الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريدها للاضياف فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملاوا منها الغرائر حياء من الناس
فلما اخبروا ابرهيم عليه الصلاة والسلام ساءه الخبر فحملته عيناه وعمدت امرأته الى غرارة فاخرجت احسن حواري
واختبزت واستنبه ابراهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم فقالت امرأته من عند خليلك المصري فقال عليه الصلاة
والسلام بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه عز وجل خليلا ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله بكل شيء محيطا
ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب
لهن ولله ما في السموات وما في الارض متصل بذكر العمال الصالحين ومعناه ان له ملك اهل السموات والارض وطاعته
واجبة عليهم وكان الله بكل شيء محيطا وكان عالما باعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها فعليهم ان يختاروا لانفسهم ما هو
اصلح لها وما يتلى في محل الرفع اي الله يفتيكم والمتلو في الكتاب في معنى اليتامى يعني قوله وان خفتم ان لا تقسطوا في
اليتامى وهو من قولك اعجبني زيد وكرمه ويجوز ان يكون وما يتلى عليكم مبتدا وفي الكتاب خبره على انها جملة
معترضة والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ تعظيما للمتلو عليهم وان العدل والنصفة في حقوق اليتامى من عظائم
الامور المرفوعة الدرجات عند الله التي تجب مراعاتها والمحافظة عليها والمخل بها ظالم متهاون بما عظمه الله ونحوه
في تعظيم القرآن وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم ويجوز ان يكون مجرورا على القسم كانه قيل قل الله يفتيكم
فيهن واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب والقسم ايضا لمعنى التعظيم وليس بسديد ان يعطف على المجرور في فيهن لاختلاله
من حيث اللفظ والمعنى فان قلت بم تعلق قوله في يتامى النساء قلت في الوجه الاول هو صلة يتلى اي يتلى
عليكم في معناهن ويجوز ان يكون في يتامى النساء بدلا من فيهن واما في الوجهين الاخيرين فبدل لا غير
قلت الاضافة في يتامى النساء ما هي قلت اضافة بمعنى من كقولك عندي سحق عمامة وقرئ في ييامى النساء فائدة
بيائين على قلب همزة ايامى ياء لا تؤتونهن ما كتب لهن وقرئ ما كتب الله لهن اي ما فرض لهن من الميراث وكان
الرجل منهم يضم اليتيمة الى نفسه ومالها فان كانت جميلة تزوجها واكل المال وان كانت دميمة عضلها عن التزوج حتى
تموت فيرثها وترغبون ان تنكحوهن وترغبون ان تنكحوهن يحتمل في ان تنكحوهن لجمالهن وعن ان تنكحوهن لدمامتهن وروي
ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان اذا جاءه ولي اليتيمة نظر فان كانت جميلة غنية قال زوجها غيرك والتمس لها من هو
خير منك وان كانت دميمة ولا مال لها قال له تزوجها فانت احق بها والمستضعفين من الولدان وان تقوموا لليتامى

بالقسط

بالقسط وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليما وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن
يصلحا بينهما صلحا والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا والمستضعفين مجرور
معطوف على يتامى النساء وكانوا في الجاهلية إنما يورثون الرجال القوام بالأمور دون الأطفال والنساء ويجوز أن يكون
خطابا للأوصياء كقوله ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب وأن تقوموا مجرور كالمستضعفين بمعنى يفتيكم في يتامى النساء وفي
المستضعفين وفي أن تقوموا ويجوز أن يكون منصوبا بمعنى ويأمركم أن تقوموا وهو خطاب للأئمة في أن ينظروا لهم
ويستوفوا لهم حقوقهم ولا يخلوا أحدا يهتضمهم خافت من بعلها توقعت منه ذلك لما لاح لها من مخايله وأماراته
والنشوز بأن يتجافى عنها بأن يمنعها نفسه ونفقته والمودة والرحمة التي بين الرجل والمرأة وأن يؤذيها بسب أو ضرب
والإعراض أن يعرض عنها بأن يقل محادثتها ومؤانستها وذلك لبعض الأسباب من طعن في سن أو دمامة أو شيء
في خلق أو خلق أو ملال أو طموح عين إلى أخرى أو غير ذلك فلا بأس بهما في أن يصلحا بينهما وقرئ أن يصالحا ويصّالحا
بمعنى يتصالحا ويصطلحا ونحو أصلح اصّبر في اصطبر صلحا في معنى مصدر كل واحد من الأفعال الثلاثة ومعنى الصلح أن
يتصالحا على أن تطيب له نفسا عن القسمة أو عن بعضها كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت أن يفارقها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفت مكان عائشة من قلبه فوهبت لها يومها وكما روي أن امرأة أراد أن يطلقها
زوجها لرغبته عنها وكان لها منه ولد فقالت لا تطلقني ودعني أقوم على ولدي وتقسم لي في كل شهرين فقال إن كان
هذا يصلح فهو أحب إلي فأقرها أو تهب له بعض المهر أو كله أو النفقة فإن لم تفعل فليس له إلا أن يمسكها بإحسان
أو يسرحها والصلح خير من الفرقة أو النشوز والإعراض وسوء العشرة أو هو خير من الخصومة في كل شيء أو الصلح
خير من الخيور كما أن الخصومة شر من الشرور وهذه الجملة اعتراض وكذلك قوله وأحضرت الأنفس الشح ومعنى
إحضار الأنفس الشح أن الشح جعل حاضرا لها لا يغيب عنها أبدا ولا تنفك عنه يعني أنها مطبوعة عليه والغرض أن
المرأة لا تكاد تسمح بقسمتها وبغير قسمتها والرجل لا تكاد نفسه تسمح بأن يقسم لها وأن يمسكها إذا رغب عنها وأحب
غيرها وإن تحسنوا بالإقامة على نسائكم وإن كرهتموهن وأحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة وتتقوا
النشوز والإعراض وما يؤدي إلى الأذى والخصومة فإن الله كان بما تعملون من الإحسان والتقوى خبيرا وهو يثيبكم
عليه وكان عمران بن حطان الخارجي من أدم بني آدم وامرأته من أجملهم فأجالت في وجهه نظرها يوما ثم تابعت
الحمد لله فقال ما لك فقالت حمدت الله على أني وإياك من أهل الجنة قال كيف قالت لأنك رزقت مثلي فشكرت ورزقت
مثلك فصبرت وقد وعد الله الجنة عباده الشاكرين والصابرين ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم
فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفورا رحيما وإن يتفرقا يغن الله كلا
من سعته وكان الله واسعا حكيما ولن تستطيعوا ومحال أن تستطيعوا العدل بين النساء والتسوية حتى لا يقع ميل
البتة ولا زيادة ولا نقصان فيما يجب لهن فرفع لذلك عنكم تمام العدل وغايته وما كلفتم منه إلا ما تستطيعون
بشرط أن تبذلوا فيه وسعكم وطاقتكم لأن تكليف ما لا يستطاع داخل في حد الظلم وما ربك بظلام للعبيد وقيل
معناه أن تعدلوا في المحبة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما أملك
فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك يعني المحبة لأن عائشة رضي الله عنها كانت أحب إليه وقيل إن العدل بينهن أمر صعب
بالغ من الصعوبة حدا يوهم أنه غير مستطاع لأنه يجب أن يسوي بينهن في القسمة والنفقة والتعهد والنظر والإقبال
والممالحة والمفاكهة والمؤانسة وغيرها مما لا يكاد الحصر يأتي من ورائه فهو كالخارج من حد الاستطاعة هذا إذا كن محبوبات

كلهن فكيف اذا مال القلب مع بعضهن فلا تميلوا كل الميل فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمتها من غير
رضى منها يعني ان اجتناب كل الميل مما هو في حد اليسر والسعة فلا تفرطوا فيه ان وقع منكم التفريط في العدل كله وفيه
ضرب من التوبيخ فتذروها كالمعلقة وهي التي ليست بذات بعل ولا مطلقة قال هل هي الا حظة او تطليق
او صلف او بين ذلك تعليق وفي قراءة ابي رضي الله عنه فتذروها كالمسجونة وفي الحديث من كانت
له امراتان يميل مع احديهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث الى
ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن بمال فقالت عائشة رضي الله عنها الى كل ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعث عمر مثل هذا قالوا لا بعث الى القرشيات بمثل هذا والى غيرهن بغيره فقالت ارفع راسك فان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يعدل بيننا في القسمة بماله ونفسه فرجع الرسول فاخبره فاتم لهن جميعا وكان لمعاذ رضي الله عنه امراتان
فاذا كان عند احديهما لم يتوضأ في بيت الاخرى فماتتا في الطاعون فدفنهما في قبر واحد وان تصلحوا ما مضى من ميلكم
وتتداركوه بالتوبة وتتقوا فيما يستقبل غفر الله لكم وان يتفرقا وقرئ وان يتفارقا بمعنى وان يفارق كل واحد منهما صاحبه يغن
الله كلا برزقه والواسع الغني المقتدر من قبلكم متعلق بوصينا او باوتوا ولله ما في السموات وما في الارض ولقد
وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض وكان
الله غنيا حميدا ولله ما في السموات والارض وكفى بالله شهيدا ان يشا يذهبكم ايها الناس ويات باخرين
وكان الله على ذلك قديرا واياكم من قبلكم متعلق بوصينا او باوتوا واياكم عطف على الذين اوتوا الكتاب اسم للجنس
يتناول الكتب السماوية ان اتقوا بان اتقوا او تكون ان المفسرة لان التوصية في معنى القول وقوله وان تكفروا
فان لله عطف على اتقوا لان المعنى امرناهم وامرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله والمعنى ان لله
الخلق كله وهو خالقهم ومالكهم والمنعم عليهم باصناف النعم كلها فحقه ان يكون مطاعا في خلقه غير معصي يتقون
عقابه ويرجون ثوابه ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من الامم السالفة ووصيناكم ان اتقوا الله يعني
انها وصية قديمة ما زال يوصي الله بها عباده لستم بها مخصوصين لانهم بالتقوى يسعدون عنده وبها ينالون النجاة
في العاقبة وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله ما في السموات والارض من الملائكة والثقلين من يوحده ويعبده ويتقيه
وكان الله مع ذلك غنيا عن خلقه وعن عبادتهم جميعا مستحقا لان يحمد لكثرة نعمه وان لم يحمده احد منهم وتكرير قوله لله ما في
السموات وما في الارض تقرير لما هو موجب تقواه ليتقوه فيطيعوه ولا يعصوه لان الخشية والتقوى اصل الخير كله ان
يشا يذهبكم يفنكم ويعدمكم كما اوجدكم وانشاكم ويات باخرين ويوجد انسا مكانكم او خلقا اخرين غير الانس وكان
الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا بليغ القدرة لا يمتنع عليه شيء اراده وهذا غضب عليهم وتخويف وبيان لاقتداره
وقيل هو خطاب لمن كان يعادي رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب اي ان يشا يمتكم ويات بناس اخرين يوالونه
ويروى انها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس
من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة وكان الله سميعا بصيرا يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين
بالقسط شهدا ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان
تعدلوا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله
والكتاب الذي انزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضلالا بعيدا ان الذين امنوا ثم
كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة

فعند

الغنيمة فعند الله ثواب الآخرة فما له يطلب احدهما دون الآخر والذي يطلب اخسهما لأن من جاهد لله خالصا لم تخطئه
الغنيمة وله من ثواب الآخرة ما الغنيمة الى جنبه كلا شيء والمعنى فعند الله ثواب الدنيا والآخرة له ان اراده حتى يتعلق
الجزاء بالشرط قوامين بالقسط مجتهدين في اقامة العدل حتى لا تجوروا شهداء لله تقيمون شهاداتكم لوجه الله كما امرتم
باقامتها ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم او آبائكم او اقاربكم فان قلت الشهادة على الوالدين والاقربين
ان يقول اشهد ان لفلان على والدي كذا او على اقاربي فما معنى الشهادة على نفسه قلت هي الاقرار على نفسه لانه في
معنى الشهادة عليها بالزام الحق لها ويجوز ان يكون المعنى وان كانت الشهادة وبالا على انفسكم او على آبائكم او على اقاربكم
وذلك ان يشهد على من يتوقع ضرره من سلطان ظالم او غيره ان يكن المشهود عليه غنيا فلا يمنع الشهادة عليه لغناه طلبا
لرضاه او فقيرا فلا يمنعها ترحما عليه فالله اولى بهما بالغني والفقير اي بالنظر لهما وارادة مصلحتهما ولولا ان الشهادة عليهما
مصلحة لهما لما شرعها لانه انظر لعباده من كل ناظر فان قلت لم ثني الضمير في اولى بهما وكان حقه ان يوحد لان قوله
ان يكن غنيا او فقيرا في معنى ان يكن احد هذين قلت قد رجع الضمير الى ما دل عليه قوله ان يكن غنيا او فقيرا لا الى المذكور
فلذلك ثني ولم يفرد وهو جنس الغني وجنس الفقير كانه قيل فالله اولى بجنسي الغني والفقير اي بالاغنياء والفقراء وفي قراءة
ابي رضي الله عنه فالله اولى بهم وهي شاهدة على ذلك وقرأ عبد الله رضي الله عنه ان يكن غني او فقير على كان التامة
ان تعدلوا يحتمل العدل والعدول كانه قيل فلا تتبعوا الهوى كراهة ان تعدلوا بين الناس او ارادة ان تعدلوا عن
الحق وان تلووا او تعرضوا وان تلووا ألسنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل او تعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها
وقرئ وان تلوا او تعرضوا وان وليتم اقامة الشهادة او اعرضتم عن اقامتها فان الله كان بما تعملون خبيرا وبمجازاتكم
عليه يا ايها الذين آمنوا خطاب للمسلمين ومعنى آمنوا اثبتوا على الايمان وداوموا عليه وازدادوه والكتاب الذي انزل
من قبل المراد به جنس ما انزل على الانبياء قبله من الكتب والدليل عليه قوله وكتبه وقرئ وكتابه على ارادة الجنس
وقرئ نزل وانزل على البناء للفاعل وقيل الخطاب لاهل الكتاب لانهم آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض
وروي انه لعبد الله بن سلام وسلمة ابن اخيه ويامين بن يامين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله
انا نؤمن بك وبكتابك وموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال عليه الصلاة والسلام بل آمنوا
بالله ورسوله محمد وكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فآمنوا كلهم وقيل هو للمنافقين كانه قيل
يا ايها الذين آمنوا نفاقا آمنوا اخلاصا فان قلت كيف قيل لاهل الكتاب والكتاب الذي انزل من قبل وكانوا مؤمنين
بالتوراة والانجيل قلت كانوا مؤمنين بهما فحسب وما كانوا مؤمنين بكل ما انزل من الكتب فامروا ان يؤمنوا
بالجنس كله ولان ايمانهم ببعض الكتب لا يصح ايمانا به لان طريق الايمان هو المعجزة ولا اختصاص لها ببعض الكتب دون
بعض فلو كان ايمانهم بما آمنوا به لاجل المعجزة لآمنوا به كله فحين آمنوا ببعضه علم انهم لم يعتبروا المعجزة فلم يكن ايمانهم
ايمانا وهذا الذي اراد عز وجل في قوله ويقولون نؤمن ببعض الى قوله حقا فان قلت لم قيل نزل على رسوله
وانزل من قبل قلت لان القرآن نزل مفرقا منجما في عشرين سنة بخلاف الكتب قبله ومعنى قوله ومن يكفر
بالله الآية ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل لان الكفر ببعضه كفر بكله الا ترى كيف قدم الامر بالايمان جميعا لم يكن الله
ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا نفي للغفران والهداية وهي اللطف على سبيل المبالغة التي يعطيها اللام والمراد بنفيهما نفي
ما يقتضيهما وهو الايمان الخالص الثابت والمعنى ان الذين تكرر منهم الارتداد وعهد منهم ازدياد الكفر والاصرار عليه
يستبعد منهم ان يحدثوا ما يستحقون به المغفرة ويستوجبون اللطف من ايمان صحيح ثابت يرضاه الله لان قلوب هؤلاء الذين

مزدادين فيه قلوب قد ضريت بالكفر ومرنت على الردة وكان الإيمان أهون شيء عندهم وأدونه حيث يبدو لهم فيه كرة بعد أخرى وليس المعنى
أنهم لو أخلصوا الإيمان بعد تكرار الردة ونصحت توبتهم لم تقبل منهم ولم يغفر لهم لأن ذلك مقبول حيث هو بذل للطاقة
واستفراغ للوسع ولكنه استبعاد له واستغراب وأنه أمر لا يكاد يكون وهكذا ترى الفاسق الذي يتوب ثم يرجع ثم يتوب
ثم يرجع لا يكاد يرجى منه الثبات والغالب أنه يموت على شر حال وأسمج صورة وقيل هم اليهود آمنوا بالتوراة
وبموسى ثم كفروا بالإنجيل وبعيسى ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم الذين **بشر المنافقين بأن لهم عذابا**
أليما الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا وقد نزل
عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره
إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا بشر المنافقين وضع بشر مكان أخبر تهكما بهم والذين
نصب على الذم أو رفع بمعنى أريد الذين أو هم الذين وكانوا يمايلون الكفرة ويوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم أمر
محمد فتولوا اليهود فإن العزة لله جميعا يريد لأوليائه الذين كتب لهم العز والغلبة على اليهود وغيرهم ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين أن إذا سمعتم هي أن المخففة من الثقيلة والمعنى أنه إذا سمعتم أي نزل عليكم أن الشأن كذا والشأن ما أفادته
الجملة بشرطها وجزائها وأن مع ما في حيزها في موضع الرفع بنزل أو في موضع النصب بنزل فيمن قرأ به والمنزل
عليهم في الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث
غيره وذلك أن المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم فيستهزءون به فنهي المسلمون عن القعود معهم ما داموا خائضين
فيه فكان أحبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين فنهوا أن يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة وكان الذين
يقاعدون الخائضين في القرآن من الأحبار هم المنافقون فقيل لهم إنكم إذا مثلهم مثل الأحبار في الكفر إن الله جامع المنافقين
والكافرين يعني القاعدين والمقعود معهم فإن قلت الضمير في قوله فلا تقعدوا معهم إلى من يرجع قلت إلى من
دل عليه يكفر بها ويستهزأ بها كأنه قيل فلا تقعدوا مع الكافرين بها والمستهزئين بها فإن قلت لم يكونوا مثلهم
بالمجالسة إليهم في وقت الخوض قلت لأنهم إذا لم ينكروا عليهم كانوا راضين والراضي بالكفر كافر فإن قلت فهلا
كان المسلمون بمكة حين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين منافقين قلت لأنهم كانوا لا ينكرون لعجزهم وهؤلاء لم
ينكروا مع قدرتهم فكان ترك الإنكار لرضاهم **الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم**
وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل
الله للكافرين على المؤمنين سبيلا الذين يتربصون إما بدل من الذين يتخذون وإما صفة للمنافقين أو نصب على الذم منهم
يتربصون بكم أي ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر أو إخفاق ألم نكن معكم مظاهرين فأسهموا لنا في الغنيمة ألم نستحوذ
عليكم ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم وأسركم فأبقينا عليكم ومنعناكم من المسلمين بأن ثبطناهم عنكم وخيلنا ما ضعفت به قلوبهم
ومرضوا في قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيبنا لنا مما أصبتم وقرئ ونمنعكم من المسلمين بالنصب بإضمار أن
قال • للحطيئة • ألم أك جاركم ويكون بيني • وبينكم المودة والإخاء •
فإن قلت لم سمى ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا قلت تعظيما لشأن المسلمين وتخسيسا للحظ يفتح له
وتخسيسا لأن كطدا مدا الكافرين لأن تنطع يفتح له الأطرف الأحظ الكافرين لأن ظفر المسلمين أمر عظيم يفتح له أبواب السماء
حتى ينزل على أوليائه وأما ظفر الكافرين فما هو إلا حظ دني ولمظة من الدنيا يصيبونها **إن المنافقين يخادعون الله**
وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا يخادعون الله يفعلون

ما يفعل

المخادع من اظهار الايمان وابطان الكفر وهو خادعهم وهو فاعل بهم ما يفعل المخادع حيث تركهم معصومي الدماء والاموال
في الدنيا واعد لهم الدرك الاسفل من النار في الاخرة ولم يخلهم في العاجل من فضيحة واحلال باس ونقمة ورعب
دائم والخادع اسم فاعل من خادعته فخدعته اذا غلبته وكنت اخدع منه وقيل يعطون على الصراط نورا كما يعطى المؤمنون
فيمضون بنورهم ثم يطفى نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم وكسالى بضم الكاف وفتحها
جمع كسلان كسكارى في سكران اي يقومون متثاقلين متقاعسين كما ترى من يفعل شيئا على كره لا يصلون الا
قليلا الا عن طيبة نفس ورغبة يراؤون الناس يقصدون بصلوتهم الرياء والسمعة ولا يذكرون الله الا قليلا لانهم
ولا يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون قط غائبين عن عيون الناس الا ما يجاهرون به وما يجاهرون به قليل ايضا لانهم
ما وجدوا منه وحة من تكلف ما ليس في قلوبهم لم يتكلفوه او ولا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل الا ذكرا قليلا
في الندرة وهكذا ترى كثيرا من المظاهرين بالاسلام لو صحبته الايام والليالي لم تسمع منه تهليلة ولا تسبيحة ولا
تحميدة ولكن حديث الدنيا يستغرق به اوقاته لا يفتر عنه ويجوز ان يراد بالقلة العدم فان قلت ما معنى المراءاة
وهي مفاعلة من الرؤية قلت فيه وجهان احدهما ان المرائي يريهم عمله فهم يرونه استحسانه والثاني ان يكون
من المفاعلة بمعنى التفعيل فيقال راءى الناس بمعنى رءاهم لقوله نعمه وناعمه وفنقه وفانقه وعيش مفانق وروى
ابو زيد رأت المرأة المرآة الرجل اذا امسكتها لترى وجهه ويدل عليه قراءة ابن ابي اسحاق يرؤونهم بهمزة مشددة مثل يرعونهم
اي يبصرونهم ويبصرونهم اعمالهم ويراؤونهم كذلك مذبذبين اما حال نحو قوله ولا يذكرون عن واو يراؤون اي يراؤونهم غير ذاكرين
مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
الكافرين اولياء من دون المؤمنين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ان المنافقين في الدرك
الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فاولئك مع
المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم وكان الله شاكرا عليما
مذبذبين او منصوب على الذم ومعنى مذبذبين ذبذبهم الشيطان والهوى بين الايمان والكفر فهم مترددون بينهما
متحيرون وحقيقة المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين اي يذاد ويدفع فلا يقر في جانب واحد كما قيل
فلان يرمى به الرحوان الا ان الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب كان المعنى كلما مال الى جانب ذب عنه وقرأ
ابن عباس رضي الله عنه مذبذبين بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم او رأيهم او بمعنى يتذبذبون كما جاء
وعن ابي جعفر مدبدبين بالدال غير المعجمة وكان المعنى اخذ بهم تارة في دبة وتارة في دبة فليسوا بماضين في دبة واحدة
والدبة الطريقة ومنها دبة قريش وذلك اشارة الى الكفر والايمان لا الى هؤلاء لا الى هؤلاء لا منسوبين الى هؤلاء فيكونوا
مؤمنين ولا الى هؤلاء ولا منسوبين الى هؤلاء فيسموا مشركين لا تتخذوا الكافرين اولياء لا تتشبهوا بالمنافقين في
اتخاذهم اليهود وغيرهم من اعداء الاسلام اولياء سلطانا حجة بينة يعني ان موالاة الكافرين بينة على النفاق وعن
صعصعة بن صوحان انه قال لابن اخ له خالص المؤمن وخالق الكافر والفاجر فان الفاجر يرضى منك بالخلق
الحسن وانه يحق عليك ان تخالص المؤمن في الدرك الاسفل الطبق الذي في قعر جهنم والنار سبع دركات سميت
بذلك لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرئ بسكون الراء والوجه التحريك لقولهم ادراك جهنم فان قلت
لم كان المنافق اشد عذابا من الكافر قلت لانه مثله في الكفر وضم الى كفره الاستهزاء بالاسلام واهله
ومداجاتهم من الدجو واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله ووثقوا به كما يثق المؤمنون

لخلص واخلصوا دينهم لله لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه فاولئك مع المؤمنين فهم اصحاب المؤمنين ورفقاؤهم في الدارين وسوف يؤت
الله المؤمنين اجرا عظيما فيشاركونهم فيه ويساهمونهم فان قلت من المنافق قلت هو في الشريعة من اظهر الايمان وابطن الكفر
واما تسميته من ارتكب ما يفسق به بالمنافق فللتغليظ كقوله من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر ومنه قوله عليه الصلاة والسلام ثلاث
من كن فيه فهو منافق وان صلى وصام وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان وقيل لحذيفة
رضي الله عنه من المنافق فقال الذي يصف الاسلام ولا يعمل به وقيل لابن عمر رضي الله عنهما ندخل على السلطان ونتكلم بكلام
فاذا خرجنا تكلمنا بخلافه فقال كنا نعده من النفاق وعن الحسن اتى على النفاق زمان وهو مقروع فيه فاصبح قد عمم وقلد
واعطي سيفا يعني الحجاج ● وما يفعل الله بعذابكم أيتشفى به من الغيظ ام يدرك به الثار ام يستجلب به نفعا او يستدفع
به ضررا كما يفعل الملوك بعذابهم وهو الغني الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك وانما هو امر اوجبته الحكمة ان يعاقب المسيء
فان قمتم بشكر نعمته وآمنتم به فقد ابعدتم عن انفسكم استحقاق العذاب وكان الله شاكرا مثيبا موفيا اجوركم وعليما بحق
شكركم وايمانكم فان قلت لم قدم الشكر على الايمان قلت لان العاقل ينظر الى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه
وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا مبهما فاذا انتهى به النظر الى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكرا مفصلا فكان الشكر متقدما
على الايمان وكانه اصل التكليف ومداره لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وكان الله سميعا عليما ان تبدوا خيرا
او تخفوه او تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا
بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون
حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا الا من ظلم الا جهر من ظلم استثني من الجهر الذي لا يحبه الله جهر المظلوم وهو ان يدعو
على الظالم ويذكره بما فيه من السوء وقيل هو ان يبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه وقيل ضاف رجل قوما
فلم يطعموه فاصبح شاكيا فعوتب على الشكاية فنزلت وقرئ الا من ظلم على البناء للفاعل للانقطاع اي ولكن الظالم راكب
ما لا يحبه الله فيجهر بالسوء ويجوز ان يكون من ظلم مرفوعا كانه لا يحب الجهر بالسوء الا الظالم على لغة من يقول ما جاءني
زيد الا عمرو ما جاءني الا عمرو ومنه لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله ثم حث على العفو وان لا يجهر احد لاحد
بسوء وان كان على وجه الانتصار بعد ما اطلق الجهر به وجعله محبوبا حثا على الاحب اليه والافضل عنده والادخل في
الكرم والتخشع والعبودية وذكر ابداء الخير واخفاءه تشبيبا للعفو ثم عطفه عليهما اعتدادا به وتنبيها على منزلته وان له
مكانا في باب الخير وسيطا والدليل على ان العفو هو الغرض المقصود بذكر ابداء الخير واخفائه قوله فان الله كان
عفوا قديرا اي يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله جعل الذين آمنوا بالله وكفروا برسله او آمنوا
بالله وببعض رسله وكفروا ببعض كافرين بالله وبرسله جميعا لما ذكرنا من العلة ومعنى اتخاذهم بين ذلك سبيلا ان يتخذوا دينا وسطا
بين الايمان والكفر كقوله ولا تجهر بصلاتك الى قوله سبيلا اي طريقا وسطا في القراءة وهو ما بين الجهر والمخافتة وقد خطئوا
فانه لا واسطة بين الكفر والايمان ولذلك قال اولئك هم الكافرون حقا اي هم الكاملون في الكفر وحقا
تاكيد لمضمون الجملة كقوله هو عبد الله حقا اي حق ذلك حقا وهو كونهم كاملين في الكفر او صفة لمصدر الكافرين اي هم الذين
كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لا شك فيه والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اولئك سوف نؤتيهم اجورهم
وكان الله غفورا رحيما فان قلت كيف جاز دخول بين على احد وهو يقتضي شيئين فصاعدا قلت ان احدا عام في المذكر
والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما تقول ما رأيت احدا فتقصد العموم الا تراك تقول الا بني فلان والا بنات فلان فالمعنى ولم يفرقوا
بين اثنين منهم او بين جماعة ومنه قوله تعالى لستن كاحد من النساء سوف نؤتيهم اجورهم معناه ان ايتاءها كائن لا محالة وان

تأخر فالغرض به توكيد الوعد وتثبيته لا كونه متأخراً يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى
أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا
عن ذلك وآتينا موسى سلطاناً مبيناً ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً وقلنا
لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير
حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً
روي أن كعب بن الأشرف وفنحاص بن عازوراء وغيرهما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن كنت نبياً صادقاً فأتنا بكتاب
من السماء جملة كما أتى به موسى فنزلت وقيل كتاباً إلى فلان وكتاباً إلى فلان بأنك رسول وقيل كتاباً نعاينه حتى ينزل
فنزلت وإنما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت قال الحسن رحمه الله ولو سألوه لكي يتبينوا الحق لأعطاهم وفيما آتاهم
كفاية فقد سألوا موسى جواب لشرط مقدر معناه إن استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى أكبر من ذلك وإنما أسند
السؤال إليهم وإن وجد من آبائهم في أيام موسى صلوات الله عليه وهم النقباء السبعون لأنهم كانوا على مذهبهم وراضين
بسؤالهم ومضاهين لهم في التعنت جهرة عياناً أرناه نره جهرة بظلمهم بسبب سؤالهم الرؤية ولو طلبوا أمراً
جائزاً لما سموا ظالمين ولما أخذتهم الصاعقة كما سأل إبراهيم عليه الصلاة والسلام أن يريه إحياء الموتى فلم يسمه
ظالماً ولا رماه بالصاعقة فتباً للمشبهة ورمياً بالصواعق وآتينا موسى سلطاناً مبيناً تسلطاً واستيلاء ظاهراً عليهم
حين أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم حتى يتاب عليهم فأطاعوه واحتبوا بأفنيتهم والسيوف تتساقط عليهم فيا لك من سلطان
مبين بميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه وقلنا لهم والطور مظل عليهم ادخلوا الباب سجداً ولا تعدوا في السبت وقد
أخذ منهم الميثاق على ذلك وقولهم سمعنا وأطعنا ومعاهدتهم على أن يتموا عليه ثم نقضوه بعد وقرئ لا تعدوا ولا
تعتدوا وبإدغام التاء في الدال فبما نقضهم فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد فإن قلت بم تعلقت الباء وما معنى التوكيد قلت
إما أن يتعلق بمحذوف كأنه قيل فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا وإما أن يتعلق بقوله حرمنا عليهم طيبات على أن قوله
فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم ميثاقهم وأما التوكيد فمعناه تحقيق أن العقاب أو تحريم الطيبات
لم يكن إلا بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الأنبياء وغير ذلك فإن قلت هلا زعمت أن المحذوف الذي
تعلقت به الباء ما دل عليه قوله بل طبع الله عليها فيكون التقدير فبما نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم بل طبع الله عليها
بكفرهم قلت لم يصح هذا التقدير لأن قوله بل طبع الله عليها بكفرهم رد وإنكار لقولهم قلوبنا غلف فكان متعلقاً
به وذلك أنهم أرادوا بقولهم قلوبنا غلف أن الله خلق قلوبنا غلفاً أي في أكنة لا يتوصل إليها شيء من الذكر والموعظة
كما حكى الله عن المشركين وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وكمذهب المجبرة فقيل لهم بل خذلها الله ومنعها الألطاف بسبب كفرهم
فصارت كالمطبوع عليها لا أن تخلق غلفاً غير قابلة للذكر ولا متمكنة من قبوله فإن قلت علام عطف قوله وبكفرهم
قلت الوجه أن يعطف على فبما نقضهم ويجعل قوله بل طبع الله عليها بكفرهم كلاماً تبع قوله وقالوا قلوبنا غلف على وجه
الاستطراد ويجوز عطفه على ما يليه من قوله بكفرهم فإن قلت ما معنى المجيء بالكفر معطوفاً على ما فيه ذكره سواء
عطف على ما قبل حرف الإضراب أو على ما بعده وهو قوله بآيات الله وقوله بكفرهم قلت قد تكرر منهم الكفر
لأنهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم فعطف بعض كفرهم على بعض أو عطف مجموع المعطوف على مجموع
المعطوف عليه كأنه قيل فبجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بآيات الله وقتل الأنبياء وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين
كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسى أو بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم وكذا وكذا والبهتان العظيم

هو التوبيخ. فإن قلت: كانوا كافرين بعيسى عليه الصلاة والسلام أعداء له عامدين لقتله يسمونه الساحر ابن الساحرة والفاعل
ابن الفاعلة، فكيف قالوا إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا
فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما
وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا فكيف قالوا إنا قتلنا المسيح عيسى ابن
مريم رسول الله؟ قلت: قالوه على وجه الاستهزاء، كقول فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون. ويجوز أن يضع الله
الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم رفعا لعيسى عليه الصلاة والسلام عما كانوا يذكرونه به وتعظيما لما أرادوا
بمثله كقوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الأرض مهادا. روي أن رهطا من اليهود سبوه وسبوا أمه
فدعا عليهم: اللهم أنت ربي وبكلمتك خلقتني، اللهم العن من سبني وسب أمي. فمسخ الله من سبهما قردة
وخنازير، فاجتمعت اليهود على قتله فأخبره الله بأنه يرفعه إلى السماء ويطهره من صحبة اليهود، فقال عليه الصلاة والسلام
لأصحابه: أيكم يرضى أن يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة؟ فقال رجل منهم: أنا، فألقى الله عليه شبهه فقتل وصلب.
وقيل كان رجل ينافق عيسى عليه الصلاة والسلام فلما أرادوا قتله قال أنا أدلكم عليه فدخل بيت عيسى صلوات الله عليه
ورفع عيسى وألقي شبهه عليه ثم اختلفوا فقال بعضهم إنه إله فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون أنه عيسى عليه الصلاة والسلام
ثم اختلفوا فقال بعضهم إنه إله لا يصح قتله، وقال بعضهم إنه قد قتل وصلب، وقال بعضهم إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا
وإن كان صاحبنا فأين عيسى، وقال بعضهم رفع إلى السماء، وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا. فإن قلت
شبه مسند إلى ماذا؟ إن جعلته مسندا إلى المسيح فالمسيح مشبه به وليس بمشبه، وإن أسندته إلى المقتول فالمقتول لم يجر له ذكر.
قلت: هو مسند إلى الجار والمجرور وهو لهم، كقولك خيل إليه، كأنه قيل ولكن وقع لهم التشبيه. ويجوز أن يسند إلى ضمير
المقتول لأن قوله إنا قتلنا يدل عليه كأنه قيل ولكن شبه لهم من قتلوه. إلا اتباع الظن استثناء منقطع، لأن اتباع الظن
ليس من جنس العلم، يعني ولكنهم يتبعون الظن. فإن قلت: قد وصفوا بالشك، والشك أن لا يترجح أحد الجائزين، ثم
وصفوا بالظن، والظن أن يترجح أحدهما، فكيف يكونون شاكين ظانين؟ قلت: أريد أنهم شاكون ما لهم من علم قط
ولكن إن لاحت لهم أمارة فظنوا فذاك. وما قتلوه يقينا: وما قتلوه قتلا يقينا، أو ما قتلوه متيقنين، كما
ادعوا ذلك في قولهم إنا قتلنا المسيح، أو تجعل يقينا تأكيدا لقوله وما قتلوه، كقولك حقا، أي حق انتفاء قتله حقا. وقيل
هو من قتلت الشيء علما ونحرته علما إذا تبالغ فيه علمك، وفيه تهكم، لأنه إذا نفي عنهم العلم نفيا كليا بحرف الاستغراق
ثم قيل وما علموه علم يقين وإحاطة لم يكن إلا تهكما بهم. ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره
وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به، ونحوه وما منا إلا له مقام معلوم، وإن منكم إلا واردها. والمعنى وما من اليهود
والنصارى أحد إلا ليؤمنن به قبل موته بعيسى وبأنه عبد الله ورسوله، يعني إذا عاين قبل أن تزهق روحه حين لا ينفعه
إيمانه لانقطاع وقت التكليف. وعن شهر بن حوشب: قال لي الحجاج آية ما قرأتها إلا تخالج في نفسي شيء منها، يعني هذه الآية،
وقال إني أوتى بالأسير من اليهود والنصارى فأضرب عنقه فلا أسمع منه ذلك. فقلت: إن اليهودي إذا حضره الموت
ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله أتاك عيسى نبيا فكذبت به، فيقول آمنت أنه عبد نبي، وتقول
للنصراني أتاك عيسى نبيا فزعمت أنه الله أو ابن الله، فيؤمن أنه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه إيمانه. قال: وكان متكئا
فاستوى جالسا فنظر إلي وقال: ممن؟ قلت: حدثني محمد بن علي ابن الحنفية، فأخذ ينكت الأرض بقضيبه ثم قال: لقد أخذتها
من عين صافية أو من معدنها. قال الكلبي: فقلت له ما أردت إلى أن تقول حدثني محمد بن علي ابن الحنفية، قال: أردت

ان

أن أغيظه يعني بزيادة اسم علي لأنه مشهور بابن الحنفية وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه فسره فقال له عكرمة فإن أتاه رجل
فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال وإن خر من فوق بيت أو احترق أو أكله سبع قال
يتكلم بها في الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به ويدل عليه قراءة أبي رضي الله عنه إلا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون
على معنى وإن منهم أحد إلا سيؤمنون به قبل موتهم لأن أحدا يصلح للجمع فإن قلت ما فائدة الإخبار بإيمانهم بعيسى قبل
موتهم قلت فائدته الوعيد وليكون علمهم بأنهم لا بد لهم من الإيمان به عن قريب عند المعاينة وأن ذلك لا ينفعهم
بعثا وتنبيها على معاجلة الإيمان في أوان الانتفاع به وليكون إلزاما للحجة لهم وكذلك قوله ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا
يشهد على اليهود بأنهم كذبوه وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله وقيل الضميران لعيسى يكونون في زمان نزوله روي
أنه ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الإسلام ويهلك
الله في زمانه المسيح الدجال وتقع الأمنة حتى ترتع الأسود مع الإبل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان
بالحيات ويلبث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويجوز أن يراد أنه لا يبقى أحد من
جميع أهل الكتاب إلا ليؤمنن به على أن الله يحييهم في قبورهم في ذلك الزمان ويعلمهم نزوله وما أنزل له ويؤمنون به
حين لا ينفعهم إيمانهم وقيل الضمير في به يرجع إلى الله تعالى وقيل إلى محمد صلى الله عليه وسلم فبظلم من الذين هادوا حرمنا
عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين
منهم عذابا أليما لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلوة
والمؤتون الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما فبظلم من الذين هادوا فبأي ظلم منهم والمعنى
ما حرمنا عليهم الطيبات إلا لظلم عظيم ارتكبوه وهو ما عدد لهم من الكفر والكبائر العظيمة والطيبات التي حرمت عليهم ما
ذكره في قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وحرمت عليهم الألبان وكلما أذنبوا ذنبا صغيرا أو كبيرا حرم عليهم
بعض الطيبات من المطاعم وغيرها وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا أو صدا كثيرا بالباطل بالرشوة التي كانوا يأخذونها
من سفلتهم في تحريف الكتاب لكن الراسخون يريد من آمن منهم كعبد الله بن سلام وأضرابه والراسخون في العلم الثابتون
فيه المتقنون المستبصرون والمؤمنون يعني المؤمنين منهم أو المؤمنون من المهاجرين والمقيمين نصب على المدح لبيان فضل
الصلوة والأنصار وارتفع الراسخون على الابتداء ويؤمنون خبره والمقيمين نصب على المدح لبيان فضل الصلاة
وهو باب واسع قد كسره سيبويه على أمثلة وشواهد ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف وربما
التفت إليه من لم ينظر في الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان وغبي عليه
أن السابقين الأولين الذين مثلهم في التورية ومثلهم في الإنجيل كانوا أبعد همة في الغيرة على الإسلام وذب المطاعن
عنه من أن يتركوا في كتاب الله ثلمة ليسدها من بعدهم وخرقا يرفوه من يلحق بهم وقيل هو عطف على بما أنزل إليك
أي يؤمنون بالكتب وبالمقيمين الصلوة وهم الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين وفي مصحف عبد الله رضي الله عنه والمقيمون
بالواو وهي قراءة مالك بن دينار والجحدري وعيسى الثقفي إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده
وأوحينا إلى إبرهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمن وآتينا داود
زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما إنا أوحينا إليك جواب لأهل الكتاب
عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بأن شأنه في الوحي إليه كشأن سائر الأنبياء
الذين سلفوا وقرئ زبورا بضم الزاي جمع زبر وهو الكتاب ورسلا نصب بمضمر في معنى أوحينا إليك وهو ونبأنا وما

انسبه ذلك أو بما فسره نصصناهم وفي قراءة أبي رضي الله عنه ورسل قد قصصناهم عليك من قبل ورسل وعن ابراهيم ويحيى بن وثاب
أنهما قرآ وكلم الله بالنصب ومن بدع التفاسير أنه من الكلم وأن معناه وجرح الله موسى باظفار المحن ومخالب الفتن رسلاً
مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة
يشهدون وكفى بالله شهيدا رسلاً مبشرين ومنذرين الأوجه أن ينتصب على المدح ويجوز انتصابه على التكرير فإن قلت
كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل وهم محجوجون بما نصبه الله من الأدلة التي النظر فيها موصل إلى المعرفة والرسل في أنفسهم
لم يتوصلوا إلى المعرفة إلا بالنظر في تلك الأدلة ولا عرف أنهم رسل الله إلا بالنظر فيها قلت الرسل منبهون عن الغفلة
وباعثون على النظر كما ترى علماء أهل العدل والتوحيد مع تبليغ ما حملوه من تفصيل أمور الدين وبيان أحوال التكليف وتعليم
الشرائع فكان ارسالهم إزاحة للعلة وتتميما لإلزام الحجة لئلا يقولوا لولا أرسلت إلينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة
وينبهنا لما وجب الانتباه له قرأ السلمي لكن الله يشهد بالتشديد فإن قلت الاستدراك لا بد له من مستدرك فما
هو في قوله لكن الله يشهد قلت لما سأل أهل الكتاب إنزال الكتاب من السماء وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله إنا
أوحينا إليك قال لكن الله يشهد بمعنى أنهم لا يشهدون لكن الله يشهد وقيل لما نزل إنا أوحينا إليك قالوا ما نشهد لك بهذا
فنزل لكن الله يشهد ومعنى شهادة الله بما أنزل إليه إثباته لصحته بإظهار المعجزات كما تثبت الدعاوى بالبينات وشهادة الملائكة
شهادتهم بأنه حق وصدق فإن قلت بم يجابون لو قالوا بم نعلم أن الملائكة يشهدون بذلك قلت يجابون بأنه
يعلم بشهادة الله لأنه لما علم بإظهار المعجزات أنه شاهد بصحته علم أن الملائكة يشهدون بصحة ما شهد بصحته لأن شهادتهم
تبع لشهادته فإن قلت ما معنى قوله أنزله بعلمه وما موقعه من الجملة التي قبله قلت معناه أنزله ملتبسا بعلمه الخاص
الذي لا يعلمه غيره وهو تأليفه على نظم وأسلوب يعجز عنه كل بليغ وصاحب بيان وموقعه مما قبله موقع الجملة المفسرة لأنه
بيان للشهادة وأن شهادته بصحته أنه أنزله بالنظم المعجز الفائت للقدر وقيل أنزله وهو عالم بأنك أهل لإنزاله إليك
وأنك مبلغه وقيل أنزله بما علم من مصالح العباد مشتملا عليه ويحتمل أنه أنزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من الشياطين برصد
من الملائكة والملائكة يشهدون بذلك كما قال في آخر سورة الجن الآية إلى قوله وأحاط بما لديهم والإحاطة بمعنى العلم وكفى
بالله شهيدا وإن لم يشهد غيره لأن التصديق بالمعجزة هو الشهادة حقا قل أي شيء أكبر شهادة إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل
الله قد ضلوا ضلالا بعيدا إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا
وكان ذلك على الله يسيرا يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وإن تكفروا فإن لله ما في الأرض السموات
وكان الله عليما حكيما يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله
وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه
أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا كفروا وظلموا جمعوا بين الكفر والمعاصي أو كان بعضهم
كافرين وبعضهم ظالمين أصحاب كبائر لأنه لا فرق بين الفريقين في أنه لا يغفر لهما إلا بالتوبة ولا ليهديهم طريقا لا يلطف بهم
فيسلكون الطريق الموصل إلى جهنم أو لا يهديهم يوم القيامة إلا طريقها يسيرا أي لا صارف له عنه فآمنوا خيرا لكم وكذلك انتهوا
خيرا لكم انتصابه بمضمر وذلك أنه لما بعثهم على الإيمان وعلى الانتهاء عن التثليث علم أنه يحملهم على أمر فقال خيرا لكم
أي اقصدوا وأتوا أمرا خيرا لكم مما أنتم فيه من الكفر والتثليث وهو الإيمان به والتوحيد لا تغلوا في دينكم غلت
اليهود في حط المسيح عن منزلته حيث جعلته مولودا لغير رشدة وغلت النصارى في رفعه عن مقداره حيث
جعلوه إلها ولا تقولوا على الله إلا الحق وهو تنزيهه عن الشريك والولد وقرأ جعفر بن محمد إنما المسيح بوزن السكيت

وقيل

وقيل لعيسى عليه السلام كلمة الله وكلمة منه لانه وجد بكلمته وامره لا غير من غير واسطة اب ولا نطفة وقيل له روح الله وروح منه لذلك لانه ذو روح وجد من غير جزء من ذي روح كالنطفة المنفصلة من الاب الحي وانما اخترع اختراعا من عند الله وقدرته خالصة ومعنى القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها ثلاثة خبر مبتدا محذوف فان صحت الحكاية عنهم انهم يقولون هو جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون باقنوم الاب الذات وباقنوم الابن العلم وباقنوم روح القدس الحياة فتقديره الله ثلاثة والا فتقديره الالهة ثلاثة والذي يدل عليه القرآن التصريح منهم بان الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة وان المسيح ولد الله من مريم الا ترى الى قوله أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقالت النصارى المسيح ابن الله والمشهور المستفيض عنهم انهم يقولون في المسيح لاهوتية وناسوتية من جهة الاب والام ويدل عليه قوله انما المسيح عيسى ابن مريم فاثبت انه ولد لمريم اتصل بها اتصال الاولاد بامهاتهم وان اتصاله بالله سبحانه من حيث انه رسوله وانه موجود بامره وابتداعه جسدا حيا من غير اب فنفى ان يتصل به اتصال الابناء وقوله سبحانه ان يكون له ولد وحكاية الله اوثق من حكاية غيره ومعنى سبحانه ان يكون له ولد اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد وقرا الحسن ان يكون له ولد بكسر الهمزة ورفع النون اي سبحانه ما يكون له ولد على ان الكلام جملتان له ما في السموات وما في الارض بيان لتنزهه مما نسب اليه يعني ان كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه على ان الجزء انما يصح في الاجسام وهو متعال عن صفات الاجسام والاعراض وكفى بالله وكيلا يكل اليه الخلق كلهم امورهم فهو الغني عنهم وهم الفقراء اليه لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا لن يستنكف المسيح لن يانف ولن يذهب بنفسه عزة من نكفت الدمع اذا نحيته عن خدك باصبعك ولا الملائكة المقربون ولا من هو اعلى منه قدرا واعظم منه خطرا وهم الملائكة الكروبيون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل واسرافيل ومن في طبقتهم صلوات الله عليهم فان قلت من اين دل قوله ولا الملائكة المقربون على ان المعنى ولا من فوقه قلت من حيث ان علم المعاني لا يقتضي غير ذلك وذلك ان الكلام انما سيق لرد مذهب النصارى وغلوهم في رفع عيسى عليه الصلاة والسلام عن منزلة العبودية الى الالوهية فوجب ان يقال لهم لن يترفع عيسى عن العبودية ولا من هو ارفع منه درجة كانه قيل لن يستنكف الملائكة المقربون من العبودية فكيف بالمسيح ويدل عليه دلالة ظاهرة بينة تخصيص المقربين لكونهم ارفع الملائكة درجة واعلاهم منزلة ومثاله قول القائل

وما مثله ممن يجاود حاتم ✽ ولا البحر ذو الامواج يلتج زاخر

لا شبهة في انه قصد بالبحر ذي الامواج ما هو فوق حاتم في الجود ومن كان له ذوق فليذق مع هذه الآية قوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى يعترف بالفرق البين وقرا علي رضي الله عنه عبيدا لله على التصغير روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول فيه قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال عليه الصلاة والسلام انه ليس بعار ان يكون عبدا لله قالوا بلى فنزلت اي لن يستنكف عيسى من ذلك فلا تستنكفوا له منه فلو كان موضع استنكاف لكان هو اولى بان يستنكف لان العار الصق به فان قلت علام عطف قوله ولا الملائكة قلت لا يخلو اما ان يعطف على المسيح او على اسم يكون او على المستتر في عبدا لما فيه من معنى الوصف لدلالته على معنى العبادة وقولك مررت برجل عبد ابوه فالعطف على المسيح هو الظاهر لاداء غيره الى ما فيه بعض انحراف عن الغرض وهو ان المسيح لا يانف ان يكون هو ولا من فوقه موصوفين بالعبودية او ان يعبد الله هو ومن فوقه فان قلت قد جعلت الملائكة وهم جماعة عبدا لله في هذا العطف فما وجهه

قلت فيه وجهان احدهما ان يراد ولا كل واحد من الملائكة او ولا الملائكة المقربون ان يكونوا عبادا لله فحذف ذلك لدلالة عبدا
لله عليه ايجازا واما اذا عطفتهم على العبد فقد طاح هذا السؤال قرئ فسيحشرهم بضم الشين وكسرها وبالنون فان قلت
التفصيل غير مطابق للمفصل لانه اشتمل على الفريقين والمفصل على طريق واحد قلت هو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم
يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه التفصيل عليه ولان ذكر احدهما يدل على ذكر الثاني كما حذف احدهما في التفصيل في
عقيب هذا فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به والثاني وهو ان الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل فكانه
قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذب بالحسرة اذا راى اجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله يا ايها
الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل
ويهديهم اليه صراطا مستقيما يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف
ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر
مثل حظ الانثيين يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شيء عليم البرهان والنور المبين القران او اراد بالبرهان دين الحق
ورسول الله وبالنور المبين ما يبينه ويصدقه من الكتاب المعجز في رحمة منه وفضل في ثواب مستحق وتفضل ويهديهم اليه
الى عبادته صراطا مستقيما وهو طريق الاسلام والمعنى توفيقهم وتثبيتهم روي انه اخر ما نزل من الاحكام كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم في طريق مكة عام حجة الوداع فاتاه جابر بن عبد الله فقال ان لي اختا فكم اخذ من ميراثها ان ماتت
وقيل كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي فنزلت ان امرؤ هلك ارتفع
بمضمر يفسره الظاهر ومحل ليس له الا النصب على الحال اي ان هلك امرؤ غير ذي ولد والمراد بالولد الابن وهو اسم مشترك يجوز
ايقاعه على الذكر وعلى الانثى لان الابن يسقط الاخت ولا تسقطها البنت الا في مذهب ابن عباس رضي الله عنه وبالاخت التي
هي لاب وام دون التي لام لان الله فرض لها النصف وجعل اخاها عصبة وقال للذكر مثل حظ الانثيين واما الاخت
للام فلها السدس في اية المواريث مسوى بينها وبين اخيها وهو يرثها واخوها يرثها ان قدر الامر على العكس
من موتها وبقائه بعدها ان لم يكن لها ولد اي ابن لان الابن يسقط الاخ دون البنت فان قلت الابن لا يسقط الاخ
وحده وان الاب نظيره في الاسقاط فلم اقتصر على نفي الولد قلت بين حكم انتفاء الولد لان الولد اقرب الى
الميت ووكل حكم انتفاء الولد الى بيان السنة وهو قوله عليه السلام الحقوا الفرائض باهلها فما بقي فلاولى عصبة
ذكر والاب اولى من الاخ وليسا باول حكمين بين احدهما بالكتاب والاخر بالسنة ويجوز ان يدل حكم انتفاء الولد
لان الولد اقرب الى الميت من الوالد فاذا ورث الاخ عند انتفاء الاقرب فاولى ان يرث عند انتفاء الابعد
ولان الكلالة تتناول انتفاء الوالد والولد فكان ذكر انتفاء احدهما دالا على انتفاء الاخر فان قلت
الى من يرجع ضمير التثنية والجمع في قوله فان كانتا اثنتين وان كانوا اخوة قلت اصله فان كان من يرث
بالاخوة اثنتين وان كان من يرث بالاخوة ذكورا واناثا وانما قيل فان كانتا اثنتين وان كانوا كما قيل من كانت
امك وكما انث ضمير من لمكان تانيث الخبر كذلك ثني وجمع ضمير من يرث في كانتا وكانوا لمكان تثنية
الخبر وجمعه والمراد بالاخوة الاخوة والاخوات تغليبا لحكم الذكورة ان تضلوا مفعول له ومعناه كراهة ان تضلوا
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النساء فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وورث ميراثا
واعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله
من الذين يتجاوز عنهم والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب بالصواب

سورة المائدة مدنية | بسم الله الرحمن الرحيم | وهي مائة وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم إن الله
يحكم ما يريد يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين
البيت الحرام يقال وفى بالعهد وأوفى به ومنه والموفون بعهدهم والعقد العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه قال
الحطيئة • قوم إذا عقدوا عقدا لجارهم • شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا •
وهي عقود الله التي عقدها على عباده وألزمها من مواجب التكليف • وقيل هي ما يعقدون بينهم من عقود الأمانات
ويتحالفون عليه ويتماسحون من المبايعات ونحوها والظاهر أنها عقود الله بالتفصيل • وهو قوله أحلت لكم عليهم
في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه • وأنه كلام قدم مجملا ثم عقب بالتفصيل وهو قوله أحلت لكم وما بعده البهيمة
كل ذات أربع في البر والبحر وإضافتها إلى الأنعام للبيان وهي الإضافة التي بمعنى من كخاتم فضة ومعناه البهيمة إلا ما يتلى
عليكم إلا محرم ما يتلى عليكم من القرآن من نحو قوله حرمت عليكم الميتة أو إلا ما يتلى عليكم آية تحريمه والأنعام الأزواج
الثمانية وقيل بهيمة الأنعام الظباء وبقر الوحش ونحوها كأنهم أرادوا ما يماثل الأنعام ويدانيها من جنس البهائم
في الاجترار وعدم الأنياب فأضيفت إلى الأنعام لملابسة الشبه وغير محلي الصيد نصب على الحال من الضمير في لكم
أي أحلت لكم هذه الأشياء لا محلين الصيد • وعن الأخفش أن انتصابه عن قوله أوفوا بالعقود وقوله وأنتم حرم حال
عن محلي الصيد كأنه قيل أحللنا لكم بعض الأنعام في حال امتناعكم من الصيد وأنتم محرمون لئلا يحرج عليكم إن الله
يحكم ما يريد من الأحكام • ويعلم أنه حكمة ومصلحة • والحرم جمع حرام • وهو المحرم شعائر الله جمع شعيرة وهي اسم ما
أشعر أي جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والأفعال التي هي علامات
الحج يعرف بها من الإحرام والطواف والسعي والحلق والنحر والشهر الحرام شهر الحج • والهدي ما أهدي إلى البيت
ويتقرب به إلى الله من النسائك وهو جمع هدية كما يقال جدي في جمع جدية السرج والقلائد جمع قلادة • وهي ما قلد
به الهدي من نعل أو عروة مزادة أو لحاء شجر أو غيره ولا آمين المسجد الحرام قاصدين وهم الحجاج والعمار وإحلال هذه الأشياء
أن يتهاون بحرمة الشعائر وأن يحال بينها وبين المتنسكين بها وأن يحدثوا في أشهر الحج ما يصدون به الناس عن الحج
وأن يتعرض للهدي بالغصب أو بالمنع من بلوغ محله وأما القلائد ففيها وجهان أحدهما أن يراد بها ذوات القلائد
من الهدي وهي البدن وتعطف على الهدي للاختصاص وزيادة التوصية بها لأنها أشرف الهدي كقوله وجبريل
وميكال كأنه قيل والقلائد منها خصوصا • والثاني أن ينهى عن التعرض لقلائد الهدي مبالغة في النهي عن التعرض للهدي
على معنى ولا تحلوا قلائدها فضلا أن تحلوها كما قال ولا يبدين زينتهن فنهى عن إبداء الزينة مبالغة في النهي عن
إبداء مواقعها ولا تحلوا قوما قاصدين المسجد الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا وإذا حللتم فاصطادوا
ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا
على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل
لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب
وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم

عليكم نعمتي

دينكم أو رضيت لكم الإسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم يبتغون فضلا من ربهم
وهو الثواب ورضوانا وأن يرضى عنهم أي لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيما لهم واستنكارا أن يتعرض لمثلهم قيل هي
محكمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم المائدة من آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها وحرموا حرامها وقال الحسن رحمه الله ليس
فيها منسوخ وعن أبي ميسرة فيها ثماني عشرة فريضة وليس فيها منسوخ وقيل هي منسوخة وعن ابن عباس رضي الله عنه كان المسلمون
والمشركون يحجون جميعا فنهى الله المسلمين أن يمنعوا أحدا عن حج البيت بقوله لا تحلوا شعائر الله ثم نزل بعد ذلك قوله إنما المشركون
نجس ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله وقال مجاهد والشعبي لا تحلوا نسخ بقوله واقتلوهم حيث وجدتموهم وفسر ابتغاء الفضل
بالتجارة وابتغاء الرضوان بأن المشركين كانوا يظنون في أنفسهم أنهم على سداد منهم وأن الحج يقربهم إلى الله فوصفهم الله بظنهم
وقراءة عبد الله رضي الله عنه ولا آمي البيت الحرام على الإضافة وقرأ حميد بن قيس والأعرج تبتغون على خطاب المؤمنين
فاصطادوا إباحة للاصطياد بعد حظره عليهم كأنه قيل فإذا حللتم فلا جناح عليكم أن تصطادوا وقرئ بكسر الفاء وقيل
هو بدل من كسر الهمزة عند الابتداء وقرئ وإذا أحللتم يقال أحل المحرم وأحل جرم يجري مجرى كسب في تعديه إلى مفعول
واحد وإلى اثنين تقول جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته إياه ويقال أجرمته ذنبا على نقل المتعدي إلى مفعول
بالهمزة إلى مفعولين كقولهم أكسبته ذنبا وعليه قراءة عبد الله ولا يجرمنكم بضم الياء وأول المفعولين على القراءتين ضمير
المخاطبين والثاني أن تعتدوا وأن صدوكم بفتح الهمزة متعلق بالشنآن بمعنى العلة والشنآن شدة البغض وقرئ بكسر
النون والمعنى ولا تكسبنكم بغض قوم لأن صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم عليه وقرئ إن صدوكم على الشرطية
وفي قراءة عبد الله رضي الله عنه إن يصدوكم ومعنى صدهم إياكم عن المسجد الحرام منع أهل مكة رسول الله والمؤمنين يوم
الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء الانتقام منهم بإلحاق مكروه بهم وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والإغضاء
ولا تعاونوا على الإثم والعدوان على الانتقام والتشفي ويجوز أن يراد العموم لكل بر وتقوى وكل إثم وعدوان
فيتناول بعمومه العفو والانتصار كان أهل الجاهلية يأكلون المحرمات البهيمة التي تموت حتف أنفها والفصيد وهو
الدم في المباعر يشوونها ويقولون لم يحرم من فزد له وما أهل لغير الله به أي رفع الصوت لغير الله به وهو قولهم
باللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التي خنقوها حتى ماتت أو انخنقت بسبب والموقوذة التي أثخنوها ضربا
بعصا أو بحجر حتى ماتت والمتردية التي تردت من جبل أو في بئر فماتت والنطيحة التي نطحتها أخرى فماتت بالنطح وما أكل السبع بعضه
إلا ما ذكيتم إلا ما أدركتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبوح وتشخب أوداجه وقرأ عبد الله رضي الله عنه
والمنطوحة وفي رواية عن أبي عمرو السبع بسكون الباء وقرأ ابن عباس رضي الله عنه وأكيل السبع وما ذبح على النصب
كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويشرحون اللحم عليها يعظمونها بذلك ويتقربون إليها تسمى الأنصاب
والنصب واحد قال الأعشى وذا النصب المنصوب لا تعبدنه لعاقبة والله ربك فاعبدا
وقيل هو جمع والواحد نصاب وقرئ النصب بسكون الصاد وأن تستقسموا بالأزلام وحرم عليكم الاستقسام
بالقداح كان أحدهم إذا أراد سفرا أو غزوا أو تجارة أو نكاحا أو أمرا من معاظم الأمور ضرب بالقداح وهي مكتوب
على بعضها أمرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي وغفل فإن خرج الآمر مضى لطيته وإن خرج الناهي أمسك وإن خرج
الغفل أجالها عودا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم له بالأزلام وقيل هو الميسر
وقسمتهم الجزور على الأنصباء المعلومة ذلكم فسق إشارة إلى الاستقسام أو إلى تناول ما حرم عليهم لأن المعنى حرم
عليكم تناول الميتة وكذا وكذا فإن قلت لم كان استقسام المسافر وغيره بالأزلام ليعرف الحال فسقا قلت
لأنه دخول في علم الغيب الذي استأثر به علام الغيوب وقال قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله واعتقاد أن

إليه

طريقا الى استنباطه وقوله امرني ربي ونهاني ربي افتراء على الله وما يدريه انه امره او نهاه والكهنة والمنجمون بهذه المثابة
وان كان اراد بالرب الصنم فقد روي انهم كانوا يجيلونها عند اصنامهم وامره ظاهر اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد
الزمان الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الازمنة الماضية والاتية كقولك كنت بالامس شابا وانت اليوم اشيب فلا
تريد بالامس اليوم الذي قبل يومك ونحوه الآن في قوله ❊ الآن لما ابيض مسربتي ❊ وعضضت من نابي على جذم ❊
وقيل اريد يوم نزولها وقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم
يئسوا منه ان يبطلوه وان ترجعوا محللين لهذه الخبائث بعد ما حرمت عليكم وقيل يئسوا من دينكم ان يغلبوه لان الله عز وجل كان
وعد بوعده من اظهاره على الدين كله فلا تخشوهم بعد اظهار الدين وزوال الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين مقهورين بعد
ما كانوا غالبين واخشون واخلصوا لي الخشية اكملت لكم دينكم كفيتكم امر عدوكم وجعلت اليد العليا لكم كما تقول الملوك
اليوم كمل لنا الملك وكمل لنا ما نريد اذا كفوا من ينازعهم الملك ووصلوا الى اغراضهم ومباغيهم او اكملت لكم ما تحتاجون
اليه في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على الشرائع وقوانين القياس واصول الاجتهاد واتممت عليكم نعمتي بفتح
مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكهم وان لم يحج معكم مشرك ولم يطف بالبيت عريان واتممت
عليكم نعمتي باكمال امر الدين والشرائع كانه قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي بذلك لانه لا نعمة اتم من نعمة
الاسلام ورضيت لكم الاسلام دينا يعني اخترته لكم من بين الاديان وآذنتكم بانه هو الدين المرضي وحده ومن يبتغ غير الاسلام
دينا ان هذه امتكم امة واحدة فان قلت بم اتصل قوله فمن اضطر قلت بذكر المحرمات وقوله ذلكم فسق اعتراض اكد
به معنى التحريم وكذلك ما بعده لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المنعوت بالرضى دون
غيره من الملل فمن اضطر الى الميتة او الى غيرها في مخمصة في مجاعة غير متجانف لاثم غير منحرف اليه غير باغ ولا عاد فان الله
غفور لا يؤاخذه بذلك يسئلونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله
فكلوا مما امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب في السؤال معنى القول فلذلك وقع بعده
ماذا احل لهم كانه قيل يقولون لك ماذا احل لهم وانما لم يقل ماذا احل لنا حكاية لما قالوه لان يسئلونك بلفظ الغيبة
كما يقول اقسم زيد ليفعلن ولو قيل لافعلن واحل لنا لكان صوابا وماذا مبتدأ واحل لهم خبره كقولك اي شيء احل لهم
ومعناه ماذا احل لهم من المطاعم كانهم حين تلي عليهم ما حرم عليهم من خبيثات المآكل سألوا عما احل لهم منها فقيل احل
لكم الطيبات اي ما ليس بخبيث منها وهو كل ما لم يأت تحريمه في كتاب او سنة او قياس مجتهد وما علمتم من الجوارح عطف
على الطيبات اي احل لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف او تجعل ما شرطية وجوابها فكلوا والجوارح الكواسب
من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والنمر والعقاب والصقر والبازي والشاهين والمكلب المؤدب للجوارح
ومضريها بالصيد لصاحبها ورائضها لذلك بما علم من الحيل وطرق التأديب والتثقيف واشتقاقه من الكلب لان التأديب
اكثر ما يكون في الكلاب فاشتق من لفظه لكثرته في جنسه او لان السبع يسمى كلبا ومنه قوله عليه الصلاة والسلام اللهم سلط
عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد او من الكلب الذي هو بمعنى الضراوة يقال هو كلب بكذا اذا كان ضاريا به وانتصاب
مكلبين على الحال من علمتم فان قلت ما فائدة هذه الحال وقد استغني عنها بعلمتم قلت فائدتها ان يكون من
يعلم الجوارح نحريرا في علمه مدربا فيه موصوفا بالتكليب وتعلمونهن حال ثانية او استئناف وفيه فائدة جليلة وهي ان على كل
آخذ علما ان لا يأخذه الا من اقتل اهله علما وانحرهم دراية واغوصهم على لطائفه وحقائقه وان احتاج الى ان يضرب
اليه اكباد الابل فكم من آخذ من غير متقن قد ضيع ايامه وعض عند لقاء النحارير انامله مما علمكم الله من علم التكليب لانه

الهام من الله ومكتسب بالعقل اذ ما عشركم من احد ان تعلمه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه
بدعائه وامساك الصيد عليه وان لا ياكل منه ومنه قرئ مكلبين بالتخفيف وافعل وفعل يشتركان كثيرا والامساك على
صاحبه ان لا ياكل منه لقوله عليه السلام لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تاكل انما امسك على نفسه وعن علي رضي الله عنه
اذا اكل البازي فلا تاكل وفرق العلماء فاشترطوا في سباع البهائم ترك الاكل لانها تؤدب بالضرب ولم يشترطوا
في سباع الطير ومنهم من لم يعتبر ترك الاكل اصلا ولم يفرق من امساك الكلب البعض وعن سلمان وسعد بن ابي
وقاص وابي هريرة رضي الله تعالى عنهم واذا اكل الكلب ثلثيه وبقي ثلثه وذكرت اسم الله عليه فكل فان قلت
الام يرجع الضمير في قوله واذكروا اسم الله عليه قلت اما ان يرجع الى ما امسكن على معنى وسموا عليه اذا ادركتم
ذكوته او الى ما علمتم من الجوارح اي سموا عليه عند ارساله اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب
حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن اجورهن
محصنين غير مسافحين ولا متخذي اخدان ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين طعام الذين
اوتوا الكتاب قيل هو ذبائحهم وقيل جميع مطاعمهم ويستوي في ذلك جميع النصارى وعن علي رضي الله عنه انه استثنى نصارى
بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر وبه اخذ الشافعي رضي الله عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا باس وهو قول عامة التابعين وبه اخذ ابو حنيفة واصحابه رحمهم الله وحكم
الصابئين حكم اهل الكتاب عند ابي حنيفة رضي الله عنه وقال صاحباه رحمهما الله هم صنفان صنف يقرؤن الزبور
ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرؤن كتابا ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من اهل الكتاب واما المجوس فقد
سن بهم سنة اهل الكتاب في اخذ الجزية منهم دون اكل ذبائحهم ونكاح نسائهم وقد روي عن ابن المسيب انه قال
اذا كان المسلم مريضا فامر المجوسي ان يذكر اسم الله ويذبح فلا باس وقال ابو ثور وان امره بذلك في الصحة فلا باس
وقد اساء وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم لانه لو كان حراما عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم اطعامهم والمحصنات الحرائر او العفائف وتخصيصهن بعث على تخير المؤمنين لنطفهم والاماء من المسلمات
يصح نكاحهن بالاتفاق وكذلك نكاح غير العفائف منهن واما الاماء الكتابيات فعن ابي حنيفة رحمه الله هن كالمسلمات
وخالفه الشافعي رضي الله عنه وكان ابن عمر رضي الله عنهما لا يرى نكاح الكتابيات ويحتج بقوله ولا تنكحوا المشركات
حتى يؤمن ويقول لا اعلم شركا اعظم من قولها ان ربها عيسى وعن عطاء قد اكثر الله المسلمات وانما رخص لهم يومئذ محصنين
اعفاء ولا متخذي اخدان صدائق والخدن يقع على الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان بشرائع الاسلام وما احل الله
وحرم يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤسكم وارجلكم الى الكعبين
اذا قمتم الى الصلوة كقوله فاذا قرات القران فاستعذ بالله وكقولك اذا ضربت غلامك فهون عليه في ان المراد ارادة
الفعل فان قلت لم جاز ان يعبر عن ارادة الفعل قلت لان الفعل يوجد بقدرة الفاعل عليه وارادته له وهي
قصده اليه وميله وخلوص داعيه فكما عبر عن القدرة على الفعل بالفعل في قولهم الانسان لا يطير والاعمى لا يبصر اي
لا يقدران على الطيران والابصار ومنه قوله تعالى نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين قادرين على الاعادة كذلك
عبر عن ارادة الفعل بالفعل لان الفعل مسبب عن القدرة والارادة فاقيم المسبب مقام السبب للملابسة بينهما ولا يجاز الكلام ونحوه
من اقامة المسبب مقام السبب قولهم كما تدين تدان عبر عن الفعل المبتداء الذي هو السبب للجزاء بلفظ الجزاء الذي
هو مسبب عنه وقيل معنى قمتم الى الصلوة قصدتموها لان من توجه الى الشيء وقام اليه كان قاصدا له لا محالة فعبر عن

الصلوة

بلغ مقابلة

بلغ مقابلة

القصد له بالقيام اليه فان قلت ظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلاة محدث وغير محدث فما وجهه قلت
يحتمل ان يكون الامر للوجوب فيكون الخطاب للمحدثين خاصة وان يكون للندب وعن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء
بعده انهم كانوا يتوضؤن لكل صلاة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات وعنه عليه الصلاة
والسلام انه كان يتوضأ لكل صلاة فلما كان يوم الفتح مسح على خفيه فصلى الصلوات الخمس بوضوء واحد فقال له عمر رضي الله
عنه صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عليه الصلاة والسلام عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز فان قلت هل يجوز ان يكون
الامر شاملا للمحدثين وغيرهم لهؤلاء على وجه الايجاب ولهؤلاء على وجه الندب قلت لا لان تناول الكلمة لمعنيين
مختلفين من باب الالغاز والتعمية وقيل كان الوضوء لكل صلاة واجبا اول ما فرض ثم نسخ الى تفيد معنى الغاية مطلقا
فاما دخولها في الحكم وخروجها فامر يدور مع الدليل فما فيه دليل على الخروج قوله فنظرة الى ميسرة لان الاعسار
علة الانظار وبوجود الميسرة تزول العلة ولو دخلت الميسرة فيه لكان منظرا في كلتي الحالتين معسرا وموسرا وكذلك ثم اتموا
الصيام الى الليل لو دخل الليل لوجب الوصال ومما فيه دليل على الدخول قولك حفظت القرآن من اوله الى آخره لان
الكلام مسوق لحفظ القرآن كله ومنه قوله تعالى من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى لوقوع العلم بانه لا يسري به الى البيت المقدس
من غير ان يدخله وقوله الى المرافق والى الكعبين لا دليل فيه على احد الامرين فاخذ كافة العلماء رحمهم الله بالاحتياط فحكموا
بدخولها في الغسل واخذ زفر وداود رحمهما الله بالمتيقن فلم يدخلاها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يدير الماء
على مرفقيه وامسحوا برؤسكم المراد الصاق المسح بالرأس وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه وقد
اخذ مالك رحمه الله بالاحتياط فاوجب الاستيعاب او اكثره على اختلاف الرواية واخذ الشافعي رضي الله عنه باليقين
فاوجب اقل ما يقع عليه اسم المسح واخذ ابو حنيفة ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما روي انه مسح على ناصيته
وقدر الناصية بربع الرأس وقرأ جماعة وارجلكم بالنصب فدل على ان الارجل مغسولة فان قلت فما تصنع بقراءة الجر ودخولها
في حكم المسح قلت الارجل من بين الاعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها فكانت مظنة للاسراف المذموم
المنهي عنه فعطفت على الرابع الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها وقيل الى الكعبين فجيء
بالغاية اماطة لظن ظان يحسبها ممسوحة لان المسح لم تضرب له غاية في الشريعة وعن علي رضي الله عنه انه اشرف
على فتية من قريش فرأى في وضوئهم تجوزا فقال ويل للاعقاب من النار فلما سمعوا جعلوا يغسلونها غسلا ويدلكونها دلكا
وعن ابن عمر رضي الله عنهما كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضأ قوم واعقابهم بيض تلوح فقال عليه الصلاة والسلام
ويل للاعقاب من النار وفي رواية جابر رضي الله عنه ويل للعراقيب وعن عمر رضي الله عنه انه رأى رجلا يتوضأ فترك باطن
قدميه فامره ان يعيد الوضوء وذلك للتغليظ عليه وعن عائشة رضي الله عنها لان تقطعا احب الي من ان امسح على القدمين
بغير خفين وعن عطاء والله ما علمت ان احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم مسح على القدمين وقد ذهب
بعض الناس الى ظاهر العطف فاوجب المسح وعن الحسن انه جمع بين الامرين وروي عن الشعبي نزل القرآن بالمسح والغسل
سنة وقرأ الحسن وارجلكم بالرفع بمعنى وارجلكم مغسولة او ممسوحة الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم
مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم
وايديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون واذكروا
نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور يا ايها
الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى

واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون فاطّهّروا اي فطهّروا ابدانكم وكذلك ليطهّركم وفي قراءة عبد الله رضي الله عنه فأمّوا
صعيدا طيبا ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج في باب الطهارة حتى يرخّص لكم في التيمم ولكن يريد ليطهّركم بالتراب
اذا أعوزكم التطهّر بالماء وليتمّ نعمته عليكم وليتمّ برخصه انعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته فيثيبكم
واذكروا نعمة الله عليكم وهي نعمة الاسلام وميثاقه الذي واثقكم به اي عاقدكم به عقدا وثيقا وهو الميثاق الذي اخذه
على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في حال اليسر والعسر والمنشط والمكره فقبلوا وقالوا
سمعنا واطعنا وقيل هو الميثاق ليلة العقبة في بيعة الرضوان لا يجرمنّكم عدّي بحرف الاستعلاء مضمّنا معنى فعل يتعدّى به
كأنه قيل ولا يحملنّكم ويجوز ان يكون قوله ان تعدلوا بمعنى ان تعدلوا فحذف مع ان ونحوه قوله عليه السلام من
أتبع على مليّ فليتبع لانه بمعنى أحيل وقرئ شنآن بالسكون ونظيره في المصادر ليّان والمعنى لا يحملنّكم بغضكم للمشركين
على ان تتركوا العدل فتعتدوا عليهم بان تنتصروا منهم وتتشفّوا مما في قلوبكم من الضغائن بارتكاب ما لا يحلّ لكم من مثلة
او قذف او قتل اولاد او نساء او نقض عهد او ما اشبه ذلك اعدلوا هو اقرب للتقوى نهاهم اولا ان تحملهم البغضاء
على ترك العدل ثم استأنف فصرّح لهم بالامر بالعدل تأكيدا وتشديدا ثم استأنف فذكر لهم وجه الامر بالعدل وهو
قوله هو اقرب للتقوى اي العدل اقرب الى التقوى وادخل في مناسبتها او اقرب الى التقوى لكونه لطفا فيها وفيه
تنبيه عظيم على ان وجوب العدل مع الكفار الذين هم اعداء الله اذا كان بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه مع
المؤمنين هم اولياؤه واحباؤه وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ همّ قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكفّ ايديهم عنكم
واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون لهم مغفرة واجر عظيم بيان بعد تمام الكلام قبله كأنه قال قدّم لهم وعدا فقيل ايّ شيء
وعده لهم فقيل لهم مغفرة واجر عظيم او يكون على ارادة القول بمعنى وعدهم وقال لهم مغفرة او على اجراء وعد مجرى
قال لانه ضرب من القول وعد واقعا على الجملة التي هي لهم مغفرة كما وقع تركنا على قوله سلام على نوح كأنه قيل
وعدهم هذا القول واذا وعدهم من لا يخلف الميعاد هذا القول فقد وعدهم مضمونه من المغفرة والاجر العظيم وهذا
القول يتلقّونه به عند الموت ويوم القيامة فيسرّون به ويستروحون اليه ويهوّن عليهم السكرات والاهوال
قبل الوصول الى الثواب روي ان المشركين رأوا رسول الله واصحابه قاموا الى الصلاة الظهر يصلّون معا وذلك بعسفان
في غزوة ذي أغار فلما صلّوا ندموا ألا كانوا اكبّوا عليهم فقالوا ان لهم صلاة هي احبّ اليهم من آبائهم وابنائهم يعنون
صلاة العصر وهمّوا ان يوقعوا بهم اذا قاموا اليها فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام بصلاة الخوف وروي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله عنهم يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري
خطأ يحسبهما مشركين فقالوا يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فأجلسوه في صفّة وهمّوا بالفتك به وعمد عمرو بن
جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فأمسك الله يده ونزل جبريل عليه الصلاة والسلام فأخبره فخرج وقيل نزل منزلا
وتفرّق الناس في العضاه يستظلّون بها فعلّق رسول الله صلى الله عليه وسلم سلاحه بشجرة فجاء اعرابي فسلّ سيف رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم اقبل عليه فقال من يمنعك مني قال الله قالها ثلاثا فشام الاعرابي السيف فصاح رسول الله صلى الله
عليه وسلم باصحابه فأخبرهم وأبى ان يعاقبه يقال بسط اليه لسانه اذا شتمه وبسط اليه يده اذا بطش به ويبسطوا اليكم ايديهم
والسنتهم بالسوء ومعنى بسط اليد مدّها الى المبطوش به ألا ترى الى قولهم فلان بسيط الباع ومديد الباع فكفّ ايديهم
عنكم فمنعها ان تمدّ اليكم ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلاة

وآتيتم

واتيتم الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من
تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم
عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب
المحسنين ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم
القيمة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون لما استقر بنو اسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون امرهم الله بالمسير الى اريحا
ارض الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبابرة وقال اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها واني
ناصركم وامر موسى ان ياخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما امروا به توثقة عليهم فاختار النقباء
واخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم به النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون فرأوا
اجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم وقد نهاهم موسى ان يحدثوهم فنكثوا الميثاق الا كالب بن
يوفنا من سبط يهوذا ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف وكانا من النقباء والنقيب الذي ينقب عن احوال القوم
ويفتش عنها كما قيل له عريف لانه يتعرفها اني معكم اي ناصركم ومعينكم عزرتموهم نصرتموهم ومنعتموهم من ايدي
العدو ومنه التعزير وهو التنكيل والمنع من معاودة الفساد وقرئ بالتخفيف يقال عزرت الرجل اذا حطته وكنفته
والتعزير والتأزير من واد واحد ومنه لانصرنك نصرا مؤزرا اي قويا وقيل معناه اخذنا ميثاقهم بالايمان والتوحيد
وبعثنا منهم اثني عشر ملكا يقيمون فيهم العدل ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر واللام في لئن اقمتم الصلوة موطئة
للقسم وفي لأكفرن جواب له وهذا الجواب ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق بالوعد
العظيم فان قلت من كفر قبل ذلك ايضا فقد ضل سواء السبيل قلت اجل ولكن الضلال بعد ذلك اظهر واعظم لان الكفر
انما عظم قبحه لعظم النعمة المكفورة فاذا زادت النعمة زاد قبح الكفر وتمادى لعناهم طردناهم فاخرجناهم من رحمتنا وقيل
مسخناهم وقيل ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية خذلناهم ومنعناهم الالطاف حتى قست قلوبهم وامليناهم ولم نعاجلهم
بالعقوبة حتى قست وقرأ عبد الله قسية اي رديئة مغشوشة من قولهم درهم قسي وهو من القسوة لان الذهب والفضة الخالصين
فيهما لين والمغشوش فيه يبس وصلابة والقاسي والقاسح بالحاء اخوان في الدلالة على اليبس والصلابة وقرئ قسية بكسر القاف
للاتباع يحرفون الكلم بيان لقسوة قلوبهم لانه لا قسوة اشد من الافتراء على الله وتغيير وحيه ونسوا حظا وتركوا نصيبا
جزيلا وقسطا وافيا مما ذكروا به من التورية يعني ان تركهم واعراضهم عن التورية اغفال حظ عظيم او قست قلوبهم وفسدت
فحرفوا التورية وزلت اشياء منها عن حفظهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية
وقيل تركوا نصيب انفسهم مما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته ولا تزال تطلع على خائنة اي هذه عادتهم
وهجيراهم وكان عليها اسلافهم كانوا يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك ينكثون عهودك ويظاهرون المشركين على حربك
ويهمون بالفتك بك وان يسموك على خائنة على خيانة او على فعلة ذات خيانة او على نفس او فرقة خائنة ويقال رجل خائنة
كقولهم رجل راوية للشعر للمبالغة قال

حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن ... للغدر خائنة مغل الاصبع

وقرئ على خيانة منهم الا قليلا منهم وهم الذين آمنوا منهم فاعف عنهم بعث على مخالفتهم وقيل هو منسوخ بآية السيف وقيل
فاعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم اخذنا ميثاقهم اخذنا من النصارى ميثاق من ذكر قبلهم من قوم موسى اي مثل
ميثاقهم بالايمان بالله والرسل وبافعال الخير او اخذنا من النصارى ميثاق انفسهم بذلك فان قلت فهلا قيل من النصارى قلت

لانهم انما سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى نحن انصار الله ثم اختلفوا بعد نسطورية ويعقوبية وملكانية
انصارا للشيطان فاغرينا فالصقنا والزمنا من غري بالشيء اذا لزمه ولصق به واغراه غيره ومنه الغراء الذي يلصق به بينهم
بين فرق النصارى المختلفين وقيل بينهم وبين اليهود • ونحوه وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس
بعض يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب
مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم لقد كفر
الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا
ولله ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير وقالت اليهود والنصارى
نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والارض
وما بينهما واليه المصير يا اهل الكتاب خطاب لليهود والنصارى مما كنتم تخفون من صفة رسول الله ومن آية الرجم ويعفوا عن
كثير مما تخفونه لا يبينه اذا لم تضطر اليه مصلحة دينية ولم يكن فيه فائدة الا افتضاحكم وصفته مما لا بد من بيانه وكذلك الرجم
وما فيه احياء شريعة واماتة بدعة • وعن الحسن ويعفوا عن كثير منكم لا يؤاخذه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يريد القرآن
لكشفه ظلمات الشرك والشك ولابانته ما كان خافيا على الناس من الحق او لانه ظاهر الاعجاز من اتبع رضوانه من آمن منهم
سبل السلام طرق السلامة والنجاة من عذاب الله او سبل الله لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح معناه بت القول على ان حقيقة الله هو المسيح
لا غير قيل كان في النصارى قوم يقولون ذلك • وقيل ما صرحوا به ولكن مذهبهم يؤدي اليه حيث اعتقدوا انه يخلق ويحيي ويميت
ويدبر امر العالم فمن يملك من الله شيئا فمن يمنع من قدرته ومشيئته شيئا ان اراد ان يهلك من دعوه الها من المسيح وامه دلالة
على ان المسيح عبد مخلوق كسائر العباد واراد ان يعطف من في الارض على المسيح وامه انهما من جنسهم لا تفاوت بينهما وبينهم في البشرية
يخلق ما يشاء اي يخلق من ذكر وانثى ويخلق من انثى من غير ذكر كما خلق عيسى عليه الصلاة والسلام • ويخلق من غير ذكر وانثى
كما خلق آدم عليه الصلاة والسلام او يخلق ما يشاء كخلق الطير على يد عيسى عليه الصلاة والسلام معجزة له وكاحياء الموتى
وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك فيجب ان ينسب اليه ولا ينسب الى البشر المجرى على يده ابناء الله اشياع ابني الله عزير
والمسيح كما قيل لاشياع ابي خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبون وكما كان يقول رهط مسيلمة نحن انبياء الله ويقول
اقرباء الملك وذووه وحشمه نحن الملوك ولذلك قال مؤمن آل فرعون لكم الملك اليوم فلم يعذبكم بذنوبكم فان صح
انكم ابناء الله واحباؤه فلم تذنبون وتعذبون بها فتمسخون وتمسكم النار اياما معدودات على زعمكم ولو كنتم ابناء الله
لكنتم من جنس الاب غير فاعلين للقبائح ولا مستوجبين للعقاب ولو كنتم احباءه لما عصيتموه ولما عاقبكم بل انتم بشر ممن خلق من جملة ه
من البشر يغفر لمن يشاء وهم اهل الطاعة ويعذب من يشاء وهم العصاة يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة
من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير واذ قال موسى لقومه يا قوم
اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين يا قوم ادخلوا الارض المقدسة
التي كتب الله لكم يبين لكم اما ان يقدر المبين وهو الدين والشرائع وحذفه لظهور ما ورد الرسول صلى الله عليه وسلم
لتبيينه او يقدر مما كنتم تخفون وحذفه لتقدم ذكره او لا يقدر ويكون المعنى يبذل لكم البيان ومحله النصب
على الحال اي مبينا لكم وعلى فترة متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من ارسال الرسل وانقطاع من الوحي ان
تقولوا كراهة ان تقولوا فقد جاءكم • وقيل كان بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام خمسمائة وستون سنة وقيل اربعمائة
ونيف وستون سنة • وعن الكلبي كان بين موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام الف وسبعمائة سنة والف نبي وبين عيسى ومحمد عليهما

الصلاة

الصلاة والسلام اربعة انبياء ثلاثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي والمعنى الامتنان عليهم بان الرسول
بعث اليهم حين انطمست آثار الوحي احوج ما يكونون اليه ليمشوا اليه ويعدوه اعظم نعمة من الله وفتح باب الرحمة وتلزمهم
الحجة فلا يعتلوا غدا بانه لم يرسل اليهم من ينبههم عن غفلتهم وجعل فيكم انبياء لانه لم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل
من الانبياء وجعلكم ملوكا لانه ملكهم بعد فرعون ملكه وبعد الجبابرة ملكهم ولان الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الانبياء
وقيل كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله فسمى انقاذهم ملكا وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وقيل
من له بيت وخدم وقيل من له مال لا يحتاج معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق ما لم يؤت احدا من العالمين من
فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك من الامور العظام وقيل ان ا[illegible]لي ربما ثمهم
الارض المقدسة ارض بيت المقدس وقيل الطور وما حوله وقيل الشام وفلسطين ودمشق وبعض الاردن
وقيل سماها الله لابراهيم عليه الصلاة والسلام ميراثا لولده حين رفع على الجبل فقيل له انظر فلك ما ادرك بصرك
وكان بيت المقدس قرار الانبياء ومسكن المومنين كتب الله لكم قسمها لكم وسماها او خط في اللوح انها لكم ولا ترتدوا
على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها ما داموا فيها حتى يخرجوا منها فان
يخرجوا منها فانا داخلون قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غا
وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مومنين قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا
ههنا قاعدون قال رب اني لا املك الا نفسي واخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال فانها محرمة
عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض فلا تاس على القوم الفاسقين ولا ترتدوا على ادباركم ولا تنكصوا على اعقا
مدبرين من خوف الجبابرة جبنا وهلعا قيل لما حدثهم النقباء بحال الجبابرة رفعوا اصواتهم بالبكاء وقالوا يا ليتنا متنا بمصر
وقالوا تعالوا نجعل علينا راسا ينصرف بنا الى مصر ويجوز ان يراد لا ترتدوا على ادباركم في دينكم بمخالفتكم امر ربكم
وعصيانكم نبيكم فترجعوا خاسرين ثواب الدنيا والآخرة من الجبابرة فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره عليه وهو العاتي الذي
يجبر الناس على ما يريد قال رجلان هما كالب ويوشع من الذين يخافون الله ويخشونه كانه قيل رجلان من المتقين
ويجوز ان تكون الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف تقديره من الذين يخافون بنو اسرائيل وهم الجبارون
وهما رجلان منهم انعم الله عليهما بالايمان فآمنا قالا لهم ان العمالقة اجسام لا قلوب فيها فلا تخافوهم وازحفوا
اليهم فانكم غالبوهم يشجعانهم على قتالهم وقراءة من قرا يخافون بالضم شاهدة له وكذلك انعم الله عليهما كانه قيل
المخوفين وقيل هو من الاخافة ومعناه من الذين يخوفون من الله بالتذكرة والموعظة او يخوفهم وعيد الله بالعقاب
فان قلت ما محل انعم الله عليهما قلت ان انتظم مع قوله من الذين يخافون في حكم الوصف لرجلان فمرفوع
وان جعل كلاما معترضا فلا محل له فان قلت من اين علما انهم غالبون قلت من جهة اخبار موسى عليه الصلاة
والسلام بذلك وقوله كتب الله لكم وقيل من جهة غلبة الظن وما تبيناه من عادة الله في نصرة رسله وما عهدا من صنع
الله لموسى في قهر اعدائه وما عرفا من حال الجبابرة والباب باب قريتهم لن ندخلها نفي لدخولهم في المستقبل على وجه
التاكيد المويس وابدا تعليق للنفي المؤكد بالدهر المتطاول وما داموا فيها بيان للابد فاذهب انت وربك
يحتمل ان لا يقصدوا حقيقة الذهاب ولكن كما تقول كلمته فذهب يجيبني تريد معنى الارادة والقصد للجواب
كانهم قالوا اريدا قتالهم والظاهر انهم قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وقلة مبالاة بهما واستهزاء وقصد ذهابهما
حقيقة بجهلهم وجفائهم وقسوة قلوبهم التي عبدوا بها العجل وسالوا بها رؤية الله جهرة والدليل عليه مقابلة ذهابهما بقعودهم

ويحكى ان موسى وهرون خرا لوجوههما قدامهم لشدة ما ورد عليهما فهموا برجمهما ولامر ما قرن الله اليهود بالمشركين
وقدمهم عليهم بالمشركين في قوله لتجدن الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا ولما عصوه وتمردوا عليه وخالفوه
وقالوا ما قالوا من كلمة الكفر ولم يبق معه مطيع موافق يثق به الا هرون عليه الصلاة والسلام قال رب اني لا املك لنصرة
دينك الا نفسي واخي وهذا من البث والحزن والشكوى الى الله والحسرة ورقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل
النصرة ونحوه قول يعقوب عليه الصلاة والسلام انما اشكو بثي وحزني الى الله وعن علي رضي الله عنه انه كان يدعو الناس
على منبر الكوفة الى قتال البغاة فما اجابه الا رجلان فتنفس الصعداء ودعا لهما وقال اين تقعان مما اريد وذكر في اعراب
اخي وجوه ان يكون منصوبا عطفا على نفسي وعلى الضمير في اني بمعنى ولا املك الا نفسي وان اخي لا يملك الا نفسه ومرفوعا
عطفا على محل ان واسمها كانه قيل انا لا املك الا نفسي وهرون كذلك لا يملك الا نفسه او على الضمير في لا املك وجاز للفصل
ومجرورا عطفا على الضمير في نفسي وهو ضعيف لقبح العطف على ضمير المجرور لا بتكرير الجار فان قلت اما كان معه
الرجلان المذكوران قلت كانه لم يثق بهما كل الوثوق ولم يطمئن الى ثباتهما لما ذاق على طول الزمان واتصال الصحبة
من احوال قومه وتلونهم فلم يذكر الا النبي المعصوم الذي لا شبهة في امره ويجوز ان يقول ذلك لفرط ضجره عندما سمع
منهم تقليلا لمن يوافقه ويجوز ان يريد ومن يواخيني على ديني فافرق بيننا بان تحكم لنا بما نستحق وتحكم عليهم
بما يستحقون وهو في معنى الدعاء عليهم ولذلك وصل به قوله فانها محرمة عليهم على وجه التسبيب او فباعد بيننا وبينهم
وخلصنا من صحبتهم ونجني من القوم الظالمين فانها فان الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها فان قلت
كيف يوفق بين هذا وبين قوله كتب الله لكم قلت فيه وجهان احدهما ان يراد كتبها لكم بشرط ان تجاهدوا اهلها فلما ابوا
الجهاد قيل فانها محرمة عليهم والثاني ان يراد فانها محرمة عليهم اربعين سنة فاذا مضت الاربعون كان ما كتب فقد
روي ان موسى عليه الصلاة والسلام سار بمن بقي من بني اسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتح اريحا واقام فيها ما شاء الله
ثم قبض وقيل لما مات موسى بعث يوشع نبيا فاخبرهم بانه نبي الله وان الله امره بقتال الجبابرة فصدقوه وبايعوه
وسار بهم الى اريحا وقتل الجبابرين واخرجهم وصار الشام كله لبني اسرائيل وقيل لم يدخل في الارض المقدسة احد
ممن قال انا لن ندخلها وهلكوا في التيه ونشأت نواشئ من ذرياتهم فقاتلوا الجبابرين ودخلوها والعامل في الظرف
اما محرمة واما يتيهون ومعنى يتيهون في الارض يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقا والتيه المفازة التي يتاه
فيها روي انهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون كل يوم جادين حتى سئموا وامسوا اذا هم بحيث ارتحلوا عنه
وكان الغمام يظلهم من حر الشمس ويطلع لهم عمود من نور بالليل يضيء لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا تطول شعورهم واذا
ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله فان قلت فلم كانوا ينعم عليهم بتظليل الغمام وغيره وهم معاقبون
قلت كما ينزل بعض النوازل على العصاة عركا لهم وعليهم مع ذلك النعمة متظاهرة ومثل ذلك مثل الوالد المشفق يضرب
ولده ويؤدبه ليتادب ويتثقف ولا يقطع عنه معروفه واحسانه فان قلت هل كان معهم في التيه موسى وهرون
عليهما الصلاة والسلام قلت اختلف في ذلك فقيل لم يكونا معهم لانه كان عقابا وقد طلب موسى عليه السلام
الى ربه ان يفرق بينهما وبينهم وقيل كانا معهم الا انه كان ذلك روحا لهما وسلاما لا عقوبة كالنار لابرهيم
وملائكة العذاب وروي ان هرون عليه الصلاة والسلام مات في التيه ومات موسى عليه السلام بعده فيه بسنة
ودخل يوشع عليه السلام اريحا بعد موته بثلاثة اشهر ومات النقباء في التيه بغتة الا كالب ويوشع فلا تأس
على القوم الفاسقين فلا تأس فلا تحزن عليهم لانه ندم على الدعاء عليهم فقيل انهم احقاء لفسقهم بالعذاب فلا تحزن

ولا تندم

ولا تندم **واتل عليهم نبأ ابني ادم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين** هما ابنا ادم عليه الصلاة والسلام لصلبه قابيل وهابيل اوحى الله الى ادم ان يزوج كل واحد منهما توأمة الاخر وكانت توأمة قابيل اجمل واسمها اقليما فحسد عليها اخاه وسخط فقال لهما ادم عليه الصلاة والسلام قربا قربانا فمن ايكما قبل زوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل حسدا وسخطا وتوعده بالقتل وقيل هما رجلان من بني اسرائيل بالحق تلاوة ملتبسة بالحق والصحة واتله نبأ ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الاولين او بالغرض الصحيح وهو تقبيح الحسد لان المشركين واهل الكتاب كلهم كانوا يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبغون عليه واتل عليهم وانت محق صادق واذ قربا نصب بالنبأ اى قصتهم وحديثهم في ذلك الوقت ويجوز ان يكون بدلا من النبأ اي اتل عليهم النبأ نبأ ذلك الوقت على تقدير حذف المضاف والقربان اسم ما يتقرب به الى الله من نسيكة اوصدقة كما ان الحلوان اسم ما يحلى اي يعطى يقال قرب صدقة وتقرب بها لان تقرب مطاوع قرب قال الاصمعي تقربوا قرف القمع فيعدى بالباء حتى يكون بمعنى قرب فان قلت كيف كان قوله انما يتقبل الله من المتقين جوابا لقوله لاقتلنك قلت لما كان الحسد لاخيه على تقبل قربانه هو الذى حمله على توعده بالقتل قال له انما اتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لا من قبلي فلم تقتلني ومالك لا تعاتب نفسك ولا تحملها على تقوى الله التي هي السبب في القبول فاجابه بكلام حكيم مختصر جامع لمعان وفيه دليل على ان الله لا يقبل طاعة الا من مؤمن متق فما انعاه على اكثر العاملين اعمالهم وعن عامر بن عبد الله انه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له ما يبكيك فقد كنت وكنت قال اني اسمع الله يقول انما يتقبل الله من المتقين **لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين** ما انا بباسط يدي لاقتلك قيل كان اقوى من القاتل وابطش منه ولكنه تحرج عن قتل اخيه واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت قاله مجاهد وغيره اني اريد ان تبوء باثمي واثمك ان تحتمل اثم قتلي لك لو قتلتك واثم قتلك لي فان قلت كيف يحتمل اثم قتله له ولا تزر وازرة وزر اخرى قلت المراد بمثل اثمي على الاتساع في الكلام كما تقول قرأت قراءة فلان وكتبت كتابته تريد المثل وهو اتساع فاش مستفيض لا يكاد يستعمل غيره ونحوه قوله صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم على ان البادي عليه اثم سبه ومثل اثم سب صاحبه لانه كان سببا فيه الا ان الاثم محطوط عن صاحبه معفو عنه لانه مكافئ دافع عن عرضه الا ترى الى قوله ما لم يعتد المظلوم لانه اذا خرج من حد المكافاة واعتدى لم يسلم فان قلت فحين كف هابيل عن قتل اخيه واستسلم وتحرج عما كان محظورا في شريعته من الدفع فاين الاثم حتى يتحمل اخوه مثله فيجتمع عليه الاثمان قلت هو مقدر فهو يتحمل مثل الاثم المقدر كانه قال اني اريد ان تبوء بمثل اثمي لو بسطت اليك يدي وقيل باثمي باثم قتلي واثمك الذي من اجله لم يتقبل قربانك فان قلت فكيف جاز ان يريد شقاوة اخيه وتعذيبه في النار قلت كان ظالما وجزاء الظالم حسن جائز ان يراد الا ترى الى قوله وذلك جزاء الظالمين واذا جاز ان يريده الله تعالى جاز ان يريده العبد لانه لا يريد الا ما هو حسن والمراد بالاثم وبال القتل وما يجره من استحقاق العقاب فان قلت لم جاء الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل وهو قوله لئن بسطت ما انا بباسط قلت ليفيد انه لا يفعل ما يكتسب به هذا

الوصف

الوصف الشنيع ولذلك اكده باللام المؤكدة للنفي فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ٥
فطوعت له نفسه قتل اخيه فوسّعته له ويسّرته من طاع له المرتع اذا اتّسع وقرأ الحسن فطاوعت وفيه وجهان ان يكون مما
جاء من فاعل بمعنى فعّل وان يراد ان قتل اخيه كانه دعا نفسه الى الاقدام عليه فطاوعته ولم تمتنع وله لزيادة الربط كقولك
حفظت لزيد ماله وقيل قتل وهو ابن عشرين سنة وكان قتله عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم فبعث
الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري
سوأة أخي فأصبح من النادمين بعث الله غرابا روي انه اول قتيل قتل على وجه الارض من بني آدم ولما قتله
تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره سنة حتى أروح وعكفت عليه السباع فبعث الله
تعالى غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة فقال يا ويلتى اعجزت وروي
انه لما قتله اسودّ جسده وكان ابيض فسأله آدم عليه السلام عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك
اسودّ جسدك وروي ان آدم عليه السلام مكث بعد قتله مائة سنة لا يضحك وانه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر
الا منحول ملحون وقد صح ان الانبياء معصومون من الشعر ليريه الله او ليريه الغراب اي ليعلمه لانه لما كان سبب تعليمه
فكانه قصد تعليمه على سبيل المجاز سوأة اخيه عورة اخيه وما لا يجوز ان ينكشف من جسده والسوأة الفضيحة لقبحها قال
يا لقومي للسوأة السوآء سوأة اخيه عورة اخيه اي للفضيحة العظيمة فكنى بها عنها فأواري بالنصب على جواب الاستفهام
وقرئ بالسكون على فانا اواري او على التسكين في موضع النصب للتخفيف من النادمين على قتله لما تعب فيه من حمله
وتحيّره في امره وتبين له من عجزه وتلمذه للغراب واسوداد لونه وسخط ابيه ولم يندم ندم التائبين من أجل ذلك
كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا
الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون من أجل ذلك بسبب
ذلك وبعلته وقيل اصله من أجل شرا اذا جناه يأجله أجلا ومنه قول خوات بن جبير

وأهل خباء صالح ذات بينهم ... قد احتربوا في عاجل انا آجله

كأنك اذا قلت من اجلك فعلت كذا اردت من ان جنيت فعله واوجبته ويدل عليه قولهم من جرّاك فعلته اي من ان
جررته بمعنى جنيته وذلك اشارة الى القتل المذكور اي من ان جنى ذلك القتل الكتب وجره كتبنا على بني اسرائيل ومن لابتداء
الغاية اي ابتداء الكتب ونشأ من اجل ذلك ويقال فعلت كذا لاجل كذا وقد يقال اجل كذا بحذف الجار وايصال الفعل
قال اجل ان الله قد فضلكم وقرئ من اجل ذلك بحذف الهمزة وفتح النون لالقاء حركتها عليها وقرأ ابو جعفر من
اجل ذلك بكسر الهمزة وهي لغة فاذا خفف كسر النون ملقيا لكسرة الهمزة عليها بغير نفس بغير قتل نفس لا على وجه الاقتصاص
او فساد عطف على نفس بمعنى او بغير فساد في الارض وهو الشرك وقيل قطع الطريق ومن احياها ومن استنقذها من بعض
اسباب الهلكة قتل او غرق او حرق او هدم او غير ذلك فان قلت كيف شبه الواحد بالجميع وجعل حكمه كحكمهم
قلت لان كل انسان يدلي بما يدلي به الآخر من الكرامة على الله وثبوت الحرمة فاذا قتل فقد اهين ما كرم على الله
وهتكت حرمته وعلى العكس فلا فرق اذا بين الواحد والجميع في ذلك فان قلت فما الفائدة في ذكر ذلك قلت
تعظيم قتل النفس واحيائها في القلوب ليشمئز الناس عن الجسارة عليها ويتراغبوا في المحاماة على حرمتها لان المتعرض لقتل
النفس اذا تصور قتلها بصورة قتل الناس جميعا عظم ذلك عليه فثبطه وكذلك الذي اراد احياءها قال وعن مجاهد
قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك وعن الحسن رحمه الله عليه يا ابن

آدم

آدم ارأيت لو قتلت الناس جميعا ألست تطمع أن يكون لك عمل يوازي ذلك فيغفر لك به كلا انه شيء سولته لك نفسك

والشيطان كذلك اذا قتلت واحدا بعد ذلك بعد ما كتبنا عليهم وبعد مجيء الرسل بالآيات لمسرفون يعني في القتل لا يبالون

بعظمته إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم

من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم يحاربون الله ورسوله يحاربون رسول

الله صلى الله عليه وسلم ومحاربة المسلمين في حكم محاربته ويسعون في الأرض فسادا مفسدين اولان سعيهم في الأرض لما كان على طريق

الفساد نزل منزلة ويفسدون في الأرض فانتصب فسادا على المعنى ويجوز ان يكون مفعولا له اي للفساد نزلت في قوم

هلال بن عويمر وكان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وقد مر بهم قوم يريدون رسول الله عليه الصلاة والسلام

فقطعوا عليهم وقيل في العرنيين فاوحى الله اليه ان من جمع بين القتل واخذ المال قتل وصلب ومن افرد القتل قتل ومن

افرد اخذ المال قطعت يده لاخذ المال ورجله لاخافة السبيل ومن افرد الاخافة نفي من الأرض وقيل هذا حكم كل قاطع طريق

كافرا كان او مسلما ومعناه ان يقتلوا من غير صلب ان افردوا القتل او يصلبوا مع القتل ان جمعوا بين القتل والاخذ قال

ابو حنيفة ومحمد رحمة الله عليهما يصلب حيا ويطعن حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ان اخذوا المال او ينفوا من الأرض

اذا لم يزيدوا على الاخافة وعن جماعة منهم النخعي رحمة الله عليهم ان الامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق من غير

تفصيل والنفي الحبس عند ابي حنيفة وعند الشافعي رضي الله عنهما النفي من بلد الى بلد لا يزال يطلب وهو هارب فزعا وقيل

ينفى من بلده وكانوا ينفونهم الى دهلك وهو بلد في اقصى تهامة وناصع وهو من بلاد الحبشة خزي ذل وفضيحة إلا الذين

تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم إلا الذين تابوا استثناء من المعاقبين عقاب قطع الطريق

خاصة واما حكم القتل والجراح واخذ المال فالى الاولياء ان شاؤا عفوا وان شاؤا استوفوا وعن علي بن ابي طالب رضي الله

عنه ان الحرث بن بدر جاءه تائبا بعد ما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله

وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون الوسيلة كل ما يتوسل به اي يتقرب من قرابة او صنيعة او غير ذلك

فاستعيرت لما يتوسل به الى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المعاصي وانشد للبيد

ارى الناس لا يدرون ما قدر امرهم • الا كل ذي لب الى الله واسل

إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم

ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم وهذا تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى النجاة منه بوجه وعن النبي صلى الله

عليه وسلم يقال للكافر يوم القيامة ارأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبا اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له قد سئلت ما

هو ايسر من ذلك ولو مع ما في حيز خبر ان فان قلت لم وحد الراجع في قوله ليفتدوا به وقد ذكر شيئان قلت

هو نحو قوله فاني وقيار بها لغريب • او على اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة

كانه قيل ليفتدوا بذلك ويجوز ان تكون الواو في ومثله بمعنى مع فيوحد المرجوع اليه فان قلت فبم ينصب المفعول

معه قلت بما يستدعيه لو من الفعل لان التقدير لو ثبت ان لهم ما في الأرض يريدون أن يخرجوا من النار وما هم

بخارجين منها ولهم عذاب مقيم قراءة ابو واقد ان يخرجوا بضم الياء من اخرج ويشهد لقراءة العامة قوله بخارجين منها

وما يروى عن عكرمة ان نافع بن الازرق قال لابن عباس رضي الله عنه يا اعمى البصر اعمى القلب تزعم ان قوما يخرجون من

النار وقد قال الله عز وجل وما هم بخارجين منها فقال ويحك اقرأ ما فوقها هذا للكفار ومما لفقته المجبرة وليس باول

تكاذيبهم وفرياتهم وكفاك بما فيه من مواجهة ابن الازرق ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتبين اظهر اعضاده من اوليس وانصاده

اوله فمن يك امسى بالمدينة رحله
قيار وقيل جمل وقيل غلامه فاني وقيار
اي اسود اي فاني لغريب ونحو
لغريب لو قال كذلك لكان احسن وقيار
على نية التقديم اي فاني لغريب وقيار
فالعطف على تمام الجملة وعلى دعا وتوزع
الضمير المكان وتعدده

من بني عبد المطلب وهو حبر الامة فالحرها بالخطاب الذي لا يجسر على مثله احد من اهل الدنيا وبرفعه الى عكرمة دليلين ان الحديث
توبة ما فيها مرية ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم﴾ والسارق والسارقة
رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند سيبويه كانه قيل وفيما فرض عليكم السارق والسارقة اي حكمهما ووجه آخر وهو ان يرتفعا
بالابتداء والخبر فاقطعوا ايديهما ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط لان المعنى والذي سرق والتي سرقت فاقطعوا ايديهما
والاسم الموصول يضمن معنى الشرط وقرأ عيسى بن عمر بالنصب وفضلها سيبويه على قراءة العامة لاجل الامر لان زيدا فاضربه
احسن من زيد فاضربه ايديهما يديهما ونحوه فقد صغت قلوبكما اكتفى بتثنية المضاف اليه عن تثنية المضاف واريد باليدين
اليمينان بدليل قراءة عبد الله والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهم والسارق في الشريعة من سرق من الحرز والمقطع الرسغ
وعند الخوارج المنكب والمقدار الذي يجب به القطع عشرة دراهم عند ابي حنيفة وعند مالك والشافعي ربع دينار وعن الحسن
درهم وفي مواعظه احذر من قطع يدك في درهم جزاء نكالا مفعول لهما ﴿يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر
من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم
من بعد مواضعه يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا اولئك الذين لم
يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه
ان الله غفور رحيم الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير﴾
فمن تاب من السراق من بعد ظلمه من بعد سرقته واصلح امره بالتفصي عن التبعات فان الله يتوب عليه ويسقط
عنه عقاب الآخرة واما القطع فلا تسقطه التوبة عند ابي حنيفة واصحابه وعند الشافعي رحمه الله عليه في احد قوليه تسقطه
التوبة ومن يشاء من يجب في الحكمة تعذيبه والمغفرة من المصرين والتائبين وقيل يسقط حد الحربي اذا سرق بالتوبة
ليكون ادعى له الى الاسلام وابعد من التنفير عنه ولا يسقطه عن المسلم لان في اقامته الصلاح للمؤمنين والحيوة للعمر في القصاص حيوة
فان قلت لم قدم التعذيب على المغفرة قلت لانه قوبل بذلك تقدم السرقة على التوبة ﴿يا ايها الرسول لا يحزنك الذين
يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين
لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته
فلن تملك له من الله شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾
قرئ لا يحزنك بضم الياء ويسرعون والمعنى لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين في الكفر اي في اظهاره بما يلوح منهم من آثار
الكيد للاسلام ومن موالاة المشركين فاني ناصرك عليهم وكافيك شرهم يقال اسرع فيه الشيب واسرع فيه الفساد بمعنى
وقع فيه سريعا فكذلك مسارعتهم في الكفر ووقوعهم وتهافتهم في الكفر فيه اسرع شيء اذا وجدوا فرصة لم يخطئوها وآمنا
مفعول قالوا وبافواههم متعلق بقالوا لا بآمنا ومن الذين هادوا منقطع مما قبله خبر لسماعون اي ومن اليهود قوم سماعون
ويجوز ان تعطف على من الذين قالوا ويرتفع سماعون على هم سماعون والضمير للفريقين او للذين هادوا ومعنى سماعون للكذب
قابلون لما يفتريه الاحبار ويفتعلونه من الكذب على الله وتحريف كتابه من قولك الملك يسمع كلام فلان ومنه سمع الله
لمن حمده سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يعني اليهود الذين لم يصلوا الى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجافوا عنه لما افرط
فيهم من شدة البغضاء وتبالغ من العداوة اي قابلين من الاحبار ومن اولئك المفرطين في العداوة الذين لا يقدرون ان ينظروا
اليك وقيل سماعون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجل ان يكذبوا عليه بان يمسخوا ما سمعوا منه وقيل السماعون بنو قريظة والقوم
الآخرون يهود خيبر يحرفون الكلم يميلونه ويزيلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها فيهملونه بغير مواضع بعد ان كان ذا مواضع

بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير
سماعون من رسول الله لاجل قوم آخرين من
اليهود وجعلوهم عيونا ليبلغوهم ما
سمعوا منه

ان

إن أوتيتم هذا المحرف المزال عن مواضعه فخذوه واعلموا أنه الحق واعملوا به وإن لم تؤتوه وأفتاكم محمد بخلافه فاحذروا وإياكم
وإياه فهو الباطل والضلال • وروي أن شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم في التورية فكرهوا رجمهما في
لشرفهما فبعثوا رهطا منهم إلى بني قريظة ليسألوا رسول الله عليه الصلاة والسلام وقالوا إن أمركم محمد بالجلد والتحميم فاقبلوا وإن
أمركم بالرجم فلا تقبلوا وأرسلوا الزانيين معهم فأمرهم بالرجم فأبوا أن يأخذوا به فقال له جبريل عليه الصلاة والسلام اجعل بينك
وبينهم ابن صوريا فقال هل تعرفون شابا أبيض أعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو أعلم يهودي على وجه
الأرض ورضوا به حكما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذي لا إله إلا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم
الطور وأنجاكم وأغرق آل فرعون والذي أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من أحصن قال نعم فوثب عليه
سفلة اليهود فقال خفت إن كذبته أن ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء كان يعرفها من أعلامه
فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله النبي الأمي العربي الذي بشر به المرسلون وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين
فرجما عند باب مسجده • ومن يرد الله فتنته تركه مفتونا • فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يمنحهم من ألطافه
وخذلانه فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من لطف الله وتوفيقه شيئا • ما يطهر به قلوبهم لأنهم ليسوا من أهلها لعلمه
أنها لا تنفع فيهم ولا تنجع إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم سماعون للكذب
أكالون للسحت فإن جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط
إن الله يحب المقسطين السحت كل ما لا يحل كسبه وهو من سحته إذا استأصله لأنه مسحوت البركة كما قال تعالى يمحق الله الربوا
والربوا باب منه وقرئ السحت بالتخفيف والتثقيل والسحت بفتح السين على لفظ المصدر من سحته والسحت بفتحتين والسحت
بكسر السين وكانوا يأخذون الرشى على الأحكام وتحليل الحرام • وعن الحسن كان الحاكم في بني إسرائيل إذا أتاه أحدهم برشوة جعلها في كمه
فأراها إياه وتكلم بحاجته فسمع منه ولا ينظر إلى خصمه فيأكل الرشوة ويسمع الكذب • وحكي أن عاملا قدم من عمله فجاءه قومه
يقدم إليهم العراضة وجعل يحدثهم بما جرى له في عمله فقال أعرابي من القوم نحن كما قال تعالى سماعون للكذب • أكالون للسحت
وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل لحم أنبته السحت فالنار أولى به قيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا إذا تحاكم إليه أهل الكتاب
بين أن يحكم بينهم وبين أن لا يحكم بينهم • وعن عطاء والنخعي والشعبي رحمة الله عليهم أنهم إذا ارتفعوا إلى حكام المسلمين فإن شاءوا
حكموا وإن شاءوا أعرضوا وقيل هو منسوخ بقوله وأن احكم بينهم بما أنزل الله • وعند أبي حنيفة رحمه الله أن احتكموا إلينا حملوا
على حكم الإسلام وإن زنى منهم رجل بمسلمة أو سرق من مسلم شيئا أقيم عليه الحد • وأما أهل الحجاز فإنهم لا يرون إقامة
الحدود عليهم يذهبون إلى أنهم قد صولحوا على شركهم وهو أعظم من الحدود ويقولون إن النبي صلى الله عليه وسلم رجم اليهوديين
قبل نزول الجزية • فلن يضروك شيئا لأنهم كانوا لا يتحاكمون إليه إلا لطلب الأيسر والأهون عليهم كالجلد مكان الرجم
فإذا أعرض عنهم وأبى الحكومة لهم شق عليهم وتكرهوا إعراضه عنهم وكانوا خلقاء بأن يعادوه ويضروه فأمنه الله
منهم • بالقسط بالعدل والاحتياط كما حكم بالرجم وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك
وما أولئك بالمؤمنين • وكيف يحكمونك تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه مع أن الحكم منصوص في كتابهم
الذي يدعون الإيمان به • ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم • وما أولئك بالمؤمنين
بكتابهم كما يدعون أو وما أولئك بالكاملين في الإيمان على سبيل التهكم بهم • فإن قلت فيها حكم الله ما موضعه
من الإعراب وأما أن لا يكون له محل ويكون جملة مبينة لأن عندهم ما يغنيهم عن التحكيم كما تقول عندك
زيد ينصحك ويشير عليك بالصواب فما تصنع بغيره • فإن قلت لم أنثت التورية قلت لكونها نظيرة لموماة ودوداة

دخولها في كلام العرب فان قلت علام عطف ثم يتولون قلت على يحكمونك انا انزلنا التورية فيها هدى ونور يحكم بها النبيون
الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس
واخشون ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون وكتبنا عليهم فيها ان
النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم
يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون فيها هدى يهدي للحق والعدل ونور يبين ما استبهم من الاحكام والذين اسلموا صفة
اجريت على النبيين على سبيل المدح كالصفات الجارية على القديم سبحانه لا للتفصلة والتوضيح واريد باجرائها التعريض باليهود
وانهم بعداء من ملة الاسلام التي هي دين الانبياء كلهم في القديم والحديث وان اليهودية بمعزل منها وقوله الذين اسلموا للذين
هادوا مناد على ذلك والربانيون الاحبار والزهاد والعلماء من ولد هرون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود
بما استحفظوا من كتاب الله بما سألهم انبياؤهم حفظه من التورية اي بسبب سؤال انبيائهم اياهم ان يحفظوه من التغيير والتبديل
ومن في من كتاب الله للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء لئلا يبدل والمعنى يحكم باحكام التورية النبيون بين موسى وعيسى وكان
بينهما الف نبي والذين هادوا يحملونهم على احكام التورية لا يتركونهم ان يعدلوا عنها كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من حملهم
على حكم الرجم وارغام انوفهم وابائه عليهم ما اشتهوه من الجلد وكذلك حكم الربانيون والاحبار المسلمون بسبب ما استحفظهم انبياؤهم
من كتاب الله والقضاء باحكامه وبسبب كونهم عليه شهداء ويجوز ان يكون الضمير في استحفظوا للانبياء والربانيين والاحبار
جميعا ويكون الاستحفاظ من الله اي كلفهم الله حفظه وان يكونوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس نهي للحكام عن خشيتهم غير الله في
حكوماتهم وادهانهم وامضائها على خلاف ما امروا به من العدل لخشية سلطان ظالم او خيفة اذية احد من الاقرباء والاصدقاء
ولا تشتروا باياتي ولا تستبدلوا ولا تستعيضوا بايات الله واحكامه ثمنا قليلا وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضا الناس كما حرف
احبار اليهود كتاب الله وغيروا احكامه رغبة في الدنيا وطلبا للرياسة فهلكوا ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به فاولئك
هم الكافرون والظالمون والفاسقون وصف لهم بالعتو في كفرهم حين ظلموا ايات الله بالاستهانة وتمردوا بان حكموا بغيرها وعن
ابن عباس رضي الله عنهما ان الكافرين والظالمين والفاسقين اهل الكتاب وعنه نعم القوم انتم ما كان من حلو فلكم وما كان من مر
فهو لاهل الكتاب من جحد حكم الله كفر ومن لم يحكم به وهو مقر فهو ظالم فاسق وعن الشعبي هذا في اهل الاسلام والظالمون في اليهود
والفاسقون في النصارى وعن ابن مسعود رضي الله هو عام في اليهود وغيرهم وعن حذيفة رضي الله عنه انتم اشبه الامم سمتا
ببني اسرائيل لتركبن طريقتهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة غير اني لا ادري اتعبدون العجل ام لا في مصحف ابي وانزل
الله على بني اسرائيل فيها وفيها وان الجروح قصاص والمعطوفات كلها قرئت منصوبة ومرفوعة والرفع للعطف على محل ان
النفس لان المعنى وكتبنا عليهم فيها النفس بالنفس اما لاجراء كتبنا مجرى قلنا واما لان معنى الجملة التي هي قولك النفس بالنفس
مما يقع عليه الكتب كما تقع عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله وقرات انزلناها ولذلك قال الزجاج لو قرئ ان النفس بالكسر لكان
صحيحا او للاستيناف والمعنى فرضنا عليهم فيها ان النفس ماخوذة بالنفس مقتولة بها اذا قتلها بغير حق وكذلك العين مفقوءة
بالعين والانف مجدوع بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن والجروح قصاص ذات قصاص وهو المقاصة
ومعناه ما يمكن فيه القصاص وتعرف فيه المساواة وعن ابن عباس رضي الله عنه كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت فمن تصدق
من اصحاب الحق وعفا عنه فهو كفارة له فالتصدق كفارة للمتصدق يكفر الله من سيئاته ما تقتضيه الموازنة كسائر الطاعة
وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يهدم عنه من ذنوبه بقدر ما تصدق به وقيل فهو كفارة للجاني اذا تجاوز عنه صاحب
الحق سقط عنه ما لزمه وفي قراءة ابي فهو كفارته له يعني فالمتصدق كفارته له اي الكفارة التي يستحقها له لا ينقص منها وهو تعظيم

لما

لما قيل لقوله فأجره على الله وترغيب في العفو وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التورية وآتيناه الإنجيل
فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التورية وهدى وموعظة للمتقين وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله
فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون قفيته مثل عقبته إذا أتبعته ثم يقال قفيته بفلان وعقبته به فتعديه
إلى الثاني بزيادة الباء فإن قلت فأين المفعول الأول في الآية قلت هو محذوف والظرف الذي هو على آثارهم
كالساد مسده لأنه إذا قفي به على أثره فقد قفي به إياه والضمير في آثارهم للنبيين في قوله يحكم بها النبيون الذين
أسلموا وقرأ الحسن الأنجيل بفتح الهمزة فإن صح فلأنه أعجمي خرج لعجمته عن زنات العربية كما خرج هابيل وآجر ومصدقا
عطف على محل فيه هدى ومحله النصب على الحال وهدى وموعظة يجوز أن ينتصبا على الحال كقوله مصدقا وأن ينتصبا
مفعولا لهما لقوله وليحكم كأنه قيل وللهدى والموعظة آتيناه الإنجيل وليحكم بما أنزل الله فيه من الأحكام فإن قلت فإن
نظمت هدى وموعظة حين جعلتهما مفعولا لهما قلت أقدر وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه آتيناه إياه وقرئ
وليحكم على لفظ الأمر وروي في قراءة أبي وأن ليحكم بزيادة أن مع الأمر على أن أن موصولة بالأمر كقولك أمرته بأن
قم كأنه قيل وآتيناه الإنجيل وأمرنا بأن يحكم أهل الإنجيل وقيل إن عيسى عليه الصلاة والسلام كان متعبدا بما في التورية من
الأحكام لأن الإنجيل مواعظ وزواجر والأحكام فيه قليلة وظاهر قوله وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه يرد ذلك
وكذلك قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وإن ساغ لقائل أن يقول معناه وليحكموا بما أنزل الله فيه من إيجاب العمل
بأحكام التورية وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله
ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم
فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم
واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا
من الناس لفاسقون فإن قلت أي فرق بين التعريفين في قوله وأنزلنا إليك الكتاب وقوله لما بين يديه من الكتاب
قلت الأول تعريف العهد لأنه عني به القرآن والثاني تعريف الجنس لأنه عني به جنس الكتب المنزلة ويجوز أن يقال
هو للعهد لأنه لم يرد به ما يقع عليه اسم الكتاب على الإطلاق وإنما أريد نوع معلوم منه وهو ما أنزل من السماء سوى القرآن
ومهيمنا ورقيبا على سائر الكتب لأنه يشهد بالصحة والثبات وقرئ ومهيمنا بفتح الميم أي هو من عليه بأن حفظ من التغيير
والتبديل كما قال الله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذي هيمن عليه الله عز وجل أو الحفاظ
في كل بلد لو حرف حرف منه أو حركة أو سكون لتنبه عليه كل أحد ولاشمأزوا رادين ومنكرين ضمن ولا تتبع معنى ولا
تنحرف فلذلك عدي بعن كأنه قيل ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا أهواءهم لكل جعلنا منكم أيها الناس شرعة شريعة
وقرأ يحيى بن وثاب بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا في الدين تجرون عليه وقيل هذا دليل على أنا غير متعبدين
بشرائع من قبلنا لجعلكم أمة واحدة جماعة متفقة على شريعة واحدة أو ذوي أمة واحدة أي دين واحد لا اختلاف
فيه ولكن أراد ليبلوكم فيما آتيكم من الشرائع المختلفة هل تعملون بها مذعنين معتقدين أنها مصالح قد اختلفت على حسب
الأحوال والأوقات معترفين بأن الله لم يقصد باختلافها إلا ما اقتضته الحكمة أم تتبعون الشبه وتفرطون في العمل
فاستبقوا الخيرات فابتدروها وتسابقوا نحوها إلى الله مرجعكم استئناف في معنى التعليل لاستباق الخيرات فينبئكم فيخبركم
بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين محقكم ومبطلكم وعاملكم ومفرطكم في العمل فإن قلت وأن احكم بينهم معطوف
على ماذا قلت على الكتاب في قوله وأنزلنا إليك الكتاب كأنه قيل وأنزلنا إليك أن احكم على أن أن وصلت بالأمر لأنه

لانه بدل اشتمال من الافعال ويجوز ان يكون معطوفا على بالحق اي انزلناه بالحق وبان احكم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك ان
يضلوك عنه ويستزلوك وذلك ان كعب بن اسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس من احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد نفتنه
عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم ولم يخالفونا وان بيننا وبين قومنا خصومة
فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
فان تولوا عن الحكم بما انزل اليك وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني بذنب التولي عن حكم الله وارادة
خلافه فوضع ببعض ذنوبهم موضع ذلك واراد ان لهم ذنوبا جمة كثيرة العدد وان الذنب مع عظمه بعضها وواحد منها وهذا الابهام
لتعظيم التولي واستسرافهم في ارتكابه ونحو البعض في هذا الكلام ما في قول لبيد • او يرتبط بعض النفوس حمامها •
اراد نفسه وانما قصد تفخيم شانها بهذا الابهام كانه قال نفسا كبيرة نفسا اي نفس فكما ان التنكير يعطي معنى البعضية فكذلك
اذا صرح بالبعض لفاسقون لمتمردون في الكفر معتدون فيه يعني ان التولي عن حكم الله من التمرد العظيم والاعتداء في الكفر
افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون افحكم الجاهلية يبغون فيه وجهان احدهما ان قريظة والنضير
طلبوا اليه ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى • وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم القتلى
بواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت والثاني ان يكون تعييرا لليهود بانهم اهل كتاب وعلم وهم يبغون حكم
الملة الجاهلية التي هي هوى وجهل لا تصدر عن كتاب ولا ترجع الى وحي من الله وعن الحسن هو عام في كل من يبتغي غير حكم
الله والحكم حكمان حكم بعلم فهو حكم الله وحكم بجهل فهو حكم الشيطان • وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض
فقرا هذه الاية وقرئ يبغون بالياء والتاء وقرا السلمي افحكم الجاهلية يبغون برفع الحكم على الابتداء وايقاع يبغون خبرا
واسقاط الراجع كاسقاطه عن الصلة في اهذا الذي بعث الله رسولا وعن الصفة في الناس رجلان رجل اهنت ورجل
اكرمت • وعن الحال في مررت بهند يضرب زيد وقرا قتادة افحكم الجاهلية على ان هذا الحكم الذي يبغونه انما يحكم
به افعى نجران او نظيره من حكام الجاهلية فارادوا بسفههم ان يكون محمد خاتم النبيين حكما كاولئك الحكام اللام في قوله
لقوم يوقنون للبيان كاللام في هيت لك اي هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتيقنون ان لا
اعدل من الله ولا احسن حكما منه يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم
منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين لا تتخذوهم اولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتواخونهم وتصافونهم
وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين ثم علل النهي بقوله اولياء بعض اي انما يوالي بعضهم بعضا لاتحاد ملتهم واجتماعهم في
الكفر فما لمن دينه خلاف دينهم ولموالاتهم ومن يتولهم منكم فانه من جملتهم وحكمه حكمهم وهذا تغليظ من الله تعالى وتشديد
في وجوب مجانبة المخالف في الدين واعتزاله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تراءى ناراهما ومنه قول عمر رضي الله عنه
لابي موسى في كاتبه النصراني لا تكرموهم اذ اهانهم الله تعالى ولا تامنوهم اذ خونهم الله ولا تدنوهم اذ اقصاهم الله تعالى وروي
انه قال له ابو موسى رضي الله عنه لا قوام للبصرة الا به فقال مات النصراني والسلام يعني هب انه قد مات فما كنت تكون صانعا
حينئذ فاصنعه الساعة واستغن عنه بغيره ان الله لا يهدي القوم الظالمين يعني الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفرة يمنعهم
الله تعالى الطافه ويخذلهم مقتا لهم فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة
فعسى الله ان ياتي بالفتح او امر من عنده فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين يسارعون فيهم ينكمشون في
موالاتهم ويرغبون فيها ويعتذرون بانهم لا يامنون ان تصيبهم دائرة من دوائر الزمان اي صرف من صروفه

ودولة من دولة فيحتاجوا اليهم والى معونتهم • وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه انه قال لرسول الله عليه الصلاة
والسلام ان لي موالي من يهود كثيرا عددهم واني ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال عبد الله اني رجل
اخاف الدوائر ولا ابرأ من ولاية موالي وهم يهود بني قينقاع • فعسى الله ان ياتي بالفتح لرسوله على اعدائه •
واظهار المسلمين او امر من عنده يقطع شأفة اليهود ويخليهم عن بلادهم • فيصبح المنافقون نادمين على ما حدثوا
به انفسهم وذلك انهم كانوا يشكون في امر رسول الله عليه الصلاة والسلام ويقولون ما نظن ان يتم له امر وبالحري
ان تكون الدولة والغلبة لهؤلاء • وقيل او امر من عنده او ان يؤمر النبي صلى الله عليه وسلم باظهار اسرار المنافقين •
وقتلهم فيندموا على نفاقهم • وقيل او امر من عند الله لا يكون للناس فيه فعل كبني النضير الذين طرح الله تعالى في قلوبهم بهم
الرعب فاعطوا بايديهم من غير ان يوجف عليهم بخيل ولا ركاب **ويقول الذين آمنوا اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم**
انهم لمعكم حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين ويقول الذين آمنوا قرئ بالنصب عطفا على ان ياتي وبالرفع على انه
كلام مبتدأ • اي ويقول الذين آمنوا في ذلك الوقت وقرئ يقول بغير واو وهي في مصاحف مكة والمدينة والشام
كذلك على انه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ فقيل يقول الذين آمنوا اهؤلاء الذين اقسموا فان قلت
لمن يقولون هذا القول قلت اما ان يقوله بعضهم لبعض تعجبا من حالهم واغتباطا بما من الله عليهم من التوفيق في الاخلاص
اهؤلاء الذين اقسموا لكم باغلاظ الايمان انهم اولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار • واما ان يقولوه لليهود لانهم حلفوا لهم
بالمعاضدة والنصرة كما حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم • حبطت اعمالهم من جملة قول المؤمنين اي بطلت اعمالهم
التي كانوا يتكلفونها في راي اعين الناس وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم فما اخسرهم • او من قول الله عز وجل
شهادة بحبوط الاعمال وتعجيبا من سوء حالهم **يا ايها الذين آمنوا من يرتدد منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه**
اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين قرئ من يرتد ومن يرتدد وهو في الامام بدالين وهو من الكائنات التي اخبر
عنها في القرآن قبل كونها • وقيل كان اهل الردة احدى عشرة فرقة ثلاث في عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام بنو
مدلج ورئيسهم ذو الحمار • وهو الاسود العنسي وكان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده واخرج عمال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فكتب عليه السلام الى معاذ بن جبل رضي الله عنه والى سادات اليمن فاهلكه الله على يدي فيروز الديلمي بيته
فقتله واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ليلة قتل فسر المسلمون وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد واتى
خبره في آخر شهر ربيع الاول • وبنو حنيفة قوم مسيلمة تنبأ وكتب الى رسول الله عليه الصلاة والسلام من مسيلمة رسول الله
الفرقة الثانية
الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض
لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضي الله عنه بجنود المسلمين • وقتل على يدي وحشي قاتل
حمزة رضي الله عنه وكان يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الاسلام اراد في جاهليتي واسلامي • وبنو اسد
الفرقة الثالثة
منه قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا فانهزم بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه
وسبع في عهد ابي بكر رضي الله عنه فزارة قوم عيينة بن حصن • وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري • وبنو سليم قوم
الفجاءة بن عبد ياليل • وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة • وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت
نفسها مسيلمة الكذاب • وفيها يقول ابو العلاء المعري في كتاب استغفر واستغفري •

• امت سجاح ووالاها مسيلمة • كذابة في بني الدنيا وكذاب •

وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله امرهم على يدي ابي بكر رضي الله تعالى عنه

وردة واحدة في عهد عمر رضي الله عنه غسان قوم جبلة بن الايهم نصرته اللطمة وسيرته الى بلاد الروم بعد اسلامه فسوف
ياتي الله بقوم قيل لما نزلت اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابي موسى الاشعري فقال قوم هذا وقيل هم الفان من النخع
وخمسة الاف من كندة وبجيلة وثلاثة الاف من افناء الناس جاهدوا يوم القادسية وقيل هم الانصار وقيل سئل رسول
الله صلى الله عليه وسلم عنهم فضرب على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله رجال
من ابناء فارس يحبهم ويحبونه محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته وان لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه
ومحبة الله لعباده ان يثيبهم احسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثني عليهم ويرضى عنهم واما ما يعتقده اجهل الناس
واعداهم للعلم واهله وامقتهم للشرع واسواهم طريقة وان كانت طريقتهم عند امثالهم من الجهلة والسفهاء شيئا
وهم الفرقة المفتعلة المتفعلة من الصوف وما يدينون به من المحبة والعشق والتغني على كراسيهم خربها الله وفي مراقصهم
عطلها الله بابيات الغزل المقولة في المردان الذين يسمونهم شهداء وصعقاتهم التي اين عنها صعقة موسى عند دك الطور
فتعالى الله عنه علوا كبيرا ومن كلماتهم كما انه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فان الهاء راجعة الى الذات دون
النعوت والصفات ومنها الحب ان تمحقه سكرات المحبة فاذا لم يكن فيه ذلك لم يكن فيه حقيقة فان قلت اين الراجع
من الجزاء الى الاسم المتضمن لمعنى الشرط قلت هو محذوف معناه فسوف ياتي الله بقوم مكانهم او بقوم غيرهم او ما اشبه
ذلك اذلة جمع ذليل واما ذلول فجمعه ذلل ومن زعم انه من الذل الذي هو نقيض الصعوبة فقد غبي عنه ان ذلولا
لا يجمع على اذلة فان قلت هلا قيل اذلة للمؤمنين اعزة على الكافرين قلت فيه وجهان احدهما ان يضمن الذل
معنى الحنو والعطف كانه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع والثاني انهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم
على المؤمنين خافضين لهم اجنحتهم ونحوه قوله عز وعلا اشداء على الكفار رحماء بينهم وقرئ اذلة واعزة بالنصب
على الحال يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم
ولا يخافون لومة لائم يحتمل ان تكون الواو للحال على انهم يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين فانهم كانوا
موالين لليهود لعنت فاذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا اولياءهم اليهود فلا يعملون شيئا مما يعلمون انه يلحقهم فيه لوم من
جهتهم واما المؤمنون فكانوا يجاهدون لوجه الله لا يخافون لومة لائم وان تكون للعطف على ان من صفتهم المجاهدة
في سبيل الله وانهم صلاب في دينهم اذا شرعوا في امر من امور الدين انكار منكر او امر بمعروف مضوا فيه كالمسامير المحماة لا يرعبهم
قول قائل ولا اعتراض معترض ولا لومة لائم يشق عليه جدهم في انكارهم وصلابتهم في امرهم واللومة المرة من اللوم
وفيها وفي التنكير مبالغتان كانه قيل لا يخافون شيئا قط من لوم احد من اللوام وذلك اشارة الى ما وصف به القوم من المحبة
والذلة والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة ويؤتيه يوفق له من يشاء ممن يعلم ان له لطفا واسع كثير الفواضل والالطاف
عليم بمن هو من اهلها انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون
عقب النهي عن موالاة من تجب معاداتهم ذكر من تجب موالاتهم بقوله انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا والمعنى
انما وجوب اختصاصهم بالموالاة فان قلت قد ذكرت جماعة فهلا قيل انما اولياؤكم قلت اصل الكلام انما وليكم
الله فجعلت الولاية على طريق الاصالة ثم نظم في سلك اثباتها له اثباتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على سبيل التبع
ولو قيل انما اولياؤكم الله ورسوله والذين امنوا لم يكن في الكلام اصل وتبع وفي قراءة عبد الله انما مولاكم الله فان قلت
الذين يقيمون ما محله قلت الرفع على البدل من الذين امنوا وعلى هم الذين يقيمون الصلاة او النصب على المدح وفيه تمييز
للخلص من الذين امنوا نفاقا او واطات قلوبهم السنتهم الا انهم مفرطون في العمل وهم راكعون الواو للحال اي يعملون ذلك

في

في حال الركوع وهو الخشوع والإخبات والتواضع لله تعالى إذا صلوا وإذا زكوا وقيل هو حال من يؤتون الزكاة بمعنى يؤتونها
في حال ركوعهم في الصلاة وإنها نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح
له خاتمه كأنه كان مرجا في خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلاته فإن قلت كيف صح أن يكون لعلي رضي
الله عنه واللفظ لفظ جماعة قلت جيء به على لفظ الجمع وإن كان السبب فيه رجلا واحدا ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا
مثل ثوابه ولينبه على أن سجية المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والإحسان وتفقد الفقراء حتى أن
لزمهم أمر لا يقبل التأخير وهم في الصلاة لم يؤخروه إلى الفراغ منها ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله
هم الغالبون فإن حزب الله من إقامة الظاهر مقام المضمر ومعناه فإنهم هم الغالبون ولكنهم بذلك جعلوا أعلاما لكونهم
حزب الله وأصل الحزب القوم يجتمعون لأمر حزبهم ويحتمل أن يريد بحزب الله الرسول والمؤمنين ويكون المعنى ومن
أصوا
يتولهم فقد تولى حزب الله واعتضد بمن لا يغالب يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا
من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين روي أن رفاعة بن زيد وسويد
ابن الحارث قد أظهرا الإسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت يعني أن اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا
لا يصح أن يقابل باتخاذكم إياهم أولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء والشنآن والمنابذة وفصل المستهزئين بأهل الكتاب
والكفار وإن كان أهل الكتاب من الكفار إطلاقا للكفار على المشركين خاصة والدليل عليه قراءة عبد الله ومن الذين
أشركوا وقرئ والكفار بالنصب والجر وتعضد قراءة الجر قراءة أبي ومن الكفار واتقوا الله في موالاة الكفار وغيرها
إن كنتم مؤمنين حقا لأن الإيمان حقا يأبى موالاة أعداء الدين وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك
بأنهم قوم لا يعقلون اتخذوها الضمير للصلاة أو للمناداة قيل كان رجل من النصارى بالمدينة إذا سمع المؤذن يقول
أشهد أن محمدا رسول الله قال حرق الكاذب فدخلت خادمة بنار ذات ليلة وهو نائم فتطايرت منها شرارة في البيت
فاحترق البيت واحترق هو وأهله وقيل فيه دليل على ثبوت الأذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده لا يعقلون لأن
لعبهم وهزوهم من أفعال السفهاء والجهلة فكأنه لا عقل لهم قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا
بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون قرأ الحسن هل تنقمون بفتح القاف والفصيح كسرها
والمعنى هل تعيبون منا وتنكرون إلا الإيمان بالكتب المنزلة كلها وأن أكثركم فاسقون فإن قلت علام عطف
قوله وأن أكثركم فاسقون قلت فيه وجهان أن يعطف على أن آمنا بمعنى وما تنقمون منا إلا الجمع بين إيماننا
وبين تمردكم وخروجكم عن الإيمان كأنه قيل وما تنكرون منا إلا مخالفتكم حيث دخلنا في دين الإسلام وأنتم خارجون
منه ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف أي واعتقاد أنكم فاسقون ومنها أن يعطف على المجرور أي وما تنقمون
منا إلا الإيمان بالله وبما أنزل وبأن أكثركم فاسقون ويجوز أن يكون الواو بمعنى مع أي أن أكثركم فاسقون ويجوز أن
يكون تعليلا معطوفا على تعليل محذوف كأنه قيل ما تنقمون منا إلا الإيمان لقلة إنصافكم وفسقكم واتباعكم الشهوات
ويدل عليه تفسير الحسن بفسقكم نقمتم ذلك علينا روي أنه أتى رسول الله عليه الصلاة والسلام نفر من اليهود فسألوه
عمن يؤمن به من الرسل فقال أومن بالله وما أنزل إلينا إلى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى عليه الصلاة
والسلام ما نعلم أهل دين أقل حظا في الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فنزلت وعن نعيم بن ميسرة وإن
أكثركم بالكسر ويحتمل أن ينتصب وأن أكثركم بفعل محذوف يدل عليه هل تنقمون منا أي ولا تنقمون أن أكثركم
فاسقون أو يرتفع على الابتداء والخبر محذوف أي وفسقكم ثابت معلوم عندكم لأنكم علمتم أنا على الحق وأنكم على الباطل

الا ان حب الرياسة وكسب الاموال لا يدعكم فتنصفوا **قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب**
عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل ذلك اشارة الى المنقوم
ولا بد من حذف مضاف قبله او قبل من تقديره بشر من اهل ذلك او دين من لعنه الله ومن لعنه الله في محل الرفع على
قولك هو من لعنه الله كقوله تعالى قل افأنبئكم بشر من ذلكم النار او في محل الجر على البدل من شر • وقرئ مثوبة
ومثوبة ومثلهما مشورة ومشورة فان قلت المثوبة مختصة بالاحسان فكيف جاءت في الاساءة قلت وضعت
المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله • تحية بينهم ضرب وجيع • ومنه فبشرهم بعذاب اليم فان قلت
المعاقبون من الفريقين هم اليهود فلم شورك بينهم في العقوبة قلت كان اليهود لعنوا يزعمون ان المسلمين ضالون
مستوجبون للعقاب • فقيل لهم من لعنه الله شر عقوبة في الحقيقة واليقين من اهل الاسلام في زعمكم ودعواكم وعبد
الطاغوت عطف على صلة من كانه قيل ومن عبد الطاغوت وفي قراءة ابي رضي الله عنه وعبدوا الطاغوت على المعنى
وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه ومن عبدوا وقرئ وعابد الطاغوت عطفا على القردة وعابدي وعباد وعبد
وعبد ومعناه الغلو في العبودية كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ في الحذر والفطنة • قال
• ابني لبيني ان امكم امة • وان اباكم عبد • وعبد بوزن حطم وعبيد وعبد بضمتين جمع عبيد
وعبدة بوزن كفرة وعبد واصله عبدة فحذفت التاء للاضافة او هو كخدم في جمع خادم وعبد وعباد واعبد
وعبد الطاغوت على البناء للمفعول وحذف الراجع بمعنى وعبد الطاغوت فيهم او بينهم وعبد الطاغوت بمعنى
صار الطاغوت معبودا من دون الله كقولك امر اذا صار اميرا وعبد الطاغوت بالجر عطفا على من لعنه
الله فان قلت كيف جاز ان يجعل الله منهم عباد الطاغوت قلت فيه وجهان احدهما انه خذلهم حتى عبدوها
والثاني انه حكم عليهم بذلك ووصفهم به كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا • وقيل
الطاغوت العجل لانه معبود من دون الله ولان عبادتهم للعجل مما زينه لهم الشيطان فكانت عبادتهم له عبادة للشيطان
وهو الطاغوت • وعن ابن عباس رضي الله عنهما • الطاغوت الكهنة وكل من اطاع احدا في معصية الله فقد عبده • وقرأ
الحسن رحمة الله عليه الطواغيت • وقيل وجعل منهم القردة اصحاب السبت • والخنازير كفار اهل مائدة عيسى عليه الصلاة
والسلام • وقيل كلا المسخين من اصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير • وروي انها لما نزلت
كان المسلمون يعيرون اليهود ويقولون يا اخوة القردة والخنازير فينكسون رؤسهم اولئك الملعونون الممسوخون
شر مكانا جعلت الشرارة للمكان وهي لاهله وفيه مبالغة ليست في قوله اولئك شر واضل لدخوله في باب
الكناية التي هي اخت المجاز **واذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله اعلم بما كانوا يكتمون**
نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهرون له الايمان نفاقا فاخبره الله بشأنهم
وانهم يخرجون من مجلسك كما دخلوا لم يتعلق بهم شيء مما سمعوا به من تذكيرك بآيات الله ومواعظك وقوله بالكفر وبه
حالان اي دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وتقديره ملتبسين بالكفر وكذلك قوله وهم قد خرجوا به ولذلك دخلت قد
تقريبا للماضي من الحال ولمعنى آخر وهو ان امارات النفاق كانت لائحة عليهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متوقعا
لاظهار الله ما كتموه فدخل حرف التوقع وهو متعلق بقوله آمنا اي قالوا ذلك وهذه حالهم **وترى كثيرا منهم يسارعون**
في الاثم والعدوان واكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم
السحت لبئس ما كانوا يصنعون الاثم الكذب بدليل قوله عن قولهم الاثم والعدوان الظلم وقيل الاثم كلمة الشرك

وقولهم عزير ابن الله وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى اثمه الى غيرهم والمسارعة في الشيء الشروع فيه بسرعة لبئس ما كانوا يصنعون كأنهم جعلوا آثم من مرتكبي المناكير لان كل عامل لا يسمى صانعا ولا كل عمل يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب اليه وكان المعنى في ذلك ان مواقع المعصية معه الشهوة التي تدعوه اليها وتحمله على ارتكابها واما الذي ينهاه فلا شهوة معه في فعل غيره فاذا فرط في الانكار كان اشد حالا من المواقع ولعمري ان هذه الآية مما يقد السامع وينعى على العلماء توانيهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي اشد آية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن آية اخوف عندي منها وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله ويسعون في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ومنه قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا يقصد من يتكلم به اثبات يد ولا غل ولا بسط ولا فرق عنده بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازا عنه كأنهما كلامان معتقبان على حقيقة واحدة حتى انه يستعمله في ملك لا يعطي عطاء قط اليد وقبضها عبارة ثابت ولا يمنعه الا باشارته من غير استعمال يده وبسطها وقبضها ولو اعطى الاقطع الى المنكب عطاء جزلا لقالوا ما ابسط يده بالنوال لان بسط اليد وقبضها عبارتان وقعتا متعاقبتين للبخل والجود وقد استعملوا حيث لا تصح اليد كقوله

جاد الحمى بسط اليدين بوابل * شكرت نداه تلاعه ووهاده

وقد جعل لبيد للشمال يدا في قوله * اذ اصبحت بيد الشمال زمامها

ويقال بسط اليأس كفيه في صدري فجعلت لليأس الذي هو من المعاني لا من الاعيان كفان ومن لم ينظر في علم البيان عمي عن تبصر محجة الصواب في تأويل امثال هذه الآية ولم يتخلص من يد الطاعن اذا عبثت به فان قلت قد صح ان قوله يد الله مغلولة عبارة عن البخل فما تصنع بقوله غلت ايديهم ومن حقه ان يطابق ما تقدمه والا تنافر الكلام وزل عن سننه قلت يجوز ان يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل والنكد ومن ثم كانوا ابخل خلق الله وانكدهم ونحوه بيت الاشتر

بقيت وفري وانحرفت عن العلى * ولقيت اضيافي بوجه عبوس

ويجوز ان يكون دعاء عليهم بغل الايدي حقيقة يغلون في الدنيا اسارى وفي الآخرة معذبين باغلال جهنم والطباق من حيث اللفظ وملاحظة اصل المجاز كما تقول سبني سب الله دابره اي قطعه لان السب اصله القطع فان قلت كيف جاز ان يدعو الله عليهم بما هو قبيح وهو البخل قلت المراد به الدعاء بالخذلان الذي تقسو به قلوبهم فيزيدون بخلا الى بخلهم ونكدا الى نكدهم او بما هو مسبب عن البخل والنكد من لصوق العار بهم وسوء الاحدوثة التي تخزيهم وتمزق اعراضهم فان قلت لم ثنيت اليد في بل يداه مبسوطتان وهي مفردة في يد الله مغلولة قلت ليكون رد قولهم وانكاره ابلغ وادل على اثبات غاية السخاء له ونفي البخل عنه وذلك ان غاية ما يبذله السخي بماله من نفسه ان يعطيه بيديه جميعا فبنى المجاز على ذلك وقرئ ولعنوا بسكون العين وفي مصحف عبد الله بل يداه بسطان يقال يد بسط بالمعروف ونحوه مشية سجح وناقة سرح ينفق كيف يشاء تأكيد للوصف بالسخاء ودلالة على انه لا ينفق الا على مقتضى الحكمة والمصلحة روي ان الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا فلما عصوا الله في محمد وكذبوه كف الله تعالى ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء يد الله مغلولة ورضي بقوله الآخرون فاشركوا فيه وليزيدن اي يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم تماديا في الجحود وكفرا بآيات الله والقينا بينهم العداوة فكلمهم ابدا مختلفة وقلوبهم شتى لا يقع اتفاق بينهم ولا تعاضد

كلما اوقدوا نارا المحاربة احدٍ غُلبوا وقُهروا ولم يقم لهم نصرٌ من الله على احد قط وقد اتاهم الاسلام وهم في مُلك المجوس وقيل خالفوا
حكم التوراة فبعث الله عليهم بُختَ نصّر ثم افسدوا فسلّط عليهم بطرس الرومي ثم افسدوا فسلّط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلّط
الله عليهم المسلمين وقيل كلما حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نُصر عليهم وعن قتادة لا تلقى اليهود ببلدة الا وجدتهم من اذلّ
الناس ويسعون ويجتهدون في الكيد للاسلام ومحو ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتبهم ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا
لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم ولو ان اهل الكتاب مع ما عددنا من سيئاتهم امنوا برسول الله
صلى الله عليه وسلم وبما جاء به وقرنوا ايمانهم بالتقوى التي هي الشريطة في الفوز بالايمان لكفرنا عنهم تلك السيئات ولم
نؤاخذهم بها ولادخلناهم مع المسلمين الجنة وفيه اعلام بعظم معاصي اليهود والنصارى وكثرة سيئاتهم ودلالة
على سعة رحمة الله وفتحه باب التوبة على كل عاص وان عظمت معاصيه وبلغت مبالغ سيئات اليهود والنصارى وان
الايمان لا ينجي ولا يسعد الا مشفوعا بالتقوى كما قال الحسن هذا العمود فاين الاطناب ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل
وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم منهم امة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون ولو انهم
اقاموا التوراة والانجيل اقاموا احكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وما انزل اليهم
من سائر كتب الله لانهم مكلفون الايمان بجميعها فكانت انزلت اليهم وقيل هو القرآن لوسّع الله عليهم الرزق وكانوا قد
قحطوا وقوله لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم عبارة عن التوسعة وفيه ثلاثة اوجه ان يفيض عليهم بركات السماء
وبركات الارض وان يكثر الاشجار المثمرة والزروع المغلّة وان يرزقهم الجنان اليانعة الثمار يجتنون ما تهدّل منها
من رؤس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض من تحت ارجلهم ومنهم امة مقتصدة طائفة حالها امم في عداوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل هي الطائفة المؤمنة عبد الله بن سلام واصحابه وثمانية واربعون من النصارى وساء ما يعملون
فيه معنى التعجب كانه قيل وكثير منهم ما اسوأ عملهم وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه والروم يا ايها الرسول بلّغ ما انزل
اليك من ربك وان لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين بلّغ
ما انزل اليك من ربك جميع ما انزل اليك واي شيء انزل اليك غير مراقب في تبليغه احدا ولا خائف ان ينالك مكروه وان
لم تفعل وان لم تبلّغ جميعه كما امرتك فما بلّغت رسالته وقرئ رسالاته فلم تبلّغ اذن ما كلّفت من اداء الرسالات
ولم تؤدّ منها شيئا قط وذلك ان بعضها ليس باولى بالاداء من بعض فان لم تؤدّ بعضها فكانك اغفلت اداءها جميعا كما ان من
لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لادلاء كل منها بما يدلي به غيرها وكونها لذلك في حكم شيء واحد والشيء الواحد لا يكون
مبلّغا غير مبلّغ مؤمنا به غير مؤمن به وعن ابن عباس رضي الله عنه ان كتمت اية لم تبلّغ رسالاتي وروي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فاوحى الله تعالى اليّ ان لم تبلّغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت
فان قلت وقوع قوله فما بلّغت رسالاته جزاء للشرط ما وجه صحته قلت فيه وجهان احدهما انه اذا لم يمتثل امر الله
في تبليغ الرسالات وكتمها كلها كانه لم يبعث رسولا كان امرا شنيعا لا خفاء بشناعته فقيل ان لم تبلّغ منها ادنى شيء وان كلمة
واحدة فانت كمن ركب الامر الشنيع الذي هو كتمانها كلها كما عظّم قتل النفس بقوله عز وجل فكانما قتل الناس جميعا والثاني ان يراد
فان لم تفعل فلك ما يوجبه كتمان الوحي كله من العقاب فوضع السبب موضع المسبب ويعضده قوله النبي صلى الله عليه وسلم
اوحى الله اليّ ان لم تبلّغ رسالاتي عذبتك والله يعصمك عدة من الله بالحفظ والكلاءة والمعنى والله يضمن لك العصمة من اعدائك
فما عذرك في مراقبتهم فان قلت اين ضمان العصمة وقد شُجّ وجهه يوم احد وكسرت رباعيته قلت المراد انه يعصمه
من القتل وفيه ان عليه ان يحتمل ما دون النفس في ذات الله تعالى فما اشد تكليف الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل نزلت بعد يوم

بلغ مقابلة

احد والناس

بلغ مقابلة

يوم أحد والثاني أظهر بدليل قوله إن الله لا يهدي القوم الكافرين ومعناه أنه لا يمكنهم مما يريدون إنزاله بك من الهلاك وعن
أنس بن مالك رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فأخرج رأسه من قبة أدم فقال انصرفوا أيها الناس فقد
عصمني الله من الناس قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيرا
منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين لستم على شيء أي على دين يعتد به حتى يسمى
شيئا لفساده وبطلانه كما تقول هذا ليس بشيء تريد تحقيره وتصغير شأنه وفي أمثالهم أقل من لا شيء فلا تأسف عليهم لزيادة
طغيانهم وكفرهم فإن ضرر ذلك راجع إليهم لا إليك وفي المؤمنين غنى عنهم إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى
من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية
به التأخير عما في حيز إن من اسمها وخبرها كأنه قيل إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك
وأنشد سيبويه شاهدا له ، وإلا فاعلموا أنا وأنتم ، بغاة ما بقينا في شقاق ،
أي فاعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك فإن قلت هلا زعمت أن ارتفاعه للعطف على محل إن واسمها قلت لا يصح
ذلك قبل الفراغ من الخبر لا تقول إن زيدا وعمرو منطلقان فإن قلت لم لا يصح والنية به التأخير فكأنك قلت إن
زيدا منطلق وعمرو قلت لأني إذا رفعته رفعته عطفا على محل إن واسمها والعامل في محلهما هو الابتداء فيجب أن
يكون هو العامل في الخبر لأن الابتداء ينتظم الجزأين في عمله كما تنتظمهما إن في عملها فلو رفعت الصابئون المنوي به التأخير
بالابتداء وقد رفعت الخبر بإن لأعملت فيهما رافعين مختلفين فإن قلت فقوله والصابئون معطوف لا بد له من معطوف
عليه فما هو قلت هو مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله إن الذين آمنوا إلخ ولا محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها
فإن قلت ما التقديم والتأخير إلا لفائدة فما فائدة هذا التقديم قلت فائدته التنبيه على أن الصابئين يتاب عليهم إن
صح منهم الإيمان والعمل الصالح فما الظن بغيرهم وذلك أن الصابئين أبين هؤلاء المعدودين ضلالا وأشدهم غيا وما سموا صابئين
إلا لأنهم صبأوا عن الأديان كلها أي خرجوا كما أن الشاعر قدم قوله وأنتم تنبيها على أن المخاطبين أوغل في الوصف بالبغاة من قومه
حيث عاجل به قبل الخبر الذي هو بغاة لئلا يدخل قومه في البغي قبلهم مع كونهم أوغل فيه منهم وأثبت قدما فإن قلت فلو
قيل والصابئين وإياكم لكان التقديم حاصلا قلت لو قيل هكذا لم يكن من التقديم في شيء لأنه لا إزالة فيه عن موضعه وإنما يقال
مقدم ومؤخر للمزال لا للقار في مكانه ومجرى هذه الجملة مجرى الاعتراض في الكلام فإن قلت كيف قيل الذين آمنوا ثم قيل
من آمن قلت فيه وجهان أن يراد بالذين آمنوا الذين آمنوا بألسنتهم وهم المنافقون وأن يراد بمن آمن من ثبت على
الإيمان واستقام ولم تخالجه ريبة فيه فإن قلت فما محل من آمن قلت إما الرفع على الابتداء وخبره فلا خوف عليهم
والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط ثم الجملة كما هي خبر إن وإما النصب على البدل من اسم إن وما عطف عليه أو من المعطوف عليه
فإن قلت فأين الراجع إلى اسم إن قلت محذوف تقديره من آمن منهم كما جاء في موضع آخر وقرئ والصابيون
بياء صريحة وهو من تخفيف الهمزة كقراءة من قرأ يستهزيون والصابون وهو من صبوت لأنهم صبوا إلى اتباع الهوى
والشهوات في دينهم ولم يتبعوا أدلة العقل والسمع وفي قراءة أبي والصابئين بالنصب وبها قرأ ابن كثير وقرأ عبد الله
يا أيها الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما
لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون لقد أخذنا ميثاقهم بالتوحيد وأرسلنا إليهم رسلا ليقفوهم على ما يأتون
وما يذرون في دينهم كلما جاءهم رسول جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع محذوف أي رسول منهم بما لا تهوى
أنفسهم بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع فإن قلت أين جواب الشرط فإن قوله

فإن قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون ناب عن الجواب لأن الرسول الواحد لا يكون فريقين ولأنه لا يحسن أن تقول إن أكرمت أخي
أخاك أكرمت فإن قلت هو محذوف يدل عليه قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون كأنه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه
وقوله فريقا كذبوا جواب مستأنف لقائل يقول كيف فعلوا برسلهم فإن قلت لم جيء بأحد الفعلين ماضيا وبالآخر مضارعا
قلت جيء بيقتلون على حكاية الحال الماضية استفظاعا للقتل واستحضارا لتلك الحال الشنيعة للتعجب منها وحسبوا ألا تكون
فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون قرئ أن لا تكون بالنصب على الظاهر
وبالرفع على أن أن هي المخففة من الثقيلة أصله أنه لا تكون فتنة فخففت أن وحذف ضمير الشأن فإن قلت كيف دخل
فعل الحسبان على أن التي هي للتحقيق قلت نزل حسبانهم لقوته في صدورهم منزلة العلم فإن قلت فأين مفعولا حسب
قلت سد ما يشتمل عليه صلة أن وأن من المسند والمسند إليه مسد المفعولين والمعنى وحسب بنو إسرائيل أنهم لا يصيبهم من الله
فتنة أي بلاء وعذاب في الدنيا والآخرة فعموا عن الدين وصموا حين عبدوا العجل ثم تابوا عن عبادة العجل فتاب الله عليهم ثم عموا
وصموا كرة ثانية بطلبهم المحال غير المعقول في صفات الله وهو الرؤية وقرئ عموا وصموا بالضم على تقدير عماهم الله وصممهم
أي رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكته إذا ضربته بالنيزك وركبته إذا ضربته بركبتك وكثير منهم بدل من الضمير أو على
قولهم أكلوني البراغيث أو هو خبر مبتدأ محذوف أي أولئك كثير منهم لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال
المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار
لم يفرق عيسى صلوات الله عليه وسلم بينه وبينهم في أنه عبد مربوب كمثلهم وهو احتجاج على النصارى إنه من يشرك بالله في عبادته
أو فيما هو مختص به من صفاته أو أفعاله فقد حرم الله عليه الجنة التي هي دار الموحدين أي حرمه دخولها ومنعه منها كما يمنع المحرم
من المحرم عليه وما للظالمين من أنصار من كلام الله على أنهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى عليه الصلاة والسلام فلذلك
لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ورده وأنكره وإن كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره أو من قول عيسى عليه الصلاة والسلام
على معنى ولا ينصركم أحد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول أو ولا ينصركم ناصر في الآخرة من عذاب الله
لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب
أليم من في قوله وما من إله إلا إله واحد للاستغراق وهي المقدرة مع لا التي لنفي الجنس في قولك لا إله إلا الله والمعنى وما إله
قط في الوجود إلا إله موصوف بالوحدانية لا ثاني له وهو الله وحده لا شريك له ومن في قوله ليمسن الذين كفروا منهم للبيان
كالتي في قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الأوثان فإن قلت فهلا قيل ليمسنهم عذاب أليم قلت في إقامة الظاهر
مقام المضمر فائدة وهي تكرير الشهادة عليهم بالكفر في قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا وفي البيان فائدة أخرى
وهي الإعلام في تفسير الذين كفروا منهم أنهم بمكان من الكفر والمعنى ليمسن الذين كفروا من النصارى خاصة عذاب أليم
أي نوع شديد الألم من العذاب كما تقول أعطني عشرين من الثياب تريد من الثياب خاصة لا من غيرها من الأجناس التي
يجوز أن يتناولها عشرون ويجوز أن تكون للتبعيض على معنى ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم لأن كثيرا منهم تابوا من النصرانية
أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم أفلا يتوبون بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا الوعيد
الشديد مما هم عليه وفيه تعجيب من إصرارهم والله غفور رحيم يغفر لهؤلاء إن تابوا ولغيرهم ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد
خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون قد خلت
من قبله الرسل صفة لرسول أي ما هو إلا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاء بآيات من الله كما أتوا بأمثالها
إن أبرأ الله الأبرص وأحيا الله الموتى على يده فقد أحيا الله العصا وجعلها حية تسعى وفلق البحر وطمس على يد موسى عليه السلام

وإن

الاعتداء

وإن خلقه الله من غير ذكر فقد خلق الله آدم عليه الصلاة والسلام من غير ذكر وأنثى وأمه صديقة أي وما أمه أيضًا
إلا كبعض النساء المصدقات للأنبياء المؤمنات بهم فما منزلتهما إلا منزلة بشرين أحدهما نبي والآخر صحابي فمن أين اشتبه
عليكم أمرهما حتى وصفتموهما بما لم يوصف به سائر الأنبياء وصحابتهم مع أنه لا تميز ولا تفاوت بينهما وبينهم بوجه من
الوجوه ثم صرح ببعدهما عما نسبت إليهما في قوله كانا يأكلان الطعام لأن من احتاج إلى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم
والنفض لم يكن إلا جسمًا مركبًا من عظم ولحم وعروق وأعصاب وأخلاط وأمزجة مع شهوة وقرم وغير ذلك مما يدل على
أنه مصنوع مؤلف مدبر كغيره من الأجسام كيف نبين لهم الآيات أي الأعلام من الأدلة الظاهرة على بطلان قولهم
أنى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله فإن قلت ما معنى التراخي في قوله ثم انظر قلت معناه ما بين
العجبين يعني أنه بين لهم الآيات بيانًا عجبًا وأن إعراضهم عنها أعجب منه قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك
لكم ضرًا ولا نفعًا والله هو السميع العليم ما لا يملك هو عيسى عليه الصلاة والسلام أي شيئًا لا يستطيع أن يضركم بمثل ما
يضركم به الله من البلايا والمصائب في الأنفس والأموال ولا أن ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحة الأبدان والسعة والخصب
ولأن كل ما يستطيعه البشر من المضار والمنافع فبإقدار الله وتمكينه فكأنه لا يملك منه شيئًا وهذا دليل قاطع على أن
أمره مناف للربوبية حيث جعله لا يستطيع ضرًا ولا نفعًا وصفة الرب أن يكون قادرًا على كل شيء لا يخرج مقدور عن قدرته والله
هو السميع العليم متعلق بأتعبدون أي أتشركون بالله ولا تخشونه وهو الذي يسمع ما تقولون ويعلم ما تعتقدون
أو أتعبدون العاجز والله هو السميع العليم الذي يصح منه أن يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم ولن يكون كذلك
إلا وهو حي قادر قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرًا وضلوا
عن سواء السبيل لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون
عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون غير الحق صفة للمصدر أي لا تغلوا في دينكم غلوًا غير الحق أي غلوًا باطلًا لأن الغلو
في الدين غلوان حق وهو أن يفحص عن حقائقه ويفتش عن أباعد معانيه ويجتهد في تحصيل حججه كما يفعل المتكلمون من أهل
العدل والتوحيد وغلو باطل وهو أن يتجاوز الحق ويتخطاه بالإعراض عن الأدلة واتباع الشبه كما يفعل أهل الأهواء
والبدع قد ضلوا من قبل هم أئمتهم في النصرانية كانوا على الضلال قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وأضلوا كثيرًا ممن
شايعهم على التثليث وضلوا لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سواء السبيل حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه
نزل الله لعنهم في الزبور على لسان داود وفي الإنجيل على لسان عيسى وقيل إن أهل أيلة لما اعتدوا في السبت قال
داود صلوات الله عليه اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة ولما كفر أصحاب عيسى صلوات الله عليه بعد المائدة قال
عيسى عليه الصلاة والسلام اللهم عذب من كفر بعد ما أكل من المائدة عذابًا لم تعذبه أحدًا من العالمين والعنهم كما لعنت أصحاب
السبت فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبي ذلك بما عصوا أي لم يكن ذلك اللعن الشنيع
الذي كان سبب المسخ إلا لأجل المعصية والاعتداء لا لشيء آخر ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله كانوا لا يتناهون لا ينهى
بعضهم بعضًا عن منكر فعلوه ثم قال لبئس ما كانوا يفعلون للتعجب من سوء فعلهم مؤكدًا لذلك بالقسم فيا حسرتا على المسلمين في
إعراضهم عن باب التناهي عن المناكير وقلة عبئهم به كأنه ليس من ملة الإسلام في شيء مع ما يتلون من ترك التناهي عن
المنكر من كلام الله وما فيه من المبالغات في هذا الباب فإن قلت كيف وقع ترك التناهي عن المنكر تفسيرًا للمعصية
والاعتداء قلت من قبل أن الله عز وجل أمر بالتناهي فكان الإخلال به معصية وهو اعتداء لأن في التناهي حسمًا
للفساد فكان تركه على عكسه فإن قلت ما معنى وصف المنكر بفعلوه ولا يكون النهي بعد الفعل قلت معناه لا يتناهون

عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله كما ترى امارات الخوض في الفسق والاته تسوى وتهيا
تسكر ويجوز ان يراد لا ينتهون ولا يمتنعون عن منكر فعلوه بل يصرون عليه ويداومون على فعله يقال تناهى عن الامر
وانتهى عنه اذا امتنع منه وتركه **ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم**
وفي العذاب هم خالدون ترى كثيرا منهم هم منافقوا اهل الكتاب كانوا يوالون المشركين ويصافونهم ان سخط الله
عليهم هو المخصوص بالذم محله الرفع كانه قيل لبئس زادهم الى الاخرة سخط الله عليهم والمعنى موجب سخط الله **ولو كانوا**
يؤمنون بالله ٧ **والنبي ما اتخذوهم اولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود**
والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم
لا يستكبرون ولو كانوا يؤمنون ايمانا صالحا غير نفاق ما اتخذوا المشركين اولياء يعني ان موالاة المشركين كفى بها دليلا
على نفاقهم وان ايمانهم ليس بايمان ولكن كثيرا منهم فاسقون متمردون في كفرهم ونفاقهم وقيل معناه ولو كانوا
يؤمنون بالله وموسى كما يدعون ما اتخذوا المشركين اولياء كما لم يوالهم المسلمون وصف الله شدة شكيمة اليهود وصعوبة
اجابتهم الى الحق ولين عريكة النصارى وسهولة ارعوائهم وميلهم الى الاسلام وجعل اليهود قرناء المشركين في شدة
العداوة للمؤمنين بل نبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على الذين اشركوا وكذلك فعل في قوله ولتجدنهم احرص
الناس على حيوة ومن الذين اشركوا ولعمري انهم لكذلك واشد وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما خلا يهوديان بمسلم الا
هما بقتله وعلل سهولة مأخذ النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين بان منهم قسيسين ورهبانا اي علماء وعبادا
وانهم قوم فيهم تواضع واستكانة ولا كبر فيهم واليهود على خلاف ذلك وفيه دليل بين على ان العلم انفع شيء
واهداه الى الخير وادله على الفوز حتى علم القسيسين وكذلك غم الاخرة والتحدث بالعاقبة وان كان في راهب
والبراءة من الكبر وان كانت في نصراني ووصفهم برقة القلوب وانهم يبكون عند استماع القران وذلك نحو
ما يحكى عن النجاشي انه قال لجعفر بن ابي طالب حين اجتمع في مجلسه المهاجرون الى الحبشة والمشركون وهم يغرونه عليهم ويتطلبون
عنتهم عنده هل في كتابكم ذكر مريم قال جعفر فيه سورة تنسب اليها فقرأها الى قوله ذلك عيسى بن مريم وقرا سورة طه الى
قوله وهل اتيك حديث موسى فبكى النجاشي وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم سبعون
حين قرا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس فبكوا فان قلت بم تعلقت للذين امنوا قلت بعداوة ومودة
على ان عداوة اليهود التي اختصت المؤمنين اشد العداوات واظهرها وان مودة النصارى التي اختصت المؤمنين
اقرب المودات وادناها وجودا واسهلها حصولا ووصف اليهود بالعداوة والنصارى بالمودة مما يؤذن بالتفاوت
ثم وصف العداوة والمودة بالاشد والاقرب **واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما**
عرفوا من الحق يقولون ربنا امنا فاكتبنا مع الشاهدين وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا
ربنا مع القوم الصالحين فان قلت ما معنى قوله تفيض من الدمع معناه تمتلي من الدمع حتى تفيض لان تمتلي الاناء
او غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء وهو من اقامة المسبب مقام السبب او قصدت
المبالغة في وصفهم بالبكاء فجعلت اعينهم كانها تفيض بانفسها اي تسيل من الدمع من اجل البكاء من قولك دمعت عينه
دمعا فان قلت اي فرق بين من ومن في قوله مما عرفوا من الحق قلت الاولى لابتداء الغاية على ان فيض الدمع ابتدا
ونشا من معرفة الحق وكان من اجله وبسببه والثانية لتبيين الموصول الذي هو ما عرفوا ويحتمل معنى التبعيض على انهم
عرفوا بعض الحق فابكاهم وبلغ منهم فكيف اذا عرفوه كله وقرؤا القران واحاطوا بالسنة وقرئ ترى اعينهم على البناء للمفعول

والانبياء وما انزل اليه

ربنا

ربنا آمنا المراد منه إنشاء الإيمان والدخول فيه فاكتبنا مع الشاهدين مع أمة محمد الذين هم شهداء على سائر الأمم يوم القيامة
لتكونوا شهداء على الناس وقالوا ذلك لأنهم وجدوا ذكرهم في الإنجيل كذلك وما لنا لا نؤمن إنكار واستبعاد لانتفاء الإيمان
مع قيام موجبه وهو الطمع في إنعام الله عليهم بصحبة الصالحين وقيل لما رجعوا إلى قومهم لاموهم فأجابوهم بذلك أو أرادوا
وما لنا لا نؤمن بالله وحده لأنهم كانوا مثلثين وذلك ليس بإيمان بالله ومحل لا نؤمن النصب على الحال بمعنى غير مؤمنين
كقولك ما لك قائما والواو في ونطمع واو الحال فإن قلت ما العامل في الحال الأولى والثانية قلت العامل في
الأولى ما في اللام من معنى الفعل كأنه قيل أي شيء حصل لنا غير مؤمنين وفي الثانية معنى الفعل ولكن مقيدا بالحالة
الأولى لأنك لو أزلتها وقلت وما لنا ونطمع لم يكن كلاما ويجوز أن يكون ونطمع حالا من لا نؤمن على أنهم أنكروا على
أنفسهم أنهم لا يوحدون الله ويطمعون مع ذلك أن يصحبوا الصالحين وأن يكون معطوفا على لا نؤمن على معنى وما لنا
نجمع بين التثليث وبين الطمع في صحبة الصالحين أو على معنى وما لنا لا نجمع بينهما بالدخول في الإسلام لأن الكافر ما ينبغي له
أن يطمع في صحبة الصالحين فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء
المحسنين والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم
ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين وإن الحسن فأثابهم الله بما قالوا بما تكلموا به عن اعتقاد وإخلاص من قولك هذا قول
أي فلان اعتقاده وما يذهب إليه طيبات ما أحل الله لكم ما طاب ولذ من الحلال ومعنى لا تحرموا لا تمنعوها أنفسكم
كمنع التحريم ولا تقولوا حرمناها على أنفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا وروي أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وصف القيامة لأصحابه يوما فبالغ وأشبع الكلام في الإنذار فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن
مظعون واتفقوا على أن لا يزالوا صائمين قائمين وأن لا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء
والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الأرض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
لهم إني لم أومر بذلك إن لأنفسكم عليكم حقا فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل
اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل الدجاج
والفالوذ وكان يعجبه الحلواء والعسل وقال إن المؤمن حلو يحب الحلاوة وعن ابن مسعود رضي الله أن رجلا قال له إني
حرمت الفراش فتلا هذه الآية وقال نم على فراشك وكفر عن يمينك وعن الحسن أنه دعي إلى طعام ومعه فرقد السبخي وأصحابه
فقعدوا على المائدة وعليها الألوان من الدجاج المسمن والفالوذ وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية فسأل الحسن أهو صائم قالوا لا
ولكنه يكره هذه الألوان فأقبل الحسن عليه وقال يا فريقد أترى لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن يعيبه مسلم
وعنه أنه قيل له فلان لا يأكل الفالوذ ويقول لا أؤدي شكره قال أفيشرب الماء البارد قال نعم قال إنه جاهل إن نعمة
الله عليه في الماء البارد أكثر من نعمته في الفالوذ وعنه إن الله أدب عباده فأحسن أدبهم قال لينفق ذو سعة من سعته ما
عاب الله قوما وسع عليهم الدنيا فتنعموا وأطاعوا ولا عذر قوما زواها عنهم فعصوه ولا تعتدوا ولا تتعدوا حدود ما أحل
لكم إلى ما حرم عليكم أو ولا تسرفوا في تناول الطيبات اعتداء وظلما فنهي عن الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولا
أوليا لوروده على عقبه أو أراد ولا تعتدوا بذلك وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا وكلوا مما رزقكم الله أي من
الوجوه الطيبة التي تسمى رزقا حلالا حال مما رزقكم الله واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو في
أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان واتقوا الله تأكيد للتوصية بما أمر به وزاده تأكيدا بقوله الذي أنتم به مؤمنون لأن
الإيمان به يوجب التقوى في الانتهاء إلى ما أمر به وعما نهي عنه اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم واختلف فيه فعن عائشة

المعنى أي شيء حصل لنا غير مؤمنين فتصيبه طامعين أي لم لا نكون مؤمنين طامعين وهو موافق للحال الثاني كما في ... ومعنى ما لنا لا نجمع بينهما في الدخول في الإسلام

رضي الله عنها انما سئلت عنه فقالت هو قول الرجل لا والله وبلى والله، وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه وعن مجاهد هو الرجل
يحلف على الشيء يرى انه كذلك وليس كما ظن وهو قول ابي حنيفة رضي الله عنه بما عقدتم الايمان بتعقيدكم الايمان وهو توثيقها
بالقصد والنية وروي ان الحسن سئل عن لغو اليمين وكان عنده الفرزدق فقال يا ابا سعيد دعني اجب عنك فقال
، ولست بمأخوذ بلغو تقوله، اذا لم تعمد عاقدات العزائم، وقرئ عقدتم بالتخفيف وعاقدتم والمعنى
ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم فحذف وقت المؤاخذة لانه كان معلوما عندهم او بنكث ما عقدتم فحذف المضاف
فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم او كسوتهم فكفارته فكفارة نكثه والكفارة الفعلة التي من شأنها ان
تكفر الخطيئة اي تسترها من اوسط ما تطعمون من اقصده لان منهم من يسرف في اطعام اهله ومنهم من يقتر وهو عند
ابي حنيفة رحمه الله نصف صاع من بر او صاع من غيره لكل مسكين او يغديهم ويعشيهم وعند الشافعي رضي الله عنه
مد لكل مسكين وقرأ جعفر بن محمد اهاليكم بسكون الياء والاهالي اسم جمع لاهل كالليالي في جمع ليلة والاراضي في جمع ارض
وقولهم اهلون كقولهم ارضون بسكون الراء وانما تسكين الياء في حال النصب فللتخفيف كما قالوا رأيت معدي كرب تشبيها
للياء بالالف او كسوتهم عطف على محل من اوسط وقرئ بضم الكاف ونحوه قدوة في قدوة واسوة في اسوة والكسوة
ثوب يغطي العورة وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت العباءة تجزئ يومئذ وعن ابن عمر رضي الله عنه ازار وقميص او رداء
او كساء وعن مجاهد ثوب جامع وعن الحسن ثوبان ابيضان وقرأ سعيد بن المسيب واليماني او كأسوتهم بمعنى او مثل
ما تطعمون اهليكم اسرافا كان او تقتيرا لا تنقصونهم عن مقدار نفقتهم ولكن تواسون بينهم وبينهم فان قلت ما محل الكاف
قلت الرفع تقديره او اطعامهم كاسوتهم بمعنى لمثل طعامهم ان لم تطعموهم الاوسط او تحرير رقبة مؤمنة او تحرير رقبة
شرط الشافعي رضي الله عنه الايمان قياسا على كفارة القتل واما ابو حنيفة واصحابه رحمهم الله فقد جوزوا تحرير الرقبة في
الكافرة في كل كفارة سوى القتل فان قلت ما معنى او قلت التخيير وايجاب احدى الكفارات الثلاث على الاطلاق
بايتها المكفر فقد اصاب فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم كذلك يبين
الله لكم اياته لعلكم تشكرون فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام متتابعات عند ابي حنيفة رضي الله عنه متمسكا بقراءة ابي وابن مسعود
رضي الله عنهما فصيام ثلاثة ايام متتابعات وعن مجاهد كل صوم متتابع الا قضاء رمضان ويخير في كفارة اليمين
ذلك المذكور كفارة ايمانكم ولو قيل تلك كفارة ايمانكم لكان صحيحا بمعنى تلك الاشياء او لتأنيث الكفارة والمعنى اذا حلفتم
وحنثتم فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بان الكفارة انما تجب بالحنث في الحلف لا بنفس الحلف والتكفير قبل الحنث
لا يجوز عند ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله ويجوز عند الشافعي بالمال اذا لم يعص الحانث واحفظوا ايمانكم فبروا
فيها ولا تحنثوا اراد الايمان التي الحنث فيها معصية لان الايمان اسم جنس يجوز اطلاقه على بعض الجنس وعلى كله وقيل
احفظوها بان تكفروها وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا بها كذلك مثل ذلك البيان يبين الله لكم
اياته اعلام شريعته واحكامه لعلكم تشكرون نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه يا ايها الذين امنوا انما
الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة
والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون اكد تحريم الخمر والميسر وجوها من التاكيد
منها تصدير الجملة بانما ومنها انه قرنهما بعبادة الاصنام ومنه قوله عليه الصلاة والسلام شارب الخمر كعابد الوثن ومنها
انه جعلهما رجسا كما قال فاجتنبوا الرجس من الاوثان ومنها انه جعلهما من عمل الشيطان والشيطان لا يأتي منه الا الشر البحت
ومنها انه امر بالاجتناب ومنها انه جعل الاجتناب من الفلاح واذا كان الاجتناب فلاحا كان الارتكاب خيبة

ومحقة

ومنها أنه ما ينتج منهما من الوبال وهو وقوع التعادي والتباغض بين أصحاب الخمر والقمر وما يؤديان إليه من الصد عن ذكر
الله وعن مراعاة أوقات الصلوات وقوله فهل أنتم منتهون من أبلغ ما ينهى به كأنه قيل قد تلي عليكم ما فيهما من أنواع
الصوارف والموانع فهل أنتم مع هذه الصوارف منتهون أم أنتم على ما كنتم عليه كأن لم توعظوا ولم تزجروا فإن قلت
إلام يرجع الضمير في قوله فاجتنبوه قلت إلى المضاف المحذوف كأنه قيل إنما شأن الخمر والميسر أو تعاطيهما وما أشبه
ذلك ولذلك قال رجس من عمل الشيطان فإن قلت لم جمع الخمر والميسر مع الأنصاب والأزلام وإظهار أن ذلك جميعا
من أعمال الجاهلية وأهل الشرك لوجب اجتنابه بأسره وكأنه لا مباينة بين من عبد صنما وأشرك بالله في علم الغيب
وبين من شرب خمرا أو قامر ثم أفردهما بالذكر ليري أن المقصود بالذكر الخمر والميسر وقوله وعن الصلوة فهل
اختصاص للصلوة من بين الذكر كأنه قيل وعن الصلوة خصوصا وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن
توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا
وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين واحذروا وكونوا حذرين
خاشين لأنهم إذا حذروا دعاهم الحذر إلى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة ويجوز أن يراد واحذروا ما عليكم في
الخمر والميسر أو في ترك طاعة الله والرسول فإن توليتم فاعلموا أنكم لم تضروا بتوليكم الرسول لأن الرسول ما كلف
إلا البلاغ المبين بالآيات وإنما ضررتم أنفسكم حين أعرضتم عما كلفتموه رفع الجناح عن المؤمنين في أي شيء
طعموه من مستلذات المطاعم ومشتهياتها إذا ما اتقوا ما حرم عليهم منها وآمنوا وثبتوا على الإيمان والعمل الصالح
ثم اتقوا وأحسنوا ثم ثبتوا على اتقاء المعاصي وأحسنوا أعمالهم وأحسنوا إلى الناس وآسوهم بما رزقهم الله من الطيبات
وقيل لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة رضوان الله عليهم يا رسول الله فكيف إخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر
ويأكلون الميسر فنزلت يعني أن المؤمنين لا جناح عليهم في أي شيء طعموه من المباحات إذا ما اتقوا المحارم ثم اتقوا وآمنوا
ثم اتقوا وأحسنوا على معنى أن أولئك كانوا على هذه الصفة ثناء عليهم وحمدا لأحوالهم في الإيمان والتقوى والإحسان
ومثاله أن يقال لك هل على زيد فيما فعل جناح وقد علمت أن ذلك أمر مباح ليس على أحد جناح في المباح إذا
إذا اتقى المحارم وكان مؤمنا محسنا تريد أن زيدا تقي مؤمن محسن وأنه غير مؤاخذ بما فعل يا أيها الذين
آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله
عذاب أليم يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم
نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وهم محرمون وكثر عندهم حتى كان يغشاهم في رحالهم فيستمكنون من صيده
أخذا بأيديهم وطعنا برماحهم ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز من يخاف عقاب الله وهو غائب منتظر في الآخرة
فيتقي الصيد ممن لا يخافه فيقدم عليه فمن اعتدى فصاد بعد ذلك الابتلاء فالوعيد لاحق به فإن قلت
ما معنى التقليل والتصغير في قوله بشيء من الصيد قلت قلل وصغر ليعلم أنه ليس بفتنة من الفتن العظام التي
تدحض عندها أقدام الثابتين كالابتلاء ببذل الأرواح والأموال وإنما هو شبيه بما ابتلي به أهل أيلة من صيد السمك
وأنهم إذا لم يثبتوا عنده فكيف يثبتون عند ما هو أشد منه وقرأ إبراهيم يناله بالياء وحرم محرمون جمع حرام كردح
في جمع رداح والتعمد أن يقتله وهو ذاكر لإحرامه أو عالم أن ما يقتله مما يحرم عليه قتله فإن قتله وهو
ناس لإحرامه أو رمى صيدا وهو يظن أنه ليس بصيد فإذا هو صيد أو قصد برميه غير صيد فعدل السهم
عن رميته فأصاب صيدا فهو مخطئ فإن قلت محظورات الإحرام يستوي فيها العمد والخطأ فما بال التعمد

مشروطا في الآية قلت لان مورد الآية فيمن تعمد فقد روي انه عنّ لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه
ابو اليسر فطعنه برمحه فقتله فقيل له انك قتلت الصيد وانت محرم فنزلت ولان الاصل فعل المتعمد والخاطئ
لاحق به للتغليظ ويدل عليه قوله ليذوق وبال امره ومن عاد فينتقم الله منه وعن الزهري نزل الكتاب
بالعمد ووردت السنة بالخطا وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه لا ارى في الخطا شيئا اخذا باشتراط العمد في الآية وعن
الحسن روايتان فجزاء مثل ما قتل برفع جزاء ومثل جميعا بمعنى فعليه جزاء يماثل ما قتل وهو من القتل والمماثلة
عند ابي حنيفة رضي الله عنه قيمة الصيد يقوّم حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدي تخير بين ان يهدي من النعم
ما قيمته قيمة الصيد وبين ان يشتري بقيمته طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره
وان شاء صام عن طعام كل مسكين صام عنه يوما او تصدق به وعند محمد والشافعي رضي الله عنهما
مثله نظيره من النعم فان لم يوجد له نظير في النعم عدل الى قول ابي حنيفة رضي الله عنه فان قلت فما يصنع
من يفسر المثل بالقيمة بقوله من النعم وهو تفسير للمثل وبقوله هديا بالغ الكعبة قلت قد خيّر من اوجب
القيمة بين ان يشتري بها هديا او طعاما او يصوم كما خيّر الله تعالى في الآية فكان قوله من النعم بيانا للهدي
المشترى بالقيمة في احد وجوه التخيير لان من قوّم الصيد واشترى بالقيمة هديا فاهداه فقد جزى بمثل ما قتل
من النعم على ان التخيير الذي في الآية بين ان يجزي بالهدي او يكفر بالاطعام او الصوم انما يستقيم استقامة
ظاهرة بغير تعسف اذا قوّم ونظر بعد التقويم اي الثلاثة يختار فاما اذا عمد الى النظير وجعله الواجب
وحده من غير تخيير فاذا كان شيء لا نظير له قوّم حينئذ ثم يخيّر بين الاطعام والصوم ففيه نبوّ عما في الآية
الا ترى الى قوله او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما كيف خيّر بين الاشياء الثلاثة ولا سبيل الى ذلك
الا بالتقويم وقرأ عبد الله فجزاؤه مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل على الاضافة واصله فجزاء مثل ما
قتل بنصب مثل بمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل ثم اضيف كما تقول عجبت من ضرب زيد اي من ان ضرب
زيد وقرأ السلمي على الاصل وقرأ محمد بن مقاتل فجزاء مثل ما قتل بنصبهما بمعنى فليجز جزاء على حذف المتعلق
مثل ما قتل وقرأ الحسن من النعْم بسكون العين استثقل الحركة على حرف الحلق فسكنه يحكم به ذوا عدل
منكم هديا بالغ الكعبة او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما ليذوق وبال امره عفا الله عما سلف
ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام يحكم به بمثل ما قتل ذوا عدل منكم حكمان عادلان
من المسلمين قالوا وفيه دليل على ان المثل القيمة لان التقويم مما يحتاج الى النظر والاجتهاد دون الاشياء
المشاهدة وعن قبيصة انه اصاب ظبيا وهو محرم فسأل عمر فشاور عبد الرحمن بن عوف فامره بذبح شاة فقال قبيصة
لصاحبه والله ما علم امير المؤمنين حتى سأل غيره فاقبل عليه ضربا بالدرة وقال اتغمص الفتيا وتقتل الصيد وانت محرم
قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فانا عمر وهذا عبد الرحمن وقرأ محمد بن جعفر ذو عدل منكم اراد يحكم به من
يعدل منكم ولم يرد الوحدة وقيل اراد الامام هديا حال عن جزاء فيمن وصفه بمثل لان الصفة خصصته فقربته
من المعرفة او بدل عن مثل فيمن نصبه او عن محله فيمن جره ويجوز ان ينتصب حالا عن الضمير في به ووصف
الهدي ببالغ الكعبة لان اضافته غير حقيقية ومعنى بلوغه الكعبة ان يذبح بالحرم فاما التصدق به فحيث
شئت عند ابي حنيفة وعند الشافعي في الحرم فان قلت بم يرفع كفارة من ينصب جزاء قلت يجعلها خبر
مبتدإ محذوف كأنه قيل او الواجب عليه كفارة طعام مساكين على الاضافة وهذه الاضافة مبينة كأنه

قيل

وقيل او كفارة من طعام مساكين كقولك خاتم فضة بمعنى خاتم من فضة • وقرأ الاعرج او كفارة طعام مسكين
وانما وحد لانه واقع موقع التبيين فاكتفى بالواحد الدال على الجنس • وقرئ او عدل ذلك بكسر العين والفرق بينهما
ان عدل الشيء ما عادله من غير جنسه كالصوم والاطعام وعدله ما عدل به في المقدار ومنه عدل الحمل لان
كل واحد منهما عدل بالآخر حتى اعتدلا كان المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول به كالذبح ونحوهما
الحمل والحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل كقولك لي مثله رجلا • والخيار في ذلك الى قاتل
الصيد عند ابي حنيفة وابي يوسف وعند محمد الى الحكمين ليذوق متعلق بقوله فجزاء اي فعليه ان يجازي او يكفر
ليذوق سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام • والوبال المكروه • والضرر الذي ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله
عليه من قوله تعالى • فاخذناه اخذا وبيلا ثقيلا • والطعام الوبيل هو الذي يثقل على المعدة فلا
يستمرأ • عفا الله عما سلف لكم من الصيد في حال الاحرام قبل ان تراجعوا رسول الله وتسألوه عن
جوازه • وقيل عما سلف لكم في الجاهلية منه لانهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها محرما
ومن عاد الى قتل الصيد وهو محرم بعد نزول النهي عنه فينتقم الله منه ينتقم خبر مبتدأ محذوف
تقديره فهو ينتقم الله منه • ولذلك دخلت الفاء ونحوه • فمن يؤمن بربه فلا يخاف • يعني ينتقم منه في
الآخرة واختلف في وجوب الكفارة على العائد فعن عطاء وابراهيم وسعيد بن جبير والحسن رضي الله عنهم وجوبها وعليه عامة العلماء وعن ابن عباس رضي الله عنهما وشريح انه لا كفارة عليه تعلقا بالظاهر وانه لم يذكر الكفارة احل لكم صيد البحر وطعامه
متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي اليه تحشرون
صيد البحر مصيدات البحر مما يؤكل ومما لا يؤكل وطعامه وما يطعم من صيده والمعنى احل لكم الانتفاع بجميع
ما يصاد في البحر واحل لكم اكل المأكول منه وهو السمك وحده عند ابي حنيفة وعند ابن ابي ليلى جميع ما
يصاد منه على ان تفسير الآية عنده احل لكم صيد حيوان البحر وان تطعموه متاعا لكم مفعول له
اي احل لكم تمتيعا لكم وهو في المفعول له بمنزلة قوله تعالى • ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة
في باب الحال لان قوله تعالى متاعا لكم مفعول له مختص بالطعام كما ان نافلة حال مختصة بيعقوب
يعني احل لكم طعامه تمتيعا لتنائكم ياكلونه طريا • ولسيارتكم يتزودونه كما تزود موسى عليه الصلاة
والسلام الحوت في مسيره الى الخضر • وقرئ وطعمه وصيد البر ما صيد فيه وهو ما يفرخ فيه وان كان
يعيش في الماء في بعض الاوقات • كطير الماء عند ابي حنيفة • واختلف فيه فمنهم من حرم على المحرم كل شيء يقع
عليه اسم الصيد • وهو قول عمر وابن عباس رضي الله عنهما • وعن ابي هريرة وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير
انهم اجازوا للمحرم اكل ما صاده الحلال وان صاده لاجله اذا لم يدل ولم يشر وكذلك ما ذبحه
قبل احرامه • وهو مذهب ابي حنيفة رحمة الله عليه واصحابه • وعند مالك والشافعي واحمد رضي الله عنهم لا يباح
له ما صيد لاجله فان قلت ما يصنع ابو حنيفة رحمة الله عليه بعموم قوله صيد البر قلت
قد اخذ ابو حنيفة بالمفهوم من قوله • وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما • لانه ظاهره انه صيد
المحرمين دون غيرهم لانهم هم المخاطبون • فكانه قيل وحرم عليكم ما صدتم في البر فيخرج منه
مصيد غيرهم ومصيدهم حين كانوا غير محرمين • ويدل عليه قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا
الصيد وانتم حرم • وقرأ ابن عباس رضي الله تعالى عنهما • وحرم عليكم صيد البر اي الله عز وجل وقرئ
ما دمتم بكسر الدال فيمن يقول دام يدام جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي

والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم البيت الحرام عطف
بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح كما تجيء الصفة كذلك قياما للناس انتعاشا لهم في أمر دينهم ودنياهم
ونهوضا إلى أغراضهم ومقاصدهم في معاشهم ومعادهم لما يتم لهم من أمر دينهم وعمرتهم وتجاراتهم
وأنواع منافعهم وعن عطاء بن أبي رباح لو تركوه عاما واحدا لم ينظروا ولم يؤخروا والشهر الحرام والشهر
الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لأن لاختصاصه من بين الأشهر بإقامة موسم الحج فيه شأنا قد عرفه الله
تعالى وقيل عني به جنس الأشهر الحرم والهدي والقلائد والمقلد منه خصوصا وهو البدن لأن الثواب
فيه أكثر وبهاء الحج معه أظهر ذلك إشارة إلى جعل الكعبة قياما للناس أو إلى ما ذكر من حفظ حرمة الإحرام
بترك الصيد وغيره لتعلموا أن الله يعلم كل شيء وهو عالم بما يصلحكم وينعشكم مما أمركم به وكلفكم اعلموا
أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون
شديد العقاب لمن انتهك محارمه غفور لمن حافظ عليها ما على الرسول إلا البلاغ تشديد في إيجاب القيام
بما أمر به وأن الرسول قد فرغ مما قد وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر
لكم في التفريط قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألباب
البون بين الخبيث والطيب بعيد عند الله وإن كان قريبا عندكم فلا تعجبوا بكثرة الخبيث حتى تؤثروه
لكثرته على الطيب القليل فإن ما تتوهمونه في الكثرة من الفضل لا يوازي النقصان في الخبث وفوات
الطيب وهو عام في حلال المال وحرامه وصالح العمل وطالحه وصحيح المذاهب وفاسدها وجيد الناس
ورديهم فاتقوا الله وآثروا الطيب وإن قل على الخبيث وإن كثر ومن حق هذه الآية أن تكبح بها
وجوه المجبرة إذا افتخروا بالكثرة بيت الحماسة

كاثر بسعد إن سعدا كثيرة ولا ترج من سعد وفاء ولا نصرا

بيت أبي تمام لا يدهمنك من دهمائهم عدد فإن جلهم بل كلهم بقر

وقيل نزلت في حجاج اليمامة حين أراد المسلمون أن يوقعوا بهم فنهوا عن الإيقاع بهم وإن كانوا
مشركين يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل
القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين
الجملة الشرطية والمعطوفة عليها أعني قوله إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن
تبد لكم صفة لأشياء والمعنى لا تكثروا مسألة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تسألوه عن
تكاليف شاقة عليكم إن أفتاكم بها وكلفكم إياها تغمكم وتشق عليكم وتندموا على السؤال
عنها وذلك نحو ما روي أن سراقة بن مالك أو عكاشة بن محصن قال يا رسول الله الحج علينا كل
عام فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أعاد مسألته ثلاث مرات فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويحك وما يؤمنك أن أقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم
فاتركوني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم
بأمر فخذوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن
وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن وإن تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة في زمان الوحي وهو ما دام الرسول

بين

بين اظهركم يوحي اليه تبدلكم تلك التكاليف التي تسؤكم وتؤمروا بتحملها فتعرضون انفسكم لغضب الله
بالتفريط فيها ۔ عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم لا يعاجلكم فيما يفرط
منكم بعقوبته ۔ فان قلت كيف قال لا تسألوا عن اشياء ثم قال قد سألها ولم يقل سأل عنها
قلت الضمير في سألها ليس براجع الى اشياء حتى يجب تعديته بعن وانما هو راجع الى المسئلة التي دل عليها
لا تسئلوا يعني قد سأل هذه المسئلة قوم من الاولين ثم اصبحوا بها اي بمرجوعها او بسببها كافرين وذلك ان
بني اسرائيل كانوا يستفتون انبياءهم عن اشياء فاذا امروا بها تركوها فهلكوا ما جعل الله من بحيرة ولا
سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون كان اهل
الجاهلية اذا نتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وحرموا ركوبها ولا تطرد عن
ولا مرعى واذا لقيها المعيي لم يركبها واسمها البحيرة ۔ وكان يقول الرجل اذا قدمت من سفري او برئت
من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها ۔ وقيل كان الرجل اذا اعتق
عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث ۔ واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت
ذكرا فهو لالهتهم ۔ فان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لالهتهم واذا نتجت
من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمي ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى
ومعنى ما جعل ما شرع ذلك ولا امر بالتبحير والتسييب وغير ذلك ولكنهم بتحريمهم ما حرموا يفترون
على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون فلا ينسبون التحريم الى الله تعالى حتى يفتروا ولكنهم يقلدون في تحريمها
كبارهم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا اولو كان
آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون الواو في قوله تعالى اولو كان آباؤهم واو الحال قد دخلت عليها همزة
الانكار وتقديره احسبهم ذلك ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون والمعنى ان الاقتداء انما يصح
بالعالم المهتدي وانما يعرف اهتداؤه بالحجة يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم
الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون كان المؤمنون تذهب انفسهم حسرة على اهل العتو (العناد)
من الكفرة يتمنون دخولهم في الاسلام فقيل لهم عليكم انفسكم وما كلفتم من اصلاحها والمشي بها في طرق
الهدى لا يضركم الضلال عن دينكم اذا كنتم مهتدين كما قال الله عز وجل لنبيه فلا تذهب نفسك
عليهم حسرات وكذلك من يتأسف على ما فيه الفسقة من الفجور والمعاصي ولا يزال يذكر معايبهم
ومناكيرهم فهو مخاطب به وليس المراد ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان من تركهما مع القدرة
عليهما فليس بمهتد وانما هو بعض الضلال الذين فصلت الآية بينهم وبينه وعن ابن مسعود رضي الله
عنه انها قرئت عنده فقال ان هذا ليس بزمانها انها اليوم مقبولة ولكن يوشك ان يأتي زمان تأمرون فلا
يقبل منكم فحينئذ عليكم انفسكم فهي على هذا تسلية لمن يأمر وينهى فلا يقبل منه وبسط لعذره
وعنه ليس هذا زمان تأويلها قيل فمتى قال اذا جعل دونها السيف والسوط والسجن وعن ابي
ثعلبة الخشني انه سئل عن ذلك فقال للسائل سألت عنها خبيرا سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال
ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا ما رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب
كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك ودع امر العوام وان من ورائكم اياما الصبر فيهن كقبض على الجمر للعامل

منهم مثل اجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله • وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت اباك ولاموه فنزلت
عليكم انفسكم من اسماء الفعل بمعنى الزموا صلاح انفسكم ولذلك جزم جوابه • وعن نافع عليكم انفسكم
بالرفع • وقرئ لا يضركم • وفيه وجهان ان يكون خبرا مرفوعا • وتنصره قراءة ابي حيوة لا يضيركم
وان يكون جوابا للامر مجزوما • وانما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة فالاصل
لا يضرركم • ويجوز ان يكون نهيا ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره يا ايها الذين امنوا
شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم او آخران من غيركم ان انتم
ضربتم في الارض فاصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشتري
به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين ارتفع اثنان على انه خبر للمبتدإ المحذوف
الذي هو شهادة بينكم على تقدير شهادة بينكم على معنى فيما فرض عليكم ان يشهد اثنان • واذا حضر ظرف للشهادة
وحين الوصية بدل منه • وفي ابداله منه دليل على وجوب الوصية فانها من الامور اللازمة التي ما ينبغي ان
يتهاون بها المسلم ويذهل عنها • وحضور الموت مشارفته وظهور امارات الاجل منكم من اقاربكم
من غيركم من الاجانب ان انتم ضربتم في الارض يعني ان وقع الموت في السفر ولم يكن معكم احد من عشيرتكم فاستشهدوا
اجنبيين على الوصية • وجعل الاقارب اولى لانهم اعلم باحوال الميت وبما هو اصلح وهم له انصح • وقيل
منكم من المسلمين ومن غيركم من اهل الذمة • وقيل هو منسوخ لا يجوز شهادة الذمي على المسلم وانما جاز في
اول الاسلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم في حال السفر • وعن مكحول نسخها قوله تعالى واشهدوا ذوي
عدل منكم • روي انه خرج بديل بن ابي مريم مولى عمرو بن العاص رضي الله عنه وكان من المهاجرين مع عدي
ابن زيد وتميم بن اوس وكانا نصرانيين تجارا الى الشام • فمرض بديل وكتب كتابا فيه ما معه وطرحه
في متاعه ولم يخبر به صاحبيه • وامرهما ان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشا متاعه فاخذا اناء
من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه • فاخذ اهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالاناء
فجحدا فترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت تحبسونهما • تقفونهما وتصبرونهما • من بعد الصلاة
بعد صلاة العصر لانه وقت اجتماع الناس • وعن الحسن بعد صلاة العصر • او الظهر لان اهل الحجاز
كانوا يقعدون للحكومة بعدهما • وفي حديث بديل انها لما نزلت صلى رسول الله عليه الصلاة والسلام
صلاة العصر • ودعا بعدي وتميم • فاستحلفهما عند المنبر فحلفا • ثم وجد الاناء بمكة فقالوا انا
اشتريناه من عدي وتميم • وقيل هي صلاة اهل الذمة وهم يعظمون صلاة العصر • ان ارتبتم اعتراض
بين القسم والمقسم عليه والمعنى ان ارتبتم في شانهما واتهمتموهما فحلفوهما • وقيل اريد بهما الشاهدان
فقد نسخ تحليف الشاهدين • وان اريد الوصيان فليس منسوخ تحليفهما • وعن علي رضي الله تعالى عنه
انه كان يحلف الشاهد والراوي اذا اتهمهما • والضمير في به للقسم وفي كان للمقسم له يعني لا نستبدل
بصحة القسم بالله عرضا من الدنيا اي لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال • ولو كان المقسم له قريبا
منا على معنى ان هذه عادتهم في صدقهم وامانتهم ابدا وانهم داخلون تحت قوله تعالى كونوا
قوامين بالقسط شهداء لله • ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين • شهادة الله اي الشهادة التي
امر الله بحفظها • وتعظيمها • وعن الشعبي انه وقف على شهادة • ثم ابتدأ الله بالمد على طرح

حرف

حرف القسم وتعويض همزة الاستفهام منه • وروي عنه بغير مد على ما ذكره سيبويه ان منهم من يحذف
القسم ولا يعوض منه همزة الاستفهام فيقول الله • لقد كان كذا • وقرئ • لملاثمين بحذف الهمزة
وطرح حركتها على اللام وادغام نون من فيها • كقوله عادلولي فإن قلت ما موقع تحبسونهما
قلت هو استيناف كلام كانه قيل بعد اشتراط العدالة فيهما فكيف نعمل ان ارتبنا بهما فقيل تحبسونهما
فان قلت كيف فسرت الصلوة بصلوة العصر وهي مطلقة قلت لما كانت معروفة عندهم بالتحليف
بعدها اغنى ذلك عن التقييد • كما لو قلت في بعض ائمة الفقه اذا صلى اخذ في الدرس علم انها صلوة الفجر •
ويجوز ان تكون اللام للجنس وان يقصد بالتحليف على اثر الصلوة ان تكون الصلوة لطفا في النطق بالصدق
وناهية عن الكذب • والزور ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فان عثر على انهما استحقا اثما فآخران
يقومان مقامهما من الذين استحق عليهما الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما
وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين فان عثر فان اطلع على انهما استحقا اثما اي فعلا ما اوجب اثما واستو[جبا]
ان يقال انهما لمن الآثمين فآخران فشاهدان آخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاثم •
ومعناه من الذين جني عليهم وهم اهل الميت وعشيرته وفي قصة بديل انه لما ظهرت خيانة الرجلين
حلف رجلان من ورثته انه اناء صاحبهما وان شهادتهما احق من شهادتهما • والاوليان الاحقان بالشها[دة]
لقرابتهما ومعرفتهما وارتفاعهما على هما الاوليان كانه ومن هما فقيل الاوليان وقيل هما بدل من الضمير
في يقومان او من آخران ويجوز ان يرتفعا باستحق اي من الذين استحق عليهم انتداب الاوليين منهم
للشهادة لاطلاعهم على حقيقة الحال وقرئ الاولين على انه وصف للذين استحق عليهم مجرور او منصوب
على المدح ومعنى الاولية التقدم على الاجانب في الشهادة لكونهم احق بها وقرئ الاوليين على التثنية
وانتصابه على المدح وقرأ الحسن الاولان • ويحتج به من يرى رد اليمين على المدعي • وابو حنيفة واصحابه
لا يرون ذلك فوجهه عندهم ان الورثة قد ادعوا على النصرانيين انهما قد اختانا فحلفا فلما ظهر •
كذبهما ادعيا الشرى فيما كتما فانكر الورثة فكانت اليمين على الورثة في انكارهم الشرى • فان
قلت فما وجه قراءة من قرأ استحق عليهما الاوليان على البناء للفاعل وهو علي رضي الله عنه وابي
وابن عباس رضي الله عنهما قلت معناه من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم بالشهادة
ان يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين ذلك ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها
او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين
ذلك الذي تقدم من بيان الحكم ادنى ان يأتي الشهداء على نحو تلك الحادثة بالشهادة على وجهها
او يخافوا ان ترد ايمان ان تكر ايمان شهود آخرين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم كما جرى
في قصة بديل واسمعوا سمع اجابة وقبول يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم
لنا انك انت علام الغيوب يوم يجمع بدل من المنصوب في قوله واتقوا الله وهو من بدل الاشتمال كانه
قيل واتقوا الله يوم جمعه او ظرف لقوله لا يهدي اي لا يهديهم طريق الجنة يومئذ كما يفعل بغيرهم او ينصب
باضمار اذكر او يوم يجمع الله الرسل كان كيت وكيت وماذا منتصب باجبتم انتصاب مصدره على معنى اي اجا[بة]
اجبتم • ولو اريد الجواب لقيل بماذا اجبتم فان قلت ما معنى سؤالهم قلت توبيخ قومهم كما كان

سؤال الموؤدة توبيخا للوائد فإن قلت فكيف يقولون لا علم لنا وقد علموا بما أجيبوا قلت يعلمون أن الغرض
بالسؤال توبيخ أعدائهم فيكلون الأمر إلى علمه وإحاطته بما منوا به منهم وكابدوا من سوء إجابتهم إظهارا
للتشكي واللجاء إلى ربهم في الانتقام منهم وذلك أعظم على الكفرة وأفت في أعضادهم وأجلب لحسرتهم وسقوطهم
في أيديهم إذا اجتمع توبيخ الله وتشكي أنبيائه عليهم ومثاله أن ينكب بعض الخوارج على السلطان خاصة
من خواصه نكبة قد عرفها السلطان واطلع على كنهها وعزم على الانتصار له منه فيجمع بينهما ويقول له
ما فعل بك هذا الخارجي وهو عالم بما فعل به منه وقيل هو من هول ذلك اليوم يفزعون ويذهلون عن
الجواب ثم يجيبون عالم بما فعل به يريد توبيخه وتبكيته فيقول له أنت بما فعل بي تفويضا إلى الأمر
إلى علم سلطانه بينهما ويقول له وإنكالا عليه وإظهارا للشكاية وتعظيما لما حل به منه وقيل من هول
ذلك اليوم يفزعون ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعد ما تثوب إليهم عقولهم بالشهادة على أممهم
وقيل معناه علمنا ساقط مع علمك ومغمور به لأنك علام الغيوب ومن علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر
التي منها إجابة الأمم لرسلهم فكأنه لا علم لنا إلى جنب علمك وقيل لا علم لنا بما كان منهم بعدنا وإنما
الحكم للخاتمة وكيف يخفى عليهم أمرهم وقد رأوهم سود الوجوه زرق العيون موبخين وقرئ
علام الغيوب بالنصب على أن الكلام قد تم بقوله تعالى إنك أنت أي إنك الموصوف بأوصافك
المعروفة من العلم وغيره ثم نصب علام الغيوب على الاختصاص أو على النداء أو هو صفة لاسم إن
إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم
الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من
الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ
تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا
منهم إن هذا إلا سحر مبين إذ قال الله بدل من يوم يجمع والمعنى أنه يوبخ الكافرين يومئذ بسؤال
الرسل عن إجابتهم وبتعديد ما أظهر على أيديهم من الآيات العظام فكذبوهم وسموهم سحرة أو جاوزوا
حد التصديق إلى أن اتخذوهم آلهة كما قال بعض بني إسرائيل فيما أظهر على يد عيسى عليه الصلاة والسلام
من البينات والمعجزات هذا سحر مبين واتخذه بعضهم وأمه إلهين أيدتك قويتك وقرئ آيدتك
على أفعلتك بروح القدس بالكلام الذي يحيا به الدين وأضافه إلى القدس لأنه سبب الطهر من أوضار
الآثام والدليل عليه قوله تعالى تكلم الناس وفي المهد في موضع الحال لأن المعنى تكلمهم طفلا وكهلا إلا
في المهد فيه معناه تكلمهم في هاتين الحالتين دليل على حد من الطفولة وقيل روح القدس جبريل عليه
الصلاة والسلام أيد به لتثبيت الحجة فإن قلت ما معنى قوله في المهد وكهلا قلت معناه
تكلمهم في هاتين الحالتين من غير أن يتفاوت كلامك في حين الطفولة وحين الكهولة الذي هو وقت
كمال العقل وبلوغ الأشد والحد الذي يستنبأ فيه الأنبياء والتوراة والإنجيل خصا بالذكر
مما تناوله الكتاب والحكمة لأن المراد بهما جنس الكتاب والحكمة وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام
المحكم بالصواب كهيئة الطير هيئة مثل هيئة الطير بإذني بتسهيلي فتنفخ فيها الضمير للكاف لأنها صفة
الهيئة التي كان يخلقها عيسى وينفخ فيها ولا يرجع إلى الهيئة المضاف إليها لأنها ليست من خلقه ولا نفخه في شيء وكذلك

لضرب فيكون تخرج الموتى تخرجهم من القبور وتبعثهم قيل اخرج سام بن نوح ورجلين وامراة وامراة وجارية واذ كففت بني اسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا بقتله وقيل لما قال الله تعالى لعيسى اذكر نعمتي عليك كان يلبس الشعر وياكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول كل يوم رزقه الله لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد يموت ايما امسى بات واذ اوحيت الى الحواريين ان امنوا بي وبرسولي قالوا امنا واشهد باننا مسلمون اوحيت الى الحواريين امرتهم على السنة الرسل مسلمون مخلصون من اسلم وجهه لله اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين عيسى في محل النصب على اتباع حركته حركة الابن تقول يا زيد بن عمرو وكافي خمر لان الترخيم لا يكون الا في المضموم فان قلت كيف قالوا هل يستطيع ربك بعد ايمانهم واخلاصهم قلت ما وصفهم الله بالايمان والاخلاص وانما حكى ادعاهم لهما ثم اتبعه قوله اذ قالوا فاذن ان دعواهم كانت باطلة وانهم كانوا شاكين وقوله هل يستطيع ربك كلام لا يرد مثله عن مؤمنين معظمين لربهم ولذلك قول عيسى عليه الصلاة والسلام لهم معناه اتقوا الله ولا تشكوا في اقتداره واستطاعته ولا تقترحوا عليه ولا تتحكموا ما تشتهون من الايات فتهلكوا اذا عصيتموه بعدها ان كنتم مؤمنين ان كانت دعواكم للايمان صحيحة وقرئ هل تستطيع ربك اي هل تستطيع سوال ربك والمعنى هل تساله ذلك من غير صارف يصرفك عن سواله والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام وهي من ماده اذا اعطاه ورفده كانها تميد من تقدم اليه قالوا نريد ان ناكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين ونكون عليها من الشاهدين نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني اسرائيل ونكون من الشاهدين بالوحدانية ولك بالنبوة عاكفين عليها وعلى ان عليها في موضع الحال وكانت دعواهم لارادة ما ذكروا لدعواهم للايمان والاخلاص وانما سال عيسى اجيب ليلزموا الحجة بكمالها ويرسل عليهم العذاب اذا خالفوا وقرئ ويعلم بالياء على البناء للمفعول وتعلم وتكون بالياء والضمير قال عيسى بن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا واخرنا واية منك وارزقنا وانت خير الرازقين قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين اللهم اصله يا الله فحذف حرف النداء وعوضت منه الميم وربنا نداء ثان تكون لنا عيدا اي يكون يوم نزولها عيدا قيل هو يوم الاحد ومن ثمه اتخذه النصارى عيدا وقيل العيد السرور العائد ولذلك يقال يوم عيد فكان معناه تكون لنا سرورا وفرحا وقراءة عبد الله تكن على جواب الامر ونظيرها يرثني ويرث لاولنا واخرنا بدل من لنا بتكرير العامل اي لمن في زماننا من اهل ديننا ولمن ياتي بعدنا وقيل ياكل منها اول الناس كما ياكل اخرهم ويجوز للمقدمين منا والاتباع وفي قراءة زيد لاولينا واخرانا والتانيث بمعنى الامة والجماعة عذابا بمعنى تعذيبا والضمير في لا اعذبه للمصدر ولو اريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بد من الباء روي ان عيسى عليه الصلاة والسلام لما اراد الدعاء لبس صوفا ثم قال اللهم انزل علينا فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها واخرى تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة وقال لهم ليقم احسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله

وهي اللغة الفاشية ويجوز ان يكون مضموما تقول يا زيد بن عمرو والدليل عليه قوله احار بن عمرو كاني خمر

عليها ويأكل منها، فقال شمعون رأس الحواريين انت اولى بذلك فقام عيسى عليه الصلاة والسلام فتوضأ وصلى وبكى
ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها
ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث وإذا خمسة ارغفة على واحد منها
زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال
شمعون يا روح الله اطعام الدنيا ام من طعام الاخرة قال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله بالقدرة العالية
من فضله فقال الحواريون يا روح الله لو اريتنا من هذه الاية اية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله
فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير
وروي انهم لما سمعوا بالشريطة وهي قوله فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه قالوا لا نريد فلم تنزل
وعن الحسن والله ما نزلت ولو نزلت لكانت عيدا الى يوم القيمة لقوله وآخرنا والصحيح انها نزلت واذ قال
الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول
ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب
سبحانك من ان يكون لك شريك ما يكون لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله في نفسي في قلبي والمعنى تعلم
معلومي ولا اعلم معلومك ولكنه سلك بالكلام طريق المشاكلة وهو من فصيح الكلام وبيّنه وقيل
فقيل في نفسك لقوله في نفسي انك انت علام الغيوب تقرير للجملتين معا لان ما انطوت عليه النفوس
من جملة الغيوب ولان ما يعلمه علام الغيوب لا ينتهي اليه احد ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا
الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت
على كل شيء شهيد ان في قوله ان اعبدوا الله ان جعلتها مفسرة لم يكن لها بد من مفسَّر والمفسر اما فعل
القول واما فعل الامر وكلاهما لا وجه له اما فعل القول فيحكى بعده الكلام من غير ان يتوسط بينهما
حرف التفسير لا تقول ما قلت لهم الا ان اعبدوا الله ولكن ما قلت لهم الا اعبدوا الله واما
فعل الامر فمسند الى ضمير الله فلو فسرته باعبدوا الله ربي وربكم لم يستقم لان الله لا يقول
اعبدوا الله ربي وربكم وان جعلتها موصولة بالفعل لم تخل من ان يكون بدلا من امرتني به او من الهاء
في به وكلاهما غير مستقيم لان البدل هو الذي يقوم مقام المبدل منه ولا يقال ما قلت الا ما امرتني
بان اعبدوا الله الا عبادته لان العبادة لا تقال وكذلك اذا جعلته بدلا من الهاء لانك تقول
لو اقمت ان اعبدوا الله مقام الهاء فقلت الا ما امرتني بان اعبدوا الله لم يصح لبقاء الموصول
من غير راجع اليه من صلته فان قلت فكيف يصنع قلت يحمل فعل القول على معناه
لان المعنى ما قلت لهم الا ما امرتني به اي ما امرتهم الا بما امرتني به حتى يستقيم تفسيره بان اعبدوا
الله ربي وربكم ويجوز ان تكون ان موصولة عطف بيان للهاء لا بدلا وكنت عليهم شهيدا
رقيبا كالمشاهد على المشهود عليه امنعهم من ان يقولوا ذلك ويتدينوا به فلما توفيتني كنت انت الرقيب
عليهم تمنعهم من القول به بما نصبت لهم من الادلة وانزلت عليهم من البينات وارسلت اليهم من الرسل ان
تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ان تعذبهم فانهم عبادك الذين عرفتهم
عاصين جاحدين لآياتك مكذبين لانبيائك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم وان تغفر لهم

قلت

قلت ما قال انك تغفر لهم ولكنه بنى الكلام على ان يقال ان عذبتهم عدلت لانهم احقاء بالعذاب
وان غفرت لهم مع كفرهم لم تعدم في المغفرة وجه حكمة لان المغفرة حسنة لكل مجرم في المعقول بل متى
كان المجرم اعظم جرما كان العفو عنه احسن قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم قرئ
هذا يوم ينفع بالرفع والاضافة وبالنصب اما انه على ظرف لقال واما على ان هذا مبتدأ والظرف
خبر ومعناه هذا الذي ذكرنا من كلام عيسى عليه الصلاة والسلام واقع يوم ينفع ولا يجوز ان تكون
فتحا لقوله تعالى يوم لا تملك لانه مضاف الى متمكن وقرأ الاعمش يوم ينفع بالتنوين كقوله
تعالى واتقوا يوما لا تجزي فان قلت ما معنى قوله ينفع الصادقين صدقهم ان اريد صدقهم
في الآخرة فليست الآخرة بدار عمل وان اريد صدقهم في الدنيا فليس بمطابق لما ورد فيه لانه في
معنى الشهادة لعيسى بالصدق فيما يجيب به ان الله وعدكم وعد الحق فصدق في يومئذ وكانه
قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه صدقه واما عيسى فكان صادقا في الحياة وبعد الممات فنفعه صدقه
لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير
فان قلت في السموات والارض العقلاء وغيرهم فهلا غلب العقلاء فقيل ومن فيهن قلت
ما يتناول الاجناس كلها تناولا عاما الا ترى انك تقول اذا رأيت شبحا من بعيد ما هو قبل ان
تعرف أعاقل هو ام غيره فكان اولى بارادة العموم عن النبي من قرأ سورة المائدة اعطي من الاجر
عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في
الدنيا

سورة الانعام مكية — بسم الله الرحمن الرحيم — وهي مائة وخمس وستون آية

الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون جعل يتعدى الى
مفعول واحد اذا كان بمعنى احدث وانشأ كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور والى مفعولين
اذا كان بمعنى صير كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا والفرق بين الخلق والجعل
ان الخلق فيه معنى التقدير وفي الجعل معنى التضمين كانشاء شيء من شيء او تصيير شيء شيئا
او نقله من مكان الى مكان ومن ذلك وجعل منها زوجها وجعل الظلمات والنور لان
الظلمات من الاجرام المتكاثفة والنور من النار وجعلناكم ازواجا وجعل الظلمات والنور
اجعل الالهة الها واحدا فان قلت لم افرد النور قلت للقصد الى الجنس كقوله
والملك على ارجائها او لان الظلمات كثيرة لانه ما من جنس من اجناس الاجرام الا وله ظل
وظله هو الظلمة بخلاف النور فانه من جنس واحد وهو النار فان قلت علام عطف
قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون قلت اما على قوله الحمد لله على معنى ان الله تعالى

حقيق بالحمد على ما خلق لانه ما خلقه الا نعمة ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته واما على قوله تعالى
خلق السموات على معنى انه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه
فان قلت فما معنى ثم قلت استبعاد ان يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته وكذلك ثم
انتم تمترون استبعاد لان يمتروا فيه بعد ما ثبت انه محييهم وباعثهم هو الذي خلقكم من طين ثم
قضى اجلا واجل مسمى عنده ثم انتم تمترون ثم قضى اجلا اجل الموت واجل مسمى عنده اجل القيامة وقيل
الاجل الاول ما بين ان يخلق الى ان يموت والثاني ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الاول
النوم والثاني الموت فان قلت المبتدأ النكرة اذا كان خبره ظرفا وجب تأخيره فلم جاز
تقديمه في قوله واجل مسمى عنده قلت لانه تخصص بالصفة فقارب المعرفة كقوله ولعبد
مؤمن خير من مشرك فان قلت الكلام السائر ان يقال عندي ثوب جيد ولي عبد
كيس وما اشبه ذلك فما اوجب التقديم قلت اوجبه ان المعنى واي اجل مسمى عنده تعظيما
لشأن الساعة فلما جرى فيه هذا المعنى وجب التقديم وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم
وجهركم ويعلم ما تكسبون في السموات متعلق بمعنى اسم الله كانه قيل وهو المعبود فيها ومنه
قوله تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وهو المعروف بالالهية والمتوحد بالالهية
فيها • او هو الذي يقال له الله فيها لا يشرك به في هذا الاسم ويجوز ان يكون الله في السموات خبرا
بعد خبر • على معنى انه الله وانه في السموات والارض بمعنى انه عالم بما فيهما لا يخفى عليه منه شيء كأن ذاته
فيهما فان قلت كيف موقع قوله يعلم سركم وجهركم قلت اردت المتوحد بالالهية
كان تقريرا له لان الذي استوى في علمه السر والعلانية هو الله وحده وكذلك اذا جعلت في السموات
خبرا بعد خبر والا فهو كلام مبتدأ بمعنى هو يعلم سركم وجهركم او خبر ثالث ويعلم ما تكسبون من الخير
والشر • ويثيب عليه ويعاقب عليه وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين من في
من آية للاستغراق وفي من آيات ربهم للتبعيض يعني وما يظهر لهم دليل قط من الادلة
التي يجب فيها النظر • والاستدلال والاعتبار الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر لا يلتفتون
اليه ولا يرفعون به رأسا لقلة خوفهم وتدبرهم للعواقب فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم
انباء ما كانوا به يستهزءون فقد كذبوا مردود على كلام محذوف كانه قيل ان كانوا معرضين عن الآيات
فقد كذبوا بما هو اعظم آية واكبرها وهو الحق • لما جاءهم يعني القرآن الذي تحدوا به على مبالغتهم
في الفصاحة فعجزوا عنه فسوف يأتيهم انباء الذي كانوا به يستهزءون وهو القرآن اي اخباره
واحواله بمعنى سيعلمون بأي شيء استهزءوا وسيظهر لهم انه لم يكن بموضع استهزاء وذلك عند ارسال
العذاب عليهم في الدنيا او يوم القيامة او عند ظهور الاسلام وعلو كلمته الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من
قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم وارسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار
تجري من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشأنا من بعدهم قرنا آخرين مكن له في الارض جعل له مكانا
فيها ونحوه ارض له ومنه قوله تعالى انا مكنا له في الارض • او لم نمكن لهم • واما مكنته في الارض فاثبته فيها
ومنه قوله تعالى ولقد مكناكم فيما ان مكناكم فيه ولتقارب المعنيين جمع بينهما في قوله مكناهم في الارض

ما لم نمكن لكم، والمعنى لم نعط اهل مكة نحو ما اعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة في الاجسام والسعة في
الاموال والاستظهار باسباب الدنيا ق والسماء المظلة لان الماء ينزل منها الى السحاب او السحاب
او المطر، او المدرار المغزار فان قلت اي فائدة في ذكر انشاء قرن آخرين بعدهم قلت
الدلالة على انه لا يتعاظمه ان يهلك قرنا ويخرب بلاده منهم فانه قادر على ان ينشئ مكانهم
آخرين يعمر بهم بلاده كقوله ولا يخاف عقباها ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال
الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين كتابا مكتوبا في قرطاس في ورق ق فلمسوه بايديهم ولم يقتصر بهم
على الرؤية لئلا يقولوا انما سكرت ابصارنا ولا تبقى لهم علة لقالوا ان هذا الا سحر مبين تعنتا
وعنادا للحق بعد ظهوره وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون
لقضي الامر لقضي امر هلاكهم ق ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين، اما لانهم اذا عاينوا
الملك على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورته وهي آية لا شيء ابين منها وايقن ثم لا يؤمنون
كما قال تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة، لم يكن بد من هلاكهم كما اهلك اصحاب المائدة واما لانه يزول
الاختيار الذي هو قاعدة التكليف عند نزول الملك فيجب اهلاكهم، واما لانهم اذا شاهدوا ملكا
في صورته زهقت ارواحهم من هول ما يشاهدون، ومعنى ثم بعد ما بين الامرين قضاء
الامر وعدم الانظار جعل عدم الانظار اشد من قضاء الامر لان مفاجاة الشدة اشد من نفس الشدة
ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ولو جعلناه ملكا لجعلناه ولو جعلنا الرسول
ملكا كما اقترحوا لانهم كانوا يقولون لولا انزل على محمد ملك وتارة يقولون ما هذا الا بشر مثلكم
ولو شاء ربنا لانزل ملائكة ق لجعلناه رجلا لارسلناه في صورة رجل كما كان ينزل جبريل عليه
الصلاة والسلام في اعم الاحوال في صورة دحية لانهم لا يبقون مع رؤية الملائكة في صورهم
وللبسنا عليهم، ولخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم حينئذ فانهم يقولون اذا راوا الملك في صورة
الانسان هذا انسان، وليس بملك، فان قال لهم الدليل على اني ملك اني جئت بالقرآن المعجز وهو
ناطق باني ملك لا بشر كذبوه كما كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم فاذا فعلوا ذلك خذلوا كما هم مخذولون
الآن فهو لبس الله عليهم، ويجوز ان يراد وللبسنا عليهم حينئذ ما يلبسون، على انفسهم الساعة في كفرهم
بآيات الله، وقرا ابن محيصن ولبسنا بلام واحدة، وقرا الزهري وللبسنا عليهم ما يلبسون بالتشديد
ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون ولقد استهزئ
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، عما كان يلقى من قومه فحاق بهم فاحاط بهم الشيء الذي كانوا
يستهزءون به وهو الحق، حيث اهلكوا من اجل الاستهزاء به قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف
كان عاقبة المكذبين فان قلت اي فرق بين قوله فانظروا وبين قوله ثم انظروا
قلت، جعل النظر مسببا عن السير في قوله فانظروا فكانه قيل سيروا لاجل النظر
ولا تسيروا سير الغافلين، واما قوله قل سيروا في الارض ثم انظروا فمعناه اباحة
السير في الارض للتجارة، وغيرها من المنافع وايجاب النظر في آثار الهالكين ونبه على ذلك
بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح قل لمن ما في السموات والارض قل لله كتب على نفسه الرحمة

الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون لمن ما في السموات والارض سؤال
تبكيت • وقل الله تقرير لهم اي هو الله لا خلاف بيني وبينكم • ولا تقدرون ان تضيفوا شيئا منه الى غيره
كتب على نفسه الرحمة • اي اوجبها على ذاته في هدايتكم الى معرفته • ونصب الادلة لكم على
توحيده بما انتم مقرون به من خلق السموات والارض ثم اوعدهم • على اغفالهم النظر واشراكهم
به ولا يقدر على خلق شيء بقوله ليجمعنكم الى يوم القيمة فيجازيكم على اشراككم وقوله • الذين
خسروا انفسهم نصب على الذم او رفع اي اريد الذين خسروا انفسهم او انتم الذين خسروا انفسهم فان
قلت كيف جعل • عدم ايمانهم مسببا عن خسرانهم • والامر على العكس قلت معناه الذين
خسروا انفسهم في علم الله لاختيارهم الكفر فهم لا يؤمنون وله ما سكن في الليل والنهار
وهو السميع العليم وله عطف على لله ف ما سكن في الليل والنهار من السكنى • وتعديه بفي كما في قوله
وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم و وهو السميع العليم يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم فلا يخفى
عليه شيء مما يشتمل عليه الملوان قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم
قل اني امرت ان اكون اول من اسلم ولا تكونن من المشركين قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب
يوم عظيم اولي غير الله همزة الاستفهام دون الفعل الذي هو اتخذ لان الانكار في اتخاذ غير
الله وليا • لا في اتخاذ الولي فكان اولى بالتقديم • ونحوه افغير الله تأمروني اعبد الله اذن لكم •
وقرئ فاطر السموات بالجر صفة لله • وبالرفع على المدح • وقرأ الزهري فطر السموات •
وعن ابن عباس رضي الله عنهما • ما عرفت ما فاطر السموات والارض • حتى اتاني اعرابيان يختصمان
في بئر فقال احدهما انا فطرتها • اي ابتدأتها • وهو يطعم ولا يطعم • وهو يرزق • ما اريد منهم
من رزق • وما اريد ان يطعمون والمعنى ان المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع • وقرئ
ولا يطعم بفتح الياء • وروى ابن المأمون عن يعقوب • وهو يطعم ولا يطعم على بناء الاول
للمفعول والثاني للفاعل والضمير لغير الله • وقرأ الاشهب وهو يطعم ولا يطعم على بنائهما
للفاعل • وفسر بان معناه وهو يطعم ولا يستطعم وحكى الازهري • اطعمت بمعنى استطعمت
ونحوه • افدت • ويجوز ان يكون المعنى وهو يطعم • ولا يطعم اخرى على حسب المصالح كقولك هو يعطي
ويمنع • ويبسط ويقدر • ويغني ويفقر • اول من اسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم سابق امته
في الاسلام • كقوله تعالى • وبذلك امرت وانا اول المسلمين • وكقول موسى عليه الصلاة
والسلام • سبحانك تبت وانا اول المؤمنين • ولا تكونن من المشركين • ومعناه امرت بالاسلام
ونهيت عن الشرك • من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين من يصرف عنه العذاب
فقد رحمه الله تعالى الرحمة العظمى وهي النجاة العظمى • كقولك ان اطعمت زيدا من جوعه •
فقد احسنت اليه • تريد فقد اتممت الاحسان اليه او فقد ادخله الجنة لان من لم يعذب لم يكن له
بد من الثواب • وقرئ من يصرف عنه على البناء للفاعل • والمعنى من يصرف الله عنه في ذلك اليوم
فقد رحمه بمعنى من يدفع الله عنه ويحفظه وقد علم من المدفوع عنه • وترك ذكر المصروف لكونه
معلوما او مذكورا قبله وهو العذاب • ويجوز ان ينتصب يومئذ بيصرف انتصاب المفعول به اي •

بلغ مقابلة

من يصرف

من يصرف الله عنه ذلك اليوم اي هوله فقد رحمه • وينصر هذه القراءة قراءة • أبي من يصرفه الله عنه
وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير
وان يمسسك الله بضر من مرض او فقر او غير ذلك من بلايا فلا قادر على كشفه الا هو وان يمسسك
بخير من غنى او صحة • فهو على كل شيء قدير • فكان قادرا على ادامته او ازالته • وهو
القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير فوق عباده تصوير للقهر والعلو بالغلبة
والقدرة لقوله وانا فوقهم قاهرون قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم
واوحي الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى
قل لا اشهد قل انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون الشيء اعم العام لوقوعه
على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيقع على القديم والجرم والعرض • والمحال والمستقيم
ولذلك صح ان يقال في الله تعالى شيء لا كالاشياء كانك قلت معلوم لا كسائر المعلومات
ولم يصح جسم لا كالاجسام واراد اي شيء شهيد اكبر شهادة • موضع شيئا مقام شهيد ليبالغ في
بالتعميم ف قل الله شهيد بيني وبينكم يحتمل ان يكون • تم الجواب عند قوله قل الله بمعنى الله اكبر
شهادة • ثم ابتدئ شهيد بيني وبينكم اي هو شهيد بيني وبينكم وان يكون الله شهيد بيني وبينكم
هو الجواب لدلالته على ان الله عز وجل اذا كان هو الشهيد بينه وبينهم فاكبر شيء
شهادة شهيد له ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين من اهل مكة • اي لانذركم به وانذر كل من
بلغه القرآن من العرب والعجم • وقيل من الثقلين • وقيل من بلغه الى يوم القيمة • وعن سعيد بن
جبير من بلغه القرآن فكانما رأى محمدا صلى الله عليه وسلم ف ائنكم لتشهدون تقرير لهم مع
انكار واستبعاد قل لا اشهد شهادتكم الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون
ابناءهم الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون الذين آتيناهم الكتاب يعني اليهود والنصارى
يعرفونه يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته ونعته الثابت • في الكتابين معرفة خالصة
كما يعرفون ابناءهم بحلاهم • ونعوتهم لا يخفون عليهم ولا يلتبسون بغيرهم • وهذا استشهاد لاهل
مكة • بمعرفة اهل الكتاب به وبصحة نبوته • ثم قال الذين خسروا انفسهم من المشركين
ومن اهل الكتاب الجاحدين فهم لا يؤمنون به ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب
بآياته انه لا يفلح الظالمون جمعوا بين امرين متناقضين تكذبوا على الله ما لا حجة عليه وكذبوا
بما ثبت بالحجة البينة والبرهان الصحيح • حيث قالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا وقالوا
والله امرنا بها وقالوا الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ونسبوا اليه البحائر والسوائب
وذهبوا فكذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحرا ولم يؤمنوا بالرسول ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول
للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ويوم نحشرهم ناصبه محذوف تقديره ويوم نحشرهم
نترك ليبقى على الابهام الذي هو ادخل في التخويف • اين شركاؤكم اي آلهتكم التي جعلتموها
شركاء لله • وقوله ف الذين كنتم تزعمون معناه تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان • وفي
نحشرهم • ثم نقول بالياء فيهما وانما يقال لهم ذلك على جهة التوبيخ ويجوز ان يشاهدوهم الا انهم

حين لا ينفعونهم ولا يكون منهم ما رجوا من الشفاعة. فكأنهم غيب عنهم وأن يحال بينهم
وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بهم الرجاء فيها مكان خزيهم
وحسرتهم ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فتنتهم
كفرهم. والمعنى لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه أعمارهم وقاتلوا عليه وافتخروا
به وقالوا دين آبائنا. إلا جحوده. والتبرؤ منه. والحلف. على الانتفاء من التدين
به. ويجوز أن يراد. ثم لم يكن جوابهم إلا أن قالوا فسمي فتنة لأنه كذب وقرئ
تكن بالتاء. وفتنتهم بالنصب. وإنما أنث أن قالوا لوقوع الخبر مؤنثا كقولهم من كانت
أمك وقرئ بالياء. ونصب الفتنة بالياء والتاء مع رفع الفتنة وقرئ ربنا
بالنصب على النداء انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون
وضل عنهم وغاب عنهم ما كانوا يفترونه. أي يفترون الإلهية والشفاعة
فإن قلت كيف يصح أن يكذبوا حين يطلعون على حقائق الأمور وعلى أن الكذب
والجحود لا وجه لنفعه قلت الممتحن ينطق بما ينفعه وبما لا ينفعه من غير
تمييز بينهما. حيرة ودهشا ألا تراهم يقولون ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا
ظالمون. وقد أيقنوا بالخلود ولم يشكوا فيه. وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك وقد
علموا أنه لا يقضى عليهم وأما قول من يقول معناه ما كنا مشركين عند أنفسنا
وما علمنا أنا على خطأ في معتقدنا وحمل قوله انظر كيف كذبوا على أنفسهم يعني في
الدنيا فتمحل وتعسف. وتحريف. لأفصح الكلام إلى ما هو عي وإفحام لأن المعنى الذي
ذهبوا إليه ليس هذا الكلام بمترجم عنه ولا منطبق عليه وهو ناب عنه أشد النبو
وما أدري ما يصنع من ذلك تفسيره. بقوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا
فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون بعد قوله
ويحلفون على الكذب وهم يعلمون. فشبه كذبهم في الآخرة بكذبهم في الدنيا
ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن يروا كل آية لا يؤمنوا
بها حتى إذا جاؤوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين ومنهم من يستمع إليك حين
تتلو القرآن. روي أنه اجتمع أبو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وأبو جهل وأضرابهم يستمعون
تلاوة القرآن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر يا أبا قتيلة ما يقول محمد فقال والذي جعلها بيته يعني الكعبة
ما أدري ما يقول إلا أنه يحرك لسانه. ويقول أساطير الأولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال أبو سفيان
إني لا أراه حقا فقال أبو جهل كلا فنزلت والأكنة على القلوب والوقر في الآذان مثل في نبو قلوبهم ومسامعهم عن
قبوله إذ هي حكاية لما كانوا ينطقون به من قولهم وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وقرئ الحق وقرأ بكسر الواو
ويجوز أن تكون الجارة حتى إذا جاؤوك يجادلونك هي حتى التي يقع بعدها الجمل والجملة قوله إذا جاؤوك يقول الذين كفروا ويجادلونك
في موضع الحال ويجوز أن تكون الجارة ويكون إذا جاؤوك في محل الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال وقوله يقول
الذين كفروا تفسير له والمعنى أنه بلغ تكذيبهم الآيات إلى أنهم يجادلونك ويناكرونك وفسر مجادلتهم بأنهم يقولون
إن هذا إلا أساطير الأولين فيجعلون كلام الله وأصدق الحديث خرافات. وأكاذيب. وهي الغاية

بلغ مقابلة

الغاية

الغاية ح

بلغ مقابلة

وهي في التكذيب وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون وهم ينهون الناس عن القرآن وعن الرسول واتباعه ويثبطونهم عن الايمان به وينأون عنه بانفسهم فيضلون ويضلون وان يهلكون بذلك الا انفسهم ولا يتعداهم الضرر الى غيرهم وان كانوا يظنون انهم يضرون رسول الله عليه الصلاة والسلام وقيل ابو طالب لانه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عنه فلا يؤمن به وروي انهم اجتمعوا الى ابي طالب وارادوا برسول الله سوءا فقال ابو طالب

والله لن يصلوا اليك بجمعهم ... حتى اوسد في التراب دفينا
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة ... وابشر بذاك وقر منه عيونا
ودعوتني وزعمت انك ناصحي ... ولقد صدقت وكنت ثم امينا
وعرضت دينا لا محالة انه ... من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة او حذاري سبة ... لوجدتني سمحا بذاك مبينا

فنزلت ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ولو ترى جوابه محذوف تقديره ولو ترى لرأيت امرا شنيعا ووقفوا على النار اروها حتى يعاينوها واطلعوا عليها اطلاعا هي تحتهم او ادخلوها فعرفوا مقدار عذابها من قولك وقفته على كذا اذا فهمته وعرفته وقرئ ووقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا يا ليتنا نرد تم تمنيهم ثم ابتدؤا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين واعدين الايمان كأنهم قالوا ونحن لا نكذب ونؤمن على وجه الاثبات وشبهه سيبويه بقولهم دعني ولا اعود بمعنى دعني ولا اعود تركتني او لم تتركني ويجوز ان يكون معطوفا على نرد او حالا على معنى يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين فيدخل تحت حكم التمني فان قلت يدفع ذلك قوله وانهم لكاذبون لان المتمني لا يكون كاذبا قلت هذا تمن قد تضمن معنى العدة فجاز ان يتعلق به التكذيب كما يقول الرجل ليت الله يرزقني مالا فاحسن اليك واكافيك على صنيعك فهذا متمن في معنى الواعد فلو رزق مالا ولم يحسن الى صاحبه ولم يكافيه كذب كأنه قال ان رزقني الله مالا كافأتك على الاحسان وقرئ ولا نكذب ونكون بالنصب باضمار ان على جواب التمني ومعناه ان رددنا بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من الناس من قبائحهم وفضائحهم في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم فلذلك تمنوا ما تمنوا ضجرا لا انهم عازمون على انهم لو ردوا وقيل هو في المنافقين وانه يظهر نفاقهم الذي كانوا يسرونه وقيل هو في اهل الكتاب وانه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو ردوا الى الدنيا بعد وقوفهم على النار لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم لا يفون به وقالوا عطف على لعادوا اي ولو ردوا لكفروا ولقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا كما كانوا يقولون قبل معاينة القيامة ويجوز ان يعطف على قوله وانهم لكاذبون على معنى وانهم لقوم كاذبون في كل شيء وهم الذين قالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وكفى به دليلا على كذبهم ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وقفوا على ربهم مجاز عن للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده ليعاتبه وقيل وقفوا على جزاء ربهم وقيل عرفوه حق التعريف وقال مردود على قول قائل قال ماذا قال لهم ربهم اذ وقفوا عليه فقيل قال أليس هذا بالحق وهذا تعيير من الله لهم على التكذيب وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث والجزاء ما هو بحق وما هو الا باطل وبما كنتم تكفرون بكفركم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا

يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون بلقاء الله ببلوغ الآخرة وما يتصل بها وقد حقق الكلام فيه في موضع آخر وحتى غاية لكذبوا لا لخسر لأن خسرانهم لا غاية له أي ما زال بهم التكذيب إلى حسرتهم وقت مجيء الساعة فإن قلت أما يتحسرون عند موتهم قلت لما كان الموت وقوعا في أحوال الآخرة ومقدماتها جعل من جنس الساعة وسمي باسمها ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته أو جعل مجيء الساعة بعد الموت لسرعته كالواقع بغير فترة والبغتة فجاءة وانتصابها على الحال بمعنى باغتة أو على المصدر كأنه قيل بغتتهم الساعة بغتة في فرطنا فيها الضمير للحياة الدنيا جيء بضميرها وإن لم يجر ذكرها لكونها معلومة أو للساعة على معنى قصرنا في شأنها وفي الإيمان بها كما تقول فرطت في فلان ومنه فرطت في جنب الله يحملون أوزارهم على ظهورهم لقوله تعالى فبما كسبت أيديكم لأنه اعتيد حمل الأثقال على الظهور كما ألف الكسب بالأيدي ساء ما يزرون بئس شيئا يزرون وزرهم كقوله تعالى ساء مثلا القوم وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون جعل أعمال الدنيا بالآخرة لعبا ولهوا واشتغالا بما لا يعني ولا يعقب منفعة كما تعقب أعمال الآخرة المنافع العظيمة وقوله للذين يتقون دليل على أن ما سوى أعمال المتقين لعب ولهو وقرأ ابن عامر ولدار الآخرة وقرئ تعقلون بالياء والتاء قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون قد في قد نعلم بمعنى ربما الذي تجيء لزيادة الفعل وكثرته ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في إنه ضمير الشأن ليحزنك قرئ بفتح الياء وضمها والذي يقولون هو قولهم ساحر كذاب لا يكذبونك قرئ بالتشديد والتخفيف من كذبه إذا جعله كاذبا في زعمه وأكذبه إذا وجده كاذبا والمعنى أن تكذيبك أمر راجع إلى الله لأنك رسوله المصدق بالمعجزات فهم لا يكذبونك في الحقيقة وإنما يكذبون الله بجحود آياته فانته عن حزنك لنفسك وأنهم كذبوك وأنت صادق وليشغلك عن ذلك ما هو أهم وهو استعظامك لجحود آيات الله والاستهانة بكتابه ونحوه قول السيد لغلامه

إذا أهانه بعض الناس إنهم لم يهينوك وإنما أهانوني

ومن هذه الطريقة قوله تعالى إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله وقيل فإنهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بألسنتهم وقيل فإنهم لا يكذبونك لأنك عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بآيات الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يسمى الأمين فعرفوا أنه لا يكذب في شيء ولكنهم يجحدون وكان أبو جهل يقول ما نكذبك وإنك عندنا لمصدق وإنما نكذب ما جئتنا به وروي أن الأخنس بن شريق قال لأبي جهل يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فإنه ليس عندنا أحد غيرنا فقال له والله إن محمدا لصادق وما كذب قط ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقوله ولكن الظالمين من إقامة الظاهر مقام المضمر للدلالة على أنهم ظلموا في جحودهم ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين ولقد كذبت تسلية لرسول الله عليه الصلاة والسلام وهذا دليل على أن قوله فإنهم لا يكذبونك ليس بنفي لتكذيبه وإنما هو من قولك لغلامك ما أهانوك ولكنهم أهانوني على ما كذبوا وأوذوا على تكذيبهم وإيذائهم ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون ولقد جاءك من نبإ المرسلين بعض أنبائهم وقصصهم وما كابدوا من مصابرة المشركين وإن كان كبر عليك إعراضهم

فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين كان
يكبر على النبي صلى الله عليه وسلم كفر قومه وإعراضهم عما جاء به فنزل لعلك باخع نفسك إنك لا تهدي من أحببت
وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا منفذا تنفذ فيه إلى ما تحت الأرض حتى تطلع لهم آية
يؤمنون بها أو سلما في السماء فتأتيهم منها بآية فافعل يعني أنك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه على إسلام
قومه وتهالكه عليه وأنه لو استطاع أن يأتيهم بآية من تحت الأرض أو من فوق السماء لأتى بها رجاء إيمانهم وقيل كانوا
كانوا يقترحون الآيات فكان يود أن يجابوا إليها لتمادي حرصه على إيمانهم فقيل له إن استطعت كذا فافعل دلالة
على أنه بلغ من حرصه أنه لو استطاع ذلك لفعله حتى يأتيهم بما اقترحوا لعلهم يؤمنون ويجوز أن يكون ابتغاء النفق في
الأرض أو السلم في السماء هو الإتيان بالآية كأنه قيل لو استطعت النفوذ إلى ما تحت الأرض أو الرقي في السماء لفعلت
لعل ذلك يكون لك آية يؤمنون عندها وحذف جواب إن كما تقول إن شئت أن تقوم بنا إلى فلان نزوره
ولو شاء الله لجمعهم على الهدى بأن يأتيهم بآية ملجئة ولكنه لا يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين من الذين
يجهلون ذلك ويرومون ما هو خلافه إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون إنما يستجيب
الذين يسمعون يعني أن الذين تحرص على أن يصدقوك بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون وإنما يستجيب من يسمع كقوله تعالى
إنك لا تسمع الموتى والموتى يبعثهم الله مثل لقدرته على إلجائهم إلى الاستجابة بأنه هو الذي يبعث الموتى من القبور يوم
القيامة ثم إليه يرجعون للجزاء فكان قادرا على هؤلاء الموتى بالكفر أن يحييهم بالإيمان وأنت لا تقدر على ذلك
وقيل معناه وهؤلاء الموتى يعني الكفرة يبعثهم الله ثم إليه يرجعون فحينئذ يسمعون وأما قبل ذلك فلا سبيل إلى استماعهم
وقرئ يرجعون بفتح الياء وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون
لولا نزل عليه آية نزل بمعنى أنزل وقرئ أن ينزل بالتشديد والتخفيف وذكر الفعل والفاعل مؤنث لأن
تأنيث آية غير حقيقي وحسن للفصل وإنما قالوا ذلك لتكاثر ما أنزل من الآيات على رسول الله صلى الله
عليه وسلم لتركهم الاعتداد بما أنزل عليه كأنه لم ينزل عليه شيء من الآيات عنادا منهم قل إن الله قادر على أن
ينزل آية تضطرهم إلى الإيمان كنتق الجبل على بني إسرائيل ونحوه أو آية إن جحدوها جاءهم العذاب ولكن أكثرهم
لا يعلمون أن الله قادر على أن ينزل تلك الآية وأن صارفا من الحكمة يصرفه عن إنزالها وما من دابة في الأرض
ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون أمم أمثالكم
مكتوبة أرزاقها وآجالها وأعمالها كما كتبت أرزاقكم وآجالكم وأعمالكم ما فرطنا ما تركنا وما أغفلنا في الكتاب
في اللوح المحفوظ من شيء من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ما وجب أن يثبت مما يختص به ثم إلى ربهم يحشرون
يعني الأمم كلها من الدواب والطير فيعوضها وينصف بعضها من بعض كما روي أنه يأخذ للجماء من القرناء
فإن قلت كيف قيل إلا أمم مع إفراد الدابة والطائر قلت لما كان قوله وما من دابة ولا طائر دالا على
معنى الاستغراق ومغنيا عن أن يقال وما من دواب ولا طير حمل على قوله إلا أمم على المعنى فإن قلت
فهلا قيل وما من دابة ولا طائر إلا أمم أمثالكم وما معنى زيادة قوله في الأرض ويطير بجناحيه قلت
معنى ذلك زيادة التعميم والإحاطة كأنه قيل وما من دابة قط في جميع الأرضين السبع وما من طائر قط في جو السماء من
جميع ما يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم محفوظة أحوالها غير مهملة فإن قلت فما الغرض في ذكر ذلك قلت
الدلالة على عظم قدرته ولطف علمه وسعة سلطانه وتدبيره تلك الخلائق المتفاوتة الأجناس المتكاثرة الأصناف

وهو حافظ لما لها وما عليها مهيمن على احوالها لا يشغله شأن عن شأن وان المكلفين ليسوا بمخصوصين بذلك دون من عداهم
من سائر الحيوان • وقرئ ابن ابي عبلة ولا طائر بالرفع على المحل كانه قيل وما دابة ولا طائر • وقرأ علقمة ما فرطنا
بالتخفيف والذين كذبوا باياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم فان قلت
كيف اتبعه قوله والذين كذبوا باياتنا قلت لما ذكر من خلائقه وآثار قدرته ما يشهد لربوبيته وينادي على عظمته
قال والمكذبون صم لا يسمعون كلام المنبه بكم لا ينطقون بالحق خابطون في ظلمات الكفر فهم غافلون عن تامل ذلك
والتفكر فيه • ثم قال ايذانا بانهم من اهل الطبع من يشأ الله يضلله • اي يخذله ويخله وضلاله لم يلطف به لانه ليس من اهل
اللطف ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم اي يلطف به لان اللطف يجدي عليه قل ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم
الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون
ارأيتكم اخبروني والضمير الثاني لا محل له من الاعراب لانك تقول ارأيتك زيدا ما شأنه فلو جعلت للكاف محلا
لكنت كانك تقول ارأيت نفسك زيدا ما شأنه وهو خلف من القول ومتعلق الاخبار محذوف تقديره ارأيتكم ان اتيكم
عذاب الله او اتتكم الساعة من تدعون • ثم بكتهم بقوله اغير الله تدعون بمعنى اتخصون آلهتكم بالدعوة فيما هو
عادتكم اذا اصابكم ضر ام تدعون الله دونها بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة فيكشف ما تدعون اليه
اي ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان اراد ان يتفضل عليكم ولم تكن مفسدة وتنسون ما تشركون وتتركون آلهتكم
ولا تذكرونها في ذلك الوقت لان اذهانكم مغمورة بذكر ربكم وحده اذ هو القادر على كشف الضر دون غيره ويجوز
ان يتعلق الاستخبار بقوله اغير الله تدعون كانه قيل ارأيتكم اغير الله تدعون ان اتيكم عذاب الله فان قلت
ان علقت الاستخبار به فما تصنع بقوله فيكشف ما تدعون اليه مع قوله او اتتكم الساعة وقوارع الساعة لا تكشف
عن المشركين قلت قد اشترط في الكشف المشيئة وهو قوله ان شاء ايذانا بانه ان فعل كان له وجه من الحكمة الا انه لا
يفعل لوجه آخر من الحكمة ارجح منه ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون
البأساء والضراء البؤس والضر وقيل البأساء القحط والجوع • والضراء المرض • ونقصان الانفس والاموال والمعنى
ولقد ارسلنا الرسل فكذبوهم • فاخذناهم لعلهم يتضرعون يتذللون ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم
فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون فلولا اذ جاءهم بأسنا
تضرعوا معناه نفي التضرع كانه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم بأسنا ولكنه جاء بلولا ليفيد انه لم يكن لهم عذر
في ترك التضرع الا عنادهم وقسوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي زينها الشيطان لهم فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم
ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله
رب العالمين فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء اي تركوا الاتعاظ به ولم ينجع فيهم ولم يزجرهم فتحنا عليهم
ابواب كل شيء من الصحة والسعة وصنوف النعمة ليزاوج عليهم بين نوبتي البأساء والضراء كما يفعل الاب المشفق بولده
يخاشنه تارة ويلاطفه اخرى طلبا لصلاحه حتى اذا فرحوا بما اوتوا من الخير والنعم لم يزيدوا على الفرح والبطر
من غير انتداب لشكر ولا تصد لتوبة واعتذار اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون واجمون متحسرون آيسون فقطع
دابر القوم آخرهم لم يترك منهم احد قد استوصلت شأفتهم والحمد لله رب العالمين • ايذان بوجوب الحمد لله عند هلاك
الظلمة وانه من اجل النعم واجزل القسم وقرئ فتحنا بالتشديد قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم
من اله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون ان اخذ الله سمعكم وابصاركم بان يصمكم ويعميكم

وختم

وختم على قلوبكم بان تغطى عليها ما يذهب عنه فهمكم وعقلكم من اله غير الله يأتيكم به اي يأتيكم بذلك اجراء للضمير مجرى اسم الاشارة او بما
اخذ وختم عليه ثم هم يصدفون يعرضون عن الآيات بعد ظهورها قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك
إلا القوم الظالمون لما كانت البغتة ان يقع الامر من غير ان يشعر به وتظهر اماراته قيل بغتة او جهرة وعن الحسن
ليلا او نهارا وقرئ بغتة او جهرة هل يهلك اي ما يهلك هلاك تعذيب وسخط الا الظالمون وقرئ هل
يهلك بفتح الياء وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا
بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون الا مبشرين ومنذرين من آمن بهم وبما جاؤوا به واطاعهم ومن كذبهم وعصاهم
ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتقوح عليهم الآيات بعد وضوح امرهم بالبراهين القاطعة واصلح ما يجب اصلاحه مما كلف
جعل العذاب ماسا كانه حي يفعل بهم ما يريد من الآلام ومنه قولهم لقيت منه الامرين والاقورين حيث جمعوا
جمع العقلاء وقوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم
الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون اي لا ادعي ما يستبعد
في العقول ان يكون لبشر من ملك خزائن الله وهي قسمة بين الخلق وارزاقه وعلم الغيب ولا من الملائكة الذين هم اشرف
جنس خلقه الله وافضله واقربه منزلة منه اي لم ادع الالهية ولا الملكية لانه ليس بعد الالهية منزلة ارفع من منزلة الملائكة
حتى تستبعدوا دعواي وتستنكروها وانما ادعي ما كان مثله لكثير من البشر وهو النبوة وهل يستوي الأعمى والبصير مثل
للضال والمهتدي ويجوز ان يكون مثلا لمن اتبع ما يوحى اليه ومن لم يتبع او لمن ادعى المستقيم وهو النبوة والمحال وهو الالهية
او الملكية أفلا تتفكرون فلا تكونوا ضالين اشباه العميان او فتعلموا اني ما ادعيت ما لا يليق بالبشر او فتعلموا ان اتباع ما
يوحى الي مما لا بد لي منه فان قلت أعلم الغيب ما محله من الاعراب قلت النصب عطفا على محل قوله
عندي خزائن الله لانه من جملة المقول كانه قال لا اقول لكم وانذر به الضمير راجع الى قوله ما يوحى الي والذين يخافون
أن يحشروا إلى ربهم هم المؤمنون المفرطون في العمل فيسددهم بما يوحى اليه لعلهم
يتقون اي يدخلون في زمرة اهل التقوى من المسلمين واما اهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث واما ناس من المشركين
علم من حالهم انهم يخافون اذا سمعوا بحديث البعث ان يكون حقا فيهلكوا فهم ممن يرجى ان ينجع فيهم الانذار دون
المتمردين منهم فأمر ان ينذر هؤلاء وقوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا والمعنى يخافون
ان يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم ولا بد من هذه الحال لان كلا محشور فالمخوف انما هو الحشر على هذه الحال
ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم
من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين ذكر غير المتقين من المسلمين وامر بانذارهم ليتقوا ثم اردفهم ذكر المتقين منهم وامره
بتقريبهم واكرامهم وان لا يطيع فيهم من اراد بهم خلاف ذلك واثنى عليهم بانهم انهم يواصلون دعاء ربهم اي عبادته
ويواظبون عليها والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل معناه يصلون صلاة الصبح والعصر ووسمهم بالاخلاص
في عباداتهم بقوله يريدون وجهه والوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته روي ان رؤساء من المشركين
قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين وهم عمار وصهيب وخباب
وسلمان رضي الله عنهم واضرابهم وارواح جبابهم وكانت عليهم جباب من صوف جلسنا اليك وحادثناك
فقال صلى الله عليه وسلم ما انا بطارد المؤمنين فقالوا فاقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا فاقعدهم معك ان شئت فأراد
هم طمعا في ايمانهم وروي ان عمر رضي الله عنه قال له لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون فقالوا فاكتب بذلك كتابا

فدعا بالصحيفة وبعلي رضي الله عنه ليكتب فنزلت فرمى بالصحيفة واعتذر عمر رضي الله عنه من مقالته قال سلمان
رضي الله عنه وخباب فينا نزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا ويدنو منا وندنو منه حتى تمس ركبنا
ركبته وكان يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى
ان نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا ومعكم الممات ما عليك
من حسابهم من شيء كقوله تعالى ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون وذلك انهم طعنوا في دينهم باخلاصهم فقال
ما عليك من حسابهم من شيء بعد شهادته لهم بالاخلاص وبارادة وجه الله في اعمالهم على معنى وان كان الامر على
ما يقولون عند الله فما يلزمك الا اعتبار الظاهر والاتسام بسيرة المتقين وان كان لهم باطن غير مرضي فحسابهم
عليهم لازم لهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم كما قال تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى
فان قلت اما كفى قوله ما عليك من حسابهم من شيء حتى ضم اليه وما من حسابك عليهم من شيء قلت قد جعلت
الجملتان بمنزلة جملة واحدة وقصد بهما مؤدى واحد وهو المعنى في قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا يستقل
بهذا المعنى الا الجملتان جميعا كانه قيل لا تؤاخذ انت ولا هم بحساب صاحبه وقيل الضمير للمشركين والمعنى
لا يؤاخذون بحسابك ولا انت بحسابهم حتى يهمك ايمانهم ويحركك الحرص عليه الى ان تطرد المؤمنين فتطردهم
جواب النفي فتكون من الظالمين جواب النهي ويجوز ان يكون عطفا على فتطردهم فتكون على وجه التسبيب لان
كونه ظالما مسبب عن طردهم وقرئ بالغدوة والعشي وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا اهؤلاء من الله
عليهم من بيننا اليس الله باعلم بالشاكرين وكذلك فتنا ومثل ذلك الفتن العظيم فتنا بعض الناس ببعض
اي ابتليناهم بهم وذلك ان المشركين كانوا يقولون للمسلمين اهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا اي انعم عليهم بالتوفيق
لاصابة الحق ولما يسعدهم عنده من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء انكارا لان يكون
امثالهم على الحق وممنونا عليهم من بينهم بالخير ونحوه ءالقي الذكر عليه من بيننا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ومعنى فتناهم
ليقولوا ذلك خذلناهم فافتتنوا حتى كان افتتانهم سببا لهذا القول لانه لا يقول مثل قولهم هذا الا مخذول
مفتون اليس الله باعلم بالشاكرين اي الله اعلم بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه للايمان وبمن يصمم على كفره
فيخذله ويمنعه التوفيق واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل
منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم وكذلك نفصل الايات ولتستبين سبيل المجرمين
فقل سلام عليكم اما ان يكون امرا بتبليغ سلام الله اليهم واما ان يكون امرا بان يبدأهم بالسلام اكراما لهم وتطييبا
لقلوبهم وكذلك قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة من جملة ما يقول لهم ليسرهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله
التوبة منهم وقرئ انه فانه بالكسر على الاستيناف كان الرحمة استفسرت فقيل انه من عمل منكم وبالفتح على
الابدال من الرحمة بجهالة في موضع الحال اي عمله وهو جاهل وفيه معنيان احدهما انه فاعل فعل الجهلة لان
من عمل ما يؤدي الى الضرر في العاقبة وهو عالم بذلك او ظان فهو من اهل السفه والجهل لا من اهل
الحكمة والتدبير ومنه قول الشاعر

على انها قالت عشية زرتها ۞ جهلت على عمد ولم تك جاهلا

والثاني انه جاهل بما يتعلق به من المكروه والمضرة ومن حق الحكيم ان لا يقدم على شيء حتى يعلم حاله وكيفيته
وقيل انها نزلت في عمر رضي الله عنه حين اشار باجابة الكفرة الى ما سألوا ولم يعلم انها مفسدة وقرئ وليستبين

الجزء ثمن

بالياء والتاء مع رفع السبيل لانها تذكر وتؤنث وبالتاء على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم مع نصب السبيل يقال استبان
الامر وتبين واستبنته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل البين نفصل آيات القرآن ونلخصها في صفة احوال المجرمين
من هو مطبوع على قلبه لا يرجى اسلامه ومن يرى فيه امارة القبول وهو الذي يخاف اذا سمع ذكر القيامة ومن دخل
في الاسلام الا انه لا يحفظ حدوده ولتستوضح سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يجب ان يعامل به فصلنا ذلك التفصيل
قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله قل لا اتبع اهواءكم قد ضللت اذا وما انا من المهتدين
نهيت صرفت وزجرت بما ركب في من ادلة العقل وبما اوتيت من ادلة السمع عن عبادة ما تعبدون من دون
الله وفيه استجهال لهم ووصف بالاقتحام فيما كانوا فيه على غير بصيرة قل لا اتبع اهواءكم اي لا اجري في طريقتكم
التي سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى دون اتباع الدليل وهو بيان للسبب الذي منه وقعوا في الضلال وتنبيه
لكل من اراد اصابة الحق ومجانبة الباطل قد ضللت اذا اي ان اتبعت اهواءكم فانا ضال وما انا من الهدى
في شيء يعني انكم كذلك قل اني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير
الفاصلين قل لو ان عندي ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين ولما نفى ان يكون الهوى
متبعا نبه على ما يجب اتباعه بقوله قل اني على بينة من ربي ومعنى قوله اني على بينة من ربي وكذبتم به اني من معرفة
ربي وانه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق وكذبتم به انتم حيث اشركتم به غيره يقال انا على بينة
من هذا الامر وانا على يقين منه اذا كان ثابتا عندك بدليل ثم عقبه بما دل به على استعظام تكذيبهم بالله وشدة
غضبه عليهم لذلك وانهم احقاء بان يغضب عليهم بالعذاب المستأصل فقال ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه
في قولهم فامطر علينا حجارة من السماء ان الحكم الا لله في تأخير عذابكم يقضي الحق اي القضاء الحق في كل ما يقضي من
التأخير والتعجيل في اقسامه وهو خير الفاصلين اي القاضين وقرئ يقص الحق اي يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره
من قص اثره لو ان عندي اي في قدرتي وامكاني ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم
عاجلا غضبا لربي وامتعاضا من تكذيبكم به ولتخلصت منكم سريعا والله اعلم بالظالمين وبما يجب في الحكمة من كنه
عقابهم وقيل على بينة من ربي على حجة من جهة ربي وهي القرآن وكذبتم به اي بالبينة وذكر الضمير على تأويل
البيان او القرآن فان قلت بم انتصب الحق قلت بانه صفة لمصدر يقضي اي القضاء الحق ويجوز ان
يكون مفعولا به من قولهم قضى الدرع اذا صنعها اي يصنع الحق ويدبره وفي قراءة عبد الله يقضي بالحق فان قلت
لم اسقط الباء في الخط قلت اتباعا للخط اللفظ وسقوطها في اللفظ لالتقاء الساكنين وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها
الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس
الا في كتاب مبين جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة لان المفاتح يتوصل بها الى ما في المخازن المستوثق منها بالاغلاق
والاقفال ومن علم مفاتحها وكيف يفتح توصل اليها فاراد انه المتوصل الى المغيبات وحده لا يتوصل اليها غيره
كمن عنده مفاتح اقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل الى ما في المخازن والمفاتح جمع مفتح وهو المفتاح وقرئ
مفاتيح وقيل هي جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن ولا حبة ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل في حكمها
كانه قيل وما يسقط من شيء من هذه الاشياء الا يعلمه وقوله الا في كتاب مبين كالتكرير لقوله الا يعلمها لان
معنى الا يعلمها ومعنى الا في كتاب مبين واحد والكتاب المبين علم الله او اللوح وقرئ ولا حبة ولا رطب
ولا يابس بالرفع وفيه وجهان ان يكون عطفا على محل من ورقة وان يكون رفعا على الابتداء وخبره الا في كتاب مبين

كقولك لا رجل منهم ولا امرأة إلا في الدار وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى
ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون وهو الذي يتوفاكم بالليل الخطاب للكفرة أي أنتم منسدحون الليل كله كالجيف
ويعلم ما جرحتم بالنهار ما كسبتم من الآثام فيه ثم يبعثكم فيه ثم يبعثكم من القبور في شأن ذلك الذي قطعتم به أعماركم
من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ومن أجله كقولك فيم دعوتني فيقول في أمر كذا ليقضى أجل مسمى وهو الأجل
الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على أعمالهم ثم إليه مرجعكم وهو المرجع إلى موقف الحساب ثم ينبئكم
بما كنتم تعملون في ليلكم ونهاركم وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته
رسلنا وهم لا يفرطون حفظة ملائكة حافظين لأعمالكم وهم الكرام الكاتبون • وعن أبي حاتم السجستاني
أنه كتب عن الأصمعي كل شيء يلفظ به من فوائد العلم حتى قال فيه أنت شبيه الحفظة تكتب لفظ اللفظة فقال
أبو حاتم وهذا أيضا مما يكتب فإن قلت الله تعالى غني بعلمه عن كتبة الملائكة فما فائدتها قلت فيها
لطف للعباد لأنهم إذا علموا أن الله رقيب عليهم والملائكة الذين هم أشرف خلقه موكلون بهم يحفظون عليهم أعمالهم
ويكتبونها عليهم في صحائف تعرض على رؤوس الأشهاد في مواقف القيامة كان ذلك أزجر لهم عن القبيح وأبعد من السوء
وتوفته رسلنا أي استوفت روحه وهم ملك الموت وأعوانه • وعن مجاهد جعلت الأرض له مثل الطست
يتناول من يتناوله وما من أهل بيت إلا ويطوف عليهم في كل يوم مرتين • وقرئ توفاه • ويجوز أن يكون ماضيا
ومضارعا بمعنى تتوفاه ويفرطون بالتشديد والتخفيف فالتفريط التواني والتأخير عن الحد والإفراط مجاوزة الحد
أي لا ينقصون مما أمروا به ولا يزيدون فيه ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين ثم ردوا
إلى الله أي إلى حكمه وجزائه مولاهم مالكهم الذي يلي عليهم أمورهم الحق العدل الذي لا يحكم إلا بالحق ألا له الحكم يومئذ
لا حكم فيه لغيره وهو أسرع الحاسبين لا يشغله حساب عن حساب وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولك الحمد لله
الحق قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم
منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون ظلمات البر والبحر مجاز عن مخاوفهما وأهوالهما يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم
ذو كواكب أي اشتدت ظلمته حتى عاد كالليل ويجوز أن يراد ما يشفون عليه من الخسف في البر والغرق في البحر بذنوبهم فإذا
دعوا وتضرعوا كشف الله عنهم الخسف فنجوا من ظلمتهما لئن أنجيتنا على إرادة القول من هذه الظلمة والشدة وقرئ ينجيكم
بالتخفيف والتشديد وأنجانا وخفية بالضم والكسر قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت
أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون هو القادر هو الذي
عرفتموه قادرا وهو الكامل القدرة عذابا من فوقكم كما أمطر على قوم لوط وأصحاب الفيل الحجارة وأرسل على قوم نوح الطوفان
أو من تحت أرجلكم كما أغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم من قبل أكابركم وسلاطينكم ومن تحت
أرجلكم من قبل سفلتكم وعبيدكم وقيل هو حبس المطر والنبات أو يلبسكم شيعا أو يخلطكم فرقا مختلفين على أهواء
شتى كل فرقة منكم مشايعة لإمام ومعنى خلطهم أن ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال
من قوله: وكتيبة لبستها بكتيبة حتى إذا التبست نفضت لها يدي • وعن النبي صلى الله عليه وسلم سألت
الله أن لا يبعث على أمتي عذابا من فوقهم أو من تحت أرجلهم فأعطاني ذلك وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني
وأخبرني جبريل عليه الصلاة والسلام أن فناء أمتي بالسيف • وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه لما نزل من فوقكم
قال النبي صلى الله عليه وسلم أعوذ بوجهك فلما نزل أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا قال هاتان أهون ومعنى الآية الوعيد

باحد

باحد اصناف العذاب المعدودة وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبإ مستقر وسوف تعلمون
والضمير في قوله وكذب به راجع الى العذاب وهو الحق اي لا بد من ان ينزل بهم قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل
الي امركم امنعكم من التكذيب اجبارا انما انا منذر لكل نبإ لكل شيء ينبا به يعني انباءهم بانهم يعذبون وايعادهم
به مستقر وقت استقرار وحصول لا بد منه وقيل الضمير في به للقران واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا
فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين
يخوضون في اياتنا في الاستهزاء بها والطعن فيها وكانت قريش في انديتهم يفعلون ذلك فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم
حتى يخوضوا في حديث غيره فلا باس ان تجالسهم حينئذ واما ينسينك الشيطان وان شغلك بوسوسته حتى تنسى النهي عن مجالستهم
فلا تقعد معهم بعد الذكرى بعد ان تذكر النهي وقرئ ينسينك بالتشديد ويجوز ان يراد وان كان الشيطان ينسيك
قبل النهي قبح مجالسة المستهزئين لانها مما تنكره العقول فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان اذكرناك قبحها ونبهناك عليه معهم
وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء وما يلزم
المتقين الذين يجالسونهم شيء مما يحاسبون عليه من ذنوبهم ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى اذا سمعوهم يخوضون بالقيام
عنهم واظهار الكراهة لهم وموعظتهم لعلهم يتقون يجتنبون الخوض حياء او كراهة لمساءتهم ويجوز ان يكون الضمير
للذين يتقون اي يذكرونهم ارادة ان يثبتوا على تقواهم ويزدادوها وروي ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما
استهزءوا بالقران لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام وان نطوف فرخص لهم فان قلت ما محل ذكرى قلت
يجوز ان يكون نصبا على ولكن يذكرونهم ذكرى اي تذكيرا او رفعا على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز ان يكون عطفا
على محل من شيء كقولك ما في الدار من احد ولكن زيد لان قوله من حسابهم وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا
وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به ان تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وان تعدل كل عدل
لا يؤخذ منها اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون اتخذوا دينهم
لعبا ولهوا اي دينهم الذي كان يجب ان ياخذوا به لعبا ولهوا وذلك ان عبادة الاصنام وما كانوا عليه من تحريم
والسوايب وغير ذلك من باب اللعب واللهو واتباع هوى النفس والعمل بالشهوة ومن جنس الهزل دون الجد
واتخذوا ما هو لعب ولهو من عبادة الاصنام وغيرها ما هو دينا لهم او اتخذوا دينهم الذي كلفوه ودعوا اليه
وهو دين الاسلام لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزءوا وقيل جعل الله لكل قوم عيدا يعظمونه ويصلون فيه
ومعنى ذرهم اعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم ولا تشغل قلبك بهم وذكر به اي بالقران ان تبسل
نفس مخافة ان تسلم الى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء كسبها واصل الابسال المنع لان المسلم اليه يمنع المسلم
قال وابسالي بني بغير جرم ومنه هذا عليك بسل اي حرام محظور والباسل الشجاع لامتناعه
من قرنه او لانه شديد البسور يقال بسر الرجل اذا اشتد عبوسه فاذا زاد قالوا بسل والعابس منقبض الوجه
وان تعدل كل عدل اي وان تفد كل فداء والعدل الفدية لان الفادي يعدل المفدي بمثله وكل عدل
نصب على المصدر وفاعل يؤخذ منها لا ضمير العدل لان العدل ههنا مصدر فلا يسند اليه الاخذ واما في ٢١
قوله ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدي به فصح اسناده اليه اولئك اشارة الى المتخذين دينهم لعبا ولهوا وقيل
نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاوثان قل اندعوا من دون
الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران

له اصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا قل ان هدى الله هو الهدى وامرنا لنسلم لرب العالمين وان اقيموا الصلاة واتقوه
وهو الذي اليه تحشرون وهو الذي خلق السموات والارض بالحق ويوم يقول كن فيكون قل اندعوا اتعبد من دون الله
الضار النافع ما لا يقدر على نفعنا ولا مضرتنا وانرد على اعقابنا راجعين الى الشرك بعد اذ انقذنا الله منه وهدانا
للاسلام كالذي استهوته الشياطين كالذي ذهبت به مردة الجن والغيلان في الارض في المهمه وحيران تائها ضالا
عن الجادة لا يدري كيف يصنع وله اي لهذا المستهوى اصحاب رفقة ويدعونه الى الهدى الى ان يهدوه الطريق
المستقيم بالهدى يقولون له ائتنا وقد اعتسف المهمه تابعا للجن لا يجيبهم ولا يأتيهم وهذا مبني على ما تزعمه العرب
وتعتقده ان الجن تستهوي الانسان والغيلان تستولي عليه لقوله تعالى كالذي يتخبطه الشيطان فشبه به الضال
عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه اليه فلا يلتفت اليهم وقل ان هدى الله وهو الاسلام
هو الهدى وحده وما وراءه ضلال وغي ومن يبتغ غير الاسلام دينا فماذا بعد الحق الا الضلال فان قلت
ما محل الكاف في قوله كالذي استهوته قلت النصب على الحال من الضمير في نرد على اعقابنا اي انكص مشبهين من استهوته
الشياطين فان قلت ما معنى استهوته قلت هو استفعال من هوى في الارض اذا ذهب فيها كان معناه طلبت
هويه وحرصت عليه فان قلت ما محل امرنا قلت النصب عطفا على محل قوله ان هدى الله هو الهدى على انهما
مقولان كانه قيل قل هذا القول وقل امرنا لنسلم فان قلت ما معنى اللام في لنسلم قلت هي تعليل للامر بمعنى امرنا
وقيل لنا اسلموا لاجل ان نسلم فان قلت اذا كان هذا واردا في شان ابي بكر الصديق رضي الله عنه فكيف قيل
للرسول عليه الصلاة والسلام قل اندعوا قلت للاتحاد الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين خصوصا
بينه وبين ابي بكر رضي الله عنه فان قلت علام عطف قوله وان اقيموا الصلاة قلت على موضع لنسلم كانه قيل
وامرنا ان نسلم وان اقيموا ويجوز ان يكون المقدر وامرنا لان نسلم ولان اقيموا اي للاسلام ولاقامة الصلوة
قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير قوله الحق مبتدا ويوم يقول
خبره مقدما عليه وانتصابه بمعنى الاستقرار كقولك يوم الجمعة القتال واليوم بمعنى الحين والمعنى انه خلق السموات والارض
قائما بالحق والحكمة وحين يقول لشيء من الاشياء كن فيكون ذلك الشيء قوله الحق والحكمة اي لا يكون شيء من السموات
والارض وسائر المكونات الا عن حكمة وصواب ويوم ينفخ ظرف لقوله وله الملك كقوله لمن الملك اليوم ويجوز ان
يكون قوله الحق فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اي لقضائه الحق كن فيكون قوله الحق وانتصاب
اليوم محذوف دل عليه قوله بالحق كانه قيل وحين يكون ويقدر يقوم بالحق عالم الغيب هو عالم الغيب وارتفاعه
على المدح واذ قال ابراهيم لابيه آزر اتتخذ اصناما آلهة اني اراك وقومك في ضلال مبين آزر اسم ابي ابراهيم
وفي كتب التواريخ ان اسمه بالسريانية تارخ والاقرب ان يكون وزن آزر فاعل مثل تارخ وعازر وعابر وشالخ وفالغ
وما اشبهها من اسمائهم وهو عطف بيان لابيه وقرئ آزر اتتخذ اصناما الهة يا آزر بالضم على النداء وقيل آزر
اسم صنم فيجوز ان ينبز به للزومه كما نبز ابن قيس بالرقيات اللاتي كان يشبب بهن فقيل ابن قيس الرقيات
وفي شعر بعض المحدثين ادعى باسماء نبزا في قبائلها كان اسماء اضحت بعض اسمائي
او اريد عابد آزر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقرئ ءازر تتخذ اصناما آلهة بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة
الاستفهام وزاي ساكنة وراء منصوبة منونة وهي اسم صنم ومعناه اتعبد ازرا على الانكار ثم قال تتخذ
اصناما آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل في حكم الانكار لانه كالبيان له وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات

السريانية

والارض

والأرض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما جن عليه الليل
عطف على قال إبراهيم لأبيه وقوله وكذلك نري إبراهيم جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه والمعنى ومثل ذلك التعريف
والتبصير نعرف إبراهيم ونبصره ملكوت السموات والأرض يعني الربوبية والإلهية ونوفقه لمعرفتها ونرشده
بما شرحنا صدره وسددنا نظره وهديناه لطريق الاستدلال وليكون من الموقنين فعلنا ذلك ونري
حكاية حال ماضية وكان أبوه وقومه يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب فأراد أن ينبههم
على الخطأ في دينهم وأن يرشدهم إلى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم أن النظر الصحيح مؤد إلى أن شيئا منها
لا يصح أن يكون إلها لقيام دليل الحدوث فيها وأن وراءها محدثا أحدثها وصانعا صنعها ومدبرا
دبر طلوعها وأفولها وانتقالها ومسيرها وسائر أحوالها هذا ربي قول من ينصف خصمه مع علمه بأنه مبطل
فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لأن ذلك أدعى إلى الحق وأنجى من الشغب ثم يكر عليه بعد حكايته
فيبطله بالحجة لا أحب الآفلين لا أحب عبادة الأرباب المتغيرين من حال إلى حال المتنقلين من مكان إلى مكان
المحتجبين بستر فإن ذلك من صفات الأجرام فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي
لأكونن من القوم الضالين بازغا مبتدئا في الطلوع لئن لم يهدني تنبيه لقومه على أن من اتخذ القمر إلها وهو
نظير الكواكب في الأفول فهو ضال وأن الهداية إلى الحق بتوفيق الله ولطفه فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي
هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا
وما أنا من المشركين هذا أكبر من باب استعمال النصفة أيضا مع خصومه إني بريء مما تشركون من الأجرام التي تجعلونها
شركاء لخالقها إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض أي للذي دلت هذه المحدثات عليه وعلى أنه مبتدئها
ومبتدعها وقيل هذا كان نظره واستدلاله في نفسه فحكاه الله تعالى والأول أظهر لقوله لئن لم يهدني ربي وقوله
يا قوم إني بريء مما تشركون فإن قلت لم احتج عليهم بالأفول دون البزوغ وكلاهما انتقال من
حال إلى حال قلت الاحتجاج بالأفول أظهر لأنه انتقال مع خفاء واحتجاب فإن قلت ما وجه التذكير
في قوله هذا ربي والإشارة للشمس قلت جعل المبتدأ مثل الخبر لكونهما عبارة عن شيء واحد كقولهم ما جاءت
حاجتك ومن كانت أمك ولم تكن فتنتهم إلا أن قالوا وكان اختيار هذه الطريقة واجبا لصيانة الرب عن شبهة
التأنيث ألا تراهم قالوا في صفة الله علام ولم يقولوا علامة وإن كانت العلامة أبلغ احترازا من علامة
التأنيث وقرئ ترى إبراهيم ملكوت السموات والأرض بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية
وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل
شيء علما أفلا تتذكرون وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وكانوا حاجوه في توحيد الله تعالى ونفي الشركاء
عنه منكرين لذلك وقد هدان يعني إلى التوحيد ولا أخاف ما تشركون به وقد خوفوه أن معبوداتهم تصيبه بسوء
إلا أن يشاء ربي شيئا إلا وقت مشيئة ربي شيئا يخاف فحذف الوقت يعني لا أخاف معبوداتكم في وقت
قط لأنها لا تقدر على منفعة ولا مضرة إلا إذا شاء ربي أن يصيبني بمخوف من جهتها إن أصبت ذنبا أستوجب
به إنزال المكروه مثل أن يرجمني بكوكب أو بشقة من الشمس أو القمر أو يجعلها قادرة على مضرتي وسع ربي كل
شيء علما أي ليس بعجب ولا مستبعد أن يكون في علمه إنزال المخوف بي من جهتها أفلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح
والفاسد والقادر والعاجز وكيف أخاف ما أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن

ولا تخافون

إن كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ولكن اخاف لتعلقكم بشيء مامون
الخوف لا يتعلق به ضرر بوجه وانتم لا تخافون ما يتعلق به وهو اشراككم بالله ما لم ينزل به باشراكم سلطانا اي حجة لان
الاشراك لا يصح ان تكون عليه حجة كانه قال وما لكم تنكرون على الامن في موضع الامن ولا تنكرون على انفسكم
الامن في موضع الخوف ولم يقل فاينا احق بالامن انا ام انتم احترازا من تزكيته نفسه فعدل عنه الى قوله فاي الفريقين
يعني فريقي المشركين والموحدين ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اي لم يخلطوا
ايمانهم بمعصية تفسقهم وابى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات
من نشاء ان ربك حكيم عليم وتلك اشارة الى جميع ما احتج به ابراهيم على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله
وهم مهتدون ومعنى آتيناها ارشدناه اليها ووفقناه لها نرفع درجات من نشاء يعني في العلم والحكمة وكوفي
بالتنوين ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وايوب
ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين واسمعيل واليسع
ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم
ومن ذريته الضمير لنوح او لابراهيم وداود عطف على نوحا اي وهدينا داود ومن آبائهم في موضع النصب عطفا
على كلا يعني وفضلنا بعض آبائهم ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون
ولو اشرك هؤلاء مع فضلهم وتقدمهم وما رفع لهم من الدرجات لكانوا كغيرهم في حبوط اعمالهم كما قال لئن اشركت
ليحبطن عملك اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين
آتيناهم الكتاب يريد الجنس فان يكفر بها بالكتاب والحكم والنبوة او بالنبوة هؤلاء يعني اهل مكة قوما هم
الانبياء المذكورون اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وبدليل وصل قوله فان يكفر بها هؤلاء بما قبله
وقيل هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من آمن به وقيل كل مؤمن من بني آدم وقيل الملائكة واولى
الانصار انصارهم وعن مجاهد انهم الفرس ومعنى توكيلهم بها انهم وفقوا للايمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل
بالشيء ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه والباء في بها صلة كافرين وفي بكافرين تأكيد النفي اولئك الذين هدى الله عليه
فبهداهم اقتده قل لا اسألكم اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين فبهداهم اقتده فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد
الا بهم وهذا معنى تقديم المفعول والمراد بهداهم طريقتهم في الايمان بالله وحده وتوحيده واصول الدين دون
الشرائع فانها مختلفة وهي هدى ما لم تنسخ فاذا نسخت لم تبق هدى بخلاف اصول الدين فانها هدى ابدا والهاء في اقتده
للوقف تسقط في الدرج واستحسن ايثار الوقف لثبات الهاء في المصحف وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل
الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون
كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق
معرفته في الرحمة على عباده واللطف بهم حين انكروا بعثة الرسل والوحي اليهم وذلك من اعظم رحمته واجل نعمته
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين او ما عرفوه حق معرفته في سخطه على الكافرين وشدة بطشه بهم ولم يخافوه
حين جسروا على تلك المقالة العظيمة من انكار النبوة والقائلون هم اليهود بدليل قراءة من قرأ يجعلونه بالتاء
وكذلك تبدونها وتخفون وانما قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فالزموا ما لا بد لهم من الاقرار به من انزال التوراة على موسى عليه الصلاة والسلام وادرج تحت الالزام توبيخهم

وان

وان نعى عليهم سوء جهلهم بالكتاب وتحريفهم وابداء بعض واخفاء بعض • قيل جاء به موسى وهو نور وهدى للناس حتى غيروه ونقصوه وجعلوه قراطيس مقطعة وورقات مفرقة • ليتمكنوا مما راموا من الابداء والاخفاء • وروي ان مالك بن الصيف من احبار اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك بالذي انزل التورية على موسى عليه الصلاة والسلام • هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين • قد سمنت من مالك الذي تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت الى امير المومنين عمر رضي الله عنه فقال ما انزل الله على بشر من شيء • فقال له قومه ويلك ما هذا الذي بلغنا عنك فقال انه اغضبني فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف • وقيل القائلون قريش وقد الزموا انزال التورية لانهم كانوا يسمعون من اليهود بالمدينة ذكر موسى والتورية وكانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم • وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم الخطاب لليهود • اي علمتم على لسان محمد عليه الصلاة والسلام مما اوحي اليه ما لم تعلموا انتم وانتم حملة التورية ولم يعلمه اباؤكم الاقدمون الذين كانوا اعلم منكم • ان هذا القران يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون • وقيل الخطاب لمن امن من قريش كقوله تعالى لتنذر قوما ما انذر اباؤهم • قل الله اي انزله الله فانهم لا يقدرون ان يناكروك • ثم ذرهم في خوضهم في باطلهم الذي يخوضون فيه فلا عليك بعد الزام الحجة • ويقال لمن كان في عمل لا يجدي انما انت لاعب • يلعبون حال من هم الاول او من خوضهم • ويجوز ان يكون في خوضهم حالا من يلعبون وان يكون صلة له او لذرهم • وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون • مبارك كثير المنافع والفوائد • ولتنذر معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب كانه قيل انزلناه للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتب والانذار • وقرئ لينذر بالياء والتاء • وسميت مكة ام القرى لانها اول بيت وضع للناس ولانها قبلة اهل القرى كلها ومحجهم ولانها اعظم القرى شانا • ولبعض المجاورين •

• فمن يلق في بعض القريات رحله • فام القرى ملقى رحالي ومنتابي •

والذين يؤمنون بالاخرة يصدقون بالعاقبة ويخافونها يؤمنون بهذا الكتاب • وذلك ان اصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن • وخص الصلاة لانها عماد الدين • ومن حافظ عليها كانت لطفا له في المحافظة على اخواتها • ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء ومن قال سانزل مثل ما انزل الله ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن اياته تستكبرون • افترى على الله كذبا فزعم ان الله تعالى بعثه نبيا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء وهو مسيلمة الحنفي الكذاب او كذاب صنعاء الاسود العنسي • وعن النبي صلى الله عليه وسلم رايت فيما يرى النائم كان في يدي سوارين من ذهب فكبرا علي واهماني فاوحي الي تعالى ان انفخهما فنفختهما فطارا عني فاولتهما الكذابين الذين انا بينهما كذاب اليمامة مسيلمة وكذاب صنعاء الاسود العنسي • ومن قال سانزل مثل ما انزل الله وهو عبد الله بن سعد بن ابي سرح القرشي كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا املى عليه سميعا بصيرا كتب هو عليما حكيما واذا عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى اخر الاية عجب عبد من تفصيل خلق الانسان فقال فتبارك الله احسن الخالقين • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله

ثم

وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام ولحق بمكة ثم
رجع مسلما قبل فتح مكة وقيل هو النضر بن الحرث والمستهزءون ولو ترى جوابه محذوف لرايت امرا عظيما اذ الظالمون
يريد الذين ذكرهم من اليهود والمتنبئة فتكون اللام للعهد ويجوز ان تكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله وغمرات
الموت شدائده وسكراته واصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة باسطوا ايديهم يبسطون اليهم ايديهم يقولون
هاتوا ارواحكم اخرجوها الينا من اجسادكم وهذه عبارة عن العنف في السياق والالحاح والتشديد في الازهاق
من غير تنفيس وامهال وانهم يفعلون بهم فعل الغريم الملازم يبسط يده الى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة ولا
يمهله ويقول له اخرج الي ما لي عليك الساعة ولا اريم مكاني حتى انزعه من احداقك وقيل معناه باسطوا ايديهم
عليهم بالعذاب اخرجوا انفسكم خلصوها من ايدينا اي لا تقدرون على الخلاص اليوم تجزون يجوز ان يريدوا
وقت الاماتة وما يعذبون به من شدة النزع وان يريدوا الوقت الممتد المتطاول الذي يلحقهم فيه العذاب في
البرزخ والقيامة والهون الهوان الشديد واضافة العذاب اليه كقولك رجل سوء يريد العراقة في الهوان والتمكن
فيه عن اياته تستكبرون فلا تؤمنون بها ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء
ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون فرادى منفردين
عن اموالكم واولادكم وما حرصتم عليه وآثرتموه من دنياكم وعن اوثانكم التي زعمتم انها شفعاؤكم وشركاء لله كما خلقناكم
اول مرة على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة
وراء ظهوركم لم ينفعكم ولم تحتملوا منه نقيرا ولا قدمتموه لانفسكم فيكم شركاء في استعبادكم حين دعوتم الهة
وعبدتموها فقد جعلتموها لله شركاء فيهم وفي استعبادهم وقرئ فردا بالتنوين وفراد مثل ثلاث وفردى نحو سكرى
فان قلت كما خلقناكم في اي محل هو قلت هو في محل النصب صفة لمصدر جئتمونا اي مجيئا مثل ما خلقناكم
تقطع بينكم كما تقول جمع بين الشيئين تريد اوقع الجمع بينهما على اسناد الفعل الى مصدره بهذا التاويل ومن رفع فقد اسند
الفعل الى الظرف كما تقول قوتل خلفكم وامامكم وفي قراءة عبد الله لقد تقطع ما بينكم ان الله فالق الحب والنوى يخرج
الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فانى تؤفكون فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وعن مجاهد اراد
الشقين اللذين في النواة والحنطة يخرج الحي من الميت اي الحيوان والنامي من النطف والبيض والحب والنوى
ومخرج هذه الاشياء الميتة من الحيوان والنامي فان قلت كيف قال ومخرج الميت من الحي بلفظ اسم الفاعل بعد
قوله يخرج الحي من الميت قلت عطفه على فالق الحب والنوى لا على الفعل ويخرج الحي من الميت موقعه موقع الجملة
المبينة لقوله تعالى فالق الحب والنوى لان فلق الحب والنوى بالنبات والشجر الناميين من جنس اخراج الحي من الميت
لان النامي في حكم الحيوان الا ترى الى قوله يحيي الارض بعد موتها ذلكم الله ذلكم المحيي المميت هو الله الذي تحق
له الربوبية فانى تؤفكون فكيف تصرفون عنه وعن توليه الى غيره فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس
والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم الاصباح مصدر سمي به الصبح وقرأ الحسن بفتح الهمزة جمع صبح وانشد قوله
افنى رياحا وبني رياح تناسخ الامساء والاصباح بالكسر والفتح مصدرين وجمع مسي وصبح فان
قلت ما معنى فلق الصبح والظلمة هي التي تنفلق عن الصبح كما قال تفرى ليل عن بياض نهار
قلت فيه وجهان احدهما ان يراد فالق ظلمة الاصباح وهي الغبش في آخر الليل بالنصب على المدح وقرأ النخعي
فلق الاصباح وجعل الليل السكن ما تسكن اليه الرجل ويطمئن استيناسا به واستروحا اليه من زوج او حبيب

ومنقاد

ومنقضاه الذي يلي الصبح والثاني ان يراد فالق الاصباح والذي هو عمود الفجر عن بياض النهار واسفاره وقالوا
انشق عمود الفجر وانصدع الفجر وسموا الفجر فلقا بمعنى مفلوق • وقال الطائي •
• وازرق الفجر يبدو قبل ابيضه • تمامه واول الغيث قطر ثم ينسكب • وقرئ فالق الاصباح وجاعل
الليل بالنصب على المدح • وقرأ النخعي فلق الاصباح وجعل الليل • السكن ما يسكن اليه الرجل ويطمئن استئناسا
اليه واسترواحا اليه من زوج او حبيب ومنه قيل للنار سكن لانه يستأنس بها الا تراهم سموها المؤنسة
والليل يطمئن اليه المتعب بالنهار لاستراحته فيه وجمامه ويجوز ان يراد وجعل الليل مسكونا فيه من قوله تعالى
لتسكنوا فيه • والشمس والقمر قرئا بالحركات الثلاث فالنصب على اضمار فعل دل عليه جاعل الليل اي وجعل الشمس
والقمر حسبانا او يعطفان على محل الليل فان قلت كيف يكون لليل محل والاضافة حقيقية لان اسم الفاعل المضاف
اليه في معنى المضي ولا تقول زيد ضارب عمرا امس قلت ما هو في معنى المضي وانما هو دال على جعل مستمر في الازمنة
المختلفة • وكذلك فالق الحب وفالق الاصباح كما تقول الله قادر عالم فلا تقصد زمانا دون زمان والجر عطف
على لفظ الليل • والرفع على الابتداء والخبر محذوف والشمس والقمر مجعولان حسبانا او محسوبان حسبانا ومعنى جعل
الشمس والقمر حسبانا جعلهما على حسبان لان حساب الاوقات يعلم بدورهما وسيرهما والحسبان بالضم مصدر حسب
كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب ونظيره الكفران والشكران • ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا اي ذلك التسيير بالحساب
المعلوم تقدير العزيز الذي قهرهما وسخرهما العليم الذي يدبرهما وتدويرهما • وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا
بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل بالبر والبحر واضافها
اليهما لملابستها لهما او شبه مشتبهات الطرق بالظلمات • وهو الذي انشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا
الآيات لقوم يفقهون • من قرأ فمستقر بفتح القاف كان المستودع اسم مكان مثله او مصدرا ومن قرأ بكسر القاف كان اسم فاعل والمستودع
اسم مفعول • والمعنى فلكم مستقر في الرحم ومستودع في الصلب او مستقر فوق الارض ومستودع تحت الارض او فمنكم
مستقر ومنكم مستودع • فان قلت لم قيل مع ذكر النجوم يعلمون ومع ذكر انشاء بني آدم يفقهون قلت كان انشاء
الانس من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة الطف وادق صنعة وتدبيرا فكان ذكر الفقه الذي هو
استعمال فطنة وتدقيق نظر مطابقا له • وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء فاخرجنا منه خضرا
نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبها
وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون • فاخرجنا بالماء نبات كل شيء نبت
كل صنف من اصناف النامي يعني ان السبب واحد وهو الماء والمسببات صنوف مفتنة وهو كقوله تعالى تسقى بماء
واحد • ونفضل بعضها على بعض في الاكل • فاخرجنا منه من النبات خضرا شيئا غضا اخضر يقال اخضر وخضر
كاعور وعور • وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة • نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل
وقنوان رفع بالابتداء ومن النخل خبره ومن طلعها بدل منه كانه قيل وحاصلة من طلع النخل قنوان ويجوز ان
يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا عليه تقديره ومخرجة من طلع النخل قنوان • ومن قرأ يخرج منه حب متراكب
كان قنوان عنده معطوفا على حب والقنوان جمع قنو ونظيره صنو وصنوان • وقرئ بضم القاف وبفتحها على انه
اسم جمع كركب لان اسم فعلان ليس من زنات التكسير • دانية سهلة المجتنى معرضة للقاطف كالشيء الداني القريب
المتناول ولان النخلة وان كانت صغيرة ينالها القاعد فانها تاتي بالثمر لا تنتظر الطول • وقال الحسن رحمه الله عليه دانية

قريب بعضها من بعض وقيل ذكر القريبة وترك ذكر البعيدة لأن النعمة فيها اظهر وادل بذكر القريبة على ذكر البعيدة
كقوله عز وجل سرابيل تقيكم الحر. وقوله وجنات من اعناب فيه وجهان ان يراد وثم جنات من اعناب اي
مع النخل والثاني ان يعطف على قنوان على معنى وحاصلة او مخرجة من النخل قنوان وجنات اي من نبات اعناب
وقرئ وجناتٌ بالنصب عطفا على نبات كل شيء اي واخرجنا به جنات من اعناب وكذلك قوله والزيتون
والرمان والاحسن ان ينتصبا على الاختصاص لقوله تعالى والمقيمين الصلاة لفضل هذين الصنفين مشتبها
وغير متشابه يقال اشتبه الشيئان وتشابها كقولك استويا وتساويا والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا وا
وقرئ متشابها وغير متشابه وتقديره والزيتون متشابها في القدر واللون والطعم وذلك دليل على التعهد.
وغير متشابه والرمان كذلك كقوله. رماني بامر كنت منه ووالدي بريا. والمعنى بعضه متشابها وبعضه
غير متشابه. في القدر واللون والطعم. وذلك دليل على التعهد. دون الاهمال انظروا الى ثمره اذا اثمر اذا اخرج
ثمره كيف يخرجه ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به. وانظروا الى حال ينعه ونضجه كيف يعود شيئا جامعا وملاذ نظر
اعتبار واستبصار واستدلال على قدرة مقدره ومدبره وناقله من حال الى حال. وقرئ وينعه بالضم وهو لغة يقال
ينعت الثمرة ينعا وينعا. وقرا ابن محيصن ويانعه. وقرئ ثمره. وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له
بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون ان جعلت لله شركاء مفعولي جعلوا نصبت الجن بدلا من شركاء
وان جعلت لله لغوا كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على الاول فان قلت فما فائدة التقديم قلت فائدته
استعظام ان يتخذ لله شريك من كان ملكا او جنيا او انسيا او غير ذلك ولذلك قدم اسم الله على الشركاء. وقرئ الجن
بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة التي للتبيين والمعنى اشركوهم في عبادته لانهم اطاعوهم كما
يطاع الله تعالى. وقيل هم الذين زعموا ان الله تعالى خالق الخير وكل نافع. وابليس خالق الشر وكل ضار. وخلقهم
وخلق الجاعلين لله شركاء. ومعناه وعلموا ان الله تعالى خالقهم دون الجن. ولم يمنعهم علمهم ان يتخذوا من لا يخلق شريكا
للخالق وقيل الضمير للجن. وقرئ وخلقهم اي اختلاقهم للافك يعني وجعلوا لله خلقهم حيث نسبوا قبائحهم الى الله
في قولهم والله امرنا بها. وخرقوا له وخلقوا له اي افتعلوا له بنين وبنات. وهو قول اهل الكتابين في المسيح
وعزير وقول قريش في الملائكة يقال خلق الافك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى وسئل الحسن عنه فقال
كلمة عربية كانت العرب تقولها كان الرجل اذا كذب كذبة في نادي القوم يقول له بعضهم قد خرقها والله
ويجوز ان يكون من خرق الثوب اذا شقه اي اشتقوا له بنين وبنات. وقرئ وخرّقوا بالتشديد للتكثير لقوله
بنين وبنات. وقرا ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما وحرفوا له بمعنى. وزوروا له اولادا لان المزور محرف مغير
للحق الى الباطل بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوه من خطا او صواب. ولكن رميا بقول عن عمى وجهالة
من غير فكر وروية بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء
عليم بديع السموات من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها كقولك فلان بديع الشعر اي بديع شعره او هو بديع
في السموات والارض كقولك فلان ثبت الغدر اي ثابت فيه والمعنى انه عديم النظير. والمثل فيهما وقيل البديع
بمعنى المبدع وارتفاعه على انه خبر مبتدأ محذوف او هو مبتدأ وخبره انى يكون له ولد او فاعل تعالى
وقرئ بالجر ردا على قوله وجعلوا لله او على سبحانه او بالنصب على المدح وفيه ابطال الولد من ثلاثة اوجه
احدها ان مبدع السموات والارض وهي اجسام عظيمة لا يستقيم ان يوصف بالولادة لان الولادة من صفات

الاجسام ومختص الاجسام لا يكون جسما حتى يكون والدا والثاني ان الولادة لا تكون الا بين زوجين من جنس واحد
وهو متعال عن مجانس فلم يصح ان تكون له صاحبة فلم تصح الولادة والثالث انه ما من شيء الا وهو خالقه والعالم به
ومن كان بهذه الصفة كان غنيا عن كل شيء والولد انما يطلبه المحتاج وقرئ لم يكن له صاحبة بالياء وانما جاز
للفصل لقوله لقد ولد الاخيطل ام سوء ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء
وكيل ذلكم اشارة الى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتدأ وما بعده اخبار مترادفة وهي الله ربكم لا اله الا
هو خالق كل شيء اي ذلكم الجامع لهذه الصفات فاعبدوه مسبب عن مضمون الجملة على معنى ان من استجمعت له هذه
الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه ثم قال وهو على كل شيء وكيل
يعني هو مع تلك الصفات مالك لكل شيء من الارزاق والاجال رقيب على الاعمال لا تدركه الابصار وهو يدرك
الابصار وهو اللطيف الخبير البصر هو الجوهر اللطيف الذي ركبه الله تعالى في حاسة النظر به ما كان في جهة اصلا
تدرك به المبصرات والمعنى ان الابصار لا تتعلق به ولا تدركه لانه متعال ان يكون مبصرا في ذاته لان الابصار
انما تتعلق بما كان في جهة اصلا او تابعا كالاجسام والهيئات وهو يدرك الابصار وهو للطف ادراكه للمدركات يدرك
تلك الجواهر اللطيفة التي لا يدركها مدرك وهو اللطيف يلطف عن ان تدركه الابصار الخبير بكل لطيف فهو يدرك
الابصار لا تلطف عن ادراكه وهذا من باب اللف قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها
وما انا عليكم بحفيظ قد جاءكم بصائر من ربكم هو وارد على لسان رسول الله عليه الصلاة والسلام لقوله وما انا عليكم
بحفيظ والبصيرة نور القلب الذي به يستبصر كما ان البصر نور العين الذي به تبصر اي جاءكم من الوحي والتنبيه
على ما يجوز على الله وما لا يجوز ما هو للقلوب كالبصائر فمن ابصر الحق وآمن فلنفسه ابصر واياها نفع ومن عمي عنه
فعلى نفسه عمي واياها ضر بالعمى وما انا عليكم بحفيظ احفظ اعمالكم واجازيكم عليها انما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم وكذلك
نصرف الايات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون وليقولوا جوابه محذوف تقديره وليقولوا درست نصرفها
ومعنى درست قرأت وتعلمت وقرئ دارست اي دارست العلماء بمعنى قدمت هذه الايات وعفت كما قالوا اساطير
الاولين ودرست بضم الراء مبالغة في درست اي اشتد دروسها ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت
ودارست وفسروها بدارست اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم وجاز الاضمار لان الشهرة بالمدارسة كانت لليهود
عندهم ويجوز ان يكون الفعل للايات وهو لاهلها اي دارس اهل الايات وحملتها محمدا صلى الله عليه وسلم وهم
اهل الكتاب ودرس اي درس محمد عليه الصلاة والسلام ودارسات على هي دارسات اي قديمات او ذات درس
كعيشة راضية فان قلت اي فرق بين اللامين في ليقولوا ولنبينه قلت الفرق بينهما ان الاولى
مجاز والثانية حقيقة وذلك ان الايات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا دارست ولكن لانه حصل
هذا القول بتصريف الايات كما حصل التبيين شبه به فسيق مساقه وقيل ليقولوا كما قيل لنبينه فان قلت
الام يرجع الضمير في قوله ولنبينه قلت الى الايات لانها في معنى القرآن كانه قيل وكذلك نصرف القرآن
او الى القرآن وان لم يجر له ذكر لكونه معلوما او الى التبيين الذي هو مصدر الفعل كقولهم ضربته زيدا
ويجوز ان يراد فمن قرأ درست الكتاب ودارسته فيرجع الى الكتاب المقدر اتبع ما اوحي اليك من ربك
لا اله الا هو واعرض عن المشركين ولو شاء الله ما اشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما انت عليهم بوكيل لا اله الا
هو اعتراض اكد به ايجاب اتباع الوحي لا محل له من الاعراب ويجوز ان يكون حالا من ربك وهي حال مؤكدة

لقوله وهو الحق مصدق تا ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم
مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون ولا تسبوا الآلهة الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله وذلك أنهم قالوا عند نزول قوله إنكم
قالوا وما تعبدون من دون الله حصب جهنم، لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون إلهك وقيل كان المسلمون يسبون آلهتهم
فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله فإن قلت سب الآلهة حق وطاعة فكيف صح النهي عنه وإنما يصح النهي عن
المعاصي قلت رب طاعة علم أنها تكون مفسدة فتخرج عن أن تكون طاعة فيجب النهي عنها لأنها معصية لا لأنها
طاعة كالنهي عن المنكر هو من أجل الطاعات فإذا علم أنه يؤدي إلى زيادة الشر انقلب معصية ووجب النهي عن ذلك
النهي كما يجب النهي عن المنكر فإن قلت فقد روي عن الحسن وابن سيرين رحمة الله عليهما أنهما حضرا جنازة فرأى
محمد نساء فرجع فقال الحسن لو تركنا الطاعة لأجل المعصية لأسرع ذلك في ديننا قلت ليس هذا مما نحن
بصدده لأن حضور الرجال الجنازة طاعة وليس بسبب لحضور النساء فإنهن يحضرنها حضر الرجال أو لم يحضروا بخلاف
سب الآلهة وإنما خيل إلى محمد رحمة الله عليه أنه مثله حتى نبه عليه الحسن رحمة الله عليه عدوا ظلما وعدوانا
وقرئ بضم العين وتشديد الواو ومعناه يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعدوانا وعداء وعن ابن كثير عدوا بفتح
العين بمعنى أعداء بغير علم على جهالة بالله وبما يجب أن يذكر به كذلك زينا لكل أمة مثل ذلك التزيين زينا
لكل أمة من أمم الكفار سوء عملهم أي خليناهم وشأنهم ولم نكفهم حتى حسن عندهم سوء عملهم أو أمهلنا الشيطان
حتى زين لهم أو زيناه في زعمهم وقولهم إن الله أمرنا بهذا وزينه لنا فينبئهم فيوبخهم عليه ويعاتبهم ويعاقبهم
وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون لئن
جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وهو قادر عليها ولكنه لا ينزلها إلا على موجب الحكمة
أو إنما الآيات عند الله لا عندي فكيف أجيبكم إليها أو آتيكم بها وما يشعركم وما يدريكم أنها الآية التي
تقترحونها إذا جاءت لا يؤمنون بها يعني أنا أعلم أنها إذا جاءت لا يؤمنون بها وأنتم لا تدرون بذلك وذلك
أن المؤمنين كانوا يطمعون في إيمانهم إذا جاءت تلك الآية ويتمنون مجيئها فقال تعالى وما يدريكم أنهم لا يؤمنون
على معنى أنكم لا تدرون ما سبق علمي به من أنهم لا يؤمنون ألا ترى إلى قوله كما لم يؤمنوا به أول مرة وقيل
أنها بمعنى لعلها من قول العرب • ايت السوق أنك تشتري لحما • وقال امرؤ القيس

• عوجا على الطلل المحيل لأننا • نبكي الديار كما بكى ابن خذام •

ويقويها قراءة أبي لعلها إذا جاءت لا يؤمنون وقرئ إنها بالكسر على أن الكلام قد تم قبله بمعنى وما يشعركم
ما يكون منهم ثم أخبرهم بعلمه فيهم فقال إنها إذا جاءت لا يؤمنون البتة ومنهم من جعل لا مزيدة في قراءة الفتح وقرئ
وما يشعرهم أنها إذا جاءتهم لا يؤمنون أي يحلفون بأنهم يؤمنون عند مجيئها وما يشعرهم أن تكون قلوبهم حينئذ
كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات مطبوعا عليها فلا يؤمنون بها ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم
يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ونقلب أفئدتهم ونذرهم عطف على لا يؤمنون داخل في
حكم وما يشعركم أنهم لا يؤمنون وما يشعركم أنا نقلب أفئدتهم وأبصارهم أي نطبع على قلوبهم وأبصارهم فلا يفقهون
ولا يبصرون الحق كما كانوا عند نزول آياتنا أولا لا يؤمنون بها لكونهم مطبوعا على قلوبهم وما يشعركم أنا نذرهم
في طغيانهم أي نخليهم وشأنهم لا نكفهم عن الطغيان حتى يعمهوا فيه وقرئ ويقلب ويذرهم بالياء أي الله عز
وجل وقرأ الأعمش وتقلب أفئدتهم وأبصارهم على البناء للمفعول ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى

وحشرنا

وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى كما قالوا فأتوا
بآبائنا وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما قالوا او تأتي بالله والملائكة قبيلا كفلاء بصحة ما بشرنا به وانذرنا او جماعة
وقيل قبلا مقابلة وقرئ قبلا اي عيانا إلا أن يشاء الله مشيئة إكراه واضطرار ولكن أكثرهم يجهلون فيقسمون
بالله جهد أيمانهم على ما لا يشعرون من حال قلوبهم عند نزول الآيات او ولكن أكثر المسلمين يجهلون أن هؤلاء
لا يؤمنون إلا أن يضطرهم فيطمعون في إيمانهم إذا جاءت الآية المقترحة وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا
شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا وكما خلينا بينك وبين أعدائك كذلك فعلنا بمن قبلك من الأنبياء وأعدائهم لم نمنعهم
من العداوة لما فيه من الامتحان الذي هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والأجر وانتصب
شياطين على البدل من عدوا او على أنهما مفعولان كقوله وجعلوا لله شركاء الجن يوحي بعضهم إلى بعض يوسوس
شياطين الجن إلى شياطين الإنس وكذلك بعض الجن إلى بعض وبعض الإنس إلى بعض وعن مالك بن دينار
إن شياطين الإنس أشد علي من شياطين الجن لأني إذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عني وشيطان الإنس يجيئني فيجرني
إلى المعاصي عيانا زخرف القول غرورا ما يزينه من القول والوسوسة والإغراء على المعاصي ويموهه غرورا خدعا
وأخذا على غرة ولو شاء ربك ما فعلوه اي ما فعلوا ذلك اي ما ذكر من المعاداة او ما أوحى بعضهم إلى بعض من زخرف القول
بأن يكفهم ولا يخليهم وشأنهم ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون
ولتصغى جوابه محذوف تقديره وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا على أن اللام لام الصيرورة وتحقيقها ما ذكر
والضمير في إليه يرجع إلى ما يرجع إليه الضمير في فعلوه اي ولتميل إلى ما ذكر من عداوة الأنبياء ووسوسة الشياطين
أفئدة الكفار وليرضوه لأنفسهم وليقترفوا ما هم مقترفون من الآثام أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل
إليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك فلا تكونن من الممترين أفغير الله أبتغي حكما على
إرادة القول اي قل يا محمد أفغير الله أطلب حاكما يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وهو الذي أنزل
الكتاب المعجز مفصلا مبينا فيه ما عندهم وموافقته له بين الحق والباطل والشهادة لي بالصدق وعليكم بالافتراء ثم عضد
الدلالة على أن القرآن حق بعلم أهل الكتاب أنه حق لتصديقه ما عندهم وموافقته له فلا تكونن من الممترين
من باب التهييج والإلهاب كقوله تعالى فلا تكونن من المشركين او فلا تكونن من الممترين في أن أهل الكتاب
يعلمون أنه منزل بالحق ولا يريبك جحود أكثرهم وكفرهم به ويجوز أن يكون فلا تكونن خطابا لكل أحد على معنى
أنه إذا تعاضدت الأدلة على صحته وصدقه فما ينبغي أن يمتري فيه أحد وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم خطاب لأمته وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم وتمت كلمات ربك
اي تم كل ما أخبر به وأمر ونهى ووعد وأوعد صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته لا أحد يبدل شيئا من ذلك
بما هو أصدق وأعدل وصدقا وعدلا نصب على الحال وقرئ كلمة ربك اي ما تكلم به وقيل هي القرآن وإن
تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون إن ربك هو أعلم من
يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين وإن تطع أكثر الناس يضلوك لأن الأكثر في غالب الأمر يتبعون أهواءهم
ثم قال إن يتبعون إلا الظن وهو ظنهم أن آباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم وإنهم إلا يخرصون يقدرون
أنهم على شيء او يكذبون في أن الله حرم كذا وأحل كذا وقرئ من يضل بضم الياء اي يضله الله والله أعلم

فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون
الحلال وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون ان ما قتل الله احق ان تاكلوا مما قتلتم انتم فقيل للمسلمين ان كنتم
متحققين بالايمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه خاصة دون ما ذكر عليه اسم غيره من آلهتهم او مات حتف انفه وما ذكر
اسم الله عليه هو المذكى ببسم الله وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه
وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم ان ربك هو اعلم بالمعتدين وما لكم الا تاكلوا واي غرض لكم في ان لا تاكلوا
وقد فصل لكم وقد بين لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم وهو قوله تعالى حرمت عليكم الميتة وقرئ فصل لكم ما حرم
عليكم بالبناء للفاعل وهو الله عز وجل الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه حلال لكم في حال الضرورة وان كثيرا
ليضلون قرئ بفتح الياء وضمها اي يضلون فيحرمون ويحللون باهوائهم وشهواتهم من غير تعلق بشريعة
وذروا ظاهر الاثم وباطنه ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون ظاهر الاثم وباطنه ما اعلنتم
منه وما اسررتم وقيل ما عملتم وما نويتم وقيل ظاهر الزنا في الحوانيت وباطنه الصديقة في السر ولا تاكلوا
مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون
وانه لفسق الضمير راجع الى مصدر الفعل الذي دخل عليه حرف النهي يعني وان الاكل منه لفسق او الى الموصول على وان
اكله لفسق او جعل ما لم يذكر اسم الله عليه في نفسه فسقا فان قلت قد ذهب جماعة من المجتهدين الى جواز اكل
ما لم يذكر اسم الله عليه بنسيان او عمد قلت قد تاوله هؤلاء بالميتة وبما ذكر غير اسم الله عليه لقوله او فسقا اهل
لغير الله به ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من المشركين ليجادلوكم بقولهم ولا تاكلون مما قتله الله وبهذا يرجح
تاويل من تاوله بالميتة ان انكم لمشركون لان من اتبع غير الله في دينه فقد اشرك ومن حق ذي البصيرة في دينه ان لا
ياكل مما لم يذكر اسم الله عليه كيف ما كان لما يرى في الآية من التشديد العظيم وان كان ابو حنيفة رحمه الله مرخصا في
النسيان دون العمد ومالك والشافعي رحمهما الله فيهما أومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس
كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها
ليمكروا فيها وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون مثل الذي هداه الله تعالى بعد الضلالة ومنحه التوفيق لليقين
الذي يميز به بين الحق والمبطل والمهتدي والضال بمن كان ميتا فاحياه الله تعالى وجعل له نورا يمشي به في
الناس مستضيئا به فيميز بعضهم من بعض ويفصل بين حلاهم ومن بقي على الضلالة بالخابط في الظلمات لا ينفك
منها ولا يتخلص ومعنى قوله تعالى كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كمن صفته هذه وهي قوله في الظلمات
ليس بخارج منها بمعنى هو في الظلمات ليس بخارج منها كقوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون فيها
انهار اي صفتها هذه وهي قوله فيها انهار زين للكافرين اي زينه الشيطان او الله عز وعلا على قوله
زينا لهم اعمالهم ويدل عليه قوله وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها يعني وكما جعلنا في مكة صناديدها
ليمكروا فيها كذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها لذلك ومعناه خليناهم ليمكروا وما كففناهم عن المكر وخص
الاكابر لانهم هم الحاملون على الضلالة والماكرون بالناس كقوله عز وجل امرنا مترفيها وقرئ اكبر
مجرميها على قولك هم اكبر قومهم واكابر قومهم وما يمكرون الا بانفسهم لان مكرهم يحيق بهم وهذه تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدمة موعد بالنصرة عليهم واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي
رسل الله الله اعلم حيث يجعل رسالاته سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون روي

عن سبيله

بلغ مقابلة

ان الوليد

بلغ مقابلة

ان الوليد بن المغيرة قال لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا وروي ان ابا جهل
قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه
ابدا الا ان ياتينا وحي كما ياتيه فنزلت ونحوها قوله تعالى بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة الله
اعلم كلام مستانف للانكار عليهم وان الله لا يصطفي للنبوة الا من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذي يضعها
فيه منهم سيصيب الذين اجرموا من اكابرها صغار وقماءة بعد كبرهم وعظمتهم وعذاب شديد في الدارين
من الاسر والقتل وعذاب النار فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا
حرجا كانما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون فمن يرد الله ان يهديه ان يلطف به ولا
من له لطف يشرح صدره للاسلام يلطف به حتى يرغب في الاسلام وتسكن اليه نفسه ويحب الدخول فيه ومن
يرد ان يضله يخذله ويخليه وشانه وهو الذي لا لطف له يجعل صدره ضيقا حرجا يمنعه الطافه حتى
يقسو قلبه وينبو عن قبول الحق وينسد فلا يدخله الايمان وقرئ ضيقا بالتخفيف والتشديد حرجا بالكسر وحرجا
بالفتح وصفا بالمصدر كانما يصعد في السماء كانما يزاول امرا غير ممكن لان صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد من
الاستطاعة ويضيق عنه المقدرة وقرئ يصعد واصله يتصعد وقرا عبد الله يتصعد ويصاعد واصله
يتصاعد ويصعد من صعد ويصعد من اصعد يجعل الله الرجس يعني الخذلان ومنع التوفيق وصفه بنقيض ما
يوصف به التوفيق من الطيب او اراد الفعل المؤدي الى الرجس وهو العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب
وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الايات لقوم يذكرون لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون
وهذا صراط ربك وهذا طريقه الذي اقتضته الحكمة وعادته في التوفيق والخذلان مستقيما وانتصابه على انه حال مؤكدة
كقوله تعالى وهو الحق مصدقا ولهم لقوم يذكرون دار السلام دار الله يعني الجنة اضافها الله الى نفسه تعظيما لها
او دار السلامة من كل افة وكدر عند ربهم في ضمانه كما تقول لفلان عندي حق لا ينسى او ذخيرة لهم لا يعلمون
كنهها كقوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وهو وليهم مواليهم ومحبهم وناصرهم على اعدائهم بما
كانوا يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم وقال اولياؤهم
من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك
حكيم عليم ويوم يحشرهم منصوب بمحذوف اي واذكر يوم يحشرهم او ويوم نحشرهم قلنا يا معشر الجن او يوم نحشرهم
وقلنا يا معشر الجن كان ما لا يوصف لفظاعته والضمير لمن يحشر من الثقلين وغيرهم والجن هم الشياطين قد استكثرتم
من الانس اضللتم منهم كثيرا وجعلتموهم اتباعكم فحشر معكم منهم الجم الغفير كما تقول استكثر الامير من الجنود واستكثر
فلان من الاشياع وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم واستمعوا الى وسوستهم ربنا استمتع بعضنا ببعض اي
انتفع الانس بالشياطين حيث دلوهم على الشهوات وعلى اسباب التوصل اليها واستمتع الجن بالانس حيث اطاعوهم وساعدوهم
على مرادهم وشهوتهم في اغوائهم وقيل استمتاع الانس بالجن في قوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال
من الجن اذا نزل واديا وخاف قال اعوذ برب هذا الوادي يعني به كبير الجن واستمتاع الجن بالانس اعتراف الانس
لهم بانهم يقدرون على الدفع عنهم واجارتهم لهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا يعنون يوم البعث وهذا الكلام اعتراف
بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع الهوى والتكذيب بالبعث واستسلام لربهم وتحسر على حالهم خالدين فيها الا ما شاء
الله اي يخلدون في عذاب النار الابد كله الا ما شاء الله الا الاوقات التي ينقلون فيها من عذاب النار الى عذاب الزمهرير

فقد روي انهم يدخلون واديا فيه الزمهرير ما يميز بعض اوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد الى الجحيم او يكون من قول
الموتور الذي ظفر بواتره ولم يزل يحرق عليه انيابه وقد طلب اليه ان ينفس عن خناقه اهلكني الله ان نفست عنك الا اذا
شئت وقد علم انه لا يشاء الا التشفي منه باقصى ما يقدر عليه من التعنيف والتشديد فيكون قوله الا اذا شئت من اشد الوعيد
مع تهكم بالموعد لخروجه في صورة الاستثناء الذي فيه اطماع ان ربك حكيم لا يفعل شيئا الا بموجب الحكمة عليم بان الكفار
يستوجبون عذاب الابد وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون نولي بعض الظالمين بعضا نخليهم حتى يتولى
بعضهم بعضا كما فعل الشياطين وغواة الانس او نجعل بعضهم اولياء بعض يوم القيمة وقرناءهم كما كانوا في الدنيا بما كانوا
يكسبون بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي وينذرونكم
لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين يقال لهم يوم القيمة
القيمة على جهة التوبيخ الم يأتكم رسل منكم واختلف في ان الجن هل بعث اليهم رسل منهم فتعلق بعضهم بظاهر الاية
ولم يفرق بين مكلفين ومكلفين ان يبعث اليهم رسول من جنسهم لانهم به آنس وله آلف وقال آخرون الرسل من الانس
خاصة وانما قيل رسل منكم لانه لما جمع الثقلان في الخطاب صح ذلك وان كان من احدهما كقوله تعالى يخرج منهما
اللؤلؤ والمرجان وقيل اراد رسل الرسل من الجن اليهم كقوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين وعن الكلبي كا
حكاية لتصديقهم وايجابهم قوله تعالى الم يأتكم لان الهمزة الداخلة على نفي اتيان الرسل للانكار فكان تقريرا
لهم وقولهم شهدنا على انفسنا اقرار منهم بان حجة الله لازمة لهم وانهم محجوجون بها فان قلت ما لهم مقرين في
هذه الاية جاحدين في قوله والله ربنا ما كنا مشركين قلت تتفاوت الاحوال والمواطن في ذلك اليوم المتطاول
فيقرون في بعضها ويجحدون في البعض او اريد شهادة ايديهم وارجلهم ويعترفون والثانية ذم لهم وتخطئة لرأيهم
ووصف لقلة نظرهم لانفسهم وانهم قوم غرتهم الحياة الدنيا واللذات الحاضرة وكان عاقبة امرهم ان اضطروا الى
الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام لربهم واستيجاب عذابه وانما قال ذلك تحذيرا للسامعين من مثل حالهم ذلك ان لم يكن
ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون ذلك اشارة الى ما تقدم من بعثة الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة وهو خبر
مبتدا محذوف اي الامر ذلك وان لم يكن ربك مهلك القرى تعليل اي الامر ما قصصنا عليك لانتفاء كون ربك
مهلك القرى بظلم على ان ان هي التي تنصب الافعال ويجوز ان تكون هي المخففة من الثقيلة على معنى لان الشان
والحديث لم يكن مهلك القرى بظلم ولك ان تجعله بدلا من ذلك كقوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر
هؤلاء مقطوع بظلم بسبب ظلم اقدموا عليه او ظالما على انه لو اهلكهم وهم غافلون لم ينبهوا برسول وكتاب لكان
ظالما وهو متعال عن الظلم وعن كل قبيح ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون ولكل من المكلفين درجات
منازل مما عملوا من جزاء اعمالهم وما ربك بغافل عما يعملون بساه عنه يخفى عليه مقاديره واحواله وما يستحق عليه من الاجر
وربك الغني ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما انشأكم من ذرية قوم آخرين انما توعدون لآت
وما انتم بمعجزين وربك الغني عن عباده وعن عبادتهم ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف ليعرضهم للمنافع الدائمة ان يشأ
يذهبكم ايها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق المطيع كما انشأكم من ذرية قوم آخرين من اولاد قوم آخرين
لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عليه الصلاة والسلام قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون
المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وقوله
اعملوا على مكانتكم يحتمل اعملوا على تمكنكم من امركم واقصى استطاعتكم وامكانكم واعملوا على جهتكم وحالكم التي انتم عليها

فان قلت بختم على افواههم قلت وجلودهم وحين شهادتهم على انفسهم تكرر ذكر كيف يقولون الاولى حكاية لقولهم

يقال

تقول للرجل اذا امره ان يثبت على حاله لاني ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم فسوف تعلمون اينا تكون له العاقبة
المحمودة وطريقة هذا الامر طريقة قوله اعملوا ما شئتم وهي التخلية والتسجيل على المامور بانه لا ياتي منه الا الشر فكانه
مامور به وهو واجب عليه حتم ليس له ان يتقصى عنه ويعمل بخلافه من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون
فان قلت ما موضع من قلت الرفع اذا كان بمعنى اي وعلق عنه فعل العلم او النصب اذا كان بمعنى الذي وعاقبة
الدار العاقبة الحسنى التي خلق الله هذه الدار لها وهذا طريق من الانذار لطيف المسلك فيه انصاف في المقال وادب حسن
مع تضمن شدة الوعيد والوثوق بان المنذر محق وان المنذر مبطل وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا
فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما
يحكمون كانوا يعينون اشيا من حرث ونتاج لله تعالى واشياء منهما لالهتهم فاذا راوا ما جعلوه لله زاكيا ناميا يزيد
في نفسه خيرا رجعوا فجعلوه للالهة واذا زكا ما جعلوه للاصنام تركوه لها واعتلوا بان الله غني وانما ذلك
لحبهم الهتهم وايثارهم لها وفي قوله مما ذرا اشعار بان الله كان اولى بان يجعل له الزاكي لانه هو الذي ذراه وزكاه
ولا يرد الى ما لا يقدر على ذرء ولا تزكية بزعمهم وقرئ بالضم اي قد زعموا انه لله والله لم يامرهم بذلك
ولا شرع لهم تلك القسمة التي هي من الشرك لانهم اشركوا بين الله وبين اصنامهم في القربة من انفاق عليها فلا
يصل الى الله اي لا يصل الى الوجوه التي كانوا يصرفونه اليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين فهو يصل
الى شركائهم من انفاق عليها بذبح نسائك عندها والاجرا على سدنتها ونحو ذلك ساء ما يحكمون في ايثار الهتهم على
الله وعملهم على ما لم يشرع لهم وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء
الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون وكذلك ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربات بين الله
والالهة او ومثل ذلك التزيين البليغ الذي علم من الشياطين والمعنى ان شركاءهم من الشياطين او من سدنة الاصنام
زينوا لهم قتل اولادهم بالواد او بنحرهم للالهة وكان الرجل يحلف في الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم
كما حلف عبد المطلب وقرئ زين على البناء للفاعل الذي هو شركاؤهم ونصب قتل اولادهم وزين على
البناء للمفعول الذي هو القتل ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين كانه قيل لما قيل زين لهم قتل اولادهم
من زينه فقيل زينه لهم شركاؤهم واما قراءة ابن عامر قتل اولادهم شركائهم برفع القتل ونصب الاولاد وجر
الشركاء على اضافة القتل الى الشركاء والفصل بينهما بغير الظرف فشي لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر
لكان سمجا مردودا كما سمج ورد زج القلوص ابي مزاده فكيف به في الكلام المنثور فكيف به في القران
المعجز بحسن نظمه وجزالته والذي حمله على ذلك ان راى في بعض المصاحف شركائهم مكتوبا بالياء ولو قرا بجر
الاولاد والشركاء لان الاولاد شركاؤهم في اموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب ليردوهم
ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوه عليهم ويشبهوه ودينهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل عليه الصلاة
والسلام حتى زلوا عنه الى الشرك وقيل دينهم الذي وجب ان يكونوا عليه وقيل معناه وليوقعوهم في دين
ملتبس فان قلت ما معنى اللام قلت ان كان التزيين من الشياطين فهو على حقيقة التعليل وان كان من السدنة
فعلى معنى الصيرورة ولو شاء الله مشيئة قسر ما فعلوه ما فعل المشركون ما زين لهم من القتل او لما فعل الشياطين
او السدنة التزيين او الارداء او اللبس او جميع ذلك ان جعلت الضمير جاريا مجرى اسم الاشارة وما يفترون وما
يفترونه من الافك او وافتراءهم وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت

ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون حجر فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوي
في الوصف به الذكر والمؤنث والواحد والجمع لأن حكمه حكم الأسماء غير الصفات وقرأ الحسن وقتادة حُجُر بضم الحاء
وعن ابن عباس رضي الله عنه حرج وهو من التضييق وكانوا إذا عينوا أشياء من حرثهم وأنعامهم لآلهتهم قالوا لا يطعمها إلا
من نشاء يعنون خدم الأوثان والرجال دون النساء وأنعام حرمت ظهورها هي البحائر والسوائب والحوامي
وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وإنما يذكرون عليها أسماء الأصنام وقيل لا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها
والمعنى أنهم قسموا أنعامهم فقالوا هذه أنعام حجر وهذه أنعام محرمة الظهور وهذه أنعام لا يذكر عليها اسم الله فجعلوها
أجناسا بهواهم ونسبوا ذلك التخصيص إلى الله تعالى افتراء عليه أي فعلوا ذلك كله على جهة الافتراء وانتصابه على أنه
مفعول له أو حال أو مصدر مؤكد لأن قولهم ذلك في معنى الافتراء وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا
ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها
بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين كانوا يقولون في أجنة البحائر والسوائب
ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور لا تأكل منه الإناث وما ولد ميتا اشترك فيه الذكور والإناث وأنث خالصة
للحمل على المعنى لأن ما في معنى الأجنة وذكر محرم للحمل على اللفظ ونظيره قوله تعالى ومنهم من يستمع إليك
حتى إذا خرجوا من عندك ويجوز أن تكون التاء للمبالغة كما في رواية الشعر وأن تكون مصدرا وقع موقع
الخالص كالعافية أي ذو خالصة ويدل عليه قراءة من قرأ خالصة بالنصب على أن قوله لذكورنا هو الخبر
وخالصة مصدر مؤكد ولا يجوز أن يكون حالا متقدمة لأن المجرور لا يتقدم عليه حاله وقرأ ابن عباس رضي الله
عنهما خالصه على الإضافة وفي مصحف عبد الله خالص وإن يكن ميتة وإن يكن ما في بطونها ميتة وقرئ وإن تكن
بالتأنيث على وإن تكن الأجنة ميتة وقرأ أهل مكة وإن تكن ميتة بالتأنيث والرفع على كان التامة وتذكير
الضمير في قوله فهم فيه شركاء لأن الميتة لكل ميت ذكر وأنثى فكأنه قيل وإن يكن ميت فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم
أي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحليل والتحريم من قوله تعالى وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى ولا تقولوا
لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام نزلت في ربيعة ومضر والعرب كانوا يئدون بناتهم
مخافة السبي والفقر سفها بغير علم لخفة أحلامهم وجهلهم بأن الله تعالى هو رازق أولادهم لا هم وقرئ قتّلوا بالتشديد
ما رزقهم الله من البحائر والسوائب ونحوها وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع
مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده
ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين أنشأ جنات من الكروم معروشات مسموكات وغير معروشات متروكات على وجه الأرض
لم تعرش وقيل المعروشات ما في الأرياف والعمران مما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه وغير معروشات مما أنبته
الله وحشيا في البراري والجبال فهو غير معروش يقال عرشت الكرم إذا جعلت له دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان
وسقف البيت عرشه مختلفا أكله في اللون والطعم والحجم والرائحة وقرئ أكْله بالضم والسكون وهو ثمره
الذي يؤكل والضمير للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه ومختلفا حال مقدرة لأنه لم يكن وقت الإنشاء
كذلك كقوله تعالى فادخلوها خالدين وقرئ ثمُره بضمتين فإن قلت ما فائدة قوله إذا أثمر وقد علم أنه إذا
لم يثمر لم يؤكل منه قلت لما أبيح لهم الأكل من ثمره قيل إذا أثمر ليعلم أن أول وقت الإباحة وقت إطلاع الشجر
الثمر لئلا يتوهم أنه لا يباح إلا إذا أدرك وأينع وآتوا حقه يوم حصاده الآية مكية والزكاة إنما فرضت بالمدينة

فاريد

اُريد بالحق ما كان يتصدق به على المساكين يوم الحصاد وكان ذلك واجبا حتى نسخه افتراض العشر ونصف العشر وقيل
مدنية والحق هو الزكاة المفروضة ومعناه واعزموا على ايتاء الحق واقصدوه واهتموا به يوم الحصاد حتى لا تؤخروه عن اول
وقت يمكن فيه الايتاء ولا تسرفوا في الصدقة كما روي عن ثابت بن قيس انه صرم خمسمائة نخلة ففرق ثمرها كله ولم يدخل
منه شيئا الى منزله ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ومن الانعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات
الشيطان انه لكم عدو مبين حمولة وفرشا عطف على جنات اي وانشا من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ينسج
من وبره وصوفه وشعره الفرش وقيل الحمولة الكبار التي تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لانها
دانية من الارض للطافة اجرامها مثل الفرش المفروش عليها ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم
كما فعل اهل الجاهلية ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت
عليه ارحام الانثيين نبئوني بعلم ان كنتم صادقين ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا اثنين زوجين اثنين
يريد الذكر والانثى كالجمل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة والتيس والعنز والواحد اذا كان وحده فهو
فرد فاذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا وهما زوجان بدليل قوله تعالى خلق الزوجين
الذكر والانثى والدليل عليه قوله تعالى ثمانية ازواج ثم فسرها بقوله من الضان اثنين ومن المعز اثنين ومن
الابل اثنين ومن البقر اثنين ونحو تسميتهم الفرد بالزوج بشرط ان يكون معه آخر من جنسه تسميتهم الزجاجة كاسا
بشرط ان يكون فيها خمر والضان والمعز جمع ضائن وماعز كتاجر وتجر وقرئ بفتح العين وقرا ابي ومن المعز
وقرئ اثنان على الابتداء الهمزة في الذكرين للانكار والمراد بالذكرين الذكر من الضان والذكر من المعز
وبالانثيين الانثى من الضان والانثى من المعز على طريق الجنسية والمعنى انكار ان يحرم الله من جنسي الغنم ضانها
ومعزها شيئا من نوعي ذكورها واناثها ولا مما تحمل اناث الجنسين وكذلك الذكران من جنسي الابل والبقر
والانثيان منهما وما تحمل اناثهما وذلك انهم كانوا يحرمون ذكورة الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيفما
كانت ذكورا او اناثا او مختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله تعالى فانكر ذلك عليهم نبئوني بعلم
اخبروني بامر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم ان كنتم صادقين في ان الله تعالى حرمه
ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين ام كنتم
شهداء اذ وصاكم الله بهذا فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين
ام كنتم شهداء بل اكنتم شهداء ومعنى الهمزة الانكار ام شاهدتم ربكم حين امركم بهذا التحريم وذكر المشاهدة على
مذهبهم لانهم كانوا لا يؤمنون برسول وهم يقولون الله حرم هذا الذي نحرمه فتهكم بهم في قوله ام كنتم شهداء على معنى
اعرفتم التوصية به مشاهدين لانكم لا تؤمنون بالرسل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم
ليضل الناس وهو عمرو بن لحي بن قمعة الذي بحر البحائر وسيب السوائب فان قلت كيف فصل بين بعض المعدود وبعضه
ولم يوال بينه قلت قد وقع الفاصل بينهما اعتراضا غير اجنبي من المعدود وذلك ان الله عز وجل من على
عباده بانشاء الانعام لمنافعهم وباباحتها لهم فاعترض بالاحتجاج على من حرمها والاحتجاج على من حرمها تاكيد
وتشديد للتحليل والاعتراضات في الكلام لا تساق الا للتوكيد قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون
ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس او فسقا اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم
فيما اوحي الي تنبيه على ان التحريم انما يثبت بوحي الله وشرعه لا بهوى النفس محرما طعاما محرما من المطاعم التي حرموها

إلا أن يكون ميتة إلا أن يكون الشيء المحرم ميتة أو دما مسفوحا أي مصبوبا سائلا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال وقد
رخص في دم العروق بعد الذبح أو فسقا عطف على المنصوب قبله سمي ما أهل لغير الله به فسقا لتوغله في باب الفسق ومنه
قوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وأهل صفة له منصوبة المحل ويجوز أن يكون مفعولا له من أهل
أي أهل لغير الله به فسقا فإن قلت فعلام يعطف أهل وإلام يرجع الضمير في به على هذا القول قلت يعطف على يكون
ويرجع الضمير إلى ما رجع إليه المستكن في قوله يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة إلى أكل شيء من هذه المحرمات غير باغ
على مضطر مثله تارك لمواساته ولا عاد متجاوز قدر حاجته من تناوله فإن ربك غفور رحيم وعلى الذين هادوا
حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم
ببغيهم وإنا لصادقون ذو الظفر ما له إصبع من دابة أو طائر وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا حرم ذلك
عليهم فعم التحريم كل ذي ظفر بدليل قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقوله ومن البقر
والغنم حرمنا عليهم شحومهما كقولك من زيد أخذت ماله تريد بالإضافة زيادة الربط والمعنى أنه حرم عليهم
لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل شيء منه وترك البقر والغنم على التحليل لم يحرم منهما إلا الشحوم الخالصة وهي الثروب
وشحوم الكلى وقوله إلا ما حملت ظهورهما يعني إلا ما اشتمل على الظهور والجنوب من السحفة أو الحوايا أو ما اشتمل
على الأمعاء أو ما اختلط بعظم وهو شحم الألية وقيل الحوايا عطف على شحومهما وأو بمنزلتها في قولهم جالس الحسن أو ابن
سيرين ذلك الجزاء جزيناهم وهو تحريم الطيبات ببغيهم بسبب ظلمهم وإنا لصادقون فيما أوعدنا به العصاة لا نخلفه
كما لا نخلف ما وعدناه أهل الطاعة فلما عصوا وبغوا ألحقنا بهم الوعيد وأحللنا بهم العقاب فإن كذبوك فقل ربكم
ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين فإن كذبوك في ذلك وزعموا أن الله تعالى واسع الرحمة وأنه لا يؤاخذ
بالبغي ويخلف الوعيد جودا وكرما فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لأهل طاعته ولا يرد بأسه مع سعة رحمته عن
القوم المجرمين فلا يغتر برجائه عن خوف نقمته سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء
كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون
سيقول الذين أشركوا إخبار بما سوف يقولونه ولما قالوه قال وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء يعنون
بكفرهم وتمردهم أن شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم ما أحل الله بمشيئة الله وإرادته ولولا مشيئته لم يكن شيء من ذلك
كمذهب المجبرة بعينه كذلك كذب الذين من قبلهم أي جاؤوا بالتكذيب المطلق لأن الله عز وجل ركب في العقول
وأنزل في الكتب ما دل على غناه وبراءته من مشيئة القبائح وإرادتها والرسل أخبروا بذلك فمن علق وجود القبائح من
الكفر والمعاصي بمشيئة الله وإرادته فقد كذب التكذيب كله وهو تكذيب الله وكتبه ورسله ونبذ أدلة العقل والسمع
وراء ظهره حتى ذاقوا بأسنا حتى أنزلنا عليهم العذاب بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من أمر معلوم يصح الاحتجاج
به فيما قلتم فتخرجوه لنا وهذا من التهكم والشهادة بأن مثل قولهم محال أن يكون له حجة إن تتبعون إلا الظن في قولكم
هذا وإن أنتم إلا تخرصون تقدرون أن الأمر كما تزعمون أو تكذبون كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف
قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين قل فلله الحجة البالغة يعني فإن كان الأمر كما زعمتم أن ما أنتم عليه بمشيئة الله
فلله الحجة البالغة عليكم على قود مذهبكم فلو شاء لهداكم أجمعين منكم ومن مخالفيكم في الدين فإن تعليقكم دينكم بمشيئة
الله يقتضي أن تعلقوا دين من يخالفكم أيضا بمشيئته فتوالوهم ولا تعادوهم وتوافقوهم ولا تخالفوهم لأن المشيئة تجمع بين
ما أنتم عليه وبين ما هم عليه قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء

الذين

الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون هلم يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث عند الحجازيين وبنو
تميم تؤنث وتجمع والمعنى هاتوا شهداءكم وقربوهم فان قلت كيف امرهم باستحضار شهدائهم الذين يشهدون ان الله حرم هذا
ثم امره بان لا يشهد معهم قلت امره باستحضارهم وهم شهداء بالباطل ليلزمهم الحجة ويلقمهم الحجر
ويظهر للمشهود لهم بانقطاع الشهداء انهم ليسوا على شيء لتساوي اقدام الشاهدين والمشهود لهم في انهم لا يرجعون الى ما يصح
التمسك به وقوله فلا تشهد معهم يعني فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لانه اذا سلم لهم فكانه شهد معهم مثل
شهادتهم وكان واحدا منهم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان من كذب بآيات
الله وعدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير لانه لو تبع الدليل لم يكن الا مصدقا بآيات الله موحدا لله تعالى فان قلت
هلا قيل هلم شهداء يشهدون ان الله حرم هذا واي فرق بينه وبين المنزل قلت المراد ان يحضروا شهداءهم
الذين علم انهم يشهدون لهم وينصرون قولهم وكان المشهود لهم يقلدونهم ويثقون بهم ويعتضدون بشهادتهم
ليهدم ما يقومون به فيحق الحق ويبطل الباطل فاضيفت الشهداء اليهم لذلك وجيء بالذين للدلالة على انهم شهداء معروفون
موسومون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم والدليل عليه قوله فان شهدوا فلا تشهد معهم ولو قيل هلم شهداء يشهدون
لكان معناه هاتوا اناسا يشهدون بتحريم ذلك فكان الظاهر طلب شهداء بالحق وذلك ليس بالغرض ويناقضه قوله
فان شهدوا فلا تشهد معهم قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم
من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم
وصاكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف
نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وان هذا
صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون تعال من الخاص الذي صار
عاما واصله ان يقوله من كان في مكان عال لمن هو اسفل منه ثم كثر واتسع حتى عم وما حرم منصوب بفعل التلاوة
بمعنى اتل الذي حرمه ربكم او بحرم بمعنى اتل اي شيء حرم ربكم لان التلاوة من القول وان في الا تشركوا مفسرة
ولا للنهي فان قلت هلا قلت هي التي تنصب الفعل وجعلت ان لا تشركوا بدلا مما حرم قلت وجب ان يكون لا تشركوا
ولا تقربوا ولا تقتلوا ولا تتبعوا السبل نواهي لانعطاف الاوامر عليها وهي قوله تعالى وبالوالدين احسانا لان
التقدير واحسنوا بالوالدين احسانا واوفوا واذا قلتم فاعدلوا وبعهد الله اوفوا فان قلت فما تصنع بقوله
وان هذا صراطي مستقيما قلت اجعل قوله وان هذا صراطي مستقيما علة فاتبعوه فيمن قرأ بالفتح وانما يستقيم عطفه
على ان لا تشركوا اذا جعلت ان هي الناصبة للفعل حتى يكون المعنى اتل عليكم نفي الاشراك والتوحيد واتل عليكم ان
هذا صراطي مستقيما قلت اجعل قوله وان هذا صراطي مستقيما علة للاتباع بتقدير اللام كقوله تعالى وان المساجد
لله فلا تدعوا مع الله احدا بمعنى ولان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه والدليل عليه القراءة بالكسر كانه قيل واتبعوا صراطي
لانه مستقيم او واتبعوا صراطي انه مستقيم فان قلت اذا جعلت ان مفسرة لفعل التلاوة وهو معلق بما حرم ربكم
وجب ان يكون ما بعده منهيا عنه محرما كله كالشرك وما بعده مما دخل عليه حرف النهي فما تصنع بالاوامر قلت لما وردت
هذه الاوامر مع النواهي وتقدمهن جميعا فعل التحريم واشتركن في الدخول تحت حكمه علم ان التحريم راجع الى اضدادها
وهي الاساءة الى الوالدين وبخس الكيل والميزان وترك العدل في القول ونكث عهد الله من املاق من اجل فقر
ومن خشيته كقوله تعالى خشية املاق ما ظهر منها وما بطن مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه الا بالحق كالقصاص

والقتل على الردة والرجم • إلا بالتي هي أحسن إلا بالخصلة التي هي أحسن ما يفعل بمال اليتيم وهي حفظه وتثميره والمعنى احفظوه
عليه حتى يبلغ أشده فادفعوه إليه وبالقسط بالسوية والعدل ولا نكلف نفسا إلا وسعها إلا ما يسعها ولا تعجز عنه وإنما
أتبع الأمر بإيفاء الكيل والميزان ذلك لأن مراعاة الحد من القسط الذي لا زيادة فيه ولا نقصان مما يجري فيه الحرج
فأمر ببلوغ الوسع وأن ما وراءه معفو عنه ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له أو عليه في شهادة أو غيرها من
من أهل قرابة القائل فما ينبغي أن يزيد في القول أو ينقص كقوله تعالى ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين • وقرئ
وأن هذا صراطي بتخفيف أن وأصله وأنه هذا صراطي على أن الهاء ضمير الشأن • والحديث • وقرأ الأعمش وهذا صراطي
وفي مصحف عبد الله وهذا صراط ربكم • وفي مصحف أبي وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الطرق المختلفة في الدين
من اليهودية والنصرانية • والمجوسية وسائر البدع والضلالات فتفرق بكم فتفرقكم أيادي سبا عن سبيله عن صراط الله
المستقيم وهو دين الإسلام وقرئ فتفرق بإدغام التاء • وروى أبو وائل عن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه خط خطا ثم قال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها
شيطان يدعو إليه ثم تلا هذه الآية وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه • وعن ابن عباس رضي الله عنهما هذه الآيات محكمات
لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وقيل إنهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار • وعن كعب الأحبار
رضي الله عنه • والذي نفس كعب بيده إن هذه الآيات لأول شيء في التوراة ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن
وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون
فإن قلت علام عطف قوله ثم آتينا موسى الكتاب قلت على وصاكم به فإن قلت كيف صح عطفه عليه بثم والإيتاء
قبل الوصية بدهر طويل قلت هذه الوصية قديمة لم تزل توصاها كل أمة على لسان نبيها كما قال ابن عباس رضي الله عنهما
محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب فكأنه قيل ذلكم وصاكم به يا بني آدم قديما وحديثا ثم أعظم من ذلك أنا آتينا
موسى الكتاب وأنزلنا هذا الكتاب المبارك وقيل هو معطوف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله ووهبنا له إسحق
تماما على الذي أحسن تماما للكرامة والنعمة على الذي أحسن على من كان محسنا صالحا يريد جنس المحسنين • وتدل قراءة عبد الله
على الذين أحسنوا وأراد به موسى عليه الصلاة والسلام • أي تتمة للكرامة على العبد الذي أحسن الطاعة في التبليغ وفي
كل ما أمر به أو تماما على الذي أحسن موسى من العلم والشرائع من أحسن الشيء إذا أجاد معرفته • أي زيادة على علمه على وجه التتميم
وقرأ يحيى بن يعمر على الذي أحسن أي على الذي هو أحسن على حذف المبتدأ كقراءة من قرأ مثلا ما بعوضة بالرفع على الدين
الذي هو أحسن دين وأرضاه أو آتينا موسى الكتاب تماما أي تاما كاملا على أحسن ما تكون عليه الكتب أي على الوجه
والطريق الذي هو أحسن وهو معنى قول الكلبي أتم له الكتاب على أحسنه أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين
من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين أن تقولوا كراهة أن تقولوا على طائفتين يريد أهل التوراة وأهل الإنجيل
وإن كنا هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية • والأصل وإنه كنا عن دراستهم غافلين
على أن الهاء ضمير الشأن عن دراستهم عن قراءتهم أي لم نعرف مثل دراستهم أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا
أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين
يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون لكنا أهدى منهم لحدة أذهاننا وثقابة أفهامنا وغزارة
حفظنا لأيام العرب ووقائعها وخطبها وأشعارها • وأسجاعها وأمثالها على أنا أميون • وقرئ أن يقولوا أو يقولوا
بالياء فقد جاءكم بينة من ربكم تبكيت لهم وهو على قراءة من قرأ يقولوا على لفظ الغيبة أحسن لما فيه من الالتفات والمعنى

إن

لا المعنى ان صدقتم فيما كنتم تعدون من انفسكم فقد جاءكم بينة من ربكم فحذف الشرط وهو من احاسن الحذوف فمن اظلم ممن كذب
بايات الله بعد ما عرف صحتها وصدقها او تمكن من معرفة ذلك وصدف عنها الناس فضل واضل سنجزي الذين يصدفون
عن اياتنا سوء العذاب لقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب هل ينظرون الا ان
تأتيهم الملائكة او يأتي ربك او يأتي بعض ايات ربك يوم يأتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من
قبل او كسبت في ايمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون الملائكة ملائكة الموت او العذاب او يأتي ربك او يأتي كل ايات
ربك بدليل قوله او يأتي بعض ايات ربك يريد ايات القيامة والهلاك الكلي وبعض الايات اشراط الساعة كطلوع الشمس
من مغربها وغير ذلك وعن البراء بن عازب رضي الله عنه كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ما تتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر ايات الدخان ودابة الارض
وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها وياجوج وماجوج
ونزول عيسى ونار تخرج من عدن لم تكن آمنت من قبل صفة لقوله نفسا وقوله او كسبت في ايمانها خيرا عطف
على آمنت والمعنى ان اشراط الساعة اذا جاءت وهي ايات ملجئة مضطرة ذهب اوان التكليف عندها فلم ينفع الايمان
حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها من قبل ظهور الايات او مقدمة ايمانها غير كاسبة خيرا فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة اذا
آمنت في غير وقت الايمان وبين النفس التي آمنت في وقتها ولم تكسب خيرا ليعلم ان قوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جمع بين قرينتين لا ينبغي ان تنفك احداهما عن الاخرى حتى يفوز صاحبهما ويسعد والا فالشقوة والهلاك قل
انتظروا انا منتظرون وعيد وقرئ ان يأتيهم الملائكة بالياء والتاء وقرأ ابن سيرين لا تنفع بالتاء لكون الايمان
مضافا الى ضمير المؤنث الذي هو بعضه كقولك ذهبت بعض اصابعه ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم
في شيء انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون فرقوا دينهم اختلفوا فيه كما اختلفت اليهود والنصارى وفي الحديث
افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وهي الناجية وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين
فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق امتي على ثلاث وسبعين كلها في الهاوية الا واحدة وقيل فرقوا دينهم
فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وقرئ فارقوا دينهم اي تركوه وكانوا شيعا فرقا كل فرقة تشيع اماما لها لست منهم
في شيء اي من السؤال عنهم وعن تفرقهم وقيل من عقابهم وقيل هي منسوخة باية السيف من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن
جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون عشر امثالها على اقامة صفة الجنس المميز مقام الموصوف تقديره عشر
حسنات امثالها وقرئ عشر امثالها برفعهما جميعا على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد وعد بالواحد
سبعمائة ووعد ثوابا بغير حساب ومضاعفة الحسنات فضل ومكافاة السيئات عدل وهم لا يظلمون لا ينقص
من ثوابهم ولا يزاد على عقابهم قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين
دينا نصب على البدل من محل الى صراط لان معناه هداني صراطا بدليل قوله تعالى ويهديكم صراطا مستقيما والقيم فيعل
من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من القائم وقرئ قيما والقيم مصدر بمعنى القيام وصف به ملة ابراهيم
عطف بيان وحنيفا حال من ابراهيم قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك
امرت وانا اول المسلمين قل ان صلاتي ونسكي وعبادتي وتقربي كله وقيل وذبحي وجمع بين الصلاة والذبح
كما في قوله تعالى فصل لربك وانحر وقيل صلاتي وحجي من مناسك الحج ومحياي ومماتي وما آتيه في حياتي
واموت عليه من الايمان والعمل الصالح لله رب العالمين خالصة لوجهه وبذلك من الاخلاص امرت وانا اول المسلمين

لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته قل اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة
وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون قل اغير الله ابغي ربا جواب عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم
والهمزة للانكار اي منكر ان ابغي ربا غيره وهو رب كل شيء فكل من دونه مربوب ليس في الوجود من له الربوبية
غيره كما قال افغير الله تأمروني اعبد ولا تكسب كل نفس الا عليها جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل
خطاياكم وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ان ربك سريع العقاب
وانه لغفور رحيم جعلكم خلائف الارض لان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فخلفت امته سائر الامم او جعلهم يخلف بعضهم
بعضا او هم خلفاء الله في ارضه يملكونها ويتصرفون فيها ورفع بعضكم فوق بعض في الشرف والرزق ليبلوكم فيما آتاكم
من نعمة الجاه والمال كيف تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضيع والحر بالعبد والغني بالفقير ان ربك
سريع العقاب لمن كفر نعمته وانه لغفور رحيم لمن قام بحقها بشكرها ووصف العقاب بالسرعة لان ما هو آت
قريب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت علي سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح
والتحميد فمن قرأ سورة الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من هذه السورة يوما وليلة

سورة الاعراف مكية | بسم الله الرحمن الرحيم | وهي مائتان وست آيات

المص كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين كتاب خبر مبتدأ محذوف اي هو كتاب وانزل
اليك صفة له والمراد بالكتاب السورة فلا يكن في صدرك حرج منه اي شك منه كقوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا
اليك وسمي الشك حرجا لان الشاك ضيق الصدر حرجه كما ان المتيقن منشرح الصدر منفسحه اي لا تشك في انه
منزل من الله او حرج من تبليغه لانه كان يخاف قومه وتكذيبهم له واعراضهم عنه واذاهم له فكان يضيق صدره
من الاذى ولا ينبسط له فامنه الله ونهاه عن المبالاة بهم فان قلت بم تعلق قوله لتنذر قلت بانزل اي انزل
اليك لانذارك به او بالنهي لانه اذا لم يخفهم انذرهم وكذلك اذا ايقن انه من عند الله شجعه اليقين على الانذار لان
صاحب اليقين جسور متوكل على ربه متكل على عصمته فان قلت فما محل ذكرى قلت يحتمل الحركات الثلاث
النصب باضمار فعلها كانه قيل لتنذر به وتذكر تذكيرا لان الذكرى اسم بمعنى التذكير والرفع عطفا على كتاب
او بانه خبر مبتدأ محذوف والجر للعطف على محل ان تنذر اي للانذار وللذكرى فان قلت النهي في قوله
فلا يكن متوجه الى الحرج فما وجهه قلت هو من قولهم لا ارينك هاهنا اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا
تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون وكم من قرية اهلكناها فجاءها بأسنا بياتا او هم قائلون اتبعوا ما انزل
اليكم من القرآن والسنة ولا تتبعوا من دونه من دون الله اولياء اي ولا تتولوا من دونه من شياطين الجن والانس
فيحملوكم على عبادة الاوثان والاهواء والبدع ويضلوكم عن دين الله وما انزل اليكم وامركم باتباعه وعن الحسن
يا ابن آدم امرت باتباع كتاب الله وسنة محمد والله ما انزلت آية الا وهو يحب ان تعلم فيم انزلت وما معناها
وقرأ مالك بن دينار ولا تبتغوا من الابتغاء ومن يبتغ غير الاسلام دينا ويجوز ان يكون الضمير في من دونه لما انزل
علي ولا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء قليلا ما تذكرون وما مزيدة لتوكيد القلة فجاءها فجاء اهلها بياتا
مصدر واقع موقع الحال بمعنى بائتين يقال بات بياتا حسنا وبيتة حسنة وقوله هم قائلون حال معطوفة على بياتا

كانه

كأنه قيل فجاءهم بأسنا بائتين او قائلين فان قلت هل يقدر حذف المضاف الذي هو الاهل قبل قرية او قبل الضمير
في اهلكناها قلت انما يقدر المضاف للحاجة ولا حاجة فان القرية تهلك كما يهلك اهلها وانما قدرناه قبل الضمير
في فجاءها لقوله اوهم قائلون فان قلت لا يقال جاءني زيد هو فارس بغير واو فما بال قوله هم قائلون قلت
قدر بعض النحويين الواو محذوفة ورده الزجاج وقال لو قلت جاءني زيد راجلا او هو فارس او جاءني زيد
هو فارس لم يحتج فيه الى واو لان الذكر قد عاد على الاول والصحيح انها اذا عطفت على حال قبلها حذفت الواو
استثقالا لاجتماع حرفي عطف لان واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل فقولك جاءني زيد راجلا او
هو فارس كلام فصيح وارد على حده واما جاءني زيد هو فارس فخبيث فان قلت فما معنى قوله اهلكناها فجاءها
بأسنا والاهلاك انما هو بعد مجيء البأس قلت معناه اردنا اهلاكها كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة وانما خص
هذان الوقتان البيات ووقت القيلولة لانهما وقتا الغفلة والدعة فيكون نزول العذاب فيهما اشد وافظع وقوم
لوط اهلكوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب وقت القيلولة **فما كان دعويهم اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين
فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين** فما كان دعويهم ما كانوا يدعونه من
دينهم وينتحلونه من مذهبهم الا اعترافهم ببطلانه وفساده وقولهم انا كنا ظالمين فيما كنا عليه ويجوز فما كان
استغاثتهم الا قولهم هذا لانه لا مستغاث لهم الا الله بغيره من قولهم دعويهم بالكعب ويجوز فما كان دعاءهم
ربهم الا اعترافهم فيما كنا عليه لعلمهم ان الدعاء لا ينفعهم وان لات حين دعاء فلا يزيدون على ذم انفسهم
وتحسرهم على ما كان منهم ودعويهم نصب خبر لكان وان قالوا رفع اسم له ويجوز العكس فلنسئلن الذين ارسل
اليهم ارسل مسند الى الجار والمجرور وهو اليهم ومعناه فلنسئلن المرسل اليهم وهم الامم يسألهم عما اجابوا به رسلهم
كما قال تعالى ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين ولنسئلن المرسلين عما اجيبوا به كما قال تعالى يوم يجمع
الله الرسل فيقول ماذا اجبتم فلنقصن عليهم على الرسل والمرسل اليهم بعلم بما كان منهم عالمين باحوالهم الظاهرة والباطنة
واقوالهم وافعالهم وما كنا غائبين عنهم وعما وجد منهم فان قلت فاذا كان عالما بذلك وكان يقصه عليهم
فما معنى سؤالهم قلت معناه التوبيخ والتقريع والتقرير اذا فاهوا به بالسنتهم وشهد عليهم انبياؤهم
**والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم
بما كانوا باياتنا يظلمون** والوزن يومئذ الحق يعني وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها ورفعه على الابتداء
وخبره يومئذ والحق صفته والوزن يومئذ يوم يسأل الله الامم ورسلهم والوزن الحق اي العدل والقسط
والنسط واختلف في كيفية الوزن فقيل توزن صحائف الاعمال بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق
تأكيدا للحجة واظهارا للنصفة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فيعترفون بها بالسنتهم وتشهد عليهم ايديهم
وارجلهم وجلودهم وتشهد عليهم بها الانبياء والملائكة والاشهاد وكما تثبت في صحائفهم فيقرؤونها في موقف الحساب
وقيل هي عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل فمن ثقلت موازينه جمع ميزان او موزون اي فمن رجحت
اعماله الموزونة التي لها وزن وقدر وهي الحسنات او ما توزن به حسناتهم وعن الحسن وحق لميزان توضع
فيه الحسنات ان يثقل وحق لميزان توضع فيه السيئات ان يخف بما كانوا باياتنا يظلمون يكذبون بها ظلما لقوله تعالى
وظلموا بها **ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة
اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين** مكناكم في الارض جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا او ملكناكم فيها مكانا

وقرارا او ملكناكم فيها واقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب
وغيرها او ما يتوصل به الى ذلك والوجه تصريح الياء وعن ابن عامر انه همز تشبيها بصحائف ولقد خلقناكم ثم صورناكم
يعني خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه بعد ذلك الا ترى الى قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم من الساجدين ممن سجد
لآدم لا في ان لا تسجد صلة بدليل قوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ومثلها لئلا يعلم اهل الكتاب بمعنى ليعلم
فان قلت ما فائدة زيادتها قلت توكيد معنى الفعل الذي يدخل عليه وتحقيقه كانه قيل ليتحقق علم اهل الكتاب
قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر
فيها فاخرج انك من الصاغرين وما منعك ان تحقق السجود وتلزمه نفسك اذ امرتك لان امري لك بالسجود اوجبه
عليك ايجابا وحتمه لا بد لك منه فان قلت لم سأله عن المانع من السجود وقد علم ما منعه قلت للتوبيخ ولاظهار
معاندته وكفره وكبره وافتخاره باصله وازدرائه باصل آدم وانه خالف امر ربه معتقدا انه غير واجب عليه لما رأى ان
سجود الفاضل للمفضول خارج من الصواب فان قلت كيف يكون قوله انا خير منه جوابا لما منعك وانما الجواب ان يقول
منعني كذا قلت قد استأنف قصة اخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم وبعلة فضله عليه وهو ان اصله من نار واصل آدم
من طين فعلم منها الجواب وزيادة عليه وهو انكار الامر واستبعاد ان يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله كانه يقول من كان على
هذه الصفة كان مستبعدا ان يؤمر بما امر به فاهبط منها من السماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة الى الارض التي هي مقر
العاصين المتكبرين من الثقلين فما يكون لك فما يصح لك ان تتكبر فيها وتعصي فاخرج انك من الصاغرين من اهل الصغار
والهوان على الله وعلى اوليائه لتكبرك كما تقول للرجل قم صاغرا اذا اهنته وفي ضده قم راشدا وذلك انه لما اظهر
الاستكبار البس الصغار وعن عمر رضي الله عنه من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدا
طوره وهصه الله الى الارض قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين قال فبما اغويتني لاقعدن لهم
صراطك المستقيم فان قلت لم اجيب الى استنظاره وانما استنظر ليفسد عباده ويغويهم قلت لما في ذلك من ابتلاء
العباد وفي مخالفته من اعظم الثواب وحكمه حكم ما خلق في الدنيا من صنوف الزخارف وانواع الملاذ والملاهي وما
ركب في الانفس من الشهوات ليمتحن بها عباده فبما اغويتني فبسبب اغوائك اياي لاقعدن لهم وهو تكليفه اياه ما وقع
به في الغي ولم يثبت كما ثبتت الملائكة مع كونهم افضل منه ومن آدم انفسا ومناصب وعن الاصم رحمة الله عليه
امرتني بالسجود فحملني الانف على معصيتك والمعنى فبسبب وقوعي في الغي لاجتهدن في اغوائهم حتى يفسدوا بسببي ٣
كما فسدت بسببهم فان قلت بم تعلقت الباء فان تعلقها بلاقعدن يصد عنه لام القسم لا تقول والله بزيد لامرن
قلت تعلقت بفعل القسم المحذوف تقديره فبما اغويتني اقسم بالله لاقعدن اي فبسبب اغوائك اقسم ويجوز ان تكون
الباء للقسم اي فاقسم باغوائك لاقعدن وانما اقسم بالاغواء لانه كان تكليفا والتكليف من احسن افعال الله لكونه تعريضا لسعادة
الابد فكان جديرا بان يقسم به ومن تكاذيب المجبرة ما حكوا عن طاوس انه كان في المسجد الحرام فجاء رجل من كبار
الفقهاء يرمى بالقدر فجلس اليه فقال له طاوس تقوم او تقام فقام الرجل فقيل له اتقول هذا لرجل فقيه فقال ابليس
افقه منه قال رب بما اغويتني وهذا يقول انا اغوي نفسي وما ظنك بقوم بلغ من تهالكهم على اضافة القبائح الى الله تعالى
ان لفقوا الاكاذيب على الرسول والصحابة والتابعين وقيل ما للاستفهام كانه قيل باي شيء اغويتني ثم ابتدأ
لاقعدن واثبات الالف اذا ادخل حرف الجر على ما الاستفهامية قليل شاذ واصل الغي الفساد ومنه غوى
الفصيل اذا بشم والبشم فساد في المعدة لاقعدن لهم صراطك المستقيم لاعترضن لهم على طريق الاسلام كما يتعرض العدو على الطريق

ليقطعه على السابلة وانتصابه على الظرف كقوله كما عسل الطريق الثعلب وشبهه الزجاج بقولهم ضرب زيد الظهر والبطن
اي على الظهر والبطن • وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن ادم باطرقه • فقعد له بطريق الاسلام فقال له تدع دين ابائك
فعصاه فاسلم • ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له تدع ديارك وتتغرب فعصاه فهاجر • ثم قعد له بطريق الجهاد • فقال له
تقاتل فتقتل فيقسم مالك وتنكح امراتك فعصاه فقاتل ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم
ولا تجد اكثرهم شاكرين قال اخرج منها مذؤما مدحورا لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين ثم لآتينهم
من الجهات الاربع التي يأتي منها العدو في الغالب • وهذا مثل لوسوسته اليهم وتسويله ما امكنه وقدر عليه كقوله
واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك فان قلت كيف قيل من بين ايديهم ومن خلفهم بحرف
الابتداء • وعن ايمانهم وعن شمائلهم بحرف المجاوزة قلت المفعول فيه عدي اليه الفعل نحو تعديته الى المفعول به فكما اختلفت
حروف التعدية في ذلك اختلفت في هذا وكانت لغة تؤخذ ولا تقاس وانما تفتش عن صحة موقعها فقط فلما سمعناهم يقولون
جلس عن يمينه وعلى يمينه وعن شماله وعلى شماله قلنا معنى على يمينه انه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلي من المستعلى عليه • ومعنى عن
انه جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له • ثم كثر حتى استعمل في المتجافي وغيره كما ذكرنا في تعال ونحو من
المفعول به • قولهم رميت عن القوس وعلى القوس ومن القوس لان السهم يبعد عنها ويستعليها اذا وضع على كبدها للرمي
ويبتدي الرمي منها • وكذلك قالوا جلس بين يديه • وخلفه بمعنى في لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه
لان الفعل يقع في بعض الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل • وعن شقيق رحمة الله عليه • ما من صباح الا قعد لي
الشيطان على اربعة مراصد من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي • اما من بين يدي فيقول لا تخف • فان الله غفور
رحيم • فاقرأ وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا • واما من خلفي فيخوفني الضيعة على مخلفي فاقرأ • وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها • واما من قبل يميني فياتيني من قبل الثناء فاقرأ والعاقبة للمتقين • واما من قبل شمالي فياتيني من قبل
الشهوات • فاقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون • ولا تجد اكثرهم شاكرين قاله تظنينا بدليل قوله تعالى ولقد صدق عليهم
ابليس ظنه • وقيل سمعه من الملائكة باخبار الله لهم مذؤما من ذامه اذا ذمه • وقرأ الزهري مذوما بالتخفيف
مثل مسول في مسؤول • واللام في لمن تبعك موطئة للقسم • ولاملأن جوابه وهو ساد مسد جواب الشرط منكم
منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب كما في قوله انكم قوم تجهلون • وروى عصمة عن عاصم لمن تبعك بكسر اللام بمعنى
لمن تبعك منهم هذا الوعيد • وهو قوله لاملأن جهنم منكم اجمعين على ان لاملأن في محل الابتداء ولمن تبعك خبره
ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان
ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا
من الخالدين ويا آدم وقلنا يا آدم • وقرئ هذي الشجرة • والاصل الياء والهاء بدل منها • ويقال وسوس اذا تكلم
كلاما خفيا يكرره ومنه وسوس الحلي • وهو فعل غير متعد كولولت المرأة ووعوع الذئب • ورجل موسوس
بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له وموسوس اليه • وهو الذي تلقى اليه الوسوسة • ومعنى وسوس له
فعل الوسوسة لاجله ووسوس اليه القاها اليه ليبدي جعل ذلك غرضا له ليسوءهما اذا رأيا ما يؤثران ستره وان
لا يطلع عليه مكشوفا وفيه دليل على ان كشف العورة من عظائم الامور وانه لم يزل مستهجنا في الطباع مستقبحا في العقول
فان قلت ما للواو المضمومة في ووري لم تقلب همزة كما في اويصل قلت لان الثانية مدة كالف وارى وقد
جاء في قراءة عبد الله اوري بالقلب • الا ان تكونا ملكين الا كراهة ان تكونا ملكين وفيه دليل على ان الملكية بالمنظر الاعلى

وان البشرية تلمح مرتبتهما كلا ولا وقرئ ملكين بكسر اللام لقوله وملك لا يبلى او من الخالدين من الذين لا يموتون ويبقون
في الجنة خالدين ساكنين وقرئ من سوءتهما بالتوحيد وسواتهما بالواو المشددة وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين فدلاهما
بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة
واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين وقاسمهما واقسم لهما اني لكما لمن الناصحين فان قلت المقاسمة ان تقسم لصاحبك
ويقسم لك تقول قاسمت فلانا حالفته وتقاسما تحالفا ومنه قوله تعالى تقاسموا بالله لنبيتنه قلت كانه قال
لهما اقسم لكما اني لمن الناصحين وقالا له اتقسم بالله انك لمن الناصحين فجعل ذلك مقاسمة بينهم او اقسم لهما بالنصيحة واقسما له
بقبولها او اخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه اجتهد فيها اجتهاد المقاسم فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة
بغرور بما غرهما به من القسم بالله وعن قتادة وانما يخدع المؤمن بالله وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه كان اذا راى من عبده
طاعة وحسن صلاة اعتقه فكان عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل له انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا
له فلما ذاقا الشجرة وجدا طعمها آخذين في الاكل منها وقيل الشجرة هي السنبلة وقيل هي الكرم بدت لهما سوءاتهما اي
تهافت عنهما اللباس فظهرت لهما عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وعن ام المؤمنين عائشة رضي
الله عنها ما رايت منه ولا راى مني وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه كان لباسهما من جنس الاظفار وعن وهب كان
لباسهما نورا يحول بينهما وبين النظر ويقال طفق يفعل كذا بمعنى جعل يفعل كذا وقرأ ابو السمال وطفقا بالفتح ويخصفان
ورقة فوق ورقة على عوراتهما ليستترا بها كما تخصف النعل بان تجعل طرقة على طرقة وتوثق بالسيور وقرأ
الحسن يخصفان بكسر الخاء وتشديد الصاد واصله يختصفان وقرأ الزهري يخصفان من اخصف وهو منقول من
خصف اي يخصفان انفسهما وقرئ يخصفان من خصف بالتشديد من ورق الجنة قيل كان ورق التين الم انهكما عتاب
من الله وتوبيخ وتنبيه على الخطاء حيث لم يحذرا ما حذرهما الله من عداوة ابليس لعنه الله وروي انه قال لآدم
الم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا من خلقك
يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا فاهبطا وعلم صنعة الحديد وامر
بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وعجن وخبز قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن
من الخاسرين قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين وسميا ذنبهما وان كان صغيرا مغفورا
ظلما لانفسهما وقالا لنكونن من الخاسرين على عادة الاولياء والصالحين واستعظامهم الصغير من السيئات واستصغارهم
العظيم من الحسنات اهبطوا الخطاب لآدم وحواء وابليس وبعضكم لبعض عدو في موضع الحال اي متعادين
يعاديهما ابليس ويعاديانه ومستقر استقرار او موضع استقرار ومتاع وانتفاع بعيش الى حين الى انقضاء آجالكم
وعن ثابت البناني لما اهبط آدم وحضرته الوفاة احاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها خلي
ملائكة ربي فانما اصابني الذي اصابني فيك فلما توفي غسلته الملائكة بماء وسدر وترا وحنطته وكفنته في وتر
من الثياب وحفروا له ولحدوه ودفنوه بسرنديب بارض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده قال فيها تحيون وفيها تموتون
ومنها تخرجون يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات
الله لعلهم يذكرون جعل ما في الارض منزلا من السماء لانه قضي ثم وكتب ومنه وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج
والريش لباس الزينة استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته اي انزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سوءاتكم ولباسا
يزينكم لان الزينة غرض صحيح كما قال عز وجل لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال وقرأ عثمان رضي الله عنه

ورياشا

وريشاً جمع ريش كشعب وشعاب • ولباس التقوى ولباس الورع • والخشية من الله تعالى • وارتفاعه على الابتداء وخبره اما الجملة التي هي ذلك خير كانه قيل ولباس التقوى هو خير لان اسماء الاشارة تقرب من الضمائر • فيما يرجع الى عود المذكور واما المفرد الذي هو خير وذلك صفة للمبتداء كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير ولا تخلو الاشارة من ان يراد بها تعظيم لباس التقوى • وان تكون اشارة الى اللباس المواري للسوأة لان مواراة السوأة من التقوى تفضيلاً له على لباس الزينة وقيل لباس التقوى خبر مبتدا محذوف • اي وهو لباس التقوى • ثم قيل ذلك خير • وفي قراءة عبد الله وابي ولباس التقوى خير وقيل المراد بلباس التقوى ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها مما يتقى به في الحروب • وقرئ ولباس التقوى بالنصب عطفاً على لباساً وريشاً ذلك من آيات الله الدالة على فضله ورحمته على عباده يعني انزال اللباس لعلهم يذكرون فيعرفوا عظيم النعمة فيه • وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوآت وخصف الورق عليهما اظهاراً للمنة فيما خلق من اللباس ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة واشعاراً بان الستر باب عظيم من ابواب التقوى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون لا يفتننكم الشيطان لا يمحننكم بان لا تدخلوا الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما منها ينزع عنهما لباسهما حال اي اخرجهما نازعاً لباسهما بان كان سبباً في ان نزع عنهما انه يراكم هو تعليل للنهي وتحذير من فتنته بانه بمنزلة العدو المداجي يكيدكم ويغتالكم من حيث لا تشعرون • وعن مالك بن دينار رحمة الله عليه ان عدواً يراك ولا تراه لشديد المؤنة الا من عصمه الله • وقبيله وجنوده من الشياطين • وفيه دليل بين ان الجن لا يرون ولا يظهرون للانس وان اظهارهم انفسهم ليس في استطاعتهم • وان زعم من ادعى رؤيتهم زور ومخرقة انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون اي خلينا بينهم وبينهم لم نكفهم عنهم حتى تولوهم واطاعوهم فيما سولوا لهم من الكفر والمعاصي وهذا تحذير آخر ابلغ من الاول فان قلت علام عطف وقبيله قلت على الضمير في يراكم المؤكد بهو والضمير في انه ضمير الشان والحديث وقرأ اليزيدي وقبيله بالنصب وفيه وجهان ان تعطفه على اسم ان وان تكون الواو بمعنى مع واذا عطف على اسم ان وهو الضمير في انه كان راجعاً الى ابليس عليه اللعنة واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يامر بالفحشاء اتقولون على الله ما لا تعلمون الفاحشة ما تبالغ في قبحه من الذنوب • اي اذا فعلوها اعتذروا بان آباءهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم وبان الله امرهم بان يفعلوها وكلاهما باطل من العذر • لان احدهما تقليد • والتقليد ليس بطريق للعلم • والثاني افتراء على الله تعالى والالحاد في صفاته كانوا يقولون لو كره الله منا ما نفعله لنقلنا عنه • وعن الحسن رحمة الله عليه ان الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم الى العرب وهم قدرية مجبرة يحملون ذنوبهم على الله وتصديقه قول الله عز وجل واذا فعلوا فاحشة وقل ان الله لا يامر بالفحشاء لان فعل القبيح مستحيل منه لعدم الداعي ووجود الصارف فكيف يامر بفعله اتقولون على الله ما لا تعلمون انكار لاضافتهم القبيح اليه وشهادة على ان مبنى قولهم على الجهل المفرط • وقيل المراد بالفاحشة طوافهم بالبيت عراة قل امر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون بالقسط بالعدل وبما قام في النفوس انه مستقيم حسن عند كل مميز وقيل بالتوحيد واقيموا وجوهكم وقل اقيموا وجوهكم اي اقصدوا عبادته مستقيمين اليها غير عادلين الى غيرها عند كل مسجد في كل وقت سجود او في كل مكان سجود وهو الصلاة وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة مبتغين

بها وجهه خالصاً كما بدأكم تعودون كما انشأكم ابتداء يعيدكم احتج عليهم في انكارهم الاعادة بابتداء الخلق والمعنى انه يعيدكم
فيجازيكم على اعمالكم فاخلصوا له العبادة فريقاً هدى وهم الذين اسلموا اي وفقهم الله للايمان وفريقاً حق عليهم الضلالة
اي كلمة الضلالة وعلم الله انهم يضلون ولا يهتدون وانتصاب قوله وفريقاً بفعل يفسره ما بعده كانه قيل وخذل
فريقاً حق عليهم الضلالة انهم ان الفريق الذين حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين اولياء اي تولوهم بالطاعة فيما امروهم
به وهذا دليل على ان علم الله لا اثر له في ضلالهم وانهم هم الضالون باختيارهم وتوليهم الشياطين دون الله يا بني آدم خذوا
زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين خذوا زينتكم اي ريشكم ولباس زينتكم عند كل مسجد كلما
صليتم او طفتم وكانوا يطوفون عراة وعن طاوس لم يامرهم بالحرير والديباج وانما كان احدهم يطوف عرياناً ويدع
ثيابه وراء المسجد وان طاف وهي عليه ضرب وانتزعت منه لانهم قالوا لا نعبد الله في ثياب اذنبنا فيها وقيل تفاؤلاً
ليتعروا من الذنوب كما تعروا من الثياب وقيل الزينة المشط وقيل الطيب والسنة ان ياخذ الرجل احسن هيئته للصلاة
وكان بنو عامر في ايام حجهم لا ياكلون الطعام الا قوتاً ولا ياكلون دسماً يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون فانا احق
ان نفعل فقيل لهم وكلوا واشربوا ولا تسرفوا وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك
خصلتان سرف ومخيلة ويحكى ان الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم
من علم الطب شيء والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له قد جمع الله ذلك كله في نصف آية من كتابه فقال
وما هي قال قوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر من رسولكم شيء في الطب فقال
قد جمع رسولنا عليه الصلاة والسلام الطب في الفاظ يسيرة قال وما هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس كل
دواء واعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا رسولكم لجالينوس طباً قل من حرم زينة الله التي اخرج
لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون
زينة الله من الثياب وكل ما يتجمل به والطيبات من الرزق المستلذات من المآكل والمشارب ومعنى الاستفهام في من انكار
تحريم هذه الاشياء وقيل كانوا اذا احرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها قل هي للذين آمنوا في
الحياة الدنيا غير خالصة لهم لان المشركين شركاؤهم فيها خالصة يوم القيامة لا يشركهم فيها احد فان قلت هلا قيل
هي للذين آمنوا ولغيرهم قلت لينبه على انها خلقت للذين آمنوا على طريق الاصالة وان الكفرة تبع لهم كقوله ومن كفر
فامتعه قليلاً ثم اضطره الى عذاب النار وقرئ خالصة بالنصب على الحال وبالرفع على انها خبر بعد خبر قل انما حرم
ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وان تقولوا على الله
ما لا تعلمون الفواحش ما تفاحش قبحه اي تزايد وقيل هي ما يتعلق بالفروج والاثم عام لكل ذنب وقيل شرب
الخمر والبغي الظلم والكبر افرده بالذكر كما قال تعالى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ما لم ينزل به سلطاناً
فيه تهكم لانه لا يجوز ان ينزل برهاناً بان يشرك به غيره وان تقولوا على الله وان تقولوا عليه وتفتروا الكذب من
التحريم وغيره ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون يا بني آدم اما ياتينكم رسل منكم
يقصون عليكم آياتي فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولكل امة اجل وعيد لاهل مكة بالعذاب النازل
في اجل معلوم عند الله كما نزل بالامم وقرئ فاذا جاء آجالهم وقال ساعة لانها اقل الاوقات في استعمال الناس يقول المستعجل
لصاحبه في ساعة يريد اقصر وقت واقربه واما ياتينكم هي ان الشرطية ضمت اليها ما مؤكدة لمعنى الشرط ولذلك لزمت
فعلها النون الثقيلة او الخفيفة فان قلت فما جزاء هذا الشرط قلت الفاء وما بعده من الشرط والجزاء والمعنى والذين

بلغ مقابلة

كذبوا

بلغ مقابلة

أو كذب بآياته

والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته اولئك
ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا
على انفسهم انهم كانوا كافرين فمن اظلم فمن اشنع ظلما ممن تقول على الله ما لم يقله او كذب ما قاله اولئك ينالهم
نصيبهم من الكتاب اي مما كتب لهم من الارزاق والاعمار حتى اذا جاءتهم رسلنا حتى غاية لنيلهم واستيفائهم
لهم اي الى وقت وفاتهم وهي التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام ههنا الجملة وهي اذا جاءتهم رسلنا قالوا
يتوفونهم حال من الرسل اي متوفيهم والرسل ملك الموت واعوانه وما وقعت موصولة باين في خط المصحف
وكان حقها ان تفصل لانها موصولة بمعنى اين الآلهة الذين تدعون ضلوا عنا غابوا عنا فلا نراهم ولا ننتفع بهم اعترافا
منهم بانهم لم يكونوا على شيء فيما كانوا عليه وانهم لم يجد وهو في العاقبة قال ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس
في النار كلما دخلت امة لعنت اختها حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا
فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون قال ادخلوا اي يقول الله عز من قائل يوم القيمة لاولئك
الذين قال فيهم فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته وهم كفار العرب في امم في موضع الحال اي كائنين
في جملة امم وفي غمارهم مصاحبين لهم اي ادخلوا في النار مع امم قد خلت من قبلكم وتقدم زمانهم زمانكم
ولعنت اختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها اي تداركوا بمعنى تلاحقوا واجتمعوا في النار قالت
اخراهم منزلة وهي الاتباع والسفلة لاولاهم منزلة وهي القادة والرؤس ومعنى لاولاهم لاجل اولاهم لان خطابهم
مع الله لا معهم عذابا ضعفا اي مضاعفا لكل ضعف لان كلا من القادة والاتباع كانوا ضالين مضلين ولكن لا تعلمون
قرئ بالياء والتاء وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ان الذين كذبوا
بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين
لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين فما كان لكم علينا من فضل عطفوا هذا الكلام على قول الله
تعالى للسفلة لكل ضعف اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا متساوون في استحقاق الضعف فذوقوا العذاب
من قول القادة او من قول الله لهم جميعا لا تفتح لهم ابواب السماء لا يصعد لهم عمل صالح اليه يصعد الكلم الطيب
كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقيل ان الجنة في السماء فالمعنى لا يؤذن لهم في صعود السماء ولا يطرق لهم اليها ليدخلوا
الجنة وقيل لا تصعد ارواحهم اذا ماتوا كما تصعد ارواح المؤمنين وقيل لا تنزل عليهم البركة ولا يغاثون فتحا
ابواب السماء وقرئ لا تفتح بالتشديد ولا يفتح بالياء ولا تفتح بالتاء والبناء للفاعل ونصب الابواب على ان الفعل
للآيات وبالياء على ان الفعل لله تعالى وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما الجمل بوزن القمل وسعيد بن جبير الجمل بوزن
النغر وقرئ الجمل بوزن القفل والجمل بوزن النصب والجمل بوزن الحبل ومعناها القلس الغليظ لانه حبال
جمعت وجعلت جملة واحدة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله احسن تشبيها من ان يشبه بالجمل يعني ان الحبل مناسب
للخيط الذي يسلك في سم الابرة والبعير لا يناسبه الا ان قراءة العامة اوقع لان سم الابرة مثل في ضيق المسلك يقال
اضيق من خرت الابرة وقالوا للدليل الماهر خريت للاهتداء به في المضايق المشبهة باخرات الابر والجمل مثل في عظم الجرم
قال • جسم الجمال واحلام العصافير • ان الرجال ليسوا بجزر تراد منهم الاجسام •
فقيل لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون ابدا من ولوج هذا الحيوان الذي لا يلج الا في باب واسع في ثقب الابرة
وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه سئل عن الجمل فقال زوج الناقة استجهالا للسائل واشارة الى ان طلب معنى اخر تكلف

وقرئ في سم بالحركات الثلاث • وقرأ عبد الله في سم الخياط والخياط والمخيط كالحزام والمحزم ما يخاط به وهو الإبرة وكذلك
ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين ليؤذن أن الإجرام هو السبب الموصل إلى العقاب وأن كل من أجرم عوقب
وقد كرره فقال وكذلك نجزي الظالمين لأن كل مجرم ظالم لنفسه مهاد فراش غواش أغطية • وقرئ غواش
بالرفع • كقوله تعالى وله الجوار المنشآت في قراءة عبد الله والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها
أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون لا نكلف نفسا إلا وسعها جملة معترضة بين المبتدأ والخبر للترغيب في اكتساب
ما لا يكتنهه وصف الواصف من النعيم الخالد مع التعظيم بما هو في الوسع وهو الإمكان الواسع غير الضيق من الإيمان
والعمل الصالح وقرأ الأعمش لا تكلف نفس ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد
لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة التي
أورثتموها بما كنتم تعملون من كان في قلبه غل لأخيه في الدنيا نزع منه فسلمت قلوبهم وطهرت ولم يكن بينهم إلا
التواد والتعاطف • وعن علي رضي الله عنه إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان • وطلحة والزبير منهم • هدانا
لهذا أي وفقنا لموجب هذا الفوز العظيم • وهو الإيمان والعمل الصالح وما كنا لنهتدي لتوكيد النفي يعنون
وما كان يستقيم أن نكون مهتدين لولا هداية الله وتوفيقه • وفي مصاحف أهل الشام ما كنا لنهتدي بغير واو
على أنها جملة موضحة للأولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فكان لنا لطفا وتنبيها على الاهتداء فاهتدينا يقولون
ذلك سرورا • واغتباطا بما نالوا وتلذذا بالتكلم به لا تقربا وتعبدا • كما ترى من رزق خيرا في الدنيا يتكلم بنحو •
ذلك ولا يتمالك • أن لا يقوله للفرح لا للقربة • أن تلكم الجنة أن مخففة من الثقيلة • تقديره بأنه تلكم الجنة
أورثتموها • والضمير ضمير الشأن • والحديث أو تكون بمعنى أي لأن المناداة من القول كأنه قيل وقيل لهم تلكم الجنة
بما تعملون بسبب أعمالكم لا بالتفضل • كما تقول المبطلة ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد
وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين
الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون أن في أن قد وجدنا يحتمل أن تكون مخففة
من الثقيلة وأن تكون مفسرة كالتي سبقت آنفا • وكذلك أن لعنة الله على الظالمين وإنما قالوا لهم ذلك اغتباطا
بحالهم وشماتة بأصحاب النار وزيادة في غمهم ولتكون حكايته لطفا لمن سمعها وكذلك قوله المؤذن بينهم
لعنة الله على الظالمين • وهو ملك ينادي بينهم • نداء يسمع أهل الجنة وأهل النار • وقرئ أن لعنة الله بالتشديد
والنصب • وقرأ الأعمش إن لعنة بكسر إن على إرادة القول أو على إجراء أذن مجرى • قال فإن قلت هلا قيل
ما وعدكم ربكم كما قيل ما وعدنا ربنا قلت حذف ذلك تخفيفا لدلالة وعدنا عليه ولقائل أن يقول
أطلق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب • والثواب والعقاب وسائر أحوال القيامة لأنهم كانوا مكذبين
بذلك أجمع ولأن الموعود كله مما ساءهم وما نعيم أهل الجنة إلا عذاب لهم فأطلق لذلك وبينهما حجاب وعلى الأعراف
رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون وبينهما حجاب
يعني بين الجنة والنار • أو بين الفريقين وهو السور المذكور في قوله تعالى فضرب بينهم بسور وعلى الأعراف وعلى
أعراف الحجاب • وهو السور المضروب بين الجنة والنار • وهي أعاليه جمع عرف استعير من عرف الفرس وعرف الديك
رجال من المسلمين من آخرهم دخولا في الجنة لقصور أعمالهم كأنهم المرجون لأمر الله يحبسون بين الجنة والنار إلى أن يأذن
الله لهم في دخول الجنة يعرفون كلا من زمرة السعداء والأشقياء بسيماهم بعلامتهم التي أعلمهم الله بها يلهمهم الله

دلك

ذلك او تعرفهم الملائكة اذا نظروا الى اصحاب الجنة نادوهم بالتسليم عليهم • وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار
قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما
كنتم تستكبرون أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون
وإذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار • ورأوا ما هم فيه من العذاب • استعاذوا بالله وفزعوا الى رحمته ان لا
يجعلهم معهم • ونادوا رجالا من رؤس الكفرة يقولون لهم • اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة اشارة لهم
الى اهل الجنة • الذين كان الرؤساء يستهينون بهم ويحتقرونهم لفقرهم وقلة حظوظهم من الدنيا وكانوا يقسمون
ان لا يدخلهم الجنة • يقال لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة وذلك بعد ان يحبسوا على الاعراف وينظروا الى الفريقين
ويعرفوهم بسيماهم ويقولوا ما يقولون وفائدة ذلك بيان ان الجزاء على قدر الاعمال وان التقدم والتأخر
على حسبها وان احدا لا يسبق عند الله الا بسبقه في العمل ولا يتخلف عنه الا بتخلفه فيه وليرغب السامعين في حال
السابقين • ويحرصوا على احراز قصبتهم وليتصوروا ان كل احد يعرف ذلك اليوم بسيماه التي استوجب ان
يوسم بها من اهل الخير والشر فيرتدع المسيء عن اساءته ويزيد المحسن في احسانه وليعلم ان العصاة يوبخهم
كل احد حتى اقصر الناس عملا • وقوله واذا صرفت ابصارهم فيه ان صارفا يصرف ابصارهم لينظروا
فيستعيذوا ويتجوا • وقراء الاعمش واذا قلبت ابصارهم • وقرئ ادخلوا الجنة على البناء للمفعول • وقراء
عكرمة دخلوا الجنة • فان قلت كيف لاءم هاتين القراءتين قوله لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون قلت
تاويله ادخلوا الجنة او ادخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون فان قلت ما محل قوله لم يدخلوها
وهم يطمعون قلت لا محل له لانه استيناف كان سائلا سال عن حال اصحاب الاعراف فقيل لم يدخلوها وهم
يطمعون قلت عن دخول اهل الجنة فلم يدخلوها لكونهم محبوسين وهم يطمعون لم ييأسوا • ويجوز ان يكون
له محل بان يقع صفة لرجال • ما اغنى عنكم جمعكم المال او كثرتكم واجتماعكم • وما كنتم تستكبرون واستكباركم
عن الحق وعلى الناس وقرئ تستكثرون من الكثرة • ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من
الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة فاليوم
ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون افيضوا علينا فيه دليل على ان الجنة فوق النار او مما
رزقكم الله من غيره من الاشربة لدخوله في حكم الافاضة ويجوز ان يراد والقوا علينا مما رزقكم الله من
الطعام والفاكهة كقوله علفتها تبنا وماء باردا وانما يطلبون ذلك مع ياسهم من الاجابة اليه حيرة في امرهم
كما يفعل المضطر الممتحن حرمهما على الكافرين منعهما شراب الجنة وطعامها كما يمنع المكلف ما يحرم عليه ويحظر
كقوله • حرام على عيني ان تطعم الكرى • فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسين الذين ينسون
عبيدهم من الخير لا يذكرونهم لانهم نسوا لقاء يومهم هذا كما فعلوا بلقائه فعل الناسين فلم يخطروه ببالهم ولم
يهتموا به • ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون الا تاويله يوم
ياتي تاويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد فنعمل
غير الذي كنا نعمل قد خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون فصلناه على علم عالمين كيف نفصل احكامه
ومواعظه وقصصه وسائر معانيه حتى جاء حكيما قيما غير ذي عوج • وقرأ ابن محيصن فضلناه بالضاد
فضلناه على جميع الكتب عالمين انه اهل للتفضيل عليها • وهدى ورحمة حال من منصوب فصلناه كما ان على علم

حال من مرفوعه • الا تاويله الا عاقبة امره وما يؤول اليه من تبين صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد • قد جاءت رسل
ربنا بالحق اي تبين وصح انهم جاءوا بالحق • او نرد جملة معطوفة على الجملة التي قبلها داخلة معها في حكم الاستفهام كانه قيل هل لنا من
شفعاء او هل نرد ورافعه وقوعه موقعا يصلح للاسم كما تقول ابتداء هل يضرب زيد ولا يطلب له فعل آخر يعطف
عليه فلا يقدر هل يشفع لنا شافع • او نرد وقرأ ابن ابي اسحق او نرد بالنصب عطفا على فيشفعوا او تكون او بمعنى حتى اي
يشفعوا حتى نرد فنعمل وقرأ الحسن بنصب نرد ورفع فنعمل بمعنى فنحن نعمل • ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة
ايام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر تبارك
الله رب العالمين • يغشي الليل النهار وقرئ يغشي بالتشديد اي يلحق الليل بالنهار والنهار بالليل يحتملهما جميعا والدليل
على الثاني قراءة حميد بن قيس يغشى الليل النهار بفتح الياء ونصب الليل ورفع النهار اي يدرك النهار الليل ويطلبه
حثيثا حسن الملاءمة لقراءة حميد • بامره بمشيته وتصريفه وهو متعلق بمسخرات اي خلقهن جاريات بمقتضى حكمته
وتدبيره وكما يريد ان يصرفها سمي ذلك امرا على التشبيه كانهن مأمورات بذلك • وقرئ والشمس والقمر والنجوم
مسخرات بالرفع ولما ذكر انه خلقهن مسخرات بامره قال الا له الخلق والامر اي هو الذي خلق الاشياء وهو الذي صرفها
على حسب ارادته • ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه
خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين • تضرعا وخفية نصب على الحال اي ذوي تضرع وخفية وكذلك
خوفا وطمعا • والتضرع تفعل من الضراعة وهي الذل اي تذللا وتملقا • وقرئ خفية • وعن الحسن رحمه
الله عليه ان الله يعلم القلب التقي والدعاء الخفي • ان كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره وان كان الرجل
لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر الناس به وان كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة وعنده الزور وما يشعرون به ولقد
ادركنا اقواما ما كان على الارض من عمل يقدرون على ان يعملوه في السر فيكون علانية ابدا • ولقد كان المسلمون يجتهدون
في الدعاء وما يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك ان الله تعالى يقول ادعوا ربكم وقد اثنى على
زكريا عليه الصلاة والسلام فقال اذ نادى ربه نداء خفيا • وبين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا • انه
لا يحب المعتدين اي المجاوزين ما امروا به في كل شيء من الدعاء وغيره • وعن ابن جريج هو رفع الصوت بالدعاء
وعنه الصياح في الدعاء مكروه وبدعة • وقيل هو الاسهاب في الدعاء • وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم
يعتدون في الدعاء • وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك
من النار وما قرب اليها من قول وعمل • ثم قرأ قوله انه لا يحب المعتدين • ان رحمة الله قريب من المحسنين • كقوله تعالى
واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا • وانما ذكر قريب على تاويل الرحمة بالرحم والترحم • او لانه صفة موصوف
محذوف اي شيء قريب • او على تشبيهه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول كما شبه ذاك به فقيل قتلاء واسراء • او على انه بزنة
المصدر الذي هو النقيض والضغيب • او لان تانيث الرحمة غير حقيقي • وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي
رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج
الموتى لعلكم تذكرون • قرئ نشرا وهو مصدر نشر وانتصابه اما لان ارسل ونشر متقاربان فكانه قيل
نشرها نشرا واما على الحال بمعنى منتشرات • ونشرا جمع نشور • ونشرا تخفيف نشر كرسل ورسل • وقرأ مسروق
نشرا بمعنى منشورات فعل بمعنى مفعول كنقض وحسب • ومنه قولهم ضم نشره • وبشرا جمع بشير • وبشرا بتخفيفه
وبشرا بفتح الباء مصدر من بشره بمعنى بشره اي باشرات • وبشرى • بين يدي رحمته امام نعمته وهي الغيث الذي

هو

هو من اجل النعم واحسنها اثرا • اقلّت حملت • ورفعت واشتقاق الاقلال من القلة لان الرافع المطيق يرى ما يرفعه
قليلا سحابا ثقالا سحائب ثقالا بالماء جمع سحابة • سقناه الضمير للسحاب على اللفظ • ولو حمل على المعنى كالثقال لانّث كما
لو حمل الوصف على اللفظ لقيل ثقيلا • لبلد ميت اي لاجل بلد ليس فيه حيا ولسقيه • وقرئ ميت • فانزلنا به بالبلد
او بالسحاب او بالسوق وكذلك • فاخرجنا به • كذلك مثل ذلك الاخراج • وهو اخراج الثمرات نخرج الموتى لعلكم
تذكرون • فيؤديكم التذكر الى انه لا فرق بين الاخراجين اذ كل واحد منهما اعادة للشيء بعد انشائه والبلد الطيب
يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون البلد الطيب
الارض العذاة الكريمة التربة والذي خبث الارض السبخة التي لا تنبت ما ينتفع به • باذن ربه بتيسيره وهو في موضع
الحال كانه قيل يخرج نباته حسنا وافيا لانه واقع في مقابلة نكدا والنكد الذي لا خير فيه • وقرئ يخرج نباته
اي يخرجه البلد وينبته • وقوله تعالى والذي خبث صفة للبلد • ومعناه والبلد الخبيث لا يخرج نباته
الا نكدا فحذف المضاف الذي هو النبات واقيم المضاف اليه مقامه الا انه كان مجرورا بارزا فانقلب مرفوعا
مستكنا لوقوعه موقع الفاعل او يقدر ونباته الذي خبث • وقرئ نكدا بفتح الكاف على المصدر اي ذا نكد ونكدا
باسكانها للتخفيف • كقوله نزه عن الريب بمعنى نزه • وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ والتنبيه من المكلفين
ولمن لا يؤثر فيه شيء من ذلك • وعن مجاهد آدم وذريته منهم خبيث وطيب • وعن قتادة المؤمن سمع كتاب الله
بعقله فوعاه • وانتفع به كالارض الطيبة اصابها الغيث فانبتت والكافر بخلاف ذلك • وهذا التمثيل واقع على اثر
ذكر المطر • وانزاله بالبلد الميت • واخراج الثمرات به على طريق الاستطراد • كذلك مثل ذلك التصريف نصرف الآيات
نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله وهم المؤمنون ليفكروا فيها ويعتبروا بها وقرئ يصرف بالياء اي يصرفها
الله لقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم لقد ارسلنا
جواب قسم محذوف فان قلت ما لهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام الا مع قد وقل عنهم نحو قوله •
• حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا فما ان من حديث ولا صالي • قلت انما كان
ذلك لان الجملة القسمية لا تساق الا تاكيدا للجملة المقسم عليها التي هي جوابها فكانت مظنة لمعنى التوقع الذي هو
معنى قد عند استماع المخاطب كلمة القسم • قيل ارسل نوح وهو ابن خمسين سنة • وكان نجارا وهو نوح ابن لمك ابن
متوشلخ ابن اخنوخ واخنوخ اسم ادريس عليه الصلاة والسلام • وقرئ غيره بالحركات الثلث فالرفع على المحل
كانه قيل ما لكم اله غيره • والجر على اللفظ والنصب على الاستثناء بمعنى ما لكم من اله الا اياه • كقولك ما في الدار
من احد الا زيدا وغير زيد • فان قلت ما موقع الجملتين بعد قوله اعبدوا الله قلت الاولى بيان لوجه اختصاصه
بالعبادة والثانية بيان للداعي الى عبادته لانه هو المحذور وعقابه دون من كانوا يعبدونه من دون الله واليوم
العظيم يوم القيامة او يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان قال الملأ من قومه انا لنراك في ضلال مبين قال
يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين الملأ الاشراف والسادة وقيل الرجال ليس معهم نساء • في
ضلال في ذهاب عن طريق الصواب والحق ومعنى الرؤية رؤية القلب فان قلت لم قال ليس بي ضلالة ولم
يقل ضلال كما قالوا قلت الضلالة اخص من الضلال فكانت ابلغ في نفي الضلال عن نفسه كانه قال ليس بي شيء
من الضلال كما لو قيل لك الك تمر فقلت ما لي تمرة • فان قلت كيف وقع قوله ولكني رسول استدراكا للانتفاء عن
الضلالة قلت كونه رسولا من الله مبلغا رسالاته ناصحا في معنى كونه على الصراط المستقيم فصح لذلك ان يكون

الذي هو الراجع الى البلد

استدراكا للانتفاء عن الضلالة أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون أوعجبتم أن جاءكم ذكر
من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون وقرئ أبلغكم بالتخفيف فإن قلت كيف موقع قوله أبلغكم
قلت فيه وجهان أحدهما أن يكون كلاما مستأنفا بيانا لكونه رسول رب العالمين والثاني أن يكون صفة لرسول
فإن قلت كيف جاز أن يكون صفة والرسول لفظه لفظ الغائب قلت جاز ذلك لأن الرسول وقع خبرا عن ضمير
المخاطب فكان في معناه كما قال أنا الذي سمتني أمي حيدره ورسالات ربي ما أوحي إليه
في الأوقات المتطاولة أو في المعاني المختلفة من الأوامر والنواهي والمواعظ والزواجر والبشائر والنذائر ويجوز
أن يريد رسالاته إليه وإلى الأنبياء قبله في صحف جده إدريس وهي ثلاثون صحيفة ومن صحف شيث وهي خمسون صحيفة
وأنصح لكم يقال نصحته ونصحت له وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على إمحاض النصيحة وأنها وقعت خالصة
للمنصوح له مقصودا بها جانبه لا غير فرب نصيحة ينتفع بها الناصح فيقصد النفعين جميعا ولا نصيحة أمحض من نصيحة
الله ورسوله وأعلم من الله ما لا تعلمون أي من صفات الله وأحواله يعني قدرته الباهرة وشدة بطشه على أعدائه
وأن بأسه لا يرد عن القوم المجرمين وقيل لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا آمنين لا يعلمون ما علمه نوح
بوحي الله إليه أو أراد وأعلم من جهة الله أشياء لا علم لكم بها قد أوحي إلي بها أوعجبتم الهمزة للإنكار والواو للعطف
والمعطوف عليه محذوف كأنه قيل أكذبتم وعجبتم أن جاءكم من أن جاءكم ذكر موعظة من ربكم على رجل منكم على لسان
رجل منكم كقوله عز وجل ما وعدتنا على رسلك وذلك أنهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح عليه الصلاة والسلام
ويقولون ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين يعنون إرسال البشر ولو شاء ربنا لأنزل ملائكة لينذركم وليتقوا أي
ليحذركم عاقبة الكفر ولتوجد منكم التقوى وهي الخشية بسبب الإنذار ولعلكم ترحمون ولترحموا بالتقوى إن
إن وجدت منكم فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوما عمين
والذين معه قيل كانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن
آمن به فإن قلت في الفلك بم يتعلق قلت هو متعلق بمعه كأنه قيل والذين استقروا معه أو صحبوه في الفلك
ويجوز أن يتعلق بفعل الإنجاء أي أنجيناهم في السفينة من الطوفان عمين عمي القلوب غير مستبصرين
وقرئ عامين والفرق بين العمي والعامي أن العمي يدل على عمى ثابت والعامي على عمى حادث
ونحوه قوله تعالى وضائق به صدرك وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا
تتقون قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين أخاهم واحدا منهم
من قولك يا أخا العرب للواحد منهم وإنما جعل واحدا منهم لأنهم أفهم عن رجل منهم وأعرف بحاله في صدقه وأمانته
وهو هود بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح وأخاهم عطف على تقدير سؤال سائل على نوحا وهودا
عطف بيان له فإن قلت لم حذف العاطف من قوله قال يا قوم اعبدوا الله وكذلك قال الملأ فإن قلت
لم وصف الملأ بالذين كفروا دون الملأ من قوم نوح قلت كان في أشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد
الذي أسلم وكان يكتم إسلامه فأريدت التفرقة بالوصف ولم يكن في أشراف قوم نوح مؤمن ونحوه قوله تعالى
وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة ويجوز أن يكون وصفا وارداً للذم لا غير في سفاهة في خفة
حلم وسخافة عقل حيث تهجر دين قومك إلى دين آخر وجعلت السفاهة ظرفا على طريق المجاز أرادوا أنه متمكن فيها
غير منفك عنها قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم

ولم يقل فقال كما في قصة نوح قلت هو على تقدير سؤال سائل قال فما قال لهم هود فقيل قال يا قوم اعبدوا الله

ناصح

ناصح امين اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم
في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون وفي اجابة الانبياء عليهم السلام من نسبهم الى الضلال والسفاهة
بما اجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والاغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بان خصومهم اضل الناس
واسفههم ادب حسن وخلق عظيم وحكاية الله عز وجل ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون
عنهم ويسبلون اذيالهم على ما يكون منهم ناصح امين اي عرفت فيما بينكم بالنصح والامانة فما حقي ان اتهم
وانا لكم ناصح فيما ادعوكم اليه امين على ما اقول لكم لا اكذب فيه خلفاء من بعد قوم نوح اي خلفتموهم في الارض
او جعلكم ملوكا في الارض قد استخلفكم فيها بعدهم وفي الخلق بسطة فيما خلق من اجرامكم ذهابا في الطول والبدانة
قيل كان اقصرهم ستين ذراعا واطولهم مائة ذراع فاذكروا آلاء الله في استخلافكم وبسطة اجرامكم وما سواهما
من عطاياه وواحد الآلاء الى ونحوه انى وآناء وضلع واضلاع وعنب واعناب فان قلت اذ في قوله اذ جعلكم
خلفاء ما وجه انتصابه قلت هو مفعول به وليس بظرف اي اذكروا وقت استخلافكم قالوا اجئتنا لنعبد
الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين اجئتنا لنعبد الله وحده انكروا واستبعدوا
اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء في اتخاذ الاصنام شركاء معه حبا لما نشأوا عليه والفا لما صادفوا
اباءهم يتدينون به فان قلت ما معنى المجيء في قوله اجئتنا قلت فيه اوجه ان يكون لهود عليه الصلاة والسلام
مكان معتزل عن قومه يتحنث فيه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء قبل المبعث فلما اوحي اليه جاء
قومه يدعوهم وان يريدوا به الاستهزاء لانهم كانوا يعتقدون ان الله تعالى لا يرسل الا الملائكة فكانهم قالوا
اجئتنا من السماء كما يجيء الملك وان لا يريدوا حقيقة المجيء ولكن التعرض بذلك والقصد كما تقول ذهب يشتمني
ولا يراد حقيقة الذهاب كانهم قالوا اقصدتنا لنعبد الله وحده وتعرضت لنا بتكليف ذلك فأتنا بما تعدنا استعجال
منهم للعذاب قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها
من سلطان فانتظروا اني معكم من المنتظرين قد وقع عليكم اي حق عليكم او قد نزل عليكم جعل المتوقع الذي لا بد
من نزوله بمنزلة الواقع ونحوه قولك لمن طلب اليك بعض المطالب قد كان ذلك وعن حسان ان ابنه عبد الرحمن
لسعه زنبور وهو طفل فجاء يبكي فقال له يا بني ما لك فقال لسعني طوير كانه ملتف في بردي حبرة
فضمه الى صدره وقال يا بني قد قلت الشعر والرجس العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب
في اسماء سميتموها في اشياء ما هي الا اسماء ليس تحتها مسميات لانكم تسمونها آلهة ومعنى الالهية فيها معدوم
محال وجوده وهذا كقوله تعالى ما يدعون من دونه من شيء ومعنى سميتموها سميتم بها من قولك سميته
زيدا فانجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين وقطع دابرهم
استئصالهم وتدميرهم عن آخرهم وقصتهم ان عادا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها
صداء وصمود والهباء فبعث الله اليهم هودا نبيا وكان من اوسطهم وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا
عتوا وتجبرا فامسك الله تعالى عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الفرج
منه عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم واهل مكة اذ ذاك العماليق اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه
الصلاة والسلام وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عتر ومرثد بن
سعد الذي كان يكتم اسلامه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فانزلهم واكرمهم

وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان كانتا لمعوية فلما راي طول مقامهم
وذهولهم باللهو عما قدموا له اهمه ذلك وقال قد هلك اخوالي واصهاري وهولاء على ما هم عليه وكان يستحيي
ان يكلمهم خيفة ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله
فقال شعر

• الا يا قيل ويحك قم فهينم • لعل الله يسقينا غماما •
• فيسقي ارض عاد ان عادا • قد امسوا ما يبينون الكلاما •

فلما غنتا به قالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد ابطاتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم
فقال لهم مرثد ابن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم واظهر اسلامه فقالوا
لمعوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق
عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله سحابات ثلثا بيضا وحمرا وسودا ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر
لنفسك ولقومك فقال اخترت السودا فانها اكثرهن ما فخرجت على عاد من واد لهم يقال له المغيث فاستبشروا
بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمومنون معه فاتوا مكة فعبدوا
الله فيها حتى ماتوا فان قلت ما فائدة نفي الايمان عنهم في قوله تعالى وما كانوا مومنين مع اثبات التكذيب باٰيات
الله قلت هو تعريض بمن امن منهم كمرثد بن سعد ومن نجا مع هود عليه الصلاة والسلام كانه قال وقطعنا دابر
الذين كذبوا منهم ولم يكونوا مثل من امن منهم ليوذن ان الهلاك خص المكذبين ونجى الله المومنين والى ثمود
123 اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم اية فذروها
تاكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم قرئ الى ثمود بمنع الصرف بتاويل القبيلة والى ثمود
بالصرف بتاويل الحي او باعتبار الاصل لانه اسم ابيهم الاكبر وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام
وقيل سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى قد
جاءتكم بينة اية ظاهرة شاهدة على صحة نبوتي وكانه قيل ما هذه البينة فقال هذه ناقة الله لكم اية واية
نصب على الحال والعامل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الاشارة كانه قيل اشير اليها اية ولكم بيان لمن هي له اية
موجبة عليه الايمان خاصة وهم ثمود لانهم عاينوها وسائر الناس اخبروا عنها وليس الخبر كالمعاينة كانه قال لكم
خصوصا وانما اضيفت الى اسم الله تعظيما لها ولتجيئها لشانها وانها جاءت من عنده مكونة من غير فحل وطروقة
اية من اياته كما تقول اية الله وروي ان عادا لما اهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض وكثروا وعمروا
اعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء
من العيش فعتوا على الله وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح
من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم فسالوه اية فقال
اية اية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو الهك وندعو الهتنا فان استجيب لك اتبعناك
وان استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسالوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم
جندع ابن عمرو واشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة
مخترجة جوفا وبراء والمخترجة التي شاكلت البخت فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ صالح عليه الصلاة والسلام
عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتومنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها

فانصدعت

تصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها إلا الله وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في
العظم فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع أعقابهم ناس من رؤوسهم أن يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب
الماء وكانت ترد غبا فإذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب جميع ما فيها ثم تتفحج فيحتلبون ما شاؤوا حتى
تمتلئ أوانيهم فيشربون ويدخرون • قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه • أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر
الناقة فوجدته ستين ذراعا • وكانت الناقة إذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها أنعامهم فتهبط إلى بطنه وإذا
وقع البرد تشتت ببطن الوادي فتهرب مواشيهم إلى ظهره فشق ذلك عليهم • وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة
أم غنم • وصدقة بنت المختار لما أضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق •
سقبها حتى رقي جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا وكان صالح قال لهم أدركوا الفصيل عسى أن يدفع عنكم العذاب فلم يقدروا
عليه وانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح عليه الصلاة والسلام تصبحون غدا وجوهكم مصفرة • وبعد
غد • وجوهكم محمرة • واليوم الثالث وجوهكم مسودة • ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه
فأنجاه الله إلى أرض فلسطين • ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالأنطاع • فأتتهم الصيحة من
السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا • تأكل في أرض الله • أي الأرض أرض الله • والناقة ناقة الله فذروها تأكل في أرض
ربها فليست الأرض لكم • ولا ما فيها من النبات من إنباتكم ولا تمسوها بسوء ولا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوها
بشيء من الأذى إكراما لآية الله • ويروى أن رسول الله عليه الصلاة والسلام حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال
لأصحابه لا يدخلن أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين • إلا أن تكونوا باكين
أن يصيبكم مثل الذي أصابهم • وقال صلى الله عليه وسلم يا علي أتدري من أشقى الأولين قال الله ورسوله أعلم قال
عاقر ناقة صالح • أتدري من أشقى الآخرين قال الله ورسوله أعلم • قال قاتلك • وقرأ أبو جعفر في رواية
تأكل • في أرض الله وهو في موضع الحال بمعنى آكلة • واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون
من سهولها قصورا وتنحتون من الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين • وبوأكم ونزلكم
والمباءة المنزل • في الأرض في أرض الحجر بين الحجاز والشام • من سهولها قصورا أي تبنونها من سهولة الأرض بما
تعملون منها من الرهص واللبن والآجر • وقرأ الحسن وتنحتون بفتح الحاء • وتنحاتون بإشباع الفتحة كقوله
ينباع من ذفرى أسيل حرة • فإن قلت علام انتصب بيوتا قلت على الحال كما تقول خط هذا الثوب قميصا وابر
هذه القصبة قلما وهي من الحال المقدرة لأن الجبل لا يكون بيتا في حال النحت ولا الثوب والقصبة قميصا وقلما
في حال الخياطة والبري • وقيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء • قال الملأ الذين استكبروا من قومه
للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون • للذين استضعفوا
للذين استضعفهم رؤساء الكفار واستذلوهم • ولمن آمن منهم بدل من للذين استضعفوا • فإن قلت الضمير في منهم
راجع إلى ماذا قلت إلى قومه أو إلى الذين استضعفوا • فإن قلت هل لاختلاف المرجعين أثر في اختلاف المعنى
قلت نعم وذلك أن الراجع إذا رجع إلى قومه فقد جعل من آمن مفسرا لمن استضعف منهم فدل أن استضعافهم
كان مقصورا على المؤمنين • وإذا رجع إلى الذين استضعفوا لم يكن الاستضعاف مقصورا عليهم ودل أن المستضعفين كانوا
مؤمنين وكافرين • أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه • قالوه على سبيل الطنز والسخرية كما تقول للمجسمة أتعلمون
أن الله فوق العرش • فإن قلت كيف صح قولهم إنا بما أرسل به مؤمنون جوابا عنه قلت سألوهم عن العلم بإرساله

لجعلوا ارساله امرا معلوما مكشوفا مسلما لا يدخله ريب كانهم قالوا العلم بارساله وبما ارسل به مالا كلام فيه ولا شبهة تدخله
لوضوحه وانارته وانما الكلام في وجوب الايمان به فنخبركم انا به مؤمنون ولذلك كان جواب الكفرة انا بالذي
امنتم به كافرون فوضعوا امنتم به موضع ارسل به ردا لما جعله المؤمنون معلوما واخذوه مسلما قال الملأ الذين
استكبروا انا بالذي امنتم به كافرون فعقروا الناقة وعتوا عن امر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من
المرسلين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين فعقروا الناقة اسند العقر الى جميعهم لانه كان برضاهم وان
لم يباشره الا بعضهم وقد يقال للقبيلة الضخمة انتم فعلتم كذا وما فعله الا واحد منهم وعتوا عن امر ربهم وتولوا
عنه واستكبروا عن امتثاله عاتين وامر ربهم ما امر به على لسان صالح عليه الصلاة والسلام من قوله تعالى
فذروها تأكل في ارض الله او شان ربهم وهو دينه ويجوز ان يكون المعنى وصدر عتوهم عن امر ربهم كان امر
ربهم بتركها كان هو السبب في عتوهم ونحو عن هذه ما في قوله وما فعلته عن امري وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا اراد وا
من العذاب وانما جاز الاطلاق لانه كان معلوما واستعجالهم له لتكذيبهم به ولذلك علقوه بما هم به كافرون وهو
كونه من المرسلين فاخذتهم الرجفة الصيحة التي زلزلت لها الارض واضطربوا لها فاصبحوا في دارهم في بلادهم او في مساكنهم جاثمين
خامدين لا يتحركون موتى يقال الناس جثم اي قعود لا حراك بهم ولا ينبسون بنبسة ومنه المجثمة التي جاء
النهي عنها وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمى وعن جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم لما مر بالحجر
قال لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فاخذتهم الصيحة فلم يبق منهم الا رجل واحد كان في حرم الله قالوا من هو
يا رسول الله قال ابو رغال فلما خرج من الحرم اصابه ما اصاب قومه وروي ان صالحا كان بعثه الى قوم
فخالف امره وروي انه صلى الله عليه وسلم مر بقبر ابي رغال فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم
فذكر قصة ابي رغال وانه دفن ههنا ودفن معه غصن من ذهب فابتدروه وبحثوا عنه باسيافهم فاستخرجوا الغصن
فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين فتولى عنهم الظاهر انه كان
مشاهدا لما جرى عليهم وانه تولى عنهم بعدما ابصرهم جاثمين تولي مغتم متحسر على ما فاته من ايمانهم يتحزن لهم
ويقول يا قوم لقد بذلت فيكم وسعي ولم آل جهدا في ابلاغكم والنصيحة لكم ولكنكم لا تحبون الناصحين ويجوز
ان يكون توليه عنهم تولي ذاهب عنهم منكر لاصرارهم حين راى العلامات قبل نزول العذاب وروي
ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروي انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين
وهو يبكي فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة دار وروي انه رجع بمن
معه فسكنوا ديارهم فان قلت كيف صح خطاب الموتى وقوله ولكن لا تحبون الناصحين قلت قد يقول الرجل
لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه فلم يسمع منه حتى القى بنفسه في التهلكة يا اخي كم نصحتك وكم قلت لك
فلم تقبل مني وقوله ولكن لا تحبون الناصحين حكاية حال ماضية ولوطا اذ قال لقومه اتأتون الفاحشة ما
سبقكم بها من احد من العالمين ولوطا وارسلنا لوطا واذ ظرف لارسلنا او واذكر لوطا واذ بدل منه بمعنى واذكر وقت
قال لقومه اتأتون الفاحشة اتفعلون السيئة المتمادية في القبح ما سبقكم بها ما عملها قبلكم والباء للتعدية
من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها قبله ومنه قوله صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة من احد من العالمين
من الاولى زائدة لتوكيد النفي وافادة معنى الاستغراق والثانية للتبعيض فان قلت ما موقع هذه الجملة قلت
هي جملة مستأنفة انكر عليهم اولا بقوله اتأتون الفاحشة واطرده مثلها في اتأتون للانكار فقال انتم اول من عملها

اوعلى

او على انه جواب لسؤال مقدر كانهم قالوا لم لا ناتيها فقال ما سبقكم بها احد فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به ائنكم لتاتون الرجال
شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون ائنكم لتاتون الرجال بيان لقوله اتاتون الفاحشة والهمزة مثلها في
اتاتون للانكار والتعظيم وقرئ انكم على الاخبار المستانف لتاتون الرجال من اتى المراة اذا غشيها وشهوة مفعول
له اي للاشتهاء لا حامل لكم عليه الا مجرد الشهوة من غير داع اخر ولا ذم اعظم منه لانه وصف لهم بالبهيمية
وانه لا داعي لهم من جهة العقل البتة كطلب النسل ونحوه او حال بمعنى مشتهين تابعين للشهوة غير ملتفتين الى
السماجة بل انتم قوم مسرفون اضرب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحال التي توجب ارتكاب القبائح وتدعو
الى اتباع الشهوات وهو انهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز الحدود في كل شيء فمن ثم اسرفوا في باب قضاء
الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد الى غير المعتاد ونحوه بل انتم قوم عادون وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من
قريتكم انهم اناس يتطهرون وما كان جواب قومه الا ان قالوا يعني ما اجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط
عليه الصلاة والسلام من انكار الفاحشة وتعظيم امرها ووسمهم بسمة الاسراف الذي هو اصل الشر كله ولكنهم
جاؤا بشيء اخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ضجرا بهم وبما يسمعونهم
من وعظهم ونصحهم وقولهم انهم اناس يتطهرون سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخار بما كانوا فيه من القذارة
كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء اذا وعظهم ابعدوا عنا هذا المتقشف واريحونا من هذا المتزهد
فانجيناه واهله الا امراته كانت من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين واهله
ومن يختص به من ذويه او من المؤمنين من الغابرين من الذين غبروا في ديارهم اي بقوا فهلكوا والتذكير لتغليب
الذكور على الاناث وكانت كافرة موالية لاهل سدوم وروي انها التفتت فاصابها حجر فماتت وقيل كانت
المؤتفكة خمس مداين وقيل اربعة الاف بين الشام والمدينة فامطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف
بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم وروي ان تاجرا
منهم كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه فان قلت
اي فرق بين مطر وامطر قلت يقال مطرتهم السماء وواد ممطور وفي نوابغ الكلم حري غير ممطور حري
ان يكون غير ممطور ومعنى مطرتهم اصابتهم بالمطر كقولهم غاثتهم ووبلتهم وجادتهم ورهمتهم ويقال امطرت
عليهم كذا بمعنى ارسلته عليهم ارسال المطر فامطر علينا حجارة من السماء وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ومعنى
وامطرنا عليهم مطرا وارسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا يعني الحجارة الا ترى الى قوله فساء مطر المنذرين والى مدين
اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا
الناس اشياءهم ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين كان يقال لشعيب عليه السلام
خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين وقد جاتكم بينة من ربكم معجزة شاهدة
بصحة نبوتي اوجبت عليكم الايمان بي والاخذ بما امركم به والانتهاء عما انهاكم عنه فاوفوا ولا تبخسوا فان
قلت ما كانت معجزته قلت قد وقع العلم بانه كانت له معجزة لقوله تعالى قد جاتكم بينة من ربكم ولانه
لا بد لمدعي النبوة من معجزة تشهد له وتصدقه والا لم تصح دعواه وكان متنبيا لا نبيا غير ان معجزته لم تذكر
في القران كما لم يذكر اكثر معجزات نبينا فيه ومن معجزات شعيب عليه الصلاة والسلام ما روي من محاربة عصا
موسى التنين حين دفع اليه غنمه وولادة الغنم الدرع خاصة حين وعده ان يكون له الدرع من اولادها ووقوع عصا

آدم على يده في المرات السبع وغير ذلك من الآيات لأن هذه كلها كانت قبل أن يستنبأ موسى فكانت معجزات لشعيب عليه
الصلاة والسلام. فإن قلت كيف قيل الكيل والميزان وهلا قيل المكيال والميزان كما في سورة هود قلت أريد بالكيل
آلة الكيل وهو المكيال وسمي ما يكال به بالكيل كما قيل العيش لما يعاش به أو أريد فأوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز
أن يكون الميزان كالميعاد والميلاد بمعنى المصدر ويقال بخسته حقه إذا نقصته إياه ومنه قيل للمكس البخس وفي
أمثالهم تحسبها حمقاء وهي باخس وقيل أشياءهم لأنهم كانوا يبخسون الناس أشياءهم كل شيء في مبايعاتهم أو كانوا مكاسين
لا يدعون شيئا إلا مكسوه كما يفعل أمراء الحرمين. وروي أنهم كانوا إذا دخل الغريب بلدهم أخذوا دراهمه الجياد وقالوا
هي زيوف فقطعوها قطاعا ثم أخذوها بنقصان ظاهر أو أعطوه بدلها زيوفا بعد إصلاحها بعد الإصلاح فيها
أي لا تفسدوا فيها بعد ما أصلح فيها الصالحون من الأنبياء وأتباعهم العاملين بشرائعهم وإضافته كإضافة قوله
تعالى بل مكر الليل والنهار بمعنى بل مكركم في الليل والنهار أو بعد إصلاح أهلها على حذف المضاف ذلكم إشارة
إلى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس والإفساد في الأرض أو إلى العمل بما أمرهم به ونهاهم عنه ومعنى
خير لكم يعني في الإنسانية وحسن الأحدوثة وما تطلبونه من التكسب والتربح لأن الناس أرغب في متاجرتكم إذا
عرفوا منكم الأمانة والسوية إن كنتم مؤمنين إن كنتم مصدقين لي في قولي ذلكم خير لكم ولا تقعدوا بكل صراط توعدون
وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة
المفسدين ولا تقعدوا بكل صراط ولا تقتدوا بالشيطان في قوله لأقعدن لهم صراطك المستقيم فتقعدوا بكل صراط
أي بكل منهاج من مناهج الدين والدليل أن المراد بالصراط سبيل الحق قوله وتصدون عن سبيل الله ومحل توعدون
وما عطف عليه النصب على الحال أي ولا تقعدوا موعدين وصادين عن سبيل الله وباغين عوجا فإن قلت
صراط الحق واحد وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم فكيف قيل بكل صراط قلت
صراط الحق واحد ولكنه يتشعب إلى معارف وحدود وأحكام كثيرة مختلفة فكانوا إذا رأوا أحدا يشرع في
شيء منها أوعدوه وصدوه فإن قلت إلام يرجع الضمير في من آمن به قلت إلى كل صراط تقديره توعدون
من آمن به وتصدون عنه فوضع الظاهر الذي هو سبيل الله موضع الضمير زيادة في تقبيح أمرهم ودلالة على عظم
ما يصدون عنه. وقيل كانوا يجلسون على الطرق والمراصد فيقولون لمن مر بهم إن شعيبا كذاب فلا يفتننكم عن
دينكم كما كان يفعل قريش بمكة وقيل كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا عشارين وتبغونها عوجا وتطلبون
لسبيل الله عوجا أي تصفونها للناس بأنها سبيل معوجة غير مستقيمة لتصدوهم عن سلوكها والدخول فيها أو يكون
تهكما بهم وأنهم يطلبون لها ما هو محال لأن طريق الحق لا يعوج واذكروا إذ كنتم قليلا إذ مفعول به غير ظرف
أي واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم فكثركم الله ووفر عددكم وقيل إن مدين بن إبراهيم تزوج
بنت لوط فولدت فرمى الله في نسلها بالبركة والنماء فكثروا وفشوا ويجوز إذ كنتم مقلين فقراء فكثركم فجعلكم
مكثرين موسرين أو كنتم أقلة أذلة فأعزكم بكثرة العدد والعدد وعاقبة المفسدين آخر أمر من أفسد قبلكم
من الأمم كقوم نوح وهود وصالح ولوط وكانوا قريبي العهد مما أصاب المؤتفكة وإن كان طائفة منكم آمنوا
بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين فاصبروا فتربصوا وانتظروا
حتى يحكم الله بيننا أي بين الفريقين بأن ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام
الله منهم كقوله تعالى فتربصوا إنا معكم متربصون أو هو عظة للمؤمنين وحث على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم

من

من اذى المشركين اي ان يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم ويجوز ان يكون خطابا للفريقين اي ليصبر المومنون على اذى
الكفار وليصبر الكفار على ما يسوءهم من ايمان من امن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب وهو خير الحاكمين
لان حكمه حق وعدل لا يخاف فيه الحيف قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن
في ملتنا قال اولو كنا كارهين قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا
ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير
الفاتحين اي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم واما عودكم في الكفر فان قلت كيف خاطبوا شعيبا بالعود في الكفر
في قولهم او لتعودن في ملتنا وكيف اجابهم بقوله ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان
نعود فيها والانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يجوز عليهم من الصغاير الا ما ليس فيه تنفير فضلا عن الكباير فضلا
عن الكفر قلت لما قالوا لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك فعطفوا على ضميره الذين دخلوا في الايمان منهم بعد
كفرهم قالوا لتعودن فغلبوا الجماعة على الواحد فجعلوهم عايدين جميعا اجراء للكلام على حكم التغليب وعلى ذلك
اجرى شعيب عليه الصلاة والسلام جوابه فقال ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وهو يريد عود قومه
الا انه نظم نفسه في جملتهم وان كان بريا من ذلك اجراء لكلامه على حكم التغليب فان قلت فما معنى قوله تعالى
وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله والله تعالى متعال ان يشاء ردة المومنين وعودهم في الكفر قلت
معناه الا ان يشاء الله خذلاننا ومنعنا الالطاف لعلمه انها لا تنفع فينا وتكون عبثا والعبث قبيح لا يفعله الحكيم
والدليل قوله وسع ربنا كل شيء علما اي عالما بكل شيء مما كان وما يكون فهو يعلم احوال عباده كيف تتحول وقلوبهم
كيف تتقلب وكيف تقسو بعد الرقة وتمرض بعد الصحة وترجع الى الكفر بعد الايمان على الله توكلنا في ان يثبتنا على
الايمان ويوفقنا لازدياد الايقان ويجوز ان يكون قوله الا ان يشاء الله حسما لطمعهم في العود لان مشية
الله لعودهم في الكفر محال خارج عن الحكمة اولو كنا كارهين الهمزة للاستفهام والواو واو الحال تقديره اتعيدوننا
في ملتكم في حال كراهتنا ومع كوننا كارهين وما يكون لنا وما ينبغي لنا وما يصح ربنا افتح بيننا وبين احكم
بيننا والفتاحة الحكومة واظهر امرنا حتى ينفتح ما بيننا وبين قومنا وينكشف بان تنزل عليهم عذابا يتبين معه
انهم على الباطل وانت خير الفاتحين كقوله وهو خير الحاكمين فان قلت كيف اسلوب قوله قد افترينا على
الله كذبا ان عدنا في ملتكم قلت هو اخبار مقيد بالشرط وفيه وجهان احدهما ان يكون كلاما مستانفا فيه
معنى التعجب كانهم قالوا ما اكذبنا على الله ان عدنا في الكفر بعد الاسلام لان المرتد ابلغ في الافتراء من الكافر
لان الكافر مفتر على الله الكذب حيث يزعم ان لله ندا ولا ند له والمرتد مثله في ذلك وزايد حيث يزعم
انه قد تبين له ما خفي عليه من التمييز بين الحق والباطل والثاني ان يكون قسما على تقدير حذف اللام بمعنى
والله لقد افترينا على الله كذبا وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فاخذتهم
الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين وقال الملأ الذين كفروا من قومه اشرافهم للذين دونهم يثبطونهم على الايمان
لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم الضلالة بالهدى كقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
فما ربحت تجارتهم وقيل تخسرون باتباعه فوايد البخس والتطفيف لانه ينهاكم عنهما ويحملكم على الايفاء والتسوية
فان قلت ما جواب القسم الذي وطاته اللام في لئن اتبعتم وجواب الشرط قلت قوله انكم اذا لخاسرون ساد مسد
الجوابين الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين الذين كذبوا شعيبا مبتدا خبره

ياشعيب

كأن لم يغنوا فيها وكذلك كانوا هم الخاسرين وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص كأنه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بأن أهلكوا
واستؤصلوا كأن لم يقيموا في دارهم لأن الذين اتبعوا شعيبا قد أنجاهم الله الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بالخسران العظيم
دون أتباعه فإنهم الرابحون وفي هذا الاستئناف والابتداء وهذا التكرير مبالغة في رد مقالة الملأ لأشياعهم وتسفيه
لرأيهم واستهزاء بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت
لكم فكيف آسى على قوم كافرين الأسى شدة الحزن قال العجاج • وانحلبت عيناه من فرط الأسى • اشتد
حزنه على قومه ثم أنكر على نفسه فقال فكيف يشتد حزني على قوم • ليسوا بأهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم
ما نزل بهم • ويجوز أن يريد لقد أعذرت إليكم في الإبلاغ والنصيحة والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا قولي ولم
تصدقوني فكيف آسى عليكم يعني أنه لا يأسى عليهم لأنهم ليسوا أحقاء بالأسى • وقرأ يحيى بن وثاب فكيف إيسى بكسر الهمزة
وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون إلا أخذنا أهلها بالبأساء بالبؤس والفقر
والضراء بالضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه • لعلهم يضرعون ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا
أردية الكبر والعزة ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم
بغتة وهم لا يشعرون ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة أي أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء
والسعة والصحة كقوله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات حتى عفوا كثروا ونموا في أنفسهم وأموالهم
من قولهم عفا النبات وعفا الشحم والوبر إذا كثرت • ومنه قوله صلى الله عليه وسلم واعفوا اللحى وقال الحطيئة
• بمستأسد القريان عاف نباته • وقال • ولكنا نعض السيف منها • بأسوق عافيات الشحم كوم •
وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء يعني وأبطرتهم النعمة وأشروا فقالوا هذه عادة الدهر يعاقب في
الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا نحو ذلك وما هو بابتلاء من الله لعباده • فلم يبق بعد ابتلائهم بالحسنات
والسيئات إلا أن نأخذهم بالعذاب فأخذناهم أشد الأخذ وأفظعه وهو أخذهم فجاءة من غير شعور منهم ولو أن
أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون اللام
في القرى إشارة إلى القرى التي دل عليها قوله وما أرسلنا في قرية من نبي كأنه قال ولو أن أهل تلك القرى الذين
كذبوا وأهلكوا آمنوا بدل كفرهم واتقوا المعاصي مكان ارتكابها لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض لآتيناهم
بالخير من كل وجه • وقيل أراد المطر والنبات ولكن كذبوا فأخذناهم بسوء كسبهم ويجوز أن يكون اللام في القرى
للجنس • فإن قلت ما معنى فتح البركات عليهم قلت تيسيرها عليهم كما يتيسر أمر الأبواب المستغلقة بفتحها ومنه قولهم
فتحت على القارئ إذا تعذرت عليه القراءة فيسرتها عليه بالتلقين أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا
وهم نائمون أوأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم
الخاسرون البيات يكون بمعنى البيتوتة يقال بات بياتا ومنه قوله تعالى فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون ويكون
بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم • يقول بيته العدو بياتا ويجوز أن يراد أن يأتيهم بأسنا بائتين أو وقت
بيات أو مبيتا • أو مبيتين • أو يكون بمعنى تبييتا كأنه قيل أن يبيتهم بأسنا بياتا وضحى نصب على الظرف يقال
أتانا ضحى وضحيا • والضحى في الأصل اسم لضوء الشمس إذا أشرقت وارتفعت والفاء والواو في أفأمن وأوأمن
حرفا عطف دخلت عليهما همزة الإنكار فإن قلت ما المعطوف عليه ولم عطفت الأولى بالفاء والثانية بالواو قلت
المعطوف عليه قوله فأخذناهم بغتة وقوله ولو أن أهل القرى إلى يكسبون وقع اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه

وإنما

وانما عطف بالفاء لان المعنى فعلوا وصنعوا فاخذناهم بغتة ابعد ذلك امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وامنوا ان ياتيهم
باسنا ضحى • وقرئ او امن على العطف باو وهم يلعبون • يشتغلون بما لا يجدي عليهم كانهم يلعبون فان قلت
فلم رجع فعطف بالفاء قوله افامنوا مكر الله قلت هو تكرير لقوله افامن اهل القرى • ومكر الله استعارة لاخذه
العبد من حيث لا يشعر ولاستدراجه فعلى العاقل ان يكون في خوفه من مكر الله كالمحارب الذي يخاف من عدوه الكمين
والبيات والغيلة • وعن الربيع بن خثيم ان ابنته قالت له ما لي ارى الناس ينامون ولا اراك تنام قال يا بنتاه ان
اباك يخاف البيات • اراد قوله ان ياتيهم باسنا بياتا اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم
بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون اذا قرئ اولم يهد بالياء كان ان لو نشاء مرفوعا بانه فاعله بمعنى اولم يهد للذين
يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم ويرثونهم ارضهم هذا الشان وهو لو نشاء اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم واهلكنا
الوارثين كما اهلكنا الموروثين واذا قرئ بالنون فهو منصوب كانه قيل اولم نهد للوارثين هذا الشان بمعنى اولم
نبين لهم انا لو نشاء اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وانما عدي فعل الهداية باللام لانه بمعنى التبيين فان قلت
بم تعلق قوله ونطبع على قلوبهم قلت فيه اوجه ان يكون معطوفا على ما دل عليه معنى اولم يهد كانه قيل يغفلون
عن الهداية ونطبع على قلوبهم او على يرثون الارض او يكون منقطعا بمعنى ونحن نطبع على قلوبهم فان قلت
هل يجوز ان يكون ونطبع بمعنى وطبعنا كما كان لو نشاء بمعنى لو شئنا ويعطف على اصبناهم قلت لا يساعد عليه
المعنى لان القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم موصوفين بصفة من قبلهم من اقتراف الذنوب والاصابة بها وهذا التفسير
يؤدي الى خلوهم عن هذه الصفة وان الله لو شاء لاتصفوا بها تلك القرى نقص عليك من انبائها ولقد جاءتهم
رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين تلك القرى نقص عليك
من انبائها كقوله هذا بعلي شيخا في انه مبتدا وخبر وحال ويجوز ان تكون القرى صفة لتلك ونقص خبرا بعد
خبر فان قلت ما معنى تلك القرى حتى يكون كلاما مفيدا قلت هو مفيد ولكن بشرط التقييد بالحال كما يفيد بشرط
التقييد بالصفة في قولك هو الرجل الكريم فان قلت ما معنى فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بالبينات بما كذبوه
من آيات الله من قبل مجيء الرسل او فما كانوا ليؤمنوا الى آخر اعمارهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل اي استمروا
على التكذيب من لدن مجيء الرسل اليهم الى ان ماتوا مصرين لا يرعوون ولا تلين شكيمتهم في كفرهم وعنادهم مع
تكرر المواعظ عليهم وتتابع الآيات ومعنى اللام تاكيد النفي وان الايمان كان منافيا لحالهم في التصميم على الكفر
وعن مجاهد هو كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه كذلك مثل ذلك الطبع الشديد يطبع الله على قلوب
الكافرين وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين وما وجدنا لاكثرهم من عهد الضمير للناس
على الاطلاق • اي وما وجدنا لاكثر الناس من عهد يعني ان اكثرهم نقض عهد الله وميثاقه في الايمان والتقوى وان
وان وجدنا وان الشان والحديث وجدنا اكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة مارقين والآية اعتراض •
ويجوز ان يرجع الضمير الى الامم المذكورين • وانهم كانوا اذا عاهدوا الله في ضر ومخافة لئن انجيتنا لنؤمنن ثم نجاهم
ثم نكثوا كما قال قوم فرعون لموسى عليه الصلاة والسلام لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك الى قوله اذا هم ينكثون والوجود
بمعنى العلم من قولك وجدت زيدا ذا الحفاظ بدليل ان المخففة واللام الفارقة ولا يسوغ ذلك الا في المبتدا والخبر
والافعال الداخلة عليهما ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين
من بعدهم الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم والامم فظلموا بها فكفروا بآياتنا اجرى الظلم مجرى الكفر لانهما من واد واحد

بدله الايمان كان كفرهم بها ظالما فلذلك ان الشرك لظلم عظيم او فظلموا الناس بسببها حين اوعدوهم وصدوهم عنها واذوا
من امن بها ولانه اذا وجب الايمان بها فكفروا بدل الايمان كان كفرهم بها ظلما فلذلك قيل فظلموا بها اي كفروا بها
واضعين الكفر غير موضعه وهو موضع الايمان وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين يقال لملوك مصر
الفراعنة كما يقال لملوك فارس الاكاسرة فكانه قال يا ملك مصر وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب
بن الريان حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل قال ان كنت جئت
باية فات بها ان كنت من الصادقين حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق فيه اربع قراءات المشهورة وحقيق
وحقيق علي ان لا اقول وهي قراءة نافع وحقيق ان لا اقول وهي قراءة عبد الله وحقيق بان لا اقول وهي قراءة
أبي وفي المشهورة اشكال ولا تخلو من وجوه احدها ان يكون مما قلب من الكلام لامن الالباس كقوله
وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر ومعناه وتشقى الضياطرة بالرماح وحقيق علي ان لا اقول
وهي قراءة نافع والثاني ان ما لزمك فقد لزمته فلما كان قول الحق حقيقا عليه كان هو حقيقا على قول الحق
اي لازما له والثالث ان يضمن حقيق معنى حريص كما ضمن هيجني معنى ذكرني في بيت الكتاب والرابع
وهو الاوجه الادخل في نكت القران ان يغرق موسى عليه الصلاة والسلام في وصف نفسه بالصدق في ذلك
المقام لا سيما وقد روي ان عدو الله فرعون قال لما قال اني رسول من رب العالمين كذبت فيقول انا
حقيق على قول الحق اي واجب علي قول الحق ان اكون انا قائله والقائم به ولا يرضى الا بمثله ناطقا به
فارسل معي بني اسرائيل فخلهم حتى يذهبوا معي راجعين الى الارض المقدسة التي هي وطنهم ومولد ابائهم
وذلك ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما توفي وانقرضت الاسباط غلب فرعون نسلهم واستعبدهم فانقذهم
الله بموسى عليه الصلاة والسلام وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر واليوم الذي دخله موسى اربعمائة عام
فان قلت كيف قال له فات بها بعد قوله فان كنت جئت باية قلت معناه ان كنت جئت من عند من ارسلك
باية فات بها واحضرها عندي لتصح دعواك ويثبت صدقك فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ثعبان مبين ظاهر
امره لا يشك انه ثعبان وروي انه كان ثعبانا ذكرا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل
في الارض ولحيه الاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون لياخذه فوثب فرعون عن سريره وهرب واحدث
ولم يكن احدث قبل ذلك وهرب الناس وصاحوا وحمل على الناس فانهزموا وصاحوا فمات منهم خمسة وعشرون
الفا قتل بعضهم بعضا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه
موسى فعاد عصا ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين فان قلت بم يتعلق للناظرين قلت يتعلق ببيضاء والمعنى
فاذا هي بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضها بياضا عجيبا خارجا عن العادة يجتمع الناس للنظر اليه
كما تجتمع النظارة للعجائب وذلك ما يروى انه اري فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها جيبه وعليه
مدرعة صوف ونزعها فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعها شعاع الشمس وكان موسى عليه الصلاة ادم شديد
الادمة قال الملا من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون قالوا ارجه واخاه وارسل
في المداين حاشرين ياتوك بكل ان هذا لساحر عليم اي عالم بالسحر ماهر فيه قد اخذ عيون الناس بخدعة من خدعه حتى خيل ساحر عليم
لهم العصا حية والادم ابيض فان قلت قد عزي هذا الكلام الى فرعون في سورة الشعراء وانه قاله للملا
وعزي ههنا اليهم قلت قد قاله هو وقالوه هم فحكي قوله ثم وقولهم هنا او قاله ابتداء فتلقته منه الملا

فقالوه

فقالوه لأعقابهم أو قالوه عنه للناس على طريق التبليغ كما تفعل الملوك يرى الواحد منهم الرأي فيكلّم به من يليه من الخاصة ثم
يبلّغه الخاصة العامة والدليل عليه أنهم أجابوه في قولهم أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم
وقرئ سحّار أي يأتوك بكل ساحر مثله في العلم والمهارة أو بخير منه وكانت هذه مؤامرة مع القبط وقولهم
فماذا تأمرون من آمرته فأمرني بكذا إذا شاورته فأشار عليك برأي وقيل فماذا تأمرون من كلام فرعون قاله
للملأ لما قالوا له إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم كأنه قيل فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه ومعنى أرجه وأخاه
أخّرهما وأصدرهما عنك حتى ترى رأيك فيهما وتدبّر أمرهما وقيل احبسهما وقرئ أرجئه بالهمز وأرجه من أرجأه وأرجاه
وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم لمن المقربين فإن قلت هلّا قيل وجاء
السحرة فرعون فقالوا قلت هو على تقدير سائل سأل ما قالوا إذ جاءوا فأجيب بقوله قالوا إن لنا لأجرا أي جعلا
على الغلبة وقرئ إنّ لنا لأجرا على الإخبار وإثبات الأجر العظيم وإيجابه كأنهم قالوا لا بدّ لنا من أجر والتنكير
للتعظيم كقول العرب إنّ له لإبلا وإن له لغنما يقصدون الكثرة فإن قلت وإنكم لمن المقربين ما الذي
عطف عليه قلت هو معطوف على محذوف سدّ مسدّه حرف الإيجاب كأنه قال إيجابا لقولهم إنّ لنا لأجرا نعم إنّ لكم
لأجرا وإنكم لمن المقربين أراد أني لا أقتصر بكم على الثواب وحده وإن لكم مع الثواب ما يقلّ معه الثواب
وهو التقريب والتعظيم لأن المثاب إنما يتهنّأ بما يصل إليه ويغتبط به إذا نال معه الكرامة والرفعة وروي
أنه قال لهم تكونون أول من يدخل وآخر من يخرج وروي أنه دعا برؤساء السحرة ومعلّميهم فقال لهم ما صنعتم
قالوا قد عملنا سحرا لا يطيقه سحرة أهل الأرض إلا أن يكون أمرا من السماء فإنه لا طاقة لنا به وروي أنهم كانوا
ثمانين ألفا وقيل سبعين ألفا وقيل بضعة وثلاثين ألفا واختلفت الروايات فمن مقلّ ومن مكثر وقيل
كان يعلّمهم مجوسيان من أهل نينوى وقيل قال فرعون لا نغالب موسى إلا بما هو منه يعني السحر **قالوا يا موسى إمّا
أن تلقي وإمّا أن نكون نحن الملقين قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم**
تخييرهم إياه أدب حسن راعوه معه كما تفعل أهل الصناعات إذا التقوا كالمتناظرين قبل أن يتخاوضوا في الجدال
والمتصارعين قبل أن يتأخذوا للصراع وقولهم وإمّا أن نكون نحن الملقين فيه ما يدلّ على رغبتهم في أن يلقوا
قبله من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر أو تعريف الخبر وإقحام الفصل وقد سوّغ لهم موسى ما
تراغبوا فيه ازدراء لشأنهم وقلّة مبالاة بهم وثقة بما كان بصدده من التأييد السماوي وأن المعجزة لن يغلبها
سحر أبدا وسحروا أعين الناس أروها بالحيل والشعوذة وخيّلوا إليها ما الحقيقة بخلافه لقوله فإذا يخيّل إليه
من سحرهم أنها تسعى وروي أنهم ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فإذا هي أمثال الحيّات وقد ملأت الأرض
وركب بعضها بعضا واسترهبوهم وأرهبوهم إرهابا شديدا كأنهم استدعوا رهبتهم بسحر عظيم في باب السحر وروي
أنهم لوّنوا حبالهم وخشبهم وجعلوا فيها ما يوهم الحركة قيل جعلوا فيها الزئبق **وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك
فإذا هي تلقف ما يأفكون** ما يأفكون ما موصولة أو مصدرية بمعنى ما يأفكونه أي يقلبونه عن الحق إلى الباطل
ويزوّرونه أو إفكهم تسمية للمأفوك بالإفك روي أنها لما تلقّفت ملء الوادي من الخشب والحبال ورفعها
موسى عليه الصلاة والسلام رجعت عصا كما كانت وأعدم الله تعالى بقدرته تلك الأجرام العظيمة أو فرّقها أجزاء
لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصيّنا **فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا
صاغرين** فوقع الحق فحصل وثبت ومن بدع التفاسير فوقع قلوبهم أي فأثّر فيها من قولهم قاس وقيع وانقلبوا صاغرين

وصاروا اذلاء مبهوتين وألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون وألقي السحرة وخروا
سجدا كأنما ألقاهم ملق لشدة خرورهم وقيل لم يتمالكوا مما رأوا فكأنهم ألقوا عن قتادة كانوا اول النهار كفارا
سحرة وفي آخر النهار شهداء ابرارا وعن الحسن تراه ولد في الاسلام ونشأ بين المسلمين يبيع دينه بكذا وكذا وهؤلاء
كفارا بذلوا انفسهم لله قال فرعون آمنتم به قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون
لأقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم اجمعين آمنتم به على الاخبار اي فعلتم هذا الفعل الشنيع توبيخا لهم
وتقريعا وقرئ أآمنتم بحرف الاستفهام ومعناه الانكار والاستبعاد ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة ان صنعكم هذا
لحيلة احتلتموها انتم وموسى في مصر قبل ان تخرجوا منها الى هذه الصحراء قد تواطأتم على ذلك لغرض لكم وهو ان تخرجوا
منها القبط وتسكنوا بني اسرائيل وكان هذا الكلام من فرعون تمويها على الناس لئلا يتبعوا السحرة في الايمان ه
وروي ان موسى عليه الصلاة والسلام قال للساحر الاكبر اتؤمن بي ان غلبتك فقال لآتين بسحر لا يغلبه سحر وان
غلبتني لأومنن بك وفرعون يسمع فلذلك قال ما قال فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم جملة ثم فصله بقوله لأقطعن وقرئ لأقطعن
بالتخفيف وكذلك ثم لأصلبنكم من خلاف من كل شق طرفا وقيل ان اول من قطع من خلاف وصلب لفرعون والله اعلم
قالوا انا الى ربنا منقلبون انا الى ربنا منقلبون فيه اوجه يريدوا انا لا نبالي بالموت لانقلابنا الى لقاء ربنا ورحمته
وخلاصنا منك ومن لقائك او ننقلب الى الله يوم الجزاء فيثيبنا على شدائد القطع والصلب او انا جميعا يعنون
انفسهم وفرعون ننقلب الى الله فيحكم بيننا او انا لا محالة منقلبون الى الله فما تقدر ان تفعل بنا الا ما لا بد لنا منه
وما تنقم منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وما تنقم منا الا ان آمنا وما
تعيب منا الا الايمان بآيات الله ارادوا وما تعيب منا الا ما هو اصل المناقب والمفاخر كلها وهو الايمان ومنه
• قوله • ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب •
افرغ علينا صبرا اوسعه واكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء افراغا • وعن بعض السلف ان احدكم
ليفرغ عن اخيه ذنوبا ثم يقول قد ما رحلك اي يفرغ بالجبال والحجل او صب علينا ما يطهرنا من اوضار
الآثام وهو الصبر على ما توعدنا به فرعون لانهم علموا انهم اذا استقاموا وصبروا كان ذلك مطهرة لهم وتوفنا
مسلمين ثابتين على الاسلام وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك وآلهتك
قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون ويذرك عطف على ليفسدوا او لانه اذا تركهم ولم يمنعهم
وكان ذلك مؤديا الى ما دعوه فسادا والى تركه وترك آلهته فكأنه تركهم لذلك او هو جواب للاستفهام بالواو كالجواب
بالفاء نحو قول الحطيئة • ألم اك جاركم ويكون • بيني وبينكم المودة والاخاء •
والنصب باضمار ان تقديره أيكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وآلهتك • وقرئ ويذرك وآلهتك بالرفع
عطفا على اتذر بمعنى اتذره ويذرك اي اتطلق له ذلك او يكون مستأنفا • او حالا على معنى اتذره وهو يذرك
وآلهتك • وقرأ الحسن ويذرك بالجزم كانه قيل يفسدوا ويذرك واكن من الصالحين كما مر قيل اصدق وقرأ
انس رضي الله عنه ونذرك بالنون والنصب اي يصرفنا عن عبادتك فنذرها وقرئ ويذرك والاهتك • اي
عبادتك • وروي انهم قالوا له ذلك لانه وافق السحرة على الايمان ستمائة الف نفس فارادوا بالفساد في الارض
ذلك • وخافوا ان يغلبوا على الملك وقيل صنع فرعون لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه كما يعبد
عبدة الاصنام الاصنام ويقولون ليقربونا الى الله زلفى ولذلك قال انا ربكم الاعلى سنقتل ابناءهم يعني سنعيد عليهم

ما كنا

لما كنا محناهم به من قتل الابناء ليعلموا انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة وانهم مقهورون تحت ايدينا كما كانوا وان غلبة موسى
لا اثر لها في ملكنا واستيلائنا ولئلا يتوهم العامة انه هو المولود الذي تحدث المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا
على يده فيثبطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم الى اتباعه وانه منتظر بعد قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان
الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين قال موسى لقومه استعينوا بالله قال لهم ذلك حين قال
فرعون سنقتل ابناءهم فجزعوا منه وتضجروا فسكنهم وسلاهم ووعدهم النصرة عليهم وذكر لهم ما وعد الله بني اسرائيل
من اهلاك القبط وتوريثهم ارضهم وديارهم فان قلت لم اخليت هذه الجملة عن الواو وادخلت على التي قبلها
قلت هي جملة مبتداة مستانفة واما وقال الملأ فمعطوفة على ما سبقها من قوله قال الملأ من قوم فرعون وقوله
ان الارض لله يجوز ان تكون اللام للعهد ويراد ارض مصر خاصة كقوله تعالى واورثنا الارض وان تكون
للجنس فيتناول ارض مصر لانها من جنس الارض كما قال ضمرة انما المرء باصغريه فاراد بالمرء الجنس وغرضه
ان يتناوله تناولا اوليا والعاقبة للمتقين بشارة بان الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن القبط وان المشيئة متناولة
لهم وقرأ والعاقبة للمتقين بالنصب ابي وابن مسعود رضي الله عنهما عطفا على الارض قالوا اوذينا من قبل ان تأتينا
ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون اوذينا من قبل ان
تأتينا ومن بعد ما جئتنا يعنون قتل ابنائهم قبل مولد موسى عليه الصلاة والسلام الى ان استنبئ واعادته عليهم بعد ذلك
وما كانوا يستعبدون به ويمتهنون فيه من انواع الخدم والمهن ويمسون به من العذاب عسى ربكم ان يهلك
عدوكم تصريح بما رمز اليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو اهلاك فرعون واستخلافهم بعده في ارض مصر فينظر كيف تعملون
فيرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيد
رحمه الله انه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف او رغيفان وطلب زيادة لعمرو فلم توجد فقرأ عمرو
هذه الاية ثم دخل عليه بعد ما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين
ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون بالسنين بسني القحط والسنة من الاسماء الغالبة كالدابة والنجم ونحو ذلك وقد
اشتقوا منها فقالوا اسنت القوم بمعنى اقحطوا وقال ابن عباس رضي الله عنه اما السنون فكانت لباديتهم واهل مواشيهم
واما نقص الثمرات فكان في امصارهم وعن كعب يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة الا ثمرة لعلهم
يذكرون فيتنبهوا على ان ذلك لاصرارهم على الكفر وتكذيبهم بآيات الله ولان الناس في حال الشدة اضرع خدودا والين
اعطافا وارق افئدة وقيل عاش فرعون اربعمائة سنة ولم ير مكروها في ثلثمائة وعشرين سنة ولو اصابه في تلك المدة وجع
او جوع او حمى لما ادعى الربوبية فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه
الا انما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والرخاء قالوا لنا هذه اي هذه
مختصة بنا ونحن مستحقوها ولم نزل في النعمة والرفاهية واللام مثلها في قولك الجل للفرس وان تصبهم سيئة
من ضيقة او جدب يطيروا بموسى ومن معه يتطيروا بهم ويتشاءمون ويقولوا هذه بشؤمهم ولولا مكانهم لما
اصابتنا كما قالت الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذه من عندك فان قلت كيف قيل فاذا جاءتهم الحسنة باذا وتعريف
الحسنة وان تصبهم سيئة بان وتنكير السيئة قلت لان جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه واما السيئة فلا
تقع الا في الندرة ولا يقع الا شيء منها ومنه قول بعضهم عددت ايام البلاء فهلا عددت ايام الرخاء
طائرهم عند الله اي سبب خيرهم وشرهم عند الله وهو حكمه ومشيئته والله هو الذي يشاء ما يصيبهم من الحسنة والسيئة وليس

شوم احد ولا يمنه بسبب فيه لقوله تعالى قل كل من عند الله • ويجوز ان يكون معناه الا انما سبب شومهم عند الله وهو عملهم
المكتوب عندهم الذي يجري عليهم ما يسوءهم لاجله ويعاقبون له بعد موتهم بما وعدهم الله في قوله تعالى النار
يعرضون عليها الاية • ولا طائر اشأم من هذا • وقراء الحسن انما طيرهم عند الله وهو اسم الجمع طائر غير تكسير • ونظيره التجر
والركب • وعند ابي الحسن هو تكسير • وقالوا مهما تاتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين مهما هي ما المضمنة
معنى الجزاء ضمت اليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء في قولك متى ما تخرج اخرج • اينما تكونوا يدرككم الموت فاما
نذهبن بك الا ان الالف قلبت هاء استثقالا لتكرير المتجانسين • وهو المذهب السديد البصري • ومن الناس من زعم
ان مه هو الصوت الذي يصوت به الكاف وما للجزاء كانه قيل كف ما تاتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين
فان قلت ما محل مهما قلت الرفع بمعنى ايما شيء تاتنا به او النصب بمعنى ايما شيء تحضرنا تاتنا به ومن آية تبيين
لمهما والضميران في به وبها راجعان الى مهما الا ان احدهما ذكر على اللفظ • والثاني انث على المعنى لانه في معنى الاية
ونحوه قول زهير • ومهما تكن عند امرئ من خليقة • وان خالها تخفى على الناس تعلم •
وهذه الكلمة في عداد الكلمات التي يحرفها من لا يد له في علم العربية • فيضعها غير موضعها ويحسب مهما بمعنى متى ما
ويقول مهما جئتني اعطيتك • وهذا من وضعه وليس من كلام واضع العربية في شيء ثم يذهب فيفسر مهما تاتنا به من آية
بمعنى الوقت فيلحد في آيات الله وهو لا يشعر وهذا وامثاله مما يوجب الجثو بين يدي الناظر في كتاب سيبويه
فان قلت كيف سموها آية ثم قالوا لتسحرنا بها قلت ما سموها آية لاعتقادهم انها آية وانما سموها اعتبارا لتسمية
موسى وقصدوا بذلك الاستهزاء والتلهي فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات
مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين الطوفان ما طاف بهم وغلبهم من مطر او سيل قيل طغى الماء فوق حروثهم
وذلك انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا قمرا • ولا يقدر احد ان يخرج من داره • وقيل
ارسل الله عليهم السماء حتى كادوا يهلكون • وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط مشتبكة • فامتلأت بيوت القبط ماء
حتى قاموا في الماء الى تراقيهم فمن جلس غرق • ولم يدخل بيوت بني اسرائيل قطرة • وفاض الماء على وجه الارض • وركد
فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف • ودام عليهم سبعة ايام • وعن ابي قلابة الطوفان الجدري • وهو اول عذاب
وقع فيهم فبقي في الارض • وقيل هو الموتان • وقيل الطاعون • فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن
نؤمن بك فدعا فرفع عنهم فما آمنوا فنبت لهم تلك السنة من الكلأ والزرع ما لم يعهد مثله • فاقاموا شهرا
فبعث الله عليهم الجراد فاكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم اكلت كل شيء حتى الابواب وسقوف البيوت والثياب
ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منها شيء ففزعوا الى موسى عليه الصلاة والسلام • ووعدوه التوبة فكشف عنهم بعد
سبعة ايام • خرج موسى عليه الصلاة والسلام الى الفضاء فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد الى
النواحي التي جاء منها • فقالوا ما نحن بتاركي ديننا فاقاموا شهرا • فسلط الله عليهم القمل • وهو الحمنان في قول
ابي عبيدة كبار القردان • وقيل الدباء • وهو اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها • وقيل البراغيث • وعن سعيد
ابن جبير رضي الله عنه السوس فاكل ما ابقاه الجراد ولحس الارض • وكان يدخل بين ثوب احدهم وبين جلده
فيمصه • وكان ياكل احدهم طعاما فيمتلئ قملا • فاخذت في ابشارهم واشعارهم واشفار عيونهم • وكان يخرج
احدهم عشرة اجربة الى الرحى فلا يرد منها الا يسيرا • وعن سعيد بن جبير كان الى جنبهم كثيب اعفر • فضربه موسى
عليه الصلاة والسلام فصار قملا فاخذت في ابشارهم واشعارهم واشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم • كانه

بلغ مقابلة

الجدري

بلغ مقابلة

الجذري فصاحوا وصرخوا وفزعوا الى موسى عليه الصلاة والسلام فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر وعزة فرعون لا نصدقك ابدا فارسل الله بعد ذلك الضفادع فدخلت بيوتهم وامتلأت منها آنيتهم واطعمتهم فلا يكشف احد شيئا من ثوب ولا طعام ولا شراب الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل اذا اراد ان يتكلم وثبت الضفدع الى فيه وكان تمتلئ منها مضاجعهم فلا يقدرون على الرقاد وكانت تقذف بانفسها في القدور وهي تغلي وفي التنانير وهي تفور فشكوا الى موسى عليه الصلاة والسلام وقالوا ارحمنا هذه المرة فما بقي لنا الا ان نتوب التوبة النصوح ولا نعود فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم فنقضوا العهد فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما فشكوا الى فرعون فقال انه سحركم فكان يجمع بين القبطي والاسرائيلي على اناء واحد فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما ويستقيان من ماء واحد فيخرج للقبطي الدم وللاسرائيلي الماء حتى ان المرأة القبطية تقول لجارتها الاسرائيلية اجعلي الماء في فيك ثم مجيه في فيّ فيصير الماء في فيها دما وعطش فرعون حتى اشفى على الهلاك فكان يمص الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها الطيب ملحا اجاجا وعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه سال عليهم النيل دما وقيل سلط الله عليهم الرعاف وروي ان موسى عليه الصلاة والسلام مكث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات وروي انه لما اراهم اليد والعصا ونقص النفوس والثمرات قال يا رب ان عبدك هذا قد علا في الارض فخذه بعقوبة تجعلها له ولقومه نقمة ولقومي عظة ولمن بعدي آية فحينئذ بعث عليهم الطوفان ثم الجراد ثم بقيته من النقم وقرأ الحسن والقمل بفتح القاف وسكون الميم يريد القمل المعروف آيات مفصلات نصب على الحال ومعنى مفصلات مبينات ظاهرات لا يشكل على عاقل انها من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره وانها عبرة لهم ونقمة على كفرهم او فصل بين بعضها وبعض بزمان يمتحن فيه احوالهم وينظر ايستقيمون على ما وعدوا من انفسهم ام ينكثون الزاما للحجة عليهم **ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون** بما عهد عندك ما مصدرية والمعنى بعهده عندك وهو النبوة اما ان يتعلق بقوله ادع لنا ربك وجهين احدهما اسعفنا الى ما نطلب اليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة او ادع لنا متوسلا اليه بعهده عندك واما ان يكون قسما مجابا بلنؤمنن اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك الى اجل هم بالغوه لا محالة فمعذبون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الامهال وكشف العذاب الى حلوله اذا هم ينكثون جواب لما يعني فلما كشفنا عنهم فاجأوا النكث وبادروه ولم يؤخروه ولكن كما كشف عنهم نكثوا **فانتقمنا منهم فاغرقناهم في اليم بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين** فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم اليم البحر الذي لا يدرك قعره وقيل لجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه من التيمم لان المستنفعين به يقصدونه بانهم كذبوا بآياتنا اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها وقلة فكرهم فيها **واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون** القوم الذين كانوا يستضعفون هم بنو اسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه والارض ارض مصر والشام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا كيف شاؤا في اطرافها ونواحيها الشرقية والغربية باركنا فيها بالخصب وسعة الارزاق وتمت كلمة ربك الحسنى قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض الى قوله ما كانوا يحذرون والحسنى تأنيث الاحسن صفة للكلمة ومعنى تمت على بني اسرائيل مضت عليهم واستمرت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه بما صبروا بسبب صبرهم وحسبك به حاثا على الصبر ودالا على ان من قابل البلاء بالجزع وكله الله اليه ومن قابله بالصبر وانتظار النصر ضمن الله له الفرج وعن الحسن عجبت ممن خف

كيف خف وقد سمع قوله وتلا الآية كأنه جزعاً وقلة صبر ولم يرزق رزانة اولي الصبر • وقرأ عاصم في رواية وتمت كلمات
ربك الحسنى • ونظيره من آيات ربه الكبرى • ما كان يصنع فرعون وقومه ما كانوا يعملون ويسوون من العمارات
وبناء القصور وما كانوا يعرشون من الجنات • وهو الذي انشأ جنات معروشات • او ما كانوا يرفعون من الابنية
المشيدة في السماء كصرح هامان وغيره • وقرئ يعرشون بالضم والكسر • وذكر الزبيدي ان الكسر افصح • وبلغني انه
قرأه بعض الناس يغرسون من غرس الاشجار • وما احسبه الا تصحيفاً منه • وهذا آخر ما قص الله من نبأ فرعون والقبط
وتكذيبهم بآيات الله وظلمهم ومعاصيهم ثم اتبعه اقتصاص نبأ بني اسرائيل • وما احدثوه بعد انقاذهم من ملكة فرعون
واستعباده • ومعاينتهم الآيات العظام ومجاوزتهم البحر من عبادة البقر وطلب رؤية الله جهرة وغير ذلك من
انواع الكفر والمعاصي ليعلم حال الانسان وانه كما وصفه ظلوم • كفار جهول كنود • الا من عصمه الله • وقليل من
عبادي الشكور • وليسلي رسول الله صلى الله عليه وسلم مما رأى من بني اسرائيل بالمدينة • وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على
قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الهاً كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون • روي انه عبر
بهم موسى عليه الصلاة والسلام يوم عاشوراء بعد ما اهلك الله فرعون وقومه فصاموه شكراً لله تعالى • فأتوا على
قوم فمروا عليهم • ويعكفون على اصنام لهم يواظبون على عبادتها ويلازمونها • قال ابن جريج • كانت تماثيل
بقر وذلك اول شأن العجل • وقيل كانوا قوماً من لخم • وقيل كانوا من الكنعانيين • الذين امر موسى بقتالهم • وقرئ
وجوزنا بمعنى اجزنا • يقال اجاز المكان وجوزه وجاوزه بمعنى جازه كقولك اعلاه وعلاه وعالاه • وقرئ
يعكفون بضم الكاف وكسرها • اجعل لنا الهاً صنماً نعكف عليه • كما لهم آلهة اصنام يعكفون عليها • وما كافة للكاف
ولذلك وقعت الجملة بعدها • وعن علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه • ان يهودياً قال له اختلفتم بعد نبيكم قبل ان
يجف ماؤه • فقال قلتم اجعل لنا الهاً ولما تجف اقدامكم • انكم قوم تجهلون تعجب من قولهم على اثر ما رأوا من الآية
العظمى والمعجزة الكبرى • فوصفهم بالجهل المطلق واكده لانه لا جهل اعظم مما رأى منهم ولا اشنع ان هؤلاء
متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون ان هؤلاء يعني عبدة تلك التماثيل متبر ما هم فيه مدمر مكسر ما هم فيه
من قولهم اناء متبر اذا كان فضاضاً • ويقال لكسار الذهب التبر اي يتبر الله ويهدم دينهم الذي هم عليه على يدي ويحطم
اصنامهم هذه • ويتركها رضاضاً • وباطل ما كانوا يعملون اي يعملون شيئاً من عبادتها فيما سلف الا وهو باطل
مضمحل لا ينتفعون به وان كان في زعمهم تقرباً الى الله تعالى كما قال • وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً
منثوراً • وفي ايقاع هؤلاء اسماً لان خبراً وتقديم خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبراً لها وسم لعبدة الاصنام بانهم هم
المعرضون للتبار وانه لا يعدوهم البتة وانه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض اليهم ما احبوا
قال اغير الله ابغيكم الهاً وهو فضلكم على العالمين اغير الله ابغيكم الهاً المستحق للعبادة اطلب لكم معبوداً وهو فعل
بكم ما فعل دون غيره من الاختصاص بالنعمة التي لم يعطها احداً غيركم لتختصوه بالعبادة ولا تشركوا به غيره ومعنى الهمزة
الانكار والتعجب من طلبهم مع كونهم مغمورين في نعمة الله عبادة غير الله واذ انجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء
العذاب يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم يسومونكم سوء العذاب من سام السلعة اذا طلبها
فان قلت ما محل يسومونكم قلت هو استئناف لا محل له ويجوز ان يكون حالاً من المخاطبين او من آل فرعون وذلكم
اشارة الى الانجاء او الى العذاب والبلاء النعمة او المحنة وقرئ يقتلون بالتخفيف وواعدنا موسى ثلاثين ليلة
وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة وقال موسى لاخيه هارون اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين

وروي أن موسى عليه الصلاة والسلام وعد بني إسرائيل وهو بمصر إن أهلك الله عدوهم أتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون
وما يذرون • فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين وهو شهر ذي القعدة • فلما أتم الثلاثين أنكر
خلوف فيه فتسوك • فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك • وقيل أوحى الله أما علمت
أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك فأمره الله أن يزيد عليه عشرة أيام من ذي الحجة لذلك • وقيل أمره
الله أن يصوم ثلاثين وأن يعمل فيها ما يقربه من الله تعالى • ثم أنزلت عليه التورية في العشر وكلم فيها • ولقد أجمل ذكر الأربعين
في سورة البقرة • وفصلها ها هنا • وميقات ربه ما وقت له من الوقت وضربه له • وأربعين ليلة نصب على الحال • أي
تم بالغا هذا العدد • وهرون عطف بيان لأخيه • وقرئ بالضم على النداء • اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم • وأصلح
وكن مصلحا • أو وأصلح ما يجب أن يصلح من أمور بني إسرائيل ومن دعاك منهم إلى الإفساد فلا تتبعه ولا تطعه •
ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني
فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين • لميقاتنا لوقتنا الذي
وقتنا له وحددنا • ومعنى اللام الاختصاص فكأنه قيل واختص مجيئه بميقاتنا كما تقول أتيته لعشر خلون من الشهر
وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملك • وتكليمه أن يخلق الكلام منطوقا به في بعض الأجرام كما خلقه مخطوطا في اللوح
وروي أن موسى عليه الصلاة والسلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة • وعن ابن عباس رضي الله عنهما كلمه أربعين
ليلة وكتب له الألواح • وقيل إنما كلمه في أول الأربعين • أرني أنظر إليك ثاني مفعولي أرني محذوف أي أرني
نفسك أنظر إليك فإن قلت فكيف قال لن تراني ولم يقل لن تنظر إلي لقوله أنظر إليك قلت لما قال أرني بمعنى
اجعلني متمكنا من رؤيتك بأن تتجلى لي فأنظر إليك وأراك • فإن قلت فكيف قال لن تراني ولم يقل
لن تنظر إلي لقوله أنظر إليك • قلت لما قال أرني بمعنى اجعلني متمكنا من الرؤية التي هي الإدراك علم أن
الطلبة هي الرؤية لا النظر الذي لا إدراك معه فقيل لن تراني ولم يقل لن تنظر إلي فإن قلت كيف طلب موسى
عليه الصلاة والسلام ذلك وهو من أعلم الناس بالله وصفاته • وما يجوز عليه وما لا يجوز • وبتعاليه عن الرؤية
التي هي إدراك ببعض الحواس وذلك إنما يصح فيما كان في جهة وما ليس بجسم ولا عرض فمحال أن يكون في جهة ومنع
المجبرة إحالته في العقول غير لازم لأنه ليس بأول مكابرتهم وارتكابهم وكيف يكون طالبه • وقد قال
حين أخذت الرجفة الذين قالوا أرنا الله جهرة أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إلى قوله تضل بها من تشاء فتبرأ
من فعلهم ودعاهم سفهاء وضلالا قلت ما كان طلبه الرؤية إلا ليبكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالا
وتبرأ من فعلهم وليلقمهم الحجر • وذلك أنهم حين طلبوا الرؤية أنكر عليهم وأعلمهم الخطأ ونبههم على الحق فلجوا
وتمادوا في لجاجهم وقالوا لا بد • ولن نؤمن لك حتى نراه فأراد أن يسمعوا النص من عند الله باستحالة ذلك وهو
قوله لن تراني ليتيقنوا وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة فلذلك قال رب أرني أنظر إليك • فإن قلت فهلا قال
أرهم ينظروا إليك قلت لأن الله سبحانه وتعالى إنما كلم موسى عليه الصلاة والسلام وهم يسمعون فلما سمعوا كلام
رب العزة أرادوا أن يري موسى ذاته فيبصروه معه كما أسمعه كلامه فسمعوه معه إرادة مبنية على قياس فاسد
فلذلك قال موسى عليه الصلاة والسلام أرني أنظر إليك ولأنه إذا زجر عما طلب • وأنكر عليه في نبوته واختصاصه
وزلفته عند الله • وقيل له لن يكون ذلك كان غيره أولى بالإنكار • ولأن الرسول إمام أمته فكان ما يخاطب
به أو ما يخاطب راجعا إليهم • وقوله أنظر إليك وما فيه من معنى المقابلة التي هي محض التشبيه والتجسيم دليل على أنه ترجمة عن

عن مقترحهم وحكاية لقولهم وجلّ صاحب الجمل ان يجعل الله منظورا اليه مقابلا بحاسة النظر فكيف بمن هو اعرق في معرفة
الله من واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد والنظام وابي الهذيل والشيخين وجميع المتكلمين فان قلت ما معنى لن قلت تاكيد النفي
الذي تعطيه لا وذلك ان لا تنفي المستقبل تقول لا افعل غدا فاذا اكدت نفيها قلت لن افعل غدا والمعنى ان فعله
ينافي حالي كقوله تعالى لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له فقوله لا تدركه الابصار نفي للرؤية فيما يستقبل ولن تراني
تاكيد وبيان لان المنفي مناف لصفاته فان قلت كيف اتصل الاستدراك في قوله ولكن انظر الى الجبل بما قبله قلت
اتصل به على معنى ان النظر الي محال فلا تطلبه ولكن عليك بنظر آخر وهو ان تنظر الى الجبل الذي يرجف بك وبمن طلبت
الرؤية لاجلهم كيف افعل به وكيف اجعله دكا بسبب طلبك الرؤية لتستعظم ما اقدمت عليه بما اريك من عظم اثره كانه
عز وعلا حقق عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد اليه في قوله تعالى وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا فان
استقر مكانه كما كان مستقرا ثابتا ذاهبا في جهاته فسوف تراني تعليق لوجود الرؤية بوجود ما لا يكون من استقرار الجبل
مكانه حين يدكه دكا ويسويه بالارض وهذا كلام مدمج بعضه في بعض وارد على اسلوب عجيب ونمط بديع الا ترى كيف
تخلص من النظر الى النظر بكلمة الاستدراك ثم كيف بني الوعيد بالرجفة الكائنة بسبب طلب النظر على الشريطة في وجود الرؤية
اعني قوله تعالى فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهر له اقتداره وتصدى له امره وارادته جعله
دكا اي مدكوكا مصدر بمعنى مفعول كضرب الامير والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرئ دكاء والدكاء اسم
للرابية الناشزة من الارض كالدكة او ارضا دكاء مستوية ومنه قولهم ناقة دكاء متواضعة السنام وعن الشعبي
قال لي الربيع بن خثيم ابسط يدك دكاء اي مدها مستوية وقرأ يحيى بن وثاب دكا اي قطعا دكا جمع دكاء وخر موسى
صعقا من هول ما رأى وصعق من باب فعلته ففعل يقال صعقته فصعق واصله من الصاعقة ويقال لها الصاقعة اذا
ضربه على رأسه ومعناه خر مغشيا عليه غشية كالموت وروي ان الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه فجعلوا يلكزونه
بارجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض اطمعت في رؤية رب العزة فلما افاق من صعقته قال سبحانك انزهك مما لا
يجوز عليك من الرؤية وغيرها تبت اليك من طلب الرؤية وانا اول المؤمنين بانك لست بمرئي ولا مدرك
بشيء من الحواس فان قلت فان كان طلب الرؤية للغرض الذي ذكرته فمم تاب قلت من اجرائه تلك المقالة العظيمة وان
كان لغرض صحيح على لسانه من غير اذن فيه من الله فانظر الى اعظام الله امر الرؤية في هذه الآية وكيف ارجف الجبل بطالبيها
وجعله دكا وكيف اصعقهم ولم يخل كليمه من نفيان ذلك مبالغة في اعظام الامر وكيف سبح ربه ملتجئا اليه وتاب
من اجراء تلك الكلمة على لسانه وقال انا اول المؤمنين ثم تعجب من المتسمين بالاسلام المتسمين باهل السنة والجماعة
كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهبا ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة فانه من منصوبات اشياخهم والقول ما قال
بعض العدلية فيهم

لجماعة سموا هواهم سنة • وجماعة حمر لعمري موكفه •
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا • شنع الورى فتستروا بالبلكفه •

وتفسير آخر وهو ان يريد بقوله أرني انظر اليك عرفني
نفسك تعريفا واضحا جليا كانها اراءة في جلائها بآية مثل آيات القيامة التي تضطر الخلق الى معرفتك انظر اليك اعرفك
معرفة اضطرار كاني انظر اليك كما جاء في الحديث سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر بمعنى ستعرفونه معرفة جلية
هي في الجلاء كابصاركم القمر اذا امتلأ واستوى قال لن تراني اي لن تطيق معرفتي على هذه الطريقة ولن تحتمل قوتك تلك
الآية المضطرة ولكن انظر الى الجبل فاني اورد عليه واظهر له آية من تلك الآيات فان ثبت لتجليها واستقر مكانه
ولم يتضعضع فسوف تراني تثبت لها وتطيقها فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهرت له آية من آيات قدرته وعظمته

حله

جعله دكا وخر موسى صعقا لعظم ما رأى فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك مما اقترحت وتجاسرت وأنا أول المؤمنين
بعظمتك وجلالك وأن شيئا لا يقوم لبطشك وبأسك قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ
ما آتيتك وكن من الشاكرين اصطفيتك على الناس اخترتك على أهل زمانك وآثرتك عليهم برسالاتي وهي أسفار
التوراة وبكلامي وبتكليمي إياك فخذ ما آتيتك ما أعطيتك من شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين على النعمة
في ذلك فهي من أجل النعم وقيل خر موسى صعقا لعظم ما رأى فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك مما اقترحت وتجاسرت
يوم عرفة وأعطي التوراة يوم النحر فإن قلت كيف قيل اصطفيتك على الناس وكان هرون مصطفى مثله ونبيا
قلت أجل ولكنه كان تابعا له وردءا ووزيرا والكليم هو موسى والأصيل في حمل الرسالة وكتبنا له في الألواح
من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين ولم يذكر
عدد الألواح ولا في جوهرها وطولها أنها كانت عشرة ألواح وقيل سبعة وقيل لوحين وأنها كانت من زمرد جاء بها
جبريل عليه السلام وقيل من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء وقيل أمر الله موسى عليه الصلاة والسلام فقطعها بيده وشققها
بأصابعه وعن الحسن نزلت من السماء فيها التورية وأن طولها كانت عشرة أذرع وقوله من كل شيء في محل النصب
مفعول كتبنا وموعظة وتفصيلا بدل منه والمعنى كتبنا له كل شيء كان بنو إسرائيل محتاجين إليه في دينهم من المواعظ
وتفصيل الأحكام وقيل أنزلت التورية وهي سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها إلا أربعة نفر
موسى ويوشع وعزير وعيسى عليهم الصلاة والسلام أجمعين وعن مقاتل كتب في الألواح إني أنا الله الرحمن الرحيم
لا تشركوا بي شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا بي كاذبا فإن من حلف باسمي كاذبا فلا أزكيه ولا تقتلوا ولا تزنوا
ولا تعقوا الوالدين فخذها فقلنا له خذها عطفا على كتبنا ويجوز أن يكون بدلا من قوله فخذ ما آتيتك والضمير
في فخذها للألواح أو لكل شيء لأنه في معنى الأشياء أو للرسالات أو للتورية ومعنى بقوة بجد وعزيمة فعل أولي العزم من الرسل يأخذوا
بأحسنها أي فيها ما هو حسن وأحسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر فمرهم أن يحملوا على أنفسهم في الأخذ
بما هو أدخل في الحسن وأكثر للثواب كقوله تعالى واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم وقيل يأخذوا بما هو واجب أو ندب
لأنه أحسن من المباح ويجوز أن يراد يأخذوا بما أمروا به دون ما نهوا عنه على قولك الصيف أحر من الشتاء سأريكم
دار الفاسقين يريد دار فرعون وقومه وهي مصر كيف أقفرت منهم ودمروا لفسقهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل
فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم وقيل منازل عاد وثمود والقرون الذين أهلكهم الله لفسقهم في ممركم عليها في أسفاركم
وقيل دار الفاسقين نار جهنم وقرأ الحسن سأوريكم وهي لغة فاشية بالحجاز يقال أورني كذا وأوريته ووجهه
أن يكون من أوريت الزند كأن المعنى بينه وأنره لأستبينه وهي قراءة حسنة يصححها قوله وأورثنا القوم الذين
كانوا يستضعفون سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا
سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين سأصرف
عن آياتي بالطبع على قلوب المتكبرين وخذلانهم فلا يفكرون فيها ولا يعتبرون بها غفلة وانهماكا فيما يشغلهم عنها
من شهواتهم وعن الفضيل بن عياض ذكر لنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عظمت أمتي الدنيا نزع عنها هيبة
الإسلام وإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي وقيل سأصرفهم عن إبطالها وإن اجتهدوا
كما اجتهد فرعون أن يبطل آية موسى بأن جمع لها السحرة فأبى الله إلا علو الحق وانتكاس الباطل ويجوز سأصرفهم عنها وعن
الطعن فيها والاستهانة بها وتسميتها سحرا بإهلاكهم وفيه إنذار للمخاطبين من عاقبة الذين يصرفون عن الآيات لتكبرهم

كانت من خشب ع

ولطف هو بها لئلا يكونوا مثلهم فيسلك بهم سبيلهم • بغير الحق فيه وجهان • ان تكون حالا بمعنى يتكبرون غير محقين لان التكبر
بالحق لله وحده • وان يكون صلة لفعل التكبر • اي يتكبرون بما ليس بحق • وما هم عليه من دينهم • وان يروا كل اية من الايات
المنزلة عليهم لا يؤمنوا بها • وقرأ مالك بن دينار وان يروا بضم الياء • وقرئ سبيل الرشد والرشد والرشاد
كقولهم السقم والسقم والسقام • وما اسفه من ركب المفازة فان راى طريقا مستقيما اعرض عنه وتركه • وان راى
متعسفا مرديا اخذ فيه وسلكه فعلا نحو ذلك في دينه اسفه ذلك في محل الرفع او النصب على معنى ذلك الصرف بسبب
تكذيبهم او صرفهم الله ذلك الصرف بسببه • والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة حبطت اعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون
ولقاء الاخرة يجوز ان يكون اضافة المصدر الى المفعول به ولقائهم الاخرة ومشاهدتهم احوالها ومن اضافة المصدر الى
الظرف بمعنى ولقاء ما وعد الله في الاخرة • واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار الم يروا انه لا يكلمهم
ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين من بعده من بعد فراقه اياهم الى الطور • فان قلت لم قيل واتخذ قوم موسى عجلا
والمتخذ هو السامري • قلت فيه وجهان احدهما ان ينسب الفعل اليهم لان رجلا منهم باشره ووجد فيما بين اظهرهم كما
يقال بنو تميم قالوا كذا وفعلوا كذا • والقائل والفاعل واحد • ولانهم كانوا مريدين لاتخاذه راضين به فكانهم اجمعوا
عليه • والثاني ان يراد واتخذوه الها وعبدوه • وقرئ من حليهم بضم الحاء والتشديد جمع حلي كثدي وثدي
ومن حليهم بالكسر للاتباع كدلي • ومن حليهم على التوحيد • والحلي اسم ما يتحسن به من الذهب والفضة • فان قلت
لم قال من حليهم ولم يكن الحلي لهم وانما كانت عواري في ايديهم • قلت الاضافة تكون بادنى ملابسة • وكونها عواري
في ايديهم كفى به ملابسة • على انهم قد ملكوها بعد المهلكين • كما ملكوا غيرها من املاكهم • الا ترى الى قوله فاخرجناهم
من جنات وعيون • وكنوز ومقام كريم • كذلك واورثناها بني اسرائيل • جسدا ذا لحم ودم كسائر الاجساد • والخوار صوت
البقر • قال الحسن ان السامري قبض قبضة من تراب من اثر فرس جبريل • يوم قطع البحر فقذفه في في العجل
فكان عجلا له خوار • وقرأ علي رضي الله عنه جؤار بالجيم والهمز من جأر اذا صاح • وانتصاب جسدا على البدل
من عجلا • الم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام • ولا على هداية سبيل • حتى لا يختار على من لو كان البحر
مدادا لكلماته لنفد البحر قبل ان تنفد كلماته • وهو الذي هدى الخلق الى سبل الحق ومناهجه بما ركز في العقول
من الادلة • وبما انزل في كتبه • ثم ابتدأ فقال اتخذوه • اي اقدموا على ما اقدموا عليه من الامر المنكر • وكانوا ظالمين واضعين
كل شيء في غير موضعه • فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولا اول مناكيرهم • ولما سقط في ايديهم ورأوا انهم قد ضلوا قالوا
لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين • ولما سقط في ايديهم • ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لان
من شأن من اشتد ندمه وحسرته ان يعض يده غما • فتصير يده مسقوطا فيها • لان فاه قد وقع فيها • وسقط مسند
الى في ايديهم • وهو من باب الكناية • وقرأ ابو السميفع سقط في ايديهم على تسمية الفاعل اي وقع العض فيها •
وقال الزجاج معناه سقط الندم في ايديهم • اي في قلوبهم وانفسهم كما يقال حصل في يده مكروه • وان كان محالا
ان يكون في اليد • تشبيها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين • ورأوا انهم قد ضلوا وتبينوا
ضلالهم تبينا كانهم ابصروه بعيونهم • وقرئ لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا بالتاء • وربنا بالنصب على النداء • وهذا
كلام التائبين • كما قال ادم وحوا عليهما الصلاة والسلام • وان لم تغفر لنا وترحمنا •
ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي اعجلتم امر ربكم والقى الالواح واخذ برأس
اخيه يجره اليه قال ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين

الاسف الشديد الغضب فلما آسفونا انتقمنا منهم وقيل هو الحزين. خلفتموني قمتم مقامي وكنتم خلفائي من بعدي. وهذا الخطاب
اما ان يكون لعبدة العجل من السامري واشياعه او لوجوه بني اسرائيل وهم هرون عليه الصلاة والسلام والمؤمنون معه
ويدل عليه قوله اخلفني في قومي. والمعنى بئسما خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله او حيث لم تكفوا من
عبد غير الله. فان قلت اين ما يقتضيه بئس من الفاعل والمخصوص بالذم قلت الفاعل مضمر يفسره ما خلفتموني والمخصوص
بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم فان قلت اي معنى لقوله من بعدي بعد قوله
خلفتموني قلت معناه من بعد ما رأيتم مني من توحيد الله ونفي الشركاء عنه واخلاص العبادة له او من بعد ما
كنت احمل بني اسرائيل على التوحيد واكفهم عما طمحت نحوه ابصارهم من عبادة البقر حين قالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة
ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة المستخلف من بعده ولا يخالفوه. ونحوه قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف اي
بعد اولئك الموصوفين بالصفات الحميدة. يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام. ونقيضه تم عليه واعجله عنه غيره
ويضمن معنى سبق فيعدى تعديته فيقال عجلت الامر والمعنى اعجلتم عن امر ربكم وهو انتظار موسى عليه الصلاة والسلام
حافظين لعهده وما وصاكم به فبنيتم الامر على ان الميعاد قد بلغ آخره ولم ارجع اليكم فحدثتم انفسكم بموتي فغيرتم
كما غيرت الامم بعد انبيائهم. وروي ان السامري قال لهم حين اخرج لهم العجل وقال هذا الهكم واله موسى ان موسى
لن يرجع وانه قد مات. وروي انهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها اربعين. ثم احدثوا ما احدثوا. والقى
الالواح وطرحها لما لحقه من فرط الدهش وشدة الضجر عند استماعه حديث العجل غضبا لله وحمية لدينه. وكان
في نفسه حديدا شديد الغضب. وكان هرون الين منه جانبا. ولذلك كان احب الى بني اسرائيل من موسى. وروي
ان التوراة كانت سبعة اسباع فلما القى الالواح تكسرت فرفع منها ستة اسباعها وبقي سبع واحد وكان فيما رفع
تفصيل كل شيء وفيما بقي الهدى والرحمة. واخذ برأس اخيه اي بشعر رأسه يجره اليه بذؤابته. وذلك لشدة ما ورد
عليه من الامر الذي استفزه وذهب بفطنته وظنا باخيه انه فرط في الكف. ابن ام قرئ بالفتح تشبيها بخمسة عشر.
وبالكسر على طرح ياء الاضافة وابن امي بالياء. وابن اِمِّ بالكسر الهمزة والميم. وقيل كان اخاه لابيه وامه فان صح فانما اضافه
الى الام اشارة الى انهما من بطن واحد. وذلك ادعى الى العطف والرقة واعظم للحق الواجب ولانها كانت مؤمنة فاعتد
بنسبها ولانها هي التي قاست فيه المخاوف والشدائد فذكره بحقها. ان القوم استضعفوني يعني اني لم ابال جهدا في كفهم
بالوعظ والانذار وبما بلغته طاقتي من بذل القوة في مضادتهم حتى قهروني واستضعفوني. ولم يبق الا ان يقتلوني فلا
تشمت بي الاعداء ولا تفعل بي ما هو امنيتهم من الاستهانة بي والاساءة الي. وقرئ فلا تشمت بي الاعداء. على نهي الاعداء
عن الشماتة والمراد ان لا يحل بي ما يشمتون بي لاجله. ولا تجعلني مع القوم الظالمين ولا تجعلني في موجدتك
علي وعقوبتك لي قرينا لهم وصاحبا او ولا تعتقد اني واحد من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم. قال
رب اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين. قال لما اعتذر اليه اخاه وذكر له شماتة الاعداء
قال رب اغفر لي ولاخي ليرضي اخاه ويظهر لاهل الشماتة رضاه عنه. فلا تتم لهم شماتتهم واستغفر لنفسه مما فرط
منه الى اخيه ولاخيه ان عسى فرط في حسن الخلافة. وطلب ان لا يتفرقا عن رحمته ولا تزال منتظمة لهما في الدنيا
والآخرة. ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين
غضب من ربهم الغضب ما امروا به من قتل انفسهم. والذلة خروجهم من ديارهم لان ذل الغربة مثل مضروب.
وقيل هو ما نال ابناءهم وهم بنو قريظة والنضير من غضب الله بالقتل والجلاء ومن الذلة بضرب الجزية

المفترين المكذبين على الله ولا فرية اعظم من قول السامري هذا الهكم واله موسى ويجوز ان يتعلق في الحياة الدنيا بالذلة وحدها
ويراد سينالهم غضب في الاخرة وذلة في الحياة الدنيا كقوله تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله
والذين عملوا الصالحات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم والذين عملوا السيئات من الكفر
والمعاصي كلها ثم تابوا ثم رجعوا من بعدها واعتذروا اليه وآمنوا واخلصوا الايمان وان ربك من بعدها من بعد تلك
العظائم لغفور لستور عليهم محاء لما كان منهم رحيم منعم عليهم بالجنة وهذا حكم عام يدخل تحته متخذو العجل ومن
عداهم عظم جنايتهم اولا ثم اردفها بعظيم رحمته ليعلم ان الذنوب وان جلت وعظمت فان عفوه وكرمه
اعظم واجل ولكن لا بد من حفظ الشريطة وهي وجوب التوبة والانابة وما وراءه طمع فارغ واشعبية باردة لا يلتفت
اليها حازم ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون
ولما سكت عن موسى الغضب هذا مثل كان الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا والق
الالواح وجر برأس اخيك اليك فترك النطق بذلك وقطع الاغراء ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذي
طبع سليم وذوق صحيح الا لذلك لانه من قبيل شعب البلاغة والا فما لقراءة معاوية بن قرة ولما سكن عن موسى
الغضب لا تجد النفس عندها شيئا من تلك الهزة وطرفا من تلك الروعة وقرئ ولما سكت واسكت
اي اسكته الله او اخوه باعتذاره اليه وتنصله والمعنى ولما طفئ غضبه اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها وفيما
نسخ منها اي كتب والنسخة فعلة بمعنى مفعول كالخطبة ولربهم يرهبون دخلت اللام لتقدم المفعول لان تأخر
الفعل عن مفعوله يكسبه ضعفا ونحوه للرؤيا تعبرون وتقول لك ضربت واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا
فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك
تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين واختار موسى قومه اي
من قومه فحذف الجار واوصل الفعل كقوله منا الذي اختير الرجال سماحة وقيل اختار من اثني عشر سبطا
من كل سبط ستة حتى تتاموا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد منكم مثل
اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وروي انه لم يصب الا ستين شيخا فاوحى الله تعالى اليه ان تختار من الشبان
عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا وقيل كانوا ابناء ما عدا العشرين ولم يتجاوزوا الاربعين قد ذهب عنهم الجهل
والصبا فامرهم عليه السلام ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج بهم الى طور سيناء لميقات ربه
وكان امره ربه ان يأتيه في سبعين من بني اسرائيل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله
ودنا موسى ودخل فيه فقال للقوم ادنوا فدنوا حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجدا فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره
وينهاه افعل ولا تفعل فانكشف الغمام فاقبلوا اليه وطلبوا الرؤية فوعظهم وزجرهم وانكر عليهم فقالوا يا موسى
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فقال رب ارني انظر اليك يريد ان يسمعوا الرد والانكار من جهته فاجيب بلن تراني
ورجف بهم الجبل فصعقوا فلما اخذتهم الرجفة قال موسى رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي وهذا تمن منه للاهلاك
قبل ان يرى ما رأى من تبعة طلب الرؤية كما يقول النادم على الامر اذا رأى سوء المغبة لو شاء الله اهلكني قبل هذا
اتهلكنا بما فعل السفهاء منا يعني اتهلكنا جميعا يعني نفسه واياهم لانه انما طلب الرؤية زجرا للسفهاء وهم طلبوها سفها
وجهلا ان هي الا فتنتك اي محنتك وابتلاؤك حين كلمتني وسمعوا كلامك فاستدلوا بالكلام على الرؤية استدلالا
فاسدا حتى افتتنوا وضلوا تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء تضل بالمحنة الجاهلين غير الثابتين في معرفتك

وتهدي العالمين بك الثابتين بالقول الثابت وجعل ذلك اضلالا من الله وهدى منه لان محنته لما كانت سببا لان ضلوا
واهتدوا فكانه اضلهم بها وهداهم على الاتساع في الكلام ﴿انت ولينا﴾ مولانا القائم بامورنا ﴿واكتب لنا في هذه
الدنيا حسنة وفي الاخرة انا هدنا اليك قال عذابي اصيب به من اشاء ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين
يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم باياتنا يؤمنون﴾ واكتب لنا واثبت لنا واقسم ﴿في هذه الدنيا حسنة﴾ عافية
وحيوة طيبة او توفيقا في الطاعة ﴿وفي الاخرة﴾ الجنة ﴿هدنا اليك﴾ تبنا اليك وهاد اليه يهود اذا رجع وتاب
والهود جمع هائد وهو التائب ولبعضهم يا راكب الذنب هد هد واسجد كانك هدهد
وقرئ ابو وجرة السعدي هدنا اليك بكسر الهاء من هاده يهيده اذا حركه وامالة ويحتمل امرين ان
يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى حركنا اليك انفسنا وامِلنا ها اليك وامُلنا على تقدير فعلنا كقولك عدت
يا مريض بكسر العين فعلت من العيادة ويجوز عدت بالاشمام وعدت باخلاص الضمة فيمن قال عود المريض وقول
القول ويجوز على هذه اللغة ان يكون هدنا بالضم فعلنا من هاده يهيده ﴿عذابي﴾ من حاله وصفته اي
﴿اصيب به من اشاء﴾ اي من وجب علي في الحكمة تعذيبه ولم يكن العفو عنه سائغا لكونه مفسدة ﴿واما رحمتي﴾ فمن
حالها وصفها انها واسعة تبلغ كل شيء ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص الا وهو متقلب في نعمتي وقرأ
الحسن رحمه الله من اساء من الاساءة ﴿فساكتبها﴾ هذه الرحمة كتبة خاصة منكم يا بني اسرائيل للذين يكونون في اخر
الزمان من امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم بجميع كتبنا واياتنا يؤمنون ولا يكفرون بشيء منها ﴿الذين يتبعون الرسول
النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات
ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا
النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون﴾ الذين يتبعون الرسول الذي نوحي اليه كتابا مختصا به وهو القرآن النبي
صاحب المعجزات الذي يجدونه يجدون نعته ﴿و﴾ اولئك الذين يتبعونه من بني اسرائيل مكتوبا عندهم في التورية والانجيل
ويحل لهم الطيبات ما حرم عليهم من الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها او ما طاب في الشريعة والحكم مما ذكر اسم الله
عليه من الذبائح وما خلا كسبه من السحت ﴿ويحرم عليهم الخبائث﴾ ما يستخبث من نحو الدم والميتة ولحم الخنزير
وما اهل لغير الله به ﴿او﴾ ما خبث في الحكم كالربا والرشوة وغيرهما من المكاسب الخبيثة ﴿والاصر﴾ الثقل الذي يأصر
صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله وهو مثل لثقل تكليفهم وصعوبته نحو اشتراط قتل الانفس في صحة توبتهم ﴿و﴾ كذلك
الاغلال مثل لما كان في شرائعهم من الاشياء الشاقة نحو بت القضاء بالقصاص عمدا كان او خطأ من غير شرع
الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم العروق في اللحم
وتحريم السبت وعن عطاء كانت بنو اسرائيل اذا قامت تصلي لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب الرجل
ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة وقرئ اصارهم على الجمع ﴿وعزروه﴾
ومنعوه حتى لا يقوى عليه عدو وقرئ بالتخفيف واصل العزر المنع ومنه التعزير للضرب دون الحد لانه منع
من معاودة القبيح الا ترى الى تسميته الحد والحد هو المنع ﴿والنور﴾ والقرآن فان قلت ما معنى قوله انزل معه وانما
انزل مع جبريل قلت معناه انزل مع نبوته لان استنباءه كان مصحوبا بالقرآن مشفوعا به ويجوز ان يعلق باتبعوا
القرآن المنزل مع اتباع النبي عليه الصلاة والسلام والعمل بسنته وبما امر به ونهى عنه او واتبعوا القرآن كما اتبعه
مصاحبين له في اتباعه فان قلت كيف انطبق هذا الجواب على قول موسى عليه الصلاة والسلام ودعائه قلت

لما دعا لنفسه ولبني اسرايل اجيب بما هو منطو على توبيخ بني اسرايل على استجازتهم الرؤية على الله وعلى كفرهم بايات الله العظام التي اجراها على
يد موسى وعرض بذلك في قوله تعالى الذين هم باياتنا يومنون واريد ان يكون استماع اوصاف اعقابهم الذين امنوا برسول الله
وبما جاء به كعبد الله بن سلام رضي الله عنه وغيره من اهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا في اخلاص المومنين الايمان والعمل الصالح
وفي ان يحشروا معهم ولا يفرق بينهم وبين اعقابهم في رحمة الله التي وسعت كل شي قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم
جميعا الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يومن بالله
وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون اني رسول الله اليكم جميعا قيل بعث كل رسول الى قومه خاصة وبعث محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى كافة الانس وكافة الجن وجميعا نصب على الحال من اليكم فان قلت الذي له ملك السموات والارض
ما محله قلت الاحسن ان يكون منتصبا باضمار اعني وهو الذي يسمى النصب على المدح ويجوز ان يكون جرا على الوصف
وان حيل بين الصفة والموصوف بقوله اليكم جميعا وقوله لا اله الا هو بدل من الصلة التي هي له ملك السموات
والارض وكذلك يحيي ويميت وفي لا اله الا هو بيان للجملة قبلها لان من ملك العالم كان هو الاله على الحقيقة
وفي يحيي ويميت بيان لاختصاصه بالالاهية لانه لا يقدر على الاحيا والاماتة غيره وكلماته وما انزل
عليه وعلى من تقدمه من الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على الافراد وهي القران او اراد جنس ما كلم به وعن
مجاهد اراد عيسى بن مريم وقيل هي الكلمة التي تكون عنها عيسى وجميع خلقه وهي قوله كن وانما قيل ان عيسى كلمة الله
فخص بهذا الاسم لانه لم يكن لكونه سبب غير الكلمة ولم يكن من نطفة تمنى ولعلكم تهتدون ارادة ان تهتدوا فان
قلت هلا قيل فامنوا بالله وبي بعد قوله اني رسول الله اليكم قلت عدل عن المضمر الى الاسم الظاهر لتجري عليه
الصفات التي اجريت عليه ولما في طريقة الالتفات من مزية البلاغة وليعلم ان الذي وجب الايمان به واتباعه
هو هذا الشخص المستقل بانه النبي الامي الذي يومن بالله وكلماته كائنا من كان انا او غيري اظهارا للنصفة
وتفاديا من العصبية لنفسه ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون ومن قوم موسى امة هم المومنون
التائبون على الاباء من بني اسرايل لما ذكر الذين تزلزلوا منهم في الدين وارتابوا حتى اقدموا على العظيمتين عبادة
العجل واستجازة رؤية الله ذكر ان منهم امة موقنين ثابتين يهدون الناس بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة
ويرشدونهم وبالحق يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون او اراد الذين وصفهم ممن ادرك النبي عليه الصلاة والسلام
وامن به من اعقابهم وقيل ان بني اسرايل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرا سبط منهم مما صنعوا
واعتذروا وسالوا الله ان يفرق بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا
من وراء الصين وهم هنالك حنفاء مسلمين يستقبلون قبلتنا وذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جبريل
عليه الصلاة والسلام ذهب به ليلة الاسرا نحوهم فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال
محمد النبي الامي فامنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا من ادرك منكم احمد فليقرا عليه مني السلام فرد محمد
على موسى عليهما الصلاة والسلام السلام ثم اقراهم عشر سور نزلت بمكة ولم تكن نزلت فريضة غير الصلاة والزكوة
وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت وعن مسروق قرئ بين يدي عبد الله
فقال رجل اني منهم فقال عبد يعني لمن كان في مجلسه من المومنين وهل يزيد صالحكم عليهم شيئا من يهدي بالحق
وبه يعدل وقيل لو كان في طرف من الدنيا متمسكين بشريعة ولم يبلغهم نسخها كانوا معذورين وهذا من باب
الفرض والتقدير والا فقد طار الخبر بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم الى كل افق وتغلغل في كل نفق ولم يبق الله اهل

مدر

مدر ولا وبر ولا سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر في مشارق الارض ومغاربها الا وقد القاه اليهم وملأ به مسامعهم والزمهم به الحجة وهو سائلهم عنه يوم القيمة وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا امما واوحينا الى موسى اذ استسقه قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون وقطعناهم وصيرناهم قطعا اي فرقا وميزنا بعضهم من بعض لقلة الالفة بينهم وقرئ وقطعناهم بالتخفيف اثنتي عشرة اسباطا كقولك اثنتي عشرة قبيلة والاسباط اولاد الولد جمع سبط وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولدا من ولد يعقوب عليه الصلاة فان قلت مميز ما عدا العشرة مفرد فما وجه مجيئه مجموعا وهلا قيل اثني عشر سبطا قلت لو قيل ذلك لم يكن تحقيقا لان المراد وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة وكل قبيلة سبط لا اسباط فوضع اسباطا موضع قبيلة ونظيره ۔ بين رماحي مالك ونهشل ۔ وامما بدل من اثنتي عشرة بمعنى وقطعناهم امما لان كل اسباط كانت امة عظيمة وجماعة كثيفة العدد وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الاخرى لا تكاد تأتلف وقرئ اثنتي عشرة بكسر الشين فانبجست فانفجرت والمعنى واحد وهو الانفتاح بسعة وكثرة قال العجاج ۔ وكيف غربي دالج تبجسا ۔ فان قلت هلا قيل فضرب فانبجست قلت لعدم الالباس وليجعل الانبجاس مسببا عن الايحاء بضرب الحجر للدلالة على ان الموحى اليه لم يتوقف عن اتباع الامر وانه من انتفاء الشك عنه بحيث لا حاجة الى الافصاح به وقوله كل اناس نظير قوله اثنتي عشرة اسباطا يريد كل امة من تلك الامم الثنتي عشرة والاناس اسم جمع غير تكسير نحو رخال وثناء وتؤام واخوات لها ويجوز ان يقال ان الاصل الكسر والتكسير والضمة بدل من الكسرة كما ابدلت في نحو سكارى وغيارى من الفتحة وظللنا عليهم الغمام وجعلناه ظليلا عليهم في التيه وكلوا على ارادة القول وما ظلمونا وما رجع الينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم ولكن كانوا يضرون انفسهم ويرجع وبال ظلمهم اليهم واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون واذ قيل لهم واذكر اذ قيل لهم والقرية بيت المقدس فان قلت كيف اختلفت العبارة هاهنا وفي سورة البقرة قلت لا بأس باختلاف العبارتين اذا لم يكن هناك تناقض ولا تناقض بين قوله اسكنوا هذه القرية فكلوا منها وبين قوله وكلوا اذا سكنوا القرية فتسببت سكناهم للاكل منها فقد جمعوا في الوجود بين سكناها والاكل منها وسواء قدموا الحطة على دخول الباب او اخروها فهم جامعون في الايجاد بينهما وترك ذكر الرغد لا يناقض اثباته وقوله نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين موعد بشيئين بالغفران وبالزيادة وطرح الواو لا يخل بذلك لانه استئناف مرتب على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين وكذلك زيادة منهم زيادة بيان وارسلنا وانزلنا ويظلمون ويفسقون من واد واحد وقرئ نغفر لكم خطيئاتكم وتغفر لكم خطاياكم وخطيئاتكم وخطيئتكم على البناء للمفعول واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون وسلهم عن القرية وسل اليهود وقرئ واسلهم وهذا السؤال معناه التقرير والتقريع بقديم كفرهم وتجاوزهم حدود الله والاعلام بان هذا من علومهم التي لا تعلم الا بكتا

أو وحي فإذا أعلمهم به من لم يقرأ كتابهم علم أنه من جهة الوحي ونظيره همزة الاستفهام التي يراد بها التقرير في قولك
أعدوتم في السبت والقرية أيلة وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية وعن أبي عمرو بن
العلاء ما رأيت قرويين أفصح من الحسن والحجاج يعني رجلين من أهل المدن حاضرة البحر قريبة منه راكبة
لشاطئه إذ يعدون في السبت إذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت وقد نهوا عنه وقرئ
يعدون بمعنى يعتدون أدغمت التاء في الدال ونقلت حركتها إلى العين ويعدون من الإعداد وكانوا يعدون
آلات الصيد يوم السبت وهم مأمورون بأن لا يشتغلوا فيه بغير العبادة والسبت مصدر سبتت اليهود إذا عظمت
سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعبد فمعناه يعدون في تعظيم هذا اليوم وكذلك قوله يوم سبتهم يوم تعظيمهم
أمر السبت ويدل عليه قوله تعالى ويوم لا يسبتون وقراءة عمر بن عبد العزيز ويوم إسباتهم وقرئ لا يسبتون بضم
الباء وقرأ علي رضي الله عنه يوم لا يسبتون بضم الياء من أسبتوا وعن الحسن لا يسبتون على البناء للمفعول أي
لا يدار عليهم السبت ولا يؤمرون بأن يسبتوا فإن قلت إذ يعدون وإذ تأتيهم ما محلهما من الإعراب قلت
أما الأول فمجرور بدل من القرية والمراد بالقرية أهلها كأنه قيل وسلهم عن أهل القرية وقت عدائهم في السبت وهو
بدل الاشتمال ويجوز أن يكون منصوبا بكانت أو بحاضرة البحر وأما الثاني فمنصوب بيعدون في السبت
ويجوز أن يكون بدلا بعد بدل والحيتان السمك وأكثر ما تستعمل العرب الحوت في معنى السمكة شرعا
ظاهرة على وجه الأرض وعن الحسن تشرع على أبوابهم كأنها الكباش البيض يقال شرع علينا فلان إذا دنا
منا وأشرف علينا وشرعت على فلان في بيته فرأيته يفعل كذا وكذلك نبلوهم مثل ذلك البلاء الشديد
نبلوهم بسبب فسقهم وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة
إلى ربكم ولعلهم يتقون وإذ قالت معطوف على إذ يعدون وحكمه حكمه في الإعراب أمة منهم جماعة من أهل القرية
من صلحائهم الذين ركبوا الصعب والذلول في موعظتهم حتى أيسوا من قبولهم لآخرين كانوا لا يقلعون عن وعظهم
لم تعظون قوما الله مهلكهم أي مخترمهم ومطهر الأرض منهم أو معذبهم عذابا شديدا لتماديهم في الشر وإنما قالوا
ذلك لعلمهم أن الوعظ لا ينفع فيهم قالوا معذرة إلى ربكم أي موعظتنا إبلاء عذر إلى الله ولئلا ننسب في النهي
عن المنكر إلى بعض التفريط ولعلهم يتقون ولطمعنا في أن يتقوا بعض الاتقاء وقرئ معذرة بالنصب أي وعظناهم
معذرة إلى ربكم أو اعتذرنا معذرة فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا
بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فلما نسوا يعني أهل القرية فلما تركوا ما ذكرهم به الصالحون ترك الناسي لما ينساه
أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الظالمين الراكبين للمنكر فإن قلت الأمة الذين قالوا لم تعظون من أي الفريقين
هم أمن فريق الناجين أم المعذبين قلت من فريق الناجين لأنهم من فريق الناهين وما قالوا ما قالوا إلا
سائلين عن علة الوعظ والغرض فيه حيث لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم وإذا علم الناهي حال
المنهي وأن النهي لا يؤثر فيه سقط عنه النهي وربما وجب الترك لدخوله في باب العبث ألا ترى أنك لو ذهبت
إلى المكاسين القاعدين على المآصر والجلادين المرتبين للتعذيب لتعظهم وتكفهم عما هم فيه كان ذلك عبثا
منك ولم يكن إلا سببا للتلهي بك وأما الآخرون فإنهم لم يعرضوا عنهم إما لأن يأسهم لم يستحكم كما استحكم يأس
الأولين ولم يخبروهم كما خبروهم أو لفرط حرصهم وجدهم في أمرهم كما وصف الله رسوله في قوله فلعلك باخع
نفسك وقيل الأمة هم الموعوظون لما وعظوا قالوا للواعظين لم تعظون منا قوما تزعمون أن الله مهلكهم أو معذبهم

وعن

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال ليت شعري ما فعل بهؤلاء الذين قالوا لم تعظون قوما قال عكرمة فقلت جعلني الله
فداك الا ترى انهم كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم فلم ازل به حتى عرفته انهم قد نجوا
وعن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة ومن الذين اخذوا الحيتان وروي ان اليهود لعنهم الله امروا باليوم الذي
امرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد وامروا بتعظيمه فكانت الحيتان
تأتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا كأنها المخاض لا يرى الماء من كثرتها ويوم لا يسبتون لا تأتيهم فكانوا كذلك برهة
من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا يسوقون الحيتان اليها يوم السبت
فلا تقدر على الخروج منها وياخذونها يوم الاحد واخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا الى خشبة في الساحل
ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع في تنوره فقال له اني ارى الله سيعذبك فلما لم يره عذب اخذ في السبت
القابل حوتين فلما راوا ان العذاب لا يعاجلهم صادوا واكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين الفا فصار اهل
القرية اثلاثا ثلث نهوا وكانوا نحوا من اثني عشر الفا وثلث قالوا لم تعظون قوما وثلث هم اصحاب الخطيئة فلما
لم ينتهوا قال المسلمون انا لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه الصلاة والسلام
فاصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان للناس شأنا فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة
ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القرود انسباءهم من الانس والانس لا يعرفون انسباءهم من القرود فجعل القرد
ياتي نسيبه فيشم ثيابه ويبكي فيقول الم ننهكم فيقول برأسه بلى وقيل صار الشبان قردة والشيوخ خنازير وعن الحسن
اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا في الدنيا واطولها عذابا في الآخرة هاه وايم الله ما حوت اخذه قوم
فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة ادهى وامر بئيس شديد يقال بؤس يبؤس باسا اذا
اشتد فهو بئيس وقرئ بئس بوزن حذر وبئس على تخفيف العين ونقل حركتها الى الفاء كما يقال كبد في كبد وبيس
على قلب الهمزة ياء كذيب في ذئب وبيئس على فيعل بكسر الهمزة وفتحها وبئيس بوزن رئيس على قلب همزة بئيس ياء وادغام
الياء فيها وبيس على تخفيف بيس كهين في هين وبائس على فاعل **فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين**
فلما عتوا عما نهوا عنه فلما تكبروا وابوا ان يتركوا ما نهوا عنه كقوله تعالى وعتوا عن امر ربهم فقلنا لهم كونوا قردة
عبارة عن مسخهم قردة كقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون والمعنى ان الله عذبهم اولا
بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ **واذ تأذن
ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم** تأذن
ربك عزم ربك وهو تفعل من الايذان وهو الاعلام لان العازم على الامر يحدث به نفسه ويؤذنها بفعله
واجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بما يجاب به القسم وهو قوله ليبعثن والمعنى واذ حتم
ربك وكتب على نفسه ليبعثن على اليهود الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب فكانوا يؤدون الجزية الى المجوس
الى ان بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم الى آخر الدهر ومعنى ليبعثن عليهم ليسلطن
عليهم كقوله تعالى بعثنا عليكم عبادا لنا اولي بأس شديد **وقطعناهم في الارض امما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك
وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون** وقطعناهم في الارض امما وفرقناهم فلا يكاد يخلو بلد من فرقة منهم
منهم الصالحون الذين آمنوا بالمدينة او الذين وراء الصين ومنهم دون ذلك ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنهم
وهم الكفرة والفسقة فان قلت ما محل دون ذلك قلت الرفع وهو صفة لموصوف محذوف ومعناه ومنهم ناس منحطون

عن الصلاح ونحوه • وما منا الا له مقام معلوم • بمعنى وما منا احد الا له مقام • وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم ينتهون فيتوبون • فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون • فخلف من بعد المذكورين خلف وهم الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم • ورثوا الكتاب التوراة بقيت في أيديهم بعد سلفهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها من الاوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولا يعملون بها • يأخذون عرض هذا الأدنى أي حطام هذا الشيء الأدنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها • وفي قوله هذا الأدنى تخسيس وتحقير • والأدنى إما من الدنو بمعنى القرب لأنه عاجل قريب • وإما من دنو الحال وسقوطها وقلتها • والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشى في الأحكام وعلى تحريف الكلم للتسهيل على العامة • ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بما أخذنا • وفاعل سيغفر لنا لا يؤخذنا الله بما أخذنا وفاعل سيغفر لنا الجار والمجرور وهو لنا • ويجوز أن يكون الأخذ الذي هو مصدر يأخذون • وان يأتهم عرض مثله يأخذوه الواو للحال • أي يرجون المغفرة وهم مصرون عائدون الى مثل فعلهم غير تائبين • وغفران الذنوب لا يصح الا بالتوبة والمصر لا غفران له • ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب يعني قوله في التوراة • من ارتكب ذنبا عظيما فانه لا يغفر الا بالتوبة • ودرسوا ما فيه في الكتاب من اشتراط التوبة في غفران الذنوب • والذي عليه المجبرة هو مذهب اليهود بعينه كما ترى • وعن مالك بن دينار • يأتي على الناس زمان • ان قصروا عما أمروا به قالوا سيغفر لنا لأنا لم نشرك بالله شيئا • كل أمرهم الى الطمع خيارهم فيه المداهنة • فهؤلاء من هذه الأمة أشباه الذين ذكرهم الله • وتلا هذه الآية • والدار الآخرة خير من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون الرشى ومحارم الله • وقرئ درسوا الكتاب • وقرئ ألا تقولوا بالتاء • وادارسوا بمعنى تدارسوا • وأفلا تعقلون بالياء والتاء • فان قلت ما موقع قوله ألا يقولوا على الله الا الحق • قلت هو عطف بيان لميثاق الكتاب • ومعنى ميثاق الكتاب الميثاق المذكور في الكتاب • وفيه أن اثبات المغفرة بغير توبة خروج عن ميثاق الكتاب وافتراء على الله وتقول عليه بما ليس بحق • وان فسر ميثاق الكتاب بما تقدم ذكره كان أن لا يقولوا مفعولا له • ومعناه لئلا يقولوا • ويجوز أن يكون مفسرة • ولا تقولوا نهيا كأنه قيل الم يقل لهم لا تقولوا على الله الا الحق • فان قلت علام عطف قوله ودرسوا ما فيه • قلت على ألم يؤخذ عليهم لأنه تقرير • فكأنه قيل أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه • والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلوة انا لا نضيع أجر المصلحين • والذين يمسكون بالكتاب فيه وجهان • أحدهما أن يكون مرفوعا بالابتداء وخبره انا لا نضيع أجر المصلحين • والمعنى انا لا نضيع أجرهم لأن المصلحين في معنى الذين يمسكون بالكتاب • كقوله تعالى • ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا • والثاني أن يكون مجرورا عطفا على الذين يتقون • ويكون قوله انا لا نضيع اعتراضا • وقرئ يمسكون بالتشديد • وتنصره قراءة أبي • والذين مسكوا بالكتاب • فان قلت التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة ومنها اقامة الصلوة فكيف أفردت • قلت اظهارا لمزية الصلوة لكونها عماد الدين • وفارقة بين الكفر والايمان • وقراءة ابن مسعود والذين استمسكوا بالكتاب • واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون • واذ نتقنا الجبل فوقهم قلعناه ورفعناه • كقوله تعالى • ورفعنا فوقكم الطور • ومنه نتق السقاء اذا نفضه ليقتلع الزبدة منه • والظلة كل ما أظلك من سقيفة أو سحاب • وقرئ بالطاء من أطل عليه اذا أشرف • وظنوا أنه واقع بهم • وعلموا أنه ساقط عليهم • وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لغلظها وثقلها • فرفع الله ذلك الطور على رؤوسهم مقدار عسكرهم • وكان فرسخا في فرسخ • وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن عليكم •

بلا

فلما نظروا الى الجبل خر كل واحد منهم ساجداً على حاجبه الأيسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقاً من سقوطه فلذلك لا
ترى يهودياً يسجد الا على حاجبه الأيسر ويقولون هي السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة ولما نشر موسى عليه الصلاة
والسلام الالواح وفيها كتاب الله لم يبق جبل ولا شجر ولا حجر الا اهتز فلذلك لا ترى يهودياً يقرأ عليه التورية
الا اهتز وانغض لها رأسه خذوا ما آتيناكم على ارادة القول اي وقلنا خذوا ما آتيناكم او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب
بقوة وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه واذكروا ما فيه من الاوامر والنواهي ولا تنسوه او واذكروا ما فيه من التعريض
للثواب العظيم فارغبوا فيه ويجوز ان يراد خذوا ما آتيناكم من الآية العظيمة بقوة ان كنتم تطيقونه كقوله تعالى
ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون واذكروا ما فيه من الدلالة على القدرة الباهرة
والانذار لعلكم تتقون ما انتم عليه وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه وتذكروا وقرئ واذكروا بمعنى وتذكروا
وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة
إنا كنا عن هذا غافلين من ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض من الكل ومعنى أخذ ذرياتهم من ظهورهم اخراجهم من
اصلابهم نسلاً واشهادهم على انفسهم وقوله تعالى ألست بربكم قالوا بلى شهدنا من باب التمثيل والتخييل ومعنى ذلك انه نصب
لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة
والهدى فكأنه اشهدهم على انفسهم وقررهم وقال لهم ألست بربكم وكأنهم قالوا بلى انت ربنا شهدنا على
انفسنا واقررنا بوحدانيتك وباب التمثيل واسع في كلام الله ورسوله وفي كلام العرب ونظيره قوله عز
وعلا إنما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وقوله فقال لها وللارض ائتيا طوعاً او كرهاً قالتا أتينا
طائعين وقوله اذ قالت الانساع للبطن الحق وقالت له ريح الصبا قرقار
ومعلوم انه لا قول ثم وانما هو تمثيل وتصوير للمعنى أن تقولوا مفعول له اي فعلنا ذلك من نصب الادلة
الشاهدة على صحتها العقول كراهة ان تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين لم تنبه عليه او كراهة ان تقولوا انما
اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان نصب الادلة على التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم فلا عذر
لهم في الاعراض عنه والاقبال على التقليد والاقتداء بالآباء كما لا عذر لآبائهم في الشرك وادلة التوحيد منصوبة
لهم فان قلت بنو آدم وذرياتهم من هم قلت عنى ببني آدم اسلاف اليهود الذين اشركوا بالله حيث قالوا عزير
ابن الله وبذرياتهم الذين كانوا في عهد رسول الله المقتدين بآبائهم والدليل على انها في المشركين واولادهم قوله
تعالى او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل والدليل على انها في اليهود الآيات التي عطفت عليها هي والتي عطفت عليها
وهي على نمطها واسلوبها وذلك قوله واسألهم عن القرية واذ قالت امة منهم واذ تأذن ربك واذ نتقنا
الجبل فوقهم واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا
بما فعل المبطلون وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون أفتهلكنا بما فعل المبطلون اي كانوا السبب في شركنا لتأسيسهم
الشرك وتقدمهم فيه وتركه سنة لنا وكذلك ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الآيات لهم ولعلهم يرجعون وارادة
ان يرجعوا عن شركهم نفصلها وقرئ ذريتهم على التوحيد وان يقولوا بالياء واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا
فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين واتل على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها هو عالم من
علماء بني اسرائيل وقيل من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعوراء اوتي علم بعض كتب الله فانسلخ منها من الآيات بان كفر بها ونبذها
وراء ظهره فأتبعه الشيطان فلحقه الشيطان وادركه وصار قريناً له او فأتبعه خطواته وقرئ فاتبعه بمعنى تبعه

اليهود

وقرئ فاتبعه بمعنى فتبعه وكان من الغاوين فصار من الضالين الكافرين • روي ان قومه طلبوا اليه ان يدعو على موسى ومن معه فأبى وقال كيف ادعو على من معه الملائكة فالحوا عليه ولم يزالوا به حتى فعل ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ولو شئنا لرفعناه بها لعظمناه ورفعناه الى منازل الابرار من العلماء بتلك الآيات ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا ورغب فيها وقيل مال الى السفالة فان قلت كيف علق بمشيئة الله ولم يعلق بفعله الذي يستحق به الرفع قلت المعنى ولو لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك ان مشيئة الله تابعة للزومه الآيات فذكرت المشيئة والمراد ما هي تابعة له ومسببة عنه كانه قيل ولو لزمها لرفعناه بها • الا ترى الى قوله ولكنه اخلد الى الارض فاستدرك المشيئة باخلاده الذي هو فعله فوجب ان يكون ولو شئنا في معنى ما هو فعله ولو كان الكلام على ظاهره لوجب ان يقال ولو شئنا لرفعناه ولكنا لم نشأ • فمثله كمثل الكلب • فصفته التي هي مثل في الخسة والضعة كصفة الكلب في اخس احواله واذلها وهي حال دوام اللهث الا اذا هيج منه به واتصاله سوا احمل عليه اي شد عليه وهيج فطرد او ترك غير متعرض له بالحمل عليه • وذلك ان سائر الحيوان لا يكون منه اللهث الا اذا هيج منه وحرك والا لم يلهث • والكلب يتصل لهثه في الحالتين جميعا وكان حق الكلام ان يقال ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض فحططناه ووضعنا منزلته فوضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع فحططناه ابلغ حط لان تمثيله بالكلب في اخس احواله واذلها في معنى ذلك • وعن ابن عباس رضي الله عنهما الكلب منقطع الفؤاد يلهث ان حمل عليه او لم يحمل عليه • وقيل ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال كالكلب ان طردته تسعى لهث وان تركته على حاله لهث • فان قلت ما محل الجملة الشرطية قلت معناه النصب على الحال كانه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا في الحالتين • وقيل لما دعا بلعم بن باعورا على موسى عليه الصلاة والسلام خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وانفسهم كانوا يظلمون من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا من اليهود بعد ما قرأوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التورية وذكر القرآن المعجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فاقصص القصص قصص بلعم الذي هو نحو قصصهم لعلهم يتفكرون فيحذرون مثل عاقبته اذا ساروا نحو سيرته وزاغوا شبه زيغه ويعلمون انك علمته من جهة الوحي فيزدادوا ايقانا بك وتزداد الحجة لزوما لهم • ساء مثلا القوم اي مثل القوم او ساء اصحاب مثل القوم • وقرئ الجحدري ساء مثل القوم وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون معطوفا على كذبوا فيدخل في حيز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم انفسهم واما ان يكون كلاما منقطعا عن الصلة بمعنى وما ظلموا الا انفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول به للاختصاص كانه قيل وخصوا انفسهم بالظلم لم يتعدها الى غيرها فهو المهتدي حمل على اللفظ واولئك هم الخاسرون حمل على المعنى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون كثيرا من الجن والانس هم المطبوع على قلوبهم الذين علم الله انه لا لطف لهم • وجعلهم في انهم لا يلقون اذهانهم الى معرفة الحق • ولا ينظرون بعيونهم الى ما خلق الله نظر اعتبار • ولا يسمعون ما يتلى عليهم من آيات الله سماع تدبر كانهم عدموا فهم القلوب وابصار العيون واسماع الآذان • وجعلهم لاغراقهم في الكفر وشدة شكائمهم فيه • وانه لا يأتي منهم الا افعال اهل النار

مخلوقين

مخلوقين للنار دلالة على توغلهم في الموجبات وتمكنهم فيما يؤهلهم لدخول النار ومنه كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الى خالد بن الوليد رضي الله عنه بلغني ان اهل الشام اتخذوا لك دلوكا عجن بخمر واني لا اظنكم آل المغيرة ذرء النار ويقال
لمن كان عريقا في بعض الامور ما خلق فلان الا لكذا والمراد وصف حال اليهود في عظم ما اقدموا عليه من تكذيب رسول
الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم انه النبي الموعود وانهم من جملة الكثير الذين لا يكاد الايمان يتأتى منهم كانهم خلقوا للنار
اولئك كالانعام في عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتدبر بل هم اضل من الانعام عن الفقه والاعتبار والتدبر
اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة وقيل الانعام تبصر منافعها ومضارها فتلزم بعض ما تبصره وهؤلاء
اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا
يعملون وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون ولله الاسماء الحسنى التي هي احسن الاسماء لانها تدل على معان
حسنة من تحميد وتقديس وغير ذلك فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه واتركوا
تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الاسماء الحسنى وذلك ان يسموه بما لا يجوز عليه كما سمعنا
البدو يقولون بجهلهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه يا سخي او ان يأبوا تسميته ببعض اسمائه الحسنى نحو ان يقولوا
يا الله ولا يقولون يا رحمن وقد قال الله عز وجل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله
الاسماء الحسنى ويجوز ان يراد ولله الاوصاف الحسنى وهي الوصف بالعدل والخير والاحسان وانتفاء شبه الخلق
فصفوه بها وذروا الذين يلحدون في اوصافه فيصفونه بمشيئة القبائح وخلق الفحشاء والمنكر وبما يدخل في التشبيه
كالرؤية ونحوها وقيل الحادهم في اسمائه تسميتهم الاصنام آلهة واشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز
لما قال ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا اخبر ان كثيرا من الثقلين عاملون بعمل اهل النار اتبعه قوله وممن خلقنا امة
يهدون بالحق وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد اعطي القوم بين ايديكم مثلها
ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وعنه صلى الله عليه وسلم ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى عليه الصلاة والسلام
وعن الكلبي هم الذين آمنوا من اهل الكتاب وقيل هم العلماء والدعاة الى الدين والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون واملي لهم ان كيدي متين الاستدراج استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد والاستنزال درجة
قال الاعشى فلو كنت في جب ثمانين قامة ورقيت اسباب السماء بسلم
ليستدرجنك القول حتى تهره وتعلم اني عنكم غير مفحم
ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه وادرج الكتاب طواه شيئا بعد شيء ودرج القوم اذا مات بعضهم
في اثر بعض ومعنى سنستدرجهم سنستدنيهم قليلا قليلا الى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون
ما يراد بهم وذلك ان يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغي فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا
معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين ان مواترة النعم اثرة من الله وتقريب وخذلان منه
وتبعيد فهو استدراج الله نعوذ بالله منه واملي لهم عطف على سنستدرجهم وهو داخل في حكم السين ان كيدي
متين سماه كيدا لانه شبيه بالكيد من حيث انه في الظاهر احسان وفي الحقيقة خذلان اولم يتفكروا ما بصاحبهم
من جنة ان هو الا نذير مبين اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء وان عسى ان يكون
قد اقترب اجلهم فباي حديث بعده يؤمنون من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون
ما بصاحبهم محمد صلى الله عليه وسلم من جنة من جنون وكانوا يقولون شاعر مجنون وعن قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم

على الصفا فدعاهم فخذاً فخذاً يحذرهم بأس الله فقال قائلهم إن صاحبكم هذا لمجنون بات يهوّت إلى الصباح ﴿أولم
ينظروا﴾ نظر استدلال ﴿في ملكوت السموات والأرض﴾ فيما تدل عليه من عظم الملك والملكوت الملك العظيم ﴿وما
خلق الله من شيء﴾ وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم الشيء من أجناس لا يحصرها العدد ولا يحيط بها الوصف ﴿وأن عسى﴾ مخففة من
الثقيلة والأصل وأنه عسى على أن الضمير ضمير الشأن والمعنى أولم ينظروا في الشأن والحديث ﴿عسى أن يكون قد اقترب
أجلهم﴾ ولعلهم يموتون عما قريب فيسارعون إلى النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مغافصة الأجل وحلول العقاب
ويجوز أن يراد باقتراب الأجل ويكون من كان التي فيها ضمير الشأن فإن قلت بم يتعلق ﴿فبأي حديث
بعده يؤمنون﴾ قلت بقوله عسى أن يكون قد اقترب أجلهم كأنه قيل لعل أجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون إلى
الإيمان بالقرآن قبل الموت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وبأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا وقرئ
ويذرهم بالياء والنون والرفع على الاستئناف ويذرهم بالياء والجزم عطفاً على محل فلا هادي له كأنه قيل من يضلل
الله لا يهده أحد ويذرهم ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت
في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا﴾
يسألونك قيل إن قوماً من اليهود قالوا يا محمد أخبرنا متى الساعة إن كنت نبياً فإنا نعلم متى هي وكان ذلك امتحاناً
منهم مع علمهم أن الله تعالى قد استأثر بعلمها وقيل السائلون قريش والساعة من الأسماء الغالبة كالنجم للثريا
وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها أو على العكس لطولها أو لأنها عند الله على طولها كساعة
من الساعات عند الخلق ﴿أيان﴾ بمعنى متى وقيل اشتقاقه من أي فعلان منه لأن معناه أي وقت وأي فعل من أويت
إليه لأن البعض آو إلى الكل متساند إليه قاله ابن جني وأبى أن يكون من أين لأنه زمان وأين مكان وقرأ السلمي إيان
بكسر الهمزة ﴿مرساها﴾ إرساؤها أو وقت إرسائها أي إثباتها وإقرارها وكل شيء ثقيل رسوّه ثباته واستقراره
ومنه رسا الجبل وأرسى السفينة والمرسى الأنجر الذي ترمى به ولا أثقل من الساعة بدليل قوله تعالى ثقلت في السموات
والأرض والمعنى متى يرسيها الله تعالى ﴿إنما علمها﴾ أي علم وقت إرسائها عنده قد استأثر به لم يخبر به أحداً من
ملك مقرب ولا نبي مرسل يكاد يخفيها من نفسه ليكون ذلك أدعى إلى الطاعة وأزجر عن المعصية كما أخفى
الأجل الخاص وهو وقت الموت لذلك ﴿لا يجليها لوقتها إلا هو﴾ أي لا تزال خفية لا يظهر أمرها ولا يكشف خفاء
علمها إلا هو وحده إذا جاء بها في وقتها بغتة لا يجليها بالخبر عنها قبل مجيئها أحد من خلقه لاستمرار إخفائها
على غيره إلى وقت وقوعها ﴿ثقلت في السموات والأرض﴾ أي كل من أهلها من الملائكة والثقلين أهمه شأن الساعة
ويتمنى أن يتجلى له علمها وشق عليه خفاؤها وثقل عليه أو ثقلت فيها لأن أهلها يتوقعونها ويخافون شدائدها
وأهوالها أو لأن كل شيء لا يطيقها ولا يقوم لها فهي ثقيلة فيها ﴿إلا بغتة﴾ إلا فجأة على غفلة منكم وعن النبي
صلى الله عليه وسلم إن الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه
والرجل يرفع ميزانه ويخفضه ﴿كأنك حفي عنها﴾ عالم بها وحقيقته كأنك بليغ في السؤال عنها لأن من بالغ في المسألة
عن الشيء والتنقير عنه استحكم علمه فيه ورصن وهذا التركيب معناه المبالغة ومنه إحفاء الشارب واحتفاء البقل
استئصاله وأحفى في المسألة إذا ألحف وحفي بفلان وتحفى به بالغ في البر وعن مجاهد استحفيت عنها السؤال حتى علمت
وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه كأنك حفي بها بليغ في العلم بها وقيل عنها متعلق بيسألونك أي يسألونك عنها أي
عالم بها وقيل إن قريشاً قالوا إن بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة فقيل يسألونك عنها كأنك حفي تتحفى بهم

فتخصهم

مخصصهم بتعليم وقتها لأجل الشفاعة وتزوي علمها عن غيرهم ولو أخبرت بوقتها لمصلحة عرفها الله تعالى في إخبارك به
لكنت مبلغه القريب والبعيد من غير تخصيص كسائر ما أوحي إليك وقيل كأنك حفي عنها تحبه وتؤثره يعني إنك
تكره السؤال عنها لأنها من علم الغيب الذي استأثر الله به ولم يؤته أحدا من خلقه فإن قلت لم كرر يسألونك وإنما علمها
عند الله قلت للتأكيد ولما جاء به من زيادة قوله كأنك حفي عنها وعلى هذا تكرير العلماء الحذاق في كتبهم لا يخلون في
المكرر من فائدة زائدة منهم محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة رحمة الله عليه ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنه العالم بها وأنه
المختص بالعلم بها **قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء
إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون** قل لا أملك هو إظهار للعبودية والانتفاء عما يختص بالربوبية من علم الغيب
أي أنا عبد ضعيف لا أملك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضرر كالمماليك والعبيد إلا ما شاء ربي ومالكي من النفع
لي والدفع عني ولو كنت أعلم الغيب لكانت حالي على خلاف ما هي عليه من استكثار الخير واستغزار المنافع واجتناب
السوء والمضار حتى لا يمسني شيء منها ولم أكن غالبا مرة ومغلوبا أخرى في الحروب ورابحا وخاسرا في التجارات
ومصيبا ومخطئا في التدابير إن أنا إلا عبد أرسلت بشيرا ونذيرا وما من شأني أن أعلم الغيب لقوم يؤمنون
يجوز أن يتعلق بالنذير والبشير جميعا لأن النذارة والبشارة إنما ينفعان فيهم أو يتعلق بالبشير وحده ويكون المتعلق
بالنذير محذوفا أي لا نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون **هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن
إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين**
من نفس واحدة وهي نفس آدم وجعل منها زوجها وهي حواء خلقها من جسد آدم عليهما الصلاة والسلام من ضلع من أضلاعه
أو من جنسها كقوله تعالى جعل لكم من أنفسكم أزواجا ليسكن إليها ليطمئن إليها ويميل ولا ينفر لأن الجنس إلى الجنس
أميل وبه آنس وإذا كانت بعضا منه كان السكون والمحبة أبلغ كما يسكن الإنسان إلى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه
بضعة منه وذكر ليسكن بعدما أنث في قوله واحدة منها زوجها ذهابا إلى معنى النفس ليبين أن المراد بها آدم
ولأن الذكر هو الذي يسكن إلى الأنثى ويتغشاها فكان التذكير أحسن طباقا للمعنى والتغشي كناية عن الجماع وكذلك
الغشيان والإتيان حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما تلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والأذى ولم
تستثقله كما يستثقلنه وقد تسمع بعضهن تقول في ولدها ما كان أخفه علي كبدي حين حملته فمرت به فمضت به
إلى وقت ميلاده من غير إخداج ولا إزلاق وقيل حملت حملا خفيفا يعني النطفة فمرت به فقامت به وقعدت وقرأ
ابن عباس رضي الله عنهما فاستمرت به وقرأ يحيى بن يعمر فمرت به بالتخفيف وقرأ غيره فمارت به من المرية
كقوله تعالى أفتمرونه وأفتمارونه ومعناه فوقع في نفسها ظن الحمل وارتابت به فلما أثقلت حان وقت ثقل
حملها كقولك أقربت وقرئ أثقلت على البناء للمفعول أي أثقلها الحمل دعوا الله ربهما دعا آدم وحواء ربهما ومالك
أمرهما الذي هو الحقيق بأن يدعى ويلتجأ إليه لئن آتيتنا لئن وهبت لنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه وبرئ
وقيل ولدا ذكرا لأن الذكورة من الصلاح والجودة والضمير في آتيتنا ولنكونن لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما
**فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم
نصرا ولا أنفسهم ينصرون** فلما آتاهما ما طلباه من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء أي جعل أولادهما له شركاء
على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وكذلك فيما آتاهما أي آتى أولادهما وقد دل على ذلك بقوله تعالى
فتعالى الله عما يشركون حيث جمع الضمير وآدم وحواء بريئان من الشرك ومعنى إشراكهم فيما آتاهم الله تسميتهم أولادهم

بعبد العزى وعبد مناف وعبد شمس ونحو ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم • ووجه آخر وهو أن يكون
الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم آل قصي • ألا ترى إلى قوله في قصي لهم معبدا
• فيا لقصي ما زوى الله عنكم به • من فخار ولا يباري وسودد •
والمراد هو الذي خلقكم من نفس قصي • وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية • ليسكن إليها فلما آتاهما ما طلبا من الولد
الصالح السوي جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا أولادهما الأربعة بعبد مناف • وعبد العزى • وعبد قصي •
وعبد الدار • وجعل الضمير في يشركون لهما ولأعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك • وهذا تفسير حسن لا إشكال فيه
وقرئ شركا أي ذوي شرك وهم الشركاء • أو أحدثا لله إشراكا في الولد أجريت الأصنام مجرى أولي العلم في قوله
تعالى وهم يخلقون بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم إياها آلهة • والمعنى أيشركون ما لا يقدر على خلق شيء كما يخلق الله
وهم يخلقون لأن الله تعالى خالقهم • أو لا يقدر على اختلاق شيء لأنه جماد وهم يخلقون لأن عبدتهم يختلقونهم فهم
أعجز من عبدتهم • ولا يستطيعون لعبدتهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث
بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم
صامتون إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين وإن تدعوهم
وإن تدعوا هذه الأصنام إلى الهدى إلى ما هو هدى ورشاد أو إلى أن يهدوكم • والمعنى إن تطلبوا منهم كما تطلبون
من الله الخير والهدى لا يتبعوكم إلى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله ويدل عليه قوله تعالى فادعوهم
فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين سواء عليكم أدعوتموهم أم صمتم عن دعائهم في أنه لا فلاح معهم فإن قلت هلا قيل
أم صمتم ولم وضعت الجملة الاسمية موضع الفعلية قلت لأنهم كانوا إذا حزبهم أمر دعوا الله دون أصنامهم •
كقوله تعالى وإذا مس الناس ضر • فكانت حالهم المستمرة أن يكونوا صامتين عن دعوتهم فقيل إن دعوتموهم
لم تفترق الحال بين إحداثكم دعاءهم • وبين ما أنتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم • إن الذين تدعون من دون الله
أي تعبدونهم وتسمونهم آلهة من دون الله عباد أمثالكم • استهزاء بهم أي قصارى أمرهم أن يكونوا أحياء عقلاء فإن
ثبت ذلك فهم عباد أمثالكم لا تفاضل بينكم ثم أبطل أن يكونوا عبادا أمثالهم • فقال ألهم أرجل يمشون بها
وقيل عباد أمثالكم مملوكون أمثالكم • وقرأ سعيد بن جبير رضي الله عنه • إن الذين تدعون من دون الله عبادا
أمثالكم • والمعنى ما الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم على إعمال إن النافية عمل ما الحجازية ألهم أرجل
يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون
فلا تنظرون إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين والذين تدعون من دونه لا يستطيعون
نصركم ولا أنفسهم ينصرون قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون جميعا أنتم وشركاؤكم
فلا تنظرون فإني لا أبالي بكم • وكان يقول هذا إلا واثق بعصمة الله وكانوا قد خوفوه آلهتهم • فأمر أن يخاطبهم
بذلك كما قال قوم هود • إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء • فقال لهم إني بريء مما تشركون من دونه
فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون • إن وليي الله أي ناصري عليكم • الذي نزل الكتاب الذي أوحي إلي كتابه
وأعزني برسالته • وهو يتولى الصالحين • ومن عادته أن ينصر الصالحين • من عباده • وأنبيائه ولا يخذلهم
وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن
الجاهلين ينظرون إليك يشبهون الناظرين إليك لأنهم صوروا أصنامهم بصورة من قلب حدقته إلى الشيء ينظر إليه

وهم لا يبصرون

بلغ مقابلة

بلغ مقابلة

وهم لا يبصرون وهم لا يدركون المرئي • العفو ضد الجهد اي خذ ما عفا لك من افعال الناس واخلاقهم وما اتى منهم وتسهل
من غير كلفة ولا تداقهم ولا تطلب الجهد منهم وما يشق عليهم حتى لا ينفروا كقوله عليه الصلاة والسلام يسروا ولا تعسروا
قال • خذي العفو مني تستديمي مودتي • ولا تنطقي في سورتي حين اغضب •
وقيل خذ الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل نزول آية الزكوة • فلما نزلت امر ان ياخذهم بها طوعا وكرها
والعرف المعروف من الجميل والافعال • واعرض عن الجاهلين • ولا تكافي السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم
واغض على ما يسوءك منهم • وقيل لما نزلت الآية سال جبريل عليه الصلاة والسلام فقال لا ادري حتى اسال ثم رجع فقال
يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك • وعن جعفر الصادق رضي الله عنه
امر الله نبيه بمكارم الاخلاق وليس في القران آية اجمع لمكارم الاخلاق منها وإما ينزغنك من الشيطان نزغ
فاستعذ بالله إنه سميع عليم إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون وإخوانهم يمدونهم
في الغي ثم لا يقصرون وإما ينزغنك من الشيطان نزغ وإما يحملنك منه نخس بان يحملك بوسوسته على خلاف ما امرت
به فاستعذ بالله ولا تطعه والنزغ والنسغ الغرز والنخس كانه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصي وجعل النزغ
نازغا كما قيل جد جده • وروي انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يا رب والغضب فنزل وإما
ينزغنك • ويجوز ان يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول ابي بكر رضي الله عنه ان لي شيطانا يعتريني • طيف من
الشيطان • لمة منه مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفا • قال • انى الم بك الخيال يطيف •
او هو تخفيف طيف فيعل من طاف يطيف كلين او من طاف يطوف كهين • وقرئ طائف وهو يحتمل الامرين
ايضا وهذا تاكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان • وان المتقين هذه عادتهم
اذا اصابهم ادنى نزغ من الشيطان والمام بوسوسته تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فابصروا السداد ودفعوا
ما وسوس به اليهم ولم يتبعوه انفسهم • واما اخوان الشياطين الذين ليسوا بمتقين فان الشياطين يمدونهم
في الغي اي يكونون مددا لهم فيه ويعضدونهم • وقرئ يمدونهم من الامداد ويمادونهم بمعنى يعاونونهم ثم لا يقصرون
ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا وقوله تعالى واخوانهم يمدونهم كقوله قوم اذا الخيل جالوا في كوا
في ان الخبر جار على غير ما هو له • ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير المتعلق به الى الجاهلين فيكون
الخبر جاريا على من هو له والاول اوجه لان اخوانهم في مقابلة الذين اتقوا فان قلت لم جمع الضمير في اخوانهم
والشيطان مفرد قلت المراد به الجنس كقوله تعالى اولياؤهم الطاغوت وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل إنما
أتبع ما يوحى إلي من ربي هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا
لعلكم ترحمون اجتبى الشيء بمعنى اجتباه لنفسه اي جمعه كقولك اجتمعه او جبي اليه فاجتباه اي اخذه كقولك
جليت اليه العروس فاجتلاها • ومعنى لولا اجتبيتها هلا اجتمعتها افتعالا من عند نفسك لانهم كانوا
يقولون ان هذا الا افك مفترى • او هلا اخذتها منزلة عليك مقترحة • قل انما اتبع ما يوحى الي ولست
بمفتعل للآيات او لست بمقترح لها هذا بصائر هذا القران بصائر من ربكم اي حجج بينة يعود المؤمنون بها
بصراء بعد العمى او هو بمنزلة بصائر القلوب • وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا ظاهره وجوب
الاستماع والانصات وقت قراءة القران في صلوة وغير صلوة • وقيل كانوا يتكلمون في الصلوة فنزلت
ثم صار سنة في غير الصلوة ان ينصت القوم اذا كانوا في مجلس يقرأ فيه القران • وقيل معناه واذا تلا عليكم الرسول

القرآن عند نزوله فاستمعوا وقيل معنى فاستمعوا له فاعملوا بما فيه ولا تجاوزوه واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون
واذكر ربك في نفسك هو عام في الأذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا ودون الجهر ومتكلما كلاما دون الجهر لأن الإخفاء أدخل في الإخلاص وأقرب إلى حسن التفكر بالغدو والآصال لفضل هذين الوقتين أو أراد الدوام ومعنى بالغدو بأوقات الغدو وهي الغدوات وقرئ والإيصال من آصل إذا دخل في الأصيل كأقصر وأعتم وهو مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه إن الذين عند ربك هم الملائكة صلوات الله عليهم ومعنى عند ربك دنو الزلفة والقرب من رحمة الله وفضله لتوفرهم على طاعة الله تعالى وابتغاء مرضاته وله يسجدون ويختصونه بالعبادة ولا يشركون به غيره وهو تعريض بمن سواهم من المكلفين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأعراف جعل الله بينه وبين إبليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيامة والله أعلم يوم القيمة

سورة الأنفال مدنية بسم الله الرحمن الرحيم وهي سبعون آية

يسئلونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين النفل الغنيمة لأنها من فضل الله وعطائه قال لبيد إن تقوى ربنا خير نفل وبإذن الله ريثي وعجل والنفل ما ينفله الغازي أي يعطاه زائدا على سهمه من المغنم وهو أن يقول الإمام تحريضا على البلاء في الحرب من قتل قتيلا فله سلبه أو قال لسرية ما أصبتم فهو لكم أو فلكم نصفه أو ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الإمام الوفاء بما وعد منه وعند الشافعي رضي الله عنه في أحد قوليه لا يلزم ولقد وقع اختلاف بين المسلمين في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم ولمن الحكم في قسمتها أللمهاجرين أم للأنصار أم لهم جميعا فقيل له قل لهم هي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء ليس لأحد غيره فيها حكم وقيل شرط لمن كان له بلاء في ذلك اليوم أن ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين وأسروا سبعين فلما يسر الله الفتح اختلفوا فيما بينهم وتنازعوا فقال الشبان نحن المقاتلون وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون إليها إن هزمتم وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم المغنم قليل والناس كثير فإن تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت أصحابك فنزلت وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قتل أخي عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص وأخذت سيفه فأعجبني فجئت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت إن الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلبي فما جاوزت إلا قليلا حتى جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أنزلت سورة الأنفال فقال يا سعد إنك سألتني السيف وليس لي وإنه قد صار لي فاذهب فخذه وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه نزلت فينا يا معشر أصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله تعالى من أيدينا وجعله لرسول الله صلى الله عليه وسلم

نفسه

فقسمه بين المسلمين على السواء. وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح ذات البين. وقرأ ابن محيصن يسلونك
علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها وادغام نون عن في اللام. وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه يسلونك الانفال
اي يسالك الشبان ما شرط لهم من الانفال. فان قلت ما معنى الجمع بين ذكر الله والرسول في قوله قل الانفال
لله والرسول. قلت معناه ان حكمها مختص بالله ورسوله يأمر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل
الرسول امر الله فيها وليس الامر في قسمتها مفوضا الى راي احد. والمراد ان الذي اقتضته حكمته وامر به
رسوله ان يواسي المقاتلة المشروط لهم التنفيل الشيوخ الذين كانوا عند الرايات فيقاسموهم على السوية ولا
يستاثروا بما شرط لهم فانهم ان فعلوا لم يؤمن ان يقدح فيما بين المسلمين من التحاب والتصافي فاتقوا
الله في الاختلاف والتخاصم وكونوا متحدين متآخين في الله واصلحوا ذات بينكم وتآسوا وتساعدوا
فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم. وعن عطاء كان الاصلاح بينهم ان دعاهم وقال اقسموا غنائمكم بالعدل
فقالوا قد اكلنا وانفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض. فان قلت ما حقيقة قوله ذات بينكم قلت
احوال بينكم يعني ما بينكم من الاحوال حتى تكون احوال الفة ومحبة واتفاق كقوله تعالى بذات الصدور وهي
مضمراتها لما كانت الاحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين كقولهم اسقني ذا انائك يريدون
ما في الاناء من الشراب. وقد جعل التقوى واصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله من لوازم الايمان
وموجباته ليعلمهم ان كمال الايمان موقوف على التوفر عليها ومعنى قوله ان كنتم مؤمنين ان كنتم كاملي الايمان
انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين
يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون واللام في قوله انما المؤمنون اشارة اليهم اي انما الكاملون الايمان
الذين من صفتهم كيت وكيت. والدليل عليه قوله اولئك هم المؤمنون حقا. وجلت قلوبهم فزعت. وعن
ام الدرداء رضي الله عنها الوجل في القلب كاحتراق السعفة اما تجد له قشعريرة قال بلى قالت فادع
الله فان الدعاء يذهبه يعني فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزة سلطانه. وبطشه
بالعصاة وعقابه. وهذا الذكر خلاف الذكر في قوله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله. لان ذلك
ذكر رحمته ورأفته وثوابه. وقيل هو الرجل يريد ان يظلم او يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع.
وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة نحو وبق يبق ووبق يوبق. وفي قراءة عبد الله فرقت. زادتهم ايمانا ازدادوا بها
يقينا وطمانينة نفس لان تظاهر الادلة اقوى للمدلول عليه واثبت على. وقد حمل على زيادة العمل
وعن ابي هريرة رضي الله عنه الايمان سبع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة
الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان. وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه سننا وفرائض وشرائع
فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان. وعلى ربهم يتوكلون ولا يفوضون امورهم
الى غير ربهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه. جمع بين اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل وبين
اعمال الجوارح من الصلاة والصدقة اولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم
كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون حقا صفة لمصدر محذوف اي اولئك هم
المؤمنون ايمانا حقا او هو مصدر مؤكد للجملة التي هي اولئك هم المؤمنون كقولك هو عبد الله حقا اي حق ذلك
حقا. وعن الحسن ان رجلا سأله أمؤمن انت قال الايمان ايمانان فان كنت تسالني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله

واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا مومن وان كنت تسألني انما المؤمنون فوالله لا ادري انا منهم
ام لا وعن الثوري من زعم انه مومن بالله حقا ثم لم يشهد انه من اهل الجنة فقد آمن بنصف الآية وهذا الزام منه
يعني كما لا يقطع بانه من اهل ثواب المومنين حقا فلا يقطع بانه مومن حقا وبهذا تعلق من يستثني في الايمان
وكان ابو حنيفة ممن لا يستثني فيه وحكي عنه انه قال لقتادة لم تستثني في ايمانك قال اتباعا لابراهيم
عليه الصلاة والسلام في قوله والذي اطمع ان يغفر لي فقال له هلا اقتديت به في قوله اولم تؤمن قال
بلى ق درجات وشرف وكرامة وعلو منزلة ومغفرة وتجاوز لسيئاتهم ورزق كريم نعيم الجنة
يعني ان لهم منافع حسنة دائمة على سبيل التعظيم وهذا الثواب ق كما اخرجك ربك فيه وجهان احدهما
ان يرتفع محل الكاف على انه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعني ان حالهم في كراهة ما
رأيت من تنفل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب والثاني ان ينتصب على انه صفة مصدر الفعل
المقدر في قوله تعالى الانفال لله والرسول اي الانفال استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم
ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك وهم كارهون ومن بيتك يريد بيته بالمدينة او المدينة نفسها
لانها مهاجره ومسكنه فهي في اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه بالحق اي اخراجا ملتبسا بالحكمة
والصواب الذي لا محيد عنه وان فريقا من المومنين لكارهون في موضع الحال اي اخرجك في حال
كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان
وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير
لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة
النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت اخت
العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها اني رأيت عجبا رأيت كأن ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من
الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال
ابو جهل ما يرضى رجالهم ان يتنبأوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير في
المثل السائر لا في العير ولا في النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى
مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر
فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير وانا قد اعضضنا فمضى بهم الى بدر وبدر ماء
كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة ونزل جبريل عليه الصلاة والسلام فقال يا محمد ان الله وعدكم
احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه وقال ما تقولون ان القوم
قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير قالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو
فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ردد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل
قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر
رضي الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فيه فوالله لو سرت الى عدن ابين ما
تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله فانا معك حيث
ما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون ولكن اذهب

انت

انت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا علي ايها
وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا
فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا تكون الانصار ترى
نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال
آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة
فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا
رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر
به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله
وابشروا فان الله وعدني احدى الطائفتين والله لكأني الآن انظر الى مصارع القوم وروي انه قيل لرسول الله صلى
الله عليه وسلم حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك وكانت الكراهة من بعضهم
لقوله تعالى وان فريقا من المؤمنين والحق الذي جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقي النفير لايثارهم عليه تلقي
العير بعد ما تبين بعد اعلام رسول الله بانهم ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت
لنا لنستعد ونتأهب وذلك لكراهتهم القتال ثم شبه حالهم في فرط فزعهم ورعبهم وهم يسار بهم الى الظفر
والغنيمة بحال من يعتل الى القتل ويساق على الصغار الى الموت المتيقن وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها لا يشك
فيها لقلة العدد وانهم كانوا رجالة وروي انه ما كان فيهم الا فارسان يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما
يساقون الى الموت وهم ينظرون واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة
تكون لكم ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين اذ منصوب باضمار اذكر وانها لكم بدل من
احدى الطائفتين والطائفتان العير والنفير وغير ذات الشوكة العير لانه لم يكن فيها الا اربعون
فارسا والشوكة كانت في النفير لعددهم وعدتهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويقال شوك
القنا لشباها ومنها قولهم شائك السلاح اي تتمنون ان تكون لكم العير لانها الطائفة التي لا حدة لها ولا شوكة
ولا تريدون الطائفة الاخرى ان يحق الحق ان يثبته ويعليه بكلماته بآياته المنزلة في محاربة ذات
الشوكة وبما امر الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من اسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر والدابر
الآخر فاعل من دبر اذا ادبر ومنه دابرة الطائر وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال يعني انكم تريدون
الفائدة العاجلة وسفساف الامور وان لا تلقوا ما يرزاكم في ابدانكم واحوالكم والله عز وجل يريد معالي
الامور وما يرجع الى عمارة الدين ونصرة الحق وعلو الكلمة والفوز في الدارين وشتان ما بين المرادين ولذلك اختار
لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وغلب كثرتهم بقلتكم واعزكم واذلهم وحصل لكم ما لا
تعارض ادناه العير وما فيها وقرئ بكلمته على التوحيد ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون اذ تستغيثون
ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين فان قلت بم تعلق قوله ليحق الحق قلت بمحذوف
تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك ما فعله الا لهما وهو اثبات الاسلام واظهاره وابطال الكفر
ومحقه فان قلت اليس هذا تكريرا قلت لا لان المعنيين متباينان وذلك ان الاول تمييز

بين الارادتين وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها وانه ما نصرهم ولا خذل اولئك الا لهذا الغرض الذي هو سيد الاغراض ويجب ان يقدر المحذوف متأخرا على معنى يفيد معنى الاختصاص ويطابق عليه المعنى وقيل قد تعلق بيقطع فان قلت بم يتعلق اذ تستغيثون قلت هو بدل من اذ يعدكم الله وقيل بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم انهم لما علموا انه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون اي رب انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر رضي الله عنه فالقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك اني ممدكم اصله باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله وعن ابي عمرو انه قرأ اني ممدكم بالكسر على ارادة القول او على اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول فان قلت هل قاتلت الملائكة يوم بدر قلت اختلف فيه فقيل نزل جبريل عليه الصلاة والسلام في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها ابو بكر رضي الله عنه وميكائيل عليه الصلاة والسلام في خمسمائة على الميسرة وفيها علي بن ابي طالب رضي الله عنه في صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد ارخوا اذنابها بين اكتافهم فقاتلت وقيل قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الاحزاب ويوم حنين وعن ابي جهل انه قال لابن مسعود من اين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من الملائكة فقال ابو جهل هم غلبونا لا انتم وروي ان رجلا من المسلمين بينما هو يشتد في اثر رجل من المشركين اذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر الى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذلك من مدد السماء وعن ابي داود المازني تبعت رجلا من المشركين لاضربه يوم بدر فوقع راسه بين يدي قبل ان يصل اليه سيفي وقيل لم يقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين والا فملك واحد كاف في اهلاك اهل الدنيا كلهم فان جبريل عليه السلام اهلك بريشة من جناحه مدائن قوم لوط واهلك بلاد ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة وقرئ مردفين بكسر الدال وفتحها من قولك ردفه اذا تبعه ومنه قوله تعالى ردف لكم بعض الذي تستعجلون بمعنى ردفكم واردفته اياه اذا اتبعته ويقال اردفته كقولك اتبعته اذا جئت بعده فلا يخلو المكسور الدال من ان يكون بمعنى متبعين بعضهم بعضا او متبعين بعضهم لبعض او بمعنى متبعين اياهم المؤمنين اي يتقدمونهم فيتبعونهم انفسهم او متبعين لهم يشيعونهم ويقدمونهم بين ايديهم وهم على ساقتهم ليكونوا على اعينهم وحفظهم او بمعنى متبعين انفسهم ملائكة آخرين او متبعين غيرهم من الملائكة ويعضد هذا الوجه قوله عز وعلا في سورة آل عمران بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين وبخمسة آلاف من الملائكة مسومين ومن قرأ مردفين بالفتح فهو بمعنى متبعين او متبعين وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد الدال واصله مرتدفين اي مترادفين او متبعين من ارتدفه فادغمت تاء الافتعال في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او على اتباع الدال وبالضم على اتباع الميم وعن السدي بآلاف من الملائكة على الجمع ليوافق ما في سورة آل عمران فان قلت فبم يعتذر لمن قرأ على التوحيد ولم يفسر المردفين بارداف الملائكة ملائكة آخرين والمردفين بارداف من غيرهم قلت بان المراد بالالف من قاتل منهم او الوجوه منهم الذين من سواهم اتباع لهم فان قلت الام يرجع الضمير في وما جعله قلت الى قوله تعالى اني ممدكم لان المعنى فاستجاب لكم بامدادكم فان قلت ففيمن قرأ بالكسر

قلت الى قوله فاني ممدكم لانه مفعول القول المضمر فهو في معنى القول ويجوز ان يرجع الى الامداد الذي يدل عليه ممدكم ٥
وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر
كالسكينة لبني اسرائيل يعني انكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم وذلتكم كان الامداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا
منكم وربطا على قلوبكم وما النصر الا من عند الله يريد ولا تحسبوا النصر من الملائكة فان الناصر هو الله لكم وللملائكة
او وما النصر بالملائكة وغيرهم من الاسباب الا من عند الله والمنصور من نصره الله اذ يغشاكم النعاس امنة منه وينزل عليكم
من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام اذ يغشاكم بدل ثان من
اذ يعدكم او منصوب بالنصر او بما في من عند الله من معنى الفعل او بما جعله الله او باضمار اذكر وقرئ يغشيكم بالتخفيف
والتشديد ونصب النعاس والضمير لله عز وجل وامنة مفعول له فان قلت اما وجب ان يكون فاعل الفعل المعلل
والعلة واحدا قلت بلى ولكن لما كان معنى يغشاكم النعاس تنعسون انتصب امنة على ان النعاس والامنة لهم والمعنى
اذ تنعسون امنة بمعنى امنا اي لامنكم ومنه صفة لها اي امنة حاصلة لكم من الله فان قلت فعلى غير هذه القراءة
قلت يجوز ان تكون الامنة بمعنى الايمان اي يغشيكم ايمانا منه او على يغشيكم النعاس تنعسون امنا فان قلت
هل يجوز ان ينتصب على ان الامنة للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم النعاس لامنة على ان اسناد الامن الى النعاس
اسناد مجازي وهو لاصحاب النعاس على الحقيقة او على انه انامكم في وقت كان من حق النعاس في مثل ذلك
الوقت المخوف ان لا يقدم على غشيانكم وانما غشيكم امنة حاصلة له من الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل
والتخييل قلت لا تبعد فصاحة القرآن عن احتماله وله فيها نظائر وقد الم به من قال

يهاب النوم ان يغشى عيونا • تهابك فهو نفار شرود

وقرئ امنة بسكون الميم ونظير امن امنة حيي حيوة ويجوز ان امنة رحم رحمة والمعنى ان ما كان
بهم من الخوف كان يمنعهم من النوم فلما طامن الله قلوبهم وامنهم رقدوا وعن ابن عباس رضي الله عنهما النعاس في
القتال امنة من الله وفي الصلوة وسوسة من الشيطان وينزل قرئ بالتخفيف والتثقيل وقرأ الشعبي ماء
ليطهركم به قال ابن جني ما موصولة وصلتها حرف الجر بما جره فكانه قال ما للطهور ورجز الشيطان وسوسته
اليهم وتخويفه اياهم من العطش وقيل الجنابة لانها من تخييله وقرئ رجس الشيطان وذلك ان ابليس تمثل لهم
وكان المشركون قد سبقوهم الى الماء ونزل المؤمنون في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا
فاحتلم اكثرهم فقال لهم انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد
عطشتم ولو كنتم على حق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع العطش اعناقكم
مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا واشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى
الوادي واتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه الحياض على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا
وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس
والضمير في به للماء ويجوز ان يكون للربط لان القلب اذا تمكن فيه الصبر والجراءة ثبتت الاقدام في مواطن
القتال اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا
فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان واذ يوحي ان يكون بدلا ثالثا من اذ يعدكم وان ينتصب بيثبت اني
معكم مفعول يوحي وقرئ اني بالكسر على ارادة القول او على اجراء يوحي مجرى يقول كقوله تعالى اني ممدكم اني معكم

على التثبت فثبتوهم وقوله سألقي فاضربوا يجوز أن يكون تفسيرا لقوله إني معكم فثبتوا ولا معونة أعظم من إلقاء
الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت أبلغ من ضرب أعناقهم واجتماعهما غاية النصرة ويجوز أن يكون غير تفسير
وأن يراد بالتثبيت أن يخطروا ببالهم ما تقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم في القتال وأن يظهروا ما يتيقنون به
أنهم ممدون بالملائكة وقيل كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفونه فيأتي فيقول إني سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا
علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين فيقول أبشروا فإن الله تعالى ناصركم لأنكم تعبدونه وهؤلاء لا يعبدونه وقرئ
الرعب بالتثقيل فوق الأعناق أراد أعالي الأعناق التي هي المذابح لأنها مفاصل فكان إيقاع الضرب فيها حزا
وتطييرا للرؤوس وقيل أراد الرؤوس لأنها فوق الأعناق يعني ضرب الهام قال

وأضرب هامة البطل المشيح • غشيته وهو في جأواء باسلة عضبا • أصاب سواد الرأس فانفلقا

والبنان الأصابع يريد الأطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لأن الضرب إما واقع على مقتل أو غير مقتل فأمرهم
أن يجمعوا عليهم النوعين معا ويجوز أن يكون قوله تعالى سألقي إلى قوله كل بنان عقيب قوله فثبتوا الذين
آمنوا تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به كأنه قال قولوا لهم قولي سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب أو كأنهم قالوا كيف
نثبتهم فقيل قولوا لهم قولي سألقي فالضاربون على هذا هم المؤمنون ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله
ورسوله فإن الله شديد العقاب ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار ذلك إشارة إلى ما أصابهم من الضرب
والقتل والعقاب العاجل ومحله الرفع على الابتداء وبأنهم خبره أي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم والمشاقة
مشتقة من الشق لأن كلا المتعاديين في شق خلاف شق صاحبه وسئلت في المنام عن اشتقاق المعاداة فقلت
لأن هذا في عدوة وذاك في عدوة كما قيل المخاصمة والمشاقة لأن هذا في خصم أي في جانب وذلك في خصم وهذا في شق
والكاف في ذلك لخطاب الرسول أو لخطاب كل أحد وفي ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات ومحل ذلكم الرفع على ذلكم
العقاب أو العقاب ذلكم فذوقوه ويجوز أن يكون نصبا على عليكم ذلكم فذوقوه كقولك زيدا فاضربه وأن للكافرين عطف
على ذلكم في وجهيه أو نصب على أن الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في الآخرة
فوضع الظاهر موضع الضمير وقرأ الحسن وإن للكافرين بالكسر يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم
الأدبار زحفا حال من الذين كفروا والزحف الجيش الدهم الذي يرى لكثرته كأنه يزحف أي يدب دبيبا من زحف
الصبي إذا دب على استه قليلا قليلا سمي بالمصدر والجمع زحوف والمعنى إذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وأنتم قليل
فلا تفروا فضلا أن تدانوهم في العدد أو تساووهم أو حال من الفريقين أي إذا لقيتموهم متزاحفين هم وأنتم أو
حال من المؤمنين كأنهم أشعروا بما كان سيكون منهم يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر ألفا
وتقدمة نهي لهم عن الفرار يومئذ وفي قوله تعالى ومن يولهم يومئذ أمارة عليه ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال
أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن
الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا إن الله سميع عليم إلا متحرفا لقتال هو الكر بعد الفر يخيل عدوه أنه منهزم ثم
ينعطف عليه وهو باب من خدع الحرب ومكايدها أو متحيزا أو منحازا إلى جماعة أخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها
وعن ابن عمر رضي الله عنهما خرجت سرية وأنا فيهم ففروا فلما رجعوا إلى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله
نحن الفرارون فقال بل أنتم العكارون وأنا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فأتى المدينة إلى عمر رضي الله عنه فقال
يا أمير المؤمنين هلكت فررت من الزحف فقال عمر رضي الله عنه أنا فئتك وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الفرار من الزحف من أكبر

الكبائر وان قلت بم انتصب الا متحرفا قلت على الحال والا لغو او على الاستثناء من المولين اي ومن يولهم الا
رجلا منهم متحرفا او متحيزا وقرأ الحسن رحمه الله دبره بالسكون ووزن متحيز متفيعل لا متفعل لانه من حاز يحوز
فبناء متفعل متحوز لما كسروا اهل مكة وقتلوا واسروا اقبلوا على التفاخر فكان القائل يقول قتلت واسرت ولما
طلعت قريش قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم
اني اسالك ما وعدتني فاتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال النبي صلى الله عليه
وسلم لما التقى الجمعان لعلي رضي الله عنه اعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه
فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم فقيل لهم فلم تقتلوهم والفاء
جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لانه هو الذي انزل الملائكة والقى الرعب
في قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم واذهب عنها الفزع والجزع وما رميت انت يا محمد اذ رميت
حيث اثرت ذلك الاثر العظيم فاثبت الرمية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان صورتها وجدت منه ونفاها
عنه لان اثرها الذي لا يطيقه البشر فعل الله عز وجل فكان الله هو فاعل الرمية على الحقيقة وكانها لم توجد
من الرسول اصلا وقرئ ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف لكن ورفع ما بعده وليبلي المؤمنين وليعطيهم
بلاء حسنا عطاء جميلا قال زهير فابلاهما خير البلاء الذي يبلو والمعنى وللاحسان الى
المؤمنين فعل ما فعل وما فعله الا لذلك ان الله سميع لدعائهم عليم باحوالهم ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين
ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وان الله مع
المؤمنين ذلكم اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع اي الغرض ذلكم وان الله موهن معطوف على ذلكم يعني ان
الغرض ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وقرئ موهن بالتشديد وقرئ على الاضافة وعلى الاصل الذي
هو التنوين والاعمال ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا ان
ينفروا تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اقرانا للضيف واوصلنا للرحم وافكنا للعاني ان كان محمد على
حق فانصره وان كنا على حق فانصرنا وروي انهم قالوا انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وروي
ان ابا جهل قال يوم بدر اللهم اينا كان افجر واقطع للرحم فاحنه اليوم فاهلكه وقيل ان تستفتحوا خطاب
للمؤمنين وان تنتهوا خطاب للكافرين يعني ان تنتهوا عن عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو خير لكم واسلم وان
تعودوا لمحاربته نعد لنصرته عليكم وان الله قرئ بالفتح على ولان الله معين المؤمنين كان ذلك وقرئ بالكسر وهو
اوجه وتعضدها قراءة ابن مسعود رضي الله عنه والله مع المؤمنين وقرئ ولن يغني عنكم بالياء للفصل
يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون
ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولا تولوا قرئ بطرح احدى التائين وادغامها والضمير
في عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان المعنى واطيعوا رسول الله لقوله والله ورسوله احق ان يرضوه ولان طاعة
الله شيء واحد من يطع الرسول فقد اطاع الله فكان رجوع الضمير الى احدهما كرجوعه اليهما كقولك الاحسان
والاجمال لا ينفع في فلان ويجوز ان يرجع الى الامر بالطاعة اي ولا تولوا عن هذا الامر وامتثاله وانتم
تسمعونه او ولا تولوا عن رسول الله ولا تخالفوه وانتم تسمعون تصدقون لانكم مؤمنون لستم كالصم
المكذبين من الكفرة ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا اي ادعوا السماع وهم لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين فكانهم

غير سامعين والمعنى انكم تصدقون بالقران والنبوة فاذا توليتم عن طاعة الرسول في بعض الامور من قسمة الغنائم وغيرها كان تصديقكم واشبه بسماعكم سماع من لا يؤمن ثم قال ان شر الدواب اي ان شر من يدب على وجه الارض او ان شر البهائم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون ولو علم الله في هؤلاء الصم البكم خيرا اي انتفاعا باللطف لاسمعهم للطف بهم حتى يسمعوا سماع المصدقين ثم قال ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون يعني ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم الطافه او ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك ولكذبوا ولم يستقيموا وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء وعن جريج هم المنافقون وعن الحسن اهل الكتاب اذا دعاكم وحد الضمير ايضا كما وحده فيما قبله لان استجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كاستجابته وانما يذكر احدهما مع الاخر للتوكيد والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض وروى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على باب ابي بن كعب فناداه وهو في الصلاة فعجل في صلاته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول قال لا جرم لا تدعوني الا اجبتك وفيه قولان احدهما ان هذا مما اختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم والثاني ان دعاءه كان لامر لا يحتمل التاخير واذا وقع مثله للمصلي فله ان يقطع صلوته لما يحييكم من علوم الديانات والشرائع لان العلم حيوة كما ان الجهل موت

ولبعضهم

لا تعجبن الجهول حلته ... فذاك ميت وثوبه كفن

وقيل لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم لقوله تعالى ولكم في القصاص حيوة وقيل للشهادة لقوله تعالى بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه يعني انه يميته فتفوته الفرصة التي هو واجدها وهي التمكن من اخلاص القلب ومعالجة ادوائه ورده سليما كما يريده الله فاغتنموا هذه الفرصة واخلصوا لطاعة الله ورسوله وانه اليه تحشرون فيثيبكم على حسب سلامة القلوب واخلاص الطاعة ومعناه ان الله قد يملك العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويبدله بالخوف امنا وبالامن خوفا وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا او ما اشبه ذلك مما هو جائز على الله تعالى فاما ما يثاب عليه العبد ويعاقب من افعال القلوب فلا والمجبرة على انه يحول بين المرء والايمان اذا كفر وبينه وبين الكفر اذا امن تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقيل انه يطلع على ما يخطر المرء بباله لا يخفى عليه شيء من ضمائره وكانه يحول بينه وبين قلبه وقرئ بين المر بتشديد الراء ووجهه انه قد حذف الهمزة والقى حركتها على الراء كالخب ثم نوى الوقف على لغة من يقول مررت بعمر واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب فتنة ذنبا قيل هو اقرار المنكر بين اظهرهم وقيل افتراق الكلمة وقيل فتنة عذابا وقوله لا تصيبن لا يخلو من ان تكون جوابا للامر او نهيا بعد امر او صفة لفتنة فاذا كانت جوابا فالمعنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم وهذا كما يحكى ان علماء بني اسرائيل نهوا عن المنكر تعذيرا فعمهم الله بالعذاب واذا كانت نهيا بعد امر فكانه قيل واحذروا ذنبا او عقابا ثم قيل لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب او اثر الذنب

ووباله

ووباله من ظلم منكم خاصة وكذلك اذا جعلته صفة على ارادة القول كانه واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن ه
ونظيره قوله • حتى اذا جن الظلام واختلط • جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط •
اي بمذق مقول فيه هذا القول لانه سمار فيه لون الورقة التي هي لون الذئب وتعضد المعنى الاخير قراءة ابن مسعود
لتصيبن على جواب القسم المحذوف • وعن الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير رضوان الله عليهم وهو يوم
الجمل خاصة • قال الزبير رضي الله عنه نزلت فينا وقرأناها زمانا وما ارانا من اهلها فاذا نحن المعنيون
بها وعن السدي نزلت في اهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل • وروي ان الزبير كان يساير النبي صلى الله عليه وسلم
يوما اذ اقبل علي رضي الله عنه فضحك الزبير رضي الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف حبك لعلي فقال
يا رسول الله بابي انت وامي اني احبه كحبي لولدي او اشد حبا قال فكيف انت اذا سرت اليه تقاتله فان قلت
كيف وان تدخل النون المؤكدة في جواب الامر قلت لان فيه معنى النهي اذا قلت انزل عن الدابة لا يطرحك
لا تصيبن ولا يحطمنكم فان قلت فما معنى من في قوله الذين ظلموا منكم قلت التبعيض على الوجه الاول
والتبيين على الثاني لان المعنى لا تصيبنكم خاصة على ظلمكم لان الظلم اقبح منكم من سائر الناس واذكروا اذ
انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فآواكم وايدكم بنصره ورزقكم من الطيبات
لعلكم تشكرون يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون اذ انتم نصبه على
انه مفعول به مذكور لا ظرف اي اذكروا وقت كونكم اقلة اذلة • مستضعفين في الارض ارض مكة قبل الهجرة
يستضعفكم قريش تخافون ان يتخطفكم الناس لان الناس كانوا جميعا لهم اعداء منافين مضادين فآواكم الى المدينة
وايدكم بنصره بمظاهرة الانصار • وبامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم
تشكرون • ارادة ان تشكروا هذه النعم • وعن قتادة رضي الله عنه كان هذا الحي من العرب اذل الناس •
واشقاهم عيشا واعراهم جلدا وابينهم ضلالا • لا يؤكلون ولا ياكلون فمكن الله لهم في البلاد ووسع لهم في
الرزق والغنائم وجعلهم ملوكا • معنى الخون النقص كما ان معنى الوفاء التمام • ومنه تخونه اذا تنقصه ثم استعمل
في ضد الامانة والوفاء لانك اذا خنت الرجل في شيء فقد ادخلت عليه النقصان فيه وقد استعير • وقيل خان
الدلو الكرب وخان المشتار السبب • لانه اذا انقطع به فكأنه لم يف له ومنه قوله وتخونوا اماناتكم • والمعنى
لا تخونوا الله بان تعطلوا فرائضه ورسوله بان لا تستنوا به • واماناتكم فيما بينكم بان لا تحفظوها وانتم
تعلمون تبعة ذلك ووباله • وقيل وانتم تعلمون انكم تخونون يعني ان الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو وقيل
وانتم علماء • تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن • وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود بني قريظة • احدى
وعشرين ليلة • فسألوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير • على ان يسيروا الى اذرعات واريحا من ارض الشام •
فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم • الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة مروان
ابن المنذر • وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا له ما ترى هل ننزل على حكم سعد
فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت
فشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله
عليه • فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه • ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها
حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم • هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي

أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث أن تتصدق به. وعن المغيرة
نزلت في قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه. وقيل أماناتكم ما ائتمنكم الله عليه من فرائضه وحدوده فإن قلت
وتخونوا الجزم هو أم نصب. قلت يحتمل أن يكون جزما داخلا في حكم النهي وأن تكون نصبا بإضمار أن
لقوله وتكتموا الحق. وقرأ مجاهد وتخونوا أمانتكم على التوحيد. واعلموا أنما أموالكم وأولادكم
فتنة وأن الله عنده أجر عظيم جعل الأموال والأولاد فتنة لأنهم سبب الوقوع في الفتنة وهي الإثم أو العذاب
أو محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون على حدوده. وأن الله عنده أجر عظيم فعليكم أن تنوطوا
بطلبه أو بما يؤدي إليه هممكم وتزهدوا في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد حتى تورطوا أنفسكم
من أجلهما لقوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا. وقيل هي من جملة ما نزل في أبي لبابة وما فرط
منه لأجل ماله وولده. يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم
والله ذو الفضل العظيم. فرقانا نصرا لأنه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر بإذلال حزبه والإسلام
بإعزاز أهله ومنه قوله تعالى يوم الفرقان. أو بيانا وظهورا يشهر أمركم ويبث صيتكم وآثاركم في
أقطار الأرض من قولهم بت أفعل كذا حتى سطع الفرقان أي طلع الفجر. أو مخرجا من الشبهات وتوفيقا
وشرحا للصدور. أو تفرقة بينكم وبين غيركم من أهل الأديان وفضلا ومزية في الدنيا والآخرة.
وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين
لما فتح الله عليه ذكره مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم وما أتاح
الله له من حسن العاقبة. والمعنى واذكر إذ يمكرون بك وذلك أن قريشا لما أسلمت الأنصار وبايعوه فرقوا
أن يتفاقم أمره فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في أمره فدخل عليهم إبليس في صورة شيخ وقال
أنا شيخ من نجد ما أنا من تهامة دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم ولن تعدموا مني رأيا
ونصحا. فقال أبو البختري رأيي أن تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون إليه
طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون. فقال إبليس بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه
من أيديكم. فقال هشام بن عمرو رأيي أن تحملوه على جمل وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم
فقال إبليس بئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم. فقال أبو جهل أنا أرى أن تأخذوا من كل بطن غلاما
وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب
قريش كلهم فإذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا. فقال الشيخ صدق هذا الفتى هو أجودكم رأيا فتفرقوا على
رأي أبي جهل مجتمعين على قتله. فأخبر جبريل عليه الصلاة والسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن لا
يبيت في مضجعه وأذن الله له في الهجرة فأمر عليا رضي الله عنه فنام في مضجعه وقال له اتشح ببردتي
فإنه لن يخلص إليك أمر تكرهه وباتوا مترصدين فلما أصبحوا ثاروا إلى مضجعه فأبصروا عليا رضي الله
عنه فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا أثره فأبطل مكرهم ليثبتوك ليسجنوا أو يوثقوك أو يثخنوك بالضرب
والجرح من قولهم ضربوه حتى أثبتوه لا حراك به ولا براح وفلان مثبت وجعا. وقرئ ليثبتوك
بالتشديد. وقرأ النخعي ليبيتوك من البيات. وعن ابن عباس رضي الله عنه ليقيدوك وهو دليل لمن فسره
بالإيثاق. ويمكرون ويخفون المكايد له ويمكر الله ويخفي الله ما أعد لهم حتى يأتيهم بغتة والله خير الماكرين

أي مكره أنفذ من مكر غيره وأبلغ تأثيرا أو لأنه لا ينزل إلا ما هو حق وعدل ولا يصيب إلا بما هو مستوجب وإذا تتلى
عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين لو نشاء لقلنا مثل هذا
نفاجة منهم وصلف تحت الراعدة فإنهم لم يتوانوا في مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة وإلا فما منعهم لو
كانوا مستطيعين أن يشاؤوا غلبة من تحداهم وقرعهم بالعجز حتى يفوزوا بالقدح المعلى مع فرط أنفتهم
واستنكافهم أن يغلبوا في باب البيان خاصة وأن يماتنهم واحد فيتطاولوا بأسناء المنية ومع ما علم
وظهر ظهور الشمس من حرصهم على أن يقهروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتهالكهم على أن يغمزوه وقيل
قائله النضر بن الحرث المقتول صبرا حين سمع اقتصاص الله أحاديث القرون لو شئت لقلت مثل هذا وهو
الذي جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم واسفنديار فزعم أن هذا مثل ذلك وأنه من جملة تلك الأساطير طبي
وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم
وهو القائل إن كان هذا هو الحق وهذا أسلوب من الجحود بليغ يعني إن كان القرآن هو الحق فعاقبنا على إنكاره
بالسجيل كما فعلت بأصحاب الفيل أو بعذاب آخر ومراده نفي كونه حقا وإذا انتفى كونه حقا لم يستوجب
منكره عذابا فكان تعليق العذاب بكونه حقا مع اعتقاد أنه ليس بحق كتعليقه بالمحال في قولك إن كان
الباطل حقا فأمطر علينا حجارة وقوله تعالى هو الحق تهكم بمن يقوله على سبيل التخصيص والتعيين هذا
هو الحق وقراءة الأعمش هو الحق بالرفع على أن هو مبتدأ غير فصل وهي في القراءة الأولى فصل ويقال
أمطرت السماء كقولك أنجمت وأسبلت ومطرت كقولك هتنت وهتلت وقد كثر الأمطار في
معنى العذاب فإن قلت ما فائدة قوله من السماء والأمطار لا يكون إلا منها قلت كأنه أريد أن يقال
فأمطر علينا السجيل وهي الحجارة المسومة للعذاب فوضع حجارة من السماء موضع السجيل كما تقول صب عليه
مسرودة من حديد تريد درعا بعذاب أليم أي بنوع آخر من جنس العذاب الأليم يعني أن أمطار السجيل
بعض العذاب الأليم فعذبنا به أو بنوع آخر من أنواعه وعن معوية أنه قال لرجل من سبأ ما أجهل
قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال أجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعاهم إلى
الحق إن كان هذا هو الحق فأمطر علينا حجارة ولم يقولوا إن كان هو الحق فاهدنا له وما كان الله ليعذبهم
وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اللام لتأكيد النفي والدلالة على أن تعذيبهم وأنت بين
أظهرهم غير مستقيم في الحكمة لأن عادة الله وقضية حكمته أن لا يعذب قوما عذاب استيصال ما دمت
بينهم بين أظهرهم وفيه إشعار بأنهم مرصدون بالعذاب إذا هاجرت عنهم والدليل على هذا الإشعار قوله
تعالى وما لهم ألا يعذبهم الله وإنما يصح هذا بعد إثبات التعذيب كأنه قال وما كان ليعذبهم وأنت
فيهم وهو معذبهم إذا فارقتهم وما لهم أن لا يعذبهم الله وهم يستغفرون في موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار
عنهم أي ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم كقوله تعالى ولا يتوقع ذلك منهم وقيل معناه
وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون بين أظهرهم ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من المستضعفين وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه
إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون ألا يعذبهم الله وأي شيء لهم في انتفاء العذاب عنهم يعني لا حظ لهم
في ذلك وهم معذبون لا محالة وكيف لا يعذبون وحالهم أنهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله

صلى الله عليه وسلم عام الحديبية واخراجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة البيت
الحرام فنصد من نشاء وندخل من نشاء وما كانوا اولياءه وما استحقوا مع اشراكهم وعداوتهم للدين ان
يكونوا ولاة امره وارباه ان اولياؤه الا المتقون من المسلمين ليس كل مسلم ايضا ممن يصلح لان يلي
امره انما يستاهل ولايته من كان برا تقيا فكيف بالكفرة عبدة الاصنام ولكن اكثرهم لا يعلمون كانه
استثنى من كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة او اراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم وما كان
صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون المكاء فعال بوزن الثغاء
والرغاء من مكا يمكو اذا صفر ومنه المكاء كانه سمي بذلك لكثرة مكائه واصله الصفة نحو الوضاء والقراء
وقرئ مكا بالقصر ونظيرهما البكا والبكاء والتصدية التصفيق تفعلة من الصدى او من صد يصد اذا قومك
منه يصدون وقرا الاعمش وما كان صلاتهم بالنصب على تقديم خبر كان على اسمه فان قلت ما وجه هذا
الكلام قلت هو نحو قوله وما كنت اخشى ان يكون عطاؤه اداهم سودا او محدرجة سمرا
والمعنى انه وضع القيود والسياط موضع العطاء ووضعوا المكاء والتصدية موضع الصلاة وذلك انهم كانوا يطوفون
بالبيت عراة الرجال مع النساء وهم مشبكون بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو
ذلك اذا قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاته يخلطون عليه فذوقوا عذاب القتل والاسر يوم بدر
بسبب كفركم وافعالكم التي لا يقدم عليها الا الكفرة وقيل نزلت في المطعمين يوم بدر كان يطعم كل واحد
منهم كل يوم عشر جزائر وقيل قالوا لكل من كانت له تجارة في العير اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا
ندرك منه ثارنا بما اصيب منا ببدر وقيل نزلت في ابي سفيان وقد استاجر ليوم احد الفين من الاحابيش
سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية والاوقية اثنان واربعون مثقالا ان الذين
كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون
ليصدوا عن سبيل الله اي كان غرضهم في الانفاق الصد عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وهو سبيل الله وان لم
يكن عندهم كذلك ثم تكون عليهم حسرة اي تكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة فكان ذاتها تصير ندما
وتنقلب حسرة ثم يغلبون اخر الامر وان كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين سجالا قبل ذلك فيرجون
طلقاء كتب الله لاغلبن انا ورسلي والذين كفروا الى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب
ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم اولئك هم الخاسرون والذين كفروا
والكافرون منهم الى جهنم يحشرون لان منهم من اسلم وحسن اسلامه ليميز الله الخبيث الفريق الخبيث
من الكفار من الفريق الطيب من المؤمنين فيجعل الفريق الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا عبارة
عن الجمع والضم حتى يتراكبوا لقوله تعالى كادوا يكونون عليه لبدا يعني لفرط ازدحامهم اولئك
اشارة الى الفريق الخبيث وقيل ليميز المال الخبيث الذي انفقه المشركون في عداوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم من المال الطيب الذي انفقه ابي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم اجمعين في نصرته فيركمه
فيجعله في جهنم في جملة ما يعذبون به كقوله تعالى فتكوى بها جباههم وجنوبهم الاية واللام على
هذا متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وعلى الاول بيحشرون واولئك اشارة الى الذين كفروا وقرئ
ليميز على التخفيف قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين

قل

قل للذين كفروا من أبي سفيان وأصحابه أي قل لأجلهم هذا القول وهو إن ينتهوا ولو كان بمعنى خاطبهم به لقيل إن تنتهوا يغفر
لكم وهي في قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ونحوه وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه خاطبوا به غيرهم
لأجلهم ليسمعوه أي إن ينتهوا عما هم عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتاله بالدخول في الإسلام يغفر لهم ما
قد سلف من العداوة وإن يعودوا لقتاله فقد مضت سنة الأولين منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر أو فقد مضت
سنة الذين تحزبوا على أنبيائهم من الأمم فدمروا فليتوقعوا مثل ذلك إن لم ينتهوا وقيل معناه إن الكفار إذا انتهوا
عن الكفر وأسلموا غفر لهم ما سلف منهم من الكفر والمعاصي وخرجوا منها كما تنسل الشعرة من العجين ومنه قول رسول
الله الإسلام يجب ما قبله وقيل للحربي إذا أسلم لم تبق عليه تبعة قط وأما الذمي فلا يلزمه قضاء حقوق الله
ويبقى عليه حقوق الآدميين وبه احتج أبو حنيفة رضي الله عنه في أن المرتد إذا أسلم لم يلزمه قضاء العبادات
المتروكة في حال الردة وقبلها وفسر وإن يعودوا بالارتداد وقرئ يغفر لهم على أن الضمير لله تعالى وقاتلوهم
حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم
المولى ونعم النصير وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة إلى أن لا يوجد فيهم شرك قط ويكون الدين كله لله ويضمحل عنهم
كل دين باطل ويبقى فيهم دين الإسلام وحده فإن انتهوا عن الكفر وأسلموا فإن الله بما يعملون بصير يثيبهم على توبتهم
وإسلامهم وقرئ تعملون بالتاء فيكون المعنى فإن الله بما تعملون من الجهاد في سبيله والدعوة إلى دينه والإخراج
من ظلمة الكفر إلى نور الإسلام بصير يجازيكم عليه أحسن الجزاء وإن تولوا ولم ينتهوا فاعلموا أن الله مولاكم أي
ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى
واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير
أنما غنمتم ما موصولة ومن شيء بيانه قيل من شيء حتى الخيط والمخيط فأن لله مبتدأ خبره محذوف تقديره
فحق أو فواجب أن لله خمسه وروى الجعفي عن أبي عمرو فإن لله بالكسر وتقويه قراءة النخعي فلله خمسه والمشهور
آكد وأثبت للإيجاب كأنه قيل فلا بد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل إلى الإخلال به والتفريط فيه من حيث إنه
إذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم وما أشبه ذلك كان أقوى لإيجابه
من النص على واحد وقرئ خمسه بالسكون فإن قلت كيف قسمة الخمس قلت عند أبي حنيفة رحمه الله عليه إنها
كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة أسهم سهم لرسول الله عليه الصلاة والسلام وسهم لذوي القربى
قرابته من بني هاشم وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني عبد نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة والمظاهرة لما روي عن
عثمان وجبير بن مطعم رضي الله عنهما أنهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء إخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم
لمكانك الذي جعلك الله منهم أرأيت إخواننا بني المطلب أعطيتهم وحرمتنا وإنما هم ونحن بمنزلة واحدة فقال
النبي صلى الله عليه وسلم إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين
أصابعه وثلاثة أسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل وأما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسهمه ساقط بموته
وكذلك سهم لذوي القربى وإنما يعطون لفقرهم أسوة سائر الفقراء ولا يعطى أغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين
وابن السبيل وأما عند الإمام الشافعي رضي الله عنه فيقسم على خمسة أسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف إلى
ما كان يصرفه إليه من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من أغنيائهم
وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين والباقي للفرق الثلاث وعند مالك بن أنس رضي الله عنهما الأمر فيه

مفوض إلى اجتهاد الإمام إن رأى قسمه بين هؤلاء وإن رأى أعطاه بعضهم دون بعض وإن رأى غيرهم أولى وأهم فغيرهم
فإن قلت ما معنى ذكر الله وعطف الرسول وغيره عليه قلت يحتمل أن يكون معنى لله وللرسول لقوله تعالى والله ورسوله
أحق أن يرضوه وأن يراد بذكره سهم سادس يصرف إلى وجه من وجوه القرب وأن يراد بقوله فأن لله خمسه أن من حق
الخمس أن يكون متقربا به إليه لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله تعالى وجبريل
وميكال فعلى الاحتمال الأول مذهب الإماميين والثاني ما قال أبو العالية أنه يقسم على ستة أسهم سهم لله تعالى يصرف
إلى رتاج الكعبة وعنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة
وهو سهم الله ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل إن سهم الله لبيت المال وعلى الثالث مذهب مالك بن أنس رضي الله عنهما
وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه كان يقسم على ستة لله وللرسول سهمان وسهم لأقاربه حتى قبض فأجرى أبو بكر الصديق
رضي الله عنه الخمس على ثلثة وكذلك روي عن عمر رضي الله عنه ومن بعده من الخلفاء وروي أن أبا بكر رضي الله عنه
منع بني هاشم الخمس فقال إنما لكم أن يعطى فقيركم ويزوج أيمكم ويخدم من لا خادم له منكم فأما الغني منكم فهو بمنزلة
ابن السبيل غني لا يعطى من الصدقة شيئا ولا يتيم موسر وعن زيد بن علي رضي الله عنهما كذلك قال ليس لنا أن نبني
منه قصورا ولا أن نركب منه البراذين وقيل الخمس كله للقرابة وعن علي رضي الله عنه أنه قيل له إن الله تعالى قال
واليتامى والمساكين فقال أيتامنا ومساكيننا وعن الحسن في سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لولي الأمر من بعده
وعن الكلبي أن الآية نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة أيام للنصف
من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة فإن قلت بم تعلق قوله إن كنتم آمنتم بالله قلت بمحذوف يدل عليه واعلموا
المعنى إن كنتم آمنتم بالله فاعلموا أن الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه أطماعكم واقتنعوا بالأخماس الأربعة
وليس المراد بالعلم المجرد ولكنه العلم المضمن بالعمل والطاعة لأمر الله لأن العلم المجرد يستوي فيه المؤمن والكافر وما أنزلنا
معطوف على بالله أي إن كنتم آمنتم بالله وبالمنزل على عبدنا وقرئ عبدنا كقوله تعالى عبد الطاغوت بضمتين يوم الفرقان
يوم بدر والجمعان الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما أنزل عليه من الآيات والملائكة والفتح يومئذ والله على كل شيء
قدير يقدر على أن ينصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة
القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا إذ بدل من يوم
الفرقان والعدوة شط الوادي بالكسر والضم والفتح وقرئ بهن وبالعدية أيضا على قلب الواو ياء لأن بينها وبين الكسرة
حاجزا غير حصين كما في الصبية والدنيا والقصوى تأنيث الأدنى والأقصى فإن قلت كلتاهما فعلى من بنات الواو
فلم جاءت إحداهما بالياء والثانية بالواو قلت القياس هو قلب الواو ياء كالعليا وأما القصوى فكالقود في مجيئه
على الأصل وقد جاء القصيا إلا أن استعمال القصوى أكثر كما كثر استعمال استصوب مع مجيء استصاب وأغيلت
مع أغالت والعدوة الدنيا مما يلي المدينة والقصوى مما يلي مكة والركب أسفل منكم يعني الركب الأربعين الذين
كانوا يقودون العير أسفل منكم بالساحل وأسفل نصب على الظرف معناه مكانا أسفل من مكانكم وهو مرفوع
المحل لأنه خبر المبتدأ فإن قلت ما فائدة هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين وأن العير كان أسفل منهم
قلت الفائدة فيه الإخبار عن الحال الدالة على قوة شأن العدو وشوكته وتكامل عدته وتمهد أسباب الغلبة
له وضعف شأن المسلمين والتياث أمرهم وأن غلبتهم في مثل هذه الحال ليست إلا صنعا من الله تعالى ودليلا على
أن ذلك أمر لا يتيسر إلا بحوله وقوته وباهر قدرته وذلك أن العدوة القصوى التي أناخ بها المشركون

كان

كان فيها الماء وكانت ارضا لا بأس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي خبار تسوخ فيها الأرجل ولا يمشى فيها الا بتعب
ومشقة وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم وتشحذ في المقاتلة عنها
نياتهم ولهذا كانت العرب تخرج الى الحرب بظعنهم واموالهم ليبعثهم الذب عن الحريم والغيرة على الحرم على بذل
جهيداهم في القتال وان لا يتركوا وراءهم ما يحدثون انفسهم بالانحياز اليه فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط هممهم
ويوطن نفوسهم على ان لا يبرحوا مواطنهم ولا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى نجدتهم وقصارى شدتهم وفيه
تصوير ما دبر الله تعالى من امر وقعة بدر ليقضي الله امرا كان مفعولا من اعزاز دينه واعلاء كلمته حين
وعد المسلمين احدى الطائفتين مبهمة غير مبينة حتى خرجوا ليأخذوا العير راغبين في الخروج وشخص بقريش
مرعوبين مما بلغهم من تعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم لاموالهم حتى نفروا ليمنعوا عيرهم وسبب الاسباب
حتى اناخ هؤلاء بالعدوة الدنيا وهؤلاء بالعدوة القصوى ووراءهم العير يحامون عليها حتى قامت
الحرب على ساق وكان ما كان ولو تواعدتم انتم واهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال
لخالف بعضكم بعضا فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما في قلوبهم من تهيب رسول الله صلى
الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي ما وفقه الله وسبب له ليقضي متعلق بمحذوف اي ليقضي
امرا كان واجبا ان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه دبر ذلك ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من
حي عن بينة وان الله لسميع عليم وقوله ليهلك بدل منه واستعير الهلاك والحياة للكفر والاسلام اي ليصدر
كفر من كفر عن وضوح بينة عن مخالجة شبهة حتى لا يبقى له على الله حجة ويصدر اسلام من اسلم ايضا
عن يقين وعلم بانه دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك ان ما كان من وقعة بدر من الآيات
الغر المحجلة التي من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطا لها وقرئ ليهلك بفتح اللام وحيي باظهار التضعيف
لسميع عليم يعلم كيف يدبر اموركم ويسوي مصالحكم وان لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وبايمان من آمن
وثوابه اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات
الصدور اذ يريكهم الله نصبه باضمار اذكر او هو بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بقوله لسميع عليم اي يعلم المصالح
اذ يقللهم في عينك في منامك في رؤياك وذلك ان الله عز وجل اراهم اياه في رؤياه قليلا فاخبر بذلك اصحابه فكان
تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم وعن الحسن رحمه الله في منامك في عينك لانها مكان النوم كما قيل للقطيفة المنامة
لانه ينام فيها وهذا تفسير فيه تعسف وما احسب الرواية فيه صحيحة عن الحسن وما يلائم علمه بكلام العرب
وفصاحته لفشلتم لجبنتم وهبتم الاقدام ولتنازعتم في الرأي وتفرقت فيما تصنعون كلمتكم وترجحتم
بين الثبات والفرار ولكن الله سلم اي عصم وانعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف انه عليم
بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها من الجرأة والجبن والصبر والجزع واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم
قليلا ويقللكم في اعينهم ليقضي الله امرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور واذ يريكموهم الضميران مفعولان
يعني واذ يبصركم اياهم قليلا نصب على الحال وانما قللهم في اعينهم تصديقا لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وليعاينوا ما اخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا قال ابن مسعود رضي الله عنه لقد قللوا في اعيننا
حتى قلت لرجل الى جنبي اتراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا منهم رجلا فقلنا له كم كنتم قال الفا ويقللكم في
اعينهم حتى قال قائل منهم انما هم اكلة جزور فان قلت الغرض في تقليل الكفار في اعين المؤمنين ظاهر فما الغرض

في تقليل المؤمنين في أعينهم قلت قد قللهم في أعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيها بعده ليجترئوا عليهم قلة مبالاة بهم
ثم تفجأهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وتفل شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حسابهم وتقديرهم وذلك قوله تعالى
يرونهم مثليهم رأي العين ولئلا يستعدوا لهم وليعظم الاحتجاج عليهم في استيضاح الآية البينة من قلتهم
أولا وكثرتهم آخرا فإن قلت بأي طريق يبصرون الكثير قليلا قلت بأن يستر الله عنهم بعضه بساتر
أو يحدث في عيونهم ما يستقلون له الكثير كما أحدث في أعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم إن الأحول
يرى الواحد اثنين وبين يديه ديك واحد فقال ما لي لا أرى هذين الديكين أربعة يا أيها الذين آمنوا إذا
لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون إذا حاربتم جماعة من الكفار ترك أن يصفها لأن المؤمنين
ما كانوا يلقون إلا الكفار واللقاء اسم للقتال غالب فاثبتوا لقتالهم ولا تفروا واذكروا الله كثيرا في مواطن
الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم لعلكم تفلحون
لعلكم تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه إشعار بأن على العبد أن لا يفتر عن ذكر ربه أشغل ما يكون
قلبا وأكثر ما يكون هما وأن تكون نفسه مجتمعة لذلك وإن كانت متوزعة عن غيره وناهيك بما في خطب
أمير المؤمنين في أيام صفين وفي مشاهده مع البغاة والخوارج من البلاغة والبيان ولطائف المعاني وبليغات
المواعظ والنصائح دليلا على أنهم كانوا لا يشغلهم عن ذكر الله شاغل وإن تفاقم وأطيعوا الله ورسوله ولا
تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ولا تنازعوا قرئ بتشديد التاء فتفشلوا
منصوب بإضمار أن أو مجزوم لدخوله في حكم النهي ويدل على التقدير قراءة من قرأ وتذهب ريحكم بالتاء
والنصب وقراءة من قرأ ويذهب ريحكم بالياء والجزم والريح الدولة شبهت في نفوذ أمرها وتمشيه بالريح
وهبوبها فقيل هبت رياح فلان إذا دالت له الدولة ونفذ أمره ومنه قوله

أتنظران قليلا ريث غفلتهم ... أم تعدوان فإن الريح للعادي

وقيل لم يكن قط نصر
إلا بريح يبعثها الله تعالى وفي الحديث نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور حذرهم بالنهي عن التنازع
واختلاف الرأي نحو ما وقع لهم بأحد لمخالفتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من فشلهم وذهاب ريحهم
ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط هم الذين
خرجوا من ديارهم من أهل مكة حين نفروا لحماية العير فأتاهم رسول أبي سفيان وهم بالجحفة أن ارجعوا فقد
سلمت عيركم فأبى أبو جهل فقال حتى نقدم بدرا نشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا
من العرب فذلك بطرهم ورئاؤهم الناس بإطعامهم فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت
عليهم النوائح مكان القيان فنهاهم أن يكونوا أمثالهم بطرين طربين مرائين بأعمالهم وأن يكونوا من أهل التقوى
والكآبة والحزن والخشية من خشية الله مخلصين أعمالهم لله وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم
اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى
ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب واذكر إذ زين لهم الشيطان أعمالهم التي عملوها في معاداة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسوس إليهم أنهم لا يغلبون ولا يطاقون وأوهمهم أن اتباع خطوات الشيطان
وطاعته مما يجيرهم فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان وتبرأ منهم أي بطل كيده حين نزلت جنود الله
وكذا عن الحسن رحمه الله كان ذلك على سبيل الوسوسة ولم يتمثل لهم وقيل لما اجتمعت قريش واجتمعت على السير

ذكرت التي بينها وبين بني كنانة من الحرب فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر
الكناني وكان من اشرافهم في جند من الشيطان معه راية وقال لا غالب لكم اليوم واني مجيركم من بني كنانة
فلما راى الملائكة تنزل نكص وقيل كانت يده في يد الحرث بن هشام فلما نكص قال له الحرث الى اين اتخذلنا
في هذه الحال فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحرث وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس
سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وفي
الحديث ما رؤي ابليس يوما اصغر ولا ادحر ولا اغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول الملائكة الرحمة الا ما رئي يوم
بدر فان قلت هلا قيل لا غالبا لكم كما يقال لا ضاربا زيدا عندنا قلت لو كان لكم مفعولا لغالب اي لا غالب اياكم لكان
الامر كما قلت ولكنه خبر تقديره لا غالب كائن لكم اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم
ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم اذ يقول المنافقون بالمدينة والذين في قلوبهم مرض يجوز ان يكون من
صفة المنافقين وان يراد الذين هم على حرف وليسوا بثابتي الاقدام في الاسلام وعن الحسن هم المشركون غر هؤلاء
دينهم يعنون ان المسلمين اغتروا بدينهم وانهم يتقوون به وينصرون من اجله فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة
عشر الى زهاء الف ثم قال جوابا لهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز غالب يسلط القليل الضعيف على الكثير
القوي ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم وذوقوا عذاب الحريق ولو
عاينت وشاهدت لان لو ترد المضارع الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال واذ نصب على الظرف
ويتوفى بالياء والتاء والملائكة رفعهما بالفعل ويضربون حال منهم ويجوز ان يكون في يتوفى ضمير الله عز وجل
والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر وعن مجاهد ادبارهم استاههم ولكن الله كريم يكني وانما خصوهما
بالضرب لان الخزي والنكال في ضربهما اشد وبلغني عن اهل الصين ان عقوبة الزاني عندهم ان يحضر ثم يعطى
الرجل القوي البطش شيئا يعمل من حديد بهيئة الطبق فيه رزانة وله مقبض فيضرب به على دبره ضربة واحدة
بقوته فيخمد في مكانه وقيل يضربون ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا معطوف على يضربون على ارادة
القول اي ويقولون ذوقوا عذاب الحريق اي مقدمة عذاب النار او ذوقوا عذاب الآخرة بشارة لهم به
وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار او ويقال لهم يوم القيامة ذوقوا وجواب لو
محذوف اي لرأيت امرا فظيعا منكرا ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد كداب آل فرعون والذين
من قبلهم كفروا بآيات الله فاخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها
على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم ان الله سميع عليم ذلك بما قدمت ايديكم تحتمل ان يكون من كلام الله تعالى ومن
كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت خبره وان الله عطف عليه اي ذلك العذاب بسببين بسبب كفركم
ومعاصيكم وبان الله ليس بظلام للعبيد لان تعذيب الكفار من العدل كاثابة المؤمنين وقيل ظلام للتكثير
لاجل العبيد او لان العذاب من العظم بحيث لولا الاستحقاق لكان المعذب بمثله ظلاما بليغ الظلم متفاقمه
والكاف في محل الرفع اي داْبهم مثل داْب آل فرعون وداْبهم عادتهم وعملهم الذي داْبوا فيه اي داوموا
عليه وواظبوا وكفروا تفسير لداْب آل فرعون وذلك اشارة الى ما حل بهم يعني ذلك العذاب او الانتقام
بسبب ان الله لم ينبغ له ولم يصح في حكمته ان يغير نعمته عندهم ولم يكن لهم حال مرضية عند الله قوم حتى يغيروا ما بهم
من الحال فان قلت فما كان من تغيير آل فرعون ومشركي مكة حتى غير الله نعمته عليهم ولم تكن لهم حال مرضية فيغيروها

بحال مسخوطة فلن قلت كما تغير الحال المرضية إلى المسخوطة تغير الحال المسخوطة إلى أسخط منها وأولئك كانوا
كانوا قبل بعثة الرسول إليهم كفرة عبدة أصنام فلما بعث إليهم بالآيات البينات فكذبوه وعادوه وتحزبوا عليه ساعين
في إراقة دمه غيروا حالهم إلى أسوأ مما كانت فغير الله ما أنعم به عليهم من الإمهال وعاجلهم بالعذاب وأن الله سميع
لما يقول مكذبوا الرسل عليم بما يفعلون كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم
وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون كدأب آل فرعون
تكرير للتأكيد وفي قوله تعالى بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق وفي ذكر الإغراق بيان
للأخذ بالذنوب وكل كانوا ظالمين وكلهم من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي
الذين كفروا فهم لا يؤمنون أي أصروا على الكفر ورسخوا فيه فلا يتوقع منهم إيمان ولعلهم بنو قريظة عاهدهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يمالئوا عليه فنكثوا بأن أعانوا مشركي مكة بالسلاح وقالوا نسينا وأخطأنا ثم
عاهدهم فنكثوا ومالوا معهم يوم الخندق وانطلق كعب بن الأشرف إلى مكة فحالفهم الذين عاهدت منهم ثم ينقضون
عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون الذين عاهدت منهم بدل من الذين كفروا أي الذين عاهدتهم من الذين كفروا وجعلهم شر
الدواب لأن شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم وشر المصرين الناكثون للعهود وهم لا يتقون سبة
لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون بما فيه من العار والنار فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون
فإما تثقفنهم فإما تصادفنهم وتظفرن بهم فشرد بهم من خلفهم ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر
قتلة والنكاية فيهم من وراءهم من الكفرة لا يجسر عليك أحد بعدهم اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم وقرأ ابن مسعود
فشرذ بالذال المعجمة بمعنى ففرق وكأنه مقلوب شذر من قولهم ذهبوا شذر مذر ومنه الشذر الملتقط
من المعدن لتفرقه وقرأ أبو حيوة من خلفهم ومعناه فافعل التشريد من ورائهم لأنه إذا شرد الذين وراءهم
فقد فعل التشريد في الوراء وأوقعه فيه لأن الوراء جهة المشردين فإذا جعل الوراء ظرفا للتشريد فقد دل على
تشريد من فيه فلم يبق فرق بين القراءتين لعلهم يذكرون لعل المشردين من وراءهم يتعظون وإما تخافن
من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين وإما تخافن من قوم معاهدين خيانة ونكثا بأمارات تلوح
لك فانبذ إليهم فاطرح إليهم العهد على سواء على طريق مستو قصد وذلك أن تظهر لهم نبذ العهد وتخبرهم إخبارا
مكشوفا بينا أنك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد على سواء على طريق مستو
فيكون ذلك خيانة منك إن الله لا يحب الخائنين فلا يكن منك إخفاء نكث العهد والخداع وقيل على سواء في العلم
بنقض العهد وقيل على استواء في العداوة والجار والمجرور في موضع الحال كأنه قيل فانبذ إليهم ثابتا على
طريق قصد سوي أو حاصلين على استواء في العلم أو العداوة على أنها حال من النابذ والمنبوذ إليهم ولا يحسبن الذين
كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون سبقوا فاتوا وأفلتوا من أن يظفر بهم إنهم لا يعجزون إنهم لا يفوتون ولا يجدون
طالبهم عاجزا عن إدراكهم وقرئ أنهم بالفتح بمعنى لأنهم كل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل إلا أن المكسورة على طريقة
الاستئناف والمفتوحة تعليل صريح وقرئ يعجزون بالتشديد وقرأ ابن محيصن يعجزون بكسر النون وقرأ الأعمش
ولا يحسب الذين كفروا بكسر الباء وبفتحها على حذف النون الخفيفة وقرأ حمزة ولا يحسبن الذين كفروا بالياء على
أن الفعل للذين كفروا وقيل فيه إضمار أي أن سبقوا فحذفت أن لقوله تعالى ومن آياته يريكم البرق وأنشد له
عليه بقراءة ابن مسعود أنهم سبقوا وقيل وقع الفعل على أنهم لا يعجزون على أن لا صلة وسبقوا في محل الحال بمعنى سابقين

اليهم معاه

بلغ مقابله

اي مغلبين

بلغ مقابلة

أي سلمتني بها ربي. وقيل معناه ولا تحسبنهم الذين كفروا سبقوا فحذف الضمير لكونه مفهوماً. وقيل ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا. وهذه الأقاويل كلها متمحلة وليست هذه القراءة التي تفرد بها حمزة بنيرة. وعن الزهري أنها نزلت فيمن أفلت من فل المشركين «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون» من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب من عددها. وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر: ألا إن القوة الرمي قالها ثلاثاً. ومات عقبة عن سبعين قوساً في سبيل الله. وعن عكرمة هي الحصون والرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله. ويجوز أن تسمى بالرباط الذي هو بمعنى المرابطة. ويجوز أن يكون جمع ربيط كفصيل وفصال. وقرأ الحسن ومن ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط. ويجوز أن يكون قوله تعالى ومن رباط الخيل تخصيصاً للخيل من بين ما يتقوى به كقوله عز وجل وجبريل وميكائيل. وعن ابن سيرين أنه سئل عمن أوصى بثلث ماله في الحصون فقال يشترى به الخيل فترابط في سبيل الله ويغزى عليها. فقيل له إنما أوصى في الحصون فقال ألم تسمع قول الشاعر:

أن الحصون الخيل لا مدر القرى

«ترهبون به» قرئ بالتخفيف والتشديد. وقرأ ابن عباس ومجاهد تخزون به. والضمير في به راجع إلى ما استطعتم. «عدو الله وعدوكم» هم أهل مكة. «وآخرين من دونهم» هم اليهود. وقيل المنافقون. وعن السدي هم أهل فارس. وقيل كفرة الجن. وجاء في الحديث إن الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا داراً فيها فرس عتيق. وروي أن صهيل الخيل يرهب الجن. «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم» جنح له وإليه إذا مال. والسلم تؤنث تأنيث نقيضها وهي الحرب. قال:

السلم تأخذ منها ما رضيت به * والحرب تكفيك من أنفاسها جرع

وقرئ بفتح السين وكسرها. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الآية منسوخة بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله. وعن مجاهد بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم. والصحيح أن الأمر موقوف على ما يرى فيه الإمام صلاح الإسلام وأهله من حرب أو سلم. وليس بحتم أن يقاتلوا أبداً أو يجابوا إلى الهدنة أبداً. وقرأ الأشهب العقيلي فاجنح بضم النون. «وتوكل على الله» ولا تخف من إبطانهم المكر في جنوحهم إلى السلم فإن الله كافيك وعاصمك من مكرهم وخديعتهم. قال مجاهد يريد قريظة. «وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم» فإن حسبك الله فإن محسبك الله. قال جرير:

إني وجدت من المكارم حسبكم * أن تلبسوا خز الثياب وتشبعوا

وألف بين قلوبهم التأليف بين قلوب من بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات الباهرة لأن العرب لما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء على الضغينة في أدنى شيء وإلقائه بين أعينهم إلى أن ينتقموا لا يكاد يأتلف منهم قلبان ثم ائتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم واتحدوا وأنشأوا يرمون عن قوس واحدة. وذلك لما نظم الله من ألفتهم وجمع من كلمتهم وأحدث بينهم من التحاب والتواد وأماط عنهم من التباغض والتماقت وكلفهم في الحب في الله والبغض في الله. ولا يقدر على ذلك إلا من يملك القلوب فهو يقلبها كما شاء ويصنع فيها ما أراد. وقيل هم الأوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقائع ما أهلك سادتهم ورؤساءهم ودق جماجمهم ولم يكن لبغضائهم أمد ومنتهى وبينهما التجاور الذي يهيج الضغائن ويديم التحاسد والتنافس. وعادة كل طائفتين كانتا بهذه المثابة أن تتجنب هذه ما آثرته أختها وتكرهه وتنفر عنه فأنساهم الله ذلك كله حتى اتفقوا على الطاعة وتصافوا وصاروا

انصارا وعادوا اعوانا. وما ذاك الا بلطيف صنعه وبليغ قدرته يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ومن
اتبعك الواو بمعنى مع وما بعده منصوب تقول حسبك وزيدا درهم ولا تجر لان عطف الظاهر المجرور على
المكني ممتنع قال. وحسبك والضحاك سيف مهند. والمعنى كفاك وكفى تباعك من المؤمنين الله ناصرا او يكون
في محل الرفع اي كفاك الله وكفاك المؤمنون وهذه الآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال
وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في اسلام عمر رضي الله عنه. وعن سعيد بن جبير انه اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم
ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رضي الله عنه فنزلت يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم
عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون الآن خفف
الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله
والله مع الصابرين التحريض المبالغة في الحث على الامر من الحرض وهو ان ينهكه المرض ويتبالغ فيه حتى يشفي
على الموت او ان يسميه حرضا ويقول له ما اراك الا حرضا في هذا الامر ومحرضا فيه ليهيجه ويحرك منه
وقرئ حرص بالصاد غير المعجمة حكاها الاخفش من الحرص. ويقال حركه وحرصه وحرشه وحربه بمعنى وهذه
عدة من الله تعالى وبشارة بان الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا عشرة امثالهم من الكفار بعون الله وتاييده.
ثم قال بانهم قوم لا يفقهون. اي بسبب ان الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب
كالبهائم فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته ويستحقون خذلانه خلاف من يقاتل على بصيرة ومعه ما
يستوجب به النصر والاظهار من الله تعالى. وعن ابن جريج كان عليهم ان لا يفر واحد من عشرة وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حمزة في ثلاثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلثمائة راكب قيل ثم ثقل عليهم ذلك
وضجوا منه وذلك بعد مدة طويلة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين. وقيل كان فيهم قلة في الابتداء
ثم لما كثروا بعد نزل التخفيف. وقرئ ضعفا بالضم والفتح كالمكث والمكث. والفقر والفقر وضعفا جمع
ضعيف وقرئ. الفعل المسند الى المائة بالتاء والياء في الموضعين والمراد بالضعف الضعف في البدن وقيل في
البصيرة والاستقامة في الدين وكانوا متفاوتين في ذلك. فان قلت لم كرر المعنى الواحد وهو مقاومة الجماعة
لاكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده قلت للدلالة على ان الحال مع القلة والكثرة واحدة لا تتفاوت بين مقاومة
العشرين المائتين والمائة الالف وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والالف الالفين. ما كان لنبي ان تكون
له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم قرئ للنبي على التعريف واسارى
ويثخن بالتشديد ومعنى الاثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من قولهم اثخنته الجراحات اذا اثبتته حتى تثقل عليه
الحركة واثخنه المرض اذا اثقله من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة. يعني حتى يذل الكفر ويضعفه باشاعة
القتل في اهله ويعز الاسلام ويقويه بالاستيلاء والقهر ثم الاسر بعد ذلك ومعنى ما كان ما صح له وما
استقام وكان هذا يوم بدر فلما كثر المسلمون نزل فاما منا بعد واما فداء. وروي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس عمه وعقيل بن ابي طالب فاستشار ابا بكر رضي الله عنه فيهم فقال قومك واهلك
استبقهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك فقال عمر رضي الله عنه كذبوك واخرجوك فقدمهم
واضرب اعناقهم فان هؤلاء ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من
فلان لنسيب له فلنضرب اعناقهم فقال رسول الله ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد

قلوب

قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور
رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ثم قال لاصحابه انتم اليوم عالة فلا يفلتن احد
منهم الا بفداء او ضرب عنق وروي انه قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم
فقالوا بل ناخذ الفداء فاستشهدوا باحد وكان فداء الاسارى عشرين اوقية وفداء العباس اربعين اوقية وعن
محمد بن سيرين كان فداؤهم مائة اوقية والاوقية اربعون درهما وستة دنانير وروي انهم لما اخذوا الفداء
نزلت الاية فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت
بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة
لشجرة قريبة منه وروي انه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان الاثخان
في القتل احب الي عرض الدنيا حطامها سمي به لانه حدث قليل اللبث يريد الفداء والله يريد الاخرة
ما هو سبب الجنة من اعزاز الاسلام بالاثخان في القتل وقرئ يريدون بالياء وقرا بعضهم والله يريد الاخرة
بجر الاخرة على حذف المضاف وابقاء المضاف اليه على حاله كقوله

• اكل امرئ تحسبين امرأ • ونار توقد بالليل نارا •

معناه والله يريد عرض الاخرة على التقابل يعني ثوابها والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه ويتمكنون منهم
قتلا واسرا ويطلق لهم الفداء ولكنه حكيم يؤخر ذلك الى ان يكثروا ويعزوا وهم يعجلون لولا كتاب
من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم لولا كتاب من الله سبق لولا حكم منه سبق اثباته في اللوح وهو انه
لا يعاقب احدا بخطاء وكان هذا خطاء في الاجتهاد لانهم نظروا في ان استبقاءهم ربما كان سببا في اسلامهم
وتوبتهم وان فداءهم يتقوى به على الجهاد في سبيل الله وخفي عليهم ان قتلهم اعز للاسلام واهيب لمن وراءهم
واقل لشوكتهم وقيل كتابه انه سيحل لهم الفدية التي اخذوها وقيل ان اهل بدر مغفور لهم وقيل
انه لا يعذب قوما الا بعد تاكيد الحجة وتقديم النهي ولم يتقدم نهي عن ذلك فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا
واتقوا الله ان الله غفور رحيم فكلوا مما غنمتم روي انهم امسكوا عن الغنائم ولم يمدوا ايديهم اليها فنزلت وقيل
هو اباحة للفداء لانه من جملة الغنائم واتقوا الله فلا تقدموا على شيء لم يعهد اليكم فيه فان قلت
ما معنى الفاء قلت التسبب والسبب محذوف معناه قد ابحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم وحلالا نصب
على الحال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وقوله ان الله غفور رحيم معناه انكم اذا اتقيتموه بعد
ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل ان يؤذن لكم فيه غفر لكم ورحمكم وتاب عليكم يا ايها النبي قل لمن
في ايديكم من الاسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم في ايديكم
في ملكتكم كان ايديكم قابضة عليهم وقرئ من الاسرى في قلوبكم خيرا خلوص ايمان وصحة نية يؤتكم خيرا
مما اخذ منكم من الفداء اما ان يخلفكم في الدنيا اضعافه او يثيبكم في الاخرة وفي قراءة الاعمش يثبكم خيرا
وعن العباس كنت مسلما ولكنهم استكرهوني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكن ما تذكر حقا فالله يجزيك
خيرا فاما ظاهر امرك فقد كان علينا وكان احد الذين ضمنوا الطعام لاهل بدر وخرج بالذهب لذلك ويروى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس افد ابني اخيك عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحرث فقال
يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال له اين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة

وقلت لها ما ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال له العباس
وما يدريك قال اخبرني به ربي قال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله لم يطلع
احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فاما اذا اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس
فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها
جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي وروي انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مال البحرين ثمانون
الفا فتوضأ لصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وامر العباس ان ياخذ منه فاخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا
خير مما اخذ مني وارجو المغفرة وقرأ الحسن وشيبة مما أخذ منكم على البناء للفاعل وان يريدوا خيانتك فقد خانوا
الله من قبل فامكن منهم والله عليم حكيم وان يريدوا خيانتك نكث ما بايعوك عليه من الاسلام والردة واستحباب
دين ابائهم فقد خانوا الله من قبل في كفرهم به ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه فامكن منهم كما رايتم يوم
بدر فسيمكن منهم ان اعادوا الخيانة وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا
باموالهم وانفسهم في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم
من شيء حتى يهاجروا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير
الذين هاجروا اي فارقوا اوطانهم وقومهم حبا لله ولرسوله هم المهاجرون والذين اووهم الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم
هم الانصار بعضهم اولياء بعض اي يتولى بعضهم بعضا في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة
والنصرة دون ذوي القرابات حتى نسخ ذلك بقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وقرئ من ولايتهم
بالفتح والكسر اي من توليهم في الميراث ووجه الكسر ان تولي بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة كانه بتوليه
صاحبه يزاول امرا ويباشر عملا فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم منهم بينكم وبينهم
عهد فانه لا يجوز لكم نصرهم عليهم لانهم لا يبتدئون بالقتال اذ الميثاق مانع من ذلك والذين كفروا بعضهم اولياء
بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ظاهره اثبات الموالاة بينهم كقوله
في المسلمين اولئك بعضهم اولياء بعض ومعناه نهي المسلمين عن موالاة الذين كفروا وموارثتهم وايجاب مباعدتهم
ومصارمتهم وان كانوا اقارب وان يتركوا يتوارثون بعضهم بعضا ثم قال الا تفعلوه اي ان لا تفعلوا ما امرتكم
به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضا حتى في التوارث تفضيلا لنسبة الاسلام على نسبة القرابة ولم تقطعوا
العلائق بينكم وبين الكفار ولم تجعلوا قرابتهم كلا قرابة تحصل فتنة في الارض ومفسدة عظيمة لان المسلمين
ما لم يصيروا يدا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زائدا وقرئ كثير بالثاء والذين امنوا وهاجروا
وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم اولئك هم
المؤمنون حقا لانهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الاهل والانسلاخ من المال
لاجل الدين وليس بتكرار لان هذه الآية واردة للثناء عليهم والشهادة لهم مع الوعد الكريم والاولى للامر بالتواصل
والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله
ان الله بكل شيء عليم والذين امنوا من بعد يريد اللاحقين بعد السابقين الى الهجرة كقوله والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا
اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الحقهم بهم وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا واولوا الارحام اولوا القرابات
اولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة في كتاب الله في حكمه وقسمته او في اللوح او في القران

بقرابة المقاربة وقد استدل به أصحاب أبي حنيفة رحمه الله على توريث ذوي الأرحام. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأنفال وبراءة فأنا شفيع له يوم القيامة وشاهد أنه بريء من النفاق وأعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له أيام حياته في الدنيا. والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

سورة التوبة مدنية وهي مائة وعشرون وسبع آيات

براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين لها عدة أسماء براءة التوبة المقشقشة المبعثرة المشردة المخزية الفاضحة الحافرة المنكلة المدمدمة سورة العذاب لأن فيها التوبة على المؤمنين وهي تقشقش من النفاق أي تبرئ منه وتبعثر عن أسرار المنافقين وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشرد بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم. وعن حذيفة إنكم تسمونها سورة التوبة وإنما هي سورة العذاب والله ما تركت أحداً إلا نالت منه. فإن قلت هلا صدرت بآية التسمية كسائر السور قلت سأل عن ذلك ابن عباس عثمان رضي الله عنهما فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا نزلت عليه السورة أو الآية قال اجعلوها في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أين نضعها وكانت قصتها شبيهة بقصتها فلذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان القرينتين. وعن أبي بن كعب رضي الله عنه إنما توهموا ذلك لأن في الأنفال ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود. وسئل ابن عيينة فقال اسم الله سلام وأمان فلا يكتب في النبذ والمحاربة قال الله سبحانه وتعالى ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم لست مؤمناً قيل فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد كتب إلى أهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم قال إنما ذلك ابتداء يدعوهم ولم ينبذ إليهم ألا تراه يقول سلام على من اتبع الهدى فمن دعي إلى الله فأجاب ومن دعي إلى الجزية فأجاب فقد اتبع الهدى. فأما النبذ فإنما هو البراءة واللعنة وأهل الحرب لا يسلم عليهم ولا يقال لا تفرق ولا تخف ومترس ولا بأس هذا أمان كله. وقيل سورة الأنفال والتوبة سورة واحدة كلتاهما نزلت في القتال تعدان السابعة من الطول وهي سبع وما بعدها المئون وهذا قول ظاهر لأنهما معاً مائتان وست فهما بمنزلة إحدى الطول. وقيل اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم الأنفال وبراءة سورة واحدة وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله لقول من قال هما سورة واحدة. براءة خبر مبتدأ محذوف أي هذه براءة ومن الله لابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة كما في قولك برئت من الدين والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان إلى فلان. ويجوز أن تكون براءة مبتدأ لتخصيصها بصفتها والخبر إلى الذين عاهدتم كما تقول رجل من بني تميم في الدار. وقرئ براءة بالنصب على اسمعوا براءة. وقرأ أهل نجران من الله بكسر النون والوجه الفتح مع لام التعريف لكثرته والمعنى أن الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وأنه منبوذ إليهم. فإن قلت لم علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين قلت قد أذن الله في معاهدة المشركين أولاً فاتفق المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاهدوهم فلما نقضوا العهد أوجب الله النبذ إليهم فخوطب المسلمون بما تجدد من ذلك فقيل لهم اعلموا أن الله ورسوله قد برئا مما عاهدتم به المشركين. فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين روي أنهم عاهدوا المشركين من أهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا إلا ناساً منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد إلى الناكثين وأمروا أن يسيحوا في الأرض

في اربعة اشهر آمنين اين شاؤا لا يتعرض لكم وهي الاشهر الحرم في قوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم وذلك لصيانة الاشهر
الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الامير فيها عتاب بن أسيد
فأمّر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه على موسم سنة
تسع ثم أتبعه عليًّا رضي الله عنه راكب العضباء ليقرأها على الموسم فقيل له لو بعثت بها الى أبي بكر فقال لا يؤدي عني
الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله فلما لحقه قال أمير او مأمور
وروي ان ابا بكر رضي الله عنه لما كانا ببعض الطريق هبط جبريل عليه الصلاة والسلام فقال يا محمد لا يبلغن رسالتك الا
رجل منك فارسل عليًّا فرجع ابو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أشيء نزل من السماء قال نعم فسر وانت
على الموسم وعلي ينادي بالآي فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة
العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين او اربعين آية وعن مجاهد ثلاث عشرة
ثم قال أمرت بأربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل
نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده فقالوا يا علي أبلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا
وبينه عهد الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف وقيل انما امر ان لا يبلغ عنه الا رجل منه ان العرب عادتها
في نقض عهودها ان يتولى ذلك رجل منها فلو تولاه ابو بكر رضي الله عنه لجاز ان يقولوا هذا خلاف ما يعرف فينا
في نقض العهود فازيحت علتهم بتوليته ذلك عليًّا رضي الله عنه فان قلت الاشهر الاربعة ما هي قلت عن الزهري
ان براءة نزلت في شوال فهي اربعة اشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة
والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الآخر وكانت حرما لانهم أومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم او على
التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها وقيل لعشر من ذي القعدة الى عشر من شهر ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان
في ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة فان قلت ما وجه اطباق اكثر العلماء
على جواز مقاتلة المشركين في الاشهر الحرم وقد صانها الله عن ذلك قلت قالوا قد نسخ وجوب الصيانة وابيح قتال
المشركين فيها غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم وهو مخزيكم اي مذلكم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب
وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله بريء من المشركين ورسوله فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا انكم
غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم وأذان ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها
ولا وجه لقول من قال انه معطوف على براءة كما لا يقال عمرو معطوف على زيد في قولك زيد قائم وعمرو قاعد والأذان
بمعنى الايذان وهو الاعلام كما ان الامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء فان قلت اي فرق بين معنى الجملة الاولى
والثانية قلت تلك اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بما ثبت فان قلت لم علقت
البراءة بالذين عاهدوا من المشركين وعلق الاذان بالناس قلت لان البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم واما
الاذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث ويوم الحج الاكبر يوم
عرفة وقيل يوم النحر والحلق والذبح وعن علي رضي الله عنه ان رجلا اخذ بلجام دابته فقال ما الحج الاكبر
قال يومك هذا خل عن دابتي وعن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة
الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او جعل الوقوف بعرفة هو الحج الاكبر
لانه معظم واجباته لانه اذا فات فات الحج وكذلك ان اريد به يوم النحر لان ما يفعل فيه معظم افعال الحج فهو الحج الاكبر

لأنّ فيه تمام الحج ومعظم أفعاله من الطواف والنحر

وعن

وعن الحسن سمي الحج الاكبر لاجتماع المسلمين والمشركين فيه وموافقته لاعياد اهل الكتاب ولم يتفق ذلك قبله ولا بعده فعظم ذلك في قلب كل مؤمن وكافر حذفت الباء التي هي الاذان تخفيفا وقرئ ان الله بالكسر لان الاذان في معنى القول ورسوله عطف على المنوي في بريء او على محل ان المكسورة واسمها وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع اي بريء معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم كقوله لعمرك ويحكى ان اعرابيا سمع رجلا يقرؤها فقال ان كان الله بريئا من رسوله فانا منه بريء فلببه الرجل الى عمر فحكى الاعرابي قراءته فعندها امر عمر رضي الله عنه بتعلم العربية فان تبتم من الكفر والغدر فهو خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي عن الاعراض عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير سابقي الله ولا فائتين اخذه وعقابه الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين فان قلت مم استثني قوله الا الذين عاهدتم قلت وجهه ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا في الارض الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوا فاتموا اليهم عهدهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان امروا في الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر ان الله يحب المتقين يعني ان قضية التقوى ان لا يسوى بين الفريقين فاتقوا الله في ذلك لم ينقصوكم شيئا لم يقتلوا منكم احدا ولم يضروكم قط ولم يظاهروا ولم يعاونوا عليكم عدوا كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانشد

لا هم اني ناشد محمدا ◦ حلف ابينا وابيك الاتلدا
ان قريشا اخلفوك الموعدا ◦ ونقضوا ذمامك المؤكدا
هم بيتونا بالحطيم هجدا ◦ وقتلونا ركعا وسجدا

فقال صلى الله عليه وسلم لا نصرت ان لم انصركم وقرئ لم ينقضوكم بالضاد معجمة اي لم ينقضوا عهدكم ومعنى فاتموا اليهم فادوه اليهم تاما كاملا قال ابن عباس رضي الله عنه بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم انسلخ الشهر كقولهم انجرد الشهر وسنة جرداء والاشهر الحرم التي ابيح فيها للناكثين ان يسيحوا فاقتلوا المشركين يعني الذين نقضوكم وظاهروا عليكم حيث وجدتموهم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم وقيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد وعن ابن عباس رضي الله عنهما حصرهم ان يحال بينهم وبين المسجد الحرام كل مرصد كل ممر ومجتاز ترصدونهم به وانتصابه على الظرف كقوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم فخلوا سبيلهم فاطلقوا عنهم بعد الاسر والحصر او فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم كقوله خل السبيل لمن يبني المنار به وعن ابن عباس رضي الله عنهما دعوهم واتيان المسجد الحرام ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف لهم من الكفر والغدر وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه ذلك بانهم قوم لا يعلمون احد مرتفع بفعل الشرط مضمرا يفسره الظاهر تقديره وان استجارك احد استجارك ولا يرتفع بالابتداء لان ان من عوامل الفعل لا تدخل على غيره والمعنى وان جاءك احد من المشركين بعد انقضاء الاشهر لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق فاستأمنك ليسمع ما تدعو اليه

من التوحيد والقرآن وتبيين ما بعثت له فأمّنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه بعد ذلك
داره التي يأمن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت من غير غدر ولا خيانة وهذا الحكم ثابت في كل وقت وعن الحسن هي محكمة
الى يوم القيامة وعن سعيد بن جبير جاء رجل من المشركين الى علي رضي الله عنه فقال ان اراد الرجل منا ان يأتي محمدا
بعد انقضاء هذا الاجل يسمع كلام الله او يأتيه لحاجة قتل قال لا لان الله يقول وان احد من المشركين استجارك الآية
وعن السدي والضحاك هي منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين ذلك اي ذلك الامر يعني الامر بالاجارة في قوله تعالى فاجره
بسبب انهم قوم جهلة لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقة ما تدعو اليه فلا بد من اعطائهم الامان حتى يسمعوا الكلام ويفهموا
الحق كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله
يحب المتقين كيف استفهام في معنى الاستنكار والاستبعاد لان يكون للمشركين عهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم اضداد
وغرة صدورهم يعني محال ان يثبت لهم عهد فلا تطمعوا في ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا في قتلهم تطمعوا
ثم استدرك ذلك بقوله تعالى الا الذين عاهدتم اي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام ولم يظهر منهم نكث
كبني كنانة وبني ضمرة فتربصوا امرهم ولا تقاتلوهم فما استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله ان الله يحب
المتقين يعني ان التربص بهم من اعمال المتقين كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم بافواههم وتأبى
قلوبهم واكثرهم فاسقون كيف تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما كما قال

وخبرتماني انما الموت بالقرى • فكيف وهاتا هضبة وقليب

يريد فكيف مات اي كيف يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظهروا عليكم بعد ما سبق لهم من تأكيد الايمان والمواثيق
لم ينظروا في حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم لا يرقبوا الا لا يراعوا حلفا وقيل قرابة وانشد لحسان

لعمرك ان إلّك من قريش • كإلّ السقب من رأل النعام

وقيل الا الها وقرئ ايلا بمعناه وقيل جبرئيل وجبرال من ذلك وقيل منه اشتق الال بمعنى القرابة كما اشتقت
الرحم من الرحمن والوجه ان اشتقاق الال بمعنى الحلف لانهم اذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه
من الال وهو الجؤار وله اليل اي انين يرتفع به صوته ودعت الالة اذا ولولت ثم قيل لكل عهد وميثاق
ال وسميت به القرابة لان القرابة عقدت بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق يرضونكم كلام مبتدأ في وصف حالهم
من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد وتأبى قلوبهم مخالفة ما فيها من الاضغان
لما يجرونه على السنتهم من الكلام الجميل واكثرهم فاسقون متمردون خلعاء لا مروءة تمنعهم ولا شمائل مرضية
تردعهم كما يوجد ذلك في بعض الكفرة من التفادي عن الكذب والنكث والتعفف عما يثلم العرض ويجر احدوثة السوء اشتروا
بايات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون اشتروا استبدلوا بايات الله بالقرآن والاسلام ثمنا قليلا وهو اتباع
الاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله فعدلوا عنه او صرفوا غيرهم وقيل هم الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم لا يرقبون
في مؤمن الا ولا ذمة واولئك هم المعتدون فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فاخوانكم في الدين ونفصل الآيات
لقوم يعلمون هم المعتدون المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة فان تابوا عن الكفر ونقض العهد فاخوانكم فهم اخوانكم على
حذف المبتدأ كقوله تعالى فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم ونفصل الآيات ونبينها وهذا اعتراض كأنه قيل
ومن تأمل تفصيلها فهو العالم تحريضا على تأمل ما فصل من احكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها وان نكثوا
ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون وطعنوا في دينكم وثلبوه

وعابوه فقاتلوا أئمة الكفر فقاتلوهم فوضع أئمة الكفر موضع ضميرهم اشعارا بانهم اذا نكثوا في حال الشرك تمردا وطغيانا وطرحا
لعادات الكرام الأوفياء من العرب ثم آمنوا واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وصاروا اخوانا للمسلمين في الدين
ثم رجعوا فارتدوا عن الاسلام ونكثوا ما بايعوا عليه من الايمان والوفاء بالعهود وقعدوا يطعنون في دين الله
ويقولون ليس دين محمد بشيء فهم ائمة الكفر وذووا الرياسة والتقدم فيه لا يشق كافر غبارهم وقالوا اذا طعن
الذمي في دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على ان لا يطعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة
انهم لا ايمان لهم جمع يمين وقرئ لا ايمان لهم اي لا اسلام لهم او لا يعطون الامان بعد الردة والنكث ولا سبيل
اليه فان قلت كيف اثبت لهم الايمان في قوله وان نكثوا ايمانهم ثم نفاها عنهم قلت اراد ايمانهم التي اظهروها
ثم قال لا ايمان لهم على الحقيقة وايمانهم ليست بايمان وبه استشهد ابو حنيفة رحمه الله على ان يمين الكافر لا تكون
يمينا وعند الشافعي رضي الله عنه يمينهم يمين وقال معناه انهم لا يوفون بها بدليل انه وصفها بالنكث لعلهم ينتهون
متعلق بقوله تعالى فقاتلوا ائمة الكفر اي ليكن غرضكم في مقاتلتهم بعد ما وجد منهم ما وجد من العظائم ثم ان
تكون المقاتلة سببا في انتهائهم عما هم عليه وهذا من غاية كرمه وفضله وعوده على المسيء بالرحمة كلما عاد فان
قلت كيف لفظ ائمة قلت همزة بعدها همزة بين بين اي بين مخرج الهمزة والياء وتحقيق الهمزتين قراءة
مشهورة وان لم تكن بمقبولة عند البصريين واما التصريح بالياء فليس بقراءة ولا يجوز ان تكون ومن صرح بها فهو
لاحن محرف الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدءوكم اول مرة اتخشونهم فالله احق
ان تخشوه ان كنتم مؤمنين الا تقاتلون دخلت الهمزة على لا تقاتلون تقريرا بانتفاء المقاتلة ومعناه الحض عليها على
سبيل المبالغة نكثوا ايمانهم التي حلفوها في المعاهدة وهموا باخراج الرسول من مكة حين تشاوروا بذلك في دار الندوة
حتى اذن الله له في الهجرة فخرج بنفسه وهم بدءوكم اول مرة اي وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة لان رسول
الله صلى الله عليه وسلم جاءهم اولا بالكتاب المبين وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى القتال فهم البادئون
بالقتال والبادي اظلم فما يمنعكم من ان تقاتلوهم وان تصدموهم بالشر كما صدموكم وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم
عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها ويقرر ان من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبداءة
بالقتال من غير موجب حقيق بان لا تترك مصادمته وان يوبخ من فرط فيها اتخشونهم تقرير بالخشية منهم وتوبيخ
عليها فالله احق ان تخشوه فتقاتلوا اعداءه ان كنتم مؤمنين يعني ان قضية الايمان الصحيح ان لا يخشى المؤمن الا ربه ولا يبالي
بمن سواه كقوله تعالى ولا يخشون احدا الا الله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين
لما وبخهم الله على ترك القتال جرد لهم الامر به فقال قاتلوهم ووعدهم ليثبت قلوبهم ويصحح نياتهم انه يعذبهم بايديهم
قتلا ويخزيهم اسرا ويوليهم النصر والغلبة عليهم ويشف صدور طائفة من المؤمنين وهم خزاعة قال ابن عباس
هم بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فبعثوا الى رسول الله يشكون اليه فقال
ابشروا فان الفرج ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عزيز حكيم ويذهب غيظ قلوبكم لما لقيتم منهم
من المكروه وقد حصل الله لهم هذه المواعيد كلها فكان ذلك دليلا على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته ويتوب
الله على من يشاء ابتداء كلام واخبار بان بعض اهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك ايضا فقد اسلم ناس منهم وحسن
اسلامهم وقرئ ويتوب بالنصب باضمار ان ودخول التوبة في جملة ما اجيب به الامر من طريق المعنى والله عليم يعلم
ما سيكون كما يعلم ما قد كان حكيم لا يفعل الا ما اقتضته الحكمة ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم

ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان
والمعنى انكم لا تتركون على ما انتم عليه حتى يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا وليجة اي
بطانة من الذين يضادون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولما معناها التوقع دلت على ان تبين ذلك وايضاحه
متوقع كائن وان الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين المخلصين وقوله تعالى ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل
في حيز الصلة كانه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والوليجة فعيلة من
ولج كالدخيلة من دخل والمراد بنفي العلم نفي المعلوم لقول القائل ما علم الله مني ما قيل فيّ يريد ما وجد
ذلك مني ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون
ما كان للمشركين ما صح لهم وما استقام ان يعمروا مسجد الله يعني المسجد الحرام لقوله تعالى وعمارة المسجد الحرام وانما
جمع لانه قبلة المساجد كلها وامامها فعامره كعامر جميع المساجد ولان كل بقعة منه مسجد وقرئ بالجمع فيهما وجهان احدهما ان يراد المسجد الحرام وانما قيل مساجد لانه قبلة المساجد كلها وامامها فعامره
كعامر جميع المساجد ولان كل بقعة منه مسجد والثاني ان يراد جنس المساجد واذا لم يصلحوا لان يعمروا جنسها
دخل تحت ذلك ان لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدمته وهو آكد لان طريقته طريقة الكناية كما لو
قلت فلان لا يقرأ كتب الله كنت انفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك شاهدين على انفسهم بالكفر باظهار الشرك وتكذيب الرسول وهو حال من الواو في يعمروا
والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته ومعنى شهادتهم
على انفسهم بالكفر ظهور كفرهم وانهم نصبوا اصنامهم حول البيت وكانوا يطوفون عراة ويقولون لا نطوف
عليها بثياب قد اصبنا فيها المعاصي وكلما طافوا شوطا سجدوا لها وقيل هو قولهم لبيك لا شريك لك الا شريك
هو لك تملكه وما ملك وقيل قد اقبل المهاجرون والانصار على اسارى بدر يعيرونهم بالشرك وطفق علي بن
ابي طالب رضي الله عنه يوبخ العباس بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم واغلظ له القول فقال
العباس رضي الله عنه تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقالوا اولكم محاسن قالوا نعم ونحن افضل منكم اجرا انا لنعمر المسجد
الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت حبطت اعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك والحجابة والسقاية وفك العناة
واذا هدم الكفر او الكبيرة الاعمال الثابتة الصحيحة اذا تعقبها فما ظنك بالمقارن والى ذلك اشار في قوله شاهدين
حيث جعله حالا عنهم ودل على انهم قارنوا بين العمارة والشهادة بالكفر على انفسهم في حال واحد وذلك محال غير مستقيم
انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا
من المهتدين انما يعمر مساجد الله وقرئ بالتوحيد اي انما يستقيم عمارتها هؤلاء الجامعون للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها مما لم تبن له المساجد من حديث الدنيا
ما اشرت منها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها للعبادة والذكر ومن العبادة درس العلم
بل هو اجله واعظمه وصيانتها مما لم تبن له المساجد من حديث الدنيا فضلا عن فضول الحديث وعن النبي صلى الله عليه
وسلم يأتي في آخر الزمان ناس من امتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم
فليس لله بهم حاجة وفي الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال صلى الله عليه وسلم
قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي
فحق على المزور ان يكرم زائره وعنه من الف المسجد الفه الله وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد
فاشهدوا له بالايمان وعن انس رضي الله عنه من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش تستغفر له ما دام
في ذلك المسجد ضوءه وانما لم يذكر الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم لما علم وشهر ان الايمان بالله قرينته الايمان بالرسول

لاشتماله كلمة الشهادة والاذان وغيرهما عليهما مقترنين مزدوجين كانهما شي واحد غير منفك احدهما عن صاحبه انطوى تحت ذكر
الايمان بالله الايمان بالرسول وقيل دل عليه بذكر اقامة الصلاة وايتاء الزكاة فان قلت كيف قيل ولم يخش الا الله
والمؤمن يخشى المحاذير ولا يتمالك ان لا يخشاها قلت هي الخشية والتقوى في ابواب الدين وان لا يختار على رضا الله
رضا غيره لتوقع مخوف واذا اعترضه امران احدهما حق الله والاخر حق نفسه وقيل كانوا يخشون الاصنام
ويرجونها فاريد نفي تلك الخشية عنهم • فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم
لاطماعهم في الانتفاع باعمالهم التي استعظموها فافتخروا بها واملوا عاقبتها بان الذين امنوا وضموا الى ايمانهم العمل
بالشرائع مع استشعار الخشية والتقوى اهتداؤهم دائر بين عسى ولعل فما بال المشركين يقطعون انهم مهتدون ه
ونائلون عند الله الحسنى • وفي هذا الكلام ونحوه لطف للمؤمنين في ترجيح الخشية على الرجاء • ورفض الاغترار بالله
اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي
القوم الظالمين السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر • كالصيانة والوقاية ولا بد من مضاف محذوف تقديره
اجعلتم اهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله • وتصدقه قراءة ابن الزبير وابي وجزة السعدي
وكان من القراء سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى انكار ان يشبه المشركين بالمؤمنين • واعمالهم المحبطة • باعمالهم المثبتة
وان يسوي بينهم وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر • وروي ان المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمار
المسجد الحرام • افنحن افضل ام محمد واصحابه • فقال لهم اليهود انتم افضل • وقيل ان عليا قال للعباس رضي الله عنه
يا عم الا تهاجرون • الا تلحقون برسول الله فقال الست في افضل من الهجرة • اسقي حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام
فلما نزلت قال العباس ما اراني الا تارك سقايتنا فقال صلى الله عليه وسلم اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا
الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون هم
اعظم درجة عند الله من اهل السقاية والعمارة عند الله • واولئك هم الفائزون لا انتم والمختصون بالفوز دونكم يبشرهم
ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم قرئ يبشرهم بالتخفيف
والتثقيل وتنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف • وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي في المهاجرين خاصة
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون قل
ان كان اباؤكم وابناؤكم ~~اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان~~ واخوانكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون
كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره ان الله
لا يهدي القوم الفاسقين كان قبل فتح مكة من امن لم يتم ايمانه الا بان يهاجر ويصارم اقاربه ويقطع موالاتهم ه
فقالوا يا رسول الله ان نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا اباءنا • وابناءنا وعشائرنا وذهبت تجارتنا وهلكت
اموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين • فنزلت فهاجروا فجعل الرجل ياتيه ابنه • او اخوه او ابوه • او بعض
اقاربه فلا يلتفت اليه • ولا ينزله ولا ينفق عليه • ثم رخص لهم بعد ذلك • وقيل نزلت في التسعة
الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله عن موالاتهم • وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب
في الله ويبغض في الله • حتى يحب في الله ابعد الناس • ويبغض في الله اقرب الناس • وقرئ وعشيراتكم وعشائركم
وقرا الحسن رحمه الله وعشائركم • فتربصوا حتى ياتي الله بامره وعيد • وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو فتح مكة • وعن
الحسن عقوبة عاجلة او اجلة • وهذه اية شديدة • لا ترى اشد منها كانها تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين

واضطراب حبل اليقين فلينصف أورع الناس وأتقاهم من نفسه هل يجد عنده من التصلب في ذات الله والثبات على دين
الله ما يستحب له دينه على الآباء والأبناء والإخوان والعشائر والمال والمساكن وجميع حظوظ الدنيا ويتجرد منها لأجله
أم يزوي الله عنه أحقر شيء منها فلا يدري أي طرفيه أطول ويغويه الشيطان عن أجل حظ من حظوظ الدين فلا يبالي
كأنما وقع على أنفه ذباب فطيّره • لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا
وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها قال • وكم موطن لولاي طحت
كما هوى • بأجرامه من قلة النيق منهوي • وامتناعه من الصرف لأنه جمع على صيغة لم يأت عليها واحد
والمواطن الكثيرة • وقعات بدر • وقريظة والنضير • والحديبية وخيبر • وفتح مكة • فإن قلت كيف عطف الزمان
على المكان • ويوم حنين على المواطن قلت معناه وموطن يوم حنين • أو في أيام مواطن كثيرة • ويوم حنين • ويجوز
أن يراد بالمواطن الوقت • كمقتل الحسين • على أن الواجب أن يكون يوم حنين • منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر
وموجب ذلك أن قوله • إذ أعجبتكم بدل من يوم حنين • فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لأن كثرتهم لم تعجبهم في
جميع تلك المواطن • ولم يكونوا كثيرا في جميعها فبقي أن يكون ناصبه فعلا خاصا به إلا إذا نصبت إذ بإضمار اذكر وحنين واد
بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر ألفا الذين حضروا فتح مكة منضما إليهم ألفان من الطلقاء
وبين هوازن وثقيف وهم أربعة آلاف فيمن ضامهم من أمداد سائر العرب • وكانوا الجم الغفير • فلما التقوا •
قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقيل قائلها رسول الله • وقيل أبو بكر
رضي الله عنه • وذلك قوله إذ أعجبتكم كثرتكم • فاقتتلوا قتالا شديدا • وأدركت المسلمين كلمة الإعجاب بالكثرة • وزل عنهم
أن الله تعالى هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة • وبقي رسول الله وحده وهو ثابت في مركزه لا يتحلحل
ليس معه إلا عمه العباس رضي الله عنه • آخذا بلجام دابته • وأبو سفيان بن الحرث ابن عمه • وناهيك بهذه الواحدة شهادة
صدق على تناهي شجاعته • ورباطة جأشه وما هي إلا من آيات النبوة • وقال يا رب ائتني بما وعدتني • وقال
للعباس وكان صيتا صح بالناس • فنادى للأنصار فخذا فخذا • ثم نادى يا أصحاب الشجرة • يا أصحاب البقرة • فكروا
عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك • ونزلت الملائكة عليهم البياض على خيول بلق • فنظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى قتال
المسلمين • فقال هذا حين حمي الوطيس ثم أخذ كفا من تراب فرماهم به • ثم قال انهزموا ورب الكعبة • فانهزموا قال
العباس رضي الله عنه لكأني أنظر إلى رسول الله يركض خلفهم على بغلته • بما رحبت مصدرية • والباء بمعنى مع أي مع رحبها
وحقيقته ملتبسة برحبها على أن الجار والمجرور في موضع الحال كقولك دخلت عليه بثياب السفر • أي ملتبسا بها
لم أحلها تعني مع ثياب السفر • والمعنى لا تجدون موضعا تستصلحونه لهربكم إليه ونجاتكم لفرط الرعب فكأنها ضاقت
عليكم • ثم وليتم مدبرين ثم انهزمتم • ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب
الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين سكينته رحمته التي سكنوا بها وأمنوا • على المؤمنين الذين انهزموا وقيل هم الذين
ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقع الهرب • وأنزل جنودا يعني الملائكة • وكانوا ثمانية آلاف وقيل خمسة
آلاف • وقيل ستة عشر ألفا • وعذب الذين كفروا بالقتل والأسر وسبي النساء والذراري • ثم يتوب الله من بعد
ذلك على من يشاء والله غفور رحيم ثم يتوب الله أي يسلم بعد ذلك ناس منهم • وروي أن ناسا منهم جاؤوا فبايعوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم على الإسلام • وقالوا يا رسول الله أنت خير الناس وأبر الناس • وقد سبي أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا •
قيل سبي يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ من الإبل والغنم ما لا يحصى • فقال إن عندي ما ترون وإن خير القول أصدقه اختاروا

اما ذراريكم ونساؤكم وانما اموالكم قالوا ما نعدل بالاحساب شيئاً فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين
وانا خيرتهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئاً فمن كان بيده سبي وطابت نفسه ان يرده فشأنه ومن لا
فليعطنا وليكن قرضاً علينا حتى نصيب شيئاً فنعطيه مكانه قالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى
فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء انهم قد رضوا يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا
المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم النجس مصدر يقال نجس نجساً
وقذر قذراً ومعناه ذوو نجس لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون
النجاسات فهي ملابسة لهم او جعلوا كأنهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها وعن ابن عباس رضي الله عنه اعيانهم
نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن رحمة الله عليه من صافح مشركاً توضأ واهل المذاهب على خلاف هذين القولين
وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم على تقدير حذف الموصوف كأنه قيل انما المشركون جنس نجس او ضرب نجس
واكثر ما جاء تابعاً لرجس وهو تخفيف نجس نحو كبد في كبد فلا يقربوا المسجد الحرام فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون
في الجاهلية بعد عامهم هذا بعد حج عامهم هذا وهو عام تسع من الهجرة حين امر ابو بكر رضي الله عنه على الموسم وهو
مذهب ابي حنيفة واصحابه ويدل عليه قول علي رضي الله عنه حين نادى ببراءة الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون
من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عندهم وعند الشافعي رضي الله عنه يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند
مالك رحمة الله عليه يمنعون منه ومن غيره من المساجد وعن عطاء ان المراد بالمسجد الحرام الحرم وان على المسلمين ان لا يمكنوهم
من دخوله ونهي المشركين ان يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام
والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وان خفتم عيلة اي فقراً بسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم في قدومهم
عليكم من الارفاق والمكاسب فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او من تفضله بوجه آخر فارسل السماء عليهم
مدراراً اغزر بها خيرهم واكثر ميرهم واسلم اهل تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام وما يعاش به فكان ذلك اعود
عليهم مما خافوا العيلة لفواته وعن ابن عباس رضي الله عنه القى الشيطان في قلوبهم الخوف وقال من اين تأكلون فامرهم
الله تعالى بقتال اهل الكتاب واغناهم بالجزية وقيل بفتح البلاد والغنائم وقرئ عائلة بمعنى المصدر كالعافية
او حالاً عائلة ومعنى قوله ان شاء ان اوجبت الحكمة اغناءكم وكان مصلحة لكم في دينكم ان الله عليم باحوالكم حكيم
لا يعطي ولا يمنع الا عن حكمة وصواب قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا
يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين
مع ما في حيزه نفي عنهم الايمان بالله لان اليهود مثنية والنصارى مثلثة وايمانهم باليوم الآخر لانهم فيه على خلاف ما
يجب وتحريم ما حرم الله ورسوله لانهم لا يحرمون ما حرم في الكتاب والسنة وعن ابي روق لا يعملون بما في التوراة
والانجيل وان يدينوا دين الحق وان يعتقدوا دين الاسلام الذي هو الحق وما سواه الباطل وقيل دين الله يقال
فلان يدين بكذا اذا اتخذه دينه ومعتقده سميت جزية لانها طائفة مما على اهل الذمة ان يجزوه اي يقضوه او لانهم
يجزون بها من من عليهم بالاعفاء عن القتل عن يد اما ان يراد يد المعطي او الآخذ فمعناه على ارادة يد المعطي حتى
يعطوها عن يد اي عن يد مؤاتية غير ممتنعة لان من ابى وامتنع لم يعط يده بخلاف المطيع المنقاد ولذلك قالوا اعطى بيده
اذا انقاد واصحب الا ترى الى قولهم نزع يده عن الطاعة كما يقال خلع ربقة الطاعة عن عنقه او حتى يعطوها عن يد الى يد
نقداً غير نسيئة لا مبعوثاً على يد احد ولكن عن يد المعطي الى يد الآخذ واما على ارادة يد الآخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد

أو هي مستولية أو عن انعام عليهم لأن قبول الجزية منهم وترك أرواحهم لهم نعمة عظيمة عليهم وهم صاغرون أي تؤخذ منهم
على الصغار والذل وهو أن يأتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس وأن يتلتل تلتلة ويؤخذ
بتلبيبه ويقال له أد الجزية وإن كان يؤديها ويزخ في قفاه وتسقط بالإسلام عند أبي حنيفة ولا تسقط بخراج الأرض
واختلف فيمن تضرب عليه فعند أبي حنيفة تضرب على كل كافر من ذمي ومجوسي وصابئي وحربي إلا على مشركي العرب
وحدهم روى الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح عبدة الأصنام على الجزية إلا من كان من العرب
وقال لأهل مكة هل لكم في كلمة إذا قلتموها دانت لكم بها العرب وأدت إليكم الجزية العجم وعند الشافعي لا تؤخذ
من مشركي العجم والمأخوذ عند أبي حنيفة في أول كل سنة من الفقير الذي له كسب اثنا عشر درهما ومن المتوسط في الغنى
ضعفها ومن المكثر ضعف الضعف ثمانية وأربعون ولا تؤخذ من فقير لا كسب له وعند الشافعي يؤخذ في آخر السنة
من كل واحد دينار فقيرا كان أو غنيا كان له كسب أو لم تكن وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح
ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون عزير ابن الله مبتدأ وخبر
كقوله المسيح ابن الله وعزير اسم أعجمي كعازر وعيزار وعزرائيل ولعجمته وتعريفه امتنع صرفه ومن نون فقد
جعله عربيا وأما قول من قال سقوط التنوين لالتقاء الساكنين كقراءة من قرأ أحد الله أو لأن الابن وقع وصفا
والخبر محذوف وهو معبودنا فتمحل عنه مندوحة وهو قول أناس من اليهود ممن كان بالمدينة وما هو بقول كلهم
عن ابن عباس رضي الله عنه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا
ذلك وقيل قاله فنحاص وسبب هذا القول أن اليهود قتلوا الأنبياء بعد موسى عليهم الصلاة والسلام فرفع الله عنهم
التوراة ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح في الأرض فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال له إلى
أين تذهب قال أطلب العلم فحفظه التوراة فأملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التوراة
في صدره وهو غلام إلا أنه ابنه والدليل على أن هذا القول كان فيهم أن الآية تليت عليهم فما أنكروا ولا كذبوا
مع تهالكهم على التكذيب فإن قلت كل قول يقال بالفم فما معنى قوله ذلك قولهم بأفواههم قلت فيه وجهان
أحدهما أن يراد أنه قول لا يعضده برهان فما هو إلا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالألفاظ المهملة التي هي
أجراس ونغم لا تدل على معان وذلك أن القول الدال على معنى لفظه مقول بالفم ومعناه مؤثر في القلب وما
لا معنى له مقول بالفم لا غير والثاني أن يراد بالقول المذهب كقولهم قول أبي حنيفة رحمه الله ومعناه يريدون
مذهبه وما يقول به كأنه قيل ذلك مذهبهم ودينهم بأفواههم لا بقلوبهم لأنه لا حجة معه ولا شبهة حتى يؤثر في القلوب
وذلك أنهم إذا اعترفوا أنه لا صاحبة له لم تبق شبهة في انتفاء الولد يضاهون لا بد فيه من حذف يضاهون معناه فتقديره
يضاهي قولهم المسيح ابن الله ثم حذف المضاف وأقيم المضمر إليه مقامه فانقلب مرفوعا والمعنى أن الذين كانوا في عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يضاهي قولهم قول قدمائهم يعني أنه كفر قديم فيهم غير مستحدث أو يضاهي
قول المشركين الملائكة بنات الله وقيل الضمير للنصارى أي يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لأنهم أقدم منهم
وقرئ يضاهئون بالهمزة من قولهم امرأة ضهيأ على فعيل وهي التي ضاهأت الرجال في أنها لا تحيض وهمزتها مزيدة
لما قال في غرقئ قاتلهم الله أي أهلكهم الله أي أحقاء بأن يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنعاء قاتلهم الله ما أعجب
فعلهم أنى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما
أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون اتخاذهم أربابا أنهم أطاعوهم في الأمر بالمعاصي وتحليل ما

ما حرم الله وتحريم ما حلله كما تطاع الارباب في اوامرهم ونحوه تسمية اتباع الشيطان فيما يوسوس به عبادة بل كانوا يعبدون الجن
يا ابت لا تعبد الشيطان وعن عدي ابن حاتم انتهيت الى رسول الله وفي عنقي صليب من ذهب فقال اليسوا يحرمون ما احل
الله فتحرمونه ويحلون ما حرمه فتحلونه قلت بلى قال فتلك عبادتهم وعن فضيل ما ابالي اطعت مخلوقا في معصية
الخالق او صليت لغير القبلة والمسيح حين جعلوه ابنا لله فقد اهلوه للعبادة الا ترى الى قوله قل ان كان للرحمن ولد
فانا اول العابدين وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا امرتهم بذلك ادلة العقل والنصوص في الانجيل والمسيح عليه
الصلاة والسلام انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة سبحانه تنزيه له عن الاشراك به واستبعاد له ويجوز ان
يكون الضمير في وما امروا للمتخذين اربابا اي وما امر هؤلاء الذين هم عندهم ارباب الا ليعبدوا الله ويوحدوه فكيف
يصح ان يكونوا اربابا وهم مامورون مستعبدون مثلهم يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان
يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون
مثلهم حالهم في طلبهم ان يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يريد ان ينفخ في نور عظيم منبث في الافاق
يريد الله ان يزيده ويبلغه الغاية القصوى من الاشراق والاضاءة ليطفئه بنفخه ويطمسه ليظهره ليظهر الرسول
على الدين كله على اهل الاديان كلهم او ليظهر دين الحق على كل دين فان قلت كيف جاز ابى الله الا كذا ولا يقال كرهت او ابغضت
الا زيدا قلت قد اجري ابى مجرى لم يرد الا ترى كيف قوبل يريدون ان يطفئوا نور الله بقوله تعالى ويابى
الله وكيف اوقع موقع ولا يريد الله الا ان يتم نوره يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون
اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم
بعذاب اليم معنى اكل الاموال على وجهين اما ان يستعار الاكل للاخذ الا ترى الى قولهم اخذ الطعام وتناوله
واما على ان الاموال يؤكل بها فهي سبب للاكل ومنه قوله • يأكلن كل ليلة اكافا • يريد علفا يشترى
بثمن اكاف • ومعنى اكلهم بالباطل انهم كانوا ياخذون الرشى في الاحكام • والتخفيف والمسامحة في الشرائع والذين
يكنزون يجوز ان يكون اشارة الى الكثير من الاحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم اخذ
البراطيل وكنز الاموال والضن بها عن الانفاق في سبيل الخير • ويجوز ان يراد المسلمين الكانزون غير المنفقين ويقرن
بينهم وبين المرتشين من اليهود والنصارى تغليظا ودلالة على ان من ياخذ منهم السحت ومن لا يعطي منكم طيب
ماله سواء في استحقاق البشارة بالعذاب الاليم • وقيل نسخت الزكوة اية الكنز وقيل هي ثابتة وانما عنى بترك
الانفاق في سبيل الله منع الزكوة • وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما ادي زكاته فليس بكنز • وان كان باطنا وما
بلغ ان يزكى فلم يزك فهو كنز • وان كان ظاهرا • وعن عمر رضي الله عنه ان رجلا ساله عن ارض له باعها فقال
احرز مالك الذي اخذت احفر له تحت فراش امرأتك • قال اليس بكنز قال ما ادي زكوته فليس بكنز
وعن ابن عمر رضي الله عنه كل ما اديت زكوته فليس بكنز • وان كان تحت سبع ارضين وما لم تؤد زكاته فهو الذي
ذكره الله وان كان على ظهر الارض فان قلت فما تصنع بما روي سالم بن الجعد انها لما نزلت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم • تبا للذهب تبا للفضة • قالها ثلثا فقالوا له اي مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة
تعين احدكم على دينه • وبقوله عليه الصلاة والسلام من ترك صفراء او بيضاء كوي بها وتوفي رجل فوجد في
مئزره دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية • وتوفي اخر فوجد في مئزره ديناران فقال كيتان قلت
كان هذا قبل ان تفرض الزكوة فاما بعد فرض الزكوة فالله اعدل واكرم من ان يجمع عبده مالا من حيث اذن له

ويؤدي عنه ما أوجب عليه فيه ثم يبقيه ولقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله يقتنون الأموال ويتصرفون
فيها وما عابهم أحد ممن أعرض عن القنية لأن الإعراض اختيار للأفضل والأدخل في الورع والزهد في الدنيا والاقتناء مباح
موسع لا يذم صاحبه ولكل شيء له حد وما يروى عن علي رضي الله عنه أربعة آلاف فما دونها نفقة فما زاد فهو كنز كلام
في الأفضل فإن قلت لم قيل ولا ينفقونها وقد ذكر شيئان قلت ذهابا بالضمير إلى المعنى دون اللفظ لأن كل واحد
منهما جملة وافية وعدة كثيرة ودنانير ودراهم فهو كقوله عز وجل وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل ذهب به إلى
الكنوز وقيل إلى الأموال وقيل معناه ولا ينفقونها والذهب كما أن معنى قوله فإني وقيار بها لغريب وقيار كذلك
فإن قلت لم خصا بالذكر من بين سائر الأموال قلت لأنهما قانون التمول وأثمان الأشياء ولا يكنزهما إلا من فضلا عن حاجته
ومن كثرا عنده حتى يكنزهما لم يعدم سائر أجناس المال فكان ذكر كنزهما دليلا على ما سواهما يوم يحمى عليها في نار جهنم
فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون فإن قلت ما معنى قوله تعالى يوم
يحمى عليها وهلا قيل تحمى من قولك حمي الميسم وأحميته ولا تقول أحميت على الحديد قلت معناه أن النار تحمى عليها أي توقد
ذات حمي وحر شديد من قوله تعالى نار حامية ولو قيل يوم تحمى لم يعط هذا المعنى فإن قلت فإذا كان الإحماء للنار
فلم ذكر الفعل قلت لأنه مسند إلى الجار والمجرور أصله يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل يحمى عليها لانتقال
الإسناد عن النار إلى عليها كما تقول رفعت القصة إلى الأمير فإن لم تذكر القصة قلت رفع إلى الأمير وعن ابن
عامر أنه قرأ تحمى بالتاء وقرأ أبو حيوة فيكوى بالياء فإن قلت لم خصت هذه الأعضاء قلت لأنهم لم يطلبوا بأموالهم
حيث لم ينفقوها في سبيل الله إلا الأغراض الدنيوية من وجاهة عند الناس وتقدم وأن يكون ماء وجوههم مصونا عندهم
يتلقون بالجميل ويحيون بالإكرام ويبجلون ويحتشمون ومن أكل الطيبات يتضلعون منها وينفخون جنوبهم ومن لبس ناعمة
من الثياب يطرحونها على ظهورهم كما ترى أغنياء زمانك هذه أغراضهم وطلباتهم من أموالهم لا يخطرون ببالهم قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب أهل الدثور بالأجور وقيل لأنهم كانوا إذا أبصروا الفقير عبسوا وإذا ضمهم وإياه مجلس
ازوروا عنه وتولوا بأركانهم وولوه ظهورهم وقيل معناه يكوون على الجهات الأربع مقاديمهم ومآخيرهم وجنوبهم
هذا ما كنزتم على إرادة القول وقوله لأنفسكم أي كنزتموه لتنتفع به نفوسكم وتلتذ وتحصل لها الأغراض التي حامت
حولها وما علمتم أنكم كنزتموه لتستضر به نفوسكم وتتعذب وهو توبيخ لهم فذوقوا ما كنتم تكنزون وقرئ يكنزون
بضم النون أي وبال المال الذي كنتم تكنزونه أو وبال كونكم كانزين إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا
في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين
كافة واعلموا أن الله مع المتقين في كتاب الله فيما أثبته وأوجبه من حكمه ورآه حكمة وصوابا وقيل في اللوح أربعة كما يقاتلونكم كافة
حرم ثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في
خطبة الوداع ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها
أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى
رجعت الأشهر إلى ما كانت عليه وعاد الحج في ذي الحجة وبطل النسيء الذي كان في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع
ذا الحجة وكانت حجة أبي بكر قبلها في ذي القعدة ذلك الدين القيم يعني أن تحريم الأشهر الأربعة هو الدين المستقيم
دين إبراهيم وإسماعيل صلوات الله عليهما وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما وكانوا يعظمون الأشهر الحرم
ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل قاتل أبيه أو أخيه لم يهجه وسموا رجبا الأصم ومنصل الأسنة حتى أحدثت

النسيء

النسيء فغيروا فلا تظلموا فيهن في الحرم انفسكم اي لا تجعلوا حرامها حلالا • وعن عطاء بالله ما يحل للناس ان يغزوا في
الحرم • ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخت • وعن عطاء الخراساني احلت القتال في الاشهر الحرم • براءة
من ا[illegible] سوله وقيل معناه ولا تاثموا فيهن بيانا لعظم حرمتهن كما عظم اشهر الحج بقوله تعالى فمن فرض فيهن الحج
فلا رفث ولا فسوق الاية • وان كان ذلك محرما في سائر الشهور • كافة حال من الفاعل او المفعول • مع المتقين ناصر
لهم حثهم على التقوى بضمان النصر لاهلها انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ليواطئوا
عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين النسيء تاخير حرمة الشهر
الى شهر اخر • وذلك انهم كانوا اصحاب حروب وغارات فاذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة
فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا اخر حتى رفضوا تخصيص الاشهر الحرم بالتحريم • فكانوا يحرمون من بين شهور العام اربعة
اشهر • وذلك قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا العدة التي هي الاربعة • ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص
الذي هو احد الواجبين • وربما زادوا في الشهور فيجعلونها ثلثة عشر او اربعة عشر ليتسع لهم الوقت ولذلك •
قال الله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا يعني من غير زيادة زادوها • والضمير في يحلونه ويحرمونه
للنسيء اي اذا احلوا شهرا من الاشهر الحرم عاما رجعوا فحرموه في العام القابل • يروى انه حدث ذلك في كنانة لانهم
كانوا فقراء محاويج الى الغارة • وكان جنادة بن عوف الكناني مطاعا في الجاهلية • وكان يقوم على جمل في الموسم
فيقول باعلى صوته ان الهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم في القابل فيقول ان الهتكم قد حرمت عليكم المحرم
فحرموه • جعل النسيء زيادة في الكفر • لان الكافر كلما احدث معصية ازداد كفرا فزادتهم رجسا الى رجسهم كما
ان المومن اذا احدث طاعة ازداد ايمانا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون • وقرئ يضل على البناء للمفعول ويضل
بفتح الياء والضاد • ويضل على ان الفعل لله عز وجل • وقرا الزهري ليوطئوا بالتشديد • والنسيء مصدر نساه اذا
اخره يقال نساه نسأ ونسيئا كقولك مسه مسا ومسيسا • وقرئ بهن جميعا • وقرئ النسي بوزن
الندي والنسي بوزن النهي وهي تخفيف النسيء والنساء • فان قلت ما معنى قوله فيحلوا ما حرم الله قلت معناه فيحلوا
بمواطاة العدة وحدها من غير تخصيص ما حرم الله من القتال او من ترك الاختصاص للاشهر بعينها • زين لهم سوء
اعمالهم القبيحة حسنة • والله لا يهدي اي لا يلطف بهم بل يخذلهم • وقرئ زين لهم سوء اعمالهم على البناء للفاعل وهو
الله عز وجل يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة فما
الحياة الدنيا في الاخرة الا قليل الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير
اثاقلتم تثاقلتم وبه قرا الاعمش اي تباطاتم وتقاعستم وضمن معنى الميل والاخلاد فعدي بالى والمعنى ملتم الى الدنيا
وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه ونحوه اخلد الى الارض واتبع هواه • وقيل ملتم الى الاقامة بارضكم ودياركم
وقرئ • اثاقلتم على الاستفهام الذي معناه الانكار والتوبيخ فان قلت ما العامل في اذا وحرف الاستفهام
مانعه ان يعمل فيه قلت ما دل عليه او ما في ما لكم من معنى الفعل كانه قيل ما تصنعون اذا قيل لكم كما تعمله في الحال
اذا قلت ما لك قائما • وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطايف • استنفروا في وقت عسرة
وقحط وقيظ مع بعد الشقة • وكثرة العدو فشق عليهم • وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك
ليتعد الناس تمام العدة • من الاخرة بدل الاخرة كقوله تعالى لجعلنا منكم ملائكة في الارض • في جنب الاخرة
الا تنفروا سخط عظيم على المتثاقلين حيث اوعدهم بعذاب اليم مطلق يتناول عذاب الدارين وانه يهلكهم ويستبدل

ويحرمونه عاما

نساء

بهم قوما آخرين خيرا منهم وأطوع، وأنه غني عنهم في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيئا. وقيل الضمير للرسول أي ولا تضروه
لأن الله وعده أن يعصمه من الناس إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول
لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة
الله هي العليا والله عزيز حكيم وأن ينصره وعد الله كائن لا محالة. وقيل يريد بقوله قوما غيركم أهل اليمن وقيل
أبناء فارس والظاهر مستغن عن التخصيص. فإن قلت كيف يكون قوله فقد نصره الله جوابا للشرط قلت فيه وجهان
أحدهما إلا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه إلا رجل واحد ولا أقل من الواحد فدل بقوله تعالى فقد نصره
الله على أنه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت. والثاني أنه أوجب له النصرة وجعله منصورا في ذلك الوقت
فلن يخذل من بعده. وأسند الإخراج إلى الكفار كما أسند إليهم في قوله تعالى من قريتك التي أخرجتك لأنهم حين
هموا بإخراجه أذن الله له في الخروج فكأنهم أخرجوه. ثاني اثنين أحد اثنين كقوله ثالث ثلاثة وهما رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه. يروى أن جبريل عليه الصلاة والسلام لما أمره بالخروج قال من يخرج معي قال أبو
بكر. وانتصابه على الحال. وقرئ ثاني اثنين بالسكون. إذ هما بدل من إذ أخرجه. والغار ثقب في أعلى ثور وهو جبل في يمنى
مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا. إذ يقول بدل ثان. قيل طلع المشركون فوق الغار فأشفق أبو بكر على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال إن تصب اليوم ذهب دين الله فقال صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما. وقيل لما دخلا
الغار بعث الله حمامتين فباضتا في أسفله والعنكبوت فنسجت عليه. وقال صلى الله عليه وسلم اللهم أعم أبصارهم فجعلوا يترددون
حول الغار ولا يفطنون قد أخذ الله بأبصارهم عنه. وقالوا من أنكر صحبة أبي بكر فقد كفر لإنكاره كلام الله وليس ذلك
لسائر الصحابة. وسكينته ما ألقى في قلبه من الأمنة التي سكن عندها وعلم أنهم لا يصلون إليه. والجنود الملائكة يوم بدر
والأحزاب وحنين. وكلمة الذين كفروا دعوتهم إلى الكفر وكلمة الله دعوته إلى الإسلام. وقرئ وكلمة الله بالنصب والرفع أوجه
وهي فصل أو مبتدأ، وفيها تأكيد فضل كلمة الله في العلو وأنها المختصة به دون سائر الكلم. انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا
بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. خفافا في النفور لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم
أو خفافا لقلة عيالكم وأذيالكم وثقالا لكثرتها أو خفافا من السلاح وثقالا منه أو ركبانا ومشاة أو شبانا وشيوخا
أو مهازيل وسمانا أو صحاحا ومراضا. وعن ابن أم مكتوم رضي الله عنه أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلي أن أنفر
قال نعم حتى نزل قوله ليس على الأعمى حرج. وعن ابن عباس رضي الله عنه نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى. وعن صفوان
ابن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم لقد
أعذر الله إليك فرفع حاجبيه فقال يا ابن أخي استنفرنا الله خفافا وثقالا، ألا إن من يحبه الله يبتليه.
وعن الزهري خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه فقيل إنك عليل صاحب ضرر فقال
استنفر الله الخفيف والثقيل فإن لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع. وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم
إيجاب للجهاد بهما إن أمكن أو بأحدهما على حسب الحال والحاجة. لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن
بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم. العرض ما عرض لك من منافع الدنيا، يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه
البر والفاجر. أي لو كان ما دعوا إليه غنما قريبا سهل المنال وسفرا قاصدا وسطا مقاربا. والشقة المسافة الشاطة
الشاقة. وقرأ عيسى بن عمر بعدت عليهم الشقة بكسر العين والشين، ومنه قوله: يقولون لا تبعد وهم يدفنو
• يقولون لا تبعد وهم يدفنونه • ولا بعد إلا ما تواري الصفائح • • سيحلفون بالله

والله يعلم انهم لكاذبون

بالله

بالله متعلق بسيحلفون او هو من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين اي سيحلفون يعني المتخلفين عند رجوعك من غزوة
تبوك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم او سيحلفون بالله يقولون لو استطعنا وقوله تعالى لخرجنا سد
مسد جوابي القسم ولو جميعا والاخبار بما سوف يكون بعد القفول من حلفهم واعتذارهم وقد كان من جملة المعجزات ومعنى
الاستطاعة استطاعة العدة او استطاعة الابدان كانهم تمارضوا وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع
في قوله فتمنوا الموت يهلكون انفسهم اما ان يكون بدلا من سيحلفون او حالا بمعنى مهلكين والمعنى انهم يوقعونها
في الهلاك بحلفهم الكاذب وما يحلفون عليه من التخلف ويحتمل ان يكون حالا من قوله تعالى لخرجنا معكم وان اهلكنا
انفسنا والقيناها في التهلكة بما نحملها من المسير في تلك الشقة وجاء به على لفظ الغائب لانه مخبر عنهم الا ترى انه لو قيل
سيحلفون بالله لو استطاعوا لخرجوا لكان سديدا يقال حلف بالله ليفعلن ولافعلن فالغيبة على حكم الاخبار والتكلم
على الحكاية عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله
واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين عفا الله عنك كناية عن الجناية لان العفو
رادف لها ومعناه اخطات وبئس ما فعلت ولم اذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو ومعناه ما لك اذنت لهم
في القعود عن الغزو حين استاذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استانيت بالاذن حتى يتبين لك من صدق في
عذره ممن كذب فيه وقيل شيئان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمر بهما اذنه للمنافقين واخذه من الاسارى
فعاتبه الله لا يستاذنك ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا وكان الخلص من المهاجرين
والانصار يقولون لا نستاذن النبي صلى الله عليه وسلم ابدا ولنجاهدن معه باموالنا وانفسنا ومعنى ان يجاهدوا
في ان يجاهدوا او كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعدة لهم باجزل
الثواب انما يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ولو ارادوا
الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين انما يستاذنك يعني المنافقين
وكانوا تسعة وثلاثين رجلا يترددون عبارة عن التحير لان التردد ديدن المتحير كما ان الثبات والاستقرار
ديدن المستبصر وقرئ عده بمعنى عدته فعل بالعدة ما فعل بالعدة من قال

واخلفوك عد الامر الذي وعدوا بحذف تاء التانيث وتعويض المضاف منها وقرئ عدة بكسر العين
بغير اضافة وعده باضافة فان قلت كيف موقع حرف الاستدراك قلت لما كان قوله ولو ارادوا الخروج
معطيا نفي خروجهم واستعدادهم للغزو قيل ولكن كره الله انبعاثهم كانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج
لكراهة انبعاثهم كما تقول ما احسن الى زيد ولكن اساء اليه فثبطهم فكسلهم وخذلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث
وقيل اقعدوا جعل القاء الله في قلوبهم كراهة الخروج امرا بالقعود وقيل هو قول الشيطان بالوسوسة وقيل هو
قولهم لانفسهم وقيل هو اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم في القعود فان قلت كيف جاز ان يوقع الله في نفوسهم
كراهة الخروج الى الغزو وهي قبيحة وتعالى الله عن الهام القبائح قلت خروجهم كان مفسدة لقوله تعالى لو خرجوا
فيكم ما زادوكم الا خبالا فكان ايقاع كراهة ذلك الخروج في نفوسهم حسنا ومصلحة فان قلت فلم خطئ رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الاذن لهم فيما هو مصلحة قلت لان اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم لم يكن للنظر في
هذه المصلحة ولا علمها الا بعد القفول باعلام الله تعالى ولكن لانهم استاذنوه واعتذروا اليه فكان عليه ان يتفحص عن كنه
معاذيرهم ولا يتجوز في قبولها فمن ثم اتاه العتاب ويجوز ان يكون في ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الاذن لهم

مع تثبيط الله إياهم مصلحة أخرى فباذنه لهم فقدت تلك المصلحة، وذلك أنه إذا ثبطهم الله فلم ينبعثوا وكان قعودهم
بغير إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم قامت عليهم الحجة ولم تبق لهم معذرة، ولقد تدارك الله ذلك حيث هتك
أستارهم وكشف أسرارهم وشهد عليهم بالنفاق وأنهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر. فإن قلت ما معنى قوله مع
القاعدين؟ قلت هو ذم لهم وتعجيز وإلحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شأنهم القعود والجثوم في البيوت
وهم القاعدون والخالفون والخوالف، ويبينه قوله رضوا بأن يكونوا مع الخوالف. لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا
ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين. إلا خبالا ليس من الاستثناء المنقطع في
شيء كما يقولون، لأن الاستثناء المنقطع هو أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه، كقولك ما زادوكم خيرا إلا خبالا،
والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور، وإذا لم يذكر وقع الاستثناء من أعم العام الذي هو الشيء فكان استثناء
متصلا، لأن الخبال بعض أعم العام، كأنه قيل ما زادوكم شيئا إلا خبالا، والخبال الفساد والشر. ولأوضعوا خلالكم
ولسعوا بينكم بالتضريب والنمائم وإفساد ذات البين، يقال وضع البعير وضعا إذا أسرع وأوضعته أنا. والمعنى
ولأوضعوا ركائبهم بينكم، والمراد الإسراع بالنمائم لأن الراكب أسرع من الماشي. وقرأ ابن الزبير ولأرفضوا، من
رفضت الناقة رفضا إذا أسرعت وأرفضتها، قال: والرافضات إلى منى فالغبغب.
وقرئ ولأرفضوا. فإن قلت كيف خط في المصحف ولا أوضعوا بزيادة الألف؟ قلت كانت الفتحة تكتب ألفا
قبل الخط العربي، والخط العربي اخترع قريبا من نزول القرآن، وقد بقي من ذلك الألف أثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة ألفا وفتحتها ألفا
أخرى، ونحوه قوله عز وعلا: أو لا أذبحنه. يبغونكم الفتنة يحاولون أن يفتنوكم بأن يوقعوا الخلاف فيما بينكم
ويفسدوا نياتكم في مغزاكم. وفيكم سماعون لهم أي نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه إليهم، أو فيكم قوم يسمعون
للمنافقين ويطيعونهم. لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون.
لقد ابتغوا الفتنة أي العنت ونصب الغوائل والسعي في تشتيت شملك وتفريق أصحابك، كما فعل عبد الله بن
أبي يوم أحد حين انصرف بمن معه. وعن ابن جريج وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الثنية ليلة العقبة
وهم اثنا عشر رجلا ليفتكوا به. ومن قبل من قبل غزوة تبوك. وقلبوا لك الأمور ودبروا لك الحيل والمكايد
ودوروا الآراء في إبطال أمرك. وقرئ وقلبوا بالتخفيف. حتى جاء الحق وهو تأييدك ونصرك، وظهر أمر الله
وغلب دينه وعلا شرعه. ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين.
ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة وهي الإثم بأن لا تأذن لي، فإني إن تخلفت بغير إذنك
أثمت. وقيل ولا تلقني في الهلكة فإني إذا خرجت معك هلك مالي وعيالي. وقيل قال الجد بن قيس قد
علمت الأنصار أني مستهتر بالنساء، فلا تفتني ببنات الأصفر يعني نساء الروم، ولكني أعينك بمالي فاتركني.
وقرئ ولا تفتني من أفتنه. ألا في الفتنة سقطوا أي إن الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف. وفي
مصحف أبي سقط، لأن من موحد اللفظ مجموع المعنى. ومحيطة بالكافرين يعني أنها تحيط بهم يوم القيامة، أو هي محيطة
بهم الآن لأن أسباب الإحاطة معهم فكأنهم في وسطها. إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا
قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون. إن تصبك في بعض الغزوات حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم
وإن تصبك مصيبة نكبة وشدة في بعضها مثل ما جرى يوم أحد يفرحوا بما كان لهم في الانحراف عنك، ويقولوا قد
أخذنا أمرنا من قبل أي أمرنا الذي نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم من قبل ما وقع

بلغ مقابلة

ويقولوا

بلغ مقابلة

وتولوا عن مقام التحدث بذلك والاجتماع الى اهليهم وهم فرحون مسرورون وقيل تولوا اعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا فتربصوا انا معكم متربصون قرأ ابن مسعود قل هل يصيبنا • وقرأ طلحة هل يصيبنا بتشديد الياء ووجهه ان يكون يفيعل لا يفعّل لانه من بنات الواو لقولهم الصواب وصاب السهم يصوب ومصاوب في جمع مصيبة فحق يفعّل منه يصوّب الا توطيله قولهم مصيب وانه الا ان يكون من لغة من يقول صاب السهم يصيب ومن قوله • اسهمي الصائبات والصيب • واللام في قوله الا ما كتب الله لنا مفيدة معنى الاختصاص كانه قيل لن يصيبنا الا ما اختصنا الله باثباته وايجابه من النصرة عليكم او الشهادة • الا ترى الى قوله هو مولانا اي الذي يتولانا ونتولاه ذلك بان الله مولى الذين آمنوا • وان الكافرين لا مولى لهم • وعلى الله فليتوكل المؤمنون • وحق المؤمنين ان لا يتوكلوا على غير الله فليفعلوا ما هو حقهم • الا احدى العاقبتين الحسنيين • اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب • وهما النصرة والشهادة • ونحن نتربص بكم • احدى السوأيين من العواقب اما ان يصيبكم الله بعذاب من عنده • وهو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود • او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر • فتربصوا بنا ما ذكرنا من عواقبنا • انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم فلا بد من ان نلقى كلنا ما نتربصه ولا نتجاوزه • قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون • انفقوا يعني في سبيل الله • ووجوه البر • طوعا او كرها نصب على الحال اي طائعين او مكرهين فان قلت كيف امرهم بالانفاق ثم قال لن يتقبل منكم قلت هو امر في معنى الخبر كقوله تعالى قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا • ومعناه لن يتقبل منكم انفقتم طوعا او كرها ونحوه قوله تعالى • استغفر لهم او لا تستغفر لهم

وقول الشاعر • اسيئي بنا او احسني لا ملومة •

اي لن يغفر الله لهم • استغفرت لهم • او لم تستغفر لهم • ولا نلومك • اساءت الينا • او احسنت • فان قلت متى يجوز نحو هذا قلت • اذا دل الكلام عليه كما جاز عكسه في قولك رحم الله زيدا وغفر له • فان قلت لم فعل ذلك • قلت لنكتة فيه وهي • ان كثيرا كانه يقول • لعزة امتحني لطف محلك عندي • وقوة محبتي لك وعامليني بالاساءة والاحسان • وانظري • هل تتفاوت حالي معك • مسيئة كنت او محسنة • وفي معناه • قول القائل •

• اخوك الذي ان قمت بالسيف عامدا • لتضربه لم يستغشك في الود •

وكذلك المعنى انفقوا وانظروا هل يتقبل منكم • واستغفر لهم او لا تستغفر لهم • وانظر هل ترى اختلافا بين حال الاستغفار وتركه فان قلت ما الغرض في التقبل اهو تقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم تقبله منهم ورده عليهم ما يبذلون منه ام كونه غير مقبول عند الله ذاهبا هباء لا ثواب له قلت يحتمل الامرين جميعا وقوله طوعا او كرها معناه طائعين من غير الزام من الله ورسوله او ملزمين وسمي الالزام اكراها لانهم منافقون فكان الزامهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه • او طائعين من غير اكراه من رؤسائكم لان رؤساء اهل النفاق كانوا يحملون على الانفاق لما يرون من المصلحة فيه او مكرهين من جهتهم وروي انها نزلت في الجد بن قيس حين تخلف عن غزوة تبوك وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مالي اعينك به فاتركني انكم تعليل لرد انفاقهم والمراد بالفسق والعتو انهم فاعل منع وهم وان تقبل مفعولاه وقرئ ان تقبل بالياء والتاء على البناء للمفعول ونفقاتهم ونفقتهم على الجمع والتوحيد وقرأ السلمي ان يقبل منهم نفقاتهم على ان

نسبتهم على ان الفعل لله تعالى كسالى بالضم والفتح جمع كسلان نحو سكارى وغيارى في سكران وغيران وكسلهم لانهم لا يرجون
بصلاتهم ثوابا ولا يخشون بتركها عقابا فهي ثقيلة عليهم لقوله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقد ورد في بعض
الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كره للمؤمن ان يقول كسلت كانه ذهب الى هذه الاية وان الكسل من صفات
المنافقين فما ينبغي ان يسنده المؤمن الى نفسه فان قلت الكراهية خلاف الطواعية وقد جعلهم الله طائعين
في قوله طوعا ثم وصفهم بانهم لا ينفقون الا وهم كارهون قلت المراد بطوعهم انهم يبذلونه من غير الزام من
رسول الله صلى الله عليه وسلم او من رؤسائهم وما طوعهم ذلك الا عن كراهة واضطرار لا عن رغبة واختيار ٥
فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وهم كافرون ويحلفون بالله انهم لمنكم
ولكنهم قوم يفرقون لا يعجبك بالنبي ان يسر به سرور راض به متعجب من حسنه والمعنى فلا تستحسن ولا تفتن بما
اوتوا من زينة الدنيا لقوله تعالى لا تمدن عينيك فان الله انما اعطاهم ما اعطاهم للعذاب بان عرضه للتغنم
والسبي وبلاهم فيه بالآفات والمصائب وكلفهم الانفاق منه في ابواب الخير وهم كارهون له على رغم انوفهم واذاقهم
انواع الكلف والمجاشم في جمعه واكتسابه وفي تربية اولادهم فان قلت ان صح تعليق التعذيب بارادة الله
فما بال زهوق انفسهم وهم كافرون قلت المراد الاستدراج بالنعم لقوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما كانه قيل
ويريد ان يديم عليهم نعمته الى ان يموتوا وهم كافرون ملتهون بالتمتع عن النظر للعاقبة لمنكم لمن جملة المسلمين
يفرقون يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالاسلام تقية لو يجدون ملجأ او مغارات او مدخلا
لولوا اليه وهم يجمحون ومنهم من يلمزك في الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون
ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون
ملجأ مكانا يلجؤن اليه متحصنين به من رأس جبل او قلعة او جزيرة او مغارات او غيرانا وقرئ بضم الميم من
اغار الرجل وغار اذا دخل الغور وقيل هو تعدية غار الشيء واغرته انا يعني امكنة يغيرون فيها اشخاصهم
ويجوز ان يكون من اغار الثعلب اذا اسرع بمعنى مهارب ومفار او مدخلا او نفقا يندسون وينجحرون
وهو مفتعل من الدخول وقرئ مدخلا من دخل ومدخلا من ادخل مكانا يدخلون فيه انفسهم وقرئ
لوالوا اليه لالتجؤا اليه وهم يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شيء من الفرس الجموح وهو الذي اذا حمل لم يرده اللجام
وقرأ انس يجمزون فسئل فقال يجمحون ويجمزون ويشتدون واحد ومنهم من يلمزك يعيبك في قسمة الصدقات
ويطعن عليك قيل هم المؤلفة قلوبهم وقيل هو ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقسم غنائم حنين فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل وقيل ابو الجواظ من المنافقين
قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم وهو يزعم انه يعدل فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ابا لك اما كان موسى راعيا اما كان داود راعيا فلما ذهب قال صلى الله عليه وسلم احذروا
هذا واصحابه فانهم منافقون وقرئ يلمزك بالضم ويلمزك ويلامزك بالتثقيل والبناء على المفاعلة مبالغة
في اللمز ثم وصفهم بان رضاهم وسخطهم لانفسهم لا للدين وما فيه صلاح انفسهم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
استعطف قلوب اهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون منه واذا للمفاجأة اي وان لم يعطوا منها
فاجؤا السخط جواب لو محذوف تقديره ولو انهم رضوا لكان خيرا لهم والمعنى ولو انهم رضوا ما اصابهم به
الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم وان قل نصيبهم وقالوا كفانا فضله وصنيعه وحسبنا ما قسم لنا سيؤتينا

عينة اخرى فيؤتينا رسول الله اكثر مما آتانا اليوم ونحو انا الى الله راغبون ونحو لنا فضله لراغبون انما الصدقات للفقراء
والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من
الله والله عليم حكيم انما الصدقات للفقراء قصر لجنس الصدقات على الاصناف المعدودة وانها مختصة بها لا تتجاوزها
الى غيرها كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم ونحوه قولك انما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل ان
تصرف الى الاصناف كلها وان تصرف الى بعضها وعليه مذهب ابي حنيفة رحمة الله عليه وعن حذيفة وابن عباس رضي
الله عنهما وغيرهما من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم انهم قالوا في اي صنف منها وضعتها اجزأك وعن سعيد
ابن جبير رضي الله عنه لو نظرت الى بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان احب الي وعند الشافعي رضي
الله عنه لا بد من صرفها الى الاصناف وعن عكرمة انها تفرق في الاصناف الثمانية وعن الزهري انه كتب لعمر بن
عبد العزيز تفريق الاصناف الصدقات على الاصناف الثمانية والعاملين عليها السعاة الذين يقبضونها
والمؤلفة قلوبهم اشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألفهم على ان يسلموا فيرضخ لهم شيئا
منها حين كان في المسلمين قلة وفي الرقاب المكاتبون يعانون منها وقيل الاسارى وقيل تبتاع الرقاب فتعتق
والغارمين الذين ركبتهم الديون ولا يملك بعدها ما يبلغ النصاب وقيل الذين تحملوا الحمالات فتداينوا فيها
وفي سبيل الله فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فهو فقير حيث هو غني حيث
ماله فريضة في معنى المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم
وقرئ فريضة بالرفع على تلك فريضة فان قلت لم عدل عن اللام الى في في الاربعة الاخيرة قلت
للايذان بانهم ارسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لان في للوعاء فنبه على انهم احقاء
بان توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها ومصبا وذلك لما في فك الرقاب من الكتابة او الرق او الاسر وفي فك
الغارمين من الغرم من التخليص والانقاذ ولجمع الغازي الفقير او المنقطع في الحج بين الفقر والعبادة وكذلك
ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الاهل والمال وتكرير في في قوله تعالى وفي سبيل الله وابن السبيل فيه فضل
ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين فان قلت كيف وقعت هذه الآية في تضاعيف ذكر المنافقين ومكايدهم
قلت دل بكون هذه الاصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على انهم ليسوا منهم حسما لاطماعهم واشعارا
باستيجابهم الحرمان وانهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم وما لها وما سلطهم على التكلم فيها ولمز قاسمها ومنهم الذين
يؤذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون
رسول الله لهم عذاب اليم يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين الاذن
الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل احد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كأن جملته اذن سامعة ونظيره
قولهم للربيئة عين وايذاؤهم له هو قولهم فيه اذن واذن خير كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كأنه قيل
نعم هو اذن ولكن نعم الاذن ويجوز ان يريد هو اذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس باذن
في غير ذلك ودل عليه قراءة حمزة ورحمة بالجر عطفا عليه اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله ثم فسر كونه اذن
خير بانه يصدق بالله لما قام عنده من الادلة ويقبل من المؤمنين الخلص من المهاجرين والانصار وهو رحمة لمن آمن منكم
اي اظهر الايمان ايها المنافقون حيث يسمع منكم ويقبل ايمانكم الظاهر ولا يكشف اسراركم ولا يفضحكم ولا يفعل بكم
ما يفعل بالمشركين مراعاة لما راى الله من المصلحة في الابقاء عليكم فهو اذن كما قلتم الا انه اذن خير لكم لا اذن سوء

نسلّم لهم قولهم فيه الا انه فسّر بما هو مدح له وثناء عليه وان كانوا قصدوا به المذمة والتقصير بفطنته وشهامته وانه من
اهل سلامة القلوب والغرة • وقيل ان جماعة منهم ذمّوه وبلغه ذلك فاشتغلت قلوبهم فقال بعضهم لا عليكم فانما
هو اذن سامعة قد سمع كلام المبلّغ فأدّى ونحن نأتيه فنعتذر اليه فيسمع عذرنا ايضا فيرضى فقيل هو اذن خير لكم
وقرئ اذنُ خيرٌ لكم على ان اذن خبر مبتدأ محذوف وخير كذلك اي هو اذن هو خير لكم لانه يقبل معاذيركم ولا يكافئكم
على سوء دخلكم وقرأ نافع بتخفيف الذال • فان قلت لم عدّي فعل الايمان بالباء الى الله والى المؤمنين باللام قلت لانه
قصد التصديق الذي هو نقيض الكفر به فعدّي بالباء وقصد السماع من المؤمنين وان يسلّم لهم ما يقولونه ويصدّقه
لكونهم صادقين عنده فعدّي باللام • الا ترى الى قوله تعالى وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين • ما انباه عن الباء ونحوه
قوله تعالى فما آمن لموسى الا ذرية من قومه انؤمن لك واتبعك الارذلون • آمنتم له قبل ان آذن لكم فان قلت
ما وجه قراءة ابن ابي عبلة ورحمةً بالنصب قلت هي علة معللها محذوف تقديره ورحمة لكم يأذن لكم فحذف لان
قوله اذن لكم يدل عليه • لكم ليرضوكم الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن • ويتخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم خير
فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم ان كنتم مؤمنين كما تزعمون فاحق
من ارضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق • وانما وحّد الضمير لانه لا تفاوت بين رضا الله ورضى رسوله فكانا في حكم
مرضيّ واحد كقولك احسان زيد واجماله نعشني وجبر مني • او والله احق ان يرضوه ورسوله كذلك الم يعلموا انه من يحادد
الله ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم المحادّة مفاعلة من الحد كالمشاقّة من الشق فان له
على حذف الخبر اي فحق ان له نار جهنم • وقيل معناه فله وان تكرير لان في قوله انه توكيدا • ويجوز ان يكون فان له
معطوفا على انه على ان جواب من محذوف تقديره • الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله يهلك فان له نار جهنم • وقرئ
الم تعلموا بالتاء • يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون
ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم
ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين كانوا يستهزءون بالاسلام واهله وكانوا يحذرون ان يفضحهم
الله بالوحي فيهم حتى قال بعضهم والله لا ارانا الا شر خلق الله لوددت اني قدمت فجلدت مائة جلدة وان لا ينزل فينا شيء
يفضحنا والضمير في عليهم وتنبئهم للمؤمنين • وفي قلوبهم للمنافقين • وصح ذلك لان المعنى يقود اليه • ويجوز ان يكون الضمائر
للمنافقين لان السورة اذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم • ومعنى تنبئهم بما في قلوبهم كأنها تقول لهم في قلوبكم كيت
وكيت يعني انها تذيع اسرارهم عليهم حتى يسمعوها مذاعة منتشرة فكأنما تخبرهم بها • وقيل معنى يحذر الامر بالحذر
اي ليحذر المنافقون • فان قلت لكذا روائع على انزال السورة في قوله تعالى يحذر المنافقون ان تنزل عليهم
سورة فما معنى قوله مخرج ما تحذرون قلت معناه محصّل مبرز انزال السورة او ان الله مظهر ما كنتم تحذرونه
اي تحذرون اظهاره من نفاقكم • بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين
يديه فقالوا انظروا الى الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات • فاطلع الله نبيه على ذلك فقال
احبسوا على الركب فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا • فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من امرك ولا من امر اصحابك ولكن كنا
في شيء مما يخوض فيه الركب • ليقصر بعضنا على بعض السفر • وابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون لم يعبأ باعتذارهم
لانهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كأنهم معترفون باستهزائهم وبانه موجود منهم حتى وبخوا باخطائهم موقع الاستهزاء
حيث جعل المستهزأ به يلي حرف التقرير وذلك انما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء بكم بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان •

ان

ان يعف عن طائفة منكم باحداثكم التوبة واخلاصهم الايمان بعد النفاق • تعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق
غير تائبين منه او ان نعف عن طائفة منكم لم يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يستهزئوا فلم نعذبهم في العاجل
نعذب في العاجل طائفة بانهم كانوا مجرمين مؤذين لرسول الله مستهزئين • وقرأ مجاهد ان تعف عن طائفة على البناء
للمفعول مع التأنيث • والوجه التذكير لان المسند اليه الظرف كما تقول سير بالدابة ولا تقول سيرت بالدابة • ولكنه ذهب
الى المعنى كانه قيل ان ترحم طائفة فانث لذلك وهو غريب • والجيد قراءة العامة ان يعف عن طائفة بالتذكير وتعذب
طائفة بالتأنيث • وقرئ ان يعف عن طائفة يعذب طائفة على البناء للفاعل وهو الله عز وجل **المنافقون والمنافقات**
بعضهم من بعض يامرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون ايديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين
والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم • بعضهم من بعض اريد به نفي
ان يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في قولهم ويحلفون بالله انهم لمنكم وتقرير قوله وما هم منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة
حالهم لحال المؤمنين يامرون بالمنكر والمعاصي • وينهون عن المعروف عن الايمان والطاعات • ويقبضون ايديهم شحا
بالمبار والصدقات والانفاق في سبيل الله • نسوا الله اغفلوا ذكره فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله • هم الفاسقون
هم الكاملون في الفسق الذي هو التمرد في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجرا ان يلم بما يكسبه هذا
الاسم الفاحش الذي وصف الله به المنافقين حين بالغ في ذمهم واذا كره رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلم ان
يقول كسلت لان المنافقين وصفوا بالكسل في قوله تعالى كسالى فما ظنك بالفسق • خالدين فيها مقدرين الخلود
هي حسبهم دلالة على عظم عذابها وانه لا شيء ابلغ منه وانه بحيث لا يزاد عليه نعوذ بالله من سخطه وعذابه • ولعنهم
الله واهانهم مع التعذيب • وجعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين الملاعين كما عظم اهل الجنة والحقهم بالملائكة
المقربين • ولهم عذاب مقيم • ولهم نوع عذاب سوى الصلي بالنار مقيم دائم كعذاب النار • ويجوز ان يريد ولهم
عذاب مقيم معهم في العاجل لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن خوفا
من المسلمين • وما يحذرونه ابدا من الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على اسرارهم **كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم**
قوة واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا اولئك حبطت
اعمالهم في الدنيا والآخرة واولئك هم الخاسرون • الكاف محلها رفع على انتم مثل الذين من قبلكم او نصب على فعلتم
مثل فعل الذين من قبلكم وهو انكم استمتعتم وخضتم كما استمتعوا وخاضوا ونحوه قول النمر
• كاليوم مطلوبا ولا طلبا • باضمار لم ار وقوله كانوا اشد منكم تفسير لتشبيههم بهم وتمثيل فعلهم بفعلهم والخلاق
النصيب • وهو ما خلق للانسان اي قدر من خير كما قيل له قسم لانه قسم ونصيب لانه نصب اي اثبت • والخوض الدخول
في الباطل واللهو كالذي خاضوا كالفوج الذي خاضوا او كالخوض الذي خاضوه فان قلت اي فائدة في قوله فاستمتعوا
بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن عنه • كما اغنى قوله كالذي خاضوا عن ان يقال وخاضوا فخضتم كالذي خاضوا • قلت فائدته ان يذم
الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا ورضاهم بها والتهائهم بشهواتها الفانية عن النظر في العاقبة وطلب
الفلاح في الآخرة وان يخسس امر الاستمتاع ويهجن امر الراضي به ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم كما تريد ان
تنبه بعض الظلمة على سماجة فعله فتقول انت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب ويعسف وانت تفعل مثل
فعله • واما وخضتم كالذي خاضوا فمعطوف على ما قبله مستند اليه مستغن باسناده اليه عن تلك التقدمة • حبطت
اعمالهم في الدنيا والآخرة نقيض قوله وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين • **والمؤمنون والمؤمنات**

ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان
الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون واصحاب مدين واهل مدين وهم قوم شعيب والمؤتفكات مدائن قوم لوط
وهود وصالح وائتفاكهن انقلاب احوالهن عن الخير والشر فما كان الله ليظلمهم فما صح منه ان يظلمهم وهو حكيم
لا يجوز عليه القبيح وان يعاقبهم بغير جرم ولكن ظلموا انفسهم حيث كفروا به فاستحقوا عقابه والمؤمنون والمؤمنات
بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله
أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم بعضهم أولياء بعض في مقابلة قوله في المنافقين بعضهم من بعض سيرحمهم الله
السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في قولك سأنتقم منك يوما يعني انك لا
تفوتني وان تباطأ ذلك ونحوه قوله تعالى سيجعل لهم الرحمن ودا ولسوف يعطيك ربك فترضى سوف نؤتيهم أجورهم
عزيز غالب على كل شيء قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب حكيم واضع كلا موضعه على حسب الاستحقاق
وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من
الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم ومساكن طيبة عن الحسن قصورا من اللؤلؤ والياقوت الاحمر والزبرجد وعدن
علم بدليل قوله تعالى جنات عدن التي وعد الرحمن ويدل عليه ما روى ابو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم
عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء
يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وقيل هي مدينة في الجنة وقيل نهر جناته على حافاته ورضوان من الله
أكبر وشيء من رضوان الله أكبر من ذلك كله لان رضاه هو سبب كل فوز وسعادة ولانهم ينالون برضاه عنهم
تعظيمه وكرامته والكرامة اكبر اصناف الثواب ولان العبد اذا علم ان مولاه راض عنه فهو اكبر في نفسه
مما وراءه من النعم وانما تتهنأ له برضاه كما اذا علم بسخطه تنغصت عليه ولم يجد لها لذة وان عظمت وسمعت
بعض اولي الهمة البعيدة والنفس المرة من مشايخنا يقول لا تطمح عيني ولا تنازع نفسي الى شيء مما وعد الله
في دار الكرامة كما تطمح وتنازع الى رضاه عني وان احشر في زمرة المهديين المرضيين عنده ذلك اشارة
الى ما وعد الله او الى الرضوان اي هو الفوز العظيم وحده دون ما يعده الناس فوزا وروي ان الله تعالى
يقول لأهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول
انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا يا ايها النبي
جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر
وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا
لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الارض من ولي ولا نصير جاهد
الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم في الجهادين جميعا ولا تحابهم وكل من وقف منه على فساد في العقيدة
فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة ويستعمل معه الغلظة ما امكن منها عن ابن مسعود رضي الله عنه ان لم يستطع بيده
فبلسانه فان لم يستطع فليكفهر في وجهه فان لم يستطع فبقلبه يريد الكراهة والبغضاء والتبرؤ منه وقد
حمل الحسن جهاد المنافقين المتخلفين ولسع من معد منهم على اقامة الحدود عليهم اذا تعاطوا اسبابها اقام رسول
الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمعه منهم الجلاس بن سويد
فقال الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم ساداتنا واشرافنا فنحن شر من الحمير فقال

عامر بن قيس الانصاري للجلاس اجل والله ان محمدا لصادق وانت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله عليه الصلاة والسلام
فاستحضره وحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق الكاذب وتكذيب الصادق
فنزل يحلفون بالله ما قالوا فقال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله علي التوبة والله لقد قلته وصدق عامر فتاب
الجلاس وحسنت توبته وكفروا بعد اسلامهم واظهروا الكفر بعد اظهارهم وهموا بما لم ينالوا وهو الفتك
برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك عند مرجعه من تبوك توافق خمسة عشر على ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي
اذا تسنم العقبة بالليل واخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع
حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا
وقيل هم المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل اراد ان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله وما
نقموا وما انكروا وما عابوا الا ان اغناهم الله وذلك انهم كانوا محاويج قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر الفا فاستغنى فان يتوبوا هي الآية التي تاب عندها الجلاس وفي الدنيا والآخرة بالقتل
والنار ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به
وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون
ألم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب روي ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله
ادع الله ان يرزقني مالا فقال صلى الله عليه وسلم يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه فقال
والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت
بها المدينة فنزل بها واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه
واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم
ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه الكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية
ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رأيي فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه يا ويح
ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب على رأسه فقال هذا
عملك امرتك فلم تطعني فقبض النبي صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى ابي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها وجاء بها الى عمر
رضي الله عنه في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمن عثمان رضي الله عنه وقرئ لنصدقن ولنكونن بالنون الخفيفة
فيهما من الصالحين قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد الحج فاعقبهم نفاقا عن الحسن وقتادة ان الضمير
للبخل يعني فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم لانه كان سببا فيه وداعيا اليه والظاهر ان الضمير لله عز وجل
والمعنى فخذلهم حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها الى ان يموتوا بسبب اخلافهم ما وعدوا الله من
التصدق والصلاح وكونهم كاذبين فيه ومنه جعل خلف الوعد ثلث النفاق وقرئ يكذبون بالتشديد ألم
تعلموا بالتاء عن علي رضي الله عنه سرهم ونجواهم ما اسروه من النفاق والعزم على اخلاف ما وعدوه وما
يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها الذين يلمزون المطوعين
من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب
اليم استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله

والله لا يهدي القوم الفاسقين الذين يلمزون محله النصب او الرفع على الذم ويجوز ان يكون في محل الجر بدلا من الضمير في سرهم ونجويهم • وقرئ يلمزون بالضم والمطوعين المتطوعين المتبرعين • روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه باربعين اوقية من ذهب • وقيل باربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف درهم فاقرضت ربي اربعة وامسكت اربعة لعيالي • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك له حتى صولحت تماضر امرأته عن ربع الثمن على ثمانين الفا • وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر • وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع من تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون • وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء • وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل • ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت الا جهدهم الا طاقتهم وقرئ بالفتح والضم فيسخرون منهم سخر الله منهم لقوله تعالى • الله يستهزئ بهم في انه خبر غير دعاء • الا ترى الى قوله ولهم عذاب اليم • سأل عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان رجلا صالحا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لابيه في مرضه ففعل فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد رخص لي فسأزيد على السبعين • فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم • وقد ذكرنا ان هذا الامر في معنى الخبر كانه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم وان فيه معنى الشرط وذكرنا النكتة في المجيء به على لفظ الامر • والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير • قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه • لاصبحن العاص وابن العاص سبعين الفا عاقدي النواصي • فان قلت كيف خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو افصح العرب واخبرهم باساليب الكلام • وتمثيلاته • والذي يفهم من ذكر هذا العدد كثرة الاستغفار كيف وقد تلاه بقوله تعالى ذلك بانهم كفروا الاية • فبين الصارف عن المغفرة لهم حتى قال قد رخص لي ربي فسازيد على السبعين قلت لم يخف عليه ذلك • ولكنه خيل بما قال اظهارا لغاية رحمته ورأفته على من بعث اليه كقول ابرهيم • ومن عصاني فانك غفور رحيم • وفي اظهار النبي الرحمة والرأفة لطف لامته ودعاء لهم الى ترحم بعضهم على بعض فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون المخلفون الذين استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنافقين فاذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك او الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان بمقعدهم عن الغزو خلاف رسول الله خلفه يقال اقام خلاف الحي بمعنى بعدهم ظعنوا ولم يظعن معهم وتشهد له قراءة ابي حيوة خلف رسول الله • وقيل هو بمعنى المخالفة لانهم خالفوه حيث قعدوا ونهض وانتصابه على انه مفعول له او حال اي قعدوا لمخالفته او مخالفين له ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم تعريض بالمؤمنين وبتحملهم المشاق العظام لوجه الله وبما فعلوا من بذل اموالهم وارواحهم في سبيل الله وايثارهم ذلك على الدعة والخفض وكره ذلك المنافقون وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في المؤمنين من باعث الايمان وداعي الايقان وقل نار جهنم اشد حرا استجهال لهم لان من تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون في مشقة الابد كان اجهل من كل جاهل ولبعضهم •

مسرة احقاب تلقيت بعدها • مساءة يوم اريها شبه الصاب •

فكيف بان تلقى مسرة ساعة • وراء تقضيها مساءة احقاب فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون معناه فسيضحكون قليلا ويبكون كثيرا خبرا الا انه اخرج على لفظ الامر للدلالة على انه حتم واجب لا يكون غيره •

يزدي

روي ان اهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم فان رجعك الله الى طائفة
منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود اول مرة فا
قعدوا مع الخالفين وانما قال الى طائفة منهم لان منهم من تاب عن النفاق وندم على التخلف او اعتذر بعذر
صحيح وقيل لم يكن المخلفون كلهم منافقين فاراد بالطائفة المنافقين منهم فاستاذنوك للخروج يعني الى غزوة
بعد غزوة تبوك واول مرة هي غزوة تبوك وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم الذي
علم الله انه لم يدعهم اليه الا النفاق بخلاف غيرهم من المتخلفين مع الخالفين قد مر تفسيره وقرأ مالك
ابن دينار رحمة الله عليه مع الخلفين على قصر الخالفين فان قلت مرة نكرة وضعت موضع المرات للتفضيل
فلم ذكر اسم التفضيل المضاف اليها وهو دال على واحدة من المرات قلت اكثر اللغتين هند اكبر النساء
وهي اكبرهن ثم ان قولك هي كبرى امرأة لا تكاد تعثر عليه ولكن هي اكبر امرأة واول امرأة واخر
امرأة وعن قتادة ذكر لنا انهم كانوا اثني عشر رجلا قيل فيهم ما قيل ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا
تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم
على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض رأس المنافقين عبد الله ابن ابي بعث اليه ليأتيه فلما دخل عليه قال
اهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت اليك لتستغفر لي لا لتؤنبني وسأله ان يكفنه في شعاره
الذي يلي جلده ويصلي عليه فلما مات دعاه ابنه حباب الى جنازته فسأله عن اسمه فقال انت عبد الله بن
عبد الله الحباب اسم شيطان فلما هم بالصلاة عليه قال له عمر رضي الله عنه أتصلي على عدو الله فنزلت
وقيل اراد ان يصلي عليه فجذبه جبريل عليه الصلاة والسلام فان قلت كيف جازت له تكرمة المنافق
وتكفينه في قميصه قلت كان ذلك مكافأة له على صنيع سبق له وذلك ان العباس عم رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما اخذ اسيرا ببدر لم يجدوا له قميصا وكان رجلا طوالا فكساه عبد الله قميصه وقال
له المشركون يوم الحديبية انا لا نأذن لمحمد ولكنا نأذن لك فقال لا ان لي في رسول الله اسوة حسنة فشكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم له ذلك واجابة له الى مسألته اياه فقد كان عليه الصلاة والسلام لا يرد سائلا
وكان يتوفر على دواعي المروة ويعمل بعادات الكرام واكراما لابنه الرجل الصالح فقد روي انه قال
له اسألك ان تكفنه في بعض قمصانك وان تقوم على قبره لا يشمت به الاعداء وعلما بانه تكفينه في
قميصه لا ينفعه مع كفره فلا فرق بينه وبين غيره من الاكفان وليكون الباسه اياه لطفا لغيره فقد
روي انه قيل له لم وجهت اليه بقميصك وهو كافر فقال ان قميصي لن يغني عنه من الله شيئا واني
اؤمل من الله ان يدخل في الاسلام كثير بهذا السبب فيروى انه اسلم الف من الخزرج لما رأوه طلب
الاستشفاء بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك ترحمه واستغفاره كان للدعاء الى التراحم والتعاطف
لانهم اذا رأوه يترحم على من تظاهر بالايمان وباطنه على خلاف ذلك دعا المسلم الى ان يتعطف على من
واطأ قلبه لسانه ورآه حتما عليه فان قلت فكيف جازت الصلاة عليه قلت لم يتقدم نهي
عن الصلاة عليهم وكانوا يجرون مجرى المسلمين لظاهر ايمانهم لما في ذلك من المصلحة وعن ابن عباس رضي الله
عنهما ما ادري ما هذه الصلاة الا اني اعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخادع مات صفة لاحد
وانما قيل مات وماتوا بلفظ الماضي والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لانه كائن موجود لا محالة

أنهم كفروا تعليل للنهي ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم
وهم كافرون وقد أعيد قوله ولا تعجبك لأن تجدد النزول له شأن في تقرير ما نزل له وتأكيده وإرادة
أن يكون على بال من المخاطب لا ينساه ولا يسهو عنه وأن يعتقد أن العمل به مهم يفتقر إلى فضل عناية به لا سيما
إذا تراخى ما بين النزولين فأشبه الشيء الذي أهمّ صاحبه فهو يرجع إليه في أثناء حديثه ويتخلص إليه وإنما
أعيد هذا المعنى لقوّته فيما يجب أن يحذر منه وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله
استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين يجوز أن يراد السورة بتمامها وأن يراد بعضها
في قوله وإذا أنزلت سورة كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه وقيل هي براءة لأن فيها الأمر بالإيمان والجهاد أن
آمنوا هي أن المفسرة أولوا الطول منهم ذوو الفضل والسعة من طال عليه طولا ومع القاعدين مع الذين لهم علة وعذر في التخلف
رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون فهم لا يفقهون ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما في
التخلف من الشقاء والهلاك لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات
وأولئك هم المفلحون أعدّ الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم
لكن الرسول أي إن تخلف هؤلاء فقد نهد إلى الغزو من هو خير منهم وأخلص نية ومعتقدا كقوله عز وجل
فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما فإن استكبروا فالذين عند ربك الخيرات تتناول منافع الدارين لإطلاق
اللفظ وقيل الحور لقوله تعالى فيهن خيرات وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا
الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم المعذرون من عذّر في الأمر إذا قصّر فيه وتوانى ولم يجدّ
وحقيقته أن يوهم أن له عذرا فيما يفعل ولا عذر له أو المعتذرون بإدغام التاء في الذال ونقل حركتها
إلى العين ويجوز في العربية كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها لإتباع الميم ولكن لم تثبت بهما قراءة وهم الذين
يعتذرون بالباطل كقوله تعالى يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم وقرئ المعذرون بالتخفيف وهو الذي
يجتهد في العذر ويحتشد فيه وقيل هم أسد وغطفان قالوا إن لنا عيالا وإن بنا جهدا فائذن لنا في
التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا إن غزونا معك أغارت أعراب طيّ على أهالينا ومواشينا
فقال صلى الله عليه وسلم سيغنيني الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله وعن قتادة
اعتذروا بالكذب وقرئ المعّذّرون بتشديد العين والذال من تعذّر بمعنى اعتذر وهذا غير صحيح لأن
التاء لا تدغم في العين إدغامها في الطاء والزاي والصاد في المطّوّعين وازّكى واصّدّق وقيل
أريد المعتذرون بالصحة وبه فسّر المعذّرون على قراءة ابن عباس الذين لم يفرطوا في العذر وقعد الذين
كذبوا الله ورسوله هم منافقو الأعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا وظهر بذلك أنهم كذبوا الله ورسوله
في ادعائهم الإيمان وقرئ كذّبوا بالتشديد سيصيب الذين كفروا منهم من الأعراب عذاب أليم
في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج
إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم الضعفاء الهرمى والزمنى والذين لا يجدون
الفقراء قيل هم مزينة وجهينة وبنو عذرة والنصح لله ورسوله الإيمان بهما وطاعتهما في السر والعلن
وتوليهما والحب والبغض فيهما كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه المحسنين المعذورين الناصحين
ومعنى لا سبيل عليهم لا جناح عليهم ولا طريق للعاتب عليهم ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا

وأعينهم

وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون قلت حال من الكاف في أتوك وقبله مضمرة كما قيل في قوله
أو جاؤكم حصرت صدورهم أي إذا ما أتوك قائلا لا أجد تولوا ولقد حصر الله المعذورين في التخلف الذين
ليس لهم في أبدانهم استطاعة والذين عدموا آلة الخروج والذين سألوا المعونة فلم يجدوها وقيل المستحملون
أبو موسى الأشعري وأصحابه وقيل البكاؤون وهم ستة نفر من الأنصار تفيض من الدمع كقولك تفيض
دمعا وهو أبلغ من تفيض دمعها لأن العين جعلت كأنها دمع فائض ومن للبيان كقولك أفديك من رجل ومحل
الجار والمجرور النصب على التمييز ألا يجدوا لئلا يجدوا ومحله نصب على أنه مفعول له وناصبه المفعول له
الذي هو حزنا إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم
فهم لا يعلمون فإن قلت رضوا ما موقعه قلت هو استئناف كأنه قيل ما بالهم استأذنوا وهم أغنياء فقيل
رضوا بالدناءة والضعة والانتظام في جملة الخوالف وطبع الله على قلوبهم يعني أن السبب في استئذانهم
رضاهم بالدناءة وخذلان الله إياهم فإن قلت هل يجوز أن يكون قوله قلت لا أجد استئنافا مثله كأنه قيل
إذا ما أتوك لتحملهم تولوا فقيل ما لهم تولوا باكين فقيل قلت لا أجد ما أحملكم عليه إلا أنه وسط بين
الشرط والجزاء كالاعتراض قلت نعم ويحسن يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم
قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم
تعملون لن نؤمن لكم علة للنهي عن الاعتذار لأن غرض المعتذر أن يصدق فيما يعتذر به فإذا علم أنه مكذب
وجب عليه الإخلال به وقوله تعالى قد نبأنا الله من أخباركم علة لانتفاء تصديقهم لأن الله عز وجل
أوحى إلى رسوله الإعلام بأخبارهم وأحوالهم وما في ضمائرهم من الشر والفساد لم يستقم في معاذيرهم
وسيرى الله عملكم أتتوبون أم تثبتون على كفركم ثم تردون إليه وهو عالم الغيب والشهادة والسر
والعلانية فيجازيكم على حسب ذلك سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس
ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون لتعرضوا عنهم فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم فأعرضوا عنهم فأعطوا طلبتهم
إنهم رجس تعليل لترك معاتبتهم يعني أن المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم إنما يعاتب الأديم ذو البشرة
والمؤمن يوبخ على زلة يفرط منه ليطهره التوبيخ بالحمل على التوبة والاستغفار وأما هؤلاء فأرجاس
لا سبيل إلى تطهيرهم ومأواهم جهنم يعني وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم
يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين لترضوا عنهم أي
غرضهم في الحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك في دنياهم فإن ترضوا عنهم فإن رضاكم وحدكم لا ينفعهم
إذا كان الله ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته وآجلها وقيل إنما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم
أن رضى المؤمنين يقتضي رضى الله عنهم قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير وأصحابهما وكانوا ثمانين رجلا
منافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء عبد الله بن أبي يحلف
أن لا يتخلف عنه أبدا الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله
عليم حكيم الأعراب أشد كفرا ونفاقا من أهل الحضر لجفائهم وقسوتهم وتوحشهم ونشئهم في بعد من مشاهدة
العلماء ومعرفة الكتاب والسنة وأجدر وأحق أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله وأحق بجهل حدود الدين وما

وما انزل الله من الشرائع والاحكام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ان الجفاء والقسوة في الفدادين والله عليم يعلم كل احد من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من عقابه وثوابه ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم مغرما غرامة وخسرانا والغرامة ما ينفقه الرجل وليس يلزمه لانه لا ينفق الا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله تعالى وابتغاء المثوبة عنده ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان ودوله وعقبه لتذهب غلبتكم عليه فيتخلص من اعطاء الصدقة عليهم دائرة السوء دعاء معترض دعى عليهم بنحو ما دعوا به كقوله عز وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم وقرئ السوء بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة والسوء بالفتح وهو ذم للدائرة كقولك رجل سوء في نقيض قولك رجل صدق لان من دارت عليه ذام لها والله سميع لما يقولون اذا توجهت عليهم الصدقة عليم بما يضمرون وقيل هم اعراب اسد وغطفان وتميم ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول الا انها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم قربات مفعول ثان ليتخذ والمعنى ان ما ينفقه سبب لحصول القربات عند الله وصلوات الرسول لان الرسول كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله عليه الصلاة والسلام اللهم صل على آل ابي اوفى وقال تعالى وصل عليهم فلما كان ما ينفق سببا لذلك قيل يتخذ ما ينفق قربات وصلوات الا انها شهادة من الله للمتصدقين بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستئناف مع حرفي التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الامر وتمكنه وكذلك سيدخلهم وما في السين من تحقيق الوعد وما ادل هذا الكلام على رضا الله تعالى عن المتصدقين وان الصدقة منه بمكان اذا خلصت النية من صاحبها وقرئ قربة بضم الراء وقيل هم عبد الله ذو البجادين ورهطه والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم السابقون الاولون هم الذين صلوا الى القبلتين وقيل الذين شهدوا بدرا وعن الشعبي من بايع بالحديبية وهي بيعة الرضوان ما بين الهجرتين ومن الانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القرآن وقرأ عمر رضي الله عنه والانصار بالرفع عطفا على السابقون وعن عمر كان يرى ان قوله والذين اتبعوهم باحسان بغير واو صفة للانصار حتى قال له زيد انه بالواو فقال ائتوني بابي فقال تصديق ذلك في اول الجمعة وآخرين منهم واوسط الحشر والذين جاؤوا من بعدهم وآخر الانفال والذين آمنوا من بعد وروي انه سمع رجلا يقرؤه بالواو فقال من اقرأك قال ابي فدعاه فقال اقرأنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانك لتبيع القرظ بالبقيع قال صدقت وان شئت قلت شهدنا وغبتم ونصرنا وخذلتم وآوينا وطردتم ومن ثم قال عمر رضي الله عنه لقد كنت ارانا رفعنا رفعة لا يبلغها احد بعدنا وارتفع السابقون بالابتداء وخبره رضي الله عنهم ومعناه رضي الله عنهم لاعمالهم ورضوا عنه لما افاض عليهم من نعمته الدينية والدنيوية وفي مصاحف اهل مكة تجري من تحتها الانهار وهي قراءة ابن كثير وفي سائر المصاحف تحتها بغير من وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب

عظيم ﴿وممن حولكم﴾ يعني حول بلدتكم وهي المدينة منافقون وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها
ومن حولها ﴿ومن اهل المدينة﴾ عطف على خبر المبتدا الذي هو ممن حولكم ويجوز ان يكون جملة
معطوفة على المبتدا والخبر اذا قدرت ومن اهل المدينة قوم مردوا على النفاق على ان مردوا صفة موصوف
محذوف كقوله انا ابن جلا وعلى الوجه الاول لا يخلو من ان يكون كلاما مبتدا او صفة لمنافقون
فصل بينها وبينه بمعطوف على خبره مردوا على النفاق تمهروا فيه من مرن فلان على عمله ومرد عليه اذا درب به
وضري حتى لان عليه ومهر فيه ودل على مهارتهم فيه بقوله تعالى لا تعلمهم اي يخفون عليك مع فطنتك وشهامتك
وصدق فراستك لفرط تنوقهم في تحامي ما يشكك في امرهم ثم قال نحن نعلمهم اي لا يعلمهم الا الله ولا يطلع
على سرهم غيره لانهم يبطنون الكفر في سويداوات قلوبهم ابطانا ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين من
المومنين لا تشك معه في ايمانهم وذلك انهم مردوا على النفاق وضروا به ولهم فيه اليد الطولى سنعذبهم مرتين القتل
هما القتل وعذاب القبر وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم اختلفوا في هاتين المرتين فقال قام رسول الله صلى الله
عليه وسلم خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج ناسا وفضحهم فهذا
العذاب الاول والثاني عذاب القبر وعن الحسن رحمة الله عليه اخذ الزكوة من اموالهم ونهك ابدانهم الى عذاب
عظيم الى عذاب النار ﴿واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم﴾
اعترفوا بذنوبهم اي لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على انفسهم بانهم بئس ما فعلوا
متذممين نادمين وكانوا ثلثة ابو لبابة مروان بن عبد المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وقيل
وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم اوثقوا انفسهم بلغهم ما نزل في المتخلفين فايقنوا بالهلاك واوثقوا انفسهم على
سواري المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل رسول الله المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم من
سفر فراهم موثقين فسال عنهم فذكر انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يكون رسول الله هو الذي يحلهم فقال
وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت خذ من اموالهم عملا صالحا خروجا الى الجهاد واخر سيئا تخلفا عنه فاطلقهم
وعذرهم فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها فقال ما امرت ان اخذ من اموالكم شيئا
فنزلت خذ من اموالهم عملا صالحا الجهاد واخر سيئا تخلفا عنه عن الحسن وعن الكلبي التوبة والاثم
فان قلت قد جعل كل واحد منهما مخلوطا فما المخلوط به قلت كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به لان المعنى
المعنى خلط كل واحد منهما بالاخر كقولك خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه وفيه ما ليس في
قولك خلطت الماء باللبن لانك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به واذا قلته بالواو جعلت الماء واللبن
مخلوطين ومخلوطا بهما كانك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز ان يكون من قولهم بعت الشاء شاة
ودرهما بمعنى شاة بدرهم فان قلت كيف قيل عسى الله ان يتوب عليهم وما ذكرت توبتهم قلت اذا ذكر اعترافهم بذنوبهم
وهو دليل على التوبة فقد ذكرت توبتهم ﴿خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلوتك
سكن لهم والله سميع عليم﴾ تطهرهم صفة لصدقة وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم
جوابا للامر ولم يقرأ وتزكيهم الا باثبات الياء والتاء في تطهرهم للخطاب او لغيبة المونث والتزكية مبالغة
في التطهير وزيادة فيه او بمعنى الانماء والبركة في المال وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة
ان يدعو المصدق لصاحب الصدقة اجرك الله فيما اعطيت وجعله طهورا وبارك لك فيما ابقيت وقرئ

إن صلاتك على التوحيد سكن لهم يسكنون إليه وتطمئن قلوبهم بأن قد تاب عليهم والله سميع لاعترافهم
بذنوبهم ودعائهم عليم بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده
ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون
إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون قرئ ألم يعلموا بالياء والتاء وفيه وجهان أحدهما أن يراد المتوب
عليهم يعني ألم يعلموا قبل أن يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم أن الله هو يقبل التوبة إذا صحت ويقبل الصدقات
إذا صدرت عن خلوص النية وهو للتخصيص والتأكيد وأن الله من شأنه قبول توبة التائبين وقيل معنى التخصيص
في هو أن ذلك ليس إلى رسول الله إنما الله هو الذي يقبل التوبة ويردها فاقصدوها به ووجهوها إليه وقل
لهؤلاء التائبين اعملوا فإن عملكم لا يخفى خيرا كان أو شرا على الله وعباده كما رأيتم وتبين لكم والثاني أن يراد غير
التائبين ترغيبا لهم في التوبة فقد روي أنه لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالأمس
معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت فإن قلت فما معنى قوله ويأخذ الصدقات قلت هو مجاز عن قبوله
لها وعن ابن عباس رضي الله عنه إن الصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل والمعنى أنه يتقبلها ويضاعف عليها
وقوله تعالى فسيرى الله وعيد لهم وتحذير من عاقبة الإصرار والذهول عن التوبة وآخرون مرجون لأمر الله
إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم قرئ مرجون ومرجؤون من أرجيته وأرجأته إذا أخرته ومنه
المرجئة يعني وآخرون من المتخلفين موقوف أمرهم إما يعذبهم إن بقوا على الإصرار ولم يتوبوا وإما يتوب عليهم
إن تابوا وهم ثلاثة كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يسلموا عليهم
ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل أبو لبابة وأصحابه من شد أنفسهم على السواري وإظهار الجزع والغم فلما علموا أن
أحدا لا ينظر إليهم فوضوا أمرهم إلى الله تعالى وأخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله والله عليم حكيم وفي
قراءة عبد الله غفور رحيم وإما للعباد أي خافوا عليهم العذاب وارجوا لهم الرحمة والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا
وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم
لكاذبون في مصاحف أهل المدينة والشام الذين اتخذوا بغير واو لأنها قصة على حيالها وفي سائرها بالواو
على عطف قصة مسجد الضرار الذي أحدثه المنافقون على سائر قصصهم روي أن بني عمرو بن عوف لما بنوا
مسجد قباء بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم إخوتهم وهم بنو
غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل إلى رسول الله يصلي فيه ويصلي فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام
ليثبت لهم الفضل والزيادة على إخوتهم وهو الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق وقال لرسول الله
يوم أحد لا أجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج
هاربا إلى الشام وأرسل إلى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فإني ذاهب إلى قيصر وآت
بجنود ومخرج محمدا وأصحابه من المدينة فبنوا مسجدا إلى جنب مسجد قباء وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا
لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب أن تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال
إني على جناح سفر وحال شغل وإذا قدمنا إن شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه إتيان
المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي قاتل حمزة فقال
لهم انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه ففعل فأمر أن يتخذ مكانه كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة

قوله فيغتص اي يمتلي المسجد بالمؤمنين

ومات ابو عامر بالشام بقنسرين ضرارا مضارة لاخوانهم اصحاب مسجد قباء ومعازة وكفرا وتقوية للنفاق
وتفريقا بين المؤمنين لانهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد قباء فيغتص بهم فارادوا ان يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم
وارصادا اعدادا لاجل من حارب الله ورسوله وهو الراهب اعدوه له ليصلي فيه ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل كل مسجد بني مباهاة او رياء وسمعة او لغرض سوى ابتغاء وجه الله او بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار
وعن شقيق رحمه الله انه لم يدرك الصلاة في مسجد بني عامر فقيل له مسجد بني فلان لم يصلوا فيه بعد فقال لا احب
ان اصلي فيه فانه بني على ضرار وكل مسجد بني على ضرار او رياء او سمعة فان اصله ينتهي الى المسجد الذي بني ضرارا
وعن عطاء لما فتح الله الامصار على يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه امر المسلمين ان يبنوا المساجد وان لا يتخذوا في مدينة
مسجدين يضار احدهما صاحبه فان قلت والذين اتخذوا ما محله من الاعراب قلت محله النصب على الاختصاص
كقوله تعالى والمقيمين الصلاة وقيل هو مبتدأ خبره محذوف معناه وفيمن وصفنا الذين اتخذوا كقوله والسارق والسارقة
فان قلت بم يتصل قوله تعالى من قبل قلت باتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف ان
اردنا ببناء هذا المسجد الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهي الصلاة وذكر الله والتوسعة على المصلين لا تقم فيه
ابدا لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين
لمسجد اسس على التقوى قيل هو مسجد قباء اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه وهي يوم
الاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة وهو اولى لان الموازنة بين مسجد قباء اوقع وقيل هو
مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد
الذي اسس على التقوى فاخذ حصباء فضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من اول يوم من
اول يوم من ايام وجوده فيه رجال يحبون ان يتطهروا قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون
حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر رضي الله
عنه يا نبي الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال رسول الله اترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا
نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال رسول الله صلى الله عليه مؤمنون ورب الكعبة ثم جلس فقال
يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول
الله نتبع الغائط الاحجار الثلثة ثم نتبع الماء فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجال يحبون ان يتطهروا
وقرئ ان يطهروا بالادغام وقيل هو عام في التطهير من النجاسات كلها وقيل كانوا لا ينامون الليل
على الجنابة ويتبعون الماء اثر البول وعن الحسن رحمة الله عليه هو التطهر من الذنوب بالتوبة وقيل يحبون
ان يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم فان قلت ما معنى المحبتين قلت محبتهم للتطهر انهم
يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحب للشيء المشتهى له على ايثاره ومحبة الله اياهم انه يرضى عنهم ويحسن اليهم كما يفعل
المحب بمحبوبه افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في
نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين قرئ اسس بنيانه واسس بنيانه على البناء للفاعل والمفعول
واسس جمع اساس على الاضافة واساس بنيانه بالفتح وبالكسر واساس بنيانه على افعال جمع اس ايضا
واس بنيانه والمعنى افمن اسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة [illegible] قوله مثل شفا جرف وهو الحق الذي
جرف هار في قلة الثبات والاستمساك وضع شفا الجرف في مقابلة هو تقوى الله ورضوانه خير ام من اسسه

على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها واقلها بقاء وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار
في قلة الثبات والاستمساك وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى لانه جعل مجازا عما ينافي التقوى فان قلت
فما معنى قوله فانهار به في نار جهنم قلت لما جعل الجرف الهائر مجازا عن الباطل قيل فانهار به في نار جهنم على معنى
فطاح به الباطل في نار جهنم الا انه رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف وليصور ان المبطل كانه اسس
بنيانا على شفا جرف من اودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى في قعرها والشفا الحرف والشفير وجرف
الوادي جانبه الذي يتحفر اصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار الهائر وهو المتصدع الذي اشفى
على التهدم والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من خالف ونظيره شاك وصات في شائك وصائت والفه
ليست بالف فاعل انما هي عينه واصله هور وشوك وصوت ولا ترى ابلغ من هذا الكلام ولا ادل على حقيقة
الباطل وكنه امره وقرئ جرف بسكون الراء فان قلت فما وجه ما روى سيبويه عن عيسى بن عمر على تقوى من الله
بالتنوين قلت قد جعل الالف للالحاق لا للتانيث كتترى فيمن نون الحقها بجعفر وفي مصحف ابي فانهارت
به قواعده وقيل حفرت بقعة من مسجد الضرار فرئي الدخان يخرج منه وروي ان مجمع بن جارية كان امامهم
في مسجد الضرار فكلم بنو عمرو بن عوف اصحاب مسجد قباء عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته ان ياذن لمجمع ان
يؤمهم في مسجدهم فقال لا ولا نعمة عين اليس بامام مسجد الضرار فقال يا امير المؤمنين لا تعجل علي فوالله
لقد صليت بهم والله يعلم اني لا اعلم ما اضمروا فيه ولو علمت ما صليت معهم فيه كنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا
شيوخا لا يقرؤون من القرآن شيئا فعذره وصدقه وامره بالصلاة بقومه لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في
قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم والله عليم حكيم ريبة شكا في الدين ونفاقا وكان القوم منافقين وانما حملهم على بناء
ذلك المسجد كفرهم ونفاقهم كما قال تعالى ضرارا وكفرا فلما هدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ازدادوا لما غاظهم
من ذلك وعظم عليهم تصميما على النفاق ومقتا للاسلام فمعنى قوله تعالى لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم
لا يزال هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لا يزول وسمه عن قلوبهم ولا يضمحل اثره الا
ان تقطع قلوبهم قطعا وتفرق اجزاء فحينئذ يسلون عنه واما ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة
فيكون ذكر التقطيع تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز ان يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم او في القبور
او في النار وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع بفتح التاء بمعنى تتقطع قلوبهم على ان الخطاب للرسول
اي الا ان تقطع انت قلوبهم بقتلهم وقرأ الحسن الى ان وفي قراءة عبد الله ولو قطعت قلوبهم وعن طلحة
ولو قطعت قلوبهم على خطاب الرسول او كل مخاطب وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم
ندما واسفا على تفريطهم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في
سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا
ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم مثل الله تعالى اثابتهم بالجنة على بذلهم انفسهم واموالهم
في سبيل الله بالشروى وروي تاجرهم فاغلى لهم الثمن وعن عمر رضي الله عنه فجعل لهم الصفقتين جميعا
وعن الحسن انفسا هو خلقها واموالا هو رزقها وروي ان الانصار حين بايعوه على العقبة قال
عبد الله بن رواحة رضي الله عنه اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا
به شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم قالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع

لا

لا نقيل ولا نستقيل. ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابي وهو يقراها فقال كلام من ذاك قال كلام الله فقال والله بيع
مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد. يقاتلون فيه معنى الامر كقوله عز وجل وتجاهدون
في سبيل الله باموالكم وانفسكم. وقرئ فيقتلون ويقتلون على بناء الاول للفاعل والثاني للمفعول وعلى العكس.
وعدا مصدر مؤكد. واخبر بان هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين في سبيله وعد ثابت قد اثبته في
التورية والانجيل كما اثبته في القرآن. ثم قال ومن اوفى بعهده من الله لان اخلاف الميعاد قبيح لا يقدم
عليه الكرام من الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم اليه فكيف بالغني الذي لا يجوز عليه قبيح قط ولا ترى ترغيبا
في الجهاد احسن منه وابلغ التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون
بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين التائبون رفع على المدح اي هم التائبون
يعني المؤمنين المذكورين. ويدل عليه قراءة عبد الله وابي رضي الله عنهما التائبين بالياء الى قوله والحافظين نصبا
على المدح. ويجوز ان يكون جرا صفة للمؤمنين. وجوز الزجاج ان يكون مبتدا خبره محذوف اي التائبون
العابدون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا لقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى. وقيل هو رفع على البدل
من الضمير في يقاتلون. ويجوز ان يكون مبتدا خبره العابدون وما بعده خبر بعد خبر اي التائبون من الكفر
على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال. وعن الحسن هم الذين تابوا من الشرك وتبروا من النفاق. والعابدون
الذين عبدوا الله وحده واخلصوا له العبادة وحرصوا عليها. والسائحون الصائمون شبهوا بذوي السياحة في
الارض في امتناعهم من شهواتهم. وقيل هم طلبة العلم يسيحون في الارض يطلبونه في مظانه ما كان للنبي والذين
آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم قيل قال
لعمه ابي طالب انت اعظم الناس علي حقا واحسنهم عندي يدا فقل كلمة تجب لك بها شفاعتي فأبى فقال لا ازال
استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت. وقيل لما افتتح مكة سال اي ابويه احدث به عهدا فقيل امك آمنة
فزار قبرها بالابواء ثم قام مستعبرا فقال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في
الاستغفار لها فلم ياذن لي ونزلت. وهذا اصح لان موت ابي طالب كان قبل الهجرة وهذا آخر ما نزل
بالمدينة. وقيل استغفر لابيه. وقيل قال المسلمون ما يمنعنا ان نستغفر لآبائنا وذوي قرابتنا وقد استغفر
ابرهيم لابيه وهذا محمد يستغفر لعمه. ما كان للنبي ما صح له الاستغفار في حكم الله وحكمته من بعد ما تبين
لهم انهم اصحاب الجحيم لانهم ماتوا على الشرك. وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه
فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه ان ابرهيم لاواه حليم. قرا طلحة وما استغفر ابرهيم لابيه. وعنه وما يستغفر
ابرهيم على حكاية الحال الماضية. الا عن موعدة وعدها اياه. وهو قوله تعالى لاستغفرن لك. ويدل عليه قراءة
الحسن وحماد الراوية وعدها اباه. فان قلت كيف خفي على ابراهيم ان الاستغفار للكافر غير جائز حتى وعده
قلت يجوز ان يظن انه ما دام يرجى منه الايمان جاز الاستغفار له على ان جواز الاستغفار للكافر انما
علم بالوحي لان العقل يجوز ان يغفر الله للكافر. الا ترى الى قوله صلى الله عليه وسلم لعمه لاستغفرن لك ما لم
انه عنه. وعن الحسن قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يستغفر لآبائه المشركين فقال ونحن نستغفر لهم
فنزلت. وعن علي رضي الله عنه رايت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت له فقال اليس قد استغفر ابرهيم
فان قلت فما معنى قوله فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه قلت فلما تبين له من جهة الوحي انه لن يؤمن وانه

يموت كافرا وانقطع رجاؤه عنه قطع استغفاره فهو كقوله تعالى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم اوّاه فعّال من أوّه
كلأّال من اللؤلؤ وهو الذي يكثر التأوه ومعناه انه لفرط ترحمه ورقته وحلمه كان يتعطف على ابيه الكافر ويستغفر
له مع شكاسته عليه وقوله لارجمنك وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ان
الله بكل شيء عليم ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يعني
ما امر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى عنه وبين انه محظور لا يؤاخذ به عباده الذين
هداهم للاسلام ولا يسميهم ضلالا ولا يخذلهم الا اذا اقدموا عليه بعد بيان حظره عليهم وعلمهم بانه واجب
الاتقاء والاجتناب واما قبل العلم والبيان فلا سبيل عليهم كما لا يؤاخذون بشرب الخمر ولا ببيع الصاع
بالصاعين قبل التحريم وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين قبل ورود النهي عنه وفي
هذه الآية شديدة ما ينبغي ان يغفل عنها وهي ان المهدي للاسلام اذا اقدم على بعض محظورات الله داخل في
حكم الاضلال والمراد بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهي فاما ما يعلم بالعقل كالصدق في الخبر ورد الوديعة
فغير موقوف على التوقيف لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد
ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رءوف رحيم تاب الله على النبي كقوله تعالى ليغفر لك
ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقوله تعالى واستغفر لذنبك وهو بعث للمؤمنين على التوبة وانه ما من مؤمن
الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار حتى النبي والمهاجرون والانصار وابانة لفضل التوبة ومقدارها عند
الله وان صفة التوابين الاوابين صفة الانبياء كما وصفهم بالصالحين ليظهر فضيلة الصلاح وقيل معناه تاب
الله عليه من اذنه للمنافقين في التخلف عنه كقوله تعالى عفا الله عنك في ساعة العسرة في وقتها والساعة
مستعملة في معنى الزمان المطلق كما استعملت الغداة والعشية واليوم غداة طفقت علماء بكر بن وائل

عشية قارعنا جذام وحميرا • اذا جاء يوما وارثي يبتغي الغنى

والعسرة حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد وفي عسرة من الزاد
تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة ان اقتسم التمرة اثنان وربما
مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها وفي شدة زمان من
حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة وكاد تزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان
او عن اتباع الرسول في تلك الغزوة والخروج معه وفي كاد ضمير الشان وشبهه سيبويه بقولهم ليس خلق
الله مثله وقرئ يزيغ بالياء وفي قراءة عبد الله من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يريد المتخلفين من المؤمنين
كابي لبابة وامثاله ثم تاب عليهم تكرير للتوكيد ويجوز ان يكون الضمير للفريق تاب عليهم لكيدودتهم
والثلاثة كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا
ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم
ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم ومعنى خلفوا خلفوا عن الغزو وقيل عن ابي لبابة واصحابه حيث تيب
عليهم وقرئ خلفوا اي خلفوا الغازين بالمدينة او فسدوا من الخالفة وخلوف الفم وقرأ جعفر الصادق
رضي الله عنه خالفوا وقرأ الاعمش وعلى الثلاثة المخلفين بما رحبت برحبها اي مع سعتها وهو مثل
للحيرة في امرهم كانهم لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا مما هم فيه وضاقت عليهم انفسهم اي قلوبهم

لا

لا يسعها أنس ولا سرور لأنها حرجت من فرط الوحشة والغم وظنوا أن لا ملجأ من سخط الله إلا إلى استغفاره
ثم تاب عليهم ليتوبوا ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة بعد أخرى ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا أو
ليتوبوا أيضاً فيما يستقبل إن فرطت منهم خطيئة علماً منهم أن الله تواب على من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة
روي أن ناساً من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به عن الحسن
بلغني أنه كان لأحدهم حائط كان خيراً من مائة ألف درهم فقال يا حائطاه ما خلفني إلا ظلك وانتظار ثمرك
اذهب فأنت في سبيل الله ولم يكن لآخر إلا أهله فقال يا أهلاه ما أخرني وبطأني ولا خلفني إلا الضن بك
لا جرم والله لأكابدن المفاوز حتى ألحق برسول الله فركب ولحق ولم يكن لآخر إلا نفسه لا أهل ولا
مال فقال يا نفس ما خلفني إلا حب الدنيا لك والله لأكابدن الشدائد حتى ألحق برسول الله فتأبط
زاده ولحق به قال الحسن رحمه الله كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها وعن أبي
ذر الغفاري رضي الله عنه أن بعيره أبطأ به فحمل متاعه على ظهره واتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ماشياً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى سواده كن أبا ذر فقال الناس هو ذاك فقال رحم الله
أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده وعن أبي خيثمة أنه بلغ بستانه وكانت له امرأة
حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت إليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب
يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته وأخذ سيفه
ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه إلى الطريق فإذا براكب يزهاه السراب فقال
كن أبا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له ومنهم من بقي لم يلحق منهم الثلاثة
قال كعب لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعد ما ذكرني وقال ليت
شعري ما خلف كعباً فقيل له ما خلفه إلا حسن برديه والنظر في عطفيه فقال معاذ الله ما أعلم
إلا فضلاً وإسلاماً ونهى عن كلامنا أيها الثلاثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا أحد من قريب ولا بعيد
فلما مضت أربعون ليلة أمرنا أن نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة إذا أنا بنداء
من ذروة سلع أبشر يا كعب بن مالك فخررت ساجداً وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الأرض
بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وتتابعت البشارة فلبست ثوبي وانطلقت إلى رسول الله عليه الصلاة
والسلام فإذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام إلي طلحة بن عبيد الله يهرول إلي حتى صافحني و
قال لتهنك توبة الله عليك فلن أنساها لطلحة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يستنير استنارة
القمر أبشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك ثم تلا علينا الآية وعن أبي بكر الوراق أنه سئل
عن التوبة النصوح فقال أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه يا أيها الذين آمنوا
اتقوا الله وكونوا مع الصادقين مع الصادقين وقرئ من الصادقين وهم الذين صدقوا في دين الله نية وقولاً وعملاً
أو الذين صدقوا في أيمانهم ومعاهدتهم لله ولرسوله على الطاعة من قوله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه وقيل هم الثلاثة أي كونوا مثل هؤلاء في صدقهم وثباتهم وعن ابن عباس الخطاب لمن آمن من أهل
الكتاب أي كونوا مع المهاجرين والأنصار ووافقوهم وانتظموا في جملتهم واصدقوا مثل صدقهم وقيل لمن
تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك وعن ابن مسعود لا يصلح الكذب في جد ولا هزل ولا أن يعد أحدكم صبيه

اقرؤا

ثم لا ينجزه إن شئتم وكونوا مع الصادقين فهل فيها من رخصة ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه أمروا بأن يصحبوه على البأساء والضراء وأن يكابدوا معه الأهوال برغبة ونشاط وأن يلقوا أنفسهم من الشدائد ما تلقاه نفسه علما بأنها أعز نفس عند الله وأكرمها عليه فإذا تعرضت مع كرامتها وعزتها للخوض في شدة وهول وجب على سائر الأنفس أن تتهافت فيما تعرضت له ولا يكترث لها أصحابها ولا يقيموا لها وزنا وتكون أخف شيء عليهم وأهونه فضلا أن يربأوا بأنفسهم عن متابعتها ومصاحبتها ويضنوا بها على ما سمح بنفسه عليها وهذا نهي بليغ لأمرهم وتوبيخ لهم عليه وتهييج لمتابعته بأنفة وحمية ذلك إشارة إلى ما دل عليه قوله ما كان لهم أن يتخلفوا من وجوب مشايعته كأنه قيل ذلك الوجوب بسبب أنهم لا يصيبهم شيء من عطش ولا تعب ولا مجاعة في طريق الجهاد ولا يدوسون مكانا من أمكنة الكفار بحوافر خيولهم وأخفاف رواحلهم وأرجلهم ولا يتصرفون في أرضهم تصرفا يغيظهم ويضيق صدورهم ولا ينالون من عدو نيلا ولا يرزؤونهم شيئا من قتل أو أسر أو غنيمة أو هزيمة أو غير ذلك إلا كتب لهم به عمل صالح وفازوا واستوجبوا الثواب ونيل الزلفى عند الله وذلك مما يوجب المشايعة ويجوز أن يراد بالوطء الإيقاع والإبادة لا الوطء بالأقدام والحوافر كقوله صلى الله عليه وسلم آخر وطأة وطئها الله بوج والموطئ إما مصدر كالمورد وإما مكان فإن كان مكانا فمعنى يغيظ الكفار يغيظهم وطؤه والنيل أيضا يجوز أن يكون مصدرا مؤكدا وأن يكون بمعنى المنيل يقال نال منه إذا رزأه ونقصه وهو عام في كل ما يسوؤهم وينكبهم ويلحق بهم ضررا وفيه دليل على أن من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود ومشي وكلام وغير ذلك وكذلك الشر وبهذه الآية استشهد أصحاب أبي حنيفة رحمة الله عليه أن المدد القادم بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش في الغنيمة لأن وطء ديارهم مما يغيظهم وينكي فيهم ولقد أسهم النبي صلى الله عليه وسلم لابني عامر وقد قدما بعد تقضي الحرب وأمد أبو بكر الصديق رضي الله عنه المهاجر بن أبي أمية وزياد بن أبي لبيد بعكرمة بن أبي جهل وخمسمائة نفس فلحقوا بعدما فتحوا فأسهم لهم وعند الشافعي رضي الله عنه لا يشارك المدد الغانمين وقرأ عبيد بن عمير ظماء بالمد يقال ظمئ ظماء وظماء ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولو تمرة ولو علاقة سوط ولا كبيرة مثل ما أنفق عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة ولا يقطعون واديا أي أرضا في ذهابهم ومجيئهم والوادي كل منفرج بين جبال وآكام يكون منفذا للسيل وهو في الأصل فاعل من ودى إذا سال ومنه الودي وقد شاع في استعمال العرب بمعنى الأرض يقولون لا تصل في وادي غيرك إلا كتب لهم إلا كتب لهم ذلك من الإنفاق وقطع الوادي ويجوز أن يرجع الضمير فيه إلى عمل صالح وقوله تعالى ليجزيهم متعلق بكتب أي أثبت في صحائفهم لأجل الجزاء وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون اللام لتأكيد النفي ومعناه أن نفير الكافة عن أوطانهم لطلب العلم غير صحيح ولا ممكن وفيه أنه لو صح وأمكن ولم يؤد إلى مفسدة لوجب لوجوب التفقه على الكافة ولأن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة فلولا نفر حين لم يكن نفير الكافة ولم يكن مصلحة فهلا نفر من كل فرقة طائفة أي من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير

بلغ مقابلة

ليتفقهوا

بلغ مقابلة

ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق في اخذها وتحصيلها ولينذروا قومهم وليجعلوا
غرضهم ومرمى همتهم في التفقه انذار قومهم وارشادهم والنصيحة لهم لا ما ينتحيه الفقهاء من
الاغراض الخسيسة ويؤمونه من المقاصد الركيكة من التصدر والترؤس والتبسط في البلاد والتشبه بالظلمة
في مراكبهم ومنافسة بعضهم بعضا وفشو داء الضرائر بينهم وانقلاب حماليق احدهم اذا لمح ببصره مدرسة لآخر
او شرذمة جثوا بين يديه وتهالكه على ان يكون موطأ العقب دون الناس كلهم فما ابعد هؤلاء من قوله عز وجل
لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا الله فيعملوا عملا صالحا ووجه آخر وهو ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك وبعد ما انزل في المتخلفين من الآيات الشداد استبق
المؤمنون عن آخرهم الى النفير وانقطعوا جميعا عن استماع الوحي والتفقه في الدين فأمروا ان ينفر من كل فرقة منهم طائفة
الى الجهاد وتبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة اعظم اثرا من
الجلاد بالسيف وقوله تعالى ليتفقهوا الضمير فيه للفرق الباقية بعد الطوائف النافرة من بينهم ولينذروا قومهم الفرق
الباقية قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم وعلى الاول الضمير للطائفة النافرة الى المدينة
للتفقه يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين يلونكم
يقربون منكم والقتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الاقرب اوجب ونظيره وانذر عشيرتك الاقربين وقد
حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم غزا الشام وقيل هم قريظة والنضير وفدك
وخيبر وقيل الروم لانهم كانوا يسكنون الشام والشام اقرب الى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على اهل كل ناحية
ان يقاتلوا من وليهم ما لم يضطر اليهم اهل ناحية اخرى وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه سئل عن قتال الديلم فقال
عليكم بالروم وقرئ غلظة بالحركات الثلاث فالغلظة كالشدة والغلظة كالضغطة كالسخطة ونحوه واغلظ عليهم ولا تهنوا
وهو يجمع الجراءة والصبر على القتال وشدة العداوة والعنف في القتل والاسر ومنه ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله واذا
ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون فمنهم من
يقول من المنافقين من يقول بعضهم لبعض ايكم زادته هذه ايمانا انكارا واستهزاء بالمؤمنين واعتقادهم زيادة الايمان
بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به وايكم مرفوع بالابتداء وقرأ عبيد بن عمير ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته
تقديره ايكم زادت زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا لانها ازيد لليقين والثبات واثلج للصدر او فزادتهم عملا فان زيادة العمل زيادة
في الايمان لان الايمان يقع على الاعتقاد والعمل واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم
كافرون فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا مضموما الى كفرهم لانهم كلما جددوا بتجديد الله الوحي كفرا ونفاقا ازداد كفرهم
واستحكم وتضاعف عقابهم اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون وقرئ
اولا ترون بالياء والتاء يفتنون يبتلون بالمرض والقحط وغيرهما من بلاء الله ثم لا يتنبهون ولا يتوبون من نفاقهم ولا
يذكرون ولا يعتبرون او يبتلون بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعاينون امره وما ينزل
عليه من نصرته وتأييده او يفتنهم الشيطان فيكذبون وينقضون العهود مع رسول الله فيقتلهم وينكل بهم ثم لا ينزجرون
واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من احد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون
نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا للوحي وسخرية قائلين هل يراكم من احد من المسلمين لننصرف فانا لا نصبر على
استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم او ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل

يرَاكُم من أحد وقيل معناه وإذا ما أنزلت سورة في عيب المنافقين صرف الله قلوبهم دعاء عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم
عما في قلوب أهل الإيمان من الانشراح بأنهم بسبب أنهم قوم لا يفقهون لا يتدبرون حتى لا يفقهون لقد جاءكم رسول من
أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم من أنفسكم من جنسكم ومن نسبكم عربي قرشي مثلكم ثم
ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة من النتائج بقوله تعالى عزيز عليه ما عنتم أي شديد عليه شاق لكونه بعضا
منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب وحريص عليكم حتى لا يخرج أحد
منكم عن اتباعه والاستسعاد بدين الحق الذي جاء به بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤوف رحيم وقرئ من أنفَسكم
أي من أشرفكم وأفضلكم وقيل هي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة وعائشة رضي الله عنهما وقيل لم
يجمع الله اسمين من أسمائه لأحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى رؤوف رحيم فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله
إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم فإن تولوا فإن أعرضوا عن الإيمان بك وناصبوك فاستعن بالله وفوض إليه
فهو كافيك معرتهم ولا يضرونك وهو ناصرك عليهم وقرئ العظيم وعن ابن عباس رضي الله عنهما العرش
لا يقدر أحد قدره وعن أبي بن كعب رضي الله عنه آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول من أنفسكم عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما نزل علي القرآن إلا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله أحد فإنهما أنزلتا ومعهما سبعون
ألف صف من الملائكة

سورة يونس مكية | بسم الله الرحمن الرحيم | وهي مائة وتسع آيات

الر تلك آيات الكتاب الحكيم الر تعديد للحروف على طريق التحدي وتلك إشارة إلى ما تضمنته السورة من
الآي والكتاب السورة والحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها ونطقه بها أو وصف بصفة محدثه قال الأعشى
وغريبة تأتي الملوك حكيمة ۞ قد قلتها ليقال من ذا قالها
أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون
إن هذا لساحر مبين الهمزة لإنكار التعجب والتعجيب منه وأن أوحينا اسم كان وعجبا خبره وقرأ ابن مسعود عجب
فجعله اسما وهو نكرة وأن أوحينا خبرا وهو معرفة كقوله يكون مزاجها عسل وماء والأجود أن تكون
تامة وأن أوحينا بدلا عن عجب فإن قلت فما معنى اللام في قوله أكان للناس عجبا وما الفرق بينه وبين قولك
أكان عند الناس عجبا قلت معناه أنهم جعلوه لهم أعجوبة يتعجبون منها ونصبوه علما لهم يوجهون نحوه استهزاءهم
وإنكارهم وليس في عند الناس هذا المعنى والذي تعجبوا منه أن يوحى إلى بشر وأن يكون رجلا من أفناء رجالهم دون
عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب أن الله لم يجد رسولا يرسله إلى الناس إلا يتيم أبي طالب وأن يذكر لهم
البعث وينذر بالنار ويبشر بالجنة وكل واحد من هذه الأمور ليس بعجب لأن الرسل المبعوثين إلى الأمم لم يكونوا
إلا بشرا مثلهم وقال الله سبحانه وتعالى قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا
رسولا وإرسال الفقير أو اليتيم ليس بعجب أيضا لأن الله تعالى إنما يختار من استحق الاختيار لجمعه أسباب الاستقلال
بما اختير له من النبوة والغنى والتقدم في الدنيا ليس من تلك الأسباب في شيء وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم
عندنا زلفى والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا إنما العجب العجب والمنكر في العقول
تعطيل الجزاء أن أنذر الناس أن هي المفسرة لأن الإيحاء فيه معنى القول ويجوز أن تكون المخففة الثقيلة

وأصله أنه أنذر الناس على معنى أن الشأن قولنا أنذر الناس وأن لهم الباء معه محذوف وقدم صدق عند ربهم
أي سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة فإن قلت لم سميت السابقة قدما قلت لما كان السعي والسبق بالقدم
سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لأنها تعطى باليد وباعا لأن صاحبها يبوع بها
فقيل لفلان قدم في الخير وإضافته إلى صدق دلالة على زيادة فضل وأنه من السوابق العظيمة وقيل مقام صدق
إن هذا الكتاب وما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لسحر ومن قرأ لساحر فهذا إشارة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو دليل عجزهم واعترافهم به ولو كانوا كاذبين في تسميته سحرا وفي قراءة أبي ما هذا إلا سحر إن ربكم الله الذي
خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم
فاعبدوه أفلا تذكرون يدبر يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة ويفعل ما يفعل المتحري للصواب الناظر
في أدبار الأمور وعواقبها لئلا يلقاه ما يكره آخرا والأمر أمر الخلق كله وأمر ملكوت السموات
والأرض والعرش فإن قلت ما موقع هذه الجملة قلت قد دل بالجملة قبلها على عظمة شأنه وملكه
بخلق السموات والأرض مع بسطتها واتساعها في وقت يسير وبالاستواء على العرش وأتبعها هذه الجملة
لزيادة الدلالة على العظمة وأنه لا يخرج أمر من الأمور من قضائه وتقديره وكذلك قوله تعالى ما
من شفيع إلا من بعد إذنه دليل على العزة والكبرياء كقوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون
إلا من أذن له الرحمن ذلكم إشارة إلى المعلوم بتلك العظمة أي ذلك العظيم الموصوف بما وصف به هو ربكم
وهو الذي يستحق العبادة منكم فاعبدوه وحده ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك أو إنسان فضلا عن جماد لا يضر
ولا ينفع أفلا تذكرون فأدنى التفكر والنظر ينبهكم على الخطأ فيما أنتم عليه إليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا إنه
يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم
وعذاب أليم بما كانوا يكفرون إليه مرجعكم جميعا أي لا ترجعون في العاقبة إلا إليه فاستعدوا للقائه وعد الله
مصدر مؤكد لقوله إليه مرجعكم جميعا وحقا مصدر مؤكد لقوله وعد الله إنه يبدؤا الخلق ثم يعيده استئناف
معناه التعليل لوجوب المرجع إليه وهو أن الغرض ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق وإعادته هو جزاء المكلفين على أعمالهم
وقرئ أنه يبدؤا الخلق بمعنى لأنه أو هو منصوب بالفعل الذي نصب وعد الله أي وعد الله بدء الخلق ثم إعادته
والمعنى إعادة الخلق بعد بدئه وقرئ وعد الله على لفظ الفعل ويبدئ من أبدأ ويجوز أن يكون مرفوعا بما نصب
حقا أي حق حقا بدء الخلق كقوله أحقا عباد الله أن لست جائيا ولا ذاهبا إلا علي رقيب
وقرئ حق أنه يبدؤا الخلق كقولك حق أن زيدا منطلق بالقسط بالعدل وهو متعلق بيجزي والمعنى
ليجزيهم بقسطه ويوفيهم أجورهم أو بقسطهم وبما أقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا وعملوا صالحا
لأن الشرك ظلم قال الله تعالى إن الشرك لظلم عظيم والعصاة ظلام لأنفسهم وهذا أوجه لمقابلة قوله بما
كانوا يكفرون هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله
ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون الياء في ضياء منقلبة عن واو ضوء لكسرة ما قبلها وقرئ
ضئاء بهمزتين بينهما ألف على القلب بتقديم اللام على العين كما قيل في عاق عقا والضياء أقوى من النور
وقدره وقدر القمر والمعنى وقدر مسيره منازل أو قدره ذا منازل إلا ملتبسا بالحق الذي والحساب
الأوقات من الأشهر والأيام والليالي ذلك إشارة إلى المذكور أي ما خلقه الله إلا ملتبسا بالحق الذي هو الحكمة البالغة

ولم يخلقه عبثا. وقرئ يفصل بالياء. ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم
يتقون. ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون اولئك مأواهم النار
بما كانوا يكسبون. لقوم يتقون خص المتقين لانهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر الى النظر والتدبر. لا يرجون
لقاءنا لا يتوقعونه اصلا. ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم المستولية عليهم المذهلة باللذات وحب العاجل عن التفطن
للحقائق او لا يأملون حسن لقائنا كما يأمله السعداء او لا يخافون سوء لقائنا الذي يجب ان يخاف. ورضوا
بالحيوة الدنيا من الآخرة. وآثروا القليل الفاني على الكثير الباقي لقوله تعالى ارضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة
واطمأنوا بها اي وسكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديدا واملوا بعيدا. ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم. يهديهم ربهم بايمانهم
يسددهم بسبب ايمانهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدي الى الثواب. ولذلك جعل تجري من تحتهم الانهار
بيانا له وتفسيرا لان التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها. ويجوز ان يريد يهديهم في الآخرة بنور ايمانهم الى
طريق الجنة. لقوله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ومنه الحديث
ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له انا عملك فينطلق به حتى يدخله الجنة
فيكون له نورا وقائدا الى الجنة. والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول له انا عملك فينطلق
به حتى يدخله النار. فان قلت فلقد دلت هذه الآية على ان الايمان الذي يستحق به العبد الهداية والتوفيق
والنور يوم القيامة هو ايمان مقيد. وهو الايمان المقرون بالعمل الصالح. والايمان الذي لم يكن مقرونا بالعمل الصالح
فصاحبه لا توفيق له ولا نور قلت الامر كذلك الا ترى كيف اوقع الصلة مجموعا فيها بين الايمان والعمل كانه
قال ان الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح. ثم قال بايمانهم اي بايمانهم هذا المضموم اليه العمل الصالح. وهو بين واضح
لا شبهة فيه. دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين. دعواهم دعاؤهم
لان اللهم نداء لله ومعناه اللهم انا نسبحك كقول القانت في دعاء القنوت. اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد. ويجوز
ان يراد بالدعاء العبادة واعتزلكم وما تدعون من دون الله على معنى انه لا تكليف في الجنة ولا عبادة وما عبادتهم الا ان
يسبحوا الله ويحمدوه وذلك ليس بعبادة انما يلهمونه فينطقون به تلذذا بلا كلفة لقوله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت
الا مكاء وتصدية. وآخر دعواهم وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح ان يقولوا الحمد لله رب. ومعنى وتحيتهم فيها سلام ان
بعضهم يحيي بعضا بالسلام. وقيل هي تحية الملائكة اياهم اضافة للمصدر الى المفعول. وقيل تحية الله لهم. وان هي المخففة
من الثقيلة واصله انه الحمد لله على ان الضمير للشأن كقوله. ان هالك كل من يحفى وينتعل.
وقرئ ان الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد. ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم فنذر الذين لا يرجون
لقاءنا في طغيانهم يعمهون. اصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير فوضع استعجالهم موضع تعجيله لهم الخير اشعارا
بسرعة اجابته لهم واسعافه بطلبتهم حتى كان استعجالهم بالخير تعجيل لهم والمراد اهل مكة وقولهم فامطر علينا حجارة
من السماء يعني ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم اليه. استعجالهم بالخير تعجيل لهم لقضي اليهم
اجلهم لاميتوا واهلكوا. وقرئ لقضى اليهم اجلهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وتنصره قراءة عبد الله
لقضينا اليهم اجلهم فان قلت فكيف اتصل به قوله تعالى فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم وما معناه
قلت قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفي التعجيل كانه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي اليهم اجلهم فنذرهم في طغيانهم

يعمهون

يعمهون اي فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاما للحجة عليهم واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما
فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون لجنبه في موضع الحال
بدليل عطف الحالين عليه اي دعانا مضطجعا او قاعدا او قائما فان قلت فما فائدة ذكر هذه الاحوال قلت معناه
ان المضرور لا يزال داعيا لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالاته كلها كان منبطحا عاجزا عن النهوض
متخاذل النوء او كان قاعدا لا يقدر على القيام او كان قائما لا يطيق المشي والمضطرب الى ان يخف كل الخفة ويرزق
الصحة بكمالها والمسحة بتمامها ويجوز ان يراد ان من المضرورين من هو اشد حالا وهو صاحب الفراش ومنهم
من هو اخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يستغنون عن الدعاء واستدفاع البلاء لان
الانسان للجنس مر اي مضى على طريقته الاولى قبل مس الضر ونسي حال الجهد او مر عن موقف الابتهال والتضرع
لا يرجع اليه كانه لا عهد له به كان لم يدعنا كأن لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان قال
كأن ثدياه حقان كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين زين الشيطان بوسوسته
او الله عز وجل بخذلانه وتخليته ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكر واتباع الشهوات ولقد اهلكنا القرون
من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين لما ظرف لاهلكنا
والواو في وجاءتهم للحال اي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالحجج والشواهد على صدقهم وهي المعجزات وقوله تعالى
وما كانوا يجوز ان يكون عطفا على ظلموا وان يكون اعتراضا واللام لتأكيد النفي يعني وما كانوا يؤمنون حقا
تاكيدا لنفي ايمانهم وان الله قد علم منهم انهم يصرون على كفرهم وان الايمان مستبعد منهم والمعنى ان السبب في
اهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله انه لا فائدة في امهالهم بعد ان الزموا الحجة ببعثة الرسل كذلك مثل ذلك الجزاء
يعني الاهلاك نجزي كل مجرم وهو وعيد لاهل مكة على اجرامهم بتكذيب رسول الله عليه الصلاة والسلام
وقرئ يجزي بالياء ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون ثم جعلناكم الخطاب للذين بعث
اليهم محمد صلى الله عليه وسلم اي استخلفناكم في الارض بعد القرون التي اهلكنا لننظر اتعملون خيرا او شرا فنعاملكم
على حسب عملكم وكيف في محل النصب بتعملون لا بننظر لان معنى الاستفهام فيه يحجب ان يتقدم عليه عامله
فان قلت كيف جاز النظر على الله تعالى وفيه معنى المقابلة قلت هو مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم
بالشيء موجودا شبه بنظر الناظر وعيان المعاين في تحققه واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا
ائت بقرآن غير هذا او بدله قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي اني اخاف ان عصيت
ربي عذاب يوم عظيم غاظهم ما في القرآن من ذم عبادة الاوثان والوعيد للمشركين فقالوا ائت بقرآن آخر ليس فيه
ما يغيظنا من ذلك نتبعك او بدله بان تجعل مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها فامر بان
يجيب عن التبديل لانه داخل تحت قدرة الانسان وهو ان يضع مكان آية عذاب آية رحمة وان يسقط ذكر الآلهة واما
الاتيان بقرآن آخر فغير مقدور عليه للانسان ما يكون لي ما ينبغي لي وما يحل لي كقوله تعالى ما يكون لي ان اقول
ما ليس لي بحق وان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي وقرئ بفتح التاء من غير ان يأمرني بذلك ربي ان اتبع الا ما يوحى
الي لا آتي ولا اذر شيئا من نحو ذلك الا متبعا لوحي الله واوامره ان نسخت آية تبعت النسخ وان بدلت آية مكان
آية تبعت التبديل وليس الي تبديل ولا نسخ اني اخاف ان عصيت ربي بالتبديل والنسخ من عند نفسي عذاب يوم عظيم
فان قلت اما ظهر وتبين لهم العجز عن الاتيان بمثل القرآن حتى قالوا ائت بقرآن غير هذا قلت بلى ولكنهم كانوا

لا يعترفون بالعجز وكانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا ويقولون افترى على الله كذبا فينسبونه الى الرسول ويزعمون انه قادر
عليه وعلى مثله مع علمهم بان العرب مع كثرة فصحائها وبلغائها اذا عجزوا عنه كان الواحد منهم اعجز فان قلت لعلهم ارادوا
ائت بقران غير هذا او بدله من جهة الوحي كما اتيت بالقران من جهته واراد بقوله ما يكون لي ما يتسهل لي وما يمكنني
ان ابدله قلت يرده قوله تعالى اني اخاف ان عصيت ربي فان قلت فما كان غرضهم وهم ادهى الناس وانكرهم في هذا
الاقتراح قلت الكيد والمكر اما اقتراح ابدال قران بقران ففيه انه من عندك وانك قادر على مثله فابدل مكانه
اخر واما اقتراح التبديل والتغيير فللطمع والاختبار للحال وانه ان وجد منه تبديل فاما ان يهلكه الله فينجوا منه
او لا يهلكه فيسخروا منه ويجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا لافترائه على الله تعالى قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا
ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون لو شاء الله ما تلوته عليكم يعني ان تلاوته ليست الا بمشية
الله واحداثه امرا عجيبا خارجا عن العادات وهو ان يخرج رجل امي لم يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد العلماء ساعة
من عمره ولا نشا في بلد فيه علماء فيقرا عليكم كتابا فصيحا يبهر كل كلام فصيح ويعلو كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم من
علوم الاصول والفروع واخبار مما كان وما يكون ناطقا بالغيوب التي لا يعلمها الا الله تعالى وقد بلغ بين ظهرانيكم
اربعين سنة تطلعون على احواله ولا يخفى عليكم شيء من اسراره وما سمعتم منه حرفا من ذلك ولا عرفه به احد من
اقرب الناس منه والصقهم به ولا ادراكم به ولا اعلمكم به على لساني وقرا الحسن ولا ادراتكم به على لغة من يقول
اعطاته وارضاته في معنى اعطيته وارضيته وتعضده قراءة ابن عباس رضي الله عنه ولا انذرتكم به ورواه الفراء
ولا ادراتكم بالهمز وفيه وجهان احدهما ان تقلب الالف همزة كما قيل لبات بالحج ورثات الميت وذلك لان الالف
والهمزة من واد واحد الا ترى ان الالف اذا مستها الحركة انقلبت همزة والثاني ان يكون من درأته اذا دفعته وادراته
اذا جعلته دارئا ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤنني بالجدال وتكذبونني وعن ابن كثير ولادراكم بلام
الابتداء لاثبات الادراء ومعناه لو شاء الله ما تلوته انا عليكم ولاعلمكم به على لسان غيري ولكنه يمن على من يشاء
من عباده فخصني بهذه الكرامة ورءاني لها اهلا دون سائر الناس فقد لبثت فيكم عمرا وقرئ عمرا بالسكون يعني فقد
اقمت فيما بينكم يافعا وكهلا فلم تعرفوني متعاطيا شيئا من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت متواصفا بعلم وبيان فتتهموني
باختراعه افلا تعقلون انه ليس الا من الله لا من مثلي وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم ائت بقران غير هذا من
اضافة الافتراء اليه فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته انه لا يفلح المجرمون ممن افترى على الله كذبا
يحتمل ان يريد افتراء المشركين على الله في قولهم انه ذو شريك وذو ولد وان يكون تفاديا مما اضافوه اليه من الافتراء
ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لا يعلم
في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون ما لا يضرهم ولا ينفعهم الاوثان التي هي جمادات لا تقدر على
ضر ولا نفع وقيل ان عبدوها لم تنفعهم وان تركوا عبادتها لم تضرهم ومن حق المعبود ان يكون مثيبا على الطاعة
معاقبا على المعصية وكان اهل الطائف يعبدون اللات واهل مكة العزى ومناة وهبل واسافا ونائلة وكانوا
يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وعن النضر بن الحرث اذا كان يوم القيامة شفعت لي اللات والعزى
اتنبئون الله بما لا يعلم اتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو انباء بما ليس بمعلوم لله واذا لم يكن معلوما له وهو
العالم الذات المحيط بجميع المعلومات لم يكن شيئا لان الشيء ما يعلم ويخبر عنه فكان خبرا ليس له مخبر عنه فان قلت
كيف انباوا الله بذلك قلت هو التهكم بهم وبما ادعوه من المحال الذي هو شفاعة الاصنام واعلام بان الذي انباوا

به باطل غير منطو تحت الصحة فكانهم يخبرونه بشيء لا يتعلق به علمه كما يخبر الرجل بما لا يعلمه وقرئ اتنبئون الله بالتخفيف وقوله
في السموات ولا في الارض تأكيد لنفيه لان ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم ويشركون قرئ بالياء والتاء وما موصولة
او مصدرية اي عن الشركاء الذين يشركونهم او عن اشراكهم وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت
من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون وما كان الناس الا امة واحدة حنفاء متفقين على ملة واحدة من غير ان يختلفوا
بينهم وذلك في عهد ادم عليه الصلاة والسلام الى ان قتل قابيل هابيل وقيل بعد الطوفان حين لم يذر الله من
الكافرين ديارا ولولا كلمة سبقت من ربك وهو تاخير الحكم بينهم الى يوم القيمة لقضي بينهم عاجلا فيما اختلفوا فيه
وليميز المحق من المبطل وسبق كلمته بالتاخير لحكمة اوجبت ان تكون هذه الدار دار تكليف وتلك دار ثواب وعقاب
ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه فقل انما الغيب لله فانتظروا اني معكم من المنتظرين وقالوا لولا انزل
عليه اية من ربه ارادوا اية من الايات التي كانوا يقترحونها وكانوا لا يعتدون بما انزل عليه من الايات العظام
المتكاثرة التي لم ينزل على احد من الانبياء مثلها وكفى بالقرآن وحده اية باقية على وجه الدهر بديعة غريبة في
الايات دقيقة المسلك من بين الايات المعجزات وجعلوا نزولها كلا نزول وكانه لم ينزل عليه اية قط حتى قالوا
لولا انزل عليه اية واحدة من ربه وذلك لفرط عنادهم وتماديهم في التمرد وانهماكهم في الغي فقل انما الغيب
لله اي هو المختص بعلم الغيب المستاثر به لا علم لي ولا لاحد به يعني ان الصارف عن انزال الايات المقترحة امر
مغيب لا يعلمه الا هو فانتظروا نزول ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم
الايات واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر في اياتنا قل الله اسرع مكرا ان رسلنا يكتبون
ما تمكرون سلط الله القحط سبع سنين على اهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون
في ايات الله ويعادون رسول الله ويكيدونه واذا الاولى للشرط والاخرة جوابها وهي للمفاجاة والمكر اخفاء
الكيد وطيه من الجارية الممكورة المطوية الخلق ومعنى مستهم خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم فان قلت
ما وصفهم بسرعة المكر فكيف صح قوله اسرع مكرا قلت بلى دلت على ذلك كلمة المفاجاة كانه قال واذا رحمناهم
من بعد ضراء فاجؤا وقوع المكر منهم وسارعوا اليه قبل ان يغسلوا رؤسهم من مس الضراء ولم يتلبثوا ريثما
يسيغون غصتهم والمعنى ان الله تعالى دبر عقابكم وهو موقعه بكم قبل ان تدبروا كيف تعملون في اطفاء نور
الاسلام ان رسلنا يكتبون ما تمكرون اعلام بان ما تظنونه خافيا مطويا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم وقرئ
يمكرون بالياء والتاء وقيل مكرهم قولهم سقينا بنوء كذا وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان الله ليصبح القوم
بالنعمة ويمسيهم بها فتصبح طائفة منهم بها كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى
اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا
انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين قرا زيد بن ثابت ينشركم
ومثله فانتشروا في الارض ثم اذا انتم بشر تنتشرون فان قلت كيف جعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر
والتسيير في البحر انما هو بالكون في الفلك قلت لم يجعل الكون في الفلك غاية للتسيير ولكن مضمون الجملة
الشرطية الواقعة بعد حتى بما في حيزها كانه قيل يسيركم حتى اذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من
مجيء الريح العاصف وتراكم الامواج والظن للهلاك والدعاء بالانجاء فان قلت ما جواب اذا قلت
جاءتها فان قلت فدعوا قلت بدل من ظنوا لان دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به فان قلت

ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة قلت المبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الإنكار
والتقبيح فإن قلت ما وجه قراءة أم الدرداء رضي الله عنها في الفلكي بزيادة ياء النسب قيل هما زائدتان كما في
الخارجي والأحمري ويجوز أن يراد به الماء الغمر الذي لا تجري الفلك إلا فيه والضمير في جرين للفلك لأنه
جمع فلك كالأسد في فعل أخي فعل وفي قراءة أم الدرداء للفلكي أيضا لأن الفلكي يدل عليه جاءتها جاءت
الريح الطيبة أي تلقتها وقيل الضمير للفلك ومن كل مكان من جميع أمكنة الموج أحيط بهم جعل إحاطة
العدو بالحي مثلا في الهلاك مخلصين له الدين من غير إشراك به لأنهم لا يدعون حينئذ غيره معه لئن أنجيتنا على إرادة
القول أو لأن دعوا من جملة القول فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع
الحياة الدنيا ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون يبغون في الأرض يفسدون فيها ويعبثون مترافين في ذلك
ممعنين فيه من قولك بغى الجرح إذا ترامى إلى الفساد فإن قلت ما معنى قوله بغير الحق والبغي لا يكون بحق قلت
بلى وهو استيلاء المسلمين على أرض الكفرة وهدم دورهم وإحراق زروعهم وقلع أشجارهم كما فعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة وقرئ متاع الحياة الدنيا بالنصب فإن قلت ما الفرق بين القراءتين قلت
إذا رفعت كان المتاع خبرا عن المبتدأ الذي هو بغيكم على أنفسكم صلته كقوله فبغى عليهم ومعناه إنما بغيكم على
أمثالكم والذين جنسهم جنسكم يعني بغي بعضكم على بعض منفعة الحياة الدنيا لا بقاء لها وإذا نصبت فعلى
أنفسكم خبر غير صلة معناه إنما بغيكم وبال على أنفسكم ومتاع الحياة الدنيا في موضع المصدر المؤكد كأنه قيل
تتمتعون متاع الحياة الدنيا ويجوز أن يكون الرفع على هو متاع الحياة الدنيا بعد تمام الكلام وعن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه قال لا تمكر ولا تعن ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان
يتلوها وعنه صلى الله عليه وسلم أسرع الخير ثوابا صلة الرحم وأعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة
وروي ثنتان يعجلهما الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي الله عنهما لو بغى جبل على
جبل لدك الباغي وكان المأمون يتمثل بهذين البيتين في أخيه الأمين

يا صاحب البغي إن البغي مصرعة ۞ فاربع فخير فعال المرء أعدله
فلو بغى جبل يوما على جبل ۞ لاندك منه أعاليه وأسفله

وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى إنما بغيكم على أنفسكم إنما مثل الحياة
الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت
وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات
لقوم يتفكرون هذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الإقبال بحال نبات الأرض
في جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف وزين الأرض بخضرته ورفيفه فاختلط به فاشتبك بسببه حتى
خالط بعضه بعضا أخذت الأرض زخرفها وازينت كلام فصيح جعلت الأرض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس
إذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من ألوان الزين وأصل ازينت تزينت
فأدغم وبالأصل قرأ عبد الله وقرئ وأزينت أي أفعلت من غير إعلال الفعل كأغيلت أي صارت ذات
زينة وازيانت بوزن ابياضت قادرون عليها متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها
أتاها أمرنا وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد أمنهم واستيقانهم أنه قد سلم فجعلناها زرعها

حصيدا

حصيداً شبيهاً بما يحصد من الزرع في قطعه واستئصاله كأن لم تغن كأن لم يغن زرعها أي لم يلبث على حذف المضاف
في هذه المواضع لا بد منه وإلا لم يستقم المعنى وقرأ الحسن رحمة الله عليه كأن لم يغن بالياء على أن الضمير للمضاف المحذوف
الذي هو الزرع وعن مروان أنه قرأ على المنبر كأن لم تتغن بالأمس من قول الأعشى
طويل الثواء طويل التغني · والأمس مثل في الوقت القريب كأنه قيل كأن لم تغن آنفاً والله يدعو إلى
دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم دار السلام الجنة أضافها إلى اسمه تعظيماً لها وقيل السلام السلامة لأن
أهلها سالمون من كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم إلا قيلاً سلاماً سلاماً ويهدي
ويوفق من يشاء وهم الذين علم أن اللطف يجدي عليهم لأن مشيئته تابعة لحكمته ومعناه يدعو العباد كلهم
إلى دار السلام ولا يدخلها إلا المهديون للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك
أصحاب الجنة هم فيها خالدون الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة وهي التفضل ويدل عليه قوله
ويزيدهم من فضله وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس رضي الله عنهما
الحسنى الجنة والزيادة عشر أمثالها وعن الحسن عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وعن مجاهد الزيادة مغفرة من الله
ورضوان وعن يزيد بن شجرة الزيادة أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول ما تريدون أن أمطركم فلا يريدون
شيئاً إلا أمطرتهم وزعمت المشبهة والمجبرة أن الزيادة النظر إلى وجه الله وجاءت بحديث مرفوع إذا
دخل أهل الجنة الجنة فيكشف الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم الله شيئاً هو أحب إليهم منه ولا يرهق وجوههم سواده
لا يغشاها قتر غبرة ولا ذلة ولا أثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق أهل النار إذكاراً بما ينقذهم منه
برحمته ألا ترى إلى قوله ترهقها قترة وترهقهم ذلة والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة
ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون فإن
قلت ما وجه قوله والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وكيف يتلاءم قلت لا يخلو إما أن يكون والذين
كسبوا معطوفاً على قوله للذين أحسنوا كأنه قيل وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها على معنى جزاؤهم أن تجازى
سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وهذا أوجه من الأول لأن في الأول عطفاً على عاملين وإن كان
الأخفش يجيزه وفي هذا دليل على أن المراد بالزيادة الفضل لأنه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله
ودل ثم بإثبات الزيادة على المثوبة على فضله وقرئ يرهقهم ذلة بالياء من الله من عاصم أي لا يعصمهم
أحد من سخط الله وعذابه ويجوز ما لهم من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما يكون للمؤمنين مظلماً حال من
الليل ومن قرأ قطعاً بالسكون جعله من قوله بقطع من الليل صفة له ويعضده قراءة أبي بن كعب كأنما
يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم فإن قلت إذا جعلت مظلماً حالاً من الليل فما العامل فيه قلت لا يخلو
إما أن يكون أغشيت من قبل أن من الليل صفة لقوله قطعاً فكان إفضاؤه إلى الموصوف كإفضائه
إلى الصفة وإما أن يكون معنى الفعل في من الليل ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم
وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون مكانكم الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل
بكم وأنتم أكد به الضمير في مكانكم لسده مسد قوله الزموا وشركاؤكم عطف عليه وقرئ وشركاءكم
على أن الواو بمعنى مع والعامل فيه ما في مكانكم من معنى الفعل فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا أقرانهم والوصل التي
كانت بينهم في الدنيا أو باعدنا بينهم بعد الجمع بينهم في الموقف وتبرؤ شركائهم منهم ومن عبادتهم كقوله تعالى إذ

شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا ضلوا عنا • وقرئ فزايلنا بينهم كقوله صاعر خده • وكالمته وكلمته • وما كنتم تعبدون
إنما كنتم تعبدون الشياطين حيث أمروكم أن تتخذوا لله أندادا فأطعتموهم فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن
كنا عن عبادتكم لغافلين إن هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وهم الملائكة والمسيح
ومن عبدوه من دون الله من أولي العقل • وقيل الأصنام ينطقها الله عز وجل فتشافههم بذلك مكان ه
الشفاعة التي زعموها وعلقوا بها أطماعهم هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت وردوا إلى الله مولاهم الحق وضل
عنهم ما كانوا يفترون هنالك في ذلك المقام • وفي ذلك المقام أو في ذلك الوقت • على استعارة اسم المكان للزمان
تبلو كل نفس تختبر وتذوق • فتعرف كيف هو أقبيح أم حسن أنافع أم ضار أمقبول أم مردود كما يختبر الرجل
الشيء ويتعرفه ليكتنه حاله ومنه • قوله تعالى يوم تبلى السرائر وعن عاصم نبلو كل نفس بالنون • ونصب
كل • أي نختبرها باختبار ما أسلفت من العمل فنعرف حالها بمعرفة حال عملها إن كان حسنا فهي سعيدة وإن
كان سيئا فهي شقية • والمعنى نفعل بها فعل الخابر • لقوله تعالى • ليبلوكم أيكم أحسن عملا • ويجوز أن يراد
نصيب بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية بسبب ما أسلفت من الشر • وقرئ تتلوا أي تتبع ما أسلفت
لأن عمله هو الذي يهديه إلى طريق الجنة • أو إلى طريق النار • أو تقرأ في صحيفتها ما قدمت من خير أو شر
مولاهم الحق ربهم الصادق ربوبيته لأنهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة • أو الذي يتولى
حسابهم وثوابهم العدل الذي لا يظلم أحدا • وقرئ الحق بالنصب على تأكيد قوله ردوا إلى الله كقولك هذا
عبد الله الحق لا الباطل • أو على المدح كقولك الحمد لله أهل الحمد وضل عنهم ما كانوا يفترون • وضاع عنهم
ما كانوا يدعون أنهم شركاء الله أو بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب • وشفاعة الآلهة قل من يرزقكم
من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر
فسيقولون الله فقل أفلا تتقون من السماء والأرض أي يرزقكم منهما جميعا لم يقتصر برزقكم على جهة واحدة ليفيض عليكم
نعمته • ويوسع رحمته من يملك السمع والأبصار من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سويا عليه من الفطرة
العجيبة • أو من يحميهما ويحصنهما من الآفات مع كثرتها في المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما أدنى شيء
بكلاءته وحفظه • ومن يدبر الأمر • ومن يلي تدبير أمر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص أفلا تتقون أفلا
تقون أنفسكم ولا تحذرون عليها عقابه فيما أنتم بصدده من الضلال فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا
الضلال فأنى تصرفون إشارة إلى من هذه قدرته وأفعاله ربكم الحق الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه لمن حقق ه
النظر فماذا بعد الحق إلا الضلال لا واسطة بينهما فمن تخطى الحق وقع في الضلال فأنى تصرفون عن الحق إلى
الضلال وعن التوحيد إلى الشرك وعن السعادة إلى الشقاء كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون
كذلك مثل ذلك الحق كلمة ربك أي كما حق وثبت أن الحق بعده الضلال أو كما حق أنهم مصروفون عن الحق
وكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أي تمردوا في كفرهم وخرجوا إلى الحد الأقصى فيه • وأنهم لا يؤمنون
بدل من الكلمة أي حق عليهم انتفاء الإيمان وعلم الله منهم ذلك أو حق عليهم كلمة الله أنهم من أهل الخذلان وأن
إيمانهم غير كائن أو أراد بالكلمة العدة بالعذاب وأنهم لا يؤمنون تعليل بمعنى لأنهم لا يؤمنون قل هل من شركائكم
من يبدؤا الخلق ثم يعيده قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون فإن قلت كيف قيل لهم هل من شركائكم
من يبدؤا الخلق ثم يعيده وهم غير معترفين بالإعادة قلت قد وضعت إعادة الخلق لظهور برهانها

موضع

موضع ما ان دفعه دافع كان مكابرا للظاهر البين الذي لا مدخل للشبهة فيه دلالة على انهم في انكارهم لها منكرون
امرا مسلما معترفا بصحته عند العقلاء وقال لنبيه قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأمره بان ينوب عنهم
في الجواب يعني انه لا يدعهم لجاجهم ومكابرتهم ان ينطقوا بكلمة الحق فتكلم عنهم قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق
قل الله يهدي للحق أفمن يهدي الى الحق احق ان يتبع أمن لا يهدي الا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون يقال
هداه للحق والى الحق فجمع بين اللغتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قوله تعالى أمن
لا يهدي وقرئ لا يهدّي بفتح الهاء وكسرها مع تشديد الدال والاصل يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت
لالتقاء الساكنين وقد كسرت الياء لاتباع ما بعدها وقرئ الا ان يهدى من هداه وهدّاه للمبالغة ومنه قولهم
تهدّى ومعناه ان الله وحده هو الذي يهدي للحق بما ركب في المكلفين من العقول واعطاهم من التمكين للنظر في الادلة
التي نصبها لهم وبما لطف بهم ووفقهم والهمهم واخطر ببالهم ووقفهم على الشرائع فهل من شركائكم الذين جعلتم اندادا لله
احد من اشرفهم كالملائكة والمسيح وعزير يهدي الى الحق مثل هداية الله تعالى ثم قال أفمن يهدي الى الحق هذه
الهداية احق بالاتباع أم الذي لا يهدي اي لا يهتدي بنفسه او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله وقيل معناه أمن لا
يهتدي من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا ان يهدى الا ان ينقل او لا يهتدي ولا يصح منه الاهتداء الا
ان ينقله الله من حاله الى ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه فما لكم كيف تحكمون بالباطل حيث تزعمون انهم انداد الله
وما يتبع اكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغني من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون وما يتبع اكثرهم في اقرارهم
بالله الا ظنا لانه قول غير مستند الى برهان عندهم ان الظن في معرفة الله لا يغني من الحق وهو العلم شيئا وقيل وما
يتبع اكثرهم في قولهم للاصنام انها آلهة وانها شفعاء عند الله الا الظن والمراد بالاكثر الجميع ان الله عليم وعيد
على ما يفعلون من اتباع الظن وتقليد الآباء وقرئ تفعلون بالتاء وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون
الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين وما كان هذا القرآن
افتراء من دون الله ولكن كان تصديق الذي بين يديه وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة لانه معجز دونها
فهو عيار عليها وشاهد لصحتها لقوله تعالى هو الحق مصدقا لما بين يديه وقرئ ولكن تصديق الذي بين يديه
وتفصيل الكتاب وتبيين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع من قوله تعالى كتاب الله عليكم فان قلت بم اتصل
قوله تعالى لا ريب فيه من رب العالمين قلت هو داخل في حيز الاستدراك كأنه قال ولكن
كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين ويجوز ان يراد ولكن كان تصديقا من رب
العالمين وتفصيلا منه لا ريب فيه فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضا
كما تقول زيد لا شك فيه كريم أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان
كنتم صادقين أم يقولون افتراه بل أيقولون اختلقه على ان الهمزة تقرير لالزام الحجة او انكار لقولهم واستبعاد
والمعنيان متقاربان قل ان كان الامر كما تزعمون فأتوا انتم على وجه الافتراء بسورة مثله فانتم مثلي في العربية
والفصاحة ومعنى بسورة مثله اي شبيهة به في البلاغة وحسن النظم وقرئ بسورة مثله على الاضافة اي بسورة
كتاب مثله وادعوا من دون الله من استطعتم من خلقه للاستعانة به على الاتيان بمثله يعني ان الله وحده هو القادر
على ان يأتي بمثله لا يقدر على ذلك احد غيره فلا تستطيعوه وحده ثم استعينوا بكل من دونه ان كنتم صادقين انه افتراه
بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين بل كذب

بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن وفاجأوه في بديهة السماع قبل ان يفقهوه ويعلموا كنه امره وقبل ان يتدبروه ويقفوا
على تأويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشراد هم عن مفارقة دين آبائهم كالناشئ على التقليد
من الحشوية اذا احسّ بكلمة لا توافق ما نشأ عليه وألفه وان كانت اضوأ من الشمس في ظهور الصحة وبيان الاستقامة
انكرها في اول وهلة واشمأز منها قبل ان يحسّ ادراكها بحاسة سمعه من غير فكر في صحة او فساد لانه لم يشعر قلبه الا صحة مذهبه
وفساد ما عداه من المذاهب فان قلت ما معنى التوقع في قوله ولما يأتهم تأويله قلت معناه انهم كذبوا به على البديهة
قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليدا للآباء وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به
وجاءت كلمة التوقع ليؤذن انهم علموا بعد علو شأنه واعجازه لما كرر عليهم التحدي ورازوا قواهم في المعارضة
واستيقنوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا كذلك اي مثل ذلك التكذيب كذب الذين من قبلهم يعني قبل
النظر في معجزات الانبياء وقيل تدبروها ان عبروا انصافا من انفسهم ولكن قلدوا الآباء وعاندوا وقيل هو في
الذين كذبوا وهم شاكون ويجوز ان يكون معنى ولما يأتهم تأويله ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب
اي عاقبته حتى يتبين لهم اهو كذب ام صدق يعني انه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من
الاخبار بالغيوب فتسرعوا الى التكذيب به قبل ان ينظروا في نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقبل ان يخبروا اخباره بالمغيبات
وصدقه وكذبه ومنهم من لا يؤمن به وربك اعلم بالمفسدين ومنهم من يؤمن به يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكنه ومنهم من يؤمن به
يعاند بالتكذيب ومنهم من يشك فيه لا يصدق به او يكون للاستقبال اي ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر ه
وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او المصرين ومنهم من يستمعون اليك افانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم
من ينظر اليك افانت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون ومن يستمعون اليك معناه ومنهم ناس يستمعون اليك اذا
قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون وناس ينظرون اليك ويعاينون ادلة الصدق واعلام النبوة
ولكنهم لا يصدقون ثم قال اتطمع انك تقدر على اسماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم
العاقل ربما تفرس واستدل اذا وقع في صماخه دوي الصوت فاذا اجتمع سلب السمع والعقل جميعا
فقد تم الامر وتحسب انك تقدر على هداية العمي ولو انضم الى العمى وهو فقد البصر فقد البصيرة لان
الاعمى الذي له في قلبه بصيرة قد يحدس ويتفطن واما العمى مع الحمق فجهد البلاء يعني انهم في اليأس من ان
يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمي الذين لا عقول لهم ولا بصائر وقوله افانت دلالة على انه لا يقدر على اسماعهم
وهدايتهم الا الله عز وجل بالقسر والالجاء كما لا يقدر على رد الاصم والاعمى المسلوبي العقل حديدي السمع
والبصر راجحي العقل الا هو وحده ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون ان الله لا يظلم
الناس شيئا اي لا ينقصهم شيئا مما يتصل بمصالحهم من بعثة الرسل وانزال الكتب ولكنهم يظلمون انفسهم
بالكفر والتكذيب ويجوز ان يكون وعيدا للمكذبين يعني ان ما يلحقهم يوم القيامة من العذاب لاحق بهم على
سبيل العدل والاستيجاب ولا يظلمهم الله به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف ما كان سببا فيه ويوم يحشرهم كان لم
يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين الا ساعة من
النهار يستقربون وقت لبثهم في الدنيا وقيل في القبور لهول ما يرون يتعارفون يعرف بعضهم بعضا كان لم
يلبثوا الا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الامر عليهم فان قلت
كان لم يلبثوا ويتعارفون كيف موقعهما قلت اما الاولى فحال منهم اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة ه

وأمّا

وأما الثانية فاما ان يتعلق بالظرف واما ان يكون مبينة لقوله تعالى كأن لم يلبثوا الا ساعة لان التعارف لا يبقى مع
طول العهد وينقلب تناكرا قد خسر على ارادة القول اي يتعارفون بينهم قائلين ذلك او هي شهادة من الله تعالى على
على خسرانهم والمعنى انهم وضعوا في تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر وما كانوا مهتدين للتجارة عارفين بها وهو استيناف فيه
معنى التعجب كانه قيل ما اخسرهم واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون فالينا مرجعهم
جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف كانه قيل واما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك او نتوفينك قبل ان نريكه
فنحن نريكه في الآخرة فان قلت الله شهيد على ما يفعلون وقرأ ابن ابي عبلة ثم بالفتح في الدارين فما معنى ثم
قلت ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب كانه قال ثم الله معاقب على ما يفعلون وقرأ
ابن ابي عبلة ثم بالفتح اي هنالك ويجوز ان يراد ان الله مؤد شهادته على افعالهم يوم القيامة حين ينطق جلودهم والسنتهم
وايديهم وارجلهم شاهدة عليهم ولكل امة رسول فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ولكل امة رسول تبعث
اليهم ليتنبههم على التوحيد ويدعوهم الى دين الحق فاذا جاءهم رسولهم بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه قضي بينهم اي بين النبي
ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجي الرسول وعذب المكذبون كقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا او ولكل امة
من الامم يوم القيامة رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان كقوله تعالى وجيء
بالنبيين والشهداء وقضي بينهم ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء
الله لكل امة اجل اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون متى هذا الوعد استعجال لما وعدوا من العذاب
استبعادا له ولا املك لنفسي ضرا من مرض او فقر ولا نفعا من صحة او غنى الا ما شاء الله استثناء منقطع اي ولكن ما
شاء الله من ذلك كائن فكيف املك لكم الضر وجلب العذاب لكل امة اجل يعني ان عذابكم له اجل مضروب عند الله
وحد محدود من الزمان اذا جاء ذلك الوقت انجز وعدكم لا محالة فلا تستعجلوا وقرأ ابن سيرين فاذا جاء
آجالهم قل ارايتم ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون بياتا نصب على الظرف بمعنى وقت بيات فان قلت
هلا قيل ليلا او نهارا قلت لانه اريد ان اتاكم عذابه وقت بيات فبيتكم وانتم ساهون نائمون لا تشعرون كما
يبيت العدو المباغت والبيات بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وكذلك قوله تعالى نهارا معناه في وقت انتم
فيه مشتغلون بطلب المعاش والكسب ونحوه بياتا وهم نائمون ضحى وهم يلعبون الضمير في منه للعذاب والمعنى ان
العذاب مكروه مر المذاق موجب للنفار فاي شيء يستعجلون منه يوجب الاستعجال ويجوز ان يكون معناه التعجب كانه
قيل اي شيء هول شديد يستعجلون منه ويجب ان يكون من للبيان في هذا الوجه وقيل الضمير في منه لله تعالى فان
قلت بم يتعلق الاستفهام واين جواب الشرط قلت تعلق بارايتم لان المعنى اخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون
وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا الخطأ فيه فان قلت فهلا قيل ماذا يستعجلون منه
قلت اريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام لان من حق المجرم ان يخاف التعذيب على اجرامه
ويهلك فزعا من مجيئه وان ابطأ فضلا ان يستعجله ويجوز ان يكون ماذا يستعجل منه المجرمون جوابا للشرط
كقولك ان اتيتك ماذا تطعمني ثم تتعلق الجملة بارايتم وان يكون اثم اذا ما وقع آمنتم به جواب الشرط وماذا
يستعجل منه المجرمون اعتراضا والمعنى ان اتاكم عذابه اثم اذا ما وقع آمنتم به الآن وقد كنتم به تستعجلون
آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء في قوله تعالى أفأمن
اهل القرى أوأمن اهل القرى الآن على ارادة القول اي قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب الآن آمنتم به وقد

كنتم به تستعجلون يعني وقد كنتم به تكذبون لأن استعجالكم كان على جهة التكذيب والإنكار وقرئ آلان بحذف الهمزة التي بعد
اللام وإلقاء حركتها على اللام ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون ثم قيل للذين ظلموا
عطف على قيل المضمر قبل آلآن ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين ويستنبئونك ويستخبرونك
فيقولون أحق هو وهو استفهام على جهة الإنكار والاستهزاء وقرأ الأعمش آلحق هو وهو أدخل في الاستهزاء لتضمنه
معنى التعريض بأنه باطل وذلك أن اللام للجنس فكأنه قيل أهو الحق لا الباطل أو أهو الذي سميتموه الحق والضمير للعذاب
الموعود وإي بمعنى نعم في القسم خاصة كما كان هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة وسمعتهم يقولون في التصديق إيو فيصلونه
بواو القسم ولا ينطقون به وحده وما أنتم بمعجزين بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة ولو أن لكل نفس ظلمت ما في الأرض
لافتدت به وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ألا إن لله ما في السموات والأرض
ألا إن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون هو يحيي ويميت وإليه ترجعون ظلمت صفة لنفس على ولو أن لكل نفس ظالمة
ما في الأرض أي ما في الدنيا اليوم من خزائنها وأموالها وجميع منافعها على كثرتها لافتدت به لجعلته فدية لها يقال فداه
فافتدى ويقال افتداه أيضا بمعنى فداه وأسروا الندامة لما رأوا العذاب لأنهم بهتوا لرؤية
ما لم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم وعاينوا من شدة الأمر وتفاقمه ما سلبهم قواهم وبهرهم فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا
ولا ما يفعله الجازع سوى إسرار الندم والحسرة في القلوب كما ترى المقدم للصلب يثخنه ما دهمه من فظاعة
الخطب ويغلب حتى لا ينبس بكلمة ويبقى جامدا مبهوتا وقيل أسر رؤساؤهم الندامة من سفلتهم الذين أضلوهم
حياء منهم وخوفا من توبيخهم وقيل أسروها أخلصوها إما لأن إخفاءها إخلاصها وإما من قولهم سر الشيء
لخالصه وفيه تهكم بهم وبإخطائهم وقت إخلاص الندامة وقيل أسروا الندامة أظهروها من قولهم أسر
الشيء وأشره إذا أظهره وليس هنالك تجلد وقضي بينهم أي بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم
ثم أتبع ذلك الإعلام بأن له الملك كله وأنه المثيب المعاقب وما وعده من الثواب والعقاب فهو حق وهو
القادر على الإحياء والإماتة لا يقدر عليهما غيره وإلى حسابه وجزائه المرجع ليعلم أن الأمر كذلك فيخاف ويرجى
ولا يغتر به المغترون يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قد جاءتكم
موعظة أي كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد وشفاء أي دواء لما في صدوركم من العقائد
الفاسدة ودعاء إلى الحق ورحمة لمن آمن منكم قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون أصل
الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتأكيد والتقرير وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح
دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كأنه قيل إن فرحوا
بشيء فليخصوهما بالفرح فإنه لا مفروح به أحق منهما ويجوز أن يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك
فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا بالتاء وهو الأصل والقياس وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي وعنه لتأخذوا
مصافكم قالها في بعض الغزوات وفي قراءة أبي فافرحوا وهو راجع إلى ذلك وقرئ مما يجمعون بالتاء والياء وعن أبي بن
كعب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والإسلام وقيل فضله الإسلام
ورحمته ما وعد عليه قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله
تفترون أرأيتم أخبروني وما أنزل الله ما في موضع النصب بأنزل أو بأرأيتم في معنى أخبرونيه فجعلتم منه حراما
وحلالا أي أنزله الله رزقا حلالا كله فبعضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقولهم هذه أنعام وحرث حجر ما في بطون

حن

هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا آلله اذن لكم متعلق بأرأيتم وقل تكرير للتوكيد والمعنى أخبروني
آلله اذن لكم في التحليل والتحريم فأنتم تفعلون ذلك باذنه أم تكذبون على الله في نسبة ذلك اليه ويجوز ان تكون
الهمزة للانكار وأم منقطعة بمعنى بل تفترون على الله تقريرا للافتراء وكفى بهذه الآية زاجرة زجرا بليغا
عن التجوز فيما يسأل عنه من الأحكام وباعثة على وجوب الاحتياط فيه وان لا يقول احد في شيء جائز او غير جائز
الا بعد ايقان واتقان ومن لم يوقن فليتق الله والا فهو مفتر على الله وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم
القيمة ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون يوم القيامة منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه
يعني اي شيء ظن المفترين في ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه وهو يوم الجزاء بالاحسان والاساءة وهو وعيد عظيم حيث
ابهم امره وقرأ عيسى بن عمر وما ظن على لفظ الفعل ومعناه وأي ظن ظنوا يوم القيمة وجيء به على لفظ الماضي لانه
كائن فكان قد كان ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحي وتعليم الحلال والحرام ولكن
اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا اليه وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون
من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا
اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين وما تكون في شأن ما نافية والخطاب لرسول الله عليه الصلاة والسلام
والشأن الامر واصله الهمز بمعنى القصد من شأنت شأنه اذا قصدت قصده والضمير في منه للشأن لان تلاوة
القرآن شأن من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو معظم شأنه او للتنزيل كأنه قيل وما تتلو من التنزيل من
قرآن لان كل جزء منه قرآن والاضمار قبل الذكر تفخيم له او لله عز وجل ولا تعملون انتم جميعا من عمل اي عمل
كان الا كنا عليكم شهودا شاهدين رقباء نحصي عليكم اذ تفيضون فيه من افاض في الامر اذا اندفع فيه وما
يعزب يبعد بالضم والكسر وما يغيب ومنه الروض العازب ولا اصغر من ذلك ولا اكبر القراءة
بالنصب والرفع والوجه النصب على نفي الجنس والرفع على الابتداء ليكون كلاما برأسه وفي العطف على محل من
مثقال ذرة او على لفظ مثقال ذرة فتحا في موضع الجر لامتناع الصرف اشكال لان قولك لا يعزب عنه شيء الا في
كتاب مشكل فان قلت لم قدمت الارض على السماء بخلاف قوله في سورة سبأ عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال
ذرة في السموات ولا في الارض قلت حق السماء ان تقدم على الارض ولكنه لما ذكر شهادته على شؤون اهل الارض
واحوالهم واعمالهم ووصل بذلك قوله لا يعزب عنه لاءم ذلك ان قدم الارض على السماء على ان العطف بالواو
حكمه حكم التثنية الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة
وقد فسر ذلك في قوله تعالى الذين آمنوا وكانوا يتقون فهو توليهم اياه لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة
فهو توليته وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من اولياء الله فقال هم الذين يذكر
الله برؤيتهم يعني السمت والهيئة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الاخبات والسكينة وقيل هم المتحابون في الله وعن
عمر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء
والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في
الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون
اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الآية الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة
الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم الذين آمنوا نصب او رفع على المدح او على وصف

الاولياء او على الابتداء والخبر لهم البشرى والبشرى في الدنيا ما بشر الله به المؤمنين المتقين في غير مكان من كتابه
وعن النبي صلى الله عليه وسلم هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى له وعنه عليه الصلاة والسلام ذهبت
النبوة وبقيت المبشرات وقيل هي محبة الناس له والذكر الحسن وعن ابي ذر رضي الله عنه قلت لرسول الله
صلى الله عليه وسلم الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن وعن عطاء لهم البشرى عند الموت
تاتيهم الملائكة بالرحمة قال الله تعالى تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما
البشرى في الآخرة فتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء
الصحائف بايمانهم وما يقرؤون منها وغير ذلك من البشارات لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف
لمواعيده كقوله تعالى ما يبدل القول لدي وذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين وكلتا الجملتين اعتراض
ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا هو السميع العليم ولا يحزنك وقرئ لا يحزنك من احزنه قولهم تكذيبهم
لك وتهديدهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك وسائر ما يتكلمون به في شانك ان العزة استئناف
بمعنى التعليل كانه قيل ما لي لا احزن فقيل ان العزة لله جميعا يعني ان الغلبة والقهر في ملكة الله جميعا لا يملك
احد شيئا منها لا هم ولا غيرهم فهو يغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لاغلبن انا ورسلي انا لننصر رسلنا وقرأ
ابو حيوة ان العزة بالفتح بمعنى لان العزة على صريح التعليل ومن جعله بدلا من قولهم ثم انكره فالمنكر هو تخريجه
لا ما انكر من القراءة به هو السميع العليم يسمع ما يقولون ويعلم ما يدبرون ويعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك الا
ان لله من في السموات ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم
الا يخرصون من في السموات ومن في الارض يعني العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان وانما خصهم ليؤذن ان
هؤلاء اذا كانوا له وفي مملكته فهم عبيد كلهم وهو سبحانه وتعالى ربهم ولا يصلح احد منهم للربوبية ولا ان
يكون شريكا له فيها فما وراءهم مما لا يعقل احق ان لا يكون له ندا او شريكا وليدل على ان من اتخذ غيره ربا من ملك
او انسي فضلا عن صنم او غير ذلك فهو مبطل تابع لما ادى اليه التقليد وترك النظر ومعنى وما يتبع شركاء اي وما
يتبعون حقيقة الشركاء وان كانوا يسمونها شركاء لان شركة الله تعالى في الربوبية محال ان يتبعون الا
ظنهم انها شركاء وان هم الا يخرصون ويقدرون ان يكون شركاء تقديرا باطلا ويجوز ان يكون وما يتبع في معنى الاستفهام
يعني واي شيء يتبعون وشركاء على هذا بيدعون وعلى الاول بيتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون
الله شركاء شركاء فاقتصر على احدهما للدلالة ويجوز ان تكون ما موصولة معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه
الذين يدعون من دون الله شركاء اي وله شركاؤهم وقرأ علي بن ابي طالب رضي الله عنه تدعون بالتاء ووجهه
ان يحمل وما يتبع على الاستفهام اي واي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين يعني انهم يتبعون الله
ويطيعونه فما لكم لا تفعلون مثل فعلهم كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام
عن الخطاب الى الغيبة فقال ان يتبع هؤلاء المشركون الا الظن ولا يتبعون ما تتبع الملائكة والنبيون من الحق هو الذي
جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون ثم نبه على عظيم قدرته ونعمته الشاملة لعباده
التي يستحق بها ان يتخذوه بالعبادة بانه جعل لهم الليل مظلما ليسكنوا فيه مما يقاسون في نهارهم من تعب التردد في
المعاش والنهار مضيئا يبصرون فيه مطالب ارزاقهم ومكاسبهم لقوم يسمعون سماع معتبر مدكر قالوا اتخذ الله ولدا
سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الارض ان عندكم من سلطان بهذا اتقولون على الله ما لا تعلمون سبحانه تنزيه له عن

اتخاذ الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لنفي الولد لان ما يطلب به الولد من يلد وما يطلبه له السبب في كله
الحاجة فمن الحاجة منتفية عنه كان الولد عنه منتفيا له ما في السموات وما في الارض فهو مستغن بملكه لهم عن اتخاذ
احد منهم ولدا ان عندكم من سلطان بهذا ما عندكم من حجة بهذا القول والباء حقها ان تتعلق بقوله تعالى
ان عندكم على ان يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بارضكم موز كانه قيل ان عندكم فيما تقولون
سلطان اتقولون على الله ما لا تعلمون لما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فدل على ان كل قول لا برهان عليه
لقائله فذاك جهل وليس بعلم قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم
نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون يفترون على الله الكذب باضافة الولد اليه متاع في الدنيا اي افتراؤهم
هذا منفعة قليلة في الدنيا وذلك حيث يقيمون رياستهم في الكفر ومناصبتهم النبي صلى الله عليه وسلم بالتظاهر به
ثم يلقون الشقاء المؤبد بعده واتل عليهم نبا نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بايات
الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون كبر عليكم مقامي
عظم عليكم وشق وثقل ومنه قوله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين ويقال تعاظمه الامر مقامي مكاني يعني نفسه كما تقول
فعلت كذا لمكان فلان وفلان ثقيل الظل ومنه ولمن خاف مقام ربه بمعنى خاف ربه او قيامي ومكثي بين اظهركم
مدد طوالا الف سنة الا خمسين عاما او مقامي وتذكيري لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا على ارجلهم يعظونهم
ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى عليه الصلاة والسلام انه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود
فاجمعوا امركم وشركاءكم من اجمع الامر وازمعه اذا نواه وعزم عليه قال هل اغدون يوما وامري مجمع والواو
بمعنى مع يعني فاجمعوا امركم مع شركائكم وادعوا شركاءكم فان قلت كيف جاز اسناد الاجماع الى الشركاء قلت على وجه التهكم
كقوله تعالى قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فان قلت ما معنى الامرين امرهم الذي يجمعونه وامرهم الذي لا يكون عليهم
غمة قلت اما الامر الاول فالقصد الى اهلاكه يعني فاجمعوا ما تريدون من اهلاكي واحتشدوا فيه وابذلوا وسعكم
فيه وانما قال ذلك لقلة مبالاته وثقته بما وعده ربه من كلاءته وعصمته وانهم لن يجدوا اليه سبيلا واما الثاني
ففيه وجهان احدهما ان يراد مصاحبتهم له وما كانوا فيه معه من الحال الشديدة عليهم المكروهة عندهم يعني ثم اهلكوني
لئلا يكون عيشكم بسببي غصة وحالكم عليكم غمة اي غما وهما والغم والغمة كالكرب والكربة والثاني ان يراد
به ما اريد بالامر الاول والغمة السترة من غمه اذا ستره ومنها قوله صلى الله عليه وسلم ولا غمة في فرائض الله
اي لا تستر ولكن يجاهر بها يعني ولا يكن قصدكم الى اهلاكي مستورا عليكم ولكن مكشوفا مشهورا تجاهرونني به ثم اقضوا
الي ذلك الامر الذي تريدون بي اي ادوا الي قطعه وتصحيحه كقوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر اي ادوا
الي ما هو حق عليكم عندكم في اهلاكي كما يقضي الرجل غريمه ولا تنظرون ولا تمهلون وقرئ ثم افضوا الي بالفاء
بمعنى ثم انتهوا الي بشركم وقيل هو من افضى الرجل اذا خرج الى الفضاء اي اصحروا الي به وابرزوه لي فان توليتم
فما سالتكم من اجر ان اجري الا على الله وامرت ان اكون من المسلمين فان توليتم فان اعرضتم عن تذكيري ونصحي
فما سالتكم من اجر فما كان عندي ما ينفركم عني وتتهموني لاجله من طمع في اموالكم وطلب اجر على عظتكم ان اجري
الا على الله وهو الثواب الذي يثيبني به في الاخرة اي ما نصحتكم الا لوجه الله لا لغرض من اغراض الدنيا وامرت
ان اكون من المسلمين الذين لا ياخذون على تعليم الدين شيئا ولا يطلبون به دنيا يريد ان ذلك مقتضى الاسلام
والذي كل مسلم مامور به والمراد ان يجعل الحجة لازمة لهم ويبرئ ساحته فذكر ان توليهم لم يكن عن تفريط منه

في توق الأمر معهم على الطريق الذي يجب أن يساق عليه وإنما ذلك لعنادهم وتمردهم لا غير فكذبوه فنجيناه ومن
معه في الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين فكذبوه فتموا
على تكذيبه وكان تكذيبهم له في آخر المدة المتطاولة كتكذيبهم في أولها وذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان
وجعلناهم خلائف يخلفون الهالكين بالغرق وكيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن أنذرهم
رسول الله عن مثله وتسلية له ثم بعثنا من بعده رسلا إلى قومهم فجاؤوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من
قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين من بعده من بعد نوح رسلا إلى قومهم يعني هودا وصالحا وإبرهيم ولوطا وشعيبا
فجاؤوهم بالبينات بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما كان إيمانهم إلا ممتنعا كالمحال لشدة شكيمتهم
في الكفر وتصميمهم عليه بما كذبوا به من قبل يريد أنهم كانوا قبل بعثة الرسل أهل جاهلية مكذبين بالحق فما وقع
فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها كأن لم يبعث إليهم أحد كذلك نطبع مثل ذلك الطبع المحكم نطبع على قلوب
المعتدين والطبع جار مجرى الكناية عن عنادهم ولجاجهم لأن الخذلان يتبعه ألا ترى كيف أسند إليهم الاعتداء
ووصفهم به ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملائه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين من بعدهم
من بعد الرسل بآياتنا بالآيات التسع فاستكبروا عن قبولها وهو أعظم الكبر أن يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد
تبينها ويتعظموا عن تقبلها وكانوا قوما مجرمين كفارا ذوي آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترؤوا على
ردها فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين فلما جاءهم الحق من عندنا فلما عرفوا أنه هو الحق وأنه من عند الله
لا من قبل موسى وهارون قالوا لحبهم الشهوات إن هذا لسحر مبين وهم يعلمون أن الحق أبعد شيء من السحر الذي ليس
إلا تمويها وباطلا قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون فإن قلت هم قطعوا بقولهم إن هذا
لسحر مبين على أنه سحر فكيف قيل لهم أتقولون أسحر هذا قلت فيه أوجه أن يكون معنى قوله أتقولون للحق
أتعيبونه وتطعنون فيه وكان عليكم أن تذعنوا له وتعظموه من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول
إذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونحو القول الذكر في قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم ثم قال أسحر هذا فأنكر ما قالوه في عيبه
والطعن عليه وأن يحذف مفعول أتقولون وهو ما دل عليه قولهم إن هذا لسحر مبين كأنه قيل أتقولون ما تقولون
يعني قولهم إن هذا لسحر مبين ثم قيل أسحر هذا وأن تكون الجملة قوله أسحر هذا ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم
كأنهم قالوا أجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون كما قال موسى للسحرة ما جئتم به السحر إن الله سيبطله
قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين وقال فرعون ائتوني بكل
ساحر عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل أخوان ومطاوعهما
الالتفات والانفتال عما وجدنا عليه آباءنا يعنون عبادة الأصنام وتكون لكما الكبرياء أي الملك لأن الملوك موصوفون
بالكبر ولذلك قيل للملك الجبار ووصف بالصيد والشوس ولهذا وصف ابن الرقيات مصعبا في قوله
ملكه ملك رأفة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء نفى عنه ما عليه الملوك من ذلك ويجوز أن يقصدوا ذمهما وأنهما
إن ملكا أرض مصر تجبرا وتكبرا كما قال القبطي لموسى عليه الصلاة والسلام إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض
وما نحن لكما بمؤمنين أي مصدقين لكما فيما جئتما به وقرئ يكون لكما الكبرياء بالياء فلما ألقوا قال
موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون ما جئتم
به ما موصولة واقعة مبتدأ والسحر خبر أي الذي جئتم به هو السحر وقرأ عبد الله ما جئتم به سحر وقرأ أبي ما أتيتم به

سحر

سحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحرا من آيات الله. وقرئ آلسحر على الاستفهام فعلى هذه القراءة ما استفهامية أي أي شيء
جئتم به أهو السحر وقرأ عبد الله ما جئتم به سحر وقرأ أبي ما أتيتم به سحر والمعنى لا ما أتيت به إن الله سيبطله سيمحقه
أو يظهر بطلانه بإظهار المعجزة على الشعوذة إن الله لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يديمه ولكن يسلط عليه الدمار
ويحق الله الحق ويثبته بكلماته بأوامره وقضاياه وقرئ بكلمته بأمره ومشيئته فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه
على خوف من فرعون وملإيهم أن يفتنهم وإن فرعون لعال في الأرض وإنه لمن المسرفين فما آمن لموسى في أول أمره
إلا ذرية من قومه إلا طائفة من ذراري بني إسرائيل كأنه قيل إلا أولاد من أولاد قومه وذلك أنه دعا الآباء فلم
يجيبوه خوفا من فرعون وأجابته طائفة من أبنائهم مع الخوف وقيل الضمير في قومه لفرعون والذرية مؤمن
آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وماشطته فإن قلت إلام يرجع الضمير في قوله وملإيهم قلت إلى فرعون بمعنى
آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر أو لأنه ذو أصحاب يأتمرون له ويجوز أن يرجع إلى الذرية أي على خوف من
فرعون وخوف من أشراف بني إسرائيل لأنهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى أنفسهم ويدل عليه
قوله تعالى أن يفتنهم يريد أن يعذبهم فرعون لعال في الأرض لغالب فيها قاهر وإنه لمن المسرفين في الظلم
والفساد وفي الكبر والعتو بادعائه الربوبية وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين
إن كنتم آمنتم بالله صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا فإليه أسندوا أمركم في العصمة من فرعون ثم شرط في التوكل
الإسلام وهو أن يسلموا نفوسهم لله أي يجعلوها له سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها لأن التوكل لا يكون مع التخليط
ونظيره في الكلام إن ضربك زيد فاضربه إن كانت بك قوة فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين
فقالوا على الله توكلنا إنما قالوا ذلك لأن القوم كانوا مخلصين لا جرم أن الله سبحانه قبل توكلهم وأجاب دعاءهم ونجاهم
وأهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في أرضه فمن أراد أن يصلح للتوكل على ربه والتفويض إليه فعليه برفض
التخليط إلى الإخلاص لا تجعلنا فتنة موضع فتنة لهم أي عذاب يعذبوننا ويفتنوننا عن ديننا أو فتنة لهم يفتنون
بنا ويقولون لو كان هؤلاء على الحق لما أصيبوا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين وأوحينا إلى موسى وأخيه أن
تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين تبوأ المكان اتخذه مباءة كقولك
توطنه إذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون إليه للعبادة والصلاة فيه
واجعلوا بيوتكم تلك قبلة أي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون إلى الكعبة وكانوا
في أول أمرهم مأمورين بأن يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما
كان المؤمنون على ذلك في أول الإسلام بمكة فإن قلت كيف نوع الخطاب فثني أولا ثم جمع ثم وحد آخرا قلت
خوطب موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام أن يتبوءا لقومهما بيوتا ويختاراها للعبادة وذلك مما يفوض للأنبياء ثم
سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها لأن ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى صلوات الله عليه
بالبشارة التي هي الغرض تعظيما لها وللمبشر به وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا
ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم الزينة ما يتزين
به من لباس أو حلي أو فرش أو أثاث أو غير ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت لهم من فسطاط مصر إلى أرض
الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت فإن قلت ما معنى قوله ربنا ليضلوا عن سبيلك
قلت هو دعاء بلفظ الأمر كقوله تعالى ربنا اطمس واشدد وذلك أنه لما عرض عليهم آيات الله وبيناته عرضا مكررا

ورددوا عليهم النصائح والمواعظ زمانا طويلا وحذروهم عذاب الله وانتقامه وانذروهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضلال
المبين ورأوهم لا يزيدون على عرض الآيات الا كفرا وعلى الانذار الا استكبارا وعن النصيحة الا نبوا ولم يبق له
مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة انه لا يجيء منهم الا الغي والضلال وان ايمانهم كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة
او علم ذلك بوحي من الله اشتد غضبه عليهم وافرط مقته وكراهته لحالهم فدعا الله عليهم بما علم انه لا يكون غيره كما تقول
لعن الله ابليس واخزى الله الكفرة مع علمك انه لا يكون غير ذلك وليشهد عليهم بانه لم يبق له فيهم حيلة وانهم لا يستاهلون
الا ان يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم يتسكعون فيه كانه قال ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال وليكونوا ضلالا
وليطبع الله على قلوبهم فلا يؤمنوا وما علي منهم هم احق بذلك واحق كما يقول الاب المشفق لولده الشاطر اذا لم يقبل منه
حسرة على ما فاته من قبول نصيحته وحردا لا ان يريد خلاعته واتباعه هواه ومعنى الشد على القلوب والاستيثاق منها
حتى لا يدخلها الايمان فلا يؤمنوا جواب للدعاء الذي هو اشدد او دعاء بلفظ النهي وقد حملت اللام في ليضلوا على التعليل
على انهم جعلوا نعمة الله سببا في الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا وقوله تعالى فلا يؤمنوا عطف على ليضلوا وقوله ربنا اطمس
على اموالهم واشدد على قلوبهم دعاء معترض بين المعطوف والمعطوف عليه وقرأ الفضل الرقاشي ائنك آتيت على الاستفهام
واطمس بضم الميم قال قد اجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون قرئ دعواتكما قيل كان موسى
يدعو وهارون يؤمن ويجوز ان يكونا جميعا يدعوان والمعنى ان دعاءكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن في وقته فاستقيما
فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزيادة في الزام الحجة فقد لبث نوح في قومه الف عام الا قليلا ولا تستعجلا قال
ابن جريج فمكث موسى عليه الصلاة والسلام بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون اي لا تتبعا
طريق الجهلة بعادة الله في تعليق الامور بالمصالح ولا تعجلا فان العجلة ليست بمصلحة وهذا كما قال عز وجل لنوح عليه
الصلاة والسلام اني اعظك ان تكون من الجاهلين وقرئ ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين
تشبيها بنون التثنية وبتخفيف التاء من تبع وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا
حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين قرأ الحسن وجوزنا
من اجاز المكان وجاوزه وليس من جوز الذي في بيت الاعشى • واذا تجوزها حبال قبيلة • لانه لو كان منه لكان
حقه ان يقال وجوزنا بني اسرائيل في البحر كما قال • كما جوز السكي في الباب فيتق • فاتبعهم فلحقهم يقال
تبعته حتى اتبعته وقرأ الحسن وعدوا وقرئ انه بالفتح على حذف الباء التي هي صلة الايمان وانه بالكسر على الاستئناف
بدلا من آمنت كرر المخذول المعنى الواحد ثلاث مرات في ثلاث عبارات حرصا على القبول ثم لم يقبل منه حيث اخطأ وقته
وقاله حين لم يبق له اختيار قط وكانت المرة الواحدة كافية في حال الاختيار وعند بقاء التكليف آلآن وقد عصيت قبل وكنت
من المفسدين آلآن اتؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين ادركك الغرق وايست من نفسك قيل قال ذلك حين
الجمه الغرق يعني حين اوشك ان يغرق وقيل قاله بعد ان غرق في نفسه والذي يحكى انه حين قال آمنت اخذ جبريل
من حال البحر فدسه في فيه فللغضب لله على الكافر في وقت قد علم ان ايمانه لا ينفعه واما ما يضم اليه من قولهم خشية ان
تدركه رحمة الله فمن زيادات الباهتين لله وملائكته وفيه جهالتان احداهما ان الايمان يصح بالقلب كايمان الاخرس
فحال البحر لا يمنعه والاخرى ان من كره ايمان الكافر واحب بقاءه على الكفر فهو كافر لان الرضى بالكفر كفر من المفسدين
من الضالين المضلين عن الايمان كقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا
يفسدون وروي ان جبريل عليه الصلاة والسلام اتاه بفتيا ما قول الامير في عبد لرجل نشأ في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه

بلغ مقابلة

وادعى

بلغ مقابلة

وادعى السيادة ودونه فلبث فرعون فيه يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماه ان يغرق في
البحر فلما الجمه الغرق ناوله جبريل خطه فعرفه فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا
لغافلون ننجيك بالتشديد والتخفيف نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر وقيل نلقيك بنجوة من الارض وقرئ ننحيك بالحاء
نلقيك بناحية مما يلي البحر وذلك انه طرح بعد الغرق بجانب البحر قال كعب رماه الماء الى الساحل كانه ثور ببدنك في
الحال اي في الحال التي لا روح فيك وانما انت بدن او ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شيء ولم يتغير او عريانا لست
الا بدنا من غير لباس او ببدرعك قال عمرو بن معديكرب رضي الله عنه

اعاذل شكتي بدني وسيفي ... وكل مقلص سلس القياد

وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرأ ابو حنيفة رحمة الله عليه بابدانك وهو على وجهين اما ان يكون مثل قولهم
هوى باجرامه يعني ببدنك كله وافيا باجزائه او يريد بدروعك كانه كان مظاهرا بينها لمن خلفك آية لمن ورائك
من الناس علامة وهم بنو اسرائيل وكان في انفسهم ان فرعون اعظم شانا من ان يغرق وروي انهم قالوا ما مات فرعون
ولا يموت ابدا وقيل اخبرهم موسى عليه الصلاة والسلام بهلاكه فلم يصدقوه فالقاه الله على الساحل حتى عاينوه وكانه
مطرحه على ممر من بني اسرائيل حتى قيل لمن خلفك وقيل لمن خلفك لمن ياتي بعدك من القرون ومعنى كونه آية ان يظهر
للناس عبوديته ومهانته وان ما كان يدعيه من الربوبية محال باطل وانه مع ما كان فيه من عظم الشان وكبرياء الملك
آل امره الى ما ترون لعصيانه ربه فما الظن بغيره او لتكون عبرة تعتبر بها الامم بعدك فلا تجترئوا على نحو ما اجترأت
عليه اذا سمعوا بحالك وبهوانك على الله وقرئ لمن خلقك بالقاف اي ولتكون لخالقك آية كسائر آياته ويجوز ان يراد
ليكون طرحك على الساحل وحدك وتمييزك من بين المغرقين لئلا يشتبه على الناس امرك ولئلا يقولوا لادعائك العظمة
ان مثله لا يغرق ولا يموت آية من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره وليعلموا ان ذلك تعمد منه لاماطة الشبهة في امرك
ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضي بينهم
يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام فما اختلفوا في دينهم وما تشعبوا
فيه شعبا الا من بعد ما قرأوا التوراة وكسبوا العلم بدين الحق ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة وعلموا ان الاختلاف فيه
عنه وقيل هو العلم بمحمد صلى الله عليه وسلم واختلاف بني اسرائيل وهم اهل الكتاب اختلافهم في صفته ونعته وانه هو ام
ليس به بعد ما جاءهم العلم والبيان انه هو لم يرتابوا فيه قال الله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون
ابناءهم فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا
تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين فان قلت كيف قاله لرسوله صلى الله
عليه وسلم فان كنت في شك مما انزلنا اليك مع قوله في الكفرة وانهم لفي شك منه مريب قلت فرق عظيم بين قوله
وانهم لفي شك منه مريب باثبات الشك لهم على سبيل التاكيد والتحقيق وبين قوله تعالى فان كنت في شك بمعنى الفرض
والتمثيل كانه قيل فان وقع لك شك مثلا وخيل لك الشيطان خيالا منه تقديرا فاسأل الذين يقرءون الكتاب
والمعنى ان الله تعالى قدم ذكر بني اسرائيل وهم قرأة الكتاب ووصفهم بان العلم قد جاءهم لان امر رسول الله صلعم مكتوب
عندهم في التوراة والانجيل وهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فاراد ان يؤكد علمهم بصحة العلم وصحة نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم ويبالغ في ذلك فقال فان وقع لك شك فرضا وتقديرا وسبيل من خالجته شبهة في الدين ان يسارع الى حلها
واماطتها اما بالرجوع الى قوانين الدين وادلته واما بمقادحة العلماء المنبهين على الحق فسل علماء اهل

الكتاب يعني انهم من الاحاطة بصحة ما انزل اليك وقتلها علما بحيث يصلحون لمراجعة مثلك ومسائلتهم فضلا عن غيرك فالغرض
وصف الاحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل الى رسول الله لا وصف رسول الله بالشك فيه ثم قال لقد جاءك الحق من ربك اه
ثبت عندك بالايات والبراهين القاطعة ان ما اتاك هو الحق الذي لا مدخل فيه للمرية فلا تكونن من الممترين ولا
تكونن من الذين كذبوا بايات الله اي فاثبت ودم على ما انت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بايات الله ويجوز ان
يكون على طريقة التهييج والالهاب كقوله تعالى فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن ايات الله بعد اذ انزلت اليك
ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عند نزوله لا اشك ولا اسأل بل اشهد انه الحق وعن ابن عباس
رضي الله عنهما لا والله ما شك طرفة عين ولا سأل احدا منهم وقيل خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد خطاب امته
ومعناه فان كنتم في شك مما انزلنا اليكم كقوله وانزلنا اليكم نورا مبينا وقيل الخطاب للسامع ممن يجوز عليه الشك كقول
العرب اذا عز اخوك فهن وقيل ان للنفي اي ما كنت في شك فسئل يعني لا نامرك بالسؤال لانك شاك
ولكن لتزداد يقينا كما ازداد ابراهيم عليه الصلاة والسلام بمعاينة احياء الموتى وقرئ فسل الذين يقرؤن الكتب
ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل اية حتى يروا العذاب الاليم حقت عليهم كلمة ربك ثبتت
عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح واخبر به الملائكة انهم يموتون كفارا فلا يكون غيره وتلك كتابة معلوم لا
كتابة مقدر ومراد تعالى الله عن ذلك فلولا كانت قرية امنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب
الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين فلولا كانت فهلا كانت قرية واحدة من القرى التي اهلكناها تابت
عن الكفر واخلصت الايمان قبل المعاينة وقت بقاء التكليف ولم تؤخر كما اخر فرعون الى ان اخذ بمخنقه
فنفعها ايمانها بان يقبله الله منها لوقوعه في وقت الاختيار وقرأ ابي وعبد الله فهلا كانت الا قوم يونس استثناء
من القرى لان المراد اهاليها وهو استثناء منقطع بمعنى ولكن قوم يونس لما امنوا ويجوز ان يكون متصلا والجملة
في معنى النفي كانه قيل ما امنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس وانتصابه على اصل الاستثناء وقرئ بالرفع
على البدل روي عن الجرمي والكسائي روي ان يونس عليه الصلاة والسلام بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه
فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة وقيل لهم يونس
عليه الصلاة والسلام ان اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان راينا اسباب الهلاك امنا بك فلما مضت خمس وثلاثون
اغامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا
المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب
واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا فرحمهم الله وكشف عنهم وكان
يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع
عليه اساس بنائه فيرده وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا
يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض رحمه
الله عليه قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن
اهله ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ولو شاء ربك مشيئة القسر
والالجاء لامن من في الارض كلهم على وجه الاحاطة والشمول جميعا مجتمعين على الايمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه
الا ترى الى قوله تعالى افانت تكره الناس يعني انما يقدر على اكراههم واضطرارهم الى الايمان هو لا انت وايلاء الاسم

حرف الاستفهام للإعلام بأن الإكراه ممكن مقدور عليه وإنما الشأن في المكره وما هو إلا هو وحده لا يشارك فيه لأنه هو القادر على أن يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده إلى الإيمان وذلك غير مستطاع للبشر وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون وما كان لنفس يعني من النفوس التي علم الله أنها تؤمن إلا بإذن الله إلا بتسهيله وهو منح الألطاف ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قابل الإذن بالرجس وهو الخذلان والنفس المعلوم إيمانها بالذين لا يعقلون وهم المصرون على الكفر لقوله تعالى صم بكم عمي فهم لا يعقلون وسمى الخذلان رجسا وهو العذاب لأنه سببه وقرئ الرجز بالزاي وقرئ ونجعل بالنون قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ماذا في السموات والأرض من الآيات والعبر وما تغني الآيات والنذر والرسل المنذرون أو الإنذارات عن قوم لا يؤمنون لا يتوقع إيمانهم وهم الذين لا يعقلون وقرئ وما يغني بالياء وما نافية أو استفهامية فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين أيام الذين خلوا من قبلهم وقائع الله فيهم كما يقال أيام العرب لوقائعها ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننج المؤمنين ثم ننجي رسلنا معطوف على كلام محذوف يدل عليه قوله تعالى إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم كأنه قيل نهلك الأمم ثم ننجي رسلنا على حكاية الأحوال الماضية والذين آمنوا ومن آمن معهم كذلك ننجي المؤمنين مثل ذلك الإنجاء ننجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض يعني حق ذلك علينا وقرئ ننجي بالتشديد قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين يا أيها الناس يا أهل مكة إن كنتم في شك من الدين وصحته وسداده فهذا ديني فاسمعوا وصفه واعرضوه على عقولكم وانظروا فيه بعين الإنصاف لتعلموا أنه دين لا مدخل فيه للشك وهو أني لا أعبد الحجارة التي تعبدونها من دون من هو إلهكم وخالقكم ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وإنما وصفه بالتوفي ليريهم أنه الحقيق بأن يخاف ويتقى فيعبدون ما لا يقدر على شيء وأمرت أن أكون من المؤمنين يعني أن الله أمرني بذلك بما ركب في من العقل وبما أوحى إلي في كتابه وقيل معناه إن كنتم في شك من ديني ومما أنا عليه أأثبت عليه أم أتركه وأوافقكم فلا تحدثوا أنفسكم بالمحال ولا تشكوا في أمري واقطعوا عني أطماعكم واعلموا أني لا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولا أختار الضلالة على الهدى لقوله تعالى قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون وأمرت أن أكون أصله بأن أكون فحذف الجار وهذا الحذف يحتمل أن يكون من الحذف المطرد الذي هو حذف الحروف الجارة مع أن وأن يكون من الحذف غير المطرد وهو قوله تعالى أمرتك الخير فاصدع بما تؤمر وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين فإن قلت عطف قوله تعالى وأن أقم على أن أكون فيه إشكال لأن أن لا تخلو من أن تكون التي للعبارة أو التي تكون مع الفعل في تأويل المصدر فلا يصح أن تكون للعبارة وإن كان الأمر مما يتضمن معنى القول لأن عطفها على الموصولة يأبى ذلك والقول بكونها موصولة مثل الأولى لا يساعد عليه لفظ الأمر وهو أقم لأن الصلة حقها أن تكون جملة تحتمل الصدق والكذب قلت قد سوغ سيبويه أن توصل أن بالأمر والنهي وشبه ذلك بقولهم أنت الذي تفعل على الخطاب لأن الغرض وصلها بما تكون معه في معنى المصدر والأمر والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما من الأفعال وأقم وجهك استقم إليه ولا تلتفت يمينا ولا شمالا وحنيفا حال من الدين أو من الوجه ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين فإن فعلت معناه فإن دعوت من دون

الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل ايجازا فانك اذا من الظالمين اذا جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كأن سائلا
سأل عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لانه لا ظلم اعظم من الشرك ان الشرك لظلم عظيم وان يمسسك الله بضر
فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم اتبع النهي
عن عبادة الاوثان بانها لا تنفع ولا تضر ان الله عز وجل هو الضار النافع الذي ان اصابك بضر لم يقدر
على كشفه الا هو وحده دون كل احد فكيف بالجماد الذي لا شعور به وكذلك ان ارادك بخير لم يرد احد ما يريده بك من
فضله واحسانه فكيف بالاوثان فهو الحقيق اذن بان توجه اليه العبادة دونها وهو ابلغ من قوله تعالى ان ارادني
الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته فان قلت لم ذكر المس في احدهما
والارادة في الثاني قلت كانه اراد ان يذكر الامرين جميعا الارادة والاصابة في كل واحد من الضر
والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام بان ذكر المس وهو الاصابة في
احدهما والارادة في الآخر ليدل بما ذكر على ما ترك على انه قد ذكر الاصابة بالخير في قوله تعالى يصيب به من
يشاء من عباده والمراد بالمشيئة مشيئة المصلحة قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي
لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل قد جاءكم الحق فلم يبق لكم عذر ولا على الله حجة
فمن اختار الهدى واتباع الحق فما نفع باختياره الا نفسه ومن آثر الضلال فما ضر الا نفسه واللام وعلى دلا
على معنى النفع والضر وكل الامر بعد ابانة الحق وازاحة العلل وفيه ايثار الهدى واطراح الضلال مع ذلك
وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الي امركم وحملكم على ما اريد انما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى اليك واصبر
حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين واصبر على دعوتهم واحتمال اذاهم واعراضهم حتى يحكم الله لك بالنصر عليهم والغلبة
وروي انها لما نزلت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار فقال انكم ستجدون بعدي اثرة فاصبروا
حتى تلقوني يعني اني امرت في هذه الآية بالصبر على ما سامتني الكفرة فصبرت فاصبروا انتم على ما يسومكم
الامراء الجورة قال انس رضي الله عنه فلم نصبر وروي ان ابا قتادة رضي الله عنه تخلف عن تلقي معوية حين قدم
المدينة وقد تلقته الانصار ثم دخل عليه فقال له ما لك لم تتلقنا قال لم تكن عندنا دواب قال
فاين النواضح قال قطعناها في طلبك وطلب ابيك يوم بدر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار
انكم ستلقون بعدي اثرة قال معوية فما ذا قال قال فاصبروا حتى تلقوني قال فاصبر اذا فقال

عبد الرحمن بن حسان

ألا أبلغ معوية بن حرب ... أمير الظالمين نثا كلامي

فانا صابرون ومنظروكم ... الى التغابن والخصام

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به
وبعدد من غرق مع فرعون

سورة هود مكية | بسم الله الرحمن الرحيم | وهي مائة وعشرون آية

الر كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير احكمت آياته نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقض ولا خلل

كالبناء

كالبناء المرصف ويجوز ان يكون نقلاً بالهمزة من حكم بضم الكاف اذا صار حكيماً اي جعلت حكيمة لقوله تعالى آيات الكتاب
الحكيم • وقيل منعت من الفساد من قولهم احكمت الدابة اذا وضعت لها الحكمة لتمنعها من الجماح • قال جرير ابني حنيفة
• احكموا سفهاءكم اني اخاف • عليكم ان اغضبا • وعن قتادة احكمت من الباطل ثم فصلت
كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد والاحكام والمواعظ والقصص او جعلت فصولاً سورة سورة وآية آية
او فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة او فصل فيها ما يحتاج اليه العباد اي بين ولخص وقرئ احكمت آياته ثم
فصلت اي احكمتها انا ثم فصلتها • وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل فان قلت ما معنى ثم
قلت ليس معناها التراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة احسن الاحكام ثم مفصلة احسن التفصيل وفلان
كريم الاصل ثم كريم الفعل • وكتاب خبر مبتدأ محذوف واحكمت صفة له وقوله من لدن حكيم خبير صفة ثانية
ويجوز ان يكون خبراً بعد خبر وان يكون صلة لاحكمت وفصلت اي من عنده احكامها وتفصيلها وفيه طباق حسن
لان المعنى احكمها حكيم وفصلها اي بينها وشرحها خبير عالم بكيفيات الامور الا تعبدوا الا الله انني لكم منه
نذير وبشير ان لا تعبدوا مفعول له على معنى لان لا تعبدوا او تكون ان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول
كانه قيل قال لا تعبدوا الا الله او امركم ان لا تعبدوا الا الله وان استغفروا اي امركم بالتوحيد والاستغفار ويجوز
ان يكون كلاماً مبتدأ منقطعاً عما قبله على لسان النبي صلى الله عليه وسلم اغراء منه على اختصاص الله تعالى بالعبادة ويدل
عليه قوله انني لكم منه نذير وبشير كانه قال ترك عبادة غير الله انني لكم منه نذير كقوله تعالى فضرب الرقاب
والضمير في منه لله تعالى اي انني لكم نذير وبشير من جهته كقوله تعالى رسول من الله او هي صلة لنذير اي انذركم
منه ومن عذابه ان كفرتم وابشركم بثوابه ان آمنتم وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعاً حسناً الى اجل
مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير الى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير
فان قلت ما معنى ثم في قوله ثم توبوا قلت معناه استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة او استغفروا
والاستغفار توبة ثم اخلصوا التوبة واستقيموا عليها كقوله ثم استقاموا يمتعكم يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة
مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة الى اجل مسمى الى ان يتوفاكم كقوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة ويؤت
كل ذي فضل فضله ويعط في الآخرة كل من كان له فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس منه
او فضله في الثواب والدرجات تتفاضل في الجنة على قدر تفاضل الطاعات وان تولوا وان تتولوا عذاب يوم
كبير هو يوم القيامة وصف بالكبر كما وصف بالعظم والثقل وبين عذاب اليوم الكبير بان مرجعهم الى من هو قادر على
كل شيء فكان قادراً على اشد ما اراد من عذابهم لا يعجزه وقرئ فان تولوا من ولي الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا
منه الا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور يثنون صدورهم يزورون
وينحرفون عنه لان من اقبل على الشيء استقبله بصدره ومن ازور عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه
كشحه ليستخفوا منه يعني ويريدون ليستخفوا من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم ونظير اضمار
يريدون لعود المعنى الى اضماره الاضمار في قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق معناه فضرب فانفلق ومعنى
الا حين يستغشون ثيابهم ويريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم ايضاً كراهة لاستماع كلام الله كقوله
نوح عليه الصلاة والسلام جعلوا اصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم ثم قال يعلم ما يسرون وما يعلنون
يعني انه لا تفاوت في علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى ما يريدون من الاستخفاء والله مطلع على ثنيهم صدورهم

واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافق عنده. وروي أنها نزلت في الاخنس بن شريق وكان يظهر لرسول الله المحبة وله
منطق حلو وحسن سياق للحديث فكان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم مجالسته ومحادثته وهو يضمر خلاف ما يظهر.
وقيل نزلت في المنافقين. وقرئ تثنوني واثنوني افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة
وقرئ بالتاء والياء. وعن ابن عباس رضي الله عنهما لتثنوني وقرئ تثنون واصله تثنونن تفعوعل من الثن
وهو ما هش وضعف من الكلأ يريد مطاوعة صدورهم للثني كما يتثنى الهش من النبات. او اراد ضعف ايمانهم ومرض
قلوبهم وقرئ تثنئن من اثنان افعال منه مهموز كما قيل ابياضت وادهامت وقرئ تثنوي بوزن ترعوي
وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين فان قلت كيف قال
على الله رزقها بلفظ الوجوب وانما هو تفضل قلت هو تفضل إلا أنه لما ضمن أن يتفضل به عليهم رجع التفضل واجبا
كنذور العباد والمستقر مكانه من الأرض ومسكنه والمستودع حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب او رحم
او بيضة كل كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في اللوح يعني ذكرها مكتوب فيه مبين
وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا ولئن قلت إنكم مبعوثون
من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين وكان عرشه على الماء اي ما كان تحته خلق قبل خلق السموات
والارض وارتفاعه فوقها إلا الماء وفيه دليل على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والأرض. وقيل وكان الماء
على متن الريح والله اعلم بذلك وكيف ما كان فالله ممسك كل ذلك بقدرته وكلما ازدادت الاجرام كانت احوج الى
امساكه. ليبلوكم متعلق بخلق اي خلقهن لحكمة بالغة وهي ان يجعلها مساكن لعباده وينعم عليهم فيها بفنون النعم ويكلفهم
الطاعات واجتناب المعاصي فمن شكر واطاع اثابه ومن كفر وعصى عاقبه. ولما اشبه ذلك اختبار المختبر قال
ليبلوكم يريد ليفعل بكم ما يفعل المبتلي لاحوالكم كيف تعملون. فان قلت كيف جاز تعليق فعل البلوى قلت
لما في الاختبار من معنى العلم لانه طريق اليه فهو ملابس له كما تقول انظر ايهم احسن وجها واسمع ايهم احسن صوتا
لان النظر والاستماع من طرق العلم. فان قلت كيف قيل ايكم احسن عملا واعمال المؤمنين هي التي تتفاوت الى
حسن واحسن فاما اعمال المؤمنين والكافرين فتفاوتها الى حسن وقبيح قلت الذين هم احسن عملا هم المتقون
وهم الذين استبقوا الى تحصيل ما هو غرض الله من عباده فخصهم بالذكر واطرح ذكر من وراءهم تشريفا لهم وتنبيها
على مكانهم منه وليكون ذلك لطفا للسامعين وترغيبا في حيازة فضلهم. وعن النبي صلى الله عليه وسلم ليبلوكم ايكم احسن
عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله. وقرئ ولئن قلت انكم مبعوثون بفتح الهمزة ووجهه ان يكون
من قولهم ائت السوق انك تشتري لحما وانك تشتري بمعنى علك اي ولئن قلت لهم لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا
بعثكم وظنوه ولا تبتوا القول بانكاره لقالوا ان هذا الا سحر مبين يبتون القول ببطلانه ويجوز ان تضمن قلت معنى
ذكرت ومعنى قولهم ان هذا الا سحر مبين ان السحر امر باطل وان بطلانه كبطلان السحر تشبيها له او اشاروا بهذا الى
القرآن لان القرآن هو الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وغيره. وقرئ
ان هذا الا ساحر يريدون الرسول والساحر كاذب مبطل ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة ليقولن
ما يحبسه ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة
ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور العذاب عذاب الآخرة وقيل عذاب يوم بدر. وعن ابن عباس رضي الله
عنه قتل جبريل المستهزئين الى امة الى جماعة من الاوقات ما يحبسه ما يمنعه من النزول استعجالا له على وجه التكذيب

والاستهزاء. ويوم يأتيهم منصوب بخبر ليس ويستدل به بتقدم العامل وحاق بهم وأحاط بهم ما كانوا به يستهزؤن العذاب الذي
كانوا به يستعجلون. وإنما وضع يستهزؤن موضع يستعجلون لأن استعجالهم كان على جهة الاستهزاء والمعنى ويحيق بهم إلا
أنه جاء على عادة الله في أخباره. الإنسان للجنس رحمة نعمة من صحة وأمن وجدة و نزعناها منه ثم سلبناه تلك النعمة
النعمة و إنه ليؤس شديد اليأس من أن تعود إليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر
ولا تسليم لقضائه ولا استرجاع. كفور عظيم الكفران لما سلف له من التقلب في نعمة الله نسّاء له ولئن أذقناه
نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور ذهب السيئات عني أي المصائب التي ساءتني وإنه لفرح
أشر بطر فخور على الناس بما أذاقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر إلا الذين صبروا وعملوا
الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير إلا الذين آمنوا فإن عادتهم إن نالتهم رحمة أن يشكروا وإن زالت عنهم
نعمة أن يصبروا فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك
إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل كانوا يقترحون عليه آيات تعنتا لا استرشادا لأنهم لو كانوا مسترشدين لكانت
آية واحدة مما جاء به ويتهاونون به وبغيره مما جاء به من البينات فكان يضيق صدر رسول الله أن يلقي إليهم ما لا يقبلونه
ويضحكون منه فحرّك الله منه وهيّجه لأداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله فلعلك تارك
بعض ما يوحى إليك أي لعلك تترك أن تلقيه إليهم وتبلغه إياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به وضائق به صدرك
بأن تتلوه عليهم أن يقولوا مخافة أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أي هلا أنزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة
ولم ينزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ثم قال إنما أنت نذير أي ليس عليك إلا أن تنذرهم بما أوحي إليك وتبلغهم
ما أمرت بتبليغه ولا عليك ردوا أو تهاونوا أو اقترحوا والله على كل شيء وكيل يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم
ما يجب أن يفعل فتوكل عليه وكل أمرك إليه وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت إلى
استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم فإن قلت لم عدل عن ضيق إلى ضائق قلت ليدل على أنه ضيق عارض
غير ثابت لأن رسول الله كان أفسح الناس صدرا ومثله قولك زيد سيد وجواد تريد السيادة والجود الثابتين
المستقرين فإذا أردت الحدوث قلت سائد وجائد ونحوه كانوا قوما عامين في بعض القراءات وقول السمهري
العكلي. بمنزلة أمّا اللئيم فسامن بها • وكرام الناس باد شحوبها •
أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين أم منقطعة
والضمير في افتراه لما يوحى إليك تحداهم أولا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخاير في الخط لصاحبه اكتب عشرة أسطر
نحو ما أكتب فإذا تبين له العجز عن مثل خطه قال قد اقتصرت منك على سطر واحد مثله بمعنى أمثاله ذهابا إلى
مماثلة كل واحد منها له و مفتريات صفة لعشر سور لما قالوا افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك
وليس من عند الله قاودهم على دعواهم وأرخى معهم العنان وقال هبوا أني اختلقته من عند نفسي ولم
يوح إلي وأن الأمر كما قلتم فأتوا أنتم أيضا بكلام مثله مختلق من عند أنفسكم فأنتم عرب فصحاء مثلي لا تعجزون
عن مثل ما أقدر عليه من الكلام فإن قلت كيف يكون ما يأتون به مثله وما يأتون به مفترى وهذا غير مفترى
قلت معناه مثله في حسن النظم والبيان وإن كان مفترى فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله
وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون فإن قلت ما وجه جمع الخطاب بعد إفراده وهو قوله لكم فاعلموا بعد قوله
قل قلت معناه فإن لم يستجيبوا لك وللمؤمنين لأن رسول الله والمؤمنين كانوا يتحدونهم وقد قال في موضع آخر

وان بنيت لم اطم لنا خارة

فان لم يستجيبوا لكم فاعلم • وتجوز ان يكون الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله، فان شئت حرمت النساء سواكم •
ووجه آخر وهو ان يكون الخطاب للمشركين • والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم يعني فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله
الى المظاهرة على معارضته لعلمهم بالعجز عنه • وان طاقتهم اقصر من ان تبلغه فاعلموا انما انزل بعلم الله اي انزل
ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم اليه واعلموا عند ذلك ان لا اله الا الله وحده وان
توحيده واجب والاشراك به ظلم عظيم فهل انتم مسلمون مبايعون بالاسلام بعد هذه الحجة القاطعة • وهذا وجه حسن
مطرد • ومن جعل الخطاب للمسلمين • فمعناه فاثبتوا على العلم الذي انتم عليه فازدادوا يقينا وثبات قدم على انه منزل
من عند الله وعلى التوحيد ومعنى فهل انتم مسلمون فهل انتم مخلصون من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم
أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون نوف اليهم نوصل اليهم اجور اعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما يرزقون
فيها من الرزق والصحة والرزق وقيل هم اهل الرياء يقال للقراء منهم اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ولمن
وصل الرحم وتصدق فعلت حتى يقال فقد قيل ولمن قاتل فقتل قاتلت حتى يقال فلان جريء فقد قيل • وعن انس بن مالك
رضي الله عنه • هم اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا او وصلوا رحما عجل لهم ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن
وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسهم لهم في الغنائم • وقرئ يوف بالياء على ان
الفعل لله عز وجل • وتوف اليهم اعمالهم بالتاء على البناء للمفعول • وفي قراءة الحسن نوفي بالتخفيف واثبات الياء لان
الشرط وقع ماضيا كقوله يقول لا غائب مالي ولا حرم • اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا
النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون وحبط ما صنعوا فيها وحبط في الآخرة ما صنعوه او صنيعهم يعني
لم يكن له ثواب لانهم لم يريدوا به الآخرة انما ارادوا به الدنيا وقد وفي اليهم ما ارادوا وباطل ما كانوا يعملون اي
كان عملهم في نفسه باطلا لانه لم يعمل لوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له • وقرئ وبطل على الفعل • وعن عاصم
وباطلا بالنصب • وفيه وجهان ان تكون ما ابهامية وتنتصب بيعملون • ومعناه وباطلا اي باطل كانوا يعملون
وان تكون بمعنى المصدر على وبطل بطلانا ما كانوا يعملون افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله
كتاب موسى اماما ورحمة اولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه انه الحق
من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون أفمن كان على بينة معناه امن كان يريد الحياة الدنيا كمن كان على بينة اي
لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم يريد ان بين الفريقين تفاوتا بعيدا وتباينا بينا واراد بهم من آمن من
اليهود كعبد الله بن سلام رضي الله عنه وعن كان على بينة من ربه اي على برهان من الله وبيان ان دين الاسلام حق
وهو دليل العقل ويتلوه ويتبع ذلك البرهان شاهد منه اي شاهد يشهد بصحته وهو القرآن منه من
الله او شاهد من القرآن فقد تقدم ذكره آنفا ومن قبله ومن قبل القرآن كتاب موسى وهو التوراة اي ويتلو
ذلك البرهان ايضا من قبل القرآن كتاب موسى • وقرئ كتاب موسى بالنصب • ومعناه كان على بينة من ربه
وهو الدليل على ان القرآن حق ويتلوه ويتلو • ويقرأ القرآن شاهد منه ممن كان على بينة • كقوله تعالى
وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله • قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده ام الكتاب ومن قبله كتاب موسى
ويتلو من قبل القرآن التوراة • اماما كتابا مؤتما به في الدين • قدوة فيه ورحمة • ونعمة عظيمة على المنزل اليهم
اولئك يعني من كان على بينة يؤمنون به يؤمنون بالقرآن ومن يكفر به من الاحزاب يعني اهل مكة ومن ضامهم
من المتحزبين على رسول الله فالنار موعده فلا تك في مرية • وقرئ مرية بالضم • ومنه الشك منه من القرآن

أومن

هود

او من الموعد ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله
على الظالمين يعرضون على ربهم يحبسون في الموقف وتعرض اعمالهم وتشهد عليهم الاشهاد من الملائكة والنبيين بانهم الكذابون
على الله بانه اتخذ ولدا وشريكا ويقال الا لعنة الله على الظالمين فواخزياه وافضيحتاه والاشهاد جمع شاهد
او شهيد كاصحاب واشراف الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالاخرة هم كافرون ويبغونها عوجا
يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة او يبغون اهلها ان يعوجوا بالارتداد وهم الثانية لتاكيد كفرهم بالاخرة
واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض وما كان لهم من دون الله من اولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون
السمع وما كانوا يبصرون اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا يعجزون الله في الدنيا ان يعاقبهم لو اراد عقابهم
وما كان لهم من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه اراد انظارهم وتاخير عقابهم الى هذا اليوم وهو من
كلام الاشهاد يضاعف لهم العذاب وقرئ يضعف وما كانوا يستطيعون السمع اراد انهم لفرط تصامهم عن
استماع الحق وكراهتهم له كانهم لا يستطيعون ولعل بعض المجبرة يتوثب اذا عثر عليه فيوعوع به على اهل العدل
كانه لم يسمع الناس يقولون في كل لسان هذا كلام لا استطيع ان اسمعه وهذا مما يمجه سمعي ويحتمل ان يريد بقوله
وما كان لهم من اولياء انهم جعلوا الهتهم اولياء من دون الله وولايتها ليست بشيء فما كان لهم في الحقيقة من اولياء ثم بين
نفي كونهم اولياء بقوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وقوله يضاعف لهم
العذاب اعتراض بوعيد اولئك الذين خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون
خسروا انفسهم اشتروا عبادة الالهة بعبادة الله تعالى فكان خسرانهم في تجارتهم ما لا خسران اعظم منه وهو انهم
خسروا انفسهم وضل عنهم وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو ما كانوا يفترون من الالهة وشفاعتها لا جرم فسر
في مكان اخر هم الاخسرون لا ترى احدا ابين خسرانا منهم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون واخبتوا الى ربهم واطمانوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت
وهي الارض المطمئنة ومنه قولهم للشيء الدني الخبيت قال ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيت
وقيل التاء فيه بدل من الثاء مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون
شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع وهو من اللف والطباق وفيه معنيان ان
يشبه الفريق تشبيهين اثنين كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف والعناب وان يشبهه
بين الذي جمع بين العمى والصمم او الذي جمع بين البصر والسمع على ان تكون الواو في والاصم وفي والسميع
لعطف الصفة على الصفة كقوله فالصابح فالغانم فالايب هل يستويان مثلا يعني الفريقين مثلا تشبيها
ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين اي ارسلنا نوحا باني لكم نذير ومعناه ارسلناه ملتبسا بهذا الكلام
وهو قوله اني لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كان والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا
كالاسد وقرئ بالكسر على ارادة القول ان لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم ان لا تعبدوا بدل من اني
لكم نذير اي ارسلناه بان لا تعبدوا الا الله او تكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير ووصف اليوم باليم من
الاسناد المجازي لوقوع الالم فيه فان قلت فاذا وصف به العذاب قلت مجازي مثله لان الاليم في
الحقيقة هو المعذب ونظيرها قولك نهارك صائم وجد جده فقال الملا الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا
مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الراي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين

قال امرؤ القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي

بالالم ظ

الملأ الأشراف من قولهم فلان مليء بكذا إذا كان مطيقاً له، وقد ملؤوا بالأمر لأنهم مليؤون بالكفايات بالأحكام والآراء الصائبة
الأمور، واضطلعوا بها وبتدبيرها، أو لأنهم يتمالؤون أي يتظاهرون ويتساندون، أو لأنهم يملؤون القلوب
هيبة والمجالس أبهة، أو لأنهم ملاء بالأحلام والآراء الصائبة. ما نراك إلا بشراً مثلنا تعريض بأنهم أحق منه
بالنبوة، وأن الله لو أراد أن يجعلها في أحد من البشر لجعلها فيهم، فقالوا هب أنك واحد من الملأ وموازٍ لهم في المنزلة
فما جعلك أحق منهم، ألا ترى إلى قولهم وما نرى لكم علينا من فضل، أو أرادوا أنه كان ينبغي أن يكون ملكاً لا بشراً
والأراذل جمع الأرذل كقوله تعالى أكابر مجرميها، أحاسنكم أخلاقاً. وقرئ بادي الرأي بالهمز وغير الهمز بمعنى اتبعوك
أول الرأي أو ظاهر الرأي، وانتصابه على الظرف أصله وقت حدوث أول رأيهم، أو وقت حدوث ظاهر
رأيهم، فحذف ذلك وأقيم المضاف إليه مقامه، أرادوا أن اتباعهم لك إنما هو شيء عنّ لهم بديهة من غير روية ونظر
وإنما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتأخرهم في الأسباب الدنيوية لأنهم كانوا جهالاً ما كانوا يعلمون إلا ظاهراً
من الحياة الدنيا، فكان الأشرف عندهم من له جاه ومال كما ترى أكثر المتسمين بالإسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه إكرامهم
وإهانتهم، ولقد زل عنهم أن التقدم في الدنيا لا يقرب أحداً من الله، وإنما يبعده ولا يرفعه بل يضعه فضلاً أن يجعله
سبباً في الاختيار للنبوة والتأهيل لها، على أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعثوا مرغبين في طلب الآخرة ورفض الدنيا
مزهدين فيها مصغرين لشأنها وشأن من أخلد إليها، فما أبعد حالهم من الاتصاف بما يبعد من الله والتشرف بما هو
ضعة عند الله. من زيادة شرف علينا تؤهلكم للنبوة. بل نظنكم كاذبين فيما تدعونه. قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة
من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون. أرأيتم أخبروني إن كنت على بينة
على برهان وشاهد منه يشهد بصحة دعواي، وآتاني رحمة من عنده بإيتاء البينة على أن البينة في نفسها هي الرحمة،
ويجوز أن يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة، فإن قلت فقوله فعميت ظاهر على الوجه الأول فما وجهه على الوجه
الثاني وحقه أن يقال فعميتا، قلت الوجه أن يقدر فعميت بعد البينة، وأن يكون حذفه للاقتصار على ذكره
مرة، ومعنى عميت خفيت، وقرئ فعُمّيت بمعنى أُخفيت، وفي قراءة أبيّ فعمّاها عليكم، فإن قلت فما حقيقته
ويا قوم لا أسألكم عليه مالاً إن أجري إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقوا ربهم ولكني أراكم قوماً
تجهلون. والضمير في قوله لا أسألكم عليه راجع إلى قوله إني لكم نذير مبين أن لا تعبدوا إلا الله. وقرئ وما
أنا بطاردٍ الذين آمنوا بالتنوين على الأصل، فإن قلت ما معنى قوله إنهم ملاقوا ربهم، قلت معناه أنهم يلاقون الله
فيعاقب من طردهم، أو يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من إيمان صحيح ثابت كما ظهر لي منهم، وما أعرف غيره منهم
أو على خلاف ذلك مما تقرفونهم به من بناء إيمانهم على بادي الرأي من غير نظر وتفكر، وما علي أن أشق عن قلوبهم
وأتعرف سر ذلك منهم حتى أطردهم إن كان الأمر كما تزعمون، ونحوه ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية، أو هم
مصدقون بلقاء ربهم موقنون به عالمون أنهم ملاقوه لا محالة. تجهلون تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم أراذل
من قوله: ألا لا يجهلن أحد علينا. أو تجهلون لقاء ربكم، أو تجهلون أنهم خير منكم. ويا قوم من ينصرني من الله
إن طردتهم أفلا تذكرون. من ينصرني من الله من يمنعني من انتقامه إن طردتهم، وكانوا يسألونه أن يطردهم
ليؤمنوا به أنفة من أن يكونوا معهم على سواء. ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ولا
أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم إني إذاً لمن الظالمين. أعلم الغيب معطوف
على عندي خزائن الله أي لا أقول عندي خزائن الله ولا أقول أنا أعلم الغيب، ومعناه لا أقول لكم عندي خزائن الله فأدعي

فضلا

ما ادعي فضلاً عليكم في النبي حتى تجحدوا فضلي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل ولا ادعي علم الغيب حتى تنسبوني الى الكذب
والافتراء او حتى اطلع على ما في نفوس اتباعي وضماير قلوبهم ولا اقول اني ملك حتى تقولوا لي ما انت الا بشر مثلنا
ولا احكم على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم ان الله لن يؤتيهم خيراً في الدنيا والآخرة لهوانهم عليه كما تقولون مساعدة
لكم ونزولاً على هواكم اني اذاً لمن الظالمين ان قلت شيئاً من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه وازرى
به قصر به يقال ازدرته عينه واقتحمته عينه قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا ان كنت
من الصادقين قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين جادلتنا فاكثرت جدالنا معناه اردت جدالنا وشرعت
فيه فاكثرته كقولك جاد فلان فاكثر واطاب فاتنا بما تعدنا من العذاب المعجل انما يأتيكم به الله اي ليس الاتيان
بالعذاب الي انما هو الى من كفرتم به وعصيتموه ان شاء يعني ان اقتضت حكمته ان يعجله لكم وقرأ ابن عباس رضي الله
عنهما فاكثرت جدلنا ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون
فان قلت ما وجه ترادف هذين الشرطين قلت قوله ان كان الله يريد ان يغويكم جزاؤه ما دل عليه قوله ولا
ينفعكم نصحي وهذا الدال في حكم ما دل عليه فوصل بشرط كما وصل الجزاء بالشرط في قولك ان احسنت الي احسنت
اليك ان امكنني فان قلت ما معنى قوله ان كان الله يريد ان يغويكم قلت اذا عرف الله من الكافر الاصرار فخلاه
وشانه ولم يلجئه سمي ذلك اغواء واضلالاً كما انه اذا عرف منه انه يتوب ويرعوي فلطف به سمي ارشاداً وهداية
وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك ومعناه انكم اذا كنتم من التصميم على الكفر
بالمنزلة التي لا تنفعكم نصائح الله ومواعظه وساير الطافه كيف ينفعكم نصحي ام يقولون افتراه قل ان افتريته
فعلي اجرامي وانا بريء مما تجرمون فعلي اجرامي واجرامي بلفظ المصدر والجمع لقوله عز وجل والله يعلم اسرارهم
واسرارهم والجمع جرم واجرام قفل واقفال وينصر الجمع ان فسره الاولون باثامي والمعنى ان صح وثبت اني
افتريته فعلي عقوبة اجرامي اي افترائي وكان حقي حينئذ ان تعرضوا عني وتتألبوا علي وانا بريء يعني ولم يثبت
ذلك وانا بريء منه ومعنى مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي فلا وجه لاعراضكم ومعاداتكم واوحي
الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون لن يؤمن اقناط من ايمانهم وانه كالمحال
الذي لا تعلق به للتوقع الا من قد آمن الا من وجد منه ما كان يتوقع من ايمانه وقد للتوقع وقد اصابت محزها
فلا تبتئس فلا تحزن حزن بائس مستكين قال

ما يقسم الله اقبل غير مبتئس منه واقعد كريماً ناعم البال

والمعنى فلا تحزن بما فعلوا من تكذيبك وايذائك ومعاداتك فقد حان وقت الانتقام لك منهم واصنع الفلك
باعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون باعيننا في موضع الحال بمعنى اصنعها محفوظاً وحقيقته
ملتبساً باعيننا كان معه من الله حفاظاً يكلأونه ان يزيغ في صنعته عن الصواب وان لا يحول بينه وبين احد من اعدائه
وانا نوحي اليك ونلهمك كيف تصنع عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله تعالى اليه
ان يصنعها مثل جؤجؤ الطاير ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تدعني في شأن قومك واستدفاع العذاب
عنهم بشفاعتك انهم مغرقون انهم محكوم عليهم بالاغراق قد وجب ذلك وقضي به القضاء وجف القلم ولا سبيل الى كفه
لقوله تعالى يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود ويصنع الفلك وكلما مر
عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون ويصنع الفلك حكاية حال ماضية

سخروا منه ومن عمله السفينة وكان يعملها في برية بيهماء في أبعد موضع من الماء وفي وقت عزة الماء فيه عزة شديدة وكانوا
يتضاحكون ويقولون له يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا فإنا نسخر منكم يعني في المستقبل كما تسخرون منا الساعة
أي نسخر منكم سخرية مثل سخريتكم إذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل إن تستجهلونا فيما نصنع
فإنا نستجهلكم فيما أنتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله تعالى وعذابه فأنتم أولى بالاستجهال منا أو إن تستجهلونا فإنا نستجهلكم
في استجهالكم لأنكم لا تستجهلون إلا عن جهل بحقيقة الأمر وبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة في البعد عن الحقائق
وروي أن نوحا عليه الصلاة والسلام اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها ثلثمائة ذراع وخمسون ذراعا وطولها
في السماء ثلثون ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في البطن الأسفل الوحوش والسباع والهوام وفي
البطن الأوسط الدواب والأنعام وركب هو ومن معه في البطن الأعلى مع ما يحتاج إليه من الزاد وحمل معه جسد آدم
وجعله معترضا بين الرجال والنساء وعن الحسن كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة وقيل إن الحواريين قالوا
لعيسى عليه الصلاة والسلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى إلى كثيب من تراب فأخذ
كفا من ذلك التراب فقال أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب الكثيب بعصاه
فقال قم بإذن الله فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال له عيسى عليه الصلاة والسلام أهكذا هلكت
قال لا مت وأنا شاب ولكني ظننت أنها الساعة فمن ثم شبت قال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها ألف ذراع
ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحش وطبقة للإنس وطبقة للطير
ثم قال له عد بإذن الله كما كنت فعاد ترابا من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم من يأتيه في محل النصب بتعلمون
أي فسوف تعلمون الذي يأتيه عذاب يخزيه ويعني به إياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق ويحل عليه
حلول الدين والحق اللازم الذي لا انفكاك له عنه عذاب مقيم وهو عذاب الآخرة حتى إذا جاء أمرنا وفار
التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل
حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام دخلت على الجملة من الشرط والجزاء فإن قلت وقعت غاية لماذا قلت لقوله
ويصنع الفلك أي وكان يصنعها إلى أن جاء وقت الموعد فإن قلت فإذا اتصلت حتى بيصنع فما تصنع بما بينهما
من الكلام قلت هو حال من يصنع كأنه قال يصنعها والحال أنه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا
منه فإن قلت فما جواب كلما قلت أنت بين أمرين إما أن تجعل سخروا جوابا وقال استئنافا على تقدير
سؤال سائل أو تجعل سخروا بدلا من مر أو صفة لملأ وقال جوابا وأهلك عطف على اثنين وكذلك ومن آمن
يعني واحمل أهلك والمؤمنين من غيرهم واستثنى من أهله من سبق عليه القول أنه من أهل النار وما سبق عليه القول
بذلك إلا للعلم بأنه يختار الكفر لا لتقديره عليه وإرادته به تعالى الله عن ذلك قال الضحاك أراد ابنه
وامرأته إلا قليل روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كانوا ثمانية نوح وأهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وعن محمد بن
إسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة وأولاد نوح سام ويافث
ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرسيها
إن ربي لغفور رحيم يجوز أن يكون كلاما واحدا وكلامين فالكلام الواحد أن يتصل بسم الله باركبوا حالا
من الواو بمعنى اركبوا فيها مسمين الله أو قائلين بسم الله وقت إجرائها ووقت إرسائها إما لأن المجرى والمرسى
للوقت وإما لأنهما مصدران كالإجراء والإرساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ومقدم الحاج

ويجوز

ويجوز أن يكون مكانا للإجراء والإرساء. وانتصابهما بما في بسم الله من معنى الفعل أو بما فيه من إرادة القول. والكلام أن
أن يكون بسم الله مجراها ومرساها جملة من مبتدإ وخبر مقتضبة أي بسم الله إجراؤها وإرساؤها. يروى أنه
كان إذا أراد أن تجري قال بسم الله فجرت وإذا أراد أن ترسو قال بسم الله فرست. ويجوز أن يقحم الاسم كقوله
ثم اسم السلام عليكما. ويراد بالله إجراؤها وإرساؤها أي بقدرته وأمره. وقرئ مجراها ومرساها بفتح الميم من
جرى ورسا إما مصدرين أو وقتين أو مكانين. وقرأ مجاهد مجريها ومرسيها بلفظ اسم الفاعل مجروري
المحل صفتين لله. فإن قلت ما معنى قولك جملة مقتضبة قلت معناه أن نوحا عليه الصلاة والسلام
أمرهم بالركوب ثم أخبرهم بأن مجراها ومرساها بذكر اسم الله أو بأمره أو بقدرته. ويحتمل أن تكون غير مقتضبة
بأن تكون في موضع الحال كقوله. وجاؤوا بهم سكر علينا. فلا يكون كلاما برأسه. ولكن فضلة من فضلات
الكلام الأول. وانتصاب هذه الحال عن ضمير الفلك كأنه قيل اركبوا فيها مجراة مرساة بسم الله بمعنى التقدير
كقوله. ادخلوها خالدين. إن ربي لغفور رحيم. لولا مغفرته لذنوبكم ورحمته إياكم لما أنجاكم وهي تجري بهم
في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين فإن قلت بم اتصل
قوله وهي تجري بهم قلت بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كأنه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهي تجري
بهم أي تجري وهم فيها في موج كالجبال يريد موج الطوفان شبه كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها
فإن قلت الموج ما يرتفع فوق الماء عند اضطرابه وزخيره وكان الماء قد التقى وطبق ما بين السماء
والأرض وكانت الفلك تجري في جوف الماء كما تسبح السمكة فما معنى جريها في الموج قلت كان ذلك قبل
التطبيق وقبل أن يغمر الطوفان الجبال ألا ترى إلى قول ابنه سآوي إلى جبل يعصمني من الماء. وقيل كان
اسمه كنعان وقيل يام. وقرأ علي رضي الله عنه ابنها والضمير لامرأته. وقرأ محمد بن علي وعروة بن
الزبير رضي الله عنهما ابنه بفتح الهاء يريدان ابنها فاكتفيا بالفتحة عن الألف وبه ينصر مذهب الحسن قال
قتادة رضي الله عنه سألته فقال والله ما كان ابنه فقلت إن الله تعالى حكى عنه إن ابني من أهلي وأنت تقول
لم يكن ابنه وأهل الكتاب لا يختلفون في أنه كان ابنه فقال ومن يأخذ دينه من أهل الكتاب. واستدل بقوله
من أهلي ولم يقل مني ولنسبته إلى أمه وجهان أحدهما أن يكون ربيبا له كعمر بن أبي سلمة لرسول الله صلى الله عليه
وأن يكون لغير رشدة وهذه غضاضة عصمت منها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وقرأ السدي ونادى نوح ابناه
على الندبة والترثي أي قال يا ابناه. والمعزل مفعل من عزله عنه إذا نحاه وأبعده يعني وكان في مكان عزل فيه
نفسه عن أبيه وعن مركب المؤمنين وقيل كان في معزل عن دين أبيه. يا بني قرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من
ياء الإضافة وبالفتح اقتصارا عليه من الألف المبدلة من ياء الإضافة في قولك يا بنيا أو سقطت الياء والألف
لالتقاء الساكنين لأن الراء بعدهما ساكنة. قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من
رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين إلا من رحم الله الراحم وهو الله تعالى أو لا عاصم اليوم من الطوفان إلا
من رحم الله أي إلا مكان من رحم الله من المؤمنين وكان لهم غفورا رحيما في قوله إن ربي لغفور رحيم. وذلك أنه لما
جعل الجبل عاصما من الماء قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله
ونجاهم يعني السفينة. وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة إلا من رحمه الله كقوله ماء دافق وعيشة راضية. وقيل
من رحم الله استثناء منقطع كأنه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله تعالى ما لهم به من علم إلا اتباع الظن. وقرئ

الا من رحم على البناء للمفعول وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل
بعدا للقوم الظالمين نداء الارض والسماء بما ينادى به الحيوان المميز على لفظ التخصيص والاقبال عليهما بالخطاب من بين
سائر المخلوقات وهو قوله تعالى يا ارض ويا سماء ثم امرهما بما يؤمر به اهل التمييز والعقل من قوله ابلعي ماءك واقلعي
من الدلالة على الاقتدار العظيم وان السموات والارض وهذه الاجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير
ممتنعة عليه كانها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور وتبينوا
تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول على مشيئته على الفور
من غير ريث فكما يرد عليهم امره كان المامور به مفعولا لا حبس ولا ابطاء والبلع عبارة عن النشف والاقلاع
الامساك يقال اقلع المطر واقلعت الحمى وغيض الماء من غاضه اذا نقصه وقضي الامر وانجز ما وعد الله نوحا
من هلاك قومه واستوت واستقرت السفينة على الجودي وهو جبل بالموصل وقيل بعدا يقال بعد بعدا وبعدا اذا ارادوا
البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ونحو ذلك ولذلك اختص بدعاء السوء ومجيء اخباره على الفعل المبني للمفعول
للدلالة على الجلال والكبرياء وان تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل وتكوين مكون قاهر وان فاعلها فاعل
واحد لا يشارك في افعاله فلا يذهب الوهم الى ان يقول غيره يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي ولا ان يقضي ذلك
الامر الهائل غيره ولا ان تستوي السفينة على متن الجودي وتستقر عليه الا بتسويته واقراره ولما ذكرنا من
المعاني والنكت استفصح علماء البيان هذه الآية ورقصوا لها رؤوسهم لا لتجانس الكلمتين وهما قوله ابلعي واقلعي وذلك
وان كان لا يخلي الكلام من حسن فهو كغير الملتفت اليه بازاء تلك المحاسن التي هي اللب وما عداها قشور وعن
قتادة استقلت بهم السفينة لعشر خلون من رجب وكانت في الماء خمسين ومائة يوم واستقرت بهم على الجودي
شهرا وهبط بهم يوم عاشوراء وروي انها مرت بالبيت فطافت به سبعا وقد اعتقه الله من الغرق وروي
ان نوحا عليه الصلاة والسلام صام يوم الهبوط وامر من معه فصاموا شكرا لله تعالى ونادى نوح ربه فقال
رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين نداؤه ربه دعاؤه له وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضاء
وعده في تنجية اهله فان قلت فاذا كان النداء هو قوله رب فكيف عطف فقال رب على نادى بالفاء قلت
اريد بالنداء ارادة النداء ولو اريد النداء نفسه لجاء كما جاء قوله اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب بغير فاء ان
ابني من اهلي اي بعض اهلي لانه كان ابنه من صلبه او ربيبا له فهو بعض اهله وان وعدك الحق وان كل وعد
تعده فهو الحق الثابت الذي لا شك في انجازه والوفاء به وقد وعدتني ان تنجي اهلي فما بال ولدي وانت احكم الحاكمين
اي اعلم الحكام واعدلهم لانه لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ورب غريق في الجهل والجور من متقلدي
الحكومة في زمانك قد لقب اقضى القضاة ومعناه احكم الحاكمين فاعتبر واستعبر ويجوز ان يكون من الحكمة
على ان يبنى من الحكمة حاكم بمعنى النسبة كما قيل دارع من الدرع وحائض وطالق على مذهب الخليل رحمه الله تعالى
قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين
انه عمل غير صالح تعليل لانتفاء كونه من اهله وفيه ايذان بان قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان نسيبك في دينك ومعتقدك
من الاباعد في المنصب وان كان حبشيا وكنت قرشيا لصيقك وخصيصك ومن لم يكن على دينك وان كان امس اقاربك
رحما فهو ابعد بعيد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة في ذمه كقولها فانما هي اقبال وادبار وقيل
الضمير لنداء نوح عليه الصلاة والسلام اي ان نداءك هذا عمل غير صالح وليس بذاك فان قلت فهلا قيل انه عمل

فاسد

فإن قلت لم نفاه عن أهله قلت نفى عنه صفتهم بكلمة النفي التي يستبقى معها لفظ المنفي وآذن بذلك أنه إنما أنجى من أنجى من أهله
لصلاحهم لا لأنهم أهلك وأقاربك وأن هذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه أبوتك كقوله تعالى كانتا تحت عبدين
من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقرئ عمل غير صالح أي عمل عملا غير صالح وقرئ فلا تسألن بكسر النون
بغير ياء الإضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء يعني فلا تلتمس مني ملتمسا أو التماسا لا تعلم أصواب هو أم غير صواب
حتى تقف على كنهه وذكر المسألة دليل على أن النداء كان قبل أن يغرق حين خاف عليه فإن قلت لم سمي نداؤه سؤالا
ولا سؤال فيه قلت قد تضمن دعاؤه معنى السؤال وإن لم يصرح به لأنه إذا ذكر الموعد بنجاة أهله في وقت مشارفة
ولده الغرق فقد استنجز وجعل سؤال ما لا يعرف كنهه جهلا وغباوة ووعظه أن لا يعود إليه وإلى أمثاله من أفعال
الجاهلين فإن قلت قد وعده أن ينجي أهله وما كان عنده أن ابنه ليس منهم دينا فلما أشفى على الغرق تشابه عليه الأمر
لأن العدة قد سبقت له وقد عرف الله حكيما لا يجوز عليه فعل القبيح وخلف الميعاد فطلب إماطة الشبهة وطلب
إماطة الشبهة واجب فلم زجر وسمي سؤاله جهلا قلت إن الله عز وجل قدم له الوعد بإنجاء أهله مع استثناء
من سبق عليه القول منهم فكان عليه أن يعتقد أن في جملة أهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح وأن كلهم ليسوا بناجين
وأن لا تخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق في أنه من المستثنين لا من المستثنى منهم فعوتب على أن اشتبه عليه ما يجب
أن لا يشتبه أن أسألك من أطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تأدبا بأدبك واتعاظا بموعظتك قال رب
إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين وإلا تغفر لي ما فرط مني من ذلك
وترحمني بالتوبة علي أكن من الخاسرين أعمالا قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم
سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم وقرئ يا نوح اهبط بضم الباء بسلام منا مسلما محفوظا من جهتنا أو مسلما عليك
مكرما وبركات عليك ومباركا عليك والبركات الخيرات النامية وقرئ وبركة عليك على التوحيد وعلى أمم ممن
معك يحتمل أن تكون من للبيان فتراد الأمم الذين كانوا معه في السفينة لأنهم كانوا جماعات أو قيل لهم أمم لأن
الأمم تتشعب منهم وأن تكون للابتداء أي على أمم ناشئة ممن معك وهي الأمم إلى آخر الدهر وهو الوجه
وقوله تعالى وأمم رفع بالابتداء وسنمتعهم صفة والخبر محذوف تقديره وممن معك أمم سنمتعهم وإنما حذف
لأن قوله ممن معك يدل عليه والمعنى أن السلام منا والبركات عليك وعلى أمم مؤمنين ينشؤون ممن معك وممن معك
أمم ممتعون بالدنيا منقلبون إلى النار وكان نوح عليه الصلاة والسلام أبا للأنبياء والخلق بعد الطوفان منه
وممن كان معه في السفينة وعن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة
وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم أخرج منهم نسلا منهم من رحم
ومنهم من عذب وقيل المراد بالأمم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب صلوات الله عليهم أجمعين تلك
من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين تلك
إشارة إلى قصة نوح عليه الصلاة والسلام ومحلها الرفع على الابتداء والجمل بعدها أخبار أي تلك القصة بعض
أنباء الغيب موحاة إليك مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا من قبل إيحائي إليك وإخبارك بها أو من قبل هذا
العلم الذي كسبته بالوحي أو من قبل هذا الوقت فاصبر على تبليغ الرسالة وأذى قومك كما صبر نوح وتوقع
في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما قيض لنوح ولقومه إن العاقبة في الفوز والنصر والغلبة للمتقين وقوله
ولا قومك معناه أن قومك الذين أنت منهم على كثرتهم ووفور عددهم إذا لم يكن ذلك شأنهم ولا سمعوه ولا عرفوه

فكيف برجل منهم كما تقول لم يعرف هذا عبد الله ولا اهل بلده وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن
أنتم إلا مفترون أخاهم واحدا منهم وانتصابه للعطف على أرسلنا نوحا وهودا عطف بيان وغيره بالرفع صفة على محل الجار
والمجرور وقرئ بالجر صفة على اللفظ إن أنتم إلا مفترون تفترون على الله الكذب باتخاذكم الأوثان له شركاء يا قوم لا
أسألكم عليه أجرا إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون ما من رسول إلا واجه قومه بهذا القول لأن شأنهم النصيحة
والنصيحة لا يمحضها ولا يمحضها إلا حسم المطامع وما دام يتوهم بشيء منها لم تنجع ولم تنفع أفلا تعقلون إذ تردون نصيحة
من لا يطلب عليها أجرا إلا من الله وهو ثواب الآخرة ولا شيء أنفى للتهمة من ذلك ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل
السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين قيل استغفروا ربكم آمنوا به ثم توبوا إليه من عبادة غيره لأن التوبة
لا تصح إلا بعد الإيمان والمدرار الكثير الدرور كالمغزار وإنما قصد استمالتهم إلى الإيمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر
وزيادة القوة لأن القوم كانوا أصحاب زروع وبساتين وعمارات حراصا عليها أشد الحرص فكانوا أحوج شيء إلى الماء
وكانوا مدلين بما أوتوا من شدة القوة والبطش والبأس والنجدة مستحرزين بها من العدو مهيبين في كل ناحية وقيل
أراد القوة في المال وقيل القوة على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت أرحام نسائهم وعن الحسن بن
علي رضي الله عنهما أنه وفد على معاوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال إني رجل ذو مال ولا يولد لي فعلمني شيئا لعل
الله يرزقني ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد سبعمائة مرة فولد له
عشرة بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سألته مم قال ذلك فوفد وفدة أخرى فسأله الرجل فقال ألم تسمع قول هود
ويزدكم قوة إلى قوتكم وقول نوح ويمددكم بأموال وبنين ولا تتولوا ولا تعرضوا عني وعما أدعوكم إليه وأرغبكم فيه
مجرمين مصرين على إجرامكم وآثامكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين
ما جئتنا ببينة كذب منهم وجحود كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أنزل عليه آية من ربه مع فوت آياته الحصر
عن قولك حال من الضمير في تاركي آلهتنا كأنه قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك وما نحن لك بمؤمنين وما يصح من
أمثالنا أن يصدقوا أمثالك فيما يدعوهم إليه إقناطا له من الإجابة إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد
الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اعتراك مفعول نقول وإلا لغو والمعنى ما
نقول إلا قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء أي خبلك ومسك بجنون لسبك إياها وصدك عنها وعداوتك لها مكافأة
لك منها على سوء فعلك بسوء الجزاء فمن ثم تتكلم بكلام المجانين وتهذي بهذيان المبرسمين وليس بعجب من أولئك
أن يسموا التوبة والاستغفار خبلا وجنونا وهم عباد أعلام الكفر وأوتاد الشرك وإنما العجب من قوم من المتظاهرين بالإسلام
سمعناهم يسمون التائب من ذنوبه مجنونا والمنيب إلى ربه مخبلا ولم نجدهم معه على عشر مما كانوا عليه في أيام جاهليته
من موداته وما ذاك إلا لعرق من الإلحاد أبى إلا أن ينبض وضب من الزندقة أراد أن يطلع رأسه وقد دلت أجوبتهم
المتقدمة على أن القوم كانوا جفاة غلاظ الأكباد لا يبالون بالبهت ولا يلتفتون إلى النصح ولا تلين شكيمتهم للرشد
وهذا الأخير دال على جهل مفرط وبله متناه حيث اعتقدوا في حجارة أنها لا تنتصر وتنتقم ولعلهم حين أجازوا العقاب
كانوا يجيزون الثواب من أعظم الآيات أن يواجه بهذا الكلام رجل واحد أمة عطاشا إلى إراقة دمه يرمونه عن قوس
واحدة وذلك لثقته بربه وأنه يعصمه منهم فلا تنشب فيه مخالبهم ونحو ذلك قال نوح لقومه ثم اقضوا إلي ولا تنظرون
أكد براءته من آلهتهم وشركهم ووثقها بما جرت به عادة الناس من توثيقهم الأمور بشهادة الله وشهادة العباد فيقول الرجل
الله شهيد على أني لا أفعل كذا ويقول لقومه كونوا شهداء على أني لا أفعله فإن قلت هلا قيل إني أشهد الله ونه

واشهدكم

شهداكم قلت لان اشهاد الله على البراءة من الشرك به اشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده واما اشهادهم
فما هو الا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب فعدل به عن لفظ الاول لاختلاف ما بينهما وجيء به على لفظ
الامر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد علي اني لا احبك تهكما به واستهانة بحاله مما تشركون
من دونه من اشراككم آلهة من دونه او مما تشركونه من آلهة من دونه اي انتم تجعلونها شركاء له ولم يجعلها هو
شركاء ولم ينزل بذلك سلطانا فكيدوني جميعا انتم وآلهتكم اعجلوا ما تفعلون من غير انظار واني لا ابالي بكم وبكيدكم
ولا اخاف معرتكم وان تعاونتم علي وانتم الاقوياء الشداد فكيف تضرني آلهتكم وما هي الا جماد لا تضر ولا تنفع
وكيف تنتقم مني اذا نلت منها وصددت عن عبادتها بان تخبلني وتذهب بعقلي اني توكلت على الله ربي وربكم
ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلاءته من
كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم ومن كون كل دابة في قبضته وملكته وتحت قهره
وسلطانه والاخذ بنواصيها تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم يريد انه على طريق الحق والعدل في ملكه لا يفوته
ظالم ولا يضيع عنده معتصم به فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه
شيئا ان ربي على كل شيء حفيظ فان تولوا فان تتولوا فان قلت الابلاغ كان قبل التولي فكيف وقع جزاء للشرط قلت
معناه فان تتولوا لم اعاتب على تفريط في الارسال وكنتم محجوجين بان ما ارسلت به اليكم قد بلغكم فابيتم الا تكذيب
الرسالة وعداوة الرسول ويستخلف كلام مستانف يريد ويهلككم الله ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم
واموالكم ولا تضرونه بتوليكم شيئا من ضرر قط لانه لا يجوز عليه المضار والمنافع وانما تضرون انفسكم وفي قراءة
عبد الله ويستخلف بالجزم وكذلك ولا تضروه عطفا على محل فقد ابلغتكم والمعنى ان تتولوا يعذرني ويستخلف قوما
غيركم ولا تضروا الا انفسكم على كل شيء حفيظ اي رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه خافية فما تخفى عليه اعمالكم ولا
يغفل عن مؤاخذتكم او من كان رقيبا على الاشياء كلها حافظا لها وكانت مفتقرة الى حفظه من المضار لم يضر مثله مثلكم
ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ والذين آمنوا معه قيل كانوا اربعة
آلاف فان قلت ما معنى تكرير التنجية قلت ذكر اولا انه حين اهلك عدوهم نجاهم ثم قال ونجيناهم من عذاب
غليظ على معنى وكانت تلك التنجية من عذاب غليظ وذلك ان الله تعالى بعث عليهم السموم فكانت تدخل في انوفهم
وتخرج من ادبارهم فتقطعهم عضوا عضوا وقيل اراد بالثانية التنجية من عذاب الآخرة ولا عذاب اغلظ منه
واشد وقوله برحمة منا يريد بسبب الايمان الذي انعمنا عليهم بالتوفيق له وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله
واتبعوا امر كل جبار عنيد وتلك عاد اشارة الى قبورهم وآثارهم كانه قال سيحوا في الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم
استانف وصف احوالهم فقال جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله لانهم اذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله
لا نفرق بين احد من رسله وقيل لم يرسل اليهم الا هود وحده وكل جبار عنيد يريد رؤساءهم وكبراءهم ودعاتهم
الى تكذيب الرسل ومعنى اتباع امرهم طاعتهم واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة الا ان
عادا كفروا ربهم الا بعدا لعاد قوم هود ولما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم
في الدارين تكبهم على وجوههم في عذاب الله والا وتكرار الا مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لامرهم وتفظيع له
وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم فان قلت بعدا دعاء بالهلاك فما معنى الدعاء به عليهم بعد
هلاكهم قلت معناه الدلالة على انهم كانوا مستاهلين له في حال حتوبهم مستاهلين الا ترى

الى قوله • اخواني لا تبعدوا ابدا • وبلى والله قد بعدوا • قوم هود • عطف بيان لعاد فان قلت ما الفائدة
في هذا البيان والبيان حاصل بدونه قلت الفائدة فيه ان يوسموا بهذه الدعوة وسما وتجعل فيهم امرا محققا لا شبهة
فيه بوجه من الوجوه • ولان عادا عادان الاولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم والاخرى ارم • والى ثمود
اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشاكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان
ربي قريب مجيب • هو انشاكم من الارض لم ينشئكم منها الا هو ولم يستعمركم فيها غيره • وانشاؤهم منها خلق آدم من التراب
واستعمركم وامركم بالعمارة والعمارة متنوعة الى واجب وندب ومباح ومكروه • وكان ملوك فارس قد اكثروا من
حفر الانهار • وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال • مع ما كان فيهم من عسف الرعايا • فسأل نبي من انبياء
زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحى الله تعالى اليه انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي • وعن معوية ابن ابي
سفيان انه اخذ في احياء الارض في اخر امره • فقيل له فقال ما حملني عليه الا قول القائل •

• ليس الفتى بفتى لا يستضاء به • ولا يكون له في الارض آثار •

وقيل استعمركم من العمر • نحو استبقاكم من البقاء • وقد جعل من العمرى • وفيه وجهان احدهما ان يكون استعمر في معنى
اعمر كقولك استهلكه في معنى اهلكه • ومعناه اعمركم فيها دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضاء اعماركم • والثاني
ان يكون بمعنى جعلكم معمرين دياركم فيها لان الرجل اذا ورث داره من بعده فكانما اعمره اياها • لانه يسكنها عمره
ثم يتركها لغيره • قريب داني الرحمة سهل المطلب مجيب لمن دعاه وسأله • قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا
قبل هذا اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا واننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب • فينا فيما بيننا • مرجوا كانت
تلوح فيك مخايل الخير وامارات الرشد فكنا نرجوك لننتفع بك وتكون مشاورا في الامور مسترشدا في التدابير
فلما نطقت بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك وعلمنا ان لا خير فيك • وعن ابن عباس رضي الله عنهما فاضلا خيرا
نقدمك على جميعنا • وقيل كنا نرجو ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه • يعبد اباؤنا حكاية حال
ماضية • مريب من اراب اذا اوقعه في الريبة • وهي قلق النفس وانتفاء الطمانينة باليقين • او من اراب الرجل
اذا كان ذا ريبة على الاسناد واني نبي على الحقيقة وانظروا ان تابعتكم وعصيت ربي في اوامره فمن يمنعني من
عذاب الله فما تزيدونني اذن غير تخسير يعني تخسرون اعمالي وتبطلونها او فما تزيدونني بما تقولون لي
وتحملونني عليه غير ان اخسركم اي انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم خاسرون • ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية
فذروها تاكل في الارض ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة
ايام ذلك وعد غير مكذوب • اية نصب على الحال قد عمل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل
فان قلت فبم يتعلق لكم قلت باية حالا منها متقدمة لانها لو تاخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت
انتصبت على الحال • عذاب قريب عاجل لا يستاخر عن مسكم لها بسوء الا يسيرا وذلك ثلثة ايام ثم يقع
عليكم • تمتعوا استمتعوا بالعيش في داركم في بلدكم • وتسمى البلاد الديار لانه يدار فيها اي يتصرف يقال
ديار بكر لبلادهم • وتقول العرب • الذين حوالي مكة • نحن من عرب الدار • يريدون من عرب البلد
وقيل في دار الدنيا • وقيل عقروها يوم الاربعاء • وهلكوا يوم السبت • غير مكذوب غير مكذوب فيه فاتسع في الظرف
بحذف الحرف • واجرائه مجرى المفعول به كقولك يوم مشهود • من قوله • ويوم شهدناه • او على المجاز كانه
قيل للوعد نفي بك فاذا وفى به فقد صدق ولم يكذب • او وعد غير كذب • على ان المكذوب مصدر كالمجلود

المجازي قال يا قوم ارايتم ان كنت على
بينة من ربي واتاني منه رحمة
فمن ينصرني من الله ان عصيته فما
تزيدونني غير تخسير • ان كنت
على بينة من ربي حرف الشك
وكان على يقين انه على بينة
لان خطابه للجاحدين فكانه
قال قدروا اني على بينة
من ربي صح

والمعقول

والمقول له المصدوقة بمعنى الصدق فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين امنوا برحمة منا ومن خزي يومئذ ان ربك هو
القوي العزيز واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين ومن خزي يومئذ قرئ مفتوح الميم لانه مضاف
الى اذ وهو غير متمكن لقوله • وعاتبت المشيب • فان قلت علام عطف قلت على نجينا لان تقديره ونجينا
من خزي يومئذ كما قال ونجيناهم من عذاب غليظ • على وكانت التنجية من خزي يومئذ اي من ذله ومهانته
وفضيحته • ولا خزي اعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه • ويجوز ان يريد بيومئذ يوم القيامة
كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة كأن لم يغنوا فيها ألا ان ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود وقرئ ألا
ان ثمودا ولثمود كلاهما بالصرف وامتناعه فالصرف للذهاب الى الحي او الاب الاكبر ومنعه للتعريف والتانيث
بمعنى القبيلة ولقد جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ رسلنا
يريد الملائكة عن ابن عباس رضي الله عنهما جاء جبريل وملكان معه وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم الصلاة
والسلام وقيل كانوا تسعة وعن السدي احد عشر بالبشرى هي البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط والظاهر
الولد سلاما سلمنا عليك سلاما وقرئ فقالوا سلما قالوا سلم بمعنى السلام وقيل سلم وسلام كحرم وحرام
وانشد • مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت • كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح • فما لبث ان جاء فما لبث
في المجيء به بل عجل فيه او فما لبث مجيئه والعجل ولد البقرة ويسمى الحسيل والخبش بلغة اهل السراة وكان
مال ابرهيم البقر حنيذ مشوي بالرضف في اخدود وقيل حنيذ يقطر دسمه من حنذت الفرس اذا القيت
عليها الجل حتى تقطر عرقا ويدل عليه بعجل سمين فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة
قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط نكره وانكره واستنكره ومنكور قليل في كلامهم وكذلك انا انكرك
ولكن منكر ومستنكر وانكرك وقال الاعشى
• وانكرتني وما كان الذي نكرت • من الحوادث الا الشيب والصلعا •
قيل كان ينزل في طرف من الارض فخاف ان يريدوا به مكروها وقيل كانت عادتهم انه اذا مس من يطرقهم
طعامهم امنوه والا خافوه والظاهر انه احس بانهم ملائكة ونكرهم لانه تخوف ان يكون نزولهم لامر انكره
الله عليه او لتعذيب قومه الا ترى الى قولهم لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وانما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم
ارسلوا واوجس واضمر وانما قالوا لا تخف لانهم رأوا اثر الخوف والتغير في وجهه او عرفوه بتعريف الله او علم ان
علمه بانهم ملائكة موجب الخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا بعذاب وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق
ومن وراء اسحق يعقوب وامرأته قائمة قيل كانت قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم وقيل كانت قائمة على رؤوسهم
تخدمهم وفي مصحف عبد الله وامرأته قائمة وهو قاعد فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الخبائث او كان
ضحكها ضحك انكار لغفلتهم وقد اظلهم وقيل كانت تقول لابرهيم اضمم لوطا ابن اخيك اليك فاني اعلم انه
ينزل بهؤلاء القوم عذاب فضحكت سرورا لما اتى الامر على ما توهمت وقيل فضحكت فحاضت وقرأ محمد بن
زياد الاعرابي فضحكت بفتح الحاء يعقوب رفع بالابتداء كأنه قيل ومن وراء اسحق يعقوب مولود او موجود
اي من بعده وقيل الوراء ولد الولد وعن الشعبي انه قيل له اهذا ابنك فقال نعم من الوراء وكان ولد ولده
وقرئ يعقوب بالنصب كأنه قيل ووهبنا له اسحق ومن وراء اسحق يعقوب على طريقة قوله ليسوا مصلحين
عشيرة ولا ناعب قالت يا ويلتى أألد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب الالف في يا ويلتا مبدلة

من ياء الاضافة وكذلك في يا لهفا ويا عجبا وقرأ الحسن بالياء على الاصل وشيخا نصب بما دل عليه اسم الاشارة
وقرئ شيخ على انه خبر مبتدأ محذوف اي هذا بعلي هو شيخ او بعلي بدل من المبتدأ وشيخ خبر او كلاهما خبران
قيل بشرت ولها ثمان وتسعون سنة ولابراهيم عليه الصلاة والسلام مائة وعشرون سنة ان هذا لشيء عجيب ان يولد
ولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة التي اجراها الله قالوا أتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل
البيت انه حميد مجيد انما انكرت عليها الملائكة تعجبها فقالوا اتعجبين من امر الله لانها كانت في بيت الآيات
ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان عليها ان تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء الناشئات
في غير بيوت النبوة وان تسبح الله وتمجده مكان التعجب والى ذلك اشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم
رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت ارادوا ان هذه وامثالها مما يكرمكم رب العزة ويخصكم بالانعام به يا اهل
بيت النبوة فليست بمكان عجب وامر الله قدرته وحكمته وقوله رحمة الله وبركاته عليكم كلام مستأنف علل به
انكار التعجب كأنه قيل اياك والتعجب فان امثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة
والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابراهيم عليه الصلاة والسلام حميد فاعل
ما يستوجب به الحمد من عباده مجيد كثير الخير والاحسان اليهم واهل البيت نصب على النداء او على الاختصاص
لان اهل البيت مدح لهم اذ المراد اهل بيت خليل الرحمن صلوات الله عليه فلما ذهب عن ابراهيم الروع
وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط ان ابراهيم لحليم اواه منيب الروع ما اوجس من الخيفة حين نكر اضيافه
والمعنى انه لما اطمأن قلبه بعد الخوف وملئ سرورا بسبب البشرى بدل الغم فرغ للمجادلة فان قلت اين جواب لما
قلت هو محذوف كما حذف في قوله تعالى فلما ذهبوا به واجمعوا وقوله يجادلنا كلام مستأنف دال على الجواب وتقديره
اجترأ على خطابنا او فطن لمجادلتنا او قال كيت وكيت ثم ابتدأ فقال يجادلنا هو جواب لما وانما جيء به مضارعا على حكاية
الحال وقيل لما ترد المضارع الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال وقيل في يجادلنا واقبل يجادلنا
والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته اياهم انهم قالوا انا مهلكو اهل هذه القرية فقال ارأيتم لو كان فيها خمسون رجلا
من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارأيتم
ان كان فيها رجل واحد مسلم اتهلكونها قالوا لا فقال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله
في قوم لوط في معناهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قالوا له ان كان فيها خمسة يصلون رفع عنهم العذاب
وعن قتادة ما قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير وقيل كان فيها اربعة آلاف الف انسان ان ابراهيم لحليم
غير عجول على الانتقام من المسيء اليه اواه كثير التأوه من الذنوب منيب تائب راجع الى الله بما يحب ويرضى
وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرأفة والرحمة فبين ان ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء ان يرفع عنهم
العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة والانابة كما حمله على الاستغفار لابيه يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد
جاء امر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود يا ابراهيم على ارادة القول اي قالت له الملائكة اعرض عن هذا الجدال
وان كانت الرحمة ديدنك فلا فائدة فيه انه قد جاء امر ربك وهو قضاؤه وحكمه الذي لا يصدر الا عن صواب
وحكمة والعذاب نازل بالقوم لا محالة لا مرد له بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم
وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب ساءه مجيئهم وضيق ذرعه لانه حسب انهم انس فخاف عليهم
خبث قومه وان يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم روي ان الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع

بلغ مقابلة

شهادات

بلغ مقابلة

سيئها وآت فلما مشى معهم منطلقا بهم إلى منزله قال لهم ما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرهم قال أشهد بالله إنها لشر قرية
في الأرض عملا يقول ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك أحد فخرجت امرأته فأخبرت بهم قومها يقال يوم
عصيب وعصوصب إذا كان شديدا من قولك عصبه إذا شده وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات
قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك
من حق وإنك لتعلم ما نريد يهرعون يسرعون كأنما يدفعون دفعا ومن قبل كانوا يعملون السيئات ومن قبل ذلك
الوقت كانوا يعملون الفواحش ويكثرونها فضروا بها ومرنوا عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاؤوا يهرعون مجاهرين
لا يكفهم حياء وقيل معناه وقد عرف لوط عادتهم في عمل الفواحش قبل ذلك هؤلاء بناتي أراد أن يقي أضيافه ببناته
وذلك غاية الكرم وأراد هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزا كما زوج رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة بن أبي لهب وأبي العاص بن وائل قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان
مطاعان فأراد أن يزوجهما ابنتيه وقرأ ابن مروان هن أطهر لكم بالنصب وضعفه سيبويه وقال
احتبى ابن مروان في لحنه وعن أبي عمرو بن العلاء من قرأ هن أطهر بالنصب فقد تربع في لحنه وذلك أن انتصابه
على أن يجعل حالا قد عمل فيها ما في هؤلاء من معنى الفعل كقوله تعالى هذا بعلي شيخا أو ينصب هؤلاء بفعل مضمر
كأنه قيل خذوا هؤلاء وبناتي بدل ويعمل هذا المضمر في الحال وهن فصل وهذا لا يجوز لأن الفصل مختص بالوقوع ٤
بين جزئي الجملة ولا يقع بين الحال وذي الحال وقد خرج له وجه لا يكون هن فيه فصلا وذلك أن يكون هؤلاء
مبتدأ وبناتي هن جملة في موضع خبر المبتدأ كقولك هذا أخي هو ويكون أطهر حالا فاتقوا الله بإيثارهن عليهم
ولا تخزوني ولا تهينوني ولا تفضحوني من الخزي أو ولا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء في ضيفي في حق ضيوفي
فإنه إذا خزي ضيف الرجل أو جاره فقد خزي الرجل وذلك من عراقة الكرم وأصالة المروءة أليس منكم رجل
رشيد رجل واحد يهتدي إلى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السوء وقرئ ولا تخزون بطرح الياء ويجوز أن
يكون عرض البنات عليهم مبالغة في تواضعه لهم وإظهارا لشدة امتعاضه مما أوردوا عليه طمعا في أن يستحيوا منه
ويرقوا له إذا سمعوا ذلك فيتركوا له ضيوفه مع ظهور الأمر واستقرار العلم عنده وعندهم أن لا مناكحة بينه وبينهم
ومن ثم قالوا لقد علمت مستشهدين بعلمه ما لنا في بناتك من حق لأنك لا ترى مناكحتنا وما هو إلا عرض سابري وقيل
لما اتخذوا إتيان الذكران مذهبا ودينا لتواطئهم عليه كان عندهم أنه هو الحق وأن نكاح الإناث من الباطل
فلذلك قالوا ما لنا في بناتك من حق قط لأن نكاح الإناث أمر خارج من مذهبنا الذي نحن عليه ويجوز أن يقولوا
على وجه الخلاعة والغرض نفي الشهوة لتعلم ما نريد عنوا إتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة قال لو أن لي بكم قوة
أو آوي إلى ركن شديد جواب لو محذوف كقوله تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال يعني لو أن لي بكم قوة لفعلت
بكم وصنعت يقال ما لي به قوة وما لي به طاقة ونحوه لا قبل لكم بها وما لي به يدان لأنه في معنى لا أضطلع به ولا أستقل به
والمعنى لو قويت عليكم بنفسي أو أويت إلى قوي أستند إليه وأتمنع به فيحميني منكم فشبه القوي العزيز بالركن من الجبل
في شدته ومنعته ولذلك قالت الملائكة قد وجدت عليه إن ركنك لشديد وقال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله
أخي لوطا كان يأوي إلى ركن شديد وقرئ أو آوي بالنصب بإضمار أن كأنه قيل لو أن لي بكم قوة أو أويا كقولها
للبس عباءة وتقر عيني وقرئ إلى ركن بضمتين قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل
ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب وروي أنه أغلق

حين جاءوا أجمل بشر ثم ما حكى الله عنه وتجادلهم فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما لقي لوط من الكرب قالوا يا لوط
إن ركنك لشديد إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فافتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل
عليه الصلاة والسلام ربه في عقوبتهم فأذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح
من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم فأعماهم كما قال الله تعالى فطمسنا أعينهم
فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فإن في بيت لوط قوما سحرة لن يصلوا إليك جملة موضحة
للتي قبلها لأنهم إذا كانوا رسل الله لم يصلوا إليه ولم يقدروا على ضرره وقرئ فأسر بالقطع والوصل وإلا امرأتك بالرفع
والنصب وروي أنه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا الصبح فقال أريد أسرع من ذلك فقالوا أليس الصبح بقريب
وقرئ الصبح بضمتين فإن قلت ما وجه قراءة من قرأ إلا امرأتك بالنصب قلت استثناها من قوله تعالى فأسر
بأهلك والدليل عليه قراءة عبد الله فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك ويجوز أن ينتصب عن لا يلتفت على أصل
الاستثناء وإن كان الفصيح هو البدل أعني قراءة من قرأ بالرفع فأبدلها عن أحد وفي إخراجها مع أهله روايتان
روي أنه أخرجها معهم وأمر أن لا يلتفت منهم أحد إلا هي فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه
فأدركها حجر فقتلها وروي أنه أمر بأن يخلفها مع قومها فإن هواها إليهم فلم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف
الروايتين فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود جعلنا عاليها سافلها
جعل جبريل جناحه في أسفلها ثم رفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وأتبعوا
الحجارة من فوقهم من سجيل قيل هي كلمة معربة من سنك كل بدليل قوله حجارة من طين وقيل هي من أسجله إذا أرسله
لأنها ترسل على الظالمين ويدل عليه قوله تعالى لنرسل عليهم حجارة وقيل مما كتب الله أن يعذب به من السجل وسجل
لفلان منضود نضد في السماء نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه في إثر بعض متتابعا مسومة عند ربك
وما هي من الظالمين ببعيد مسومة معلمة للعذاب وعن الحسن رحمة الله عليه كانت معلمة ببياض وحمرة وقيل عليها
سيما تعلم بها أنها ليست من حجارة الأرض وقيل مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به وما هي من كل ظالم ببعيد وفيه
وعيد لأهل مكة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل فقال يعني ظالمي أمتك ما من ظالم منهم إلا وهو بعرض حجر
يسقط عليه من ساعة إلى ساعة وقيل الضمير للقرى أي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم ببعيد بشيء بعيد
ويجوز أن يراد وما هي بمكان بعيد لأنها وإن كانت في السماء وهي مكان بعيد إلا أنها إذا هوت منها فهي أسرع شيء
لحوقا بالمرمى فكأنها بمكان قريب منه وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا
المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط إني أراكم بخير بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف
أو أراكم بنعمة من الله حقها أن تقابل بغير ما تفعلون أو أراكم بخير فلا تزيلوه عنكم بما أنتم عليه كقول مؤمن
آل فرعون يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا يوم محيط مهلك من قوله وأحيط بثمره
وأصله من إحاطة العدو فإن قلت وصف العذاب بالإحاطة أبلغ أم وصف اليوم بها قلت بل وصف اليوم
لأن اليوم زمان يشتمل على الحوادث فإذا أحاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما إذا أحاط بنعيمه
ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين فإن قلت
النهي عن النقصان أمر بالإيفاء فما فائدة قوله أوفوا قلت نهوا أولا عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال
والميزان لأن في التصريح بالقبيح نعيا على المنهي عنه وتعييرا له ثم ورد الأمر بالإيفاء الذي هو حسن في العقول مصرحا

بلفظه

بلفظه لزيادة ترغيب فيه وبعث عليه وجيء به مقيدا بالقسط اي ليكن الايفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان امرا بما هو الواجب لان ما جاوز العدل فضل وامر مندوب اليه وفيه توقيف على ان الموفي عليه ان ينوي بالوفاء القسط لان الايفاء وجه حسنه انه قسط وعدل فهذه ثلث فوائد • البخس الهضم والنقص ويقال للمكس البخس قال زهير • وفي كل ما باع امرؤ بخس درهم • ويروى مكس درهم وكانوا ياخذون من كل شيء يباع شيئا كما يفعل السماسرة او كانوا يمكسون الناس او كانوا ينقصون من اثمان ما يشترون من الاشياء فنهوا عن ذلك والعثي في الارض نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز ان يجعل التطفيف والبخس عثيا منهم في الارض •

بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ بقية الله ما ابقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم خير لكم ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان قلت بقية الله خير للكفرة لانهم كانوا يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف فلم شرط الايمان قلت لظهور فائدتها مع الايمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب • وخفاء فائدتها مع فقده لانغماس صاحبها في غمرات الكفر وفي ذلك استعظام للايمان وتنبيه على جلالة شانه • ويجوز ان يراد ان كنتم مصدقين لي فيما اقول لكم وانصح به اياكم ويجوز ان يراد ما يبقى لكم عند الله من الطاعات خير لكم كقوله تعالى والباقيات الصالحات خير عند ربك واضافة البقية الى الله من حيث انها رزقه الذي يجوز ان يضاف اليه • واما الحرام فلا يضاف الى الله ولا يسمى رزقا واذا اريد بها الطاعة فكما تقول طاعة الله • وقرئ تقية الله بالتاء • وهي تقواه ومراقبته التي تصرف عن المعاصي والقبائح وما انا عليكم بحفيظ • وما انا عليكم بحفيظ • وما بعثت لاحفظ عليكم اعمالكم واجازيكم عليها • وانما بعثت مبلغا ومنبها على الخير وناصحا • وقد اعذرت حين انذرت **قالوا يا شعيب أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد** كان شعيب عليه الصلاة والسلام كثير الصلوات وكان قومه اذا راوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم اصلواتك تامرك السخرية والهزء والصلاة وان جاز ان تكون آمرة على طريق المجاز كما كانت ناهية في قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وان يقال ان الصلاة تامر بالجميل والمعروف كما يقال تدعو اليه وتبعث عليه الا انهم ساقوا الكلام مساق الطنز وجعلوا الصلاة آمرة على سبيل التهكم بصلاته وارادوا ان هذا الذي تامر به من ترك عبادة الاوثان باطل لا وجه لصحته وهو صلواتك التي تداوم عليها وان مثله لا يدعوك اليه داعي عقل ولا يامرك به آمر فطنة فلم يبق الا ان يامرك به آمر هذيان ووسوسة شيطان وهو صلواتك التي تداوم عليها في ليلك ونهارك وعندهم انها من باب الجنون ومما يتولع به المجانين والموسوسون من بعض الاقوال والافعال ومعنى تامرك ان نترك تامرك بتكليف ان نترك ما يعبد آباؤنا فحذف المضاف الذي هو التكليف لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره وقرئ اصلاتك بالتوحيد وقرا ابن ابي عبلة او ان تفعل في اموالنا ما تشاء بتاء الخطاب فيهما وهو ما كان يامرهم به من ترك التطفيف والبخس والاقتناع بالحلال القليل من الحرام الكثير وقيل كان ينهاهم عن حذف الدراهم والدنانير وتقطيعها وارادوا بقولهم انك لانت الحليم الرشيد نسبته الى غاية السفه والغي فعكسوا ليتهكموا به كما يتهكم بالشحيح الذي لا يبض حجره فيقال له لو ابصرك حاتم لسجد لك وقيل معناه انك للمتواصف بالحلم والرشد في قومك يعنون ان ما تامر به لا يطابق حالك وما شهرت به **قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب** ورزقني منه اي من لدنه رزقا حسنا وهو ما رزقه من النبوة و

والحكمة وقيل رزقاً حسناً حلالاً طيباً من غير بخس ولا تطفيف فان قلت اين جواب ارأيتم وما له لم يثبت كما اثبت في
قصة نوح ولوط عليهما الصلاة والسلام قلت جوابه محذوف وانما لم يثبت لان اثباته في القصتين دل على مكانه ومعنى
الكلام ينادي عليه والمعنى اخبروني ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربي وكنت نبياً على الحقيقة أيصح لي ان لا
آمركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي والانبياء لا يبعثون الا لذلك يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده
وانت مول عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وانت قاصده ويلقاك الرجل صادراً عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقال خالفني
الى الماء يريد انه قد ذهب اليه وارداً وانا ذاهب عنه صادراً ومنه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه
يعني ان اسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم ان اريد الا الاصلاح ما اريد الا ان اصلحكم بموعظتي
ونصيحتي وامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما استطعت ظرف اي مدة استطاعتي للاصلاح لا آلو فيه جهداً او بدل
من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته منه ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف على قولك وما توفيقي الا بالله
الا الاصلاح ما استطعت او مفعولاً له كقوله • ضعيف النكاية اعداءه • اي ما اريد الا ان اصلح
ما استطعت اصلاحه من فاسدكم وما توفيقي الا بالله وما كوني موفقاً لاصابة الحق فيما آتي واذر ووقوعه
موافقاً لرضى الله الا بمعونته وتأييده والمعنى انه استوفق ربه في امضاء الامر على سننه وطلب منه التأييد والاظهار
على عدوه وفي ضمنه تهديد للكفار وحسم اطماعهم فيه ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم
هود او قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد جرم مثل كسب في تعديه الى مفعول واحد والى مفعولين تقول جرم ذنباً
وكسبه وجرمته ذنباً وكسبته اياه • قال • جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا • ومنه قوله
تعالى لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم اي لا يكسبنكم شقاقي اصابة العذاب وقرأ ابن كثير بضم الياء من اجرمته
ذنباً اذا جعلته جارماً له اي كاسباً وهو منقول من جرم المتعدي الى مفعول واحد كما نقل اكسبه المال من كسب المال
وكما لا فرق بين كسبته مالاً واكسبته اياه فكذلك لا فرق بين جرمته ذنباً واجرمته اياه والقراءتان مستويتان
في المعنى لا تفاوت بينهما الا ان المشهورة افصح لفظاً كما ان كسبته مالاً افصح من اكسبته والمراد بالفصاحة انه
على السنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم ادور وهم له اكثر استعمالاً وقرأ ابو حيوة ورويت عن نافع مثل
ما اصاب بالفتح لاضافته الى غير متمكن • كقوله • لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت • وما قوم لوط
منكم ببعيد يعني انهم اهلكوا في عهد قريب من عهدكم فهم اقرب الهالكين منكم او لا يبعدون منكم في الكفر والمساوي
وما يستحق به الهلاك فان قلت ما لبعيد لم يرد على ما يقتضيه قوم من حمله على لفظه او معناه قلت اما ان يراد وما
اهلاكهم ببعيد او وما هم بشيء بعيد او بزمان او مكان بعيد ويجوز ان يسوى في قريب وبعيد وقليل وكثير
بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوهما واستغفروا ربكم ثم توبوا
اليه ان ربي رحيم ودود رحيم ودود عظيم الرحمة للتائبين فاعل بهم ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من
الاحسان والاجمال قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجمناك
وما انت علينا بعزيز قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهرياً ان ربي بما تعملون محيط ما نفقه
ما نفهم كثيراً مما تقول لانهم كانوا لا يلقون اليه اذهانهم رغبة عنه وكراهية له كقوله تعالى وجعلنا على قلوبهم
اكنة ان يفقهوه او كانوا يفقهونه ولكنهم لم يقبلوه فكأنهم لم يفقهوه او قالوا ذلك على وجه الاستهانة كما يقول
الرجل لصاحبه اذا لم يعبأ بحديثه ما ادري ما تقول او جعلوا كلامه هذياناً وتخليطاً لا يفهم كثيراً منه وكيف

لا يفهم

لانهم من مخاطبته الانباء. وقيل كان النبي فينا ضعيفا لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا ان اردنا بك مكروها. وعن الحسن ضعيفا مهينا. وقيل ضعيفا اعمى وحمير تسمي المكفوف ضعيفا كما يسمى ضريرا وليس بسديد لان فينا يأباه. الا ترى انه لو قيل انا لنراك فينا اعمى لم يكن كلاما لان الاعمى اعمى فيهم وفي غيرهم ولذلك قللوا قومه حيث جعلوهم رهطا. والرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى التسعة. وانما قالوا ولولا رهطك احتراما لهم واعتدادا بهم لانهم كانوا على ملتهم لا خوفا من شوكتهم وعزتهم لرجمناك لقتلناك شر قتلة وما انت علينا بعزيز اي لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وانما يعز علينا رهطك لانهم من اهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وقد دل ايلاء ضميره حرف النفي على ان الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل كانه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة ولذلك قال في جوابهم ارهطي اعز عليكم من الله ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب فان قلت فالكلام واقع فيه وفي رهطه وانهم الاعزة عليهم دونه فكيف صح قوله ارهطي اعز عليكم من الله قلت تهاونهم به وهو نبي الله تهاون بالله فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه اعز عليهم من الله الا ترى الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ونظيره قولهم في النسبة الى الامس امسي ان ربي بما تعملون محيط قد احاط باعمالكم علما فلا يخفى عليه شيء منها ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون على مكانتكم لا تخلو المكانة من ان تكون بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة او تكون مصدرا من مكن مكانة فهو مكين والمعنى اعملوا قارين على جهتكم التي انتم عليها من الشرك والشنآن لي او اعملوا متمكنين من عداوتي مطيقين لها اني عامل على حسب ما يؤتيني الله من النصرة والتأييد ويمكنني من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا اني معكم رقيب من يأتيه يجوز ان تكون من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كانه قيل سوف تعلمون اينا يأتيه عذاب يخزيه واينا هو كاذب وان تكون موصولة قد عمل فيها كانه قيل سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب فان قلت اي فرق بين ادخال الفاء ونزعها في سوف تعلمون قلت ادخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها وصل خفي تقديري بالاستئناف للتفنن في البلا كما هو عادة بلغاء العرب واقوى الوصلين الذي هو جواب لسؤال مقدر كانهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت انت فقال سوف تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب واقوى الوصلين وابلغهما الاستئناف وهو باب من ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه وارتقبوا وانتظروا العاقبة وما اقول لكم اني معكم رقيب اي منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضريب والصريم بمعنى الضارب والصارم او بمعنى المراقب كالعشير والنديم او بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع فان قلت قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته ثم اتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم فكان القياس ان يقول من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى ينصرف من يأتيه عذاب يخزيه الى الجاحدين ومن هو صادق الى النبي المبعوث اليهم قلت القياس ما ذكرت ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين فان قلت ما بال ساقتي قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو والساقتان

الوسطيان بالفاء قلت قد وقعت الوسطيان بعد ذكر الوعد وذلك قوله إن موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب
فجيء بالفاء الذي هو للتسبيب كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت • وأما الأخريان فلم تقعا بتلك المثابة وإنما
وقعتا مبتدأتين فكان حقهما أن تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة الجاثم اللازم لمكانه لا يريم كاللابد
يعني أن جبريل صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو قعصا كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت
ثمود كأن لم يغنوا كأن لم يقيموا في ديارهم أحياء متصرفين مترددين البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد
ألا ترى إلى قوله كما بعدت • وقرأ السلمي بعدت بضم العين والمعنى في البناءين واحد وهو نقيض القرب • إلا أنهم أرادوا
التفصلة بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء • كما فرقوا بين ضماني الخير والشر فقالوا وعد وأوعد وقراءة
السلمي جاءت على الأصل اعتبارا لمعنى البعد من غير تخصيص كما يقال ذهب فلان ومضى في معنى الموت وقيل معناه بعدا لهم
من رحمة الله كما بعدت ثمود منها ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين بآياتنا وسلطان مبين فيه وجهان
أن يراد أن هذه الآيات فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته وأن يراد بالسلطان المبين العصا لأنها أبهرها إلى
فرعون وملائه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس
الورد المورود وما أمر فرعون برشيد تجهيل لمتبعيه حيث شايعوه على أمره وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه
أدنى مسكة من العقل وذلك أنه ادعى الإلهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالعسف والظلم والشر الذي لا يأتي إلا من
شيطان مارد • ومثله بمعزل من الإلهية ذاتا وأفعالا فاتبعوه وسلموا له دعواه وتتابعوا على طاعته • والأمر الرشيد
الذي فيه رشد أي وما في أمره رشد • إنما هو غي صريح وضلال ظاهر مكشوف وإنما يتبع العقلاء من يرشدهم
ويهديهم لا من يضلهم ويغويهم وفيه أنهم عاينوا الآيات والسلطان المبين في أمر موسى عليه الصلاة والسلام وعلموا
أن معه الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه إلى اتباع من ليس في أمره رشد قط يقدم قومه أي كما كان قدوة لهم
في الضلال كذلك يتقدمهم إلى النار وهم يتبعونه ويجوز أن يريد بقوله وما أمر فرعون برشيد وما أمره بصالح
حميد العاقبة ويكون قوله يقدم قومه تفسيرا لذلك وإيضاحا أي كيف يرشد أمر من هذه عاقبته والرشد يستعمل
في كل ما يحمد ويرتضى كما استعمل الغي في كل ما يذم ويتسخط ويقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه قادمة الرحل كما يقال قدمه بمعنى
تقدمه ومنه مقدمة الجيش وأقدم بمعنى تقدم ومنه مقدم العين فإن قلت هلا قيل يقدم قومه فيوردهم
ولم جيء بلفظ الماضي قلت لأن الماضي يدل على أمر موجود مقطوع به فكأنه قيل يقدمهم فيوردهم النار لا محالة
والورد المورود الذي وردوه شبه بالفارط الذي يتقدم الواردة إلى الماء • وشبه أتباعه بالواردة ثم قيل بئس
الورد الذي يردونه النار لأن الورد إنما يراد لتسكين العطش وتبريد الأكباد والنار ضده وأتبعوا في هذه لعنة
ويوم القيامة بئس الرفد المرفود وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة أي يلعنون في الدنيا ويلعنون في الآخرة بئس الرفد
المرفود رفدهم أي بئس العون المعان وذلك أن اللعنة في الدنيا رفد ومدد له وقد رفدت باللعنة في الآخرة
وقيل بئس العطاء المعطى ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد ذلك مبتدأ من أنباء القرى
نقصه عليك خبر بعد خبر أي ذلك النبأ بعض أنباء القرى المهلكة مقصوص عليك منها الضمير للقرى أي بعضها باق
وبعضها عافي الأثر كالزرع القائم على ساقه والذي حصد فإن قلت ما محل هذه الجملة قلت هي مستأنفة لا محل لها
وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك
وما زادوهم غير تتبيب وما ظلمناهم بإهلاكنا إياهم ولكن ظلموا أنفسهم بارتكاب ما به أهلكوا فما أغنت عنهم آلهتهم

فما قدرت أن ترد عنهم بأس الله يدعون يعبدون وهي حكاية حال ماضية ولما منصوب بما أغنت أمر ربك عذابه ونقمته
تتبيب تخسير يقال تب إذا خسر وتببه غيره إذا أوقعه في الخسران وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى
وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد محل الكاف الرفع تقديره ومثل ذلك الأخذ أخذ ربك والنصب فيمن
قرأ بلفظ الفعل وقرئ إذ أخذ القرى وهي ظالمة حال من القرى أليم شديد وجيع صعب على المأخوذ وهذا
تحذير من وخامة عاقبة الظلم لكل أهل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها بل لكل من ظلم غيره أو نفسه بذنب
يقترفه فعلى كل من أذنب أن يحذر أخذ ربه الأليم الشديد فيبادر التوبة ولا يغتر بالإمهال إن في ذلك لآية
لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ذلك إشارة إلى ما قص الله من قصص الأمم الهالكة
بذنوبهم لآية لمن خاف لعبرة له لأنه ينظر إلى ما أحل الله بالمجرمين في الدنيا وما هو إلا أنموذج مما أعد لهم في الآخرة
فإذا رأى عظمه وشدته اعتبر به عظم العذاب الموعود فيكون له عبرة وعظة ولطفا في زيادة التقوى والخشية
من الله ونحوه إن في ذلك لعبرة لمن يخشى ذلك إشارة إلى يوم القيامة لأن عذاب الآخرة دل عليه والناس رفع باسم المفعول
الذي هو مجموع كما يرفع بفعله إذا قلت يجمع له الناس فإن قلت
لأي فائدة أوثر اسم المفعول على فعله قلت لما في اسم المفعول من دلالة على معنى الجمع لليوم وأنه لا بد من أن يكون
ميعادا مضروبا لجمع الناس له وأنه الموصوف بذلك صفة لازمة وهو أثبت أيضا لإسناد الجمع إلى الناس وأنهم لا ينفكون
منه ونظيره قول المتهدد إنك لمنهوب مالك محروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل وإن
شئت فوازن بينه وبين قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع تعثر على صحة ما قلت لك ومعنى يجمعون له يجمعون لما فيه من الحساب
والثواب والعقاب يوم مشهود مشهود فيه فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به كقوله
ويوم شهدناه سليما وعامرا أي يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه أحد والمراد بالمشهود الذي كثر
شاهدوه ومنه قولهم لفلان مجلس مشهود وطعام محضور قال في محفل من نواصي الناس مشهود
فإن قلت فما منعك أن تجعل اليوم مشهودا في نفسه دون أن تجعله مشهودا فيه كما قال الله تعالى
فمن شهد منكم الشهر فليصمه قلت الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتمييزه من بين الأيام فإن جعلته
مشهودا فيه دونها ولم يجز أن يكون مشهودا في نفسه لأن سائر الأيام الأسبوع مثله كذلك مشهودات كلها ولكن
تجعله مشهودا فيه حتى يحصل التمييز كما تميز يوم الجمعة عن أيام الأسبوع بكونه مشهودا فيه دونها ولم يجز أن يكون
مشهودا في نفسه لأن سائر أيام الأسبوع مثله يشهدها كل من يشهده وكذلك قوله تعالى فمن شهد منكم الشهر
فليصمه الشهر منتصب ظرفا لا مفعولا وكذلك الضمير في فليصمه والمعنى فمن شهد منكم في الشهر فليصم فيه يعني فمن كان منكم
مقيما حاضرا لوطنه في شهر رمضان فليصم فيه ولو نصبته مفعولا فالمسافر والمقيم كلاهما يشهدان الشهر لا يشهده
المقيم ويغيب عنه المسافر وما نؤخره إلا لأجل معدود الأجل يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهاها
فيقولون انتهى الأجل وبلغ الأجل آخره فإذا أطلقه يريد آخر التأجيل المدة إنما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها
فمعنى قوله فما نؤخره إلا لأجل معدود إلا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف وقرئ وما يؤخره بالياء يوم يأت
لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد وقرئ يأت بغير ياء ونحوه قولهم لا أدر حكاه الخليل وسيبويه وحذف
الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل فإن قلت فاعل يأتي ما هو قلت الله عز وجل
كقوله هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله أو يأتي ربك وجاء ربك وتعضده قراءة من قرأ وما يؤخره بالياء

وقوله بإذنه ويجوز أن يكون الفاعل ضمير اليوم كقوله تعالى أن تأتيهم الساعة فإن قلت بم انتصب الظرف قلت
إما أن ينتصب بلا تكلم وإما بإضمار اذكر وإما بالانتهاء المحذوف في قوله إلا لأجل معدود أي ينتهي الأجل يوم يأتي فإن
قلت فإذا جعلت الفاعل ضمير اليوم فقد جعلت اليوم وقتا لإتيان اليوم وحددت الشيء بنفسه قلت
المراد إتيان هوله وشدائده لا تكلم لا تتكلم وهو نظير قوله تعالى لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن فإن قلت
كيف توفق بين هذا وبين قوله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم
فيعتذرون قلت ذلك يوم طويل له مواقف ومواطن ففي بعضها يجادلون عن أنفسهم وفي بعضها يكفون
عن الكلام فلا يؤذن لهم وفي بعضها يؤذن لهم فيتكلمون وفي بعضها يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وتشهد
أرجلهم فمنهم الضمير لأهل الموقف ولم يذكروا لأن ذلك معلوم ولأن قوله لا تكلم نفس يدل عليه وقد مر ذكر
الناس في قوله مجموع له الناس والشقي الذي وجبت له النار لإساءته والسعيد الذي وجبت له الجنة لإحسانه فأما
الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق قراءة العامة بفتح الشين وعن الحسن رحمة الله عليه شُقوا بالضم كما قرئ
سُعدوا والزفير إخراج النفس والشهيق رده قال الشماخ

بعيد مدى التطريب أول صوته ... زفير ويتلوه شهيق محشرج

خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها
ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ ما دامت السموات والأرض فيه وجهان أحدهما
أن يراد سموات الآخرة وأرضها وهي دائمة مخلوقة للأبد والدليل على أن لها سموات وأرضا قوله تعالى يوم
تبدل الأرض غير الأرض والسموات وقوله وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء ولأنه لا بد لأهل الآخرة
مما يقلهم ويظلهم إما سماء يخلقها الله أو يظلهم العرش وكل ما أظلك فهو سماء والثاني أن يكون عبارة عن التأبيد
ونفي الانقطاع كقول العرب ما دام تعار وما أقام ثبير وما لاح كوكب وغير ذلك من كلمات التأبيد فإن قلت
فما معنى الاستثناء في قوله تعالى إلا ما شاء ربك وقد ثبت خلود أهل الجنة والنار في الأبد من غير استثناء قلت
هو استثناء من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة وذلك أن أهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده
بل يعذبون بالزمهرير وبأنواع من العذاب سوى عذاب النار وبما هو أغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم وخساؤه
لهم وإهانته إياهم وكذلك أهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو أكبر منها وأجل موقعا منهم وهو رضوان الله كما قال
وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله
أكبر ولهم ما يتفضل الله به عليهم سوى ثواب الجنة مما لا يعرف كنهه إلا هو فهو المراد بالاستثناء والدليل عليه قوله
تعالى عطاء غير مجذوذ ومعنى قوله في مقابلته إن ربك فعال لما يريد أنه يفعل بأهل النار ما يريد من العذاب
كما يعطي أهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له فتأمله فإن القرآن يفسر بعضه بعضا ولا يخدعنك عنه قول المجبرة
أن المراد بالاستثناء خروج أهل الكبائر من النار بالشفاعة فإن الاستثناء الثاني ينادي على تكذيبهم ويسجل
بافترائهم وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض النوابت عن عبد الله بن عمرو بن العاص ليأتين
على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا وقد بلغني أن من الضلال من
اعتقد هذا الحديث فاعتقد أن الكفار لا يخلدون في النار وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان المبين
زادنا الله هداية إلى الحق ومعرفة بكتابه وتنبيها على أن نغفل عنه ولئن صح هذا عن ابن العاص فمعناه أنهم

ما يشغله

يخرجون من حر النار الى الزمهرير فذلك خلو جهنم وصفق ابوابها واقول ما كان لابن عمرو في سيفيه ومقاتلته بهما
علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن تسيير هذا الحديث غير مجذوذ غير مقطوع ولكنه ممتد الى غير نهاية كقوله تعالى
لهم اجر غير ممنون فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل وانا لموفوهم نصيبهم
غير منقوص لما قص قصص عبدة الاوثان وذكر ما احل بهم من نقمه وما اعد لهم من عذابه قال فلا تك في مرية
مما يعبد هؤلاء اي فلا تشك بعد ما انزل اليك من هذه القصص في سوء عاقبة عبادتهم وتعرضهم بها لما اصاب
امثالهم قبلهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة بالانتقام منهم ووعيدا لهم ثم قال ما يعبدون الا كما
يعبد اباؤهم يريد ان حالهم في الشرك مثل حال ابائهم من غير تفاوت بين الحالين وقد بلغك ما نزل بابائهم
فسينزل بهم مثله وهو استيناف معناه تعليل النهي عن المرية وما في مما وكما يجوز ان يكون مصدرية وموصولة
اي من عبادتهم وكعبادتهم او مما يعبدون من الاوثان ومثل ما يعبدون وانا لموفوهم نصيبهم اي حظهم من
العذاب كما وفينا اباءهم انصباءهم فان قلت كيف نصب غير منقوص حالا عن النصيب الموفى قلت يجوز
ان يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل الا تقول وفيته شطر حقه وحقه كملا وناقصا ولقد اتينا موسى
الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه فاختلف فيه فامن به قوم
وكفر به قوم كما اختلف في القران ولولا كلمة سبقت يعني كلمة الانظار الى يوم القيمة لقضي بينهم بين قوم موسى
او قومك وهذه من جملة التسلية ايضا وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم انه بما يعملون خبير وان كلا التنوين
عوض من المضاف اليه يعني وان كلهم وان جميع المختلفين فيه ليوفينهم جواب قسم محذوف واللام في لما موطئة
للقسم وما مزيدة والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم ربك اعمالهم من حسن وقبيح وايمان وجحود وقرئ وان
كلا بالتخفيف على اعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لاصلها الذي هو التثقيل وقرا ابي وان كل لما ليوفينهم
على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقراءة عبد الله مفسرة لها وان كل الا ليوفينهم وقرا الزهري وسليمان
ابن ارقم وان كلا لما ليوفينهم بالتنوين كقوله اكلا لما وان كلا ملومين بمعنى مجموعين كانه قيل وان كلا
جميعا كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير
فاستقم كما امرت فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي امرت بها على جادة الحق غير عادل عنها ومن تاب معك
معطوف على المستتر في استقم وانما جاز العطف عليه ولم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه والمعنى فاستقم انت
وليستقم من تاب عن الكفر وامن معك ولا تطغوا ولا تخرجوا عن حدود الدين انه بما تعملون بصير عالم
فهو مجازيكم به فاتقوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع القران اية
كانت اشد ولا اشق عليه من هذه الاية ولهذا قال شيبتني هود والواقعة واخواتهما وروي ان اصحابه قالوا
له لقد اسرع فيك الشيب فقال شيبتني هود وعن بعضهم رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت
له روي عنك انك قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت ما الذي شيبك منها اقصص الانبياء وهلاك الامم قال
ولكن قوله تعالى فاستقم كما امرت وعن جعفر الصادق رضي الله عنه فاستقم كما امرت قال افتقر الى الله بصحة العزم
ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون من اولياء ثم لا تنصرون قرئ ولا تركنوا بفتح الكاف وضمها
مع فتح التاء وعن ابي عمرو بكسر التاء وفتح الكاف على لغة تميم في كسرهم حروف المضارعة الا الياء في كل ما كان
من باب علم يعلم ونحوه قراءة من قرا فتمسكم النار بكسر التاء وقرا ابن ابي عبلة ولا تركنوا مبنيا للمفعول

من أدلته إذا مالوا والنهي متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع إليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم
والرضا بأعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين إلى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وتأمل قوله
ولا تركنوا فإن الركون هو الميل اليسير وقوله إلى الذين ظلموا أي الذين وجد منهم الظلم ولم يقل إلى الظالمين وحكي أن
الموفق صلى خلف الإمام فقرأ بهذه الآية فغشي عليه فلما أفاق قيل له فقال هذا فيمن ركن إلى من ظلم فكيف بالظالم
وعن الحسن رحمة الله عليه جعل الله الدين بين لاءين ولا تطغوا ولا تركنوا ولما خالط الزهري السلاطين كتب أخ له في
الدين عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو لك ويرحمك أصبحت شيخا كبيرا وقد
أثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء قال الله تعالى لتبيننه
للناس ولا تكتمونه واعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت أنك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي
بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين أدناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك
إلى بلائهم وسلما يصعدون فيك إلى ضلالهم يدخلون الشك بك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما أيسر ما عمروا
لك في جنب ما خربوا عليك وما أكثر ما أخذوا منك فيما أفسدوا عليك من دينك فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله
فيهم فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا فإنك تعامل من لا يجهل ويحفظ
عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا
في السماء والسلام وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه إلا القراء الزائرون للملوك وعن الأوزاعي ما من شيء
أبغض من عالم يزور عاملا وعن محمد بن مسلمة الذباب على العذرة أحسن من قارئ على باب هؤلاء وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه ولقد سئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلاك
في برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت وما لكم من دون الله من أولياء حال من قوله
فتمسكم النار أي فتمسكم النار وأنتم على هذه الحال ومعناه وما لكم من دون الله من أنصار يقدرون على منعكم من
عذابه ولا يقدر على منعكم منه غيره ثم لا تنصرون ثم لا ينصركم هو لأنه وجب في حكمته تعذيبكم وترك الإبقاء عليكم فإن
قلت فما معنى ثم قلت معناها الاستبعاد لأن النصرة من الله مستبعدة مع استيجابهم العذاب واقتضاء حكمته له
وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين طرفي النهار
غدوة وعشية وزلفا من الليل وهي ساعاته القريبة من آخر النهار من أزلفه إذا قربه وازدلف إليه وصلوة
الغدوة الفجر وصلوة العشية الظهر والعصر لأن ما بعد الزوال عشي وصلوة الزلف المغرب والعشاء
وانتصاب طرفي النهار على الظرف لأنهما مضافان إلى الوقت كقولك أقمت عنده جميع النهار وأتيته نصف النهار
وأوله وآخره تنصب هذا كله على إعطاء المضاف حكم المضاف إليه وقرئ وزلفا بضمتين وزلفا بسكون اللام وزلفى بوزن قربى فالزلف جمع زلفة كظلم
في ظلمة والزلف بالسكون نحو بسرة وبسر والزلف بضمتين نحو يسر في يسر والزلفى بمعنى الزلفة كما أن القربى
بمعنى القربة وهو ما يقرب من آخر النهار من الليل وقيل وزلفا من الليل وقربا من الليل وحقها على هذا التفسير أن تعطف على الصلوة
أي أقم الصلوة طرفي النهار وأقم زلفا من الليل وقيل وزلفا من الليل وقربا من الليل وحقها على هذا التفسير
أن تعطف على الصلوة أي أقم الصلاة طرفي النهار وأقم زلفا من الليل على معنى وأقم صلوات تتقرب بها إلى الله عز
وجل في بعض الليل إن الحسنات يذهبن السيئات فيه وجهان أحدهما أن يراد تكفير الصغائر بالطاعات وفي الحديث

أن

إن الصلوة إلى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر والثاني إن الحسنات يذهبن السيئات بأن يكن لطفا في تركها
كقوله تعالى إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل نزلت في أبي اليسر عمرو بن غزية الأنصاري كان يبيع التمر
فأتته امرأة فأعجبته فقال لها إن في البيت أجود من هذا التمر فذهب بها إلى بيته فضمها إلى نفسه وقبلها فقالت
له اتق الله فتركها وندم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما فعل فقال انتظر أمر ربي فلما صلى صلوة العصر
نزلت فقال أصليت العصر فقال نعم فقال اذهب فإنها كفارة لما عملت وروي أنه أتى أبا بكر رضي الله عنه فأخبره
فقال استر على نفسك وتب إلى الله فأتى عمر رضي الله عنه فقال له مثل ذلك ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت
فقال عمر أهذا له خاصة أم للناس عامة فقال بل للناس عامة وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له
توضأ وضوءا حسنا وصل ركعتين إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك إشارة إلى قوله فاستقم فما بعده ذكرى
للذاكرين عظة للمتعظين واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ثم كر إلى التذكير بالصبر بعد ما جاء بما هو خاتمة
للتذكير وهذا الكرور لفضل خصوصية ومزية وتنبيه على مكان الصبر ومحله كأنه قال وعليك بما هو أهم
مما ذكرت به وأقامه وأحق بالتوصية وهو الصبر على امتثال ما أمرت به والانتهاء عما نهيت عنه فلا يتم شيء
منه إلا به فإن الله لا يضيع أجر المحسنين جاء بما هو مشتمل على الاستقامة وإقامة الصلوة والانتهاء عن الطغيان
والركون إلى الظالمين والصبر وغير ذلك من الحسنات فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد
في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين فلولا كان من القرون فهلا كان
وقد حكوا عن الخليل كل لولا في القرآن فمعناها هلا إلا التي في الصافات وما صحت هذه الحكاية ففي غير
الصافات لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء ولولا رجال مؤمنون ولولا أن ثبتناك لقد كدت
تركن إليهم شيئا أولوا بقية أولو فضل وخير وسمي الفضل والجودة بقية لأن الرجل يستبقي مما يخرجه
أجوده وأفضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم أي من خيارهم وبه فسر
بيت الحماسة • إن تذنبوا ثم تأتيني بقيتكم • ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي
الرجال بقايا ويجوز أن تكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى أي فهلا كان منكم ذووا بقاء
على أنفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه وقرئ أولو بقية بوزن لقية من بقاه يبقيه إذا راقبه
وانتظره ومنه بقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم والبقية المرة من مصدره والمعنى فلولا كان منهم
أولو مراقبة وخشية من انتقام الله كأنهم ينتظرون إيقاعه بهم لإشفاقهم إلا قليلا استثناء منقطع معناه
ولكن قليلا ممن أنجينا من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركوا النهي ومن في ممن أنجينا حقها أن
تكون للبيان لا للتبعيض لأن النجاة إنما هي للناهين وحدهم بدليل قوله سبحانه وتعالى أنجينا الذين ينهون
عن السوء وأخذنا الذين ظلموا فإن قلت هل هذا الاستثناء متصلا وجه يحمل عليه قلت
إن جعلته متصلا على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسدا لأنه يكون تحضيضا لأولي البقية على النهي عن الفساد
إلا للقليل من الناجين منهم كما تقول هلا قرأ قومك القرآن إلا الصلحاء منهم تريد استثناء الصلحاء من
المحضضين على قراءة القرآن وإن قلت في تحضيضهم على النهي عن الفساد معنى نفيه عنهم فكأنه قيل ما كان من
القرون أولو بقية إلا قليلا كان استثناء متصلا ومعنى صحيحا وكان انتصابه على أصل الاستثناء وإن كان
الأفصح أن يرفع على البدل واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه أراد بالذين ظلموا تاركي النهي عن المنكرات أي لم

يهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعقدوا هممهم بالشهوات واتبعوا
ما عرفوا فيه التنعم والتترف من حب الرياسة والثروة وطلب أسباب العيش الهني ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه
وراء ظهورهم وقرأ أبو عمرو في رواية الجعفي وأتبع الذين ظلموا يعني واتبعوا جزاء ما أترفوا فيه ويجوز أن يكون المعنى
في القراءة المشهورة أنهم اتبعوا جزاء إترافهم وهذا معنى قوي لتقدم الإنجاء كأنه قيل إلا قليلا ممن أنجينا منهم وهلك
السائر فإن قلت علام عطف قوله واتبع الذين ظلموا قلت إن كان معناه واتبعوا الشهوات كان معطوفا على مضمر
لأن المعنى إلا قليلا ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا وإن كان معناه واتبعوا
جزاء الإتراف فالواو للحال كأنه قيل أنجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم فإن قلت فقوله وكانوا مجرمين
قلت على أترفوا أي اتبعوا الإتراف وكونهم مجرمين لأن تابع الشهوات مغمور بالآثام أو أريد بالإجرام إغفالهم
للشكر أو على اتبعوا أي اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين ويجوز أن يكون اعتراضا وحكما عليهم بأنهم قوم مجرمون وما
كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون كان بمعنى صح واستقام واللام لتأكيد النفي وبظلم حال من الفاعل
والمعنى واستحال في الحكمة أن يهلك الله القرى ظالما لها وأهلها قوم مصلحون تنزيها لذاته عن الظلم وإيذانا
بأن إهلاك المصلحين من الظلم وقيل الظلم الشرك ومعناه أنه لا يهلك القرى بسبب شرك أهلها وهم مصلحون
يتعاطون الحق فيما بينهم لا يضمون إلى شركهم فسادا آخر ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين
إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ولو شاء ربك لجعل
الناس أمة واحدة يعني لاضطرهم إلى أن يكونوا أهل أمة واحدة أي ملة واحدة وهي ملة الإسلام كقوله تعالى
إن هذه أمتكم أمة واحدة وهذا الكلام يتضمن نفي الاضطرار وأنه لم يضطرهم إلى الاتفاق على دين الحق ولكنه
مكنهم من الاختيار الذي هو أساس التكليف فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل فاختلفوا فلذلك قال
ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك إلا ناسا هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه
ولذلك خلقهم إشارة إلى ما دل عليه الكلام الأول وتضمنه يعني ولذلك من التمكين والاختيار الذي كان عنه الاختلاف
خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره وتمت كلمة ربك وهي قوله للملائكة
لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين لعلمه بكثرة من يختار الباطل وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت
به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين وكلا التنوين فيه عوض من المضاف إليه كأنه قيل
وكل نبأ نقص عليك ومن أنباء الرسل بيان لكل وما نثبت به فؤادك بدل من كلا ويجوز أن يكون المعنى
وكل اقتصاص نقص عليك على معنى وكل نوع من الاقتصاص نقص عليك يعني على الأساليب المختلفة وما نثبت به
مفعول نقص عليك ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه وما فيه طمأنينة قلبه لأن تكاثر الأدلة أثبت للقلب
وأرسخ للعلم وجاءك في هذه الحق أي في هذه السورة أو في هذه الأنباء المقتصة فيها ما هو حق وموعظة وذكرى
وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون وانتظروا إنا منتظرون وقل للذين لا يؤمنون من أهل
مكة وغيرهم اعملوا على حالكم وجهتكم التي أنتم عليها إنا عاملون وانتظروا بنا الدوائر أن ينزل بكم نحو ما اقتص
الله من النقم النازلة بأشباهكم ولله غيب السماوات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه
وما ربك بغافل عما تعملون ولله غيب السماوات والأرض لا تخفى عليه خافية مما يجري فيهما فلا يخفى عليه أعمالكم
وإليه يرجع الأمر كله فلا بد أن يرجع إليه أمرهم وأمرك فينتقم لك منهم فاعبده وتوكل عليه فإنه كافيك وكافلك

وما

وما ربك بغافل عما يعملون وقرئ تعملون بالتاء أي أنت وهم على تغليب المخاطب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
هود أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابرهيم وموسى عليهم
الصلاة والسلام وكان يوم القيمة من السعداء إن شاء الله تعالى . والله تعالى أعلم بالصواب

سورة يوسف مكية | بسم الله الرحمن الرحيم | وهي مائة وإحدى عشرة آية

الر تلك آيات الكتاب المبين تلك إشارة إلى آيات السورة والكتاب المبين السورة أي تلك الآيات التي أنزلت إليك في
هذه السورة آيات السورة الظاهر أمرها في إعجاز العرب وتبكيتهم أو التي تبين لمن تدبرها أنها من عند الله لا من
البشر أو الواضحة التي لا يشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم أو قد أبين فيها ما سألت عنه اليهود من
قصة يوسف عليه الصلاة والسلام فقد روي أن علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب
من الشام إلى مصر وعن قصة يوسف عليه الصلاة والسلام إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون أنزلناه
أي أنزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه قرآنا عربيا وسمي بعض القرآن قرآنا لأن القرآن اسم
جنس يقع على كله وبعضه لعلكم تعقلون إرادة أن تفهموه وتحيطوا بمعانيه ولا تلتبس عليكم ولو جعلناه
قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من
قبله لمن الغافلين القصص على وجهين يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث يقصه قصصا كقولك
شله يشله شللا إذا طرده ويكون فعلا بمعنى مفعول كالنفض والحسب ونحو النبأ والخبر في معنى المنبأ به والمخبر
ويجوز أن يكون من تسمية المفعول بالمصدر كالخلق والصيد فإن أريد المصدر فمعناه نحن نقص عليك أحسن
الاقتصاص بما أوحينا إليك هذا القرآن أي بإيحائنا إليك هذه السورة على أن يكون أحسن منصوبا بنصب المصدر
لإضافته إليه ويكون المقصوص محذوفا لأن قوله تعالى بما أوحينا إليك هذا القرآن مغن عنه ويجوز أن ينتصب
هذا القرآن بنقص عليك كأنه قيل نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص هذا القرآن بإيحائنا إليك والمراد بأحسن
الاقتصاص أنه اقتص على أبدع طريقة وأعجب أسلوب ألا ترى أن هذا الحديث مقتص في كتب الأولين وفي
كتب التواريخ ولا ترى اقتصاصه في كتاب منها مقاربا لاقتصاصه في القرآن وإن أريد بالقصص المقصوص فمعناه
نحن نقص عليك أحسن ما يقص من الأحاديث وإنما كان أحسنه لما يتضمن من العبر والنكت والحكم والعجائب
التي ليست في غيرها والظاهر أنه أحسن ما يقتص في بابه كما يقال في الرجل هو أعلم الناس وأفضلهم يراد في فنه
فإن قلت مم اشتقاق القصص قلت من قص أثره إذا اتبعه لأن الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ
منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القرآن إذا قرأه لأنه يتلو أي يتبع ما حفظ منه آية بعد آية وإن كنت إن مخففة
من الثقيلة واللام هي التي تفرق بينها وبين النافية والضمير في قبله راجع إلى قوله تعالى ما أوحينا والمعنى
والمعنى إن الشأن والحديث كنت من قبل إيحائنا إليك من الغافلين عنه أي من الجاهلين به ما كان لك فيه علم
قط ولا طرق سمعك طرف منه إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين
إذ قال يوسف بدل من أحسن القصص وهو بدل الاشتمال لأن الوقت مشتمل على القصص وهو المقصوص فإذا قص وقته
فقد قص أو بإضمار اذكر ويوسف اسم عبراني وقيل عربي وليس بصحيح لأنه لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب

أخرى وهي التعريف فإن قلت فما تقول فيمن قرأ يوسف بكسر السين أو يوسف بفتحها هل يجوز على قراءته أن يقال هو عربي
لأنه على وزن المضارع المبني للفاعل والمفعول من آسف وإنما منع الصرف للتعريف ووزن الفعل قلت لا
لأن القراءة المشهورة قامت بالشهادة على أن الكلمة أعجمية فلا تكون عربية تارة وأعجمية أخرى ونحو يوسف
يونس رويت فيه هذه اللغات الثلاث ولا يقال هو عربي لأنه في لغتين منهما بوزن المضارع من آنس وأونس
وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا قيل من الكريم فقولوا الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحق بن
إبرهيم عليهم الصلاة والسلام يا أبت قرئ بالحركات الثلاث فإن قلت ما هذه التاء قلت تاء تأنيث وقعت عوضاً
من ياء الإضافة والدليل على أنها تاء تأنيث قلبها هاء في الوقف فإن قلت كيف جاز إلحاق تاء التأنيث
بالمذكر قلت كما جاز نحو قولك حمامة ذكر وشاة ذكر ورجل ربعة وغلام يفعة فإن قلت فلم ساغ
تعويض تاء التأنيث من ياء الإضافة قلت لأن التأنيث والإضافة يتناسبان في أن كل واحد منهما زيادة مضمومة
إلى الاسم في آخره فإن قلت فما هذه الكسرة قلت هي الكسرة التي كانت قبل الياء في قولك يا أبي قد زحلقت
إلى التاء لاقتضاء تاء التأنيث أن يكون ما قبلها مفتوحاً فإن قلت فما بال الكسرة لم تسقط بالفتحة التي اقتضتها
التاء وتبقى التاء ساكنة قلت امتنع ذلك فيها لأنها اسم والأسماء حقها التحريك لأصالتها في الإعراب وإنما
جاز تسكين الياء وأصلها أن تحرك تخفيفاً لأنها حرف لين وأما التاء فحرف صحيح نحو كاف الضمير فلزم
تحريكها فإن قلت يشبه الجمع بين شيئين والتاء عوض من أحد الشيئين وهو الياء والكسرة غير متعرض لها فلا يجمع بين
العوض والمعوض منه إلا إذا جمع بين التاء والياء لا غير ألا ترى إلى قولهم يا أبتا مع كون الألف فيه بدلاً من
الياء كيف جاز الجمع بينها وبين التاء ولم يعد ذلك جمعاً بين العوض والمعوض منه فالكسرة أبعد من ذلك قلت
فقد دلت الكسرة في يا غلام على الإضافة لأنها قرينة الياء ولصيقتها فإن دلت على مثل ذلك في يا أبت فالتاء المعوضة
لغو وجودها كعدمها قلت بل حالها مع التاء كحالها مع الياء إذا قلت يا أبي فإن قلت فما وجه من قرأ
بفتح التاء وضمها قلت أما من فتح فقد حذف الألف من يا أبتا واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء
في يا غلام ويجوز أن يقال حركها بحركة الياء المعوض منها في قولك يا أبي وأما من ضم فقد رأى اسماً في آخره
تاء تأنيث فأجراه مجرى الأسماء المؤنثة بالتاء فقال يا أبت كما تقول يا ثبة من غير اعتبار لكونها عوضاً من ياء
الإضافة وقرئ إني رأيت بتحريك الياء وأحد عشر بسكون العين تخفيفاً لتوالي المتحركات فيما هو في حكم اسم
واحد وكذلك إلى تسعة عشر إلا اثني عشر لئلا يلتقي ساكنان ورأيت من الرؤيا لا من الرؤية لأن ما ذكره معلوم
أن الشمس والقمر لو اجتمعا مع الكواكب ساجدة ليوسف في حال اليقظة لكانت آية عظيمة ليعقوب عليه الصلاة
والسلام ولما خفيت عليه وعلى الناس فإن قلت ما أسماء تلك الكواكب قلت روى جابر رضي الله عنه أن يهودياً
جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أخبرني عن النجوم التي رآهن يوسف فسكت رسول الله عليه الصلاة
والسلام فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام فأخبره بذلك فقال صلى الله عليه وسلم لليهودي إن أخبرتك هل تسلم
قال نعم قال جربان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ
ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي أي
والله إنها لأسماؤها وقيل الشمس والقمر أبواه وقيل أبوه وخالته والكواكب إخوته وعن وهب أن يوسف عليه
الصلاة والسلام رأى وهو ابن سبع سنين أن إحدى عشرة عصا طوالاً كانت مركوزة في الأرض كهيئة الدارة وإذا

عصا صغيرة تثبت عليها حتى اقتلعتها او غلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم رأى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال له لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون فان قلت لم اخر الشمس والقمر قلت ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص بيانا لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما كما اخر جبريل وميكائيل من الطوالع كما اخر جبريل وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما عليها لذلك ويجوز ان تكون الواو بمعنى مع اي رأيت الكواكب مع الشمس والقمر فان قلت ما معنى تكرار رأيت قلت ليس بتكرار انما هو كلام مستأنف على تقدير سؤاله وقع جوابا له كأن يعقوب عليه الصلاة والسلام قال له عند قوله اني رأيت احد عشر كوكبا كيف رأيتها سائلا عن حال رؤيتها فقال رأيتهم لي ساجدين فان قلت لم اجريت مجرى العقلاء في رأيتهم ساجدين قلت لانه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود اجري عليها حكمهم كأنها عاقلة وهذا كثير شائع في كلامهم ان يلابس الشيء الشيء من بعض الوجوه فيعطى حكما من احكامه اظهارا لاثر الملابسة والمقاربة قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين عرف يعقوب عليه الصلاة والسلام دلالة الرؤيا على ان يوسف يبلغه الله مبلغا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بآبائه فخاف عليه حسد الاخوة وبغيهم والرؤيا بمعنى الرؤية الا انها مختصة بما كان منها في المنام دون اليقظة فرق بينهما بحرفي التأنيث كما قيل القربة والقربى وقرئ رؤياك بقلب الهمزة واوا وسمع الكسائي رياك بالادغام وضم الراء وكسرها وهي ضعيفة لان الواو في تقدير الهمزة فلا يقوى ادغامها كما لم يقو الادغام في قولهم اتزر من الازار واتجر من الاجر فيكيدوا منصوب باضمار ان والمعنى ان قصصتها عليهم كادوك فان قلت هلا قيل فيكيدوك كما قيل فكيدوني قلت ضمن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى فعل الكيد مع افادة معنى الفعل المضمن فيكون آكد وابلغ في التخويف وذلك نحو فيحتالوا لك الا ترى الى تأكيده بالمصدر عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحواء عليهما الصلاة والسلام ولقوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم فهو يحمل على الكيد والمكر وكل شر ليورط من يحمله ولا يؤمن ان يحملهم على مثله وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل ابرهيم واسحق ان ربك عليم حكيم وكذلك ومثل ذلك الاجتباء يجتبيك ربك يعني وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكبرياء شان يجتبيك ربك لامور عظام وقوله تعالى ويعلمك كلام مبتدأ غير داخل في حكم التشبيه كأنه قيل وهو يعلمك ويتم نعمته عليك والاجتباء الاصطفاء افتعال من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك وجبيت الماء في الحوض جمعته والاحاديث الرؤى لان الرؤيا اما حديث نفس او ملك او شيطان وتأويلها عبارتها وتفسيرها وكان يوسف عليه الصلاة والسلام اعبر الناس للرؤيا واصحهم عبارة لها ويجوز ان يراد بتأويل الاحاديث معاني كتب الله وسنن الانبياء وما غمض واشتبه على الناس من اغراضها ومقاصدها يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم على مودعات حكمها وسميت احاديث لانه يحدث بها عن الله ورسله فيقال قال الله وقال الرسول كذا وكذا الا ترى الى قوله تعالى فباي حديث بعده يؤمنون الله نزل احسن الحديث وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع احدوثة ومعنى اتمام النعمة عليهم انه وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة بان جعلهم انبياء في الدنيا وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى في الجنة وقيل اتمها على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج

يعقوب والاسباط من صلبه وقيل علم يعقوب عليه الصلاة والسلام ان يوسف يكون نبيا واخوته انبياء استدلالا بضوء
الكواكب فلذلك قال وعلى آل يعقوب وقيل لما بلغت الرؤيا اخوة يوسف وقالوا ما رضي ان يسجد له اخوته حتى سجد له
ابواه وقيل كان يعقوب مؤثرا له بزيادة المحبة والشفقة لصغره ولما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه
فلما راى الرؤيا ضاعف له المحبة وكان يضمه كل ساعة الى صدره ولا يصبر عنه فتبالغ فيهم الحسد وقيل لما قص رؤياه
على يعقوب قال هذا امر مشتت يجمعه الله لك بعد دهر طويل وآل يعقوب اهله وهم نسله وغيرهم واصل آل اهل بدليل
تصغيره على اهيل الا انه لا يستعمل الا فيمن له خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحائك ولا آل الحجام ولكن اهلهما
واراد بالابوين الجد وابا الجد لانهما في حكم الاب في الاصالة ومن ثم يقولون ابن فلان وان كان بينه وبين فلان عدة
وابراهيم واسحق عطف بيان لابويك ان ربك حكيم عليم يعلم من يحق له الاجتباء حكيم لا يتم نعمته الا على من يستحقها
لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين في يوسف واخوته اي في قصتهم وحديثهم آيات علامات ودلائل على قدرة
الله وحكمته في كل شيء للسائلين لمن سال عن قصتهم وعرفها وقيل آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سالوه من اليهود
عنها فاخبرهم بالصحة من غير سماع من احد ولا قراءة كتاب وقرئ آية وفي بعض المصاحف عبرة وقيل انما قص الله على
النبي صلى الله عليه وسلم لما راى من بغي قومه ليتاسى به وقيل اساميهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي
وزبالون ويشجر ودينة ودان ونفتالي وجاد واشر السبعة الاولون كانوا من ليا بنت خالة يعقوب
عليه الصلاة والسلام والاربعة الآخرون من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج اختها راحيل
فولدت له بنيامين ويوسف اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين
ليوسف اللام لام الابتداء وفيها تاكيد وتحقيق لمضمون الجملة ارادوا ان زيادة محبته لهما امر ثابت لا شبهة فيه
واخوه هو بنيامين وانما قالوا اخوه وهم جميعا اخوته لان امهما كانت واحدة وقيل احب في الاثنين لان افعل
من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث اذا كان معه من ولا بد من الفرق مع لام التعريف
واذا اضيف جاز الامران والواو في ونحن عصبة واو الحال يعني انه يفضلهما في المحبة علينا وهما اثنان صغيران
لا كفاية بهما ولا منفعة ونحن جماعة عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه ونحن احق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة
والمنفعة عليهما ان ابانا لفي ضلال مبين اي في ذهاب عن طريق الصواب في ذلك والعصبة والعصابة العشرة
فصاعدا وقيل الى الاربعين سموا بذلك لانهم جماعة تعصب بهم الامور ويستكفون النوائب وروى النزال بن
سبرة عن علي رضي الله عنهما ونحن عصبة بالنصب وقيل معناه ونحن نجتمع عصبة وعن ابن الانباري هذا كما تقول
العرب انما العامري عمته اي يتعهد عمته اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من
بعده قوما صالحين اقتلوا يوسف من جملة ما حكي بعد قوله اذ قالوا كانهم قالوا اطبقوا على ذلك الا من قال
لا تقتلوا يوسف وقيل الآمر بالقتل شمعون وقيل دان والباقون كانوا راضين فجعلوا آمرين ارضا ارضا منكورة
مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها واخلائها من الوصف ولابهامها من هذا الوجه نصبت نصب
الظروف المبهمة يخل لكم وجه ابيكم يقبل عليكم اقبالة واحدة لا يلتفت عنكم الى غيركم والمراد سلامة محبته
لهم ممن يشاركهم فيها وينازعهم اياها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم لان الرجل اذا اقبل على الشيء اقبل بوجهه
ويجوز ان يراد بالوجه الذات كما قال تعالى ويبقى وجه ربك وقيل يخل لكم يفرغ لكم من الشغل بيوسف من بعده
من بعد يوسف اي من بعد كفايته بالقتل او التغريب او يرجع الضمير الى مصدر اقتلوا او اطرحوا قوما صالحين تائبين

الى

الى الله مما جنيتم عليه تعالى او يصلح ما بينكم وبين ابيكم بعذر تمهدونه او تصلح دنياكم وتنتظم اموركم بعده بخلو وجه
ابيكم وتكونوا اما مجزوم واما منصوب باضمار ان والواو بمعنى مع كقوله تعالى وتكتموا الحق قال قائل منهم لا تقتلوا
يوسف والقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين قائل منهم هو يهوذا وكان احسنهم فيه رايا وهو الذي
قال فلن ابرح الارض قال لهم القتل عظيم القوه في غيابة الجب وهو غوره وما غاب منه عن عين الناظر واظلم من
اسفله قال المنخل

ان انا يوما غيبتني غيابتي • فسيروا بسيري في العشيرة والاهل

اراد غيابة حفرته التي يدفن فيها وقرئ غيابات على الجمع وغيابات بالتشديد وقرأ الجحدري في غيبة والجب
البئر لم تطو لان الارض تجب جبا لا غير يلتقطه يأخذه بعض السيارة بعض الاقوام الذين يسيرون في الطريق وقرئ
تلتقطه بالتاء على المعنى لان بعض السيارة سيارة كقوله • كما شرقت صدر القناة من الدم • ومنه ذهبت بعض
اصابعه ان كنتم فاعلين ان كنتم على ان تفعلوا ما يحصل به غرضكم فهذا هو الراي قالوا يا ابانا ما لك لا تأمنا
على يوسف وانا له لناصحون ما لك لا تأمنا قرئ باظهار النونين وبالادغام باشمام وبغير اشمام وتيمنا بكسر التاء
مع الادغام والمعنى لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونحبه ونشفق عليه وما وجدت منا في بابه ما يدل على خلاف
النصيحة والمقة وارادوا بذلك لما عزموا على كيد يوسف استنزاله عن رايه وعادته في حفظه منهم وفيه
دليل على انه احس منهم بما اوجب ان لا يأمنهم عليه ارسله معنا غدا نرتع ونلعب وانا له لحافظون نرتع نتسع في
اكل الفواكه وغيرها واصل الرتعة الخصب والسعة وقرئ نرتع من ارتعى يرتعي وقرئ نرتع ونلعب بالياء ويرتع
من ارتع ماشيته وقرئ العلاء بن سيابة يرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء فان قلت كيف استجاز لهم
يعقوب عليه الصلاة والسلام قلت كان لعبهم الاستباق والانتضال ليضروا انفسهم بما يحتاج اليه لقتال
العدو لا اللهو بدليل قوله تعالى انا ذهبنا نستبق وانما سموه لعبا لانه في صورته قال اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف
ان يأكله الذئب وانتم عنه غافلون ليحزنني اللام لام الابتداء كقوله تعالى ان ربك ليحكم بينهم ودخولها
ما ذكره سيبويه من شبه المضارعة اعتذر اليهم بشيئين احدهما ان ذهابهم به ومفارقته اياه مما يحزنه لانه كان لا يصبر
عنه ساعة والثاني خوفه عليه من عدوة الذئب اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم او قل به اهتمامهم ولم تصدق بحفظه عنا
وقيل راى في النوم ان الذئب قد شد على يوسف فكان يحذره فمن ثم قال ذلك فلقنهم العلة وفي امثالهم البلاء موكل
بالمنطق وقرئ الذئب بالهمز على الاصل وبالتخفيف وقيل اشتقاقه من تذاءبت الريح اذا اتت من كل جهة قالوا لئن
اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون القسم محذوف تقديره والله لئن اكله الذئب واللام موطئة للقسم و
وقوله تعالى انا اذا لخاسرون جواب مجزئ عن جزاء الشرط والواو في ونحن عصبة واو الحال حلفوا له لئن كان ما خافه
من خطفة الذئب اخاهم من بينهم وحالهم انهم عشرة رجال بمثلهم تعصب الامور وتكفى الخطوب انهم اذا لقوم خاسرون
اي هالكون ضعفا وخورا وعجزا او مستحقون ان يهلكوا لانه لا غناء عندهم ولا جدوى في حيوتهم ومستحقون لان يدعى
عليهم بالخسار والدمار وان يقال خسرهم الله ودمرهم حين اكل الذئب بعضهم وهم حاضرون وقيل ان لم نقدر
على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا اذا وخسرناها فان قلت قد اعتذر اليهم بعذرين فلم اجابوا عن احدهما
دون الآخر قلت هو الذي كان يغيظهم ويذيقهم الامرين فاعاروه اذنا صما ولم يعبأوا به فلما ذهبوا به واجمعوا
ان يجعلوه في غيابة الجب واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون وجاؤا اباهم عشاء يبكون

بينهم

أن يجعلوه مفعول أجمعوا من قولك أجمع الأمر وأزمعه فأجمعوا أمركم وقرئ في غيابات الجب • قيل هو بئر المقدس وقيل
بأرض الأردن نهر بفلسطين وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلثة فراسخ من منزل يعقوب وجواب لما محذوف ومعناه
فعلوا به ما فعلوا من الأذى فقد روي أنهم لما برزوا به إلى البرية أظهروا له العداوة وأخذوا يهينونه ويضربونه وكلما
استغاث بواحد منهم لم يغثه إلا بالإهانة والضرب حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح يا أبتاه لو تعلم ما يصنع بابنك أولاد
الإماء • فقال يهوذا أما أعطيتموني موثقا أن لا تقتلوه فلما أرادوا إلقاءه في الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يديه فتعلق
بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا إخوتاه ردوا علي قميصي أتوارى به وإنما نزعوه ليلطخوه بالدم •
ويحتالوا به على أبيهم فقالوا له ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكبا تؤنسك ودلوه في البئر • فلما بلغ نصفها ألقوه
ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم آوى إلى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن أنها رحمة أدركتهم فأجابهم
فأرادوا أن يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يهوذا يأتيه بالطعام • ويروى أن إبراهيم صلوات الله عليه حين ألقي
في النار جرد عن ثيابه أتاه جبريل عليه الصلاة والسلام بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه فدفعه إبراهيم إلى إسحق
وإسحق إلى يعقوب صلوات الله عليهم فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف فجاءه جبريل فأخرجه وألبسه إياه وأوحينا
إليه قيل أوحي إليه في الصغر كما أوحي إلى يحيى وعيسى عليه الصلاة والسلام وقيل كان إذ ذاك مدركا • وعن الحسن رحمه الله
كان له سبع عشرة سنة • لتنبئنهم بأمرهم هذا وإنما أوحي إليه ليونس في الظلمة والوحشة ويبشر بما يؤول إليه أمره
ومعناه لتتخلص مما أنت فيه ولتحدثن إخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون أنك يوسف لعلو شأنك وكبرياء سلطانك
وبعد حالك عن أوهامهم ولطول العهد المبدل للهيئات والأشكال وذلك أنهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم
له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال إنه ليخبرني هذا الجام أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له
يوسف وكان يدنيه دونكم وأنكم انطلقتم به وألقيتموه في غيابة الجب وقلتم لأبيكم أكله الذئب وبعتموه بثمن بخس
ويجوز أن يتعلق وهم لا يشعرون بقوله تعالى وأوحينا على أنا آنسناه بالوحي وأزلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون
ذلك ويحسبون أنه مرهق مستوحش لا أنيس له • وعن الحسن رحمة الله عليه عشيا على تصغير عشي يقال لقيته عشيا
وعشيانا وأصيلا وأصيلانا ورواه ابن جني عشا بضم العين والقصر وقال ابن جني عشوا من البكاء • وروي أن امرأة
حاكمت إلى شريح فبكت فقال له الشعبي يا أبا أمية أما تراها تبكي قال جاء إخوة يوسف يبكون وهم ظلمة ولا ينبغي لأحد
أن يقضي إلا بما أمر أن يقضي به من السنة المرضية قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله
الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وروي أنه لما سمع صوتهم فزع وقال ما لكم يا بني هل أصابكم في
غنمكم شيء قالوا لا قال فما لكم وأين يوسف قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق أي نتسابق والافتعال والتفاعل يشتركان
كالانتضال والتناضل والارتماء والترامي وغير ذلك والمعنى نتسابق في العدو أو في الرمي وجاء في التفسير
ننتضل بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين ولو كنا عندك من أهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف
فكيف وأنت سيئ الظن بنا غير واثق بقولنا وجاؤوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل
والله المستعان على ما تصفون بدم كذب أي ذي كذب أو وصف بالمصدر مبالغة كأنه نفس الكذب وعينه
كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته ونحوه • فهن جود وأنتم به بخل • وقرئ كذبا نصب
نصبا على الحال بمعنى جاؤوا به كاذبين ويجوز أن يكون مفعولا له وقرأت عائشة رضي الله عنها كدب بالدال
غير المعجمة أي كدر وقيل طري وقال ابن جني أصله من الكدب وهو الفوف البياض الذي يخرج على أظفار الأحداث

كأنه دم كذب في قميصه روي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه وروي ان يعقوب لما سمع بخبر يوسف
صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رأيت
كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف عليه السلام ثلث آيات كان دليلا
ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبر فان قلت
على قميصه ما محله قلت محله النصب على الظرف كانه قيل فوق قميصه بدم كما تقول جاء على جماله باحماله فان قلت
هل يجوز ان يكون حالا متقدمة قلت لا لان حال المجرور لا تتقدم عليه قال بل سولت سهلت من السول وهو الاسترخاء
اي سهلت لكم انفسكم امرا عظيما ارتكبتموه من يوسف وهونته في اعينكم فاستدل على فعلهم به بما كان يعرف من حسدهم
وبسلامة القميص او اوحي اليه بانهم قصدوه فصبر جميل خبر ومعناه لا شكوى فيه او مبتدأ لكونه موصوفا اي فامري
صبر جميل او فصبر جميل اجمل وفي قراءة أبي فصبرا جميلا والصبر الجميل جاء في الحديث المرفوع انه الذي
لا شكوى فيه ومعناه لا شكوى فيه الى الخلق الا ترى الى قوله تعالى انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل لا اعايشكم
على كآبة الوجه بل اكون لكم كما كنت وقيل سقط حاجبا يعقوب على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا
فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب أتشكوني قال يا رب خطيئة فاغفرها لي والله
المستعان استعينه على احتمال ما تصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزية فيه وجاءت سيارة فارسلوا واردهم
فادلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام واسروه [illegible] والله عليم بما يعملون وجاءت سيارة رفقة يسيرون من قبل
مدين الى مصر وذلك بعد ثلثة ايام من القاء يوسف في الجب فاخطأوا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب في قفرة بعيدة
من العمران لم يكن الا للرعاة وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه يوسف فارسلوا واردهم رجلا يقال له مالك بن ذعر
الخزاعي ليطلب لهم الماء والوارد الذي يرد الماء ليستقي للقوم يا بشرى نادى البشرى كأنه يقول تعالى فهذا من
اوانك وقرئ يا بشراي على اضافتها الى نفسه وقرأ الحسن وغيره يا بشري بالياء مكان الالف جعلت الياء بمنزلة
الكسرة قبل ياء الاضافة وهي لغة للعرب مشهورة سمعت اهل السروات يقولون في دعائهم يا سيدي ومولي
وعن نافع يا بشراي بالسكون وليس بالوجه لما فيه من التقاء الساكنين على غير حده الا ان يقصد الوقف فادلى دلوه
اي ارسلها في الجب فتعلق يوسف بالحبل فلما خرج اذا هو بغلام احسن ما يكون فقال يا بشراي هذا غلام وقيل
ذهب فلما دنا من اصحابه صاح بذلك يبشرهم به واسروه الضمير للوارد واصحابه اخفوه من الرفقة اخفوا امره
ووجدانهم له في الجب وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الضمير لاخوة
يوسف وانهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد ابق منا وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه بضاعة نصب على الحال اي
اخفوه متاعا للتجارة والبضاعة ما بضع من المال للتجارة اي قطع والله عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم وهو
وعيد لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم او وان الله عليم بما يعمل اخوة يوسف بابيهم واخيهم من سوء الصنيع وشروه بثمن
بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين وشروه وباعوه بثمن بخس مبخوس ناقص عن القيمة نقصانا ظاهرا
او زيف ناقص العيار دراهم لا دنانير معدودة قليلة فانها تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا لا يزنون الا ما بلغ الاوقية
وهي الاربعون ويعدون ما دونها وقيل للقليلة معدودة لان الكثيرة يمتنع من عدها لكثرتها وعن ابن عباس
رضي الله عنهما كانت عشرين درهما وعن السدي اثنين وعشرين وكانوا فيه من الزاهدين ممن يرغب عما في يده
فيبيعه بما طلب من الثمن لانهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به لا يبالي بما باعه ولانه يخاف ان يعرض له مستحق ينتزعه

بيع فيبيعه من أول مساوم بأوكس الثمن ويجوز أن تكون معنى وشروه واشتروه يعني الرفقة من إخوته وكانوا فيه من
الزاهدين لأنهم اعتقدوا أنه آبق فخافوا أن يخطروا بمالهم فيه ويروى أن إخوته اتبعوهم يقولون استوثقوا منه
لا يأبق وقوله فيه ليس من صلة الزاهدين لأن الصلة لا تتقدم على الموصول لأنك لا تقول وكان زيداً من الضاربين
وإنما هو بيان كأنه قيل في أي شيء زهدوا فقال زهدوا فيه وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن
ينفعنا أو نتخذه ولداً وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس
لا يعلمون الذي اشتراه قيل هو قطفير أو إطفير وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من
العماليق وقد آمن بيوسف ومات في حياته فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف عليه الصلاة والسلام
إلى الإسلام فأبى واشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة وأقام في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد
وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل
كان الملك في أيامه فرعون موسى عاش أربعمائة سنة بدليل قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف وقيل اشتراه العزيز بعشرين ديناراً
وزوجي نعل وثوبين أبيضين وقيل أدخلوه السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكاً وورقاً وحريراً
فابتاعه قطفير بذلك المبلغ أكرمي مثواه اجعلي منزله ومقامه عندنا كريماً أي حسناً مرضياً بدليل قوله تعالى إنه ربي
أحسن مثواي والمراد تفقديه بالإحسان وتعهديه بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا ساكنة في كنفنا ويقال
للرجل كيف أبو مثواك وأم مثواك لمن ينزل به من رجل وامرأة يراد هل تطيب نفسك بثوائك عنده وهل يراعي حق نزولك
به واللام في لامرأته متعلقة بقال لا باشتراه أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا لعله إذا تدرب وراض الأمور وفهم مجاريها
نستظهر به على ما نحن ٢ فينفعنا فيه بكفايته وأمانته أو نتخذه ولداً نتبناه ونقيمه مقام الولد وكان قطفير عقيماً لا يولد له
وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك وقيل أفرس الناس ثلاثة العزيز حين تفرس في يوسف فقال لامرأته أكرمي مثواه
عسى أن ينفعنا والمرأة التي أتت بموسى وقالت لأبيها يا أبت استأجره وأبو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما وروي
أنه سأله عن نفسه فأخبره بنسبه فعرفه وكذلك إشارة إلى ما تقدم من الإنجاء وعطف قلب العزيز عليه والكاف
منصوب تقديره ومثل الإنجاء والعطف مكنا له أي كما أنجيناه هذا الكاف منصوب تقديره وعطفنا عليه العزيز
كذلك مكناه في أرض مصر وجعلناه ملكاً يتصرف فيها بأمره ونهيه ولنعلمه من تأويل الأحاديث كان ذلك الإنجاء والتمكين
لأن غرضنا ليس إلا ما تحمد عاقبته من علم وعمل والله غالب على أمره على أمر نفسه تعالى لا يمنع عما يشاء ولا ينازع ما يريده
ويقضي أو على أمر يوسف يدبره لا يكله إلى غيره فقد أراد إخوته به ما أرادوا ولم يكن إلا ما أراد الله ودبره ولكن
أكثر الناس لا يعلمون أن الأمر كله بيد الله ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين قيل في الأشد ثماني عشرة
سنة وعشرون وثلاث وثلاثون وأربعون وقيل أقصاه ثنتان وستون حكماً حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل واجتناب ما
يجهل فيه وقيل حكماً بين الناس وفقهاً وكذلك نجزي المحسنين تنبيهاً على أنه كان محسناً في عمله متقياً في عنفوان أمره
وأن الله تعالى آتاه الحكم والعلم جزاء على إحسانه وعن الحسن رحمه الله عليه من أحسن عبادة ربه في شبيبته آتاه
الحكمة في اكتهاله وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ
الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون المراودة مفاعلة من راد يرود إذا جاء وذهب كأن المعنى خادعته
عن نفسه أي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد أن يخرجه من يده يحتال أن يغلبه عليه ويأخذه
منه وهي عبارة عن التمحل لمواقعته إياها وغلقت الأبواب قيل كانت سبعة وقرئ هيت بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء

بلغ مقابلة

بلغ مقابلة

وهيت لك ، واللام من صلة الفعل ، وأما في الأصوات فللبيان ، كأنه قيل لك أقول هذا كما تقول هلم لك . معاذ الله أعوذ
بالله معاذاً . انه ان الشأن والحديث ربي سيدي ومالكي يريد قطفير أحسن مثواي حين قال لك أكرمي مثواه فما جزاؤه أن
أخلفه في أهله سوء الخلافة وأخونه فيهم . انه لا يفلح الظالمون الذين يجازون الحسن بالسيء ، وقيل أراد الزناة لأنهم ظالموا
أنفسهم ، وقيل أراد الله تعالى لأنه مسبب الأسباب . ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه
السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين هم بالأمر إذا قصده وعزم عليه قال

هممت ولم أفعل وكدت وليتني ، تركت على عثمان تبكي حلائله

ومنه قولك لا أفعل ذلك ولا كيداً ولا هماً ، أي ولا أكاد أن أفعله كيداً ولا أهم بفعله هماً حكاه سيبويه . ومنه الهمام وهو
الذي إذا هم بأمر أمضاه ولم ينكل عنه . وقوله همت به معناه ولقد همت بمخالطته وهم بها وهم بمخالطتها
لولا أن رأى برهان ربه جوابه محذوف تقديره لولا أن رأى برهان ربه لخالطها فحذف لأن قوله وهم بها يدل عليه
كقولك هممت بقتله لولا أني خفت الله معناه لولا أني خفت الله لقتلته . فإن قلت كيف جاز على نبي الله أن يكون منه
هم بالمعصية وقصد إليها قلت المراد أن نفسه مالت إلى المخالطة ونازعت إليها عن شهوة الشباب وقرمه ميلاً
يشبه الهم به والقصد إليه وكما تقتضيه صورة تلك الحال التي تكاد تذهب بالعقول والعزائم وهو يكسر ما به ويرده
بالنظر في برهان الله المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى هماً لشدته
لما كان صاحبه ممدوحاً عند الله بالامتناع لأن استعظام الصبر على الابتلاء على حسب عظم الابتلاء وشدته ولو كان
همه كهمها عن عزيمة لما مدحه الله بأنه من عباده المخلصين ويجوز أن يريد بقوله وهم بها وشارف أن يهم بها كما
يقول الرجل قتلته لو لم أخف الله يريد مشارفة القتل ومشافهته كأنه شرع فيه . فإن قلت قوله تعالى وهم بها
داخل تحت حكم القسم في قوله ولقد همت به أم هو خارج منه قلت الأمران جائزان ومن حق القارئ إذا قدر خروجه
من حكم القسم وجعله كلاماً برأسه أن يقف على قوله ولقد همت به ويبتدئ قوله وهم بها لولا أن رأى
برهان ربه وفيه أيضاً إشعار بالفرق بين الهمين . فإن قلت لم جعلت جواب لولا محذوفاً يدل عليه وهم بها
وهلا جعلته هو الجواب مقدماً قلت لأن لولا لا يتقدم عليها جوابها من قبل أنه في حكم الشرط وللشرط صدر
الكلام وهو مع ما في حيزه من الجملتين مثل كلمة واحدة ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض وأما حذف بعضها
إذا دل الدليل عليه فجائز . فإن قلت فلم جعلت لولا متعلقة بهم بها وحده ولم تجعلها متعلقة بجملة قوله
تعالى ولقد همت به وهم بها لأن الهم لا يتعلق بالجواهر ولكن بالمعاني فلا بد من تقدير المخالطة والمخالطة
لا تكون إلا بين اثنين معاً فكأنه قيل ولقد هما بالمخالطة ولولا أن منع مانع أحدهما قلت نعم ما قلت
ولكن الله تعالى جاء بالهمين على سبيل التفصيل حيث قال ولقد همت به وهم بها وكأنه قيل ولقد هما بالمخالطة
فكان إعماله العامل له فوجب أن يكون التقدير ولقد همت بمخالطته وهم بمخالطتها على أن المراد
بالمخالطتين توصلها إلى ما هو حظها من قضاء شهوتها وتوصله إلى ما هو حظه من قضاء شهوته منها
لولا أن رأى برهان ربه فترك التوصل إلى حظه من الشهوة فلذلك كانت لولا حقيقة بأن تعلق بهم
بها وحده . وقد فسر هم يوسف بأنه حل الهميان وجلس منها مجلس المجامع وبأنه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الأربع
وهي مستلقية على قفاها . وفسر البرهان بأنه سمع صوتاً إياك وإياها فلم يكترث له فسمعه ثانياً فلم يعمل به فسمع
ثالثاً أعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضاً على أنملته ، وقيل ضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من

لنا مثله. وقيل كل ولد ليعقوب اثنا عشر ولداً إلا يوسف فإنه ولد له أحد عشر ولداً من أجل ما نقص من شهوته حين هم
وقيل صيح به يا يوسف لا تكن كالطائر كان له ريش فلما زنى قعد لا ريش له. وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا
معصم مكتوب فيها وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنا إنه كان
فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله فلم ينجع فيه فقال الله لجبريل أدرك
عبدي قبل أن يصيب الخطيئة فانحط جبريل وهو يقول يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب في ديوان
الأنبياء. وقيل رأى تمثال العزيز. وقيل قامت المرأة إلى صنم كان هناك فسترته وقالت أستحي منه أن
يرانا فقال يوسف استحييت ممن لا يسمع ولا يبصر ولا أستحي من السميع البصير العليم بذات الصدور وهذا
ونحوه مما يورده أهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت الله وأنبيائه وأهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم
ورواياتهم بحمد الله بسبيل ولو وجدت من يوسف عليه الصلاة والسلام أدنى زلة لنعيت عليه وذكرت
توبته واستغفاره كما نعيت على آدم عليه الصلاة والسلام زلته وعلى داود وعلى نوح وعلى أيوب وعلى ذي
النون وذكرت توبتهم واستغفارهم كيف وقد أثنى عليه وسمي مخلصاً فعلم بالقطع أنه ثبت في ذلك المقام
الدحض وأنه جاهد نفسه مجاهدة أولي القوة والعزم ناظراً في دليل التحريم ووجه القبح حتى استحق من الله
تعالى الثناء فيما أنزل من كتب الأولين ثم في القرآن الذي هو حجة على سائر كتبه ومصداق لها ولم يقتصر
إلا على استيفاء قصته وضرب سورة كاملة عليها ليجعل له لسان صدق في الآخرين كما جعله لجده الخليل إبراهيم
عليه الصلاة والسلام وليقتدي به الصالحون إلى آخر الدهر في العفة وطيب الإزار والتثبت في مواقف
العثار فأخزى الله أولئك في إيرادهم ما يؤدي إلى أن يكون إنزال الله السورة التي هي أحسن القصص في القرآن
العربي المبين ليقتدي بنبي من الأنبياء في القعود بين شعب الزانية وفي حل تكته للوقوع عليها وفي أن
ينهاه ربه ثلث كرات ويصاح به من عنده ثلث صيحات بقوارع القرآن وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد الشديد
وبالتشبيه بالطائر الذي سقط ريشه حين سفد غير أنثاه وهو جاثم في مربضه لا يتحلحل ولا ينتهي ولا ينتبه
حتى يتداركه الله بجبريل وبإجباره ولو أن أوقح الزناة وأشطرهم وأحدهم حدقة وأجلحهم وجهاً لقي بأدنى
ما لقي به مما ذكروا لما بقي له عرق ينبض ولا عضو يتحرك فيا له من مذهب ما أفحشه ومن ضلال ما أبينه
كذلك الكاف منصوب المحل أي مثل ذلك التثبيت ثبتناه أو مرفوعه أي الأمر مثل ذلك لنصرف عنه السوء
من خيانة السيد والفحشاء من الزنا إنه من عبادنا المخلصين الذين أخلصوا دينهم لله وبالفتح الذين
أخلصهم الله لطاعته بأن عصمهم الله. ويجوز أن يريد بالسوء مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر
بشهوة ونحو ذلك. وقوله تعالى من عبادنا معناه بعض عبادنا أي هو مخلص من جملة المخلصين أو هو ناشئ منهم
لأنه من ذرية إبراهيم عليه السلام الذين قال فيهم إنا أخلصناهم بخالصة واستبقا الباب وقدت قميصه
من دبر وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم واستبقا الباب
وتسابقا إلى الباب على حذف الجار وإيصال الفعل كقوله تعالى واختار موسى قومه أو على تضمين استبقا
معنى ابتدرا نفر منها يوسف فأسرع يريد الباب ليخرج وأسرعت وراءه لتمنعه الخروج فإن قلت
كيف وحد الباب وقد جمعه في قوله وغلقت الأبواب قلت أراد الباب البراني الذي هو المخرج
من الدار والمخلص فقد روى كعب أنه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الأبواب

قدت قميصه من دبر اجتذبه من خلفه فانقد اي انشق حين هرب منها الى الباب وتبعته تمنعه • والفيا سيدها وصادفا
بعلها وهو قطفير تقول المراة لبعلها سيدي • وقيل انما لم يقل سيدهما • لان ملك يوسف لم يصح فلم يكن سيده
على الحقيقة قبل الفتاة مقبلا • يريد ان يدخل وقيل جالسا • مع ابن عم للمراة لما اطلع منها زوجها على تلك الهيئة
المريبة وهي مغتاظة على يوسف • اذ لم يواتها جاءت بحيلة جمعت فيها غرضيها وهما تبرئة ساحتها
عند زوجها من الريبة والغضب على يوسف وتخويفه طمعا في ان يواتيها خيفة منها ومن مكرها او كرها لما ايست
من مواتاته طوعا • الا ترى الى قولها ولئن لم يفعل ما امره ليسجنن وما نافية • اي ليس جزاؤه الا السجن • ويجوز ان
تكون استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن كما تقول من في الدار الا زيد فان قلت كيف لم تصرح في
قولها بذكر يوسف وانه اراد بها سوءا قلت قصدت العموم وان كل من اراد باهلك سوءا فحقه ان يسجن
او يعذب لان ذلك ابلغ فيما قصدته من تخويف يوسف وقيل العذاب الاليم الضرب بالسياط قال هي راودتني
عن نفسي وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من
دبر فكذبت وهو من الصادقين ولما اغرت به وعرضته للسجن والعذاب وجب عليه الدفع عن نفسه فقال هي راودتني
عن نفسي ولولا ذلك لكتم عليها • وشهد شاهد من اهلها قيل كان ابن عم لها وانما القى الله الشهادة على لسان من هو من
اهلها ليكون اوجب للحجة عليها واوثق لبراءة يوسف وانفى للتهمة عنه • وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى
الباب وقيل حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره • ويجوز ان يكون بعض اهلها كان في الدار فبصر بها من حيث لا تشعر
فاغضبه الله ليوسف بالشهادة له والقيام بالحق • وقيل كان ابن خال لها صبيا في المهد • وعن النبي صلى الله
عليه وسلم • تكلم اربعة وهم صغار • ابن ماشطة فرعون • وشاهد يوسف • وصاحب جريج • وعيسى عليه السلام •
فان قلت لم سمي قوله شهادة وما هو بلفظ الشهادة قلت لما ادى مؤدى الشهادة في ان ثبت
به قول يوسف وبطل قولها سمي شهادة فان قلت الجملة الشرطية كيف جازت حكايتها بعد فعل الشهادة
قلت لانها قول من القول او على ارادة القول كانه قيل وشهد شاهد فقال ان كان قميصه فان قلت
ان دل قد قميصه من دبر على انها كاذبة وانها هي التي تبعته واجتذبت ثوبه اليها فقدته فمن اين دل قده
من قبل على انها صادقة وانه كان تابعها قلت من وجهين احدهما انه اذا كان تابعها وهي دافعته
عن نفسها قدت قميصه من قدامه بالدفع والثاني ان يسرع خلفها ليلحقها فيتعثر في مقادم قميصه فيشقه
وقرئ من قبل ومن دبر بالضم على مذهب الغايات والمعنى من قبل القميص ومن دبره واما التنكير
فمعناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر وعن ابن ابي اسحق انه قرا من قبل ومن دبر
بالفتح كانه جعلهما علمين للجهتين فمنعهما الصرف للعلمية والتانيث وقرئا بسكون العين فان
قلت كيف جاز الجمع بين ان الذي هو للاستقبال وبين كان قلت لان المعنى ان يعلم انه كان
قميصه قد ونحوه قولك ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل لمن يمتن عليك باحسانه تريد
ان تمتن علي امتن عليك فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم فلما رأى قطفير
وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها قال انه ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان هذا الامر
وهو طمعها في يوسف من كيدكن الخطاب لها ولامتها وانما استعظم كيد النساء لانه وان كان في الرجال
الا ان النساء الطف كيدا وانفذ حيلة ولهن في ذلك نيقة ورفق وبذلك يغلبن الرجال ومنه قوله

وَمِنْ ثَمَّ النفاثات في العقد والمتصريات بين بينهن تهن ما ليس مع غيرهن من البواقي • وعن بعض العلماء • أنا أخاف من النساء أكثر مما أخاف
من الشيطان لأن الله تعالى يقول إن كيد الشيطان كان ضعيفا • وقال للنساء إن كيدكن عظيم • يوسف أعرض عن هذا واستغفري
لذنبك إنك كنت من الخاطئين يوسف أعرض حذف منه حرف النداء لأنه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب
له وتلطيف لمحله • أعرض عن هذا الأمر واكتمه ولا تحدث به • واستغفري أنت لذنبك إنك كنت من الخاطئين
من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطئ إذا أذنب متعمدا • وإنما قال من الخاطئين بلفظ التذكير تغليبا للذكور
على الإناث • وما كان العزيز إلا رجلا حليما • وروي أنه كان قليل الغيرة • وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود
فتاها عن نفسه قد شغفها حبا إنا لنراها في ضلال مبين • وقال نسوة وقال جماعة من النساء • وكن خمسا امرأة
الساقي • وامرأة الخباز • وامرأة صاحب الدواب • وامرأة صاحب السجن • وامرأة الحاجب • والنسوة
اسم مفرد لجمع المرأة • وتأنيثه غير حقيقي • كتأنيث اللمة • ولذلك لم يلحق فعله تاء التأنيث • وفيه لغتان كسر النون
وضمها • في المدينة • في مصر • امرأة العزيز يريدون قطفير • والعزيز الملك بلسان العرب • فتاها غلامها يقال
فتاي وفتاتي أي غلامي وجاريتي • شغفها خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل إلى الفؤاد • والشغاف حجاب القلب
وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب • قال • النابغة •
• قد حال هم دون ذلك والج • مكان الشغاف تبتغيه الأصابع •
وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير إذا هنأه فأحرقه بالقطران • قال •
• كما شعف المهنوءة الرجل الطالي • وحبا نصب على التمييز • في ضلال مبين في خطأ وبعد عن طريق الصواب
فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما
رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم • بمكرهن باغتيابهن وسوء قالتهن
وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومقتها • وسمي الاغتياب مكرا لأنه في خفية وحال غيبة كما يخفي الماكر
مكره • وقيل كانت استكتمتهن سرها فأفشينه عليها • أرسلت إليهن دعتهن • قيل دعت أربعين امرأة فيهن الخمس
المذكورات • وأعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه من نمارق • قصدت بتلك الهيئة وهي قعودهن متكئات والسكاكين
في أيديهن أن يدهشن ويبهتن عند رؤيته • ويشغلن عن نفوسهن فتقع أيديهن على أيديهن فيقطعنها لأن المتكئ إذا
بهت لشيء وقعت يده على يده • ولا يبعد أن تقصد الجمع بين المكر به وبهن بوضع الخناجر في أيديهن ليقطعن
أيديهن فتبكتهن بالحجة • ولتهول يوسف من مكرها إذا خرج على أربعين نسوة مجتمعات في أيديهن الخناجر توهمه
أنهن يثبن عليه • وقيل متكأ مجلس طعام لأنهم كانوا يتكئون للطعام والشراب • والحديث كعادة المترفين
ولذلك نهي أن يأكل الرجل متكئا • وآتت السكاكين ليعالجن بها ما يأكلن • وقيل متكأ طعاما من قولك اتكأنا
عند فلان طعمنا على سبيل الكناية لأن من دعوته ليطعم عندك اتخذت له تكأة يتكئ عليها • قال •
• جميل • فظللنا بنعمة واتكأنا • وشربنا الحلال من قلله •
وعن مجاهد متكأ طعاما يحز حزا كأن المعنى يعتمد بالسكين لأن القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين • وقرئ متكا
بغير همز • وعن الحسن رحمه الله متكاء بالمد كأنه مفتعال • وذلك لإشباع فتحة الكاف كقوله • بمنتزاح
بمنتزح • ونحو ينباع بمعنى ينبع • وقرئ متكا وهو الأترج • وأنشد •
• فأهدت متكة لبني أبيها • تخب بها العثمثمة الوقاح • وكانت أهدت

أترجة

أترجة على ما قيل وكأنها الأترجة التي ذكرها أبو داود في سننه أنها شقت بنصفين وحملا كالعدلين على جمل وقيل الزماورد وعن وهب أترجا وموزا وبطيخا وقيل أعتدت لهن ما يقطع من متاع البيت بمعنى متكأ من بتكه إذا قطعه وقرأ الأعرج متكأ مفعولا من تكأ يتكأ إذا اتكأ أكبرنه أعظمنه وهبن ذلك الحسن الرائع والجمال الفائق وقيل كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وعن النبي صلى الله عليه وسلم مررت بيوسف الليلة التي عرج بي إلى السماء فقلت لجبريل من هذا فقال يوسف فقيل يا رسول الله كيف رأيته قال كالقمر ليلة البدر وقيل كان يوسف إذا سار في أزقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من السماء عليها وقيل ما كان أحد يستطيع وصف يوسف وقيل كان يشبه آدم يوم خلقه ربه وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل أكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت يقال أكبرت المرأة إذا حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لأنها بالحيض تخرج من حد الصغر إلى حد الكبر وكأن أبا الطيب أخذ من هذا التفسير قوله

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع ۞ فإن لحت حاضت في الخدور العواتق

وكانت أعتدت أترجة على ما قيل وكأنها الأترجة التي ذكرها أبو داود في سننه أنها شقت بنصفين وحملا كالعدلين على جمل وقيل الزماورد وعن وهب أترجا وموزا وبطيخا وقيل أعتدت لهن وقطعن أيديهن جرحنها كما تقول كنت أقطع اللحم فقطعت يدي جرحتها حاشا لله كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء تقول أساء القوم حاشا زيد قال

حاشا أبي ثوبان إن به ۞ ضنا عن الملحاة والشتم

وهي حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة بمعنى حاشا الله براءة الله وتنزيه الله وهي قراءة ابن مسعود على إضافة حاشا إلى الله إضافة البراءة ومن قرأ حاشا لله فنحو قولك سقيا لك كأنه قال براءة ثم قال لله لبيان ما يبرأ وينزه والدليل على تنزيل حاشا منزلة المصدر قراءة أبي السمال حاشا لله بالتنوين وقراءة أبي عمرو حاش لله بحذف الألف الأخيرة وقراءة الأعمش حشا لله بحذف الألف الأولى وقرئ حاش لله بسكون الشين على أن الفتحة تابعة للألف في الإسقاط وهي ضعيفة لما فيها من التقاء الساكنين على غير حده وقرئ حاشا الإله فإن قلت فلم جاز في حاشا لله أن لا ينون بعد إجرائه مجرى براءة لله قلت مراعاة لأصله الذي هو الحرفية ألا ترى إلى قولهم جلست من عن يمينه كيف تركوا عن غير معرب على أصله وعلى في قوله غدت من عليه منقلب الألف إلى الياء مع الضمير والمعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله وأما قوله تعالى حاشا لله ما علمنا عليه من سوء فالتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ما هذا بشرا نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه لما عليه محاسن الصور وأثبتن له الملكية وبتتن بها الحكم وذلك لأن الله عز وجل ركز في الطباع أن لا أحسن من الملك كما ركز فيها أن لا أقبح من الشيطان ولذلك يشبه كل متناه في الحسن والقبح بهما وما ركز ذلك فيها إلا لأن الحقيقة كذلك كما ركز في الطباع أن لا أدخل في الشر من الشيطان ولا أجمع للخير من الملائكة إلا ما عليه الفئة الخاسئة المجبرة من تفضيل الإنسان على الملك وما هو إلا من تعكيسهم للحقائق وجحودهم للعلوم الضرورية ومكابرتهم في كل باب وإعمال ما عمل ليس هي اللغة القدمى الحجازية وبها ورد القرآن ومنها قوله تعالى ما هن أمهاتهم ومن قرأ على سليقته من بني تميم قرأ بشر بالرفع وهي قراءة ابن مسعود وقرئ ما هذا بشرى أي ما هو بعبد مملوك لئيم إن هذا إلا ملك كريم تقول هذا بشرى أي حاصل بشرى بمعنى هذا مشترى وتقول هذا لك بشرى أم بكرى والقراءة هي الأولى لموافقتها المصحف ومطابقة بشر لملك **قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم**

ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين قالت لهن ذلك ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاق
ان يحب ويفتتن به وربا بحاله واستبعادا لمحله ويجوز ان يكون اشارة الى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعاني تقول
هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في انفسكن ثم لمتنني فيه تعني انكن لم تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما
عاينتن لعذرتنني في الافتتان به. الاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه في عصمة
وهو يجتهد في الاستزادة منها ونحوه استمسك واستوسع الفتق واستجمع الرأي واستفحل الخطب. وهذا بيان لما كان
من يوسف عليه الصلاة والسلام لا مزيد عليه وبرهان لا شيء انور منه على انه بريء مما اضاف اليه اهل الحشو
مما فسروا به الهم والبرهان. فان قلت الضمير في آمره راجع الى الموصول ام الى يوسف قلت بل الى الموصول
والمعنى ما آمر به فحذف الجار كما في قولك امرتك الخير ويجوز ان تجعل ما مصدرية فيرجع الى يوسف.
ومعناه ولئن لم يفعل امري اي موجب امري ومقتضاه. وقرئ وليكونن بالتشديد والتخفيف اولى لان
النون كتبت في المصحف الفا على حكم الوقف وذلك لا يكون الا في الخفيفة قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه
والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم
وقرئ السجن بالفتح على المصدر وقال يدعونني على اسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن تنصحن له وزين له مطاوعتها
وقلن له اياك والقاء نفسك في السجن والصغار فالتجأ الى ربه عند ذلك وقال رب نزول السجن احب الي من ركوب
المعصية. فان قلت نزول السجن مشقة على النفس شديدة وما دعونه اليه لذة عظيمة فكيف كانت المشقة احب
اليه من اللذة قلت كانت احب اليه وآثر عنده نظرا في حسن الصبر على احتمالها لوجه الله وفي قبح المعصية
وفي عاقبة كل واحدة منهما لا نظرا في مشتهى النفس ومكروهها والا تصرف عني كيدهن فزع منه الى الطاف الله
وعصمته كعادة الانبياء والصالحين في عزم عليه ووطن عليه نفسه من الصبر لا ان يطلب منه الاجبار على التعفف
والالجاء اليه. اصب اليهن اميل اليهن والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها
وقرئ اصب اليهن من الصبابة من الجاهلين من الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء
او من السفهاء لان الحكيم لا يفعل القبيح وانما قال الاستجابة ولم يتقدم الدعاء لان قوله تعالى والا تصرف عني فيه
معنى طلب الصرف والدعاء باللطف السميع لدعوات الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم من بعد ما رأوا
الآيات ليسجننه حتى حين ودخل معه السجن فتيان بدا لهم فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى
بدا لهم بداء اي ظهر لهم رأي ليسجننه والضمير في لهم للعزيز واهله من بعد ما رأوا الآيات وهي الشواهد على
براءته وما كان ذلك الا باستنزال المرأة له وخدعها وفتلها منه في الذروة والغارب وكان مطواعة لها وجملا
ذلولا زمامه في يدها حتى انساه ذلك ما عاين من الآيات وعمل برأيها في سجنه والحاق الصغار به كما اوعدته به
وذلك لما أيست من طاعته لها او لطمعها في ان يذلله السجن ويسخره لها. وفي قراءة الحسن لتسجننه بالتاء على الخطاب خاطب
به بعضهم العزيز ومن يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم حتى حين الى زمان كانها اقترحت ان يسجن زمانا حتى
تبصر ما يكون منه. وفي قراءة ابن مسعود عتى حين وهي لغة هذيل. وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقرأ عتى
حين فقال من اقرأك قال ابن مسعود فكتب اليه ان الله انزل هذا القرآن فجعله عربيا وانزله بلغة قريش فاقرئ
الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل والسلام قال احدهما اني اراني اعصر خمرا وقال الآخر اني اراني
احمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين مع يدل على معنى الصحبة واستحداثها تقول

خرجت

خرجت مع الامير تريد مصاحبا له فيجب ان يكون دخولهما السجن مصاحبين له فتيان عبدان للملك خبازه وشرابيه
رقي اليه انهما يسمانه فامر بهما الى السجن فادخلا السجن ساعة ادخل يوسف اني اراني يعني في المنام وهي حكاية حال ماضية
اعصر خمرا يعني عنبا تسمية للعنب بما يؤول اليه وقيل الخمر بلغة عمان اسم العنب وفي قراءة ابن مسعود
اعصر عنبا من المحسنين من الذين يحسنون عبارة الرؤيا اي يجيدونها راياه يقص عليه بعض اهل السجن رؤياه
فيؤولها له فقالا له ذلك او من العلماء لانهما سمعاه يذكر للناس ما علما به انه عالم او من المحسنين الى اهل السجن
فاحسن الينا بان تفرج عنا الغمة بتاويل ما رايناه ان كانت لك يد في تاويل الرؤيا وروي انه كان اذا مرض رجل
منهم قام عليه واذا ضاق اوسع له واذا احتاج جمع له وعن قتادة كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال
حزنهم فجعل يقول ابشروا اصبروا تؤجروا ان لهذا لاجرا فقالوا بارك الله عليك ما احسن وجهك واحسن خلقك
لقد بورك لنا في جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف ابن صفي الله يعقوب ابن ذبيح الله اسحق ابن خليل الله
ابراهيم عليهم الصلاة والسلام فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكني احسن جوارك فكن في اي بيوت
السجن شئت وروي ان الفتيين قالا له انا لنحبك من حين رايناك فقال انشدكما بالله ان لا تحباني فوالله
ما احبني احد قط الا دخل علي من حبه بلاء لقد احبتني عمتي فدخل علي من حبها بلاء ثم احبني ابي فدخل علي
من حبه بلاء ثم احبتني زوجة صاحبي فدخل علي من حبها بلاء فلا تحباني بارك الله فيكما وعن الشعبي انهما تحالما
له ليمتحناه فقال الشرابي اراني في بستان فاذا باصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها
في كأس الملك وسقيته وقال الخباز اني اراني وفوق راسي ثلاث سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير
تنهش منها فان قلت الام يرجع الضمير في قوله نبئنا بتاويله قلت الى ما قصا عليه والضمير يجري مجرى اسم
الاشارة في نحو كانه قيل نبئنا بتاويل ذلك قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتاويله قبل ان ياتيكما ذلكما
مما علمني ربي اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالاخرة هم كافرون واتبعت ملة اباءي ابرهيم واسحق
ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون لما
استعبراه ووصفاه بالاحسان افترص ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الاخبار بالغيب
وانه ينبئهما بما يحمل اليهما من الطعام في السجن قبل ان ياتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم ياتيكما طعام من صفته كيت
وكيت فيجدانه كما اخبرهما وجعل ذلك تخلصا الى ان يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الايمان ويزينه لهما ويقبح
اليهما الشرك بالله وهذه طريقة على كل ذي علم ان يسلكها مع الجهال والفسقة اذا استفتاه واحد منهم ان يقدم
الهداية والارشاد والموعظة والنصيحة اولا ويدعوه الى ما هو اولى به واوجب عليه مما استفتى فيه ثم
يفتيه بعد ذلك وفيه ان العالم اذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه ان يقتبس منه
وينتفع به في الدين لم يكن من باب التزكية بتاويله ببيان ماهيته وكيفيته لان ذلك يشبه تفسير المشكل والاعراب
عن معناه ذلكما اشارة لهما الى التاويل اي ذلك التاويل والاخبار بالمغيبات مما علمني ربي اي اوحى به الي
ولم اقله عن تكهن وتنجم اني تركت يجوز ان يكون كلاما مبتدا وان يكون تعليلا لما قبله اي علمني ذلك واوحى
الي لاني رفضت ملة اولئك واتبعت ملة الانبياء المذكورين وهي الملة الحنيفية واراد باولئك الذين لا يؤمنون
اهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم وتكريرهم للدلالة على انهم خصوصا كافرون بالاخرة وان غيرهم كانوا
قوما مؤمنين بها وهم الذين على ملة ابرهيم ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيها على ما هم عليه من الظلم والكبائر

التي لا يدركها الا من هو كافر بدار الجزاء ويجوز ان يكون فيه تعريض بما مني به من جهتهم حين اودعوه السجن بعد ما راوا
الايات الشاهدة على براته وان ذلك لا يقدم عليه الا من هو شديد الكفر بالجزا وذكر اباه ليريهما انه من بيت النبوة
بعد ان عرفهما انه نبي يوحي اليه بما ذكر من اخباره بالغيوب ليقوي رغبتهما في الاستماع اليه واتباع قوله تعالى
ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبيا ان نشرك بالله اي شي كان من ملك او جني او انسي فضلا ان نشرك به صنما
لا يسمع ولا يبصر ثم قال ذلك التوحيد من فضل الله علينا وعلى الناس اي على الرسل وعلى المرسل اليهم لانهم نبهوهم عليه
وارشدوهم اليه ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم لا يشكرون فضل الله فيشركون ولا ينتبهون وقيل ان ذلك من
فضل الله علينا لانه نصب لنا الادلة التي ننظر فيها ونستدل بها وقد نصب مثل تلك الادلة لساير الناس من
غير تفاوت ولكن اكثر الناس لا ينظرون ولا يستدلون اتباعا لاهوايهم فيبقون كافرين غير شاكرين
يا صاحبي السجن ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار يا صاحبي السجن يريد يا صاحبي في السجن فاضافهما
الى السجن كما تقول يا سارق الليلة فكما ان الليلة مسروق فيها غير مسروقة فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب
وانما المصحوب غيره وهو يوسف عليه الصلاة والسلام ونحوه قولك لصاحبيك يا صاحبي الصدق فتضيفهما
الى الصدق ولا تريد انهما صحبا الصدق ولكن كما تقول رجلا صدق وسميتهما صاحبين لانهما صحباك ويجوز
ان يريد يا ساكني السجن كقوله تعالى اصحاب النار واصحاب الجنة وارباب متفرقون يريد التفرق في العدد
والتكاثر يقول اان تكون لكما ارباب شتى يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا خير لكما ام يكون لكما رب واحد
قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية بل هو القهار الغالب وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة
الاصنام ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله
امر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون ما تعبدون خطاب لهما ولمن على دينهما
الا اسماء يعني انكم سميتم ما لا يستحق الالهية الهة ثم طفقتم تعبدونها فكانكم لا تعبدون الا اسماء فارغة
لا مسميات تحتها ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته بزيد وسميته زيدا ما انزل الله بها اي بتسميتها
من سلطان من حجة ان الحكم في امر العبادة والدين الا لله ثم بين ما حكم به فقال امر الا تعبدوا الا اياه ذلك
الدين القيم الثابت الذي دلت عليه البراهين يا صاحبي السجن اما احدكما فيسقي ربه خمرا واما الاخر فيصلب
فتاكل الطير من راسه قضي الامر الذي فيه تستفتيان اما احدكما يريد الشرابي فيسقي ربه سيده وقرا عكرمة
فيسقى ربه اي يسقى ما يروى به على البنا للمفعول روي انه قال للاول ما رايت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن
حالك عنده واما القضبان الثلثة فانها ثلثة ايام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثاني
ما رايت من السلال ثلثة ايام ثم تخرج فتقتل قضي الامر قطع وتم ما تستفتيان فيه من امركما وشانكما
فان قلت ما استفتيا في امر واحد بل في امرين مختلفين فما وجه التوحيد قلت المراد بالامر الذي
اتهما به من سم الملك وما سجنا من اجله وظنا ان ما راياه في معنى ما نزل بهما فكانهما كانا يستفتيانه في الامر
الذي نزل بهما اعاقبته نجاة ام هلاك فقال لهما قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي ما يجر اليه من العاقبة وهي
هلاك احدهما ونجاة الاخر وقيل جحدا وقالا ما راينا شيئا على ما روي انهما تحالما له فاخبرهما ان ذلك كائن
صدقتما او كذبتما وقال للذي ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك فانسيه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن
بضع سنين ظن انه ناج الظان هو يوسف عليه الصلاة والسلام ان كان تاويله بطريق الاجتهاد وان كان بطريق الوحي

فالظان هو الشرابي او يكون الظن بمعنى اليقين اذكرني عند ربك صفني عند الملك بصفتي وقص عليه قصتي لعله يرحمني وينتاشني
من هذه الورطة فانساه الشيطان فانسى الشرابي ذكر ربه ان يذكره لربه وقيل فانسى يوسف ذكر الله حين وكل
امره الى غيره بضع سنين البضع ما بين الثلاث الى التسع واكثر الاقاويل على انه لبث فيه سبع سنين فان
قلت كيف يقدر الشيطان على الانساء قلت يوسوس للعبد بما يشغله عن الشيء من اسباب النسيان حتى يذهب
عنه ويزل عن قلبه ذكره واما الانساء ابتداء فلا يقدر عليه الا الله عز وجل ما ننسخ من اية او ننسها فان قلت
قد لابسه في قولك فانساه الشيطان ذكره لربه او عند ربه فجازت اضافته اليه لان الاضافة تكون بادنى ملابسة
او على تقدير فانساه الشيطان ذكر اخبار ربه فحذف المضاف الذي هو الاخبار فان قلت لم انكر على يوسف
عليه الصلاة والسلام استعانته بغير الله في كشف ما كان فيه وقد قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال
حكاية عن عيسى عليه السلام من انصاري الى الله وفي الحديث الله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه المسلم
ومن فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربة من كرب الآخرة وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله لم يأخذه
النوم في ليلة من الليالي وكان يطلب من يحرسه حتى جاء سعد فسمعت غطيطه وهل ذلك الا مثل التداوي
بالادوية والتقوي بالاشربة والاطعمة وان كان ذلك لان الملك كان كافرا فلا خلاف في جواز ان يستعان بالكفار
في دفع الظلم والغرق والحرق ونحو ذلك من المضار قلت كما اصطفى الله الانبياء على خليقته فقد اصطفى لهم
احسن الامور وافضلها واولاها والاحسن والاولى بالنبي ان لا يكل امره اذا ابتلي ببلاء ولا يعتضد الا بربه خصوصا
اذا كان المعتضد به كافرا لئلا يشمت به الكفار ويقولوا لو كان هذا على الحق وكان له رب يغيثه لما استغاث بنا ه
وعن الحسن انه يبكي اذا قراها ويقول نحن اذا نزل بنا امر نزعنا الى الناس وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان
يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات لما دنا فرج يوسف رأى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا
عجيبة هالته رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات
خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر يابسات قد استحصدت وادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها
فاستعبرها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها سمان جمع سمين وسمينة وكذلك رجال ونسوة كرام فان
قلت اذا اوقعتها صفة لبقرات فقد قصدت الى ان تميز السبع بنوع من البقرات وهي السمان منهن لا بجنسهن
ولو وصفت بها السبع لقصدت الى تمييز السبع بجنس البقرات لا بنوع منها ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن
فان قلت هلا قيل سبع عجاف على الاضافة قلت التمييز موضوع لبيان الجنس والعجاف وصف لا يقع البيان به
وحده فان قلت فقد يقولون ثلاثة فرسان وخمسة اصحاب قلت الفارس والصاحب والراكب ونحوها صفات
جرت مجرى الاسماء فاخذت حكمها وجاز فيها ما لم يجز في غيرها الا تراك لا تقول عندي ثلاثة ضخام واربعة غلاظ
فان قلت ذلك مما يشكل وما نحن بسبيله لا اشكال فيه الا ترى انه لم يقل بقرات سبع عجاف لوقوع العلم بان
المراد البقرات قلت ترك الاصل لا يجوز لوقوع الاستغناء عما ليس باصل وقد وقع الاستغناء بقولك سبع عجاف
عما تقترحه من التمييز بالوصف والعجف الهزال الذي ليس بعده والسبب في وقوع عجاف جمعا لعجفاء وافعل وفعلاء
لا يجمعان على فعال حمله على سمان لانه نقيضه ومن دأبهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض فان قلت هل في الآية دليل
على ان السنبلات اليابسة كانت سبعا كالخضر قلت الكلام مبني على انصبابه الى هذا العدد في البقرات
السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب ان يتناول معنى الاخر السبع ويكون ذلك قوله تعالى واخر يابسات

فان قلت هل من فرق بين ايقاع سمان صفة للمميز وهو بقرات دون المميز وهو سبع وان يقال سبع بقرات سمانا

يعني وسبعا اخر فان قلت هل يجوز ان يعطف قوله واخر يابسات على سنبلات خضر فيكون مجرور المحل قلت يؤدي الى تدافع وهو ان عطفها على سنبلات خضر يقتضي ان تدخل في حكمها فتكون معها مميزا للسبع المذكور ولفظ الاخر يقتضي ان يكون غير السبع بيانه انك تقول عنده سبعة رجال قيام وقعود بالجر فيصح لانك ميزت السبعة برجال موصوفين بالقيام والقعود على ان بعضهم قيام وبعضهم قعود فلو قلت عنده سبعة رجال قيام وآخرين قعود تدافع ففسد يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون يا ايها الملأ كانه اراد الاعيان من العلماء والحكماء واللام في قوله للرؤيا اما ان تكون للبيان كقوله وكانوا فيه من الزاهدين واما ان تدخل لان العامل اذا تقدم عليه معموله لم يكن في قوته على العمل فيه مثله اذا تأخر عنه فعضد بها كما يعضد بها اسم الفاعل اذا قلت هو عابر للرؤيا لانحطاطه عن الفعل في القوة ويجوز ان يكون للرؤيا خبر كان كما تقول كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبرا آخر او حالا وان يضمن تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر امرها كما تقول عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره ونحوه اولت الرؤيا اذا ذكرت مآلها وهو مرجعها وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذي اعتمده الاثبات ورأيتهم ينكرون عبّرت بالتشديد والتعبير والمعبر وقد عثرت على بيت انشده المبرد في كتاب الكامل لبعض الاعراب

رأيت رؤيا ثم عبرتها ۝ وكنت للاحلام عبارا ۝

قالوا اضغاث احلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين اضغاث الاحلام تخاليطها واباطيلها وما يكون منها من حديث نفس او وسوسة شيطان واصل الاضغاث ما جمع من اخلاط النبات وحزم والواحد ضغث فاستعيرت لذلك والاضافة بمعنى من اي اضغاث من احلام والمعنى هي اضغاث احلام فان قلت ما هو الا حلم واحد فلم قالوا اضغاث احلام فجمعوا قلت هو كما تقول فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الخز لمن لا يركب الا فرسا واحدا وما له الا عمامة فردة تزيدا في الوصف فهؤلاء ايضا تزيدوا في وصف الحلم بالبطلان فجعلوه اضغاث احلام ويجوز ان يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤى غيرها وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين اما ان يريدوا بالاحلام المنامات الباطلة خاصة فيقولوا ليس لها عندنا تأويل انما هو للمنامات الصحيحة الصالحة واما ان يعترفوا بقصور علمهم وانهم ليسوا في تأويل الاحلام بنحارير وقال الذي نجا منهما وادكر بعد امة انا انبئكم بتأويله فارسلون وقرئ وادكر بالذال وهو الفصيح وعن الحسن رحمه الله واذكر بالذال اي تذكر الذي نجا من الفتيين من القتل يوسف وما شاهد منه بعد امة بعد مدة طويلة وذلك انه حين استفتى الملك في رؤياه واعضل على الملأ تأويلها تذكر الناجي يوسف وتأويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه اليه ان يذكره عند الملك وقرأ الاشهب العقيلي بعد امة بكسر الهمزة والامة النعمة قال عدي ثم بعد الفلاح والملك والامة وارتهم هناك القبور اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وقرئ بعد امه اي بعد نسيان يقال امه يامه امها اذا نسي ومن قرأ بسكون الميم فقد خطئ وانا انبئكم بتأويله انا اخبركم به عمن عنده علمه وفي قراءة الحسن انا آتيكم بتأويله فارسلون فابعثوني اليه لاسأله ومروني باستعباره وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن السجن في المدينة يوسف ايها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون المعنى فارسلوه الى يوسف فاتاه فقال يوسف ايها الصديق ايها البليغ في الصدق وانما قال له ذلك لانه ذاق واحواله وتعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما اوله ولذلك اوله كلام محذوف فقال لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون لانه ليس على يقين

من الرجوع فربما اخترموا دونه ولا من علمهم فربما لم يعلموا ومعنى لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك
ويخلصوك من محنتك تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون ثم يأتي
من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس
وفيه يعصرون تزرعون خبر في معنى الأمر كقوله تعالى تؤمنون بالله واليوم الآخر وتجاهدون وإنما
يخرج الأمر في صورة الخبر للمبالغة في إيجاد المأمور به فيجعل كأنه يوجد فهو يخبر عنه • والدليل على كونه في
معنى الأمر قوله فذروه في سنبله • دأبا بسكون الهمزة وتحريكها وهما مصدر دأب في العمل وهو حال من
المأمورين أي دائبين إما على تدأبون دأبا وإما على إيقاع المصدر حالا بمعنى ذوي دأب • فذروه في
سنبله لئلا يتسوس • ويأكلن من الإسناد المجازي جعل أكل أهلهن مسندا إليهن • تحصنون تحرزون وتخبئون
يغاث الناس من الغوث أو من الغيث يقال غيثت البلاد إذا مطرت ومنه قول الأعرابية غثنا
ما شئنا • ويعصرون بالياء والتاء • يعصرون العنب والزيتون والسمسم • وقيل يحلبون الضروع • وقرئ يعصرون
على البناء للمفعول من عصره إذا أنجاه وهو مطابق للإغاثة • ويجوز أن يكون المبني للفاعل بمعنى ينجون كأنه
قيل يغاث الناس وفيه يغيثون أي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا • وقيل يعصرون يمطرون من أعصرت
السحابة وفيه وجهان إما أن يضمن أعصرت معنى مطرت فيعدى تعديته • وإما أن يقال الأصل أعصرت
عليهم فحذف الجار وأوصل الفعل • تأول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات
بسنين مجدبة • ثم بشرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بأن العام الثامن يجيء مباركا خصيبا كثير الخير غزير النعم
وذلك من جهة الوحي • وعن قتادة زاده الله علم سنة • فإن قلت معلوم أن السنين المجدبة إذا انتهت كان
انتهاؤها بالخصب وإلا لم توصف بالانتهاء فلم قلت إن علم ذلك من جهة الوحي • قلت ذلك معلوم علما مطلقا
لا مفصلا وقوله تعالى فيه يغاث الناس وفيه يعصرون تفصيل لحال العام وذلك لا يعلم إلا بالوحي • وقال الملك
ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم
إنما تأنى وتثبت في إجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما قرف به وسجن فيه لئلا يتسلق به
الحاسدون إلى تقبيح أمره عنده ويجعلوه سلما إلى حط منزلته لديه ولئلا يقولوا ما خلد في السجن سبع سنين إلا
لأمر عظيم وجرم كبير حق به أن يسجن ويعذب ويستكف شره • وفيه دليل على أن الاجتهاد في نفي التهم واجب
وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها قال عليه الصلاة والسلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم
ومنه قال صلى الله عليه وسلم للمارين به في معتكفه وعنده بعض نسائه هي فلانة اتقاء للتهمة • وعن النبي صلى الله
عليه وسلم لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو
كنت مكانه ما أخبرتهم حتى اشترطت أن يخرجوني • ولقد عجبت منه حين أتاه الرسول فقال ارجع إلى ربك
ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبثت لأسرعت الإجابة وبادرتهم الباب • ولما ابتغيت العذر إن
كان لحليما ذا أناة • وإنما قال سل الملك عن شأن النسوة ولم يقل سله أن يفتش عن شأنهن لأن السؤال مما
يهيج الإنسان • ويحركه للبحث عما سئل عنه فأراد أن يورد عليه السؤال ليجد في التفتيش عن حقيقة القصة وفص
الحديث حتى يتبين له براءته بيانا مكشوفا يتميز فيه الحق من الباطل • وقرئ النسوة بضم النون ومن كرمه
وحسن أدبه أنه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات أيديهن

إن ربي إن الله تعالى بكيدهن عليم أراد أنه كيد عظيم لا يعلمه إلا الله تعالى لبعد غوره واستشهد بعلم الله على أنهن
كدنه وأنه بريء مما قذف به أو أراد الوعيد لهن أي هو عليم بكيدهن فمجازيهن عليه قال ما خطبكن إذ
راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن
نفسه وإنه لمن الصادقين ما خطبكن ما شأنكن إذ راودتن يوسف هل وجدتن منه ميلا إليكن قلن
حاشا لله تعجبا من عفته وذهابه بنفسه عن شيء من الريبة ومن نزاهته عنها قالت امرأة العزيز الآن
حصحص الحق أي ثبت واستقر وقرئ حصحص على البناء للمفعول وهو من حصحص البعير إذا ألقى ثفناته للإناخة

قال • فحصحص في صم الصفا ثفناته • وناء بسلمى نوءة ثم صمما •

ولا مزيد على شهادتهن له بالبراءة والنزاهة واعترافهن على أنفسهن بأنه لم يتعلق بشيء مما قرفنه به لأنهن خصومه
وإذا اعترف الخصم بأن صاحبه على الحق وهو على الباطل لم يبق لأحد مقال وقالت المجبرة والحشوية نحن قد
بقي لنا مقال ولا بد لنا أن ندق في فروة من ثبتت نزاهته ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي
كيد الخائنين ذلك ليعلم من كلام يوسف أي ذلك التثبت والتشمر لظهور البراءة ليعلم العزيز أني لم
أخنه بظهر الغيب في حرمته ومحل بالغيب الحال من الفاعل والمفعول على معنى وأنا غائب عنه خفي عن عينه
أو وهو غائب عني خفي عن عيني ويجوز أن يكون ظرفا أي بمكان الغيب وهو الخفاء والاستتار وراء
الأبواب السبعة المغلقة وليعلم أن الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده وكأنه تعريض بامرأته
في خيانتها أمانة زوجها وفي خيانة أمانة الله حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه ويجوز أن يكون تأكيدا
لأمانته وأنه لو كان خائنا لما هدى الله كيده ولا سدده وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم
ربي إن ربي غفور رحيم ثم أراد أن يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا وبحالها في الأمانة
معجبا ومفتخرا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر وليبين أن ما فيه من الأمانة ليس به
وحده وإنما هو بتوفيق الله ولطفه وعصمته فقال وما أبرئ نفسي من الزلل وما أشهد لها بالبراءة الكلية
ولا أزكيها ولا تخلو إما أن يريد في هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذي هو ميل النفس عن طريق الشهوة
والعزم وإما أن يريد عموم الأحوال إن النفس لأمارة بالسوء أراد الجنس أي إن هذا الجنس يأمر بالسوء
ويحمل عليه بما فيه من الشهوات إلا ما رحم ربي إلا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة كالملائكة ويجوز أن
يكون ما رحم ربي في معنى الزمان أي إلا وقت رحمة ربي يعني أنها أمارة بالسوء في كل وقت وأوان إلا
وقت العصمة ويجوز أن يكون استثناء منقطعا أي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الإساءة كقوله تعالى
ولا هم ينقذون إلا رحمة وقيل معناه ذلك ليعلم الله أني لم أخنه لأن المعصية خيانة وقيل هو كلام
من كلام امرأة العزيز أي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف أني لم أخنه ولم أكذب عليه في حال الغيبة
وجئت بالصحيح والصدق فيما سئلت عنه وما أبرئ نفسي مع ذلك من الخيانة فإني قد خنته حين قذفته
وقلت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن وأودعته السجن تريد الاعتذار مما كان منها إن كل نفس
لأمارة بالسوء إلا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف إن ربي غفور رحيم استغفرت
ربها واسترحمته مما ارتكبت فإن قلت كيف صح أن يجعل من كلام يوسف ولا دليل على ذلك قلت
كفى بالمعنى دليلا قائدا إلى أن يجعل من كلامه ونحوه قوله تعالى قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم يريد

الجزء

ان

ان يجعلني ارضيكم بنجوة ثم قال فما ذا انا مرددن ومن كلام يرجون يخاطبهم ويستبشرهم وعن ابن جريج هذا
من تقديم القرآن وتأخيره ذهب الى ان ذلك ليعلم متصل بقوله تعالى فسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ولقد
لفقت المبطلة روايات مصنوعة فزعموا ان يوسف حين قال اني لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت بها
وقالت له امرأة العزيز ولا حين حللت تكة سراويلك يا يوسف وذلك لتهالكهم اذا جبلة ورسله وقال الملك ائتوني
به استخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين يقال استخلصه واستخصه اذا جعله خالصا لنفسه وخاصا به
فلما كلمه وشاهد منه ما لم يحتسب قال ايها الصديق انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شيء
روي ان الرسول جاءه فقال له اجب الملك فخرج من السجن ودعا لاهله اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار فهم اعلم
الناس بالاخبار في الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة
الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسألك بخيرك
من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان ابي
وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه وقال ايها الصديق اني احب ان اسمع رؤياي
منك فقال رأيت بقرات فوصف لونهن واحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التي
رآها الملك لا يخرم منها حرفا وقال له من حقك ان تجمع الطعام في الاهراء فيأتيك الخلق من النواحي ويمتارون منك
ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد قبلك قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم اجعلني على خزائن الارض ولني خزائن
ارضك اني حفيظ عليم امين احفظ ما تستحفظنيه عالم بوجوه التصرف وصفا لنفسه بالامانة والكفاية اللتين هما طلبة
الملوك ممن يولونه وانما قال ذلك ليتوصل الى امضاء احكام الله واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله تبعث
الانبياء الى العباد ولعلمه ان احدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك فطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحب الملك
والدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته
ولكنه اخر ذلك سنة فان قلت كيف جاز ان يتولى عملا من يد كافر ويكون تبعا له وتحت امره وطاعته
قلت روي عن مجاهد انه قد اسلم وعن قتادة انه هو دليل على انه يجوز ان يتولى الانسان عملا من يد سلطان
جائر وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة البغاة ويرونه واذا علم النبي او العالم انه لا سبيل الى الحكم بامر
الله ودفع الظلم الا بتمكين الملك الكافر او الفاسق فله ان يستظهر به وقيل كان الملك يصدر عن رأيه ولا يعترض عليه
في كل ما رأى وكان في حكم التابع له والمطيع وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا
من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون وكذلك ومثل ذلك التمكين الظاهر
مكنا ليوسف في الارض في ارض مصر روي انها كانت اربعين فرسخا في اربعين يتبوأ منها حيث يشاء قرئ بالنون
والياء اي كل مكان اراد ان يتخذه منزلا ومتبوأ له لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخولها تحت ملكته
وسلطانه روي ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر
والياقوت وروي انه قال له اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي
ولا لباس آبائي فقال قد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك
اليه امره وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه الملك امرأته فلما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما طلبت
فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرائيم وميشا واقام العدل بمصر واحبته الرجال والنساء واسلم على يده الملك وكثير

من الناس وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة الاولى حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي
والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا والله ما رأينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم
منه فقال للملك كيف رأيت صنع الله بي فيما خولني فما ترى قال الرأي رأيك قال فاني اشهد الله واشهدك اني اعتقت
اهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم املاكهم وكان لا يبيع احدا من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس واصاب
ارض كنعان وبلاد الشام نحو ما اصاب ارض مصر فارسل يعقوب عليه الصلاة والسلام بنيه ما خلا بنيامين
ن برحمتنا بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم من اقتضت الحكمة ان نشاء له ذلك ولا نضيع اجر
المحسنين ان نجعل اجرهم في الدنيا ولاجر الآخرة خير لهم قال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة
والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق وتلا هذه الآية وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم
له منكرون لم يعرفوه لطول العهد ومفارقته اياهم في سن الحداثة ولاعتقادهم انه قد هلك ولذهابه عن اوهامهم
لقلة فكرهم فيه واهتمامهم بشأنه ولبعد حاله التي بلغها من الملك والسلطان عن حالته التي فارقوه عليها طريحا في
البئر مشريا بدراهم معدودة حتى لو تخيل لهم انه هو لكذبوا انفسهم وظنونهم ولان الملك مما يبدل الزي ويلبس صاحبه
من التهيب والاستعظام ما ينكر له المعروف وقيل رأوه على زي فرعون عليه ثياب الحرير جالسا على سرير في عنقه
طوق من ذهب وعلى رأسه تاج فما خطر ببالهم انه هو وقيل ما رأوه الا من بعيد بينهم وبينه مسافة وحجاب
وما وقفوا الا حيث يقف طلاب الحوائج وانما عرفهم لانه فارقهم وهم رجال ورأى زيهم قريبا من زيهم اذ ذاك
ولان همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم فكان يتأمل ويتفطن وعن الحسن رحمة الله عليه ما عرفهم حتى تعرفوا له
ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين ولما جهزهم بجهازهم
اي اصلحهم بعدتهم وهي عدة السفر من الزاد وما يحتاج اليه المسافرون واوقر ركائبهم بما جاؤوا اليه من الميرة
وقرئ بجهازهم بكسر الجيم وقال ائتوني باخ لكم من ابيكم لا بد من مقدمة سبقت له معهم حتى اجتر الى
هذه المسألة روي انه لما رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم اخبروني من انتم وما شأنكم فاني انكركم قالوا نحن قوم من
اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا تنظرون عورة بلادي قالوا معاذ الله نحن
اخوة بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد
قال فكم انتم هنا قالوا عشرة قال فاين الاخ الحادي عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم
انكم لستم بعيون وان الذي تقولون حق قالوا انا ببلاد لا يعرفنا فيه احد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة
وائتوني باخيكم من ابيكم وهو يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان
احسنهم رأيا في يوسف فخلفوه عنده وكان قد احسن انزالهم وضيافتهم فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي
ولا تقربون ولا تقربون فيه وجهان احدهما ان يكون داخلا في حكم الجزاء مجزوما عطفا على محل قوله
فلا كيل لكم كانه قيل فان لم تأتوني به تحرموا ولا تقربوا وان يكون بمعنى النهي قالوا سنراود عنه اباه
وانا لفاعلون سنراود عنه اباه سنخادعه عنه ونجتهد ونحتال حتى ننتزعه من يده وانا لفاعلون لقادرون
على ذلك لا نتعايا به وانا لفاعلون ذلك لا محالة لا نفرط فيه ولا نتوانى وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم
في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون لفتيته وقرئ لفتيانه وهما جمع فتى
كاخوة واخوان في اخ وفعلة للقلة وفعلان للكثرة اي لغلمانه الكيالين لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها

وحق

وحث التكرم باعطاء البدلين ﴿اذا انقلبوا الى اهلهم﴾ وفتحوا اوعيتهم ﴿لعلهم يرجعون﴾ لعل معرفتهم بذلك تدعوهم
الى الرجوع الينا وكانت بضاعتهم النعال والادم وقيل تخوف ان لا يكون عند ابيه من المتاع ما يرجعون به وقيل
لم ير من الكرم ان ياخذ من ابيه واخوته ثمنا وقيل علم ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لا يستحلون امساكها
فيرجعون لاجلها وقيل معنى لعلهم يردونها ﴿فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل فارسل معنا اخانا نكتل
وانا له لحافظون﴾ منع منا الكيل يريدون قول يوسف عليه الصلاة والسلام فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي
لانهم اذا انذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل ﴿نكتل﴾ نرفع المانع من الكيل ونكتل من الطعام ما نحتاج اليه وقرئ
يكتل بمعنى يكتل اخونا فينضم اكتياله الى اكتيالنا او يكون سببا للاكتيال فان امتناعه بسببه ﴿قال هل آمنكم
عليه كما امنتكم على اخيه من قبل فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين﴾ هل آمنكم عليه يريد انكم قلتم في يوسف
وانا له لحافظون كما تقولونه في اخيه ثم خنتم بضمانكم فما يؤمنني من مثل ذلك ثم قال فالله خير حافظا
فتوكل على الله فيه ودفعه اليهم وحافظا تمييز كقولك هو خير منه رجلا ولله دره فارسا ويجوز ان يكون
حالا وقرئ حفظا وقرأ الاعمش فالله خير حافظ وقرا ابو هريرة رضي الله عنه خير الحافظين وهو ارحم
الراحمين فارجو ان ينعم علي بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين ﴿ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت
اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير﴾
وقرئ ردت الينا بالكسر على ان كسرة الدال المدغمة نقلت الى الراء نقلها في قيل وبيع وحكى قطرب ضرب زيد
على نقل كسرة الراء فيمن سكنها الى الضاد ما نبغي للنفي اي ما نبغي في القول وما نتزيد فيما وصفنا لك من
احسان الملك واكرامه وكانوا يقولون قالوا له انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجلا
من آل يعقوب ما اكرمنا كرامته او ما نبتغي شيئا وراء ما فعل بنا من الاحسان او على الاستفهام بمعنى
اي شيء نطلب وراء هذا وفي قراءة ابن مسعود ما تبغي بالتاء على مخاطبة يعقوب معناه معناه اي شيء تطلب
وراء هذا من الاحسان او من الشاهد على صدقنا وقيل معناه ما نريد منك بضاعة اخرى وقوله تعالى
هذه بضاعتنا ردت الينا جملة مستانفة موضحة لقوله ما نبغي والجمل بعدها معطوفة عليها على معنى ان
بضاعتنا ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا في رجوعنا الى الملك ونحفظ اخانا وما يصيبه شيء مما تخافه
ونزداد باستصحاب اخينا وسق بعير زائدا على اوساق اباعرنا فاي شيء نبتغي وراء هذه المباغي التي نستصلح
بها احوالنا ونوسع ذات ايدينا وانما قالوا ونزداد كيل بعير لما ذكرنا انه كان لا يزيد للرجل على حمل بعير
للتقسيط فان قلت هذا اذا فسرت البغي بالطلب فاما اذا فسرته بالكذب والتزيد في القول كانت
الجملة الاولى وهي قوله هذه بضاعتنا ردت الينا ونفعل كيت الينا بيانا لصدقهم وانتفاء التزيد في قولهم
فما نصنع بالجمل البواقي قلت اعطفها على قوله تعالى ما نبغي على معنى لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا ونفعل
كيت وكيت ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ لقولك وينبغي ان نمير اهلنا كما تقول سعيت في حاجة فلان واجتهد
في تحصيل غرضه ويجب ان تسعى وينبغي لي ان لا اقصر ويجوز ان يراد ما نبغي وما ننطق الا بالصواب فيما نشير
به عليك من تجهيزنا مع اخينا ثم قالوا هذه بضاعتنا فنستظهر بها ونمير اهلنا ونفعل ونصنع بيانا لانهم لا يبغون
في رايهم وانهم مصيبون فيه وهو وجه حسن نافع في ذلك كيل يسير اي ذلك مكيل قليل لا يكفينا ما يكال لهم
فارادوا ان يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم او يكون ذلك اشارة الى كيل البعير اي ذلك الكيل شيء قليل يجيبنا اليه

الملك ولا يضايقنا فيه او سهل عليه لا يتعاظمه ويجوز ان يكون من كلام يعقوب عليه الصلاة والسلام وان حمل بعير
واحد شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد كقوله ذلك ليعلم قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني
به الا ان يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل لن ارسله معكم منافٍ لحالي وقد رايت منكم ما رايت
ارساله معكم حتى تؤتوني موثقا من الله حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله اراد ان يحلفوا له بالله وانما جعل
الحلف بالله موثقا منه لان الحلف به مما تؤكد به العهود وتشدد وقد اذن الله في ذلك فهو اذن منه لتأتنني به
جواب اليمين لان المعنى حتى تحلفوا لتأتنني به الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فلم تطيقوا الاتيان به او الا
ان تهلكوا فان قلت اخبرني عن حقيقة هذا الاستثناء ففيه اشكال قلت ان يحاط بكم مفعول له والكلام
المثبت الذي هو قوله تعالى لتأتنني به في تأويل النفي معناه لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة
بكم اي لا تمتنعون منه لعلة من العلل الا لعلة واحدة وهي ان يحاط بكم فهو استثناء من اعم العام في المفعول له
والاستثناء من اعم العام لا يكون الا في النفي وحده فلا بد من تأويله بالنفي ونظيره من الاثبات المتأول
بمعنى النفي قولهم اقسمت بالله لما فعلت والا فعلت تريد ما اطلب منك الا الفعل على ما نقول من طلب
الموثق واعطائه وكيل رقيب مطلع وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة
وما اغني عنكم من الله من شيء ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون وانما نهاهم ان يدخلوا
من باب واحد لانهم كانوا ذوي بهاء وشارة حسنة وقد اشتهرهم اهل مصر بالقربة عند الملك والتكرمة
الخاصة التي لم تكن لغيرهم وكانوا مظنة لطموح الابصار اليهم من بين الوفود وان يشار اليهم بالاصابع ويقال
هؤلاء اضياف الملك انظروا اليهم ما احسنهم من فتيان وما احقهم بالاكرام لامر ما اكرمهم الملك وقربهم
وفضلهم على الوافدين عليه فخاف لذلك ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا لجمالهم وجلالة امرهم في الصدور
فيصيبهم ما يسوؤهم ولذلك لم يوصهم بالتفرق في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس
فان قلت هل للاصابة بالعين وجه تصح عليه قلت يجوز ان يحدث الله عز وجل عند النظر الى الشيء والاعجاب به
نقصانا فيه وخللا من بعض الوجوه ويكون ذلك ابتلاء من الله وامتحانا لعباده ليتميز المحققون من اهل الحشو
فيقول المحقق هذا فعل الله ويقول الحشوي هو اثر العين كما قال وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الاية وعن النبي
صلى الله عليه وسلم انه كان يعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما فيقول اعيذكما بكلمات الله التامة من كل عين لامة ومن
كل شيطان وهامة وما اغني عنكم من الله من شيء يعني ان اراد الله بكم سوءا لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما اشرت به عليكم
وهو مصيبكم لا محالة ان الحكم الا لله ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء الا حاجة في نفس
يعقوب قضاها وانه لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ثم قال ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم
اي متفرقين ما كان يغني عنهم راي يعقوب ودخولهم متفرقين شيئا قط حيث اصابهم ما ساءهم مع تفرقهم
من اضافة السرقة اليهم وافتضاحهم بذلك واخذ اخيهم بوجدان الصواع في رحله وتضاعف المصيبة على ابيهم
الا حاجة استثناء منقطع على معنى ولكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهي شفقته عليهم واظهارها بما قاله
لهم ووصاهم به وانه لذو علم يعني قوله وما اغني عنكم وعلمه بان القدر لا يغني عنه الحذر ولما دخلوا
على يوسف آوى اليه اخاه قال اني انا اخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون آوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين وروي
انهم قالوا له هذا اخونا قد جئناك به فقال لهم احسنتم واصبتم وستجدون ذلك عندي فانزلهم واكرمهم ثم اضافهم

فاجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف عليه الصلاة
والسلام بقي اخوكم وحيدا فاجلسه معه على مائدته وجعل يواكله وقال انتم عشرة فلينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا
لا ثاني له فيكون معي فبات يوسف عليه الصلاة والسلام يضمه اليه ويشم رائحته حتى اصبح وسأله عن ولده فقال لي
عشرة بنين اشتققت اسماءهم من اسم اخ لي هلك فقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد
اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه وقال له اني انا اخوك يوسف فلا
تبتئس فلا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما اعلمتك وعن ابن
عباس رضي الله عنهما تعرف اليه وعن وهب انما قال له انا اخوك بدل اخيك المفقود فلا تبتئس بما كنت تلقى منهم من
الحسد والاذى فقد امنتهم وروي انه قال له فانا لا افارقك قال قد علمت اغتمام والدي بي فاذا حبستك
ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان انسبك الى ما لا يجمل قال لا ابالي فافعل ما بدا لك قال فاني ادس صاعي في
رحلك ثم انادي عليك بانك قد سرقته ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم قال افعل فلما جهزهم بجهازهم جعل
السقاية في رحل اخيه ثم اذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون السقاية مشربة يسقى بها وهي الصواع قيل
كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به وقيل كانت الدواب تسقى بها ويكال بها وقيل كانت اناء
مستطيلا يشبه المكوك وقيل هي المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه تشرب به الاعاجم وقيل كانت فضة مموهة
بالذهب وقيل كانت مرصعة بالجواهر ثم اذن مؤذن ثم نادى مناد يقال آذنه اعلمه واذن اكثر
الاعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه وروي انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا ثم امر بهم فادركوا
وحبسوا ثم قيل لهم ذلك والعير الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر
حتى قيل لكل قافلة عير كانها جمع عير واصلها فعل كسقف وسقف فعل به ما فعل ببيض وعيد والمراد اصحاب
العير لقوله يا خيل الله اركبي وقرأ ابن مسعود وجعل السقاية على حذف جواب لما كانه قيل فلما جهزهم بجهازهم
وجعل السقاية في رحل اخيه امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع
الملك ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم وقرأ ابو عبد الرحمن السلمي تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا وقرئ
صواع وصوع بفتح الصاد وضمها والعين معجمة وغير معجمة وانا به زعيم يقوله المؤذن يريد انا بحمل البعير لمن جاء به
اؤديه الى من جاء به واراد وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض
وما كنا سارقين فما جزاؤه الضمير للصواع اي فما جزاء سرقته ان كنتم كاذبين في جحودكم وادعائكم البراءة منه قالوا
جزاؤه من وجد في رحله اي جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله وكان حكم السارق في آل يعقوب ان يسترق سنة
ولذلك استفتوا في جزائه وقولهم فهو جزاؤه تقرير للحكم اي فاخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير كقولك
حق زيد ان يكسى ويطعم وينعم عليه فذلك حقه او فهو حقه لتقرر ما ذكرته من استحقاقه وتلزمه ويجوز
ان يكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره على اقامة الظاهر فيها مقام المضمر والاصل جزاؤه من وجد في رحله
فهو هو فوضع الجزاء موضع هو كما تقول لصاحبك من اخو زيد فيقول اخوه من يقعد الى جنبه فهو هو يرجع
الضمير الاول الى من والثاني الى الاخ ثم يقول فهو اخوه مقيما للمظهر مقام المضمر ويحتمل ان يكون جزاؤه خبر
مبتدأ محذوف اي المسؤول عنه جزاؤه ثم افتوا بقولهم من وجد في رحله كما يقول من يستفتي في جزاء صيد المحرم جزاء
صيد المحرم ثم يقول ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه ثم استخرجها

قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين

ثم

ن وعاء اخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان لياخذ اخاه في دين الملك الا ان يشا الله نرفع درجات من نشا وفوق كل ذي علم عليم
فبدا باوعيتهم قبل وعاء اخيه قيل لهم من وكل بهم لا بد من تفتيش اوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة حتى بلغ
وعاءه فقال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر في رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا فاستخرجوه منه
وقرا الحسن رحمة الله عليه وعاء اخيه بضم الواو وهي لغة. وقرا سعيد ابن جبير اعاء اخيه بقلب الواو همزة
فان قلت لم ذكر ضمير الصواع مرات ثم انثه قلت رجع بالتانيث على السقاية او انث الصواع لانه
يذكر ويؤنث ولعل يوسف كان يسميه سقاية وعبيده صواعا فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقاية
وفيما يتصل بهم منه صواعا كذلك كدنا مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف يعني علمناه اياه واوحينا به اليه
ما كان لياخذ اخاه في دين الملك تفسير للكيد وبيان له لانه كان في دين ملك مصر وما كان يحكم به
في السارق ان يغرم مثلي ما اخذ لا ان يلزم ويستعبد الا ان يشاء الله. اي ما كان ياخذه الا بمشية الله
واذنه فيه نرفع درجات من نشاء في العلم كما رفعنا درجة يوسف عليه الصلاة والسلام فيه. وقرئ يرفع بالياء
ودرجات بالتنوين وفوق كل ذي علم عليم. فوقه ارفع درجة منه في علمه او وفوق العلماء كلهم عليم هم دونه
في العلم وهو الله عز وجل فان قلت ما اذن الله فيه يجب ان يكون حسنا فمن اي وجه حسن هذا الكيد وما
هو الا بهتان وتسريق لمن لم يسرق وتكذيب لمن لم يكذب وهو قوله تعالى انكم لسارقون فما جزاؤه ان كنتم كاذبين
قلت هو في صورة البهتان وليس ببهتان في الحقيقة لان قوله انكم لسارقون تورية عما جرى مجرى السرقة
من فعلهم بيوسف وقيل كان ذلك القول من المؤذن لا من يوسف وقوله تعالى ان كنتم كاذبين فرض لانتفاء
براءتهم وفرض التكذيب لا يكون تكذيبا على انه لو صرح لهم بالتكذيب كما صرح لهم بالتسريق لكان له وجه
لانهم كانوا كاذبين في قولهم وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب هذا وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية
التي يتوصل بها الى مصالح ومنافع دينية. لقوله تعالى لايوب عليه الصلاة والسلام. وخذ بيدك ضغثا
ليتخلص من جلدها ولا يحنث. وكقول ابرهيم عليه الصلاة والسلام هي اختي لتسلم من يد الكافر. وما الشرائع كلها
الا مصالح وطرق الى التخلص من الوقوع في المفاسد وقد علم الله في هذه الحيلة التي لقنها يوسف عليه الصلاة
والسلام مصالح عظيمة فجعلها سلما وذريعة اليها فكانت حسنة جميلة وانزاحت عنها وجوه القبح لما ذكرنا.
قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا والله اعلم
بما تصفون اخ له ارادوا يوسف روي انهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم حياء واقبلوا
عليه وقالوا له ماذا الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء متى اخذت
هذا الصاع فقال بنو راحيل الذين لا يزال منكم عليهم البلاء ذهبتم باخي فاهلكتموه ووضع هذا الصواع في رحلي
الذي وضع البضاعة في رحالكم. واختلف فيما اضافوا الى يوسف من السرقة فقيل كان اخذ في صباه
صنما لجده ابي امه فكسره والقاه بين الجيف في الطريق. وقيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا
يعبدونه فدفنه. وقيل كانت في المنزل عناق او دجاجة فاعطاها السائل. وقيل كانت لابرهيم عليه
الصلاة والسلام منطقة يتوارثها اكابر ولده فورثها اسحاق ثم وقعت الى ابنته وكانت اكبر اولاده.
فحضنت يوسف عمته بعد وفاة امه وكانت لا تصبر عنه فلما شب اراد يعقوب ان ينتزعه منها
فعمدت الى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه ثم قالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من اخذها

فوجدوها

وجدوها محزونة على يوسف فقالت انه لي سلم افعل به ما شئت فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت فاسرها اضمار على شريطة
التفسير تفسيره انتم شر مكانا وانما انث لان قوله انتم شر مكانا جملة او كلمة على تسميتهم الطائفة من الكلام كلمة
كانه قيل فاسر الجملة او الكلمة التي هي قوله انتم شر مكانا والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا لان قوله قال انتم
شر مكانا بدل من اسرها وفي قراءة ابن مسعود فاسره على التذكير يريد القول او الكلام والمعنى انتم شر مكانا
انتم شر منزلة في السرق لانكم سارقون بالصحة لسرقتكم اخاكم من ابيكم والله اعلم بما تصفون يعلم انه لم يصح
لي ولا لاخي سرقة وليس الامر كما تصفون قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه انا نراك من
المحسنين استعطفوه بذكر ابيهم وحب ابيهم اياه وانه شيخ كبير السن او كبير القدر وان بنيامين احب
اليه منهم وكانوا قد اخبروه بان ولدا له قد هلك وهو عليه ثكلان وانه مستأنس باخيه فخذ احدنا مكانه فخذ
بدله على وجه الاسترهان او الاستعباد انا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك او من عادتك الاحسان
فاجر على عادتك ولا تغيرها قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون معاذ الله
هو كلام موجه ظاهره انه وجب على قضية فتواكم اخذ من وجد الصواع في رحله واستعباده فلو اخذنا غيره
كان ذلك ظلما في مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم انه ظلم وباطنه ان الله امرني واوحى الي باخذ بنيامين واحتباسه
لمصلحة او لمصالح جمة علمها في ذلك فلو اخذت غيره من امرني باخذه كنت ظالما وعاملا على خلاف الوحي ومعنى معاذ
الله ان ناخذ نعوذ بالله معاذا من ان ناخذ فاضيف المصدر الى المفعول به وحذف من واذن جواب لهم وجزاء
لان المعنى ان اخذنا بدله ظلمنا فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم
موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن ابرح الارض حتى ياذن لي ابي او يحكم الله لي وهو خير الحاكمين
استيأسوا يئسوا وزيادة السين والتاء في المبالغة نحو ما مر في استعصم والنجي على معنيين يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير
بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله عز وجل وقربناه نجيا وبمعنى المصدر الذي هو التناجي كما قيل النجوى بمعناه ومنه
قيل قوم نجي كما قيل واذ هم نجوى تنزيلا للمصدر منزلة الاوصاف ويجوز ان يقال هم نجي كما قيل النجوى بمعناه هم صديق
لانه بزنة المصادر وجمع انجية قال اني اذا ما القوم كانوا انجية ومعنى خلصوا اعتزلوا وانفردوا
عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم نجيا ذوي نجوى او فوجا نجيا او مناجيا لمناجاة بعضهم بعضا واحسن
منه انهم تمحضوا تناجيا لاستجماعهم لذلك وافاضتهم فيه بجد واهتمام كانهم في انفسهم صورة التناجي وحقيقته
وكان تناجيهم في تدبير امرهم على اي صفة يذهبون وماذا يقولون لابيهم في شان اخيهم كقوم تعايوا
بما دهمهم من الخطب فاحتاجوا الى التشاور وكبيرهم في السن وهو روبيل وقيل رئيسهم وهو شمعون وقيل كبيرهم في العقل
والرأي وهو يهوذا ما فرطتم في يوسف فيه وجوه ان تكون ما صلة اي ومن قبل هذا قصرتم في شان
يوسف ولم تحفظوا عهد ابيكم وان تكون مصدرية على ان محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من
قبل ومعناه ووقع من قبل تفريطكم في يوسف او النصب عطفا على مفعول الم تعلموا وهو ان اباكم كانه قيل
الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل في يوسف وان تكون موصولة بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه
في حق يوسف من الجناية العظيمة ومحله الرفع او النصب على الوجهين فلن ابرح الارض فلن افارق ارض
مصر حتى ياذن لي ابي في الانصراف اليه او يحكم الله لي بالخروج منها او بالانتصاف ممن اخذ اخي او بخلاصه
من يده بسبب من الاسباب وهو خير الحاكمين لانه لا يحكم ابدا الا بالحق والعدل ارجعوا الى ابيكم فقولوا

يا ابانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين وقرئ سُرِّق وما شهدنا عليه بالسرقة
الا بما علمنا من سرقته وتيقناه لان الصواع استخرج من وعائه ولا شيء ابين من هذا وما كنا للغيب حافظين
وما علمنا انه سيسرق حين اعطيناك الموثق او ما علمنا انك تصاب به كما اصبت بيوسف ومن قرا سُرِّق فمعناه
وما شهدنا الا بقدر ما علمنا من التسريق وما كنا للغيب حافظين اسرق بالصحة ام دس الصاع في رحله ولم يشعر
واسئل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها وانا لصادقون القرية التي كنا فيها مصر اي ارسل الى اهلها
واسئلهم عن كنه القصة والعير التي اقبلنا فيها واصحاب العير وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب عليه الصلاة
والسلام وقيل من اهل صنعاء قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا انه هو العليم
الحكيم معناه فرجعوا الى ابيهم فقالوا له ما قال لهم اخوهم فقال بل سولت لكم انفسكم امرا اردتموه والا فما ادرى
ذلك الرجل ان السارق يؤخذ بسرقته لولا فتواكم وتعليمكم بهم جميعا بيوسف واخيه وروبيل او غيره انه العليم
بحالي في الحزن والاسف الحكيم الذي لا يبتلي بذلك الا لحكمة ومصلحة وتولى عنهم وقال يا اسفى على يوسف وابيضت
عيناه من الحزن فهو كظيم وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما جاؤا به يا اسفى اضاف الاسف وهو اشد الحزن
والحسرة الى نفسه والالف بدل من ياء الاضافة والتجانس بين لفظتي الاسف ويوسف مما يقع مطبوعا غير مستعمل فيملح
ويبدع ونحوه اثاقلتم الى الارض وهم ينهون عنه وينأون عنه يحسبون انهم يحسنون من سبأ بنبأ وعن النبي
صلى الله عليه وسلم لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون الا امة محمد الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه
لم يسترجع وانما قال يا اسفى فان قلت كيف تأسف على يوسف دون اخيه ودون الثالث والرزء الاحدث
اشد على النفس واظهر اثرا قلت هو دليل على تمادي اسفه على يوسف وانه لم يقع فائت عنده موقعه وان الرزء
فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا ولم تنسني اوفى المصيبات بعده ولكن نكاء القرح بالقرح اوجع ولان الرزء في
يوسف كان قاعدة مصيباته التي ترتبت عليها الرزايا في ولده فكان الاسف عليه اسفا من لحق به وابيضت
عيناه اذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته الى بياض كدر قيل قد عمي بصره وقيل كان يدرك
ادراكا ضعيفا قرئ من الحزن ومن الحزن الحزن كان سبب البكاء الذي حدث منه البياض فكانه حدث
من الحزن قيل ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض
اكرم على الله من يعقوب عليه الصلاة والسلام وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل ما بلغ من وجد يعقوب
على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة قط
فان قلت كيف جاز لنبي الله ان يبلغ به الجزع ذلك المبلغ قلت الانسان مجبول على ان لا يملك نفسه عند الشدائد
من الحزن ولذلك حمد صبره وان يضبط نفسه حتى لا يخرج الى ما لا يحسن ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده
ابراهيم وقال العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما الجزع المذموم
ما يقع من الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه بكى
على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكي وانت تنهانا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء
وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند الفرح وصوت عند الترح وعن الحسن رحمة الله عليه انه بكى على ولد او غيره
فقيل له في ذلك فقال ما رايت الله جعل الحزن عارا على يعقوب فهو كظيم فهو مملوء من الغيظ على اولاده ولا يظهر ما يسوؤه
فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله تعالى وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه والكظم بفتح الظاء مخرج النفس

بلغ مقابله

بنال احد

بلغ مقابله

بأكظامه قالوا تالله تفتؤا تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين تفتأ أراد لا تفتؤ فحذف حرف النفي
لا يلتبس بالاثبات لانه لو كان اثباتا لم يكن بد من اللام والنون ونحوه • فقلت يمين الله لا ابرح قاعدا • ومعنى لا تزال
وعن مجاهد • لا تفتؤ من حبه • كأنه جعل الفتوء والفتور أخوين يقال ما فتئ يفعل قال أوس •

• فما فتئت خيل تثوب وتدعي • ويلحق منها لاحق وتقطع •

أي حرضا مشفيا على الهلاك مرضا واحرضه المرض ويستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه مصدر والصفة
حرض بكسر الراء ونحوهما دنف ودنف وجاءت القراءة بهما جميعا • وقرأ الحسن حرضا بضمتين • ونحوه في الصفات رجل جنب
وغرب قال انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون البث اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه
فيبثه الى الناس اي ينشره ومنه باثه امره وابثه اياه ومعنى انما اشكو اني لا اشكو الى احد منكم ومن غيركم • انما اشكو الى
ربي داعيا له وملتجئا اليه اي فتولى عنهم • الى الله والشكاية اليه • وقيل دخل على يعقوب جار له فقال يا يعقوب
قد تهشمت وفنيت وما بلغت من السن ما بلغ ابوك فقال هشمني وافناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فاوحى
الله اليه يا يعقوب اتشكوني الى خلقي • قال يا رب خطيئة اخطأتها فاغفرها لي فغفر له • فكان بعد ذلك اذا
سئل قال انما اشكو بثي وحزني الى الله • وروي انه اوحي الى يعقوب انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام
ببابكم مسكين فلم تطعموه • وان احب خلقي الي الانبياء ثم المساكين • فاصنع طعاما وادع عليه المساكين • وقيل اشترى
جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت وأعلم من الله ما لا تعلمون • اي اعلم من صنعه ورحمته وحسن
ظني به انه يأتيني بالفرج من حيث لا احتسب • وروي انه رأى ملك الموت في منامه فسأله هل قبضت روح يوسف
فقال لا والله هو حي فاطلبه • وقرأ الحسن وحزني بفتحتين وحزني بضمتين قتادة • يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف
وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا
وتطلبوا خبرهما وقرئ بالجيم كما قرئ بهما في الحجرات وهما تفعل من الاحساس وهو المعرفة • فلما احس عيسى منهم الكفر
ومن الجس وهو الطلب ومنه قالوا • للمشاعر • الحواس والجواس • من روح الله • من فرجه وتنفيسه • وقرأ
الحسن وقتادة • من روح الله بالضم اي من رحمته التي يحيى بها العباد فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا
وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين الضر
الهزال من الشدة والجوع • مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته وطردته
والريح تزجي السحاب • قيل كان من متاع الاعراب صوفا وسمنا • وقيل صنوبر وحبة الخضراء • وقيل سويق المقل
والأقط • وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة • فأوف لنا الكيل الذي هو حقنا • وتصدق علينا بالمسامحة والاغماض
عن رداءة البضاعة • او زدنا على حقنا فسموا ما هو فضل وزيادة لا تلزمه صدقة لان الصدقات محظورة على الانبيا
وقيل كانت تحل لغير نبينا صلى الله عليه وسلم • وسئل ابن عيينة عن ذلك فقال ألم تسمع وتصدق علينا اراد انها كانت
حلالا لهم والظاهر انهم تمسكنوا له وطلبوا اليه ان يتصدق عليهم ومن ثم رق لهم وملكته الرحمة عليهم فلم يتمالك ان
عرفهم نفسه • وقوله تعالى ان الله يجزي المتصدقين شاهد لذلك لذكر الله وجزائه • والصدقة العطية التي تبتغى
بها المثوبة من الله تعالى • ومنه قول الحسن لمن سمعه يقول اللهم تصدق علي ان الله تعالى لا يتصدق وانما يتصدق
الذي يبتغي الثواب قل اللهم اعطني او تفضل علي او ارحمني قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون
قال هل علمتم اثامكم من جهة الدين وكان حليما موفقا فكلمهم مستفهما عن معرفة وجه القبح الذي يجب ان يراعيه

التائب فقال هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون لا تعلمون قبحه فلذلك اقدمتم عليه يعني هل علمتم قبحه فتبتم الى الله منه لان علم القبح يدعو الى الاستقباح والاستقباح يجر الى التوبة فكان كلامه شفقة عليهم وتنصيحا لهم في الدين لا معاتبة وتثريبا ايثارا لحق الله على حق نفسه في ذلك المقام الذي يتنفس فيه المكروب وينفث المصدور ويتشفى المغيظ المحنق ويدرك ثاره الموتور فلله اخلاق الانبياء ما اوطأها واسجحها ولله حصى عقولهم ما ازرنها وارجحها وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لانهم كانوا علماء ولكنهم لما لم يفعلوا ما يقتضيه العلم ولا يقدم عليه الا جاهل سماهم جاهلين وقيل معناه اذ انتم صبيان في حد السفه والطيش قبل ان تبلغوا اوان الحلم والرزانة روي انهم لما قالوا مسنا واهلنا الضر وتضرعوا اليه ارفضت عيناه ثم قال لهم هذا القول وقيل ادوا اليه كتاب يعقوب من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي به في النار ليحرق فنجاه الله وجعلت عليه بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه ففداه الله واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به ثم ذهبوا ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلم يتمالك يوسف لما قرأ الكتاب لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ذلك وروي انه لما قرأ الكتاب بكى وكتب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا فان قلت ما فعلهم باخيه قلت تعريضهم اياه للغم والثكل بافراده عن اخيه لابيه وامه وجفاؤهم به حتى كان لا يستطيع ان يكلم احدا منهم الا كلام الذليل للعزيز وايذاؤهم له بانواع الاذى قالوا ائنك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين قرئ ائنك على الاستفهام وانك على الايجاب وفي قراءة ابي ائنك او انت يوسف على معنى ائنك يوسف او انت يوسف فحذف الاول لدلالة الثاني وهذا كلام متعجب مستغرب لما يسمع فهو يكرر الاستثبات فان قلت كيف عرفوه قلت رأوا في روائه وشمائله حين كلمهم بذلك ما شعروا به انه هو مع علمهم بان ما خاطبهم به لا يصدر مثله الا عن حنيف مسلم من سنخ ابرهيم لا عن بعض اعزاء مصر وقيل تبسم عند ذلك فعرفوه بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم وقيل ما عرفوه حتى رفع التاج عن راسه فنظروا الى علامة بقرنه كانت ليعقوب وسارة مثلها تشبه الشامة البيضاء فان قلت قد سالوه عن نفسه فلم اجابهم عنها وعن اخيه على ان اخاه كان معلوما لهم قلت لانه كان في ذكر اخيه بيان لما سالوه عنه من يتق الله من يخف الله وعقابه ويصبر على المعاصي وعلى الطاعات فان الله لا يضيع اجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين لقد آثرك الله علينا اي فضلك علينا بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين وان شاننا وحالنا انا كنا خاطئين متعمدين للاثم ولم نتق ولم نصبر لا جرم ان الله تعالى اعزك بالملك واذلنا بالتمسكن بين يديك قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين لا تثريب عليكم لا تانيب عليكم ولا عتب واصل التثريب من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش ومعناه ازالة الثرب كما ان التجليد والتقريع ازالة الجلد والقرع لانه اذا ذهب كان غاية الهزال والعجف الذي ليس بعده فضرب مثلا للتقريع الذي يمزق الاعراض ويذهب بماء الوجوه فان قلت بم تعلق اليوم قلت بالتثريب او بالمقدر في عليكم من معنى الاستقرار او بيغفر والمعنى لا اثربكم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الايام ثم ابتدأ فقال يغفر الله لكم فدعا لهم

المغفرة

يغفر ما فرط منهم يقال غفر الله لك ويغفر الله لك على لفظ الماضي والمضارع جميعاً ومنه قول المشمت يهديكم الله
ويصلح بالكم او اليوم يغفر الله لكم لانه بشرهم بعاجل غفران الله لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم وروي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ما ترونني فاعلاً بكم قالوا نظن خيراً
اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم وروي ان ابا
سفيان لما جاء ليسلم قال له العباس اذا اتيت الرسول فاتل عليه قال لا تثريب عليكم ففعل فقال رسول الله عليه
الصلاة والسلام غفر الله لك ولمن علمك ويروى ان اخوته لما عرفوه ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة
وعشياً ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال يوسف ان اهل مصر وان ملكت فيهم فانهم ينظرون الي بالعين الاولى
ويقولون سبحان من بلغ عبداً بيع بعشرين درهماً ما بلغ ولقد شرفت الآن بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس
انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يات بصيراً واتوني باهلكم اجمعين
اذهبوا بقميصي قيل هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف وكان من الجنة امره جبريل عليه الصلاة
والسلام ان يرسله اليه فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفي يات بصيراً يصير بصيراً كقولك جاء
البناء محكماً بمعنى صار ويشهد له فارتد بصيراً او يات الي وهو بصير ويشهد قوله تعالى واتوني باهلكم
اي ياتي ابي ويأتي اليه جميعاً وقيل يهوذا هو الحامل له قال انا احزنته بحمل القميص ملطوخاً بالدم اليه فافرحه كما احزنته
وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخاً ولما فصلت العير قال ابوهم اني
لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون فصلت العير خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولاً اذا انفصل
منه وجاوز حيطانه وقرا ابن عباس رضي الله عنهما فلما انفصل العير قال لولد ولده ومن حوله من قومه اني لاجد
ريح يوسف اوجده الله ريح القميص حين اقبل من مسيرة ثمانين والتفنيد النسبة الى الفند وهو الخرف وانكار
العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لانها لم تكن في شبيبتها ذات رأي فتفند في كبرها والمعنى
لولا تفنيدكم اياي لصدقتموني قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب
قدماً في افراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك للقائه وكان عندهم انه قد مات فلما ان جاء البشير القاه على
وجهه فارتد بصيراً قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون القاه طرح البشير القميص على وجه يعقوب
او القاه يعقوب فارتد رجع بصيراً يقال رده فارتد وارتده اذا ارجعه قال الم اقل لكم يعني قوله اني لاجد
ريح يوسف او قوله ولا تيأسوا من روح الله وقوله اني اعلم كلام مبتدأ لم يقع عليه القول ولك ان توقعه
عليه وتريد قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون وروي انه سأل البشير كيف يوسف فقال
هو ملك مصر فقال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة قالوا يا ابانا
استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم سوف استغفر لكم قيل اخر الاستغفار
الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة ليتعمد به وقت الاجابة وقيل ليتعرف حالهم في صدق التوبة واخلاصها
وقيل اراد الدوام على الاستغفار لهم فقد روي انه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة
وقيل قام الى الصلاة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه
واغفر لولدي ما اتوا الى اخيهم فاوحى اليه الله قد غفر لك ولهم اجمعين وروي انهم قد قالوا له وقد علتهم الكآبة
ما يغني عنا عفوكما ان لم يعف عنا ربنا فان لم يوح اليك بالعفو فلا قرت لنا عين ابداً فاستقبل الشيخ القبلة قائماً

يدعوا وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا انها الهلكة نزل جبريل
عليه الصلاة والسلام فقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وقد اختلف في
استنبائهم فلما دخلوا على يوسف آوى اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ورفع ابويه على العرش وخروا
له سجدا وقال يا ابت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم
من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم فلما دخلوا على
يوسف قيل وجه يوسف الى ابيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه وخرج يوسف والملك في اربعة آلاف
من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشي يتوكأ على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال
يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا ولدك فلما لقيه قال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل ان
يوسف قال له لما التقيا يا ابت بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا فقال بلى ولكن خشيت ان
تسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة
وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستمائة الف وخمسمائة وبضع وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية
الف الف ومائتي الف اوى اليه ابويه ضمهما اليه واعتنقهما قال ابن اسحاق كانت امه حيا وقيل هما ابوه وخالته
ماتت امه فتزوجها وجعلها احد الابوين لانه تدعى اما لقيامها مقام الام او لان الخالة ام كما ان العم
اب ومنه قوله تعالى واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق فان قلت ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر قلت
كانه حين استقبلهم نزل لهم في مضرب او بيت ثم دخلوا عليه وضم اليه ابويه ثم قال لهم ادخلوا مصر ان شاء الله
آمنين ولما دخل مصر وجلس في مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا اليه اكرم ابويه فرفعهما على السرير وخروا له
يعني الاخوة الاحد عشر والابوين سجدا ويجوز ان تكون قد خرج في قبة من قباب الملوك التي تحمل على البغال
فامر ان يرفع اليه ابواه فدخلا عليه القبة فآواهما اليه بالضم والاعتناق وقربهما منه وقال بعد ذلك ادخلوا
مصر فان قلت بم تعلقت المشيئة قلت بالدخول مكيفا بالامن لان القصد الى اتصافهم بالامن في دخولهم
فكانه قيل لهم اسلموا وامنوا في دخولكم ان شاء الله ونظيره دخلتم آمنين ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام ثم
اعترض بالجملة الجزائية وما الحال ينبغي الحال وما الحال ومن بدع التفاسير ان قوله ان شاء الله من باب التقديم
والتأخير وان موضعها ما بعد قوله سوف استغفر لكم ربي في كلام يعقوب وما ادري ما اقول فيه وفي نظائره
فان قلت كيف جاز لهم ان يسجدوا لغير الله قلت كانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام
والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها مما جرت عليه عادة الناس من افعال شهرت في التعظيم والتوقير وقيل ما كانت
الا انحناء دون تعفير الجباه وخرورهم سجدا يأباه وقيل معناه وخروا لاجل يوسف سجدا لله شكرا وهذا ايضا
فيه نبوة يقال احسن اليه وبه وكذلك اساء اليه وبه قال اسيئي بنا او احسني لا ملومة من البدو من البادية
لانهم كانوا اهل عمد واصحاب مواش ينتقلون في المياه والمناجع نزغ افسد بيننا واغرى واصله من نخس الرائض
الدابة وحمله على الجري يقال نزغه ونسغه اذا نخسه لطيف لما يشاء لطيف التدبير لاجله رفيق حتى يجيء على
وجه الحكمة والصواب وروي ان يوسف عليه الصلاة والسلام اخذ بيد يعقوب صلى الله عليه وسلم فطاف به
في خزائنه فادخله في خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك فلما
ادخله خزائن القراطيس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني

جبريل قال أوما تسأله قال أنت أبسط إليه مني فسأله قال جبريل الله أمرني بذلك لقولك وأخاف أن يأكله الذئب قال فهلا
خفتني وروي أن يعقوب عليه الصلاة والسلام أقام معه أربعا وعشرين سنة ثم مات وأوصى أن تدفنه بالشام إلى
جنب أبيه إسحق عليه الصلاة والسلام فمضى ودفنه ثمة ثم عاد إلى مصر وعاش بعد أبيه ثلاثا وعشرين سنة فلما تم أمره
وعلم أنه لا يدوم له طلبت نفسه الملك الدائم فتاقت نفسه إليه فتمنى الموت وقيل ما تمناه نبي قبله ولا بعده
فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم أهل مصر وتشاحوا في دفنه كل يحب أن يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فرأوا
من الرأي أن عملوا له صندوقا من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل إلى مصر
ليكونوا كلهم فيه شرعا وولد له أفرائيم وميشا وولد لأفرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى ولقد
توارثت الفراعنة من العماليق بعده مصر ولم تزل بنو إسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه إلى أن
بعث الله محمدا عليه الصلاة والسلام **رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض**
أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين من في من الملك ومن تأويل الأحاديث للتبعيض
لأنه لم يؤت إلا بعض ملك الدنيا أو بعض ملك مصر أو بعض التأويل أنت وليي الذي يتولاني بالنعمة في الدارين
وتوصل الملك الفاني بالملك الباقي توفني مسلما طلب للوفاة على حال الإسلام ولأن تختم له بالخير والحسنى كما
قال يعقوب عليه الصلاة والسلام ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ويجوز أن يكون تمنيا للموت على ما قيل وألحقني
بالصالحين من آبائي أو على العموم وعن عمر بن عبد العزيز أن ميمون بن مهران بات عنده فرآه كثير البكاء والمسألة
للموت فقال له صنع الله على يديك خيرا كثيرا أحييت سننا وأمت بدعا وفي حياتك خير وراحة للمسلمين فقال
أفلا أكون كالعبد الصالح لما أتم الله عليه نعمته وجمع أمره قال توفني مسلما وألحقني بالصالحين فإن قلت علام انتصب
فاطر السموات قلت على أنه وصف كقوله رب كقولك أخا زيد حسن الوجه أو على النداء **ذلك من أنباء**
الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون ذلك إشارة إلى ما سبق من نبأ يوسف
والخطاب لرسول الله ومحله الابتداء وقوله تعالى من أنباء الغيب نوحيه إليك خبران ويجوز أن يكون
اسما موصولا بمعنى الذي ومن أنباء الغيب صلته ونوحيه الخبر والمعنى أن النبأ غيب لم تحصل لك إلا من
جهة الوحي لأنك لم تحضر بني يعقوب حين أجمعوا أمرهم وهو إلقاؤهم إياه في البئر كقوله تعالى وأجمعوا أن
يجعلوه في غيابة الجب وهذا تهكم بقريش وبمن كذبه لأنه لم يخف على أحد من المكذبين أنه لم يكن من
حملة هذا الحديث وأشباهه ولا لقي فيها أحدا ولا سمع منه ولم يكن من علم قومه فإذا أخبر به وقصه
هذا القصص العجيب الذي أعجز حملته ورواته لم تقع شبهة في أنه ليس منه وأنه من جهة الوحي فإذا أنكروه تهكم
بهم وقيل لهم قد علمتم يا مكابرون أنه لم يكن مشاهدا لمن مضى من القرون الخالية ونحوه وما كنت بجانب الغربي إذ
قضينا إلى موسى الأمر وهم يمكرون بيوسف ويبغون له الغوائل **وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين** وما
أكثر الناس يريد العموم لقوله تعالى ولكن أكثر الناس لا يؤمنون وعن ابن عباس رضي الله عنهما أراد أهل مكة
أي وما هم بمؤمنين ولو حرصت وتهالكت على إيمانهم لتصميمهم على الكفر وعنادهم **وما تسألهم عليه من**
أجر إن هو إلا ذكر للعالمين وما تسألهم على ما تحدثهم به وتذكرهم أن ينيلوك منفعة وجدوى كما يفعله حملة
الأحاديث والأخبار إن هو إلا ذكر عظة من الله تعالى للعالمين عامة وحث على طلب النجاة على لسان رسول من
رسله **وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون** من آية من علامة ودلالة على الخالق

وعلى صفاته وتوحيده يمرون عليها وفي مصحف عبد الله والارض يمشون عليها برفع الارض ليشاهدوا ما فيها وهم عنها
معرضون عنها لا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على الابتداء ويمرون عليها خبره وقرأ السدي والارض
بالنصب على ويطأون الارض يمرون عليها وفي مصحف عبد الله والارض يمشون عليها برفع الارض والمراد ما يرون
من آثار الامم الهالكة وغير ذلك من العبر وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون وما يؤمن اكثرهم في اقراره بالله
وبانه خلقه وخلق السموات والارض الا وهو مشرك بعبادة الوثن وعن الحسن رحمة الله عليه هم اهل الكتاب
معهم شرك وايمان وعن ابن عباس رضي الله عنهما الذين يشبهون الله بخلقه افأمنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب
الله او تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون غاشية نقمة تغشاهم وقيل ما يغمرهم من العذاب ويجللهم
وقيل الصواعق قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين
هذه سبيلي هذه السبيل التي هي الدعوة الى الايمان والتوحيد سبيلي والسبيل والطريق يذكران ويؤنثان ثم فسر
سبيله بقوله ادعو الى الله على بصيرة اي ادعو الى دينه مع حجة واضحة غير عمياء وانا تاكيد للمستتر في ادعو ومن اتبعني
عطف عليه يريد ادعو اليها انا ويدعو اليها من اتبعني ويجوز ان يكون مبتدأ انا ومن اتبعه على حجة وبرهان
لا على هوى ويجوز ان يكون على بصيرة حالا من ادعو عاملة الرفع في انا ومن اتبعني وسبحان الله وانزهه
من الشركاء وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم من اهل القرى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا افلا تعقلون الا رجالا لا ملائكة لانهم كانوا
يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة وعن ابن عباس رضي الله عنهما يريد ليست فيهم امرأة وقيل في سجاح
المتنبئة ولم تكن انبياء الله ذكرانا وقرئ بالنون من اهل القرى لانهم كانوا اعلم واحلم واهل
البوادي فيهم الجهل والجفاء والقسوة ولدار الآخرة ولدار الساعة او الحال الآخرة خير للذين اتقوا اخافوا
خافوا الله فلم يشركوا به ولم يعصوه وقرئ افلا يعقلون بالياء والتاء حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم
قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام
كانه قيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا فتراخى نصرهم حتى استيأسوا عن النصر وظنوا انهم قد كذبوا
اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او رجاؤهم لقولهم رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى
ان مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله وتأميله قد تطاولت عليهم وتمادت
حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم في الدنيا فجاءهم نصرنا فجاءة من غير احتساب وعن ابن عباس
رضي الله عنهما وظنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر وقال وكانوا بشرا وتلا
قوله تعالى وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله فان صح هذا عن ابن عباس فقد اراد
بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية واما الظن الذي
هو ترجح احد الجائزين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال رسل الله الذين هم اعرف الناس بربهم وانه متعال
عن خلف الميعاد منزه عن كل قبيح وقيل وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا اي اخلفوا او وظن المرسل
اليهم انهم كذبوا من جهة الرسل اي كذبتهم الرسل في انهم ينصرون عليهم ولم يصدقوا فيه وقرئ كذبوا
بالتشديد على وظن الرسل انهم قد كذبتهم قومهم فيما وعدوهم من العذاب والنصرة عليهم وقرأ مجاهد كذبوا
بالتخفيف على البناء للفاعل على وظن الرسل انهم قد كذبوا فيما حدثوا به قومهم من النصرة اما على تاويل ابن عباس

نوحي

رضي

رضي الله عنهما واما على ان قومهم اذ لم يروا لموعدهم اثرا قالوا لهم انكم لقد كذبتمونا فيكونون كاذبين عند قومهم او وظن
المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا وقرئ كذبوا مشددا فالظان معناه وظن الرسل ان قومهم كذبوهم في موعدهم
وقرئ فنجي بالتخفيف والتشديد من انجاه ونجاه وفنجى على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرأ ابن محيصن فنجا والمراد
بمن نشاء المؤمنين لانهم الذين يستأهلون ان يشاء نجاتهم وقد بين ذلك بقوله ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين
لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل
كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون الضمير في قصصهم للرسل وينصره قراءة من قرأ في قصصهم بكسر القاف
وقيل هو راجع الى يوسف عليه الصلاة والسلام واخوته فان قلت فلم لم يرجع الضمير في ما كان حديثا يفترى
وقرأ بالكسر قلت الى القرآن حديثا يفترى ولكن كان تصديق الذي بين يديه اي قبله من الكتب السماوية
وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين لانه القانون الذي يستند اليه السنة والاجماع والقياس بعد ادلة
العقل وانتصاب ما نصب بعد لكن للعطف على خبر كان وقرئ ذلك بالرفع على ولكن هو تصديق الذي بين
يديه • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه
هون الله عليه سكرات الموت واعطاه الله القوة ان لا يحسد مسلما والله سبحانه وتعالى اعلم

سورة الرعد مكية بسم الله الرحمن الرحيم هي ثلاث واربعون آية

المر تلك آيات الكتاب والذي انزل اليك من ربك الحق ولكن اكثر الناس لا يؤمنون تلك اشارة الى آيات السورة والمراد
بالكتاب السورة اي تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها ثم قال والذي انزل اليك من القرآن كله هو الحق الذي
لا مزيد عليه لا هذه السورة وحدها وفي اسلوبه قول الانمارية •
• هم كالحلقة المفرغة لا يدرى • اين طرفاها تريد الكملة • الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها
ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون
الله مبتدأ والذي خبره بدليل قوله تعالى وهو الذي مد الارض ويجوز ان يكون صفة وقوله يدبر الامر
يفصل الآيات خبرا بعد خبر وينصره ما تقدمه من ذكر الآيات ورفع السموات بغير عمد ترونها كلام مستأنف
استشهاد برؤيتهم لها كذلك وقيل هي صفة لعمد ويعضده قراءة ابي ترونه وقرئ عمد بضمتين يدبر الامر امر
ملكوته وربوبيته يفصل آيات في كتبه المنزلة لعلكم توقنون بالجزاء وبان هذا المدبر والمفصل لا بد لكم من
الرجوع اليه وقرأ الحسن ندبر بالنون وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها
زوجين اثنين يغشي الليل النهار ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون جعل فيها زوجين اثنين خلق فيها من جميع
انواع الثمرات زوجين زوجين مدة ما ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت وقيل اراد بالزوجين الاسود والابيض
والحلو والحامض والصغير والكبير وما اشبه ذلك من الاصناف المختلفة يغشي الليل النهار يلبسه مكانه
فيصير الجو مظلما بعدما كان ابيض منيرا وقرئ يغشي بالتشديد وفي الارض قطع متجاورات وجنات
من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك
لآيات لقوم يعقلون قطع متجاورات بعضها مختلفة مع كونها متجاورة مثلا صفة طيبة الى سبخة وكريمة

الى زهيدة وصلبة الى رخوة وصالحة للزرع لا للشجر الى اخرى على عكسها مع انتظامها جميعا في جنس الارضية وذلك دليل
على قادر مريد موقع لافعاله على وجه دون وجه وكذلك الكروم والزروع والنخيل النابتة في هذه القطع مختلفة
الاجناس والانواع وهي تسقى بماء واحد وتراها متغايرة الثمر في الاشكال والالوان والطعوم والروائح متفاضلة
فيها وفي بعض المصاحف قطعا متجاورات على وجعل وقرئ وجنات بالنصب للعطف على زوجين او باضمار
على كل الثمرات وقرئ وزرع ونخيل بالجر عطفا على اعناب او جنات والصنوان جمع صنو وهي النخلة
لها راسان واصلها واحد وقرئ بالضم فالكسر لغة اهل الحجاز والضم لغة بني تميم وقيس تسقى بالتاء والياء
ونفضل بالنون وبالياء على البناء للفاعل والمفعول جميعا في الاكل بضم الكاف وسكونها وان تعجب
فعجب قولهم أإذا كنا ترابا أإنا لفي خلق جديد وان تعجب يا محمد من قولهم في انكار البعث فقولهم عجيب حقيق بان
يتعجب منه لان من قدر على انشاء ما عدد عليك من الفطر العظيمة ولم يعي بخلقهن كانت الاعادة اهون شيء
عليه وايسر فكان انكارهم اعجوبة من الاعاجيب أإذا كنا الى آخر قولهم يجوز ان يكون في محل الرفع بدلا من قولهم
وان يكون منصوبا بالقول واذا نصب بما دل عليه قوله تعالى أإنا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم واولئك
الاغلال في اعناقهم واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون اولئك الذين كفروا بربهم اولئك الكاملون
المتمادون في كفرهم واولئك الاغلال في اعناقهم وصف بالاصرار كقوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا لا
وتحجم لهم عن الرشد اغلالا واقفة او هو من جملة الوعيد ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم
المثلات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب بالسيئة قبل الحسنة بالنقمة قبل
العافية والاحسان اليهم بالامهال وذلك انهم سألوا رسول الله ان يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره وقد خلت
من قبلهم المثلات اي عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزئوا والمثلة العقوبة بوزن السمرة
والمثلة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة وجزاء سيئة سيئة مثلها ويقال امثلت الرجل من صاحبه
واقصصته منه والمثال القصاص وقرئ المثلات بفتحتين لاتباع الفاء العين والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء
كما يقال السمرة والمثلات بضم الميم وسكون الثاء تخفيف المثلات بضمتين والمثلات جمع مثلة كركبة وركبات
لذو مغفرة للناس على ظلمهم اي مع ظلمهم انفسهم بالذنوب ومحله الحال بمعنى ظالمين لانفسهم وفيه اوجه ان يريد
السيئات المكفرة لمجتنب الكبائر او الكبائر بشرط التوبة او يريد بالمغفرة الستر والامهال وروي انها لما نزلت
قال النبي صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه لما هنأ احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول
الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه انما انت منذر ولكل قوم هاد لولا انزل عليه آية من ربه لم يعتدوا بالآيات المنزلة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام من انقلاب العصا حية
واحياء الموتى فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انما انت رجل ارسلت منذرا مخوفا لهم من سوء العاقبة وناصحا كغيرك
من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به انك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة باية آية كانت والآيات كلها سواء
في حصول صحة الدعوى بها لا تفاوت بينها والذي عنده كل شيء بمقدار يعطي كل نبي آية على حسب ما اقتضاه المصالح
وتقدير لها ولكل قوم هاد من الانبياء يهديهم الى الدين ويدعوهم الى الله بوجه من الهداية وباية خص بها
ولم يجعل الانبياء شرعا واحدا في آيات مخصوصة ووجه آخر وهو ان يكون المعنى انهم يجحدون كون ما انزل عليك
آيات ويعاندون فلا يهمنك ذلك انما انت منذر فما عليك الا ان تنذر لا ان تثبت الايمان في صدورهم ولست

بقادر

بقادر عليه ولكل قوم هاد قادر على هدايتهم وهو الله تعالى ولقد دل بما أردفه من ذكر آيات علمه وتقدير الأشياء
على قضايا حكمته أن إعطاءه كل منذر آيات خلاف آيات غيره أمر مدبر بالعلم النافذ مقدر بالحكمة الربانية
ولو علم في إجابتهم إلى مقترحهم خيرا ومصلحة لأجابهم إليه وأما على الوجه الثاني فقد دل به على أن من هذه
قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هدايتهم العالم بأي طريق يهديهم ولا سبيل إلى ذلك لغيره الله يعلم
ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار الله يعلم يحتمل أن يكون كلاما مستأنفا
وأن يكون المعنى هو الله تفسيرا للهادي على الوجه الأخير ثم ابتدئ فقيل يعلم ما تحمل كل أنثى وما في ما تحمل
وما تغيض الأرحام وما تزداد إما موصولة وإما مصدرية فإن كانت موصولة فالمعنى أنه يعلم ما تحمله
من الولد على أي حال هو من ذكورة وأنوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك من الأحوال
الحاضرة والمترقبة ويعلم ما تغيضه الأرحام أي تنقصه يقال غاض الماء وغضته أنا ومنه قوله
تعالى وغيض الماء وما تزداد أي تأخذه زائدا تقول أخذت منه حقي وازددت منه كذا ومنه قوله عز وجل
وازدادوا تسعا ويقال زدته فزاد بنفسه وازداد ومما تنقصه الرحم وتزداده عدد الولد فإنها تشتمل على
واحد وقد تشتمل على اثنين وثلاثة وأربعة ويروى أن شريكا كان رابع أربعة في بطن أمه ومنه جسد الولد
فإنه يكون تاما ومخدجا ومنه مدة ولادته فإنها تكون أقل من تسعة أشهر وأزيد عليها إلى سنتين عند أبي حنيفة رحمة
الله عليه وإلى أربع عند الشافعي رضي الله عنه وإلى خمس عند مالك رحمة الله عليه وقيل إن الضحاك ولد لسنتين وهرم
ابن حيان بقي في بطن أمه أربع سنين ولذلك سمي هرما ومنه الدم فإنه يقل ويكثر وإن كانت مصدرية
فالمعنى أنه يعلم حمل كل أنثى ويعلم غيض الأرحام وازديادها لا يخفى عليه شيء من ذلك ومن أوقاته وأحواله ويجوز
أن يراد غيوض ما في الأرحام وزيادته فأسند الفعل إلى الأرحام وهو لما فيها على أن الفعلين غير متعديين
ويعضده قول الحسن رحمة الله عليه الغيضوضة أن تضع لثمانية أشهر أو أقل من ذلك والازدياد أن تزيد
على تسعة أشهر وعنه الغيض الذي يكون سقطا لغير تمام والازدياد ما ولد لتمام بمقدار بقدر وحد
لا يجاوزه ولا ينقص عنه لقوله تعالى إنا كل شيء خلقناه بقدر عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال الكبير
العظيم الشأن الذي كل شيء دونه المتعالي المستعلي على كل شيء بقدرته أو الذي كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها
سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار سارب ذاهب في سربه بالفتح أي
في طريقه ووجهه يقال سرب في الأرض سروبا والمعنى سواء عنده من استخفى أي طلب الخفاء في مختبإ بالليل
في ظلمته ومن يضطرب في الطرقات ظاهرا بالنهار فيبصره كل واحد فإن قلت كان حق العبارة أن يقال
ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار حتى يتناول معنى الاستواء المستخفي والسارب وإلا فقد تناول
واحدا هو مستخف وسارب قلت فيه وجهان أحدهما أن قوله وسارب عطف على من هو مستخف لا على
مستخف والثاني أنه عطف على مستخف إلا أن من في معنى الاثنين كقوله تكن مثل من يا ذئب يصطحبان كأنه
قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والضمير في له مردود على من كأنه قيل لمن أسر ومن جهر ومن
استخفى ومن سرب له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى
يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال معقبات جماعات من الملائكة
تتعقب في حفظه وكلاءته والأصل معتقبات فأدغمت التاء في القاف لقوله تعالى وجاء المعذرون بمعنى المعتذرون

ويجوز معقبات بكسر العين ولم يقرأ به وهو منتقلات من عقبه اذا جاء على عقبه كما يقال قفاه لان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه يحفظونه من امر الله هما صفتان جميعا وليس من امر الله بصلة للحفظ كانه قيل له معقبات من امر الله او يحفظونه من اجل امر الله او من اجل الله اي ان الله امرهم بحفظه والدليل عليه قراءة علي وجعفر ابن محمد وعكرمة يحفظونه بامر الله او يحفظونه من بأس الله ونقمه اذا اذنب بدعائهم له ومسئلتهم ربهم ان يمهله رجاء ان يتوب وينيب لقوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه وتقديره من امر الله اي من قضاياه ونوازله او على التهكم به وقرئ له معاقيب جمع معقب او معقبة والياء عوض من حذف احدى القافين في التكسير ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الحال الجميلة بكثرة المعاصي من وال يلي امرهم ويدفع عنهم هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال خوفا وطمعا لا يصح ان يكونا مفعولا لهما لانهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل الا على تقدير حذف المضاف اي ارادة خوف وطمع او على معنى اخافة واطماعا ويجوز ان يكونا منتصبين على الحال من البرق كانه في نفسه خوف وطمع او على ذا خوف وذا طمع او من المخاطبين اي خائفين وطامعين ومعنى الخوف والطمع ان وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق ويطمع في الغيث قال ابو الطيب

• فتى كالسحاب الجون تخشى وترتجى • يرجى الحيا منها ويخشى الصواعق •

وقيل يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن في جرينه التمر والزبيب ومن له بيت يكف ومن البلاد من لا ينتفع اهله بالمطر كاهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع ويحيا به والسحاب اسم الجنس والواحد سحابة والثقال جمع ثقيلة لانك تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما تقول امرأة كريمة ونساء كرام وهي الثقال بالماء ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال ويسبح الرعد بحمده والملائكة ويسبح سامعو الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين اي يصيحون بسبحان الله والحمد لله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده وعن علي رضي الله عنه سبحان من سبحت له واذا اشتد الرعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اليهود سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن رحمة الله عليه خلق من خلق الله ليس بملك ومن بدع المتصوفة الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات افئدتهم والمطر بكاؤهم والملائكة من خيفته ويسبح الملائكة من هيبته واجلاله ذكر علمه النافذ في كل شيء واستواء الظاهر والخفي عنده وما دل على قدرته الباهرة ووحدانيته ثم قال وهم يعني الذين كفروا وكذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وانكروا اياته يجادلون في الله حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث واعادة الخلائق بقولهم من يحيي العظام وهي رميم ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء والانداد ويجعلونه بعض الاجسام المتوالدة بقولهم الملائكة بنات الله فهذا جدالهم بالباطل لقوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وقيل الواو للحال اي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم وذلك ان اربد اخا لبيد بن ربيعة العامري قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى الله عامرا بغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية وارسل على اربد صاعقة فقتلته اخبرني عن ربنا امن نحاس هو ام حديد المحال المماحلة وهي شدة المماكرة

والمكايدة ومنه تمحل لكذا إذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان إذا كاده وسعى به إلى السلطان ومنه الحديث
ولا تجعله علينا ماحلا مصدقا • قال الأعشى •

• فرع نبع يهتز في غصن • المجد غزير الندى •

شديد المحال والمعنى أنه شديد المكر والكيد لأعدائه يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون • وقرأ الأعرج بفتح الميم على أنه مفعل من حال يحول محالا إذا احتال ومنه أحول من ذئب أي أشد حيلة • ويجوز أن يكون المعنى شديد الفقار • ويكون مثلا • في القوة والقدرة كما جاء فساعد الله أشد وموسى الله أحد لأن الحيوان إذا اشتد محاله كان منعوتا بشدة القوة والاضطلاع بما يعجز عنه غيره ألا ترى إلى قولهم فقرته الفواقر وذلك أن الفقار عمود الظهر وقوامه **له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال** دعوة الحق فيها وجهان أحدهما أن تضاف الدعوة إلى الحق الذي هو نقيض الباطل • كما تضاف الكلمة إليه في قولك كلمة الحق للدلالة على أن الدعوة ملابسة للحق مختصة به وأنها بمعزل من الباطل والمعنى أن الله سبحانه وتعالى يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سؤله إن كانت مصلحة له فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بأن يوجه إليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا يجدي دعاؤه والثاني أن تضاف إلى الحق الذي هو الله عز وعلا على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب • وعن الحسن رحمة الله عليه الحق هو الله وكل دعاء إليه دعوة الحق فإن قلت ما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبله قلت أما على قصة أربد فظاهر لأن إصابته بالصاعقة محال من الله ومكر من حيث لم يشعر • وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وعلى صاحبه اللهم اخسفهما بما شئت فأجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق وأما على الأول فوعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله بحلول محاله وإجابة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم إن دعا عليهم فيهم • والذين يدعون والآلهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله لا يستجيبون لهم بشيء من طلباتهم إلا كباسط كفيه إلا استجابة كاستجابة باسط كفيه إليه يطلب منه أن يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته إليه ولا يقدر على أن يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع إجابتهم ولا يقدر على نفعهم • وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن أراد أن يغرف الماء بيديه ليشربه فبسطهما ناشرا أصابعه فلم تلق كفاه منه شيئا ولم يبلغ طلبته من شربه وقرئ تدعون بالتاء كباسط كفيه بالتنوين إلا في ضلال في ضياع لا منفعة فيه لأنهم إن دعوا الله لم يجبهم وإن دعوا الآلهة لم تستطع إجابتهم **ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال** ولله يسجد أي ينقادون لإحداث ما أراده فيهم من أفعاله شاؤوا أو أبوا لا يقدرون أن يمتنعوا عليه وتنقاد له ظلالهم حيث تتصرف على مشيئته في الامتداد والتقلص والفيء والزوال وقرئ بالغدو والإيصال من آصلوا إذا دخلوا في الأصيل **قل من رب السموات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور** قل الله حكاية لاعترافهم وتأكيد له لأنه إذا قال لهم من رب السموات والأرض لم يكن لهم بد من أن يقولوا الله لقوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله وهذا كما يقول المناظر لصاحبه أهذا قولك فإذا قال هذا قولي قال هذا قولك فيحكي إقراره تقريرا له عليه واستيثاقا منه ثم يقول له فيلزمك على هذا القول كيت وكيت ويجوز أن يكون تلقينا أي إن كفوا عن الجواب فلقنهم فإنهم يتلقونه ولا يقدرون أن ينكروه أفاتخذتم من دونه أولياء أبعد أن علمتموه رب السموا

والأرض وهو الله أفاتخذتم من دونه أولياء فجعلتم ما كان يجب أن يكون سبب التوحيد من علمكم وإقراركم سبب الإشراك لا يملكون
لأنفسهم نفعاً ولا ضراً لا يستطيعون لأنفسهم أن ينفعوها أو يدفعوا عنها ضرراً فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد آثرتموهم
على الخالق الرازق المثيب المعاقب فما أبين ضلالكم أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق
كل شيء وهو الواحد القهار أم جعلوا بل أجعلوا ومعنى الهمزة الإنكار وخلقوا صفة لشركاء عاجزين لا يقدرون على
ما يقدر عليه الخالق فضلاً أن يقدروا على ما يقدر عليه الخالق فلا يكون له شريك في العبادة وهو الواحد المتوحد
بالربوبية القهار لا يغالب وما عداه مربوب ومقهور أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل
السيل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق
والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال
هذا مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه كما ضرب الأعمى والبصير والظلمات والنور مثلاً لهما فمثل
الحق وأهله بالماء الذي ينزله من السماء فتسيل به أودية الناس فيحيون به وينفعهم أنواع المنافع وبالفلز الذي
ينتفعون به في صوغ الحلي منه واتخاذ الأواني والآلات المختلفة ولو لم يكن إلا الحديد الذي فيه البأس الشديد
لكفى به وأن ذلك ماكث في الأرض باق بقاء ظاهراً يثبت الماء في منابعه ويبقى آثاره في العيون والآبار والحبوب
والثمار التي تنبت به مما يدخر ويكنز وكذلك الجواهر تبقى أزمنة متطاولة وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك
زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذي يرمي به وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه إذا أذيب فإن قلت
لم نكرت الأودية قلت لأن المطر المناوبة بين البقاع فيسيل بعض أودية الأرض دون بعض
فإن قلت فما معنى قوله تعالى بقدرها قلت بمقدارها الذي عرف الله أنه نافع غير ضار
ألا ترى إلى قوله وأما ما ينفع الناس لأنه ضرب المطر مثلاً للحق فوجب أن يكون مطراً خالصاً للنفع خالياً
من المضرة ولا يكون كبعض الأمطار والسيول الجواحف فإن قلت فما فائدة في قوله ابتغاء حلية أو متاع قلت
الفائدة فيه كالفائدة في قوله بقدرها لأنه جمع الماء والفلز في النفع في قوله وأما ما ينفع الناس لأن المعنى وأما ما
ينفعهم من الماء والفلز فذكر وجه الانتفاع بما يوقد عليه منه وأذاب وهو الحلية والمتاع وقوله تعالى ومما توقدون
عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع عبارة جامعة لأنواع الفلز مع إظهار الكبرياء في ذكره على وجه التهاون به
كما هو في الملوك هو ما جاء في ذكر الآجر أوقد لي يا هامان على الطين ومن لابتداء الغاية أي ومنه ينشأ زبد
مثل زبد الماء أو للتبعيض بمعنى وبعضه زبد رابياً منتفخاً مرتفعاً على وجه السيل جفاء يجفأه السيل أي يرمي
به وجفأت القدر بزبدها وأجفأ السيل وأجفل وفي قراءة رؤبة بن العجاج جفالاً وعن أبي حاتم لا يقرأ
بقراءة رؤبة لأنه كان يأكل الفأر وقرئ يوقدون بالياء أي يوقد الناس للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين
لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم
وبئس المهاد للذين استجابوا اللام متعلقة بيضرب أي كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين الذين استجابوا وللكافرين
الذين استجيبوا أي هما مثلا الفريقين والحسنى صفة لمصدر استجابوا أي استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله تعالى لو أن
لهم كلام مبتدأ في ذكر ما أعد لغير المستجيبين وقيل قد تم الكلام عند قوله تعالى كذلك يضرب الله الأمثال
وما بعده كلام مستأنف والحسنى مبتدأ خبره للذين استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين
لم يستجيبوا مبتدأ خبره لو مع ما في حيزه وسوء الحساب المناقشة فيه وعن النخعي أن يحاسب الرجل بذنبه

فله لا ينتفع منه بشيء أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الألباب دخلت همزة الإنكار
على الفاء في قوله تعالى أفمن يعلم لإنكار أن تقع شبهة بعد ما ضرب من المثل في أن حال من علم أن ما أنزل
إليك من ربك الحق فاستجاب بمنزلة من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب كبعد ما بين الزبد والماء والخبث
والإبريز إنما يتذكر أولوا الألباب أي الذين عملوا على قضيات عقولهم فنظروا واستبصروا الذين يوفون
بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يوفون بعهد الله مبتدأ وأولئك لهم عقبى الدار خبره كقوله والذين
ينقضون عهد الله أولئك لهم اللعنة ويجوز أن يكون صفة لأولي الألباب والأول أوجه وعهد الله ما
عقدوه على أنفسهم من الشهادة بربوبيته وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ولا ينقضون
الميثاق ولا ينقضون كل ما وثقوه على أنفسهم وقبلوه من الإيمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله
وبين العباد تعميم بعد تخصيص والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء
الحساب ما أمر الله به أن يوصل من الأرحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله وقرابة
المؤمنين الثابتة بسبب الإيمان إنما المؤمنون إخوة بالإحسان إليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب
عنهم والشفقة عليهم والنصيحة لهم وطرح التفرقة بين أنفسهم وبينهم وإفشاء السلام عليهم وعيادة المرضى
مرضاهم وشهود جنائزهم ومنه مراعاة حق الأصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر وكل ما تعلق
منهم بسبب حتى الهرة والدجاجة وعن الفضيل بن عياض أن جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من أين أنتم قالوا من
أهل خراسان قال اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم واعلموا أن العبد لو أحسن الإحسان كله وكانت له
دجاجة فأساء إليها لم يكن من المحسنين ويخشون ربهم أي يخشون وعيده كله ويخافون خصوصا سوء الحساب
فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم
سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار صبروا مطلق فيما يصبر عليه من المصائب
في النفوس والأموال ومشاق التكليف ابتغاء وجه الله لا ليقال ما أصبره وأحمله للنوازل وأوقره
عند الزلازل ولا لئلا يعاب بالجزع ولئلا يشمت به الأعداء كقوله
• وتجلدي للشامتين • ولا لأنه لا طائل تحت الهلع ولا مرد فيه للفائت كقوله
• ما إن جزعت ولا هلعت • ولا يرد بكاي زندا • وكل عمل له وجوه يعمل عليها فعلى المؤمن أن ينوي منها
ما به كان حسنا عند الله وإلا لم يستحق به ثوابا وكان فعلا كلا فعل ومما رزقناهم من الحلال لأن الحرام
لا يكون رزقا ولا يسند إلى الله سرا وعلانية يتناول النوافل لأنها في السر أفضل والفرائض لوجوب
المجاهرة بها نفيا للتهمة ويدرءون بالحسنة السيئة ويدفعونها عن ابن عباس رضي الله عنهما يدفعون
بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيئ غيرهم وعن الحسن رحمة الله عليه إذا أعطوا وإذا ظلموا عفوا وإذا
قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان إذا أذنبوا أنابوا وقيل إذا رأوا منكرا أمروا بتغييره فنعم عقبى الدار
عاقبة الدنيا وهي الجنة لأنها التي أراد الله أن تكون عاقبة الدنيا ومرجع أهلها جنات عدن يدخلونها
ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب وجنات عدن
بدل من عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون والأصل نعم فمن كسر النون فلنقل كسرة العين إليها
ومن فتح فقد سكن العين ولم ينقل وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول وقرأ ابن أبي عبلة صلح بضم

اعلم ان الانساب لا تنفع اذا تجردت من الاعمال الصالحة وآباؤهم جمع ابوي كل واحد منهم فكأنه قيل من آبائهم
وامهاتهم سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار سلام عليكم في موضع الحال لان المعنى قائلين سلام عليكم او مسلّمين
فان قلت بم تعلق قوله بما صبرتم قلت بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم يعنون هذا الثواب بسبب صبركم
او بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه هذه الملاذ والنعم والمعنى لئن تعبتم في الدنيا لقد استرحتم
الساعة كقوله بما قد أرى فيها اوانس بدّنا وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يأتي قبور الشهداء على رأس
كل حول فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويجوز ان يتعلق بسلام اي نسلّم عليكم ونكرمكم بصبركم قوله
والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك
لهم اللعنة ولهم سوء الدار من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه به من الاعتراف والقبول سوء الدار يحتمل ان
يراد سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار ويجوز ان يراد بالدار جهنم وبسوئها عذابها الله يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع الله يبسط الرزق اي الله وحده
هو يبسط الرزق ويقدره دون غيره وهو الذي بسط رزق اهل مكة ووسعه عليهم وفرحوا بما بسط لهم من الدنيا
فرح بطر واشر لا فرح سرور بفضل الله وانعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الآخرة وخفي
عليهم ان نعيم الدنيا في جنب الآخرة ليس الا شيئا نزرا يتمتع به كعجالة الراكب وهي ما يتعجله من تميرات
او شربة سويق او نحو ذلك ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه
من اناب فان قلت كيف طابق قولهم لولا انزل عليه آية من ربه قوله قل ان الله يضل من يشاء قلت هو كلام
يجري مجرى التعجب من قولهم وذلك ان الآيات الباهرة المتكاثرة التي اوتيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لم
يؤتها نبي قبله وكفى بالقرآن وحده آية وراء كل آية فاذا جحدوها ولم يعتدوا بها وجعلوه كأن آية لم تنزل
عليه قط كان موضعا للتعجب والاستنكار فكأنه قيل لهم ما اعظم عنادكم وما اشد تصميمكم على كفركم ان الله
يضل من يشاء من كان على صفتكم من التصميم وشدة الشكيمة في الكفر فلا سبيل الى اهتدائكم وان انزلت كل آية
ويهدي اليه من كان على خلاف صفتكم واناب اقبل الى الحق وحقيقته دخل في نوبة الخير الذين آمنوا وتطمئن
قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا بدل من من اناب وتطمئن قلوبهم بذكر الله بذكر رحمته
ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله او تطمئن بذكر
دلائله الدالة على وحدانيته او تطمئن بالقرآن لانه معجزة بينة تسكن القلوب وتثبت اليقين فيها المضاف
في تطمئن القلوب قلوب الذين آمنوا وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك اصبت خيرا
وطيبا ومحلها النصب او الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك والقراءة في قوله تعالى وحسن
مآب بالرفع والنصب تدلك على محلها واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك والواو في طوبى منقلبة عن ياء لضمة
ما قبلها كموقن وموسر وقرأ مكوزة الاعرابي طيبى لهم فكسر الطاء لتسلم الياء كما قيل بيض ومعيشة كذلك
ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي
لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب كذلك مثل ذلك ارسلناك مثل ذلك الارسال ارسلناك يعني ارسلناك
ارسالا له شأن وفضل على سائر الارسالات ثم فسر كيف ارسله فقال في امة قد خلت من قبلها امم اي ارسلناك في
امة قد تقدمتها امم كثيرة فهي آخر الامم وانت خاتم الانبياء لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك لتقرأ عليهم الكتاب

الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب

العظيم

العظيم الذي اوحينا اليك وحالهم انهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء وما بهم من نعمة فمنه فكفروا بنعمته في ارسال مثلك اليهم وانزال هذا القرآن المعجز المصدق لسائر الكتب عليهم قل هو ربي الواحد المتعالي عن الشركاء عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب فيثيبني على مصابرتكم ومجاهدتكم ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى بل لله الامر جميعا افلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله ان الله لا يخلف الميعاد

ولو ان قرآنا جوابه محذوف كما تقول لغلامك لو اني قمت اليك وتترك الجواب والمعنى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال عن مقارها وزعزعت عن مضاجعها او قطعت به الارض حتى تتصدع وتتزايل قطعا او كلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير ونهاية في الانذار والتخويف كما قال تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وهذا يعضد ما فسرت به قوله لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك من ارادة تعظيم ما اوحي الى رسول الله من القرآن وقيل معناه ولو ان قرآنا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى وتنبيههم لما آمنوا ولما تنبهوا عليه كقوله تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية وقيل ان ابا جهل بن هشام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم سير بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها البساتين والقطائع كما سخرت لداود ان كنت نبيا كما تزعم فلست باهون على الله من داود وسخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام ثم نرجع في يومنا فقد شق علينا قطع المسافة البعيدة كما سخرت لسليمان او ابعث رجلين او ثلاثة ممن مات من آبائنا منهم قصي بن كلاب فنزلت ومعنى تقطيع الارض على هذا قطعها بالسير ومجاوزتها وعن الفراء هو متعلق بما قبله وهم يكفرون بالرحمن ولو ان قرآنا سيرت به الجبال وما بينهما اعتراض وليس ببعيد من السداد وقيل قطعت به الارض شققت فجعلت انهارا وعيونا بل لله الامر جميعا على معنيين احدهما بل لله القدرة على كل شيء وهو قادر على الآيات التي اقترحوها الا ان علمه بان اظهارها مفسدة يصرفه والثاني بل لله ان يلجئهم الى الايمان وهو قادر على الالجاء لولا انه بنى امر التكليف على الاختيار ويعضده قوله تعالى افلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله يعني مشيئة الالجاء والقسر لهدى الناس جميعا ومعنى افلم ييأس افلم يعلم قيل هي لغة قوم من النخع وقيل انما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لان اليائس عن الشيء عالم بانه لا يكون كما استعمل الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمن ذلك قال سحيم بن وثيل الرياحي

أقول لهم بالشعب اذ ييسرونني ... ألم تيأسوا اني ابن فارس زهدم

ويدل عليه ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين قرؤوا افلم يتبين وهو تفسير افلم ييأس وقيل انما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوي السينات وهذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتي الامام وكان متقلبا في ايدي اولئك الاعلام المحتاطين في دين الله المهيمنين عليه لا يغفلون عن جلائله ودقائقه خصوصا عن القانون الذي اليه المرجع والقاعدة التي عليها البناء وهذه والله فرية ما فيها مرية ويجوز ان يتعلق ان لو يشاء الله بآمنوا على ولم يقنط عن ايمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولهداهم تصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسوء اعمالهم قارعة داهية تقرعهم بما يحل الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم واولادهم واموالهم او تحل القارعة قريبا منهم

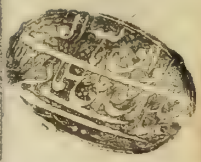
٦

يسرعون ويضطربون ويتطاير اليهم شرارها وتتعدى اليهم شرورها حتى يأتي وعد الله وهو موتهم او القيامة وقيل
لا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من العداوة والتكذيب قارعة لان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حول مكة وتختطف منهم وتصيب من مواشيهم او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم
بجيشك كما حل بالحديبية حتى يأتي وعد الله وهو فتح مكة وكان الله قد وعده ذلك ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت
للذين كفروا ثم اخذتهم فكيف كان عقاب الاملاء الامهال وان يترك ملاوة من الزمان في خفض وامن كالبهيمة
يملى لها في المرعى وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء به وتسلية له
افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم ام تنبئونه بما لا يعلم في الارض ام بظاهر من القول بل
زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد افمن هو قائم احتجاج عليهم في اشراكهم
بالله يعني افالله الذي هو قائم رقيب على كل نفس صالحة وطالحة بما كسبت يعلم خيره وشره ويعد لكل جزاءه كمن ليس
كذلك ويجوز ان تقدر ما يقع خبرا للمبتدا ويعطف عليه وجعلوا وتمثيله افمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه
ولم يمجدوه وجعلوا له وهو الله الذي يستحق العبادة وحده شركاء قل سموهم اي جعلتم له شركاء فسموهم له من هم
ونبئوه باسمائهم ثم قال ام تنبئونه على ام المنقطعة كقولك للرجل قل لي من زيد ام هو اقل من ان يعرف ومعناه
بل اتنبئونه بشركاء لا يعلمهم في الارض وهو العالم بما في السموات والارض فاذا لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشيء يتعلق
به العلم والمراد نفي ان يكون له شركاء ونحوه قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض ام بظاهر من القول
بل اتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير ان يكون لذلك حقيقة كقوله تعالى ذلك قولهم بافواههم ما تعبدون
من دونه الا اسماء سميتموها وهذا الاحتجاج واساليبه العجيبة التي ورد عليها مناد على نفسه بلسان طلق ذلق انه
ليس من كلام البشر لمن عرف وانصف من نفسه فتبارك الله احسن الخالقين وقرئ اتنبئونه بالتخفيف مكرهم
كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا وقرئ بالحركات الثلث وقرا ابن ابي اسحق وصد بالتنوين ومن يضلل الله ومن
يخذله لعلمه انه لا يهتدي فما له من هاد فما له من احد يقدر على هدايته لهم عذاب في الحيوة الدنيا ولعذاب
الآخرة اشق وما لهم من الله من واق لهم عذاب في الحياة الدنيا وهو ما ينالهم من القتل والاسر وسائر المحن
ولا يلحقهم الا عقوبة لهم على الكفر ولذلك سماه عذابا وما لهم من الله من واق وما لهم من حافظ من عذابه وما لهم
من جهته واق من رحمته مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار اكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين
النار مثل الجنة صفتها التي هي في غرابة المثل وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف على مذهب سيبويه فيما قصصنا عليك
مثل الجنة وقال غيره الخبر تجري من تحتها الانهار كما تقول صفة زيد اسمر وقال الزجاج معناه مثل الجنة جنة
تجري من تحتها الانهار على حذف الموصوف تمثيلا لما غاب عنا بما نشاهد وقرا علي رضي الله عنه امثال الجنة على
الجمع اي صفاتها اكلها دائم كقوله تعالى لا مقطوعة ولا ممنوعة وظلها لا دائم لا ينسخ في الدنيا بالشمس والذين آتيناهم
الكتاب يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعو
واليه مآب والذين آتيناهم الكتاب يريد من اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب واصحابهما ومن اسلم من
النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران واثنان وثلثون بارض الحبشة هؤلاء يفرحون بما انزل اليك ومن
الاحزاب يعني ومن احزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب

ابن الأشرف وأصحابه والسيد والعاقب أسقفي نجران وأشياعهما ومن ينكر بعضه لأنهم كانوا لا ينكرون الأقاصيص وبعض
الأحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم غير محرف وكانوا ينكرون ما هو نعت الإسلام ونعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرائع فإن قلت كيف اتصل قوله تعالى قل إنما أمرت أن أعبد الله بما قبله قلت
هو جواب للمنكرين معناه قل إنما أمرت فيما أنزل إلي بأن أعبد الله ولا أشرك به فإنكاركم له إنكار لعبادة الله وتوحيده
فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وأن لا يشرك به قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء
بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا • وقرأ نافع في رواية أبي خليد • ولا أشرك به بالرفع على الاستئناف
كأنه قال وأنا لا أشرك به • ويجوز أن يكون في موضع الحال على معنى أمرت أن أعبد الله غير مشرك به إليه أدعو
خصوصا لا أدعو إلى غيره وإليه لا إلى غيره مرجعي وأنتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لإنكاركم وكذلك أنزلناه حكما
عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق ومثل ذلك أنزلناه ومثل ٦
ذلك الإنزال أنزلناه مأمورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة إليه وإلى دينه والإنذار بدار الجزاء حكما عربيا حكمة
عربية مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال كانوا يدعون رسول الله إلى أمور يوافقهم عليها منها أن يصلي
إلى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها فقيل لئن تابعتهم على دين ما هو إلا أهواء وشبه بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين
والحجج القاطعة خذلك الله فلا ينصرك ناصر وأهلكك فلا يقيك منه واق وهذا من باب الإلهاب والتهييج والبعث
للسامعين على الثبات في الدين والتصلب فيه وأن لا يزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة وإلا فكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم من شدة الشكيمة بمكان ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان نز
لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب كانوا يعيبونه بالزواج والولاد وكانوا يقولون ما لهذا الرسول
يأكل الطعام وكانوا يقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ • فقيل كان الرسل قبله بشرا مثله ذوي أزواج وذرية
وما كان لهم أن يأتوا بآيات برأيهم ولا يأتون بما يقترح عليهم والشرائع مصالح تختلف باختلاف الأحوال والأوقات
فلكل وقت حكم يكتب على العباد أي يفرض عليهم على ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم
الكتاب يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت بدله ما يرى المصلحة في إثباته أو يتركه غير منسوخ
وقيل يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة لأنهم مأمورون بكتبة كل قول وفعل ويثبت غيره وقيل
يمحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة ويثبت إيمانهم وطاعاتهم وقيل يمحو بعض الخلائق ويثبت بعضا من الأناسي
وسائر الحيوان والنبات والأشجار وصفاتها وأحوالها • والكلام في نحو هذا واسع المجال وعنده أم الكتاب أصل
كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لأن كل كائن مكتوب فيه وقرئ ويثبّت وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فيثبك
فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب وإما نرينك وكيف ما دارت الحال أريناك مصارعهم وما وعدناهم من
إنزال العذاب عليهم أو توفيناك قبل ذلك فما يجب عليك إلا تبليغ الرسالة فحسب وعلينا لا عليك حسابهم
وجزاؤهم على أعمالهم فلا يهمنك إعراضهم ولا تستعجل لهم بعذابهم أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من
أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب أولم يروا أنا نأتي الأرض أرض الكفر ننقصها من
أطرافها أنهم الغالبون من أطرافها مما نفتح على المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد في دار الإسلام وذلك
من آيات النصرة والغلبة ونحوه أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون • سنريهم آياتنا في
الآفاق • والمعنى عليك بالبلاغ الذي حملته ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك

ما نأخذه فإن ذلك لما نعلم من المصالح التي لا تعلمها ثم طيب نفسه ونفس عنها بما ذكر من طلوع تباشير الظفر وقرئ ننقصها بالتشديد لا معقب لحكمه لا راد لحكمه والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله وحقيقته الذي يعقبه اي يقفيه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب قال لبيد طلب المعقب حقه المظلوم والمعنى انه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار والانتكاس وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا فان قلت ما محل قوله تعالى لا معقب لحكمه قلت هو جملة محلها النصب على الحال كانه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءني زيد لا عمامة على راسه ولا قلنسوة تريد حاسرا وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار وصفهم بالمكر ثم جعل مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكره فقال فلله المكر جميعا ثم فسر ذلك بقوله يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار لان من علم ما تكسب كل نفس واعد لها جزاءها فهو المكر كله لانه ياتيهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلة مما يراد بهم وقرئ الكفار والكافرون اي اهله والمراد بالكافر الجنس وقرا جناح بن حبيش وسيعلم الكافر من اعلمه اي سيخبر ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب كفى بالله شهيدا لما اظهر من الادلة على رسالتي ومن عنده علم الكتاب والذي عنده علم القرآن وما الف عليه من النظم المعجز الفائت لقوى البشر وقيل ومن هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته في كتبهم وقيل هو الله عز وجل والكتاب اللوح المحفوظ وعن الحسن رضي الله عنه لا والله ما يعني الا الله والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح الا هو شهيدا بيني وبينكم وتعضده قراءة من قرا ومن عنده علم الكتاب على من الجارة اي ومن لدنه علم الكتاب لان علم من علمه من فضله ولطفه وقرئ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة وعلم على البناء للمفعول وقرئ وبمن عنده علم الكتاب فان قلت بم ارتفع علم الكتاب قلت في القراءة التي وقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالمقدر في الظرف فيكون فاعلا لان الظرف اذا وقع صلة اوغل في شبه الفعل لاعتماده على الموصول فعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذي في الدار اخوه فاخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار اخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار اخوه وفي القراءة التي لم يقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالابتداء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة من الموفين بعهد الله الى يوم القيامة والله سبحانه وتعالى اعلم

سورة ابراهيم عليه السلام مكية | بسم الله الرحمن الرحيم | وهي اثنتان وخمسون آية



الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد كتاب هو كتاب يعني السورة وقرئ ليخرج الناس والظلمات والنور استعارتان للضلال والهدى باذن ربهم بتسهيله وتيسيره مستعار من الاذن الذي هو تسهيل للحجاب وذلك ما يمنحهم من اللطف والتوفيق الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل كقوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم ويجوز ان يكون على وجه الاستئناف كانه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد الله قوله الله عطف بيان للعزيز الحميد لانه جرى مجرى الاسماء الاعلام لغلبته واختصاصه

الله الذي له ما في السموات وما في الارض وويل للكافرين من عذاب شديد

بالمعبود

بالمعبود الذي يحق له العبادة كما غلب النجم في الثريا وقرئ بالرفع على هو الله و الويل نقيض الوأل وهو النجاة اسم معنى كالهلاك إلا أنه لا يشتق منه فعل إنما يقال ويلا له فينصب نصب المصادر ثم يرفع رفعها لإفادة معنى الثبات فيقال ويل له كقولك سلام عليك ولما ذكر الخارجين من الظلمات إلى النور بإذن الله توعد الكافرين بالويل فإن قلت ما وجه اتصال قوله تعالى من عذاب شديد بالويل قلت لأن المعنى أنهم يولولون من عذاب شديد ويضجون منه ويقولون يا ويلاه كقوله دعوا هنالك ثبورا الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا أولئك في ضلال بعيد الذين يستحبون مبتدأ خبره أولئك في ضلال بعيد و يجوز أن يكون مجرورا صفة للكافرين ومنصوبا على الذم أو مرفوعا على أعني الذين يستحبون أو هم الذين يستحبون والاستحباب الإيثار والاختيار وهو استفعال من المحبة لأن المؤثر للشيء على غيره كأنه يطلب من نفسه أن يكون أحب إليها وأفضل عندها من الآخر • وقرأ الحسن رحمة الله عليه ويصدون بضم الياء وكسر الصاد يقال صده عن كذا وأصده قال

• أناس أصدوا الناس بالسيف عنهم • والهمزة فيه داخلة على صد صدودا لتنقله من غير التعدي وأما هذه فموضوعة على التعدية كمنعه وليست بفصيحة كأوقفه لأن الفصحاء استعملوا صده ووقفه عن تكلف التعدية بالهمزة و ويبغونها عوجا ويطلبون لسبيل الله زيغا واعوجاجا وأن يدلوا الناس على أنها سبيل ناكبة عن الحق غير مستوية والأصل ويبغون لها فحذف الجار وأوصل الفعل • في ضلال بعيد أي ضلوا عن طريق الحق ووقفوا دونه بمراحل فإن قلت فما معنى وصف الضلال بالبعيد قلت هو من الإسناد المجازي والبعد في الحقيقة للضال لأنه هو الذي يتباعد عن الطريق فوصف به فعله كما تقول جد جده ويجوز أن يراد في ضلال ذي بعد أو فيه بعد لأن الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وبعيدا وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين عنه لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم بلسان قومه ليبين لهم أي ليفقهوا عنه ما يدعوهم إليه فلا يكون لهم على الله ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به كما قال تعالى ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته فإن قلت لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العرب وحدهم وإنما بعث إلى الناس جميعا قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا بل إلى الثقلين وهم على ألسنة مختلفة فإن لم تكن للعرب حجة فلغيرهم فإن لم تكن لغيرهم حجة فلو نزل بالعجمية لم تكن للعرب حجة أيضا قلت لا يخلو إما أن ينزل بجميع الألسنة أو بواحد منها فلا حاجة إلى نزوله بجميع الألسنة لأن الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي عن التطويل فبقي أن ينزل بلسان واحد • فكان أولى الألسنة لسان قوم الرسول لأنهم أقرب إليه فإذا فهموا عنه وتبينوه • وتنوقل عنهم وانتشر قامت التراجم ببيانه وتفهيمه كما ترى الحال وتشاهدها من نيابة التراجم في كل أمة من أمم العجم مع ما في ذلك من اتفاق أهل البلاد المتباعدة والأقطار المتنازحة والأمم المختلفة والأجيال المتفاوتة على كتاب واحد واجتهادهم في تعلم لفظه وتعلم معانيه وما يتشعب من ذلك من جلائل الفوائد وما يتكاثر في إتعاب النفوس وكد القرائح فيه من القرب والطاعات المفضية إلى جزيل الثواب ولأنه أبعد من التحريف والتبديل وأسلم من التنازع والاختلاف ولأنه لو نزل بألسنة الثقلين كلها مع اختلافها وكثرتها وكان مستقلا بصفة الإعجاز في كل واحد منها وكلم الرسول العربي كل أمة بلسانها كما كلم أمته التي هو منها يتلوه عليهم معجزا لكان ذلك أمرا قريبا من الإلجاء ومعنى بلسان قومه بلغة قومه وقرئ بلسن قومه واللسن واللسان كالريش والرياش ورووه عن الضحاك بمعنى اللغة وقرئ بلسن بضم اللام والسين مضمومة أو ساكنة وهو جمع لسان كعماد وعمد على التخفيف وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم

ورووه عن الضحاك وأن الكتب كلها نزلت بالعربية ثم أداها كل نبي بلغة قومه وليس بصحيح لأن قوله تعالى ليبين
ضمير القوم وهم العرب فيؤدي إلى أن الله تعالى أنزل التوراة من السماء بالعربية ليبين للعرب وهذا معنى فاسد
فيضل الله من يشاء كقوله تعالى فمنكم كافر ومنكم مؤمن لأن الله تعالى لا يضل إلا من يعلم أنه لن يؤمن ولا
يهدي إلا من يعلم أنه يؤمن والمراد بالإضلال التخلية ومنع الألطاف وبالهداية التوفيق واللطف وكان ذلك
كناية عن الكفر والإيمان وهو العزيز فلا يغلب على مشيئته الحكيم فلا يخذل إلا أهل الخذلان ولا يلطف إلا بأهل
اللطف ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله إن في ذلك لآيات
لكل صبار شكور أن أخرج بمعنى أي لأن الإرسال فيه معنى القول كأنه قيل أرسلناه وقلنا له أخرج ويجوز أن تكون
أن الناصبة للفعل وإنما صلح أن يوصل بفعل الأمر لأن الغرض وصلها بما تكون معه في تأويل المصدر وهو الفعل
والأمر وغيره سواء في الفعلية والدليل على جواز أن تكون أن الناصبة للفعل قولهم أوعز إليه بأن افعل فأدخلوا عليها
حرف الجر وكذلك التقدير بأن أخرج قومك وذكرهم بأيام الله وأنذرهم بوقائعه التي وقعت على الأمم قبلهم
قوم نوح وعاد وثمود ومنه أيام العرب لحروبها وملاحمها كيوم ذي قار ويوم الفجار ويوم قضة وغيرها وهو الظاهر
وعن ابن عباس رضي الله عنهما نعماؤه وبلاؤه فأما نعماؤه فإنه ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر
وأما بلاؤه فأهلك القرون لكل صبار شكور يصبر على بلاء الله ويشكر نعماءه فإذا سمع بما أنزل الله من البلاء على الأمم أو
أفاض عليهم من النعم تنبه على ما يجب عليه من الصبر والشكر واعتبر وقيل أراد لكل مؤمن لأن الشكر والصبر من
سجاياهم تنبيها عليهم وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم
ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم إذ أنجاكم ظرف للنعمة بمعنى الإنعام أي إنعامه عليكم ذلك الوقت فإن قلت هل يجوز أن
ينتصب بعليكم قلت لا يخلو من أن يكون صلة للنعمة بمعنى الإنعام أو غير صلة إذا أردت بالنعمة العطية فإذا كان عطيته
غير صلة بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم عمل فيه وتبين الفرق بين الوجهين أنك إذا قلت نعمة الله عليكم فإن جعلته
صلة لم يكن كلاما حتى تقول فائضة أو نحوها وإلا كان كلاما ويجوز أن يكون إذ بدلا من نعمة الله أي اذكروا وقت
إنجائكم وهو من بدل الاشتمال فإن قلت في سورة البقرة يذبحون وفي الأعراف يقتلون وههنا ويذبحون مع الواو
فما الفرق قلت الفرق أن التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيرا للعذاب وبيانا له وحيث أثبت جعل التذبيح لأنه
أوفى على جنس العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة كأنه جنس آخر فإن قلت كيف كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم
قلت تمكينهم وإمهالهم حتى فعلوا ما فعلوا ابتلاء من الله ووجه آخر وهو أن ذلك إشارة إلى الإنجاء وهو بلاء عظيم
والبلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال زهير فأبلاهما خير
البلاء الذي يبلو وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد
وإذ تأذن ربكم من جملة ما قال موسى لقومه وانتصابه للعطف على قوله تعالى نعمة الله عليكم كأنه قيل وإذ قال
موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم ومعنى تأذن ربكم ونظير تأذن وآذن توعد وأوعد
وتفضل وأفضل ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في أفعل كأنه قيل وإذ آذن ربكم إيذانا بليغا تنتفي عنده الشكوك
وتنزاح الشبه والمعنى وإذ تأذن ربكم فقال لئن شكرتم أو أجرى تأذن مجرى قال لأنه ضرب من القول وفي
قراءة ابن مسعود وإذ قال ربكم لئن شكرتم يا بني إسرائيل ما خولتكم من نعمة الإنجاء وغيرها من النعم بالإيمان الخالص والعمل
الصالح لأزيدنكم نعمة إلى نعمة ولأضاعفن لكم ما آتيتكم ولئن كفرتم وغمطتم ما أنعمت به عليكم إن عذابي لشديد لمن كفر نعمتي

بلغ مقابلة

وقال

بلغ مقابلة

وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد وقال موسى إن تكفروا أنتم يا بني إسرائيل والناس كلهم فإنما ضررتم أنفسكم وحرمتموها الخير الذي لا بد لكم منه وأنتم إليه محاويج والله غني عن شكركم حميد مستوجب للحمد بكثرة أنعمه وأياديه وإن لم يحمده الحامدون ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جملة من مبتدأ وخبر وقعت اعتراضا أو عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم إلا الله اعتراض والمعنى أنهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم إلا الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أبا لا يعرفون وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون أنهم يدعون علم الأنساب وقد نفى الله علمها عن العباد فردوا أيديهم في أفواههم فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الأنامل من الغيظ أو ضحكا واستهزاء كمن غلبه الضحك فوضع يده على فيه وأشاروا بأيديهم إلى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم إنا كفرنا بما أرسلتم به أي هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره إقناطا لهم من التصديق ألا ترى إلى قوله فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وهذا قول قوي أو وضعوها على أفواههم يقولون للأنبياء أطبقوا أفواهكم واسكتوا أو ردوها في أفواه الأنبياء يشيرون لهم بالسكوت أو وضعوها على أفواههم يسكتونهم ولا يذرونهم يتكلمون وقيل الأيدي جمع يد وهي النعمة بمعنى الأيادي أي ردوا نعم الأنبياء التي هي أجل النعم من مواعظهم ونصائحهم وما أوحي إليهم من الشرائع والآيات في أفواههم لأنهم إذا كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم ردوها في أفواههم ورجعوها إلى حيث جاءت منه على طريق المثل مما تدعوننا إليه من الإيمان بالله وقرئ تدعونا بإدغام النون مريب موقع في الريبة أو ذي ريبة من أرابه وأراب الرجل وهي قلق النفس وأن لا تطمئن إلى الأمر قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين أفي الله شك أدخلت همزة الإنكار على الظرف لأن الكلام ليس في الشك إنما هو في المشكوك فيه وأنه لا يحتمل الشك لظهور الأدلة وشهادتها عليه يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم أي يدعوكم إلى الإيمان ليغفر لكم أو يدعوكم لأجل المغفرة كقوله دعوته لينصرني ودعوته ليأكل معي وقال دعوت لما نابني مسورا فلبى فلبي يدي مسور

فإن قلت ما معنى التبعيض في قوله من ذنوبكم قلت ما علمته جاء هكذا إلا في خطاب الكافرين كقوله تعالى واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المؤمنين هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم إلى أن قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يقفك عليه الاستقراء وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوي بين الفريقين في الميعاد وقيل أريد أنه يغفر لهم ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم ونحوها ويؤخركم إلى أجل مسمى إلى وقت قد سماه وبين مقداره يبلغكموه إن آمنتم وإلا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت إن أنتم ما أنتم إلا بشر مثلنا لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تختصون بالنبوة دوننا ولو أرسل الله إلى البشر رسلا لجعلهم من جنس أفضل منهم وهم الملائكة بسلطان مبين بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات والحجج وإنما أرادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله

ام أن لا نتوكل

فليتوكل المتوكلون ان نحن الا بشر مثلكم تسليم لقولهم وانهم بشر مثلهم يعنون انهم مثلهم في البشرية وحدها فاما ما وراء ذلك
فما كانوا مثلهم ولكنهم لم يذكروا فضلهم تواضعا منهم واقتصروا على قولهم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده بالنبوة لانه قد
علم انه لا يختصهم بتلك الكرامة الا وهم اهل لاختصاصهم بها لخصايص فيهم وقد استاثروا بها على ابناء جنسهم الا باذن
الله اراد ان الاتيان بالآية التي اقترحتموها ليس الينا ولا في استطاعتنا وما هو الا امر يتعلق بمشية الله وعلى الله
فليتوكل المؤمنون امر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا وامروها به كانهم قالوا ومن حقنا ان
نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وما يجري علينا منكم الا ترى الى قوله وما لنا ان لا نتوكل على الله ومعناه
واي عذر لنا في ان لا نتوكل عليه • وقد هدانا وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل واحد
منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين فان قلت كيف كرر الامر بالتوكل قلت الاول لاستحداث التوكل وقوله تعالى
فليتوكل المتوكلون معناه فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم وقصدهم الى انفسهم على ما تقدم وقال الذين كفروا
لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين لنخرجنكم من ارضنا
او لتعودن ليكونن احد الامرين لا محالة اما اخراجكم واما عودكم حالفين ذلك فان قلت كانهم كانوا على ملتهم
حتى يعودوا فيها قلت معاذ الله ولكن العود بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب كثرة فاشية لا تكاد تسمعهم
يستعملون صار ولكن عاد ما عدت اراه عاد لا يكلمني ما عاد لفلان مال او خاطبوا به كل رسول ومن امن به فغلبوا في الخطاب
الجماعة على الواحد لنهلكن الظالمين حكاية تقتضي اضمار القول او اجراء الايحاء مجرى القول لانه ضرب منه وقرا
ابو حيوة ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى وان لفظه لفظ الغيبة ونحوه واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها واورثكم ارضهم وديارهم ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد
ذلك اشارة الى ما قضى الله من اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم اي ذلك الامر حق لمن خاف مقامي موقفي وهو موقف
الحساب لانه موقف الله الذي يقف فيه عباده يوم القيمة وعلى اقحام المقام وقيل خاف قيامي عليه وحفظي لاعماله والمعنى
ان ذلك حق للمتقين لقوله تعالى والعاقبة للمتقين واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد واستفتحوا واستنصروا الله على
اعدائهم ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح او استحكموا الله وسالوه القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة لقوله تعالى
ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على اوحى اليهم ربهم وقرئ واستفتحوا بلفظ الامر وعطفه على لنهلكن اي اوحى اليهم
ربهم وقال لهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا وخاب كل جبار عنيد معناه فنصروا وظفروا وافلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم
قومهم وقيل واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بانهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح
باستفتاحه من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد • من ورائه من بين يديه • قال •
• عسى الكرب الذي امسيت فيه • يكون وراءه فرج قريب •
وهذا وصف حاله وهو في الدنيا لانه مرصد لجهنم فكانها بين يديه وهو على شفيرها او وصف حاله في الاخرة
فان قلت علام عطف ويسقى قلت على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من
ماء صديد قلت صديد عطف بيان لماء قال ويسقى من ماء فابهمه ابهاما ثم بينه بقوله تعالى صديد
وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه ولا يكاد يسيغه وياتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب
غليظ يتكلف جرعه ولا يكاد يسيغه فكيف يكون الاساغة لقوله تعالى لم يكد يراها اي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها
وياتيه الموت من كل مكان كان اسباب الموت واصنافه كلها قد تالبت عليه واحاطت به من جميع الجهات تفظيعا لما يصيبه

من الآلام

من الآلام وقيل من كل مكان من جسده حتى من إبهام رجله وقيل من أصل كل شعرة ومن ورائه ومن بين يديه
عذاب غليظ أي في كل وقت يستقبله يتلقى عذاباً أشد مما قبله وأغلظ وعن الفضيل هو قطع الأنفاس وحبسها في الأجساد
ويحتمل أن يكون أهل مكة قد استفتحوا أي استمطروا والفتح المطر في سني القحط التي أرسلت عليهم بدعوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلم يسقوا فذكر سبحانه وتعالى ذلك وأنه خيب رجاء كل جبار عنيد وأنه يسقى في جهنم بدل سقياه
ماء آخر وهو صديد أهل النار واستفتحوا على هذا التفسير كلام مستأنف منقطع عن حديث الرسل وأممهم مثل
الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال
البعيد هو مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه تقديره وفيما يقص عليكم مثل الذين كفروا بربهم والمثل مستعار للصفة
التي فيها غرابة وقوله تعالى أعمالهم كرماد جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل أعمالهم كرماد
ويجوز أن يكون المعنى مثل الذين أعمال الذين كفروا بربهم أو هذه الجملة خبر للمبتدأ أي صفة الذين كفروا أعمالهم كرماد كقولك
صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول أو يكون أعمالهم بدلاً من مثل الذين كفروا على تقدير مثل أعمالهم وكرماد الخبر
وقرئ الرياح في يوم عاصف جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح أو الرياح كقولك يوم ماطر وليلة ساكرة وإنما
السكور لريحها وقرئ في يوم عاصف بالإضافة وأعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الأرحام وعتق الرقاب
وفداء الأسارى وعقر الإبل للأضياف وإغاثة الملهوفين والإجارة وغير ذلك من صنائعهم شبهها في حبوطها وذهابها بها
هباء منثوراً لبنائها على غير أساس من معرفة الله تعالى والإيمان به وكونها لوجهه برماد طيرته الريح العاصف لا يقدرون
يوم القيامة مما كسبوا من أعمالهم على شيء أي لا يرون له أثراً من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير في الريح على شيء
ذلك هو الضلال البعيد إشارة إلى بعد ضلالهم عن طريق الحق أو عن الثواب ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق
إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز بالحق بالحكمة والغرض الصحيح والأمر العظيم ولم يخلقها عبثاً
ولا شهوة وقرئ خالق السموات والأرض إن يشأ يذهبكم أي هو قادر على أن يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقاً آخر على شكلهم
أو على خلاف شكلهم إعلاماً منه باقتداره على إعدام الموجود وإيجاد المعدوم يقدر على الشيء وجنسه وما ذلك على الله بعزيز
بمتعذر بل هو هين عليه يسير لأنه قادر الذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فإذا خلص له الداعي إلى شيء وانتفى
الصارف تكون من غير توقف كتحريك إصبعك إذا دعاك إليه داع ولم يعترض دونه صارف وهذه الآية بيان
لإبعادهم في الضلال وعظيم خطائهم في الكفر بالله لوضوح آياته الشاهدة له الدالة على قدرته الباهرة وحكمته البالغة
وأنه هو الحقيق بأن يعبد ويخاف عقابه ويرجى ثوابه في دار الجزاء وبرزوا لله جميعاً فقال الضعفاء للذين استكبروا
إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا
من محيص وبرزوا لله ويبرزون يوم القيامة وإنما جيء به بلفظ الماضي لأن ما أخبر به عز وعلا لصدقه كأنه قد كان ووجد
ونحوه ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب النار ونظائر له ومعنى بروزهم لله والله تعالى لا يتوارى عنه شيء حتى يبرز
له أنهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون أن ذلك خاف على الله فإذا كان يوم القيامة
انكشفوا لله عند أنفسهم وعلموا أن الله تعالى خافية أو خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه فإن قلت لم كتب
الضعفوا بواو قبل الألف قلت كتب على لفظ من يفخم الألف قبل الهمزة فيميلها إلى الواو ونظيره علموا بني إسرائيل
والضعفاء الأتباع والعوام والذين استكبروا سادتهم وكبراؤهم الذين استغووهم وصدوهم عن الاستماع
إلى الأنبياء واتباعهم وتبعاً تابعين جمع تابع على تبع كقولهم خادم وخدم وغائب وغيب أو ذوي تبع والتبع الأتباع

يقال تبعه تبعا فإن قلت أي فرق بين من في من عذاب الله وبينه في من شيء قلت الأولى للتبيين والثانية للتبعيض كأنه قيل هل أنتم مغنون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز أن يكونا للتبعيض معا بمعنى هل أنتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله أي بعض بعض عذاب الله فإن قلت فما معنى قوله تعالى لو هدانا الله لهديناكم قلت الذي قال لهم الضعفاء كان توبيخا لهم وعتابا على استتباعهم واستغوائهم وقولهم فهل أنتم مغنون عنا من باب التبكيت لأنهم لا يقدرون على الإغناء عنهم فأجابوهم معتذرين عما كان منهم إليهم بأن الله لو هداهم إلى الإيمان لهدوهم ولم يضلوهم إما موركين الذنب في ضلالهم وإضلالهم على الله كما حكى الله تعالى عنهم وقالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء يقولون ذلك في الآخرة كما كانوا يقولونه في الدنيا ويدل عليه قوله تعالى حكاية عن المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ويجوز أن يكون المعنى لو كنا من أهل اللطف فلطف بنا ربنا واهتدينا لهديناكم إلى الإيمان وقيل معناه لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم أي لأغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم طريق الهلكة سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر والهمزة وأم للتسوية ونحوه اصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم وروي أنهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا فإن قلت كيف اتصل قوله تعالى سواء علينا بما قبله قلت اتصاله به من حيث أن عتابهم له كان جزعا مما هم فيه فقالوا لهم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا يريدون أنفسهم وإياهم لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر والأمر من ذلك أطم أو لما قالوا لو هدانا الله طريق النجاة لأغنينا عنكم وأنجيناكم أتبعوه الإقناط من النجاة فقالوا ما لنا من محيص أي منجى ومهرب جزعنا أم صبرنا ويجوز أن يكون من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا كأنه قيل قالوا جميعا سواء علينا كقوله تعالى ذلك ليعلم أني لم أخنه والمحيص يكون مصدرا كالمغيب والمشيب ومكانا كالمبيت والمصيف ويقال حاص عنه وحاص بمعنى واحد

وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم لما قضي الأمر لما قطع الأمر وفرغ منه وهو الحساب وتصادر الفريقين ودخول أحدهما الجنة ودخول الآخر النار وروي أن الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا في الأشقياء من الجن والإنس فيقول ذلك إن الله وعدكم وعد الحق وهو البعث والجزاء على الأعمال فوفى لكم بما وعدكم ووعدتكم خلاف ذلك فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان من تسلط وقهر فأقسركم على الكفر والمعاصي وألجئكم إليها إلا أن دعوتكم إلا دعائي إياكم إلى الضلالة بوسوستي وتزييني وليس الدعاء من جنس السلطان ولكنه كقولك ما تحيتهم إلا الضرب فلا تلوموني ولوموا أنفسكم حيث اغتررتم بي وأطعتموني ولم تطيعوا ربكم إذ دعاكم وهذا دليل على أن الإنسان هو الذي يختار الشقاوة والسعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله إلا التمكين ولا من الشيطان إلا التزيين ولو كان الأمر كما تزعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا أنفسكم فإن الله قضى عليكم الكفر وأجبركم عليه فإن قلت قول الشيطان باطل لا يصح التعلق به قلت لو كان هذا القول منه باطلا لبين الله بطلانه وأظهر إنكاره على أنه لا طائل له في النطق بالباطل في ذلك المقام ألا ترى إلى قوله إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم كيف أتى فيه بالحق والصدق وفي قوله تعالى ما كان لي عليكم من سلطان وهو مثل قول الله عز وجل

إن

ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي لا ينجي بعضنا بعضا من عذاب
الله ولا يغيثه والاصراخ الاغاثة وقرئ بمصرخيّ بكسر الياء وهي ضعيفة واستشهدوا لها ببيت مجهول •
قال لها هل لك يا تا في • قالت له ما انت بالمرضي • وكانه قدر ياء الاضافة ساكنة وقبلها
ياء ساكنة فحركها بالكسر لما عليه اصل التقاء الساكنين ولكنه غير صحيح لان ياء الاضافة لا تكون الا مفتوحة حيث قبلها
الف في نحو عصاي فما بالها وقبلها ياء فان قلت جرت الياء الاولى مجرى الحرف الصحيح لاجل الادغام فكانها ياء
وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر على الاصل المستفيض قلت هذا قياس حسن ولكن الاستعمال المستفيض
الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل اليه القياسات ما في بما اشركتموني مصدرية ومن قبل متعلق باشركتموني يعني
كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا كقوله تعالى ويوم القيامة يكفرون بشرككم
ومعنى كفره باشراكهم اياه تبرؤه منه واستنكاره له كقوله تعالى انا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وقيل
من قبل يتعلق بكفرت وما موصولة اي كفرت من قبل حين ابيت السجود لآدم بالذي اشركتمونيه وهو الله عز وجل
تقول شركت زيدا فاذا نقلت بالهمزة قلت اشركنيه فلان اي جعلني له شريكا ونحو ما هذه ما في قولهم سبحان
ما سخركن لنا • ومعنى اشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الاوثان وغيرها وهذا
آخر قول ابليس وقوله ان الظالمين قول الله عز وعلا • ويحتمل ان يكون من جملة قول ابليس وانما حكى الله عز وجل
ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين في النظر لعاقبتهم والاستعداد لما لا بد لهم من الوصول اليه وان
يتصوروا في انفسهم ذلك المقام الذي يقول فيه الشيطان ما يقول فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجيهم وقرئ فلا
يلوموني بالياء على طريقة الالتفات كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وادخل الذين آمنوا وعملوا
الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام وقرا الحسن وعمرو بن
عبيد رحمة الله ورضوانه عليهما وادخل الذين آمنوا على فعل المتكلم بمعنى وادخل انا وهذا دليل على انه من قول الله لا من
قول ابليس باذن ربهم متعلق بادخل اي ادخلتهم الملائكة الجنة باذن الله وامره فان قلت فبم يتعلق في القراءة الاخرى
وقولك وادخلهم انا باذن ربهم كلام غير ملتئم قلت الوجه في هذه القراءة ان يتعلق قوله تعالى باذن ربهم
بما بعده اي تحيتهم فيها سلام باذن ربهم يعني ان الملائكة يحيونهم باذن ربهم الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة
اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون
وقرئ الم تر ساكنة الراء كما قرئ من يتق الله ضرب الله مثلا اعتمده مثلا ووضعه وكلمة طيبة نصب بمضمر اي
جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله تعالى ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على
فرس ويجوز ان ينتصب مثلا وكلمة بضرب اي ضرب كلمة طيبة مثلا بمعنى جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة على انها خبر مبتدا محذوف
يعني هي كشجرة طيبة • اصلها ثابت يعني في الارض ضارب بعروقه فيها • وفرعها واعلاها وراسها في السماء ويجوز ان يريد
وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس • وقرا انس بن مالك رضي الله عنه • كشجرة طيبة ثابت اصلها فان قلت اي فرق
بين القراءتين قلت قراءة الجماعة اقوى معنى لان في قراءة انس بن مالك رضي الله عنه اجريت الصفة على الشجرة واذا قلت
مررت برجل ابوه قائم فهو اقوى معنى من مررت برجل قائم ابوه لان المخبر عنه انما هو الاب لا رجل والكلمة الطيبة كلمة التوحيد وقيل
كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة • وعن انس بن مالك • وعن ابن عباس رضي الله عنهما شهادة ان لا اله الا
الله • واما الشجرة فكل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين • والعنب والرمان وغير ذلك • وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ان الله ضرب مثلا للمؤمن شجرة فاخبروني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صبيا
فوقع في قلبي انها النخلة فهبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اقولها وانا اصغر القوم وروي فمنعني مكان عمر واستحييت
فقال لي عمر يا بني لو كنت قلتها لكانت احب الي من حمر النعم ثم قال صلى الله عليه وسلم الا انها النخلة وعن ابن عباس رضي الله
عنهما شجرة في الجنة وقوله تعالى في السماء معناه في جهة العلو والصعود ولم يرد المظلة كقولك في الجبل طويل تؤتي اكلها
كل حين تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها باذن ربها بتيسير خالقها وتكوينه لعلهم يتذكرون لان في ضرب المثل زيادة
افهام وتذكير وتصوير للمعاني ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار كشجرة خبيثة
كمثل شجرة خبيثة اي صفتها كصفتها وقرئ ومثل كلمة بالنصب عطفا على كلمة طيبة والكلمة الخبيثة كلمة الشرك وقيل
كل كلمة قبيحة واما الشجرة الخبيثة فكل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل والكشوث ونحو ذلك وقوله تعالى اجتثت من فوق
الارض في مقابلة قوله تعالى اصلها ثابت ومعنى اجتثت استوصلت وحقيقة الاجتثاث اخذ الجثة كلها ما لها من قرار
اي استقرار يقال قر الشيء قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول الذي لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت والذي لا يبقى
انما يضمحل عن قريب لبطلانه من قولهم الباطل لجلج وعن قتادة انه قال لبعض العلماء ما تقول في كلمة خبيثة فقال ما اعلم لها في
الارض مستقرا ولا في السماء مصعدا الا ان تلزم صاحبها حتى يوافي بها يوم القيامة يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا
وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء القول الثابت الذي ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وتمكن فيه
واطمأنت اليه نفسه وتثبيتهم به في الدنيا انهم اذا فتنوا في دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم اصحاب الاخدود والذين نشروا بالمناشير
ومشطت لحومهم بامشاط الحديد وكما ثبت جرجيس وشمسون وغيرهما وتثبيتهم في الآخرة انهم اذا سئلوا عند تواقف الاشهاد
عن معتقدهم ودينهم لم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم تحيرهم اهوال الحشر وقيل معناه الثبات عند سؤال القبر وعن البراء بن عازب
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن ثم قال فتعاد روحه في جسده فياتيه ملكان فيجلسانه في قبره فيقولان
له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول الله ربي وديني الاسلام ونبيي محمد فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك
قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين لم يتمسكوا بالحجة في دينهم وانما اقتصروا على تقليد كبارهم وشيوخهم
كما قلد المشركون آباءهم فقالوا انا وجدنا آباءنا على امة واضلالهم في الدنيا انهم لا يثبتون في مواقف الفتن وتزل اقدامهم اول
شيء وهم في الآخرة اضل وازل ويفعل الله ما يشاء اي ما توجبه الحكمة لان مشيئة الله تابعة للحكمة من تثبيت المؤمنين وتاييدهم
وعصمتهم عند ثباتهم وعزمهم ومن اضلال الظالمين وخذلانهم والتخلية بينهم وبين شانهم عند زللهم الم تر الى الذين بدلوا
نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار بدلوا نعمة الله اي شكر نعمة الله لان شكرها الذي
وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا فكانهم غيروا الشكر الى الكفر وبدلوه تبديلا ونحوه وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكر
رزقكم حيث وضعتم التكذيب موضعه ووجه آخر وهو انهم بدلوا نفس النعمة كفرا على انهم لما كفروها سلبوها فبقوا مسلوبي
النعمة موصوفين بالكفر حاصلا لهم الكفر بدل النعمة وهم اهل مكة اسكنهم الله حرمه وجعلهم قوام بيته واكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم
فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر العظيم او اصابهم الله بالنعمة في الرخاء والسعة لايلافهم الرحلتين فكفروا نعمته فضربهم
بالقحط سبع سنين فحصل لهم الكفر بدل النعمة وكذلك حين اسروا وقتلوا يوم بدر وقد ذهبت عنهم النعمة وبقي الكفر طوقا
في اعناقهم وعن عمر رضي الله تعالى عنه هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر
واما بنو امية فمتعوا حتى حين وقيل هم متنصرة العرب جبلة بن الايهم واصحابه دار البوار دار الهلاك وعطف جهنم على دار
البوار عطف بيان قوله وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم الى النار وقرئ ليضلوا بفتح الياء

وضلها

وضمنها فإن قلت الضلال والإضلال لم يكن غرضهم في اتخاذ الأنداد فما معنى اللام قلت لما كان الضلال والإضلال نتيجة
اتخاذ الأنداد كما كان الإكرام في قولك جئتك لتكرمني نتيجة المجيء دخلته اللام وإن لم يكن غرضا على طريق التشبيه والتقريب
تمتعوا إيذان بأنهم لانغماسهم في التمتع بالحاضر وأنهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه مأمورون به قد أمرهم آمر مطاع
لا يسعهم أن يخالفوه ولا يملكون لأنفسهم أمرا دونه وهو أمر الشهوة والمعنى إن دمتم على ما أنتم عليه من الامتثال لأمر
أمر الشهوة فإن مصيركم إلى النار ويجوز أن يراد الخذلان والتخلية ونحوه قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار
قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا
خلال المقول محذوف لأن جواب قل يدل عليه وتقديره قل لعبادي الذين آمنوا أقيموا الصلاة وأنفقوا يقيموا الصلاة
وينفقوا ويجوز أن يكون يقيموا وينفقوا بمعنى ليقيموا ولينفقوا ويكون هذا هو المقول قالوا وإنما جاز حذف
اللام لأن الأمر الذي هو قل عوض منه ولو قيل يقيموا الصلاة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز فإن قلت علام
انتصب سرا وعلانية قلت على الحال أي ذوي سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين أو على الظرف أي وقتي سر
وعلانية أو على المصدر أي إنفاق سر وإنفاق علانية والمعنى إخفاء المتطوع به من الصدقات والإعلان بالواجب
والخلال المخالة فإن قلت كيف طابق الأمر بالإنفاق وصف اليوم بأنه لا بيع فيه ولا خلال قلت من قبل أن الناس
يخرجون أموالهم في عقود المعاوضات فيعطون بدلا ليأخذوا مثله وفي المكارمات ومهاداة الأصدقاء
ليستجروا بهداياهم مثلها أو خيرا منها وأما الإنفاق لوجه الله خالصا كقوله تعالى وما لأحد عنده من نعمة تجزى
إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى فلا يفعله إلا المؤمنون الخلص فبعثوا عليه ليأخذوا بدله في يوم لا بيع فيه ولا خلال
بالتبرع الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر
بأمره وسخر لكم الأنهار الله مبتدأ والذي خبره ومن الثمرات بيان للرزق أي أخرج به رزقا هو ثمرات ويجوز أن
يكون من الثمرات مفعول أخرج ورزقا حالا من المفعول أو نصبا على المصدر من أخرج لأنه في معنى رزق بأمره بقوله
وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان
لظلوم كفار دائبين يدأبان في سيرهما وإنارتهما الظلمات وإصلاحهما ما يصلحان من الأرض والأبدان والنبات
وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمعاشكم وسباتكم وآتاكم من كل ما سألتموه من للتبعيض أي آتاكم بعض جميع ما
سألتموه نظرا في مصالحكم وقرئ من كل بالتنوين وما سألتموه نفي ومحله النصب على الحال أي آتاكم من جميع ذلك غير سائليه
ويجوز أن تكون ما موصولة على وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم إليه ولم تصلح أحوالكم ومعايشكم إلا به فكأنكم سألتموه أو طلبتموه
بلسان الحال لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عدها وبلوغ آخرها هذا إذا أرادوا أن يعدوها على الإجمال وأما الإجمال
التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه إلا الله لظلوم يظلم النعمة بإغفال شكرها كفار شديد الكفران لها وقيل ظلوم
في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع والإنسان للجنس فيتناول الإخبار بالظلم والكفران من يوجدان منه وإذ قال
إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام هذا البلد يعني البلد الحرام زاده الله أمنا وكفاه كل
باغ ظالم وأجاب فيه دعوة خليله إبراهيم آمنا ذا أمن فإن قلت أي فرق بين قوله اجعل هذا بلدا آمنا وبين قوله اجعل هذا
البلد آمنا قلت قد سأل في الأول أن يجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها ولا يخافون وفي الثاني أن يخرجه من صفة كان عليها
من الخوف إلى ضدها من الأمن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا واجنبني وقرئ وأجنبني وفيه ثلاث لغات جنبه الشر وجنّبه
فأهل الحجاز يقولون جنبني شره وأجنبني والمعنى ثبتنا وأدمنا على اجتناب عبادتها وبني أراد بنيه من صلبه وسئل ابن عيينة

كيف عبدت العرب الاصنام فقال ما عبد احد من ولد اسمعيل صنما واحتج بقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام انما كانت انصاب
حجارة لكل قوم حجر حيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت فكانوا يدورون بذلك الحجر ويسمونه الدوار فاستحب ان يقال طاف
بالبيت ولا يقال دار بالبيت رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم انهن
اضللن كثيرا من الناس فاعوذ بك ان تعصمني وبني من ذلك وانما جعلن مضلات لان الناس ضلوا بسببهن فكانهن اضللنهم كما
تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم اي افتتنوا بسببها فمن تبعني على ملتي وكان حنيفا مسلما مثلي فانه مني اي هو بعضي لفرط
اختصاصه بي وملابسته لي كذلك قوله صلى الله عليه وسلم من غشنا فليس منا اي ليس بعض المؤمنين على ان الغش ليس من افعالهم
واوصافهم ومن عصاني فانك غفور رحيم تغفر له ما سلف منه من عصياني اذا بدا له فيه واستحدث الطاعة لي وقيل
معناه ومن عصاني فيما دون الشرك ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة
فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون من ذريتي بعض اولادي وهم اسمعيل ومن ولد منه
بواد وهو وادي مكة غير ذي زرع لا يكون فيه شيء من زرع نحو قوله تعالى قرآنا عربيا غير ذي عوج بمعنى لا يوجد
فيه اعوجاج ما فيه الا الاستقامة لا غير وقيل للبيت المحرم لان الله حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما
لمكانه او لانه لم يزل ممتنعا عزيزا يهابه كل جبار كالشيء المحرم الذي حقه ان يجتنب او لانه محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها او لانه
حرم على الطوفان اي منع منه كما سمي عتيقا لانه اعتق منه فلم يستول عليه ليقيموا الصلاة اللام متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم
بهذا الوادي الخلاء البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا ليقيموا الصلاة عند بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك وما تعمر
به مساجدك ومتعبداتك متبركين بالبقعة التي شرفتها على البقاع مستسعدين بجوارك الكريم متقربين اليك بالعكوف عنده
بيتك والطواف به والركوع والسجود حوله مستنزلين الرحمة التي آثرت بها سكان حرمك افئدة من الناس تهوي ومن للتبعيض
ويدل عليه ما روي عن مجاهد لو قال افئدة الناس لزحمتكم عليه فارس والروم وقيل لو لم يقل من لازدحموا عليه حتى الروم والترك
والهند ويجوز ان تكون من للابتداء كقولك القلب مني سقيم تريد قلبي فكانه قيل افئدة ناس وانما نكرت المضاف اليه في هذا
التمثيل لتنكير افئدة لانها في الآية نكرة ليتناول بعض الافئدة وقرئ آفدة بوزن عاقدة وفيه وجهان احدهما ان يكون من القلب
القلب كقولهم آدر في ادور والثاني ان يكون اسم فاعل من أفدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة او جماعات يرتحلون اليهم
ويعجلون نحوهم وقرئ افدة وفيه وجهان ان تطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه ان تخفف باخراجها بين بين وان
يكون من افد تهوي اليهم تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا من قوله يهوي مخارمها هوي الاجدل وقرئ
تهوى اليهم على البناء للمفعول من هوى اليه واهواه غيره وتهوى اليهم من هوى يهوى اذا احب ضمن معنى تنزع فعدي
تعديته وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا ما فيه شيء منها بان تجلب اليهم من البلاد لعلهم يشكرون النعمة في ان
يرزقوا انواع الثمرات حاضرة في واد يباب ليس فيه نجم ولا شجر ولا ماء لا جرم ان الله تعالى اجاب دعوته فجعله
حرما آمنا ثم فضله في وجود اصناف الثمار فيه على كل ريف وعلى اخصب البلاد واكثرها ثمارا وفي اي بلد من بلاد الشرق والغرب
ترى الاعجوبة التي يريكها الله بواد غير ذي زرع وهي اجتماع البواكير والفواكه المختلفة الازمان من الربيعية والصيفية
والخريفية في يوم واحد وليس ذلك من آياته بعجيب متعنا الله تبارك وتعالى بسكنى حرمه وادام لنا التشرف بالدخول
تحت دعوة ابراهيم ورزقنا طرفا من سلامة ذلك القلب السليم ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله
من شيء في الارض ولا في السماء النداء المكرر دليل التضرع واللجأ الى الله تعالى انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم السر
كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه لان غيبا من الغيوب لا يحتجب عنك والمعنى انك اعلم باحوالنا وما يصلحنا ويفسدنا

منا وانت ارحم بنا وانصح لنا منا بانفسنا ولها فلا حاجة الى الدعاء والطلب وانما ندعوك اظهاراً للعبودية لك وتخشعاً لعظمتك
وتذللاً لعزتك وافتقاراً الى ما عندك واستعجالاً لنيل اياديك وولهاً الى رحمتك وكما يتملق العبد بين يدي سيده رغبة في
اصابة معروفه مع توفر السيد على حسن الملكة وعن بعضهم انه رفع حاجته الى كريم فابطا عليه النجح فاراد ان يذكره فقال مثلك
لا يذكره استقصاراً ولا توهماً للغفلة عن حوائج السائلين ولكن ذا الحاجة لا تدعه حاجته ان لا يتكلم فيها • وقيل ما نخفي من
الوجد لما وقع بيننا من الفرقة وما نعلن من البكاء والدعاء وقيل ما نخفي من كآبة الافتراق وما نعلن يريد ما جرى بينه وبين
هاجر حين قالت له عند الوداع الى من تكلنا قال الى الله اكلكم قالت آلله امرك بهذا قال نعم قالت اذن لا نخشى تركتنا الى كاف
وما يخفى على الله من شيء من كلام الله عز وجل تصديقاً لابرهيم صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى وكذلك يفعلون او من كلام ابرهيم
يعني وما يخفى على الله الذي هو عالم الغيب • من شيء في كل مكان ومن للاستغراق كانه قيل وما يخفى عليه شيء ما الحمد لله الذي
وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق ان ربي لسميع الدعاء على في قوله على الكبر بمعنى مع كقوله •

• اني على ما ترين من كبري • اعلم من حيث تؤكل الكتف •

وهو في موضع الحال معناه وهب لي وانا كبير وفي حال الكبر روي ان اسمعيل عليه الصلاة والسلام ولد له وهو ابن تسع
وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة وقد روي انه ولد له اسمعيل لاربع وستين واسحاق لتسعين
وعن سعيد بن جبير لم يولد لابرهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة وانما ذكر حال الكبر لان المنة بهبة الولد فيها اعظم من حيث
انها حال وقوع الياس من الولادة والظفر بالحاجة على عقب الياس من اجل النعم واحلاها في نفس الظافر ولان الولادة في
تلك السن العالية كانت آية لابراهيم عليه الصلاة والسلام ان ربي لسميع الدعاء كان قد دعا ربه وساله الولد فقال رب هب لي
من الصالحين فشكر الله ما اكرمه به من اجابته فان قلت الله تعالى يسمع كل دعاء اجابه او لم يجبه قلت هو من قولك
سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به وقبله ومنه سمع الله لمن حمده وفي الحديث ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن
فان قلت ما هذه الاضافة اضافة السميع الى الدعاء قلت اضافة الصفة الى مفعولها واصله لسميع الدعاء وقد ذكر
سيبويه فعيلاً في جملة ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا ضروب زيداً وضراب اخاه ومنحار ابله وحذر اموره
ورحيم اباه ويجوز ان يكون من اضافة فعيل الى فاعله ويجعل دعاء الله سميعاً على الاسناد المجازي والمراد سماع الله •
رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ومن ذريتي
وبعض ذريتي عطفاً على المنصوب في اجعلني وانما بعض لانه علم باعلام الله انه يكون في ذريته كفار وذلك قوله تعالى لا ينال
عهدي الظالمين • وتقبل دعائي اي عبادتي • واعتزلكم وما تدعون من دون الله في قراءة ابي ولابوي وقرأ سعيد
ابن جبير ولوالدي على الافراد يعني اباه وقرأ الحسن بن علي رضي الله عنهما ولولدي اسمعيل واسحق وقرئ لولدي بضم
الواو والولد بمعنى الولد كالعدم والعدم وقيل جمع ولد كاسد في جمع اسد وفي بعض المصاحف ولذريتي فان قلت
كيف جاز له ان يستغفر لابويه وكانا كافرين قلت هو من مجوزات العقل لا يعلم امتناع جوازه الا بالتوقيف
وقيل اراد بوالديه آدم وحواء وقيل بشرط الاسلام ويأباه قوله تعالى الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك لانه لو
شرط الاسلام لكان استغفاراً صحيحاً لا مقال فيه فكيف يستثنى الاستغفار الصحيح من جملة ما يؤتسى فيه بابرهيم • يوم يقوم
الحساب اي يثبت وهو مستعار من قيام القائم على الرجل والدليل عليه قولهم قامت الحرب على ساقها ونحوه قولهم ترجلت
الشمس اذا اشرقت وثبت ضوؤها كانها قامت على رجل ويجوز ان يسند الى الحساب قيام اهله اسناداً مجازياً او يكون
مثل واسأل القرية • وعن مجاهد قد استجاب الله له فيما سأل فلم يعبد احد من ولده صنماً بعد دعوته وجعل البلد آمناً

ورزق اهله وجعله اماما وجعل في ذريته من يقيم الصلاة واراه مناسكه وتاب عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما والله اعلم
انه قال كانت الطايف من ارض فلسطين فلما قال ابرهيم ربنا اني اسكنت الاية رفعها الله حيث وضعها رزقا للحرم ولا تحسبن
الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار فان قلت يتعالى الله عن السهو والغفلة فكيف
يحسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اعلم الناس به غافلا حتى قيل ولا تحسبن الله غافلا قلت ان كان خطابا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ففيه وجهان احدهما التثبيت على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا كقوله تعالى ولا تكونن
من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر كما جاء في الامر يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله والثاني ان المراد بالنهي عن حسبانه
غافلا الايذان بانه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء وانه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد
كقوله تعالى والله بما تعملون عليم يريد الوعيد ويجوز ان يراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون ولكن
معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير وان كان خطابا لغيره ممن يجوز ان يحسبه غافلا لجهله بصفاته فلا
سؤال فيه وعن ابن عيينة تسلية للمظلوم الطرف تحريك الاجفان الذي خلق عليه وجبل وهو المراد هنا وسميت لها بعملها
وتهديد للظالم فقيل له من قال هذا فغضب وقال انما قاله من علمه وقرئ نؤخرهم بالنون والياء تشخص فيه الابصار
اي ابصارهم لا تقر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء مهطعين
مسرعين الى الداعي وقيل الاهطاع ان تقبل ببصرك على المرئي تديم النظر اليه لا تطرف مقنعي رؤسهم رافعيها
لا يرتد اليهم طرفهم لا يرجع اليهم ان يطرفوا بعيونهم اي لا يطرفون ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك للاجفان
او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم هواء الذي لم تشغله الاجرام فوصف به فقيل قلب فلان هواء اذا كان
جبانا لا قوة في قلبه ولا جراءة ويقال للاحمق ايضا قلبه هواء قال زهير من الظلمان جؤجؤه هواء لان
النعام مثل في الجبن والحمق وقال حسان فانت مجوف نخب هواء وعن ابن جريج افئدتهم هواء
صفر من الخير خاوية منه وقال ابو عبيدة جوف لا عقول لهم وانذر الناس يوم ياتيهم العذاب فيقول
الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال
يوم ياتيهم العذاب مفعول ثان لانذر وهو يوم القيامة ومعنى اخرنا الى اجل قريب ردنا الى الدنيا وامهلنا الى
امد وحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك او اريد باليوم هلاكهم
بالعذاب العاجل او يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى وانهم يسألون يومئذ ان
يؤخرهم ربهم الى اجل قريب كقوله تعالى لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق اولم تكونوا اقسمتم على ارادة
القول وفيه وجهان ان يقولوا ذلك بطرا واشرا ولما استولى عليهم من عادة الجهل والسفه وان يقولوه بلسان
الحال حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وما لكم جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب لقوله تعالى اقسمتم ولو حكي
لفظ المقسمين لقيل ما لنا من زوال والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت والفناء وقيل لا تنتقلون
الى دار اخرى يعني كفرهم بالبعث كقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وسكنتم في مساكن
الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه قوله
تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم لان السكنى من السكون الذي هو اللبث والاصل تعديه بفي كقولك
قر في الدار وغنى فيها واقام فيها ولكنه لما نقل الى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوأها واوطنها
ويجوز ان يكون سكنوا من السكون اي قروا فيها واطمأنوا طيبي النفوس سائرين سيرة من قبلهم في الظلم والفساد

لا يحدثونها

لا يحدثونها بما لقي الاولون من ايام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا وتبين لكم بالاخبار والمشاهدة كيف اهلكناهم وانتقمنا
منهم وقرئ ونبين لكم بالنون وضربنا لكم الامثال اي صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم وقد
مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وقد مكروا مكرهم اي مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم
وعند الله مكرهم لا يخلو اما ان يكون مضافا الى الفاعل كالاول على معنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر
هو اعظم منه او يكون مضافا الى المفعول على معنى وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يستحقونه يأتيهم به من حيث
لا يشعرون ولا يحتسبون وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وان عظم مكرهم وتبالغ في الشدة فضرب زوال الجبال منه
مثلا لتفاقمه وشدته اي وان كان مكرهم مسوى لازالة الجبال معدا لذلك وقد جعلت ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله
تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم والمعنى ومحال ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لايات الله وشرائعه لانها بمنزلة الجبال ثباتا
الراسية ثباتا وتمكنا وتنصره قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم وقرئ لتزول بلام الابتداء على وان كان مكرهم من الشدة بحيث تزول
منه الجبال وتنقلع عن اماكنها وقرأ علي وعمر رضي الله عنهما وان كاد مكرهم فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام
مخلف وعده رسله يعني قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي فان قلت هلا قيل مخلف رسله وعده ولم قدم
المفعول الثاني على الاول قلت قدم الوعد ليعلم انه لا يخلف الوعد اصلا كقوله تعالى ان الله لا يخلف الميعاد ثم
قال رسله ليؤذن انه اذا لم يخلف وعده احدا وليس من شأنه اخلاف المواعيد كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته
وصفوته وقرئ مخلف وعده رسله بجر الرسل ونصب الوعد وهذه في الضعف كمن قرأ قتل اولادهم شركائهم عزيز
غالب لا يماكر ذو انتقام لاوليائه من اعدائه يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار
يوم تبدل الارض انتصابه على البدل من يوم يأتيهم او على الظرف للانتقام والمعنى يوم تبدل هذه الارض التي تعرفونها
ارضا اخرى غير هذه المعروفة وكذلك السموات والتبديل التغيير وقد يكون في الذوات كقولك بدلت الدراهم
دنانير ومنه قوله تعالى ~~فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات~~ بدلناهم جلودا غيرها • وبدلناهم بجنتيهم جنتين وفي
الاوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل • ومنه قوله تعالى فاولئك
يبدل الله سيئاتهم حسنات واختلف في تبديل الارض والسموات فقيل تبدل اوصافها فتسير على الارض جبالها وتفجر
بحارها وتسوى فلا ترى فيها عوج ولا امت • وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي تلك الارض وانما تغير • وانشد •

• وما الناس بالناس الذين عهدتهم • ولا الدار بالدار التي كنت تعلم •

وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا • وقيل يخلق بدلها ارض وسموات
اخر • وعن ابن مسعود رضي الله عنهما يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن علي رضي الله عنه تبدل ارضا من
فضة وسموات من ذهب • وعن الضحاك ارضا من فضة بيضاء كالصحائف وقرئ يوم نبدل الارض بالنون فان قلت كيف قال
الواحد القهار قلت هو كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الملك اذا كان لواحد غلاب لا يغالب ولا
يعاز فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار كان الامر في غاية الصعوبة والشدة وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد
مقرنين يقرن بعضهم مع بعض ومع الشياطين او قرنت ايديهم الى ارجلهم مغللين وقوله تعالى في الاصفاد اما ان يتعلق بمقرنين اي
يقرنون في الاصفاد واما ان لا يتعلق به فيكون المعنى مقرنين مصفدين والاصفاد القيود وقيل الاغلال وانشد لسلامة

• لسلامة بن جندل وزيد الخيل قد لاقى صفادا • يعض بساعد وبعظم ساق •

سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار القطران فيه ثلاث لغات قطران وقطران وقطران بفتح القاف وكسرها

مع سواد اللون الطاء وهو ما يتحلب من شجر يسمى الأبهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته والجلد وقد تبلغ حرارته
الجوف ومن شانه ان يسرع فيه اشتعال النار وقد يستسرج به وهو أسود اللون منتن الريح فتطلى به جلود اهل النار حتى يعود
طلاؤه لهم كالسرابيل وهي القمص ليجتمع عليهم الاربع لذع القطران وحرقته واسراع النار في جلودهم واللون الوحش
ونتن الريح على ان التفاوت بين القطرين كالتفاوت بين النارين وكل ما وعده الله واوعد به في الاخرة فبينه وبين ما
نشاهد من جنسه لا يقادر قدره وكأنه ما عندنا منه الا الأسامي والمسميات ثمه فبكرمه الواسع نعوذ من سخطه ونساله
التوفيق فيما ينجينا من عذابه وقرئ من قطر آن والقطر النحاس او الصفر المذاب والآني المتناهي حره وتغشى وجوههم
النار كقوله تعالى افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم يسحبون في النار على وجوههم لان الوجه اعز موضع في ظاهر
البدن واشرفه كالقلب في باطنه ولذلك قال تعالى تطلع على الافئدة وقرئ وتغشى وجوههم بمعنى تتغشى اي يفعل
بالمجرمين ما يفعل ليجزي الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو اله
واحد وليذكر اولوا الالباب ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت او كل نفس من مجرمة ومطيعة لانه اذا عاقب
المجرمين لاجرامهم علم انه يثيب المطيعين لطاعتهم هذا بلاغ للناس كفاية في التذكير والموعظة يعني بهذا
ما وصفه من قوله تعالى ولا تحسبن الى قوله سريع الحساب ولينذروا معطوف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا به هذا
البلاغ وقرئ ولينذروا بفتح اليا من نذر به اذا علمه واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد لانهم اذا
خافوا ما انذروا به دعتهم المخافة الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد لان الخشية ام الخير كله عن رسول الله صلى الله عليه
وعلى آله وسلم من قرا سورة ابرهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

سورة الحجر مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي تسع وتسعون آية

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون
وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ما تسبق من أمة اجلها وما يستأخرون تلك اشارة الى ما تضمنته السورة
من الآيات والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتابا واي قرآن
مبين كأنه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان وقرئ ربما وربتما بالتشديد وربما وربما بالضم والفتح
مع التخفيف فان قلت لم دخلت على المضارع وقد ابوا دخولها الا على الماضي قلت لان المترقب في اخبار
الله عز وجل بمنزلة الماضي المقطوع به فكأنه قيل ربما ود فان قلت عند الموت او يوم القيمة اذا عاينوا حالهم وحال
المسلمين وقيل اذا رأوا المسلمين يخرجون من النار وهذا ايضا باب من الودادة فان قلت فما معنى التقليل قلت
هو وارد على مذهب العرب في قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما يندم الانسان على ما فعل ولا يشكون في تندمه
ولا يقصدون تقليله ولكنهم ارادوا لو كان الندم مشكوكا فيه او كان قليلا لحق عليك ان لا تفعل هذا الفعل لان
العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل منه كما من الكثير وكذلك المعنى
في الآية لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة ولو كانوا مسلمين حكاية
ودادتهم وانما جيء بها على لفظ الغيبة لانهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لافعلن ولو كنا
مسلمين لكان حسنا سديدا وقيل تدهشهم اهوال ذلك اليوم فيبقون مبهوتين فان كانت منهم افاقة في بعض الاوقات

الجزو

الى

من شكرتهم تمنوا فلذلك قيل له ذرهم يعني اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهي عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة
وخلهم يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم وتنفيذ شهواتهم ويشغلهم املهم وتوقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال وان لا يلقوا
في العاقبة الا خيرا فسوف يعلمون سوء صنيعهم والغرض الايذان بانهم من اهل الخذلان وانهم لا يجيء منهم الا ما هم فيه
وانه لا زاجر لهم ولا واعظ الا معاينة ما ينذرون حين لا ينفعهم الوعظ ولا سبيل الى اتعاظهم قبل ذلك فامر رسوله
بان يخليهم وشانهم ولا يشتغل بما لا طائل تحته وان يبالغ في تخليتهم حتى يامرهم بما لا يزيدهم الا ندما في العاقبة وفيه الزام
للحجة ومبالغة في الانذار واعذار فيه وفيه تنبيه على ان ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدي اليه طول الامل ونعم هجيرى
القوم ليس من اخلاق المؤمنين وعن بعضهم التمرغ في الدنيا من اخلاق الهالكين ولها كتاب جملة واقعة
صفة لقرية والقياس ان لا يتوسط الواو بينهما كما في قوله عز وجل وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون وانما توسطت
لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال جاءني زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب كتاب معلوم مكتوب معلوم
وهو اجلها الذي كتب في اللوح وبين الا ترى الى قوله ما تسبق من امة اجلها في موضع كتابها وانث الامة اولا ثم ذكر ها
آخرا حملا على اللفظ والمعنى وقال وما يستاخرون بحذف عنه لانه معلوم وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون
لوما تاتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين قرأ الاعمش يا ايها الذي
القي اليه الذكر وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وكيف يقرون
بنزول الذكر عليه وينسبونه الى الجنون والتعكيس في كلامهم للاستهزاء والتهكم مذهب واسع في مواضع منها فبشرهم
بعذاب انك لانت الحليم الرشيد وقد يوجد كثيرا في كلام العجم والمعنى انك لتقول قول المجانين حتى تدعي ان الله نزل
عليك الذكر لو ركبت مع لا وما لمعنيين معنى امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى التحضيض واما هل فلم تركب الا مع لا
وحدها للتحضيض قال ابن مقبل • لوما الحياء ولوما الدين عبتكما • ببعض ما فيكما اذ عبتما عوري •
والمعنى هلا تاتينا بالملائكة يشهدون بصدقك ويعضدونك على انذارك كقوله تعالى لولا انزل اليه ملك فيكون معه
نذيرا او هلا تاتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت صادقا كما كانت تاتي الامم المكذبة برسلها
قرئ تنزل بمعنى تتنزل وتنزل على البناء للمفعول من نزل وننزل الملائكة بالنون ونصب الملائكة ه
الا بالحق الا تنزيلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة ولا حكمة في ان تاتيكم عيانا تشاهدونهم ويشهدون لكم بصدق النبي
النبي صلى الله عليه وسلم لانكم حينئذ مصدقون عن اضطرار ومثله قوله سبحانه وتعالى وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما الا بالحق وقيل الحق الوحي او العذاب واذن جواب وجزاء لانه جواب لهم وجزاء لشرط مقدر تقديره
ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما اخر عذابهم انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ولقد ارسلنا من قبلك في شيع
الاولين وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤون انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم في قولهم يا ايها الذي
نزل عليه الذكر ولذلك قال انا نحن فاكد عليهم انه المنزل على القطع والثبات وانه هو الذي بعث به جبريل
الى محمد صلى الله عليه وسلم ومن بين يديه ومن خلفه رصد حتى نزل وبلغ محفوظا من الشياطين وهو حافظه في كل وقت
من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين
والاحبار واختلفوا فيما بينهم بغيا فكان التحريف ولم يكل القرآن الى غير حفظه فان قلت فحين كان قوله تعالى
انا نحن نزلنا الذكر ردا لانكارهم واستهزائهم فكيف اتصل به قوله تعالى وانا له لحافظون قلت قد جعل ذلك
دليلا على انه منزل من عنده آية لانه لو كان من قول البشر او غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل

كلام سواه وقيل الضمير في له لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى والله يعصمك في شيع الأولين في فرقهم وطوائفهم والشيعة
الفرقة إذا اتفقوا على مذهب وطريقة ومعنى أرسلنا فيهم نبأناه فيهم وجعلناه رسولا فيما بينهم وما يأتيهم حكاية حال ماضية
لأن ما لا تدخل على مضارع إلا وهو في معنى الحال يقال سلكت الخيط في الإبرة وأسلكته إذا أدخلته فيها ونظمته
كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون
لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان
رجيم إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين وقرئ نسلكه والضمير للذكر أي مثل ذلك السلك ونحوه نسلك الذكر
في قلوب المجرمين على معنى أنه يلقيه في قلوبهم مكذبا مستهزأ به غير مقبول كما أنزلت بلئيم حاجة فلم يجبك إليها
فقلت كذلك أنزلها باللئام يعني مثل هذا الإنزال أنزلها بهم مردودة غير مقضية ومحل قوله تعالى لا يؤمنون به
النصب على الحال عن هو من به أو هو بيان لقوله تعالى كذلك نسلكه سنة الأولين طريقتهم التي سنها الله في إهلاكهم
حين كذبوا برسلهم وبالذكر المنزل عليهم وهو وعيد لأهل مكة على تكذيبهم وقرئ يعرجون بالضم والأكثر سكرت حيرت من
الأبصار من السكر أو السكر وقرئ سكرت بالتخفيف أي حبست كما يحبس النهر من الجري وقرئ سكرت من السكر أي حارت
كما يحار السكران والمعنى أن هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم في العناد أن لو فتح لهم باب من أبواب السماء ويسر لهم معراج يصعدون
فيه إليها ورأوا من العيان ما رأوا لقالوا هو شيء نتخايله لا حقيقة له ولقالوا قد سحرنا محمد بذلك وقيل الضمير للملائكة
أي لو أريناهم الملائكة يصعدون إلى السماء عيانا لقالوا ذلك وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون
وقال إنما ليدل على أنهم يبتون القول بأن ذلك ليس إلا تسكيرا للأبصار من استرق في محل النصب على الاستثناء وعن ابن عباس
رضي الله عنهما أنهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى
الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها شهاب مبين ظاهر للمبصرين والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها
من كل شيء موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم
موزون وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه لا يصلح فيه زيادة ولا نقصان أو له وزن وقدر في أبواب النعمة
والمنفعة وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها ومن لستم له برازقين معايش بياء
صريحة بخلاف الشمائل والخبائث ونحوها فإن تصريح الياء فيها خطأ والصواب الهمزة أو إخراج الياء بين بين وقد قرئ
معائش بالهمز على التشبيه ومن لستم له برازقين عطف على معايش أو على محل لكم كأنه قيل وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا
لكم من لستم له برازقين أو جعلنا لكم معايش ومن لستم له برازقين وأراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين يحسبون أنهم
يرزقونهم ويخطئون فإن الله هو الرزاق يرزقهم وإياهم ويدخل فيه الأنعام والدواب وكل ما بتلك المثابة مما الله رازقه
وقد سبق إلى ظنهم أنهم الرازقون ولا يجوز أن يكون مجرورا عطفا على الضمير المجرور في لكم لأنه لا يعطف على الضمير المجرور
ذكر الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين
وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون لواقح فيه قولان أحدهما أن الريح لاقح إذا جاءت بخير من إنشاء سحاب ماطر كما قيل للتي
لا تأتي بخير ريح عقيم والثاني أن اللواقح بمعنى الملاقح كما قال • ومختبط مما تطيح الطوائح • يريد المطاوح جمع
مطيحة وقرئ وأرسلنا الريح على تأويل الجنس فأسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما أنتم له بخازنين نفى عنهم
ما أثبته لنفسه في قوله تعالى وإن من شيء إلا عندنا خزائنه كأنه قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على
خلقه في السماء وإنزاله منها وما أنتم عليه بقادرين دلالة على عظيم قدرته وإظهارا لعجزهم ونحن الوارثون الباقون

بعد

بعد هلاك الخلق كلهم وقيل للباقي وارث استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد فنائه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في دعائه
واجعله الوارث منا ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم ولهذا علمنا من
من استقدم ولادة وموتا ومن تأخر من الاولين والآخرين او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في
الاسلام وسبق الى الطاعة ومن تأخر وقيل المستقدمين في صفوف الجماعة والمستأخرين وروي ان امرأة حسناء كانت في
المصليات خلف النبي صلى الله عليه وسلم وكان بعض القوم يستقدم لئلا ينظر اليها وبعض يستأخر ليبصرها فنزلت
هو يحشرهم اي القادر وحده على حشرهم والعالم بحصرهم مع افراط كثرتهم وتباعد اطراف عددهم انه حكيم عليم باهر
الحكمة يفعل كلما يفعله على مقتضى الحكمة والصواب وقد احاط علما بكل شيء ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حماء
مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حماء مسنون
الصلصال الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار قالوا اذا توهمت في صوته مدا فهو
صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا انتن والحماء الطين الاسود المتغير والمسنون
المصور من سنة الوجه وقيل المصبوب المفرغ اي افرغ صورة انسان كما يفرغ الصور من الجواهر المذابة في امثلتها
وقيل المنتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فان الذي يسيل بينهما سنين ولا يكون الا منتنا من حماء صفة لصلصال
اي خلقه من صلصال كائن من حماء بمعنى مصور وان يكون صفة لصلصال كانه افرغ الحماء فصور منها تمثال انسان
اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى جوهر آخر والجان للجن كآدم للناس وقيل هو ابليس وقرأ
الحسن وعمرو بن عبيد رحمهما والجأن بالهمزة من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام قيل هذه السموم جزء
من سبعين جزءا من سموم النار التي خلق الله منها الجن فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد
الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين قال يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين قال لم
اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حماء مسنون واذ قال ربك واذكر وقت قوله سويته عدلت خلقته واكملتها
وهيأتها لنفخ الروح فيها ونفخت فيه من روحي واحييته وليس ثم نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لتحصيل
ما يحيا به فيه واستثنى ابليس من الملائكة لانه كان بينهم مأمورا معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثنى بعد التغليب
لذلك وانهم الا واحدا وابى استئناف على تقدير قول قائل يقول هل سجد فقيل ابى ذلك واستكبر عنه وقيل
معناه ولكن ابليس ابى حرف الجر مع ان يحذف وتقديره ما لك في ان لا تكون مع الساجدين بمعنى اي غرض لك في ابائك
السجود واي داع لك اليه لم اكن لاسجد لتأكيد النفي ومعناه لا يصح مني وينافي حالي يستحيل ان اسجد لبشر قال فاخرج منها
فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم
الوقت المعلوم رجيم شيطان من الذين يرجمون بالشهب او مطرود من رحمة الله لان من يطرد يرجم بالحجارة ومعناه
ملعون لان اللعن هو الطرد من الرحمة والابعاد منها والضمير في منها راجع الى الجنة او السماء او الى جملة الملائكة
وضرب يوم الدين حدا للعنة اما لانه ابعد غاية يضربها الناس في كلامهم كقوله تعالى ما دامت السموات والارض
في التأبيد واما ان يراد بانك مذموم مدعو عليك باللعنة في السموات والارض الى يوم الدين من غير ان تعذب فاذا
جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه ويوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم في معنى واحد ولكن
خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة وقيل انما سأل الانظار الى يوم البعث الذي فيه يبعثون لئلا
يموت لانه لا يموت يوم البعث احد فلم يجب الى ذلك وانظر الى آخر ايام التكليف قال رب بما اغويتني لازينن لهم

في الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين قال هذا صراط علي مستقيم إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك
من الغاوين بما أغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم لأزينن والمعنى أقسم بإغوائك إياي لأزينن لهم ومعنى
إغوائه إياه تسبيب لغيه بأن أمره بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام فأفضى ذلك إلى غيه وما الأمر بالسجود إلا حسن وتعريض
للثواب بالتواضع والخضوع لأمر الله ولكن إبليس اختار الإباء والاستكبار فهلك والله تعالى بريء من غيه ومن إرادته والرضا
به ونحو قوله تعالى بما أغويتني لأزينن قوله تعالى فبعزتك لأغوينهم أجمعين في أنه إقسام إلا أن أحدهما إقسام بصفته
والثاني إقسام بفعله وقد فرق الفقهاء بينهما ويجوز أن لا يكون قسما ويقدر قسم محذوف ويكون المعنى بسبب تسبيبك
لإغوائي أقسم لأفعلن بهم نحو ما فعلت بي من التسبيب لإغوائهم بأن أزين لهم المعاصي وأوسوس إليهم ما يكون سبب هلاكهم
في الأرض في الدنيا التي هي دار الغرور لقوله تعالى أخلد إلى الأرض واتبع هواه أو أراد أني أقدر على الاحتيال لآدم والتزيين
له الأكل من الشجرة وهو في السماء فأنا على التزيين لأولاده في الأرض أقدر أو أراد مكان التزيين عندهم الأرض ولأزينن
فيها لأرتعنها في أعينهم ولأحدثنهم بأن الزينة في الدنيا وحدها حتى يستحقوها على الآخرة ويطمئنوا إليها دونها ونحوه
• بحوح في عواقبها نتبل • استثنى المخلصين لأنه علم أن كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه أي هذا طريق حق علي أن أراعيه
وهو أن لا يكون لك سلطان على عبادي إلا من اختار اتباعك منهم لغوايته • وقرئ علي وهو من علو الشرف والفضل
وإن جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم إن المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام
آمنين لموعدهم الضمير للغاوين وقيل أبواب النار أطباقها وأدراكها فأعلاها للموحدين والثاني لليهود والثالث
للنصارى • والرابع للصابئين والخامس للمجوس • والسادس للمشركين • والسابع للمنافقين • وعن ابن عباس رضي الله عنهما
أن جهنم لمن ادعى الربوبية • ولظى لعبدة النار • والحطمة لعبدة الأصنام • وسقر لليهود • والسعير للنصارى •
والجحيم للصابئين • والهاوية للموحدين • وقرئ جزء بالتخفيف • والتثقيل وقرأ الزهري جزّ بالتشديد
كأنه حذف الهمزة وألقى حركتها على الزاي كقولك خب في خبء ثم وقف عليه بالتشديد كقولهم الرجل ثم أجري الوصل
مجرى الوقف المتقي على الإطلاق من يتقي ما يجب اتقاؤه مما نهي عنه • وعن ابن عباس رضي الله عنهما • اتقوا الكفر والفواحش
ولهم ذنوب تكفرها الصلوات وغيرها ادخلوها على إرادة القول • وقرأ الحسن أدخلوها بسلام سالمين أو مسلما
عليكم تسلم عليكم الملائكة ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها
بمخرجين الغل الحقد الكامن في القلب من انغل في جوفه وتغلغل أي إن كان لأحدهم في الدنيا غل على آخر نزع
الله ذلك من قلوبهم وطيب نفوسهم • وعن علي رضي الله عنه أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم • وعن
الحارث الأعور كنت جالسا عنده إذ جاء ابن طلحة فقال له علي صلى الله عليه وسلم مرحبا بك يا ابن أخي أما والله إني لأرجو
أن أكون أنا وأبوك ممن قال الله تعالى فيهم ونزعنا ما في صدورهم من غل فقال له قائل كلا الله أعدل أن يجمعك وطلحة في مكان
واحد فقال فلمن هذه الآية لا أم لك وقيل معناه طهر الله قلوبهم من أن يتحاسدوا على الدرجات في الجنة ونزع منها
كل غل ألقى فيها التودد • وإخوانا نصب على الحال وعلى سرر متقابلين كذلك • وعن مجاهد رضي الله عنه تدور بهم الأسرة
حيثما داروا فيكونون في جميع أحوالهم متقابلين نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم
ونبئهم عن ضيف إبراهيم إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال إنا منكم وجلون قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم
قال أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين قال ومن يقنط من رحمة
ربه إلا الضالون لما أتم ذكر الوعد والوعيد أتبعه نبئ عبادي تقريرا لما ذكر وتمكينا له في النفوس وعن ابن عباس

رضي الله عنهما عفوه لمن تاب وعذابه لمن لم يتب • وعطف ونبئهم على نبئ عبادي ليتخذوا ما احل من العذاب بقوم
لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده ان عذابه هو العذاب الأليم سلاما اي
نسلم عليك سلاما او سلمت سلاما • وجلون خائفون • وكان خوفهم لامتناعهم من الاكل • وقيل لانهم دخلوا
بغير اذن • وبغير وقت • وقرأ الحسن رحمة الله عليه لا توجل بضم التاء من اوجله يوجله اذا اخافه • وقرئ لا تاجل
ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله وقرئ نبشرك بفتح النون والتخفيف انا نبشرك استيناف في معنى التعليل للنهي
عن الوجل اراد وانك بمثابة الامن المبشر فلا توجل يعني أبشرتموني مع مس الكبر بان يولد لي اي ان الولادة امر
عجيب مستنكر في العادة مع الكبر • فبم تبشرون هي ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كانه قال فباي اعجوبة
تبشروني اراد تبشروني بما هو غير متصور في العادة فباي شيء تبشرون يعني لا تبشروني في الحقيقة بشيء لان
البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء • ويجوز ان لا يكون صلة للبشر ويكون سؤالا عن الوجه والطريقة يعني بطريقة
تبشروني بالولد والبشارة به لا طريقة لها في العادة وقوله بشرناك بالحق يحتمل ان تكون الباء فيه صلة اي بشرناك
باليقين الذي لا لبس فيه او بشرناك بطريقة هي حق • وهي قول الله ووعده • فانه قادر على ان يوجد ولدا من غير ابوين
فكيف من شيخ فان • وعجوز عاقر • وقرئ تبشرون بفتح النون وبكسرها على حذف نون الجمع والاصل تبشرونني
وتبشرني بادغام نون الجمع في نون العماد • وقرئ من القنطين من قنط يقنط • وقرئ من يقنط بالحركات الثلث
في النون اراد ومن يقنط من رحمة ربه • الا المخطئون طريق الصواب • او الا الكافرون • لقوله تعالى لا ييأس
من روح الله الا القوم الكافرون • يعني لم استنكر ذلك قنوطا من رحمته • ولكن استبعادا له في العادة التي اجراها
الله تعالى قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا ال لوط انا لمنجوهم اجمعين الا امرأته قدرنا
انها لمن الغابرين فان قلت قوله تعالى الا ال لوط استثناء متصل ام منقطع قلت لا يخلو من ان يكون استثناء
من قوم فيكون منقطعا لان القوم موصوفون بالاجرام فاختلف لذلك الجنسان وان يكون استثناء من الضمير في
مجرمين فيكون متصلا كانه قيل الى قوم قد اجرموا كلهم الا ال لوط وحدهم كما قال تعالى فما وجدنا فيها غير بيت من
المسلمين فان قلت فهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثناءين قلت نعم وذلك ان ال لوط مخرجون في
المنقطع من حكم الارسال وعلى انهم ارسلوا الى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا الى ال لوط اصلا • ومعنى ارسالهم الى القوم
المجرمين كارسال الحجر او السهم الى المرمى في انه في معنى التعذيب والاهلاك كانه قيل انا اهلكنا قوما مجرمين ولكن
ال لوط انجيناهم واما في المتصل فهم داخلون في حكم الارسال وعلى ان الملائكة ارسلوا اليهم جميعا ليهلكوا هؤلاء وينجوا
هؤلاء فلا يكون الارسال مخلصا لمعنى الاهلاك والتعذيب كما في الوجه الاول فان قلت فقوله انا لمنجوهم بم
يتعلق على الوجهين قلت اذا انقطع الاستثناء جرى مجرى خبر لكن في الاتصال بال لوط لان المعنى لكن ال لوط منجون
واذا اتصل كان كلاما مستأنفا كان ابراهيم صلوات الله عليه قال لهم فما حال ال لوط فقالوا انا لمنجوهم فان قلت
قوله تعالى الا امرأته مم استثني وهل هو استثناء من استثناء قلت استثني من الضمير المجرور في قوله تعالى
لمنجوهم وليس من الاستثناء في شيء لان الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه وان يقال
اهلكناهم الا ال لوط الا امرأته كما اتحد الحكم في قول المطلق انت طالق ثلثا الا اثنتين الا واحدة وفي قول المقر
لفلان علي عشرة دراهم الا ثلثة الا درهما فاما في الاية فقد اختلف الحكمان لان الا ال لوط متعلق بارسلنا او بمجرمين
والا امرأته قد تعلق بمنجوهم فانى يكون استثناء من استثناء وقرئ لمنجوهم بالتخفيف والتثقيل فان قلت لم جاز

لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله تعالى قدرنا إنها لمن الغابرين والتعليق من خصائص افعال القلوب قلت لتضمن فعل
التقدير معنى العلم ولذلك فسر العلماء تقدير الله اعمال العباد بالعلم فان قلت فلم اسند الملائكة فعل التقدير وهو لله
وحده الى انفسهم ولم يقولوا قدر الله قلت لما لهم من القرب والاختصاص بالله الذي ليس لاحد غيرهم كما تقول خاصة الملك
دبرنا كذا وامرنا بكذا والمدبر والآمر هو الملك لا هم وانما يظهرون بذلك اختصاصهم وانهم لا يتميزون عنه وقرئ
قدرنا بالتخفيف فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون وآتيناك بالحق
وانا لصادقون فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع ادبارهم ولا يلتفت منكم احد وامضوا حيث تؤمرون وقضينا
اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين منكرون اي تنكركم نفسي وتنفر منكم فاخاف ان تطرقوني بشر بدليل
قوله بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما فيه فرحك وسرورك وتشفيك من عدوك
وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه ويكذبونك بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون في
الاخبار بنزوله بهم وقرئ فاسر بقطع الهمزة ووصلها من اسرى وسرى وروى صاحب الاقليد فسر من السير
والقطع في آخر الليل قال

افتحي الباب وانظري في النجوم ... كم علينا من قطع ليل بهيم

وقيل هو بعد ما يمضي منه شيء صالح من الليل فان قلت ما معنى امره باتباع ادبارهم ونهيهم عن الالتفات قلت قد بعث
الله الهلاك على قومه ونجاه واهله اجابة لدعوته عليهم وخرج مهاجرا فلم يكن له بد من الاجتهاد في شكر الله وادامة ذكره
وتفريغ باله لذلك فامر بان يقدمهم لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه وليكون مطلعا عليهم وعلى احوالهم فلا تفرط منهم التفاتة
احتشاما منه ولا غيرها من الهفوات في تلك الحال المهولة المحذورة ولئلا يتخلف منهم احد لغرض له فيصيبه العذاب وليكون
مسيره مسير الهارب الذي يقدم سربه ويفوت به ونهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا
لهم وليوطنوا انفسهم على المهاجرة ويطيبوا نفسا عن مساكنهم ويمضوا قدما غير ملتفتين الى ما وراءهم كالذي يتحسر على
مفارقة وطنه فلا يزال يلوي اليه اخادعه كما قال

تلفت نحو الحي حتى وجدتني ... وجعت من الاصغاء ليتا واخدعا

او جعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف لان من يلتفت لا بد له في ذلك من
ادنى وقفة حيث تؤمرون قيل هو مصر وعدي وامضوا الى حيث تعديته الى الظرف المبهم لان حيث مبهم في الامكنة
وكذلك الضمير في تؤمرونه وعدي وقضينا اليه بالى لانه ضمن معنى اوحينا كانه قيل واوحينا اليه مقضيا مبتوتا
وفسر ذلك الامر بقوله تعالى ان دابر هؤلاء مقطوع وفي ابهامه وتفسيره تفخيم للامر وتعظيم له وقرأ الاعمش انّ بالكسر
على الاستئناف كان قائلا قال اخبرنا عن ذلك الامر فقال ان دابر هؤلاء وفي قراءة ابن مسعود وقلنا ان دابر هؤلاء ودابرهم
آخرهم يعني يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد وجاء اهل المدينة يستبشرون قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون
واتقوا الله ولا تخزون قالوا اولم ننهك عن العالمين قال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون
اهل المدينة اهل سدوم التي ضرب بقاضيها المثل في الجور مستبشرين بالملائكة لا تفضحون بفضيحة ضيفي لان من
اسيء الى ضيفه او جاره فقد اسيء اليه كما ان من اكرم من يتصل به فقد اكرم ولا تخزون ولا تذلوني باذلال ضيفي
من الخزي وهو الهوان او ولا تشوروا بي من الخزاية وهي الحياء عن العالمين عن ان تجير منهم احدا او تدفع عنهم او تمنع
بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان يقوم صلى الله عليه وسلم بالنهي عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض
له فاوعدوه وقالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين وقيل عن ضيافة الناس وانزالهم وكانوا نهوه ان يضيف

احدا

احدا قط ص هؤلاء بناتي اشارة الى النساء لان كل امة اولاد نبيها رجالهم بنوه ونساؤهم بناته فكانه قال لهم هؤلاء بناتي
فانكحوهن وخلوا بني فلا تتعرضوا لهم ان كنتم فاعلين شك في قبولهم لقوله كانه قال ان فعلتم ما اقول لكم وما
اظنكم تفعلون وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما احل الله دون ما حرم ص لعمرك على ارادة القول اي قالت الملائكة
للوط عليه الصلاة والسلام ص لعمرك انهم لفي سكرتهم اي في غوايتهم التي اذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطا الذي هم
عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم من ترك البنين الى البنات ص يعمهون يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصغون
الى نصحك وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه اقسم بحياته ما اقسم بحياة احد قط كرامة له والعمر والعمر
واحد الا انهم خصوا القسم بالمفتوح لايثار الاخف فيه وذلك لان الحلف كثير الدور على السنتهم ولذلك حذفوا الخبر
وتقديره لعمرك فيما اقسم به كما حذفوا الفعل في قولك بالله وقرئ في سكرهم وفي سكراتهم فاخذتهم الصيحة
فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ان في ذلك لآيات للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم ان في ذلك
لآية للمؤمنين الصيحة صيحة جبريل داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس من سجيل قيل من طين عليه كتاب من السجل
ودليله قوله حجارة من طين مسومة عند ربك اي معلمة بكتاب ص للمتوسمين للمتفرسين المتاملين حقيقة
المتوسمين النظار المتثبتين في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء يقال توسمت في فلان كذا اي عرفت وسمه فيه
والضمير في عاليها سافلها لقرى قوم لوط وانها وان هذه القرى يعني آثارها لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس
لم يندرس بعد وهم يبصرون تلك الآثار وهو تنبيه لقريش كقوله تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين وان كان
اصحاب الايكة لظالمين فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين وآتيناهم آياتنا
فكانوا عنها معرضين وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا
يكسبون اصحاب الايكة قوم شعيب وانهما يعني قرى قوم لوط والايكة وقيل الضمير للايكة ومدين لان شعيبا عليه الصلاة
والسلام كان مبعوثا اليهما فلما ذكر الايكة دل بذكرها على مدين فجاء بضميرها لبامام مبين لبطريق واضح والامام
اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق ومطمر البناء واللوح الذي يكتب فيه لانها مما يؤتم به ص اصحاب الحجر ثمود والحجر
واديهم وهو بين المدينة والشام ص المرسلين يعني بتكذيبهم صالحا لان من كذب واحدا منهم فكانما كذب الجميع او اراد
صالحا ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون لابن الزبير واصحابه وعن جابر رضي الله عنه مررنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصاب هؤلاء
ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته فاسرع حتى خلفها آمنين لوثاقة البيوت واستحكامها من ان تتهدم
ويتداعى بنيانها من نقب اللصوص ومن الاعداء وحوادث الدهر آمنين من عذاب الله يحسبون ان الجبال تحميهم
منه ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة والاموال والعدد وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق
وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل ان ربك هو الخلاق العليم ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن
العظيم الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة لا باطلا وعبثا او بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال وان
الساعة لآتية وان الله ينتقم لك فيها من اعدائك ويجازيك على حسناتك وسيئاتهم فانه ما خلق السموات والارض
الا لذلك ف فاصفح فاعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم اعراضا جميلا بحلم واغضاء وقيل هو منسوخ باية السيف
ويجوز ان يراد به المخالقة فلا يكون منسوخا ق ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وهو العليم بحالك ه

وحالهم فلا يخفى عليه ما يجري بينكم وهو يحكم بينكم وان ربك هو الذي خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح
الى ان يكون السيف اصلح ، وفي مصحف ابي وعثمان رضي الله عنهما ان ربك هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق
للكثير لا غير كقولك قطع الثياب وقطع الثوب والثياب سبعا سبع آيات وهي الفاتحة ، او سبع سور وهي الطوال
واختلف في السابعة فقيل الانفال وبراءة لانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما باية التسمية ، وقيل سورة يونس
وقيل هي آل حم او سبع صحائف وهي الاسباع والمثاني من التثنية وهي التكرير لان الفاتحة مما تكرر قراءتها في الصلاة وغيرها
او من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الواحدة مثناة او مثنية صفة للآية واما السور والاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ
والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثناء كانها تثني على الله بافعاله العظمى وصفاته الحسنى ومن اما للبيان او التبعيض
اذا اردت بالسبع الفاتحة او الطوال وللبيان اذا اردت الاسباع ويجوز ان تكون كتب الله كلها المثاني لانها تثني عليه
ولما فيها من المواعظ المكررة ويكون القرآن بعضها فان قلت كيف صح عطف القرآن العظيم على السبع وهل هو الا عطف
الشيء على نفسه قلت اذا عني بالسبع الفاتحة او الطوال فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل
الا ترى الى قوله بما اوحينا اليك هذا القرآن يعني سورة يوسف واذا عنيت الاسباع فالمعنى ولقد آتيناك ما يقال
له السبع المثاني والقرآن العظيم اي الجامع لهذين النعتين وهما الثناء او التثنية والعظم لا تطمح ببصرك طموح راغب
فيه متمن له الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار فان قلت كيف وصل هذا بما قبله قلت يقول لرسوله
قد اوتيت النعمة العظمى التي كل نعمة وان عظمت فهي اليها حقيرة ضئيلة ، وهي القرآن العظيم فعليك ان تستغني به
ولا تمدن عينيك الى متاع الدنيا ، ومنه الحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن ، وحديث ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القرآن
فرأى ان احدا من الدنيا اوتي افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا ، وقيل وافت من بصرى واذرعات سبع قوافل
ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا
لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله فقال لهم الله عز وجل لقد اعطيتكم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع ،
لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين وقل اني انا النذير المبين
كما انزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين ولا تحزن عليهم يعني لا تتمن اموالهم ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا
فيتقوى بمكانهم الاسلام وينتعش بهم المؤمنون وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين ، وطب نفسا عن ايمان الاغنياء والاقوياء
وقل لهم اني انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم فان قلت بم تعلق قوله كما انزلنا قلت
فيه وجهان احدهما ان يتعلق بقوله ولقد آتيناك اي انزلنا عليك مثل ما انزلنا على اهل الكتاب وهم المقتسمون الذين
جعلوا القرآن عضين حيث قالوا بعنادهم وعداوتهم بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما
فاقتسموه الى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا يستهزءون به فيقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول الآخر سورة آل عمران لي
ويجوز ان يراد بالقرآن ما يقرءونه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبان اليهود اقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض وهي
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم يعني اليهود وهو ما جرى على قريظة والنضير جعل المتوقع
بمنزلة الواقع وهو من الاعجاز لانه اخبار بما سيكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا بالنذير اي انذر المعضين
الذين يجزءون القرآن الى سحر وشعر واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم
فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر

ازرق ح

بلغ مقابلة

ويقول

بلغ مقابلة

وبعضهم يقول الاخر كذب والاخر شاعر فاهلكهم الله يوم بدر وقبله بافات كالوليد بن المغيرة والعاص بن وايل والاسود بن المطلب
او مثل ما انزل الله على الرهط الذين تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه الصلاة والسلام والاقتسام بمعنى التقاسم فان قلت
اذا علقت قوله تعالى كما انزلنا بقوله ولقد اتيناك فما معنى توسط لا تمدن الى اخره بينهما قلت لما كان ذلك تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات الى دنياهم
والتاسف على كفرهم ومن الامر بان يقبل بمجامعه على المؤمنين • عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة فعلة من عضى
الشاة اذا جعلها اعضاء قال رؤبة • وليس دين الله بالمعضى • وقيل هي فعلة من عضهته اذا بهته وعن عكرمة
العضه السحر بلسان قريش يقولون للساحر عاضه ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة نقصانها
على الاول واو وعلى الثاني هاء فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين انا كفيناك
المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها اخر فسوف يعلمون ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن
من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين لنسئلنهم عبارة عن الوعيد وقيل يسئلهم سؤال تقريع • وعن ابي العالية
يسئل العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا اجابوا المرسلين فاصدع بما تؤمر فاجهر به واظهره يقال صدع بالحجة
اذا تكلم بها جهارا كقولك صرح بها من الصديع وهو الفجر والصدع في الزجاجة الابانة وقيل فاصدع فافرق بين
الحق والباطل بما تؤمر والمعنى بما تؤمر به من الشرايع فحذف الجار كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به ويجوز ان يكون ما
مصدرية اي بامرك مصدر من المبني للمفعول • عن عروة بن الزبير في المستهزئين هم خمسة نفر ذوو اسنان وشرف والوليد
ابن المغيرة والعاص بن وايل والاسود بن عبد يغوث • والاسود بن المطلب • والحرث بن الطلاطلة • وعن ابن عباس ماتوا كلهم قبل بدر
قال جبريل عليه الصلاة والسلام امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب
عرقا في عقبه فقطعه فمات • واومى الى اخمص العاص بن وايل فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى
صارت كالرحى ومات • واشار الى عيني الاسود بن المطلب فعمي • واشار الى انف الحارث بن قيس فامتخط قيحا فمات • واشار
الى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح راسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات • بما يقولون
من اقاويل الطاعنين فيك وفي القران فسبح فافزع فيما نابك الى الله والفزع الى الله هو الذكر الدايم وكثرة السجود يكفك
ويكشف عنك الغم ودم على عبادة ربك حتى ياتيك اليقين اي الموت ما دمت حيا فلا تخل بالعبادة • وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة • وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار
والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة النحل مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي مائة وعشرون وثمان ايات

اتى امر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا
انا فاتقون كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة او نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد فقيل لهم اتى
امر الله اي هو بمنزلة الاتي الواقع وان كان منتظرا لقرب وقوعه • فلا تستعجلوه روي انه لما نزلت اقتربت الساعة
قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كاين فلما تاخرت
قالوا ما نرى شيا فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيا

بما وعدناه فنزلت اتى امر الله فوثب رسول الله ورفع الناس رؤوسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمأنوا وقرئ تستعجلوه بالتاء والياء
سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ جل وعز عن ان يكون له شريك وان تكون آلهتهم له شركاء وعن اخوانكم ان ما موصولة
او مصدرية فان قلت كيف اتصل هذا باستعجالهم قلت لان استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك وقرئ
تنزل الملائكة اي تتنزل بالروح من امره بما يحيي القلوب الميتة بالجهل من وحيه او بما يقوم في الدين مقام الروح في
الجسد وان انذروا بدل من الروح اي ينزلهم بان انذروا وتقديره بانه انذروا اي بان الشان اقول لكم انذروا
او تكون ان مفسرة لان تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول ومعنى انذروا انه لا اله الا انا اعلموا بان الامر ذلك
من نذرت بكذا اذا علمته والمعنى يقول لهم اعلموا الناس قولي لا اله الا انا فاتقون **خلق السموات والارض بالحق تعالى عما**
يشركون خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها
جمال حين تريحون وحين تسرحون ثم دل على وحدانيته وانه لا اله الا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات
والارض وخلق الانسان وما يصلحه وما لا بد له منه من خلق البهائم لاكله وركوبه وجر اثقاله وسائر حاجاته وخلق ما
لا يعلمون من اصناف خلائقه ومثله متعال عن ان يشرك به غيره وقرئ يشركون بالياء والتاء فاذا هو خصيم
مبين فيه معنيان احدهما فاذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين للحجة بعد ما كان نطفة من مني جمادا
لا حس به ولا حركة دلالة على قدرته والثاني فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم وصفا للانسان
بالافراط في الوقاحة والجهل والتمادي في كفران النعمة وقيل نزلت في ابي بن خلف الجمحي حين جاء بالعظم الرميم الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم والانعام الازواج الثمانية واكثر ما يقع على الابل وانتصابها
بمضمر يفسره الظاهر كقوله تعالى والقمر قدرناه ويجوز ان يعطف على الانسان والانعام ثم قال خلقها لكم اي ما خلقها الا
لكم ولمصالحكم يا جنس الانسان والدفء اسم ما يدفأ به كما ان الملء اسم ما يملأ به وهو الدفاء من لباس معمول من صوف
او وبر او شعر وقرئ دف بطرح الهمزة والقاء حركتها على الفاء ومنافع هي نسلها ودرها وغير ذلك فان قلت
تقديم الظرف في قوله ومنها تأكلون مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها قلت الاكل منها هو الاصل الذي يعتمده
الناس في معايشهم واما الاكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجاري مجرى التفكه
ويحتمل ان طعمتكم منها لانكم تحرثون بالبقر فالحب والثمار التي تأكلونها منها وتكتسبون باكراء الابل وتبيعون نتاجها
والبانها وجلودها من الله تعالى بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لانه من اغراض اصحاب المواشي بل من معاظمها لان الرعيان
اذا روحوها بالعشي وسرحوها بالغداة فزينت باراحتها وتسريحها الافنية وتجاوب فيها الثغاء والرغاء آنست اهلها
وفرحت اربابها واجلتهم في عيون الناظرين اليها وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس ونحوه لتركبوها وزينة يواري سوآتكم
وريشا فان قلت لم قدمت الاراحة على التسريح قلت لان الجمال في الاراحة اظهر اذا اقبلت ملأى البطون حافلة
الضروع ثم اوت الى الحظائر لاهلها وقرأ عكرمة حينا تريحون وحينا تسرحون على ان تريحون وتسرحون وصف
للحين والمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه كقوله عز وجل يوما لا تجزي **وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس**
ان ربكم لرءوف رحيم والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر
ولو شاء لهداكم اجمعين قرئ بشق الانفس بكسر الشين وفتحها وقيل هما لغتان في معنى المشقة وبينهما فرق وهو
ان المفتوح مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي هو الصدع واما الشق فالنصف كانه يذهب
نصف قوته لما يناله من الجهد فان قلت ما معنى قوله لم تكونوا بالغيه كانهم كانوا زمانا يتحملون المشاق في بلوغه حتى

تحملت

حملت الابل اثقالكم قلت معناه وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه في التقدير لو لم تخلق الابل الا بجهد انفسكم لا انكم
لم تكونوا بالغيه في الحقيقة فان قلت كيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه وتحمل اثقالكم وهلا قيل لم تكونوا حامليها اليه
قلت طباقه من حيث ان معناه وتحمل اثقالكم الى بلد بعيد قد علمتم انكم لا تبلغونه بانفسكم الا بجهد ومشقة فضلا
ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم ويجوز ان يكون المعنى لم تكونوا بالغيه بها الا بشق الانفس وقيل اثقالكم اجرامكم وعن عكرمة
البلد مكة لرؤف رحيم حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح والخيل والبغال والحمير عطف على
الانعام اي وخلق هؤلاء للركوب والزينة وقد احتج على حرمة اكل لحومهن بان علل خلقها بالركوب والزينة
ولم يذكر الاكل بعدما ذكره في الانعام فان قلت لم انتصب وزينة قلت لانه مفعول له وهو معطوف
على محل لتركبوها فان قلت فهلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد قلت لان الركوب فعل
المخاطبين واما الزينة ففعل الزائن وهو الخالق وقرئ لتركبوها زينة بغير واو اي وخلقها زينة لتركبوها
او تجعل زينة حالا من هاء اي وخلقها لتركبوها وهي زينة وجمال ويخلق ما لا تعلمون يجوز ان يريد به ما خلق فينا
ولنا مما لا نعلم كنهه وتفاصيله ويمن علينا بذكره كما من بالاشياء المعلومة مع الدلالة على قدرته ويجوز ان يخبرنا بان له
من الخلائق ما لا علم لنا به ليزيدنا دلالة على اقتداره بالاخبار بذلك وان طوى عنا علمه لحكمة له في طيه وقد حمل على
ما خلق لنا في الجنة والنار مما لم يبلغه وهم احد ولا خطر على قلبه المراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد
وقال ومنها جائر والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه
الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعنى قوله تعالى وعلى الله قصد السبيل ان هداية الطريق الموصل الى الحق
واجبة عليه لقوله تعالى ان علينا للهدى فان قلت لم غير اسلوب الكلام في قوله تعالى ومنها جائر
قلت ليعلم بما يجوز اضافته اليه من السبيلين وما لا يجوز ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه
جائرها او وعليه الجائر وقرا عبد الله ومنكم جائر يعني ومنكم جائر عن القصد بسوء اختياره والله تعالى بريء
منه ولو شاء لهداكم اجمعين قسرا والجاء هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت
لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل
والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان في ذلك لايات لقوم يعقلون وما ذرا لكم في الارض مختلفا
الوانه ان في ذلك لاية لقوم يذكرون لكم متعلق بانزل او بشراب خبرا له والشراب ما يشرب شجر يعني الشجر
الذي ترعاه المواشي وفي حديث عكرمة لا تاكلوا ثمن الشجر فانه سحت يعني الكلا تسيمون من سامت الماشية اذا رعت
فهي سائمة واسامها صاحبها وهو من السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض وقرئ ننبت
بالنون فان قلت لم قيل من كل الثمرات قلت لان كل الثمرات لا تكون الا في الجنة وانما انبت في الارض بعض
من كلها للتذكرة يتفكرون ينظرون فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته والاية الدلالة الواضحة وعن
بعضهم ينبت بالتشديد وقرا ابي بن كعب ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب بالرفع وقرئ
كلها بالنصب على وجعل النجوم مسخرات او على ان معنى تسخيرها للناس تصييرها نافعة لهم حيث يسكنون بالليل ويبتغون
من فضله بالنهار ويعلمون عدد السنين والحساب بمسير الشمس والقمر ويهتدون بالنجوم فكانه قيل ونفعكم بها في حال كونها
مسخرات لما خلق له بامره ويجوز ان يكون المعنى انه سخرها انواعا من التسخير جمع مسخر بمعنى تسخير من قولك سخره الله مسخرا
كقولك سرحه مسرحا كانه قيل وسخرها لكم تسخيرات بامره وقرئ بنصب الليل والنهار وحدهما ورفع ما بعدهما

على الابتداء والخبر وقرئ والنجومُ مسخراتٌ بالرفع وما قبله بالنصب وقال ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون فجمع الآية وذكر العقل
لان الآثار العلوية اظهر دلالة على القدرة الباهرة وابين شهادة للكبرياء والعظمة وما ذرأ لكم معطوف على الليل
والنهار يعني ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلف الهيئة والمناظر وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما
طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون والقى في الارض
رواسي ان تميد بكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لان الفساد يسرع اليه فيسارع
الى اكله خيفة الفساد عليه فان قلت ما بال الفقهاء قالوا اذا حلف الرجل لا يأكل لحما فاكل سمكا لم يحنث والله تعالى سماه لحما
كما ترى قلت مبنى الايمان على العادة وعادة الناس اذا ذكر اللحم على الاطلاق ان لا يفهم منه السمك واذا قال الرجل لغلامه
اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالانكار عليه ومثاله ان الله تعالى سمى الكافر دابة في قوله تعالى ان
شر الدواب عند الله الذين كفروا فلو حلف حالف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث حلية هي اللؤلؤ والمرجان والمراد
بلبسهم لبس نسائهم لانهن من جملتهم ولانهن انما يتزين بها من اجلهم فكأنها زينتهم ولباسهم المخر شق الماء بحيزومها وعن
الفراء هو صوت جري الفلك بالرياح وابتغاء الفضل التجارة ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم وتضطرب والمائد الذي
يدار به اذا ركب البحر قيل خلق الله الارض فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال
لم تدر الملائكة مم خلقت وانهارا وجعل فيها انهارا لان القى فيه معنى جعل الا ترى الى قوله الم نجعل الارض مهادا والجبال
اوتادا وعلامات وبالنجم هم يهتدون افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم
والله يعلم ما تسرون وما تعلنون وعلامات هي معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلة من جبل ومنهل وغير ذلك
والمراد بالنجم الجنس كقولك كثر الدراهم في ايدي الناس وعن السدي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي وقرأ
الحسن وبالنُّجُم بضمتين وبضمة وسكون وهو جمع نجم كرُهُن ورُهْن والسكون تخفيف وقيل حذف الواو من النجوم
تخفيفا فان قلت قوله وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه هم كأنه قيل وبالنجم خصوصا
هؤلاء خصوصا يهتدون فمن المراد بهم قلت كأنه اراد قريشا كان لهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم وكان لهم بذلك علم
لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر اوجب عليهم والاعتبار الزم لهم فخصصوا فان قلت من لا يخلق اريد به الاصنام فلم
جيء بمن الذي هو لاولي العلم قلت فيه اوجه احدها انهم سموها آلهة وعبدوها فاجروها مجرى اولي العلم الا ترى
الى قوله على اثره والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون والثاني المشاكلة بينه وبين من يخلق
والثالث ان يكون المعنى ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم عنده كقوله الهم ارجل يمشون بها
يعني ان الآلهة حالهم منحطة عن حال من لهم ارجل وايد وآذان وقلوب لان هؤلاء احياء وهم اموات فكيف تصح لهم العبادة
لا انها لو صحت لهم هذه الاعضاء لصح ان يعبدوا فان قلت هو الزام للذين عبدوا الاوثان وسموها آلهة تشبيها بالله
فقد جعلوا غير الله من جنس المخلوقات وشبهوها بها فانكر عليهم ذلك بقوله افمن يخلق كمن لا يخلق لا تحصوها لا تضبطوا
عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلا ان تطيقوا القيام بحقها من اداء الشكر اتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيها على ان وراءها
ما لا ينحصر ولا ينعد ان الله لغفور رحيم حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم
ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من اعمالكم وهو وعيد والذين تدعون من دون
الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون اموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون الهكم اله واحد فالذين
لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون لا جرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب

المستكبرون والذين يدعون الالهة الذين يدعونهم من دون الله وقرئ يدعون على البناء للمفعول نفى عنهم خصائص الالهية بنفي كونهم خالقين
واحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث واثبت لهم صفات الخلق بانهم مخلوقين وانهم اموات وانهم جاهلون بالغيب
ومعنى اموات غير احياء انهم لو كانوا الهة على الحقيقة لكانوا احياء غير اموات اي غير جائز عليها الموت كالحي الذي لا يموت
وامرهم على العكس من ذلك والضمير في يبعثون للداعين اي لا يشعرون متى تبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين وان الهتهم
لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم وفيه دلالة على انه لا بد من البعث وانه من •
لوازم التكليف ووجه آخر وهو ان يكون المعنى ان الناس يخلقونهم بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك
فهم اعجز من عبدتهم اموات جمادات لا حياة فيها غير احياء يعني ان من الاموات ما يعقب موته حياة كالنطف
التي ينشئها الله تعالى حيوانا واجساد الحيوان التي تبعث بعد موتها واما الحجارة فاموات فكيف يشعر بما لا يعلمه
حي الا الحي القيوم سبحانه وتعالى • ووجه ثالث وهو ان يراد بالذين يدعون الملائكة وكان ناس منهم يعبدونهم
وانهم اموات اي لا بد لهم من الموت غير احياء غير باقية وما يشعرون ولا علم لهم بوقت بعثهم وقرئ ايان بكسر
الهمزة ف الهكم اله واحد يعني انه قد ثبت بما تقدم من ابطال ان تكون الالهة لغيره وانها له وحده لا شريك له فيها فكان
من نتيجة ثبات الوحدانية ووضوح دليلها استمرارهم على شركهم وان قلوبهم منكرة للوحدانية وهم مستكبرون عنها
وعن الاقرار بها ف لا جرم حقا ان الله يعلم سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو وعيد ف انه لا يحب المستكبرين
يجوز ان يريد المستكبرين عن التوحيد يعني المشركين ويجوز ان يعم كل مستكبر ويدخل هؤلاء تحت عمومه واذا قيل لهم ما
ذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما
يزرون ماذا منصوب بانزل بمعنى اي شيء انزل ربكم او مرفوع بالابتداء بمعنى اي شيء انزله ربكم فاذا نصبت
فمعنى اساطير الاولين ما يدعون نزوله اساطير الاولين واذا رفعته فالمعنى المنزل اساطير الاولين كقوله تعالى
ماذا ينفقون قل العفو فيمن رفع فان قلت هو كلام متناقض لانه لا يكون منزل ربهم واساطير قلت
هو على السخرية كقوله تعالى ان رسولكم وهو كلام بعضهم لبعض او قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا
مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سالهم وفود الحاج عما انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا
احاديث الاولين واباطيلهم ليحملوا اوزارهم اي قالوا ذلك اضلالا للناس وصدا عن رسول الله فحملوا اوزار ضلالهم
كاملة وبعض اوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الاضلال لان المضل والضال شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه
على اضلاله فيتحاملان الوزر ومعنى اللام التعليل من غير ان يكون غرضا كقولك خرجت من البلد مخافة الشر
ف بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وانما وصف بالضلال واحتمال الوزر من اضله
وان لم يعلم لانه كان عليه ان يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين المحق والمبطل قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم
من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم واتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ثم يوم القيمة يخزيهم ويقول اين
شركاءي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين اوتوا العلم ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين القواعد اساطين
البناء التي تعمده وقيل الاساس وهذا تمثيل يعني انهم سووا منصوبات ليمكروا بها رسله فجعل الله تعالى هلاكهم في
المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتي البنيان من الاساطين بان ضعضعت فسقط عليهم السقف
وهلكوا ونحوه • من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا • وقيل هو نمرود بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله
خمسة الاف ذراع • وقيل فرسخان فاهب الله تعالى الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ومعنى اتيان الله اتيان امره من

القواعد من جهة القواعد من حيث لا يشعرون من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون وقرئ فأتى الله بيتهم فخر عليهم السقف
بفتحتين يخزيهم يذلهم بعذاب الخزي ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته يعني هذا لهم في الدنيا ثم العذاب
في الآخرة شركائي على الإضافة إلى نفسه حكاية لإضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم تشاقون فيهم
تعادون وتخاصمون المؤمنين في شأنهم ومعناهم وقرئ تشاقون بكسر النون بمعنى تشاقونني لأن مشاقة
المؤمنين كأنها مشاقة الله قال الذين أوتوا العلم هم الأنبياء والأولياء والعلماء من أممهم الذين كانوا يدعونهم
إلى الإيمان ويعظونهم فلا يلتفتون إليهم ويتكبرون عليهم ويشاقونهم يقولون ذلك شماتة بهم وحكى
الله ذلك من قولهم ليكون لطفا لمن سمعه وقيل هم الملائكة الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم فألقوا السلم
ما كنا نعمل من سوء بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين
وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم
دار المتقين جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزي الله المتقين
قرئ تتوفاهم الملائكة بالياء والتاء وقرئ الذين توفهم بإدغام التاء في التاء فألقوا السلم فسالموا
وأخبتوا وجاؤا بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق والكبر وقالوا ما كنا نعمل من سوء وجحدوا ما وجد
منهم من الكفر والعدوان فرد عليهم أولوا العلم وإن الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وهذا أيضا من الشماتة
وكذلك فادخلوا أبواب جهنم خيرا أنزل الله خيرا فإن قلت لم نصب هذا ورفع الأول قلت فصلا
بين جواب المقر وجواب الجاحد يعني أن هؤلاء لما سئلوا لم يتلعثموا وأطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفا
مفعولا للإنزال فقالوا خيرا أي أنزل الله خيرا وأولئك عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو أساطير الأولين وليس
من الإنزال في شيء وروي أن أحياء العرب كانوا يبعثون في أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم
فإذا جاء الوافد كفه المقتسمون وأمروه بالانصراف وقالوا إن لم تلقه كان خيرا لك فيقول أنا شر وافد إن رجعت
إلى قومي دون أن أستطلع أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأراه فيلقى أصحاب رسول الله فيخبرونه بصدقه وأنه نبي
مبعوث فهم الذين قالوا خيرا وقوله للذين أحسنوا وما بعده بدل من خيرا حكاية لقول الذين اتقوا أي قالوا
هذا القول فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاه ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ عدة للقائلين ويجعل قولهم من جملة
إحسانهم ويحمدوا عليه حسنة مكافأة في الدنيا بإحسانهم ولهم في الآخرة ما هو خير منها كقوله عز وجل
فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ولنعم دار المتقين دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح والذم
لتقدم ذكره وجنات عدن خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يكون المخصوص بالمدح طيبين طاهرين من ظلم
أنفسهم بالكفر والمعاصي لأنه في مقابلة ظالمي أنفسهم الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا
الجنة بما كنتم تعملون هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم
وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون فأصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقال الذين
أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من
قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين
إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين يقولون سلام عليكم قيل إذا أشرف العبد

المؤمن جاءه ملك فقال له السلام عليك يا ولي الله، الله يقرئك السلام ويبشرك بالجنة تأتيهم الملائكة قرئ بالتاء
والياء يعني أن تأتيهم لقبض الأرواح وأو يأتي أمر ربك العذاب المستأصل أو القيامة كذلك أي مثل ذلك الفعل
من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون لأنهم فعلوا
ما استوجبوا به التدمير سيئات ما عملوا جزاء سيئات أعمالهم أو هو كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها هذا من جملة ما
عدد من أصناف كفرهم وعنادهم من شركهم بالله وإنكار وحدانيته وغيرهما ثم نسبوا فعلهم إلى الله وقالوا لو شاء
لم نفعل وهذا مذهب المجبرة بعينه كذلك فعل الذين من قبلهم أي أشركوا وحرموا حلال الله بعد قيام الحجة
بلج وإنكار البعث واستعجاله استهزاء وتكذيبهم الرسول وشقاقهم واستكبارهم عن قبول الحق يعني أنهم أشركوا بالله
وحرموا ما أحل من البحيرة والسائبة وغيرهما ثم نسبوا فعلهم إلى الله وقالوا لو شاء لم نفعل وهذا مذهب المجبرة
بعينه وكذلك فعل الذين من قبلهم أي أشركوا وحرموا حلال الله فلما نبهوا على قبح فعلهم وركوه على ربهم فهل
على الرسل إلا أن يبلغوا الحق وأن الله لا يشاء الشرك والمعاصي بالبيان والبرهان ويطلعوا على بطلان الشرك
وقبحه وبراءة الله من أفعال العباد وأنهم فاعلوها بقصدهم وإرادتهم واختيارهم والله عز وجل باعثهم على جميلها وموفقهم
لها له وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم عليه ولقد أمد بإبطاله قدر السوء ومشيئة الشر بأنه ما من أمة إلا
وقد بعث فيهم رسولا يأمرهم بالخير الذي هو الإيمان وعبادة الله وباجتناب الشر الذي هو طاعة الشيطان الطاغوت
فمنهم من هدى الله أي لطف به لأنه عرفه من أهل اللطف ومنهم من حقت عليه الضلالة أي ثبت عليه الخذلان
والترك من اللطف لأنه عرفه مصمما على الكفر لا يأتي منه خير أي لطف به لأنه عرفه من أهل اللطف فسيروا في
فانظروا ما فعلت بالمكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة في أني لا أقدر الشر ولا أشاؤه حيث أفعل ما أفعل بالأشرار
ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على إيمانهم وعرفه أنهم من قسم من حقت عليهم الضلالة وأنه
لا يهدي من يضل أي لا يلطف بمن يخذل لأنه عبث والله متعال عن العبث لأنه من قبيل القبائح التي لا تجوز عليه
وقرئ لا يهدي أي لا تقدر أنت ولا أحد على هدايته وقد خذله الله وقوله وما لهم من ناصرين دليل
على أن المراد بالإضلال الخذلان الذي هو نقيض النصرة ويجوز أن يكون لا يهدي بمعنى لا يهتدي يقال هداه
الله فهدى وفي قراءة أبي فإن الله لا هادي لمن يضل ولمن أضل وهي معاضدة لمن قرأ لا يهدي على البناء
للمفعول وفي قراءة عبد الله يهدي بإدغام تاء يهتدي وهي معاضدة للأولى وقرئ يضل بالفتح وقرأ النخعي
إن تحرص بفتح الراء وهي لغة وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس
لا يعلمون ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن
نقول له كن فيكون وأقسموا بالله معطوف على وقال الذين أشركوا إيذانا بأنهما كفرتان عظيمتان حقيقتان بأن
تحكيا وتدونا توريك ذنوبهم على مشيئة الله وإنكارهم البعث مقسمين عليه وبلى إثبات لما بعد النفي أي
بلى يبعثهم ووعدا مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لأن يبعث موعد من الله وبين أن الوفاء بهذا الموعد حق واجب
عليه في الحكمة ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنهم يبعثون أو أنه وعد واجب على الله لأنهم يقولون لا يجب على الله
شيء لا ثواب عامل ولا غيره من مواجب الحكمة ليبين لهم متعلق بما دل عليه بلى أي يبعثهم ليبين لهم والضمير
لمن يموت وهو عام للمؤمنين والكافرين والذي اختلفوا فيه هو الحق وليعلم الذين كفروا أنهم كذبوا في قولهم لو شاء الله

ما عبدنا من دونه من شيء. وفي قولهم لا يبعث الله من يموت. وقيل يجوز ان يتعلق بقوله تعالى ولقد بعثنا في كل امة
رسولا ليبين لهم ما اختلفوا فيه وانهم كانوا على الضلالة قبله مفترين على الله الكذب قولنا مبتدأ وان نقول خبره
ولكن ونكون من كان التامة التي بمعنى الحدوث والوجود اي اذا اردنا وجود شيء فليس الا ان نقول له احدث
فهو يحدث عقيب ذلك لا يتوقف وهذا مثل لان مرادا لا يمتنع عليه وان وجوده عند ارادته غير متوقف
كوجود المأمور به عند امر الآمر المطاع اذا ورد على المأمور المطيع الممتثل ولا قول ثم والمعنى ان ايجاد كل مقدور على
الله عز وعلا بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من بعض المقدورات وقرئ فيكون عطفا على نقول
والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون الذين
صبروا وعلى ربهم يتوكلون وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
بالبينات والزبر وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون والذين هاجروا هم
رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ظلمهم اهل مكة ففروا بدينهم الى الله منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة
فجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر الى المدينة. وقيل هم الذين كانوا محبوسين معذبين بعد هجرة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكلما خرجوا تبعوهم فردوهم منهم بلال وصهيب وخباب وعمار رضوان الله تعالى عليهم اجمعين
وعن صهيب انه قال لهم انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله
وهاجر فلما رآه ابو بكر رضي الله عنه قال له ربح البيع يا صهيب وقال له عمر نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله
لم يعصه وهو ثناء عظيم يريد لو لم يخلق الله نارا لاطاعه فكيف وقد خافه ولوجهه حسنة صفة
للمصدر اي لنبوئنهم تبوئة حسنة. وفي قراءة علي رضي الله عنه لنثوينهم ومعناه اثواءة حسنة وقيل لننزلنهم
في الدنيا منزلة حسنة وهي الغلبة على اهل مكة الذين ظلموهم وعلى العرب قاطبة وعلى اهل المشرق والمغرب
وعن علي رضي الله عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاءه قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك
في الدنيا وما ذخر لك في الآخرة اكثر. وقيل لنبوئنهم مباءة حسنة وهي المدينة حيث آواهم اهلها ونصروهم
لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المستضعفين في ايديهم الدنيا والآخرة لرغبوا
في دينهم. ويجوز ان يرجع الضمير الى المهاجرين اي لو كانوا يعلمون ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم
الذين صبروا على هم الذين صبروا او اعني الذين صبروا وكلاهما مدح اي صبروا على العذاب وعلى مفارقة
الوطن الذي هو حرم الله المحبوب في كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رأسهم وعلى المجاهدة وبذل الارواح
في سبيل الله قالت قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا فقيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم
على السنة الملائكة فسئلوا اهل الذكر وهم اهل الكتاب ليعلموكم ان الله لم يبعث الى الامم السالفة الا بشرا
فان قلت بم تعلق قوله بالبينات قلت له متعلقات شتى فاما ان يتعلق بما ارسلنا داخلا تحت
حكم الاستثناء مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط لان اصله
ضربت زيدا بالسوط واما برجالا صفة له اي رجالا متلبسين بالبينات واما بارسلنا مضمرا كانما قيل
بم ارسلوا فقلت بالبينات فهو على كلامين والاول على كلام واحد واما بيوحي اي يوحي اليهم بالبينات واما
بلا تعلمون على ان الشرط في معنى التبكيت والالزام كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي وقوله

تعالى

وقوله تعالى فاسألوا أهل الذكر اعتراض على الوجوه المتقدمة وأهل الذكر أهل الكتاب وقيل للكتاب الذكر
لأنه موعظة وتنبيه للغافلين ما نزل إليهم يعني ما نزل الله إليهم في الذكر مما أمروا به ونهوا عنه ووعدوا
وأوعدوا ولعلهم يتفكرون وإرادة أن يصغوا إلى تنبيهاته فينتبهوا ويتأملوا أفأمن الذين مكروا
السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم في تقلبهم فما هم
بمعجزين أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرءوف رحيم أي المكرات السيئات وهم أهل مكة وما مكروا به
رسول الله صلى الله عليه وسلم متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم وأسباب دنياهم على تخوف متخوفين وهو أن يهلك
قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم بالعذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون
وقيل هو من قولك تخوفته وتخونته إذا تنقصته قال زهير

تخوف الرحل منها تامكا قردا ● كما تخوف عود النبعة السفن

أي يأخذهم على أن يتنقصهم شيئا بعد شيء في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا وعن عمر رضي الله عنه أنه قال
على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال فهل تعرف
العرب ذلك في أشعارها فقال نعم قال شاعرنا وأنشد البيت فقال عمر أيها الناس عليكم بديوانكم لا يضل قالوا
وما ديواننا قال شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم فإن ربكم لرءوف رحيم حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم
أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون ولله يسجد ما في السموات
وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وقرئ
أولم تروا بالتاء وتتفيؤا بالتاء والياء وما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه من شيء يتفيؤا ظلاله واليمين بمعنى
الأيمان وسجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير في ظلاله لأنه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من
كل شيء له ظل وجمع بالواو لأن الدخور من أوصاف العقلاء أو لأن في جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى
أولم يروا إلى ما خلق الله من كل شيء له ظل من الأجرام التي لها ظلال متفيئة عن أيمانها وشمائلها أي عن جانبي
كل واحد منها وشقيه استعارة من يمين الإنسان وشماله لجانبي الشيء أي ترجع الظلال من جانب إلى جانب
منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والأجرام في أنفسها داخرة أيضا صاغرة منقادة
لأفعال الله فيها لا تمتنع من دابة يجوز أن يكون بيانا لما في السموات وما في الأرض جميعا على أن في السموات خلقا لله
يدبون فيها كما يدب الأناسي في الأرض وأن يكون بيانا لما في الأرض وحده ويراد بما في السموات الخلق الذي
يقال له الروح وأن يكون بيانا لما في الأرض وحده ويراد بما في السموات الملائكة وكرر ذكرهم على معنى والملائكة
خصوصا من بين الساجدين لأنهم أطوع الخلق وأعبدهم ويجوز أن يراد بما في السموات ملائكتهن وبقوله والملائكة
ملائكة الأرض من الحفظة وغيرهم فإن قلت فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد قلت المراد بسجود المكلفين طاعتهم
وعبادتهم وبسجود غيرهم انقياده لإرادة الله وأنها غير ممتنعة عليها وكلا السجودين يجمعهما معنى الانقياد
فلم يختلفا فلذلك جاز أن يعبر عنهما بلفظ واحد فإن قلت فهلا جيء بمن دون ما تغليبا للعقلاء من الدواب
على غيرهم قلت لأنه لو جيء بمن لم يكن فيه دليل على التغليب فكان متناولا للعقلاء خاصة فجيء بما هو صالح
للعقلاء وغيرهم إرادة العموم يخافون يجوز أن يكون حالا من الضمير في لا يستكبرون أي لا يستكبرون خائفين
وأن يكون بيانا لنفي الاستكبار وتأكيدا له لأن من خاف الله لم يستكبر عن عبادته من فوقهم إن علقته بيخافون

فمعناه يخافونه ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم • وان علقته بربهم حالا منه فمعناه يخافون ربهم عاليا لهم قاهرا
لقوله تعالى • وهو القاهر فوق عباده • وانا فوقهم قاهرون • وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون
على الامر والنهي والوعد والوعيد كسائر المكلفين • وانهم بين الخوف والرجاء • وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين
انما هو اله واحد فاياي فارهبون وله ما في السموات والارض وله الدين واصبا افغير الله تتقون وما بكم من نعمة
فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا
بما اتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون فان قلت انما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين
فقالوا عندي رجال ثلثة وافراس اربعة لان المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص فاما رجل ورجلان وفرس
وفرسان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة الى ان يقال رجل واحد ورجلان اثنان
فما وجه قوله تعالى الهين اثنين قلت الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد
المخصوص فاذا اريدت الدلالة على ان المعني به منهما والذي يساق اليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكده فدل به
على القصد اليه والعناية به الا ترى انك لو قلت انما هو اله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل انك تثبت الالهية
لا الوحدانية • فاياي فارهبون نقل للكلام عن الغيبة الى التكلم وجاز لان الغائب هو المتكلم وهو من طريقة
الالتفات وهو ابلغ في الترهيب من قوله واياه فارهبوا ومن ان يجي ما قبله على لفظ المتكلم • الدين الطاعة
• واصبا حال عمل فيه الظرف والواصب الواجب الثابت لان كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه
ويجوز ان يكون من الوصب اي وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمي تكليفا او وله الجزاء دائما ثابتا سرمدا
لا يزول يعني الثواب والعقاب • وما بكم من نعمة واي شي حل بكم او اتصل بكم من نعمة فهو من الله فاليه تجارون
فما تتضرعون الا اليه والجوار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة • قال الاعشى •

• يراوح من صلوات المليك طورا • سجودا وطورا جوارا •

وقرئ تجرون بطرح الهمزة والقاء حركتها على الجيم وقرا قتادة كاشف الضر على فاعل بمعنى فعل وهو اقوى من
كشف لان بناء المغالبة يدل على المبالغة فان قلت فما معنى قوله اذا فريق منكم بربهم يشركون قلت يجوز ان
يكون الخطاب في قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله عاما ويريد بالفريق فريق الكفرة وان يكون الخطاب للمشركين
ومنكم للبيان لا للتبعيض كانه قال فاذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر لقوله تعالى فلما نجاهم
الى البر فمنهم مقتصد ليكفروا بما اتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة فتمتعوا
فسوف تعلمون تخلية ووعيد وقرئ فيمتعوا بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا ويجوز ان يكون ليكفروا فيمتعوا
من الامر الوارد في معنى الخذلان والتخلية واللام لام الامر ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسألن
عما كنتم تفترون ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا
وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هون ام يدسه في التراب الا ساء ما يحكمون للذين
لا يؤمنون بالاخرة مثل السوء ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم لما لا يعلمون اي لالهتهم ومعنى لا يعلمونها انهم يسمونها
الهة ويعتقدون فيها انها تضر وتنفع وتشفع عند الله وليس كذلك وحقيقتها انها جماد لا تضر ولا تنفع فهم اذا
جاهلون بها وقيل الضمير في لا يعلمون للالهة اي لاشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر اجعلوا لها نصيبا في انعامهم
وزروعهم ام لا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا اليهم • لتسألن وعيد • عما كنتم تفترون من الافك في زعمكم انها الهة

وانها الهة لتقرب اليها كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه لذاته من نسبة الولد اليه او تعجب من قولهم
ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز فيها الرفع على الابتداء والنصب على ان يكون معطوفا على البنات اي ويجعلون لانفسهم
ما يشتهون من الذكور وظل بمعنى صار كما يستعمل بات واصبح وامسى بمعنى الصيرورة ويجوز ان يجيء ظل لان اكثر
الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما مسود الوجه من الكآبة والحياء من الناس وهو كظيم مملوء حنقا على المرأة
يتوارى من القوم يستخفي منهم من اجل سوء المبشر به ومن اجل تعييرهم والتحدث نفسه وينظر ايمسكه ما بشر به على
هون على هوان وذل ام يدسه في التراب ام يئده وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ ايمسكها على هون ام يدسها على التانيث وقرئ
على هوان الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون الولد الذي هذا محله عندهم لله ويجعلون لانفسهم من هو على عكس هذا
الوصف للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد الذكور وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق
واقرارهم على انفسهم بالشح البالغ ولله المثل الاعلى وهو الغنى عن العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين
وهو الجواد الكريم ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم
لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ويجعلون لله ما يكرهون وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى
لا جرم ان لهم النار وانهم مفرطون تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم
اليوم وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون والله انزل
من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها
على الارض من دابة قط ولاهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول ان الظالم
لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه
كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة وعن ابن عباس رضي الله عنهما من دابة من مشرك يدب
عليها وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء ويجعلون لله ما يكرهون لانفسهم من البنات ومن شركاء في
رياستهم ومن الاستخفاف والاستهانة برسلهم ويجعلون له ارذل اموالهم ولاصنامهم اكرمها وتصف السنتهم
مع ذلك ان لهم الحسنى عند الله لقوله تعالى ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وعن بعضهم انه قال
لرجل من ذوي اليسار كيف تكون يوم القيمة اذا قال الله تعالى هاتوا ما دفع الى السلاطين واعوانهم فيؤتى بالدواب
والثياب وانواع الفاخرة واذا قال هاتوا ما دفع الي فيؤتى بالكسر والخرق وما لا يؤبه له اما تستحيي من ذلك
الموقف وقرأ هذه الآية وعن مجاهد هو قول قريش لنا البنون وان لهم الحسنى بدل من الكذب وقرئ الكذب
جمع كذوب صفة للالسنة مفرطون وقرئ مفتوح الراء مكسورها مخففا ومشددا فالمفتوح مقدمون
الى النار معجلون اليها من افرطت فلانا وفرطته في طلب الماء اذا قدمته وقيل منسيون متروكون من افرطت
فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته والمكسور المخفف من الافراط في المعاصي والمشدد من التفريط في الطاعات
وما يلزمهم فهو وليهم اليوم قرينهم وبئس القرين حكاية الحال الماضية التي كان يزين لهم الشيطان اعمالهم فيها
او فهو وليهم فيها في الدنيا ويجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا ومعنى وليهم قرينهم وبئس القرين او يجعل هو وليهم
اليوم حكاية للحال الآتية وهي حال كونهم معذبين في النار اي فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره نفيا للناصر
لهم على ابلغ الوجوه ويجوز ان يرجع الضمير الى مشركي قريش وانه زين للكفار قبلهم اعمالهم فهو وليهم فهو ولي هؤلاء
لانهم منهم ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي فهو ولي امثالهم اليوم وهدى ورحمة معطوفان على محل لتبين

الا انهما انتصبا على انهما مفعول لهما لانهما فعلا الذي انزل الكتاب ودخل اللام على لتبين لانه فعل المخاطب لا فعل المنزل
وانما ينتصب مفعولا له ما كان فعل فاعل الفعل المعلل • والذي اختلفوا فيه لانه كان فيهم من يؤمن به ومنهم
عبد المطلب والاشياء من التحريم والتحليل والانكار والاقرار • ليوم يسمعون سماع انصاف وتدبر لان من لم يسمع
بقلبه فكانه اصم لا يسمع وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا
للشاربين ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان في ذلك لاية لقوم يعقلون
ذكر سيبويه الانعام فيما لا ينصرف في الاسماء المفردة الواردة على افعال كقولهم ثوب اكياش ولذلك رجع الضمير
اليه مفردا واما في بطونها في سورة المؤمنين فلان معناه الجمع ويجوز ان يقال في الانعام وجهان احدهما
ان يكون تكسير نعم كاجبال في جبل وان يكون اسما مفردا مقتضيا بمعنى الجمع كنعم فاذا ذكر فكما يذكر نعم في
قوله • في كل عام نعم تحوونه • يلقحه قوم وتنتجونه • واذا انث ففيه
وجهان انه تكسير نعم وانه في معنى الجمع • وقرئ نسقيكم بالفتح والضم وهو استيناف كانه قيل كيف
العبرة فقيل نسقيكم من بين فرث ودم اي يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما
برزخ من قدرة الله لا يبغي احدهما على الآخر بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله قيل اذا اكلت البهيمة
العلف فاستقر في كرشها طبخته فكان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما والكبد مسلطة على هذه الاصناف الثلثة
تقسمها فتجري الدم في العروق واللبن في الضروع وتبقى الفرث في الكرش فسبحان الله ما اعظم قدرته والطف حكمته لمن
تفكر وتأمل • وسئل شقيق رحمة الله عليه عن الاخلاص فقال تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم
سائغا سهل المرور في الحلق ويقال لم يغص احد باللبن قط • وقرئ سيغا بالتشديد وسيغا بالتخفيف كهين
ولين فان قلت اي فرق بين من الاولى والثانية قلت الاولى للتبعيض لان اللبن بعض ما في بطونها كقولك
اخذت من مال زيد ثوبا والثانية لابتداء الغاية لان بين الفرث والدم مكان الاسقاء الذي منه يبتدئ فهو صلة
لنسقيكم كقولك سقيته من الحوض ويجوز ان يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه فيتعلق بمحذوف اي كائنا من بين
فرث ودم • الا ترى انه لو تأخر فقيل لبنا من بين فرث ودم كان صفة له وانما قدم لانه موضع العبرة فهو
قمن بالتقديم وقد احتج بعض من يرى ان المني طاهر على من جعله نجسا لجريه في مسلك البول بهذه الاية
وانه ليس بمستنكر ان يسلك مسلك البول وهو طاهر كما خرج اللبن من بين فرث ودم طاهرا فان قلت بم تعلق
قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب قلت بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرها
وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله تعالى تتخذون منه سكرا بيان وكشف عن كنه الاسقاء او يتعلق بتتخذون
ومنه من تكرير الظرف للتوكيد • كقولك زيد في الدار فيها • ويجوز ان يكون تتخذون صفة موصوف محذوف
كقوله • بكفي كان من ارمى البشر • تقديره ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه سكرا ورزقا
حسنا لانهم يأكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر فان قلت فالام يرجع الضمير في منه اذا جعلته ظرفا مكررا
قلت الى المضاف المحذوف الذي هو العصير كما رجع في قوله تعالى او هم قائلون الى الاهل المحذوف والسكر الخمر
سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا • وقال •
• وجاؤنا بهم سكر علينا • فاجلى اليوم والسكران صاحي •
وفيه وجهان احدهما ان يكون منسوخة وممن قال بنسخه الشعبي والنخعي والثاني ان يجمع بين العتاب والمنة وقيل السكر

النبيذ

النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند ابي حنيفة رحمه الله
الى حد السكر ويحتج بهذه الاية وبقوله عليه الصلاة والسلام الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب وباخبار
جمة ولقد صنف شيخنا ابو علي الجبائي قدس الله روحه غير كتاب في تحليل النبيذ فلما شيخ واخذت منه السن العالية
قيل له لو شربت منه ما تتقوى به فابى فقيل له فقد صنفت في تحليله فقال تناولته الدعارة فسمج في المروءة
وقيل السكر الطعم وانشد جعلت اعراض الكرام سكرا اي تنقلت باعراضهم وقيل هو من الخمر
وانه اذا ابترك في اعراض الناس فكانه تخمر بها والرزق الحسن الخل والرب والتمر والزبيب وغير ذلك
ويجوز ان يجعل السكر رزقا حسنا كانه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ
اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا
شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ
إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ الايحاء الى النحل الهامها والقذف في قلوبها وتعليمها
على وجه هو اعلم به لا سبيل لاحد على الوقوف عليه والا فنيقتها في صنعتها ولطفها في تدبير امرها واصابتها
فيما يصلحها دلايل بينة شاهدة على ان الله تعالى اودعها علما بذلك وفطنها كما اولى اولي العقول وقرئ
بيوتا بكسر الباء لاجل الياء ويعرشون بكسر الراء وضمها يرفعون من سقوف البيوت وقيل ما يبنون للنحل في
الجبال والشجر والبيوت من الاماكن التي تعسل فيها والضمير في يعرشون للناس فان قلت ما معنى من في قوله
ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون وهلا قيل في الجبال وفي الشجر قلت اريد معنى البعضية
وان لا تبني بيوتها في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا في كل مكان منها من كل الثمرات التي تجرسها النحل
وتعتاده اكلها اي ابني البيوت ثم كلي من كل ثمرة تشتهينها فاذا اكلتها فاسلكي سبل ربك اي الطرق
التي الهمك وافهمك في عمل العسل او فاسلكي ما اكلت في سبل ربك اي في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته
النور المر عسلا من اجوافك ومنافذ ماكلك واذا اكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي الى
بيوتك راجعة سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها فقد بلغني انها ربما اجدب عليها ما حولها فتسافر
الى البلد البعيد في طلب النجعة او اراد بقوله تعالى ثم كلي ثم اقصدي اكل الثمرات فاسلكي في طلبها في مظانها
سبل ربك ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل لان الله تعالى ذللها ووطاها وسهلها لقوله تعالى هو
الذي جعل لكم الارض ذلولا او من الضمير في فاسلكي اي وانت ذلل منقادة لما امرت به غير ممتنعة شراب
يريد العسل لانه مما يشرب مختلف الوانه منه ابيض واصفر واحمر واسود فيه شفاء للناس لانه من جملة
الاشفية والادوية المشهورة النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الاطباء فيه العسل وليس الغرض انه
شفاء لكل مريض كما ان كل دواء كذلك وتنكيره اما لتعظيم الشفاء الذي فيه بعض الشفاء وكلاهما محتمل
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا جاء اليه فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال
قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرا كانما
انشط من عقال وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه العسل شفاء من كل داء والقران شفاء لما في الصدور فعليكم
بالشفاءين القران والعسل ومن بدع تاويلات الرافضة ان المراد بالنحل علي وقومه وعن بعضهم انه قال
عند المهدي انما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم

فضحك المهدي وحدث به المنصور فاتخذه اضحوكة من احيكم الى ارذل العمر الى اخسه واحقره وهو خمس وسبعون
سنة عن علي رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه وتسعون سنة عن قتادة لانه لا عمر اسوأ حالا من عمر الهرم لكيلا
يعلم بعد علم شيئا ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية في النسيان وان يعلم شيئا ثم يسرع في نسيانه فلا يعلمه ان سئل
عنه وقيل لئلا يعقل من بعد عقله الاول شيئا وقيل لئلا يعلم زيادة علم على علمه والله فضل بعضكم
على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء افبنعمة الله يجحدون
والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات افبالباطل
يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون اي جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم افضل مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم
واخوانكم فكان ينبغي ان تردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا في الملبس والمطعم كما يحكى عن ابي ذر رضي الله عنه
انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون فما رؤي عبده
بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت افبنعمة الله يجحدون فجعل ذلك من جحود
النعمة وقيل هو مثل ضربه للذين جعلوا له شركاء فقال لهم انتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما انعمت به
عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء ولا ترضون ذلك لانفسكم فكيف رضيتم ان تجعلوا عبيدي لي شركاء وقيل المعنى
ان الموالي والمماليك انا رازقهم جميعا فهم في رزقي سواء فلا تحسبن الموالي انهم يردون على مماليكهم من عندهم
شيئا من الرزق فانما ذلك رزقي اجريه اليهم على ايديهم ويجحدون بالتاء والياء من انفسكم من جنسكم وقيل
هو خلق حواء من ضلع آدم عليه الصلاة والسلام والحفدة جمع حافد وهو الذي يحفد اي يسرع في الطاعة
والخدمة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد وقال حفد الولائد بينهن واسلمت بأكفهن ازمة الاجمال
واختلف فيهم فقيل هم الاختان على البنات وقيل اولاد الاولاد وقيل اولاد المرأة من الزوج الاول
وقيل المعنى وجعل لكم حفدة اي خدما يحفدون في مصالحكم ويعينونكم ويجوز ان يراد بالحفدة البنون
انفسهم لقوله تعالى سكرا ورزقا حسنا كانه قيل وجعل لكم منهن اولادا هم بنون وهم حافدون اي
جامعون بين الامرين من الطيبات يريد بعضها لان كل الطيبات في الجنة وما طيبات الدنيا الا انموذج
منها افبالباطل يؤمنون وهو ما يعتقدون من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها وما هو الا وهم
باطل لم يتوصلوا اليه بدليل ولا امارة فليس لهم ايمان الا به كانه شيء معلوم مستيقن وبنعمة الله المشاهدة المعاينة
التي لا شبهة فيها لذي عقل وتمييز هم كافرون بها منكرون لها كما ينكر المحال الذي لا يتصوره العقول وقيل الباطل
ما يسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما احل لهم ويعبدون من دون الله ما لا
يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون
ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون
الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون الرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق فان اردت المصدر نصبت به شيئا
كقوله او اطعام يتيما على لا يملك ان يرزق شيئا وان اردت المرزوق كان شيئا بدلا منه بمعنى قليلا
ويجوز ان يكون تاكيدا للا يملك اي لا يملك شيئا من الملك ومن السموات والارض صلة للرزق ان كان مصدرا بمعنى
لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا او صفة ان كان اسما لما يرزق والضمير في ولا يستطيعون لما لانه
في معنى الآلهة بعدما قيل لا يملك على اللفظ ويجوز ان يكون للكفار يعني ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون اولوا

الالباب من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس فيه فان قلت ما معنى قوله ولا يستطيعون بعد قوله لا يملك وهل هما الا شيء
واحد قلت ليس في لا يستطيعون تقدير راجع وانما المعنى لا يملكون الرزق ولا يمكنهم ان يملكوه ولا يتأتى ذلك
فيهم ولا يستقيم فلا تضربوا لله الامثال تمثيل للاشراك بالله والتشبيه به لان من يضرب الامثال مشبه حالا بحال
وقصة بقصة ان الله يعلم كنه ما تعملون وعظمه وهو معاقبكم عليه فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم كيف تضرب الامثال
بما يوازيه في العظم لان العقاب على مقدار الاثم وانتم لا تعلمون كنهه وكنه عقابه فذاك هو الذي جركم اليه وجرأكم
عليه فهو تعليل للنهي عن الشرك ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم كيف تضرب الامثال وانتم لا تعلمون
ثم علمهم كيف تضرب فقال مثلكم في اشراككم بالله الاوثان مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين
حر مالك قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء فان قلت لم قال مملوكا لا يقدر على شيء وكل عبد
مملوك وغير قادر على التصرف قلت اما ذكر المملوك فليميز من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهما من عباد الله واما
لا يقدر على شيء فليجعل غير مكاتب ولا مأذون له لانهما يقدران على التصرف واختلفوا في العبد هل يصح له ملك والمذهب
الظاهر انه لا يصح له فان قلت من في قوله ومن رزقناه ما هي قلت الظاهر انها موصوفة كأنه قيل وحرا رزقناه ليطابق
عبدا ولا يمتنع ان تكون موصولة فان قلت لم قيل يستوون على الجمع قلت معناه هل يستوي الاحرار والعبيد وضرب الله
مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه اينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل
وهو على صراط مستقيم ولله غيب السموات والارض وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب ان الله على كل شيء
قدير والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون الم يروا
الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون الابكم الذي ولد اخرس فلا يفهم
ولا يفهم وهو كل على مولاه اي ثقل وعيال على من يلي امره ويعوله اينما يوجهه حيثما يرسله ويصرفه في مطلب
حاجة او كفاية مهم لم ينفع ولم يأت بنجح هل يستوي هو ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو
يأمر الناس بالعدل والخير وهو في نفسه على صراط مستقيم على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان ضربه لنفسه
ولما يفيض على عباده ويشملهم من آثار رحمته والطافه ونعمه الدينية والدنيوية وللاصنام التي هي اموات لا تضر ولا تنفع
وقرئ اينما يوجه من قولهم اينما اوجه الق سعدا وقرأ ابن مسعود اينما يوجه على البناء للمفعول ولله غيب السموات
والارض اي يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه او اراد بغيب السموات والارض يوم القيامة على ان علمه غائب
عن اهل السموات والارض لم يطلع عليه احد منهم الا كلمح البصر او هو اقرب اي هو عند الله وان تراخى كما تقولون انتم في
الشيء الذي تستقربونه هو كلمح البصر او هو اقرب اذا بالغتم في استقرابه ونحوه قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب
ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون اي هو عنده دان وهو عندكم بعيد وقيل المعنى ان اقامة
الساعة واماتة الاحياء واحياء الاموات من الاولين والآخرين يكون في اقرب وقت واوحاه ان الله على كل شيء
قدير فهو يقدر على ان يقيم الساعة ويبعث الخلق لانه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده فقال
امهاتكم بضم الهمزة وكسرها والهاء مزيدة في امات كما زيدت في اراق فقيل اهراق وشذت زيادتها
في الواحدة قال امهتي خندف والياس ابي لا تعلمون شيئا في موضع الحال معناه غير عالمين شيئا من حق
المنعم الذي خلقكم في البطون وسواكم وصوركم ثم اخرجكم من الضيق الى السعة وقوله تعالى وجعل لكم معناه
وما ركب فيكم هذه الاشياء الا آلة لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم

وعجائبه والقيام بحقوقه والترقي إلى ما يسعدكم والأفئدة في فؤاد كالأغربة في غراب ونحوه من جموع القلة التي جرت
مجرى جموع الكثرة والقلة اذ لم يرد في السماع غيرها كما جاء في شسوع في جمع شسع لا غير فجرت ذلك المجرى في
الم يروا بالتاء والياء مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية لذلك والجو الهوى
المتباعد من الارض في سمت العلو والسكاك ابعد منه واللوح مثله ما يمسكهن في قبضهن والمد وبسطهن ووقوفهن
الا الله بقدرته والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم
اقامتكم ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم
من الجبال اكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون فان
تولوا فانما عليك البلاغ المبين يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون من بيوتكم التي تسكنونها
من الحجر والمدر والاخبية وغيرها والسكن فعل بمعنى مفعول وهو ما يسكن اليه وينقطع اليه من بيت او الف بيوتا
هي القباب والابنية من الادم والانطاع تستخفونها تجدونها خفيفة المحل في الضرب والنقض والنقل تنزلون
وتقيمون ويوم ظعنكم ويوم اقامتكم اي يوم ترحلون تخف عليكم حملها ونقلها ويوم تنزلون وتقيمون مكان لم
يثقل عليكم ضربها او هي خفيفة عليكم في اوقات السفر والحضر جميعا على ان اليوم بمعنى الوقت ومتاعا وشيئا ينتفع
به الى حين الى ان تقضوا منه اوطاركم او الى ان يبلى ويفنى او الى ان تموتوا وقرئ يوم ظعنكم بالسكون مما خلق
من الشجر وسائر المستظلات اكنانا جمع كن وهو ما يستكن به من البيوت المنحوتة في الجبال والغيران والكهوف
سرابيل هي القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن وغيرها تقيكم الحر لم يذكر البرد لان الوقاية من
الحر اهم عندهم وقل ما يهمهم البرد لكونه يسيرا محتملا وقيل ما يقي من الحر يقي من البرد فدل ذكر الحر على البرد
وسرابيل تقيكم بأسكم يريد الدروع والجواشن والسربال يعم كل ما يلبس من حديد وغيره لعلكم تسلمون
اي تنظرون في نعمه الفائضة فتؤمنون به وتنقادون اليه وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون فتسلمون
من العذاب او تسلم قلوبكم من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا تولوا اولم يسلموا
فلا يضرك فقد تمهد عذرك بعدما اديت ما وجب واوجب عليك من التبليغ فذكر سبب العذر وهو البلاغ ليدل
على المسبب يعرفون نعمت الله التي عددناها حيث يعترفون بها وانها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها
وقولهم هي من الله ولكنها بشفاعة الهتنا وقيل انكارهم قولهم ورثناها من ابائنا وقولهم لولا فلان ما اصبت كذا
لبعض نعم الله وانما لا يجوز التكلم بنحو هذا اذا لم يعتقد انها من الله وانه اجراها على يد فلان وجعله سببا في نيلها
واكثرهم الكافرون اي الجاحدون غير المعترفين وقيل نعمة الله تعالى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونها
ثم ينكرونها عنادا واكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم ويوم نبعث من كل امة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا
ولا هم يستعتبون واذا راى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون واذا راى الذين اشركوا
شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون والقوا
الى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون فان قلت ثم فلم عطف الذي لا يؤذن لهم على ان انكارهم امر
مستبعد بعد حصول المعرفة لان حق من عرف النعمة ان يعترف لا ان ينكر شهيدا نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان
والتصديق والكفر والتكذيب ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار والمعنى لا حجة لهم فدل بترك الاذن
على ان لا حجة لهم ولا عذر ولذلك عن الحسن رحمة الله عليه ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون اي لا يقال لهم

ارضوا

رضوانكم لأن الآخرة ليست بدار عمل فإن قلت فما معنى ثم هذه قلت معناها أنهم يمنون بعد شهادة الأنبياء
عليهم بما هو أطم منها وهو أنهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم في إلقاء معذرة ولا إدلاء بحجة وانتصاب
اليوم بمحذوف تقديره واذكر يوم نبعث أو يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه وكذلك رد إذا رأوا العذاب يثقلهم
ويثقل عليهم فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون كقوله تعالى بل تأتيهم بغتة فتبهتهم الآية إن أرادوا
بالشركاء آلهتهم فمعنى شركاؤنا آلهتنا التي دعوناها شركاء وإن أرادوا الشياطين فلأنهم شركاؤهم في الكفر
وقرناؤهم في الغي وندعو بمعنى نعبد فإن قلت لم قالوا إنكم لكاذبون وكانوا يعبدونهم على الصحة
قلت لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكأن عبادتهم لم تكن عبادة والدليل عليه قول الملائكة كانوا يعبدون
الجن يعنون أن الجن كانوا راضين بعبادتهم لا نحن فهم المعبودون دوننا أو كذبوهم في تسميتهم شركاء
وآلهة تنزيها لله تعالى من الشرك وإن أريد بالشركاء الشياطين جاز أن يكونوا كاذبين في قولهم إنكم
لكاذبون كما يقول الشيطان إني كفرت بما أشركتموني من قبل وألقوا يعني الذين ظلموا وإلقاء السلم
الاستسلام لأمر الله تعالى وحكمه بعد الإباء والاستكبار في الدنيا وضل عنهم ما كانوا يفترون من أن لله
شركاء وأنهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤوا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا
بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين إن الله
يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون
وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا الذين
كفروا في أنفسهم وحملوا غيرهم على الكفر يضاعف الله عقابهم كما ضاعفوا كفرهم وقيل في زيادة عذابهم حيات
أمثال البخت وعقارب أمثال البغال تلسع إحداهن اللسعة فيجد صاحبها حمتها أربعين خريفا وقيل
يخرجون من النار إلى الزمهرير فيبادرون من شدة برده إلى النار بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين الناس
بصدهم عن سبيل الله شهيدا عليهم من أنفسهم يعني نبيهم لأنه كان يبعث أنبياء الأمم فيهم منهم وجئنا بك
يا محمد على هؤلاء على أمتك تبيانا بيانا بليغا ونظير تبيان تلقاء في كسر أوله وقد جوز الزجاج فتحه في غير القرآن
فإن قلت كيف كان القرآن تبيانا لكل شيء قلت المعنى أنه بين كل شيء من أمور الدين حيث كان نصا
على بعضها وإحالة على السنة حيث أمر فيه باتباع رسول الله وطاعته وقيل وما ينطق عن الهوى وحثا على
الإجماع في قوله تعالى ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضي رسول الله لأمته اتباع أصحابه والاقتداء بآثارهم
في قوله أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤوا طرق القياس والاجتهاد
فكانت السنة والإجماع والقياس والاجتهاد مستندة إلى تبيان الكتاب فمن ثم كان تبيانا لكل شيء العدل
هو الواجب لأن الله عز وجل عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه عليهم واقعا تحت طاقتهم والإحسان الندب
وإنما علق أمره بهما جميعا لأن الفرض لا بد من أن يقع فيه تفريط فيجبره الندب ولذلك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لمن علمه الفرائض فقال والله لا زدت فيها ولا نقصت أفلح إن صدق فعقد الفلاح بشرط
الصدق والسلامة من التفريط وقال صلى الله عليه وسلم استقيموا ولن تحصوا فما ينبغي أن يترك ما يجبر كسر
التفريط من النوافل الفحشاء ما جاوز حدود الله والمنكر ما تنكره العقول والبغي طلب التطاول

بالظلم وحين أسقطت من الخطب لعنة الملاعين على أمير المؤمنين رضي الله عنه أقيمت هذه الآية مقامها ولعمري
إنها كانت فاحشة ومنكرا وبغيا ضاعف الله لمن سنها غضبا ونكالا وخزيا إجابة لدعوة نبيه وعاد من عاداه
وكانت سبب عثمان بن مظعون ف عهد الله هي البيعة لرسول الله على الإسلام إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله
ف ولا تنقضوا أيمان البيعة بعد توكيدها أي بعد توثيقها باسم الله وأكد ووكد لغتان فصيحتان وأصل الواو
والهمزة بدل وكفيلا شاهدا ورقيبا لأن الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه إن الله يعلم ما تفعلون
ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي
أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة
ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسألن عما كنتم تعملون ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم
بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا
إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن
ما كانوا يعملون ولا تكونوا في نقض الأيمان كالمرأة التي أنحت على غزلها بعد أن أحكمته وأبرمته فجعلته أنكاثا
جمع نكث وهو ما ينكث فتله قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة
مثل إصبع وفلكة عظيمة على قدرها وكانت تغزل هي وجواريها من الغداة إلى الظهر ثم تأمرهن فينقضن
ما غزلن تتخذون حال ودخلا أحد منصوبي اتخذ يعني ولا تنقضوا أيمانكم متخذيها يعني جماعة قريش هي أربى
من أمة دخلا اتخذ يعني دخلا بينكم أي مفسدة ودغلا أن تكون أمة بسبب أن تكون أمة من جماعة المؤمنين
إنما يبلوكم به الضمير قريش هي أربى من أمة هي أزيد عددا وأوفر مالا من أمة من جماعة المؤمنين إنما يبلوكم
الله به الضمير لقوله أن تكون أمة أربى لأنه في معنى المصدر أي يختبركم بكونكم أربى لينظر أتتمسكون
بحبل الوفاء بعهد الله وما عقدتم على أنفسكم ووكدتم من أيمان البيعة لرسول الله أم تغترون بكثرة قريش
وثروتهم وقوتهم وقلة المؤمنين وفقرهم وضعفهم وليبينن لكم إنذار وتحذير من مخالفة ملة الإسلام
ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة حنيفة مسلمة على طريق الإلجاء والاضطرار وهو قادر على ذلك ولكن الحكمة
اقتضت أن يضل من يشاء وهو أن يخذل من علم أنه يختار الكفر ويصمم عليه ويهدي من يشاء وهو أن
يلطف بمن علم أنه يختار الإيمان يعني أنه بنى الأمر على الاختيار وعلى ما يستحق به اللطف والخذلان والثواب
والعقاب ولم يبنه على الإجبار الذي لا يستحق به شيء من ذلك وحققه بقوله ولتسألن عما كنتم تعملون ولو كان
هو المضطر إلى الضلال والاهتداء لما أثبت لهم عملا يسألون عنه ق ثم كرر النهي عن اتخاذ الأيمان دخلا
بينهم تأكيدا عليهم وإظهارا لعظم ما يرتكب منه ف فتزل قدم بعد ثبوتها فتزل أقدامكم عن محجة الإسلام
بعد ثبوتها عليها ف وتذوقوا السوء في الدنيا بصدودكم عن سبيل الله وخروجكم من الدين أو بصدكم
غيركم لأنهم لو نقضوا أيمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها ولكم عذاب عظيم
في الآخرة كان قوما ممن أسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم ما رأوا من غلبة قريش واستضعافهم المسلمين
وإيذائهم لهم ولما كانوا يعدونهم إن رجعوا من المواعيد أن ينقضوا ما بايعوا رسول الله فثبتهم الله ه
ف ولا تشتروا بعهد الله ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسول الله ثمنا قليلا ق عرضا من الدنيا يسيرا وهو
ما كانت قريش يعدونهم ويمنونهم إن رجعوا إن ما عند الله من إظهاركم وتغنيمكم ومن ثواب الآخرة خير لكم

ما عندكم

من متناول في نفسه الذكر والانثى فما معنى تبيينه بهما صح

ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد. وقرئ لنجزين بالنون والياء الذين صبروا
على اذى المشركين ومشاق الاسلام من عمل صالحا من ذكر او انثى فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن
ما كانوا يعملون فان قلت لم وحدت القدم ونكرت قلت لاستعظام ان تزل قدم واحدة عن طريق
الحق بعد ان ثبتت عليه فكيف باقدام كثيرة فان قلت هو مبهم صالح على الاطلاق للنوعين الا انه اذا ذكر
كان الظاهر تناوله للذكور فقيل من ذكر او انثى على التبيين ليعم الوعد النوعين جميعا حياة طيبة يعني في الدنيا
وهو الظاهر لقوله ولنجزينهم وعدهم الله ثواب الدنيا والاخرة كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة
وذلك ان المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان او معسرا يعيش عيشا طيبا. ان كان موسرا فلا مقال فيه وان كان معسرا
فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله واما الفاجر فامره على العكس ان كان معسرا فلا اشكال
في امره وان كان موسرا فالحرص لا يدعه ان يتهنأ بعيشه. وعن ابن عباس الحياة الطيبة الرزق الحلال. وعن الحسن
القناعة. وعن قتادة يعني في الجنة. وقيل هي حلاوة الطاعة والتوفيق في قلبه لما ذكر العمل الصالح ٥
ووعد عليه فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم
يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل
قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى
للمسلمين ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين ان الذين
لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب اليم انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله واولئك هم
الكاذبون من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب
من الله ولهم عذاب عظيم ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين اولئك
الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئك هم الغافلون لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون
وصل به قوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ايذانا بان الاستعاذة من جملة الاعمال الصالحة التي يجزل الله عليها الثوا
ب المعنى فاذا اردت القراءة فاستعذ كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم. وكقولك اذا
اكلت فسم الله فان قلت لم عبر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل قلت لان الفعل يوجد عند القصد
والارادة بغير فاصل وعلى حسبه فكان منه بسبب قوي وملابسة ظاهرة. وعن عبد الله بن مسعود قرأت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لي يا ابن ام عبد قل
اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ ليس له سلطان تسلط وولاية
على اولياء الله تعالى يعني انهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته انما سلطانه على من يتولاه
ويطيعه به مشركون الضمير يرجع الى ربهم ويجوز ان يرجع الى الشيطان على معنى بسببه تبديل الآية مكان الآية
هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لانها مصالح وما كان مصلحة امس يجوز ان يكون مفسدة اليوم
وخلافه مصلحة والله عز وجل عالم بالمصالح والمفاسد فيثبت ما يشاء وينسخ ما يشاء بحكمته وهذا معنى قوله
والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر وجدوا مدخلا للطعن فطعنوا وذلك لجهلهم وبعدهم عن العلم بالناسخ
والمنسوخ وكانوا يقولون ان محمدا يسخر من اصحابه يامرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا فياتيهم بما هو اهون ولقد افتروا

فقد كان ينسخ الاشق بالاهون والاهون بالاشق والاشق بالاشق لان الغرض المصلحة لا الهون
والمشقة فان قلت هل في ذكر تبديل الآية بالآية دليل على ان القرآن انما ينسخ بمثله ولا يصح بغيره من السنة
والاجماع والقياس قلت فيه ان قرآنا ينسخ بمثله وليس فيه نفي نسخه بغيره على ان السنة المكشوفة المتواترة
مثل القرآن في ايجاب العلم فنسخه به كنسخه بمثله واما الاجماع والقياس والسنة غير المقطوع بها فلا يصح نسخ القرآن
بها في ينزل ونزله وما بينهما من التنزيل شيئا فشيئا على حسب الحوادث والمصالح اشارة الى ان التبديل من باب
المصالح كالتنزيل وان ترك النسخ بمنزلة انزاله دفعة واحدة في خروجه عن الحكمة روح القدس جبريل
عليه الصلاة والسلام اضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وزيد الخير والمراد الروح المقدس
وحاتم الجواد وزيد الخير والمقدس المطهر من المآثم وقرئ بضم الدال وسكونها بالحق في موضع الحال اي نزله
ملتبسا بالحكمة يعني ان النسخ من جملة الحق ليثبت الذين آمنوا ليبلوهم بالنسخ حتى اذا قالوا فيه هو الحق من ربنا
والحكمة حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمأنينة القلوب على ان الله حكيم فلا يفعل الا ما هو حكمة
وصواب وهدى وبشرى مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت والتقدير تثبيتا لهم وارشادا وبشارة وفيه
تعريض بحصول اضداد هذه الخصال لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ارادوا بالبشر غلاما كان لحويطب بن عبد العزى
قد اسلم وحسن اسلامه اسمه عائش او يعيش وكان صاحب كتب وقيل هو جبر غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي
وقيل عبدان جبر ويسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التورية والانجيل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا مر وقف عليهما يسمع ما يقرآن فقالوا يعلمانه فقيل لاحدهما فقال بل هو يعلمني وقيل هو سلمان الفارسي واللسان
اللغة ويقال لحد القبر والحده وهو ملحد وملحود اذا امال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة
عن استقامة فقالوا الحد فلان في قوله والحد في دينه ومنه الملحد لانه امال مذهبه عن الاديان كلها و اليه لسان
اعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة ردا لقولهم وابطالا لطعنهم وقرئ يلحدون
بفتح الياء والحاء وفي قراءة الحسن اللسان الذي يلحدون اليه اعجمي بتعريف اللسان فان قلت الجملة التي هي
قوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي ما محلها قلت لا محل لها لانها مستأنفة جواب لقولهم ومثله قوله تعالى
الله اعلم حيث يجعل رسالاته بعد قوله تعالى واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله ان
الذين لا يؤمنون بآيات الله اي يعلم الله منهم انهم لا يؤمنون لا يهديهم الله لا يلطف بهم لانهم من اهل الخذلان في الدنيا
والعذاب في الآخرة لا من اهل اللطف والثواب انما يفتري الكذب رد لقولهم انما انت مفتر يعني انما يليق افتراء
الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا عليه واولئك اشارة الى قريش هم الكاذبون اي هم الذين لا يؤمنون
فهم الكاذبون او الى الذين لا يؤمنون اي اولئك هم كاذبون على الكاملون في الكذب لان تكذيب آيات الله
اعظم الكذب او اولئك هم الذين عادتهم الكذب لا يبالون به في كل شيء لا تحجبهم عنه مروءة ولا دين او اولئك هم
الكاذبون في قولهم انما انت مفتر من كفر بالله بدل من الذين لا يؤمنون بآيات الله على ان تجعل واولئك هم الكاذبون
اعتراضا بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه واستثنى منهم المكره فلم يدخل
تحت حكم الافتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا اي طاب به نفسا واعتقده فعليهم غضب من الله ويجوز ان يكون
بدلا من المبتدأ الذي هو اولئك على ومن كفر بالله بعد ايمانه هم الكاذبون او من الخبر الذي هو الكاذبون على واولئك

بلغ مقابله

من كفر

بلغ مقابلة

ثم من كفر بالله من بعد ايمانه ويجوز ان ينتصب على الذم وقد جوزوا ان يكون من كفر بالله شرطا مبتدأ ويحذف جوابه
لان جواب من شرح دال عليه كانه قيل من كفر بالله فعليهم غضب الا من اكره ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب
روي ان ناسا من اهل مكة فتنوا فارتدوا عن الاسلام بعد دخولهم فيه وكان فيهم من اكره فاجرى كلمة الكفر على
لسانه وهو معتقد للايمان منهم عمار وابواه ياسر وسمية وصهيب وبلال وخباب وسالم فاما سمية
فقد ربطت بين بعيرين ووجئ في قبلها بحربة وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتل ياسر وهما
اول قتيلين في الاسلام واما عمار فقد اعطاهم ما ارادوا بلسانه مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال
كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي
فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت ومنهم جبر مولى الحضرمي
اكرهه سيده فكفر ثم اسلم مولاه واسلم وحسن اسلامهما وهاجرا فان قلت اي الامرين افضل افعل عمار ام فعل
ابويه قلت بل فعل ابويه لان في ترك التقية والصبر على القتل اعزازا للاسلام وقد روي ان مسيلمة اخذ رجلين
فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انت ايضا فخلاه وقال للاخر ما تقول في محمد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما تقول في قال انا اصم فاعاد عليه ثلثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيأ له ذلك اشارة الى الوعيد وان
الغضب والعذاب يلحقانهم بسبب استحبابهم الدنيا على الاخرة واستحقاقهم خذلان الله عز وجل بكفرهم اولئك هم
الغافلون الكاملون في الغفلة الذين لا احد اغفل منهم لان الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة ومنتهاها
ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم يوم
تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون وضرب الله مثلا قرية كانت
امنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف
بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون فكلوا مما رزقكم
الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون ثم ان ربك دلالة على تباعد حال هولاء من حال
اولئك وهم عمار واصحابه رضي الله عنهم ومعنى ان ربك لهم انه لهم لا عليهم بمعنى انه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم
كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور من بعد ما فتنوا بالعذاب والاكراه على الكفر وقرئ فتنوا على البناء
للفاعل اي من بعد ما عذبوا المومنين كالحضرمي واشباهه من بعدها من بعد هذه الافعال وهي الهجرة والجهاد والصبر
يوم تاتي منصوب برحيم او باضمار اذكر فان قلت ما معنى النفس المضافة الى النفس قلت يقال لعين
الشيء وذاته نفسه وفي نقيضه غيره والنفس الجملة كما هي فالنفس الاولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها فكانه قيل
يوم ياتي كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه شان غيره كل يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم
هولاء اضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك وضرب الله مثلا اي جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم
فابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فانزل الله عز وجل بهم نقمته فيجوز ان يراد قرية مقدرة على هذه الصفة وان يكون في
قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله عز وجل مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها مطمئنة لا يزعجها خوف لان
الطمانينة مع الامن والانزعاج والقلق مع الخوف رغدا واسعا والانعم جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع
وادرع ثم كبؤس وابؤس وفي الحديث نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموسم بمنى انها ايام

طعام ونعم فلا تفسوموا فان قلت الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه ايقاعها عليه قلت اما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر واذاقه العذاب شبه ما يدرك من اثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع واما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشي الانسان والتبس به من بعض الحوادث واما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما غشي منهما ولابس فكانه قيل فاذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف ولهم في نحو هذا طريقان لا بد من الاحاطة بهما فان الاستنكار لا يقع الا لمن فقدهما احدهما ان ينظروا فيه الى المستعار له كما نظر اليه ههنا ونحوه قول كثير

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا ٭ غلقت لضحكته رقاب المال

استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا صفة الرداء نظرا الى المستعار له والثاني ان ينظروا فيه الى المستعار كقوله

ينازعني ردائي عبد عمرو ٭ رويدك يا اخا عمرو بن بكر
لي الشطر الذي ملكت يميني ٭ ودونك فاعتجر منه بشطر

اراد بردائه سيفه ثم قال فاعتجر منه بشطر فنظر الى المستعار في لفظ الاعتجار ولو نظر اليه فيما نحن فيه لقيل فكساهم لباس الجوع والخوف ولقال كثير ضافي الرداء اذا تبسم ضاحكا وهم ظالمون في حال التباسهم بالظلم كقوله الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم نعوذ بالله من مفاجاة النقمة والموت على الغفلة وقرئ والخوف عطفا على اللباس او على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ولباس الخوف لباس الخوف والجوع لما وعظهم بما ذكر من حال القرية وما اتيت به من كفرها وسوء صنيعها وصل بذلك بالفاء في قوله فكلوا صدهم عن افعال الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة التي كانوا عليها بان امرهم باكل ما رزقهم الله عز وجل من الحلال الطيب وشكر انعامه بذلك وقال ان كنتم اياه تعبدون يعني تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الالهة لانها شفعاؤكم عنده ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم باهوائهم وجهالاتهم دون اتباع ما شرع الله تعالى على لسان انبيائه وانتصاب الكذب بلا تقولوا على ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير استناد ذلك الوصف الى الوحي من الله عز وجل او الى القياس مستند اليه واللام مثلها في قولك انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب اليم وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ولا تقولوا لما احل الله هو حرام وقوله هذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب ويجوز ان يتعلق بتصف على ارادة القول اي ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام ولك ان تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا حلال وهذا حرام بلا تقولوا على ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحرموا ولا تحللوا لاجل قول تنطق به السنتكم ويجول في افواهكم لا لاجل حجة وبينة

ولكن قول شادخ ودعوى فارغة   ما معنى وصف ألسنتهم الكذب   هو من فصيح الكلام

وبليغه جعل قولهم كأنه عين الكذب ومحضه فاذا نطقت به ألسنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر صفة لما المصدرية كأنه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للألسنة وبالنصب على الشتم او بمعنى الكلم الكواذب او هو جمع الكذاب من قولك كذب كذابا ذكره ابن جني واللام في لتفتروا من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اي منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة قليلة وعقابها عظيم ما قصصنا عليك يعني في سورة الانعام بجهالة في موضع الحال اي عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه او غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم من بعدها من بعد التوبة كان امة فيه وجهان احدهما انه كان وحده امة من الامم لكماله في جميع صفات الخير كقوله ∴

• وليس لله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد •

وعن مجاهد رضي الله عنه كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار والثاني ان يكون امة بمعنى مأموم اي يؤمه الناس ليأخذوا منه الخير او بمعنى مؤتم به كالرحلة والنخبة وما اشبه ذلك مما جاء فعلة بمعنى مفعول فيكون مثل قوله قال اني جاعلك للناس اماما روى الشعبي عن فروة بن نوفل الاشجعي عن ابن مسعود انه قال ان معاذا كان امة قانتا لله فقلت غلطت انما هو ابراهيم صلى الله عليه وسلم فقال الامة الذي يعلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله وكان معاذ رضي الله عنه كذلك وعن عمر رضي الله عنه انه قال حين قيل له الا تستخلف لو كان ابو عبيدة حيا لاستخلفته ولو كان معاذ حيا لاستخلفته ولو كان سالم حيا لاستخلفته فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ابو عبيدة امين هذه الامة ومعاذ امة لله قانت ليس بينه وبين الله يوم القيامة الا المرسلون وسالم شديد الحب لله لو كان لا يخاف الله لم يعصه وهو ذلك المعنى اي كان اماما في الدين لان الائمة معلمو الخير والقانت القائم بامر الله تعالى والحنيف المائل الى ملة الاسلام الزائل عنه ونفى عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش في زعمهم انهم على ملة ابيهم ابراهيم ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ روي انه لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا له ان بهم جذاما فقال الآن وجبت مؤاكلتكم شكرا لله على انه عافاني وابتلاكم اجتباه اختصه واصطفاه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم الى ملة الاسلام حسنة عن قتادة رضي الله عنه هي تنويه الله بذكره حتى ليس من اهل دين الا وهم يتولونه وقيل الاموال والاولاد وقيل قول المصلي كما صليت على ابراهيم لمن الصالحين لمن اهل الجنة ثم اوحينا اليك في ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلال محله والايذان بان اشرف ما اوتي خليل الله ابراهيم عليه السلام من الكرامة واجل ما اوتي من النعمة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته من قبل انها دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة من بين سائر النعوت التي اثنى الله عز وجل عليه بها إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها والمعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه واختلافهم فيه انهم احلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم ان يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة بعد ما حتم الله عليهم الصبر عن الصيد

فيه وتعظيمه والمعنى في ذكر ذلك نحو المعنى في ضرب القرية التي كفرت بانعم الله تعالى مثلا وغير ذلك وهو الانذار من
من سخط الله على العصاة والمخالفين لاوامره الخالعين ربقة طاعته فان قلت ما معنى الحكم بينهم اذا كانوا
جميعا محلين او محرمين قلت معناه انه يجازيهم جزاء اختلاف فعلهم في كونهم محلين تارة ومحرمين اخرى
ووجه اخر وهو ان موسى عليه السلم امرهم ان يجعلوا فيه من الاسبوع يوما للعبادة وان يكون يوم الجمعة فابوا
عليه وقالوا نريد اليوم الذى فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا
بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت لان بعضهم اختاروه وبعضهم اختار عليه الجمعة فاذن الله لهم في السبت وابتلاهم
بتحريم الصيد فيه فاطاع امر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون
اولئك وهو يحكم بينهم يوم القيمة فيجازى كل واحد من الفريقين بما يستوجبه ومعنى جعل السبت فرض عليهم تعظيمه
وترك الاصطياد فيه وقرى انما جعل السبت على البنا للفاعل وقرا عبد الله انا انزلنا السبت الى سبيل ربك الى الاسلام
بالحكمة بالمقالة المحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة وهي التى لا يخفى عليهم
انك تناصحهم وتقصد ما ينفعهم فيها ويجوز ان يريد القران اى ادعهم بالكتاب الذى هو حكمة وموعظة حسنة
وجادلهم بالتي هي احسن بالطريقة التى هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف ان ربك
اعلم بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل وكانك تضرب
منه في حديد بارد سمى الفعل الاول باسم الثاني للمزاوجة والمعنى ان صنع بكم صنيع سوء من قتل او نحوه فقابلوه بمثله
ولا تزيدوا عليه وقرى وان عقبتم فعقبوا اى وان قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم وروى ان المشركين
مثلوا بالمسلمين يوم احد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا احدا غير ممثول به الا حنظلة بن الراهب فوقف
رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة وقد مثل به وروى فراه مبقور البطن فقال اما والذى احلف به لئن اظفرني الله
بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده ولا خلاف في تحريم المثلة وان عاقبتم فعاقبوا بمثل
ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في
ضيق مما يمكرون ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقد وردت الاخبار بالنهي عنها حتى بالكلب
العقور اما ان يرجع الضمير في لهو الى صبرهم وهو مصدر صبرتم ويراد بالصابرين المخاطبون اى ولئن صبرتم لصبركم
خير لكم فوضع الصابرون موضع الضمير ثناء من الله عليهم لانهم صابرون على الشدائد ووصفهم بالصفة التى تحصل لهم اذا صبروا
عن المعاقبة فاما ان يرجع الى جنس الصبر وقد دل عليه صبرتم ويراد بالصابرين جنسهم كانه قيل وللصبر خير للصابرين ونحوه
قوله تعالى فمن عفى واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم واصبر انت فعزم عليه
بالصبر وما صبرك الا بالله اى بتوفيقه وتثبيته وربطه على قلبه ولا تحزن عليهم اى على الكافرين كقوله فلا تاس على القوم
الكافرين او على المؤمنين وما فعل بهم الكافرون ولا تك في ضيق وقرى ولا تكن في ضيق اى ولا يضيقن صدرك
من مكرهم والضيق تخفيف الضيق اى في امر ضيق ويجوز ان يكون الضيق والضيق مصدرين كالقيل والقول ان الله
مع الذين اتقوا اى هو ولي الذين اجتنبوا المعاصى وولى الذين هم محسنون في اعمالهم وعن هرم بن حيان انه قيل له حين
احتضر اوص فقال انما الوصية من المال ولا مال لى واوصيكم بخواتيم سورة النحل عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذى
مات واحسن الوصية

سورة بني اسرائيل مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي مائة واحدى عشرة آية

سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من اياتنا
انه هو السميع البصير واتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل الا تتخذوا من دونى وكيلا
ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك
اظهاره تقديره اسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ من جميع القبائح التى
يضيفها اليه اعداء الله واسرى وسرى لغتان وليلا نصب على الظرف **فان قلت** الاسرا لا يكون الا بالليل فما
معنى ذكر الليل **قلت** اراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسرا وانه اسرى به فى بعض الليل من مكة
الى الشام مسيرة اربعين ليلة وذلك ان التنكير فيه قد دل على معنى البعضية ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة
من الليل اى بعض الليل كقوله ومن الليل فتهجد به يعنى الامر بالقيام فى بعض الليل واختلف فى المكان الذى اسرى منه فقيل
هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم بينا انا فى المسجد الحرام فى الحجر عند البيت بين النائم
واليقظان اذ اتانى جبريل بالبراق وقيل اسرى به من دار ام هانى بنت ابى طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد
والتباسه به وعن ابن عباس الحرم كله مسجد وروى انه كان نائما فى بيت ام هانى بنت ابى طالب بعد صلاة العشا فاسرى
به ورجع من ليلته وقص القصة على ام هانى وقال مثل لى النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت ام هانى
بثوبه فقال ما لك قالت اخشى ان يكذبك قومك ان اخبرتهم قال وان كذبونى فخرج فجلس اليه ابو جهل فاخبره رسول
الله صلى الله عليه وسلم بحديث الاسرا فقال ابو جهل يا معشر بنى كعب بن لؤى هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على
راسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان امن به وسعى رجال الى ابى بكر فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه
على ذلك قال انى لاصدقه على ابعد من ذلك فسمى الصديق ومنهم من سافر الى مايم فاستنعتوه المسجد فجلى له
بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد
جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال
قائل منهم هذه والله الشمس قد شرقت فقال اخر وهذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم
لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وقد عرج به الى السما فى تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس واخبر
قريشا ايضا بما راى فى السما من العجايب وانه لقى الانبيا وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى واختلفوا فى وقت الاسرا
فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن انس والحسن انه كان قبل البعث واختلف فى انه كان فى اليقظة ام فى المنام فعن عايشة رضى
الله عنها انها قالت والله ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج بروحه وعن معاوية انما عرج بروحه
وعن الحسن كان فى المنام رؤيا راها واكثر الاقاويل بخلاف ذلك والمسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ
وراءه مسجد باركنا حوله يريد بركات الدين والدنيا لانه متعبد الانبيا من وقت موسى عليه السلام ومهبط الوحى وهو
محفوف بالانهار الجارية والاشجار المثمرة وقرا الحسن ليريه بالياء ولقد تصرف الكلام على الغايب والمتكلم فقيل اسرى
ثم باركنا ثم ليريه على قراءة الحسن ثم من اياتنا ثم انه هو وهى طريقة الالتفات التى هى من طرق البلاغة انه هو السميع
لاقوال محمد البصير بافعاله العالم بتهذيبها وخلوصها فيكرمه ويقربه على ذلك ان لا تتخذوا وقرى بالياء على لئلا يتخذوا
وبالتاء على اى لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل كذا وكيلا ربا تكلون اليه اموركم ذرية من حملنا مع نوح نصب على
الاختصاص وقيل على النداء فيمن قرا الا تتخذوا بالتاء على النهى يعنى قلنا لهم لا تتخذوا من دونى وكيلا يا ذرية من حملنا
مع نوح وقد يجعل وكيلا ذرية من حملنا مفعولى تتخذوا اى لا تجعلوهم اربابا كقوله ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة
والنبيين اربابا ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير وقرى ذرية من حملنا بالرفع بدلا من واو تتخذوا

وقرا زيد بن ثابت ذِرية بكسر الذال وروى انه فسرها بولد الولد ذكرهم الله النعمة في انجاء ابائهم من الغرق انه
ان نوحا عليه السلم كان عبدا شكورا قيل كان اذا اكل قال الحمد لله الذي اطعمني ولو شاء اجاعني واذا شرب قال
الحمد لله الذي سقاني ولو شاء اظماني واذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني ولو شاء اعراني واذا احتذى قال
الحمد لله الذي حذاني ولو شاء احفاني واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي اخرج عني اذاه في عافيته ولو شاء حبسه
وروى انه كان اذا اراد الافطار عرض طعامه على من امن به فان وجده محتاجا اثره به فان قلت قوله انه
كان عبدا شكورا ما وجه ملائمته لما قبله قلت كانه قيل لا تتخذوا من دوني وكيلا ولا تشركوا بي لان
نوحا عليه السلم كان عبدا شكورا وانتم ذرية من امن به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعله اباكم اسوتهم ويجوز ان
يكون تعليلا لاختصاصهم والثناء عليهم بانهم اولاد المحمولين مع نوح فهم متصلون به فاستاهلوا لذلك الاختصاص
ويجوز ان يقال ذلك عند ذكره على سبيل الاستطراد وقضينا الى بني اسراءيل في الكتاب لتفسدن في
الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد
فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا واوحينا اليهم وحيا مقضيا اي مقطوعا مبتوتا بانهم يفسدون
في الارض لا محالة ويعلون اي يتعظمون ويبغون في الكتاب في التورية ولتفسدن جواب قسم محذوف ويجوز ان
يجري القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له كانه قال واقسمنا لتفسدن على البناء للمفعول
ولتفسدن بفتح التاء مرتين اولاهما قتل زكريا عليه السلم وحبس ارمياء حين انذرهم سخط الله والاخرة قتل يحيى بن زكريا
وقصد قتل عيسى بن مريم عبادا لنا وقرئ عبيدا لنا واكثر ما يقال عباد الله وعبيد الناس سنحاريب وجنوده وقيل
بخت نصر وعن ابن عباس جالوت قتلوا علماءهم واحرقوا التورية وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا فان قلت
كيف جاز ان يبعث الله الكفرة على ذلك ويسلطهم عليه قلت خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم على ان الله عز وجل
اسند بعث الكفرة عليهم الى نفسه فهو كقوله وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وكقول الداعي وخالف
بين كلمهم واسند الجوس وهو التردد خلال الديار بالفساد اليهم فتخريب المسجد واحراق التورية من جملة الجوس المسند
اليهم وقرا طلحة فحاسوا بالحاء وقرئ فتجوسوا وخلل الديار فان قلت ما معنى اولاهما قلت معناه وعد
عقاب اولاهما فكان وعدا مفعولا يعني وكان وعد العقاب وعدا لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم ثم رددنا لكم الكرة
عليهم وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان
اساتم فلها فاذا جاء وعد الاخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا
ما علوا تتبيرا ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو قيل
هي قتل بخت نصر واستنقاذ بني اسراءيل اسراهم واموالهم ورجوع الملك اليهم وقيل هي قتل داود جالوت اكثر نفيرا
مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر كالعبيد والمعيز اي الاحسان والاساءة كلاهما مختص
بانفسكم لا يتعدى النفع والضرر الى غيركم وعن علي رضي الله عنه ما احسنت الى احد ولا اسات اليه وتلاها واذا جاء
وعد المرة الاخرة بعثناهم ليسوءوا وجوهكم حذف لدلالة ذكره اولا عليه ومعنى ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية
اثار المساءة والكابة فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء والضمير لله عز وجل او للوعد او للبعث ولنسوء
بالنون وفي قراءة علي رضي الله عنه لنسوءن وليسوءن وقرئ لنسوءن بالنون الخفيفة واللام في ليدخلوا على هذا متعلق
بمحذوف وهو وبعثناهم ليدخلوا ولنسوءن جواب اذا جاء ما علوا مفعول ليتبروا اي ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا
عليه او بمعنى مدة علوهم عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ان هذا
القران يهدي للتي هي اقوم ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا

وان الذين لا يؤمنون بالاخرة اعتدنا لهم عذابا اليما ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا
وجعلنا الليل والنهار ايتين فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا
من ربكم

عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الثانية ان تبتم توبة اخرى وانزجرتم عن المعاصي وان عدتم مرة ثالثة عدنا الى عقوبتكم
وقد عادوا فاعاد الله اليهم النقمة بتسليط الاكاسرة وضرب الاتاوة عليهم وعن الحسن عادوا فبعث الله محمدا صلى الله
الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون ثم كان اخر ذلك ان بعث الله عليهم هذا الحي من العرب
فهم منهم في عذاب الى يوم القيامة حصيرا محبسا يقال للسجن محصر وحصير وعن الحسن بساطا كما يبسط
الحصير المرمول للتي هي اقوم للحالة التي هي اقوم الحالات واسدها او للملة او للطريقة وايتما قدرت لم تجد مع
الاثبات ذوق البلاغة التي تجده مع الحذف لما في ابهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع ايضاحه وقرئ
ويبشر بالتخفيف فان قلت كيف ذكر المؤمنين الابرار والكفار ولم يذكر الفسقة قلت
كان الناس حينئذ اما مؤمن تقي واما مشرك وانما حدث اصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك فان قلت
علام عطف وان الذين لا يؤمنون قلت على ان لهم اجرا كبيرا على معنى انه بشر المؤمنين ببشارتين اثنتين
بثوابهم وبعقاب اعدائهم ويجوز ان يراد ويخبر بان الذين لا يؤمنون معذبون اي ويدعو الله عند غضبه بالشر على
نفسه واهله وماله كما يدعوه لهم بالخير كقوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير وكان الانسان عجولا
يتسرع الى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا يتانى فيه تاني المتبصر وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه دفع الى سودة
بنت زمعة اسيرا فاقبل يئن بالليل فقالت له ما لك تئن فشكا الم القد فارخت من كتافه فلما نامت اخرج يده وهرب
فلما اصبح النبي صلى الله عليه وسلم دعا به فاعلم بشانه فقال عليه الصلوة والسلم اللهم اقطع يديها فرفعت سودة
يديها تتوقع الاجابة وان يقطع الله يديها فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني سالت الله ان يجعل لعنتي ودعائي على
من لا يستحق من اهلي رحمة لاني بشر اغضب كما يغضب البشر فلترد سودة يديها ويجوز ان يريد بالانسان الكافر
وانه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجله كما يدعو بالخير اذا مسته الشدة وكان الانسان عجولا يعني ان العذاب
اتيه لا محالة فما هذا الاستعجال وعن ابن عباس هو النضر بن الحارث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
الاية فضربت عنقه صبرا فيه وجهان احدهما ان يراد ان الليل والنهار ايتان في انفسهما فتكون الاضافة في اية
الليل واية النهار للتبيين كاضافة العدد الى المعدود اي فمحونا الاية التي هي الليل وجعلنا الاية التي هي النهار مبصرة
والثاني ان يراد وجعلنا نيري الليل اي جعلنا الليل يمحو الضوء مطموسه مظلما لا يستبان منه كما لا يستبان ما في اللوح الممحو وجعلنا
النهار مبصرا اي يبصر فيه الاشياء وتستبان او فمحونا اية الليل التي هي القمر حيث لم يخلق له شعاعا كشعاع الشمس فترى به
الاشياء رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء لتبتغوا فضلا من ربكم لتتوصلوا ببياض النهار
الى استبانة اعمالكم والتصرف في معايشكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه
تفصيلا وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ
كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ولتعلموا باختلاف الجديدين عدد السنين وجنس الحساب وما تحتاجون
اليه منه ولولا ذلك لما علم احد حسبان الاوقات ولتعطلت الامور وكل شيء مما تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم فصلناه
بيناه بيانا غير ملتبس فازحنا عللكم وما تركنا لكم حجة علينا طائره عمله وقد حققنا القول فيه في سورة النمل وعن ابن
عيينة هو من قولك طار له سهم اذا خرج يعني الزمناه ما طار من عمله والمعنى ان عمله لازم له لزوم القلادة او الغل
لا يفك عنه ومنه مثل العرب تقلدها طوق الحمامة وقولهم الموت في الرقاب وهذا ربقة في رقبته وعن الحسن
رحمه الله يا ابن ادم بسطت لك صحيفة اذا بعثت قلدتها في عنقك وقرئ في عنقه بسكون النون وقرئ نخرج
بالنون ويخرج بالياء والضمير لله عز وجل ويخرج على البناء للمفعول ويخرج من خرج والضمير للطائر اي يخرج الطائر كتابا
وانتصاب كتابا على الحال وقرئ يلقاه بالتشديد مبنيا للمفعول ويلقاه منشورا صفتان للكتاب او يلقاه صفة

ومنشورا حال من يلقاه اقرأ على ارادة القول وعن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئا وبنفسك فاعل
كفى وحسيبا تمييز وهو بمعنى حاسب كضريب القداح بمعنى ضاربها وصريم بمعنى صارم ذكرهما سيبويه وعلى
متعلق به من قولك حسب عليه كذا ويجوز ان يكون بمعنى الكافي وضع موضع الشهيد فعدى بعلى لان الشاهد
يكفي المدعي ما اهمه فان قلت لم ذكر حسيبا قلت لانه بمنزلة الشهيد والقاضي والامير لان الغالب
ان هذه الامور يتولاها الرجال فكانه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا ويجوز ان يتاول النفس بالشخص كما يقال ثلاثة
انفس وكان الحسن اذا قراها قال يا ابن آدم انصفك والله من جعلك حسيب نفسك من اهتدى فانما
يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى وما كنا معذبين حتى
نبعث رسولا واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول
فدمرناها تدميرا اي كل نفس حاملة وزرا فانما تحمل وزرها لا وزر نفس اخرى وما كنا معذبين وما صح منا
صحة تدعو اليها الحكمة ان نعذب قوما الا بعد ان نبعث اليهم رسولا فتلزمهم الحجة فان قلت الحجة لازمة لهم
قبل بعثة الرسول لان معهم ادلة العقل التي بها يعرف الله وقد اغفلوا النظر وهم متمكنون منه واستيجابهم العذاب
لاغفالهم النظر فيما معهم وكفرهم لذلك لا لاغفال الشرائع التي لا سبيل اليها الا بالتوقيف والعمل بها لا يصح الا بعد
الايمان قلت بعثة الرسول من جملة التنبيه على النظر والايقاظ من رقدة الغفلة لئلا يقولوا كنا غافلين فلولا
بعثت الينا رسولا ينبهنا على النظر في ادلة العقل واذا اردنا وقت اهلاك قوم ولم يبق من زمان امهالهم الا قليل امرناهم
ففسقوا اي امرناهم بالفسق ففعلوا والامر مجاز لان حقيقته امرهم بالفسق ان يقول لهم افسقوا وهذا لا يكون فبقي
ان يكون مجازا ووجه المجاز انه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة الى المعاصي واتباع الشهوات فكانهم مامورون بذلك
لتسبب ايلاء النعمة فيه وانما خولهم اياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الاحسان والبر كما خلقهم اصحاء
اقوياء واقدرهم على الخير والشر وطلب منهم ايثار الطاعة على المعصية فآثروا الفسوق فلما فسقوا حق عليهم القول وهو
كلمة العذاب فدمرهم فان قلت هلا زعمت ان معناه امرناهم بالطاعة ففسقوا قلت لان حذف ما لا دليل عليه غير جائز فكيف يحذف ما الدليل قائم على نقيضه
وذلك ان المامور به انما حذف لان ففسقوا يدل عليه وهو كلام مستفيض يقال امرته فقام وامرته فقرأ لا يفهم منه الا ان
المامور به قيام او قراءة ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم الغيب ولا يلزم هذا قولهم امرته فعصاني او فلم
يمتثل امري لان ذلك مناف للامر مناقض له ولا يكون ما يناقض الامر مامورا به فكان محالا ان يقصد اصلا حتى يجعل دالا
على المامور به في هذا الكلام غير مدلول عليه ولا منوي لان من يتكلم بهذا الكلام فانه لا ينوي لامره مامورا به وكانه يقول
كان مني امر فلم يكن منه طاعة كما ان من يقول فلان يعطي ويمنع ويامر وينهى غير قاصد الى مفعول فان قلت
هلا كان ثبوت العلم بان الله لا يامر بالفحشاء وانما يامر بالقسط والخير دليلا على ان المراد امرناهم بالخير ففسقوا قلت
لا يصح ذلك لان قوله ففسقوا يدافعه فكانك اظهرت شيئا وانت تدعي اضمار خلافه وكان صرف الامر الى المجاز هو الوجه ونظيره
امر شاء في ان مفعوله استفاض فيه الحذف لدلالة ما بعده عليه تقول لو شاء لاحسن اليك ولو شاء لاساء اليك تريد
لو شاء الاحسان ولو شاء الاساءة فلو ذهبت تضمر خلاف ما اظهرت وقلت قد دلت حال من اسندت اليه المشيئة
انه من اهل الاحسان او من اهل الاساءة فاترك الظاهر المنطوق به واضمر ما دلت عليه حال صاحب المشيئة لم تكن
على سداد وقد فسر بعضهم امرنا بكثرنا وجعل امرته فامر من باب فعلته ففعل كثبرته فثبر وفي الحديث خير المال
سكة مابورة ومهرة مامورة اي كثيرة النتاج وروي ان رجلا من المشركين قال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم اني ارى امرك هذا حقيرا فقال عليه السلام انه سيأمر اي سيكثر وسيكبر وقرئ امرنا من امر وامره
غيره وامرنا بمعنى امرنا او من امر امارة وامره الله اي جعلناهم امراء وسلطناهم وكم اهلكنا من القرون من

هلا زعمت ان معناه امرناهم بالطاعة ففسقوا ... صح

بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء
لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك
كان سعيهم مشكورا وكم مفعول اهلكنا ومن القرون بيان لكم وتمييز له كما يميز العدد بالجنس يعني عادا وثمودا
وقرونا بين ذلك كثيرا ونبه بقوله وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا على ان الذنوب هي اسباب الهلكة لا
غيرو وانه عالم بها فمعاقب عليها من كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة واكثر الفسقة تفضلنا عليه من منافعها
بما نشاء لمن نريد فقيد الامر تقييدين احدهما تقييد المعجل بمشيئته والثاني تقييد المعجل له بارادته وهكذا الحال
ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ولا يعطون الا بعضا منه وكثيرا منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر
الدنيا وفقر الاخرة واما المؤمن التقي فقد اختار مراده وهو غنى الاخرة فما يبالي اوتي حظا ام لم يؤت فان اوتي فيها
والا فربما كان الفقر خيرا له واعون على مراده وقوله لمن نريد بدل من له وهو بدل البعض من الكل لان الضمير يرجع
الى من وهو في معنى الكثرة وقرئ يشاء وقيل الضمير لله عز وجل فلا فرق اذن بين القراءتين في المعنى ويجوز ان يكون
للعبد على ان للعبد ما يشاء من الدنيا وان ذلك لواحد من الدهماء يريد به الله ذلك وقيل هو من يريد الدنيا بعمل الاخرة
كالمنافق والمرائي والمهاجر للدنيا والمجاهد للغنيمة والذكر كما قال عليه السلام فمن كانت هجرته الى الله ورسوله
فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه مدحورا مطرودا من رحمة
الله سعيها حقها من السعي وكفاءها من الاعمال الصالحة اشترط ثلث شرائط في كون السعي مشكورا ارادة الاخرة بان
يعقد بها همه ويتجافى عن دار الغرور والسعي فيما كلف من الفعل والترك والايمان الصحيح الثابت وعن بعض المتقدمين من لم
يكن معه ثلث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الاية وشكر الله الثواب على الطاعة كلا
نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة
اكبر درجات واكبر تفضيلا لا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا كلا كل واحد من الفريقين والتنوين
عوض من المضاف اليه نمدهم نزيدهم من عطائنا ونجعل الآنف منه مددا للسالف لا نقطعه فنرزق المطيع والعاصي جميعا
على وجه التفضل وما كان عطاء ربك وفضله محظورا اي ممنوعا لا يمنعه من عاص لعصيانه انظر بعين الاعتبار كيف فضلناهم
متفاوتين في التفضل وفي الاخرة التفاوت اكثر لانها ثواب واعواض وتفضل وكلها متفاوتة وروي ان قوما
من الاشراف فمن دونهم اجتمعوا بباب عمر رضي الله عنه فخرج الاذن لبلال وصهيب فشق على ابي سفيان فقال
سهيل بن عمرو انما اتينا من قبلنا انهم دعوا ودعينا يعني الى الاسلام واسرعوا وابطأنا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الآخرة
ولئن حسدتموهم على باب عمر لما اعد الله لهم في الجنة اكثر وقرئ واكثر تفضيلا وعن بعضهم ايها المباهي بالرفع منك
في مجالس الدنيا اما ترغب في المباهاة بالرفع في مجالس الاخرة وهي اكبر وافضل فتقعد من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت
كانها حربة بمعنى صارت يعني فتصير جامعا على نفسك الذم وما يتبعه من الهلاك من الهتك والخذلان والعجز
عن النصرة ممن جعلته شريكا له وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر
احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل
رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ربكم اعلم بما في نفوسكم انه كان للاوابين غفورا وقضى ربك وامر امرا مقطوعا
به ان لا تعبدوا ان مفسرة ولا تعبدوا نهي او بان لا تعبدوا وبالوالدين احسانا واحسنوا بالوالدين احسانا
او بان تحسنوا بالوالدين احسانا وقرئ واوصى وعن ابن عباس ووصى وعن بعض ولد معاذ بن جبل وقضاء ربك
ولا يجوز ان تتعلق الباء في بالوالدين بالاحسان لان المصدر لا يتقدم عليه صلته اما هي ان الشرطية زيدت
عليها ما تاكيدا لها ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو افردت ان لم يصح دخولها لا تقول ان تكرمن زيدا

يكونك ولكن اما تكرمنه واحدهما فاعل يبلغن وهو فيمن قرا يبلغان بدل من الف الضمير الراجع الى الوالدين وكلاهما
عطف على احدهما فاعلا او بدلا فان قلت لو قيل اما يبلغان كلاهما كان كلاهما توكيدا لا بدلا فما لك
زعمت انه بدل قلت لانه معطوف على ما لا يصح ان يكون توكيدا للاثنين فانتظم في حكمه فوجب ان
يكون مثله فان قلت ما ضرك لو جعلته توكيدا مع كون المعطوف عليه بدلا وعطفت التوكيد على
البدل قلت لو اريد توكيد التثنية لقيل كلاهما فحسب فلو قيل احدهما او كلاهما علم ان التوكيد
غير مراد فكان بدلا مثل الاول اف صوت يدل على تضجر وقرى اف بالحركات الثلاث منونا وغير منون الكسر
على اصل البنا والفتح تخفيف للضمة والتشديد كثم والضم اتباع كمنذ فان قلت ما معنى عندك قلت
هو ان يكبرا ويعجزا وكانا كلا على ولدهما لا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته وكنفه وذلك اشق عليه واشد احتمالا
وصبرا وربما تولى منهما ما كانا يتوليان منه في حال الطفولة فهو مامور بان يستعمل معهما وطاة الخلق ولين
الجانب والاحتمال حتى لا يقول لهما اذا اضجره ما يستقذر منهما او يستثقل من مونهما اف فضلا عما يزيد عليه
ولقد بالغ سبحانه في التوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده ونظمهما في سلك القضا بهما
معا ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومقتضياته
ومع احوال لا يكاد يدخل صبر الانسان معها في الاستطاعة ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك والنهي
والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل التافيف والنهر قولا كريما جميلا كما يقتضيه حسن الادب والنزول على المروة
وقيل هو ان يقول يا ابتاه يا اماه كما قال ابراهيم عليه السلام لابيه مع كفره ولا يدعوهما باسمايهما فانه من الجفا وسوء
الادب وعادة الدعار قالوا ولا باس به في غير وجهه كما قالت عايشة رضي الله عنها نحلني ابو بكر كذا وقرى جناح الذل
والذل بالضم والكسر فان قلت ما معنى قوله جناح الذل قلت فيه وجهان احدهما ان
يكون المعنى واخفض لهما جناحك كما قال واخفض جناحك للمومنين فاضافه الى الذل والذل كما اضيف حاتم الى
الجود على معنى واخفض لهما جناحك الذليل او الذلول والثاني ان تجعل لذله او لذله لهما جناحا خفيضا كما جعل
لبيد للشمال يدا وللقرة زماما مبالغة في التذلل والتواضع لهما من الرحمة من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما
لكبرهما وافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق الله اليهما بالامس ولا تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع
الله بان يرحمهما رحمته الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك فان قلت
الاسترحام لهما انما يجوز اذا كانا مسلمين قلت واذا كانا كافرين فله ان يسترحم لهما بشرط الايمان وان يدعو
الله لهما بالهداية والارشاد ومن الناس من قال كان الدعا للكفار جايزا ثم نسخ وسيل ابن عيينة عن الصدقة عن
الميت فقال كل ذلك واصل اليه ولا شي انفع له من الاستغفار ولو كان شي افضل منه لامركم به في الابوين ولقد كرر
الله سبحانه في الكتاب الوصية بالوالدين وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما
وروى يفعل البار ما شا ان يفعل فلا يدخل النار ويفعل العاق ما شا ان يفعل فلن يدخل الجنة وروى سعيد بن المسيب
ان البار لا يموت ميتة سوء وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في
الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما وشكا
رجل الى رسول الله صلى الله عليه السلام اباه وانه ياخذ ماله فدعا به فاذا شيخ يتوكا على عصا فساله فقال انه
كان ضعيفا وانا قوي وفقيرا وانا غني فكنت لا امنعه شيا من مالي واليوم انا ضعيف وهو قوي وانا فقير وهو
غني ويبخل علي بماله فبكا عليه صلى الله عليه وسلم فقال ما من حجر ولا مدر يسمع هذا الا بكى ثم قال للولد انت ومالك
لابيك انت ومالك لابيك وشكا اليه اخر سوء خلق امه فقال لم تكن سيئة حين حملتك تسعة اشهر قال انها سيئة

الخلق

الحلق قال لم تكن كذلك حين ارضعتك حولين قال انها سيئة الحلق قال لم تكن كذلك حين اسهرت لك ليلها واظمات نهارها قال لقد جازيتها قال ما فعلت قال حججت بها على عاتقي قال ما جزيتها ولو طلقة وعن ابن عمر رضي الله عنه انه راى رجلا في الطواف يحمل امه ويقول

اني لها مطية لا تذعر . اذا الركاب نفرت لا تنفر ما حملت وارضعتني اكثر

الله ربي ذو الجلال الاكبر تظنني جزيتها يا ابن عمر

قال ولو زفرة واحدة وعنه عليه السلام اياكم وعقوق الوالدين فان الجنة يوجد ريحها من مسيرة الف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء ان الكبرياء لله رب العالمين وقال الفقهاء لا يذهب بابيه الى البيعة واذا بعث اليه منها ليحمله فعل ولا يناوله الخمر وياخذ الاناء منه اذا شربها وعن ابي يوسف اذا امره ان يوقد تحت قدره وفيها لحم الخنزير اوقد وعن حذيفة انه استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل ابيه وهو في صف المشركين فقال دعه يله غيرك وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال ان لا تقوم الى خدمتهما عن كسل وسئل بعضهم فقال ان لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر شزرا اليهما ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن وان تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمة اوداءهما من بعدهما فعن النبي صلى الله عليه وسلم ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه بما في نفوسكم بما في ضمائركم من قصد البر الى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير ان تكونوا صالحين قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر وما لا يخلو منه البشر او لحمية الاسلام هنة تؤدي اليهما اذاهما ثم انبتم الى الله واستغفرتم منها فان الله غفور للاوابين للتوابين وعن سعيد بن جبير هي في البادرة تكون من الرجل الى ابيه لا يريد بذلك الا الخير وعن سعيد بن المسيب الاواب الرجل كلما اذنب بادر بالتوبة ويجوز ان يكون هذا عاما لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج تحته الجاني على ابويه التائب من جنايته لوروده على اثره

وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا

وات ذا القربى حقه وصى بغير الوالدين من الاقارب بعد التوصية بهما وان يؤتوا حقهم وحقهم اذا كانوا محارم كالابوين والولد وفقراء عاجزين عن الكسب وكان الرجل موسرا ان ينفق عليهم عند ابي حنيفة والشافعي رحمة الله عليهما لا يرى النفقة الا على الولد والوالدين فحسب وان كانوا مياسير او لم يكونوا محارم كابناء العم فحقهم صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك والمسكين وابن السبيل يعني وات هؤلاء حقهم من الزكاة وهو دليل على ان المراد بما يؤتى ذوي القرابة من الحق هو تعهدهم بالمال وقيل اراد بذي القربى اقرباء رسول الله صلى الله عليه وسلم التبذير تفريق المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف وكانت الجاهلية تنحر ابلها وتتياسر عليها وتبذر اموالها في الفخر والسمعة وتذكر ذلك في اشعارها فامر الله بالنفقة في وجوهها مما يقرب منه ويزلف وعن عبد الله هو انفاق المال في غير حقه وعن مجاهد لو انفق مدا في باطل كان تبذيرا وانفق بعضهم نفقة في خير فاكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير وعن عبد الله بن عمرو مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسعد وهو يتوضا فقال ما هذا السرف يا سعد قال او في الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة وهي غاية المذمة لانه لا شر من الشيطان او هم اخوانهم واصدقاؤهم لانهم يطيعونهم فيما يامرونهم به من الاسراف او هم قرناؤهم في النار على سبيل الوعيد وكان الشيطان لربه كفورا فما ينبغي ان يطاع فانه لا يدعو

الا الى مثل فعله وقرا الحسن اخوان الشيطان وان اعرضن عن ذى القربى والمسكين وابن السبيل حيا من الرد
فقل لهم قولا ميسورا ولا تتركهم غير مجابين اذا سالوك وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا سيل شيا وليس
عنده اعرض عن السايل وسكت حياء وقوله ابتغاء رحمة من ربك اما ان يتعلق بجواب الشرط مقدما عليه اى فقل لهم
قولا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا رحمة لهم وتطييبا لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك اى ابتغ رحمة الله التى ترجوها برحمتك
عليهم واما ان يتعلق بالشرط اى وان اعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجوا ان يفتح لك فسمى الرزق رحمة
فردهم ردا جميلا فوضع الابتغا مسببا عنه فوضع المسبب موضع السبب ويجوز ان يكون معنى واما تعرضن
عنهم وان لم تنفعهم ولم ترفع خصاصتهم لعدم الاستطاعة ولا يريد الاعراض بالوجه كناية بالاعراض عن
ذلك لان من ابى ان يعطى اعرض بوجهه يقال يسر الامر وعسر مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول وقيل
معناه فقل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على انه دعاء لهم ييسره عليهم فقرهم كان معناه قولا ذا ميسورا
وهو اليسر اى دعاء فيه يسر هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف امر بالاقتصاد الذى هو بين الاسراف
والتقتير فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله لان المسرف غير مرضى عنده وعند الناس يقول المحتاج اعطى
فلانا وحرمنى ويقول المستغنى ما يحسن تدبير امر المعيشة وعند نفسك اذا احتجت فندمت على ما فعلت
محسورا منقطعا بك لا شى عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وحسره بالمسئلة وعن جابر بينا رسول الله
اتاه صبى فقال ان امى تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة يظهر فعد الينا فذهب الى امه فقالت له قل له ان امى
تستكسيك الدرع الذى عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا للصلاة فلم يخرج وقيل
اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وعيينة بن حصن فجاء عباس بن مرداس وانشاء يقول

• اتجعل نهبى ونهب العبيد • بين عيينة والاقرع •
• وما كان حصن ولا حابس • يفوقان جدى فى مجمع •
• وما كنت دون امرء منهما • ومن تضع اليوم لا يرفع •

فقال يا ابا بكر اقطع لسانه عنى اعطه مائة من الابل فنزلت ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر
انه كان بعباده خبيرا بصيرا ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم
كان خطا كبيرا تسلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يرهقه من الاضاقة لان ذلك ليس لهوان منك
عليه ولا لبخل به عليك ولكن لان مشيئته فى بسط الارزاق وقدرها تابعة للحكمة والمصلحة ويجوز ان يريد
ان البسط والقبض انما هما من امر الله الذى الخزاين فى يده فاما العبيد فعليهم ان يقتصدوا ويحتمل انه عز وعلا يبسط
لعباده او يقبض فانه يراعى اوسط الحالين لا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده ولا بالمقبوض عليه اقصى مكروهه فاستنوا
بسنته قتلهم اولادهم هو وادهم بناتهم كانوا يئدونهن خشية الفاقة وهى الاملاق فنهاهم الله وضمن لهم
ارزاقهم وقرى خشية بكسر الخاء وقرى خطاء وهو الاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما وخطاء وهو ضد الصواب اسم من
اخطا وقيل هو والخطأ كالحذر والحذر وخطأ بالكسر والمد وخطأ بالفتح والمد وخطاء بالفتح والسكون وعن
الحسن خطا بالفتح وحذف الهمزة كالخب وعن ابى رجا بكسر الخاء غير ممدود فاحشة قبيحة زايدة على حد القبح وساء
ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ومن قتل
مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا ولا تقربوا مال اليتيم
الا بالتى هى احسن حتى يبلغ اشده واوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا وساء سبيلا وبئس طريقا
طريقه وهو ان تغصب على غيرك امراته او اخته او بنته من غير سبب والسبب ممكن وهو الصهر الذى شرعه الله

الا بالحق

الا بالحق الا بان تكفر او تقتل مومنا عمدا او تزنى بعد احصان مظلوما غير راكب واحدة منهن لوليه للذى بينه وبينه قرابة توجب المطالبة بدمه فان لم يكن له ولى فالسلطان وليه سلطانا تسلطا على القاتل فى الاقتصاص منه او حجة يثبت بها عليه فلا يسرف الضمير للولى اى فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية كان اذا قتل منهم واحد قتلوا به جماعة حتى قال مهلهل حين قتل بجير بن الحارث بن عباد بوء بشسع نعل كليب وقال

كل قتيل فى كليب غرة ۞ حتى ينال القتل آل مرة

وكانوا يقتلون غير القاتل اذا لم يكن بواء وقيل الاسراف المثلة وقرا ابو مسلم صاحب الدولة فلا يسرف بالرفع على انه خبر فى معنى الامر وفيه مبالغة ليست فى الامر وعن مجاهد ان الضمير للقاتل الاول وقرئ فلا تسرف على خطاب الولى او قاتل المظلوم وفى قراءة ابى فلا تسرفوا رد على لا تقتلوا انه كان منصورا الضمير اما للولى يعنى حسبه ان الله قد نصره بان اوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك وبان الله نصره بمعونة السلطان وباظهار المومنين على استيفاء الحق فلا يبغ ما وراء حقه واما للمظلوم لان الله ناصره حيث اوجب القصاص بقتله وينصره فى الاخرة بالثواب واما للذى يقتله الولى بغير حق ويسرف فى قتله فانه منصور بايجاب القصاص على المسرف بالتى هى احسن بالخصلة او الطريقة التى هى احسن وهى حفظه عليه وتثميره ~~واوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا~~ ان العهد كان مسئولا اى مطلوبا يطلب من العاهد ان لا يضيعه ويفى به ويجوز ان يكون تخييلا كانه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفى بك تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باى ذنب قتلت ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسئولا واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير واحسن تاويلا ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا ~~ولا تقف ما ليس لك به~~ ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها وقرئ بالقسطاس بالضم والكسر وهو القرسطون وقيل كل ميزان صغر او كبر من موازين الدراهم وغيرها واحسن تاويلا واحسن عاقبة وهو تفعيل من آل اذا رجع وهو ما يؤول اليه ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف يقال قفا اثره وقافه ومنه القافة يعنى ولا تكن فى اتباعك ما لا علم لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدرى انه يوصله الى مقصده فهو عام والمراد النهى عن ان يقول الرجل ما لا يعلم وان يعمل بما لا يعلم ويدخل فيه النهى عن التقليد دخولا ظاهرا لانه اتباع لما لا يعلم صحته من فساده وعن ابن الحنفية شهادة الزور وعن الحسن لا تقف اخاك المسلم اذا مر بك فتقول هذا يفعل كذا ورايته يفعل وسمعته ولم تره ولم تسمع وقيل القفو شبيهة بالغيبة ومنه الحديث من قفا مومنا بما ليس فيه حبسه الله فى ردغة الخبال حتى ياتى بالمخرج وانشد

ومثل الدمى شم العرانين ساكن ۞ بهن الحياء لا يشعن التقافيا

اى التقاذف وقال الكميت

ولا ارمى البرى بغير ذنب ۞ ولا اقفو الحواصن ان قفينا

وقد استدل به مبطل الاجتهاد ولم يصح لان ذلك نوع من العلم فقد اقام الشرع غالب الظن مقام العلم وامر بالعمل به اولئك اشارة الى السمع والبصر والفؤاد كقوله والعيش بعد اولئك الايام وعنه فى موضع الرفع بالفاعلية اى كل واحد منها كان مسئولا عنه فمسئول الى الجار والمجرور كالمغضوب فى قوله غير المغضوب عليهم يقال للانسان لم سمعت ما لم يحل لك سماعه ولم نظرت ما لم يحل لك النظر اليه ولم عزمت على ما لم يحل لك العزم عليه وقرئ والفواد بالفتح الفاء والواو وقلبت الهمزة واوا بعد الضمة فى الفواد ثم استصحب القلب مع الفتح مرحا حال اى ذا مرح وقرئ مرحا وفضل الاخفش المصدر على اسم الفاعل لما فيه من التاكيد لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطئك وقرئ لن تخرق بضم الراء ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال وقرئ سيئة على اضافة سي

الى كل وسيأتي في بعض المصاحف وسيآت وفي قراءة ابي بكر الصديق رضي الله عنه كان شانه فان قلت كيف
قيل سيئة مع قوله مكروها قلت السيئة في حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاثم زال عنه حكم الصفات
فلا اعتبار بتانيثه ولا فرق بين من قرا سيئة ومن قرا سيئا الا ترى انك تقول الزنا سيئة كما تقول السرقة سيئة فلا فرق
بين اسنادها الى مذكر ومؤنث فان قلت ما ذكر من الخصال بعضها سيئ وبعضها حسن ولذلك قرا من قرا سيئه
بالاضافة فما وجه من قرا سيئة قلت كل ذلك احاطة بما نهي عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة ذلك
اشارة الى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله الها اخر الى هذه الغاية وسماه حكمة لانه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد
بوجه وعن ابن عباس رضي الله عنه هذه الثماني عشرة اية كانت في الواح موسى عليه السلام ولها لا تجعل مع الله
الها اخر قال الله تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وهي عشر ايات في التورية ولقد جعل الله عز وعلا فاتحتها
وخاتمتها النهي عن الشرك لان التوحيد هو راس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه حكمه وعلومه وان بذ فيها الحكما
وحك بيافوخه السما وما اغنت عن الفلاسفة اسفار الحكم وهم عن دين الله اضل من النعم ذلك مما اوحى اليك ربك من
الحكمة ولا تجعل مع الله الها اخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من
الملائكة اناثا انكم لتقولون قولا عظيما افاصفيكم خطاب للذين قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار يعني
اخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفا بافضل الاولاد وهم البنون لم يجعل منهم نصيبا واتخذ ادونهم وهي البنات
وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم فان العبيد لا يوثرون باجود الاشيا واصفاها من الشوب
ويكون اردؤها وادونها للسادات انكم لتقولون قولا عظيما باضافتكم اليه الاولاد وهي خاصة بالاجسام ثم
بانكم تفضلون عليه انفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بان تجعلوا الملائكة وهم اعلى خلق الله واسرهم ادون
خلق الله وهم الاناث ولقد صرفنا في هذا القران ليذكروا وما يزيدهم الا نفورا قل لو كان معه الهة
كما تقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا تسبح له السموات
السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا
ولقد صرفنا في هذا القران يجوز ان يريد بهذا القران ابطال اضافتهم الى الله البنات لانه مما صرفه وكرر ذكره والمعنى
ولقد صرفنا القول في هذا المعنى واوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكانا للتكرير ويجوز ان يشير بهذا القران الى
التنزيل ويريد ولقد صرفناه يعني هذا المعنى في مواضع من التنزيل فترك الضمير لانه معلوم وقرئ صرفنا بالتخفيف
وكذلك ليذكروا قرئ مشددا ومخففا اي كررناه ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا الى ما يحتج به عليهم فما يزيدهم الا نفورا
عن الحق وقلة طمانينة اليه وعن سفيان كان اذا قراها قال زادني لك خضوعا ما زاد اعداك نفورا قرئ كما تقولون
بالتاء والياء واذا دالة على ان ما بعدها وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو ومعنى لابتغوا الى ذي
العرش سبيلا لطلبوا الى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض كقوله لو كان فيهما
الهة الا الله لفسدتا وقيل لتقربوا اليه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة علوا في معنى تعاليا
والمراد البراءة من ذلك والنزاهة ومعنى وصف العلو بالكبر المبالغة في معنى البراءة والبعد مما وصفوه به المراد انها
تسبح له بلسان الحال حيث تدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته فكانها تنطق بذلك وكانها تنزه الله مما لا يجوز عليه من
الشركا وغيرها فان قلت فما تصنع بقوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهذا التسبيح مفقوه معلوم
قلت الخطاب للمشركين وهم وان كانوا اذا سئلوا عن خالق السموات والارض قالوا الله الا انهم
لما جعلوا معه الهة مع اقرارهم فكانهم لم ينظروا ولم يقروا لان نتيجة النظر الصحيح والاقرار الثابت خلاف
ما كانوا عليه فاذن لم يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق فان قلت من فيهن يسبحون

على الحقيقة

على الحقيقة وهم الملائكة والثقلان وقد عطفوا على السموات والارض فما وجهه قلت التسبيح المجازي حاصل في
الجميع فوجب الحمل عليه والا كانت الكلمة الواحدة في حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز انه كان حليما غفورا حين
لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم بالتسبيح وشرككم وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا
ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا حجابا مستورا ذا ستر كقولهم سيل مفعم ذو افعام
وقيل هو حجاب لا يرى فهو مستور ويجوز ان يراد انه حجاب من دونه حجاب او حجب فهو مستور بغيره او حجاب يستر
ان يبصر فكيف يبصر المحتجب به وهذه حكاية لما كانوا يقولونه وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا
وقر ومن بيننا وبينك حجاب كانه قال واذا قرأت القرآن جعلنا على قلوبهم ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه او لان قوله
وجعلنا او لان قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه فيه معنى المنع من الفقه فكانه قيل ومنعناهم ان يفقهوه يقال
وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة ووحده من باب رجع عوده على بدئه وافعله جهدك ...
وطاقتك في انه مصدر ساد مسد الحال اصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده والنفور مصدر بمعنى التولية
او جمع نافر كقاعد وقعود اي يحبون ان تذكر معه آلهتهم لانهم مشركون نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ
يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا
لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا فاذا سمعوا بالتوحيد نفروا بما يستمعون به من الهزء بك وبالقرآن
من اللغو كان يقوم عن يمينه اذا قرأ رجلان ورجلان منهم عن يساره فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه
بالاشعار وبه في موضع الحال كما تقول يستمعون بالهزء اي هازئين واذ يستمعون نصب باعلم اي اعلم وقت استماعهم
بما به يستمعون واذ هم نجوى وبما يتناجون اذ هم ذو نجوى اذ يقول بدل من اذ هم مسحورا سحر فجن وقيل هو
من السحر وهو الرية اي بشر مثلكم ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون فضلوا في جميع ذلك
ضلال من يطلب في التيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير في امره فلا يدري ما يصنع وَقَالُوا أَإِذَا
كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ
فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ
عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لما قالوا أئذا كنا عظاما
قيل لهم كونوا حجارة او حديدا فرد قوله كونوا على قولهم كنا كانه قيل كونوا حجارة او حديدا ولا تكونوا عظاما فانه يقدر
على احيائكم والمعنى انكم تستبعدون ان يجدد الله خلقكم ويرده الى حال الحياة والى رطوبة الحي وغضاضته بعد ما كنتم عظاما
يابسة مع ان العظام بعض اجزاء الحي بل هي عمود خلقه الذي يبنى عليه سائره فليس ببدع ان يردها الله بقدرته الى الحالة الاولى ولكن
لو كنتم ابعد شيء من الحياة ورطوبة الحي ومن جنس ما ركب منه البشر وهو ان تكونوا حجارة يابسة او حديدا مع ان طباعها
الجساوة والصلابة لكان قادرا على ان يردكم الى حال الحياة او خلقا مما يكبر في صدوركم يعني او خلقا مما يكبر عندكم عن قبول
الحياة ويعظم في زعمكم على الخالق احياؤه فانه يحييه وقيل ما يكبر في صدورهم الموت وقيل السموات والارض فسينغضون
فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء والدعاء والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين منقادين
لا تمتنعون وقوله بحمده حال منهم اي حامدين وهي مبالغة في انقيادهم للبعث كقولك لمن تامره بركوب ما يشق
عليه فيتأبى ويمتنع ستركبه وانت حامد شاكر يعني انك تحمل عليه وتقسر قسرا حتى انك تلين لين المسمح الراغب فيه
الحامد عليه وعن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك وتظنون وترون
الهول فعنده تستقصرون مدة لبثكم في الدنيا وتحسبونها يوما او بعض يوم وعن قتادة تحاقرت الدنيا في

انفسهم حين عاينوا الآخرة وقل لعبادي وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ
كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا وقل
لعبادي وقل للمؤمنين يقولوا للمشركين الكلمة التي هي احسن والين ولا تخاشنوهم كقوله وجادلهم بالتي هي احسن وفسر
التي هي احسن بقوله ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم يعني يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم
انكم من اهل النار وانكم معذبون وما اشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم
اعتراض يعني يلقي بينهم الفساد ويغري بعضهم على بعض لتقع بينهم المشارة والمشاقة وما ارسلناك عليهم وكيلا اي ربا موكولا
اليك امرهم تقسرهم على الاسلام وتجبرهم عليه وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالمداراة والاحتمال
وترك المحاقة والمكاشفة وذلك قبل نزول اية السيف وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه شتمه رجل فامره الله بالعفو وقيل
افرط ايذاء المشركين للمسلمين فشكوا الى رسول الله فنزلت وقيل الكلمة التي هي احسن ان يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله
وقرأ طلحة ينزغ بالكسر وهما لغتان نحو يعرشون ويعرشون وهو رد على اهل مكة وانكارهم واستبعادهم ان يكون
يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه كصهيب وبلال وخباب وغيرهم دون ان يكون ذلك في بعض اكابرهم
وصناديدهم يعني وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا
دَاوُودَ زَبُورًا قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا وربك اعلم بمن في
السموات والارض باحوالهم وبمقاديرهم وبما يستأهل كل واحد منهم وقوله ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض
اشارة الى رسول الله وقوله وآتينا داود زبورا دلالة على وجه التفضيل وهو انه خاتم الانبياء وان امته خير الامم لان
ذلك مكتوب في زبور داود قال الله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون وهم
محمد وامته **فان قلت** هلا عرف الزبور كما عرف في قوله ولقد كتبنا في الزبور **قلت** يجوز ان يكون الزبور
وزبور كالعباس وعباس والفضل وفضل وان يريد وآتينا داود بعض الزبر وهي الكتب وان يريد ما ذكر فيه رسول الله صلى
الله عليه وسلم من الزبور فسمى ذلك زبورا لانه بعض الزبور كما سمى بعض القرآن قرآنا هم ناس من العرب ثم اسلم الجن
الملائكة وقيل عيسى بن مريم وعزير وقيل نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم اسلم الجن ولم يشعروا اي ادعوهم
فهم لا يستطيعون ان يكشفوا عنكم الضر من مرض او فقر او عذاب ولا ان يحولوه من واحد الى آخر او يبدلوه
واولئك مبتدأ والذين يدعون صفته ويبتغون خبره يعني ان آلهتهم اولئك يبتغون الوسيلة وهي القربة الى
الله عز وجل وايهم بدل من واو يبتغون واي موصولة اي يبتغي من هو اقرب منهم وازلف الوسيلة معنى
يحرصون فكانه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب الى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير والصلاح ويرجون ويخافون
كما غيرهم من عباد الله فكيف يزعمون انهم آلهة ان عذاب ربك كان حقيقا بان يحذره كل احد من ملك مقرب
ونبي مرسل فضلا عن غيرهم نحن مهلكوها بالموت والاستئصال او معذبوها بالقتل وانواع العذاب وقيل الهلاك
للصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت في كتب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها اما مكة فيخربها الحبشة
وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف واما خراسان فعذابها
ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا في الكتاب في اللوح المحفوظ استعير المنع لترك ارسال الآيات من اجل صارف الحكمة وان الاولى
منصوبة والثانية مرفوعة تقديره أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ
وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا
قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ
بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا

تخويفا وما منعنا ارسال الايات الا تكذيب الاولين والمراد الايات التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن احياء
الموتى وغير ذلك وعادة الله في الامم ان من اقترح منهم اية فاجيب اليها ثم لم يؤمن ان يعاجل بعذاب الاستيصال
والمعنى وما صرفنا عن ارسال ما يقترحونه من الايات الا ان كذب بها الذين هم امثالهم من المطبوع على قلوبهم
كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك وقالوا هذا سحر مبين لما يقولون في غيرها واستوجبوا
العذاب المستاصل وقد عزمنا ان نؤخر امر من بعثت اليهم الى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الايات التي
اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما ارسلت فاهلكوا واحدة وهي ناقة صالح لان اثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة من
حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم مبصرة فظلموا بها فكفروا بها وما نرسل الايات ان اراد بها الايات
المقترحة فالمعنى لا نرسلها الا تخويفا من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له فان لم يخافوا وقع
عليهم وان اراد غيرها فالمعنى وما نرسل من الايات كايات القران وغيرها الا تخويفا وانذارا بعذاب الاخرة
**واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة
في القران ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس
قال ااسجد لمن خلقت طينا قال ارايتك هذا الذي كرمت علي لئن اخرتني الى يوم القيامة لاحتنكن
ذريته الا قليلا** واذ قلنا ان ربك احاط بالناس واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بقريش يعني بشرناك اي بوقعة
بدر وبالنصرة عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون وغير ذلك فجعله
كان قد كان ووجد فقال احاط بالناس على عادته في اخباره وحين تزاحف الفريقان يوم بدر ورسول الله صلى الله عليه
وسلم في العريش مع ابي بكر رضي الله عنه كان يدعو ويقول اللهم اني اسالك عهدك ووعدك ثم خرج وعليه الدرع
يحرض الناس ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ولعل الله تعالى اراه مصارعهم في منامه فقد كان يقول حين ورد ماء
بدر والله لكاني انظر الى مصارع القوم وهو يومي الى الارض ويقول هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت
قريش بما اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من امر بدر وما اري في منامه من مصارعهم وليستعجلون به استهزاء وحين سمعوا بقوله ان شجرة الزقوم
طعام الاثيم جعلوها سخرية وقالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر وما قدروا الله حق قدره
من قال ذلك وما انكروا ان يجعل الله الشجرة من جنس لا تاكله النار فهذا وبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك يتخذ
منه مناديل اذا اتسخت طرحت في النار فذهب الوسخ وبقي المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى النعامة تبتلع الجمر
وقطع الحديد المحمر كالجمر باحماء النار فلا تضرها ثم ان يخلق في الطلوا اقرب من ذلك انه خلق في كل شجرة نارا فلا تحرقها
فما انكروا ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها والمعنى ان الايات انما نرسل بها تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الدنيا
وهو القتل يوم بدر فما كان ما اريناك منه في منامك بعد الوحي اليك الا فتنة لهم حيث اتخذوه سخريا وخوفوا بعذاب
الاخرة وبشجرة الزقوم فما اثر فيهم ثم قال ونخوفهم اي نخوفهم بمخاوف الدنيا والاخرة فما يزيدهم التخويف الا طغيانا
كبيرا فكيف يخاف قوم هذه حالهم بارسال ما يقترحون من الايات وقيل الرؤيا هي الاسراء وبه تعلق من يقول كان
الاسراء في المنام ومن قال كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وقيل انما سماها رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا
له لعلها رؤيا رايتها وخيال خيل اليك استبعادا منهم كما سمى اشياء باساميها عند الكفرة نحو قوله فراغ الى الهتهم
اين شركاي ذق انك انت العزيز الكريم وقيل هي رؤياه انه سيدخل مكة وقيل راى في المنام ان ولد الحكم يتداولون
منبره كما يتداول الصبيان الكرة فان قلت اين لعنت شجرة الزقوم في القران قلت لعنت حيث
لعن طاعموها من الكفرة والظلمة لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن على الحقيقة وانما وصفت بلعن اصحابها على المجاز
وقيل وصفها الله باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة وهي في اصل الجحيم في ابعد مكان من الرحمة وقيل تقول العرب لكل

لكل طعام مكروه ضار ملعون وسألت بعضهم فقال نعم الطعام الملعون القشب الممحوق وعن ابن عباس هو الكشوث
الذي يتلوى بالشجر يجعل في الشراب وقيل هي الشيطان وقيل ابو جهل وقرئ والشجرة الملعونة بالرفع على انها
مبتدأ محذوف الخبر كانه قيل والشجرة الملعونة في القرآن كذلك طينا حال من الموصول والعامل فيه اسجد على
ءاسجد له وهو طين اي اصله طين او من الراجع اليه من الصلة على اسجد لمن كان في وقت خلقه طينا ارايتك الكاف
للخطاب وهذا مفعول به والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي اي فضلته لم كرمته علي وانا خير منه فاختصر
الكلام بحذف ذلك ثم ابتدأ فقال لئن اخرتن واللام موطئة للقسم المحذوف لاحتنكن ذريته لاستاصلنهم
بالاغواء من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا وهو من الحنك ومنه ما ذكر سيبويه من قولهم احنك
الشاتين اي اكلهما فان قلت من اين علم ان ذلك يتسهل من الغيب قلت اما ان سمعه من
الملائكة صلوات الله عليهم وقد اخبرهم الله به او خرجه من قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها او نظر اليه فتوسم
في مخايله انه خلق شهواني وقيل ذلك لما علمت وسوسته في آدم من الشجرة اذهب ليس من الذهاب الذي هو نقيض
المجيء وانما معناه امض لشانك الذي اخترته خذلانا وتخلية وعقبه بذكر ما جره سوء اختياره في قوله
قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا واستفزز من استطعت منهم
بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم
الشيطان الا غرورا كما قال موسى صلى الله عليه وسلم للسامري فاذهب فان لك في الحياة ان تقول لا مساس
فان قلت اما كان من حق الضمير في الجزاء ان يكون على لفظ الغيبة ليرجع الى من تبعك قلت
بلى ولكن التقدير فان جهنم جزاؤهم وجزاؤك ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل جزاؤكم ويجوز ان يكون للتابعين
على طريقة الالتفات وانتصب جزاء موفورا بما في فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا بما في فان جهنم جزاؤكم يعني تجازون او على الحال
لان الجزاء موصوف بالموفور والموفور الموفر يقال فر لصاحبك عرضه فرة استفزز استخفه والفز الخفيف واجلب من
الجلبة وهو الصياح والخيل الخيالة ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل جمع
للراجل ونظيره الركب والصحب وقرئ ورجلك على ان فعلا بمعنى فاعل نحو تعب وتاعب ومعناه وجمعك الرجل وتضم جيمه ايضا
فيكون مثل حدث وحدث وندس وندس واخوات لهما يقال رجل رجل وقرئ ورجالك ورجالك فان قلت
ما معنى استفزاز ابليس بصوته واجلابه بخيله ورجله قلت هو كلام ورد مورد التمثيل مثلت حاله في تسلطه على من
يغويه بمغوار اوقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من اماكنهم ويقلقلهم عن مراكزهم واجلب عليهم بجند من خيالة
ورجالة حتى استاصلهم وقيل بصوته بدعائه الى الشر وخيله ورجله كل راكب وماش من اهل العبث وقيل يجوز ان يكون
لابليس خيل ورجال واما المشاركة في الاموال والاولاد فكل معصية يحملهم عليها في بابهما كالزنا والمكاسب المحرمة
والبحيرة والسائبة والانفاق في الفسوق والاسراف ومنع الزكوة والتوصل الى الاولاد بالسبب الحرام
ودعوى ولد بغير سبب والتسمية بعبد العزى وعبد الحرث والتهويد والتنصير والحمل على الحرف الذميمة
والاعمال المحظورة وغير ذلك وعدهم المواعيد الكاذبة من شفاعة الالهة والكرامة على الله تعالى بالانساب
الشريفة وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب بدونها والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم
في الكبائر والخروج من النار بعد ان يصيروا حمما وايثار العاجل على الآجل ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
وكفى بربك وكيلا ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما
واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا
يريد الصالحين ليس لك عليهم سلطان اي لا تقدر ان تغويهم وكفى بربك وكيلا لهم يتوكلون به في الاستعاذة منك

ونحوه

ونحوه قوله الا عبادك منهم المخلصين **فان قلت** كيف جاز ان يامر الله ابليس ان يتسلط على عباده مغويا
مضلا داعيا الى الشر صادا عن الخير **قلت** هو من الاوامر الواردة على سبيل الخذلان والتخلية كما قال
العصاة اعملوا ما شئتم يزجي يجري ويسوق ويسير والضر خوف الغرق ضل من تدعون الا اياه ذهب عن اوهامكم
وخواطركم كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانكم لا تذكرون سواه ولا تدعونه في ذلك الوقت ولا تعتقدون
برحمته رجاكم ولا تخطرون ببالكم ان غيره يقدر على اغاثتكم او لم يهتد لانقاذكم احد غيره من المدعوين ويجوز ان يراد
ضل من تدعون من الالهة عن اغاثتكم ولكن الله وحده هو الذي ترجونه وحده على الاستثناء المنقطع **افامنتم
ان يخسف بكم جانب البر او يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة
اخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا ولقد كرمنا
بني ادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**
افامنتم الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض **فان قلت**
بم انتصب جانب البر **قلت** بيخسف مفعولا به كالارض في قوله فخسفنا به وبداره الارض وبكم حال والمعنى
ان يخسف جانب البر اي يقلبه وانتم عليه **فان قلت** ما معنى ذكر الجانب **قلت** معناه ان
ان الجوانب والجهات كلها في قدرته سواء وله في كل جانب برا كان او بحرا سبب مرصد من اسباب الهلكة ليس
جانب البحر وحده مختصا بذلك بل ان كان الغرق في جانب البحر ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لانه
تغييب تحت التراب والبر والبحر عنده سيان يقدر في البر على نحو ما يقدر عليه في البحر فعلى العاقل ان يستوي في خوفه
من الله تعالى في جميع الجوانب وحيث كان او يرسل عليكم حاصبا وهي الريح التي تحصب اي ترمي بالحصباء يعني او ان لم
يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف اصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء يرجمكم بها فيكون
اشد عليكم من الغرق في البحر وكيلا من يتوكل بصرف ذلك عنكم ام امنتم ان يقوي دواعيكم ويوفر حوائجكم الى ان ترجعوا
فتركبوا البحر الذي نجاكم منه فاعرضتم فينتقم منكم بان يرسل عليكم قاصفا وهي الريح التي لها قصيف وهو الصوت الشديد
كانها تتقصف اي تتكسر وقيل التي لا تمر بشيء الا قصفته فيغرقكم وقرئ بالتاء اي الريح وبالنون وكذلك نخسف ونرسل
ونعيدكم فنرسل بالياء والنون التبيع المطالب من قوله تعالى فاتباع بالمعروف اي مطالبة قال الشماخ كما لاذ الغريم من التبيع
يقال فلان على فلان تبيع بحقه اي مسيطر عليه مطالب له بحقه والمعنى انا نفعل ما نفعل بهم ثم لا تجد احدا يطالبنا بما
فعلنا انتصارا منا ودركا للثار من جهتنا وهذا نحو قوله ولا يخاف عقباها بما كفرتم بكفرانكم النعمة يريد اعراضكم حين
نجاكم قيل في تكرمة ابن ادم كرمه الله بالعقل والنطق والتمييز والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير امر
المعاش والمعاد وقيل بتسليطهم على ما في الارض وتسخيره لهم وقيل كل شيء ياكل بفيه الا ابن ادم وعن الرشيد انه احضر طعاما
فدعا بالملاعق وعنده ابو يوسف فقال له في تفسير جدك ابن عباس قوله ولقد كرمنا بني ادم جعلنا لهم اصابع ياكلون
بها واحضرت الملاعق فردها واكل باصابعه على كثير ممن خلقنا هو ما سوى الملائكة صلوات الله عليهم وحسب بني ادم
تفضيلا ان ترفع عليهم الملائكة وهم هم ومنزلتهم عند الله منزلتهم والعجب من المجبرة كيف عكسوا في كل شيء وكابروا حتى
جسرتهم عادة المكابرة على العظيمة التي هي تفضيل الانسان على الملك وذلك بعد ما سمعوا تفخيم الله امرهم وتكثيره
مع التعظيم لذكرهم وعلموا اين اسكنهم وانى قربهم وكيف نزلهم من انبيائه منزلة انبيائهم من اممهم ثم جرهم فرط التعصب عليهم
الى ان لفقوا اقوالا واخبارا منها قالت الملائكة ربنا انك اعطيت بني ادم الدنيا ياكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك

فاعطناه في الاخرة فقال وعزتي وجلالي لا اجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان وروي عن ابي هريرة رضي الله
عنه المؤمن اكرم على الله من الملائكة الذين عنده ومن ارتكابهم لهم فسروا كثيرا بمعنى جميع في هذه الاية وخذلوا حتى
سلبوا الذوق فلم يحسوا ببشاعة قولهم وفضلناهم على جميع ممن خلقنا على ان معنى قولهم على جميع ممن خلقنا اشجى
لحلوقهم واقذى لعيونهم ولكنهم لا يشعرون وانظر الى تمحلهم وتشبثهم بالتاويلات البعيدة في عداوة الملاء
الاعلى كان جبريل غاظهم حين اهلك مدائن قوم لوط فتلك السخيمة لم تنحل عن قلوبهم يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ
فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا وَمَنْ كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ
أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا قرى ندعو بالياء والنون ويدعى كل اناس على البناء للمفعول وقرأ الحسن رضي الله عنه يدعوا
كل اناس على قلب الالف واوا في لغة من يقول افعوا والظرف نصب باضمار اذكر ويجوز ان يقال انها علامة الجمع كما في واسروا
النجوى الذين ظلموا والرفع مقدر كما في يدعى ولم يؤت بالنون قلة مبالاة بها لانها غير ضمير ليست الا علامة بامامهم
بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين فيقال يا اتباع فلان يا اهل دين كذا او كتاب كذا وقيل بكتاب
اعمالهم فيقال يا اصحاب كتاب الخير ويا اصحاب كتاب الشر وفي قراءة الحسن رضي الله عنه بكتابهم ومن بدع
التفاسير ان الامام جمع ام وان الناس يدعون يوم القيامة بامهاتهم وان الحكمة في الدعاء بالامهات دون الاباء
رعاية حق عيسى صلى الله عليه وسلم واظهار شرف الحسن والحسين رضي الله عنه وان لا يفتضح اولاد الزنا
وليت شعري ايهما ابدع اصحة لفظه ام بهاء حكمته فمن اوتي من هؤلاء المدعوين كتابه بيمينه فاولئك يقرؤون كتابهم
قيل اولئك لان من اوتي في معنى الجمع **فان قلت** لم خص اصحاب اليمين بقراءة كتابهم كان اصحاب الشمال
لا يقرؤون كتابهم **قلت** بلى ولكن اذا اطلعوا على ما في كتابهم اخذهم ما ياخذ المطالب بالنداء على جناياته والاعتراف
بمساويه امام التنكيل به والانتقام منه من الحياء والخجل والانخزال وحبسة اللسان والتتعتع والعجز عن اقامة حروف
الكلام والذهاب عن تسوية القول فكان قراءتهم كلا قراءة واما اصحاب اليمين فامرهم على عكس ذلك لا جرم انهم يقرؤون
كتابهم احسن قراءة وابينها ولا يقنعون بقراءتهم وحدهم حتى يقول القارئ لاهل المحشر هاؤم اقرءوا كتابيه ولا يظلمون
فتيلا ولا ينقصون من ثوابهم ادنى شيء كقوله ولا يظلمون شيئا فلا يخاف ظلما ولا هضما ومعناه ومن كان في هذه اعمى
فهو في الاخرة اعمى كذلك واضل سبيلا من الاعمى والاعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدي الى
الطريق النجاة اما في الدنيا فلفقد النظر واما في الاخرة فلانه لا ينفعه الاهتداء اليه وقد جوزوا ان يكون الثاني
بمعنى التفضيل ومن ثم قرأ ابو عمرو رضي الله عنه الاول ممالا والثاني مفخما لان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه في
حكم الواقعة في وسط الكلام كقولك اعمالكم واما الاول فلم يتعلق به شيء فكانت الفه واقعة في الطرف معرضة
للامالة روي ان ثقيفا قالت للنبي صلى الله عليه وسلم لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا
نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة
ولا نكسرها بايدينا عند راس الحول وان تحرم من قصد وادينا وج فعضد شجره واذا سالتك العرب لم فعلت ذلك
فقل ان الله امرني به فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا
ولا يجبون فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالوا للكاتب اكتب ولا يجبون والكاتب ينظر الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقام عمر بن الخطاب فسل سيفه اسعرتم قلب نبينا يا معشر ثقيف اسعر الله قلوبكم نارا فقالوا لسنا نكلم
اياك انما نكلم محمدا فنزلت وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا

بلغ مقابلة

واذاً

بلغ مقابلة

لاتخذوك خليلا ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحياة
وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها
واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا وان كادوا ليفتنونك ان مخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة بينها وبين النافية
والمعنى ان الشان قاربوا ان يفتنوك اى يخدعوك فاتنين عن الذى اوحينا اليك من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا
لتفترى علينا لتقول علينا ما لم نقل يعنى ما ارادوه عليه من تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا وما اقترحته
ثقيف من ان يضيف الى الله تعالى ما لم ينزله عليه واذا لاتخذوك خليلا اى ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك
خليلا ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتى ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا لقد كدت تركن لقاربت ان
تميل الى خدعهم ومكرهم وهذا تهييج من الله عز وجل له وفضل تثبيت وفى ذلك لطف للمؤمنين اذا لو قاربت تركن
اليهم ادنى ركنة لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اى لاذقناك عذاب الاخرة وعذاب القبر مضاعفين
فان قلت كيف حقيقة هذا الكلام قلت اصله لاذقناك عذاب الحيوة وعذاب الممات لان
العذاب عذابان عذاب فى الممات وهو عذاب القبر وعذاب فى حياة الاخرة وهو عذاب النار والضعف
يوصف به نحو قوله تعالى فاتهم عذابا ضعفا فى النار بمعنى مضاعفا فكان اصل الكلام لاذقناك عذابا ضعفا
فى الحيوة وعذابا ضعفا فى الممات ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم اضيفت
الصفة اقامة الموصوف فقيل ضعف الحياة وضعف الممات كما لو قيل لاذقناك اليم الحيوة واليم الممات ويجوز
ان يراد بضعف الحيوة عذاب الحياة الدنيا وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار
والمعنى لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة فى الحيوة الدنيا وما نؤخره لما بعد الموت وفى ذكر الكيد وده وتقليلها
مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف فى الدارين دليل بين على ان القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم
شان فاعله وارتفاع منزلته ومن ثم استعظم مشايخ العدل والتوحيد رضوان الله عليهم نسبة المجبرة القبائح الى الله تعالى
عن ذلك علوا كبيرا وفيه دليل على ان ادنى مداهنة للغواة مضادة لله عز وجل وخروج عن ولايته وسبب موجب لغضبه ونكاله
فعلى المؤمن اذا تلا هذه الاية ان يجثو عندها ويتدبرها فهى جديرة بالتدبر وان يستشعر الناظر فيها الخشية وازدياد
التصلب فى دين الله عز وجل وعن النبى صلى الله عليه وسلم انها لما نزلت كان يقول اللهم لا تكلنى الى نفسى طرفة عين
وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم من الارض من ارض مكة واذا لا يلبثون لا يبقون
بعد اخراجك الا زمانا قليلا فان الله مهلكهم وكان كما قال سبحانه فقد اهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل وقيل معناه ولو
اخرجوك لاستؤصلوا عن بكرة ابيهم ولم يخرجوه بل هاجر بامر ربه وقيل من ارض العرب وقيل من ارض المدينة وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم فاجتمعوا اليه وقالوا يا ابا القاسم ان الانبيا
انما بعثوا بالشام وهى بلاد مقدسة وكانت مهاجر ابرهيم فلو خرجت الى الشام لامنا بك واتبعناك وقد علمنا
انه لا يمنعك من الخروج الا خوف الروم فان كنت رسول الله فالله مانعك منهم فعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
على اميال من المدينة وقيل بذى الحليفة حتى يجتمع اليه اصحابه ويراه الناس عازما على الخروج الى الشام لحرصه على
دخول الناس فى دين الله عز وجل فنزلت فرجع وقرى لا يلبثون وفى قراءة ابى رضى الله عنه لا يلبثوا على اعمال اذن فان
قلت ما وجه القراءتين قلت اما الشائعة فقد عطف فيها الفعل على الفعل وهو مرفوع لوقوعه
خبر كاد والفعل فى خبر كاد واقع موقع الاسم واما قراءة ابى رضى الله عنه ففيها الجملة برأسها التى هى اذن لا يلبثوا عطف على جملة قوله
وان كادوا ليستفزونك وقرى خلافك قال

عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا اى بعدهم

سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ
وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا
مَحْمُودًا وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا

سنة من قد ارسلنا يعني ان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسنة الله ان يهلكهم ونصبت نصب المصدر المؤكد اي سن الله ذلك
سنة دلوك الشمس غربت وقيل زالت وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بي الظهر
واشتقاقه من الدلك لان الانسان يدلك عينيه عند النظر اليها فان كان الدلوك الزوال فالاية جامعة للصلوات الخمس وان كان
الغروب فقد خرج منها الظهر والعصر والغسق الظلمة وهو وقت صلاة العشاء وقرآن الفجر صلاة الفجر سميت قرآنا وهو القراءة لانها ركن
كما سميت ركوعا وسجودا وقنوتا وهي حجة على ابن علية والاصم في زعمهما ان القراءة ليست بركن مشهودا يشهده ملائكة الليل والنهار ينزل
هؤلاء ويصعد هؤلاء وهو في اخر ديوان الليل واول ديوان النهار او يشهده الكثير من المصلين في العادة او من حقه ان يكون مشهودا بالجماعة
الكثيرة ويجوز ان يكون وقرآن الفجر حثا على طول القراءة في صلاة الفجر لكونها مكثورا عليها ليسمع الناس القرآن فيكثر الناس الثواب ولذلك
كانت الفجر اكثر الصلاة قراءة ومن الليل وعليك بعض الليل فتهجد به والتهجد ترك الهجود للصلاة وجوه النائم والتحرج ويقال ايضا
في النوم تهجد نافلة في اليوم تهجد نافلة لك عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس وضع نافلة موضع تهجدا لان التهجد عبادة زائدة وكان
التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد والمعنى ان التهجد زيد لك على الصلوات المفروضة فريضة عليك خاصة دون غيرك لانه تطوع
لهم مقاما محمودا نصب على الظرف اي عسى ان يبعثك يوم القيامة فيقيمك مقاما محمودا او ضمن يبعثك معنى يقيمك ويجوز ان يكون
حالا بمعنى ان يبعثك ذا مقام محمود ومعنى المقام المحمود المقام الذي يحمد القائم فيه وكل من راه وعرفه وهو مطلق في كل
ما جلب الحمد من انواع الكرامات وقيل المراد الشفاعة وهي نوع واحد مما يتناوله وعن ابن عباس رضي الله عنهما مقاما يحمدك
فيه الاولون والاخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسل فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوائك وعن ابي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم هو المقام الذي اشفع فيه لامتي وعن حذيفة رضي الله عنه يجمع الناس في صعيد فلا تكلم نفس
فاول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهتدي من هديت وعبدك بين يديك
وبك واليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فهذا قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا
قرئ مدخل ومخرج بالضم والفتح بمعنى المصدر ومعنى الفتح ادخلني فادخل مدخل صدق اي ادخلني القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا
على طهارة وطيب من السيئات واخرجني منه عند البعث اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة امنا من السخط يدل عليه ذكره على اثر
ذكر البعث وقيل نزلت حين امر بالهجرة يريد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخال مكة ظاهرا عليها بالفتح واخراجه منها
امنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من عظيم الامر وهو النبوة واخراجه منه مؤديا
لما كلفه من غير تفريط وقيل الطاعة وقيل هو عام في كل ما يدخل فيه ويلابسه من امر ومكان سلطانا حجة تنصرني على من خالفني
او ملكا وعزا قويا ناصرا للاسلام على الكفر مظهرا له عليه فاجيبت دعوته بقوله تعالى والله يعصمك من الناس الا ان حزب
الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنكم في الارض ووعده لينزعن ملك فارس والروم فيجعله له وعنه صلى
الله عليه وسلم انه استعمل عتاب بن اسيد على اهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك على اهل الله فكان شديدا على
المريب لينا على المؤمنين وقال لا والله لا اعلم متخلفا يتخلف عن الصلوة في جماعة الا ضربت عنقه فانه لا يتخلف عن الصلاة الا منافق
فقال اهل مكة يا رسول الله لقد استعملت على اهل الله عتاب بن اسيد اعرابيا جافيا فقال صلى الله عليه وسلم اني رايت فيما يرى النائم كان عتاب
ابن اسيد اتى باب الجنة فاخذ بحلقة الباب فقلقلها قلقالا شديدا حتى فتح الله فاعز الله به الاسلام لنصرته على المسلمين على من يريد ظلمهم
فذلك السلطان النصير كان حول البيت ثلثمائة وستون صنما صنم كل قوم بحيالهم وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت لقبائل العرب يحجون
اليها وينحرون لها فشكا البيت الى الله فقال اي رب حتى متى تعبد هذه الاصنام حولي دونك فاوحى الله الى البيت اني ساحدث لك نوبة جديدة

فانكوا

فالملوك حدودا سجدا يدفون اليك دفيف النسور ويجيئون اليك حنين الطير الى بيضها لهم عجيج حولك بالتلبية ولما نزلت
هذه الاية يوم الفتح قال جبريل عليه الصلوة والسلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم خذ مخصرتك ثم القها فجعل ياتي
صنما صنما وهو ينكت بالمخصرة في عينيه ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى القاها جميعا وبقي صنم خزاعة فوق
الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا علي ارم به فحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد فرمى بها فكسره فجعل اهل
تعجبون ما راينا رجلا اسحر من محمد وسكانه البيت والوحي اليه تمثيل وحمل وزهق الباطل وذهب وهلك من
قولهم زهقت نفسه اذا خرجت والحق الاسلام والباطل الشرك كان زهوقا كان مضمحلا غير ثابت في كل وقت
وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا وَإِذَا أَنْعَمْنَا
عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ
بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا
وننزل قرئ بالتشديد والتخفيف من القرآن من للتبيين كقوله من الاوثان او للتبعيض اي كل شيء
نزل من القرآن فهو شفاء للمؤمنين يزدادون به ايمانا ويستصلحون به دينهم فموقعه منهم موقع
الشفاء من المرضى وعن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله ولا يزداد به
الكافرون الا خسارا اي نقصانا لتكذيبهم وكفرهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم واذا انعمنا
على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله كانه مستغن عنه مستبد بنفسه ونأى بجانبه تأكيد للاعراض
لان الاعراض عن الشيء ان يوليه عرض وجهه والنأي بالجانب ان يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره او اراد الاستكبار
لان ذلك من عادة المستكبرين واذا مسه الشر من فقر او مرض او نازلة من النوازل كان يؤسا شديد الياس
من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرئ وناء بجانبه بتقديم اللام على العين كقولهم راء في رأى
ويجوز ان يكون من ناء بمعنى نهض قل كل احد يعمل على شاكلته اي على مذهبه وطريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة
من قولهم طريق ذو شواكل وهي الطرق التي تتشعب منه والدليل عليه قوله فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اي اسد مذهبا
وطريقة الاكثر على انه الروح الذي في الحي سألوه عن حقيقته فاخبر انه من امر الله اي مما استأثر بعلمه وعن
ابن عباس رضي الله عنه مضى النبي صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح وقيل هو خلق عظيم روحاني اعظم من الملك وقيل جبريل
وقيل القرآن ومن امر ربي من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر بعثت اليهود الى قريش ان سلوه عن اصحاب الكهف
وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم
القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التوراة فندموا على سؤالهم وما اوتيتم من العلم الخطاب عام وروي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب ام انت معنا فيه فقال نحن ولم تؤتوا
من العلم الا قليلا فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا
فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وليس ما قالوا بلازم لان القلة والكثرة تدوران مع الاضافة فيوصف الشيء
بالقلة مضافا الى ما فوقه وبالكثرة مضافا الى ما تحته فالحكمة التي اوتيها العبد خير كثير في نفسها الا انها اذا اضيفت
الى علم الله عز وجل فهي قليلة وقيل هو خطاب لليهود خاصة لانهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم قد اوتينا التورية
وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التورية قليل في جنب علم الله
وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ~~لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا وَلَوْلَا أَنْ~~
~~ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا~~ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ
كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ

بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا لا يأتون جواب قسم محذوف مع سادّه عن جزاء الشرط واللام الداخلة على ان موطئة للقسم والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقران ومحوناه عن الصدور وعن المصاحف فلم نترك له اثرا وبقيت كما كنت لا تدري ما الكتاب ثم لا تجد لك بعد الذهاب به من تتوكل عليه باسترداده واعادته محفوظا مسطورا الا رحمة من ربك الا ان يرحمك ربك فيرده عليك كان رحمته تتوكل عليه بالرد او يكون على الاستثناء المنقطع بمعنى ولكن رحمة ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القران محفوظا بعد المنة العظيمة في تنزيله وتحفيظه فعلى كل ذي علم ان لا يغفل عن هاتين المنتين والقيام بشكرهما وهما منة الله تعالى عليه بحفظه العلم ورسوخه في صدره ومنته عليه في ابقاء المحفوظ وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان اول ما تفقدون من دينكم الامانة واخر ما تفقدون الصلاة وليصلين قوم ولا دين لهم وان هذا القران يصبح يوما وما فيكم منه شيء فقال رجل كيف ذلك وقد اثبتناه في قلوبنا واثبتناه في مصاحفنا نعلمه ابناءنا ويعلمه ابناؤنا ابناءهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقراء ترفع المصاحف وينزع ما في القلوب لا يأتون جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة للقسم لجاز ان يكون جوابا للشرط كقوله يقول لا غائب مالي ولا حرم لان الشرط وقع ماضيا اي لو تظاهروا على ان يأتوا بمثل القران في بلاغته وحسن نظمه وتأليفه وفيهم العرب العاربة ارباب البيان لعجزوا عن الاتيان بمثله والعجب من النواصب ومن زعمهم ان القران قديم مع اعترافهم بانه معجز وانما يكون العجز حيث تكون القدرة فيقال الله قادر على خلق الاجسام والعباد عاجزون عنه واما المحال الذي لا مجال فيه للقدرة ولا مدخل لها فيه كثاني القديم فلا يقال للفاعل قد عجز عنه ولا هو معجز ولو قيل ذلك لجاز وصف الله تعالى بالعجز لانه لا يوصف بالقدرة على المحال الا ان يكابروا فيقولوا هو قادر على المحال فان رأس مالهم المكابرة وقلب الحقائق ولقد صرفنا للناس في هذا القران من كل مثل فأبى اكثر الناس الا كفورا وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا ولقد صرفنا رددنا من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه والكفور الجحود وكررنا

كيف جاز فأبى اكثر الناس الا كفورا ولم يجز ضربت الا زيدا لان

ابى مأول بالنفي كانه قيل فلم يرضوا الا كفورا ولما تبين اعجاز القران وانضمت اليه المعجزات الاخر والبينات ولزمتهم الحجة وغلبوا اخذوا يتعللون باقتراح الايات فعل المبهوت المحجوج المتعثر في اذيال الحيرة فقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر تفتح وقرئ تفجر بالتخفيف من الارض يعنون ارض مكة ينبوعا عينا غزيرة من شأنها ان تنبع بالماء لا تنقطع يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء كما زعمت يعنون قول الله تعالى ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء وقرئ كسفا بسكون السين جمع كسفة او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا من او تأتي بالله والملائكة قبيلا او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا او نسقط عليهم كسفا من السماء وقرئ كسفا من سكون السين جمع كسفة كسدرة وسدر وبفتحه قبيلا كفيلا بما تقول شاهدا بصحته والمعنى او تأتي بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا كقوله

اني كنت منه ووالدي بريا • واني وقيار بها لغريب •

او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا او جماعة حالا من الملائكة من زخرف من ذهب في السماء في معارج السماء فحذف المضاف يقال رقي في السلم وفي الدرجة ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا من السماء فيه تصديقك وعن ابن عباس رضي الله عنه قال عبد الله بن ابي امية لن نؤمن لك حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر حتى تأتيها ثم تأتي معك بصك منشور معه اربعة من الملائكة يشهدون وذلك كما تقول وما كانوا يقصدون

السلم الدرجة

أو تأتي بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى
تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا
وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا قل لو كان
في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم

بهذه الاقتراحات الا العناد واللجاج ولو جاءتهم كل اية لقالوا هذا سحر كما قال تعالى ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس ولو فتحنا
عليهم بابا من السما فظلوا فيه يعرجون وحين انكروا الاية الباقية التى هى القران وساير الايات وليست هى بدون ما اقترحوا
بل هى اعظم لم يكن الا التعنت سبيل قل سبحان ربى وقرى قال سبحان ربى اى قال الرسول صلى الله عليه وسلم وسبحان ربى
تعجب من اقتراحاتهم عليه هل كنت الا رسولا كسائر الرسل بشرا مثلهم وكان الرسل عليهم السلم لا يأتون قومهم الا بما
يظهره الله عليهم من الايات فليس امر الايات الى انما هو الى الله فما بالكم تتخيرونها على ● ان الاولى نصبت مفعول
بان يمنع والثانية رفع فاعل له والهدى الوحى اى وما منعهم الايمان بالقران وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا شبهة
تلجلجت فى صدورهم وهى انكارهم ان يرسل الله البشر والهمزة فى ابعث الله للانكار وما انكروه خلافه هو
المنكر عند الله عز وجل لان قضية حكمته الا يرسل ملك الوحى الا الى امثاله او الى الانبياء ثم قرر ذلك بانه لو كان
فى الارض ملئكة يمشون مطمئنين على اقدامهم كما يمشى الانس ولا يطيرون باجنحتهم الى السما فيسمعون
من اهلها ويعلمون ما يجب علمه مطمئنين ساكنين فى الارض لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا يعلمهم
الخير ويهديهم المراشد فاما الانس فما هم بهذه المثابة انما يرسل الملك الى مختارهم منهم للنبوة فيقوم ذلك
المختار بدعوتهم وارشادهم **فان قلت** هل يجوز ان يكون بشرا وملكا منصوبين على الحال من رسولا
قلت وجه حسن والمعنى اجوب قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم انه كان بعباده خبيرا
بصيرا ومن يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد لهم اوليا من دونه ونحشرهم يوم القيمة
على وجوههم عميا وبكما وصما ماويهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا ذلك جزاؤهم بانهم كفروا
باياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا شهيدا بينى وبينكم على انى بلغت ما
ارسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم انه كان بعباده المنذرين والمنذرين خبيرا عالما باحوالهم فهو مجازيهم
وهذه تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفرة وشهيدا تمييز او حال ● ومن يهد الله ومن يوفقه ويلطف
به فهو المهتد لانه لا يلطف الا بمن عرف ان اللطف ينفع فيه ومن يضلل ومن يخذل فلن تجد لهم اوليا انصارا
على وجوههم كقوله يوم يسحبون فى النار على وجوههم ● وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون
على وجوههم قال ان الذى امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما كما كانوا فى الدنيا
لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه فهم فى الاخرة كذلك لا يبصرون ما يقر اعينهم
ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الاخرة اعمى ويجوز ان
يحشروا مؤفى الحواس من الموقف الى النار بعد الحساب ● فقد اخبر عنهم فى موضع اخر انهم يقرؤن ويتكلمون
كلما خبت كلما اكلت جلودهم ولحومهم وافنتها فسكن لهبها بدلوا غيرها فرجعت متلهبة مستعرة كانهم لما
كذبوا بالاعادة بعد الافنا جعل الله سبحنه جزاهم ان سلط النار على اجزائهم تاكلها وتفنيها ثم يعيدها لا يزالون
على الافناء والاعادة ليزيد ذلك من حسرتهم على تكذيبهم البعث ولانهم به ادخل فى الانتقام من الجاحد
وقد دل سبحانه على ذلك بقوله ذلك جزاؤهم الى قوله انا لمبعوثون خلقا جديدا **فان قلت** علام
عطف قوله وجعل لهم اجلا **قلت** على قوله اولم يروا لان المعنى قد علموا بدليل العقل ان من قدر على خلق
السموات والارض فهو قادر على خلق امثالهم من الانس لانهم ليسوا باشد خلقا منهن كما قال سبحانه وتعالى ءانتم
اشد خلقا ام السماء اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم
وجعل لهم اجلا لا ريب فيه فابى الظالمون الا كفورا قل لو انتم تملكون خزاين رحمة ربى
اذا لامسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا وجعل لهم اجلا لا ريب فيه وهو الموت

او القيمة فابوا مع وضوح الدليل الا جحودا • لو حقها ان تدخل على الافعال دون الاسما فلا بد من فعل بعدها في لو انتم
تملكون وتقديره لو تملكون تملكون فاضمر تملك اضمارا على شريطة التفسير وابدل من الضمير المتصل الذي هو
الواو ضمير منفصل وهو يقتضيه علم الاعراب فاما ما يقتضيه علم البيان فهو ان انتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص
وان الناس هم المختصون بالشح المتبالغ • ونحوه قول حاتم • لو ذات سوار لطمتني • وقول المتلمس •
• ولو غير اخوالي ارادوا نقيصتي • وذلك ان الفعل الاول لما سقط لاجل المفسر برز الكلام في صورة المبتدا والخبر • ورحمة الله
رزقه وسائر نعمه على خلقه ولقد بلغ هذا الوصف بالشح الغاية التي لا يبلغها الوهم وقيل هو لاهل مكة الذين اقترحوا من
الينبوع والانهار وغيرها وانهم لو ملكوا خزاين الارزاق لبخلوا بها قتورا ضيقا بخيلا **فان قلت** هل تقدير لامسكتم
مفعولا **قلت** لا لان معناه لبخلتم كقولك للبخيل ممسك ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات
فسئل بني اسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا قال لقد علمت ما انزل
هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر واني لاظنك يا فرعون مثبورا فاراد ان يستفزهم من الارض
فاغرقناه ومن معه جميعا وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة
جئنا بكم لفيفا وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا وقرآنا فرقناه لتقرأه
على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا عن ابن عباس رضي الله عنه هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم
والحجر والبحر والطور الذي نتقه على بني اسرائيل وعن الحسن رضي الله عنه الطوفان والسنون ونقص الثمرات
مكان الحجر والبحر والطور • وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه انه سال محمد بن كعب رضي الله عنه فذكر اللسان
والطمس فقال له عمر كيف يكون الفقيه الا هكذا اخرج يا غلام ذلك الجراب فاخرجه فنفضه فاذا بيض مكسور نصفين
وجوز مكسور وفوم وحمص وعدس كلها حجارة • وعن صفوان بن عسال رضي الله عنه ان بعض اليهود سال رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن ذلك فقال اوحى الله الى موسى ان قل لبني اسرائيل لا تشركوا بالله شيا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربا ولا تمشوا ببري الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا المحصنة ولا
تفروا من الزحف وانتم يا يهود خاصة لا تعدوا في السبت فسل بني اسرائيل فقلنا له سل بني اسرائيل اي سلهم من فرعون
وقل له ارسل بني اسرائيل او سلهم عن ايمانهم وعن حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك وتكون قلوبهم وايديهم معك
ويدل عليه قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال بني اسرائيل على لفظ الماضي بغير همز وهي لغة قريش • وقيل فسل
يا رسول الله المومنين من بني اسرائيل وهم عبد الله بن سلام واصحابه رضي الله عنهم عن الآيات ليزدادوا يقينا وطمانينة
قلب لان الادلة اذا تظاهرت كان ذلك اقوى واثبت كقول ابراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبي
فان قلت بم تعلق اذ جاءهم **قلت** اما على الوجه الاول فبالقول المحذوف اي فقلنا له سلهم حين
جاءهم او بسال في القراءة الثانية واما على الاخيرة فبآتينا او باضمار اذكر او يخبرونك ومعنى اذ جاءهم اذ جاء اباءهم مسحورا
سحرت فخولط عقلك لقد علمت يا فرعون ما انزل هؤلاء الآيات الا الله عز وجل بصاير بينات مكشوفات ولكنك معاند
مكابر ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا • وقرئ علمت بالضم على معنى اني لست بمسحور كما وصفتني بل انا
عالم بصحة الامر وان هذه الآيات منزلها رب السموات والارض ثم قارع ظنه بظنه كانه قال ان ظننتني مسحورا
فانا اظنك مثبورا هالكا وظني اصح من ظنك لان له امارة ظاهرة وهي انكارك ما عرفت صحته ومكابرتك لآيات
الله بعد وضوحها واما ظنك فكذب بحت لان قولك مع علمك بصحة امري اني لاظنك مسحورا قول كذاب •
وقال الفرا مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على قلبك من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما منعك وصرفك • وقرا ابي بن
كعب رضي الله عنه وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام هي الفارقة فاراد فرعون ان يستخف موسى

وقومه

وقومه من ارض مصر وتخرجهم منها او تنفيهم عن ظهر الارض بالقتل والاستيصال فحاق به مكره بان استفزه الله عز وجل باغراقه مع قبطه اسكنوا الارض التي اراد فرعون ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الاخرة جئنا بكم لفيفا يعني قيام الساعة جئنا بكم لفيفا يعني جميعا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز بين سعدائكم واشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما انزلنا القران الا بالحكمة المقتضية لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير او ما انزلناه من السماء الا محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين وما ارسلناك الا لتبشرهم بالجنة وتنذرهم من النار ليس اليك وراء ذلك شيء من اكراه على الدين او نحو ذلك وقرانا منصوب بفعل يفسره فرقناه. وقرا ابي رضي الله عنه بالتشديد اي جعلنا نزوله مفرقا منجما. وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قراه مشددا وقال لم ينزل في يومين او ثلاثة بل كان بين اوله واخره عشرون سنة يعني ان فرق بالتخفيف يدل على فصل متقارب على مكث بالفتح والضم وتؤدة وتثبت ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث. قل امنوا به او لا تؤمنوا ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا. قل امنوا به او لا تؤمنوا امره بالاعراض عنهم واحتقارهم والازدراء بشانهم وان لا يكترث بهم وبايمانهم وبامتناعهم عنه وانهم ان لم يدخلوا في الايمان ولم يصدقوا بالقران وهم اهل جاهلية وشرك فان خيرا منهم وافضل وهم العلماء الذين قرؤوا الكتب. وعلموا ما الوحي وما الشرائع قد امنوا به وصدقوه وثبت عندهم انه النبي العربي الموعود في كتبهم فاذا تلي عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لامره ولانجازه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القران عليه وهو المراد بالوعد في قوله ان كان وعد ربنا لمفعولا ويزيدهم خشوعا اي يزيدهم القران لين قلب ورطوبة عين فان قلت ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل لماذا قلت يجوز ان يكون تعليلا لقوله امنوا به او لا تؤمنوا وان يكون تعليلا لقوله امنوا به لقل على سبيل التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتطييب قلبه كانه قيل تسل عن ايمان الجهلة بايمان العلماء وعلى الاول ان لم تؤمنوا به لقد امن به من هو خير منكم فان قلت ما معنى الخرور للاذقان قلت السقوط على الوجه وانما ذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين لان الساجد اول ما يلقى به الارض من وجهه الذقن فان قلت حرف الاستعلاء ظاهر والمعنى اذا قلت خر على وجهه وعلى ذقنه فما معنى اللام في خر لذقنه ولوجهه قال فخر صريعا لليدين وللفم. قلت معناه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به لان اللام للاختصاص فان قلت لم كرر يخرون للاذقان قلت لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين وخرورهم في حال كونهم باكين وعن ابن عباس رضي الله عنه انه سمعه ابو جهل يقول يا الله يا رحمان فقال انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها اخر وقيل ان اهل الكتاب قالوا انك لتقل ذكر القران وقد اكثر الله في التوراة هذا الاسم فنزلت والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو يتعدى الى مفعولين يقول تقول دعوته زيدا ثم يترك احدهما استغناء عنه فيقول دعوت زيدا والله والرحمن الرحيم المراد الاسم لا المسمى واو للتخيير يعني ادعوا الله او ادعوا الرحمن سموا بهذا الاسم او بهذا او اذكروا اما هذا او اما هذا والتنوين في ايا عوض من المضاف اليه وما صلة للابهام المؤكد لما في اي اي اي هذين الاسمين سميتم وذكرتم فله الاسماء الحسنى والضمير في فله ليس براجع الى احد الاسمين المذكورين ولكن الى مسماهما وهو ذاته عز وعلا لان التسمية للذات لا للاسم

والمعنى اياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت اسماؤه كلها حسن هذان الاسمان
لانهما منها ومعنى كونها احسن الاسماء انها مستقلة بمعاني التحميد والتقديس والتعظيم. بصلاتك بقراءة صلاتك على
حذف المضاف لانه لا يلبس من قبل ان الجهر والمخافتة صفتان تعتقبان على الصوت لا غير والصلاة افعال واذكار وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بقراءته فاذا سمعها المشركون لغوا وسبوا فامر ان يخفض من صوته والمعنى لا تجهر
حتى تسمع المشركين ولا تخافت بها حتى لا تسمع من خلفك وابتغ بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا وروى ان ابا بكر كان يخفي
وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا وروى ان ابا بكر كان يخفي
صوته بالقراءة في صلاته ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وكان عمر رضي الله عنه يرفع صوته ويقول ازجر الشيطان
واوقظ الوسنان فامر ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت
بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار. وقيل بصلاتك بدعائك وذهب
قوم الى ان الآية منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية. وابتغاء السبيل مثل لانتحاء الوجه الوسط في القراءة. ولي
من الذل ناصر من الذل ومانع له منه لاعتزازه به او لم يوال احدا من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته.
فان قلت كيف لاق وصفه بنفي الولد والشريك والذل بكلمة التوحيد قلت لان من هذا وصفه
هو الذي يقدر على ايلاء كل نعمة فهو الذي يستحق جنس الحمد وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا افصح الغلام
من بني عبد المطلب علمه هذه الآية. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة بني اسرائيل فرق
قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية

سورة الكهف مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي مائة واحدى عشرة آية

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا
من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه
ابدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج
من افواههم ان يقولون الا كذبا لقن الله عز وجل عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على
اجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الاسلام وما انزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم
وفوزهم ولم يجعل له عوجا ولم يجعل له شيئا من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان والمراد نفي
الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شيء منه من الحكمة والاصابة فيه فان قلت بم انتصب
قيما قلت الاحسن ان ينتصب بمضمر ولا يجعل حالا من الكتاب لان قوله ولم يجعل معطوفا على انزل فهو داخل
في حيز الصلة فجاعله حالا من الكتاب فاصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة وتقديره ولم يجعل له عوجا جعله
قيما لانه اذا نفى عنه العوج فقد اثبت له الاستقامة فان قلت ما فائدة الجمع بين نفي العوج واثبات
الاستقامة وفي احدهما غنى عن الآخر قلت فائدته التأكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو
من ادنى عوج عند السبر والتصفح. وقيل قيما على سائر الكتب مصدقا لها شاهدا بصحتها. وقيل قيما بمصالح العباد
وما لا بد لهم منه من الشرائع. وقرئ قيما. انذر متعد الى مفعولين كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا فاقتصر على
احدهما واصله لينذر الذين كفروا بأسا شديدا والبأس من قوله بعذاب بئيس. وقد بؤس العذاب وبؤس
الرجل بأسا وبآسة من لدنه صادرا من عنده. وقرئ من لدنه بسكون الدال مع اشمام الضمة وكسر النون. ويبشر

ويبشر بالتخفيف والتثقيل فان قلت لم اقتصر على مفعولي انذر قلت قد جعل المنذر به هو الغرض
المسوق اليه فوجب الاقتصار عليه والدليل عليه تكرير الانذار في قوله وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا متعلقا
بالمنذرين من غير ذكر المنذر به كما ذكر المبشر به في قوله ان لهم اجرا حسنا استغناء بتقدم ذكره والاجر الحسن
الجنة ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه يعني ان قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد الاباء
وقد اشتملته اباؤهم من الشيطان وتسويله فان قلت اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل
ما لهم به من علم قلت معناه ما لهم به من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم بالشيء اما للجهل بالطريق
الموصل اليه واما لانه في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به قرئ كبرت كلمة وكلمة بالنصب على التمييز والرفع
على الفاعلية والنصب اقوى وابلغ وفيه معنى التعجب كانه قيل ما اكبرها كلمة وتخرج من افواههم صفة للكلمة تفيد
استعظاما لاجترائهم على النطق بها واخراجها من افواههم فان كثيرا مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس
ويحدثون به انفسهم من المنكرات لا يتمالكون ان يتفوهوا به ويطلقوا به السنتهم بل يكظمون عليه
تشورا من اظهاره فكيف بمثل هذا المنكر وقرئ كبرت بسكون الباء مع اشمام الضمة فان قلت الام
ترجع الضمير في كبرت قلت الى قوله اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها شبهه واياهم
حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد والاسف على توليهم برجل فارقته احبته واعزته فهو
يتساقط حسرات على اثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم فلعلك باخع نفسك على
اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم
ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ام حسبت ان اصحاب الكهف
والرقيم كانوا من اياتنا عجبا قرئ باخع نفسك على الاصل وعلى الاضافة اي قاتلها ومهلكها وهو للاستقبال
فيمن قرا ان لم يؤمنوا بمعنى لان لم يؤمنوا بهذا الحديث بهذا القران اسفا مفعول له اي لفرط الحزن ويجوز ان
يكون حالا والاسف المبالغة في الحزن والغضب يقال رجل اسف واسيف ما على الارض يعني ما يصلح ان يكون
زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها لنبلوكم ايكم احسن عملا وحسن العمل الزهد فيها
وترك الاغترار بها ثم زهد في الميل اليها بقوله وانا لجاعلون ما عليها من هذه الزينة صعيدا جرزا يعني مثل
ارض بيضاء لا نبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة في ازالة بهجته واماطة حسنه وابطال ما به كان زينة من اماتة
الحيوان وتجفيف النبات والاشجار ونحو ذلك ذكر من الايات الكلية تزيين الارض بما خلق فوقها من الاجناس التي
لا حصر لها وازالة ذلك كله كان لم يكن ثم قال ام حسبت يعني ان ذلك اعظم من قصة اصحاب الكهف وابقاء
حياتهم مدة طويلة والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم كلبهم قال امية بن ابي الصلت

وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد

وقيل هو لوح من رصاص رقمت فيه اسماؤهم جعل على باب الكهف وقيل ان الناس رقموا حديثهم نقرا في الجبل وقيل
هو الوادي الذي فيه الكهف وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين عصبان وايلة دون فلسطين كانوا اية
عجبا من اياتنا وصفا بالمصدر او على ذات عجب من لدنك رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق
والامن من الاعداء وهيئ لنا من امرنا الذي نحن فيه من مفارقة الكفار رشدا كله كقولك رايت منك رشدا
فضربنا على اذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا نحن
نقص عليك نباهم بالحق انهم فتية امنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ
قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا

فضربنا على اذانهم اى ضربنا عليها حجابا من ان تسمع يعنى انمناهم انامة ثقيلة لا تنبههم فيها الاصوات كما ترى المستثقل
فى نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه فحذف المفعول الذى هو الحجاب كما يقال بنى على امرأته يريدون بنى
عليها القبة سنين عددا ذوات عدد فيحتمل ان يريد الكثرة وان يريد القلة لان الكثير قليل عنده كقوله لم يلبثوا
الا ساعة من نهار وقال الزجاج اذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج ان يعد واذا كثر احتاج الى ان يعد اى يتضمن معنى
الاستفهام فعلق عنه ليعلم فلم يعمل فيه وقرئ ليعلم وهو معلق عنه ايضا لان ارتفاعه بالابتداء لا باسناد يعلم
اليه وفاعل يعلم مضمون الجملة كما انه مفعول يعلم اى الحزبين المختلفين منهم فى مدة لبثهم لانهم لما انتبهوا اختلفوا
فى ذلك وذلك قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم
اعلم بما لبثتم هم الذين علموا ان لبثهم قد تطاول او اى الحزبين المختلفين من غيرهم واحصى فعل ماض اى ايهم ضبط
امدا لاوقات لبثهم **فان قلت** فما تقول فيمن جعله من افعل التفضيل **قلت** ليس بالوجه السديد
وذلك ان بناءه من غير الثلاثى المجرد ليس بقياس ونحو اعدى من الجرب وافلس من ابن المذلق والقياس على
الشاذ فى غير القرآن ممتنع فكيف به ولان امدا لا يخلو اما ان ينصب بافعل فافعل لا يعمل واما ان ينصب بلبثوا فلا
يسد عليه المعنى فان زعمت انى انصبه باضمار فعل يدل عليه احصى كما اضمر فى قوله واضرب
منا بالسيوف القوانسا فقد ابعدت المتناول وهو قريب حيث ابى ان يكون احصى فعلا ثم رجعت الى
تقديره واضماره **فان قلت** كيف جعل الله تعالى العلم باحصائهم المدة غرضا فى الضرب على اذانهم
قلت الله عز وجل لم يزل عالما بذلك وانما اراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا
واعتبارا ويكون لطفا لمؤمنى زمانهم واية بينة لكفاره وزدناهم هدى بالتوفيق والتثبيت وربطنا
على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الاوطان والنعيم والفرار بالدين الى بعض الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة
الحق والتظاهر بالاسلام اذ قاموا بين يدى الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة
الصنم فقالوا ربنا رب السموات والارض شططا قولا ذا شطط وهو الافراط فى الظلم والابعاد فيه من شط
اذا بعد ومنه اشط فى السوم وفى غيره **هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه الهة لولا يأتون عليهم بسلطان
بين فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف
ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم
ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه ذلك من ايات الله من
يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا** هؤلاء مبتدأ وقومنا عطف
بيان واتخذوا خبر وهو اخبار فى معنى انكار لولا يأتون عليهم هلا يأتون على عبادتهم فحذف المضاف بسلطان
بين وهو تبكيت لان الاتيان بالسلطان على عبادة الاوثان محال وهو دليل على فساد التقليد وانه لا بد فى الدين
من الحجة حتى يصح ويثبت افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه واذ اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض حين
صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم وما يعبدون نصب عطف على الضمير يعنى واذ اعتزلتموهم واعتزلتم معبودهم
الا الله يجوز ان يكون استثناء متصلا على ما روى انهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه كما اهل مكة وان يكون
منقطعا وقيل هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية انهم لم يعبدوا غير الله عز وجل مرفقا قرئ بكسر الميم
وفتحها وهو ما يرتفق به اى ينتفع به اما ان يقولوا ذلك ثقة بفضل الله عز وجل وقوة فى رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع
يقينهم واما ان يخبرهم به نبى فى عصرهم واما ان يكون بعضهم نبيا اصله تتزاور فخفف بادغام التاء فى الزاى
او حذفها وقرئ بهما وقرئ تزور وتزوار بوزن تحمر وتحمار وكلها من الزور وهو الميل ومنه زاره اذا مال

لنه والزور الميل عن الصدق • ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين • تقرضهم تقطعهم لا تقربهم
من معنى القطيعة والصرم قال ذو الرمة

• الى ظعن يقرضن اقواز مشرف • شمالا وعن ايمانهن الفوارس •

وهم في فجوة منه وهم في متسع من الكهف والمعنى انهم في ظل نهارهم كله لا يصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها
مع انهم في مكان واسع منفتح معرض لاصابة الشمس لولا ان الله يحجبها وقيل في متفسح من غارهم ينالهم فيه روح
الهوا وبرد النسيم لا يحسون كرب الغار ذلك من آيات الله اى ما صنعه الله عز وجل بهم من ازورار الشمس وقرضها
طالعة وغاربة آية من آياته يعني ان ما كان في ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة
وقيل باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش فهم في مقناة ابدا • ومعنى ذلك من آيات الله ان شانهم وحديثهم من
آيات الله من يهد الله فهو المهتد ثنا عليهم بانهم جاهدوا في الله واسلموا له وجوههم فلطف بهم واعانهم وارشدهم
الى نيل تلك الكرامة والاختصاص بالآية العظيمة وان كل من سلك طريقة المهتدين الراشدين فهو الذي اصاب الفلاح
واهتدى الى السعادة • ومن يتعرض للخذلان فلن تجد من يليه ويرشده بعد خذلان الله عز وجل وَتَحْسَبُهُمْ
أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ
عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ
لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى
الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا
عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا وتحسبهم بكسر السين وفتحها خطاب لكل احد
والايقاظ جمع يقظ كانكاد في نكد • قيل عيونهم منفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك ايقاظا • وقيل لكثرة تقلبهم
وقيل لهم تقليبتان في السنة • وقيل تقليبة واحدة في يوم عاشورا • وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله عز وجل وقرئ
وتقلبهم على المصدر منصوبا وانتصابه بفعل مضمر يدل عليه وتحسبهم ايقاظا كانه قيل وترى وتشاهد
تقلبهم • وقرأ جعفر الصادق رضي الله عنه وكالبهم اى صاحب كلبهم باسط ذراعيه حال ماضية لان اسم
الفاعل لا يعمل اذا كان في معنى المضي واضافته اذا اضيف حقيقية معرفة كغلام زيد الا اذا نوى حكاية الحال
الماضية • والوصيد الفنا • وقيل العتبة • وقيل الباب • وانشد يقول

• بارض فضا لا يسد وصيدها • علي ومعروفي بها غير منكر •

وقرئ ولملّئت بتشديد اللام للمبالغة وقرئ بتخفيف الهمزة وقلبها ياء • ورعبا بالتخفيف والتثقيل وهو
الخوف الذي يرعب الصدر اى يملاه وذلك لما البسهم الله تعالى من الهيبة • وقيل لطول اظفارهم وشعورهم
وعظم اجرامهم وقيل لوحشة مكانهم • وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء
فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنه ليس لك ذلك • قد منع الله تعالى من هو خير منك فقال لو اطلعت
عليهم لوليت منهم فرارا فقال معاوية لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا
الكهف بعث الله ريحا فاحرقتهم • وقرئ لو اطلعت بضم الواو • وكذلك بعثناهم وكما انمناهم تلك النومة
كذلك بعثناهم اذكارا بقدرته على الانامة والبعث جميعا ليسأل بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وما صنع الله
عز وجل بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله تعالى • ويزدادوا يقينا ويشكروا ما انعم به عليهم وكرموا
به قالوا لبثنا يوما او بعض يوم جواب مبني على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب
وانه لا يكون كذبا وان جاز ان يكون خطأ قالوا ربكم اعلم بما لبثتم انكار عليهم من بعضهم وان الله اعلم بمدة لبثهم

كان هؤلاء قد علموا بالادلة او بالهام من الله تعالى ان المدة متطاولة وان مقدارها مبهم لا يعلمه الا الله تعالى وروى انهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا انهم في يومهم فلما راوا ونظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا ذلك فان قلت كيف وصلوا قولهم فابعثوا احدكم بتذاكر حديث المدة قلت كانهم قالوا ربكم اعلم بذلك لا طريق لكم الى علمه فخذوا في شيء اخر مما يهمكم والورق الفضة مضروبة كانت او غير مضروبة ومنه الحديث ان عرفجة رضي الله عنه اصيب انفه يوم الكلاب فاتخذ انفا من ورق فانتن فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتخذ انفا من ذهب وقرئ بورقكم بسكون الراء وكسرها وقرأ ابن كثير رضي الله عنه بورقكم بكسر الراء وادغام القاف في الكاف وقرأ ابن محيصن انه كسر الواو واسكن الراء وادغم وهذا غير جائز لالتقاء الساكنين لا على حده وقيل المدينة طرسوس قالوا وتزودهم ما كان معهم من الورق عند فرارهم دليل على ان حمل النفقة وما يصلح المسافر هو راي المتوكلين على الله دون المتكلين على الانفاقات وعلى ما في اوعية القوم من النفقات ومنه قول عائشة رضي الله عنها لمن سالها عن محرم يشد عليه هميانه اوثق عليك نفقتك وما حكي عن بعض صعاليك العلماء انه كان شديد الحنين الى ان يرزق الحج الى بيت الله تعالى ويقول فيه ذلك فكانت مياسير اهل بلده كلما عزم منهم فوج على الحج اتوه فبذلوا له ان يحجوا به والحوا عليه فيعتذر اليهم ويحمد اليهم بذلهم فاذا انفضوا عنه قال لمن عنده ما لهذا السفر الا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن ايها اي اهلها فحذف الاهل كما في قوله واسئل القرية ازكى طعاما احل واطيب او اكثر وارخص وليتلطف وليتكلف اللطف والنيقة فيما يباشره من امر المبايعة حتى لا يغبن او في امر التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا يعني ولا يفعلن ما يؤدي من غير قصد منه الى الشعور بنا فسمى ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب فيه الضمير في انهم راجع الى الاهل المقدر في ايها يرجموكم يقتلوكم اخبث القتلة وهي الرجم وكانت عادتهم او يعيدوكم او يدخلوكم في ملتهم بالاكراه والعنف ويصيروكم اليها والعود في معنى الصيرورة اكثر شيء في كلامهم يقولون ما عدت افعل كذا يريدون ابتداء الفعل ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم في دينهم **وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم امرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا** وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة اطلعنا عليهم ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله حق وهو البعث لان حالهم في نومتهم وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم يبعث اذ يتنازعون متعلق باعثرنا اي اعثرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم امر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث وكان بعضهم يقول تبعث الارواح دون الاجساد وبعضهم يقول تبعث الاجساد مع الارواح ليرتفع الخلاف وليتبين ان الاجساد تبعث حية حساسة فيها ارواحها كما كانت قبل الموت فقالوا حين توفى الله عز وجل اصحاب الكهف ابنوا عليهم بنيانا اي على باب كهفهم لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة قال الذين غلبوا على امرهم من المسلمين وملكهم وكانوا اولى بهم وبالبناء عليهم لنتخذن على باب الكهف مسجدا يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وقيل اذ يتنازعون بينهم امرهم اي يتذاكر الناس بينهم امر اصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم وما اظهر الله عز وجل من الاية فيهم او يتنازعون بينهم تدبير امرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق اليهم فقالوا ابنوا على باب كهفهم بنيانا روي ان اهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الاصنام واكرهوا على عبادتها وممن شدد في ذلك دقيانوس فاراد فتية من اشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فابوا الا الثبات على الايمان والتصلب فيه ثم هربوا الى الكهف ومروا بالكلب فتبعهم فطردوه فانطقه الله عز وجل فقال

ما يريدون مني انا احب احبا الله عز وجل فناموا وانا احرسكم وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم
ودخلوا الكهف وكانوا يعبدون فيه ثم ضرب الله عز وجل على اذانهم وقبل ان يبعثهم الله تعالى ملكا مدينتهم
رجل صالح مومن وقد اختلف اهل مملكته في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته فاغلق بابه
ولبس مسحا وجلس على رماد وسال ربه ان يبين لهم الحق فالقى الله تعالى في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد
به فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام واخراج الورق وكان من ضرب
دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا الى الملك فقصوا عليه القصة فانطلق الملك واهل المدينة معهم
وابصروهم وحمدوا الله عز وجل على الاية الدالة على البعث ثم قالت الفتية الى الملك نستودعك الله
ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله انفسهم فالقى الملك عليهم ثيابه وامر
فجعل لكل واحد منهم تابوت من ذهب فراهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف
مسجدا ربهم اعلم بهم من كلام المتنازعين كانهم تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في اسمائهم واحوالهم
ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة ذلك قالوا ربهم اعلم بهم او من كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين
في حديثهم من اولئك المتنازعين ومن الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من
اهل الكتاب سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ
وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً
ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا سيقولون الضمير لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من اهل الكتاب والمومنين سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخر الجواب الى ان يوحى اليه فيه
فنزلت اخبارا بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم وان المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم قال ابن
عباس رضي الله عنه انا من اولئك القليل وروي ان السيد والعاقب واصحابهما من اهل نجران كانوا عند النبي
صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال
العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله
قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لسان جبريل عليه السلام وعن
علي رضي الله عنه هم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا مكسلمينيا ومشلينيا هولاء اصحاب يمين الملك وكان عن
يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هولاء الستة في امره والسابع الراعي الذي
وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم افسوس واسم كلبهم قطمير فان قلت لم جاء بسين
الاستقبال في الاول دون الاخرين قلت فيه وجهان ان يدخل الاخرين في حكم السين كما تقول قد
اكرم وانعم تريد معنى التوقع في الفعلين جميعا وان يريد بيفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له رجما بالغيب
رميا بالخبر الخفي واتيانا به كقوله ويقذفون بالغيب اي ياتون به او وضع الرجم موضع الظن فكانه قيل ظنا بالغيب
لانهم اكثروا ان يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين الا ترى الى قول زهير
وما هو عنها بالحديث المرجم اي المظنون وقرى ثلاث رابعهم بادغام الثاء في تاء التانيث وثلثة خبر مبتدا محذوف
اي هم ثلثة وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم كلبهم جملة من مبتدا وخبر واقعة صفة لثلاثة وكذلك خامسهم
كلبهم وثامنهم كلبهم فان قلت فما هذه الواو الداخلة على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما
يدخل على الواقعة حالا الثالثة ولم دخلت عليها دون الاوليين قلت الواو التي تدخل على
الجملة الواقعة صفة للنكرة كما يدخل على الواقعة حالا من المعرفة في نحو قولك جاني رجل ومعه اخر ومررت

بزيد ومعه سيف ومنه قوله وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على اتصافه بها امر ثابت مستقر وهذه الواو هي التي اذنت بان الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم وطمانينة نفس ولم يرجموا بالظن كما غيرهم والدليل عليه ان الله سبحانه وتعالى اتبع القولين الاولين قوله رجما بالغيب واتبع القول الثالث قوله ما يعلمهم الا قليل وقال ابن عباس رضي الله عنه حين وقعت الواو انقطعت العدة اي لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت اليها وثبت انهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات وقيل الا قليل من اهل الكتاب والضمير في سيقولون على هذا لاهل الكتاب والضمير في سيقولون خاصة اي سيقول اهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا في قليل منهم واكثرهم على ظن وتخمين فلا تمار فيهم فلا تجادل اهل الكتاب في شان اصحاب الكهف الا مراء ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان يقص عليهم ما اوحى الله سبحانه اليك فحسب ولا يزيد من غير تجهيل لهم ولا تعنيف بهم في الرد عليهم كما قال وجادلهم بالتي هي احسن ولا تستفت ولا تسال احدا منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيئا فترده عليه وتزيف ما عنده لان ذلك خلاف ما وصيت به من المداراة والمجاملة ولا سؤال مسترشد لان الله قد ارشدك بان اوحى اليك قصتهم **وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا** ولا تقولن لشيء ولا تقولن لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل ذلك الشيء غدا اي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة الا ان يشاء الله كان معناه الا ان تعترض مشية الله دون فعله وذلك مما لا مدخل فيه للنهي وتعلقه بالنهي على وجهين احدهما ولا تقولن ذلك القول الا ان يشاء الله ان تقوله بان ياذن لك فيه والثاني ولا تقولنه الا بان يشاء الله اي الا بمشية الله وهو في موضع الحال يعني الا ملتبسا بمشية الله قائلا ان شاء الله وفيه وجه ثالث وهو ان يكون ان شاء الله في معنى كلمة تابيد كانه قيل ولا تقولنه ابدا ونحوه قوله وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله لان عودهم في ملتهم مما لن يشاء الله تعالى وهذا نهي تاديب من الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وذي القرنين فسالوه فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطا عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش واذكر ربك اي مشية ربك وقل ان شاء الله ان فرط منك نسيان لذلك والمعنى اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر وعن ابن عباس رضي الله عنه ولو بعد سنة ما لم يحنث وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه ولو بعد يوم او اسبوع او شهر او سنة وعن طاوس رضي الله عنه هو على ثنياه ما دام في مجلسه وعن الحسن رضي الله عنه نحوه وعن عطا رضي الله عنه يستثني على مقدار حلب ناقة غزيرة وعند عامة الفقهاء انه لا اثر له في الاحكام ما لم يكن موصولا وروي انه بلغ المنصور ان ابا حنيفة رحمة الله عليه خالف ابن عباس في الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال له ابو حنيفة هذا يرجع عليك انك تاخذ البيعة بالايمان افترضى ان يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه ورضي عنه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدا في البعث على الاهتمام بها وقيل واذكر ربك اذا تركت بعض ما امرك به وقيل واذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على اداء الصلوة المنسية عند ذكرها وهذا اشارة الى نبا اصحاب الكهف ومعناه لعل الله يؤتيني من البينات بالحجج على اني نبي صادق ما هو اعظم في الدلالة واقرب رشدا من نبا اصحاب الكهف وقد فعل

سبحنه د

هو

سبحنه ذلك حيث اتاه من قصص الانبيا والاخبار بالغيوب ما هو اعظم من ذلك وادل والظاهر ان يكون المعنى اذا نسيت شيا فاذكر ربك وذكر ربك عند نسيانه ان تقول عسى ان يهدين ربى لشئ اخر بدل هذا المنسى اقرب منه رشدا وادنى خيرا ومنفعة ولعل النسيان كان خيره كقوله او ننسها نات بخير منها ولبثوا فى كهفهم ثلثماية سنين يريد لبثهم فيه احيا مضروبا على اذانهم هذه المدة وهو بيان لما اجمل فى قوله فضربنا على اذانهم فى الكهف سنين عددا ومعنى قوله قل الله اعلم بما لبثوا انه اعلم من الذين اختلفوا فيه بمدة لبثهم والحق ما اخبرك به وعن قتادة رضى الله عنه انه حكاية لكلام اهل الكتاب وقل الله اعلم رد عليهم وقال فى حرف عبد الله وقالوا لبثوا سنين عطف بيان لثلاث مائة وقرى ثلثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد فى التمييز كقوله بالاخسرين اعمالا وفى قراءة ابى رضى الله عنه ثلثماية سنة تسعا تسع سنين لان ما قبله يدل عليه ثم ذكر تعالى اختصاصه بما غاب فى السموات والارض وخفى فيهما من احوال اهلها ومن غيرها وانه هو وحده العالم به وجاء بما دل على التعجب من ادراكه المسموعات والمبصرات للدلالة على ان امره تعالى فى الادراك خارج عن حد ما عليه ادراك السامعين والمبصرين لانه يدرك الطف الاشيا واصغرها كما يدرك اكبرها حجما واكثفها جرما ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر ما لهم الضمير لاهل السموات والارض من ولى من متول لامورهم ولا يشرك فى حكمه احدا فى قضائه احدا منهم وقرا الحسن رضى الله عنه ولا تشرك بالتا والجزم على النهى كانوا يقولون له ايت بقران غير هذا او بدله فقيل له واتل ما اوحى اليك من القران ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل فلا مبدل لكلمات ربك اى لا يقدر احد على تبديلها وتغييرها انما يقدر على ذلك هو وحده واذا بدلنا اية مكان اية ولن تجد من دونه ملتحدا واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجا تعدل اليه ان هممت بذلك قال قوم من رؤسا الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم نح هولاء الموالى الذين كان ريحهم ريح الضان وهم صهيب وعمار وخباب وغيرهم من فقرا المسلمين رضى الله عنهم حتى نجالسك كما قال قوم نوح انومن لك واتبعك الارذلون فنزلت واصبر نفسك مع واحبسها معهم وثبتها قال ابو ذويب

فصبرت عارفة لذلك حرة ترسو اذا نفس الجبان تطلع

بالغداة والعشى دائبين على الدعا فى كل وقت وقيل المراد صلاة الفجر والعصر وقرى بالغدوة وبالغداة اجود لان غدوة علم فى اكثر الاستعمال وادخال اللام على تاويل التنكير كما قال والزيد زيد المعارك ونحوه قليل فى كلامهم يقال عداه اذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره وجاءنى القوم عدا زيدا وانما عدى بعن لتضمين عدا معنى علا ونبا فى قولك نبت عنه عينه وعلت عنه عينه اذا اقتحمته ولم تعلق به فان قلت اى غرض فى هذا التضمين وهلا قيل ولا تعدهم عيناك ولا تعل عنهم عيناك قلت الغرض فيه اعطا مجموع معنيين وذلك اقوى من اعطا معنى فذ الا ترى كيف رجع المعنى الى قولك ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين الى غيرهم ونحوه قوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم اى ولا تضموها اليها اكلين لها وقرى ولا تعد عينيك ولا تعد عينيك من اعداه وعداه نقلا بالهمزة وتثقيل الحشو ومنه قوله فعد عما ترى اذ لا ارتجاع له لان معناه فعد همك عما ترى نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يزدرى بفقرا المومنين وان تنبو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى زى الاغنيا وحسن شارتهم تريد زينة الحياة الدنيا فى موضع الحال من اغفلنا قلبه غافلا عن الذكر بالخذلان او وجدناه غافلا عنه كقولك اجبنته وافحمته وابخلته اذا وجدته كذلك او من اغفل ابله اذا تركها غير مسمة

اى لم نسمها بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا فى قلوبهم الايمان وقد ابطل الله تعالى توهم المجبرة بقوله واتبع هواه وقرى
اغفلنا قلبه باسناد الفعل الى القلب على معنا حسبنا قلبه غافلين من اغفلته اذا وجدته غافلا فرطا متقدما للحق
والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط متقدم للخيل وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن
شاء فليكفر انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء
كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا وقل الحق من ربكم الحق خبر مبتدا محذوف
والمعنى جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق الا اختياركم لانفسكم ما شئتم من الاخذ فى طريق النجاة او فى طريق الهلاك
وجى بلفظ الامر والتخيير لانه لما مكن من اختيار ايهما شاء فكانه مخير مامور بان يتخير ما شاء من النجدين شبه ما يحيط
بهم من النار بالسرادق وهو الحجرة التى تكون حول الفسطاط وبيت مسردق ذو سرادق وقيل هو دخان يحيط بالكفار
قبل دخولهم النار وقيل حائط من نار يطيف بهم يغاثوا بماء كالمهل كقوله فاعتبوا بالصيلم وفيه تهكم والمهل ما
اذيب من جواهر الارض وقيل دردى الزيت يشوى الوجوه اذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته عن النبى
صلى الله عليه وسلم هو كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه بئس الشراب ذلك وساءت النار
مرتفقا متكا من المرفق وهذا لمشاكلة قوله حسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا اتكاء الا ان يكون
من قوله اتى ارقت فبت الليل مرتفقا كان عينى فيها الصاب مذبوح
اولئك خبران وانا لا نضيع اعتراض ولك ان تجعل انا لا نضيع واولئك خبرين معا او تجعل اولئك كلاما مستانفا
بيانا للاجر المبهم فان قلت اذا جعلت انا لا نضيع خبرا فاين الضمير الراجع منه الى المبتدا قلت
من احسن عملا منهم فكان كقولك السمن منوان بدرهم من الاولى لابتداء الغاية والثانية للتبيين
وتنكير اساور لابهام امرها فى الحسن وجمع بين السندس وهو ما رق من الديباج وبين الاستبرق وهو
الغليظ منه جمعا بين النوعين وخص الاتكاء لانه هيئة المتنعمين والملوك على اسرتهم واضرب لهم مثلا رجلين
جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين اتت اكلها
ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر
منك مالا واعز نفرا واضرب لهم مثلا رجلين ومثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا اخوين فى بنى
اسرائيل احدهما كافر اسمه قطروس والاخر مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران فى سورة والصافات فى قوله
قال قائل منهم انى كان لى قرين ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر ارضا بالف فقال
المؤمن اللهم ان اخى اشترى ارضا بالف دينار وانا اشترى منك ارضا فى الجنة بالف فتصدق به ثم بنى اخوه
دارا بالف دينار فقال اللهم انى اشترى منك دارا فى الجنة بالف فتصدق به ثم تزوج اخوه امراة بالف فقال
اللهم انى جعلت الفا صداقا للحور ثم اشترى اخوه خدما ومتاعا بالف فقال اللهم انى اشتريت منك الولدان
المخلدين بالف فتصدق به ثم اصابته حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر به فى حشمه فتعرض له فطرده ووبخه
على التصدق بماله وقيل هما مثل لاخوين من بنى مخزوم مؤمن وهو ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد وكان زوج
ام سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكافر وهو الاسود بن عبد الاسد جنتين من اعناب بساتين
من كروم وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين فى كرومهم ان يجعلوها
مؤزرة بالاشجار المثمرة يقال حفوه اذا اطافوا به وحففته بهم اى جعلتهم حافين حوله وهو متعد الى مفعول واحد
فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته وغشيته به وجعلنا بينهما زرعا جعلها ارضا جامعة للاقوات
والفواكه ووصف العمارة بانها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينها مع الشكل الحسن

والترتيب الانيق ونعتهما بوفاء الثمار وتمام الاكل من غير نقص ثم ما هو اصل الخير ومادته من امر الشرب فجعله افضل ما يسقى به وهو السيح بالنهر الجاري فيها والاكل الثمر وقرئ بضم الكاف ولم تظلم ولم تنقص وانث حملا على اللفظ لان كلتا لفظه لفظ مفرد ولو قيل اتتا على المعنى لجاز وقرئ وفجرنا على التخفيف وقرا عبد الله كل الجنتين اتى اكله برد الضمير على كل وكان له ثمر اي انواع من المال من ثمر ماله اذا كثره وعن مجاهد رضي الله عنه الذهب والفضة اي كانت له الى الجنتين الموصوفتين الاموال الدثرة من الذهب والفضة وغيرهما فكان وافر اليسار من كل وجه متمكنا من عمارة الارض كيف شا واعز نفرا يعني انصارا وحشما وقيل اولادا ذكورا لانهم ينفرون معه دون الاناث يحاوره يراجعه الكلام من حار يحور اذا رجع وسالته فما احار كلمة فطروس اخذ بيد المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه منهما ويفاخره بما ملك من المال دونه فان قلت لم افرد الجنة التي وعد المؤمنون مما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما وهو ظالم لنفسه وهو معجب بما اوتي مفتخر به كافر لنعمة ربه معرض بذلك نفسه لسخط الله عز وجل وهو افحش الظلم اخباره عن نفسه بالشك في بيد ودة جنته لطول امله واستيلاء الحرص عليه وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة واطراحه النظر في عواقب امثاله وترى اكثر الاغنياء من المسلمين وان لم يطلقوا بنحو هذا السنتهم فان السنة احوالهم ناطقة به منادية عليهم ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا ولئن رددت الى ربي اقسام منه على انه ان رد الى ربه على سبيل الفرض والتقدير وكما يزعم صاحبه ليجدن في الاخرة خيرا من جنته في الدنيا تطمعا وتمنيا على الله وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده وانه ما اولاه الجنتين الا لاستحقاقه واستيهاله مع هذا الاستحقاق وان يوجهه كقوله ان لي عنده للحسنى لاوتين مالا وولدا وقرئ خيرا منهما ردا على الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة وانتصابه على التمييز اي منقلب تلك خير من منقلب هذه لانها فانية وتلك باقية خلقك من تراب اي خلق اصلك لان خلق اصله سبب في خلقه فكان خلقه خلقا له سواك عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله اي جاحدا لانعمه لشكه بالبعث كما يكون المكذب بالرسول صلى الله عليه وسلم كافرا لكنا هو الله ربي اصله لكن انا فحذفت الهمزة والقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فكان الادغام ونحوه قول القائل

وترمينني بالطرف اي انت مذنب • وتقلينني لكن اياك لا اقلي

اي لكن انا لا اقليك وهو ضمير الشان والشان الله ربي والجملة خبر انا والراجع منها اليه ياء الضمير وقراءة ابن عامر باثبات الف انا في الوصل والوقف جميعا وحسن ذلك وقوع الالف عوضا من حذف الهمزة وغيره لا يثبتها الا في الوقف وعن ابي عمرو رضي الله عنه انه وقف بالهاء لكنه هو الله ربي بسكون النون وطرح انا وقرا ابي بن كعب رضي الله عنه لكن انا على الاصل وفي قراءة عبد الله رضي الله عنه لكن انا لا اله الا هو ربي فان قلت هو استدراك لماذا قلت لقوله اكفرت قال لاخيه انت كافر بالله لكني مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمرا حاضر ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا ما شاء الله يجوز ان يكون موصولة مرفوعة المحل على انها خبر مبتدا محذوف تقديره الامر ما شاء الله او شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف بمعنى اي شيء شاء الله كان ونظيرها في حذف الجواب او في قوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال المعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها ما شاء الله اعترافا بها وكل خير فيها انما حصل بمشيئة الله تعالى وفضله وان امرها بيده ان شاء تركها عامرة وان شاء خربها وقلت لا قوة

الا بالله اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير امرها هو بمعونته وتاييده اى لا هوى احد فى بدنه ولا فى ملك يده الا بالله
وعن عروة بن الزبير رضى الله عنه انه كان يثلم حائطه ايام الرطب فيدخل من شاء وكان اذا دخله ردد هذه الاية حتى يخرج
من قرا انا اقل بالنصب فقد جعل انا فصلا ومن رفع جعله مبتدا واقل خبره والجملة مفعولا ثانيا لترنى وفى قوله وولدا
نصرة لمن فسر النفر بالاولاد فى قوله واعز نفرا والمعنى ان ترنى افقر منك فانا ارجو من صنع الله عز وجل ان يقلب
ما بى وبك من الفقر والغنى فيرزقنى لايمانى جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بستانك والحسبان مصدر
كالغفران والبطلان بمعنى الحساب اى مقدارا قدره الله عز وجل وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقال الزجاج رضى الله
عنه عذاب حسبان وذلك الحسبان هو حساب ما كسبت يداك وقيل حسبانا مرامى الواحدة حسبانة وهى الصواعق صعيدا زلقا ارضا بيضاء يزلق عليها لملاستها زلقا وغورا
كلاهما وصف بالمصدر واحيط به عبارة عن اهلاكه واصله من احاط به العدو لانه اذا احاط به فقد ملكه واستولى
عليه ثم استعمل فى كل اهلاك ومنه قوله تعالى الا ان يحاط بكم ومثله قولهم اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليه العدو
اذا جاءهم مستعليا عليهم وتقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر لان النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كنى عن ذلك
بعض الكف والسقوط فى اليد لانه فى معنى الندم عدى تعديته بعلى كانه قيل فاصبح يندم على ما انفق فيها اى انفق فى
عمارتها وهى خاوية على عروشها ويقول يا ليتنى لم اشرك بربى احدا ولم تكن له فئة ينصرونه
من دون الله وما كان منتصرا هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا واضرب لهم
مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح
وكان الله على كل شىء مقتدرا وهى خاوية على عروشها يعنى ان كرومها المعرشة سقطت عروشها على الارض
وسقطت فوقها الكروم قيل ارسل الله سبحانه عليها نارا فاكلتها يا ليتنى تذكر موعظة اخيه فعلم انه اتى من جهة شركه
وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله عز وجل بستانه ويجوز ان تكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه
ودخولا فى الايمان قرى ولم تكن بالتاء والياء وحمل ينصرونه على المعنى دون اللفظ كقوله فئة تقاتل فى سبيل الله
واخرى كافرة فان قلت ما معنى قوله ينصرونه من دون الله قلت معناه يقدرون
على نصرته من دون الله اى هو وحده القادر على نصرته لا يقدر احد غيره ان ينصره الا انه لم ينصره لصارف وهو استحقاقه
ان يخذل وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله الولاية بالفتح النصرة والتولى وبالكسر السلطان
والملك وقد قرى بهما والمعنى هنالك اى فى ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها احد
سواه تقريرا لقوله ولم يكن له فئة ينصرونه من دون الله او هنالك السلطان والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه وفى
مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعنى ان قوله يا ليتنى لم اشرك بربى احدا كلمة الجى اليها فقالها جزعا
مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز ان يكون المعنى هنالك الولاية لله ينصر فيها اولياءه المؤمنين
على الكفرة وينتقم لهم ويشفى صدورهم من اعدائهم يعنى انه نصر فيما فعل بالكافر اخاه وصدق قوله عسى ربى ان يؤتين
خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اى لاوليائه وقيل هنا
لك اشارة الى الاخرة اى فى تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم لله وقرى الحق بالرفع والجر صفة للولاية ولله
وقرا عمرو بن عبيد رحمه الله بالنصب على التاكيد كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل وهى قراءة حسنة فصيحة
وكان عمرو بن عبيد من افصح الناس وانصحهم وقرى عقبا بضم القاف وسكونها وعقبى على فعلى وكلها بمعنى العاقبة
فاختلط به نبات الارض فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا وقيل نجع فى النبات الماء فاختلط به حتى
روى ورف رفيفا وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات الارض ووجه صحته ان كل مختلطين موصوف
كل واحد منهما بصفة صاحبه والهشيم ما تهشم وتحطم الواحدة هشيمة وقرى تذروه الريح وعن ابن عباس رضى

الصغرا

الله عنه تذ ريه الرياح من ادرى سنه حال الدنيا فى نضرتها وبهجتها وما يعقبها من الهلاك والفنا بحال النبات يكون
اخضر وارفا ثم يهيج فتطيره الرياح كان لم يكن وكان الله على كل شئ من الانشا والافنا مقتدرا المال والبنون
زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا ويوم نسير
الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا وعرضوا على ربك صفا لقد
جئتمونا كما خلقناكم اول مرة بل زعمتم الن نجعل لكم موعدا ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين
مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا
ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا الباقيات الصالحات اعمال الخير التى تبقى ثمرتها للانسان ويعنى عنه كل ما تطمح
اليه نفسه من حظوظ الدنيا. وقيل هى الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر. وعن
قتادة رضى الله عنه كل ما اريد به وجه الله عز وجل خير ثوابا اى ما يتعلق بها من الثواب وما يتعلق بها من الامل
لان صاحبها يامل فى الدنيا ثواب الله ونصيبه فى الاخرة قرئ نسير من سيرت وتسير من سيرنا وتسير من سارت
اى تسير فى الجو او تذهب بها بان تجعل هباء منبثا. وقرئ وترى الارض على البناء للمفعول بارزة ليس عليها ما
يسترها مما كان عليها وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف. وقرئ فلم نغادر بالنون والياء يقال غادره واغدره
اذا تركه ومنه الغدر ترك الوفا والغدير ما غادره السيل وشبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان
صفا مصطفين ظاهرين ترى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يحجب احد عن احد لقد جئتمونا اى قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا
المضمر هو عامل النصب فى يوم نسير ويجوز ان ينتصب باضمار اذكر والمعنى لقد بعثناكم كما انشاناكم اول مرة
وقيل جئتمونا عراة لا شئ معكم كما خلقناكم اولا كقوله ولقد جئتمونا فرادى
ما ضيا بعد نسير وترى للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال فلم حي حشرناهم
والعظائم كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك موعدا وقتا لانجاز ما وعدتم على السنة الانبيا من البعث والنشور
الكتاب للجنس وهى صحف الاعمال يا ويلتنا ينادون هلكتهم التى هلكوها خاصة من بين الهلكات صغيرة ولا كبيرة
هنة صغيرة ولا كبيرة وهى عبارة عن الاحاطة يعنى لا يترك شيئا من المعاصى الا احصاه اى احصاها كلها كما
تقول ما اعطانى قليلا ولا كثيرا لان الاشيا اما صغار واما كبار ويجوز ان يريد واما كان عندهم من صغائر وكبائر
وقيل لم يجتنبوا الكبائر فكتبت عليهم الصغائر وهى المناقشة. وعن ابن عباس رضى الله عنه الصغيرة التبسم
والكبيرة القهقهة. وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه الصغيرة المسيس والكبيرة الزنا وعن الفضيل رضى الله
عنه كان اذا قراها قال ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر الا احصاها وحصرها ووجدوا ما عملوا حاضرا فى الصحف
عتيدا او جزاء ما عملوا ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يعمل او يزيد فى عقابه المستحق او يعذبه بغير جرم كما يزعم من ظلم
الله فى تعذيب اطفال المشركين بذنوب ابائهم واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس كان
من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين
بدلا كان من الجن كلام مستانف جار مجرى التعليل بعد استثناء ابليس من الساجدين كان قائلا قال ما له لم
يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه والفاء للتسبيب ايضا جعل كونه من الجن سببا فى فسقه يعنى انه لو
كان ملكا كسائر من سجد لادم عليه السلم لم يفسق عن امر الله لان الملائكة معصومون البتة لا يجوز عليهم ما يجوز
على الجن والانس كما قال سبحانه وتعالى لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وهذا الكلام المعترض تعمد
من الله عز وجل لصيانة الملائكة عن وقوع شبهة فى عصمتهم فما ابعد البون بين ما تعمده الله تعالى وبين قول
من ضاد. وزعم انه كان ملكا ورئيسا على الملائكة فلعن ومسخ شيطانا ثم وركه على ابن عباس رضى الله عنه ومعنى فسق

عن امر ربه خرج عما امره به ربه من السجود. فالفسق ؕ فواسقا عن قصدها جوابرا او صارفاسقا كافرا بسبب امر ربه الذى هو قوله اسجدوا لادم افتتخذونه الهمزة للانكار والتعجيب كانه قيل اعقيب ما وجد منه تتخذونه وذريته اولياء من دونى وتستبدلونهم بى بئس للظالمين بدلا بئس البدل من الله ابليس لمن استبدله فاطاعه بدل طاعته.

ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا ويوم يقول نادوا شركاءى الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا وقرى ما اشهدناهم يعنى انكم اتخذتموهم شركاء لى فى العبادة وانما كانوا شركاء فيها لو كانوا شركاء فى الالهية فنفى مشاركتهم بقوله ما اشهدتهم خلق السموات والارض لاعتضد بهم فى خلقها ولا خلق انفسهم اى ولا اشهدت بعضهم خلق بعض ولا تقتلوا انفسكم وما كنت متخذ المضلين اى وما كنت متخذهم عضدا اى اعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال فاذا لم يكونوا عضدا لى فى الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لى فى العبادة. وقرى وما كنت بالفتح الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم. والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغى لك ان تعتز بهم وقرا على عليه السلام. وما كنت متخذا المضلين بالتنوين على الاصل وقرا الحسن رضى الله عنه عضدا بسكون الضاد ونقل ضمتها الى العين. وقرى عضدا بالفتح وسكون الضاد وعضدا بضمتين وعضدا بفتحتين جمع عاضد كخادم وخدم وراصد ورصد من عضده اذا قواه واعانه يقول بالياء والنون واضافة الشركاء اليه على زعمهم توبيخا واراد الجن والموبق المهلك من وبق يبق وبوقا ووبق يوبق وبقا اذا هلك واوبقه غيره ويجوز ان يكون مصدرا كالمورد والموعد يعنى وجعلنا بينهم واديا من اودية جهنم هو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعا. وعن الحسن رضى الله عنه موبقا والمعنى عداوة هى فى شدتها هلاك كقوله. لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا. وقال الفرا رحمه الله البين الوصل اى جعلنا تواصلهم فى الدنيا هلاكا يوم القيمة. ويجوز ان يريد الملائكة وعزيرا وعيسى ومريم وعليهم السلام والموبق البرزخ البعيد اى وجعلنا بينهم امرا بعيدا يهلك فيه الاشواط لفرط بعده لانهم فى قعر جهنم وهم فى اعلا الجنان فظنوا فايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها واقعون فيها مصرفا معدلا. قال زهير هل عن سنه من مصرف.

ولقد صرفنا للناس فى هذا القران من كل مثل وكان الانسان اكثر شىء جدلا وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا ان تاتيهم سنة الاولين او ياتيهم العذاب قبلا اكثر شىء جدلا اكثر الاشياء التى يتاتى منها الجدل ان فصلتها واحدا بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل وانتصاب جدلا على التمييز يعنى ان جدل الانسان اكثر من جدل كل شىء ونحوه فاذا هو خصيم مبين ان الاولى نصب والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف وتقديره وما منع الناس الايمان والاستغفار الا انتظار ان تاتيهم سنة الاولين وهى الاهلاك او انتظار ان ياتيهم العذاب يعنى عذاب الاخرة قبلا عيانا وقرى قبلا انواعا جمع قبيل وقبلا بفتحتين مستقبلا ليدحضوا ليزيلوا ويبطلوا من ادحاض القدم وهو ازلاقها وازالتها عن موطئها وما انذروا يجوز ان تكون ما موصولة او مصدرية يعنى وانذارهم وقرى هزوا بالسكون اى اتخذوها موضع استهزاء وجدالهم قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة وما اشبه ذلك بايات ربه بالقران ولذلك رجع اليها الضمير مذكرا فى قوله ان يفقهوه فاعرض عنها فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر ونسى ما قدمت يداه من الكفر والمعاصى غير متفكر فيها ولا ناظر فى ان المسىء والمحسن لا بد لهما من جزاء ثم علل اعراضهم ونسيانهم بانه مطبوع على قلوبهم وجمع بعد الافراد حملا على لفظ من ومعناه فلن يهتدوا فلا يكون منهم اهتداء البتة كانه محال منهم لشدة تصميمهم ابدا مدة التكليف كلها واذا جواب وجزاء يدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم بمعنى انهم جعلوا

بلغ مقابلة

ما جعلوا

بلغ مقابلة

ساعب ان يكون سبب وجود الاهتدا سببا في انتفايه. وعلى انه جواب للرسول عن تقدير قوله مالى لا ادعوكم حرصا على
اسلامهم فقيل وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا. الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة ثم استشهد
على ذلك بترك مواخذة اهل مكة عاجلا من غير امهال مع افراطهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل لهم موعد
وهو يوم بدر لن يجدوا من دونه موئلا منجى ولا ملجا يقال وال اذا نجا ووال اليه اذا لجا اليه وتلك القرى اهلكناهم
لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا واذ قال موسى لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا فلما
بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا فلما جاوزا قال لفتاه اتنا غداءنا لقد لقينا
من سفرنا هذا نصبا وتلك القرى يريد قرى الاولين من ثمود وقوم لوط وغيرهم اشار لهم اليها ليعتبروا
تلك مبتدا والقرى صفة لان اسما الاشارة توصف باسماء الاجناس واهلكناهم خبر ويجوز ان يكون تلك
القرى نصبا باضمار اهلكنا هم على شريطة التفسير والمعنى وتلك اصحاب القرى اهلكناهم لما ظلموا مثل
ظلم اهل مكة وجعلنا لمهلكهم موعدا وضربنا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يتاخرون عنه كما ضربنا لاهل
مكة يوم بدر والمهلك الاهلاك ووقته وقرى لمهلكهم بفتح الميم واللام مفتوحة اومكسورة اى
لاهلاكهم او وقت هلاكهم والموعد وقت او مصدر لفتاه لعبده وفي الحديث ليقل احدكم فتاى وفتاتى
ولا يقل عبدى وامتى وقيل هو يوشع بن نون وانما قال فتاه لانه كان يخدمه ويتبعه وقيل كان
ياخذ منه العلم فان قلت لا ابرح ان كان بمعنى لا ازول من برح المكان فقد دل على الاقامة لا على
السفر وان كان بمعنى لا ازال فلا بد من الخبر قلت هو بمعنى لا ازال وقد حذف الخبر لان الحال
والكلام معا يدلان عليه اما الحال فلانها كانت حال سفر واما الكلام فلان قوله حتى ابلغ مجمع البحرين غاية
مضروبة تستدعى ما هى غاية له فلا بد ان يكون المعنى لا ابرح اسير حتى ابلغ مجمع البحرين ووجه اخر وهو ان
يكون المعنى لا يبرح مسيرى حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فلما حذف المضاف اقيم المضاف اليه مقامه
وهو ضمير المتكلم وهو وجه لطيف ويجوز ان يكون المعنى لا ابرح ما انا عليه بمعنى الزم المسير والطلب ولا اتركه
ولا افارقه حتى ابلغ كما تقول لا ابرح المكان ومجمع البحرين المكان الذى وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهما الصلاة والسلم
وهو ملتقى بحرى فارس والروم مما يلى المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية ومن بدع التفاسير ان البحرين موسى
والخضر عليهما السلم لانهما كانا بحرين في العلم وقرى مجمع بكسر الميم وهو في الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع
من يفعل او امضى حقبا او اسير زمانا طويلا والحقب ثمانون سنة روى انه لما ظهر موسى عليه السلام على
مصر مع بنى اسرايل واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله سبحانه وتعالى ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا
فذكر نعمة الله عز وجل وقال ان الله اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا قد علمنا هذا فاى الناس اعلم قال انا فعتب الله عز
وجل عليه حين لم يرد العلم الى الله فاوحى اليه بل اعلم منك عبد لى عند مجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر عليه السلم
في ايام افريدون قبل موسى عليه السلم وكان على مقدمة ذى القرنين الاكبر وبقى الى ايام موسى عليه السلام وقيل
ان موسى عليه السلم سال ربه اى عبادك احب اليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فاى عبادك اقضى
قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال فاى عبادك اعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علمه عسى ان يصيب
كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك من هو اعلم منى فادللنى عليه قال اعلم منك الخضر
قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يا رب كيف لى به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك
فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرنى فذهبا يمشيان فرقد موسى عليه السلم فاضطرب الحوت ووقع في
البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فاخبره فتاه بوقوعه في البحر فاتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوبه فسلم

عليه موسى فقال وانا بارضنا السلم فعرفه نفسه فقال يا موسى انا على علم علمنيه الله ولا تعلمه انت وانت على علم
علمكه الله لا اعلمه انا فلما ركبا السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر في الما فقال الخضر ما ينقص علمي وعلمك
من علم الله مقدار ما اخذ هذا العصفور من هذا البحر نسيا حوتهما اى نسيا تفقد امره وما يكون منه مما جعل امارة
على الظفر بالبغية وقيل نسي يوشع ان يقدمه ونسي موسى ان يامر فيه بشي وقيل كان الحوت سمكة مملوحة وقيل
ان يوشع حمل الحوت والخبز في المكتل فنزلا ليلا على شاطئ عين تسمى عين الحيوة ونام موسى فلما اصاب السمكة
روح الماء وبرده عاشت وروي انهما اكلا منها وقيل توضأ يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش ووقع
في الماء سربا امسك الله تعالى جرية الماء على الحوت فصار عليه مثل الطاق وحصل منه في مثل السرب معجزة لموسى
او للخضر عليهما السلم فلما جاوزا الموعد وهو الصخرة لنسيان موسى عليه السلم تفقد امر الحوت وما كان منه ونسيان
يوشع ان يذكر لموسى ما راى من حياته ووقوعه في البحر وقيل سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد الى الظهر
والقى على موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه وقوله من سفرنا
هذا اشارة الى مسيرهما وراء الصخرة **فان قلت** كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه امارة
لهما على الطلبة التي تناهضا من اجلها ولكونه معجزتين ثنتين وهما حياة السمكة المملوحة المأكول منها وقيل
ما كانت الا شق سمكة وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه ثم كيف استمر به النسيان
حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة الى الظهر الغد حتى طلب موسى صلى الله عليه وسلم الحوت **قلت**
قد شغله الشيطان بوساوسه فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان وانضم الى ذلك انه ضري بمشاهدة
امثاله عند موسى من العجائب واستانس باخوانه فاعان الالف على قلة الاهتمام قال ارايت اذ اوينا الى الصخرة
فاني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال
ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا
وعلمناه من لدنا علما ارايت بمعنى اخبرني **فان قلت** ما وجه التيام هذا الكلام فان كل واحد من ارايت
واذ اوينا فاني نسيت الحوت لا متعلق له **قلت** لما طلب موسى عليه السلم الحوت ذكر يوشع ما راى منه وما
اعتراه من نسيانه الى تلك الغاية فدهش وطفق يسال موسى عن سبب ذلك كانه قيل ارايت ما دهاني اذ اوينا الى الصخرة
فاني نسيت الحوت فحذف ذلك وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت وان اذكره بدل من الهاء في انسانيه اى وما انساني
ذكره الا الشيطان وفي قراءة عبد الله رضي الله عنه ان اذكر له عجبا ثاني مفعولي اتخذ مثل سربا يعني واتخذ
سبيله سبيلا عجبا وهو كونه شبه السرب او قال عجبا في اخر كلامه تعجبا من حاله في رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها
او مما راى من المعجزتين وقوله وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وقيل ان
عجبا حكاية لتعجب موسى عليه السلم وليس بذاك ذلك اشارة الى اتخاذه سبيلا اى ذلك الذي كنا نطلب لانه امارة
الظفر بالطلبة من لقاء الخضر وقرئ نبغ بغير ياء في الوصل واثباتها احسن وهي قراءة ابي عمرو رضي الله عنه واما
الوقف فالاكثر فيه طرح الياء اتباعا لخط المصحف فارتدا على آثارهما قصصا فرجعا في ادراجهما يقصان قصصا
يتبعان آثارهما اتباعا او فارتدا مقتصين رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة من لدنا مما يختص بنا من العلم وهو
الاخبار عن الغيوب رشدا قرئ بفتحتين وبضمة وسكون اى علما ذا رشد ارشد به في ديني **فان قلت**
اما دلت حاجته الى التعلم من آخر في عهده انه كما قيل موسى بن ميشا لا موسى بن عمران لان النبي يجب ان يكون
اعلم اهل زمانه وامامهم المرجوع اليه في ابواب الدين **قلت** لا غضاضة بالنبي في اخذ العلم
من نبي مثله وانما يغض منه ان ياخذ ممن دونه وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه انه قال لابن عباس رضي

رضي الله عنه ان نوفا ابن امرأة كعب يزعم ان الخضر ليس بصاحب موسى وان موسى هو موسى بن ميشا فقال كذب عدو الله نفى استطاعة الصبر معه على وجه التاكيد كانها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك بانه يتولى امورا هي في ظاهرها مناكير والرجل الصالح فكيف اذا كان نبيا لا يتمالك ان يشمئز ويمتعض ويجزع اذا راى ذلك وياخذ في الانكار وخبرا تمييز اي لم يحط به خبرك او لان لم تحط به بمعنى لم تخبره فنصبه نصب المصدر ولا اعصي في محل النصب عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص او لا محل عطفا على ستجدني رجا موسى عليه السلام لحرصه على العلم وازدياده ان يستطيع معه صبرا بعد افصاح الخضر عليه السلم عن حقيقة الامر فوعد بالصبر معلقا بمشية الله سبحانه وتعالى علما منه بشدة الامر وصعوبته وان الحمية التي تاخذ المصلح عند مشاهدة الفساد شيء لا يطاق هذا مع علمه ان النبي المعصوم الذي امره الله تعالى بالمسافرة اليه واتباعه واقتباس العلم منه بري من ان يباشر ما فيه غميزة في الدين وانه لا بد لما يستسمج ظاهره من باطن حسن جميل فكيف اذا لم يعلم قرئ فلا تسالني بالنون الثقيلة يعني فمن شرط اتباعك لي انك اذا رايت مني شيئا وقد علمت انه صحيح الا انه خفي عليك وجه صحته فحميت وانكرت في نفسك الا تفاتحني بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى اكون انا الفاتح عليك وهذا من ادب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركبا قال اهلها هما من اللصوص وامروهما بالخروج فقال صاحب السفينة ارى وجوه الانبياء وقيل عرفوا الخضر فحملوهما بغير نول فلما لججوا اخذ الخضر الفاس فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها مما يلي الماء فجعل موسى عليه السلم يسد الخرق بثيابه ويقول اخرقتها لتغرق اهلها وقرئ لتغرق بالتشديد وليغرق اهلها من غرق واهلها مرفوع جئت شيئا امرا اتيت شيئا عظيما من امر الامر اذا عظم **قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخِذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا** قال داهية دهيا ادا امرا بما نسيت بالذي نسيته او بشيء نسيته او بنسياني اراد انه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي واخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهمه انه قد نسي ليبسط عذره في الانكار وهو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب مع التوصل الى الغرض كقول ابراهيم عليه الصلوة والسلم هذه اختي واني سقيم او اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه اي ولا تغشني عسرا من امري وهو اتباعه اياه يعني ولا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالاغضاء وترك المناقشة وقرئ عسرا بضمتين فقتله قيل كان قتله فتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه اضجعه ثم ذبحه بالسكين فان قلت لم قيل حتى اذا ركبا في السفينة خرقها بغير فا وحتى اذا لقيا غلاما فقتله بالفا قلت جعل خرقها جزاء للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزاء قال اقتلت فان قلت فلم خولف بينهما قلت لان خرق السفينة لم يعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام وقرئ زاكية بغير نفس وزكية وهي الطاهرة من الذنوب اما لانها طاهرة عنده لانه لم يرها قد اذنبت واما لانها صغيرة لم تبلغ الحنث بغير نفس يعني لم تقتل نفسا فيقتص منها وعن ابن عباس رضي الله عنه ان نجدة الحروري كتب اليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل نكرا وقرئ بضمتين وهو المنكر قيل النكر اقل من الامر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة وقيل معناه جئت شيئا انكر من الاول لان ذلك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه فان قلت ما معنى

زيادة لك قلت زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية قال
ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية
استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه قال لو شئت لتخذت
عليه اجرا قال هذا فراق بيني وبينك سانبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا بعدها بعد هذه الكرة
او المسألة فلا تصاحبني فلا تقاربني وان طلبت صحبتك لي فلا تتابعني اياك ولا تجعلني صاحبك من لدني عذرا قد
اعذرت وقرئ لدني بتخفيف النون ولدني بسكون الدال وكسر النون كقولهم في عضد عضد وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك وقال رحم الله علينا وعلى اخي موسى لو لبث مع صاحبه
لابصر اعجب الاعاجيب اهل قرية هي انطاكية وقيل الابلة وهي ابعد ارض الله عز وجل من السماء ان تضيفوهما وقرئ
تضيفوهما يقال ضافه اذا كان ضيفا وحقيقته مال اليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الازورار
وضيفه انزله وجعله ضيفه وعن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا اهل قرية لئاما وقيل شر القرى التي لا يضاف الضيف
فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه يريد ان ينقض استعيرت الارادة للمداناة والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك
قال الراعي • في مهمه قلقت به هاماتها • قلق الفؤوس اذا اردن نصولا •
وقال • يريد الرمح صدر ابي براء • ويعدل عن دماء بني عقيل •
وقال حسان • ان دهرا يلف شملي بجمل • لزمان يهم بالاحسان •
وسمعت من يقول عزم السراج ان يطفأ وطلب ان يطفأ واذا كان القول والنطق والشكاية والصدق والكذب
والسكوت والتمرد والاباء والعزة والطواعية وغير ذلك مستعارة للجماد ولما لا يعقل فما بال الارادة قال
• اذ قالت الانساع للبطن الحق • يقول سني للنواة طني • لا ينطق اللهو حتى ينطق العود
• وشكا الي بعبرة وتحمحم • ان يك صادقا وهو صادقي • ولما سكت عن موسى الغضب
تمرد مارد وعز الابلق • ولبعضهم • تابى على اجفانه اغفاءة • هم اذا انقلا الهموم تمردا •
ومن ابيات الحماسة • ابت الروادف والثدي لقمصها • مس البطون وان تمس ظهورا •
قالتا اتينا طائعين ولقد بلغني ان بعض المحرفين لكلام الله سبحانه ممن لا يعلم كان يجعل الضمير للخضر لان ما كان فيه من
آفة الجهل وسقم الفهم اراه اعلا الكلام طبقة ادناه منزلة فتمحل ليرده الى ما عنده اصح وافصح وعنده ان ما كان
من المجاز كان ادخل في الاعجاز وانقض اذا اسرع سقوطه من انقضاض الطائر وهو مطاوع قضضته وقيل انفعل
من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ ان ينقض من النقض وان ينقاص من انقاصت السن اذا انشقت طولا
قال ذو الرمة • منقاص ومنكثب • بالصاد غير معجمة فاقامه قيل اقامه بيده وقيل مسحه بيده فقام
فاستوى وقيل اقامه بعمود عمده به وقيل نقضه وبناه وقيل كان طول الجدار في السماء مائة ذراع كانت الحال
حال اضطرار وافتقار الى المطعم وقد لزتهما الحاجة الى آخر كسب المرء وهو المسألة فلم يجدا مواسيا فلما اقام الجدار
لم يتمالك موسى عليه السلام لما رأى من الحرمان ومساس الحاجة ان قال لو شئت لتخذت عليه اجرا وطلبت على عملك جعلا حتى
تنتعش به وتستدفع به الضرورة وقرئ لتخذت والتاء في تخذ اصل كما في تبع واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع
وليس من الاخذ في شيء فان قلت هذا اشارة الى ماذا قلت قد تصور فراق بينهما عند حلول
ميعاده على ما قال موسى عليه السلام ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني فاشار اليه وجعله مبتدأ واخبر
عنه كما تقول هذا اخوك فلا يكون هذا اشارة الى غير الاخ ويجوز ان يكون اشارة الى السؤال الثالث اي هذا
الاعتراض سبب الفراق والاصل هذا فراق بيني وبينك وقد قرأ به ابن ابي عبلة رضي الله عنه فاضيف المصدر الى

الى الظرف كما يضاف الى المفعول به اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت ان اعيبها
وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان
يرهقهما طغيانا وكفرا فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة واقرب رحما واما الجدار
فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا
كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن امري ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا لمساكين قيل كانت
لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر وراءهم امامهم كقوله ومن ورائهم برزخ وقيل
خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره فاعلم الله سبحانه به الخضر وهو جلندى فان
قلت قوله فاردت ان اعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه ان يتاخر عن السبب فلم
قدم عليه قلت النية به التاخير وانما قدم للعناية ولان خوف الغصب ليس هو السبب ولكن مع كونها
للمساكين فكان بمنزلة قولك زيد ظني مقيم وقيل في قراءة ابي وعبد الله رضي الله عنهما كل سفينة صالحة وقرا الجحدري
رضي الله عنه وكان ابواه مؤمنان على ان كان فيه ضمير الشان فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا فخفنا ان يغشى
الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء او يقرن بايمانهما طغيانه
وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه ويطغيا ويكفرا
بعد الايمان وانما خشي الخضر منه ذلك لان الله عز وجل اعلمه بحاله واطلعه على سر امره وامره اياه
بقتله كاخترامه لمفسدة عرفها في حياته وفي قراءة ابي رضي الله عنه فخاف ربك والمعنى فكره ربك كراهة
من خاف سوء عاقبة الامر فغيره ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية لقول الله عز وجل بمعنى فكرهنا كقوله لاهب
لك وقرئ يبدلهما بالتشديد والزكاة الطهارة والنقاء من الذنوب والرحم الرحمة والعطف فروي انه
ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى على يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما
ابنا مؤمنا مثلهما وقيل واسما الغلامين اصرم وصريم والغلام المقتول اسمه الحيسور واختلف في الكنز فقيل
مال مدفون من ذهب وفضة وقيل لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت
لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف
يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها
علم والظاهر لاطلاقه انه مال وعن قتادة رضي الله عنه احل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة
عليهم واحلت لنا اراد قوله تعالى والذين يكنزون الاية وكان ابوهما صالحا اعتداد بصلاح ابيهما وحفظ
حقه فيهما وعن جعفر بن محمد رضي الله عنه كان بين الغلامين وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة ابا وعن
الحسن بن علي رضي الله عنهما انه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ الله مال الغلامين قال بصلاح
ابيهما قال فابي وجدي خير منه قال قد انبانا الله انكم قوم خصمون رحمة مفعول له او مصدر منصوب
باراد ربك لانه في معنى رحمهما وما فعلته وما فعلت ما رايت عن امري عن اجتهادي ورايي وانما فعلته
بامر الله ذو القرنين هو الاسكندر الذي ملك الدنيا قيل ملكها مؤمنان ويسئلونك عن ذي القرنين
قل سأتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض واتيناه من كل شيء سببا فاتبع سببا حتى اذا
بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا يا ذا القرنين اما ان
تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه
عذابا نكرا ذو القرنين هو الاسكندر الذي ملك الدنيا قيل ملكها مؤمنان ذو القرنين وسليمان عليه السلام

وكافران نمرود وبخت نصر وكان بعد نمرود واختلف فيه فقيل كان عبدا صالحا ملكه الله الارض واعطاه العلم والحكمة والبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل نبيا وقيل ملكا من الملائكة • وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا اما رضيتم ان تتسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة وعن علي عليه السلام سخر له السحاب ومدت له الاسباب • وبسط له النور وسئل عنه فقال احب الله فاحبه وساله ابن الكواء ما ذو القرنين املك ام نبي فقال ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الايمن في طاعة الله فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين وفيكم مثله يعني نفسه عليه السلام • قيل كان يدعوهم الى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله • وعن النبي صلى الله عليه وسلم سمي ذا القرنين لانه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها • وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان • وقيل انقرض في وقته قرنان من الناس وعن وهب رضي الله عنه لانه ملك الروم وفارس • وروي الروم والترك • وعنه كانت صفحتا راسه من نحاس • وقيل كان لتاجه قرنان • وقيل كان على راسه ما يشبه القرن ويجوز ان يلقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا كانه ينطح اقرانه وكان من الروم ولد عجوز ليس لها ولد غيره والسائلون هم اليهود سالوه على جهة الامتحان وقيل سأله ابو جهل واشياعه والخطاب في عليكم لاحد الفريقين من كل شيء اي من اسباب كل شيء اراده من اغراضه ومقاصده في ملكه سببا طريقا موصلا اليه والسبب ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة او آلة فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى بلغ وكذلك اراد المشرق فاتبع سببا واراد بلوغ السدين فاتبع سببا • وقرئ حمئة من حمئت البئر اذا صارت فيها الحمأة وحامية بمعنى حارة وعن ابي ذر رضي الله عنه كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمل فرأى الشمس حين غابت فقال اتدري يا ابا ذر اين تغرب هذه قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تغرب في عين حامية وهي قراءة ابن مسعود وطلحة وابن عمر والحسن رضي الله عنهم • وقرأ ابن عباس حمئة وكان ابن عباس رضي الله عنه عند معوية فقال معوية فكيف يقرا قال كما يقرا امير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب فقال في ماء وطين كذلك نجده في التوراة • وروي في ثاط فوافق ابن عباس وكان ثمة رجل فانشد قول تبع •

فرأى مغيب الشمس عند مآبها • في عين ذي خلب وثاط حرمد •

اي في عين ماء ذي طين وحمأ اسود ولا تنافي بين الحمئة والحامية فجائز ان تكون العين جامعة للوصفين جميعا كانوا كفرة فخيره الله تعالى بين ان يعذبهم بالقتل وان يدعوهم الى الاسلام فاختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم فقال اما من دعوته فابى الا البقاء على الظلم العظيم الذي هو الشرك فذاك هو المعذب في الدارين واما من آمن وعمل ما يقتضيه الايمان فله جزاء الحسنى اي فله الفعلة وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل فله جزاء الحسنى فله ان يجازى المثوبة الحسنى اي فله جزاء الفعلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة • وقرئ فله جزاء الحسنى اي فله الفعلة الحسنى جزاء وعن قتادة رضي الله عنه كان يطبخ من كفر في القدور وهو العذاب النكر ومن آمن اعطاه وكساه من امرنا يسرا اي لا نأمره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج وغير ذلك وتقديره ذا يسر كقوله قولا ميسورا • وقرئ يسرا بضمتين وقرئ مطلع بفتح اللام وهو مصدر والمعنى بلغ مكان مطلع الشمس كقوله •

كان مجر الرامسات ذيولها • يريد كان آثار مجر الرامسات • على قوم قيل هم الزنج والستر الابنية وعن كعب ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا طلعت الشمس دخلوها فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم • وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم

وليلة

وليلة فبلغتهم فاذا بعضهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا له جئتنا ننظر كيف
تطلع الشمس قال فبينا نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن
فلما طلعت الشمس على الماء اذا هي فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر
فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وقيل الستر اللباس وعن مجاهد رضي الله عنه
من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض كذلك وقد احطنا
بما لديه خبرا ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون
يفقهون قولا قالوا يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض فهل
نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا كذلك اي امر ذي القرنين كذلك اي كما وصفنا تعظيما
لامره وقد احطنا بما لديه خبرا من الجنود والالات واسباب الملك خبرا كبيرا كذلك وقيل لم نجعل لهم
من دونها سترا مثل ذلك الستر الذي جعلنا من الجبال والحصون والابنية والاكنان من كل جنس والثياب
من كل صنف وقيل بلغ مطلع الشمس مثل ذلك اي كما بلغ مغربها وقيل تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي
تغرب عليهم يعني انهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر واحسانه لمن امن منهم
بين السدين بين الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما قرئ بالضم والفتح وقيل ما كان من خلق الله سبحانه
فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح لان السد بالضم فعل بمعنى مفعول اي هو مما فعله الله تعالى
وخلقه والسد بالفتح المصدر حدث يحدثه الناس وانتصب بين على انه مفعول به كما انجر على الاضافة
في قوله هذا فراق بيني وبينك وكما ارتفع في قوله لقد تقطع بينكم لانه من الظروف التي تستعمل اسما وظروفا
وهذا المكان في منقطع ارض الترك مما يلي المشرق من دونهما قوما هم الترك لا يكادون يفقهون قولا لا يكادون
يفهمونه الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها كما يفهم البكم وقرئ يفقهون اي لا يفهمون السامع كلامهم
ولا يبينونه لان لغتهم غريبة مجهولة ياجوج وماجوج اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقرئا مهموزين وقرا
رؤبة اجوج ومأجوج وهما من ولد يافث وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل والديلم مفسدون في
الارض قيل كانوا ياكلون الناس وقيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون شيئا اخضر الا اكلوه ولا يابسا
الا احتملوه وكانوا يلقون منهم قتلا واذى شديدا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفتهم لا يموت
احد منهم حتى ينظر الى الف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وقيل هم على صنفين طوال مفرطو الطول
وقصار مفرطو القصر قرئ خرجا وخراجا اي جعلا نخرجه من اموالنا ونظيرهما النول والنوال وقرئ سدا
بالفتح والضم ما مكني قال ما مكني فيه ربي خير فاعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما اتوني زبر
الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال اتوني افرغ
عليه قطرا فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي
جعله دكاء وكان وعد ربي حقا وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا
ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة بي اليه كما قال
سليمان صلوات الله عليه وسلامه فما اتاني الله خير مما اتاكم وقرئ بالادغام وبفكه فاعينوني بقوة بفعلة
وصناع يحسنون البناء والعمل بالالات ردما حاجزا حصينا والردم اكثر من السد من قولهم ثوب مردم رقاع
فوق رقاع قيل حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد
بينهما الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب

على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ • وقرئ سوى وسوى • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا اخبره به فقال كيف رايته قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رايته • والصدفان بفتحتين جانبا الجبل لانهما يتصادفان اى يتقابلان • وقرئ الصدفين بضمتين والصدفين بضمة وسكون والصدفين بفتحة وضمة • والقطر النحاس المذاب لانه يقطر وقطرا منصوب بافرغ وتقديره اتوني قطرا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه • وقرئ ائتوني • فما اسطاعوا بحذف التاء للخفة لان التاء قريبة المخرج من الطاء • وقرئ فما اصطاعوا بقلب السين صادا • واما من قرا بادغام التاء في الطاء فملاق بين ساكنين على غير الحد ان يظهروه ان يعلوه اى لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه وانملاسه ولا نقب لصلابته وثخانته • هذا اشارة الى السد اى هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده او هذا الاقدار والتمكين من تسويته فاذا جاء وعد ربي يعني اذا دنا مجيء يوم القيامة وشارف ان ياتي جعل السد دكا اى مدكوكا مبسوطا مستوى الارض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الاندك المنبسط السنام • وقرئ دكاء بالمد اى ارضا مستوية وكان وعد ربي حقا آخر حكاية قول ذي القرنين • وتركنا وجعلنا بعضهم بعض الخلق يموج في بعض اى يضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويجوز ان يكون الضمير ليأجوج ومأجوج وانهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين في البلاد • وروي يأتون البحر فيشربون ماءه وياكلون دوابه ثم ياكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون ان ياتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله عز وجل نغفا في اقفائهم فيدخل في آذانهم فيموتون وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني اولياء انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وعرضناهم وبرزناها لهم فرأوها وشاهدوها عن ذكري عن آياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتعظيم او عن القرآن وتامل معانيه وتبصرها ونحوه صم بكم عمي وكانوا لا يستطيعون سمعا يعني وكانوا صما عنه الا انه ابلغ لان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كانهم اصميت اسماعهم فلا استطاعة لهم للسمع عبادي من دوني اولياء كما حكي عنهم سبحانك انت ولينا من دونهم • وقرا ابن مسعود رضي الله عنه أظن الذين كفروا • وقراءة علي رضي الله عنه افحسب الذين كفروا اى افكافيهم وحسبهم ان يتخذوهم اولياء على الابتداء والخبر او على الفعل والفاعل لان اسم الفاعل اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل كقولك اقائم الزيدان والمعنى ان ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله عز وجل كما حسبوا وهي قراءة محكمة جيدة • النزل ما يقام للنزيل وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب اليم ضل سعيهم ضاع وبطل وهم الرهبان عن علي عليه السلام كقوله تعالى عاملة ناصبة • وعن مجاهد رضي الله عنه اهل الكتاب • وعن علي عليه السلام ان ابن الكوا سأله عنهم فقال منهم حروري • وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ياتي ناس باعمال يوم القيامة هي عندهم في العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا فنزدري بهم ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار • وقيل لا نقيم لهم ميزان لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين • وقرئ فلا يقيم بالياء فان قلت ضل سعيهم في اي محل هو قلت الاوجه ان يكون في محل الرفع على هم الذين ضل سعيهم لانه جواب عن السوال

والحولا

ويجوز ان يكون نصبا على الذم او جرا على البدل لجهنم عطف بيان لقوله جزاؤهم. الحول التحول يقال حال من مكانه حولا كقولك عادني حبها عودا اي لا مزيد عليها حتى ينازعه انفسهم الى اجمع لاغراضهم واما نيهم وهذه غاية الوصف لان الانسان في الدنيا في اي نعيم كان فهو طامح الطرف الى ارفع منه ويجوز ان يراد نفي التحول وتاكيد الخلود المداد اسم ما يمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط ويقال السما مداد الارض والمعنى لو كتبت كلمات علم الله تعالى وحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر الجنس لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا لنفد البحر قبل ان تنفد الكلمات ولو جئنا بمثل البحر مددا لنفد ايضا والكلمات غير نافدة ومددا تمييز كقولك لي مثله رجلا والمدد مثل المداد وهو ما يمد به. وعن ابن عباس رضي الله بمثله مدادا. وقرا الاعرج رضي الله عنه مددا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب فيكتب به. وقرئ ينفد بالياء. وقيل قال حيي بن اخطب في كتابكم. ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤون وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله. فمن كان يرجو لقاء ربه فمن كان يامل حسن لقاء ربه وان يلقاه لقاء رضى وقبول وقد فسرنا اللقاء. او فمن كان يخاف سوء لقائه والمراد بالنهي عن الاشراك بالعبادة ان لا يرائي بعمله وان لا يبتغي به الا وجه الله خالصا لا يخلط به غيره. وقيل نزلت في جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني اعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه. وروي انه قال له اجران اجر السر واجر العلانية وذلك اذا قصد ان يقتدى به. وعنه صلى الله عليه وسلم اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الكهف من اخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قراها كلها كانت له نورا من الارض الى السما وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم كان له في مضجعه نورا يتلالا الى مكة حشو ذلك النور ملئكة يصلون عليه حتى يقوم. وان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلالا من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملئكة يصلون عليه حتى يستيقظ. والله سبحانه وتعالى اعلم

سورة مريم مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي تسعون وثمان ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا بفتح الها وكسر اليا حمزة رضي الله تعالى عنه وبكسرهما عاصم رضي الله عنه وبضمهما الحسن رضي الله عنه وقرا الحسن ذكر رحمة ربك اي ان هذا المتلو من القران ذكر رحمة ربك وقرئ ذكر على الامر راعى سنة الله في اخفاء دعوته لان الجهر والاخفاء عند الله سيان فكان الاخفاء اولى لانه ابعد من الريا وادخل في الاخلاص وعن الحسن رضي الله عنه نداء لا رياء فيه او اخفاه لئلا يلام على طلب الولد في ابان الكبرة والشيخوخة او اسره من مواليه الذين خافهم او خفت صوته لضعفه وهرمه

كما جاء في صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات واختلف في سن زكريا صلى الله عليه وسلم فقيل ستون
وخمس وستون وسبعون وخمس وسبعون وخمس وثمانون • قرئ وهن بالحركات الثلاث • وانما ذكر العظم لانه
عمود البدن وبه قوامه وهو اصل بنايه فاذا وهن تداعي وتساقطت قوته ولانه اشد ما فيه واصلبه
فاذا وهن كان ما وراءه اوهن ووحده لان الواحد هو الدال على معنى الجنسية وقصده الى ان هذا
الجنس الذي هو العمود والقوام واشد ما تركب منه الجسد قد اصابه الوهن ولو جمع لكان قصدا
الى معنى آخر وهو انه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها ادغام السين في الشين عن ابي عمرو رضي الله عنه
شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وانارته وانتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل ماخذ
باشتعال النار ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الراس واخرج
الشيب مميزا ولم يضف الراس اكتفاء بعلم المخاطب انه راس زكريا عليه الصلاة والسلام فمن ثم فصحت
هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة • توسل الى الله تعالى بما سلف له معه من الاستجابة وعن بعضهم
ان محتاجا ساله وقال انا الذي احسنت الي وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا الينا وقضى حاجته
كان مواليه وهم عصبته واخوته وبنو عمه شرار بني اسرائيل فخافهم على الدين ان يغيروه ويبدلوه • وان
لا يحسنوا الخلافة على امته فطلب عقبا من صلبه صالحا يقتدى به في احياء الدين ويرتسم مراسمه فيه
من ورائي بعد موتي • وقرا ابن كثير رضي الله عنه من وراي بالقصر وهذا الظرف لا يتعلق بخفت
لفساد المعنى ولكن بمحذوف او بمعنى الولاية في الموالي اي خفت فعل الموالي فهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائي
او خفت الذين يلون الامر من ورائي وقرا عثمن ومحمد بن علي وعلي بن الحسين رضي الله عنهم خفت الموالي
من ورائي وهذا على معنيين احدهما ان يكون وراي بمعنى خلفي وبعدي فيتعلق الظرف بالموالي اي
قلوا وعجزوا عن اقامة الدين فسال ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولي يرزقه والثاني بمعنى قدامي
فيتعلق بخفت ويريد انهم خفوا قدامه ودرجوا ولم يبق منهم من به تقو واعتضاد من لدنك تاكيد
لكونه وليا مرضيا بكونه مضافا الى الله تعالى عز وجل وصادرا من عنده والا فهب لي وليا يرثني
ويرث الجزم جواب الدعا والرفع صفة ونحوه ردا يصدقني • وعن ابن عباس رضي الله عنه والجحدري
رضي الله عنهما يرثني نصب على الحال • ويرث آل يعقوب نصب على الحال وعن الجحدري رضي الله عنه
اويرث على تصغير وارث وقال غليم صغير وعن علي رضي الله تعالى عنه وجماعة وارث من آل يعقوب
اي يرثني به وارث ويسمى التجريد في علم البيان والمراد بالارث ارث الشرع والعلم لان الانبياء
لا تورث المال وقيل يرثني الحبورة وكان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك يقال ورثته وورثت
منه لغتان وقيل من للتبعيض لا للتعدية لان آل يعقوب لم يكونوا كلهم انبيا ولا علما وكان زكريا
عليه الصلاة والسلام من نسل يعقوب بن اسحاق وقيل هو يعقوب بن ماثان اخو زكريا وقيل يعقوب
هذا وعمران ابو مريم اخوان من نسل سليمان بن داود عليهما السلام • سميا لم يسم احد بيحيى قبله وهذا شاهد
على ان الاسامي الشنع جديرة بالاثرة واياها كانت العرب تنتحي في التسمية لكونها انبه وانوه •
وانزه عن النبز حتى قال قائل في مدح قوم
• شنع الاسامي مسبلي الازر • حمر تمس الارض بالهدب •
وقال رؤبة • للنسابة البكري وقد ساله عن نسبه • انا ابن العجاج • فقال قصرت وعرفت
وقيل مثلا • وشبيها عن مجاهد كقوله هل تعلم له سميا وانما قيل للمثل سمي لان كل متشاكلين يسمى كل منهما

كاف او اراد اخترا عا منك بلا سبب من اي والولد لا تصلح للولادة يرثني ويرث ٢

باسم المثل والشبيه والشكل والنظير فكل واحد منهما سمي لصاحبه • ونحو يحيى في اسمائهم اذ كانت التسمية عربية •
وقد سموا بيموت ايضا وهو يموت بن المزرع قالوا لم يكن له مثل في انه لم يعص ولم يهم
بمعصية قط • قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ
عِتِيًّا قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي
آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن
سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا واَنه ولد من شيخ فان •
وعجوز عاقر وانه كان حصورا اي كانت على صفة العقر حين انا شاب وكهل فما رزقت الولد لاختلال
احد السببين افحين اختل السببان جميعا ارزقه فان قلت لم طلب اولا وهو وامراته على
صفة العتي والعقر فلما اسعف بطلبه استبعد واستعجب قلت ليجاب بما اجيب به فيزداد
المؤمنون ايقانا ويرتدع المبطلون والا فمعتقد زكريا اولا واخرا كان على منهاج واحد في ان الله سبحانه
غني عن الاسباب اي بلغت عتيا وهو اليبس والجساوة في المفاصل والعظام كالعود القاحل يقال عتى
العود وعسى من اجل الكبر والطعن في السن العالية او بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى
عتيا وقرا ابن وثاب وحمزة والكسائي رضي الله تعالى عنهم بكسر العين وكذلك صليا وابن مسعود بفتحهما
فيهما • وقرا ابي ومجاهد عسيا كذلك الكاف رفع اي الامر كذلك تصديق له ثم ابتدا قال ربك او نصب
بقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره هو علي هين ونحوه وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع
مصبحين وقرا الحسن رضي الله عنه وهو علي هين ولا يخرج هذا الا على الوجه الاول اي الامر كما قلت
وهو على ذلك يهون علي • ووجه اخر وهو ان يشار بذلك الى ما تقدم من وعد الله عز وجل لا الى قول زكريا
عليه السلام وقال محذوف في كلتا القراءتين اي قال هو علي هين قال وهو علي هين وان شئت لم تنوه لان
الله تعالى المخاطب والمعنى انه قال ذلك ووعده وقوله الحق شيئا لان المعدوم ليس بشيء او شيئا يعتد به
كقولهم عجبت من لا شيء • وقوله اذا رأى غير شيء ظنه رجلا • وقرا الاعمش والكسائي وابن وثاب رضي الله عنهم
خلقناك اي اجعل لي اية علامة اعلم بها وقوع ما بشرت به قال علامتك ان تمنع الكلام فلا تطيقه •
وانت سليم الجوارح سوي الخلق ما بك خرس ولا بكم دل على ذكر الليالي هنا والايام في آل عمران على ان المنع من
الكلام استمر به ثلاثة ايام ولياليهن اوحى اشار عن مجاهد رضي الله عنه ويشهد له الا رمزا وعن ابن
عباس رضي الله عنه كتب لهم على الارض سبحوا صلوا او على الظاهر وان هي المفسرة اي خذ التوراة بجد واستظهار
بالتوفيق والتاييد والحكم الحكمة ومنه • واحكم كحكم فتاة الحي • يقال حكم حكما كحلم حلما • وهو الفهم للتوراة
والفقه في الدين عن ابن عباس رضي الله عنهما • وقيل دعاه الصبيان الى اللعب فقال ما للعب خلقنا • عن الضحاك وعن
معمر العقل وقيل النبوة لان الله تعالى احكم عقله في صباه واوحى اليه • وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا
وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا حنانا رحمة
لابويه وغيرهما وتعطفا وشفقة انشد سيبويه وقال •
• حنان ما اتى بك ههنا اذو نسب ام انت بالحي عارف • وقيل حنانا من الله سبحانه
وتعالى عليه • وحن في معنى ارتاح واشتاق ثم استعمل في العطف والرافة وقيل لله سبحانه حنان كما قيل
رحيم على سبيل الاستعارة والزكاة الطهارة وقيل الصدقة اي يتعطف على الناس ويتصدق عليهم سلم الله
عز وجل عليه في هذه الاحوال • وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا

فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان
كنت تقيا قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم اك
بغيا قال كذلك قال ربك هو علي هين اذ بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها
وفيه ان المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا لوقوع هذه القصة العجيبة فيه والانتباذ الاعتزال والانفراد
تخلت للعبادة في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس او من دارها معتزلة عن الناس وقيل قعدت في مشرقة
للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط او بشي يسترها وكان موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها
فاذا طهرت عادت الى المسجد فبينا هي في مغتسلها اتاها الملك في صورة ادمي شاب امرد وضي الوجه
جعد الشعر سويا لم ينتقص من الصورة الادمية شيئا او حسن الصورة مستوي الخلق وانما مثل لها
في صورة الانسان لتستانس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في الصورة الملكية لنفرت ولم تقدر على
استماع كلامه ودل على عفافها وورعها انها تعوذت بالله تعالى من تلك الصورة الجميلة الفائقة
الحسن وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاء لها وسبرا لعفتها وقيل كانت في منزل زوج خالتها زكريا
ولها محراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج اغلق عليها فتمنت ان تجد خلوة في الجبل لتفلي
راسها فانفرج السقف لها فخرجت فجلست في المشرقة وراء الجبل فاتاها الملك وقيل قام بين يديها في صورة
ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وقيل ان النصارى اتخذت المشرق قبلة لانتباذ مريم
مكانا شرقيا والروح جبريل عليه الصلاة والسلام لان الدين يحيى به وبوحيه او سماه الله روحه على المجاز
محبة له وتقريبا كما تقول لحبيبك انت روحي وقرا ابو حيوة رحمه الله عليه روحنا بالفتح لانه سبب
لما فيه روح العباد واصابة الروح عند الله الذي هو عدة المقربين في قوله واما ان كان من المقربين
فروح وريحان او لانه من المقربين وهم الموعودون بالروح اي مقربنا وذا روحنا اراد
ان كان يرجى منك ان تتقي الله وتخشاه وتحفل بالاستعاذة به فاني عائذة منك كقوله تعالى
بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين اي انما انا رسول من استعذت به لاهب لك لاكون سببا في هبة الغلام
بالنفخ في الدرع وفي بعض المصاحف انما انا رسول ربك امرني ان اهب لك او هو حكاية لقول الله عز
وجل جعل المس عبارة عن النكاح الحلال لانه كناية عنه كقوله من قبل ان تمسوهن او لامستم النساء والزنا
ليس كذلك انما يقال فيه فجر بها وما اشبه ذلك وليس بقمن ان يراعى فيه الكنايات والاداب والبغي الفاجرة
التي تبغي الرجال وهي فعول عند المبرد بغوي فادغمت الواو في الياء وقال ابن جني في كتاب التمام هي فعيل
ولو كانت فعولا لقيل بغو كما قيل فلان نهو عن المنكر ولنجعله اية للناس ورحمة منا وكان امرا
مقضيا فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فاجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتني
مت قبل هذا ولنجعله تعليل معلله محذوف اي ولنجعله اية للناس فعلنا ذلك او معطوف على تعليل
مضمر اي لنبين به قدرتنا ولنجعله اية ونحوه وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وقوله وكذلك مكنا
ليوسف في الارض ولنعلمه مقضيا مقدرا مسطورا في اللوح لا بد من جريه عليك او كان امرا حقيقا بان
يكون ويقضى لكونه اية ورحمة والمراد بالاية العبرة والبرهان على قدرة الله عز وجل وبالرحمة الشرائع والالطاف
وما كان سببا في قوة الاعتقاد والتوصل الى الطاعة والعمل الصالح فهو جدير بالتكوين عن ابن عباس رضي الله عنه
فاطمانت الى قوله فدنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها فحملت وقيل كانت مدة الحمل ستة اشهر
وعن عطا وابي العالية والضحاك سبعة اشهر وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية الا عيسى عليه السلام وقيل

ثلاث ساعات وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة حين زالت الشمس من يومها وعن ابن عباس رضي الله عنه
كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما حملته نبذته وقيل حملته وهي بنت ثلث عشرة سنة وقيل بنت عشر وقد كانت
حاضت حيضتين قبل ان تحمل وقالوا ما من مولود الا يستهل غيره فانتبذت به اعتزلت به اعتزلت وهو في
بطنها كقوله • تدوس بنا الجماجم والتريبا • اي تدوس الجماجم ونحن على ظهورها ونحوه قوله سبحانه وتعالى
تنبت بالدهن اي تنبت ودهنها فيها الجار والمجرور في موضع الحال قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل
وقيل اقصى الدار • وقيل كانت سميت لابن عم لها اسمه يوسف فلما قيل حملت من الزنا خاف عليها قتل الملك فهرب
بها فلما كان ببعض الطريق حدثته نفسه بان يقتلها فاتاه جبريل عليه السلام فقال انه من روح القدس فلا تقتلها
فتركها فاجاءها منقول من جاء الا ان استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى الالجاء الا تراك تقول جئت المكان
واجاءنيه زيد كما تقول بلغته وابلغنيه ونظيره آتى حيث لم يستعمل الا في الاعطاء ولم تقل اتيت المكان واتانيه
فلان • وقرا ابن كثير رضي الله عنه في رواية المخاض بالكسر يقال مخضت الحامل مخاضا ومخاضا وهو تمخض الولد
في بطنها طلبت الجذع لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وكان جذع نخلة يابسة في الصحراء ليس لها راس ولا ثمر
ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف لا يخلو اما ان يكون من تعريف الاسماء الغالبة كالنجم وابن الصعق كان
تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة متعالم عند الناس فاذا قيل جذع النخلة فهم منه ذلك دون غيره من جذوع
النخل • واما ان يكون تعريف الجنس اي جذع هذه الشجرة خاصة كان الله تعالى انما ارشدها الى النخلة ليطعمها
منها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها ولان النخلة اقل شيء صبرا على البرد وثمارها انما هو من جمارها
فلموافقتها لها مع جمع الآيات فيها اختارها لها والجاها اليها وقرئ مت بالضم والكسر يقال مات يموت ومات
يمات **وكنت نسيا منسيا فناداها من تحتها الا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهزي**
اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا النسي ما من حقه ان يطرح وينسى كخرقة الطامث
ونحوها كالذبح اسم ما شانه ان يذبح في قوله سبحانه وتعالى وفديناه بذبح عظيم وعن يونس العرب اذا ارتحلوا
عن الدار قالوا ابطروا انساءكم اي الشيء اليسير نحو العصا والقدح والشظاظ تمنت لو كانت شيئا تافها لا يؤبه
اليه من شانه وحقه ان ينسى في العادة وقد نسي وطرح فوجد فيه النسيان الذي هو حقه وذلك لما
لحقها من فرط الحياء والتشور من الناس على حكم العادة البشرية لا كراهة لحكم الله او لشدة التكليف عليها
اذا بهتوها وهي عارفة ببراءة الساحة وبضد ما قرفت به من اختصاص الله اياها بغاية الاجلال والاكرام
لانه مقام دحض قلما تثبت عليه الاقدام ان تعرف اغتباطك بامر عظيم وفضل باهر تستحق به المدح
وتستوجب التعظيم ثم تراه عند الناس لجهلهم به عيبا يعاب به وتعنف بسببه او لخوفها على الناس ان
يعصوا الله عز وجل بسببها وقرا ابن وثاب والاعمش وحمزة رضي الله عنهم نسيا بالفتح قال الفراء هما لغتان
كالوتر والوتر والجسر والجسر ويجوز ان يكون مسمى بالمصدر كالحمل وقرا محمد بن كعب القرظي رضي الله عنه نسأ بالهمز
وهو الحليب المخلوط بالماء ينسأه اهله لقلته ونزارته وقرا الاعمش منسيا بالكسر على الاتباع كالمغيرة والمنخر
من تحتها هو جبريل عليه السلام قيل كان يقبل الولد كالقابلة وقيل هو عيسى عليه السلام وهي قراءة عاصم وابي
عمرو رحمهما الله تعالى وقيل تحتها اسفل من مكانها كقوله تجري من تحتها الانهار وقيل كان اسفل منها تحت
الاكمة فصاح بها الا تحزني وقرا نافع وحمزة والكسائي وحفص رضوان الله عليهم من تحتها وفي ناداها ضمير
الملك او عيسى وعن قتادة الضمير في تحتها للنخلة وقرا زر وعلقمة رضي الله عنهما فخاطبها من تحتها سئل
النبي صلى الله عليه وسلم عن السري فقال هو الجدول قال لبيد • فتوسطا عرض السري فصدعا • مسجورة متجاورا

وقيل هو من السرو والمراد عيسى عليه السلام وعن الحسن رضي الله عنه كان والله عبدا سريا فان قلت ما كان حزنها
لفقد الطعام والشراب حتى تسلى بالسري والرطب قلت لم يقع التسلية بهما من حيث انهما طعام وشراب ولكن
من حيث انهما معجزتان يريان الناس انها من اهل العصمة والبعد من الريبة وان مثلها مما قرفوها به بمعزل
وان لها امورا الهية خارجة عن العادات خارقة لما الفوا واعتادوا حتى يتبين لهم ان ولادتها من غير
فحل ليس ببدع من شأنها تساقط فيه تسع قراءات تساقط بادغام التاء وتتساقط باظهار التاءين وتساقط بطرح
الثانية ويساقط بادغام الياء وادغام التاء وتساقط وتسقط ويسقط ويسقط وتسقط التاء للنخلة والياء للجذع ورطبا
تمييز او مفعول على حسب القراءة وعن المبرد جواز انتصابه بهزي وليس بذاك والباء في بجذع النخلة صلة للتاكيد
كقوله ولا تلقوا بايديكم وعلى معنى افعلي الهز به كقوله يجرح في عراقيبها نصلي قالوا التمر للنفساء عادة من ذلك
الوقت وكذلك التحنيك وقالوا كان من العجوة وقيل ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل
وقيل اذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب عن طلحة بن سليمان رضي الله عنه جنيا بكسر الجيم للاتباع اي
جمعنا لك في السري والرطب فائدتين احداهما الاكل والشرب والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزتين وهو معنى
قوله فكلي واشربي وقري عينا اي وطيبي نفسا وارفضي ما احزنك واهمك وقري وقرى بالكسر لغة نجد
فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا ترئن بالهمز
ابن الرومي عن ابي عمرو وهذا من لغة من يقول لبأت بالحج وحلأت السويق وذلك لتآخ بين الهمز وحروف
اللين في الابدال صوما صمتا وفي مصحف عبد الله صمتا وعن انس بن مالك رضي الله عنه مثله وقيل صياما
لانهم كانوا يتكلمون في صيامهم وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت لانه نسخ في امته
امرها الله عز وجل ان تنذر الصوم لئلا تشرع مع البشر المتهمين لها في كلام لمعنيين احدهما ان عيسى
صلوات الله عليه وسلامه يكفيها الكلام بما يبرئ ساحتها والثاني كراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم
وفيه ان السكوت عن السفيه واجب ومن اذل الناس سفيه لم يجد مسافها قيل اخبرتهم بانها نذرت الصوم بالاشارة
وقيل سوغ لها ذلك بالنطق إنسيا اي اكلم الملائكة دون الانس **فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم**
لقد جئت شيئا فريا يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا
الفري البديع وهو من فري الجلد هرون كان اخاها من ابيها من امثل بني اسرائيل وقيل هو اخو موسى
صلوات الله عليهما وسلامه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انما عنوا هرون النبي وكانت من اعقابه في طبقة
الاخوة وبينها وبينه الف سنة او اكثر وعن السدي رضي الله عنه كانت من اولاده وانما قيل اخت هرون
كما يقال يا اخا همدان اي واحد منهم وقيل رجل صالح او طالح في زمانها شبهوها به اي كنت عندنا مثله في الصلاح
او شتموها به ولم يريدوا اخوة النسب ذكر ان هرون الصالح تبع جنازته اربعون الفا كلهم يسمى هرون
تبركا به وباسمه فقالوا كنا نشبهك بهرون هذا وقرأ عمر بن لجا التيمي رضي الله عنه ما كان اباك امرؤ سوء
وقيل احتمل يوسف النجار رضي الله عنه مريم وابنها الى غار فلبثوا فيه اربعين يوما حتى طهرت من نفاسها ثم
جاءت تحمله فكلمها عيسى عليه السلام في الطريق فقال يا اماه ابشري فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت به على قومها
وهم اهل بيت صالحون تباكوا وقالوا ذلك وقيل هموا برجمها حتى تكلم عيسى عليه السلام فتركوها **فأشارت**
إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني مباركا
أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا
فاشارت اليه اي هو الذي وقيل كان المستنطق لعيسى زكريا عليه السلام وعن السدي لما اشارت اليه

يام

يجيبكم اذا ناطقتموه

عضوا

عصوا وقالوا السحر بها ما اشد علينا من زناها • وروي انه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه واتكا على يساره واشار بسبابته وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان كان لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم يصلح لقريبه وبعيده وهو ههنا لقريبه خاصة والدال عليه معنى الكلام وانه مسوق للتعجب ووجه اخر ان يكون نكلم حكاية حال ماضية اي كيف عهد قبل عيسى ان نكلم الناس صبيا في المهد فيما سلف من الزمان حتى نكلم هذا انطقه الله اولا بانه عبد الله ردا لقول النصارى والكتاب هو الانجيل واختلفوا في نبوته فقيل اعطيها في طفوليته اكمل الله عقله واستنبأه طفلا نظرا الى ظاهر الاية وقيل معناه ان ذلك سبق في قضائه او جعل الآتي لا محالة كانه قد وجد مباركا اينما كنت عن النبي صلى الله عليه وسلم نفاعا حيث وقيل معلما للخير • وقرئ وبرا عن ابي نهيك رضي الله عنه جعل ذاته برا لفرط بره او نصبه بفعل في معنى اوصاني وهو كلفني لان اوصاني بالصلاة والزكوة **والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم** قيل ادخل لام التعريف بالذكر قبله كقولك جاءنا رجل فكان من فعل الرجل كذا وكذا والمعنى ذلك السلام الموجه الى يحيى في المواطن الثلاثة موجه الى عيسى عليه السلام والصحيح ان هذا التعريف يكون تعريضا باللعنة على متهمي مريم عليها السلام واعدائها من اليهود وتحقيقه ان اللام للجنس فاذا قال وجنس السلام علي خاصة فقد عرض بان ضده عليكم ونظيره قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى يعني ان العذاب على من كذب وتولى وكان المقام مقام مناكرة وعناد فهو مئنة لنحو هذا من التعريض قرا عاصم وابن عامر رضي الله عنهما قول الحق بالنصب وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال الحق وقال الله وعن الحسن رضي الله عنه قول الحق بضم القاف وكذلك في الانعام قوله الحق والقال والقول بمعنى واحد كالرهب والرهب والرهب وارتفاعه على انه خبر بعد خبر او بدل او خبر مبتدا محذوف واما انتصابه فعلى المدح ان فسر بكلمة الله تعالى وعلى انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة ان اريد قول الثبات والصدق كقولك هو عبد الله الحق لا الباطل وانما قيل لعيسى عليه السلام كلمة الله وقول الحق لانه لم يولد الا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير واسطة اب تسمية للمسبب باسم السبب كما سمي العشب بالسماء والشحم بالندى ويحتمل اذا اريد بقول الحق عليه السلام ان يكون الحق اسم الله عز وجل وان يكون بمعنى الثبات والصدق ويعضده قوله الذي فيه يمترون اي امره حق يقين وهم فيه شاكون يمترون يشكون والمرية الشك او يتمارون يتلاحون قالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلاثة وقرا علي بن ابي طالب رضي الله عنه تمترون على الخطاب وعن ابي ابن كعب قول الحق الذي كان الناس فيه يمترون كذب النصارى وبكتهم بالدلالة على نفي الولد عنه وانه مما لا يتأتى ولا يتصور في المعقول ليس اذا اراد شيئا من الاجناس كلها اوجده بكن كان منزها من شبه الحيوان والوالد والقول ههنا مجاز ومعناه ان ارادته للشيء يتبعها كونه لا محالة من غير توقف فشبه ذلك بامر الامر المطاع اذا ورد على الممتثل قرا المدنيون وابو عمرو رضي الله عنه بفتح ان ومعناه ولانه ربي وربكم فاعبدوه كقوله وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا والاستاذ وابو عبيد رضي الله عنهم بالكسر على الابتدا وفي حرف ابي ان الله بالكسر بغير واو وبان الله اي بسبب ذلك فاعبدوه هذا صراط مستقيم **فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم** اليهود والنصارى عن الكلبي رحمة الله عليه الذين تحزبوا على الانبيا لما قص عليهم قصة

وقيل النصارى لتحزبهم ثلاث فرق
نسطورية ويعقوبية وملكانية
وعن الحسن رضي الله عنه

عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من بين الناس من مشهد يوم عظيم اي من شهودهم هول الحساب او الجزا في يوم القيمة
اومن مكان اليهود فيه وهو الموقف او من وقت الشهادة ذلك اليوم عليهم وان تشهد عليهم الملايكة والانبيا الشهود او من ا
والسنتهم وايديهم وارجلهم بالكفر وسوء الاعمال او من مكان الشهادة او وقتها اسمع بهم وابصر يوم
يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين وقيل هو ما قالوه وشهدوا به في عيسى وامه عليهما السلام
لا يوصف الله سبحانه وتعالى بالتعجب وانما المراد ان اسماعهم وابصارهم يومئذ جدير بان يتعجب منهما
بعد ما كانوا صما عميا في الدنيا وقيل معناه التهديد بما سيسمعون وسيبصرون مما يسوءهم ويصدع قلوبهم
اوقع الظاهر يعني الظالمين موقع الضمير اشعارا بان لا ظلم اشد من ظلمهم حيث اغفلوا الاسماع والنظر
حين يجدي عليهم ويسعدهم والمراد بالضلال المبين اغفال النظر والاستماع وانذرهم يوم الحسرة اذ
قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون
قضي الامر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عنه فقال
حين يذبح الكبش والفريقان ينظران واذ بدل من يوم الحسرة او منصوب بالحسرة وهم في غفلة متعلق بقوله
في ضلال مبين عن الحسن رضي الله عنه وانذرهم اعتراض او هو متعلق بانذرهم اي وانذرهم على هذه الحال
غافلين غير مؤمنين يحتمل انه يميتهم ويخرب ديارهم وانه يفني اجسادهم ويفني الارض ويذهب بها
واذكر في الكتاب ابرهيم انه كان صديقا نبيا اذ قال لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر
ولا يغني عنك شيئا يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا
يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب
من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال اراغب انت عن الهتي يا ابرهيم لئن لم تنته لارجمنك
واهجرني مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا واعتزلكم وما تدعون من دون
الله وادعو ربي عسى الا اكون بدعاء ربي شقيا فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله
وهبنا له اسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا الصديق من ابنية المبالغة ونظيره الضحيك والنطيق
والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله تعالى واياته وكتبه ورسله وكان الرجحان والغلبة في هذا
التصديق للكتب والرسل اي كان مصدقا لجميع الانبيا وكتبهم وكان نبيا في نفسه كقوله تعالى بل جاء بالحق
وصدق المرسلين او كان بليغا في الصدق لان ملاك امر النبوة الصدق ومصدق الله باياته ومعجزاته حري
ان يكون كذلك وهذه الجملة وقعت اعتراضا بين المبدل منه وبدله يعني ابراهيم واذ قال نحو قولك
رايت زيدا ونعم الرجل اخاك ويجوز ان يتعلق اذ بكان او بصديقا نبيا اي كان جامعا لخصايص الصديقين
والانبيا حين خاطب اباه تلك المخاطبات والمراد بذكر الرسول اياه وقصته في الكتاب ان يتلو ذلك على
الناس ويبلغه اياهم لقوله تعالى واتل عليهم نبا ابرهيم والا فالله عز وعلا هو ذاكره ومورده في تنزيله
التا في يا ابت عوض من يا الاضافة ولا يقال يا ابتي لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه وقيل يا ابتا لكون
الالف بدلا من اليا وشبه ذلك سيبويه بأينق وتعويض اليا فيه بدلا عن الواو الساقطة انظر
اراد ان ينصح اباه ويعظه فيما كان متورطا فيه من الخطا العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصا فيه امر
العقل وانسلخ عن قضية التمييز ومن الغباوة التي ليس بعدها كيف رتب الكلام معه في احسن اتساق وساقه
ارشق مساق مع استعمال المجاملة والرفق واللين والادب الجميل والخلق الحسن منتصحا في ذلك بنصيحة ربه جل
وعلا حدث ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوحى الله الى ابرهيم صلى الله عليه وسلم انك خليلي حسن

خلقك

خلقك ولو مع الحمار لدخل مع الابرار فكيف لمن حسن خلقه اظله تحت عرشي واسكنه حظيرة القدس وادنيه
من جواري وذلك انه طلب منه اولا العلة في خطيئته طلب منبه على تماديه موقظ لافراطه وتناهيه
لان المعبود لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على الثواب والعقاب نافعا ضارا الا انه بعض الخلق
لا يستخف عقل من اهله للعبادة ووصفه بالربوبية ويسجل عليه بالغي المبين والظلم العظيم وان كان من
اشرف الخلق واعلاهم منزلة كالملائكة والنبيين قال الله تعالى ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا
ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون وذلك ان العبادة هي غاية التعظيم فلا يحق الا لمن له غاية الانعام وهو
الخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب الذي منه اصول النعم وفروعها فاذا وجهت الى غيره وتعالى علوا كبيرا ان
تكون هذه الصفة لغيره لم يكن الا ظلما وعتوا وغيا وكفرا وجحودا وخروجا عن الصحيح النير الى الفاسد المظلم
فما ظنك بمن وجه عبادته الى جماد ليس به حس ولا شعور فلا يسمع يا عابده ذكرك له وثناءك عليه ولا يرى هيئات
خضوعك وخشوعك له فضلا ان يغني عنك بان تستدفعه بلاء فيدفعه او يسنح لك حاجة فيكفيكها ثم
ثنى بدعوته الى الحق مترفقا به متلطفا فلم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال ان
معي طائفة من العلم وشيئا منه ليس معك وذلك علم الدلالة على الطريق السوي فلا تستنكف وهب اني واياك
في مسير وعندي معرفة بالهداية دونك فاتبعني انجك من ان تضل وتتيه ثم ثلث بتثبيطه ونهيه
عما كان عليه بان الشيطان الذي استعصى على ربك الرحمن الذي جميع ما عندك من النعم من عنده وهو عدوك
الذي لا يريد بك الا كل هلاك وخزي ونكال وعدو ابيك آدم وابناء جنسك كلهم هو الذي ورطك في هذه
الضلالة وامرك بها وزينها لك فانت ان حققت النظر عابد الشيطان الا ان ابرهيم صلى الله عليه وسلم
لامعانه في الاخلاص ولارتقاء همته في الربانية لم يذكر من جنايتي الشيطان الا التي تختص منهما برب العزة
من عصيانه واستكباره ولم يلتفت الى ذكر معاداته لادم وذريته كان النظر في عظم ما ارتكب من ذلك غمر
فكره واطبق على ذهنه ربع بتخويفه سوء العاقبة وما يجره ما هو فيه من التبعة والوبال ولم يخل ذلك من حسن
الادب حيث لم يصرح بان العقاب لاحق به وان العقاب لاصق به ولكنه قال اخاف ان يمسك عذاب من
الرحمن فذكر الخوف والمس ونكر العذاب وجعل ولاية الشيطان ودخوله في اشياعه واوليائه اكبر من العذاب
وذلك ان رضوان الله اكبر من الثواب نفسه وسماه الله عز وجل المشهود له بالفوز العظيم حيث قال ورضوان
من الله اكبر هو الفوز العظيم فلذلك ولاية الشيطان التي هي معارضة رضوان الله اكبر من العذاب نفسه واعظم
وصدر كل نصيحة من النصائح الاربع بقوله يا ابت توسلا واستعطافا ما في ما لا يسمع وما لم ياتك
يجوز ان تكون موصولة وموصوفة والمفعول في لا يسمع ولا يبصر منسي غير منوي كقولك ليس به استماع ولا
ابصار وشيئا يحتمل وجهين احدهما ان يكون في موضع المصدر اي شيئا من الغناء ويجوز ان يقدر نحوه مع الفعلين
السابقين والثاني ان يكون مفعولا به من قولهم اغن عني وجهك فقد جاءني من العلم فيه تجدد العلم عنده
لما اطلعه على سماجة امره وهدم مذهبه بالحجج القاطعة وناصحه المناصحة العجيبة مع تلك الملاطفات اقبل
عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بني وقدم الخبر على المبتدا
في قوله اراغب انت عن الهتي لانه كان اهم عنده وهو عنده اعنى وفيه ضرب من التعجب والانكار لرغبته
عن الهته وان الهته ما ينبغي ان يرغب عنها احد وفي هذا سلوان وثلج لصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم
عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه لارجمنك لارمينك بلساني يريد الشتم والذم ومنه الرجيم المرمي
باللعن او لاقتلنك من رجم الزاني او لاطردنك رميا بالحجارة واصل الرجم الرمي بالرجام مليا زمانا

طويلاً من الملاوة او مليًّا بالذهاب عني والهجران قبل ان اثخنك بالضرب حتى لا تقدر ان تبرح يقال فلان ملي بكذا اذا كان
مطيقا له مضطلعًا به فان قلت علام عطف واهجرني قلت على معطوف عليه محذوف يدل عليه
لارجمنك اي فاحذرني واهجرني لانّ لارجمنك تهديد وتقريع سلام عليك سلام توديع ومتاركة كقوله
لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وهذا جواز على متاركة
المنصوح والحال هذه ويجوز ان يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له الا ترى انه وعده الاستغفار فان قلت
كيف جاز له ان يستغفر للكافر وان يعده ذلك قلت اراد اشتراط التوبة عن الكفر كما ترد الاوامر والنواهي
الشرعية على الكفار والمراد اشتراط الايمان وكما يؤمر المحدث والفقير بالصلاة والزكوة ويراد اشتراط الوضوء
والنصاب وقيل انما استغفر له واغفر لابي انه كان من الضالين لانه وعده ان يومن واستشهدوا بقوله تعالى
وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه ولقائل ان يقول الذي منع من الاستغفار للكافر انما هو
السمع فاما القضية العقلية فلا تأباه فيجوز ان يكون الوعد بالاستغفار والوفاء به قبل ورود السمع بناء على قضية
العقل والذي يدل على صحته قوله تعالى الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك فلو كان شارطا للايمان لم يكن مستنكرا
ومستثنى عما وجبت فيه الاسوة واما عن موعدة وعدها اياه فالواعد هو ابراهيم لا آزر اي ما قال واغفر
لابي الا عن قوله لاستغفرن لك وتشهد له قراءة حماد الراوية وعدها اباه والله اعلم الحفي البليغ في البر
والالطاف حفي به وتحفى اراد بالاعتزال المهاجرة الى الشام المراد بالدعاء العبادة لانه منها ومن وسايطها
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة ويدل عليه قوله فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله ويجوز ان
يراد الدعاء الذي حكاه الله عز وجل في سورة الشعراء عرض بشقاوتهم بدعاء الهتهم في قوله عسى ان لا اكون بدعاء ربي
شقيا مع التواضع لله في كلمة عسى وما فيه من هضم النفس ما خسر على الله تعالى احد ترك الكفار الفسقة لوجهه
فعوضه اولادًا انبياء مؤمنين ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا من رحمتنا هي النبوة
وعن الكلبي المال والولد ويكون عامة في كل خير ديني ودنيوي اوتوه لسان الصدق الثناء الحسن وعبّر باللسان
باللسان عما يوجد باللسان كما عبّر باليد عما يطلق باليد وهي العطية قال اني اتتني لسان لا اسرّ بها يريد
الرسالة ولسان العرب لغتهم وكلامهم استجاب الله دعوته واجعل لي لسان صدق في الآخرين فصيّره قدوة
حتى ادعاه اهل الاديان كلهم وقال الله عز وجل ملة ابيكم ابراهيم حنيفا ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا
واعطى ذلك ذريته فاعلى ذكرهم واثنى عليهم كما اعلى ذكره واثنى عليه واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا
وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا ووهبنا له من رحمتنا اخاه
هارون نبيا المخلص بالكسر الذي اخلص العبادة عن الشرك والريا او اخلص نفسه واسلم وجهه لله وبالفتح الذي
اخلصه الله الرسول الذي معه كتاب من الانبياء والنبي الذي ينبئ عن الله عز وجل وان لم يكن معه كتاب كيوشع الايمن من
اليمن اي من ناحيته اليمنى او من اليمن صفة للطور او للجانب شبّهه بمن قرّبه بعض العظماء للمناجاة حيث كلمه بغير
واسطة ملك وعن ابي العالية قرّبه حتى سمع صريف القلم الذي كتب به التوراة من رحمتنا من اجل رحمتنا ورأفتنا
عليه وهبنا له هرون او بعض رحمتنا كما في قوله ووهبنا لهم من رحمتنا واخاه على هذا الوجه بدل وهرون وترؤفنا
عطف بيان كقولك رايت رجلا اخاك زيدا وكان هرون اكبر من موسى عليهما السلام فوقعت الهبة على معاضدته
ومؤازرته كذا عن ابن عباس رضي الله عنه واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا
نبيا وكان يأمر اهله بالصلاة والزكوة وكان عند ربه مرضيا ذكر اسماعيل عليه الصلاة والسلام بصدق
الوعد وان كان موجودًا في غيره من الانبياء تشريفا له واكراما كالتلقيب نحو الحليم والاوّاه والصديق ولانه

المشهور المتواصف من خصاله عن ابن عباس رضي الله عنه انه وعد صاحبا له ان ينتظره في مكان فانتظره سنة وناهيك
انه وعد من نفسه الصبر على الذبح ووفى حيث قال ستجدني ان شاء الله من الصابرين كان يبدأ باهله في الامر بالصلاح
والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم ولانهم اولى من ساير الناس وانذر عشيرتك الاقربين وأمر اهلك بالصلوة
قوا انفسكم واهليكم نارا الا ترى انهم احق بالتصدق عليهم والاحسان الديني وقيل اهله امته كلهم من القرابة
وغيرهم لان امم النبيين في عداد اهاليهم وفيه ان من حق الصالح ان يأتي لو انصح للاجانب فضلا عن الاقارب
والمتصلين به وان يحظيهم بالفوائد الدينية ولا يفرط في ذلك واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا
نبيا ورفعناه مكانا عليا اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا
مع نوح ومن ذرية ابراهيم وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم خروا سجدا وبكيا فخلف
من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا الا من تاب وآمن
وعمل صالحا فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا جنات عدن التي وعد الرحمن عباده
بالغيب انه كان وعده مأتيا قيل سمي ادريس لكثرة دراسته كتاب الله تعالى وكان اسمه اخنوخ وهو
غير صحيح لانه لو كان افعيلا من الدرس لم يكن فيه الا سبب واحد وهو العلمية وكان منصرفا فامتناعه
من الصرف دليل العجمة وكذلك ابليس اعجمي وليس هو من الابلاس كما يزعمون ولا يعقوب من العقب ولا اسرائيل
باسرال كما زعم ابن السكيت ومن لم يحقق ولم يتدرب بالصناعة كثرت منه امثال هذه الهنات ويجوز
ان يكون معنى ادريس في تلك اللغة قريبا من ذلك فحسبه الراوي مشتقا من الدرس المكان العلي شرف النبوة
والزلفى عند الله وقد انزل الله عز وجل عليه ثلثين صحيفة وهو اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب
واول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود وعن انس بن ملك رضي الله عنه يرفعه
انه رفع الى السما الرابعة وعن ابن عباس الى السما السادسة وعن الحسن رضي الله عنه الى الجنة لا شي اعلا من
الجنة وعن النابغة الجعدي انه لما انشد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر الذي آخره بلغنا السماء
مجدا وجودا وسوددا وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اين يا ابا ليلى قال
الى الجنة اولئك اشارة الى المذكورين في السورة من لدن زكريا الى ادريس عليهم الصلوات والسلام ومن في
من النبيين للبيان مثلها في قوله تعالى في آخر سورة الفتح وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة
لان جميع الانبيا منعم عليهم وابراهيم عليه السلام ومن للتبعيض وكان ادريس من ذرية آدم عليهم السلام
لقربه منه لانه جد ابي ابرهيم عليه السلام ومن ذرية من حمل مع نوح لانه من ولد سام بن نوح واسمعيل من ذرية
ابرهيم وموسى وهرون وزكريا ويحيى من ذريته اسرائيل وكذلك عيسى لان مريم من ذريته وممن هدينا
يحتمل العطف على من الاولى والثانية ان جعلت الذين خبر الاولئك كان اذا تتلى كلاما مستانفا وان جعلته صفة
له كان خبرا قرا شبل بن عباد المكي رضي الله عنه بالياء يتلى بالتذكير لان التانيث غير حقيقي مع وجود الفاصل
البكي جمع باك كالسجود والقعود في جمع ساجد وقاعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتلوا القران
وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المري رضي الله عنه قرات القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المنام فقال لي يا صالح هذه القراة فاين البكا وعن ابن عباس رضي الله عنه اذا قراتم سجدة سبحان فلا
تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان القران نزل بحزن
فاذا قراتموه فتحازنوا وقالوا يدعوا في سجدة التلاوة بما يليق باياتها فان قرا تنزيل السجدة قال اللهم اجعلني
من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك وان قرا سجدة سبحان

قال اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وان قرا هذه قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة كتابك آياتك خلفه اذا عقبه ثم قيل في عقب الخير خلف بالفتح وفي عقب عقب السوء خلف بالسكون كما قالوا في ضمان للخير ووعيد في ضمان الشر عن ابن عباس رضي الله عنه هم اليهود تركوا الصلاة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الاب وعن ابرهيم ومجاهد رضي الله عنهما اضاعوها بالتاخير وينصر الاول قوله الا من تاب وامن يعني الكفار وعن علي رضي الله عنه في قوله واتبعوا الشهوات من بني الشديد وركب المنظور ولبس المشهور وعن قتادة رضي الله عنه هو في هذه الامة وقرا ابن مسعود والحسن والضحاك رضي الله عنهم الصلوات بالجمع كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد قال

فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

وعن الزجاج رضي الله عنه جزاء غي كقوله تعالى يلق اثاما اي مجازاة اثام او غيا عن طريق الجنة وقيل غي واد في جهنم تستعيذ منها اوديتها وروي الاخفش يلقون وقرئ يدخلون ويدخلون اي لا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم ولا يمنعونه بل يضاعف لهم بيانا لان تقدم الكفر لا يضرهم اذا امنوا من قولك ما ظلمك ان تفعل كذا بمعنى ما منعك او لا يظلمون البتة اي شيئا من الظلم لما كانت الجنة مشتملة على جنات عدن ابدلت منها كقولك ابصرت دارك القاعة والعلالي وعدن معرفة علم بمعنى العدن وهو الاقامة كما جعلوا فينة وسحر وامس في من لم يصرفه اعلاما لمعاني الفينة والسحر والامس تجري مجرى العدن لذلك او هو علم لارض الجنة لكونها مكان اقامة ولولا ذلك لما ساغ الابدال لان النكرة لا تبدل من المعرفة الا موصوفة ولما ساغ وصفها بالتي وقرئ جنات عدن وجنة عدن بالرفع على الابتدا اي وعدها وهي غائبة عنهم غير حاضرة او هم غائبون عنها لا يشاهدونها او بتصديق الغيب والايمان به قيل في ماتيا مفعول بمعنى فاعل والوجه ان الوعد هو الجنة وهم ياتونها او هو من قولك اتى اليه احسانا اي كان وعده مفعولا منجزا لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا اللغو فضول الكلام وما لا طائل تحته وفيه تنبيه ظاهر على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله تعالى عنه الدار التي لا تكليف فيها وما احسن قوله سبحانه واذا مروا باللغو مروا كراما واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين نعوذ بالله من اللغو والجهل والخوض فيما لا يعنينا اي ان كان تسليم بعضهم على بعض او تسليم الملائكة عليهم لغوا فلا يسمعون لغوا الا ذلك فهو من وادي قوله

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

او لا يسمعون فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة على الاستثناء المنقطع او لان معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ودار السلام هي دار السلامة واهلها عن الدعاء بالسلامة اغنياء فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الاكرام من الناس من ياكل الوجبة ومنهم من ياكل متى وجد وهي عادة المنهومين ومنهم من يتغدى ويتعشى وهي العادة الوسطى المحمودة ولا يكون ثم ليل ولا نهار ولكن على التقدير ولان المتنعم عند العرب من وجد غداء وعشاء وقيل اراد دوام الرزق ودروره كما تقول انا عند فلان صباحا ومساء وبكرة وعشيا يريد الديمومة ولا يريد الوقتين المعلومين نورث من عبادنا من كان تقيا وما نتنزل الا بامر ربك وقرئ نورث استعارة اي نبقي عليه الجنة كما يبقي على الوارث مال المورث ولان الاتقياء يلقون ربهم يوم القيامة قد انقضت اعمالهم وثمرها باقية وهي الجنة فاذا ادخلهم الجنة فقد اورثهم من تقواهم كما يورث الوارث المال من المتوفي وقيل اورثوا من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو اطاعوا وما نتنزل الا بامر ربك

بلغ مقابلة

حكاية قول

بلغ مقابلة

حكاية قول جبريل صلوات الله وسلامه عليه حين استبطأه رسول الله صلى الله عليه وسلم روي انه احتبس اربعين يوما
وقيل خمسة عشر يوما وذلك حين سئل عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين والروح فلم يدر كيف يجيب
ورجا ان يوحى اليه فيه فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فلما نزل جبريل عليه السلام
قال له النبي صلى الله عليه وسلم ابطأت حتى ساء ظني واشتقت اليك قال اني كنت اشوق ولكني عبد مامور اذا بعثت
نزلت واذا حبست احتبست فانزل الله سبحانه وتعالى هذه السورة وسورة الضحى والتنزل على معنيين معنى النزول
على مهل ومعنى النزول على الاطلاق كقوله فلست لانسي ولكن لملاك • تنزل من جو السما يصوب • لانه مطاوع
نزل ونزل يكون بمعنى انزل وبمعنى التدريج واللايق بهذا الموضع هو النزول على مهل والمراد ان نزولنا
في الاحايين وقتا غب وقت ليس الا بامر الله وعلى ما يراه صوابا وحكمة **له ما بين ايدينا وما
خلفنا** وله ما قدامنا وما خلفنا من الجهات والاماكن وما نحن فيها فلا نتمالك ان ننتقل من جهة
الى جهة ومكان الى مكان الا بامر المليك ومشيته وهو الحافظ العالم بكل حركة وسكون وما يحدث ويتجدد
من الاحوال لا يجوز عليه الغفلة والنسيان فانى لنا ان نتقلب في ملكوته الا اذا راى ذلك مصلحة وحكمة واطلق
لنا الاذن فيه وقيل ما سلف من امر الدنيا وما يستقبل من امر الآخرة **وما بين ذلك وما كان ربك
نسيا** وما بين ذلك ما بين النفختين وهو اربعون سنة وقيل ما مضى من اعمارنا وما غبر منها والحال التي
نحن فيها وقيل ما قبل وجودنا وما بعد فنائنا وقيل الارض التي بين ايدينا اذا نزلنا والسما التي وراءنا
وما بين السما والارض والمعنى انه المحيط بكل شي لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة فكيف نقدم على فعل
نحدثه الا صادرا عما توجبه حكمته ويامرنا به ويأذن لنا فيه وقيل معنى وما كان ربك نسيا وما كان تاركا
لك لقوله ما ودعك ربك وما قلى اي ما كان امتناع النزول الا لامتناع الامر به واما احتباس الوحي فلم
يكن عن ترك الله لك وتوديعه اياك ولكن لتوقفه على المصلحة وقيل هي حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة
اي وما ننزل الجنة الا بمن الله علينا بثواب اعمالنا وامرنا بدخولها وهو المالك لرقاب الامور كلها السالفة
والمترقبة والحاضرة اللاطف في اعمال الخير والموفق لها والمجازي عليها ثم قال الله تعالى تقريرا لقولهم •
وما كان ربك نسيا لاعمال العاملين غافلا عما يجب ان يثابوا به وكيف يجوز النسيان والغفلة على ذي ملكوت
السما والارض وما بينهما ثم قال لرسوله صلى الله عليه وسلم لحين عرفته على هذه الصفة فاقبل على العمل واعبده
يثبك كما اثاب غيرك من المتقين • وقرا الاعرج رضي الله عنه وما يتنزل بالياء على الحكاية عن جبريل
عليه السلام والضمير للوحي وعن ابن مسعود رضي الله عنه الا بقول ربك يجب ان المتسمي مثله البغي •
رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا
رب بدل من ربك ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف اي هو رب السموات والارض فاعبده • وقائلة •
خولان فانكح فتاتهم • وعلى هذا الوجه يكون وما كان ربك نسيا من كلام المتقين وما بعده من كلام رب
العزة فان قلت هلا عدي اصطبر بعلى التي هي صلته كقوله واصطبر عليها قلت لان العبادة
جعلت بمنزلة القرن في قولك للمحارب اصطبر لقرنك اي اثبت له فيما يورد عليك من شداته اريد ان
العبادة تورد عليك شدائد ومشاق فاثبت لها ولا تهن ولا يضق صدرك عن القاء عداتك من اهل
الكتاب اليك الاغاليط وعن احتباس الوحي عليك مدة وشماتة المشركين بك اي لم يسم شي بالله قط
كانوا يقولون لاصنامهم الهة والعزى اله واما الذي عوض فيه الالف واللام من الهمزة فمخصوص به المعبود الحق
غير مشارك فيه • وعن ابن عباس رضي الله عنه لا يسمى احد الرحمن غيره • ووجه آخر هل يعلم من سمي باسمه

على الحق دون الباطل لان التسمية على الباطل في كونها غير معتد بها كلا تسمية وقيل مثلا وشبيها اي اذا
صح ان لا معبود يوجه اليه العبادة الا هو وحده لم يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها وتكاليفها
ويقول الانسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا أولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل
ولم يك شيئا فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن من كل شيعة
أيهم أشد على الرحمن عتيا ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا وإن منكم إلا واردها
كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا يحتمل ان يراد
بالانسان الجنس وبعض الجنس وهم الكفرة فان قلت لم جازت ارادة الاناسي كلهم وكلهم غير قائلين ذلك قلت لما كانت
هذه المقالة موجودة فيمن هو من جنسهم صح اسناده الى جميعهم كما يقولون بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل
رجل منهم وقال الفرزدق ٭ فسيف بني عبس وقد ضربوا به ٭ نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد ٭ فقد اسند
الضرب الى بني عبس مع قوله نبا بيدي ورقاء وهو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي فان قلت
بم انتصب اذا وانتصابه باخرج ممتنع لاجل اللام لا تقول اليوم لزيد قائم قلت بفعل مضمر يدل
عليه المذكور فان قلت لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال فكيف جامعت حرف الاستقبال
قلت لم تجامعها الا مخلصة للتوكيد كما اخلصت الهمزة في يا الله للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف
وما في اذا ما للتوكيد ايضا فكانهم قالوا أحقا انا سنخرج احياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك على وجه
الاستنكار والاستبعاد والخروج من الارض او من حال الفناء او هو من قولهم خرج فلان عالما وخرج
شجاعا اذا كان نادرا في ذلك يريد ساخرج حيا نادرا على سبيل الهزؤ وقرا الحسن وابو حيوة لسوف
أخرج وعن طلحة بن مصرف رضي الله عنه لساخرج كقراءة ابن مسعود رضي الله عنه ولسعطيك وتقديم
الظرف وايلاؤه حرف الانكار من قبل ان ما بعد الموت هو وقت كون الحيوة منكرة ومنه جاء
انكارهم فهو كقولهم للمسيء الى المحسن احين تمت عليك نعمة فلان اسأت اليه الواو عطفت لا يذكر على يقول
ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعني ايقول ذلك ولا يتذكر حال النشأة
الاولى حتى لا ينكر الاخرى فان تلك اعجب واغرب وادل على قدرة الخالق حيث اخرج الجواهر والاعراض
من العدم الى الوجود ثم اوقع التأليف مشحونا بضروب الحكم التي تحار الفطن فيها من غير حذو على مثال
واقتداء بمؤلف ولكن اختراعا وابداعا من عند قادر جلت قدرته ودقت حكمته واما الثانية فقد تقدمت
نظيرتها وعادت لها كالمثال المحتذى عليه وليس فيها الا تأليف الاجزاء الموجودة الباقية وتركيبها وردها
الى ما كانت عليه مجموعة بعد التفكيك والتفريق وقوله سبحانه ولم يك شيئا دليل على هذا المعنى وكذلك
قوله سبحانه وهو اهون عليه على ان رب العزة سواء عليه النشأتان لا يتفاوت في قدرته الصعب والسهل
ولا يحتاج الى احتذاء على مثال ولا استعانة بحكيم ولا نظر في مقياس ولكن يواجه جاحد البعث
بذلك دفعا في نحر معاندته وكشفا عن صفحة جهله القراء كلهم على لا يذكر بالتشديد الا نافعا وابن عامر
وعاصما رضي الله عنهم فقد خففوا وفي حرف ابي يتذكر من هل من مثل تلك الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه
في القسام الله تعالى باسمه تقدست اسماؤه مضافا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تفخيم لشأن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ورفع منه كما رفع من شأن السماء والارض في قوله فورب السماء والارض انه لحق والشياطين يجوز ان
ان يكون للعطف وبمعنى مع وهي بمعنى مع اوقع والمعنى انهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم
يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة فان قلت هذا اذا اريد بالانسان الكفرة خاصة فان اريد

باسره وان يراد بعض الجنس

والواو في ح

الاناسي على العموم فكيف يستقيم حشرهم مع الشياطين قلت اذا حشر جميع الناس حشرا واحدا وفيهم الكفرة
مقرونين بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين كما حشروا مع الكفرة فان قلت هلا عزل السعداء عن الاشقياء
في الحشر كما عزلوا عنهم في الجزاء قلت لم يفرق بينهم وبينهم في المحشر واحضروا حيث تجاثوا حول جهنم
واوردوا معهم النار ليشاهد السعداء الاحوال التي نجاهم الله عز وجل منها وخلصهم فيزدادوا لذلك
غبطة الى غبطة وسرورا الى سرور ويشمتوا باعداء الله واعدائهم فتزداد مساءتهم وحسرتهم وما يغيظهم
من سعادة اولياء الله تعالى وشماتتهم بهم فان قلت ما معنى احضارهم جثيا قلت اما اذا فسر الانسان
الخصوص فالمعنى انهم يعتلون عن الحشر الى شاطئ جهنم عتلا على حالهم التي كانوا عليها في الموقف جثاة
على ركبهم غير مشاة على اقدامهم وذلك ان اهل الموقف وصفوا بالجثو قال الله تعالى وترى كل امة
جاثية على العادة المعهودة في مواقف المقاولات والمناقلات من تجاثي اهلها على الركب لما في ذلك من
الاستيفاز والقلق واطلاق الحبى خلاف الطمانينة او لما يدهمهم من شدة الامر التي لا يطيقون
معها القيام على ارجلهم فيجثون على ركبهم جثوا وان فسر بالعموم فالمعنى انهم يتجاثون عند موافاة
شاطئ جهنم على ان جثيا حال مقدرة على حالهم كما كانوا في الموقف متجاثين لانه من توابع المواقف
للحساب قبل التوصل للثواب والعقاب والمراد بالشيعة وهي فعلة كفرقة وفئة الطائفة التي شاعت
اي تبعت غاويا من الغواة قال الله تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا يريد نمتاز من كل طائفة
من طوائف الغي والفساد اعصاهم فاعصاهم واعتاهم فاعتاهم فاذا اجتمعوا طرحناهم في النار
على الترتيب نقدم اولاهم بالعذاب فاولاهم او اراد بالذين هم اولى بها صليا المنتزعين كما هم كانه قال
ثم لنحن اعلم بتصلية هؤلاء وهم اولى بالصلي من سائر الصالين ودركاتهم اسفل وعذابهم اشد
ويجوز ان يريد باشدهم عتيا رؤساء الشيع وائمتهم لتضاعف جرمهم لكونهم ضلالا مضلين قال
الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وليحملن اثقالهم
واثقالا مع اثقالهم واختلف في اعراب ايهم اشد فعن الخليل انه مرتفع على الحكاية تقديره لننزعن الذين
يقال فيهم ايهم اشد وسيبويه انه مبني على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته حتى لو جيء به لاعرب
وقيل ايهم اشد ويجوز ان يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله تعالى ووهبنا لهم من رحمتنا اي
لننزعن بعض كل شيعة فكان قائلا قال من هم فقيل ايهم اشد عتيا وايهم اشد بالنصب عن طلحة بن مصرف
وعن معاذ بن مسلم الهراء استاذ الفراء رضوان الله عليهم فان قلت بم يتعلق على والباء فان تعلقهما
بالمصدر لا سبيل اليه قلت هما للبيان لا للصلة او يتعلقان بافعل اي عتوهم اشد على الرحمن وصليهم
اولى بالنار كقولهم هو اشد على خصمه وهو اولى بكذا وان منكم التفات الى الانسان يعضده قراءة ابن
عباس وعكرمة رضي الله عنهما وان منهم او خطاب للناس من غير التفات الى المذكور فان اريد الجنس كله
فمعنى الورود دخولهم فيها وهي جامدة فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
يردونها كانها اهالة وروي دواية وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن ذلك فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها
وهي جامدة وعنه رضي الله عنه انه سئل عن هذه الاية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود
الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم عليه السلام حتى ان للنار
ضجيجا من بردها واما قوله سبحانه وتعالى اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وعن ابن مسعود والحسن

وقتادة رضي الله تعالى عنهم هو الجواز على الصراط لان الصراط ممدود عليها وعن ابن عباس رضي الله عنه قد
يرد الشيء الشيء ولم يدخله لقوله سبحانه وتعالى ولما ورد ماء مدين ووردت القافلة البلد وان لم تدخله
ولكن قربت منه وعن مجاهد رضي الله عنه ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا لقوله
صلى الله عليه وسلم الحمى من فيح جهنم وفي الحديث الحمى حظ كل مؤمن من النار ويجوز ان يراد بالورود
جثوهم حولها وان اريد الكفار خاصة فالمعنى بين كان على ربك حتما مقضيا مصدر حتم الامر اذا اوجبه فسمي به الموجب
لقولهم خلق الله وضرب الامير اي كان ورودهم واجبا على الله تعالى اوجبه على نفسه وقضى به وعزم
ألا يكون غيره وقرئ ننجي وننجي وينجي وينجى على ما لم يسم فاعله ان اريد الجنس باسره فهو ظاهر وان اريد
الكفرة وحدهم فمعنى ثم ننجي الذين اتقوا ان المتقون يساقون الى الجنة عقيب ورود الكفار لا انهم يواردونهم
ثم يتخلصون وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس والجحدري وابن ابي ليلى رضي الله عنهم ثم ننجي بفتح الثاء اي هناك
وقوله تعالى ونذر الظالمين فيها جثيا دليل على ان المراد بالورود الجثو حولها وان المؤمنين يفارقون الكفرة
الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الكفرة في مكانهم جاثين **وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا**
للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا بينات مرتلات الالفاظ ملخصات المعاني مبينات
المقاصد اما محكمات او متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات او بتبيين الرسول صلى الله عليه وسلم قولا او فعلا
او ظاهرات الاعجاز تحدي بها فلم يقدر على معارضتها او حججا وبراهين والوجه ان تكون حالا مؤكدة كقوله
وهو الحق مصدقا لان آيات الله عز وجل لا تكون الا واضحة وحججا للذين آمنوا يحتمل انهم يناطقون المؤمنين
بذلك ويواجهونهم به وانهم يفوهون به لاجلهم وفي معناهم لقوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو
كان خيرا ما سبقونا اليه قرأ ابن كثير مقاما بالضم وهو موضع الاقامة والمنزل والباقون بالفتح وهو موضع القيام
والمراد المكان والموضع والندي المجلس ومجتمع القوم وحيث ينتدون والمعنى انهم اذا سمعوا الآيات وهم جهلة
لا يعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم قالوا اي الفريقين من المؤمنين بالآيات والجاحدين
بها أوفر حظا من الدنيا حتى يجعل ذلك عيارا على الفضل والنقص والرفعة والضعة ويروى انهم كانوا يرجلون
شعورهم ويدهنون ويتطيبون ويتزينون بالزين الفاخرة ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين انهم اكرم على
الله منهم **وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا** كم مفعول اهلكنا ومن تبيين لابهامها اي
كثيرا من القرون اهلكنا وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم انهم يتقدمونهم وهم احسن في محل النصب صفة لكم
الا انك لو تركت هم لم يكن لك بد من نصب احسن على الوصفية الاثاث متاع البيت وقيل هو ما جد من الفرش
والخرثي ما لبس منها وانشد الحسن بن علي الطوسي
تقادم العهد من ام الوليد بنا دهرا وصار اثاث البيت خرثيا
قرئ على خمسة اوجه رئيا وهو المنظر والهيئة ورئيا على القلب لقولهم رآني بمعنى رأني وريا
على قلب الهمزة يا والادغام او من الري الذي هو النعمة والترفه من قولهم ريان من النعيم وريئا على حذف
الهمزة رأسا ووجهه ان تخفف المقلوب وهو رئيا بحذف همزته والقاء حركتها على الياء الساكنة
قبلها وزيا واشتقاقه من الزي وهو الجمع لان الزي محاسن مجموعة والمعنى احسن من هؤلاء اي مد له الرحمن
يعني امهله واملى له في العمر فاخرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب ذلك وانه مفعول لا محالة كالمأمور به
الممتثل لتنقطع معاذير الضال ويقال له يوم القيامة اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر او كقوله انما نملي
لهم ليزدادوا اثما **قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى إذا رأوا ما يوعدون إما**

العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا ويزيد الله الذين اهتدوا هدى

او من كان في الضلالة فمد له الرحمن في معنى الدعا بان يمهله الله وينفس في مدة حياته وفي هذه الاية وجهان احدهما ان تكون متصلة بالاية التي هي رابعتها والايتان اعتراض بينهما اي قالوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا حتى اذا راوا ما يوعدون اي لا يبرحون هذا القول ويتولعون به لا يتكافون عنه الى ان يشاهدوا الموعود راي عين اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واظهار الله عز وجل دينه على الدين كله على ايديهم واما يوم القيامة وما ينالهم من الخزي والنكال فحينئذ يعلمون عند المعاينة ان الامر على عكس ما قدروه وانهم شر مكانا واضعف جندا لا خير مقاما واحسن نديا وان المؤمنين على خلاف صفتهم والثاني ان تتصل بما يليها والمعنى ان الذين في الضلالة ممدود لهم في ضلالتهم والخذلان لاحق بهم لعلم الله بهم وبان الالطاف لا تنفع فيهم وليسوا من اهلها والمراد بالضلالة ما دعاهم من جهلهم وغلوهم في كفرهم الى القول الذي قالوه لا ينفكون عن ضلالتهم الى ان يعاينوا نصرة الله المؤمنين او يشاهدوا الساعة ومقدماتها فان قلت حتى هذه ما هي قلت هي التي تحكى بعدها الجمل الا ترى الجملة الشرطية واقعة بعدها وهي قوله سبحانه وتعالى اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون شر مكانا واضعف جندا في مقابلة خير مقاما واحسن نديا لان مقامهم هو مكانهم ومسكنهم والندي المجلس الجامع لوجوه قومهم واعوانهم وانصارهم والجند هم الاعوان والانصار ويزيد معطوف على فليمدد لانه واقع موقع الخبر تقديره من كان في الضلالة مد او يمد له الرحمن ويزيد اي في ضلال الضلال بخذلانه ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا اعمال الاخرة كلها وقيل الصلوات وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اي هي خير ثوابا من مفاخرات الكفار وخير مردا اي مرجعا وعاقبة او منفعة من قولهم ليس هذا الامر مرد وهل يرد بكاي زندا فان قلت كيف قيل خير ثوابا كان لمفاخراتهم ثوابا حتى يجعل ثواب الصالحات خيرا منه قلت كانه قيل ثوابهم النار على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم وقوله

شجعاء جرتها الذميل تلوكه • أصلا اذا راح المطي غراثا وقوله

تحية بينهم ضرب وجيع

ثم بني عليه خير ثوابا وفيه ضرب من التهكم الذي هو اغيظ للمتهدد من ان يقال له عقابك النار فان قلت فما وجه التفضيل في الخير كان لمفاخرهم شركا فيه قلت هذا من وجيز كلامهم يقولون الصيف احر من الشتا اي ابلغ في حره منه في برده لما كان مشاهدة الاشيا ورؤيتها طريقا الى الاحاطة بها علما وصحة الخبر عنها استعملوا ارايت في معنى اخبر والفا جاءت لافادة معناها الذي هو التعقيب كانه قال اخبر ايضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث اولئك افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا من قولهم اطلع الجبل اذا ارتقى الى اعلاه وطلع الثنية قال جرير لاقيت مطلع الجبال وعورا ويقولون مر مطلعا لذلك الامر اي عاليا له مالكا له ولاختيار هذه الكلمة شان يقول او قد بلغ من عظمة شانه ان ارتقى الى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار والمعنى ان ما ادعى ان يؤتاه وتالى عليه لا يتوصل اليه الا باحد هذين الطريقين اما علم الغيب واما عهد من عالم الغيب فبايهما توصل الى ذلك قرا حمزة والكسائي رضي الله عنهما

وُلدًا وهو جمع وَلَد كأُسْد في أسد او بمعنى الوَلَد كالعُرب في العَرب وعن يحيي بن يعمر وِلدًا بالكسر
وقيل في العهد كلمة الشهادة وعن قتادة رضي الله عنه هل له عمل صالح قدمه فهو يرجوه لكن ما
يقول وعن الكلبي رضي الله عنه هل عهد الله اليه ان يؤتيه ذلك وعن الحسن رحمه الله نزلت في الوليد بن
المغيرة والمشهور انها في العاص بن وايل قال خباب بن الارت رضي الله عنه كان لي عليه دين فاقتضيته
فقال لا والله حتى تكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم قلت لا والله لا اكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم لا حيًّا ولا ميتا ولا حين
تبعث قال فاني اذا مت بعثت قلت نعم قال اذا بعثت جئتني وسيكون لي ثَمّ مال وولد فاعطيك وقيل صاغ
له خباب حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان في الجنة ذهبا وفضة وحريرا فانا اقضيك ثَمّ
فاني اوتى مالًا وولدًا حينيذ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا كلا ردع وتنبيه على الخطا
اي هو مخطئ فيما تصوره لنفسه ويتمناه فليرتدع عنه فان **قلت** كيف قيل سنكتب بسين التسويف وهو كما
قاله كتب من غير تاخير قال الله سبحانه وتعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد **قلت** فيه وجهان احدهما
سنظهر له ونعلمه انا كتبنا قوله على طريقة قوله • اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة • اي تبين وعلم بالانتساب اني
لست بابن لئيمة • والثاني ان المتوعد يقول للجاني سوف انتقم منك يعني انه لا يخل بالانتصار وان تطاول به الزمان
واستاخر فجرد هاهنا لمعنى الوعيد ونمد له من العذاب اي نطول له من العذاب ما يستاهله ونعذبه بالنوع الذي
يعذب به الكفار المستهزئون او نزيده من العذاب ونضاعف له من المدد يقال مده وامده بمعنى ويدل عليه قراءة علي
ابن ابي طالب كرم الله وجهه ويُمد له بالضم واكد ذلك بالمصدر وذلك من فرط غضب الله نعوذ به من التعرض لما
نستوجب به غضبه • وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا اي نزوي عنه ما زعم انه يناله في الآخرة ونعطيه ما يستحقه
والمعنى مسمى ما يقول وهو المال والولد يقول الرجل انا املك كذا فتقول له ولي فوق ما تقول ويحتمل انه قد تمنى
وطمع ان يؤتيه الله تعالى في الدنيا مالًا وولدًا وبلغت به اشعبيته ان تالى على ذلك في قوله لاوتين لانه جواب قسم
مضمر ومن يتال على الله يكذبه فيقول الله عز وعلا هب انا اعطيناه ما اشتهاه اما نرثه منه في العاقبة ويأتينا
فردا غدا بلا مال ولا ولد كقوله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى الاية فما يجدي عليه تمنيه وتاليه ويحتمل ان هذا القول
يقوله ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين ان يقوله ويأتينا رافضا له منفردا عنه غير قايل له او لا ننسى
قوله هذا ولا نلغيه بل نثبته في صحيفته لنضرب به وجهه في الموقف ونعيره به ويأتينا على فقره ومسكنته فردا
من المال والولد لم نوله سؤله ولم نؤته متمناه فيجتمع عليه الخطبان تبعة قوله ووباله وفقد المطموع فيه
فردا على الوجه الاول حال مقدرة نحو قوله فادخلوها خالدين لانه وغيره سوا في اتيانه فردا حين ياتي ثم
يتفاوتون بعد ذلك اي ليتعززوا بالهتهم حيث يكونون لهم عند الله شفعا وانصارا ينقذونهم من العذاب
وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلَّا [illegible]
أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا [illegible]
كلا ردع لهم وانكار لتعززهم بالالهة وقرا ابن نهيك كُلًّا سيكفرون اي سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم
كقولك زيدا مررت بغلامه وفي محتسب ابن جني رحمه كَلًّا بفتح الكاف والتنوين وزعم ان معناه كَلَّ هذا الراي
والاعتقاد كَلًّا ولقايل ان يقول ان صحت هذه الرواية فهي كلا التي للردع قلب الواقف عليها الفها
نونا كما في قواريرا والضمير في سيكفرون للالهة اي سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ما عبدتمونا
وانتم كاذبون قال الله سبحانه وتعالى واذا راى الذين اشركوا شركاهم قالوا ربنا هؤلا شركاؤنا الذين كنا ندعوا
من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون او للمشركين اي ينكرون لسوء العاقبة ان يكونوا قد عبدوها قال

الله

الله سبحانه وتعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين عليهم ضدا في مقابلة لهم عزا والمراد ضد العز
وهو الذل والهوان اي يكونون عليهم ضدا لما قصدوه وارادوه كانه قيل ويكونون عليهم ذلا لا لهم عزا او يكونون
عليهم عونا والضد العون يقال من اضدادكم اي اعوانكم وكان العون سمي ضدا لانه يضاد عدوك وينافيه باعانته
لك عليه فان قلت لم وحد قلت وحد توحيد قوله صلى الله عليه وسلم وهم يد على من سواهم لاتفاق
كلمتهم وانهم كشيء واحد لفرط تضامهم وتوافقهم ومعنى كون الآلهة عونا عليهم انهم وقود النار وحصب جهنم
ولانهم عذبوا بسبب عبادتها وان رجعت الواو في سيكفرون ويكونون الى المشركين فان المعنى ويكونون عليهم
اي اعدائهم ضدا اي كفرة بهم بعد ان كانوا يعبدونها الأز والهز والاستفزاز اخوات ومعناها التهييج
وشدة الازعاج اي تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات والمعنى خلينا بينهم وبينهم ولم نمنعهم
ولو شئنا لمنعناهم قسرا والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الآيات التي ذكر فيها العتاة المردة من الكفار
واقاويلهم وملاحتهم ومعاندتهم للرسل واستهزاؤهم بالدين من تماديهم في الغي وافراطهم في العناد وتصميمهم
على الكفر واجماعهم على دفع الحق بعد وضوحه وانتفاء الشك عنه وانهماكهم لذلك في اتباع الشياطين وما تسول
لهم فلا تعجل عليهم بكذا اذا استعجلته منه اي لا تعجل عليهم بان يهلكوا ويبيدوا حتى تستريح انت والمسلمون
من شرورهم وتطهر الارض بقطع دابرهم فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة
كانها في سرعة تقضيها الساعة التي تعد فيها لو عدت ونحوه قوله تعالى ولا تستعجل لهم كانهم يوم يرون ما يوعدون
لم يلبثوا الا ساعة من نهار وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه كان اذا قرأها بكى وقال آخر العدد خروج
نفسك آخر العدد فراق اهلك آخر العدد دخول قبرك وعن ابن السماك رضي الله تعالى عنه انه كان عند المأمون
فقرأها فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما اسرع ما تنفد يوم نحشر المتقين الى الرحمن
وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق
الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من في السموات والارض الا
آتي الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا نصب يوم
بمضمر اي يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف او اذكر يوم نحشر ويجوز ان ينتصب بلا
يملكون ذكر المتقون بلفظ التبجيل وهو انهم يجمعون الى ربهم الذي غمرهم برحمته وخصهم برضوانه وكرامته
كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين للكرامة عندهم وعن علي كرم الله وجهه ما يحشرون والله على ارجلهم ولكنهم على
نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت وذكر الكافرون بانهم يساقون الى النار باهانة واستخفاف
كانهم نعم عطاش تساق الى الماء والورد العطاش لان من يرد الماء لا يرده الا لعطش وحقيقة الورد المسير
الى الماء قال [illegible] ردي ردي ورد قطاة صما كدرية اعجبها برد الماء مخاطب باقية
فسمي به الواردون وقرأ الحسن رضي الله عنه يحشر المتقون ويساق المجرمون والواو في لا يملكون ان جعل ضميرا
فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقون والمجرمون لانهم على هذه القسمة ويجوز ان يكون علامة للجمع كالتي في اكلوني
البراغيث والفاعل من اتخذ لانه في معنى الجمع ومحل من اتخذ رفع على البدل او على الفاعلية ويجوز ان ينتصب
على تقدير حذف المضاف اي الا شفاعة من اتخذ والمراد لا يملكون ان يشفع لهم واتخاذ العهد الاستظهار
بالايمان والعمل وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم ايعجز
احدكم ان يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول عند كل صباح ومساء

اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اني اعهد اليك باني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك
وان محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلني الى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير واني لا اثق الا برحمتك فاجعل
عهدا توفينيه يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيمة
نادى مناد اين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة وقيل كلمة الشهادة ويكون من عهد الا بوالي فلان بكذا
اذا امره به اي لا يشفع الا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها ويعضده مواضع في التنزيل وكم من ملك
في السموات لا تغني شفاعتهم شيأ الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له
يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن وقال صوابا ورضي له قولا قرئ ادا بالكسر والفتح قال ابن
خالويه الاد والاد العجب وقيل العظيم والادة الشدة وادني الامر واداني اثقلني وعظم علي ادا ه
تكاد قرأ نافع والكسائي بالياء وقرئ ينفطرن الانفطار من فطره اذا شقه والتفطر من فطره اذا شققه والتفطر
من فطره اذا شققه وكرر الفعل فيه وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه يتصدعن اي تهد هدا او مهدودة او
مفعول له لانها تهد فان قلت ما معنى انفطار السموات والارض وانشقاق الارض وخرور الجبال ومن اين
تؤثر هذه الكلمة في الجمادات قلت فيه وجهان احدهما ان الله سبحانه وتعالى يقول كدت افعل هذا
بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي ووقاري واني لا اعجل بالعقوبة
كما قال ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا والثاني
ان يكون استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لاثرها في الدين وهدمها لاركانه وقواعده وان مثال
ذلك في الاثر في المحسوسات ان يصيب هذه الاجرام العظيمة التي هي قوام العالم ما تنفطر منه وتنشق وتخر وفي
قوله لقد جئتم وما فيه من المخاطبة بعد الغيبة وهو الذي يسمى الالتفات في علم البلاغة زيادة تسجيل عليهم
بالجرأة على الله تعالى والتعرض لسخطه والتنبيه على عظم ما قالوا في ان دعوا ثلثة اوجه ان يكون مجرورا بدلا
من الهاء في منه كقوله

على حاله لو ان في القوم حاتما • على جوده • ما جاد بالماء حاتم • ومنصوبا بتقدير سقوط اللام وافضاء

الفعل اي هدا لان دعوا علل الخرور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن ومرفوعا بانه فاعل هدا اي هدها دعاء
الولد للرحمن وفي اختصاص الرحمن وتكريره مرات من الفائدة انه هو الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره
من قبل ان اصول النعم وفروعها منه خلق العالمين وخلق لهم جميع ما معهم كما قال بعضهم فلينكشف عن بصرك
غطاؤه فانت وجميع ما عندك عطاؤه فمن اضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه واخرجه بذلك عن استحقاق
اسم الرحمن هو من دعى بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين فاقتصر على احدهما الذي هو الثاني طلبا للعموم والاحاطة بكل
ما دعي له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ما في قوله صلى الله عليه وسلم من ادعى الى غير مواليه وقول الشاعر
انا بني نهشل لا ندعي لاب • اي لا ننتسب اليه • انبغى مطاوع بغى اذا طلب اي ما يتأتى له اتخاذ الولد وما ينطلب
لو طلب مثلا لانه محال غير داخل تحت الصحة اما الولادة المعروفة فلا مقال في استحالتها واما التبني فلا يكون الا
فيما هو جنس المتبنى وليس للقديم سبحانه وتعالى جنس تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ان موصوفة لانها وقعت
بعد كل نكرة وقوعها بعد رب في قوله رب من انضجت غيظا صدره وقرأ ابن مسعود وابو حيوة رضي الله
تعالى عنهما آتي الرحمن على اصله قبل الاضافة الاحصاء الحصر والضبط يعني حصرهم بعلمه واحاط بهم وعدهم عدا
الذين اعتقدوا في الملائكة وعيسى وعزير انهم اولاد الله سبحانه كانوا بين كفرين احدهما القول بان الرحمن
يصح ان يكون والدا والثاني اشراك الذين زعموهم لله اولادا في عبادته كما يخدم الناس ابناء الملوك خدمتهم

لاباهم

لا بابيهم فهدم الله سبحانه المعتقد الاول فيما تقدم من الايات ثم عقبه بهدم الكفر الآخر والمعنى ما من معبود لهم في
السموات والارض من الملائكة ومن الناس الا وهو ما في الرحمان اي ما وي اليه ويلتجي الي ربوبيته عبدا منقادا
مطيعا خاشعا خاشيا راجيا كما تفعل العبيد وكما يجب عليهم لا يدعي لنفسه ما تدعيه له هولاء الضلال ونحوه
قوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الي ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه
وكلهم متقلبون في ملكوته مقهورون بقهره وهو مهيمن عليهم محيط بهم وبجمل امورهم وتفاصيلها
وكيفيتهم وكميتهم لا يفوته شي من احوالهم وكل واحد منهم ياتيه يوم القيمة منفردا ليس معه من هولا
المشركين احد وهم برآء منهم • وقرا جناح بن حبيش ودا بالكسر والمعنى سيحدث لهم في القلوب مودة
ويزرعها لهم فيها من غير تودد منهم ولا تعرض للاسباب التي يكتسب بها الناس مودات القلوب من قرابة
او صداقة او اصطناع بمبرة او غير ذلك وانما هو اختراع منه ابتداء اختصاصا لاوليائه بكرامة خاصة
كما قذف في قلوب اعدائهم الرعب والهيبة اعظاما لهم واجلالا لمكانتهم والسين اما لان السورة مكية وكان
المومنون حينئذ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله ذلك اذا جاء الاسلام اي كثروا واما ان يكون ذلك
يوم القيمة يحببهم الي خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر من ديوان اعمالهم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لعلي رضي الله عنه يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في صدور المومنين مودة فانزل الله عز
وجل هذه الاية إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا وعن ابن عباس رضي الله عنه
يعني يحبهم الله تعالى ويحببهم الي خلقه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يا جبريل قد احببت
فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السما ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يضع له
المحبة في الارض وعن قتادة رضي الله تعالى عنه ما اقبل العبد الى الله الا اقبل الله بقلوب العباد اليه فَإِنَّمَا
يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ
مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا هذه خاتمة السورة ومقطعها فكانه قال بلغ هذا المنزل او بشر به
وانذر فانما انزلناه بلسانك اي بلغتك وهو اللسان العربي المبين وسهلناه وفصلناه لتبشر به
وتنذر واللد الشداد الخصومة بالباطل الآخذون في كل لديد اي في كل شق من المراء والجدال لفرط لجاجهم
يريد اهل مكة وقوله وكم اهلكنا تخويف لهم وانذار • وقرى تحس من حسه اذا اشعر به ومنه
الحواس والمحسوسات • وقرا حنظلة تسمع مضارع اسمعت والركز الصوت الخفي ومنه ركز الرمح
اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
مريم اعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وابرهيم واسحاق
ويعقوب وموسى وهرون واسماعيل وادريس وعشر حسنات بعدد من دعا الله في الدنيا وبعدد من لم يدع

سورة طه عليه السلام مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي مائة وخمس وثلاثون آية

طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ابو عمرو فخم الطا لاستعلائها وامال الها وفخمها ابن كثير
وابن عامر على الاصل والباقون اما لوهما • وعن الحسن رضي الله تعالى عنه وفسر بانه امر بالوطء وان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده على احدي رجليه فامر بان يطا الارض بقدميه معا والاصل طا

ها او قلبت في طأ في من قال لا هناك المرتع ثم بني عليه الامر والها للسكت ويجوز ان يكتفي بشطري الاسمين وهما
الدالان بلفظهما على المسميين والله تعالى اعلم بصحة ما يقال ان طه في لغة عك في معنى يا رجل ولعل عكا تصرفوا
في يا هذا كانهم في لغتهم قالبون اليا طا فقالوا في يا طا واختصروا هذا فاقتصروا على ها واثر الصنعة ظاهر لا يخفى في
البيت المستشهد به

ان السفاهة طه في خلايقكم • لا قدس الله اخلاق الملاعين

والاقوال الثلاثة في الفواتح اعني التي قدمتها في اول الكشاف عن حقايق التنزيل هي التي يعول عليها الالبا
المتقنون ما انزلنا ان جعلت طه تعديدا لاسما الحروف على الوجه السابق ذكره فهو ابتدا كلام وان
جعلتها اسما للسورة احتملت ان تكون اي الجملة خبرا عنها وهي في موضع المبتدا والقران ظاهر اوقع موقع الضمير
لانها قران وان تكون جوابا لها وهي قسم وقري ما نزل عليك القران لتشقى لتتعب لفرط تاسفك عليهم
وعلى كفرهم وتحسرك على ان يومنوا كقوله تعالى لعلك باخع نفسك والشقا يجي في معنى التعب ومنه المثل
اتعب من رايض مهر واشقى من رايض مهر اي ما عليك الا ان تبلغ وتذكر ولم يكتب عليك ان يومنوا لا محالة بعد
ان لا تفرط في ادا الرسالة والموعظة الحسنة وقيل ان ابا جهل والنضر بن الحرث قالا له انك شقي لانك تركت دين
ابايك فاريد رد ذلك بان دين الاسلام وهذا القران هو السلم الى نيل كل فوز والسبب في درك كل سعادة
وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها وروي انه صلى الله عليه وسلم صلى بالليل حتى اسمغدت قدماه فقال جبريل عليه
الصلاة والسلام ابق على نفسك فان لها عليك حقا اي ما انزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة
الفادحة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة وكل واحد من لتشقى الا تذكرة وتذكرة علة للفعل الا ان الاول وجب
مجيئه مع اللام لانه ليس لفاعل الفعل المعلل ففاتته شريطة الانتصاب على المفعولية والثاني جاز قطع اللام عنه
ونصبه لاستجماعه للشرايط فان قلت اما يجوز ان تقول ما انزلنا عليك القران ان تشقى كقوله ان تحبط اعمالكم
قلت بلى ولكنها نصبة طارية كالنصبة في واختار موسى قومه واما النصبة في تذكرة فهي كالتي في ضربت زيدا
لانه احد المفاعيل الخمسة التي هي اصول وقوانين لغيرها فان قلت هل يجوز ان تكون تذكرة بدلا من محل لتشقى
قلت لا لاختلاف الجنسين ولكنها نصبت على الاستثنا المنقطع الذي الا فيه بمعنى لكن ويحتمل ان
يكون المعنى انا انزلنا اليك القران لتحتمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من اعدا الاسلام ومقاتلتهم وغير
ذلك من انواع المشاق وتكاليف النبوة وما انزلنا عليك هذا المتعب الشاق الا لتكون تذكرة وعلى هذا الوجه
يكون تذكرة حالا ومفعولا له لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى
لمن يوول امره الى الخشية ولمن يعلم الله سبحانه منه انه يبدل بالكفر ايمانا وبالقسوة خشية في نصب تنزيلا وجوه
ان يكون بدلا من تذكرة اذا جعل حالا لا اذا كان مفعولا له لان الشي لا يعلل بنفسه وان ينصب بنزل مضمرا
وان ينصب بما انزلنا لان معنى ما انزلناه الا تذكرة انزلناه تذكرة وان ينصب على المدح والاختصاص وان
ينصب بيخشى مفعولا به اي انزله الله تعالى تذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حسن واعراب بين وقري تنزيل
بالرفع على خبر مبتدا محذوف ما بعد تنزيل الى قوله تعالى له الاسما الحسنى تعظيم وتفخيم لشان المنزل لنسبته
الى من هذه افعاله وصفاته ولا يخلو من ان تكون متعلقه اما تنزيلا نفسه فيقع صلة له واما محذوفا فيقع صفة له
فان قلت ما فايدة النقلة من لفظ المتكلم الى لفظ الغايب قلت غير واحدة منها عادة
الافتنان في الكلام وما يعطيه من الحسن والروعة ومنها ان هذه الصفات انما تسردت مع لفظ الغيبة ومنها انه
قال اولا انزلناه ففخم بالاسناد الى ضمير الواحد المطاع ثم ثنى بالنسبة الى المختص بصفات العظمة والتمجيد فضوعفت الفخامة

من

من طريقين ويجوز ان تكون انزلنا حكاية لكلام جبريل والملائكة النازلين معه وصف السموات بالعلى دلالة على عظم قدرة من يخلق
مثلها في علوها وبعد مرتقاها قرئ الرحمن مجرورا صفة لمن خلق والرفع احسن لانه اما ان يكون رفعا على المدح على تقدير
هو الرحمن واما ان يكون مبتدأ مشارا بلامه الى من خلق فان قلت الجملة التي هي على العرش استوى ما محلها
اذا جررت الرحمن او رفعته على المدح قلت اذا اجررت فهي خبر مبتدا محذوف لا غير وان رفعت جاز
ان تكون كذلك وان تكون مع الرحمن خبرين للمبتدا لما كان الاستوا على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه
جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على العرش يريدون ملك وان لم يقعد على السرير البتة قالوه ايضا لشهرته
في ذلك المعنى ولمساواته ملك في مؤداه وان كان اشرح وابسط وادل على صورة الامر ونحوه قولك يد فلان مبسوطة
ويد فلان مغلولة بمعنى انه جواد وبخيل لا فرق بين العبارتين الا فيما قلت حتى ان من لم يبسط يده قط بالنوال او لم
يكن له يد راسا قيل فيه يده مبسوطة لمساواته عندهم قولهم جواد ومنه قول الله عز وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة
اي هو بخيل بل يداه مبسوطتان اي هو جواد من غير تصور يد ولا غل ولا بسط والتفسير بالنعمة والتمحل للتثنية
من ضيق العطن والمسافرة عن علم البيان مسيرة اعوام **لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ
الثَّرَى وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى** ما تحت الثرى
ما تحت سبع الارضين عن محمد بن كعب وعن السدي رضي الله تعالى عنه هو الصخرة التي تحت الارض السابعة اي يعلم ما
اسررته الى غيرك واخفى من ذلك وهو ما اخطرته ببالك او ما اسررته في نفسك واخفى منه وهو ما ستسره فيها
وعن بعضهم ان اخفى فعل يعني انه يعلم اسرار العباد واخفى عنهم ما يعلمه لقوله تعالى يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم
ولا يحيطون به علما وليس بذاك فان قلت كيف طابق الجزاء الشرط قلت معناه ان تجهر بذكر
الله تعالى من دعاء او غيره فاعلم انه غني عن جهرك فاما ان يكون نهيا عن الجهر كقوله سبحانه وتعالى واذكر ربك في نفسك
تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول واما تعليما للعباد ان الجهر ليس لاسماع الله عز وجل وانما هو لغرض اخر
ما بين الاحسن وصفت بها الاسماء لان حكمها حكم المؤنث كقولك الجماعة الحسنى ومثلها مآرب اخرى ومن اياتنا
الكبرى والذي فضلت به اسماؤه في الحسن سائر الاسماء دلالتها على معاني التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية
والافعال التي هي النهاية في الحسن **وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا
لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ
بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى** قفاه بقصة موسى صلى الله عليه وسلم ليتاسى به في تحمل اعباء النبوة وتكاليف الرسالة
والصبر على مقاساة الشدائد حتى ينال عند الله سبحانه وتعالى الفوز والمقام المحمود يجوز ان ينتصب اذ ظرفا للحديث
لانه حدث او لمضمر اي حين راى نارا كان كيت وكيت ومفعولا لاذكر استاذن موسى شعيبا عليهما الصلاة والسلام
في الخروج الى مصر او حج وخرج باهله فولد له في الطريق ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة وقد ضل عن الطريق وتفرقت
ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فراى النار عند ذلك قيل كانت ليلة جمعة امكثوا اقيموا في مكانكم
والايناس الابصار البين الذي لا شبهة فيه ومنه انسان العين لانه يتبين به الشيء والانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم
وقيل هو ابصار ما يؤنس به لما وجد منه الايناس فكان مقطوعا متيقنا حققه لهم بكلمة ان ليوطنوا انفسهم ولما كان
الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين بنى الامر فيهما على الرجاء والطمع وقال لعلي ولم يقطع فيقول اني اتيكم
لئلا يعد ما ليس بمستيقن الوفاء به القبس النار المقتبسة في راس عود او فتيلة او غيرهما ومنه قيل المقبسة لما يقتبس
فيه من سعفة او نحوها هدى اي قوما يهدونني الطريق او ينفعونني بهداهم في ابواب الدين عن مجاهد وقتادة رضي
الله تعالى عنهما وذلك لان افكار الابرار مغمورة بالهمة الدينية في جميع احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والمعنى ذوي هدى

أو إذا وجد الهداة فقد وجد الهدى ومعنى الاستعلاء على النار ان اهل النار يستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت
بزيد انه لصوق بمكان يقرب من زيد ولأن المصطلين والمستمتعين اذا تكنفوها قياما وقعودا كانوا مشرفين عليها ومنه
قول الاعشى • وبات على النار الندى والمحلق • قرأ ابو عمرو وابن كثير رضي الله تعالى عنهما أني بالفتح اي نودي بأني
انا ربك وكسر الباقون اي نودي فقيل يا موسى او لان النداء ضرب من القول فعومل معاملته تكرير الضمير في اني انا ربك
لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روي انه لما نودي يا موسى قال من المتكلم فقال الله سبحانه وتعالى انا
ربك وان ابليس وسوس اليه لعلك تسمع كلام شيطان فقال اني عرفت بأنه كلام الله بأني اسمعه من جميع جهاتي الست واسمعه
بجميع اعضائي وروي انه حين انتهى رأى شجرة خضراء من اسفلها الى اعلاها كأنها نار بيضاء تتقد ويسمع تسبيح الملائكة
ورأى نورا عظيما فخاف وبهت فألقيت عليه السكينة ثم نودي وكانت الشجرة عوسجة وروي كلما دنى او بعد لم يختلف
ما كان يسمع من الصوت وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه لما دنا استأخرت عنه فلما رأى ذلك رجع وأوجس في نفسه
خيفة • فلما اراد الرجعة دنت منه ثم كلم قيل أمر بخلع النعلين لأنهما كانتا من جلد حمار ميت مدبوغ عن السدي
وقتادة رضي الله تعالى عنهما وقيل ليباشر الوادي بقدميه متبركا به وقيل لأن الحفوة تواضعا لله ومن ثم طاف السلف
بالكعبة حافين ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه وكان اذا ندر منه الدخول منتعلا تصدق والقرآن يدل على ذلك احترام
للبقعة وتعظيم لها وتشريف لقدسها • وروي انه خلع نعليه والقاهما من وراء الوادي طوى بالضم والكسر منصرف
وغير منصرف بتأويل المكان والبقعة وقيل من ثنى نحو ثنى اي نودي نداءين او قدس الوادي كرة بعد كرة
وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري إن الساعة آتية
أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى
اخترتك اصطفيتك للنبوة وقرأ حمزة رضي الله تعالى وأنا اخترناك لما يوحى للذي يوحى او للوحي تعلق اللام
باستمع او باخترتك لذكري لتذكرني فان ذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري لإخلاص ذكري وطلب وجهي ولا ترائي
بها ولا تقصد بها غرضا او لتكون لي ذاكرا غير ناس فعل المخلصين في جعلهم ذكر ربهم على بال منهم وتوكيل هممهم وافكارهم
به كما قال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله او لأوقات ذكري وهي مواقيت الصلاة لقوله تعالى ان الصلوة كانت على المؤمنين
كتابا موقوتا واللام مثلها في قولك جئتك لوقت كذا وكان ذلك لست ليال خلون وقوله تعالى يا ليتني قدمت
لحياتي • وقد حمل على ذكر الصلوة بعد نسيانها من قوله صلى الله عليه وسلم من نام عن صلاة او نسيها فليصلها اذا
ذكرها وكان حق العبارة ان يقال لذكرها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكرها • ومن يتمحل له يقول اذا ذكر الصلوة
فقد ذكر الله تعالى او بتقدير حذف المضاف اي لذكر صلاتي او لان الذكر والنسيان من الله عز وجل في الحقيقة وقرأ
رسول الله صلى الله عليه وسلم للذكرى • اي أكاد اخفيها فلا أقول هي آتية لفرط ارادتي اخفاءها ولولا ما في الاخبار
باتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما اخبرت به • وقيل معناه اكاد اخفيها من نفسي ولا دليل في الكلام على هذا
المحذوف ومحذوف لا دليل عليه مطرح والذي غرهم منه ان في مصحف أبي اكاد اخفيها من نفسي وفي بعض المصاحف
اكاد اخفيها من نفسي فكيف اظهركم عليها • وعن ابي الدرداء وسعيد بن جبير رضي الله عنهما أخفيها بالفتح من خفاه اذا اظهره
اي قرب اظهارها كقوله اقتربت الساعة وقد جاء في بعض اللغات اخفاه بمعنى خفاه وبه فسر بيت امرئ القيس
• فان تدفنوا الداء لا نخفه وان تبعثوا الحرب لا نقعد • فأكاد اخفيها محتمل للمعنيين لتجزى متعلق بآتية
بما تسعى بسعيها فلا يصدنك عن تصديقها والضمير للقيامة ويجوز ان يكون للصلوة فان قلت العبارة لنهي
من لا يؤمن عن صد موسى صلى الله عليه وسلم والمقصود نهي موسى عليه الصلاة والسلام عن التكذيب بالبعث او امره بالتصديق له
فكيف صلحت هذه العبارة لأداء هذا المقصود قلت فيه وجهان احدهما ان صد الكافر عن التصديق بها سبب

للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب والثاني ان صد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل في الدين ولين شكيمته فذكر المسبب
ليدل على السبب كقولهم لا أرينك ههنا هذا المراد نهيه عن مشاهدته والكون بحضرته وذلك سبب رؤيته اياه
فكان ذكر المسبب دليلا على السبب كانه قيل فكن شديد الشكيمة صليب المعجم حتى لا يتلوح منك لمن يكفر بالبعث انه يطمع
في صدك عما انت عليه يعني ان من لا يؤمن بالاخرة هم الجم الغفير اذ لا شيء اطم على الكفرة ولا هم اشد له نكيرا من
البعث فلا يهولنك وفور دهمائهم وعظم سوادهم ولا تجعل الكثرة مزلة قدمك واعلم انهم وان كثروا تلك الكثرة
فقدوتهم فيما هم فيه هو الهوى واتباعه لا البرهان وتدبره وفيه حث عظيم على العمل بالدليل وزجر بليغ عن التقليد
وانذار بان الهلاك والردى مع التقليد واهله **وما تلك بيمينك يا موسى** كقوله وهذا بعلي شيخا في انتصاب الحال
بمعنى الاشارة ويجوز ان يكون اسما موصولا صلته بيمينك انما ساله ليريه عظم ما يخترعه عز وعلا في الخشبة اليابسة
من قلبها حية نضناضة وليقرر في نفسه المباينة المتعبدة بين المقلوب عنه والمقلوب اليه وينبهه على قدرته
الباهرة ونظيره ان تريك الزراد زبرة من حديد وتقول لك ما هي فتقول زبرة حديد ثم تريك بعد ايام لبوسا مسردا
فتقول لك هي تلك الزبرة صيرتها الى ما ترى من عجيب الصنعة وانيق السرد قرا ابن اسحاق رضي الله تعالى عنه عصي
على لغة هذيل ومثله يا بشرى ارادوا كسر ما قبل يا المتكلم فلم يقدروا عليه فقلبوا الالف الى اخت الكسرة وقرا
الحسن رضي الله عنه عصاي بكسر اليا لالتقا الساكنين وهو مثل قراءة حمزة بمصرخي وعن ابن ابي اسحاق بسكون اليا
اتوكا عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مآرب اخرى قال القها يا موسى فالقاها فاذا هي حية
تسعى قال خذها ولا تخف التوكؤ عليها اعتماده عليها اذا اعييت او وقفت على راس القطيع وعند الطفرة
هش الورق خبطه اي اخبطه على رءوس غنمي تاكله وعن لقمان بن عاد
اكلت حقا وابن لبون وجذع وهشة نخب وسيلا دفع والحمد لله من غير شبع سمعته من غير واحد
من العرب ونخب واد قريب من الطائف كثير السدر وفي قراءة النخعي أهش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا
كان يتكسر لهشاشته وعن عكرمة أهس بالسين اي انحي عليها زاجرا لها والهس زجر الغنم ذكر على التفصيل
والاجمال المنافع المتعلقة بالعصا كانه احس بما يتعقب هذا السؤال من امر عظيم يحدثه الله تعالى فقال ما هي الا عصا
لا تنفع الا منافع بنات جنسها وكما ينفع العيدان ليكون جوابه مطابقا للغرض الذي فهمه من فحوى كلام ربه ويجوز
ان يريد عز وجل ان يعدد المرافق الكثيرة التي علقها بالعصا ويستكثرها ويستعظمها ثم يريه على عقب ذلك الآية
العظيمة كانه يقول له اين انت عن هذه المنفعة العظمى والمأربة الكبرى المنسية عندها كل منفعة ومأربة
كنت تعتد بها وتحتفل بشانها وقالوا انما ساله ليبسط منه ويقلل هيبته وقالوا انما اجمل موسى عليه الصلاة والسلام
ليساله عن تلك المآرب فيزيد في اكرامه وقالوا انقطع لسانه بالهيبة فاجمل وقالوا اسم العصا نبعة وقيل في المآرب كانت
ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن حناه بالمحجن واذا طلب كسره لواه بالشعبتين واذا سار القاها على عاتقه فعلق
بها ادواته من القوس والكنانة والحلاب وغيرها واذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها
الكسا واستظل واذا قصر رشاه وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه وقيل كان فيها من المعجزات انه يستقي
بها فتطول بطول البير وتصير شعبتاها دلوا وتكونان شمعتين بالليل واذا ظهر عدو حاربت عنه واذا اشتهى ثمرة
ركزها فاورقت واثمرت وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الما فاذا رفعها نضب
وكانت تقيه الهوام السعي المشي بسرعة وخفة حركة فان قلت كيف ذكرت بالفاظ مختلفة بالحية والجان
والثعبان قلت اما الحية فاسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والكبير واما الثعبان والجان فبينهما تناف
لان الثعبان العظيم من الحيات والجان الدقيق وفي ذلك وجهان احدهما انها كانت وقت انقلابها تنقلب حية صفراء

دقيقة تتورم وتتزايد جرمها حتى تصير ثعبانا فاريد بالجان اول حالها وبالثعبان مآلها والثاني انها كانت في شخص
الثعبان وسرعة حركة الجان وقيل كان لها عرف كعرف الفرس وقيل كان بين لحييها اربعون ذراعا لما راى ذلك الامر
العجيب الهايل ملكه من الفزع والنفار ما يملك البشر عند الاهوال والمخاوف وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انقلبت
ثعبانا ذكرا تبتلع الصخر والشجر فلما راه يبتلع كل شي خاف منه ونفر وعن بعضهم انما خافها لانه عرف ما لقي آدم منها
وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمانينة نفسه ان ادخل يده في فمها واخذ بلحييها سنعيدها سيرتها
الاولى واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية اخرى السيرة من السير كالركبة من الركوب
يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت الى معنى المذهب والطريقة وقيل سير الاولين فيجوز ان ينتصب
على الظرف اي سنعيدها في طريقتها الاولى اي في حال ما كانت عصا وان يكون اعاد منقولا من عاده بمعنى عاد اليه ومنه
بيت زهير وعادك ان تلاقيها عداء فصرم حبلها ان صرمته فيتعدى الى مفعولين ووجه ثالث
حسن وهو ان سنعيدها مستقلا بنفسه غير متعلق بسيرتها الاولى انها انشئت اول ما انشئت عصا ثم ذهبت
وبطلت بالقلب حية فسنعيدها بعد الذهاب كما انشاناها اولا ونصب سيرتها بفعل مضمر اي يسير سيرتها الاولى
يعني سنعيدها سائرة سيرتها الاولى حيث كنت تتوكا عليها ولك فيها المآرب التي عرفتها قيل لكل ناحيتين جناحان
كجناحي العسكر لجنبتيه وجناحا الانسان جنباه والاصل المستعار منه جناحا الطاير سميا جناحين لانه يجنحهما
عند الطيران والمراد الى جنبك تحت العضد دل على ذلك قوله تخرج والسوء الرداءة والقبح في كل شي فكني
به عن البرص كما كني به عن العورة بالسوءة وكان جذيمة صاحب الزبا ابرص فكنوا عنه بالابرش والبرص ابغض شي
الى العرب وبهم عنه نفرة عظيمة واسماعهم لاسمه مجاجة فكان جديرا بان يكنى عنه ولا ترى احسن ولا الطف
ولا احز للمفاصل من كنايات القرآن واداته يروى انه كان آدم فاخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع
يغشي البصر بيضاء وآية حالان من غير سوء من صلة البيضاء كما تقول ابيضت من غير سوء وفي نصب آية وجه آخر
وهو ان يكون باضمار نحو خذ ودونك وما اشبه ذلك حذفت لدلالة الكلام وقد تعلق بهذا المحذوف لنريك من
آياتنا الكبرى لنريك اي خذ هذه الآية ايضا بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى من
آياتنا او لنريك بهما الكبرى من آياتنا او لنريك فعلنا ذلك اذهب الى فرعون انه طغى لما امره بالذهاب
الى فرعون الطاغي لعنه الله عرف انه كلف امرا عظيما وخطبا جسيما يحتاج معه احتمال ما لا يحتمله الا ذو جاش
رابط وصدر فسيح فاستوهب ربه ان يشرح صدره قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل
عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي اشدد به ازري
واشركه في امري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا ان يشرح صدره ويفسح
قلبه ويجعله حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدايد التي يذهب معها صبر الصابر بجميل الصبر وحسن
الثبات وان يسهل عليه في الجملة امره الذي هو خلافة الله عز وجل في ارضه وما يصحبها من مزاولة معاظم الشون
ومقاساة جلايل الخطوب فإن قلت لي في قوله اشرح لي صدري ويسر لي امري ما جدواه
والكلام بدونه مستتب قلت قد ابهم الكلام اولا فقيل اشرح لي صدري ويسر لي فعلم ان ثم مشروحا
وميسرا ثم بين ورفع الابهام بذكرهما فكان اكد لطلب الشرح والتيسير لصدره وامره من ان يقول اشرح
صدري ويسر امري على الايضاح الساذج لانه تكرير للمعنى الواحد من طريقي الاجمال والتفصيل عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما كان في لسانه رتة لما روي من حديث الجمرة ويروى ان يده احترقت وان فرعون
اجتهد في علاجها فلم تبرا ولما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرا يدي وقد عجزت عنها

لجنبتيه

الحم

عا

وعن بعضهم انما لم تزل بالكلية لئلا يدخل في حكم فرعون في قصعة واحدة فتنعقد بينهما حرمة المواكلة واختلف في زوال العقدة بكمالها فقيل بقي بعضها لقوله واخي هرون هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين وكان في لسان ابن علي رضي الله تعالى عنهما رتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثها من عمه موسى وقيل زالت لقوله تعالى قد اوتيت سؤلك وفي تنكير العقدة وان لم يقل واحلل عقدة لساني انه طلب حل بعضها ارادة ان يفهم عنه فهما جيدا ولم يطلب الفصاحة الكاملة ومن لساني صفة للعقدة كانه قيل عقدة من عقد لساني من الوزر من الوزر لانه يتحمل عن الملك اوزاره ومؤنته او من الوزر لان الملك يعتصم برايه ويلجئ اليه اموره او من الموازرة وهي المعاونة عن الاصمعي قال وكان القياس ازيرا فقلبت الهمزة الى الواو ووجه قلبها ان فعيلا جاء في معنى مفاعل مجيئا صالحا كقولهم عشير وجليس وقعيد وخليل وصديق ونديم فلما قلبت الى اخيه قلبت فيه وحمل الشي على نظيره ليس بعزيز ونظروا الى بوازر واخواته والى الموازرة وزيرا وهارون مفعولا قوله اجعل لي قدم ثانيهما على اولهما عناية بامر الوزارة او لي وزيرا مفعولاه وهارون عطف بيان آخر للوزير واخي في الوجهين بدل من هرون وان جعل عطف بيان آخر جاز وحسن قرأوا جميعا اشدد واشركه على الدعاء وابن عامر وحده اشدد واشركه على الجواب وفي مصحف ابن مسعود رضي الله تعالى عنه اخي واشدد وعن ابي بن كعب رضي الله عنه اشركه في امري واشدد به ازري ويجوز فيمن قرأ على لفظ الامر ان يجعل اخي مرفوعا على الابتداء واشدد به خبره ويوقف على هرون الازر القوة وآزره قواه اي اجعله شريكي في الرسالة حتى نتعاون على عبادتك وذكرك فان التعاون يهيج الرغبات ويتزايد به الخير ويتكاثر انك كنت بنا بصيرا اي عالما باحوالنا وبان التعاضد مما يصلحنا وان هرون نعم المعين والشاد لعضدي فانه اكبر مني سنا وافصح لسانا السول الطلبة فعل بمعنى مفعول كقولك خبز بمعنى مخبوز واكل بمعنى ماكول **ولقد مننا عليك مرة اخرى اذ اوحينا الى امك ما يوحى ان اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل ياخذه عدو لي وعدو له** الوحي الى موسى عليه الصلاة والسلام اما ان يكون على لسان نبي في وقتها كقوله تعالى واذ اوحيت الى الحواريين او يبعث اليها ملكا لا على وجه النبوة كما الى مريم او تريها ذلك في المنام فتتنبه عليه او تلهمها كقوله تعالى واوحى ربك الى النحل اي اوحينا اليها امرا لا سبيل الى التوصل اليه ولا الى العلم به الا بالوحي وفيه مصلحة دينية فوجب ان يوحى ولا يخل به اي هو مما يوحى لا محالة وهو امر عظيم مثله يحق بان يوحى ان هي المفسرة لان الوحي بمعنى القول القذف يستعمل في معنى الالقاء والوضع ومنه قوله سبحانه وتعالى وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي قال [illegible] غلام رماه الله بالحسن يافعا اي حصل فيه الحسن ووضعه فيه والضمائر كلها راجعة الى موسى عليه الصلاة والسلام ورجوع بعضها اليه وبعضها الى التابوت فيه هجنة لما يؤدي اليه من تنافر النظم فان قلت المقذوف في البحر هو التابوت وكذلك الملقى الى الساحل قلت ما ضرك لو قلت المقذوف والملقى هو موسى في جوف التابوت حتى لا تفرق الضمائر فيتنافر عليك النظم الذي هو ام اعجاز القرآن والقانون الذي وقع عليه التحدي ومراعاته اهم ما يجب على المفسر لما كانت مشيئة الله سبحانه وارادته ان لا تخطئ جرية ماء اليم الوصول به الى الساحل والقائه اليه سلك في ذلك سبيل المجاز وجعل اليم كانه ذو تمييز امر بذلك ليطيع الامر ويمتثل رسمه فقيل فليلقه اليم بالساحل روي انها جعلت في التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه وحصصته وقيرته ثم القته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير فبينا هو جالس على رأس بركة مع آسية اذا بالتابوت فامر به فاخرج ففتح فاذا

وإذا أصبح أصبح الناس وجهاً فأحبه عدو الله حباً شديداً لا يتمالك أن يصبر عنه وظاهر اللفظ على أن البحر
ألقاه بساحله وهو شاطئه لأن الماء يسحله أي يقشره وقذف به ثمة فالتقط من الساحل إلا أن يكون قد ألقاه اليم
بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون ثم أداه النهر إلى حيث البركة وألقيت عليك محبة مني مني لا يخلو أن
يتعلق بألقيت فيكون المعنى على أني أحببتك ومن أحبه الله أحبته القلوب وإما أن يتعلق بمحذوف هو صفة لمحبة
أي محبة حاصلة أو واقعة مني قد ركزتها أنا في القلوب وزرعتها فيها فلذلك أحبك فرعون وكل من أبصرك يروى
أنه كانت على وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحة لا يكاد يصبر عنه من رآه ولتصنع على عيني لتربى ويحسن إليك وأنا
مراعيك وراقبك كما يراعي الرجل الشيء بعينه إذا اعتنى به وتقول للصانع اصنع هذا على عيني أنظر إليك لئلا تخالف
به عن قصدي ومرادي ولتصنع معطوف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك وترأم ونحوه أو حذف معلله أي ولتصنع فعلت
ذلك وقرئ ولتصنع ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على أنه أمر وقرئ ولتصنع بفتح التاء والنصب أي وليكون
عملك وتصرفك على عين مني العامل في إذ تمشي ألقيت أو تصنع إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من
يكفله فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفساً فنجيناك من الغم وفتناك
فتوناً ويجوز أن يكون بدلاً من إذ أوحينا فإن قلت كيف يصح البدل والوقتان مختلفان متباعدان قلت
كما يصح وإن اتسع الوقت وتباعد طرفاه أن يقول لك الرجل لقيت فلاناً سنة كذا فتقول وأنا لقيته أو
إذ ذاك وربما لقيه هو في أولها وأنت في آخرها يروى أن أخته واسمها مريم جاءت متعرفة خبره فصادفتهم يطلبون
له مرضعة يقبل ثديها وذلك أنه كان لا يقبل ثدي امرأة فقالت هل أدلكم فجاءت بالأم فقبل ثديها ويروى أن آسية
استوهبته من فرعون وتبنته وهي التي أشفقت عليه وطلبت له المراضع نفساً هي نفس القبطي الذي استغاثه عليه
الإسرائيلي قتله وهو ابن اثنتي عشرة سنة اغتم بسبب القتل خوفاً من عقاب الله عز وجل ومن اقتصاص فرعون
فغفر الله له باستغفاره حين قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي ونجاه من فرعون أن ينشب فيه أظفاره حين
هاجر به إلى مدين فتوناً يجوز أن يكون مصدراً على فعول في المتعدي كالثبور والشكور والكفور وجمع فتن
أو فتنة على ترك الاعتداد بتاء التأنيث كحجور وبدور في حجزة وبدرة أي فتناك ضروباً من الفتن سأل
سعيد بن جبير ابن عباس رضي الله عنهما فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه
فتنة يا ابن جبير وألقته أمه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطياً وآجر نفسه عشر سنين
وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة قال ونبلوكم بالشر والخير
فتنة فلبثت سنين في أهل مدين على ثمان مراحل من مصر وعن وهب أنه لبث عند شعيب عليه السلام
ثمانياً وعشرين سنة منها مهر ابنته وقضى أوفى الأجلين أي سبق في قضائي وقدري أن أكلمك وأستنبئك
في وقت بعينه قد وقته لذلك ثم جئت على قدر يا موسى واصطنعتك لنفسي اذهب أنت
وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولاً ليناً لعله
يتذكر أو يخشى قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا إنني معكما
أسمع وأرى فما جئت إلا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستأخر وقيل على مقدار من الزمان يوحى فيه إلى الأنبياء
وهو رأس أربعين سنة هذا تمثيل لما خوله من منزلة التقريب والتكليم والتكريم مثل حاله بحال من يراه بعض
الملوك لجوامع خصال فيه وخصائص أهلاً لئلا يكون أحد أقرب منزلة منه إليه ولا ألطف محلاً فيصطنعه بالكرامة
والأثرة ويستخلصه لنفسه ولا يبصر ولا يسمع إلا بعينه وأذنه ولا يأتمن على مكنون سره إلا سواء ضميره الونى الفتور
والتقصير وقرئ تنيا بكسر حرف المضارعة للإتباع أي لا تنسياني ولا أزال منكما على ذكر حيثما تقلبتما

والجزوم صح

يا ابن جبير صح

واتخذا

واتخذ ذكري جناحا اطير به او تستمدان بذلك العون والتأييد مني معتقدين ان امرا من الامور لا يتمشى لاحد الا بذكري
ويجوز ان يريد بالذكر تبليغ الرسالة فان الذكر يقع على ساير العبادات وتبليغ الرسالة من اجلها واعظمها وكان
جديرا بان يطلق عليه اسم الذكر روي ان الله سبحانه وتعالى اوحى الى هرون وهو بمصر ان يتلقى موسى عليه السلام
وقيل سمع بمقبله فقولا له قولا لينا بالتخفيف والقول اللين نحو قوله تعالى هل لك الى ان تزكى واهديك
الى ربك فتخشى لان ظاهره الاستفهام والمشورة وعرض ما فيه الفوز العظيم وقيل وعداه شبابا لا يهرم
وملكا لا ينزع منه الا بالموت وان تبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته وقيل لا تجبهاه بما يكره
والطفا له في القول لما له من حق تربية موسى ولما له من مثل حق الابوة وقيل كنياه وهو من ذوي
الكنى الثلاث ابو العباس وابو الوليد وابو مرة والترجي لهما اي اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا الامر
مباشرة من يرجو ويطمع ان يثمر عمله ولا يخيب سعيه فهو يجتهد بطوقه ويحتشد باقصى وسعه وجدوى
ارسالهما اليه مع العلم بانه لن يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا
لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك اي يتذكر ويتامل فيبذل النصفة من نفسه والاذعان للحق او يخشى ان يكون
الامر كما يصفان فيجره انكاره الى الهلكة وفرط سبق وتقدم ومنه الفارط الذي يتقدم الواردة وفرس
فرط يسبق الخيل اي نخاف ان يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا بها وقرئ يفرط من افرطه غيره اذا حمله
على العجلة خافا ان يحمله حامل على المعاجلة بالعقاب من شيطان او من جبروته واستكباره وادعائه الربوبية
او من حبه الرياسة او من قومه القبط المتمردين الذين حكى عنهم رب العزة قال الملأ من قومه وقال الملأ من قومه
وقرئ يفرط من الافراط بالاذية اي نخاف ان يحول بيننا وبين تبليغ الرسالة بالمعاجلة او يجاوز الحد
في معاقبتنا ان لم يعاجل بناء على ما عرفا وجربا من شرارته وعتوه او ان يطغى بالتخطي الى ان يقول فيك ما لا
ينبغي لجرأته عليك وقسوة قلبه وفي المجيء به هكذا على الاطلاق وعلى سبيل الرمز باب من حسن الادب
وتحاش عن التفوه بالعظيمة معكما اي حافظكما وناصركما واسمع واري ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل
فافعل ما يوجب حفظي ونصرتي لكما فجايز ان يقدر اقوالكم وافعالكم وجايز ان لا يقدر شيء وكانه قيل انا
حافظ لكما وناصر سامع مبصر واذا كان الحافظ والناصر كذلك تم الحفظ وصحت النصرة وذهبت المبالاة
بالعدو **فأتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك باية
من ربك والسلام على من اتبع الهدى** كانت بنو اسرائيل في ملكة فرعون والقبط يعذبونهم بتكليف الاعمال
الصعبة من الحفر والبناء ونقل الحجارة والسخرة في كل شيء مع قتل الولدان واستخدام النساء قد جئناك باية
من ربك جملة جارية من الجملة الاولى وهي انا رسولا ربك مجرى البيان والتفسير لان دعوى الرسالة لا
تثبت الا ببينتها التي هي المجيء بالاية انما وحد قوله باية ولم يثن ومعه ايتان لان المراد في هذا الموضع
تثبيت الدعوى ببرهانها فكانه قال قد جئناك بمعجزة وبرهان وحجة على ما ادعيناه من الرسالة
وكذلك قد جئتكم ببينة من ربكم فات باية ان كنت من الصادقين اولو جئتك بشيء مبين يريد وسلام
الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين وتوبيخ خزنة النار والعذاب على المكذبين خاطب الاثنين
قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ووجه النداء الى احدهما وهو موسى
لانه الاصل في النبوة وهارون وزيره وتابعه ويحتمل ان يحمله خبثه ودعارته على استدعاء كلام موسى
دون كلام اخيه لما عرف من فصاحة هرون والرتة في لسان موسى ويدل عليه قوله ام انا خير من هذا الذي
هو مهين ولا يكاد يبين خلقه اول مفعولي اعطى اي اعطى خليقته كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به او ثانيهما

اي اعطا كل شي صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به كما اعطي العين الهيئة التي تطابق الابصار والاذن
الشكل الذي يوافق الاستماع وكذلك الانف واليد والرجل واللسان كل واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة
غير ناب عنه او اعطي كل حيوان نظيره في الخلق والصورة حيث جعل الحصان والحجر زوجين والبعير والناقة
والرجل والمراة فلم يزاوج منها شي غير جنسه وما هو على خلاف خلقه • وقرئ خلقه صفة للمضاف او للمضاف
اليه اي كل شي خلقه الله عز وجل ولم يخله عن عطايه وانعامه ثم هدى اي عرف كيف يرتفق بما اعطي وكيف يتوصل
اليه ولله در هذا الجواب ما اخصره وما اجمعه وما ابينه لمن القى الذهن ونظر بعين الانصاف وكان طالبا
للحق قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ساله عن حال من تقدم
وخلا من القرون وعن شقاء من شقي وسعادة من سعد فاجابه بان هذا سوال عن الغيب وقد استاثر الله به لا يعلمه
الا هو وما انا الا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما علمني به علام الغيوب • وعلم احوال القرون مكتوب عند الله في اللوح
المحفوظ لا يجوز على الله سبحانه وتعالى ان يخطئه شيا او ينساه يقال ضللت الشي اذا اخطاته ولم تهتد له كقولك ضللت
الطريق والمنزل وقرئ يضل من اضله اذا اضاعه • وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لا يترك من كفر به
حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده حتى يجازيه • ويجوز ان يكون فرعون نازعه في احاطته عز وجل بكل شي
وتبيينه لكل معلوم فتعنت وقال ما تقول في سوالف القرون وتمادي كثرتهم وتباعد اطراف عددهم
كيف احاط بهم وباجزايهم وجواهرهم فاجاب بان كل كاين محيط به علمه وهو مثبت عنده في كتاب ولا يجوز
عليه الخطا والنسيان كما يجوز عليك ايها العبد الذليل والبشر الضئيل اي لا يضل كما تضل انت ولا ينسى
كما تنسى يا مدعي الربوبية بالجهل والوقاحة الذي جعل لكم الارض مرفوع صفة لربي او خبر مبتدا محذوف
او منصوب على المدح وهذا من مطانه ومجازه مهادا وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السماء ماء وقرا
اهل الكوفة اي تمهد لكم مهدا او تمهد ونها فهي لهم كالمهد وهو ما يمهد للصبي سلك من قوله سبحانه وتعالى
ما سلككم في سقر سلكناه نسلكه في قلوب المجرمين اي حصل لكم فيها سبلا ووسطها بين الجبال
والاودية والبراري فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى فاخرجنا انتقل من لفظ الغيبة الى لفظ المتكلم
المطاع لما ذكرته من الافتنان والايذان بانه مطاع تنقاد الاشيا المختلفة لامره وتذعن الاجناس المتفاوتة
بمشيته لا يمتنع شي على ارادته • ومثله قوله سبحانه وتعالى وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات
كل شي الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها • امن خلق السموت والارض وانزل لكم
من السماء ماء فانبتنا به حدايق ذات بهجة وفيه تخصيص ايضا فانا نحن نقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت قدرة احد
ازواجا سميت بذلك لانها مزدوجة مقترنة بعضها مع بعض شتى صفة للازواج جمع شتيت كمريض
ومرضى ويجوز ان يكون صفة للنبات والنبات مصدر سمي به النابت كما سمي بالنبت فاستوى فيه
الواحد والجمع يعني انها شتى مختلفة النفع والطعم واللون والرايحة والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها
للبهايم قالوا من نعمته عز وعلا ان ارزاق العباد انما تحصل بعمل الانعام وقد جعل الله سبحانه وتعالى علفها
مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على اكله كلوا وارعوا انعامكم ان في ذلك لايات لاولي النهى اي
قايلين كلوا وارعوا حال من الضمير في فاخرجنا المعنى اخرجنا اصناف النبات اذنين بالانتفاع بها مبيحين ان تاكلوا
بعضها وتعلفوا بعضها منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى اراد بخلقهم من الارض
خلق اصلهم وهو ادم عليه الصلاة والسلام منها وقيل ان الملك لينطلق فياخذ من تربة المكان الذي يدفن فيه
فيبددها على النطفة فيخلق من التراب • والنطفة معا واراد باخراجهم منها انه يولف اجزاهم المتفرقة المختلطة

بالتراب

الحيطي شياء

الله بكل شيء

كتاب

الله

اصنافا

بالتراب ويردهم كما كانوا احيا ويخرجهم الى المحشر يوم يخرجون من الاجداث سراعا عدد الله عليهم ما علق بالارض من
مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم مسالك يترددون فيها كيف شاؤا وانبت لهم اصناف
النبات التي منها اقواتهم وعلوفات بهايمهم وهي اصلهم الذي منه تفرعوا وامهم التي منها ولدوا ثم هي كفاتهم
اذا ماتوا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمسحوا بالارض فانها بكم برة **ولقد اريناه** اريناه
بصرناه او عرفناه صحتها وتيقناه بها وانما كذب لظلمه كقوله سبحانه وتعالى وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم ظلما وعلوا وقوله لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر **اياتنا كلها فكذب
وابى** وفي قوله اياتنا كلها وجهان احدهما ان يحري بهذا التعريف الاضافي مجرى التعريف باللام لو قيل
الايات كلها اعني انها لا تعطي الا تعريف العهد والاشارة الى الايات المعلومة التي هي تسع الايات المختصة
بموسى عليه الصلاة والسلام العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع
والدم ونتق الجبل والثاني ان يكون موسى عليه السلام قد اراه اياته وعدد عليه ما اوتيه غيره من الانبيا
من اياتهم ومعجزاتهم وهو نبي صادق لا فرق بين ما يخبر عنه وبين ما يشاهد به فكذب بها جميعا وابى
ان يقبل شيا منها وقيل وكذب الايات وابى قبول الحق يلوح من حيث قوله **اجئتنا لتخرجنا من
ارضنا بسحرك يا موسى فلناتينك بسحر مثله** لتخرجنا من ارضنا بسحرك اي ان تزايله ترعد خوفا
مما جاءه به موسى عليه السلام لعلمه وايقانه انه على الحق وان المحق لو اراد قود الجبال لانقادت له وان مثله
لا يخذل ولا يقل ناصره وانه غالبه على ملكه لا محالة وقوله بسحرك تعلل وتحير والا فكيف يخفى عليه ان
ساحرا لا يقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه ويغلبه على ملكه بالسحر **فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه
نحن ولا انت مكانا سوى** لا يخلو الموعد في قوله اجعل بيننا وبينك موعدا من ان يجعل زمانا او مكانا
او مصدرا فان جعلته زمانا نظرا الى ان قوله موعدكم يوم الزينة مطابق له لزمك شيان ان تجعل الزمان
مخلفا وان يعضل عليك ناصب مكانا وان جعلته مكانا لقوله مكانا سوى لزمك ايضا ان توقع
الاخلاف على المكان وان لا يطابق قوله يوم الزينة **قال موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى
فتولى فرعون فجمع كيده ثم اتى** وقراءة الحسن رضي الله تعالى عنه غير مطابق له مكانا وزمانا عليك ناصب
مكانا ولئن جعلته مكانا لقوله وزمانا جميعا لانه قرا يوم الزينة بالنصب فبقي ان يجعل مصدرا بمعنى الوعد
ويقدر مضاف محذوف اي مكان موعد ويجعل الضمير في نخلفه للموعد ومكانا بدل من المكان المحذوف فان
قلت فكيف طابقه قوله يوم الزينة ولا بد ان تجعله زمانا والسؤال واقع عن المكان لا عن الزمان
قلت هو مطابق معنى وان لم يطابق لفظا لانه لا بد لهم ان يجتمعوا يوم الزينة في مكان بعينه
مشتهر باجتماعهم فيه في ذلك اليوم فبذكر الزمان علم المكان واما قراءة الحسن رضي الله تعالى عنه فالموعد
فيها مصدر لا غير والمعنى انجاز وعدكم يوم الزينة وطباق هذا ايضا من طريق المعنى ويجوز ان لا يقدر
مضاف محذوف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لا نخلفه فان قلت فبم ينتصب مكانا
قلت بالمصدر او بفعل يدل عليه المصدر فان قلت فكيف يطابقه الجواب قلت
اما على قراءة الحسن فظاهر واما على قراءة العامة فعلى تقدير وعدكم وعد يوم الزينة ويجوز على قراءة الحسن ان
يكون موعدكم مبتدا بمعنى الوقت وضحى خبره على نية التعريف فيه لانه ضحى ذلك اليوم بعينه وقيل
في يوم الزينة يوم عاشورا ويوم النيروز ويوم عيد كان لهم في كل عام ويوم كانوا يتخذون فيه
سوقا ويتزينون ذلك اليوم وقرئ نخلفه بالرفع على الوصف للموعد وبالجزم على جواب الامر

فعقهم

الثنا

موعدكم

وعدهم

وقرئ سُوًى وسِوًى بالكسر والضم منونا وغير منون ومعناه منصفا بيننا وبينك عن مجاهد رضي الله تعالى عنه
وهو من الاستواء لان المسافة من الوسط الى الطرفين مستوية لا تفاوت فيها ومن لم ينون فوجهه ان يجري الوصل مجرى
الوقف • قرئ وان تحشر الناس بالتاء والياء يريد وان تحشر يا فرعون وان يحشر اليوم ويجوز ان يكون فيه
ضمير فرعون ذكر بلفظ الغيبة اما على العادة التي يخاطب بها الملوك او خاطب القوم بقوله موعدكم وجعل يحشر
لفرعون ومحل ان يحشر الرفع او الجر عطفا على اليوم او الزينة وانما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وظهور دينه
وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤس الاشهاد وفي المجمع الغاص لتقوى رغبة من رغب في اتباع الحق ويكل حد
المبطلين واشياعهم ويكثر المحدث بذلك الامر العلم في كل بدو وحضر ويشيع في جمع اهل الوبر والمدر قال لهم
موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى لا تفتروا على الله كذبا اي لا تدعوا
اياته ومعجزاته سحرا قرئ فيسحتكم والسحت لغة اهل الحجاز والاسحات لغة اهل نجد وبني تميم ومنه قول
الفرزدق • الا مسحتا او مجلف • في بيت لا تزال الركب تصطك في تسوية • اعرابه •
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان نجواهم ان غلبنا موسى اتبعناه • وقتادة رضي الله تعالى عنه ان كان ساحرا
فسنغلبه وان كان من السماء فله امر • وعن وهب رضي الله تعالى عنه لما قال ويلكم الاية قالوا ما هذا بقول
ساحر والظاهر انهم تشاوروا في السر وتجاذبوا اهداب القول ثم قالوا ان هذان لساحران فكانت نجواهم في
تلفيق هذا الكلام وتزويره خوفا من غلبتهما وتثبيطا للناس عن اتباعهما فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى
قالوا ان هذين لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى
قرأ ابو عمرو رضي الله تعالى عنه ان هذين لساحران على الجهة الظاهرة المكشوفة • وابن كثير وحفص ان هذان
لساحران على قولك ان زيد لمنطلق واللام هي الفارقة بين ان النافية والمخففة من الثقيلة • وقرأ ابي رضي الله
عنه ان ذان الا ساحران • وابن مسعود رضي الله عنه ان هذان ساحران بفتح ان وبغير لام بدل من النجوى
وقيل في القراءة المشهورة ان هذان لساحران هي لغة بلحرث بن كعب جعلوا الاسم المثنى نحو الاسماء التي اخرها الف
كعصا وسعدى فلم يقلبوها يا في الجر والنصب وقال بعضهم ان بمعنى نعم وساحران خبر مبتدا محذوف واللام
داخلة على الجملة تقديره لهما ساحران وقد اعجب به ابو اسحاق • وسموا مذهبهم الطريقة المثلى والسنة الفضلى
وكل حزب بما لديهم فرحون وقيل ارادوا اهل طريقتكم المثلى وهم بنو اسرائيل لقول موسى عليه الصلاة والسلام
ارسل معنا بني اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه الناس واشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم يقال هم طريقة قومهم ويقال
للواحد ايضا هو طريقة قومه فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا فاجمعوا كيدكم يعضده قوله فجمع كيده وقرئ
فاجمعوا كيدكم اي ازمعوه واجعلوه مجمعا عليه حتى لا تختلفوا ولا يتخلف عنه واحد منكم كالمسئلة المجمع عليها امروا
بان ياتوا صفا لانه اهيب في صدور الرائين وروي انهم كانوا سبعين الفا مع كل واحد منهم حبل وعصا
وقد اقبلوا اقبالة واحدة • وعن ابي عبيدة انه فسر الصف بالمصلى لان الناس يجتمعون فيه لعيدهم وصلاتهم
مصطفين ووجه صحته ان يقع علما لمصلى بعينه فامروا بان ياتوه او يراد ائتوا مصلى من المصليات وقد افلح
اليوم من استعلى قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى قال بل القوا فاذا حبالهم
وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها [illegible] خيفة موسى وقد افلح اليوم من استعلى اعتراض
يعني وقد فاز من غلب ان ما بعدها منصوب بفعل مضمر او مرفوع بانه خبر مبتدا محذوف معناه اختر احد الامرين
اما الالقاء اولا او الالقاء ثانيا وهذا التخيير منهم استعمال ادب حسن معه وتواضع له وخفض جناح وتنبيه
على اعطائهم النصفة من انفسهم وكان الله عز وعلا الهمهم ذلك وعلم موسى صلى الله عليه وسلم اختيار القائهم اولا مع ما فيه

تثبيطا

مقابلة

طم

ويستنفدوا

من مقابلة أدب بأدب حتى يبرزوا ما معهم من مكايد السحر ويستنفدوا أقصى طوقهم ومجهودهم فإذا
فعلوا أظهر الله عز وجل سلطانه وقذف بالحق على الباطل فدمغه وسلط المعجزة على السحر
فمحقته وكانت آية نيرة للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين. يقال في إذا هذه إذا المفاجأة والتحقيق
فيها أنها الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصباً لها وجملة تضاف إليها خصت في بعض المواضع بأن يكون
ناصبها فعلاً مخصوصاً وهو فعل المفاجأة والجملة ابتدائية لا غير فتقدير قوله تعالى فإذا حبالهم وعصيهم
ففاجأ موسى عليه الصلاة والسلام وقت تخييل سعي عصيهم وحبالهم وهذا تمثيل والمعنى على مفاجأته
حبالهم وعصيهم مخيلة إليه السعي • وقرئ عُصيهم بالضم وهو الأصل والكسر إتباع ونحوه دُلِيّ ودِلِيّ
وقُسِيّ وقِسِيّ • وقرئ تُخيل على إسناده إلى ضمير الحبال والعصي وإبدال قوله تعالى أنها
تسعى من الضمير بدل الاشتمال • كقولك أعجبني زيد كرمه • وتَخَيّل على كون الحبال والعصي مخيلة
سعيها وتخيل بمعنى تتخيل وطريقه طريق تُخيل على أن الله هو المخيل للمحنة والابتلاء ويروى أنهم
لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيلت ذلك إيجاس الخوف إضمار شيء منه
وكذلك توجس الصوت تسمّع نبأة يسيرة منه وكان ذلك لطبع الجبلة البشرية وأنه لا يكاد يمكن •
الخلو من مثله وقيل خاف أن يخالج الناس شك فلا يتبعوه **إنك أنت الأعلى** فيه تقرير لغلبته وقهره
وتوكيد بالاستئناف وبكلمة التشديد وبتكرير الضمير وبلام التعريف وبلفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة
وبالتفضيل • وقوله ما في يمينك • ولم يقل عصاك جائز أن يكون تصغيراً لها أي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم
وألق العُوَيد الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك فإنه بقدرة الله تعالى يتلقفها على وحدته وكثرتها وصغره
وعظمها وجائز أن يكون تعظيماً لها أي لا تحتفل بهذه الأجرام الكثيرة الكبيرة فإن في يمينك شيئاً أعظم
منها كلها وهذه على كثرتها أقل شيء وأنزر عندها فألقه يتلقفها بإذن الله ويمحقها • وقرئ
تلقف بالرفع على الاستئناف أو على الحال أي ألقها متلقفة • وقرئ تلقف بالتخفيف صنعوا ههنا
بمعنى زوروا وافتعلوا كقوله تعالى تلقف ما يأفكون • وقرئ كيد ساحر بالرفع والنصب فمن رفع
فعلى أن ما موصولة • ومن نصب فعلى أنها كافة • وقرئ كيد سحر بمعنى ذي سحر أو ذوي سحر أو هم لتوغلهم
في سحرهم كأنهم السحر بعينه وبذاته أو بيّن الكيد لأنه يكون سحراً وغير سحر كما تبين المائة بدرهم
ونحوه علم فقه وعلم نحو **فإن قلت** لم وحّد ساحر ولم يجمع **قلت** لأن القصد في هذا
الكلام إلى معنى الجنسية لا إلى معنى العدد فلو جمع لخيل أن المقصود هو العدد ألا ترى إلى قوله ولا يفلح
الساحر أي هذا الجنس **فإن قلت** فلم نكر أولاً وعرف ثانياً **قلت** إنما نكر من
أجل تنكير المضاف لا من أجل تنكيره في نفسه كقول العجاج •

في سعي دنيا طال ما قد مدت

وفي حديث عمر رضي الله تعالى عنه • لا في أمر دنيا ولا في أمر آخرة • المراد تنكير الأمر • كأنه قيل إنما صنعوا كيد
سحري • وفي سعي دنيوي وأمر دنيوي وأخروي • **ولا يفلح الساحر حيث أتى** • كقولهم حيث سيّره
وأية سلك • وأينما كان • سبحان الله ما أعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤوسهم
بعد ساعة للشكر والسجود • فما أعظم الفرق بين الإلقاءين • وروي أنهم لم يرفعوا رؤوسهم حتى رأوا
الجنة والنار ورأوا ثواب أهلها • وعن عكرمة رضي الله تعالى عنه لما خروا سجداً أراهم الله سبحانه
وتعالى في سجودهم منازلهم التي يصيرون إليها في الجنة • **إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف** تعلمون

أو لحديث عمر أي لا كرم احركه فارغا شيء لا

بتنكير ج

لعظيمكم يريد اسحرهم واعلاهم درجة في صناعتهم او لمعلمكم من قول اهل مكة للمعلم امرني
كبيري وقال لي كبيري لذا يريدون معلمهم واستاذهم في القرآن وفي كل شيء وقرئ لاقطعن
ولاصلبن بالتخفيف والقطع من خلاف ان تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لان كل واحد
من العضوين خالف الآخر بان هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال ومن لابتداء
الغاية لان القطع مبتدئ وناشئ من مخالفة العضو العضو لا من وفاقه اياه ومحل
الجار والمجرور النصب على الحال اي لاقطعنها مختلفات لانها اذا خالف بعضها بعضا فقد
اتصفت بالاختلاف شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء الموعى في وعائه فلذلك
قيل في جذوع النخل **فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم في جذوع**
النخل ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من
البينات والذي فطرنا فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا
انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير
وابقى انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى
ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى
يريد نفسه لعنه الله وموسى صلى الله عليه وسلم بدليل قوله آمنتم له واللام مع الايمان
في كتاب الله لغير الله كقوله تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين وفيه نفاجة باقتداره وقهره
وما الفه وضري به من تعذيب الناس بانواع العذاب وتوضيع لموسى عليه السلام
واستضعاف له مع الهزء به لان موسى عليه السلام لم يكن قط من التعذيب في شيء
والذي فطرنا عطف على ما جاءنا او قسم وقرئ تقضى هذه الحياة الدنيا ووجهها ان
الحياة في هذه القراءة المشهورة منتصبة على الظرف فاتسع في الظرف باجرائه مجرى
المفعول به كقولك في صمت يوم الجمعة صيم يوم الجمعة روي ان السحرة يعني رؤسهم كانوا
اثنين وسبعين الاثنان من القبط والسائر من بني اسرائيل وكان فرعون اكرههم على تعلم
السحر وروي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا
ما هذا بسحر الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه **جنات عدن**
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى ولقد اوحينا
الى موسى ان اسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف
دركا ولا تخشى فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم
واضل فرعون قومه وما هدى تطهر من ادناس الذنوب وعن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما قال لا اله الا الله قيل في هذه الآيات الثلاث هي حكاية قولهم وقيل خبر من الله تعالى
لا على وجه الحكاية فاضرب لهم طريقا فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما
وضرب اللبن عمله اليبس مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا ونحوهما العدم والعدم
ومن ثم وصف به المؤنث فقيل شاتنا يبس وناقتنا يبس اذا جف لبنها وقرئ
يبسا ويابسا ولا يخلو اليبس من ان يكون مخففا عن اليبس او صفة على فعل او جمع
يابس كصاحب وصحب وصف به الواحد تاكيدا كقوله ومعا جياعا جعله لفرط جوعه

انه هو

شمال

ويبسا

لجماعة

لجماعة حيارى • لا تخاف حال من الضمير في فاضرب وقرئ لا تخف على الجواب • وقرأ وقرئ
ابو حيوة رضي الله تعالى عنه دركا بالسكون والدرك والدرك اسمان من الادراك • ابو حيوة
اي لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك • ولا تخشى اذا اتى • لا تخف ثلثة اوجه ان يستأنف
كانه قيل وانت لا تخشى اي ومن شأنك انك آمن لا تخشى وان لا تكون الالف المنقلبة عن الياء
التي هي لام الفعل ولكن زائدة للاطلاق من اجل الفاصلة كقوله فاضلونا السبيلا وتظنون
بالله الظنونا وان تكون مثل قوله • كأن لم ترى قبلي اسيرا يمانيا • ما غشيهم من باب الاختصار
ومن جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة اي غشيهم ما لا يعلم كنهه الا الله عز وجل
وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم والتغشية التغطية وفاعل غشاهم اما الله عز وجل
او ما غشاهم او فرعون لانه الذي ورط جنوده وتسبب لهلاكهم • قوله وما هدى تهكم به
في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد • يا بني اسرائيل خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك آل
فرعون • وقيل هم الذين كانوا منهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله سبحانه وتعالى عليهم
بما فعل بآبائهم • والوجه هو الاول اي قلنا يا بني اسرائيل وحذف القول كثير في القرآن وقرئ
انجيتكم الى ووعدتكم وعلى لفظ الوعد والمواعدة • وقرئ الايمن بالجر على الجوار نحو جحر ضب خرب
ذكرهم النعمة في نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما واعد موسى من المناجاة بجانب الطور وكتب
التوراة في الالواح • وانما عدي المواعدة اليهم لانها لابستهم واتصلت بهم حيث كانت
لنبيهم ونقبائهم واليهم رجعت منافعها التي قام بها دينهم وشرعهم وفيما افاض عليهم من سائر
نعمه وارزاقه • طغيانهم في النعمة ان يتعدوا حدود الله عز وجل فيها بان يكفروها وان يشغلهم
اللهو والتنعم عن القيام بشكرها وان ينفقوها في المعاصي وان يزووا حقوق الفقراء فيها وان
يسرفوا في انفاقها وان يبطروا فيها ويأشروا ويتكبروا • وقرئ فيحل وعن عبد الله لا يحلن
ومن يحلل المكسور في معنى الوجوب من حل الدين يحل اذا وجب اداؤه ومنه قوله سبحانه
وتعالى حتى يبلغ الهدي محله والمضموم في معنى النزول وغضب الله عقوباته ولذلك
وصف بالنزول • هوى هلك واصله ان يسقط من جبل فيهلك • قال الشاعر
• هوى من رأس مرقبة • ففتت تحتها كبده • ويقولون هوت امه اي سقط سقوطا
لا نهوض بعده • الاهتداء هو الاستقامة والثبات على الهدى المذكور وهو التوبة والايمان
والعمل الصالح ونحوه قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وكلمة التراخي
دلت على تباين المنزلتين دلالتها على تباين الوقتين في جاءني زيد ثم عمرو اعني ان منزلة الاستقامة
على الخير مباينة لمنزلة الخير نفسه لانها اعلى منها وافضل • وما اعجلك اي شيء عجل بك عنهم
على سبيل الانكار وقد مضى مع النقباء الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا الى
كلام ربه وتنجز ما وعد به بناء على اجتهاده وظنه ان ذلك اقرب الى رضى الله سبحانه وتعالى
انه ما وقت افعاله الا نظرا الى دواعي الحكمة وعلما بالمصالح المتعلقة بكل وقت فالمراد بالقوم
النقباء وليس لقول من جوز ان يراد جميع قومه وان يكون قد فارقهم قبل الميعاد وجه
صحيح يأباه قوله هم اولاء على اثري • وعن ابي عمرو ويعقوب رضي الله تعالى عنهما
إثري بالكسر • وعن عيسى بن عمر رضي الله تعالى عنه أثري بالضم • وعنه ايضا اولى بالقصر

والأثر افصح من الاثر واما الاثر فمسموع في فرند السيف مدون في الأصول يقال اثر السيف وأثره
وهو بمعنى الاثر غريب **فان قلت** ما اعجلك سؤال عن سبب العجلة فكان الذي
ينطبق عليه من الجواب ان يقال طلب زيادة رضاك او الشوق الى كلامك وتنجز موعدك وقوله
هم اولا على اثري كما ترى غير منطبق عليه **قلت** قد تضمن ما واجهه به رب العزة
شيئين انكار العجلة في نفسها والثاني السؤال عن سبب المنكر والحامل عليه فكان اهم
الامرين الى موسى عليه الصلاة والسلام لبسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما انكر عليه فاعتل
بانه لم يوجد مني الا تقدم يسير مثله لا يعتد به في العادة ولا يحتفل به وليس بيني وبين من
سبقته الا مسافة قريبة يتقدم بمثلها الوفد رأسهم ومقدمهم ثم عقبه بجواب السؤال
عن السبب فقال وعجلت اليك رب لترضى ولقائل ان يقول حار لما ورد من التهيب
لعتاب الله سبحانه فاذهله ذلك الجواب المنطبق المرتب على حدود الكلام اراد بالقوم
المفتونين الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنى
عشر الفا **فان قلت** في القصة انهم اقاموا بعد مفارقته عشرين ليلة وحسبوها
اربعين مع ايامها وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل بعد ذلك فكيف التوفيق بين هذا
وبين قوله سبحانه وتعالى لموسى عند مقدمه انا قد فتنا قومك **قلت** قد اخبر سبحانه
وتعالى عن الفتنة المترقبة بلفظ الموجودة الكائنة على عادته او افترص السامري غيبته
فعزم على اضلالهم غب انطلاقه واخذ في تدبير ذلك فكان بدؤ الفتنة موجودا وقرئ
واضلهم السامري اي وهو اشدهم ضلالة لانه ضال مضل وهو منسوب الى قبيلة
من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل السامرة قوم من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم
وقيل كان من باجرما وقيل كان علجا من كرمان واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا قد اظهر
الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر الاسف الشديد الغضب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
في موت الفجاءة رحمة للمؤمن واخذة اسف للكافر وقيل الحزين **فان قلت** متى
رجع الى قومه **قلت** بعد ما استوفى الاربعين ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعدهم
الله سبحانه وتعالى ان يعطيهم التوراة التي فيها هدى ونور ولا وعد احسن من ذلك واجمل
حكي لنا انها كانت الف سورة كل سورة الف اية يحمل اسفارها سبعون جملا **العهد**
الزمان يريد مدة مفارقته لهم يقال طال عهدي بك اي طال زماني بسبب مفارقتك وعدوه ان
يقيموا على امره وما تركهم عليه من الايمان فاخلفوا موعده بعبادتهم العجل بملكنا قرئ
بالحركات الثلث اي ما اخلفنا موعدك بان ملكنا امرنا اي لو ملكنا امرنا وخلينا ورأينا
لما اخلفناه ولكنا غلبنا من جهة السامري وكيده اي حملنا احمالا من حلي القبط
التي استعرناها منهم او اراد بالاوزار انها آثام وتبعات لانهم كانوا معهم في حكم المستأمنين
في دار الحرب وليس للمستأمن ان يأخذ مال الحربي على ان الغنائم لم تكن تحل حينئذ فقذفناها
في نار السامري التي اوقدها في الحفرة وامرنا ان نطرح فيها الحلي وقرئ حملنا وكذلك
القى السامري اراهم انه يلقي حليا في يده مثل ما القوا وانما القى التربة التي اخذها
من موطئ حيزوم فرس جبريل عليه الصلاة والسلام اوحى اليه وليه الشيطان انها اذا خالطت

احدهما المستنكر صح

عنى صح

اهل صح

موانا

ثم انا صار حيوانا فاخرج لهم السامري من الحفرة عجلا خلقه الله سبحانه وتعالى من الحلي التي سبكتها النار
يخور كما يخور العجاجيل **فان قلت** كيف اثرت تلك التربة في احيا الموات
قلت اما يصح ان يؤثر الله سبحانه روح القدس بهذه الكرامة الخاصة كما اثره
بغيرها من الكرامات وهي ان يباشر فرسه بحافره تربة اذ الاقت تلك التربة جمادا انشاه
الله ان شاء عند مباشرته حيوانا الا ترى الا ترى كيف انشاء المسيح من غير اب عند نفخه
في الدرع **فان قلت** فلم خلق الله سبحانه العجل من الحلي حتى صار فتنة لبني اسرائيل
وضلالا **قلت** ليس باول محنة محن الله بها عباده ليثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت
في الحياة الدنيا وفي الاخرة ويضل الله الظالمين ومن عجب من خلق العجل فليكن من خلق ابليس
اعجب والمراد بقوله انا فتنا قومك هو خلق العجل للامتحان اي امتحناهم بخلق العجل وحملهم السامري
على الضلال واوقعهم فيه حين قال لهم هذا الهكم واله موسى فنسي اي نسي موسى ان يطلبه هاهنا
وذهب يطلبه عند الطور او فنسي السامري اي ترك ما كان عليه من الايمان الظاهر يرجع من
رفعه فعلى ان ان مخففة من المثقلة ومن نصب فعلى انها الناصبة للافعال من قبل من
قبل ان يقول لهم السامري ما قال كانهم اول ما وقعت عليه ابصارهم حين طلع من الحفرة
افتتنوا به واستحسنوه فقبل ان ينطق السامري بادرهم هرون عليه الصلاة والسلام بقوله
انما فتنتم به وان ربكم الرحمن لا مزيدة والمعنى ما منعك ان تتبعني في الغضب لله وشدة
الزجر عن الكفر والمعاصي وهلا قاتلت من كفر بمن امن وما لك لم تباشر الامر كما كنت اباشره
انا لو كنت شاهدا او ما لك لم تلحقني قرئ بلحيتي بفتح اللام وهي لغة اهل الحجاز كان موسى
صلوات الله وسلامه عليه رجلا حديدا مجبولا على الحدة والخشونة والتصلب في كل شيء شديد
الغضب لله ولدينه فلم يتمالك حين راى قومه يعبدون عجلا من دون الله عز وجل
من بعد ما راوا الايات العظام ان القى الواح التورية لما غلب على ذهنه من الدهشة
العظيمة غضبا لله عز وجل استنكافا وحمية وعنف باخيه وخليفته على قومه فاقبل عليه
اقبال العدو المكاشف قابضا على شعر راسه وكان افرع وعلى شعر وجهه يجره اليه اي
لو قاتلت بعضهم ببعض لتفرقوا وتفانوا فاستانيتك لتكون انت المتدارك بنفسك
المتلافي برايك وخشيت عتابك على اطراح ما وصيتني به من ضم النشر وحفظ الدهما ولم يكن
لي بد من رقبة وصيتك والعمل على موجبها الخطب مصدر خطب الامر اذا طلبه فاذا قيل
لمن يفعل شيئا ما خطبك فمعناه ما طلبك له قرئ بصرت بما لم تبصروا به بالكسر والمعنى
علمت ما لم تعلموه وفطنت ما لم تفطنوا به وقرا الحسن رضي الله تعالى عنه قبضة بضم القاف
وهو اسم المقبوض كالغرفة والمضغة واما القبضة فالمرة من القبض واطلاقها على المقبوض
من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الامير وقرا ايضا فقبصت قبصة بالصاد المهملة بجميع
الكف والقصاد باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم الخا بجميع الفم والقاف بمقدمه
قرا ابن مسعود رضي الله تعالى عنه من اثر فرس الرسول **فان قلت** لم سماه الرسول دون
جبريل وروح القدس **قلت** حين حل ميعاد الذهاب الى الطور ارسل الله تعالى الى موسى
عليه الصلوة والسلام جبريل راكب حيزوم فرس الحياة ليذهب به فابصره السامري فقال ان

إنّ لهذا شأنًا فقبض قبضة من تربة موطئه فلما سأله موسى عليه الصلاة والسلام عن قصته قال
قبضت من أثر فرس المرسل إليك يوم حلول الميعاد ولعله لم يعرف انه جبريل فعوقب في الدنيا
بعقوبة لا شيء أطم منها وأوحش منها وذلك انه منع من مخالطة الناس منعًا كليًّا وحرم
عليهم ملاقاته ومبايعته ومواجهته وكل ما يعايش به الناس بعضهم بعضًا واذا اتفق ان يماس
احدًا رجلًا او امرأة حمّ الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس وعاد
في الناس أوحش من القاتل اللاجئ الى الحرم ومن الوحشي النافر في البرية ويقال ان قومه
باقٍ فيهم ذلك الى اليوم وقرئ لا مساس بوزن فجار ونحوه قولهم في الظباء

إن وردت الماء فلا عباب ۞ وان فقدته فلا اباب

وهي اعلام للمسة والعبة والابة وهي المرة من الاب وهو الطلب **لن تخلفه** اي لن يخلفك
الله موعدك الذي وعدك على الشرك والفساد في الارض ينجزه لك في الآخرة بعد ما عاقبك بذلك
في الدنيا فانت ممن خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين وقرئ لن تخلفه
وهذا من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفًا قال الاعشى

اثوى وقصر ليلة ليزودا ۞ فمضى واخلف من قتيلة موعدا

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه نخلفه بالنون اي لن يخلفه الله سبحانه وتعالى
كانه حكى قوله عز وجل كما مر في لأهب لك **وانظر الى الهك الذي ظلت عليه
عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا** ظلت وظلت وظلت والاصل ظللت
فحذفوا اللام الاولى ونقلوا حركتها الى الظاء ومنهم من لم ينقل و لنحرقنه و لنحرقنه وفي
حرف ابن مسعود رضي الله تعالى عنه لنذبحنه ولنحرقنه ولنحرقنه والقراءتان من
الاحراق وذكر ابو علي الفارسي في لنحرقنه انه يجوز ان يكون حرق مبالغة في حرق
اذا برد بالمبرد وعليه القراءة الثالثة وهي قراءة علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه
لننسفنه بكسر السين وضمها وهذه عقوبة ثالثة وهي ابطال ما افتتن به وفتن
واهدار سعيه وهدم مكره ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين وقرأ طلحة رضي الله
تعالى عنه الله لا اله الا هو الرحمن رب العرش وسع كل شيء علمًا وعن مجاهد وقتادة
رضي الله تعالى عنهما وسّع ووجهه ان وسع متعد الى مفعول واحد وهو كل شيء واما
علمًا فانتصابه على التمييز وهو في المعنى فاعل فلما ثقل نقل الى التعدية الى مفعولين فنصبهما
معًا على المفعولية لان المميز فاعل في المعنى كما تقول في خاف زيد عمرًا خوفت زيدًا عمرًا
فترد بالنقل ما كان فاعلًا مفعولًا والكاف في كذلك منصوب المحل وهذا موعد من الله عز وجل
لرسوله صلى الله عليه وسلم اي مثل ذلك الاقتصاص ونحو ما اقتصصنا عليك قصة موسى عليه السلام وفرعون
**كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرًا من اعرض
عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة
حملا يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم ان
لبثتم الا عشرا** نقص عليك من سائر اخبار الامم وقصصهم واحوالهم تكثيرًا لبيناتك وزيادة
في معجزاتك وليعتبر السامع ويزداد المستبصر في دينه بصيرة وتتأكد الحجة على من عاند وكابر وان هذا

الدعاج

الذكر

لذكر اتيناك يعني القرآن مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار الحقيقة بالتفكر والاعتبار لذكر
عظيم وقرآن كريم فيه النجاة والسعادة لمن اقبل عليه ومن اعرض عنه فقد هلك وشقي
العقوبة الثقيلة الباهظة سماها وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها
بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره ويلقي عليه بهره او لانها جزاء الوزر وهو
الاثم وقرئ يحمل جمع خالدين على المعنى لان من مطلق متناول لغير معرض واحد وتوحيد
الضمير في اعرض وما بعده للحمل على اللفظ ونحوه قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار
جهنم خالدين فيها ابدا فيه اي في ذلك الوزر او في احتماله ساء في حكم بئس والضمير الذي
فيه يجب ان يكون مبهما يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه
تقديره ساء حملا وزرهم كما حذف في قوله سبحانه وتعالى نعم العبد انه اواب ايوب عليه السلام
الذي هو المخصوص بالمدح ومنه قوله سبحانه وتعالى وساءت مصيرا اي وساءت مصيرا
جهنم فان قلت اللام في لهم ما هي وبم تتعلق قلت هي للبيان كما في هيت
لك فان قلت ما انكرت ان يكون في ساء ضمير الوزر قلت لا يصح ان يكون
في ساء وحكمه حكم بئس ضمير شيء بعينه غير مبهم فان قلت فلا يكن ساء الذي حكمه حكم
بئس وليكن ساء الذي منه قوله سبحانه وتعالى سيئت وجوه الذين كفروا بمعنى اهمهم واحزن
قلت صادا عنه ان يؤول كلام الله سبحانه وتعالى الى قولك واحزن الوزر لهم
يوم القيامة حملا وذلك بعد ان يخرج من عهدة هذه اللام وعهدة هذا المنصوب اسند
النفخ الى الامر به فمن قرأ ننفخ بالنون ولان الملائكة المقربين واسرافيل منهم بالمنزلة التي هم
بها من رب العزة فصح لكرامتهم عليه وقربهم منه ان يسند ما يتولونه الى ذاته وقرئ
ينفخ بلفظ ما لم يسم فاعله وينفخ ويحشر بالياء المفتوحة على الغيبة والضمير لله سبحانه وتعالى
او لاسرافيل عليه السلام واما يحشر المجرمون فلم يقرأ به الا الحسن رضي الله تعالى عنه وقرئ
في الصور بفتح الواو جمع صورة وفي الصور قولان احدهما انه بمعنى الصور وهذه القراءة
تدل عليه والثاني انه القرن قيل في الزرق قولان احدهما ان الزرقة ابغض شيء
من الوان العيون الى العرب لان الروم اعداؤهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا في صفة
العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين والثاني ان المراد العمى لان حدقة
من يذهب نور بصره تزراق يتخافتون لما يملأ صدورهم من الرعب والهول يستقصرون
مدة لبثهم في الدنيا اما لما يعاينون من الشدائد التي تذكرهم ايام النعمة والسرور فيتأسفون
عليها ويصفونها بالقصر لان ايام السرور قصار واما لانها ذهبت عنهم وتقضت
والذاهب وان طالت مدته قصير بالانتهاء ومنه توقيع عبد الله بن المعتز
اطال الله بقاءك كفى بالانتهاء قصرا واما لاستطالتهم الآخرة وانها ابد سرمد
يستقصر اليها عمر الدنيا ويتقال لبث اهلها فيها بالقياس الى لبثهم في الآخرة وقد
استرجح الله قول من يكون اشد تقالا منهم في قوله عز وجل اذ يقول امثلهم طريقة
ان لبثتم الا يوما ونحوه قوله سبحانه وتعالى قال كم لبثتم في الارض عدد سنين
قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فاسأل العادين وقيل المراد لبثهم في القبور ويعضده

قوله عز وجل ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون • وقال
الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث ينسفها يجعلها كالرمل
ثم يرسل عليها الرياح فيفرقها كما يذري الطعام فيذرها اي فيذر مقارها ومراكزها او يجعل
الضمير للارض وان لم يجر لها ذكر كقوله ما ترك على ظهرها من دابة فان قلت قد فرقوا
بين العوج بالكسر والعوج فقالوا العوج بالكسر في المعاني بالفتح في الاعيان والارض عين
فكيف صح فيها المكسور العين قلت اختيار اللفظة موقع حسن بديع في وصف الارض
بالاستواء والملاسة ونفي الاعوجاج عنها على ابلغ ما يكون وذلك انك لو عمدت الى قطعة ارض فسويتها
وبالغت في التسوية على عينك وعيون البصراء من الفلاحة واتفقتم على انه لم يبق فيها
اعوجاج قط ثم استطلعت رأي المهندس فيها وامرته ان يعرض استواءها على المقاييس
الهندسية لعثر فيها على عوج في غير موضع لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسي
الذي يعرفه صاحب التقدير والهندسة وذلك الاعوجاج لما لم يدرك الا بالقياس دون الاحساس
لحق بالمعاني فقيل فيه عوج بالكسر • الامت • النتو اليسير يقال مد حبله حتى ما فيه امت
اضاف اليوم الى وقت نسف الجبال في قوله يومئذ اي يوم اذ نسفت ويجوز ان يكون بدلا
بعد بدل من يوم القيامة والمراد الداعي الى المحشر قالوا هو اسرافيل عليه الصلاة والسلام قائما
على صخرة بيت المقدس يدعو الناس فيقبلون من كل اوب الى صوته لا يعدلون لا عوج
له اي لا يعوج له مدعو بل يستوون اليه من غير انحراف متبعين لصوته اي خفضت
الاصوات من شدة الفزع وخفتت فلا تسمع الا همسا وهو الركز الخفي ومنه الحروف
المهموسة وقيل هو من همس الابل وهو صوت اخفافها اذا مشت اي لا تسمع الا خفق
الاقدام ونقلها الى المحشر من يصلح ان يكون مرفوعا ومنصوبا فالرفع على البدل من
الشفاعة بتقدير حذف المضاف اي لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن والنصب على
المفعولية ومعنى اذن له ورضي له لاجله اي اذن للشافع ورضي قوله لاجله ونحو هذه
اللام اللام في قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه
اي يعلم ما تقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه ولا يحيطون بمعلوماته علما • المراد
بالوجوه وجوه العصاة وانهم اذا عاينوا يوم القيامة الخيبة والشقوة وسوء الحساب
صارت وجوههم عانية اي ذليلة خاشعة مثل وجوه العناة وهم الاسارى • ونحوه
قوله تعالى فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ووجوه يومئذ باسرة وقوله
وقد خاب • وما بعده اعتراض كقولك خابوا وخسروا وكل من ظلم فهو خائب خاسر
الظلم ان تأخذ من صاحبه فوق حقه والهضم ان تكسر من حق اخيه فلا توفيه له كصفة
المطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ويسترجحون واذا كالوا يخسرون اي
فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم لانه لم يظلم ولم يهضم • وقرئ فلا يخف على النهي وكذلك عطف
على كذلك نقص او ومثل ذلك الانزال وكما انزلنا عليك هؤلاء الايات المتضمنة للوعيد
انزلنا القرآن كله على هذه الوتيرة مكررين فيه ايات الوعيد ليكونوا بحيث يراد منهم
ترك المعاصي او فعل الخير والطاعة والذكر ما ذكرنا يطلق على الطاعة والعبادة وقرئ

والعوج ح

هذا ج

اليه ح

تحدث

يحدث ويحدث بالنون والتا اي تحدث انت وسكن بعضهم التا للتخفيف كما في

فاليوم اشرب غير مستحقب اثما • فتعالى الله الملك الحق • استعظام له ولما يصرف
عليه عباده من اوامره ونواهيه ووعده ووعيده والادارة بين ثوابه وعقابه على
حسب اعمالهم وغير ذلك مما يجري عليه امر ملكوته • ولما ذكر القران وانزاله • قال بسبيل الاستطراد
واذا لقنك جبريل ما يوحى اليك من القران فتان عليه ريثما يسمعك ويفهمك ثم اقبل عليه
بالتحفظ بعد ذلك ولا تكن قراءتك مساوقة لقراءته • ونحوه قوله تعالى لا تحرك به لسانك
لتعجل به • وقيل معناه لا تبلغ ما كان منه مجملا حتى ياتيك البيان و قرئ حتى يقضى اليك
وحيه و وقل رب زدني علما متضمن للتواضع لله عز وجل والشكر له عند ما علم
من ترتيب التعلم اي علمتني يا رب لطيفة في باب التعلم وادبا جميلا ما كان عندي
فزدني علما الى علم فان لك في كل شيء حكمة وعلما • وقيل ما امر الله تعالى رسوله
صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة في شيء الا في طلب العلم • يقال في اوامر الملوك ووصاياهم
تقدم الملك الى فلان او عز اليه وعزم عليه وعهد اليه و عطف الله سبحانه قصة ادم
عليه الصلاة والسلام على قوله تعالى و وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون والمعنى
واقسم قسما • لقد امرنا اباهم ادم ووصيناه ان لا يقرب الشجرة وتوعدناه بالدخول في جملة
الظالمين ان قربها وذلك قبل وجودهم ومن قبل ان نتوعدهم فخالف الى ما نهي عنه
وتوعد في ارتكابه مخالفتهم ولم يلتفت الى الوعيد كما لا يلتفتون كانه يقول ان اساس
امر بني ادم على ذلك وعرقهم راسخ فيه. فان قلت ما المراد بالنسيان قلت
يجوز ان يراد النسيان الذي هو نقيض الذكر وانه لم يعن بالوصية العناية الصادقة
ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها وضبط النفس حتى تولد من ذلك النسيان وان
يراد الترك وانه ترك ما وصي به من الاحتراس عن الشجرة واكل ثمرتها و قرئ
فنسي اي انساه الشيطان و والعزم التصميم والمضي على ترك الاكل وان يتصلب
في ذلك تصلبا يؤيس الشيطان من التسويل • والوجود يجوز ان يكون بمعنى العلم ومفعولاه له
عزما • وان يكون نقيض العدم كانه قال وعدمنا له عزما اذ منصوب بمضمر اي واذكر
وقت ما جرى عليه من معاداة ابليس ووسوسته وتزيينه له الاكل من الشجرة وطاعته له
بعدما تقدمت معه النصيحة والموعظة البليغة والتحذير من كيده حتى يتبين لك انه
لم يكن من اولي العزم والثبات • فان قلت ابليس كان جنيا بدليل قوله
تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه فمن اين تناوله الامر وهو للملائكة خاصة قلت
كان في صحبتهم وكان يعبد الله عز وجل عبادتهم فلما امروا بالسجود لادم والتواضع له كرامة
له كان الجني الذي معهم اجدر بان يتواضع كما لو قام لمقبل على المجلس علية اهله وسراتهم
كان القيام على واحد بينهم هو دونهم في المنزلة اوجب حتى ان لم يقم عنف وقيل له
قد قام فلان وفلان فمن انت حتى ترتفع عن القيام • فان قلت كيف صح استثناؤه
وهو جني عن الملائكة قلت عمل على حكم التغليب في اطلاق اسم الملائكة عليهم وعليه
فاخرج الاستثناء على ذلك كقوله خرجوا الا فلانة لامراة بين الرجال • ابى جملة مستانفة

كانه جواب قايل قال لم لم يسجد والوجه ان لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله
فسجدوا وان يكون معناه اظهر الاباء وتوقف وتثبط فلا يخرجنكما فلا يكونن سببا
لاخراجكما انما اسند الى ادم وحده فعل الشقا دون حوا بعد اشتراكهما في الخروج
لان في ضمن شقا الرجل وهو قيم اهله واميرهم شقاهم كما ان في ضمن سعادته
سعادتهم واختصر الكلام باسناده اليه دونها مع المحافظة على المفاصلة او اريد
بالشقا التعب المفوت وذلك معصوب براس الرجل وهو راجع اليه • وروي انه
اهبط الى ادم ثور احمر وكان يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه • قري انك
بالكسر والفتح ووجه الفتح العطف على ان لا تجوع فان قلت ان لا يدخلها
على ان فلا يقال ان ان زيدا منطلق والواو نايبة عن ان وقايمة مقامها
فلم دخلت عليها قلت الواو لم توضع لتكون ابدا نايبة عن ان انما هي نايبة
عن كل عامل فلما لم يكن حرفا موضوعا للتحقيق خاصة كان لم يمتنع اجتماعهما كما امتنع
ان وان الشبع والري والكسوة والكن هي الاقطاب التي تدور عليها كفاف الانسان
فذكره استجماعها له في الجنة وانه مكفي لا يحتاج الى كفاية كاف ولا الى كسب
كاسب كما يحتاج الى ذلك اهل الدنيا وذكرها بلفظ النفي لنقايضها التي هي الجوع
والعري والظما والضحي ليطرق سمعه باسامي اصناف الشقوة التي حذره منها
حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها فان قلت كيف عدي وسوس تارة
باللام في قوله تعالى فوسوس لهما الشيطان واخرى بالي قلت وسوسة الشيطان
كولولة الثكلى ووعوعة الذيب • ووقوقة الدجاجة فانها حكايات للاصوات
وحكمها حكم صوت واجرس • ومنه وسوس المبرسم وهو موسوس بالكسر والفتح
لحن • وانشد ابن الاعرابي •

• وسوس يدعو مخلصا رب الفلق • فاذا قلت وسوس له فمعناه لاجله
كقوله • اجرس لها يابن ابي كباش • ومعنى وسوس اليه انهى اليه الوسوسة كقوله حدث اليه
واسر اليه • اضاف الشجرة الى الخلد وهو الخلود لان من اكل منها خلد بزعمه
كما قيل لحيزوم فرس الحياة لان من باشر اثره حي وملك لا يبلى • دليل على قراءة
الحسن بن علي وابن عباس رضي الله تعالى عنهم الا ان يكونا ملكين بالكسر طفق
يفعل كذا مثل جعل يفعل واخذ وانشا وحكمها حكم كاد في وقوع الخبر فعلا
مضارعا وبينها وبينه مسافة قصيرة للشروع في اول الامر وكاد لمشارفته
والدنو منه • قري يخصفان للتكثير والتكرير • من خصف النعل وهو
ان يخرز عليها الخصاف اي يلزقان الورق بسواتهما للستر وهو ورق التين
وقيل كان مدورا فصار على هذا الشكل من تحت اصابعهما • وقيل
كان لباسهما الظفر فلما اصابا الخطية نزع عنهما وتركت هذه البقايا في اطراف الاصابع
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لا شبهة في ان ادم صلوات الله وسلامه عليه لم يمتثل
الله تعالى له وتخطانيه ساحة الطاعة وذلك هو العصيان ولما عصا خرج فعله من ان

في ظلم

ومعنى وسوس اليه

صح

مادسم

بلون.

يكون رشدًا وخيرًا وكان غيًا لا محالة لان الغي خلاف الرشد ولكن قوله وعصى آدم ربه فغوى
بهذا الاطلاق وبهذا التصريح وحيث لم يقل وزل آدم واخطأ • وما اشبه ذلك مما يعبر
به عن الزلات والفرطات فيه لطف بالمكلفين ومزجرة بليغة وموعظة كافية وكأنه قيل
لهم انظروا واعتبروا كيف نعيت على النبي المعصوم حبيب الله الذي لا يجوز عليه الا اقتراف
الصغيرة غير المنفرة زلته بهذه الغلظة وبهذا اللفظ الشنيع فلا تتهاونوا بما تفرط منكم
من السيئات والصغائر فضلا ان تجسروا على التورط في الكبائر • وعن بعضهم فغوى فبشم من
كثرة الاكل وهذا وان صح على لغة من يقلب الياء المكسور ما قبلها ألفا فيقول في فني وبقي فنا وبقا
فهو تفسير خبيث • فإن قلت ما معنى ثم اجتباه ربه قلت ثم قبله بعد التوبة
وقربه اليه من جبى الي كذا فاجتبيته ونظيره جليت على العروس فاجتليتها • ومنه قوله
عز وجل واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها اي هلا جبيت اليك فاجتبيتها واصل
الكلمة الجمع ويقولون اجتبت الفرس نفسها راجعة بعد النفار وهدى ووفقه لحفظ
التوبة وعزم من اسباب العصمة • والتقوى لما كان آدم عليهما الصلاة والسلام اصلي البشر
اللذين منهما نشؤوا وتفرعوا جعلا كأنهما هما البشر في انفسهما فخوطبا مخاطبتهم فقيل
فاما يأتينكم على لفظ الجماعة ونظيره اسنادهم الفعل الى السبب • وهو في الحقيقة للمسبب
هدى كتاب وشريعة • وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ضمن الله لمن اتبع القرآن ان لا
يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة • ثم تلى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى والمعنى ان
الشقاء في الآخرة • هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين فمن تبع كتاب الله عز وجل
وامتثل اوامره • وانتهى عن نواهيه • نجا من الضلال ومن عقابه الضنك مصدر •
يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث • وقرئ ضنكى على فعلى • ومعنى ذلك ان مع
الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله تعالى وعلى قسمته فصاحبه ينفق ما رزقه بسماح
وسهولة فيعيش عيشا رافغا كما قال عز وجل • فلنحيينه حياة طيبة والمعرض عن الدين
مستول عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به الى الازدياد من الدنيا مسلط عليه الشح الذي
يقبض يده عن الانفاق فعيشه ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض المتصوفة لا يعرض احد
عن ذكر ربه الا اظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه ومن الكفرة من ضرب الله عز وجل
عليه الذلة والمسكنة لكفره قال الله تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب
من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله وقال ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل
وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال ولو ان اهل القرى
آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقال استغفروا ربكم انه كان
غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا وقال وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا
وعن الحسن رضي الله تعالى عنه هو الضريع والزقوم في النار • وعن ابي سعيد الخدري
رضي الله تعالى عنه عذاب القبر • وقرئ ونحشره بالجزم عطفا على محل • فان له معيشة
ضنكى لانه جواب الشرط • وقرئ ونحشره بسكون الهاء على لفظ الوقف وهذا
مثل قوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما وكما فسر الزرق بالعمى اي

نفسها اذا اجتمعت صح

وحواء صح

كذلك اي مثل ذلك فعلت أنت ثم فسر بان ايا تنا اتتك واضحة مستنيرة فلم ينظر اليها بعين
المعتبر ولم تتبصر وتركتها وعميت عنها فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه
عن عينيك لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين المعيشة الضنك في الدنيا وحشره
اعمى في الآخرة ختم ايات الوعيد بقوله ولعذاب الآخرة اشد وابقى كانه قال
وللحشر على العمى الذي لا يزول ابدًا اشد من ضيق العيش المنقضي او اراد ولتركنا اياه
في العمى اشد وابقى من تركه لاياتنا فاعل لم يهد الجملة بعده يريد الم يهد لهم هذا بمعناه و
مضمونه ونظيره قوله تعالى وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين اي تركنا
عليه هذا الكلام ويجوز ان يكون فيه ضمير الله او الرسول ويدل عليه القراءة بالنون وقرئ
يمشون يريد ان قريشا يتقلبون في بلاد عاد وثمود ويمشون في مساكنهم ويعاينون
اثار هلاكهم الكلمة السابقة هي العدة بتاخير جزائهم الى الآخرة يقول لولا هذه
العدة لكان مثل اهلاكنا عادًا وثمودًا لازمًا لهؤلاء الكفرة واللزام مصدر لازم وصف
به واما فعال بمعنى مفعل اي ملزم كانه آلة اللزوم لفرط لزومه كما قالوا لزاز خصم
واجل مسمى لا يخلو من ان يكون معطوفًا على كلمة او على الضمير في كان اي لكان الاخذ
العاجل واجل مسمى لازمين له كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الاجل المسمى دون
الاخذ العاجل بحمد ربك في موضع الحال وانت حامد لربك على ان وفقك للتسبيح
واعانك عليه المراد بالتسبيح الصلوة او على ظاهره قدم الفعل على الاوقات اولا والاوقات
على الفعل اخرًا فكانه قال صل لله قبل طلوع الشمس يعني الفجر وقبل غروبها
يعني الظهر والعصر لانهما واقعتان في النصف الاخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها
وتعمد اناء الليل واطراف النهار مختصًا لها بصلواتك وذلك ان افضل الذكر ما كان بالليل
لاجتماع القلب وهدو الرجل والخلو بالرب سبحانه وقال الله عز وجل ان ناشئة
الليل هي اشد وطآء واقوم قيلا وقال امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما
ولان الليل وقت السكون والراحة فاذا صرف الى العبادة كانت على النفس اشد واشق
وللبدن اتعب وانصب فكانت ادخل في معنى التكليف وافضل عند الله عز وجل وقد
تناول التسبيح في اناء الليل صلاة العتمة وفي اطراف النهار صلوة المغرب
وصلوة الفجر على التكرار ارادة الاختصاص كما اختصت في قوله حافظوا على الصلوات
والصلاة الوسطى عند بعض المفسرين فإن قلت ما وجه قوله واطراف النهار
على الجمع وانما هما طرفان كما قال اقم الصلاة طرفي النهار قلت الوجه امن الالباس
وفي التثنية زيادة بيان ونظيره مجيء الامرين في الايتين مجيئهما في قوله
ظهراهما مثل ظهور الترسين وقرئ واطراف النهار عطفا على
اناء الليل ولعل للمخاطب اي اذكر الله في هذه الاوقات طمعًا ورجاءً ان تنال
عند الله عز وجل ما به ترضى نفسك ويسر قلبك وقرئ ترضى اي يرضيك ربك ولا
تمدن عينيك اي نظر عينيك ومد النظر تطويله وان لا يكاد يرده استحسانا للمنظور
اليه واعجابا به وتمنيًا ان يكون له كما فعل نظارة قارون حين قالوا يا ليت لنا مثل

ما اوتي

ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم حتى واجههم اولو العلم والايمان بويلكم ثواب الله خير
لمن آمن وعمل صالحا وفيه ان النظر غير الممدود معفو عنه وذلك مثل نظر من بادة الشي
بالنظر ثم غض الطرف ولما كان النظر الي الزخارف كالمركوز في الطباع وان من ابصر منها
شيا احب ان يمد اليه نظره ويملا منه عينيه قيل ولا تمدن عينيك اي لا تفعل
ما انت معتاد له وضار به ولقد شدد العلما من اهل التقوي في وجوب غض البصر
عن ابنية الظلمة وعدد الظلمة في اللباس والمراكب وغير ذلك لانهم انما اتخذوا هذه الاشيا
لعيون النظارة فالناظر اليها محصل لغرضهم وكالمغري لهم علي اتخاذها ازواجا منهم اصنافا
من الكفرة ويجوز ان ينتصب حالا من ها الضمير والفعل واقع علي منهم كانه قال الي الذي
متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا منهم فان قلت علام انتصب زهرة قلت
علي احد اربعة اوجه علي الذم وهو النصب علي الاختصاص وعلي تضمين متعنا معنى اعطينا
وخولنا وكونه مفعولا ثانيا له وعلي ابداله من محل الجار والمجرور وعلي ابداله من ازواجا
علي تقدير ذوي زهرة فان قلت فما معنى الزهرة فيمن حرك قلت معنى الزهرة
بعينه وهو الزينة والبهجة كما جاء في الجهرة الجهرة وقري ارنا الله جهرة وان يكون
جمع زاهر وصفا لهم بانهم زاهروا هذه الدنيا لصفاء الوانهم مما يلهون ويتنعمون
وتهلل وجوههم وبهاء زيهم وشارتهم بخلاف ما عليه المومنون الصلحاء من شحوب الالوان
والتقشف في الثياب **لنفتنهم** لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران
منهم او لنعذبهم في الاخرة بسببه ورزق ربك هو ما ادخر له من ثواب الاخرة الذي
هو خير منه في نفسه وادوم او ما هو رزقه من نعمة الاسلام والنبوة او لان اموالهم
الغالب عليها الغصب والسرقة والحرمة من بعض الوجوه والحلال خير وابقى لان الله عز وجل
لا ينسب الي نفسه الا ما حل وطاب دون ما حرم وخبث والحرام لا يسمى رزقا وعن عبد الله
ابن قسيط عن ابي رافع رضي الله تعالي عنهما انه قال بعثني رسول الله صلي الله عليه وسلم الي
يهودي وقال قل له يقول لك رسول الله اقرضني الي رجب فقال والله لا اقرضته الا برهن فقال
رسول الله صلي الله عليه وسلم اني لامين في السما واني لامين في الارض احمل اليه درعي الحديد
فنزلت ولا تمدن عينيك **وامر اهلك بالصلاة** اي واقبل انت مع اهلك علي عبادة
الله واستعينوا بها علي خصاصتكم ولا تهتم بامر الرزق والمعيشة فان رزقك مكفي من عندنا
ونحن رازقوك ولا نسالك ان ترزق نفسك ولا اهلك ففرغ بالك لامر الاخرة وفي معناه
قول الناس من كان في عمل الله كان الله في عمله وعن عروة ابن الزبير رضي الله تعالي عنهما انه
كان اذا راي ما عند السلاطين قرا ولا تمدن عينيك الاية ثم ينادي الصلاة الصلاة رحمكم
الله وعن بكر بن عبد الله المزني رضي الله تعالي عنه كان اذا اصاب اهله خصاصة قال
قوموا فصلوا بهذا امر الله رسوله ثم يتلو هذه الاية اقترحوا علي عادتهم في التعنت اية
علي النبوة فقيل لهم اولم تاتكم اية هي ام الايات واعظمها في باب الاعجاز يعني القران
من قبل ان القران برهان ما في ساير الكتب المنزلة ودليل صحته لانه معجزة وتلك ليست
بمعجزات فهي مفتقرة الي شهادته علي صحة ما فيها افتقار المحتج عليه الي شهادة الحجة وقري الصحف

الفسقه خ

اجره

علي خ

بالتخفيف ذكر الضمير الراجع الي البينة لانها في معني البرهان والدليل وقري نُذَلّ ونُخْزَي
علي لفظ ما لم يسم فاعله كلّ اي كل واحد منا ومنكم متربّص للعاقبة ولما يؤول اليه امرنا
وامركم وقري السوءي بمعني الوسط والجيد والمستوي والسو والسوء والسوي تصغير السو
وقري فتمتعوا فسوف تعلمون قال ابو رافع رضي الله تعالي عنه حفظته من رسول الله
صلي الله عليه وسلم عن رسول الله صلي الله عليه وسلم من قرا سورة طه اعطي يوم القيامة
ثواب المهاجرين والانصار وقال صلي الله عليه وسلم لا يقرا اهل الجنة من القران الا طه ويس

سورة الانبياء		مكية اثنا عشرة ومائة آية

بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة
هذه اللام لا تخلو من ان تكون صلة لاقترب او توكيد الاضافة الحساب اليهم كقولك ازف
للحي رحيلهم والاصل تقديره ازف رحيل الحي ثم ازف للحي الرحيل ثم ازف للحي رحيلهم ونحوه
وما اورده سيبويه في باب ما يثنّي فيه المستقر توكيدا عليك زيد حريص عليك وفيك زيد راغب
فيك ومنه قولهم لا اباً لك لان اللام مؤكدة لمعني الاضافة وهذا الوجه اغرب من الاول
والمراد اقتراب الساعة واذا اقتربت الساعة فقد اقترب ما يكون فيها من الحساب
والثواب والعقاب وغير ذلك ونحوه واقترب الوعد الحق فان قلت كيف وصف
بالاقتراب وقد عدّت دون هذا القول اكثر من خمسمائة عام قلت هو مقترب عند الله عز وجل
والدليل عليه قوله عز وجل ويستعجلونك بالعذاب وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون ولان
كل آت وان طالت اوقات استقباله وترقبه قريب وانما البعيد هو الذي وجد وانقرض
ولان ما بقي من الدنيا اقصر واقل مما سلف منها بدليل انبعاث خاتم النبيين الموعود بعثه في اخر
الزمان وقال صلي الله عليه وسلم بعثت في نسم الساعة وفي خطبة بعض المتقدمين ولت الدنيا
حذاء ولم يبق الا صبابة كصبابة الاناء واذا كانت بقية الشيء وان كثرت في نفسها قليلة بالاضافة
الي معظمه كانت خليقة بان توصف بالقلة وقصر الذرع وعن ابن عباس رضي الله تعالي عنه ان المراد
بالناس المشركون هذا من اطلاق اسم الجنس علي بعضه للدليل القائم وهو ما يتلوه من صفات
المشركين وصفهم بالغفلة مع الاعراض علي معني انهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون
في عاقبتهم ولا يتفطنون لما يرجع اليه خاتمة امرهم مع اقتضاء عقولهم انه لا بد من جزاء المحسن والمسيء
واذا قرعت لهم العصا ونبهوا من سنة الغفلة وفطنوا لذلك بما يتلي عليهم من الآيات والنذر
اعرضوا وسدوا اسماعهم ونفروا وقرر اعراضهم عن تنبيه المنبه وايقاظ الموقظ بان الله سبحانه
وتعالي يجدد لهم الذكر وقتا فوقتا ويحدث لهم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة
ليكرر علي اسماعهم التنبيه والموعظة لعلهم يتعظون فما يزيدهم استماع الآي والسور وما فيها

ان لن يخلف الله وعده

ساهون

ع

من

من فنون المواعظ والبصاير التي هي احق الحق واجد الجد الا لعبا وتلهيا واستسخارا والذكر هو
النازل له من القران وقرا ابن ابي ع لاهيةٌ بالرفع والحال عبلة محدث بالرفع صفة على المحل
قوله وهم يلعبون لاهيةً قلوبهم حالان مترادفان او متداخلتان ومن قرا لاهيةٌ بالرفع فالحال
واحدة لان لاهيةٌ قلوبهم خبر بعد خبر لقوله وهم واللاهية من لهي عنه اذا ذهل وغفل
يعني انهم وان فطنوا فهم في قلة جدوى فطنتهم كانهم لم يفطنوا وثبتوا على راس غفلتهم وذهولهم
عن التامل والتبصر بقلوبهم فان قلت النجوى وهو اسم من التناجي لا يكون الا خفية
فما معنى واسروا قلت معناه وبالغوا في اخفايها او جعلوها بحيث لا يفطن احد لتناجيهم
ولا يعلم انهم متناجون ابدل الذين ظلموا من واو واسروا اشعارا بانهم الموسومون بالظلم
الفاحش فيما اسروا به او جاء على لغة من قال ٭ اكلوني البراغيث ٭ او هو منصوب المحل على
الذم او هو مبتدا خبره اسروا النجوى قدم عليه والمعنى وهؤلا اسروا النجوى فوضع المظهر موضع المضمر
تسجيلا على فعلهم الفاحش بانه ظلم هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر وانتم تبصرون
كله في محل النصب بدلا من النجوى اي واسروا هذا الحديث ويجوز ان يتعلق بقالوا مضمرا
اعتقدوا ان رسول الله لا يكون الا ملكا وان كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة
فهو ساحر ومعجزته سحر فلذلك قالوا على سبيل الانكار افتحضرون السحر وانتم تشاهدون
وتعاينون انه سحر فان قلت لم اسروا هذا الحديث وبالغوا في اخفايه ٭
قلت كان ذلك شبه التشاور فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق الى هدم امره وعمل
المنصوبة في التثبيط عنه وعادة المتشاورين في خطب ان لا يشركوا اعداهم في شوراهم
ويتجاهدوا في طي سرهم عنهم ما امكن واستطيع ومنه قول الناس استعينوا على حوايجكم
بالكتمان ويرفع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يسروا نجواهم بذلك ثم يقولوا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم والمومنين ان كان ما تدعونه حقا فاخبرونا بما اسررنا فان قلت
هلا قيل يعلم السر لقوله واسروا النجوى قلت القول عام يشمل السر والجهر
فكان في العلم به العلم بالسر وزيادة فكان اكد في بيان الاطلاع على نجواهم من ان يقول
يعلم سرهم ثم بين ذلك بانه السميع العليم لذاته فكيف تخفى عليه خافية فان قلت
فلم ترك هذا الاكد في سورة الفرقان في قوله قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض
قلت ليس بواجب ان يجي بالاكد في كل موضع ولكن يجي بالوكيد تارة وبالاكد
اخرى كما يجي بالحسن في موضع وبالاحسن في غيره ليفتن الكلام افتنانا وتجمع الغاية
وما دونها على ان اسلوب تلك الاية خلاف اسلوب هذه من قبل انه قدم هاهنا
انهم اسروا النجوى فكانه اراد ان يقول ان ربي يعلم ما اسروه فوضع القول موضع ذلك
للمبالغة وثم قصد وصف ذاته بانه انزله الذي يعلم السر في السموات والارض فهو
كقوله علام الغيوب وعالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة وقرى قال في حكاية
لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم اضربوا عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط احلام
ثم الى انه كلام مفترى من عنده ثم الى انه قول شاعر وهكذا الباطل لجلج
والمبطل متحير رجاع غير ثابت على قول واحد ويجوز ان يكون تنزيلا من الله تعالى

المطايفه صح
لهم
اطلاع صح
المعنى صح
هذا الكلام صح
يعلم السر كان قوله يعلم السر اكد معلاف يقوله صح

لانهم في درج الفساد وان قولهم الثاني افسد من الاول والثالث افسد من الثاني
وكذلك الرابع من الثالث صحة التشبيه في قوله كما ارسل الاولون من حيث
انه في معنى كما اتى الاولون بالايات لان ارسال الرسل متضمن للاتيان بالايات الا ترى انه
لا فرق بين ان تقول ارسل محمد وبين قولك اتى بالمعجزات **افهم يومنون**
فيه انهم اعتى من الذين اقترحوا على الانبيا بهم الايات وعهدوا انهم يومنون عندها فلما
جاءتهم نكثوا وخالفوا فاهلكهم الله عز وجل فلو اعطيناهم ما يقترحون لكانوا انكث
وانكث امرهم ان يستعلموا اهل الذكر وهم اهل الكتاب حتى يعلموهم ان رسل الله الموحى اليهم
كانوا بشرا ولم يكونوا ملايكة كما اعتقدوا وانما احالهم على اوليك لانهم كانوا يشايعون
المشركين في معادات رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله سبحانه وتعالى ولتسمعن من الذين
اوتوا الكتاب اذى كثيرا فلا تكاذبهم فيما هم فيه ردء لرسول الله صلى الله عليه وسلم **لا ياكلون
الطعام** صفة لجسدا والمعنى ان الانبيا قبله ذوي جسد غير طاعمين ووحد الجسد
لارادة الجنس كانه قال ذوي ضرب من الاجساد وهذا رد لقولهم ما لهذا
الرسول ياكل الطعام **فان قلت** نعم قد رد انكارهم ان يكون الرسول بشرا ياكل ويشرب
بما ذكرت فماذا رد من قولهم بقوله وما كانوا خالدين **قلت** يحتمل ان يقولوا انه بشر مثلنا
يعيش كما نعيش ويموت كما نموت او يقولوا هلا كان ملكا لا يطعم ويخلد اما معتقدين ان
الملايكة لا يموتون او مسمين حياتهم المتطاولة وبقاهم الممتد خلودا صدقناهم الوعد
مثل واختار موسى قومه والاصل في الوعد ومن قومه ومنه صدقوهم القتال
وصدقني سن بكره ومن نشاء هم المومنون ومن في بقايه مصلحة **ذكركم**
شرفكم وصيتكم كما قال وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم او فيه مكارم الاخلاق التي
كنتم تطلبون بها الثناء وحسن الذكر وحسن الجوار والوفا بالعهد وصدق الحديث
واداء الامانة والسخاء وما اشبه ذلك **وكم قصمنا من قرية** واردة عن غضب شديد
ومنادية على سخط عظيم لان القصم افظع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاوم الاجزا
بخلاف الفصم واراد بالقرية اهلها ولذلك وصفها بالظلم وقال
قوما آخرين لان المعنى اهلكنا قوما وانشانا قوما اخرين وعن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما انها حضور وسحول قريتان باليمن ينسب اليهما الثياب
وفي الحديث كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوبين سحوليين وروي
حضوريين بعث الله سبحانه وتعالى نبيا فقتلوه فسلط الله سبحانه وتعالى
بخت نصر كما سلطه على اهل بيت المقدس فاستاصلهم وروي انه لما اخذت
بهم السيوف ونادى مناد من السماء يا لثارات الانبياء ندموا واعترفوا بالخطا وذلك
حين لم ينفعهم الندم وظاهر الاية على الكثرة ولعل ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ذكر
حضور بانها احدى القرى التي اراد الله سبحانه وتعالى بهذه الاية فلما علموا اشدة
عذابنا وبطشنا علم حس ومشاهدة لم يشكوا فيها وركضوا من ديارهم والركض ضرب
الدابة بالرجل هاربين منهزمين من قريتهم لما ادركتهم مقدمة العذاب ويجوز ان يشبهوا

معادات

من قبلكم ومن الذين اشركوا

عليهم

ومنه قوله هاربين الخيل رجلا
فيجوز ان يركبوا دوابهم يركضونها

في

في سرعة عدوهم على ارجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فقيل لهم لا تركضوا والقول محذوف
فان قلت من القايل قلت يحتمل ان يكون بعض الملايكة ومن ثم من المومنين او يجعلون
خلقا بان يقال لهم ذلك وان لم يقل او يقوله رب العزة ويسمعه ملايكته لينفعهم في دينهم او يلهمهم
ذلك فيحدثوا به نفوسهم وارجعوا الى ما اترفتم ومساكنكم من العيش الرافه والحال
الناعمة والاتراف ابطار النعمة والترفه لعلكم تسالون تهكم بهم وتوبيخ اي ارجعوا الى
نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسألون غدا عما جرى عليكم ونزل باموالكم ومساكنكم فتجيبوا السايل
عن علم ومشاهدة وارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم وترتبوا في مراتبكم حتى
يسالكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون امره وينفذ فيه امركم ونهيكم ويقولوا
لكم بم تامرون ماذا ترسمون وكيف ناتي ونذر كعادة المنعمين المخدمين
او يسالكم الناس في انديتكم المعاون في نوازل الخطوب ويستشيرونكم في المهمات
والعوارض ويستشفون بتدابيركم ويستضيئون بارائكم ويسالكم الوافدون عليكم
والطماع ويستمطرون سحاب اكفكم ويمترون اخلاف معروفكم واياديكم
اما لانهم كانوا اسخيا ينفقون اموالهم رئاء الناس وطلب الثناء او كانوا بخلا فقيل
لهم ذلك تهكما الى تهكم وتوبيخا الى توبيخ قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فما
زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين وما خلقنا
السموات والارض وما بينهما لاعبين لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه
اشارة الى يا ويلنا لانها دعوى كانه قيل فما زالت تلك
الدعوى دعواهم والدعوى بمعنى الدعوة قال الله سبحانه وتعالى وآخر دعواهم ان الحمد لله
رب العالمين فان قلت لم سميت دعوى قلت لان المولول يدعو الويل فيقول تعال
يا ويل فهذا وقتك وتلك مرفوع او منصوب اسما او خبرا وكذلك دعواهم الحصيد
الزرع المحصود اي جعلناهم مثل الحصيد شبههم به في استيصالهم واستطلابهم كما تقول جعلناهم
رمادا اي مثل الرماد والضمير المنصوب هو الذي كان مبتدا والمنصوبان بعده كانا خبرين
له فلما دخل عليها جعل نصبهما على المفعولية فان قلت كيف ينصب جعل ثلثة مفاعيل
قلت حكم الاثنين الاخيرين حكم الواحد لان معنى جعلته حلوا حامضا جعلته جامعا للطعمين
وكذلك معنى ذلك جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود اي وما سوينا هذا السقف
المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من اصناف الخلايق مشحونة بضروب البدايع والعجايب
كما تسوي الجبابرة سقوفهم وفرشهم وساير زخارفهم للهو واللعب وانما سويناها للفوايد
الدينية والحكم الربانية لتكون مطارح افكار واعتبار واستدلال ونظر لعبادنا مع ما يتعلق
بها من المنافع التي لا تعد والمرافق التي لا تحصى ثم بين ان السبب في ترك اتخاذ اللهو واللعب وانتفايه
عن افعالي هو ان الحكمة صارفة عنه والا فانا قادر على اتخاذه ان كنت فاعلا لاني على
كل شيء قدير وقوله لاتخذناه من لدنا من لدنا كقوله رزقا من لدنا اي من جهة قدرتنا
وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل المراة وقيل من لدنا اي من الملايكة لا من الانس رد لولادة
المسيح وعزير بل اضراب عن اتخاذ اللهو واللعب وتنزيه منه لذاته سبحانه وتعالى كانه قال

سبحانَنا ان نتخذ اللهو واللعب بل من عادتنا وموجب حكمتنا واستغنائنا عن القبيح ان نغلب اللهو
بالجد وندحض الباطل بالحق واستعار لذلك القذف والدمغ تصويرًا لابطاله واهداره ومحقه
فجعله كانه جرمٌ صلبٌ كالصخرة مثلًا قذف به على جرم رخو اجوف فدمغه ثم قال
ولكم الويل مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وعلى حكمته وقرئ فيدمغه بالنصب
وهو في ضعف قوله • سأترك منزلي لبني تميم • والحق بالحجاز فاستريحا •
وقرئ فيدمغه • من عنده هم الملائكة والمراد انهم مكرمون منزلون لكرامتهم
عليه منزلة المقربين عند الملوك على طريق التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم على
جميع خلقه • فان قلت الاستحسار مبالغة في الحسور وكان الابلغ في وصفهم
ان ينفي عنهم ادنى الحسور اي الفترة • قلت في الاستحسار بيان ان ما هم
فيه يوجب • غاية الحسور واقصاه وانهم احقاء لتلك العبادات
الباهظة بان يستحسروا فيما يفعلون اي تسبيحهم متصل دائم في جميع اوقاتهم لا يتخلله فترة
بفراغ او بشغل آخر • هذه ام المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة قد اذنت بالاضراب
عما قبلها والانكار لما بعدها والمنكر هو اتخاذهم آلهة من الارض ينشرون الموتى •
ولعمري ان من اعظم المنكرات ان ينشر الموتى بعض الموات • فان قلت كيف انكر
عليهم اتخاذ آلهة تنشر وما كانوا يدعون ذلك لآلهتهم وكيف وهم ابعد شيء عن هذه
الدعوى وذلك انهم كانوا مع اقرارهم لله عز وجل بانه خالق السموات والارض ولئن
سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وبانه القادر على المقدورات
كلها وعلى النشأة الاولى منكرين البعث ويقولون من يحيي العظام وهي رميم • وكان
عندهم من قبيل المحال الخارج عن قدرة القادر • كثاني القديم فكيف يدعونه
للجماد الذي لا يوصف بالقدرة رأسًا • قلت الامر كما ذكرت ولكنهم بادعائهم لها
الالهية يلزمهم ان يدعوا لها الانشار لانه لا يستحق هذا الاسم الا القادر على كل
مقدور والانشار من جملة المقدورات وفيه باب من التهكم بهم والتوبيخ
والتجهيل واشعار بان ما استبعدوه من الله سبحانه وتعالى لا يصح استبعاده
لان الالهية لما صحت صح معها الاقتدار على الابداء والاعادة ونحو قوله
من الارض قولك فلان من مكة او من المدينة تريد مكي او مدني • ومعنى
نسبتها الى الارض الايذان بانها الاصنام التي تعبد في الارض لان الآلهة على ضربين
ارضية وسماوية ومن ذلك حديث الامة التي قال لها رسول الله صلى الله
عليه وسلم اين ربك • فاشارت الى السماء فقال انها مؤمنة لانه فهم منها ان مرادها
نفي الآلهة الارضية التي هي الاصنام لا اثبات السماء مكانًا لله عز وجل ويجوز ان يراد
آلهة من جنس الارض لانها اما ان تنحت من بعض الحجارة او تعمل من بعض جواهر الارض فان قلت
لا بد من نكتة في قوله هم قلت النكتة فيه افادة معنى الخصوصية كانه قيل اتخذوا آلهة لا يقدر
على الانشار الا هم وحدهم • وقرأ الحسن رضي الله تعالى عنه ينشرون وهما لغتان انشر الله الموتى
ونشرها وصفت الآلهة بالا كما توصف بغير لو قيل آلهة غير الله فان قلت ما منعك من الرفع على البدل قلت لان

والبدل لا يسوغ الا في الكلام غير الموجب كقوله تعالى ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك وذلك لان اعم العام يصح نفيه ولا يصح ايجابه والمعنى لو كان يتولاهما ويدبر امرهما الهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما لفسدتا وفيه دلالة على امرين احدهما وجوب ان لا يكون مدبرهما الا واحدا والثاني ان لا يكون ذلك الواحد الا اياه وحده لقوله تعالى الا الله فان قلت لم وجب الامران قلت لعلمنا ان الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الاشدق كان والله اعز علي من دم ناظري ولكن لا يجتمع فحلان في شول وهذا ظاهر واما طريقة التمانع فللمتكلمين فيها تجاول وطراد ولان هذه الافعال محتاجة الى تلك الذات المتميزة بتلك الصفات حتى تثبت وتستقر **لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون** لما كانت عادة الملوك والجبابرة ان لا يسألهم من في مملكتهم عن افعالهم وعما يوردون ويصدرون من تدبير ملكهم تهيبا واجلالا مع جواز الخطاء والزلل وانواع الفساد عليهم كان ملك الملوك ورب الارباب خالقهم ورازقهم اولى بان لا يسأل عن افعاله مع ما علم واستقر في العقول من ان ما يفعله كله مفعول بدواعي الحكمة ولا يجوز عليه الخطاء ولا فعل القبائح وهم يسئلون اي هم مملوكون مستعبدون خطاؤون فما اخلقهم بان يقال لهم لم فعلتم في كل شيء فعلوه **ام اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون** كرر ام اتخذوا من دونه آلهة استفظاعا لشانهم واستعظاما لكفرهم اي وصفتم الله تعالى بان له شريكا فهاتوا برهانكم على ذلك اما من جهة العقل واما من جهة الوحي فانكم لا تجدون كتابا من كتب الاولين الا وتوحيد الله وتنزيهه عن الانداد مدعو اليه والاشراك به منهي عنه متوعد عليه اي هذا الوحي الوارد في معنى توحيد الله ونفي الشركاء عنه كما ورد علي فقد ورد على جميع الانبياء فهو ذكر اي عظة للذين معي يعني امته وذكر للذين قبلي يريد امم الانبياء وقرئ ذكر من معي وذكر من قبلي بالتنوين ومن مفعول منصوب بالذكر كقوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما والاصل في الاضافة ان يضاف المصدر الى المفعول كقوله عز وجل غلبت الروم وهم من بعد غلبهم سيغلبون وروي ان من معي ومن قبلي على من الاضافية في هذه القراءة وادخال الجر على مع غريب والعذر فيه انه اسم هو ظرف نحو قبل وبعد وعند ولدن وما اشبه ذلك فدخل عليه من كما يدخل على اخواته وقرئ ذكر من معي وذكر من قبلي كانه قيل بل عندهم ما هو اصل الشر والفساد كله وهو الجهل وفقد العلم وعدم التمييز بين الحق والباطل فمن ثم جاء هذا الاعراض ومن هنالك ورد هذا الانكار وقرئ الحق بالرفع على توسيط التوكيد بين السبب والمسبب والمعنى ان اعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل ويجوز ان يكون المنصوب ايضا على هذا المعنى كما تقول هذا عبد الله الحق لا الباطل **وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون** يوحى ونوحي مشهورتان وهذه الآية مقررة لما سبقها من آي التوحيد **وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون** نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله فنزه ذاته عن ذلك ثم اخبر عنهم بانهم عباد والعبودية تنافي الولادة الا انهم مكرمون مقربون عندي مفضلون على سائر العباد لما هم عليه من احوال وصفات ليست لغيرهم فذلك هو الذي غر منهم من زعم انهم اولادي تعاليت عن ذلك علوا كبيرا وقرئ مكرمون ولا يسبقونه بالضم من سبقته اسبقه والمعنى انهم يتبعون قوله ولا يقولون شيئا حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله والمراد بقولهم فانيب اللام مناب الاضافة اي لا يتقدمون قوله بقولهم كما تقول سبقت بفرسي فرسه وكما ان قولهم تابع لقوله فعملهم ايضا كذلك مبني على امره لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به وجميع ما يأتون

وما يذرون مما قدموا واخروا بعين الله تعالى وهو مجازيهم عليه فلاحاطتهم بذلك يضبطون انفسهم ويراعون احوالهم
ويعمرون اوقاتهم • ومن تحفظهم انهم لا يجسرون ان يشفعوا الا لمن ارتضاه الله تعالى واهله للشفاعة في ازدياده
الثواب والتعظيم وهم ثم انهم مع هذا كله من خشية الله تعالى مشفقون اي متوقعون من امارة ضعيفة كائنون على حذر
ورقبة لا يأمنون مكر الله • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى جبريل ليلة المعراج ساقطا كالحلس من خشية
الله تعالى ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين ثم بعد ان وصف كرامتهم
عليه وقرب منزلتهم عنده واثنى عليهم واضاف اليهم تلك الافعال السنية والاعمال المرضية فاجاء بالوعيد الشديد
وانذر بعذاب جهنم من اشرك منهم ان كان ذلك على سبيل الفرض والتمثيل مع احاطة علمه بانه لا يكون كما قال تعالى
فلو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون • قصد بذلك تفظيع امر الشرك وتعظيم شان التوحيد اولم ير الذين كفروا ان السموات
والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي افلا يؤمنون قرئ الم ير بغير واو ورتقا بفتح التاء
وكلاهما في معنى المفعول كالخلق والنقض اي كانتا مرتوقتين فان قلت الرتق صالح ان يقع موقع مرتوقتين
لانه مصدر فما بال الرتق قلت هو على تقدير موصوف اي كانتا شيئا رتقا • ومعنى ذلك ان السماء كانت لاصقة
بالارض لا فضاء بينهما او كانت السموات متلاصقات وكذلك الارضون لا فرج بينهما ففتقها الله وفرج بينها
وقيل ففتقناهما بالمطر والنبات بعد ما كانت مصمتة وانما قيل كانتا دون كن لان المراد جماعة السموات وجماعة
الارض ونحوه قولهم لقاحان سوداوان اي جماعتان فعل في المضمر نحو ما فعل في المظهر فان قلت متى راوهما
رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك قلت فيه وجهان احدهما انه وارد في القران الذي هو معجز في نفسه
فقام مقام المرئي المشاهد والثاني ان تلاصق الارض والسماء وتباينهما كلاهما جائز في العقل فلا بد للتباين دون
التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه • وجعلنا لا يخلو ان يتعدى الى واحد او اثنين فان تعدى الى واحد
فالمعنى خلقنا من الماء كل حيوان كقوله تعالى • والله خلق كل دابة من ماء او كانما خلقناه من الماء لفرط احتياجه
اليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله تعالى خلق الانسان من عجل • وان تعدى الى اثنين فالمعنى صيرنا كل شيء حي
بسبب من الماء لا بد له منه • ومن هذا نحو من في قوله صلى الله عليه وسلم ما انا من دد ولا الدد مني • وقرئ حيا
وهو المفعول الثاني وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون اي كراهة
ان تميد بهم وتضطرب او لان لا تميد بهم فحذف لا واللام وانما جاز حذف لا لعدم الالتباس كما تزاد لذلك في نحو
قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب وهذا مذهب الكوفيين • الفج الطريق الواسع فان قلت في الفجاج معنى الوصف
فما لها قدمت على السبل ولم تؤخر كما في قوله سبحانه وتعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا قلت لم تتقدم وهي صفة ولكن
جعلت حالا كقوله • لعزة موحشا طلل قديم • فان قلت ما الفرق بينهما من جهة المعنى قلت
احدهما اعلام بانه جعل فيها طرقا واسعة والثاني بانه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما ابهم ثمة
وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون محفوظا حفظه بالامساك بقدرته من ان يقع على الارض
ويتزلزل او بالشهب عن تسمع الشياطين على سكانه من الملائكة عن آياتها عما وضع الله تعالى فيها من الادلة والعبر بالشمس والقمر
وسائر النيرات ومسايرها وطلوعها وغروبها كالاستدلال على عظمة شان من اوجدها عن عدم ودبرها ونصبها
هذه النصبة واودعها ما اودعها مما لا يعرف كنهه الا هو عزت قدرته ولطف علمه • وقرئ عن آيتها على
التوحيد اكتفاء بالواحدة في الدلالة على الجنس اي هم متفطنون لما يرد عليهم من السماء من المنافع الدنيوية كالاستضاءة بقمريها

بالعراء صح

ع

لقاحان صح

فيه وجهان

صح

على الحساب القويم والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة واي جهل اعظم من جهل من اعرض عنها ولم يذهب به وهمه الى تدبرها والاعتبار بها

والاهتدا

والاهتداء بنجومها وحياة الارض والحيوان بامطارها وهم عن كونها آية بينة على الخالق معرضون **وهو الذي خلق**
الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون كل التنوين فيه عوض من المضاف اليه اي كلهم في فلك يسبحون والضمير للشمس
والقمر والمراد بهما جنس الطوالع كل يوم وليلة جعلوها متكاثرة لتكاثر مطالعها وهو السبب في جمعهما بالشموس والاقمار
والا فالشمس واحدة والقمر واحد وانما جعل الضمير واو العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة **فان قلت** الجملة ما محلها
قلت محلها النصب على الحال من الشمس والقمر **فلتت** كما تقول رايت زيدا وهندا متبرجة ونحو ذلك اذا جئت
بصفة يختص بها بعض ما تعلق به العامل ومنه قوله تعالى في هذه السورة ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة او لا محل لها
لاستئنافها **فان قلت** لكل واحد من القمرين فلك على حدة فكيف قيل جميعهم يسبحون في فلك **قلت** هذا كقولهم
كساهم الامير حلة وقلدهم سيفا اي كل واحد منهم او كساهم وقلدهم هذين الجنسين فاكتفى بما يدل على الجنس اختصارا
ولان الغرض الدلالة على الجنس **وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر
والخير فتنة والينا ترجعون** كانوا يقدرون انه سيموت فيشمتون بموته فنفى الله عنه الشماتة بهذا اي قضى الله ان لا يخلد
في الدنيا بشرا فلا انت ولا هم الا عرضة للموت فاذا كان الامر كذلك فان مت انت ايبقى هؤلاء وفي معناه قول القائل

• فقل للشامتين بنا افيقوا • سيلقى الشامتون كما لقينا •

اي نختبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا وبما يجب فيه الشكر من النعم **و**الينا مرجعكم فنجازيكم على حسب ما يوجد
منكم من الصبر والشكر وانما سمي ذلك ابتلاء وهو عالم بما سيكون من اعمال العاملين قبل وجودهم في صورة
الاختبار وفتنة مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه **واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا اهذا
الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون** الذكر يكون بخير وبخلافه فاذا دلت الحال على احدهما اطلق
ولم يقيد كقولك للرجل سمعت فلانا يذكرك فان كان الذاكر صديقا فهو ثناء وان كان عدوا فذم ومنه قوله سبحانه
وتعالى اهذا الذي يذكر آلهتكم والمعنى انهم عاكفون بهممهم على ذكر آلهتهم وما يجب ان لا يذكروا به من كونهم شفعاء وشهداء
ويسوءهم ان يذكرها ذاكر بخلاف ذلك واما ذكر الله وما يجب ان يذكر به من الوحدانية فهم به كافرون لا يصدقون به اصلا
فهم احق بان يتخذوا هزوا منك فانك محق وهم مبطلون وقيل معنى بذكر الرحمن قولهم ما نعرف الرحمن الا مسيلمة وقولهم
وما الرحمن انسجد لما تأمرنا وقيل بذكر الرحمن بما انزل عليك من القرآن والجملة في موضع الحال اي يتخذونك هزوا وهم على
حال هي اصل الهزء والسخرية وهي الكفر بالله **خلق الانسان من عجل ساوريكم آياتي فلا تستعجلون ويقولون متى هذا الوعد ان
كنتم صادقين** كانوا يستعجلون عذاب الله تعالى وآياته الملجئة الى العلم والاقرار ويقولون متى هذا الوعد فاراد نهيهم
عن الاستعجال وزجرهم فقدم اولا ذم الانسان على افراط العجلة وانه مطبوع عليها ثم نهاهم وزجرهم كانه قال
ليس ببدع منكم ان تستعجلوا فانكم مجبولون على ذلك وسجيتكم وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه اراد بالانسان آدم وانه
حين بلغ الروح صدره ولم يتكامل فيه اراد ان يقوم وروي لما دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل
جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله تعالى في آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فاسرع في خلقه قبل مغيبها
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه النضر بن الحارث والظاهر ان المراد الجنس وقيل العجل الطين بلغة حمير
قال شاعرهم • والنخل ينبت بين الماء والعجل • والله اعلم بصحته •
فان قلت لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله تعالى خلق الانسان من عجل وقوله تعالى وكان
الانسان عجولا اليس هذا من تكليف ما لا يطاق **قلت** هذا كما ركب فيه الشهوة وامره ان يغلبها لانه

فان قلت كيف اسند بهما دون الليل والنهار بنصب الحال عنهما ح

لانه ح

سمعنا فتى يذكرهم وقوله

وهو طبعكم

اعطاه القدرة الى يستطيع قمع الشهوة وترك العجلة وقرئ خلق الانسان لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن
وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون جواب لو محذوف وحين مفعول به ليعلم اي لو يعلمون الوقت
الذي يستعجلون عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب شديد تحيط بهم فيه النار من وراء وقدام
فلا يقدرون على دفعها ومنعها من انفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء
والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذي هونه عندهم • ويجوز ان يكون يعلم متروكا بلا تعدية بمعنى لو كان معهم علم
ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين وحين منصوب بمضمر اي حين لا يكفون عن وجوههم النار يعلمون انهم كانوا على الباطل
وينتفي عنهم هذا الجهل العظيم اي لا يكفونها بل تاتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون
بل تفجاهم فتغلبهم يقال للمغلوب في المحاجة مبهوت ومنه فبهت الذي كفر اي غلب ابراهيم الكافر وقرا
الاعمش بل ياتيهم فيبهتهم على التذكير والضمير للوعد او للحين فان قلت فالام يرجع الضمير المؤنث في هذه
القراءة قلت الى النار او الى الوعد لانه في معنى النار وهي التي وعدوها او على تاويل العدة والموعدة او الى الحين
لانه في معنى الساعة او الى البغتة • وقيل في القراءة الاولى الضمير للساعة • وقرا الاعمش بغتة بفتح الغين ولا هم ينظرون
تذكير بانظاره اياهم وامهاله وتفسيح وقت التذكر عليهم اي لا يمهلون بعد طول الامهال ولقد استهزئ
برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم
عن ذكر ربهم معرضون ام لهم الهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون سلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به بان له في الانبياء عليهم السلم اسوة وان ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء
ما فعلوا من الرحمن اي من باسه وعذابه بل هم معرضون عن ذكره لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا باسه حتى
اذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالئ وصلحوا للسؤال عنه والمراد انه امر رسوله بسؤالهم عن الكالئ ثم بين انهم لا يصلحون
لذلك لاعراضهم عن ذكر من يكلؤهم ثم اضرب عن ذلك بما في ام من معنى بل وقال الهم الهة تمنعهم من العذاب تتجاوز
منعنا وحفظنا ثم استانف فبين ان ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتاييد
كيف يمنع غيره وينصره بل متعنا هؤلاء واباءهم حتى طال عليهم العمر افلا يرون انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها
افهم الغالبون ثم قال بل ما هم فيه من الحفظ والكلاءة انما هو منا لا من مانع يمنعهم من اهلاكنا وما كلاناهم
واباءهم الماضين لهم بالحياة الدنيا وامهالا كما متعنا غيرهم من الكفار وامهلناهم حتى طال عليهم الامد وامتدت
ايام الروح والطمانينة فحسبوا ان لا يزالوا على ذلك لا يغلبون ولا ينزع عنهم ثوب امنتهم واستمتاعهم وذلك طمع
فارغ وامل كاذب افلا يرون انا ننقص ارض الكفر ودار الحرب ونحذف اطرافها بتسليط المسلمين عليها واظهارهم
على اهلها وردها دار اسلام فان قلت اي فائدة في قوله تعالى ناتي الارض قلت الفائدة تصوير ما كان
الله يجربه على ايدي المسلمين وان عساكرهم وسراياهم كانت تغزو ارض المشركين وتاتيها غالبة عليها ناقصة من
اطرافها قل انما انذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون قرئ ولا يسمع الصم بالتاء والياء
اي لا تسمع انت ولا يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يسمع الصم من اسمع فان قلت الصم لا يسمعون دعاء
المبشر كما لا يسمعون دعاء المنذر فكيف قيل اذا ما ينذرون قلت اللام في الصم اشارة الى هؤلاء المنذرين
كائنة للعهد لا للجنس والاصل ولا يسمعون اذا ما ينذرون فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسدهم
اسماعهم اذا انذروا اي هم على هذه الصفة من الجراءة والجسارة على التصام من ايات الانذار ولئن مستهم نفحة من

الا تمتيعا

يجريه

عذاب

عذاب ربك ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين ولئن مستهم من هذا الذي ينذرون به ادنى شيء لا ذعنوا وذلوا واقروا
بانهم ظلموا انفسهم حين تصامموا واعرضوا في البث والنفحة نلث مبالغات لان النفح في معنى القلة والنزارة يقال
نفحته الدابة وهو رمح يسير ونفحة بعطية رضخه ولبناء المرة ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس
شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين وصفت الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة
كانها في انفسها قسط او على حذف المضاف اي ذوات القسط واللام في ليوم القيمة مثلها في قولك جئته لخمس ليال خلون
من الشهر ومنه بيت النابغة

ترسمت آيات لها فعرفتها • لستة اعوام وذا العام سابع •

وقيل لاهل يوم القيمة اي لاجلهم فان قلت ما المراد بوضع الموازين قلت فيه قولان احدهما ارصاد
الحساب السوي والجزاء على حسب الاعمال بالعدل والنصفة من غير ان يظلم عباده مثقال ذرة فمثل ذلك بوضع
الموازين لتوزن بها الموزونات • والثاني انه يضع الموازين الحقيقية ويزن بها الاعمال • عن الحسن
هو ميزان له كفتان ولسان • ويروى ان داود عليه الصلاة والسلام سأل ربه ان يريه الميزان فلما راه
غشي عليه ثم افاق فقال الهي من الذي يقدر ان يملأ كفته حسنات • فقال يا داود اني اذا رضيت عن عبدي ملأتها
بتمرة فان قلت كيف توزن الاعمال وانما هي اعراض قلت فيه قولان احدهما توزن صحائف الاعمال
والثاني تجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة • وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة • وقرئ مثقال
حبة على كان التامة كقوله تعالى وان كان ذو عسرة • وقرأ ابن عباس ومجاهد آتينا بها وهي مفاعلة
من الاتيان بمعنى المجازاة والمكافأة لانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء • وقرأ حميد اثبنا بها من الثواب وفي
حرف ابي جئنا بها وانث ضمير المثقال لاضافته الى الحبة كقولهم ذهبت بعض اصابعه ولقد آتينا موسى وهرون
الفرقان وضياء وذكرى للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون وهذا ذكر مبارك
انزلناه افانتم له منكرون اي آتيناهما الفرقان وهو التوراة وآتينا به ضياء وذكرا للمتقين والمعنى انه
في نفسه ضياء وذكر او وآتينا بما فيه من الشرائع والمواعظ ضياء وذكرا • وعن ابن عباس رضي الله عنهما
الفرقان الفتح كقوله تعالى يوم الفرقان • وعن الضحاك فلق البحر • وعن محمد بن كعب المخرج من الشبهات
وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما ضياء بغير واو • وهو حال عن الفرقان والذكر الموعظة او ذكر ما يحتاجون اليه
في دينهم ومصالحهم او الشرف محل الذين جر على الوصفية او نصب على المدح او رفع عليه وهذا ذكر مبارك هو
القرآن وبركته كثرة منافعه وغزارة خيره ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين اذ قال لابيه
وقومه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم انتم وآباؤكم
في ضلال مبين قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن
وانا على ذلكم من الشاهدين الرشد الاهتداء لوجوه الصلاح قال الله تعالى فان آنستم منهم رشدا فادفعوا
اليهم اموالهم وقرئ رشده والرشد والرشد كالعدم والعدم ومعنى اضافته اليه انه رشد مثله وانه رشد له شأن
من قبل اي من قبل موسى وهرون ومعنى علمه به انه علم منه احوالا بديعة واسرارا عجيبة وصفات قد
رضيها واحمدها حتى اهله لمخالته ومخالصته وهذا كقولك في خير من الناس انا عالم بفلان فكلامك هذا
من الاحتواء على محاسن الاوصاف بمنزل اذ اما ان يتعلق بآتينا او برشده او بمحذوف اي اذكر من اوقات رشده

والعدوح

هذا الوقت قوله تعالى ما هذه التماثيل تجاهل لهم وتغاب ليحقر آلهتهم ويصغر شأنها مع علمه بتعظيمهم وإجلالهم لها
لم ينو للعاكفين مفعولاً وأجراه مجرى ما لا يتعدى كقولك فاعلون العكوف لها أو واقفون لها فإن قلت هلا قيل عليها
عاكفون كقوله تعالى يعكفون على أصنام لهم قلت لو قصد التعدية لعداه بصلته التي هي على ما أقبح التقليد
والقول المتقبل بغير برهان وما أعظم كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم إلى أن قلدوا آباءهم في عبادة التماثيل
وعفروا لها جباههم وهم معتقدون أنهم على شيء وجادون في نصرة مذهبهم ومجادلون لأهل الحق عن باطلهم وكفى
أهل التقليد سبة أن عبدة الأصنام منهم أنتم من التأكيد الذي لا يصح الكلام مع الإخلال به لأن العطف على ضمير هو في حكم
بعض الفعل ممتنع ونحوه اسكن أنت وزوجك الجنة أراد أن المقلدين والمقلدين جميعاً منخرطون في سلك ضلال
لا يخفى على من به أدنى مسكة لاستناد الفريقين إلى غير دليل بل إلى هوى متبع وشيطان مطاع لاستبعادهم أن يكون
ما هم عليه ضلالاً بقوا متعجبين من تضليله إياهم وحسبوا أن ما قاله على وجه المزاح والمداعبة لا على طريق الجد
فقالوا له أهذا الذي جئتنا به أهو جد وحق أم لعب وهزل الضمير في فطرهن للسموات والأرض أو للتماثيل وكونه
للتماثيل أدخل في تضليلهم وأثبت للاحتجاج عليهم وشهادته على ذلك إدلاؤه بالحجة عليه وتصحيحه بها كما يصح الدعوى
بالشهادة كأنه قال وأنا أبين ذلك وأبرهن عليه كما تبين الدعاوى بالبينات لأني لست مثلكم فأقول ما لا أقدر
على إثباته بالحجة كما لم تقدروا على الاحتجاج لمذهبكم ولم تزيدوا على أنكم وجدتم عليه آباءكم وتالله لأكيدن أصنامكم
بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن
الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم قرأ معاذ بن جبل رضي الله عنه بالله وقرئ تولوا بمعنى
تتولوا ويقويها قوله تعالى فتولوا عنه مدبرين فإن قلت ما الفرق بين الباء والتاء قلت إن الباء
هي الأصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وإن التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب كأنه تعجب من تسهل الكيد
على يده وتأتيه لأن ذلك كان أمراً مقنوطاً منه لصعوبته وتعذره ولعمري إن مثله أصعب متعذر في كل زمان خصوصاً
في زمن نمروذ مع عتوه واستكباره وقوة سلطانه وتهالكه على نصرة دينه ولكن إذا الله سنى عقد شيء تيسرا
روي أن آزر خرج به في يوم عيد لهم فبدؤوا ببيت الأصنام فدخلوه وسجدوا لها ووضعوا بينها طعاماً خرجوا
به معهم وقالوا إلى أن نرجع بركت الآلهة على طعامنا فذهبوا وبقي إبراهيم عليه الصلاة والسلام فنظر إلى الأصنام
وكانت سبعين صنماً مصطفة وثم صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل
فكسرها كلها بفأس في يده حتى لم يبق إلا الكبير علق الفأس في عنقه وعن قتادة قال ذلك سراً من قومه وروي سمعه
رجل واحد جذاذاً قطاعاً من الجذ وهو القطع وقرئ بالكسر والفتح وقرئ جذذاً جمع جذيذ وإنما استبقى الكبير
لأنه غلب في ظنه أنهم لا يرجعون إلا إليه لما تسامعوه من إنكاره لدينهم وسبه لآلهتهم فيبكتهم بما أجاب به من قوله
تعالى بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم وعن الكلبي إليه إلى كبيرهم ومعنى هذا لعلهم يرجعون إليه كما يرجع إلى العالم في
حل المشكلات فيقولون له ما لهؤلاء مكسورة ومالك صحيحاً والفأس على عاتقك قال هذا بناء على ظنه
بهم لما جرب وذاق من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم في آلهتهم وتعظيمهم لها أو قاله مع علمه أنهم لا يرجعون
إليه استهزاء بهم واستجهالاً وأن قياس حال من يسجد له ويؤهله للعبادة أن يرجع إليه في حل كل مشكل فإن قلت
فإذا رجعوا إلى الصنم بمكابرتهم لعقولهم ورسوخ الإشراك في أعراقهم فأي فائدة دينية في رجوعهم إليه
حتى يجعله إبراهيم عليه الصلاة والسلام غرضاً قلت إذا رجعوا إليه تبين أنه عاجز لا ينفع ولا يضر وظهر أنهم في عبادته

على جهل عظيم اي ان من فعل هذا الكسر والحطم لشديد الظلم معدود في الظلمة اما لجرأته على الآلهة الحقيقة عندهم بالتوقير
والاعظام واما لانهم رأوا افراطا في حطمها وتماديا في الاستهانة بها فان قلت ما حكم الفعلين بعد سمعنا فتى واي
فرق بينهما قلت هما صفتان لفتى الا ان الاول وهو يذكرهم لا بد منه لسمع لانك لا تقول سمعت زيدا وتسكت
حتى تذكر شيئا مما يسمع واما الثاني فليس كذلك فان قلت ابرهيم ما هو قلت قيل هو خبر مبتدإ محذوف او منادى
والصحيح انه فاعل يقال لان المراد الاسم لا المسمى قالوا فأتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون قالوا أأنت
فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون على اعين الناس في محل الحال بمعنى
معاينا مشاهدا اي بمرأى منهم ومنظر فان قلت ما معنى الاستعلاء في على قلت هو وارد على طريق المثل
اي يثبت اتيانه في الاعين ويتمكن فيها ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه لعلهم يشهدون عليه بما سمع منه او بما
فعله او يحضرون عقوبتنا له روي ان الخبر بلغ نمرود واشراف قومه فامروا باحضاره هذا من معاريض الكلام
ولطائف هذا النوع لا يتغلغل فيها الا اذهان الراضة من علماء المعاني والقول فيه ان قصد ابراهيم صلوات الله
عليه لم يكن الى ان ينسب الفعل الصادر عنه الى الصنم وانما قصد تقريره لنفسه واثباته على اسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه
من الزامهم الحجة وتبكيتهم وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق وانت شهير بحسن الخط أأنت كتبت
هذا وصاحبك امي لا يحسن الخط او لا يقدر الا على خرمشة فاسدة فقلت له بل كتبته انت كان قصدك بهذا الجواب
تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك واثباته للامي او المخرمش لان اثباته والامر دائر بينكما للعاجز منكما استهزاء
به واثبات للقادر ولقائل ان يقول غاظته تلك الاصنام حين ابصرها مصطفة مرتبة وكان غيظ كبيرها اكبر واشد
لما رأى من زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه لانه هو السبب لاستهانته بها وحطمه لها والفعل كما يسند الى مباشره
يسند الى الحامل عليه ويجوز ان يكون حكاية لما يقود الى تجويزه مذهبهم كأنه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم
فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على هذا واشد منه ويحكى انه قال فعله كبيرهم هذا غضب ان تعبد
معه هذه الصغار وهو اكبر منها وقرأ محمد بن السميفع فعله كبيرهم يعني فلعله اي فلعل الفاعل كبيرهم فرجعوا الى انفسهم
فقالوا انكم انتم الظالمون ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم
شيئا ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون فلما القمهم الحجر واخذ بمخانقهم رجعوا الى انفسهم
فقالوا انتم الظالمون على الحقيقة لا من ظلمتموه حين قلتم من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين نكسته قلبته فجعلت اسفله
اعلاه وانتكس انقلب اي استقاموا حين رجعوا الى انفسهم وجاؤوا بالفكرة الصالحة ثم انتكسوا وانقلبوا عن تلك الحالة
فأخذوا في المجادلة بالباطل والمكابرة وان هؤلاء مع تقاصر حالها عن حال الحيوان الناطق آلهة معبودة مضارة منهم
او انتكسوا عن كونهم مجادلين لابرهيم مجادلين عنه حين نفوا عنها القدرة عن النطق او قلبوا على رؤوسهم حقيقة
لفرط اطراقهم خجلا وانكسارا وانخزالا مما بهتهم به ابرهيم فما احاروا جوابا الا ما هو حجة عليهم وقرئ نكسوا بالتشديد
ونكسوا على لفظ ما سمي فاعله اي نكسوا انفسهم على رؤوسهم قرأ به رضوان بن عبد المعبود أف صوت اذا صوت به
علم ان صاحبه متضجر اضجره ما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق وزهوق الباطل
فتأفف بهم واللام لبيان المتأفف به اي لكم ولآلهتكم هذا التأفف قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم
فاعلين قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم وارادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين اجمعوا رأيهم لما غلبوا
باهلاكه وهكذا المبطل اذا قرعت شبهته بالحجة وافتضح لم يكن احد ابغض اليه من المحق ولم يبق له مفزع الا مناصبته

كما فعلت قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم حين عجزوا عن المعارضة والذي اشار باحراقه نمروذ • وعن ابن عمر رضي الله عنهما
رجل من اعراب العجم يريد الاكراد • وروي انهم حين هموا باحراقه حبسوه ثم بنوا بيتا كالحظيرة بكوثى وجمعوا شهرا اصناف
الخشب الصلاب حتى ان كانت المرأة لتمرض فتقول ان عافاني الله لاجمعن حطبا لابراهيم • ثم اشعلوا نارا عظيمة كادت
الطير تحترق في الجو من وهجها ثم وضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا فرموا به فيها فناداه جبريل عليه الصلاة والسلام يا نار
كوني بردا وسلاما • ويحكى ما احترقت منه الا وثاقه • وقال له جبريل حين رمي به هل لك حاجة فقال اما اليك
فلا • قال فسل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي • وعن ابن عباس رضي الله عنهما انما نجا بقوله حسبي الله ونعم الوكيل
واطل عليه نمروذ من الصرح فاذا هو في روضة ومعه جليس له ~~وكان ابراهيم عليه السلام اذ ذاك ابن ستة عشر سنة~~
واختاروا المعاقبة بالنار من الملائكة فقال اني مقرب الى الهك فذبح اربعة آلاف بقرة وكف عن ابراهيم عليه الصلاة
والسلام وكان ابراهيم اذ ذاك ابن ستة عشر سنة واختاروا المعاقبة بالنار لانها اهول ما يعاقب به وافظعه
ولذلك جاء لا يعذب بالنار الا خالقها • ومن ثم قالوا ان كنتم فاعلين اي ان كنتم ناصرين الهتكم نصرا مؤزرا فاختاروا
اهول المعاقبات وهي الاحراق بالنار والا فرطتم في نصرتها ولهذا عظموا النار وتكلفوا في تشهير امرها وتفخيم شأنها
ولم يألوا جهدا في ذلك جعلت النار لمطاوعتها فعل الله وارادته كمأمور امر بشيء فامتثله • والمعنى ذات برد وسلام
فبولغ في ذلك كأن ذاتها برد وسلام • والمراد ابردي فيسلم منك ابراهيم او ابردي بردا غير ضار • وعن ابن عباس رضي الله عنهما
لو لم يقل ذلك لاهلكته ببردها فان قلت كيف بردت النار وهي نار قلت نزع الله عنها طبعها الذي طبعها
عليه من الحر والاحراق وابقاها على الاضاءة والاشراق والاشتعال كما كانت والله على كل شيء قدير • ويجوز ان يدفع
بقدرته عن جسم ابراهيم اذى حرها ويذيقه فيها عكس ذلك كما يفعل بخزنة جهنم ويدل عليه قوله تعالى وارادوا به
كيدا • ومكروا به فما كانوا الا مغلوبين مقهورين غالبوه بالجدال فغلبه الله تعالى ولقنه بالمبكت وفزعوا الى القوة
والجبروت فنصره وقواه ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا
جعلنا صالحين وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكوة وكانوا
لنا عابدين نجيا من العراق الى الشام وبركاته الواصلة الى العالمين ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت في
العالمين شرائعهم وآثارهم الدينية وهي البركات الحقيقية • وقيل بارك الله فيه بكثرة الماء والشجر والثمر
والخصب وطيب عيش الغني والفقير • وعن سفيان انه خرج الى الشام فقيل له الى اين فقال الى بلد يملأ فيه
الجراب بدرهم • وقيل ما من ماء عذب الا وينبع اصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس • وروي انه نزل
بفلسطين ولوطا بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة • النافلة ولد الولد • وقيل سأل اسحق فاعطيه واعطي
يعقوب نافلة اي زيادة وفضلا من غير سؤال يهدون بامرنا فيه ان من صلح ليكون قدوة في دين الله تعالى فالهداية
محتومة عليه فاعطيه ~~واعطي يعقوب~~ نافلة مأمور هو بها من قبل الله ليس له ان يخل بها ويتثاقل عنها واول ذلك ان يهتدي
بنفسه لان الانتفاع بهداه اعم والنفوس الى الاقتداء بالمهدي اميل • فعل الخيرات اصله ان تفعل الخيرات
ثم فعلا الخيرات وكذلك اقام الصلوة وايتاء الزكوة ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل
الخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقين وادخلناه في رحمتنا انه من الصالحين حكما حكمة وهو ما يجب فعله او فصلا
بين الخصوم وقيل هو النبوة • والقرية سدوم اي في اهل رحمتنا او في الجنة ومنه الحديث هذه رحمتي ارحم بها من
اشاء ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه واهله من الكرب العظيم ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا

كانوا

حتى هو
من هو
من الملائكة
الذي طبعها الله
على ابراهيم
من جهة الله

كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين من قبل من قبل هؤلاء المذكورين نصرناه الذي هو مطاوعه انتصر وسمعت هذليا يدعو على
سارق اللهم انصرهم منه أي اجعلهم منتصرين منه والكرب الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه وداود وسليمان إذ
يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع
داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون أي واذكرهما
وإذ بدل منهما والنفش الانتشار بالليل وجمع الضمير لأنه أرادهما والمتحاكمين وقرئ لحكمهما والضمير في ففهمناها
للحكومة أو الفتوى وقرئ فأفهمناها حكم داود بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة
غير هذا أرفق بالفريقين فعزم عليه ليحكمن فقال أرى أن تدفع الغنم إلى أهل الحرث ينتفعون بألبانها وأولادها
وأصوافها والحرث إلى أرباب الشاء يقومون عليه حتى يعود كهيئته يوم أفسد ثم يترادان فقال القضاء ما قضيت
وأمضى الحكم بذلك فإن قلت أحكما بوحي أم باجتهاد قلت حكما جميعا بالوحي إلا أن حكومة داود
نسخت بحكومة سليمان وقيل اجتهدا جميعا فجاء اجتهاد سليمان أشبه بالصواب فإن قلت ما وجه كل واحدة من
الحكومتين قلت أما وجه حكومة داود فلأن الضرر وقع بالغنم فسلمت بجنايتها إلى المجني عليه كما قال أبو حنيفة
رحمة الله عليه في العبد إذا جنى على النفس يدفعه المولى بذلك أو يفديه وعند الشافعي رضي الله عنه يبيعه في ذلك
أو يفديه ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث ووجه حكومة سليمان أنه جعل الانتفاع بإزاء ما فات
من الانتفاع بالحرث من غير أن يزول ملك المالك عن الغنم وأوجب على صاحب الغنم أن يعمل في الحرث حتى يزول
الضرر والنقصان مثاله ما قال أصحاب الشافعي فيمن غصب عبدا فأبق من يده أنه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه
بإزاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فإذا ظهر ترادا فإن قلت فلو وقعت هذه الواقعة في شريعتنا ما حكمها
قلت أبو حنيفة وأصحابه لا يرون فيه ضمانا بالليل أو بالنهار إلا أن يكون مع البهيمة سائق أو قائد والشافعي رضي الله عنه
يوجب الضمان بالليل وفي قوله تعالى ففهمناها سليمان دليل على أن الأصوب كان مع سليمان وفي قوله تعالى
وكلا آتينا حكما وعلما دليل على أنهما جميعا كانا على الصواب ويسبحن بمعنى حال مسبحات أو استئناف كأن قائلا قال
كيف سخرهن فقال يسبحن والطير إما معطوف على الجبال وإما مفعول معه فإن قلت لم قدمت الجبال على الطير
قلت لأن تسخيرها وتسبيحها أعجب وأدل على القدرة وأدخل في الإعجاز لأنها جماد والطير حيوان ناطق وروي أنه كان
يمر بالجبال مسبحا وهي تجاوبه وقيل كانت تسير معه حيث سار فإن قلت كيف تنطق الجبال وتسبح
قلت بأن يخلق الله فيها الكلام كما خلقه في الشجرة حين كلم موسى وجواب آخر وهو أن يسبح من رآها تسير بتسيير
الله تعالى فلما حملت على التسبيح وصفت به وكنا فاعلين أي قادرين على أن نفعل هذا وإن كان عجبا عندكم
وقيل وكنا نفعل مثل ذلك بالأنبياء واللبوس اللباس قال البس لكل حالة لبوسها والمراد الدرع قال
قتادة كانت صفائح فأول من سردها وحلقها داود عليه الصلاة والسلام فجمعت الخفة والتحصين لتحصنكم قرئ
بالنون والياء والتاء وتخفيف الصاد وتشديدها فالنون لله تعالى والتاء للصنعة أو للبوس على تأويل الدرع
والياء لداود أو للبوس ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين قرئ الريح
والرياح بالرفع والنصب فيهما فالرفع على الابتداء والنصب على العطف على الجبال فإن قلت وصفت هذه الرياح
بالعصف تارة وبالرخاوة أخرى فما التوفيق بينهما قلت كانت في نفسها رخية طيبة كالنسيم فإذا مرت بكرسيه
أبعدت به في مدة يسيرة على ما قال غدوها شهر ورواحها شهر فكان جمعها بين الأمرين أن تكون رخاء في نفسها عا

صفة

بالغنم م

بالليل بلغ قراءة

بعض م

في عملها مع طاعتها لسليمان وهبوبها على حسب ما يريد ويحتمل آية إلى آية ومعجزة إلى معجزة وقيل كانت في وقت رخاء وفي وقت
عاصفا لهبوبها على حكم ارادته وقد احاط علمنا بكل شيء فنجري الاشياء كلها على ما يقتضيه علمنا وحكمتنا **ومن الشياطين من يغوصون**
له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين اي يغوصون له في البحار فيستخرجون الجواهر ويتجاوزون الى
الاعمال والمهن وبناء المدائن والقصور واختراع الصنائع العجيبة كما قال تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب
وتماثيل والله تعالى حافظهم ان يزيغوا عن امره او يبدلوا او يغيروا او يوجد منهم فساد في الجملة فيما هم مسخرون
فيه **وايوب اذ نادى اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه اهله**
ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين اي ناداه اني مسني وقرئ اني بالكسر على اضمار القول او تضمين
النداء معناه والضر بالفتح الضرر في كل شيء وبالضم الضرر في النفس من مرض وهزال فرق بين البنائين لافتراق
المعنيين الطف في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب ويحكى
ان عجوزا تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت يا امير المؤمنين مشت جرذان بيتي على العصي فقال لها الطفت في
السؤال لا جرم لاردنها تثب وثب الفهود وملأ بيتها حبا كان ايوب عليه الصلاة والسلام من ولد اسحاق بن
ابراهيم عليهم الصلاة والسلام وقد استنبأه الله تعالى وبسط عليه الدنيا وكثر اهله وماله فكان له سبعة بنين وسبع بنات
وله اصناف البهائم وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امراة وولد ونخيل فابتلاه الله بذهاب ولده انهدم عليهم
البيت فهلكوا وبذهاب ماله وبالمرض في بدنه ثماني عشرة سنة وعن قتادة ثلث عشرة وعن مقاتل سبعا وسبعة اشهر
وسبع ساعات وقالت له امراته يوما لو دعوت الله تعالى فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال انا استحي
من الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فلما كشف الله تعالى عنه احيا ولده ورزقه مثلهم ونوافل منهم
وروي ان امراته ولدت بعد ستة وعشرين ابنا اي لرحمتنا العابدين وانا نذكرهم بالاحسان لا ننساهم او رحمة منا
لايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما اثيب في الدنيا والآخرة **واسمعيل وادريس وذا**
الكفل كل من الصابرين وادخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين قيل في ذي الكفل هو الياس وقيل زكريا
وقيل يوشع بن نون صلوات الله عليهم وكانه سمي بذلك لانه ذو الحظ من الله تعالى والمجدود على الحقيقة وقيل كان
له ضعف عمل الانبياء في زمانه وضعف ثوابهم وقيل خمسة من الانبياء ذوو اسمين اسرائيل ويعقوب والياس وذو
الكفل وعيسى والمسيح ويونس وذو النون ومحمد واحمد **وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر**
عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك
ننجي المؤمنين النون الحوت فاضيف اليه يونس بقومه لطول ما ذكرهم فلم يذكروا واقاموا على كفرهم فراغمهم فظن
ان ذلك يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا لله تعالى وانفة لدينه وبغضا للكفر واهله وكان عليه ان يصابر وينتظر
الاذن من الله تعالى في المهاجرة عنهم فابتلي ببطن الحوت ومعنى مغاضبته لقومه انه اغضبهم بمفارقته لخوفهم
حلول العقاب عليهم عندها وقرأ ابو شرف مغضبا وقرئ نقدر ونقدر مخففا ومثقلا ويقدر بالياء بالتخفيف — بالنون صح
ويقدر ويقدر على البناء للمفعول مخففا ومثقلا وفسرت بالتضييق عليه وبتقدير الله عليه عقوبة وعن ابن
عباس رضي الله عنهما انه دخل على معوية فقال لقد ضربتني امواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم اجد لنفسي
خلاصا الا بك قال وما هي يا معوية فقرا هذه الآية فقال او يظن نبي الله ان لا يقدر عليه قال هذا من القدر
لا من القدرة والمخفف يصح ان يفسر بالقدرة على معنى ان لن نعمل فيه قدرتنا وان يكون من باب التمثيل وكانت — بمعنى صح

حاله ممثلة بحال من يظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامر الله تعالى • ويجوز ان يسبق ذلك الى وهمه
بوسوسة الشيطان • ثم يردعه ويرده بالبرهان كما يفعل المؤمن المحقق بنزغات الشيطان وما يوسوس اليه في قوله
تعالى وتظنون بالله الظنونا • والخطاب للمؤمنين في الظلمات • اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت لقوله تعالى
ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات • وقوله تعالى يخرجونهم من النور الى الظلمات • وقيل ظلمات بطن الحوت
والبحر والليل • وقيل ابتلع حوته حوت اكبر منه فحصل في ظلمتي بطني الحوتين • وظلمة البحر اي بانه لا اله الا انت
او بمعنى اي • عن النبي صلى الله عليه وسلم يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له • وعن الحسن ما نجاه الله الا اقراره على نفسه
بالظلم • ننجي • وننجي والنون لا تدغم في الجيم • ومن تمحل لصحته فجعله فعل • وقال نجي النجاء المؤمنين فارسل
الياء واسنده الى مصدره • ونصب المؤمنين بالنجاء • فمتعسف بارد التعسف وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني
فردا وانت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا
رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين سأل ربه ان يرزقه ولدا يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث ثم رد امره الى الله
تعالى مستسلما فقال وانت خير الوارثين اي ان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي فانك خير وارث اصلاح زوجه ان جعلها
صالحة للولادة بعد عقرها • وقيل تحسين خلقها وكانت سيئة الخلق الضمير للمذكورين من الانبياء يريد انهم ما
استحقوا الاجابة الى طلباتهم الا لمبادرتهم ابواب الخير ومسارعتهم في تحصيلها كما يفعل الراغبون في الامور
الجادون • وقرئ رغبا ورهبا بالاسكان • وهو كقوله تعالى يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه • خاشعين قال
الحسن ذللا لامر الله تعالى • وعن مجاهد الخشوع الخوف الدائم في القلب • وقيل متواضعين وسئل الاعمش فقال اما انه
سألت ابراهيم فقال الا تدري • قلت افدني قال بينه وبين الله تعالى • اذا ارخى ستره واغلق بابه فليرَ الله منه خيرا
لعلك ترى منه انه ان يأكل خشنا ويلبس خشنا ويطأطئ رأسه والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا
وجعلناها وابنها آية للعالمين احصنت فرجها احصانا كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت ولم يمسسني بشر
ولم اك بغيا • فان قلت نفخ الروح في الجسد عبارة عن احيائه قال الله عز وجل فاذا سويته ونفخت فيه من روحي
اي احييته واذا ثبت ذلك كان قوله تعالى فنفخنا فيها من روحنا ظاهر الاشكال لانه يدل على احياء مريم قلت
معناه نفخنا الروح في عيسى فيها اي احييناه في جوفها ونحو ذلك ان يقول الزمار نفخت في بيت فلان اي نفخت في
المزمار في بيته ويجوز ان يراد وفعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا وهو جبريل عليه الصلاة والسلام لانه نفخ في
جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها فان قلت هلا قيل آيتين كما قال تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين قلت
لان حالهما بمجموعهما آية واحدة وهي ولادتها اياه من غير فحل ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون وتقطعوا
امرهم بينهم كل الينا راجعون فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون الامة الملة
وهذه اشارة الى ملة الاسلام اي ان ملة الاسلام هي ملتكم التي يجب ان تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يشار اليها
ملة واحدة غير مختلفة وانا الهكم اله واحد • فاعبدون ونصب الحسن امتكم على البدل من هذه ورفع امة خبرا
وعنه رفعهما جميعا خبرين لهذه او نوى للثاني مبتدأ والخطاب للناس كافة والاصل وتقطعتم الا ان الكلام
حرف الى الغيبة على طريقة الالتفات كانه ينعى عليهم ما افسدوه الى آخرين ويقبح عندهم فعلهم ويقول لهم الا ترون
الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله والمعنى جعلوا امر دينهم فيما بينهم قطعا كما يتوزع الجماعة الشيء ويتقسمونه فيطير
لهذا نصيب تمثيلا لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقا واحزابا شتى ثم توعدهم بان هؤلاء الفرق المختلفة • اليه يرجعون

فهو يحاسبهم ويجازيهم في الكفران مثل في حرمان الثواب كما ان الشكر مثل في اعطائه اذا قيل لله شكور وقد نفي نفي
الجنس ليكون ابلغ من ان يقول فلا نكفر سعيه وانا له كاتبون اي نحن كاتبوا ذلك السعي ومثبتوه في صحائف عمله
وما نحن مثبتوه فهو غير ضائع ومثاب عليه صاحبه وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون حتى اذا
فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة ابصار الذين
كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين استعير الحرام للممتنع وجوده ومنه قوله ان الله تعالى حرمهما
على الكافرين اي منعهما منهم وابى ان يكونا لهم وقرئ حرم وحرم بالفتح والكسر وحرّم وحرُم ومعنى
اهلكناها عزمنا على اهلاكها او قدرنا اهلاكها ومعنى الرجوع الرجوع من الكفر الى الاسلام والانابة ومجاز
الآية ان قوما عزم الله تعالى على اهلاكهم غير متصور ان يرجعوا وينيبوا الى ان تقوم القيامة فحينئذ يرجعون يقولون
يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين يعني انهم مطبوع على قلوبهم فلا يزالون على كفرهم ويموتون عليه حتى يروا
العذاب الاليم وقرئ انهم بالكسر وحق هذا ان يتم الكلام قبله فلا بد من تقدير محذوف كانه قيل وحرام على قرية
اهلكناها ذاك وهو المذكور في الآية المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور غير المكفور ثم علل فقيل انهم
لا يرجعون عن الكفر لا يمتنع ذلك والقراءة بالفتح يصح حملها على هذا اي لانهم لا يرجعون ولا صلة على الوجه الاول
فان قلت بم تعلقت حتى واقعة غاية له وايّة الثلاث هي قلت هي متعلقة بحرام وهي غاية له لان امتناع
رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيامة وهي حتى التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكي الجملة من الشرط والجزاء اعني
اذا وما في حيزها حذف المضاف الى يأجوج ومأجوج وهو سدها كما حذف المضاف الى القرية وهو اهلها وقيل فتحت
كما قيل اهلكناها وقرئ آجوج وهما قبيلتان من جنس الانس يقال الناس عشرة اجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج
وهم راجع الى الناس المسوقين الى المحشر وقيل هم يأجوج ومأجوج يخرجون حين يفتح السد الحدب النشز من الارض
وقرأ ابن عباس رضي الله عنه من كل جدث وهو القبر الثاء حجازية والفاء تميمية وقرئ ينسلون بضم السين
ونسل وعسل اسرع واذا هي المفاجأة وهي تقع في المجازاة سادة مسد الفاء لقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا
جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد ولو قيل اذ هي شاخصة او فهي شاخصة كان سديدا هي ضمير
مبهم توضحه الابصار وتفسره كما فسر الذين ظلموا وأسروا يا ويلنا متعلق بمحذوف تقديره يقولون يا ويلنا ويقولون
في موضع الحال من الذين كفروا انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها
وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ما تعبدون من دون الله يحتمل الاصنام وابليس واعوانه
لانهم بطاعتهم لهم واتباعهم خطواتهم في حكم عبدتهم ويصدقه ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل المسجد
وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فجلس اليهم فعرض له النضر بن الحارث فكلمه النبي
صلى الله عليه وسلم فافحمه ثم تلا عليهم انكم وما تعبدون فاقبل عبد الله بن الزبعرى فرآهم يتهامسون فقال فيم
خوضكم فاخبره الوليد بن المغيرة بقول رسول الله فقال عبد الله اما والله لو وجدته لخصمته فدعوه فقال
ابن الزبعرى أانت قلت ذلك قال نعم قال قد خصمتك ورب الكعبة أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا
المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال صلى الله عليه وسلم بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله عز وجل ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى الآية يعني عزيرا والمسيح والملائكة فان قلت لم قرنوا بآلهتهم قلت لانهم لا يزالون
لمقارنتهم في زيادة غمهم وحسرتهم حيث اصابهم ما اصابهم بسببهم والنظر الى وجه العدو باب من العذاب ولانهم قدروا انهم يستشفعون

او وجدناها هالكة ح

فكيف ح

الجملة ح

بهم

بهم في الاخرة ولا ينتفعون بشفاعتهم فاذا صادفوا الامر على خلاف ما قدروا لم يكن شيء ابغض اليهم منهم فان قلت اذا
عنيت بما تعبدون الاصنام فما معنى لهم زفير قلت اذا كانوا هم واصنامهم في قرن واحد جاز ان يقال لهم زفير وان
لم يكن الزافرين الا هم دون الاصنام للتغليب ولعدم الالباس والحصب المحصوب به اي تحصب بهم في النار والحصب
الرمي وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر وقرئ حطب وحضب بالضاد متحركا وساكنا وعن ابن مسعود رضي الله
عنه يجعلون في توابيت من نار فلا يسمعون ويجوز ان يصمهم الله كما يعميهم ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها
مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم
الذي كنتم توعدون الحسنى الخصلة المفضلة في الحسن تانيث الاحسن اما السعادة واما البشرى بالثواب واما
التوفيق للطاعة يروى ان عليا رضي الله عنه قرأ هذه الاية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة
والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف رضوان الله عليهم اجمعين ثم اقيمت الصلاة فقام
يجر رداءه وهو يقول لا يسمعون حسيسها والحسيس الصوت الذي يحس والشهوة طلب النفس اللذة وقيل
يحزنهم من اخرت والفزع الاكبر قبل النفخة الاخيرة لقوله تعالى يوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض
وعن الحسن رحمه الله عليه الانصراف الى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل يذبح الموت على صورة كبش
املح اي تستقبلهم الملائكة مهنئين على ابواب الجنة ويقولون هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم ندخل يوم نطوي السماء
كطي السجل للكتاب كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين العامل في نطوي لا يحزنهم او الفزع او تتلقاهم
وقرئ تطوى السماء على البناء للمفعول والسجل بوزن العتل والسجل بلفظ الدلو وروي فيه الكسر وهو الصحيفة اي كما يطوى
الطومار للكتابة اي ليكتب فيه لان الكتاب اصله المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب ومن جمع فمعناه للمكتوبات
اي لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة وقيل نعيد الذي يفسره نعيده والكاف مكفوفة بما والمعنى نعيد اول الخلق كما بدأناه
تشبيها للاعادة بالابتداء في تناول القدرة لهما على السواء فان قلت وما اول الخلق حتى يعيده كما بداه قلت اوله ايجاده
عن العدم فكما اوجده اولا عن عدم يعيده ثانيا عن عدم فان قلت ما بال خلق منكرا قلت هو كقولك هو اول
رجل جاءني تريد اول الرجال ولكنك وحدته ونكرته ارادة تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك معنى اول خلق بمعنى
اول الخلائق لان الخلق مصدر لا يجمع ووجه آخر وهو ان ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة
اي نعيد مثل الذي بدأناه نعيده واول خلق ظرف لبدأناه اي اول ما خلق او حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ
الثابت في المعنى وعدا مصدر مؤكد لان قوله تعالى نعيده عدة للاعادة انا كنا فاعلين اي قادرين على ان نفعل
ذلك ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين
عن الشعبي رحمه زبور داود والذكر التورية وقيل اسم لجنس ما انزل على الانبياء من الكتب والذكر ام الكتاب
يعني اللوح اي يرثها المؤمنون بعد اجلاء الكفار كقوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق
الارض ومغاربها وقال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين
وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي ارض الجنة وقيل الارض المقدسة يرثها امة محمد صلى الله عليه وسلم الاشارة الى المذكور
في هذه السورة من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة والبلاغ الكفاية وما يبلغ به البغية وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون فان تولوا فقل آذنتكم على سواء وان ادري اقريب
ام بعيد ما توعدون ارسل صلوات الله عليه وسلم رحمة للعالمين لانه جاء بما يسعدهم ان اتبعوه ومن خالفه ولم يتبع فانما اتى

السجل ملك يطوي كتب بني آدم اذا رفعت ... وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه ... والكتاب على هذا اسم الصحيفة ... طيّ ...

اول الخلق

تي عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها ومثاله ان يفجر الله عينا غديقة فيسقي ناس زروعهم ومواشيهم بمائها فيفلحوا ويبقى
ناس مفرطون عن السقي فيضيعوا فالعين المفجرة في نفسها نعمة من الله تعالى ورحمة للفريقين ولكن الكسلان محنة
على نفسه حيث حرمها ما ينفعها وقيل كونه رحمة للفجار من حيث ان عقوبتهم اخرت بسببه وامنوا به عذاب الاستيصال
انما لقصر الحكم على شيء او لقصر الشيء على حكم كقولك انما زيد قائم وانما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان في هذه الآية
لأن انما يوحى الي مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما الهكم اله واحد بمنزلة انما زيد قائم وفائدة اجتماعهما الدلالة
على ان الوحي الى رسول الله عليه الصلاة والسلام على استيثار الله تعالى بالوحدانية وفي قوله تعالى فهل انتم مسلمون ان الوحي
الوارد على هذا السنن موجب ان تخلصوا التوحيد لله تعالى وان تخلعوا الانداد وفيه ان صفة الوحدانية يصح ان يكون
طريقها السمع ويجوز ان يكون المعنى ان الذي يوحى الي فيكون ما موصولة آذن منقول من أذن اذا علم ولكنه كثر استعماله
في الجري مجرى الانذار ومنه قوله عز وعلا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وقول ابن حلزة آذنتنا ببينها اسماء
والمعنى اني بعد توليكم واعراضكم عن قبول ما عرض عليكم من وجوب توحيد الله تعالى وتنزيهه عن الانداد والشركاء كرجل
بينه وبين اعدائه هدنة فاحس منهم بغدرة فنبذ اليهم العهد وشهر النبذ واشاعه وآذنهم جميعا بذلك على سواء اي مستوين في
الاعلام به لم يطوه عن احد منهم وكاشف كلهم وقشر العصا عن لحائها وما توعدونه من غلبة المسلمين عليكم كائن لا محالة
ولا بد من ان يلحقكم بذلك الذلة والصغار وان كنت لا ادري متى يكون ذلك لأن الله تعالى لم يعلمني علمه ولم يطلعني عليه
انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين قال رب احكم بالحق وربنا
الرحمن المستعان على ما تصفون والله عالم لا يخفى عليه ما تجاهرون به من كلام الطعانين في الاسلام وما تكتمونه في
صدوركم من الاحن والاحقاد للمسلمين وهو مجازيكم عليه وما ادري لعل تاخير هذا الموعد امتحان لكم لينظر
كيف تعملون او تمتيع لكم الى حين ليكون ذلك حجة عليكم وليقع الموعد في وقت هو فيه حكمة قرئ قل وقال
على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ورب احكم على الاكتفاء بالكسرة ورب احكم بالضم وربي احكم على افعل
التفضيل وربي احكم بالاحكام امر باستعجال العذاب لقومه فعذبوا ببدر ومعنى بالحق لا تحابهم وشدد عليهم كما هو
حقهم كما قال اشدد وطأتك على مضر قرئ تصفون بالتاء والياء كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا
يطمعون ان تكون لهم الشوكة والغلبة فكذب الله تعالى ظنونهم وخيب آمالهم ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين وخذلهم قال صلى الله عليه وسلم من قرأ اقترب للناس حسابهم حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه
كل نبي ذكر اسمه في القرآن

سورة الحج مكية | بسم الله الرحمن الرحيم | وهي سبعون وخمس آيات

يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم الزلزلة شدة التحريك والازعاج وان يضاعف زليل الاشياء
عن مقارها ومراكزها ولا تخلو الساعة من ان تكون على تقدير الفاعلة لها كأنها هي التي تزلزل الاشياء على المجاز الحكمي
فتكون الزلزلة مصدرا مضافا الى فاعله او على تقدير المفعول فيها على طريقة الاتساع في الظرف واجرائه مجرى
المفعول به كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة في قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها
واختلف في وقتها فعن الحسن انها تكون يوم القيامة وعن علقمة والشعبي عند طلوع الشمس من مغربها امر بني آدم بالتقوى

نو

ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها بأهول صفة لينظروا إلى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم حتى يبقوا على أنفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما أمرهم به ربهم من التردي بلباس التقوى التي لا يؤمنهم من تلك الأفزاع إلا أن يتردوا به **يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد** روي أن هذين الآيتين نزلتا ليلاً في غزوة المصطلق فقرأهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير أكثر باكياً من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدراً وكانوا من بين حزين وباك ومفكر • يوم ترونها منصوب بتذهل والضمير للزلزلة • وقرئ تُذهَل كل مرضعة على البناء للمفعول وتُذهِل كل مرضعة أي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الأمر مع دهشة فإن قلت لم قيل مرضعة دون مرضع قلت المرضعة التي هي في حال الإرضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع التي شأنها أن ترضع لما يلحقها من الدهشة عما أرضعت عن إرضاعها أو عن الذي أرضعته وهو الطفل • وعن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام • وقرئ وترى بالضم من أريتك قائماً أو الناس منصوب ومرفوع والنصب ظاهر ومن رفع جعل الناس اسم ترى وأنثه على تأويل الجماعة وقرئ سكرى وبسكرى • وهو نظير جوعى وعطشى في جوعان وعطشان • وسكارى نحو كسالى وعجالى وعن الأعمش سُكرى وبسُكرى بالضم وهو غريب • والمعنى وتراهم سكارى على التشبيه • وما هم بسكارى على التحقيق • ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله هو الذي أذهب عقولهم وطيّر تمييزهم وردّهم في نحو حال من يذهب السكر بتمييزه وقيل وتراهم سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب فإن قلت لم قيل أولاً ترون ثم قيل ترى على الإفراد قلت لأن الرؤية أولاً علقت بالزلزلة فجعل الناس جميعاً رائين لها وهي معلقة أخيراً بكون الناس على حال السكر فلا بد أن يجعل كل واحد منهم رائياً لسائرهم **ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير** قيل نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلاً يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين والله غير قادر على إحياء من بلي وصار تراباً وهي عامة في كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله تعالى وما لا يجوز من الصفات والأفعال ولا يرجع إلى علم ولا يعض فيه بضرس قاطع وليس فيه اتباع للبرهان ولا نزول على النصفة فهو يخبط خبط عشواء غير فارق بين الحق والباطل ويتبع في ذلك خطوات الشيطان عاتٍ علم من حاله وظهر وتبين أنه من جعله ولياً له لم تثمر له ولايته إلا الإضلال عن طريق الجنة والهداية إلى النار • وما أرى رؤساء أهل الأهواء والبدع والحشوية المتلقبين بالأئمة في دين الله إلا داخلين تحت كل هذا دخولاً أولياً بل هم أشد للشياطين إضلالاً وأقطعهم لطريق الحق تدوّنوا الضلال تدويناً ولقنوه أشياعهم وكأنهم ساطوه بلحومهم ودمائهم وإياهم عنى من قال

وبادٍ مقفوّ الخطى بين قومه • طريق نجاة عندهم مستوٍ نهج
ولو قرؤا في اللوح ما خطّ فيه • من بيان اعوجاج في طريقته عجّوا

اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح الذي رضيته لملائكتك في سماواتك وأنبيائك في أرضك وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين والكتب عليه مثل أي كأنما كتب إضلال من تولاه عليه ورقم به لظهور ذلك • وقرئ أنه فأنه بالفتح والكسر فمن فتح فلأن الأول فاعل كتب والثاني عطف عليه ومن كسر فعلى حكاية المكتوب كما هو كأنما كتب عليه هذا كما تقول كتبت إن الله هو الغني الحميد أو على تقدير قيل أو على أن كتب فيه معنى القول • والله سبحانه وتعالى أعلم

[illegible]

يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير
مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم
من يرد إلى أرذل العمر الحي ومن البعث بالتحريك ونظيره الجلب والطرد في الجلب والطرد كأنه قيل إن
ارتبتم في البعث فمزيل ريبكم أن تنظروا في بدء خلقكم والعلقة قطعة الدم الجامدة والمضغة اللحمة الصغيرة
قدر ما يمضغ والمخلقة المسواة الملساء من النقصان والعيب يقال خلق السواك والعود إذا سواه وملسه
من قولهم صخرة خلقاء إذا كانت ملساء كأن الله يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب
ومنها ما هو دون ذلك على عكس ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وإنما نقلناكم
من حالة إلى حالة ومن خلقة إلى خلقة لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وأن من قدر على خلق البشر من
تراب أولا ثم من نطفة ثانيا ولا تناسب بين التراب والماء وقدر على أن يجعل النطفة علقة وبينهما تباين
ظاهر ثم يجعل العلقة مضغة والمضغة عظاما قدر على إعادة ما أبداه بل هذا أدخل في القدرة من تلك وأهون
في القياس وورود الفعل غير معدى إلى المبين إعلام بأن أفعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ما لا تكتنهه الذكر
ولا يحيط به الوصف وقرأ ابن أبي عبلة ليبين لكم ويقر بالياء وقرئ ونقر ونخرجكم بالنون والنصب
ويقر ويخرجكم بالنصب والرفع وعن يعقوب نقر بالنون وضم القاف من قر الماء إذا صبه والقراءة بالرفع إخبار
بأنه يقر في الأرحام ما يشاء أن يقره من ذلك إلى أجل مسمى وهو وقت الوضع آخره ستة أشهر أو تسعة أو سنتين
أو أربع أو كما شاء وقدر وما لم يشأ إقراره مجته الأرحام أو أسقطته والقراءة بالنصب تعليل معطوف على تعليل
ومعناه خلقناكم مدرجين هذا التدريج لغرضين أحدهما أن نبين قدرتنا والثاني أن نقر في الأرحام من نقر
حتى يولدوا وينشؤوا ويبلغوا حد التكليف فأكلفهم ويعضد هذه القراءة قوله تعالى ثم لتبلغوا أشدكم وحده
لأن الغرض الدلالة على الجنس ويحتمل نخرج كل واحد منكم طفلا والأشد كمال القوة والعقل والتمييز وهو من ألفاظ
الجموع التي لم يستعمل لها واحد كالأسنة والقيود وغير ذلك وكأنها شدة في غير شيء واحد فبنيت لذلك على لفظ
الجمع ومنكم من يتوفى أي يتوفاه الله أرذل العمر الهرم والخرف حتى يعود كهيئته الأولى في أوان طفولته
ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم بين أنه كما قدر على أن يرقيه في درجات الزيادة حتى يبلغه حد التمام
فهو قادر على أن يحطه حتى ينتهي به إلى الحالة السفلى لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فإذا
أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج لكيلا يعلم من بعد علم شيئا أي ليصير نساء
بحيث إذا كسب علما في شيء لم ينشب أن ينساه ويزل عنه علمه حتى يسأل عنه من ساعته يقول لك من هذا
فتقول فلان فما يلبث لحظة إلا سألك عنه وقرأ أبو عمرو بسكون الميم هامدة ميتة يابسة
وهذه دلالة ثانية على البعث ولظهورها ولكونها مشاهدة معاينة كررها الله تعالى في كتابه اهتزت
وربت تحركت بالنبات وانتفخت وقرئ ربأت أي ارتفعت بهيج حسن سار للناظرين إليه ذلك
بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور
أي ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم وإحياء الأرض مع ما في تضاعيف ذلك من أصناف الحكم واللطائف حاصل بهذا
وهو السبب في حصوله ولولاه لم يتصور كونه وهو أن الله هو الحق أي الثابت الموجود وأنه قادر على إحياء الموتى
وعلى كل شيء مقدور وأنه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلابد أن يفي بما وعد ومن الناس من

يجادل

من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيمة
عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وان الله ليس بظلام للعبيد عن ابن عباس رضي الله عنهما انه ابو جهل بن هشام
وقيل تكرر كما تكررت الاقاصيص وقيل الاول في المقلدين وهذا في المقلدين والمراد بالعلم العلم الضروري
وبالهدى الاستدلال والنظر لانه يهدي الى المعرفة وبالكتاب المنير الوحي اي يجادل بظن وتخمين لا باحد هذه الثلثة
وثني العطف عبارة عن الكبر والخيلاء كتصعير الخد ولي الجيد وقيل عن الاعراض عن الذكر وعن الحسن رحمه الله رحمة واسعة
ثاني عطفه بفتح العين اي مانع تعطفه ليضل تعليل للمجادلة قرئ بضم الياء وفتحها فان قلت ما كان غرضه من جداله
الضلال عن سبيل الله فكيف علل به وما كان ايضا مهتديا حتى اذا جادل خرج بالجدال من الهدى الى الضلال
قلت لما ادى جداله الى الضلال جعل كانه غرضه ولما كان الهدى معرضا له فتركه واعرض عنه واقبل على
الجدال بالباطل جعل كالخارج من الهدى الى الضلال وخزيه ما اصابه يوم بدر من الصغار والقتل والسبب فيما مني به
من خزي الدنيا وعذاب الآخرة هو ما قدمت يداه وعدل الله في معاقبة الفجار واثابته الصالحين ومن يعبد الله
على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين
على حرف على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمأنينة
كالذي يكون على طرف من العسكر فان احس بظفر وغنيمة قر واطمأن والا فر وطار على وجهه نزلت في اعاريب قدموا المدينة
وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امراته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ
دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد
اصابته مصابه ح
الخدري ان رجلا من اليهود اسلم فتشاءم بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقلني فقال ان الاسلام لا يقال
فنزلت المصاب بالمحنة بترك التسليم لقضاء الله والخروج الى ما يسخط الله جامع على نفسه محنتين احديهما
ذهاب ما اصيب به والثانية ذهاب ثواب الصابرين فهو خسران الدارين وقرئ خاسر الدنيا والآخرة
بالنصب والرفع والنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع المضمر وهو وجه حسن او على انه
خبر مبتدا محذوف يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد يدعو لمن ضره اقرب
من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير استعير الضلال البعيد من ضلال من ابعد في التيه ضالا فطالت وبعدت
مسافة ضلالته فان قلت الضر والنفع منفيان عن الاصنام مثبتان لها في الآيتين وهذا تناقض قلت
اذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى سفه الكافر بانه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد
فيه بجهله وضلاله انه يستنفع به حين يستشفع به ثم قال تعالى يوم القيمة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين
يرى استضراره بالاصنام ودخوله النار بعبادتها ولا يرى الشفاعة التي ادعاها لها لمن ضره اقرب
من نفعه بكونه شفيعا لبئس المولى وفي حرف عبد الله من ضره بغير لام والمولى الناصر والعشير الصاحب
كقوله تعالى فبئس القرين ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان
الله يفعل ما يريد من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر
هل يذهبن كيده ما يغيظ هذا كلام قد دخله اختصار والمعنى ان الله تعالى ناصر رسوله في الدنيا والآخرة
فمن كان يظن من حاسديه واعاديه ان الله يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه ويغيظه انه يظفر بمطلوبه فليستقص
وسعه وليستفرغ مجهوده في ازالة ما يغيظه بان يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلا الى سمائه

والاختناق فلينظر ويتصور في نفسه إن فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه وسمي الاختناق قطعا لأن المختنق
يقطع نفسه بحبس مجاريه ومنه قيل للبهر القطع وسمي فعله كيدا لأنه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره
أو على سبيل الاستهزاء لأنه لم يكد به محسوده إنما كاد به نفسه والمراد ليس في يده إلا ما ليس بمذهب لما يغيظ وقيل فليمدد
بحبل إلى السماء المظلة وليصعد عليه فليقطع الوحي أن ينزل عليه وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم
على المشركين يستبطئون ما وعد الله تعالى واحد من المشركين يريدون اتباعه ويخشون أن لا يثبت أمره فنزلت وقد
فسر النصر بالرزق وقيل معناه أن الأرزاق بيد الله تعالى لا تنال إلا بمشيئته ولا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن أن
الله غير رازقه وليس به صبر واستسلام فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فإن ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقا
وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدي من يريد أي ومثل ذلك الإنزال أنزلنا القرآن كله آيات بينات
ولأن الله يهدي به الذين يعلم أنهم يؤمنون أو يثبت الذين آمنوا ويزيدهم هدى أنزله كذلك مبينا إن الذين آمنوا
والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء
شهيد الفصل مطلق يحتمل الفصل بينهم في الأحوال والأماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم
في موطن واحد وقيل الأديان خمسة أربعة للشيطان وواحد للرحمن جعل الصابئون مع النصارى لأنهم نوع منهم
وقيل يفصل بينهم يقضي بينهم أي بين المؤمنين والكافرين وأدخلت إن على كل واحد من جزأي الجملة لزيادة التأكيد
ونحوه قول جرير ، إن الخليفة إن الله سربله ، سربال ملك به ترجى الخواتيم ،
ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس
وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء سميت مطاوعتها له فيما يحدث
فيها من أفعاله تعالى ويجريها عليه من تدبيره لها سجودا له تشبيها لمطاوعتها بإدخال أفعال المكلف في باب الطاعة
والانقياد وهو السجود الذي كل خضوع دونه فإن قلت فما تصنع بقوله وكثير من الناس وبما فيه من الاعتراضين
أحدهما أن السجود على المعنى الذي فسرته به لا يسجده بعض الناس دون بعض والثاني أن السجود قد أسند على سبيل العموم
إلى من في الأرض من الإنس والجن أولا فإسناده إلى كثير منهم آخرا مناقضة قلت لا أنظم كثيرا في المفردات
المتناسقة الداخلة تحت حكم الفعل وإنما أرفعه بفعل مضمر يدل عليه قوله تعالى يسجد أي ويسجد له كثير من
الناس سجود طاعة وعبادة ولم أقل أفسر يسجد الذي هو ظاهر بمعنى الطاعة والعبادة في حق هؤلاء لأن اللفظ
الواحد لا يصح استعماله في حالة واحدة على معنيين مختلفين أو أرفعه على الابتداء والخبر محذوف وهو مثاب لأن
خبر مقابله يدل عليه وهو قوله تعالى حق عليه العذاب ويجوز أن يجعل من الناس خبرا له أي من الناس الذين هم
الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون ويجوز أن يبالغ في تكثير المحقوقين بالعذاب فيعطف كثير على كثير ثم
يخبر عنهم بحق عليهم العذاب كأنه قيل وكثير وكثير من الناس حق عليهم العذاب وقرئ حقا أي حق عليهم
العذاب حقا ومن أهانه الله بأن كتب عليه الشقاوة لما سبق في علمه من كفره أو فسقه فقد بقي مهانا لن تجد
له مكرما وقرئ مكرم بفتح الراء بمعنى الإكرام إنه يفعل ما يشاء من الإكرام والإهانة ولا يشاء من ذلك
إلا ما يقتضيه عمل العاملين واعتقاد المعتقدين هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم
ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد الخصم صفة وصف
بها الفوج أو الفريق فكأنه قيل هذان فوجان أو فريقان يختصمان وقوله تعالى هذان للفظ واختصموا للمعنى كقوله

تعالى

تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك ولو قيل هؤلاء خصمان او اختصما جاز يراد المؤمنون والكافرون قال ابن
عباس رضي الله عنهما رجع الى اهل الاديان الستة في ربهم اي في دينه وصفاته وروي ان اهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن احق
بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله منكم آمنا بمحمد وآمنا بنبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم
تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسدا فهذه خصومتهم في ربهم فالذين كفروا هو فصل الخصومة المعني بقوله تعالى
ان الله يفصل بينهم يوم القيمة وفي رواية عن الكسائي خصمان بالكسر وقرئ قطعت بالتخفيف كان الله تعالى يقدر
لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم اشتمال الثياب الملبوسة ويجوز ان تظاهر على كل واحد منهم تلك النيران
كالثياب المظاهرة على اللابس بعضها فوق بعض ونحوه سرابيلهم من قطران ه الحميم الماء الحار ه عن ابن عباس رضي
الله عنهما لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لاذابتها ه يصهر يذاب وعن الحسن رحمة الله عليه بتشديد الهاء
للمبالغة اي اذا صب الحميم على رؤوسهم كان تاثيره في الباطن نحو تاثيره في الظاهر فيذيب امعاءهم واحشاءهم كما يذيب
جلودهم وهو ابلغ من قوله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم ه مقامع سياط في الحديث لو وضعت مقمعة
منها في الارض فاجتمع عليها الثقلان ما اقلوها كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وذوقوا عذاب
الحريق وقرأ الاعمش ردوا فيها والاعادة والرد لا يكون الا بعد الخروج فالمعنى كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم فخرجوا
اعيدوا فيها ومعنى الخروج ما يروى عن الحسن ان النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا بالمقامع
فهووا فيها سبعين خريفا وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق والحريق الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك ان الله يدخل
الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم
فيها حرير يحلون عن ابن عباس رضي الله عنهما من حليت المرأة فهي حال ولؤلؤا بالنصب على ويؤتون لؤلؤا المدني وعاصم
وحورا عينا ولولوا بقلب الهمزة الثانية واوا ولؤليا بقلبهما واوين ثم بقلب الثانية ياء كادل في ادلو فيمن جر ولؤلؤ
ولؤليا بقلبهما ياءين وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد عن ابن عباس رضي الله عنه والهمهم الله
ان يقولوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وهداهم الى طريق الجنة ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله ه
والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم
يقال فلان يحسن الى الفقراء وينعش المضطهدين لا يراد حال ولا استقبال وانما يراد استمرار وجود الاحسان
منه والنعشة في جميع ازمنته واوقاته ومنه قوله تعالى ويصدون عن سبيل الله اي الصد ومنهم مستمر
دائم للناس اي للذين يقع عليهم اسم الناس من غير فرق بين حاج وباد وثاو وطارئ ومكي وآفاقي وقد
استشهد به اصحاب ابي حنيفة رحمة الله عليه قائلين ان المراد بالمسجد الحرام مكة على امتناع جواز دور مكة
واجارتها وعند الشافعي رضي الله لا يمتنع ذلك وقد حاور اسحق بن راهويه فاحتج بقوله الذين اخرجوا
من ديارهم وقد نسب الديار الى مالكيها او غير مالكيها واشترى عمر بن الخطاب رضي الله عنه دار السجن من مالكيه
او غير مالكيه سواء بالنصب قراءة حفص والباقون على الرفع ووجه النصب انه ثاني مفعولي جعلناه اي جعلناه
مستويا العاكف فيه والباد وفي قراءة الرفع الجملة مفعول ثان الالحاد العدول عن القصد واصله الحاد
الحافر وقوله بالحاد بظلم حالان مترادفان ومفعول متروك ليتناول كل متناول كانه قال ومن يرد
فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما نذقه من عذاب اليم يعني ان الواجب على من كان فيه ان يضبط نفسه ويسلك
عن طريق السداد والعدل في جميع ما يهم به ويقصده وقيل الالحاد في الحرم منع الناس عن عمارته وعن سعيد بن جبير

الاحتكار • وعن عطا قول الرجل في المبايعة لا والله بلى والله • وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه كان له فسطاطان احدهما
في الحل والاخر في الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم في الحل فقيل له فقال كنا نحدث ان من الالحاد فيه ان يقول
الرجل لا والله وبلى والله • وقرئ يرد بالياء من الورود ومعناه من اتى فيه بالحاد ظالما • وعن الحسن رحمة الله عليه ومن يرد
الحاده بظلم اراد الحادا فيه فاضافه على الاتساع في الظرف كمكر الليل ومعناه من يرد ان يلحد فيه ظالما وخبر ان محذوف
لدلالة جواب الشرط عليه • تقديره ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام نذيقهم من عذاب اليم وكل من ارتكب
فيه ذنبا فهو كذلك **واذ بوانا لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود**
واذكر حين جعلنا لابراهيم مكان البيت مباءة اي مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة رفع البيت الى السماء ايام الطوفان
وكان من ياقوتة حمراء • فاعلم الله تعالى ابرهيم عليه الصلاة والسلام مكانه بريح ارسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله
فبناه على اسه القديم وان هي المفسرة فان قلت كيف يكون النهي عن الشرك والامر بتطهير البيت تفسيرا للتبوية
قلت كانت التبوية مقصودة من اجل العبادة فكانه قيل تعبدنا ابرهيم قلنا له لا تشرك بي شيا وطهر بيتي
من الاصنام والاوثان والاقذار • ان تطرح حوله • وقرئ يشرك بالياء على الغيبة **واذن في الناس بالحج ياتوك**
رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق واذن في الناس ناد فيهم • وقرا ابن محيصن واذن والندا في الحج ان يقول
حجوا او عليكم بالحج • روي انه صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم وعن الحسن رحمة الله انه خطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم امر ان يفعل ذلك في حجة الوداع • رجالا مشاة جمع راجل كقائم وقيام • وقرئ رجالا
بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى • عن ابن عباس رضي الله عنهما • وعلى كل ضامر حال معطوفة على حال
كانه قيل رجالا وركبانا • ياتين صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع • وقرئ ياتون صفة للرجال والركبان والعميق
البعيد وقرا ابن مسعود معيق يقال بير بعيدة العميق والمعيق **ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات**
على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البايس الفقير نكر المنافع لانه اراد منافع مختصة بهذه
العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادات • عن ابي حنيفة رحمة الله عليه انه كان يفاضل بين العبادات
قبل ان يحج فلما حج فضل الحج على العبادات كلها لما شاهد من تلك الخصائص يذكر اسمه يذكر الله وقد حسن الكلام
تحسينا بينا ان جمع بين قوله ليذكروا اسم الله وقوله على ما رزقهم • ولو قيل لينحروا في ايام معلومات بهيمة
الانعام لم تر شيا من ذلك الحسن والروعة في ايام معلومات الايام المعلومات ايام العشر عند ابي حنيفة
رحمة الله عليه • وهو قول الحسن وقتادة • وعند صاحبيه ايام النحر البهيمة مبهمة في كل ذات اربع في البر والبحر
فبينت بالانعام وهي الابل والبقر والضان والمعز الامر بالاكل منها • امر اباحة لان اهل الجاهلية
كانوا لا ياكلون من نسايكهم ويجوز ان يكون ندبا لما فيه من مساواة الفقرا ومواساتهم • ومن استعمال التواضع
ثم استحب الفقهاء ان ياكل الموسع من اضحيته مقدار الثلث • وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه بعث بهدي وقال
فيه اذا نحرته فكل وتصدق • وابعث منه الى عتبة يعني ابنه • وفي الحديث كلوا وادخروا وائتجروا •
البايس الذي اصابه بوس اي شدة والفقير الذي اضعفه الاعسار **ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم**
وليطوفوا بالبيت العتيق قضاء التفث قص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد • والتفث
الوسخ فالمراد قضاء ازالة التفث • وقرئ وليوفوا بتشديد الفاء نذورهم مواجب حجهم او ما عسى
ينذرونه من اعمال البر في حجهم وليطوفوا طواف الافاضة • وهو طواف الزيارة الذي هو من اركان الحج ويقع

بلغ مقابلة

تمام

بلغ مقابلة

تمام التحلل وقيل طواف الصدر وهو طواف الوداع • العتيق القديم لأنه أول بيت وضع للناس • وعن الحسن وعن قتادة اعتق من الجبابرة • كم جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله تعالى • وعن مجاهد لم يملك قط • وعن مجاهد اعتق من الغرق وقيل بيت كريم من قولهم عتاق الخيل والطير • فان قلت قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع قلت ما قصد التسلط على البيت وانما تحصن به ابن الزبير رحمه الله فاحتال لاخراجه ثم بناه ولما قصد التسلط عليه ابرهة فعل به ما فعل • ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور ذلك خبر مبتدأ محذوف اي الأمر والشأن ذلك كما يقدم الكاتب جملة من كتابه في بعض المعاني ثم اذا اراد الخوض في معنى آخر قال هذا وقد كان كذا • والحرمة ما لا يحل هتكه • وجميع ما كلفه الله عز وجل بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها • فيحتمل ان يكون عاما • في جميع تكاليفه ويحتمل ان يكون خاصا فيما يتعلق بالحج • وعن زيد بن اسلم • الحرمات خمس • الكعبة البيت الحرام • والمسجد الحرام • والبلد الحرام • والشهر الحرام والمحرم حتى يحل فهو خير له • اي فالتعظيم خير له • ومعنى التعظيم العلم بأنها واجبة المراعاة والحفظ • والقيام بمراعاتها • المتلو لا يستثنى من الانعام • ولكن المعنى الا ما يتلى عليكم آية تحريمه قوله تعالى في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم • والمعنى ان الله تعالى قد احل لكم الانعام كلها الا ما استثناه في كتابه فحافظوا على حدوده واياكم ان تحرموا مما احل الله شيأ • كتحريم عبدة الأوثان • البحيرة والسائبة وغير ذلك • وان تحلوا مما حرم كاحلالهم أكل الموقوذة • والميتة وغير ذلك • لما حث على تعظيم حرماته واحمد من يعظمها باجتناب الأوثان وقول الزور لان توحيد الله ونفي الشركاء وصدق القول اعظم الحرمات واسبقها خطوا • وجمع الشرك وقول الزور في قران واحد وذلك ان الشرك من باب الزور لان المشرك زاعم ان الوثن تحق له العبادة فكأنه قال فاجتنبوا عبادة الأوثان التي هي رأس الزور • واجتنبوا قول الزور كله لا تقربوا شيأ منه لتماديه في القبح والسماجة وما ظنك بشيء من قبيله عبادة الأوثان • وسمى الأوثان رجسا • وكذلك الخمر والميسر • والأزلام على طريق التشبيه • يعني انكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس وتجتنبونه فعليكم ان تنفروا عن هذه الأشياء مثل تلك النفرة ونبه على هذا المعنى بقوله تعالى رجس من عمل الشيطان • فاجتنبوه جعل العلة في اجتنابه انه رجس والرجس مجتنب من الأوثان بيان للرجس وتمييز له كقولك عندي عشرون من الدراهم لأن الرجس مبهم يتناول غير شيء كأنه قيل فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان • والزور من الزور • وهو الانحراف كما ان الإفك من افكه اذا صرفه • وقيل قول الزور قولهم هذا حلال وهذا حرام • وما اشبه ذلك من افترائهم • وقيل شهادة الزور • عن النبي صلى الله عليه وسلم انه صلى الصبح فلما سلم قام قائما • واستقبل الناس بوجهه • وقال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله • عدلت شهادة الزور الاشراك بالله • عدلت شهادة الزور الاشراك بالله • وتلا هذه الآية • وقيل الكذب والبهتان • وقيل قول اهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك • حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق يجوز في هذا التشبيه ان يكون من المركب والمفرق فان كان تشبيها مركبا فكأنه قال من اشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس بعده بان صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق مزعا في حواصلها • او عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة • وان كان مفرقا فقد شبه الايمان في علوه بالسماء • والذي ترك الايمان واشرك بالله بالساقط من السماء • والأهواء التي تتوزع افكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة • وفي فتخطفه

وبكسر الخاء والطاء وبكسر التاء مع كسرهما وهي قراءة الحسن واصلها تختطفه وقرئ الرياح ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها
من تقوى القلوب تعظيم الشعائر وهي الهدايا لانها من معالم الحج ان يختارها عظام الاجرام حسانا سمانا غالية الاثمان
ويترك المكاس في شرائها فقد كانوا يغالون في ثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدي والاضحية والرقبة • وروى ابن
عمر عن ابيه رضي الله عنهما انه اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعها و
يشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها واهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فيها جمل
لابي جهل في انفه برة من ذهب وكان ابن عمر رضي الله عنهما يسوق البدن مجللة بالقباطي فيتصدق بلحومها وجلالها
ويعتقد ان طاعة الله في التقرب بها واهدائها الى بيته المعظم امر عظيم لابد ان يقام به ويسارع فيه فانها
من تقوى القلوب • اي فان تعظيمها من تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها لانه
لابد من راجع الى الجزاء الى من ليرتبط به وانما ذكرت القلوب لانها مراكز التقوى التي اذا ثبتت وتمكنت ظهر اثرها
في سائر الاعضاء لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق الى اجل مسمى الى ان تنحر ويتصدق بلحومها
ويؤكل منها وثم للتراخي في الوقت فاستعير للتراخي في الاحوال والمعنى ان لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم وانما يعتد
الله بالمنافع الدينية قال الله تعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة واعظم هذه المنافع وابعدها شوطا
في النفع • محلها الى البيت العتيق • اي وجوب نحرها او وقت وجوب نحرها منتهية الى البيت لقوله تعالى
هديا بالغ الكعبة • والمراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت لان الحرم هو حريم البيت ومثل هذا في الاتساع
قولك بلغنا البلد وانما شارفته واتصل مسيرك بحدوده • وقيل المراد بالشعائر المناسك كلها ومحلها الى البيت العتيق
يأباه ولكل امة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام شرع الله تعالى لكل امة ان ينسكوا
له اي يذبحوا لوجهه على وجه التقرب وجعل العلة في ذلك ان يذكر اسمه تقدست اسماؤه وقرئ منسكا بفتح السين
وكسرها وهو مصدر بمعنى النسك والمكسور يكون بمعنى الموضع فالهكم اله واحد فله اسلموا فله اخلصوا اي اخلصوا له الذكر
خاصة واجعلوه لوجهه سالما اي خالصا لا تشوبوه باشراك وبشر المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين
على ما اصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون الذين المخبتين المتواضعين الخاشعين من الخبت وهو المطمئن
من الارض • وقيل هم الذين لا يظلمون • واذا ظلموا لا ينتصرون • وقرأ الحسن رحمة الله عليه والمقيمي الصلاة بالنصب على
تقدير النون • وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه • والمقيمين الصلاة على الاصل والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها
خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر البدن جمع بدنة
سميت لعظم بدنها وهي الابل خاصة ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم الحق البقر بالابل حين قال البدنة عن سبعة والبقرة
عن سبعة فجعل البقر في حكم الابل صارت البدنة في الشريعة متناولة للجنسين عند ابي حنيفة واصحابه رحمة الله عليهم
والا فالبدن هي الابل وعليه تدل الآية وقرأ الحسن والبدن بضمتين كثمر في جمع ثمرة وابن ابي اسحق بضمتين وتشديد
النون على لفظ الوقف وقرئ بالنصب والرفع كقوله تعالى والقمر قدرناه من شعائر الله اي من اعلام الشريعة التي
شرعها الله تعالى واضافها الى اسمه تعظيما لها لكم فيها خير كقوله تعالى لكم فيها منافع كقوله تعالى ومن شأن
الحاج • ان يحرص على شيء فيه خير ومنافع بشهادة الله تعالى • عن بعض السلف انه لم يملك الا تسعة دنانير فاشترى
بها بدنة فقيل له في ذلك فقال سمعت ربي يقول لكم فيها خير • وعن ابن عباس رضي الله عنهما دنيا وآخرة • وعن ابرهيم
من احتاج الى ظهرها ركب ومن احتاج الى لبنها شرب وذكر اسم الله ان يقول عند النحر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر

اللهم منك وإليك. صوافَّ قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن. وقرئ صوافن من صفن الفرس وهو أن يقوم على ثلث
وينصب الرابعة على طرف سنبكه لأن البدنة تعقل إحدى يديها فتقوم على ثلث. وقرئ صوافي أي خوالص لوجه
الله تعالى. وعن عمرو بن عبيد صوافناً بالتنوين عوضاً من حرف الإطلاق عند الوقف. وعن بعضهم صوافٍ نحو مثل العرب
أعط القوس باريها بسكون الياء. ووجوب الجنوب وقوعها على الأرض من وجب الحائط وجبةً إذا سقط ووجبت الشمس
جبةً غربت والمعنى فإذا وجبت جنوبها وسكنت نسائسها حل لكم الأكل منها والإطعام القانع السائل من قنعت إليه
وقنعت إذا خضعت وسألته قنوعاً والمعتر المتعرض بغير سؤال أو القانع الراضي بما عنده وبما يعطى من غير سؤال من قنعت
قنعاً وقناعة والمعتر المتعرض بالسؤال. وقرأ الحسن والمعتري وعره وعراه بمعنى. وقرأ أبو رجاء القنع وهو
الراضي لا غير يقال قنع قنعاً وقانع. كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون من الله تعالى على عباده واستحمد إليهم بأن سخر
لهم البدن مثل التسخير الذي رأوا وعلموا يأخذونها منقادة للأخذ طيعة فيعقلونها ويحبسونها صافة قوائمها
ثم يطعنون في لباتها ولولا تسخير الله تعالى لم تطق ولم تكن بأعجز من بعض الوحوش التي هي أصغر منها جرماً وأقل قوة
وكفى بما يتأبد من الإبل شاهداً وعبرة. لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم
لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين أي لن يصيب رضى الله اللحوم المتصدق بها ولا الدماء المهراقة بالنحر والمراد
أصحاب اللحوم والدماء والمعنى لن يرضى المضحون والمتقربون ربهم إلا بمراعاة النية والإخلاص والاحتفاظ بشروط التقوى
في حل ما قرب به وغير ذلك من المحافظات الشرعية وأوامر الورع فإذا لم يراعوا ذلك لم يغن عنهم التضحية والتقريب
وإن كثر ذلك منهم. وقرئ لن تنال الله ولكن تناله بالتاء والياء. وقيل كان أهل الجاهلية إذا نحروا البدن نضحوا
الدماء حول البيت ولطخوه بالدم. فلما حج المسلمون أرادوا مثل ذلك فنزلت. كرر تذكير النعمة بالتسخير ثم قال
لتكبروا الله على هدايته إياكم لأعلام دينه ومناسك حجه بأن تكبروا أو تهللوا فاختصر الكلام بأن ضمن التكبير معنى الشكر
وعدي تعديته. إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور خص المؤمنين بدفعه عنهم ونصرته لهم قال
تعالى إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا وقال تعالى إنهم لهم المنصورون. وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب. وجعل
العلة في ذلك أنه لا يحب أضدادهم وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونون أماناتهم ويكفرون نعم الله
ويغمطونها. ومن قرأ يدفع فمعناه يبالغ في الدفع عنهم كما يبالغ من يغالب فيه لأن فعل المغالب يجيء أقوى وأبلغ.
أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير أذن ويقاتلون قرئا على لفظ المبني للفاعل والمفعول
جميعاً. والمعنى أذن لهم في القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه. بأنهم أي بسبب كونهم مظلومين وهم أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم. كان مشركوا مكة يؤذونهم أذى شديداً وكانوا يأتون رسول الله من بين مضروب ومشجوج
يتظلمون فيقول لهم اصبروا فإني لم أؤمر بالقتال حتى هاجر فأنزلت هذه الآية وهي أول آية أذن فيها بالقتال
بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية. وقيل نزلت في قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركوا مكة فأذن لهم في مقاتلتهم
والإخبار بكونه قادراً على نصرهم عدة منه بالنصر واردة على سنن كلام الجبابرة وما مر من دفعه عن الذين آمنوا يؤذن
بمثل هذه العدة أيضاً. الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت
صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز. إن يقولوا
في محل الجر على الإبدال من حق أي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب الأمر والتمكين لا موجب الإخراج
والتسيير ومثله هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله. دفع الله الناس بعضهم ببعض بإظهاره وتسليطه المسلمين منهم على الكافرين.

بالمجاهدة ولولا ذلك لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة في أزمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعا
ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات ولا للمسلمين مساجد أو لغلب في أمة محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين وعلى أهل الكتاب
الذين في ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين ❊ وقرئ دفاع ولهدمت بالتخفيف وسميت الكنيسة صلوة لأنه تصلى
فيها وقيل هي كلمة معربة أصلها بالعبرانية صلوتا ومن ينصره أي ينصر دينه وأولياءه الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا
الصلوة وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور هو إخبار من الله عز وجل بظهر الغيب عما
ستكون عليه سيرة المهاجرين رضوان الله عليهم أجمعين إن مكنهم في الأرض وبسط لهم في الدنيا وكيف يقومون بأمر الدين
وعن عثمان رضي الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد أن الله تعالى قد أثنى عليهم قبل أن يحدثوا من الخير ما أحدثوا
وقالوا فيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين لأن الله تعالى لم يعط التمكين ونفاذ الأمر مع السيرة العادلة غيرهم
من المهاجرين لا حظ في ذلك للأنصار والطلقاء وعن الحسن رحمة الله عليه هو أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين منصوب
بدل من قوله من ينصره والظاهر أنه مجرور تابع للذين أخرجوا ولله عاقبة الأمور أي مرجعها إلى حكمه وتقديره
وفيه تأكيد لما وعده من إظهار أوليائه وإعلاء كلمتهم وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم
وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير يقول الله تعالى لرسوله صلى
الله عليه وسلم تسلية له لست بأوحدي في التكذيب فقد كذب الرسل قبلك أقوامهم وكفاك بهم أسوة فإن قلت
لم قيل وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى قلت لأن موسى عليه الصلاة والسلام ما كذبه قومه بنو إسرائيل وإنما كذبه
غير قومه وهم القبط وفيه شيء آخر كأنه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى أيضا مع وضوح آياته
وعظم معجزاته فما ظنك بغيره فكيف كان نكير بمعنى الإنكار والتغيير حيث أبدلهم بالنعمة محنة وبالحياة هلاكا وبالعمارة خرابا
فكأين من قرية أهلكتها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد كل مرتفع أظلك
من سقف بيت أو خيمة أو ظلة أو كرم فهو عرش والخاوي الساقط من خوى النجم إذا سقط أو الخالي من خوى المنزل
إذا خلا من أهله وخوى بطن الحامل وقوله تعالى على عروشها لا يخلو من أن يتعلق بخاوية فيكون المعنى أنها
ساقطة على سقوفها أي خرت سقوفها على الأرض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف أو أنها ساقطة
أو خالية مع بقاء عروشها وسلامتها وإما أن يكون خبرا بعد خبر كأنه قيل هي خالية وهي على عروشها أي قائمة
مظلة على عروشها على معنى أن السقوف سقطت إلى الأرض فصارت في قرار الحيطان وبقيت الحيطان مائلة فهي مشرفة
على السقوف الساقطة فإن قلت ما محل الجملتين من الإعراب أعني وهي ظالمة فهي خاوية قلت الأولى في محل
النصب على الحال والثانية لا محل لها لأنها معطوفة على أهلكناها وهذا الفعل ليس له محل وقرأ الحسن معطلة من أعطله
بمعنى عطله ومعنى المعطلة أنها عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء إلا أنها عطلت أي تركت لا يستقى منها
لهلاك أهلها والمشيد المجصص أو المرفوع البنيان والمعنى كم قرية أهلكناها وكم بئر عطلناها عن سقاتها وقصر
مشيد أخليناه عن ساكنيه فترك ذلك لدلالة معطلة عليه وفي هذا دليل على أن على عروشها بمعنى مع أوجه
وروي أن هذه بئر نزل عليها صالح عليه الصلاة والسلام مع أربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله تعالى
من العذاب وهي بحضرموت وإنما سميت بذلك لأن صالحا عليه الصلاة والسلام حين حضرها مات وثم بلدة
عند البئر اسمها حاضوراء بناها قوم صالح عليه الصلاة والسلام وأمروا عليهم جلهس بن جلاس وأقاموا بها زمانا ثم كفروا
وعبدوا صنما وأرسل الله تعالى إليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فأهلكهم الله تعالى وعطل بئرهم وخرب قصورهم

آنلم

أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في
الصدور يحتمل أنهم لم يسافروا فحثوا على السفر ليروا مصارع من أهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا وأن يكونوا
قد سافروا ورأوا ذلك ولكن لم يعتبروا فجعلوا كأن لم يسافروا ولم يروا. وقرئ فيكون لهم قلوب بالياء أي يعقلون
ما يجب أن يعقل من التوحيد ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي. فإنها الضمير ضمير الشأن والقصة يجيء مذكرا
ومؤنثا. وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه فإنه ويجوز أن يكون ضميرا مبهما يفسره الأبصار وفي تعمى ضمير راجع إليه
والمعنى أن أبصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها وإنما العمى بقلوبهم. أو لا يعتد بعمى الأبصار فكأنه ليس بعمى بالإضافة إلى عمى
القلوب. فإن قلت أي فائدة في ذكر الصدور قلت الذي قد تعورف واعتقد أن العمى على الحقيقة مكانه البصر
وهو أن تصاب الحدقة بما يطمس نورها. واستعماله في القلب استعارة ومثل. فلما أريد إثبات ما هو خلاف المعتقد من
نسبة العمى إلى القلب حقيقة ونفيه عن الأبصار احتاج هذا التصوير إلى زيادة تعيين وفضل تعريف ليتقرر أن مكان
العمى هو القلوب لا الأبصار كما تقول ليس المضاء للسيف ولكنه للسانك الذي بين فكيك فقولك الذي بين فكيك
تقرير لما ادعيته للسانه وتثبيت لأن محل المضاء هو هو لا غير وكأنك قلت ما نفيت المضاء عن السيف وأثبته
للسانك فلتة ولا سهوا مني ولكن تعمدت به إياه بعينه تعمدا. ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن
يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون أنكر استعجالهم بالمتوعد به من العذاب العاجل أو الآجل كأنه قال ولم يستعجلون
به كأنهم يجوزون الفوت وإنما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف. والله عز وعلا لا يخلف الميعاد وما وعده ليصيبنهم
ولو بعد حين. وهو سبحانه حليم لا يعجل ومن حلمه ووقاره تعالى واستقصاره المدد الطوال أن يوما واحدا عنده كألف سنة
عندكم. وقيل معناه كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من أيام عذابه في طول ألف سنة من سنيكم لأن أيام الشدائد
مستطالة. أو كأن ذلك اليوم الواحد لشدة عذابه كألف سنة من سني العذاب. وقيل ولن يخلف الله وعده في النظرة
والإمهال. وقرئ يعدون بالياء والتاء. وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإلي المصير ثم قال وكم
من أهل قرية كانوا مثلكم ظالمين. قد أنظرتهم حينا ثم أخذتهم بالعذاب. والمرجع إلي وإلى حكمي. فإن قلت لم كانت
الأولى معطوفة بالفاء وهذه بالواو قلت الأولى وقعت بدلا عن قوله تعالى فكيف كان نكير وأما هذه فحكمها حكم
ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو أعني قوله تعالى ولن يخلف الله وعده وإن يوما عند ربك كألف سنة. قل
يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في آياتنا
معاجزين أولئك أصحاب الجحيم يقال سعيت في أمر فلان إذا أصلحته أو أفسدته. وعاجزه سابقه لأن كل واحد منهما
في طلب إعجاز الآخر عن اللحاق به فإذا سبقه قيل أعجزه وعجزه. والمعنى سعوا في معناها بالفساد من الطعن فيها حيث
سموها سحرا وشعرا وأساطير. ومن تثبيط الناس عنها سابقين أو مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين
أن كيدهم للإسلام يتم لهم. فإن قلت كان القياس أن يقال إنما أنا لكم بشير ونذير لذكر الفريقين بعده قلت
الحديث مسوق إلى المشركين ويا أيها الناس نداء لهم وهم الذين قيل فيهم أفلم يسيروا في الأرض ووصفوا بالاستعجال
وإنما أقحم المؤمنون وثوابهم ليغاظوا. وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله
ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم من رسول ولا نبي دليل بين على تغاير الرسول والنبي. وعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه سئل عن الأنبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا
والفرق بينهما أن الرسول من الأنبياء من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وإنما أمر

أن يدعوا إلى شريعة من قبله. والسبب في نزول هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أعرض عنه قومه وشاقوه
وخالفه عشيرته ولم يشايعوه على ما جاء به تمنى لفرط ضجره من إعراضهم ولحرصه وتهالكه على إسلامهم أن لا ينزل عليه ما ينفرهم
لعله يتخذ ذلك طريقا إلى استمالتهم واستنزالهم عن غيهم وعنادهم فاستمر به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة والنجم
وهو في نادي قومه وذلك التمني في نفسه فأخذ يقرؤها فلما بلغ قوله تعالى ومناة الثالثة الأخرى ألقى
الشيطان في أمنيته التي تمناها أي وسوس إليه بما شيعها به فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط إلى أن قال تلك الغرانيق
العلى وأن شفاعتهن لترتجى. وروي الغرانيق ولم يفطن له حتى أدركته العصمة فتنبه عليه وقيل نبهه جبريل عليه الصلاة
والسلام. أو تكلم الشيطان بذلك فأسمعه الناس فلما سجد في آخرها سجد معه جميع من في النادي وطابت نفوسهم وكان
تمكين الشيطان من ذلك محنة من الله تعالى وابتلاء زاد المنافقون به شكا وظلمة والمؤمنون نورا وإيقانا. والمعنى أن
الرسل والأنبياء من قبلك كانت هجيراهم كذلك إذا تمنوا مثل ما تمنيت من الله تعالى ليلقي في أمانيهم مثل ما ألقى في
أمنيتك إرادة امتحان من حولهم. والله سبحانه له أن يمتحن عباده بما شاء من صنوف المحن وأنواع الفتن ليضاعف ثواب
الثابتين ويزيد في عقاب المذبذبين. وقيل تمنى قرأ وأنشد

تمنى كتاب الله أول ليلة . تمنى داود الزبور على رسل

وأمنيته قراءته. وقيل تلك الغرانيق إشارة إلى الملائكة أي هم الشفعاء لا الأصنام فينسخ الله ما يلقي الشيطان أي يذهب به
ويبطله ثم يحكم الله آياته أي يثبتها ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن
الظالمين لفي شقاق بعيد والذين في قلوبهم مرض المنافقون والشاكون والقاسية قلوبهم المشركون المكذبون وإن
الظالمين يعني هؤلاء المنافقين والمشركين وأصله وإنهم فوضع الظاهر موضع المضمر قضاء عليهم بالظلم وليعلم الذين
أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم أنه الحق
من ربك أي ليعلموا أن تمكين الشيطان من الإلقاء هو الحق من ربك والحكمة وإن الله لهادي الذين آمنوا أن يتأولوا ما يتشابه في الدين
بالتأويلات الصحيحة ويطلبوا لما أشكل منه المحمل الذي تقتضيه الأصول المحكمة والقوانين الممهدة حتى لا تلحقهم حيرة ولا تعتريهم
شبهة ولا تزل أقدامهم. وقرئ لهاد الذين آمنوا بالتنوين ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم
عذاب يوم عقيم الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين الضمير في مرية منه للقرآن أو الرسول. اليوم العقيم يوم بدر وإنما وصف يوم حرب
بالعقيم على سبيل المجاز لأن أولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كأنهن عقم لم يلدن أو لأن المقاتلين يقال لهم أبناء الحرب
فإذا قتلوا وصف يوم الحرب بالعقم على سبيل المجاز. وقيل هو الذي لا خير فيه يقال ريح عقيم إذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح
شجرا. وقيل لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه. وعن الضحاك أنه يوم القيامة وأن المراد بالساعة مقدماته. ويجوز
أن يراد بالساعة وبيوم عقيم يوم القيامة وكأنه قيل حتى تأتيهم الساعة أو يأتيهم عذابها فوضع يوم عقيم موضع الضمير فإن قلت
التنوين في يومئذ عن أي جملة تنوب قلت تقديره الملك يوم يؤمنون أو يوم تزول مريتهم لقوله تعالى ولا يزال الذين
كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله
لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حليم لما جمعتهم المهاجرة في سبيل الله سوى بينهم في الموعد وأن
يعطي من مات منهم مثل ما يعطي من قتل تفضلا منه وإحسانا والله عليم بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم حليم عن تفريط
المفرط منهم بفضله وكرمه. روي أن طوائف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا

ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا مثله فانزل الله تعالى هاتين الآيتين ذلك ومن عاقب
بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور تسمية الابتداء بالجزاء لملابسته له من حيث انه سبب
وذاك مسبب عنه كما يحملون النظير على النظير والنقيض على النقيض للملابسة فان قلت كيف طابق ذكر العفو
الغفور هذا الموضع قلت المعاقب مبعوث من جهة الله تعالى على الاخلال بالعقاب والعفو عن الجاني على طريق
التنزيه لا التحريم ومندوب اليه ومستوجب عند الله تعالى المدح ان آثر ما ندب اليه وسلك سبيل التنزيه فحين لم يؤثر
ذلك وانتصر وعاقب ولم ينظر في قوله تعالى فمن عفى واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى ولمن صبر وغفر
ان ذلك لمن عزم الامور فان الله لعفو غفور اي لا يلومه على ترك ما بعثه عليه وهو ضامن لنصره في كرته الثانية من
اخلاله بالعفو وانتقامه من الباغي عليه ويجوز ان يضمن له النصر على الباغي ويعرض مع ذلك بما كان اولى به من العفو
ويلوح به بذكر هاتين الصفتين او دل بذكر العفو والمغفرة على انه قادر على العقوبة لانه لا يوصف بالعفو الا
القادر على ضده ذلك بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وان الله سميع بصير ذلك بان الله هو
الحق وان ما يدعون من دونه هو الباطل وان الله هو العلي الكبير ذلك اي ذلك النصر بسبب انه قادر ومن
آيات قدرته البالغة انه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل او بسبب انه خالق الليل والنهار ومصرفهما
فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على ايدي عباده من الخير والشر والبغي والانصاف وانه سميع لما يقولون بصير بما يفعلون
فان قلت ما معنى ايلاج احد الملوين في الآخر قلت تحصيل ظلمة هذا في مكان ضياء ذاك بغيبوبة الشمس
وضياء ذاك في مكان ظلمة هذا بطلوعها كما يضيء السرب بالسراج ويظلم بفقده وقيل هو زيادته في احدهما ما
ينقص من الآخر من الساعات وقرئ يدعون بالياء والتاء وقرأ اليماني وان ما يدعون بلفظ المبني للمفعول والواو
راجعة الى ما لانه في معنى الآلهة اي ذلك الوصف بخلق الليل والنهار والاحاطة بما يجري فيهما وادراك كل قول
وفعل بسبب انه الله الحق الثابت الالهية وان كل ما يدعى الها دونه باطل الدعوة وانه لا شيء اعلى منه شانا واكبر
سلطانا الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف خبير له ما في السموات وما في الارض وان الله
لهو الغني الحميد قرئ مخضرة اي ذات خضر على مفعلة كمبقلة ومسبعة فان قلت هلا قيل فاصبحت ولم صرف الى لفظ
المضارع قلت لنكتة فيه وهي افادة بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول انعم علي فلان عام كذا فاروح واغدو
شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع فان قلت فما له رفع ولم ينصب جوابا للاستفهام
قلت لو نصب لاعطى ما هو عكس الغرض لان معناه اثبات الاخضرار فينقلب بالنصب الى نفي الاخضرار مثاله
ان تقول لصاحبك الم تر اني انعمت عليك فتشكر ان نصبته فانت ناف لشكره شاك تفريطه فيه وان رفعته
فانت مثبت للشكر وهذا وامثاله مما يجب ان يرغب له من اتسم بالعلم في علم الاعراب وتوقير اهله ولطيف
واصل علمه او فضله الى كل شيء خبير بمصالح الخلق ومنافعهم الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض والفلك تجري في
البحر بامره ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرؤف رحيم ما في الارض من البهائم مذللة
للركوب في البر ومن المراكب جارية في البحر وغير ذلك من سائر المسخرات وقرئ والفلك بالرفع على الابتداء ان تقع كراهة
ان تقع الا باذنه وهو الذي احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان الانسان لكفور وهو الذي احياكم بعد ان كنتم جمادا ترابا
ونطفة وعلقة ومضغة لكفور لجحود لما افاض عليه من ضروب النعم لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك في
الامر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم وان جادلوك فقل الله اعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم

فيه تختلفون ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم
أي لا تلتفت إلى قولهم ولا تمكنهم من أن ينازعوك وهو زجر لهم عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنازعة في الدين وهم
جهال لا علم عندهم وهم كفار خزاعة. روي أن بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان الخزاعيين وغيرهما قالوا للمسلمين ما لكم
تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله يعنون الميتة. وقال الزجاج هو نهي له عن منازعتهم كما تقول لا يضاربنك فلان
أي لا تضاربه وهذا جائز في الفعل الذي لا يكون إلا بين اثنين في الأمر في أمر الدين. وقيل في أمر النسائك. وقرئ فلا ينزعنك
أي اثبت في دينك ثباتاً لا يطمعون أن يجذبوك ليزيلوك عنه. والمراد زيادة التثبيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما
يهيج حميته ويلهب غضبه لله ولدينه ومنه قوله تعالى ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك ولا تكونن من
المشركين. وهيهات أن ترتع همة رسول الله صلى الله عليه وسلم حول ذلك الحمى ولكنه وارد على ما قلت لك من إرادة التهييج والإلهاب
قال الزجاج هو من نازعته فنزعته أنزعه أي غلبته أي لا يغلبنك في المنازعة. فإن قلت لم جاءت نظيرة هذه
الآية معطوفة بالواو وقد نزعت عن هذه؟ قلت لأن تلك وقعت مع ما يدانيها ويناسبها من الآي الواردة في أمر النسائك فعطفت
على أخواتها وأما هذه فواقعة مع أباعد عن معناها فلم تجد معطفاً. أي وإن أبوا للجاجهم إلا المجادلة بعد اجتهادك أن لا يكون بينك
وبينهم تنازع وجدال فقل لهم الله أعلم بأعمالكم وبقبحها وبما تستحقون عليها من الجزاء فهو مجازيكم به وهذا وعيد وإنذار
ولكن برفق ولين. الله يحكم بينكم خطاب من الله تعالى للمؤمنين والكافرين أي يفصل بينكم بالثواب والعقاب ومسلاة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يلقى منهم. وكيف يخفى عليه ما يعملون ومعلوم عند العلماء بالله أنه يعلم كل ما يحدث في
السموات والأرض وقد كتبه في اللوح قبل حدوثه والإحاطة بذلك وإثباته وحفظه عليه يسير لأن العالم الذات لا يتعذر
عليه ولا يمتنع تعلق بمعلوم. ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير ويعبدون
ما لم يتمسكوا في صحة عبادته ببرهان سماوي من جهة الوحي والسمع ولا ألجأهم إليها علم ضروري ولا حملهم عليها دليل عقلي
وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من أحد ينصرهم ويصوب مذهبهم. وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين
كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين
كفروا وبئس المصير. المنكر الفظيع من التجهم والبسور أو الإنكار كالمكرم بمعنى الإكرام. وقرئ يُعرف والمنكر. والسطو
الوثب والبطش. وقرئ النار بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف كأن قائلاً قال ما هو فقيل النار أي هو النار
وبالنصب على الاختصاص وبالجر على البدل من شر. من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم أو مما أصابكم من
الضجر والتضجر بسبب ما تلي عليكم. وعدها الله استئناف كلام ويحتمل أن تكون النار مبتدأ ووعدها خبراً
وأن تكون حالاً عنها إذا نصبتها أو جررتها بإضمار قد. يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله
لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب
فإن قلت الذي جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلاً؟ قلت قد سميت الصفة أو القصة الرائعة المتلقاة
بالاستحسان والاستغراب مثلاً تشبيهاً لها ببعض الأمثال المسيرة لكونها مستحسنة مستغربة عندهم. قرئ يدعون
بالياء والتاء. ويُدعون مبنياً للمفعول. لن أخت لا في نفي المستقبل إلا أن لن تنفيه نفياً مؤكداً وتأكيدها هنا
الدلالة على أن خلق الذباب منهم مستحيل مناف لأحوالهم كأنه قال محال أن يخلقوا. فإن قلت ما محل ولو
اجتمعوا له؟ قلت النصب على الحال كأنه قال مستحيل أن يخلقوا الذباب مشروطاً عليهم اجتماعهم جميعاً لخلقه وتعاونهم
عليه وهذا من أبلغ ما أنزله الله في تجهيل قريش واستركاك عقولهم والشهادة على أن الشيطان قد خزمهم بخزائمه

حيث

حيث وصفوا بالالهية التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها والاحاطة بالمعلومات عن آخرها صورا وتماثيل تستحيل
منها ان تقدر على اقل ما خلقه الله تعالى واذله واصغره واحقره ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا وادل من ذلك على
عجزهم وانتفاء قدرتهم ان هذا الخلق الاقل الاذل لو اختطف منهم شيئا فاجتمعوا على ان يستخلصوه منه لم يقدروا
وقوله تعالى ضعف الطالب والمطلوب كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف ولو حققت وجدت الطالب
اضعف واضعف لان الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذلك مغلوب وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
انهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤسها بالعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله
ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز اي ما عرفوه حق معرفته حتى لا يسموا باسمه من هو منسلخ عن صفاته
باسرها ولا يؤهلوه للعبادة ولا يتخذوه شريكا له ان الله قادر غالب فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيها به
الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وإلى الله ترجع الأمور
هذا رد لما انكروه من ان يكون الرسول من البشر وبيان ان رسل الله تعالى على ضربين ملائكة وبشر ثم ذكر
انه عز وجل دراك للمدركات عالم باحوال المكلفين ما مضى منها وما غبر لا تخفى عليه منهم خافية واليه مرجع العباد
كلها والذي هو بهذه الصفات لا يسئل عما يفعل وليس لاحد ان يعترض عليه في حكمه وتدابيره واختيار رسله
يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون للذكر شأن ليس لغيره من الطاعات
وفي هذه السورة دلالات على ذلك فمن ثم دعا المؤمنين اولا الى الصلاة التي هي ذكر خالص ثم الى العبادة بغير
الصلاة كالصوم والحج والغزو ثم ختم بالحث على سائر الخيرات وقيل كان الناس اول ما اسلموا يسجدون بلا ركوع
ويركعون بلا سجود فامروا ان تكون صلاتهم بركوع وسجود وقيل معنى اعبدوا ربكم اقصدوا بركوعكم
وسجودكم وجه الله تعالى وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وافعلوا الخير صلة الارحام ومكارم الاخلاق
لعلكم تفلحون اي افعلوا هذا كله وانتم راجون للفلاح طامعون فيه غير مستيقنين ولا تتكلوا على اعمالكم
وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله في سورة الحج سجدتان قال نعم ان لم تسجدهما فلا تقرأهما
وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فضلت سورة الحج بسجدتين وبذلك احتج الشافعي رضي الله عنه فرأى سجدتين
في سورة الحج وابو حنيفة رحمة الله عليه واصحابه لا يرون فيها الا سجدة واحدة لانهم يقرنون السجود بالركوع فدل
ذلك على انها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج
ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة
وآتوا الزكوة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير وجاهدوا امر بالغزو وبمجاهدة النفس والهوى وهو
جهاد الاكبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رجع من بعض غزواته فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر في الله اي في ذات
الله ومن اجله يقال هو حق عالم اي عالم حقا وجدا ومنه حق جهاده فان قلت ما وجه هذه الاضافة وكان القياس
حق الجهاد فيه او حق جهادكم فيه كما قال وجاهدوا في الله قلت الاضافة تكون بادنى ملابسة واختصاص فلما كان
كان الجهاد مختصا بالله تعالى من حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله صحت اضافته اليه ويجوز ان يتسع في الظرف
كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا هو اجتباكم اختاركم لدينه ولنصرته وما جعل
عليكم في الدين من حرج فتح باب التوبة للمجرمين وفسح بانواع الرخص والكفارات والديات والاروش
ونحوه قوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وامة محمد صلى الله عليه وسلم هي الامة المرحومة الموسومة بذلك

في الكتب المتقدمة ونصب الملة بمضمون ما تقدمها كأنه قيل وسع دينكم توسعة ملة أبيكم إبراهيم ثم حذف المضاف وأقام المضاف
إليه مقامه أو على الاختصاص أي أعني بالدين ملة أبيكم كقولك الحمد لله الحميد فإن قلت لم يكن إبراهيم أبا للأمة كلها قلت
هو أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أبا لأمته لأن أمة الرسول في حكم أولاده هو يرجع إلى الله تعالى وقيل إلى إبراهيم ويشهد
للقول الأول قراءة أبي بن كعب رضي الله عنه الله سماكم من قبل وفي هذا أي من قبل القرآن في سائر الكتب وفي القرآن أي فضلكم على
كل الأمم وسماكم بهذا الاسم الأكرم ليكون الرسول شهيدا عليكم أنه قد بلغكم وتكونوا شهداء على الناس بأن الرسل قد بلغتهم
وإذا خصكم بهذه الكرامة والأثرة فاعبدوه واثقوا به ولا تطلبوا النصرة والولاية إلا منه فهو خير مولى وناصر عن النبي صلى
الله عليه وسلم من قرأ سورة الحج أعطي من الأجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي والله أعلم

سورة المؤمنون مكية | بسم الله الرحمن الرحيم | وهي مائة وتسع عشرة آية

قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم
لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين قد نقيضة لما هي تثبت المتوقع ولما
تنفيه ولا شك أن المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهي الإخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه
والفلاح الظفر بالمراد وقيل البقاء في الخير وأفلح دخل في الفلاح كأبشر دخل في البشارة ويقال أفلحه أصاره إلى
الفلاح وعليه قراءة طلحة بن مصرف أفلح على البناء للمفعول وعنه أفلحوا على أكلوني البراغيث أو على الإبهام والتفسير
وعنه أفلح بضمة بغير واو اجتزاء بها عنها كقوله ولو كان الأطبا حولي وكان مع الأطباء الشفاه
فإن قلت ما المؤمن قلت هو في اللغة المصدق وأما في الشريعة فقد اختلف فيه على قولين أحدهما أن كل
من نطق بالشهادتين مواطئا قلبه لسانه فهو مؤمن والآخر أنه صفة مدح لا يستحقها إلا البر التقي دون الفاسق الخشوع
في الصلاة خشية القلب وإلباد البصر وكان الرجل من العلماء إذا قام إلى الصلاة هاب الرحمن أن يشد بصره إلى شيء
عن قتادة وهو إلزامه موضع السجود وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يصلي رافعا بصره إلى السماء فلما نزلت هذه الآية رمى
ببصره نحو مسجده وكان الرجل من العلماء إذا قام إلى الصلاة هاب الرحمن أن يشد بصره إلى شيء أو يحدث نفسه بشأن من
شأن الدنيا وقيل هو جمع الهمة لها والإعراض عما سواها ومن الخشوع أن يستعمل الآداب فيتوقى كف الثوب والعبث
بجسده وثيابه والالتفات والتمطي والتثاؤب والتغميض وتغطية الفم والسدل والفرقعة والتشبيك والاختصار
وتقليب الحصى وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أبصر رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلبه خشعت جوارحه
ونظر الحسن إلى رجل يعبث بالحصى وهو يقول اللهم زوجني الحور العين فقال بئس الخاطب أنت تخطب وأنت تعبث
فإن قلت لم أضيفت الصلاة إليهم قلت لأن الصلاة دائرة بين المصلي والمصلى له فالمصلي هو المنتفع بها وحده وهي
عدته وذخيرته فهي صلاته وأما المصلى له فغني متعال عن الحاجة إليها والانتفاع بها اللغو ما لا يعنيك من قول أو فعل
كاللعب والهزل وما توجب المروءة إلغاءه وأطراحه يعني أن بهم من الجد ما يشغلهم عن الهزل لما وصفهم بالخشوع في
الصلاة أتبعه الوصف بالإعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الأنفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف
والزكاة اسم مشترك بين عين ومعنى فالعين القدر الذي يخرجه المزكي من النصاب إلى الفقير والمعنى فعل المزكي

الذي

الذي هو التزكية وهو الذي أراده الله تعالى فجعل المزكين فاعلين له ولا يسوغ فيه غيره لأنه ما من مصدر إلا يعبر عن
معناه بالفعل ويقال لمحدثه فاعل تقول للضارب فاعل الضرب وللقاتل فاعل القتل وللمزكي فاعل التزكية
وعلى هذا الكلام كله والتحقيق فيه أنك تقول في جميع الحوادث من فاعل هذا فيقال لك فاعله الله أو بعض الخلق
ولم يمتنع الزكاة الدالة على العين أن يتعلق بها فاعلون لخروجها من صحة أن يتناولها الفاعل ولكن لأن
الخلق ليسوا بفاعليها وقد أنشد لأمية بن أبي الصلت · المطعمون الطعام في الأزمة والفاعلون للزكوات
ويجوز أن يراد بالزكاة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الأداء وحمل البيت على هذا أصح لأنها فيه
مجموعة ف على أزواجهم في موضع الحال أي إلا والين على أزواجهم أو قوامين عليهن من قولك كان فلان على فلانة فمات
عنها فخلف عليها فلان ونظيره كان زياد على البصرة أي واليا عليها ومنه قولهم فلانة تحت فلان ومن ثم
سميت المرأة فراشا والمعنى أنهم لفروجهم حافظون في كافة الأحوال إلا في حال تزوجهم أو تسريهم أو تعلق على
محذوف يدل عليه غير ملومين كأنه قيل يلامون إلا على أزواجهم أي يلامون على كل مباشر إلا على ما أطلق
لهم ف فإنهم غير ملومين عليه أو تجعله صلة لحافظين من قولك احفظ علي عنان فرسي على تضمينه معنى النفي
كما ضمن قولهم نشدتك بالله إلا فعلت معنى ما طلبت منك إلا فعلك فإن قلت هلا قيل من ملكت قلت لأنه
أريد من جنس العقلاء ما يجري مجرى غير العقلاء وهم الإناث جعل المستثنى حدا أوجب الوقوف عنده فمن ابتغى
وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون
أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ثم قال فمن أحدث ووراء هذا الحد
مع فسحته واتساعه وهو إباحة أربع من الحرائر ومن الإماء ما شئت فأولئك هم الكاملون في العدوان المتناهون
فيه فإن قلت هل فيه دليل على تحريم المتعة قلت لا لأن المنكوحة نكاح المتعة من جملة الأزواج إذا
صح النكاح وقرئ لأمانتهم سمي الشيء المؤتمن عليه والمعاهد عليه أمانة وعهدا ومنه قوله تعالى
إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وقال تعالى وتخونوا أماناتكم وإنما تؤدى العيون لا المعاني
ويخان المؤتمن عليه أي كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله عز وجل لا الأمانة في نفسها والراعي القائم على
الشيء بحفظ وإصلاح كراعي الغنم وراعي الرعية ويقال من راعي هذا الشيء أي متوليه وصاحبه ويحتمل
العموم في كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله عز وجل ومن جهة الخلق والخصوص فيما حملوه من أمانات الناس
وعهودهم وقرئ على صلاتهم فإن قلت كيف كرر ذكر الصلوة أولا وآخرا قلت هما ذكران مختلفان
فليس بتكرير وصفوا أولا بالخشوع في صلاتهم وآخرا بالمحافظة عليها وذلك أن لا يسهوا عنها ويؤدوها في أوقاتها و
يقيموا أركانها ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام بها وبما ينبغي أن تتم به أوصافها وأيضا فقد وحدت أولا ليفاد الخشوع
في جنس الصلاة أي صلاة كانت وجمعت آخرا ليفاد المحافظة على أعدادها وهي الصلوات الخمس والوتر
والسنن المرتبة مع كل صلاة وصلاة الجمعة والعيدين والجنازة والاستسقاء والكسوف والخسوف
وصلاة الضحى والتهجد وصلاة التسبيح وصلاة الحاجة وغيرها من النوافل أي أولئك الجامعون لهذه
الأوصاف هم الوارثون الأحقاء بأن يسموا وراثا دون من عداهم ثم ترجم الوارثين بقوله
تعالى الذين يرثون الفردوس فجاء بفخامة وجزالة لإرثهم لا تخفى على الناظر ومعنى الإرث ما مر في سورة
مريم أنث الفردوس على تأويل الجنة وهو البستان الواسع لأصناف الثمر روي أن الله عز وجل بنى جنة

مخلد

الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الأذفر وفي رواية ولبنة من مسك مذرى وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ السلالة الخلاصة لأنها تسل من بين الكدر وفعالة بناء للقلة كالقلامة والقمامة وعن الحسن ماء بين ظهراني الطين فإن قلت ما الفرق بين من ومن قلت الأول للابتداء والثاني للبيان كقوله تعالى من الأوثان فإن قلت ما معنى جعلنا الإنسان نطفة قلت معناه أنه خلق جوهر الإنسان أولا طينا ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة والقرار المستقر والمراد الرحم وصفت بالمكانة التي هي المستقر فيها كقوله طريق سائر أو بمكانتها في نفسها لأنها مكنت بحيث هي وأحرزت شامي عظما فكسونا العظم وعظاما فكسونا العظام وعظما فكسونا العظام وعظاما فكسونا العظم ووضع الواحد مكان الجمع لزوال اللبس لأن الإنسان ذو عظام كثيرة خلقا آخر أي خلقا مباينا للخلق الأول مباينة ما أبعدها حيث جعله حيوانا وكان جمادا وناطقا وكان أبكم وسميعا وكان أصم وبصيرا وكان أكمه وأودع باطنه وظاهره بل كل عضو من أعضائه وكل جزء من أجزائه عجائب فطر وغرائب حكم لا تدرك بوصف الواصف ولا تبلغ بشرح الشارح وقد احتج أبو حنيفة رحمه الله عليه فيمن غصب بيضة فأفرخت عنده قال يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لأنه خلق آخر سوى البيضة فتبارك الله فتعالى أمره في قدرته وعلمه أحسن الخالقين أي أحسن المقدرين تقديرا فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه ونحوه طرح المأذون فيه في قوله تعالى أذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة روي عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ قوله خلقا آخر قال فتبارك الله أحسن الخالقين وروي أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنطق بذلك قبل إملائه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا نزلت فقال عبد الله إن كان محمد نبيا يوحى إليه فأنا نبي يوحى إلي فلحق بمكة كافرا ثم أسلم يوم الفتح ﴿ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾ قرأ ابن أبي عبلة وابن محيصن لمائتون والفرق بين الميت والمائت أن الميت كالحي صفة ثابتة وأما المائت فيدل على الحدوث تقول زيد مائت الآن ومائت غدا كقولك يموت ونحوهما ضيق وضائق في قوله تعالى وضائق به صدرك جعل الإماتة التي هي إعدام الحياة والبعث الذي هو إعادة ما يفنيه ويعدمه دليلين أيضا على اقتدار عظيم بعد الإنشاء والاختراع فإن قلت فإذن لا حياة إلا حياة الإنسان وحياة البعث قلت ليس في ذكر الحياتين نفي الثالثة وهي حياة القبر كما لو ذكرت ثلثي ما عندك وطويت ذكر ثلثه لم يكن دليلا على أن الثلث ليس عندك وأيضا فالغرض ذكر هذه الأجناس الثلاثة الإنشاء والإماتة والإعادة والمطوي ذكرها من جنس الإعادة ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين﴾ الطرائق السماوات لأنه طورق بعضها فوق بعض كمطارقة النعل وكل شيء فوقه مثله فهو طريقة أو لأنها طرق الملائكة ومتقلباتهم وقيل الأفلاك لأنها طرائق الكواكب فيها مسيرها أراد بالخلق السماوات كأنه قال خلقناها فوقكم وما كنا عنها غافلين وعن حفظها وإمساكها أن تقع فوقهم بقدرتنا أو أراد به الناس وأنه إنما خلقها فوقهم ليفتح عليهم الأرزاق والبركات منها وينفعهم بأنواع منافعها وما كان غافلا عنهم وعما يصلحهم ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون﴾ بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون إلى المنفعة أو بمقدار ما علمناه من حاجاتهم ومصالحهم فأسكناه في الأرض كقوله تعالى فسلكه ينابيع في الأرض وقيل جعلناه ثابتا في الأرض وقيل إنها خمسة أنهار سيحون نهر الهند

وجيحون

وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات والنيل نهر مصر انزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها
الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس في اصناف معايشهم وكما قدر على انزاله فهو قادر على رفعه
وازالته وقوله تعالى على ذهاب به من اوقع النكرات واحزها للمفصل والمعنى على وجه من وجوه الذهاب
به وطريق من طرقه وفيه ايذان باقتدار المذهب وانه لا يتعايا عليه شيء اذا اراده وهو ابلغ في الايعاد من
قوله عز وجل قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين فعلى العباد ان يستعظموا النعمة في الماء
ويقيدوها بالشكر الدائم ويخافوا نفارها اذا لم تشكر فانشانا لكم به جنات من نخيل واعناب لكم فيها فواكه
كثيرة ومنها تاكلون خص هذه الانواع الثلاثة لانها اكرم الشجر وافضلها واجمعها للمنافع ووصف النخل والعنب
بان ثمرهما جامع بين امرين بانه فاكهة يتفكه بها وطعام يؤكل رطبا ويابسا رطبا وعنبا وتمرا وزبيبا والزيتون
بان دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ جميعا ويجوز ان يكون قوله ومنها تاكلون من قولهم ياكل فلان من
حرفة يحترفها ومن ضيعة يغتلها ومن تجارة يتربح بها يعنون انها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه
كانه قال وهذه الجنات وجوه ارزاقكم ومعايشكم منها ترزقون وتتعيشون وشجرة تخرج من طور سيناء
تنبت بالدهن وصبغ للآكلين وشجرة عطف على جنات وقرئت مرفوعة على الابتداء اي ومما انشئ لكم شجرة
طور سيناء وطور سينين لا يخلو اما ان يضاف فيه الطور الى بقعة اسمها سيناء وسينون واما ان يكون اسما
للجبل مركبا من مضاف ومضاف اليه كامرئ القيس وكبعلبك فيمن اضاف فمن كسر سين سيناء فقد منع الصرف
للتعريف والعجمة او التانيث لانها بقعة وفعلاء لا يكون الفه للتانيث كعلباء وحرباء ومن فتح فلم يصرفه
لان الالف للتانيث كصحراء وقيل هو جبل فلسطين وقيل بين مصر وايلة ومنه نودي موسى وقرا الاعمش سينا
على القصر بالدهن في موضع الحال اي تنبت وفيها الدهن وقرئ تنبت وفيه وجهان احدهما ان انبت
بمعنى نبت وانشد لزهير

رايت ذوي الحاجات حول بيوتهم ۞ قطينا لهم حتى اذا انبت البقل

والثاني ان مفعوله محذوف اي تنبت زيتونها وفيه الزيت وقرئ تنبت بضم التاء وفتح الباء وحكمه
حكم تنبت وقراءة ابن مسعود رضي الله عنه تخرج الدهن وصبغ الآكلين وغيره تخرج بالدهن وفي حرف
ابي تثمر بالدهن وعن بعضهم تنبت بالدهان وقرا الاعمش وصبغا وصبغ وصباغ ونحوهما دبغ
ودباغ والصبغ الغمس للائتدام وقيل هي اول شجرة نبتت بعد الطوفان ووصفها الله تعالى بالبركة في قوله
تعالى توقد من شجرة مباركة وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تاكلون
وعليها وعلى الفلك تحملون قرئ تسقيكم بتاء مفتوحة اي تسقيكم الانعام ومنها تاكلون اي تتعلق بها منافع
من الركوب والحمل وغير ذلك كما تتعلق بما لا يؤكل لحمه من البغال والحمير والخيل وفيها منفعة زائدة وهي الاكل
الذي هو انتفاع بذواتها والقصد بالانعام الى الابل لانها هي المحمول عليها في العادة وقرنها بالفلك التي هي
السفائن لانها سفائن البر قال ذو الرمة ۞ سفينة بر تحت خدي زمامها ۞ يريد صيدحه
ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون غيره بالرفع على المحل وبالجر
على اللفظ والجملة استئناف تجري مجرى التعليل للامر بالعبادة افلا تتقون افلا تخافون ان ترفضوا عبادة الله
الذي هو ربكم وخالقكم ورازقكم وشكر نعمته التي لا تحصونها واجب عليكم ثم تذهبوا فتعبدوا غيره مما ليس من

استحقاق العبادة في شيء فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة
ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين أن يتفضل عليكم أن يطلب الفضل عليكم ويسودكم كقوله تعالى وتكون لكما الكبرياء في الأرض
بهذا إشارة إلى نوح عليه الصلاة والسلام أو إلى ما كلمهم به من الحث على عبادة الله تعالى أي ما سمعنا بمثل هذا الكلام
أو بمثل هذا الذي يدعي وهو بشر أنه رسول الله وما أعجب شأن الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر وقد رضوا للإلهية بحجر
وقولهم ما سمعنا بهذا يدل على أنهم وآباءهم كانوا في فترة متطاولة أو لتكذيبهم في ذلك لانهماكهم في الغي وتشميرهم لأن يدفعوا
الحق بما أمكنهم وبما عن لهم من غير تمييز منهم بين صدق وكذب إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين ألا ترى كيف
جننوه وقد علموا أنه أرجح الناس عقلاً وأوزنهم قولاً والجنة الجنون أو الجن أي به جن يخبلونه حتى حين أي احتملوه
واصبروا عليه إلى زمان حتى ينجلي أمره عن عاقبة فإن أفاق من جنونه وإلا قتلتموه قال رب انصرني بما كذبون
في نصرته إهلاكهم فكأنه قال أهلكهم بسبب تكذيبهم إياي أو انصرني بدل ما كذبوني كما تقول هذا بذاك أي بدل ذاك
ومكانه والمعنى أبدلني من غم تكذيبهم سلوة النصرة عليهم أو انصرني بإنجاز ما وعدتهم من العذاب وهو ما كذبوه فيه حين قال
لهم إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فإذا جاء أمرنا وفار التنور بأعيننا بحفظنا
وكلاءتنا كأن معه من الله حفاظاً يكلأونه بعيونهم لئلا يتعرض له ولا يفسد عليه مفسد عمله ومنه قولهم عليه من الله عين
كالئة ووحينا أي أمرنا كيف تصنع وتعليمنا وروي أنه أوحي إليه أن يصنعها على مثال جؤجؤ الطائر وروي
أنه قيل لنوح عليه الصلاة والسلام إذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت ومن معك في السفينة فلما نبع الماء
من التنور أخبرته امرأته فركب وقيل كان تنور آدم وكان من حجارة فصار لنوح واختلف في مكانه فقيل
في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان نوح عمل السفينة وسط المسجد وقيل بالشام بموضع يقال له عين
وردة وقيل بالهند وعن ابن عباس رضي الله عنهما التنور وجه الأرض وعن قتادة أشرف موضع في الأرض أي أعلاه
وعن علي رضي الله عنه فار التنور طلع الفجر وقيل معناه أن فوران التنور كان عند تنوير الفجر وقيل هو مثل لقولهم
حمي الوطيس والتنور هو الأول فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين
ظلموا إنهم مغرقون فادخل فيها يقال سلك فيه دخله وسلك غيره وأسلكه قال حتى إذا أسلكوهم في قتائدة من كل زوجين
من كل أمتي زوجين وهما أمة الذكر وأمة الأنثى كالجمال والنوق والحصن والرماك اثنين واحدين مزدوجين
كالجمل والناقة والحصان والرمكة روي أنه لم يحمل إلا ما يلد ويبيض وقرئ من كل بالتنوين أي من كل أمة زوجين
واثنين تأكيد وزيادة بيان وجيء بعلى مع سبق الضار كما جيء باللام مع سبق النافع قال الله تعالى إن الذين سبقت لهم
منا الحسنى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ونحوه قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقول عمر رضي الله عنه
ليتها كانت كفافاً لا علي ولا لي فإن قلت لم نهاه عن الدعاء لهم بالنجاة قلت لما تضمنته الآية من كونهم ظالمين وإيجاب
الحكمة أن يغرقوا لا محالة لما عرف من المصلحة في إغراقهم والمفسدة في استبقائهم فإذا استويت أنت ومن معك على
الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين وبعد أن أملى لهم الدهر المتطاول فلم يزيدوا إلا ضلالاً ولزمتهم
الحجة البالغة لم يبق إلا أن يجعلوا عبرة للمعتبرين ولقد بالغ في ذلك حيث أتبع النهي عنه الأمر بالحمد على هلاكهم
والنجاة منهم كقوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقل رب أنزلني منزلاً مباركاً
وأنت خير المنزلين ثم أمره أن يدعو الله تعالى بدعاء هو أهم وأنفع له وهو طلب أن ينزله في السفينة أو في الأرض عند
خروجه منها منزلاً يبارك له فيه ويعطيه الزيادة في خير الدارين وأن يشفع الدعاء بالثناء عليه المطابق لمسألته وهو

قوله تعالى وأنت خير المنزلين فإن قلت هلا قيل فقولوا لقوله تعالى فإذا استويت انت ومن معك على الفلك لانه
معنى فإذا استويتم قلت لانه نبيهم وإمامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوة وإظهار
كبرياء الربوبية وان رتبة تلك المخاطبة لا يترقى إليها إلا ملك أو نبي • وقرئ منزلا بمعنى انزالا أو موضع انزال
كقوله تعالى ليدخلنهم مدخلا يرضونه إن في ذلك لآيات وإن كنا لمبتلين إن هي المخففة من الثقيلة واللام هي
الفارقة بين النافية وبينها والمعنى وإن الشأن والقصة كنا مبتلين أي مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب
شديد • أو مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر كقوله تعالى ولقد تركناها آية فهل من مدكر
ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين قرنا آخرين هم عاد قوم هود عليه الصلاة والسلام • عن ابن عباس رضي الله عنهما وتشهد
له حكاية الله تعالى قول هود واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ومجيء قصة هود على اثر قصة نوح في سورة
الأعراف وسورة هود والشعراء فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون فإن قلت
حق ارسل ان يعدى بالى كاخواته التي هي وجه وانفذ وبعث • فما باله عدي في القرآن بالى تارة وبفي أخرى قلت
لم يعد بفي كما عدي بالى ولم يجعل صلة مثله ولكن الأمة او القرية جعلت موضعا للارسال كما قال رؤبة •
• أرسلت فيها مصعبا ذا اقحام • طبا فقيها بذوات الابلام •
وقد جاء بعث على ذلك في قوله تعالى لبعثنا في كل قرية نذيرا أن مفسرة لأرسلنا أي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا
الله وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل
مما تأكلون ويشرب مما تشربون فإن قلت ذكر مقال قوم هود في جوابه في سورة الأعراف وسورة هود بغير
واو قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وههنا مع الواو فأي فرق
بينهما قلت الذي بغير واو على تقدير سؤال سائل قال فماذا قال قومه فقيل له قالوا كيت وكيت • وأما الذي
مع الواو فعطف لما قالوه على ما قاله ومعناه انه اجتمع في الحصول هذا الحق وهذا الباطل وشتان ما هما بلقاء الآخرة
بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب كقولك يا حبذا جوار مكة • حذف الضمير والمعنى من مشروبكم او حذف منه
لدلالة ما قبله عليه ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون
إذن واقع في جزاء الشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم أي تخسرون عقولكم وتغبنون في آرائكم ثني انكم للتوكيد وحسن
ذلك لفصل ما بين الأول والثاني بالظرف • ومخرجون خبر عن الأول او جعل انكم مخرجون مبتدأ واذا متم خبرا
على معنى اخراجكم اذا متم ثم اخبر بالجملة عن انكم او رفع انكم مخرجون بفعل هو جزاء للشرط كانه قيل اذا متم وقع
اخراجكم ثم اوقعت الجملة الشرطية خبرا عن انكم وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه أيعدكم اذا متم هيهات هيهات
لما توعدون قرئ هيهات بالكسر والفتح والضم كلها بتنوين وبلا تنوين • وبالسكون على لفظ الوقف فإن قلت
ما توعدون هو المستبعد ومن حقه ان يرتفع بهيهات كما ارتفع في قوله • فهيهات هيهات العقيق وأهله
فما هذه اللام • قلت قال الزجاج في تفسيره البعد لما توعدون • أو بعد لما توعدون فيمن نونه فنزله منزلة
المصدر وفيه وجه آخر وهو أن يكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام في
هيت لك لبيان المهيت به إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين هذا ضمير لا يعلم ما يعنى به إلا بما يتلوه
من بيانه وأصله ان الحياة الا حياتنا ثم وضع هي موضع الحياة لأن الخبر يدل عليها ويبينها ومنه هي النفس تتحمل ما
حملت وهي العرب تقول ما شاءت والمعنى لا حياة الا هذه الحياة لأن إن النافية دخلت على هي التي في معنى الحياة الدالة

الجنس فنفتها فوازنت لا التي نفت ما بعدها نفي الجنس ونموت ونحيا اي يموت بعض ويولد بعض قرن ويأتي قرن
آخر إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين
ثم قالوا ما هو الا مفتر على الله فيما يدعيه من استنبائه له وفيما يعدنا من البعث وما نحن بمصدقين قليل صفة للزمان
كقديم وحديث في قولك ما رأيته قديما ولا حديثا وفي معناه عن قريب وما توكيد لمعنى قلة المدة وقصرها
فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين الصيحة صيحة جبريل عليه الصلاة والسلام صاح عليهم
فدمرهم بالحق بالوجوب لأنهم قد استوجبوا الهلاك او بالعدل من الله تعالى من قولك فلان يقضي بالحق اذا كان
عادلا في قضاياه شبههم في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلي واسود من الورق والعيدان ومنه قوله تعالى
فجعله غثاء أحوى وقد جاء مشددا في قول امرئ القيس من السيل والغثاء فلكة مغزل بعدا وسحقا
ودفرا ونحوها مصادر موضوعة مواضع افعالها وهي من جملة المصادر التي قال سيبويه نصبت بافعال لا تستعمل
إظهارها ومعنى بعدا بعدوا اي هلكوا يقال بعد بعدا وبعدا نحو رشد رشدا ورشدا وللقوم الظالمين
بيان لمن دعي عليه بالبعد نحو هيت لك ولما توعدون ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين ما تسبق من أمة أجلها
وما يستأخرون قرونا قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم عليهم السلام وعن ابن عباس رضي الله عنهما بني اسرائيل أجلها
الوقت الذي حد لهلاكها وكتب ثم أرسلنا رسلنا تترى كل ما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم
أحاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون تترى فعلى الألف للتأنيث لأن الرسل جماعة وقرئ تترى بالتنوين والتاء بدل
من الواو كما في تولج ويتقور اي متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد اضاف الرسل اليه والى
أممهم ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات لأن الاضافة تكون بالملابسة والرسول
يلابس المرسل والمرسل اليه جميعا فأتبعنا الأمم والقرون بعضهم بعضا في الهلاك وجعلناهم أخبارا يسمر
بها ويتعجب منها والأحاديث يكون اسم جمع للحديث ومنه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكون جمعا
للأحدوثة التي هي مثل الأضحوكة والألعوبة والأعجوبة وهي ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا وهو
المراد هاهنا ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاستكبروا وكانوا قوما
عالين فإن قلت ما المراد بالسلطان المبين قلت يجوز ان تراد العصا لأنها كانت أم آيات موسى وأولاها
وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها حية وتلقفها ما أفكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر
بضربهما بها وكونها حارسا وشمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشاء جعلت كأنها ليست بعضا لما استبد
به من الفضل فلذلك عطفت عليها كقوله تعالى وجبريل وميكال ويجوز ان تراد الآيات انفسها اي هي آيات
وحجة بينة عالين متكبرين إن فرعون علا في الأرض لا يريدون علوا في الأرض او متطاولين على الناس
قاهرين بالظلم والبغي فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من المهلكين والبشر
يكون واحدا وجمعا بشرا سويا لبشرين فإما ترين من البشر ومثل وغير يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر
والمؤنث إنكم إذا مثلهم ومن الأرض مثلهن ويقال ايضا هما مثلاه وهم امثاله إن الذين تدعون من دون الله
عباد امثالكم وقومهما يعني بني اسرائيل كأنهم يعبدوننا خضوعا وتذللا او لأنه كان يدعي الالهية فادعى للناس
العبادة وأن طاعتهم له عبادة على الحقيقة ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون موسى الكتاب اي
قوم موسى التوراة لعلهم يعملون بشرائعها ومواعظها كما قال على خوف من فرعون وملائهم يريد آل فرعون وكما يقولون

هاشم، وثقيف، وتميم ويراد قومهم، ولا يجوز أن يرجع الضمير في لعلهم إلى فرعون وملائه لأن التورية إنما أوتيها
بنو اسرائيل بعد إغراق فرعون وملائه ق ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى **وجعلنا**
ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين فإن قلت لم قيل آيتين هل كان يكون له وجه قلت
نعم لأن مريم ولدت من غير مسيس وعيسى روح من الله ألقي إليها وقد تكلم في المهد وكان يحيي الموتى مع معجزات
أخر فكان آية من غير وجه. واللفظ محتمل للتثنية على تقدير وجعلنا ابن مريم آية وأمه آية ثم حذفت الأولى
لدلالة الثانية عليها ق الربوة والرباوة في رائهما الحركات. وقرئ ربوة ورباوة بالضم ورباوة بالكسر
وهي الأرض المرتفعة. قيل هي إيليا أرض بيت المقدس وإنها كبد الأرض وأقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلا
عن كعب. وقيل دمشق وغوطتها. وعن الحسن رحمة الله عليه فلسطين والرملة. وعن أبي هريرة رضي الله عنه الزموا
هذه الرملة رملة فلسطين فإنها الربوة التي ذكرها الله تعالى. وقيل مصر والقرار المستقر من أرض مستوية
منبسطة. وعن قتادة ذات ثمار وماء يعني أنه لأجل الثمار يستقر فيها ساكنوها ق والمعين الماء الظاهر الجاري
على وجه الأرض وقد اختلف في زيادة ميمه وأصالته فوجه من جعله مفعولا أنه مدرك بالعين لظهوره من عانه
إذا أدركه بعينه نحو ركبه إذا ضربه بركبته ووجه من جعله فعيلا أنه نفاع بظهوره وجريه من الماعون وهو
المنفعة **يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم** هذا النداء والخطاب ليسا على
ظاهرهما وكيف والرسل إنما أرسلوا متفرقين في أزمنة مختلفة وإنما المعنى الإعلام بأن كل رسول في زمانه نودي
لذلك ووصي به ليعتقد السامع أن أمرا نودي له جميع الرسل ووصوا به حقيق أن يؤخذ به ويعمل عليه. والمراد
بالطيبات ما حل وطاب. وقيل طيبات الرزق حلال وصاف وقوام فالحلال الذي لا يعصى الله تعالى فيه والصافي
الذي لا ينسى الله تعالى فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل أو أريد ما يستطاب ويستلذ من المآكل والفواكه
ويشهد له مجيئه على عقب قوله تعالى وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين. ويجوز أن يقع هذا الإعلام عند
إيواء عيسى ومريم صلوات الله عليهما إلى الربوة فذكر على سبيل الحكاية أي آويناهما وقلنا لهما. أي أعلمناهما أن
الرسل كلهم خوطبوا بهذا فكلا مما رزقناكما واعملا صالحا اقتداء بالرسل **وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم**
فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون قرئ وإن بالكسر على الاستئناف وأن بمعنى
ولأن وأن مخففة من الثقيلة وأمتكم مرفوعة معها. وقرئ زبرا جمع زبور أي كتبا مختلفة يعني جعلوا دينهم
أديانا وزبرا قطعا استعيرت من زبر الفضة والحديد. وزبرا مخففة الباء كرسل في رسل أي كل فرقة من فرق
هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم فرح بباطله مطمئن النفس معتقد أنه على الحق **فذرهم في غمرتهم حتى حين**
الغمرة الماء الذي يغمر القامة فضربت مثلا لما هم مغمورون فيه من جهلهم وعمايتهم أو شبهوا باللاعبين
في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل قال ... كأنني ضارب في غمرة لعب. وعن علي رضي الله عنه في غمراتهم
حتى حين. إلى أن يقتلوا أو يموتوا. سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك. ونهى عن الاستعجال بعذابهم والجزع
من تأخيره **أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون** وقرئ يمدهم ويسارع
ويسرع بالياء والفاعل الله سبحانه. ويجوز في نسارع ويسرع أن يتضمن ضمير الممد به. ويسارع مبنيا للمفعول
والمعنى أن هذا الإمداد ليس إلا استدراجا لهم إلى المعاصي واستجرارا إلى زيادة الإثم وهم يحسبونه مسارعة لهم
في الخيرات وفيما لهم فيه نفع وإكرام ومعاجلة بالثواب قبل وقته ويجوز أن يراد في جزاء الخيرات. كما يفعل بأهل الخير

من المسلمين وقيل استدراك لقوله تعالى أيحسبون يعني أنهم أشباه البهائم لا فطنة بهم ولا شعور حتى يتأملوا ويتفكروا
في ذلك • أهو استدراج أم مسارعة في الخير فإن قلت أين الراجع من خبر أن إلى اسمها إذا لم يستكن فيه ضميره
قلت هو محذوف تقديره نسارع به ويسارع به • ويسارع الله به • كقوله تعالى إن ذلك من عزم الأمور
أي إن ذلك منه وذلك لاستطالة الكلام مع بين الألباب إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم
بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون
يؤتون ما آتوا يعطون ما أعطوا وفي رواة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة يأتون ما أتوا أي يفعلون ما فعلوا
وعنها أنها قالت قلت يا رسول الله هو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا يا ابنة
الصديق ولكن هو الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله أن لا يقبل منه شيء أولئك يسارعون
في الخيرات وهم لها سابقون يسارعون في الخيرات يحتمل معنيين أحدهما أن يراد يرغبون في الطاعات أشد الرغبة
فيبادرونها • والثاني أنهم يتعجلون في الدنيا المنافع • ووجوه الإكرام كما قال تعالى • فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن
ثواب الآخرة • وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين • لأنهم إذا سورع بها لهم فقد سارعوا في نيلها
وتعجلوها وهذا الوجه أحسن طباقا للآية المتقدمة لأن فيه إثبات ما نفي عن أنكار المؤمنين وقرئ يسرعون في الخيرات
لها سابقون أي فاعلون السبق لأجلها أو سابقون الناس لأجلها أو إياها سابقون أي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم
في الدنيا • ويجوز لها سابقون خبرا بعد خبر ومعنى وهم لها كمعنى قوله • أنت لها أحمد من بين البشر ولا نكلف نفسا إلا
وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون يعني أن هذا الذي وصف به الصالحين غير خارج من حد الوسع والطاقة
وكذلك كل ما كلفه عباده وما عملوه من الأعمال فغير ضائع عنده بل هو مثبت لديه في كتاب يريد اللوح • أو صحيفة الأعمال
ناطق بالحق لا يقرؤون منه يوم القيامة إلا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان ولا نظلم منهم أحدا أو أراد أن الله
تعالى لا يكلف إلا الوسع فإن لم يبلغ المكلف أن يكون على صفة هؤلاء السابقين بعد أن يستفرغ وسعه ويبذل طاقته
فلا عليه ولدينا كتاب فيه • عمل السابق والمقتصد ولا نظلم أحدا من حقه ولا نحطه دون درجته حتى إذا
أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون حتى يأخذهم الله بالعذاب وحتى
هذه هي التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية والعذاب قتلهم يوم بدر أو الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله تعالى بالقحط حتى أكلوا
الجيف والكلاب والعظام المحترقة والقد والأولاد الجؤار الصراخ باستغاثة قال جأر ساعات الليل
لربه أي يقال لهم حينئذ لا تجأروا فإن الجؤار غير نافع لكم منا لا تنصرون لا تعانون ولا تمنعون منا أو من جهتنا
لا يلحقكم نصر ومعونة قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون قالوا
الضمير في به للبيت العتيق أو للحرم كانوا يقولون لا يظهر علينا أحد لأنا أهل الحرم والذي سوغ هذا الإضمار
شهرتهم بالاستكبار بالبيت وأنه لم تكن لهم مفخرة إلا أنهم ولاته والقائمون به ويجوز أن يرجع إلى آياتي إلا أنه
ذكر لأنها في معنى كتابي ومعنى استكبارهم بالقرآن تكذيبهم به استكبارا ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدي
تعديته أو يحدث لكم استماعه استكبارا وعتوا فأنتم مستكبرون بسببه أو يتعلق الباء بسامرا أي تسمرون
بذكر القرآن والسامر نحو الحاضر في الإطلاق على الجمع وقرئ سمرا وسمارا وتهجرون وتهجرون من أهجر
في منطقه إذا أفحش والهجر بالضم الفحش ومن هجر الذي هو مبالغة في هجر إذا هذى والهجر بالفتح الهذيان وإنما

بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون
بل قلوبهم في غفلة
غامرة لها مما عليه
هؤلاء الموصوفون من المشفقين ولهم
أعمال متجاوزة متخطية
لما وصف به المؤمنون هم لها
معتادون بها ضارون
لا يفطمون عنها

انلم

أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين القول القرآن يقول أفلم يتدبروه ليعلموا أنه الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء
به بل أجاءهم ما لم يأت آباءهم فلذلك أنكروه واستبدعوه كقوله تعالى لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون
أو ليخافوا عند تدبر آياته وأقاصيصه مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين أم جاءهم من الأمن ما لم يأت آباءهم حين خافوا
الله فآمنوا به وبكتبه ورسله وأطاعوه وآباؤهم إسمعيل وأعقابه من عدنان وقحطان وعن النبي صلى الله عليه وسلم
لا تسبوا مضر ولا ربيعة فإنهما كانا مسلمين ولا تسبوا قسا فإنه كان مسلما ولا تسبوا الحارث بن كعب ولا أسد
ابن خزيمة ولا تميم بن مر فإنهم كانوا على الإسلام وما شككتم فيه من شيء فلا تشكوا في أن تبعا كان مسلما وروي في أن
ضبة كان مسلما وكان على شرطة سليمان بن داود عليه الصلاة والسلام أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون أم لم يعرفوا
محمدا وصحة نسبه وحلوله في سطة هاشم وأمانته وصدقه وشهامته وعقله واتسامه بأنه خير فتيان
قريش والخطبة التي خطبها أبو طالب في نكاح خديجة بنت خويلد رضي الله عنها كفى برغائها مناديا أم يقولون به
جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون الجنة الجنون وكانوا يعلمون أنه بريء منها وأنه أرجحهم عقلا وأثقبهم
ذهنا ولكنه جاءهم بما خالف شهواتهم ولم يوافق ما نشأوا عليه وسيط بلحومهم ودمائهم من اتباع الباطل ولم يجدوا
له مردا ولا مدفعا لأنه الحق الأبلج والصراط المستقيم فأخلدوا إلى البهت وعولوا على الكذب من النسبة إلى الجنون
والسحر والشعر فإن قلت قوله وأكثرهم فيه أن أقلهم كانوا لا يكرهون الحق قلت كان فيهم من يترك الإيمان
أنفة واستنكافا من توبيخ قومه وأن يقولوا صبأ وترك دين آبائه لا كراهة للحق كما يحكى عن أبي طالب فإن قلت
يزعم بعض الناس أن أبا طالب صح إسلامه قلت يا سبحان الله كأن أبا طالب كان أخمل أعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى يشتهر إسلام حمزة والعباس رضي الله عنهما ويخفى إسلام أبي طالب ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن
فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون دل بهذا على عظم شأن الحق وأن السموات والأرض ما قامت
ولا من فيهن إلا به فلو اتبع أهواءهم لانقلب باطلا ولذهب ما يقوم به العالم فلا يبقى له بعده قوام أو أراد أن الحق
الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وهو الإسلام لو اتبع أهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيامة ولأهلك العالم
ولم يؤخر وعن قتادة أن الحق هو الله ولو كان الله إلها يتبع أهواءهم ويأمر بالشرك والمعاصي لما كان إلها ولكان
شيطانا ولما قدر على أن يمسك السموات والأرض بذكرهم بالكتاب الذي هو ذكرهم أي وعظهم أو وصيتهم
وفخرهم أو بالذكر الذي كانوا يتمنونه ويقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين وقرئ
بذكراهم أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين قرئ خراجا فخراج وخرجا فخرج وخرجا فخراج
وهو ما تخرجه إلى الإمام من زكاة أرضك وإلى كل عامل من أجرته وجعله وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك
أداؤه والوجه أن الخرج أخص من الخراج كقولك خراج القرية وخرج الكوفة فزيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذلك
حسنت قراءة من قرأ خرجا فخراج ربك خير يعني أم تسألهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق
خير وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم ألزمهم الحجة في هذه الآيات وقطع معاذيرهم وعللهم بأن الذي أرسل إليهم
رجل معروف أمره وحاله مخبور سره وعلنه خليق بأن يجتبى مثله للرسالة من بين ظهرانيهم وأنه لم يعرض
له حتى يدعي بمثل هذه الدعوى العظيمة بباطل ولم يجعل ذلك سلما إلى النيل من دنياهم واستعطاء أموالهم ولم يدعهم
إلى دين الإسلام الذي هو الصراط المستقيم مع إبراز المكنون من أدوائهم وهو إخلالهم بالتدبر والتأمل واستهتارهم
بدين الآباء الضلال من غير برهان وتعللهم بأنه مجنون بعد ظهور الحق وثبات التصديق بالمعجزات والآيات النيرة

وكراهتهم للحق واعراضهم عما فيه حظهم من الذكر وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون يحتمل ان هؤلاء وصفتهم
انهم لا يؤمنون بالآخرة لناكبون اي عادلون عن هذا الصراط المذكور وهو قوله تعالى الى صراط مستقيم وان كل من لا
يؤمن بالآخرة فهو عن القصد ناكب ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون لما اسلم ثمامة بن
اثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة من اهل مكة واخذهم الله تعالى بالسنين حتى اكلوا العلهز جاء ابو سفيان
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال
قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو الهزال والقحط الذي اصابهم برحمته
عليهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وافراطهم
فيها ولذهب عنهم هذا الابلاس وهذا التملق بين يديه يسترحمونه ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم
وما يتضرعون حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون واستشهد على ذلك بانا اخذناهم
اولا بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم واسرهم فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع
حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو اشد من الاسر والقتل وهو اطم العذاب فابلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاء
اعتاهم واشدهم شكيمة في العناد يستعطفك او محناهم بكل محنة من القتل والجوع فما رؤي فيهم لين مقادة
وهم كذلك حتى اذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون لقوله سبحانه وتعالى ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون لا يفتر
عنهم وهم فيه مبلسون والابلاس اليأس من كل خير وقيل السكوت مع التحير فان قلت ما وزن استكان قلت
استفعل من الكون اي انتقل من كون الى كون كما قيل استحال اذا انتقل من حال الى حال ويجوز ان يكون افتعل
من السكون اشبعت فتحة عينه كما جاء بمنتزاح فان قلت هلا قيل وما تضرعوا او فما يستكينون قلت
لان المعنى محناهم فما وجدت منهم عقيب المحنة استكانة وما من عادة هؤلاء ان يستكينوا ويتضرعوا حتى يفتح عليهم
باب العذاب الشديد وقرئ فتحنا وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون انما خص
السمع والابصار والافئدة لانه يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها ومقدمة منافعها ان يعملوا
ابصارهم واسماعهم في آيات الله وافعاله ثم ينظروا ويستدلوا بقلوبهم ومن لم يعملها فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها كما
قال عز وعلا فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله ومقدمة شكر
النعمة فيها الاقرار بالمنعم بها وان لا يجعل له ند وشريك اي تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتأكيد بمعنى حقا
وهو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار افلا تعقلون ذرأكم
خلقكم وبثكم بالتناسل واليه تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم وله اختلاف الليل والنهار اي هو مختص به ولا يتولاه
لا يقدر على تصريفهما غيره وقرئ يعقلون بالياء عن ابي عمرو بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا أئذا متنا وكنا
ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين اي قال اهل
مكة كما قال الكفار قبلهم الاساطير جمع اسطار جمع سطر كما قال رؤبة اني واسطار سطرن سطرا وهي
ما كتبه الاولون مما لا حقيقة له وجمع اسطورة اوفق قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون
قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله قل افلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار
عليه ان كنتم تعلمون سيقولون الله قل فانى تسحرون بل اتيناهم بالحق وانهم لكاذبون اي اجيبوني عما استعلمتكم منه
ان كان عندكم فيه علم وفيه استهانة بهم وتجويز لفرط جهالتهم بالديانات ان يجهلوا مثل هذا الظاهر البين وقرئ تذكرون

بلغ مقابلة

تحرزون

بلغ مقابلة

بحذف التاء الثانية ومعناه أفلا تتذكرون فتعلموا أن من فطر الأرض ومن فيها اختراعا كان قادرا على إعادة الخلق وكان حقيقا بأن لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية • قرئ الأول باللام لا غير والأخيران باللام • وهو هكذا في مصاحف أهل الحرمين والكوفة والشام وبغير اللام وهو هكذا في مصاحف أهل البصرة باللام على المعنى لأن قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد وبغير اللام على اللفظ ويجوز قراءة الأول بغير لام ولكنها لم تثبت في الرواية ف أفلا تتقون أفلا تخافونه فلا تشركوا به ولا تعصوا رسله ف أجرت فلانا على فلان إذا أغثته منه ومنعته منه يعني وهو يغيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث أحد منه أحدا ف تسحرون تخدعون عن توحيده وطاعته والخادع هو الشيطان والهوى • وقرئ أتيتهم وأتيتهم بالفتح والضم ف بالحق بأن نسبة الولد إليه محال والشرك باطل وإنهم لكاذبون حيث يدعون له ولدا ومعه شريكا ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون لذهب كل إله بما خلق لانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذي خلقه واستبد به ولرأيتم ملك كل واحد منهم متميزا من ملك الآخرين ولغلب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة وهم متغالبون وحين لم تروا أثرا لتمايز الممالك وللتغالب فاعلموا أنه إله واحد بيده ملكوت كل شيء • فإن قلت إذن لا تدخل إلا على كلام هو جزاء وجواب فكيف وقع جوابه قوله تعالى إذن لذهب كل إله جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل قلت الشرط محذوف تقديره ولو كان معه آلهة وإنما حذف لدلالة قوله تعالى وما كان معه من إله عليه وهو جواب لمن معه المحاجة من المشركين عما يصفون من الأنداد والأولاد ف عالم الغيب بالجر صفة لله وبالرفع خبر مبتدأ محذوف ف قل رب إما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون ما والنون مؤكدتان أي إن كان لا بد من أن تريني ما تعدهم من العذاب في الدنيا أو في الآخرة فلا تجعلني قرينا لهم ولا تعذبني بعذابهم عن الحسن رحمه الله أخبره الله أن له في أمته نقمة ولم يخبره أفي حياته أم بعد موته فأمره بأن يدعو بهذا الدعاء فإن قلت كيف يجوز أن يجعل الله تعالى نبيه المعصوم مع الظالمين حتى يطلب أن لا يجعله معهم قلت يجوز أن يسأل العبد ربه ما علم أنه يفعله وأن يستعيذ به مما علم أنه لا يفعله إظهارا للعبودية وتواضعا لربه وإخباتا له واستغفاره صلى الله عليه وسلم إذا قام من مجلسه سبعين مرة أو مائة مرة لذلك وما أحسن قول الحسن في قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه وليتكم ولست بخيركم كان يعلم أنه خيرهم ولكن المؤمن يهضم نفسه وقرئ إما ترئني بالهمز كأنه قرئ فإما ترين بالجحيم وهي ضعيفة وقوله تعالى رب مرتين قبل الشرط وقبل الجزاء حث على فضل تضرع وجؤار كانوا ينكرون الوعد بالعذاب ويضحكون منه واستعجالهم له لذلك فقيل لهم إن الله تعالى قادر على إنجاز ما وعد إن تأملتم فما وجه هذا الإنكار ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون هو أبلغ من أن يقال بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كأنه قال ادفع بالحسنى السيئة والمعنى الصفح عن إساءتهم ومقابلتها بما أمكن من الإحسان حتى إذا اجتمع الصفح والإحسان وبذل الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة بإزاء سيئة وهذه قضية قوله بالتي هي أحسن • وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي شهادة أن لا إله إلا الله • والسيئة الشرك • وعن مجاهد السلام يسلم عليه إذا لقيه • وعن الحسن الإغضاء والصفح وقيل هي منسوخة بآية السيف وقيل محكمة لأن المداراة محثوث عليها ما لم تؤد إلى ثلم دين وإزراء بمروءة ف بما يصفون بما يذكرون من أحوالك بخلاف صفتها أو بوصفهم لك وسوء ذكرهم والله أعلم بذلك منك وأقدر على جزائهم ف وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون الهمز النخس والهمزات جمع المرة • ومنه مهماز الرائض والمعنى أن الشياطين يحثون الناس على المعاصي ويغرونهم عليها كما تهمز الراضة الدواب حثا لها على المشي ونحو الهمز الأز في قوله تعالى تؤزهم أزا أمر بالتعوذ

من همزات الشياطين بلفظ المبتهل الى ربه المكرر لندائه وبالتعوذ من ان يحضروه اصلا ويحوموا حوله • وعن ابن عباس رضي الله عنهما
عند تلاوة القرآن وعن عكرمة عند النزع حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة
هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون حتى تتعلق بيصفون اي لا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت والآية
فاصلة بينهما على وجه الاعتراض والتاكيد للاغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان ان يستزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم
او على قوله وانهم لكاذبون خطاب الله تعالى بلفظ الجمع للتعظيم • كقوله • فان شئت حرمت النساء سواكم • •
وقوله • الا فارحموني يا اله محمد • اذا ايقن بالموت واطلع على حقيقة الامر • ادركته الحسرة على ما فرط
فيه من الايمان والعمل الصالح فيه • فسال ربه الرجعة • وقال لعلي اعمل صالحا • في الايمان الذي تركته • والمعنى
لعلي آتي بما تركته من الايمان واعمل فيه صالحا كما تقول • لعلي ابني على اس • او ابتني اسا • وابني عليه
وقيل فيما تركت من المال • وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى دار الدنيا فيقول الى
دار الهموم والاحزان • بل قدوما الى الله تعالى • واما الكافر فيقول رب ارجعون • كلا ردع عن طلب الرجعة وانكار
واستبعاد • والمراد بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهي قوله تعالى اعمل صالحا فيما تركت • هو قائلها •
لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة عليه وتسلط الندم • او هو قائلها وحده لا يجاب اليها ولا تسمع منه •
ومن ورائهم برزخ والضمير للجماعة اي امامهم حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم البعث وليس المعنى انهم يرجعون
يوم البعث وانما هو اقناط كلي لما علم انه لا رجعة يوم البعث الا الى الآخرة فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ
ولا يتساءلون الصور بفتح الواو عن الحسن والصور بالكسر والفتح عن ابي رزين وهذا دليل لمن فسر الصور بجمع الصورة
ونفي الانساب يحتمل ان التقاطع يقع بينهم حيث يتفرقون معاقبين ومثابين ولا يكون التواصل بينهم والتالف الا
بالاعمال فتلغو الانساب وتبطل وانه لا يعتد بالانساب لزوال التعاطف والتراحم بين الاقارب • اذ يفر المرء من
اخيه • وامه وابيه وصاحبته وبنيه • وعن ابن مسعود رضي الله عنه • ولا يتساءلون بادغام التاء في السين فان قلت
قد ناقض هذا ونحو قوله تعالى لا يسال حميم حميما قوله تعالى واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقوله تعالى
يتعارفون بينهم فكيف التوفيق بينهما قلت فيه جوابان احدهما ان يوم القيمة مقداره خمسون الف سنة ففيه ازمنة
واحوال مختلفة يتساءلون ويتعارفون في بعضها وفي بعضها لا يفطنون لذلك لشدة الهول والفزع والثاني ان التناكر
يكون عند النفخة الاولى فاذا كانت الثانية قاموا فتعارفوا وتساءلوا وعن ابن عباس رضي الله عنهما فمن ثقلت موازينه
فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون
الموازين جمع موزون وهي الموزونات من الاعمال اي الصالحات التي لها وزن وقدر عند الله تعالى من قوله عز
وجل فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا في جهنم خالدون بدل من خسروا انفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة
لا محل لها او خبر بعد خبر لاولئك او خبر مبتدا محذوف • تلفح تسفع • وقال الزجاج النفخ واللفح
واحد الا ان اللفح اشد تاثيرا والكلوح ان تتقلص الشفتان وتتشمر عن الانسان كما ترى الرؤوس المشوية • وعن
مالك بن دينار رحمة الله عليه كان سبب توبة عتبة الغلام انه مر في السوق براس اخرج من التنور فغشي عليه •
ثلاثة ايام ولياليهن • وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه
وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته وقرئ كلحون الم تكن اياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا
شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون غلبت علينا ملكتنا من قولك غلبني فلان على كذا اذا

احق منك واسلكه والشقاوة سوء العاقبة التي علم الله انهم يستحقونها بسوء اعمالهم وقرئ شقاوتنا بفتح الشين وكسرها
فيها قال اخسؤوا فيها ولا تكلمون اخسؤوا فيها ذليلين وانزجروا كما تنزجر الكلاب اذا زجرت يقال خسأ الكلب
وخسأ بنفسه ولا تكلمون في رفع العذاب فانه لا يرفع ولا يخفف قيل هو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد
ذلك الا الزفير والشهيق والعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان لهم
ست دعوات اذا دخلوا النار قالوا الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فينادون الفا
ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله فينادون الفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون
فينادون الفا ربنا اخرجنا فيجابون اولم تكونوا فينادون الفا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم
فينادون الفا رب ارجعون فيجابون اخسؤوا فيها انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا
وانت خير الراحمين وفي حرف ابي رضي الله عنه انه كان فريق بالفتح بمعنى لانه فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم
ذكري وكنتم منهم تضحكون السخري بالضم والكسر مصدر سخر كالسخر الا ان في ياء النسب زيادة قوة في الفعل كما قيل
الخصوصية في الخصوص وعن الكسائي والفراء ان المكسور من الهزء والمضموم من السخرة والعبودية اي تسخروهم
واستعبدوهم والاول مذهب الخليل وسيبويه قيل هم الصحابة وقيل اهل الصفة خاصة ومعناه اتخذتموهم
هزؤا وتشاغلتم بهم ساخرين حتى انسوكم بتشاغلكم بهم على تلك الصفة ذكري فتركتموه اي تركتم ان تذكروني
فتخافوني في اوليائي اني جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون وقرئ انهم بالفتح والكسر على الاستيناف
اي قد فازوا حيث صبروا فجزوا بصبرهم احسن الجزاء والفتح على انه مفعول جزيتهم اليوم لقولك جزيتهم
فوزهم قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فسئل العادين قال ان لبثتم الا قليلا
لو انكم كنتم تعلمون قال في مصاحف اهل الكوفة وقل في مصاحف اهل الحرمين والبصرة والشام ففي قال
ضمير الله تعالى او المأمور بسؤالهم من الملائكة وفي قل ضمير الملك او بعض رؤساء اهل النار استقصروا مدة لبثهم في
الدنيا بالاضافة الى خلودهم ولما هم فيه من عذابها لان الممتحن يستطيل ايام محنته ويستقصر ايام الدعة اليها او لانهم
كانوا في سرور وايام السرور قصار او لان المنقضي في حكم ما لم يكن وصدقهم الله تعالى في تقالهم في سني لبثهم في
في الدنيا بالاضافة الى خلودهم ولما هم فيه من عذابها ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها وقرئ فسل العادين
والمعنى لا نعرف من عدد تلك السنين الا انا نستقلها ونحسبها يوما او بعض يوم لما نحن فيه من العذاب وما فينا ان نعدها
كم هي فسل من فيه ان يعد ومن يقدر ان يلقي اليه فكره وقيل فسل الملائكة الذين يعدون اعمار العباد ويحصون
اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي الظلمة فانهم يقولون كما نقول وقرئ العاديين اي القدماء المعمرين
فانهم يستقصرونها فكيف بمن دونهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما انساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين افحسبتم
انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون عبثا حال اي عابثين لقوله تعالى لاعبين او مفعول له اي ما خلقناكم للعبث
ولم يدعنا الى خلقكم الا حكمة اقتضت ذلك وهي ان نتعبدكم ونكلفكم المشاق من الطاعات وترك المعاصي ثم نرجعكم
من دار التكليف الى دار الجزاء فنثيب المحسن ونعاقب المسيء وانكم الينا لا ترجعون معطوف على انما خلقناكم
ويجوز ان يكون معطوفا على عبثا اي للعبث ولترككم غير مرجوعين وقرئ ترجعون بفتح التاء فتعالى الله
الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم الحق الذي يحق له الملك لان كل شيء منه واليه او الثابت الذي لا يزول
ولا يزول ملكه وصف العرش بالكرم لان الرحمة تنزل منه والخير والبركة او لنسبته الى اكرم الاكرمين كما يقال

يبيت كريم اذا كان سالكوه كراما • وقرئ اللّه بالرفع وصفا لذو العرش المجيد ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين لا برهان له به كقوله تعالى ما لم ينزل به سلطانا وهي صفة لازمة • نحو قوله تعالى يطير بجناحيه جيء بها للتوكيد لا ان يكون في الالهة ما يجوز ان يقوم عليه برهان • ويجوز ان يكون اعتراضا بين الشرط والجزاء • كقولك من احسن الى زيد لا احق بالاحسان منه فالله تعالى مثيبه • وقرئ انه لا يفلح بفتح الهمزة • ومعناه حسابه عدم الفلاح • والاصل حسابه انه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لان من يدع في معنى الجمع • وكذلك حسابه انه لا يفلح في حسابهم انهم لا يفلحون • جعل فاتحة السورة قد افلح المؤمنون واورد في خاتمتها انه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنون بشرته الملائكة بالروح والريحان • وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وروي ان اول سورة قد افلح • واخرها من كنوز العرش • من عمل بثلاث ايات من اولها • واتعظ باربع ايات من آخرها فقد نجا وافلح • وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي يسمع عنده دوي كدوي النحل فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة • ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا ثم قال لقد انزلت علي عشر ايات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر •

٩٠

سورة النور مدنية | بسم الله الرحمن الرحيم | وهي ستون واربع ايات

سورة انزلناها وفرضناها وانزلنا فيها ايات بينات لعلكم تذكرون سورة خبر مبتدا محذوف وانزلناها صفة او هي مبتدأ موصوف والخبر محذوف اي فيما اوحينا اليك سورة انزلناها وقرئ بالنصب على زيدا ضربته ولا محل لانزلناها لانها مفسرة للمضمر فكانت في حكمه او على دونك سورة او اتل سورة وانزلناها صفة • ومعنى فرضناها فرضنا احكامها التي فيها واصل الفرض القطع اي جعلناها واجبة مقطوعا بها • والتشديد للمبالغة في الايجاب وتوكيده • او لان فيها فرائض شتى وانك تقول • الفريضة وفرضت الفرائض او لكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم تذكرون بتشديد الذال وتخفيفها الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تاخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند الخليل وسيبويه على معنى فيما فرض عليكم الزانية والزاني اي فاجلدوهما كما تقول من زنا فاجلده وانما دخلت الفاء لكون الالف واللام بمعنى الذي وتضمينه معنى الشرط تقديره • الذي زنت والذي زنا فاجلدوهما كما تقول من زنا فاجلدوه وكقوله تعالى والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من سورة انزلناها لاجل الامر • وقرئ والزان بلا ياء • والجلد ضرب الجلد يقال جلده كقولك ظهره وبطنه وراسه • فان قلت اهذا حكم جميع الزناة والزواني ام حكم بعضهم قلت بل حكم من ليس بمحصن منهم فان المحصن حكمه الرجم وشرائط الاحصان عند ابي حنيفة رحمة الله عليه ستة الاسلام • والحرية • والعقل • والبلوغ • والتزوج بنكاح صحيح والدخول • اذا فقدت واحدة منها فلا احصان • وعند الشافعي رضي الله عنه • الاسلام ليس بشرط لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم • رجم يهوديين • وحجة ابي حنيفة رضي الله عنه قوله عليه الصلاة والسلام من اشرك بالله فليس بمحصن فان قلت اللفظ يقتضي تعلق الحكم بجميع الزناة والزواني لان قوله الزانية والزاني ابدا لا يدل على الجنسين المنافيين لجنس العفيف والعفيفة

عام في الجميع يتناول المحصن وغير المحصن تلك الزانية والزاني

وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ اَيْمَانُهُمْ فَكَاتِبُوهُمْ اِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ
خَيْراً وَ آتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِى آتَيكُمْ ۔

و الذين يبتغون الكتاب مرفوعٌ على الابتدا او منصوبٌ لِفعلٍ مُضمَرٍ يُفسِّره
فكاتبوهم لقولك زيداً فاضرِبهُ دخلت الفا ليضمن معنى الشرط و الكتابة
و المكاتبة كالعِتاب و المعاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك
على الف درهم فان اداها عتق ومعناه كتبتُ لك على نفسى ان تعتق منى
اذا وفيتَ بالمال وكتبتُ لى على نفسك ان تفى بذلك او كتبتُ عليك الوفا
بالمال وكتبتُ على العتق و يجوز عند ابى حنيفه رحمة الله عليه حالاً
ومؤجلاً ومنجماً وغير منجمٍ لان الله تعالى لم يذكر التنجيم و قياسا على سائر
العقود وعند الشافعى راه لا يجوز الا منجماً ومؤجلاً
بنجمين واقله لان العبد لا يملك شيأ فعقده حالاً منع من حصوله الغرض لانه لا (ولا يجوز عنده)
يقدر على البدل عاجلاً ويجوز عقده على مال قليل وكثير وعلى خدمةٍ فى
مُدَّةٍ معلومةٍ وعلى عملٍ معلومٍ مؤقتٍ مثل حفر بيرٍ فى مكانٍ بعينه معلومة
الطول والعرض وبناء دارٍ قد اراه آجرها وجصها وما يبنى به وان كاتبه
على قيمته لم يجز فان اداها عتق وان كاتب على وصفٍ جاز الجهالة و
وجب الوسط وليس له ان يطا المكاتبه واذا ادى عتق

ولا له مطلقة والجنسية فانية في الكل والبعض جميعا فايهما قصد المتكلم فلا عليه كما يفعل بالاسم المشترك وقرئ لا يأخذكم بالياء
ورأفة بفتح الهمزة ورآفة على فعالة والمعنى ان الواجب على المؤمنين ان يتصلبوا في دين الله ويستعملوا الجد والمتانة فيه
ولا يأخذهم اللين والهوادة في استيفاء حدوده وكفى برسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة في ذلك حيث قال لو سرقت
فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقوله تعالى ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر من باب التهييج والهاب الغضب لله
تعالى ولدينه وقيل لا تترحمون عليهما حتى لا تعطلوا الحدود او حتى لا توجعوهما ضربا وفي الحديث يؤتى بوال نقص من الحد
سوطا فيقول رحمة لعبادك فيقال انت ارحم بهم مني فيؤمر به الى النار ويؤتى بمن زاد سوطا فيقول لينتهوا عن معاصيك
فيؤمر به الى النار وعن ابي هريرة رضي الله عنه اقامة حد بارض خير لاهلها من مطر اربعين ليلة وعلى الامام ان ينصب
للحدود رجلا عالما بصيرا يعقل كيف يضرب والرجل يجلد قائما على تجرده وليس عليه الا ازاره ضربا وسطا لا مبرحا
ولا هينا مفرقا على الاعضاء كلها لا يستثنى منها الا ثلاثة الوجه والرأس والفرج وفي لفظ الجلد ايذان الى
انه لا ينبغي ان يتجاوز الالم الى اللحم والمرأة تجلد قاعدة ولا ينزع من ثيابها الا الحشو والفرو وبهذه الآية استشهد
ابو حنيفة رحمة الله عليه على ان الجلد حد غير المحصن بلا تغريب وما احتج به الشافعي رضي الله عنه على وجوب التغريب
من قوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وما يروى عن الصحابة رضوان الله عليهم
اجمعين انهم جلدوا ونفوا منسوخ عنده وعند اصحابه بالآية او محمول على وجه التعزير والتأديب من غير وجوب وقول
الشافعي رضي الله عنه في تغريب الحر واحد وله في العبد ثلاثة اقاويل يغرب سنة كالحر ويغرب نصف سنة
كما يجلد خمسين جلدة ولا يغرب كما قال ابو حنيفة وبهذه الآية نسخ الحبس والاذى في قوله عز وجل فامسكوهن
في البيوت وقوله تعالى فآذوهما وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قيل تسميته عذابا دليل على انه عقوبة ويجوز
ان يسمى عذابا لانه يمنع من المعاودة كما سمي نكالا والطائفة الفرقة التي يمكن ان تكون حلقة واقلها
ثلاثة او اربعة وهي صفة غالبة كأنها الجماعة الحافة حول الشيء وعن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها اربعة الى اربعين رجلا
من المصدقين بالله وعن الحسن رحمة الله عليه عشرة وعن قتادة ثلاثة فصاعدا وعن عكرمة رجلان فصاعدا وعن
مجاهد الواحد فما فوقه وفضل قول ابن عباس لان الاربعة هي الجماعة التي يثبت بها هذا الحد والصحيح ان هذه الكبيرة
من امهات الكبائر ولهذا قرنها الله تعالى بالشرك وقتل النفس في قوله تعالى ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما
وقال تعالى ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا وعن النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر الناس اتقوا الزنى فان
فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فاما اللاتي في الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص
العمر واما اللاتي في الآخرة فيوجب السخطة وسوء الحساب والخلود في النار ولذلك وفى الله تعالى فيه
عقد المائة بكماله بخلاف حد القذف وشرب الخمر وشرع فيه القتلة الهولة وهي الرجم ونهى المؤمنين عن الرأفة
على المجلود فيه وامر بشهادة الطائفة للتشهير فوجب ان يكون طائفة يحصل بها التشهير والواحد والاثنان ليسوا
بتلك المثابة واختصاصه المؤمنين لان ذلك افضح والفاسق بين صلحاء قومه اخجل ويشهد له قول ابن عباس رضي الله
عنه الى اربعين رجلا من المصدقين الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم
ذلك على المؤمنين الفاسق الخبيث الذي من شأنه الزنى والتقحب لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء واللاتي
على خلاف صفته وانما يرغب في فاسقة خبيثة من شكله او في مشركة والفاسقة الخبيثة المسافحة كذلك
لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال وينفرون عنها وانما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة او المشركين

وَنِكَاحُ الْمُؤْمِنِ الْمَمْدُوحِ عِنْدَ اللهِ الزَّانِيَةَ وَرَغْبَتُهُ فِيهَا وَانْخِرَاطُهُ بِذَلِكَ فِي سِلْكِ الْفَسَقَةِ الْمُتَّسِمِينَ بِالزِّنَا مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ مَحْظُورٌ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّشَبُّهِ
بِالْفُسَّاقِ وَحُضُورِ مَوْقِعِ التُّهْمَةِ وَالتَّسَبُّبِ لِسُوءِ الْمَقَالَةِ فِيهِ وَالْغِيبَةِ وَأَنْوَاعِ الْمَفَاسِدِ وَمُجَالَسَةُ الْخَاطِئِينَ كَمْ فِيهَا مِنَ التَّعَرُّضِ لِاقْتِرَافِ الْآثَامِ
فَكَيْفَ بِمُزَاوَجَةِ الزَّوَانِي وَالْقِحَابِ وَقَدْ نَبَّهَ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ
وَقِيلَ كَانَ بِالْمَدِينَةِ مُوسِرَاتٌ مِنْ بَغَايَا الْمُشْرِكِينَ فَرَغِبَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ فِي نِكَاحِهِنَّ فَاسْتَأْذَنُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَزَلَتْ
وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا زَنَى بِامْرَأَةٍ لَيْسَ لَهُ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا لِهَذِهِ الْآيَةِ وَإِذَا بَاشَرَهَا كَانَ زَانِيًا وَقَدْ أَجَازَهُ
ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَشَبَّهَهُ بِمَنْ سَرَقَ ثَمَرَ شَجَرَةٍ ثُمَّ اشْتَرَاهُ وَعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ
أَوَّلُهُ سِفَاحٌ وَآخِرُهُ نِكَاحٌ وَالْحَرَامُ لَا يُحَرِّمُ الْحَلَالَ وَقِيلَ الْمُرَادُ بِالنِّكَاحِ الْوَطْءُ وَلَيْسَ بِقَوْلٍ لِأَمْرَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ أَيْنَمَا وَرَدَتْ
فِي الْقُرْآنِ لَمْ تَرِدْ إِلَّا فِي مَعْنَى الْعَقْدِ وَالثَّانِي فَسَادُ الْمَعْنَى وَأَدَاؤُهُ إِلَى قَوْلِكَ الزَّانِي لَا يَزْنِي إِلَّا بِزَانِيَةٍ وَالزَّانِيَةُ لَا يَزْنِي بِهَا إِلَّا زَانٍ وَقِيلَ
كَانَ نِكَاحُ الزَّانِيَةِ مُحَرَّمًا فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ ثُمَّ نُسِخَ وَالنَّاسِخُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَقِيلَ الْإِجْمَاعُ وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنْ
سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَإِنْ قُلْتَ أَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ مَعْنَى الْجُمْلَةِ الْأُولَى وَمَعْنَى الثَّانِيَةِ قُلْتُ مَعْنَى الْأُولَى صِفَةُ
الزَّانِي بِكَوْنِهِ غَيْرَ رَاغِبٍ فِي الْعَفَائِفِ وَلَكِنْ فِي الْفَوَاجِرِ وَمَعْنَى الثَّانِيَةِ صِفَةُ الزَّانِيَةِ بِكَوْنِهَا غَيْرَ مَرْغُوبٍ فِيهَا لِلْأَعِفَّاءِ وَلَكِنْ
لِلزُّنَاةِ وَهُمَا مَعْنَيَانِ مُخْتَلِفَانِ فَإِنْ قُلْتَ كَيْفَ قُدِّمَتِ الزَّانِيَةُ عَلَى الزَّانِي أَوَّلًا ثُمَّ قُدِّمَ عَلَيْهَا ثَانِيًا قُلْتُ سِيقَتْ
تِلْكَ الْآيَةُ لِعُقُوبَتِهِمَا عَلَى مَا جَنَيَا وَالْمَرْأَةُ هِيَ الْمَادَّةُ الَّتِي مِنْهَا نَشَأَتِ الْجِنَايَةُ لِأَنَّهَا لَوْ لَمْ تُطْمِعِ الرَّجُلَ وَلَوْ لَمْ تُومِضْ لَهُ وَلَمْ تُمَكِّنْهُ
لَمْ يَطْمَعْ وَلَمْ يَتَمَكَّنْ فَلَمَّا كَانَتْ أَصْلًا وَأَوَّلًا فِي ذَلِكَ بُدِئَ بِذِكْرِهَا وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَمَسُوقَةٌ لِذِكْرِ النِّكَاحِ وَالرَّجُلُ أَصْلٌ فِيهِ
لِأَنَّهُ هُوَ الرَّاغِبُ الْخَاطِبُ وَمِنْهُ يُبْدَأُ الطَّلَبُ وَعَنْ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ لَا يَنْكِحْ بِالْجَزْمِ عَلَى النَّهْيِ وَالْمَرْفُوعُ أَيْضًا فِيهِ مَعْنَى
النَّهْيِ وَلَكِنْ أَبْلَغُ وَآكَدُ كَمَا أَنَّ رَحِمَكَ اللهُ وَيَرْحَمُكَ أَبْلَغُ مِنْ لِيَرْحَمْكَ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ خَبَرًا مَحْضًا عَلَى مَعْنَى أَنَّ عَادَتَهُمْ جَارِيَةٌ عَلَى ذَلِكَ
وَعَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ لَا يُدْخِلَ نَفْسَهُ تَحْتَ هَذِهِ الْعَادَةِ وَيَتَصَوَّنَ عَنْهَا وَقُرِئَ وَحَرُمَ بِفَتْحِ الْحَاءِ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ
ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ الْقَذْفُ يَكُونُ بِالزِّنَا
وَبِغَيْرِهِ وَالَّذِي دَلَّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ قَذْفُهُنَّ بِالزِّنَا شَيْئَانِ أَحَدُهُمَا ذِكْرُ الْمُحْصَنَاتِ عَقِيبَ الزَّوَانِي وَالثَّانِي اشْتِرَاطُ أَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ
لِأَنَّ الْقَذْفَ بِغَيْرِ الزِّنَا يَكْفِي فِيهِ شَاهِدَانِ وَالْقَذْفُ بِالزِّنَا أَنْ يَقُولَ الْحُرُّ الْعَاقِلُ الْبَالِغُ لِمُحْصَنَةٍ يَا زَانِيَةُ أَوْ لِمُحْصَنٍ يَا زَانِي يَا ابْنَ
الزَّانِيَةِ يَا وَلَدَ الزِّنَا لَسْتَ لِأَبِيكَ لَسْتَ لِرِشْدَةٍ وَالْقَذْفُ بِغَيْرِ الزِّنَا أَنْ يَقُولَ يَا آكِلَ الرِّبَا يَا شَارِبَ الْخَمْرِ يَا يَهُودِيُّ يَا مَجُوسِيُّ
يَا فَاسِقُ يَا خَبِيثُ يَا مَاصَّ بَظْرِ أُمِّهِ فَعَلَيْهِ التَّعْزِيرُ وَلَا يَبْلُغُ بِهِ أَدْنَى حَدِّ الْعَبِيدِ وَهُوَ أَرْبَعُونَ بَلْ يُنْقَصُ مِنْهُ وَقَالَ
أَبُو يُوسُفَ يَجُوزُ أَنْ يَبْلُغَ بِهِ تِسْعَةً وَسَبْعُونَ وَقَالَ لِلْإِمَامِ أَنْ يُعَزِّرَ إِلَى الْمِائَةِ وَشُرُوطُ إِحْصَانِ الْقَذْفِ خَمْسَةٌ الْحُرِّيَّةُ وَالْبُلُوغُ
وَالْعَقْلُ وَالْإِسْلَامُ وَالْعِفَّةُ وَقُرِئَ بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ بِالتَّنْوِينِ وَشُهَدَاءُ صِفَةٌ فَإِنْ قُلْتَ كَيْفَ يَشْهَدُونَ مُجْتَمِعِينَ
أَوْ مُتَفَرِّقِينَ قُلْتُ الْوَاجِبُ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ أَنْ يَحْضُرُوا فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ وَإِنْ جَاءُوا
مُتَفَرِّقِينَ كَانُوا قَذَفَةً وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَجُوزُ أَنْ يَحْضُرُوا مُتَفَرِّقِينَ فَإِنْ قُلْتَ هَلْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ زَوْجُ
الْمَقْذُوفَةِ وَاحِدًا مِنْهُمْ قُلْتُ يَجُوزُ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ خِلَافًا لِلشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَإِنْ قُلْتَ كَيْفَ يُجْلَدُ الْقَاذِفُ قُلْتُ كَمَا يُجْلَدُ
الزَّانِي إِلَّا أَنَّهُ لَا يُنْزَعُ عَنْهُ مِنْ ثِيَابِهِ إِلَّا مَا يُنْزَعُ عَنِ الْمَرْأَةِ مِنَ الْحَشْوِ وَالْفَرْوِ وَالْقَاذِفَةُ أَيْضًا كَالزَّانِيَةِ وَأَشَدُّ
الضَّرْبِ ضَرْبُ التَّعْزِيرِ ثُمَّ ضَرْبُ الزِّنَا ثُمَّ ضَرْبُ شُرْبِ الْخَمْرِ ثُمَّ ضَرْبُ الْقَاذِفِ قَالُوا لِأَنَّ سَبَبَ عُقُوبَتِهِ
مُحْتَمِلٌ لِلصِّدْقِ وَالْكَذِبِ إِلَّا أَنَّهُ عُوقِبَ صِيَانَةً لِلْأَعْرَاضِ وَرَدْعًا عَنْ هَتْكِهَا فَإِنْ قُلْتَ فَإِذَا لَمْ يَكُنِ الْمَقْذُوفُ
مُحْصَنًا قُلْتُ يُعَزَّرُ الْقَاذِفُ وَلَا يُحَدُّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْمَقْذُوفُ مَعْرُوفًا بِمَا قُذِفَ بِهِ فَلَا حَدَّ وَلَا تَعْزِيرَ رَدُّ شَهَادَةِ

القاذف معلق عند ابي حنيفة رحمة الله عليه باستيفاء الحد فاذا شهد قبل الحد او قبل استيفائه قبلت شهادته فاذا استوفي
لم تقبل شهادته ابدا وان تاب وكان من الابرار الاتقياء ۰ وعند الشافعي رضي الله عنه يتعلق رد شهادته بنفس القذف
فاذا تاب عن القذف بان يرجع عنه عاد مقبول الشهادة وكلاهما متمسك بالاية ۰ فابو حنيفة رحمة الله عليه جعل جزاء
الشرط الذي هو الرمي الجلد ورد الشهادة عقيب الجلد على التابيد فكانوا مردودي الشهادة عنده في ابدهم وهو
مدة حيوتهم وجعل قوله تعالى واولئك هم الفاسقون كلاما مستانفا غير داخل في حيز جزاء الشرط كانه حكاية حال
الرامين عند الله تعالى بعد انقضاء الجملة الشرطية ۰ والا الذين تابوا استثناء من الفاسقين ويدل عليه قوله عز وعلا
فان الله غفور رحيم ۰ والشافعي رضي الله عنه جعل جزاء الشرط الجملتين ايضا غير انه صرف الابد الى مدة كونه قاذفا
وهي تنتهي بالتوبة ۰ والرجوع عن القذف ۰ وجعل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية وحق المستثنى عنده ان يكون مجرورا
بدلا من هم في لهم ۰ وحقه عند ابي حنيفة رحمة الله عليه ان يكون منصوبا لانه عن موجب ۰ والذي يقتضيه ظاهر الاية
ونظمها ان يكون الجمل الثلث مجموعهن جزاء الشرط ۰ كانه قيل ومن قذف المحصنات فاجلدوهم وردوا شهادتهم
وفسقوهم ۰ اي فاجمعوا الجلد والرد والتفسيق الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم
الا الذين تابوا عن القذف واصلحوا فان الله يغفر لهم فيصلون غير مجلودين ولا مردودين ولا مفسقين فان قلت
الكافر يقذف فيتوب عن الكفر فتقبل شهادته بالاجماع والقاذف من المسلمين يتوب عن القذف فلا تقبل شهادته
عند ابي حنيفة كان القذف مع الكفر اهون من القذف مع الاسلام قلت المسلمون لا يعبأون بسب الكفار لانهم
شهروا بعداوتهم ۰ والطعن فيهم بالباطل ۰ فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من الشين ۰ والشنار ما يلحقه بقذف مسلم
مثله فشدد على القاذف من المسلمين ردعا وكفا عن الحاق الشنار فان قلت هل للمقذوف او للامام ان يعفوه
عن القاذف قلت لهما ذلك قبل ان يشهد الشهود ۰ ويثبت الحد والمقذوف مندوب الى ان لا يرافع القاذف
ولا يطالبه بالحد ويحسن من الامام ان يحمل المقذوف على كظم الغيظ ويقول له اعرض عن هذا ودعه لوجه الله تعالى
قبل ثبات الحد فاذا ثبت لم يكن لواحد منهما ان يعفو لانه خالص حق الله ولهذا لم يصح ان يصالح عنه بمال فان قلت
هل يورث الحد قلت عند ابي حنيفة رحمة الله عليه لا يورث لقوله صلى الله عليه وسلم الحد لا يورث ويورث
عند الشافعي رضي الله عنه ۰ واذا تاب القاذف قبل ان يثبت الحد سقط ۰ وقيل نزلت هذه الاية في حسان بن ثابت
حين فيما قال لسيدة عايشة رضي الله عنها وعن ابيها والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم
اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين قاذف امراته اذا كان
مسلما حرا عاقلا بالغا غير محدود في القذف والمراة بهذه الصفة مع العفة صح اللعان بينهما اذا قذفها بصريح
الزنا وهو ان يقول لها يا زانية ۰ او زنيت ۰ او رايتك تزنين ۰ واذا كان الزوج عبدا او محدودا
في قذف والمراة محصنة حد كما في قذف الاجنبيات وما لم ترافعه الى الامام لم يجب اللعان واللعان ان
يبتدا الرجل فيشهد اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنا ۰ ويقول في الخامسة ان
لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنا ويدرؤا عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات
بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين وتقول المراة اربع مرات اشهد
بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنا ثم تقول في الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين فيما رماني
به من الزنا ۰ وعند الشافعي رضي الله عنه ۰ يقام الرجل قائما حتى يشهد والمراة قاعدة ۰ وتقام المراة والرجل قاعد ۰ حتى

تشهد وبأمر الإمام من يضع يده على فيه ويقول له إني أخاف إن لم تكن صادقا أن تبوء بلعنة الله تعالى وقال اللعان
بمكة بين المقام والبيت وبالمدينة على المنبر وببيت المقدس في مسجده ولعان المشرك في الكنيسة وحيث يعظم وإذا
لم يكن له دين ففي مساجدنا إلا في المسجد الحرام لقوله سبحانه وتعالى إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام
ثم يفرق القاضي بينهما ولا تقع الفرقة بينهما إلا بتفريقه عند أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله إلا عند زفر فإن الفرقة
تقع باللعان وعن عثمان البتي لا فرقة أصلا وعند الشافعي رضي الله عنه تقع بلعان الزوج وتكون هذه الفرقة
في حكم التطليقة البائنة عند أبي حنيفة ومحمد ولا يتأبد حكمها فإذا أكذب الرجل نفسه بعد ذلك فحد جاز أن يتزوجها
وعند أبي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي رحمة الله عليهم أجمعين هي فرقة بغير طلاق يوجب تحريما
مؤبدا ليس لهما أن يجتمعا بعد ذلك بوجه وروي أن آية القذف لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم
على المنبر فقام عاصم بن عدي الأنصاري رضي الله عنه فقال جعلني الله فداك إن وجد رجل مع امرأته رجلا فأخبر
جلد ثمانين وردت شهادته أبدا وفسق وإن ضربه بالسيف قتل وإن سكت سكت على غيظ وإلى أن يجيء بأربعة
شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن أمية رضي الله عنه أو عويمر فقال
ما وراءك قال شر وجدت على بطن امرأتي خولة وهي بنت عاصم شريك بن سحماء فقال هذا والله سؤالي ما أسرع
ما ابتليت به فرجعا فأخبر عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم خولة فقالت لا أدري الغيرة أدركته أم بخلا على
الطعام وكان شريك نزيلهم وقال هلال لقد رأيته على بطنها فنزلت ولاعن بينهما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عند قوله وقولها إن لعنة الله عليه أن غضب الله عليها آمين وقال القوم آمين وقال لها إن كنت ألممت بذنب فاعترفي
به فالرجم أهون عليك من غضب الله إن غضبه هو النار وقال تحينوا بها الولادة فإن جاءت به أصيهب أثيبج
يضرب إلى السواد فهو لشريك وإن جاءت به أورق جعدا جماليا خدلج الساقين فهو لغير الذي رميت به قال
ابن عباس رضي الله عنهما فجاءت بأشبه خلق الله لشريك فقال صلى الله عليه وسلم لولا الأيمان لكان لي ولها شأن وقرئ
تكن بالتاء لأنما الشهداء جماعة أو لأنهم في معنى الأنفس التي هي بدل ووحد من قرأ أربع أن ينتصب لأنه
في حكم المصدر والعامل فيه المصدر الذي هو شهادة أحدهم وهي مبتدأ محذوف الخبر تقديره فواجب شهادة
أحدهم أربع شهادات بالله وقرئ أن لعنة الله وأن غضب الله على تخفيف أن ورفع ما بعدها وقرئ
أن غضب الله على فعل الغضب وقرئ بنصب الخامستين على معنى وتشهد الخامسة فإن قلت لم خصت الملاعنة
بأن تخمس بغضب الله قلت تغليظا عليها لأنها هي أصل الفجور ومنبعه بخلابتها وإطماعها ولذلك كانت مقدمة في آية
الجلد ويشهد لذلك قوله عليه الصلاة والسلام لخولة فالرجم أهون عليك من غضب الله ولولا فضل الله عليكم ورحمته
وأن الله تواب حكيم لفضل التفضل وجواب لولا متروك وتركه دال على أمر عظيم لا يكتنه ورب مسكوت عنه أبلغ
إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره
منهم له عذاب عظيم الإفك أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك وأصله الأفك
وهو القلب لأنه قول مأفوك عن وجهه والمراد ما أفك به على عائشة رضي الله عنها والعصبة الجماعة من العشرة
إلى الأربعين وكذلك العصابة واعصوصبوا اجتمعوا وهم عبد الله بن أبي رأس النفاق وزيد بن رفاعة
وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وقرئ كبره بالضم والكبر هو
عظمه والذي تولاه عبد الله لإمعانه في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتهازه الفرص وطلبه سبيلا إلى الغميزة

اي يصيب كل خايض في حديث الافك من تلك العصبة نصيبه من الاثم على مقدار خوضه والعذاب العظيم لعبد الله لان معظم
الشر كان منه يحكى ان صفوان مر بهودجها عليه وهو في ملأ من قومه فقال من هذه قالوا عايشة فقال والله
ما نجت منه ولا نجا منها وقال امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى اصبحت ثم جاء يقودها والخطاب في قوله
تعالى هو خير لكم لمن ساءه ذلك من المؤمنين وخاصة رسول الله وابو بكر وعايشة وصفوان ابن المعطل ومعنى
كونه خيرا لهم انهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم لانه كان بلاء مبينا ومحنة ظاهرة وانه نزلت فيه ثماني عشرة اية كل واحدة منها
مستقلة بما هو تعظيم لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له وتنزيه لام المؤمنين رضي الله عنها وتطهير لاهل البيت
وتهويل لمن تكلم في ذلك او سمع به فلم تمجه اذناه وعدة الطاف للسامعين والتالين الى يوم القيامة وفوايد دينية واحكام
واداب لا تخفى على متاملها لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين بانفسهم اي
بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم وذلك نحو ما يروى ان ابا ايوب الانصاري رضي الله عنه
قال لام ايوب الا ترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان اكنت تظن بحرمة رسول الله سوءا قال لا قالت ولو
كنت انا بدل عايشة ما خنت رسول الله فعايشة خير مني وصفوان خير منك فان قلت هلا قيل لولا اذ سمعتموه ظننتم
بانفسكم خيرا وقلتم ولم عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر قلت ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات
وليصرح بلفظ الايمان دلالة على ان الاشتراك فيه مقتض ان لا يصدق مؤمن على اخيه ولا مؤمنة على اختها قول
عايب ولا طاعن وفيه تنبيه على ان حق المؤمن اذا سمع قالة في اخيه ان يبني الامر فيها على الظن لا على الشك
وان يقول بملء فيه بناء على ظنه بالمؤمن الخير هذا افك مبين هكذا باللفظ المصرح ببراءة ساحته كما يقول المستيقن
المطلع على حقيقة الحال وهذا من الادب الحسن الذي قل القايم به والحافظ له وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع
ما سمعه باخوات لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون جعل الله التفصلة
بين الرمي الصادق والكاذب شهادة الشهود الاربعة وانتفاءها والذين رموا عايشة لم تكن لهم بينة على قولهم
فقامت عليهم الحجة وكانوا عند الله اي في حكمه وشريعته كاذبين وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الافك فلم يجدوا
في دفعه وانكاره واحتجاج عليهم بما هو ظاهر مكشوف في الشرع من وجوب تكذيب القاذف بغير بينة
والتنكيل به اذا قذف امرأة محصنة من عرض نساء المسلمين فكيف بام المؤمنين الصديقة بنت الصديق وحرمة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم
لولا الاولى للتحضيض وهذه لامتناع الشيء لوجود غيره والمعنى ولولا اني قضيت ان اتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم
التي من جملتها الامهال للتوبة وان اترحم عليكم في الاخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه
من حديث الافك يقال افاض في الحديث واندفع وهضب وخاض إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم
ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم اذ ظرف لمسكم او لافضتم تلقونه ياخذه بعضكم من بعض يقال
تلقى القول وتلقنه وتلقفه ومنه قوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه وقرئ على الاصل تتلقونه
واذ تلقونه بادغام الذال في التاء وتلقونه من لقيه بمعنى لقفه وتلقونه من القائه بعضهم على بعض وتلقونه
وتالقونه من الولق والالق وهو الكذب وتلقونه محكية عن عايشة رضي الله عنها وعن سفيان سمعت
امي تقرا اذ تثقفونه وكان ابوها يقرا بحرف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وهذا الافك ليس الا قولا فان
قلت ما معنى قوله بافواهكم والقول لا يكون الا بالفم قلت معناه ان الشيء المعلوم يكون علمه في القلب

يترجم عنه اللسان وهذا الافك ليس الا قولا يجري على السنتكم ويدور في افواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب
كقوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم. اي تحسبونه صغيرة وهو عند الله كبيرة موجبة. وعن بعضهم انه جزع
عند الموت فقيل له فقال اخاف ذنبا لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم. وفي كلام بعضهم لا تقولن لشي من سيئاتك
حقير فلعله عند الله نخلة وهو عندك نقير. وصفهم بارتكاب ثلثة آثام وعلق مس العذاب العظيم بها احدها
تلقي الافك بالسنتهم وذلك ان الرجل كان يلقى الرجل فيقول ما وراك فيحدثه بحديث الافك حتى شاع وانتشر
فلم يبق بيت ولا نادٍ الا طار فيه والثاني التكلم بما لا علم لهم به والثالث استصغارهم لذلك وهو عظيمة من العظائم
فان قلت كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم قلت للظروف شان وهو تنزلها من الاشياء منزلة انفسها
لوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها فان قلت فاي فائدة في تقديم الظرف
حتى اوقع فاصلا قلت الفائدة فيه بيان انه كان الواجب عليهم ان يتفادوا اول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما
كان ذكر الوقت اهم وجب التقديم ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم
فان قلت فما معنى يكون والكلام بدونه متلئب لو قيل ما لنا ان نتكلم بهذا قلت معناه معنى ينبغي ويصح
اي ما ينبغي لنا ان نتكلم بهذا وما يصح لنا ونحوه ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق. سبحانك للتعجب من عظم الامر فان قلت
ما معنى التعجب في كلمة التسبيح قلت الاصل في ذلك ان يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل في كل
متعجب منه او لتنزيه الله تعالى من ان تكون حرمة نبيه فاجرة فان قلت كيف جاز ان تكون امراة النبي كافرة
كامراة نوح ولوط ولم يجز ان تكون فاجرة قلت لان الانبياء مبعوثون الى الكفار ليدعوهم ويستعطفوهم فيجب
ان لا يكون معهم ما ينفرهم عنهم ولم يكن الكفر عندهم مما ينفر واما الكشخنة فمن اعظم المنفرات يعظكم الله ان تعودوا
لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين اي كراهة ان تعودوا او في ان تعودوا من قولك وعظت فلانا في كذا فتركه وابدا ما
داموا احياء مكلفين وان كنتم مؤمنين فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو اتصافهم بالايمان
الصاد عن كل قبيح ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ويبين الله لكم الدلالات على علمه وحكمته بما ينزل
عليكم من الشرائع ويعلمكم من الآداب الجميلة ويعظكم به من المواعظ الشافية والله عالم بكل شيء فاعل لما يفعله
بدواعي الحكمة إن الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وانتم
لا تعلمون المعنى يشيعون الفاحشة عن قصد الى الاشاعة وارادة ومحبة لها وعذاب الدنيا الحد ولقد ضرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي وحسانا ومسطحا وقعد صفوان لحسان فضربه ضربة بالسيف
فضربه ضربة وكف بصره. وقيل هو المراد بقوله تعالى والذي تولى كبره منهم والله يعلم ما في القلوب
من الاسرار والضمائر وانتم لا تعلمون يعني انه قد علم محبة من احب الاشاعة وهو معاقبه عليها ولولا فضل
الله عليكم ورحمته وان الله رؤوف رحيم وكرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب حاذفا جواب لولا كما حذفه ثمه
وفي هذا التكرير مع حذف الجواب مبالغة عظيمة وكذلك في التواب والرؤوف والرحيم يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا
خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى
منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم الفحشاء والفاحشة ما افرط قبحه قال ابو ذؤيب
ضرابحوى تفاحش غارها اي افرطت عيوبها والمنكر ما تنكره النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه وقرئ
خطوات بفتح الطاء وسكونها وزكى بالتشديد والضمير لله عز وجل ولولا ان الله تفضل عليكم بالتوبة

الممحصة

المحصنة لما ظهر منكم احد اجر الدهر من ذلك اثم الافك ولكن الله يطهر التائبين بقبول توبتهم اذا محضوها وهو سميع لقولهم
و عليم بضمائرهم واخلاصهم ولا يأتل اولو الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين
في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم هو من ائتلى اذا حلف افتعال من الالية
وقيل من قولهم ما ألوت جهدا اذا لم تدخر منه شيئا • ويشهد للاول قراءة الحسن ولا يتألّ والمعنى لا يحلفوا على ان لا
يحسنوا الى المستحقين للاحسان او لا يقصروا في ان يحسنوا اليهم وان كانت بينهم وبينهم شحناء لجناية اقترفوها فليعودوا
عليهم بالعفو والصفح وليفعلوا بهم مثل ما يرجون ان يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم وذنوبهم نزلت في
شان مسطح • وكان ابن خالة ابي بكر الصديق رضي الله عنه • وكان فقيرا من فقراء المهاجرين • وكان ابو بكر
ينفق عليه فلما فرط منه ما فرط آلى ان لا ينفق عليه وكفى به داعيا الى المجاملة وترك الاشتغال بالمكافاة للمسيء
ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قراها على ابي بكر رضي الله عنه فقال بلى احب ان يغفر الله لي ورجع الى مسطح
نفقته • وقال والله لا انزعها ابدا • وقرأ ابو حيوة وابن قطيب • ان تؤتوا بالتاء على الالتفات ويعضده قوله
تعالى ألا تحبون ان يغفر الله لكم ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب
عظيم يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو الحق
المبين الغافلات السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء • ولا مكر لانهن لم يجربن مكر
ولم يرزن الاحوال فلا يفطن لما تفطن له المجربات العرافات • قال •

• ولقد لهوت بطفلة ميالة • بلهاء تطلعني على اسرارها •

وكذلك البله من الرجال في قوله عليه الصلاة والسلام • اكثر اهل الجنة البله وقرئ يشهد بالياء والحق بالنصب صفة للدين
وهو الجزاء • وبالرفع صفة لله تعالى • ولو فليت القرآن كله وفتشت عما اوعد به العصاة لم تر الله عز وجل قد
غلظ تغليظه في افك عائشة رضي الله عنها ولا انزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد والعقاب
البليغ والزجر العنيف واستعظام ما ركب من ذلك واستفظاع ما اقدم عليه ما انزل فيه على طرق مختلفة واساليب
مفتنة • كل واحد منها كاف في بابه ولو لم ينزل الا هذه الثلاث لكفى بها حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين
جميعا • وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة • وبان السنتهم وايديهم وارجلهم تشهد عليهم بما افكوا وبهتوا
وانه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذي هم اهله حتى يعلموا عند ذلك • ان الله هو الحق المبين • فاوجز في ذلك
واشبع وفصل واجمل واكد • وكرر وجاء بها بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الاوثان الا ما هو دونه في الفظاعة وما
ذاك الا لامر عظيم • وعن ابن عباس رضي الله عنهما • انه كان بالبصرة يوم عرفة • وكان يسئل عن تفسير القرآن حتى سئل
عن هذه الآيات فقال من اذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض في امر عائشة رضي الله عنها وهذه
مبالغة وتعظيم لامر الافك • ولقد برأ الله اربعة باربعة • برأ يوسف عليه الصلاة والسلام بلسان الشاهد
وشهد شاهد من اهلها • • وبرأ موسى عليه الصلاة والسلام من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه • وبرأ
مريم عليها الصلاة والسلام بانطاق ولدها حين نادى من حجرها اني عبد الله • وبرأ عائشة رضوان الله عليها
بهذه الآيات العظام في كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر مثل هذه التبرئة المبالغات • فانظر كم بينها وبين تبرئة
اولئك • وما ذاك الا لاظهار علو منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتنبيه على • محل سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم
وخيرة الاولين والآخرين • وحجة الله على العالمين • صلوات الله وسلامه عليه • ومن اراد ان يتحقق عظمة شانه

وتقدم قدمه واحرازه لقصب السبق دون كل سابق فليتبلغ ذلك من آيات الافك فليتأمل كيف غضب الله له في حرمته وكيف
بالغ في نفي التهمة عن حجابه • فان قلت اذا كانت عائشة رضي الله عنها هي المرادة فكيف قيل المحصنات قلت
فيه وجهان احدهما ان يراد بالمحصنات ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يخصصن بان من قذفهن فهذا الوعيد
لاحق به واذا اردن وعائشة كبراهن منزلة وقربة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت المرادة اولا والثاني
انها ام المؤمنين فجمعت ارادة لها ولبناتها من نساء الامة الموصوفات بالاحصان والغفلة والايمان كما قال
• قدني من نصر الخبيبين قدي • اراد عبد الله بن الزبير واشياعه وكان اعداؤه يكنونه بخبيب ابنه وكان مضعوفا
وكنيته المشهورة ابو بكر الا ان هذا في الاسم وذاك في الصفة فان قلت ما معنى قوله هو الحق المبين قلت
معناه ذو الحق المبين اي العادل الظاهر العدل الذي لا ظلم في حكمه والمحق الذي لا يوصف بباطل ومن هذه صفته لم تسقط عنده
اساءة مسيء ولا احسان محسن فحق مثله ان يتقى وتجتنب محارمه **الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات
للطيبين والطيبون للطيبات اولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم** اي الخبيثات
من القول تقال او تعد للخبيثين من الرجال والنساء والخبيثون منهم يتعرضون للخبيثات من القول وكذلك الطيبات
والطيبون • واولئك اشارة الى الطيبين وانهم مبرؤن مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم • وهو كلام جار مجرى
المثل لعائشة رضي الله عنها • وما رميت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة والطيب • ويجوز ان يكون اولئك اشارة
الى اهل البيت • وانهم مبرؤن مما يقول اهل الافك • وان يراد بالخبيثات والطيبات النساء اي الخبائث يتزوجن
الخباث والخباث الخبائث • وكذلك اهل الطيب وذكر الرزق الكريم هاهنا مثله في قوله تعالى واعتدنا لها رزقا كريما
وعن عائشة رضي الله عنها لقد اعطيت تسعا ما اعطيتهن امرأة لقد نزل جبريل عليه الصلاة والسلام بصورتي في راحته حين
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتزوجني • ولقد تزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري • ولقد توفي وان راسه
لفي حجري • ولقد قبر في بيتي ولقد حفته الملائكة في بيتي • وان الوحي لينزل عليه في اهله فيتفرقون عنه وان
كان لينزل عليه وانا معه في لحافه وانى لابنة خليفته وصديقه • ولقد نزل عذري من السماء • ولقد خلقت
طيبة عند طيب • ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما • **يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى
تستأنسوا وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون** تستأنسوا فيه وجهان احدهما انه من الاستئناس
الظاهر الذي هو خلاف الاستيحاش لان الذي يطرق باب غيره لا يدري ايؤذن له ام لا فهو كالمستوحش من
خفاء الحال عليه فاذا اذن له استأنس • فالمعنى حتى يؤذن لكم كقوله تعالى لا تدخلوا بيوت النبي الا ان
يؤذن لكم وهذا من باب الكناية والارداف لان هذا النوع من الاستئناس يردف الاذن فوضع موضع
الاذن • والثاني ان يكون من الاستئناس الذي هو الاستعلام والاستكشاف استفعال من آنس الشيء اذا ابصره
ظاهرا مكشوفا والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم ام لا ومنه قولهم استأنس هل ترى
احدا • واستأنست فلم ار احدا • اي تعرفت واستعلمت ومنه بيت النابغة • على مستأنس
وحد • ويجوز ان يكون من الانس • وهو ان يتعرف هل ثم انسان • وعن ابي ايوب الانصاري
رضي الله عنه قلنا يا رسول الله ما الاستئناس قال يتكلم الرجل بالتسبيحة • والتكبيرة والتحميدة يتنحنح يؤذن
اهل البيت • والتسليم ان يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فان اذن له والا رجع • وعن ابي موسى
الاشعري رضي الله تعالى عنه انه اتى باب عمر رضي الله عنه فقال السلام عليكم أأدخل قالها ثلاثا ثم رجع وقال سمعت

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاستيذان ثلث فاستاذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أألج فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لامراة يقال لها روضة قومي الى هذا فعلميه فانه لا يحسن ان يستاذن فقولي له ان يقول السلام
عليكم أأدخل فسمعها الرجل فقالها فقال ادخل وكان اهل الجاهلية يقول الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته حييتم
صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما اصاب الرجل مع امراته في لحاف واحد فصد الله تعالى عن ذلك وعلم
الاحسن الاجمل وكم من باب من ابواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به وباب الاستيذان
من ذلك بينا انت في بيتك اذا رعف عليك الباب بواحد من غير استيذان ولا تحية من تحايا اسلام ولا جاهلية
وهو ممن سمع ما انزل الله فيه وما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن اين الاذن الواعية وفي قراءة
عبد الله حتى تسلموا على اهلها وتستاذنوا وعن ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير رضي الله عنه انما هو حتى
تستاذنوا فاخطا الكاتب ولا يعول على هذه الرواية وفي قراءة ابي حتى تستاذنوا ذلكم الاستيذان
والتسليم خير لكم من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير اذن واشتقاقه من الدمار وهو الهلاك كان
صاحبه دامر لعظم ما ارتكب وفي الحديث من سبقت عينه استيذانه فقد دمر وروي ان رجلا قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم أأستاذن على امي قال نعم قال انها ليس لها خادم غيري أأستاذن عليها كلما دخلت قال
اتحب ان تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستاذن لعلكم تذكرون اي انزل عليكم وقيل لكم هذا
ارادة ان تذكروا وتتعظوا وتعملوا بما امرتم به في باب الاستيذان فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها
حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم والله بما تعملون عليم يحتمل فان لم تجدوا فيها احدا من الاذنين
فلا تدخلوها واصبروا حتى تجدوا من ياذن لكم ويحتمل فان لم تجدوا احدا من اهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها
الا باذن اهلها وذلك ان الاستيذان لم يشرع لئلا يطلع الداخل على عورة ولا تسبق عينه الى ما لا يحل النظر
اليه فقط وانما شرع لئلا يوقف على الاحوال التي يطويها الناس في العادة عن غيرهم ويتحفظون من اطلاع احد
عليها ولانه تصرف في ملك غيرك فلا بد من ان يكون برضاه والا اشبه الغصب والتغلب فارجعوا اي لا
تلحوا في اطلاق الاذن ولا تلجوا في تسهيل الحجاب ولا تقفوا على الابواب منتظرين لان هذا مما يجلب الكراهة
ويقدح في قلوب الناس خصوصا اذا كانوا ذوي مروءة ومرتاضين بالاداب الحسنة واذا نهي عن ذلك
لادائه الى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي اليها من قرع الباب بعنف والتصييح بصاحب الدار
وغير ذلك مما يدخل في عادات من لم يتهذب من اكثر الناس وعن ابي عبيدة رحمة الله عليه ما قرعت بابا
على عالم قط وكفى بقصة بني اسد زاجرة وما نزل من قوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات
اكثرهم لا يعقلون فان قلت هل يصح ان يكون المعنى وان لم يؤذن لكم وامرتم بالرجوع فامتثلوا ولا تدخلوا
مع كراهتهم قلت بعد ان جزم النهي عن الدخول مع فقد الاذن وحده من اهل الدار حاضرين وغائبين لم تبق
شبهة في كونه منهيا عنه مع انضمام الامر بالرجوع الى فقد الاذن فان قلت فاذا عرض امر في دار من
حريق او هجوم سارق او ظهور منكر يجب انكاره قلت ذلك مستثنى بالدليل اي الرجوع اطيب لكم واطهر لما فيه
من سلامة الصدور والبعد من الريبة وانمى خيرا واوعد المخاطبين بذلك بانه عالم بما ياتون وما
يذرون مما خوطبوا به فموف جزاءه عليه ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله
يعلم ما تبدون وما تكتمون استثنى من البيوت التي يجب الاستيذان على داخلها ما ليس بمسكون منها وذلك

نحو الفنادق وهي الخانات والربط وحوانيت البياعين والمتاع المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد وإيواء الرحال والسلع والشرى والبيع ويروى أن أبا بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله إن الله تعالى قد أنزل عليك آية في الاستئذان وإنا نختلف في تجاراتنا فننزل في هذه الخانات أفلا ندخلها إلا بإذن • وقيل الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من أهل الريبة قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون من للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل وجوز الأخفش أن تكون مزيدة وأباه سيبويه فإن قلت كيف دخلت من في غض البصر دون حفظ الفروج قلت دلالة على أن أمر النظر أوسع ألا ترى أن المحارم لا بأس بالنظر إلى شعورهن وصدورهن وثديهن وأعضادهن وأسوقهن وأقدامهن وكذلك الجواري المستعرضات والأجنبية ينظر إلى وجهها وكفيها وقدميها في إحدى الروايتين • وأما أمر الفرج فمضيق • وكفاك فرقا أن أبيح النظر إلا ما استثني منه • ويجوز أن يراد مع حفظها عن الإفضاء إلى ما لا يحل حفظها عن الإبداء • وعن ابن زيد كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا إلا هذا فإنه أراد به الاستتار • ثم أخبر أنه خبير بأحوالهم وأفعالهم وكيف يجيلون أبصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم فعليهم إذ عرفوا ذلك أن يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها النساء مأمورات أيضا بغض الأبصار • ولا يحل للمرأة أن تنظر من الأجنبي إلى ما تحت سرته إلى ركبته وإن اشتهت غضت بصرها رأسا ولا تنظر من المرأة إلا إلى مثل ذلك • وغضها بصرها من الأجانب أصلا أولى بها وأحسن ومنه حديث ابن أم مكتوم رضي الله عنه • عن أم سلمة رضي الله عنها • قالت كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة رضي الله عنها • فأقبل ابن أم مكتوم رضي الله عنه • وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب فدخل علينا فقال احتجبا فقلنا يا نبي الله أليس أعمى لا يبصرنا قال أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه فإن قلت لم قدم غض الأبصار على حفظ الفروج قلت لأن النظر بريد الزنا • ورائد الفجور والبلوى فيه أشد وأكثر • ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه الزينة ما تزينت به المرأة من حلي أو كحل أو خضاب • فما كان ظاهرا منها كالخاتم والفتخة والكحل والخضاب فلا بأس بإبدائه للأجانب • وما خفي منها كالسوار والخلخال • والدملج والقلادة • والإكليل والوشاح • والقرط فلا تبديه إلا لهؤلاء المذكورين • وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة في الأمر بالتصون والتستر لأن هذه الزين واقعة على مواضع من الجسد • لا يحل النظر إليها لغير هؤلاء المذكورين • وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة في الأمر بالتصون • وهي الذراع والساق • والعضد • والعنق • والرأس والصدر والأذن • فنهى عن إبداء الزين نفسها ليعلم أن النظر إذا لم يحل إليها لملابستها تلك المواقع بدليل أن النظر إليها غير ملابسة لها لا مقال في حله كان النظر إلى المواقع أنفسها متمكنا في الحظر ثابت القدم في الحرمة شاهدا على أن النساء حقهن أن يحتطن في سترها ويتقين الله في الكشف عنها فإن قلت ما تقول في القرامل هل يحل نظر هؤلاء إليها قلت نعم فإن قلت أليس موقعها الظهر ولا يحل لهم النظر إلى ظهرها وبطنها وربما ورد الشعر • فوقعت القرامل على ما يحاذي ما تحت السرة قلت الأمر كما قلت ولكن أمر القرامل خلاف أمر سائر الحلي لأنه لا يقع إلا فوق اللباس • ويجوز النظر إلى الثوب الواقع على الظهر والبطن للأجانب • فضلا عن هؤلاء إلا إذا كان يصف لرقته فلا يحل النظر إليه فلا يحل النظر إلى القرامل واقعة عليه فإن قلت ما المراد بموقع الزينة

وذلك العضو كله ام المقدار الذي تلابسه الزينة منه قلت والصحيح انه العضو كله كما فسرت مواقع الزينة
الخفية وكذلك مواقع الزينة الظاهرة الوجه موقع الكحل في عينيه والخضاب بالوسمة في حاجبيه وشاربيه
والغمرة في خديه والكف والقدم موقعا الخاتم والفتخة والخضاب بالحناء فان قلت لم سومح مطلقا في
الزينة الظاهرة قلت لان سترها فيه حرج فان المراة لا تجد بدا من مزاولة الاشياء بيديها ومن الحاجة
الى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر الى المشي في الطرقات وظهور قدميها وخاصة
الفقيرات منهن وهذا معنى قوله الا ما ظهر منها يعني الا ما جرت العادة والجبلة على ظهوره والاصل فيه
الظهور وانما سومح في الزينة الخفية اولئك المذكورون لما كانوا مختصين به من الحاجة المضطرة الى مداخلتهم
ومخالطتهم ولقلة توقع الفتنة من جهاتهم ولما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب وتحتاج المراة
الى صحبتهم في الاسفار للنزول والركوب وغير ذلك وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن
الا لبعولتهن او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن او نسائهن او
ما ملكت ايمانهن او التابعين كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليها وكن
يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فامرن بان يسدلنها من قدامهن حتى يغطينها ويجوز ان يراد
بالجيوب الصدور تسمية بما يليها ويلابسها ومنه قولهم ناصح الجيب وقولك ضربت بخمارها على جيبها
كقولك ضربت بيدي على الحائط اذا وضعتها عليه وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت نساء خيرا من نساء الانصار
لما نزلت هذه الآية قامت كل واحدة منهن الى مرطها المرحل فصدعت منه صدعة فاختمرن فاصبحن على
رؤوسهن الغربان وقرئ جيوبهن بكسر الجيم لاجل الياء وكذلك بيوتا غير بيوتكم وقيل في نسائهن هن المؤمنات
لانه ليس للمؤمنة ان تتجرد بين يدي مشركة او كتابية عن ابن عباس رضي الله عنه والظاهر انه عنى بنسائهن
وما ملكت ايمانهن من في صحبتهن وخدمتهن من الحرائر والاماء والنساء كلهن سواء في حل نظر بعضهن الى بعض
وقيل ما ملكت ايمانهن هم الذكور والاناث جميعا وعن عائشة رضي الله عنها انها اباحت النظر اليها لعبدها
وقالت لذكوان انك اذا وضعتني في القبر وخرجت فانت حر وعن سعيد بن المسيب مثله ثم رجع وقال
لا تغرنكم آية النور فان المراد بها الاماء وهذا هو الصحيح لان عبد المراة بمنزلة الاجنبي منها خصيا كان
او فحلا وعن ميسون بنت بحدل الكلابية ان معوية دخل عليها خصي فتقنعت منه فقال هو خصي فقالت
يا معاوية اترى ان المثلة به تحلل ما حرم الله وعند ابي حنيفة رحمة الله عليه لا يحل امساك الخصيان ولا استخدا
مهم وبيعهم وشراؤهم ولم ينقل عن احد من السلف امساكهم فان قلت روي انه اهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم
خصي فقبله قلت لا يقبل فيما تعم به البلوى الا حديث مكشوف فان صح فلعله قبله ليعتقه او لسبب من
الاسباب غير اولي الاربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء الاربة الحاجة قيل
هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم الى النساء لانهم بله لا يعرفون شيئا من امرهن او شيوخ
صلحاء اذا كانوا معهن غضوا ابصارهم او بهم عنانة وقرئ غير بالنصب على الاستثناء او الحال والجر على الوصفية
وضع الواحد موضع الجمع لانه يفيد الجنس ويبين ما بعده انه يراد به الجمع ونحوه نخرجكم طفلا لم يظهروا اما
من ظهر على الشيء اذا اطلع عليه اي لا يعرفون ما العورة ولا يميزون بينها وبين غيرها واما من ظهر على فلان
اذا قوي عليه وظهر على القرآن اخذه واطاقه اي لم يبلغوا اوان القدرة على الوطء وقرئ عورات وهي لغة هذيل

فإن قلت لم لم يذكر الأعمام والأخوال قلت سئل الشعبي عن ذلك فقال لئلا يصفها العم عند ابنه والخال كذلك
ومعناه أن سائر القرابات تشترك الأب والابن في المحرمية إلا العم والخال وأبناءهما فإذا رآها الأب فربما وصفها
لابنه وليس بمحرم فيدني تصوره لها بالوصف نظره إليها وهذا أيضا من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط
عليهن في التستر ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن كانت المرأة تضرب الأرض برجلها ليتقعقع
خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال وقيل كانت تضرب بإحدى رجليها الأخرى ليعلم أنها ذات خلخالين وإذا نهين
عن إظهار صوت الحلي بعدما نهين عن إظهار الحلي علم بذلك أن النهي عن إظهار مواضع الحلي أبلغ وأبلغ وتوبوا إلى الله جميعا
أيها المؤمنون لعلكم تفلحون أوامر الله ونواهيه في كل باب لا يقدر العبد الضعيف على مراعاتها وإن ضبط
نفسه واجتهد ولا يخلو من تقصير يقع منه فلذلك وصى المؤمنين جميعا بالتوبة والاستغفار وبتأميل الفلاح إذا
تابوا واستغفروا وعن ابن عباس رضي الله عنهما توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية لعلكم تسعدون في الدنيا
والآخرة فإن قلت قد صحت التوبة بالإسلام والإسلام يجب ما قبله فما معنى هذه التوبة قلت أراد
بها ما يقوله العلماء أن من أذنب ذنبا ثم تاب عنه يلزمه كلما تذكره أن يجدد عنه التوبة لأنه يلزمه
أن يستمر على ندمه وعزمه إلى أن يلقى ربه وقرئ أيه المؤمنون بضم الهاء ووجهه أنها كانت مفتوحة لوقوعها
قبل الألف فلما سقطت الألف لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها حركة ما قبلها وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين
من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم الأيامى واليتامى أصلهما أيايم ويتايم
فقلبا والأيم للرجل والمرأة وقد آم وآمت وتأيما إذا لم يتزوجا بكرين كانا أو ثيبين قال

فإن تنكحي أنكح وإن تتأيمي ... وإن كنت أفتى منكم أتأيم

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم إنا نعوذ بك من العيمة والغيمة والأيمة والكزم والقرم والمراد
أنكحوا من تأيم منكم من الأحرار والحرائر ومن كان فيه صلاح من غلمانكم وجواريكم وقرئ من عبيدكم
وهذا الأمر للندب لما علم من أن النكاح أمر مندوب إليه وقد يكون للوجوب في حق الأولياء عند طلب
المرأة ذلك وعند أصحاب الظواهر النكاح واجب ومما يدل على كونه مندوبا إليه قوله صلى الله عليه وسلم
من أحب فطرتي فليستن بسنتي وهي النكاح وعنه عليه الصلاة والسلام من كان له ما يتزوج به فلم
يتزوج فليس منا وعنه صلى الله عليه الصلاة والسلام إذا تزوج أحدكم عج شيطانه يا ويله عصم ابن آدم مني
ثلثي دينه وعنه يا عياض لا تزوجن عجوزا ولا عاقرا فإني مكاثر والأحاديث فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم
والآثار كثيرة وربما كان واجب الترك إذا أدى إلى معصية أو مفسدة وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتى
على أمتي مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزبة والعزلة والترهب على رؤوس الجبال وفي الحديث يأتي على الناس
زمان لا تنال المعيشة فيه إلا بالمعصية فإذا كان ذلك الزمان حلت العزبة فإن قلت لم خص الصالحين
قلت ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم ولأن الصالحين من الأرقاء هم الذين مواليهم يشفقون عليهم وينزلونهم
منزلة الأولاد في الأثرة والمودة فكانوا مظنة للتوصية بشأنهم والاهتمام بهم وتقبل الوصية فيهم
وأما المفسدون منهم فحالهم عند مواليهم على عكس ذلك أو أريد بالصلاح القيام بحقوق النكاح ينبغي
أن تكون شريطة الله غير منسية في هذا الموعد ونظائره وهي مشيئته ولا يشاء الحكيم إلا ما اقتضته الحكمة
وما كان مصلحة ونحوه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقد جاءت الشريطة منصوصة

في

قوله تعالى وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم ومن لم يغنه هذه الشرطية
لم ينتقض معترضا متعوضا بعزب كان غنيا فافتقر بالنكاح وبفاسق تاب واتقى الله وكان له شيء ففني
وأصبح مسكينا وعن النبي صلى الله عليه وسلم التمسوا الرزق بالنكاح وشكا إليه رجل الحاجة فقال عليك
بالباءة وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عجب لمن لا يطلب الغنى بالباءة ولقد كان عندنا رجل رث
الحال ثم رأيته بعد سنين وقد انتعشت حاله وحسنت وسألته فقال كنت في أول أمري على ما علمت وذلك
قبل أن أرزق ولدا فلما رزقت بكر ولدي تراخيت عن الفقر فلما ولد لي الثاني زدت خيرا فلما تتاموا ثلثة
صب الله علي الخير صبا فأصبحت إلى ما ترى والله واسع أي غني ذو سعة لا يرزؤه إغناء الخلائق ولكنه
عليم يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله وليستعفف
وليجتهد في العفة وظلف النفس كأن المستعفف طالب من نفسه العفاف وحاملها عليه لا يجدون نكاحا أي استطاعة
تزوج ويجوز أن يراد بالنكاح ما ينكح به من المال حتى يغنيهم الله ترجية للمستعففين وتقدمة وعد بالتفضل
عليهم بالغنى ليكون انتظار ذلك وتأميله لطفا لهم في استعفافهم وربطا على قلوبهم وليظهر بذلك أن فضله
أولى بالأعفاء وأدنى من ذلك من الصلحاء وما أحسن ما رتب هذه الأوامر حيث أمر أولا بما يعصم من الفتنة
ويبعد عن مواقعة الشيطان وهو غض البصر ثم بالنكاح الذي يحصن به الدين ويقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام
ثم بالحمل على النفس الأمارة بالسوء وعزفها عن الطموح إلى الشهوة عند العجز عن النكاح إلى أن يرزق القدرة عليه
والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم
والذين يبتغون الكتاب مرفوع على الابتداء أو منصوب بفعل مضمر يفسره فكاتبوهم كقولك زيدا فاضربه
ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط والكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة وهو أن يقول الرجل لمملوكه كاتبتك
على ألف درهم فإن أداها عتق ومعناه كتبت لك على نفسي أن تعتق مني إذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك
أن تفي بذلك أو كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق ويجوز عند أبي حنيفة رحمة الله عليه حالا ومؤجلا
ومنجما وغير منجم لأن الله تعالى لم يذكر التنجيم وقياسا على سائر العقود وعند الشافعي رضي الله عنه لا يجوز إلا منجما
مؤجلا ولا يجوز عنده بنجم واحد لأن العبد لا يملك شيئا فعقده حالا يمنع من حصول الغرض لأنه لا يقدر على البدل
عاجلا ويجوز عقده على مال قليل وكثير وعلى خدمة في مدة معلومة وعلى عمل معلوم مؤقت مثل حفر بئر في
مكان بعينه معلومة الطول والعرض وبناء دار قد أراه آجرها وجصها وما يبنى به وإن كاتبه على قيمته لم يجز
فإن أداها عتق وإن كاتبه على وصيف جاز للجهالة ووجب الوسط وليس له أن يطأ المكاتبة وإذا أدى عتق
وكان ولاؤه لمولاه لأنه جاد عليه بالكسب الذي هو في الأصل له وهذا الأمر للندب عند عامة العلماء وعن
الحسن ليس ذلك بعزم إن شاء كاتب وإن شاء لم يكاتب وعن عمر رضي الله عنه هي عزمة من عزمات الله تعالى
وعن ابن سيرين مثله وهو مذهب داود خيرا قدرة على أداء ما يفارقون عليه وقيل أمانة وكسبا وعن سلمان
أن مملوكا له ابتغى أن يكاتبه فقال أعندك مال قال لا قال أفتأمرني أن آكل غسالة أيدي الناس وآتوهم
أمر للمسلمين على الوجوب بإعانة المكاتبين وإعطائهم سهمهم الذي جعل الله لهم من بيت المال لقوله تعالى وفي
الرقاب عند أبي حنيفة رحمة الله عليه وأصحابه فإن قلت هل يحل لمولاه إذا كان غنيا أن يأخذ ما تصدق
به عليه قلت نعم وكذلك إذا لم تف الصدقة بجميع البدل وعجز عن أداء الباقي طاب للمولى ما أخذ لأنه لم يأخذ

بسبب الصدقة ولكن بسبب عقد المكاتبة لمن اشترى الصدقة من الفقير او ورثها او وهبت له ومنه قوله صلى
الله عليه وسلم في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية وعند الشافعي رضي الله عنه هو ايجاب على الموالي ان
يحطوا لهم من مال الكتابة وان لم يفعلوا اجبروا وعن علي رضي الله عنه يحط له الربع وعن ابن عباس رضي الله
عنهما يرضخ له من كتابته شيئا وعن عمر رضي الله عنه انه كاتب عبدا له يكنى ابا امية وهو اول عبد كوتب
في الاسلام فاتاه باول نجم فدفعه اليه عمر وقال استعن به على مكاتبتك فقال لو اخرته الى اخر النجم فقال اخاف
ان لا ادرك ذلك وهذا عند ابي حنيفة على وجه الندب وقال انه عقد معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع وقيل
معنى واتوهم اسلفوهم وقيل انفقوا عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا وهذا كله مستحب وروي انه كان لحويطب
ابن عبد العزى مملوك يقال له الصبيح سال مولاه ان يكاتبه فابى فنزلت ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن
تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم كانت اماء اهل الجاهلية
يساعين على مواليهن وكان لعبد الله بن ابي راس النفاق ست جوار معاذة ومسيكة واميمة وعمرة واروى
وقتيلة يكرههن على البغاء وضرب عليهن ضرائب فشكت ثنتان منهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والامة وفي الحديث ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي
والبغاء مصدر البغي فان قلت لم اقحم قوله ان اردن تحصنا قلت لان الاكراه لا يتاتى الا مع ارادة
التحصن وامر الطيعة المواتية للبغاء لا يسمى مكرها ولا امره اكراها وكلمة ان وايثارها على اذا ايذان
بان المساعيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وان ما وجد من معاذة ومسيكة من حيز الشاذ النادر
غفور رحيم لهم او لهن او لهم ولهن ان تابوا واصلحوا وفي قراءة ابن عباس رضي الله عنهما لهن غفور
رحيم فان قلت لا حاجة الى تعليق المغفرة بهن لان المكرهة على الزنا بخلاف المكره عليه في انها غير اثمة قلت
لعل الاكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة من اكراه بقتل او بما يخاف منه التلف او ذهاب العضو من ضرب
عنيف او غيره حتى تسلم من الاثم وربما قصرت عن الحد الذي تعذر فيه فتكون اثمة ولقد انزلنا اليكم ايات
مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين مبينات هي الايات التي بينت في هذه السورة واوضحت
في معاني الاحكام والحدود ويجوز ان يكون الاصل مبينا فيها فاتسع في الظرف وقرئ بالكسر اي بينت
هي الاحكام والحدود جعل الفعل لها على المجاز او من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين
ومثلا من امثال من قبلكم اي قصة عجيبة من قصصهم كقصة مريم ويوسف عليهما الصلاة والسلام يعني قصة
عائشة رضي الله عنها وموعظة ما وعظ به في الايات والمثل من نحو قوله تعالى ولا تاخذكم بهما رافة في دين
الله ولولا اذ سمعتموه يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها
مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية
نظيره قوله تعالى الله نور السموات والارض مع قوله مثل نوره ويهدي الله لنوره قولك زيد كرم
وجود ثم تقول ينعش الناس بكرمه وجوده والمعنى ذو نور السموات وصاحب نور السموات ونور السموات
والارض الحق شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله عز وجل الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات
الى النور اي من الباطل الى الحق واضاف النور الى السموات والارض لاحد معنيين اما للدلالة على سعة
اشراقه وفشو اضاءته حتى تضيء له السموات والارض واما ان يراد اهل السموات والارض وانهم يستضيئون به

مثل

مثل نوره أي صفة نوره العجيبة الشأن في الإضاءة كمشكاة كصفة مشكاة وهي الكوة في الجدار غير النافذة فيها مصباح
سراج ضخم ثاقب في زجاجة أراد قنديلا من زجاج شامي أزهر شبهه في زهرته بأحد الدراري من
الكواكب وهي المشاهير كالمشتري والزهرة والمريخ وسهيل ونحوها توقد هذا المصباح من شجرة أي
ابتداء ثقوبه من شجرة الزيتون يعني رويت ذبالته بزيتها مباركة كثيرة المنافع أو لأنها نبتت
في الأرض التي بارك فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداووا به فإنه مصحة من الباسور لا شرقية ولا غربية
أي منبتها الشام وأجود الزيتون زيتون الشام وقيل لا في مضحى ولا مقناة ولكن الشمس والظل يتعاقبان
عليها وذلك أجود لحملها وأصفى لدهنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير في شجرة في مقناة ولا نبات
في مقناة ولا خير فيهما في مضحى وقيل ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها أو غروبها فقط بل تصيبها
بالغداة والعشي جميعا فهي شرقية غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله
لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم ثم وصف الزيت بالصفاء والوبيص
وأنه لتلألئه يكاد يضيء من غير نار نور على نور أي هذا الذي شبهت به الحق نور متضاعف
قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم تبق مما يقوي النور ويزيده إشراقا ويمده
بإضاءة بقية وذلك أن المصباح إذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان أضوأ له وأجمع لنوره بخلاف
المكان الواسع فإن الضوء ينبث فيه وينتشر والقنديل أعون شيء على زيادة الإنارة وكذلك الزيت وصفاؤه
يهدي الله لهذا النور الثاقب من يشاء من عباده أي يوفق لإصابة الحق من نظر وتدبر بعين عقله والإنصاف
من نفسه ولم يذهب عن الجادة الموصلة إليه يمينا وشمالا ومن لم يتدبر فهو كالأعمى الذي سواء عليه جنح الليل
الدامس وضحوة النهار الشامس وعن علي كرم الله وجهه نور السماوات والأرض أي نشر فيهما الحق وبثه
فأضاءت بنوره أو نور قلوب أهلها به وعن أبي بن كعب رضي الله عنه مثل نور من آمن به وقرئ
زجاجة الزجاجة بالفتح والكسر ودري منسوب إلى الدر أي أبيض متلألئ ودريء بوزن سكيت يدرأ
الظلام بضوئه ودريء كمريق ودري كالسكينة عن أبي زيد وتوقد بمعنى تتوقد والفعل للزجاجة ويوقد
وتوقد بالتخفيف ويوقد بالتشديد ويوقد بفتح الياء وحذف التاء لاجتماع حرفين زائدين وهو غريب
وتمسه بالياء لأن التأنيث ليس بحقيقي والضمير فاصل في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح
له فيها بالغدو والآصال رجال في بيوت متعلق بما قبله أي كمشكاة في بعض بيوت الله وهي المساجد كأنه قيل
مثل نوره كما ترى في المسجد المشكاة التي من صفتها كيت وكيت أو بما بعده وهو يسبح أي يسبح له رجال في بيوت
وفيها تكرير كقولك زيد في الدار جالس فيها أو بمحذوف كقوله في تسع آيات أي سبحوا في بيوت والمراد
بالإذن الأمر ورفعها بناؤها لقوله تعالى بناها رفع سمكها فسواها وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت
وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي المساجد أمر الله تعالى أن تبنى أو تعظيمها والرفع من قدرها وعن الحسن ما
أمر الله أن ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم ويذكر فيها اسمه أدنى له وهو عام في كل ذكر وعن ابن عباس رضي الله
عنهما وأن يتلى فيها كتابه وقرئ يسبح على البناء للمفعول ويسند إلى أحد الظروف الثلاثة أعني له وفيها بالغدو
والآصال ورجال مرفوع بما دل عليه يسبح وهو يسبح له وتسبح بالتاء وكسر الباء وعن أبي جعفر بالتاء وفتح

الباء

ووجهها ان يسند الى اوقات الغدو والآصال على زيادة الباء وتجعل الاوقات مسبحة والمراد ربها كصيد عليه يومان والمراد
وحشها . والآصال جمع اصل وهو العشي والمعنى باوقات الغدو اي بالغدوات وقرئ والايصال وهو الدخول
في الاصيل يقال آصل كاظهر واعتم **رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة يخافون يوما**
تتقلب فيه القلوب والابصار التجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح فاما ان يريد لا
يشغلهم نوع من هذه الصناعة ثم خص البيع لانه في الالهاء ادخل من قبل التاجر اذا اتجهت له بيعة رابحة وهي
طلبته الكلية من صناعته الهته ما لا يلهيه شراء شيء يتوقع فيه الربح في الوقت الثاني لان هذا يقين وذاك مظنون
واما ان يسمى الشراء تجارة اطلاقا لاسم الجنس على النوع كما تقول رزق فلان تجارة رابحة اذا اتجه له بيع صالح
او شراء وقيل التجارة لاهل الجلب تجر فلان في كذا اذا جلبه التاء في اقامة عوض من العين الساقطة للاعلال
والاصل اقوام فلما اضيفت اقيمت الاضافة مقام حرف التعويض فاسقطت ونحوه واخلفوك عد الامر الذي وعدوا
وتقلب القلوب الحناجر واما ان تتقلب احوالها وتتغير فتفقه القلوب بعد ان كانت مطبوعا عليها لا تفقه
وتبصر الابصار بعد ان كانت عميا لا تبصر **ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب**
احسن ما عملوا اي احسن جزاء اعمالهم لقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى والمعنى يسبحون ويخافون ليجزيهم ثوابهم مضاعفا
ويزيدهم على الثواب تفضلا وكذلك معنى قوله تعالى الحسنى وزيادة زيادة عليها من التفضل وعطاء الله عز وجل
اما تفضل واما ثواب واما عوض والله يرزق ما يتفضل به بغير حساب فاما الثواب فله حساب لكونه
على حسب الاستحقاق **والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله**
عنده فوفيه حسابه والله سريع الحساب السراب ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه
الارض كانه ماء يجري والقيعة بمعنى القاع او جمع قاع وهو المنبسط المستوي من الارض كجيرة في جار وقرئ
بقيعات بتاء ممطوطة كديمات وقيمات ورقية وقد جعل بعضهم بقيعاة بتاء مدورة كرجل عزهاة شبه
ما يعمله من لا يعتقد الايمان ولا يتبع الحق من الاعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله تعالى وتنجيه من عذابه
ثم تخيب في العاقبة امله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيامة
فيحسبه ماء فلا يجد ما رجاه ويجد زبانية الله عنده ياخذونه فيعتلونه الى جهنم فيسقونه الحميم والغساق وهم
الذين قال الله تعالى فيهم عاملة ناصبة ويحسبون انهم يحسنون صنعا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا
وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية قد كان تعبد ولبس المسوح والتمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الاسلام
او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج
يده لم يكد يريها اللجي العميق الكثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر وفي اخرج ضمير الواقع فيه لم يكد
يريها مبالغة في لم يرها اي لم يقرب ان يراها فضلا عن ان يراها ومثله قول ذي الرمة
، اذا غير النأي المحبين لم يكد ، رسيس الهوى من حب مية يبرح ،
اي لم يقرب من البراح فما باله يبرح شبه اعمالهم اولا في فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده من
خدعه من بعيد شيئا ولم يكفه خيبة وكمدا ان لم يجده شيئا كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية
تعتله الى النار ولا يقبل ظماءه بالماء وشبهها ثانيا في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفي خلوها عن نور
الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والامواج والسحاب **ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور** ثم قال ومن لم يوله نور

توفيقه

بلغ مقابلة

توفيقه وعصمته ولطفه فهو في ظلمة الباطل لا نور له وهذا الكلام مجراه مجرى الكناية لأن الألطاف إنما ترد في
الإيمان والعمل أو كونهما مترقبين ألا ترى إلى قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله ويضل
الله الظالمين وقرئ سحاب ظلمات على الإضافة وسحاب ظلمات برفع سحاب وتنوينه وجر ظلمات
بدلا من ظلمات الأولى ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته
وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والأرض وإلى الله المصير صافات يصففن أجنحتهن
في الهواء والضمير في علم لكل أو لله تعالى وكذلك في صلاته وتسبيحه والصلاة الدعاء ولا يبعد
أن يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون إليها ألم تر أن الله
يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من
برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك
لعبرة لأولي الأبصار يزجي يسوق ومنه البضاعة المزجاة التي يزجيها كل أحد لا يرضاها والسحاب يكون
واحدا كالعماء وجمعا كالرباب ومعنى تأليف الواحد أنه يكون قزعا فيضم بعضه إلى بعض وجاز بينه
وهو واحد لأن المعنى بين أجزائه كما قيل في قوله بين الدخول فحومل والركام المتراكم بعضه فوق بعض
والودق المطر من خلاله من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال في جبل وقرئ من خلله وينزل بالتشديد
ويكاد سنا على الإدغام وبرقه جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة واللقمة وبرقه بضمتين للإتباع
كما قيل في جمع فعلة فعلات كظلمات وسناء برقه على المد المقصور بمعنى الضوء والممدود بمعنى العلو والارتفاع
من قولك سني للمرتفع يذهب بالأبصار على زيادة الباء كقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة عن أبي
جعفر المدني وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته وظهور أمره حيث ذكر تسبيح من في السموات والأرض وكل ما يطير
بين السماء والأرض ودعاءهم له وابتهالهم إليه وأنه سخر السحاب التسخير الذي وصفه وما يحدث فيه من أفعاله
حتى ينزل المطر منه وأنه يقسم رحمته بين خلقه ويقبضها ويبسطها على ما تقتضيه حكمته ويريهم البرق في السحاب
الذي يكاد يخطف أبصارهم ليعتبروا ويحذروا ويعاقب بين الليل والنهار ويخالف بينهما بالطول والقصر
وما هذه إلا براهين في نهاية الوضوح على وجوده وثباته ودلائل منادية على صفاته لمن نظر وفكر وتبصر وتدبر
فإن قلت متى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسبيح من في السموات ودعاءهم وتسبيح الطير ودعاءه
وتنزيل المطر من جبال برد في السماء حتى قيل له ألم تر قلت علمه من جهة إخبار الله تعالى إياه بذلك على طريق
الوحي فإن قلت ما الفرق بين من الأولى والثانية والثالثة في قوله تعالى من السماء من جبال من برد قلت
الأولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض والثالثة للبيان أو الأوليان للابتداء والآخرة للتبعيض ومعناه
أنه ينزل البرد من السماء من جبال فيها وعلى الأول مفعول ينزل من جبال فإن قلت ما معنى من جبال فيها
من برد قلت فيه معنيان أحدهما أن يخلق الله في السماء جبال برد كما خلق في الأرض جبال حجر يريد الكثرة
بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم
من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير وقرئ خالق كل دابة ولما كان
اسم الدابة موقعا على غير المميز غلب المميز فأعطي ما وراءه حكمه كأن الدواب كلهم مميزون فمن ثم قيل فمنهم
وقيل من يمشي في الماشي على بطن والماشي على أربع قوائم فإن قلت لم نكر الماء في قوله تعالى من ماء قلت

بلغ مقابلة

المعنى أنه خلق كل دابة من نوع من الماء مختص بتلك الدابة او خلقها من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات
من النطفة فمنها هوام ومنها بهائم ومنها ناس ونحوه قوله تعالى تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل
فان قلت فما باله معرفا في قوله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي قلت قصد ثم معنى آخر وهو أن اجناس الحيوان
كلها مخلوقة من هذا الجنس الذي هو جنس الماء وذلك انه هو الاصل وان تخللت بينه وبينها وسائط قالوا خلق الملائكة
من ريح خلقها من الماء والجن من نار خلقها منه وآدم من تراب خلقه منه فان قلت لم جاءت الاجناس الثلاثة
على هذا الترتيب قلت لم سمي الزحف على البطن مشيا قلت على سبيل الاستعارة كما قالوا في الامر المستمر قد مشى
هذا الامر ويقال فلان لا يتمشى له أمر ونحوه استعارة الشفة مكان الجحفلة والمشفر مكان الشفة ونحو ذلك او على طريق
المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ويقولون آمنا
بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين وما أولئك بالمؤمنين اشارة الى القائلين
آمنا وأطعنا او الى الفريق المتولي منهم فمعناه على الأول اعلام من الله تعالى بأن جميعهم منتف عنهم الايمان لا الفريق المتولي
وحده وعلى الثاني اعلام بأن الفريق المتولي لم يكن ما سبق لهم من الايمان ايمانا انما كان ادعاء باللسان من غير مواطأة القلب لأنه
لو كان صادرا عن صحة معتقد وطمأنينة نفس لم يتعقبه التولي والاعراض والتعريف في قوله تعالى بالمؤمنين دلالة
على أنهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفت وهم الثابتون المستقيمون على الايمان الموصوفون في قوله تعالى انما المؤمنون الذين
آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وإذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون معنى الى الله ورسوله
الى رسول الله كقولك أعجبني زيد وكرمه تريد كرم زيد ومنه قوله غلسته قبل القطا وفرطه أراد قبل
فرط القطا روي انها نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في أرض فجعل اليهودي يجره الى رسول
الله والمنافق يجره الى كعب بن الأشرف ويقول ان محمدا يحيف علينا وروي أن المغيرة بن وائل كان بينه وبين
علي بن أبي طالب رضي الله عنه خصومة في ماء وأرض فقال المغيرة أما محمد فلست آتيه ولا أحاكم اليه فانه يبغضني
وأنا أخاف ان يحيف علي وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين اليه صلة يأتوا لأن أتى وجاء قد جاءا معديين بالى او
تتصل بمذعنين لأنه في معنى مسرعين في الطاعة وهذا أحسن لتقدم صلته ودلالته على الاختصاص والمعنى أنهم لمعرفتهم
أنه ليس معك الا الحق المر والعدل البحت يزورون عن المحاكمة اليك اذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه من أحداقهم بقضائك
عليهم لخصومهم وان ثبت لهم حق على خصم أسرعوا اليك ولم يرضوا الا بحكومتك لتأخذ لهم ما ذاب لهم في ذمة الخصم
أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون ثم قسم الأمر في صدودهم
عن حكومته اذا كان الحق عليهم بين أن يكونوا مرضى القلوب منافقين او مرتابين في أمر نبوته او خائفين الحيف
في قضائه ثم أبطل خوفهم حيفه بقوله تعالى بل أولئك هم الظالمون اي لا يخافون ان يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله وانما هم
ظالمون يريدون ان يظلموا من له الحق ويتم لهم جحوده وذلك شيء لا يستطيعونه في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
فمن ثم يأبون المحاكمة اليه انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم
المفلحون وعن الحسن رحمة الله عليه قول المؤمنين بالرفع والنصب أقوى لأن أولى الاسمين بكونه اسما لكان اوغلهما في التعريف
وان يقولوا اوغل لأنه لا سبيل عليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين وكان هذا من قبيل كان في قوله تعالى ما كان الله أن
يتخذ من ولد ما يكون لنا أن نتكلم بهذا وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فان قلت الام أسند يحكم ولا بد له من فاعل
قلت هو مسند الى مصدره لأن معناه ليفعل الحكم بينهم ومثله جمع بينهما وألف بينهما ومثله لقد تقطع بينكم

فيمن

بين قراءة بينكم منصوبا أي ورقع التقطع بينكم • وهذه القراءة مجاوبة لقوله تعالى ادعوا ومن يطع الله ورسوله ويخش الله
ويتقه فأولئك هم الفائزون وقرئ • ويتقه بكسر القاف والهاء مع الوصل وبغير وصل وبسكون الهاء القاف وكسر
الهاء شبه تقه بكتف فخفف لقوله • قالت سليمى اشتر لنا سويقا • ولقد جمع الله سبحانه في هذه
الآية أسباب الفوز • وعن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها ومن يطع الله في فرائضه ورسوله في سننه
ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل وعن بعض الملوك أنه سأل عن آية كافية فتليت له هذه الآية
وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة إن الله خبير بما تعملون جهد يمينه مستعار
من جهد نفسه إذا بلغ أقصى وسعها وذلك إذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها ووكادتها وعن ابن عباس رضي الله
عنهما من قال بالله فقد جهد يمينه وأصله أقسم جهد اليمين وأقسم جهد اليمين جهدا فحذف الفعل وقدم المصدر
فوضع موضعه مضافا إلى المفعول لقوله تعالى فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كأنه قال جاهدين
أيمانهم وطاعة معروفة خبر مبتدإ محذوف أو مبتدأ محذوف الخبر أي أمركم والذي يطلب منكم طاعة معروفة
لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخلص من المؤمنين الذين طابق باطن أمرهم ظاهره لا أيمان تقسمون بها بأفواهكم
وقلوبكم على خلافها أو طاعتكم طاعة معروفة بأنها بالقول دون الفعل أو طاعة معروفة أمثل وأولى بكم من
هذه الأيمان الكاذبة • وقرأ اليزيدي طاعة معروفة بالنصب على معنى أطيعوا طاعة وإن الله خبير بما تعملون
يعلم ما في ضمائركم ولا يخفى عليه شيء من سرائركم وإنه فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم قل أطيعوا الله وأطيعوا
الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين صرف
عن الغيبة إلى الخطاب على طريقة الالتفات وهو أبلغ في تبكيتهم يريد فإن تتولوا فما ضررتموه وإنما ضررتم أنفسكم فإن
الرسول ليس عليه إلا ما حمله الله تعالى وكلفه من أداء الرسالة فإذا أدى فقد خرج عن عهدة تكليفه وأما أنتم فعليكم
ما كلفتم من التلقي بالقبول والإذعان فإن لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه وإن أطعتموه فقد
أحرزتم نصيبكم من الخروج عن الضلالة إلى الهدى فالنفع والضرر عائدان إليكم وما الرسول إلا ناصح وهاد
وما عليه إلا أن يبلغ ما له نفع في قبولكم ولا عليه ضرر في توليكم والبلاغ بمعنى التبليغ كالأداء بمعنى التأدية
ومعنى المبين كونه مقرونا بالآيات والمعجزات وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض
كما استخلف الذين من قبلهم الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن معه ومنكم للبيان كالتي في آخر سورة الفتح وعد
الله أن ينصر الإسلام على الكفر ويورثهم الأرض ويجعلهم فيها خلفاء كما فعل ببني إسرائيل حين أورثهم مصر والشام
بعد إهلاك الجبابرة وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي
شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون وأن يمكن الدين المرتضى وهو دين الإسلام وتمكينه تثبيته
وتوطيده وأن يؤمن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه • وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه
مكثوا بمكة عشر سنين خائفين • ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل ما يأتي علينا يوم
نأمن فيه ونضع السلاح فقال صلى الله عليه وسلم لا تغبرون إلا يسيرا حتى يجلس الرجل في الملإ العظيم محتبيا ليس فيه
حديدة فأنجز الله تعالى وعده • وأظهرهم على جزيرة العرب • وافتتحوا بعد بلاد المشرق والمغرب • ومزقوا ملك
الأكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا ثم خرج الذين على خلاف سيرتهم فكفروا بتلك الأنعم وفسقوا وذلك
قوله عليه الصلاة والسلام الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يملك الله تعالى من يشاء فتصير ملكا ثم تصير بزيزى •

قطع سبيل وسفك دماء وأخذ أموال بغير حقها وغير ذلك كما استخلف على البناء للمفعول وليبدلنهم بالتشديد فإن قلت
أين القسم المتلقى باللام والنون في ليستخلفنهم هو محذوف تقديره وعدهم الله وأقسم ليستخلفنهم أو نزل وعد الله
في تحققه منزلة القسم فتلقى بما يتلقى به القسم كأنه أقسم الله ليستخلفنهم فإن قلت ما محل يعبدونني قلت إن
جعلته استئنافا لم يكن له محل كأن قائلا قال ما لهم يستخلفون ويؤمنون فقال يعبدونني وإن جعلته حالا عن وعدهم
أي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم وإخلاصهم فمحله النصب ومن كفر يريد كفران النعمة كقوله تعالى فكفرت بأنعم الله فأولئك هم الفاسقون أي الكاملون في فسقهم حيث كفروا تلك النعمة
العظيمة وجسروا على غمطها فإن قلت هل في هذه الآية دليل على أمر الخلفاء الراشدين قلت أوضح دليل وأبينه لأن
المستخلفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم هم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون
وأقيموا الصلاة معطوف على أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وليس ببعيد أن يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وإن طال
لأن حق المعطوف أن يكون غير المعطوف عليه وكررت طاعة الرسول تأكيدا لوجوبها لا تحسبن الذين كفروا معجزين في
الأرض ومأواهم النار ولبئس المصير وقرئ لا يحسبن بالياء وفيه أوجه أن يكون معجزين في الأرض هما المفعولان
والمعنى لا يحسبن الذين كفروا أحدا يعجز الله في الأرض حتى يطمعوا هم في مثل ذلك وهذا معنى قوي جيد وأن
يكون فيه ضمير الرسول لتقدم ذكره في قوله تعالى وأطيعوا الرسول وأن يكون الأصل لا يحسبنهم الذين كفروا
معجزين ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الأول وكان الذي سوغ ذلك أن الفاعل والمفعولين لما كانت لشيء
واحد اقتنع بذكر اثنين عن ذكر الثالث وعطف قوله تعالى ومأواهم النار على لا يحسبن الذين كفروا معجزين
كأنه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله ومأواهم النار والمراد بهم المقسمون جهد أيمانهم يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم
الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة
ومن بعد صلاة العشاء أمر بأن يستأذن العبيد والإماء وقيل العبيد والإماء والأطفال الذين لم يحتلموا من الأحرار
ثلاث مرات في اليوم والليلة قبل صلاة الفجر لأنه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة
وبالظهيرة لأنها وقت وضع الثياب للقائلة وبعد صلاة العشاء لأنه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف
بثياب النوم وسمى كل واحدة من هذه الأحوال عورة لأن الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها والعورة
الخلل ومنها أعور الفارس وأعور المكان والأعور المختل العين ثم عذرهم في ترك الاستئذان وراء هذه المرات
وبين وجه العذر في قوله تعالى طوافون عليكم يعني أن بكم وبهم حاجة إلى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم
للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام فلو جزم الأمر بالاستئذان في كل وقت لأدى إلى الحرج وروي أن
مدلج بن عمرو وكان غلاما أنصاريا أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهر إلى عمر رضي الله عنه ليدعوه فدخل
عليه وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت أن الله عز وجل نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا أن لا يدخلوا
علينا هذه الساعات إلا بإذن ثم انطلق معه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فوجده وقد أنزلت عليه هذه الآية وهي إحدى
الآيات المنزلة بسبب عمر رضي الله عنه وقد أنزلت في أسماء بنت أبي مرثد قالت إنا لندخل على الرجل والمرأة ولعلهما
يكونان في لحاف واحد وقيل دخل عليها غلام لها كبير في وقت كرهت دخوله فأتت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالت إن خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها وعن أبي عمرو الحلم بالسكون ثلاث عورات
لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم وقرئ

وقرئ ثلث عورات بالنصب بدلا عن ثلث مرات، اي اوقات ثلث عورات • وعن الاعمش عورات على لغة هذيل
فان قلت ما محل ليس عليكم قلت اذا رفعت ثلث عورات كان ذلك في محل الرفع على الوصف والمعنى هن ثلث
عورات مخصوصة بالاستيذان واذا نصبت لم يكن له محل وكان كلاما مقررا للامر بالاستيذان في تلك الاحوال
خاصة فان قلت بم ارتفع بعضكم قلت بالابتداء وخبره على بعض على معنى طائف على بعض وحذف لان طوافون
يدل عليه ويجوز ان يرتفع بيطوف مضمرا لتلك الدلالة وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين
من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم الذين من قبلهم يريد الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال
والذين ذكروا من قبلهم في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الآية
والمعنى ان الاطفال ما ذون لهم في الدخول بغير اذن الا في العورات الثلث فاذا اعتاد الاطفال ذلك
ثم خرجوا عن حد الطفولة بان يحتلموا او يبلغوا السن التي يحكم فيها عليهم بالبلوغ وجب ان يفطموا عن تلك العادة
ويحملوا على ان يستأذنوا في جميع الاوقات كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم الا باذن • وهذا مما
الناس منه في غفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة • وعن ابن عباس رضي الله عنهما آية لا يؤمن بها اكثر الناس آية الاذن
واني لآمر جاريتي ان تستأذن علي • وسأله عطاء أستأذن على اختي قال نعم • وان كانت في حجرك تمونها وتلا
هذه الآية • وعنه ثلث آيات جحدهن الناس الاذن كله وقوله عز وجل ان اكرمكم عند الله اتقيكم فقال ناس
اعظمكم بيتا وقوله تعالى اذا حضر القسمة • وعن ابن عباس رضي الله عنهما • عليكم ان تستأذنوا على آبائكم وامهاتكم
واخواتكم • وعن الشعبي ليست منسوخة • فقيل له ان الناس لا يعملون بها • فقال الله المستعان • وعن سعيد بن جبير رضي
الله عنه يقولون هي منسوخة ولا والله ما هي منسوخة • ولكن الناس تهاونوا بها فان قلت ما السن التي يحكم
فيها بالبلوغ قلت قال ابو حنيفة رحمة الله عليه ثمانية عشرة سنة في الغلام • وسبع عشرة في الجارية وعامة
العلماء على خمس عشرة فيهما • وعن علي رضي الله عنه انه كان يعتبر القامة ويقدره بخمسة اشبار وبه اخذ
الفرزدق في قوله • ما زال مذ عقدت يداه ازاره وسما فادرك خمسة الاشبار •
واعتبر غيره الانبات • وعن عثمان رضي الله عنه • انه سأل عن غلام فقال اخضر ازاره • والقواعد
من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستعففن خير
لهن والله سميع عليم القاعد التي قعدت عن الحيض والولد لكبرها لا يرجون نكاحا لا يطمعن فيه والمراد بالثياب
الثياب الظاهرة • كالملحفة والجلباب الذي فوق الخمار • غير متبرجات بزينة غير مظهرات زينة يريد
الزينة الخفية التي ارادها في قوله تعالى • ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او غير قاصدات بالوضع التبرج
ولكن التخفف • اذا احتجن اليه والاستعفاف من الوضع خير لهن لما ذكر الجائز عقبه بالمستحب بعثا منه
على اختيار افضل الاعمال واحسنها كقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وان تصدقوا خير لكم ما حقيقة
التبرج قلت تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه من قولهم سفينة بارج لا غطاء عليها • والبرج سعة العين
يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شيء • الا انه اختص بان تنكشف المرأة للرجال بابداء زينتها
واظهار محاسنها وبدا وبرز بمعنى ظهر اخوات تبرج وتبلج كذلك ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج
ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت

اخواتكم

أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم كان المؤمنون
يذهبون بالضعفاء وذوي العاهات الى بيوت أزواجهم وأولادهم وإلى بيوت قراباتهم وأصدقائهم فيطعمونهم
منها فخالج قلوب المطعمين ريبة في ذلك وخافوا أن يلحقهم فيه حرج وكرهوا أن يكون أكلا بغير حق لقوله تعالى
ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل فقيل لهم ليس على الضعفاء ولا على أنفسكم يعني عليكم ولا على من في مثل حالكم من المؤمنين
حرج في ذلك ۔ وعن عكرمة كانت الأنصار في أنفسها قزازة فكانت لا تأكل من هذه البيوت إذا استغنوا وقيل كان
هؤلاء يتوقون مجالسة الناس ومؤاكلتهم لما عسى أن يؤدي إلى الكراهة من قبلهم ولأن الأعمى ربما سبقت يده
إلى ما سبقت عين أكيله إليه وهو لا يشعر وقيل كانوا يخرجون إلى الغزو ويخلفون الضعفاء في بيوتهم ويدفعون إليهم
المفاتيح ويأذنون لهم أن يأكلوا وهو لا يشعر والأعرج يتفسح في مجلسه ويأخذ أكثر من موضعه فيضيق على جليسه
والمريض لا يخلو من رائحة تؤذي أو جرح يبض أو أنف يذن ونحو ذلك ۔ وقيل كانوا يخرجون إلى الغزو ويخلفون
الضعفاء في بيوتهم ويدفعون إليهم المفاتيح ويأذنون لهم أن يأكلوا ۔ وقيل كانوا يخرجون الغزو من بيوتهم فكانوا
يتحرجون ۔ وحكي عن الحارث بن عمرو أنه خرج غازيا وخلف مالك بن زيد في بيته وماله ۔ فلما رجع رآه
مجهودا فقال ما أصابك قال لم يكن عندي شيء ولم يحل لي أن آكل من مالك ۔ فقيل ليس على هؤلاء الضعفاء حرج فيما
تحرجوا عنه ولا عليكم أن تأكلوا من هذه البيوت وهذا الكلام صحيح ۔ وكذلك إذا فسر بأن هؤلاء ليس عليهم حرج ۔ فيما
في القعود عن الغزو ولا عليكم أن تأكلوا من البيوت المذكورة لالتقاء الطائفتين في أن كل واحد منهما منفي عنها الحرج
ومثال هذا أن يستفتيك مسافر عن الإفطار في رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر فقلت
ليس على المسافر حرج في أن يفطر ولا عليك يا حاج أن تقدم الحلق على النحر فإن قلت هلا ذكر الأولاد قلت
دخل ذكرهم تحت قوله تعالى من بيوتكم لأن ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه وفي الحديث إن أطيب ما يأكل
المرء من كسبه ۔ وإن ولده من كسبه ومعنى من بيوتكم من البيوت التي فيها أزواجكم وعيالكم ولأن الولد أقرب
ممن عدد من القرابات فإذا كان سبب الرخصة هو القرابة كان الذي هو أقرب منهم أولى فإن قلت ما معنى
أو ما ملكتم مفاتحه قلت أموال الرجل إذا كان له عليها قيم ووكيل يحفظها له أن يأكل من ثمر بستانه ويشرب
من لبن ماشيته وملك المفاتح كونها في يده وحفظه وقيل بيوت المماليك لأن مال العبد لمولاه وقرئ
مفاتحه فإن قلت فما معنى أو صديقكم قلت معناه أو بيوت أصدقائكم والصديق يكون واحدا
وجمعا ۔ وكذلك الخليط والقطين والعدو ويحكى عن الحسن رحمة الله عليه أنه دخل داره وإذا حلقة
من أصدقائه وقد استلوا سلالا من تحت سريره فيها الخبيص وأطايب الأطعمة وهم مكبون عليها يأكلون
فتهللت أسارير وجهه سرورا وضحك وقال هكذا وجدناهم هكذا وجدناهم يريد كبراء الصحابة ومن
لقيهم من البدريين وكان الرجل منهم يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته كيسه فيأخذ ما شاء
فإذا حضر مولاها فأخبرته فأعتقها سرورا بذلك ۔ وعن جعفر بن محمد رحمة الله عليه من عظم حرمة الصديق أن
جعله الله تعالى من الأنس والثقة والانبساط وطرح الحشمة بمنزلة النفس والأب والأخ والابن ۔ وعن ابن
عباس رضي الله عنهما الصديق أكبر من الوالدين ۔ إن الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والأمهات
فقالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقالوا إذا دل ظاهر الحال على رضا المالك قام ذلك مقام الإذن الصريح

وربما سمح الاستيذان ونقل لمن قدم اليه طعام فاستاذن صاحبه في الاكل منه ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا او
اشتاتا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم
تعقلون جميعا او اشتاتا اي مجتمعين او متفرقين نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون
ان يأكل الرجل وحده فربما قعد منتظرا نهاره الى الليل فان لم يجد من يؤاكله اكل ضرورة وقيل في
قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا يأكلون الا مع ضيفهم وقيل تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف
الناس في الاكل وزيادة بعضهم على بعض فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت لتأكلوا فابدءوا بالسلام على اهلها
الذين هم منكم دينا وقرابة تحية من عند الله لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها اي ثابتة بامره مشروعة من
لدنه او لان التسليم والتحية طلب تحية وسلامة وحياة للمسلم عليه والمحيا من عند الله ووصفها بالبركة
والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله تعالى زيادة الخير وطيب الرزق وعن انس رضي الله عنه قال
خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين وروي تسع سنين فما قال لي لشيء فعلته ولا قال لي لشيء تركته
ولم تركته وكنت واقفا على راسه اصب الماء على يديه فرفع راسه فقال الا اعلمك ثلاث خصال تنتفع بها قلت بلى
بابي وامي انت يا رسول الله قال متى لقيت من امتي احدا فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم
عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين وقالوا ان لم يكن في البيت احد
فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وعن
ابن عباس رضي الله عنهما اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين تحية من عند الله وانتصب
تحية بسلموا لانها في معنى تسليما كقولك قعدت جلوسا انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا
معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله
فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم اراد عز وجل ان يريهم عظم
الجناية في ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذنه اذا كانوا معه على امر جامع فجعل ترك
ذهابهم حتى يستأذنوه ثالث الايمان بالله والايمان برسوله وجعلهما كالتشبيب له والبساط لذكره وذلك
مع تصدير الجملة بانما وايقاع المؤمنين مبتدأ مخبرا عنه بموصول احاطت صلته بذكر الايمانين ثم عقبه بما يزيده
توكيدا وتشديدا حيث اعاده على اسلوب آخر وهو قوله تعالى ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون
بالله ورسوله وضمنه شيئا آخر وهو انه جعل الاستيذان كالمصداق لصحة الايمانين وعرض بحال المنافقين
وتسللهم لواذا ومعنى قوله تعالى لم يذهبوا حتى يستأذنوه لم يذهبوا حتى يستأذنوه ويأذن لهم الا ترى
كيف علق الامر بعد وجود استيذانهم بمشيئته واذنه لمن استصوب ان يأذن له والامر الجامع الذي
يجمع له الناس فوصف الامر بالجمع على سبيل المجاز وذلك نحو مقاتلة عدو او تشاور في خطب مهم او تصام لارهاب
مخالف او تماسح في حلف وغير ذلك او الامر الذي يعم بضرره او بنفعه وقرئ امر جميع وفي قوله تعالى
اذا كانوا معه على امر جامع انه خطب جليل لا بد لرسول الله فيه من ذوي رأي وقوة يظاهرونه عليه ويعاونونه
ويستضيء بآرائهم ومعارفهم وتجاربهم في كفايته فمفارقة احدهم في مثل تلك الحالة مما يشق على قلبه ويشعث
عليه رايه فمن ثم غلظ عليهم وضيق عليهم الامر في الاستيذان مع العذر المبسوط ومساس الحاجة اليه واعتراض
ما يهمهم ويعنيهم ذلك قوله تعالى لبعض شأنهم وذكر الاستغفار للمستأذنين دليل على ان الافضل

أن لا يحدثوا أنفسهم بالذهاب ولا يستأذنوا فيه • وقيل نزلت في حفر الخندق • وكان قوم يتسللون بغير إذن وقالوا كذلك
ينبغي أن تكون الناس مع أئمتهم ومقدميهم في الدين والعلم يظاهرونهم ولا يخذلونهم في نازلة من النوازل
ولا يتفرقون عنهم والأمر في الإذن مفوض للإمام إن شاء أذن وإن شاء لم يأذن على حسب ما اقتضاه رأيه
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون
عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم إذا احتاج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اجتماعكم
عنده لأمر فدعاكم فلا تتفرقوا عنه إلا بإذنه ولا تقيسوا دعاءه إياكم على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع
بغير إذن الداعي • أو لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمي بعضكم بعضا ويناديه باسمه الذي سماه به
أبواه ولا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتعظيم • والصوت المخفوض • والتواضع
ويحتمل لا تجعلوا دعاء الرسول ربه مثل ما يدعو صغيركم كبيركم وفقيركم غنيكم يسأله حاجة فربما أجابه وربما
رده فإن دعوات رسول الله مسموعة مستجابة • يتسللون ينسلون قليلا قليلا • ونظير تسلل تدرج وتدخل
واللواذ • الملاوذة • وهو أن يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا يعني يتسللون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة
واستتار بعضهم ببعض ولواذا حال أي ملاوذين • وقيل كان بعضهم يلوذ بالرجل إذا استأذن فيأذن
له فينطلق الذي لم يؤذن له معه • وقرئ لواذا بالفتح يقال خالفه إلى الأمر إذا ذهب إليه دونه ومنه قوله
تعالى وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه وخالفه عن الأمر إذا صد عنه ومعنى الذين يخالفون عن أمره الذين
يصدون عن أمره دون المؤمنين وهم المنافقون فحذف المفعول لأن الغرض ذكر المخالف والمخالف عنه الضمير
في أمره لله سبحانه أو للرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى عن طاعته ودينه • فتنة محنة في الدنيا أو يصيبهم عذاب
أليم في الآخرة • وعن ابن عباس رضي الله عنهما فتنة قتل • وعن عطاء زلازل وأهوال • وعن جعفر بن محمد يسلط
عليهم سلطان جائر • ألا إن لله ما في السموات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا
والله بكل شيء عليم • أدخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ومرجع توكيد العلم إلى توكيد الوعيد
وذلك أن قد إذا دخلت على المضارع كانت بمعنى ربما فوافقت ربما في خروجها إلى معنى التكثير في نحو قوله •

• فإن تمس مهجور الفناء • فربما أقام به بعد الوفود • وفود • ونحوه • قول زهير •

• أخي ثقة لا تهلك الخمر ماله • ولكنه قد يهلك المال نائله •

والمعنى أن جميع ما في السموات والأرض مختصة به خلقا وملكا • وعلما • فكيف يخفى عليه أحوال المنافقين وإن كانوا يجتهدون
في سترها عن العيون وإخفائها • وسينبئهم يوم القيامة بما أبطنوا من سوء أعمالهم وسيجازيهم حق جزائهم • والخطاب والغيبة
في قوله تعالى قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه يجوز أن يكونا جميعا للمنافقين على طريق الالتفات ويجوز
أن يكون ما أنتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور أعطي من الأجر
عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي • والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

سورة الفرقان مكية — بسم الله الرحمن الرحيم — وهي سبع وسبعون آية

تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا البركة كثرة الخير وزيادته ومنها تبارك الله وفيه معنيان

تزايد

تزايد خيره وتكاثر او تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل
بينهما وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل او لانه لم ينزل جملة واحدة ولكن مفروقا مفصولا بين بعضه
وبعض في الانزال الا ترى الى قوله تعالى وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا وقد جاء الفرق
بمعناه قال ومشركي كافر بالفرق وعن ابن الزبير على عباده وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته
كما قال تعالى ولقد انزلنا اليكم قولوا آمنا بالله وما انزل الينا والضمير في ليكون لعبده او للفرقان ويعضده
رجوعه الى الفرقان قراءة ابن الزبير للعالمين للجن والانس ونذيرا منذرا اي مخوفا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار
ومنه قوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك
في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا الذي له رفع على الابدال من الذي نزل او رفع على المدح او نصب عليه
فان قلت كيف جاز الفصل بين البدل والمبدل منه قلت ما فصل بينهما بشيء لان المبدل منه صلته
نزل وليكون تعليل له فكان المبدل منه لم يتم الا به فان قلت في الخلق معنى التقدير فما معنى قوله تعالى وخلق
كل شيء فقدره تقديرا كانه قال وخلق كل شيء فقدره قلت المعنى انه احدث كل شيء احداثا مراعى فيه
التقدير والتسوية فقدره وهيأه لما يصلح له مثاله انه خلق الانسان على هذا الشكل المقدر المسوى الذي
الذي تراه فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به في بابي الدين والدنيا وكذلك كل حيوان وجماد جاء به على الجبلة
المستوية المقدرة بامثلة الحكمة والتدبير فقدره لامر ما ومصلحة مطابقا لما قدر له غير متجاف عنه او سمي احداث
الله تعالى خلقا لانه لا يحدث شيئا لحكمته الا على وجه التقدير من غير تفاوت وقيل فجعل له غاية ومنتهى
ومعناه فقدره للبقاء الى امد معلوم واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون
لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا الخلق بمعنى الافتعال كما في قوله تعالى انما تعبدون
من دون الله اوثانا وتخلقون افكا والمعنى انهم آثروا على عبادة الله سبحانه عبادة آلهة لا عجز ابين من عجزهم
لا يقدرون على شيء من افعال الله تعالى ولا من افعال العباد حيث لا يفتعلون شيئا لانهم عبدتهم يصنعونهم
بالنحت والتصوير وهم لا يملكون اي لا يستطيعون لانفسهم دفع ضرر عنها او جلب نفع اليها وهم يستطيعون
واذا عجزوا عن الافتعال ودفع الضرر وجلب النفع التي يقدر عليها العباد كانوا عن الموت والحياة والنشور التي
لا يقدر عليها الا الله اعجز وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون
فقد جاؤا ظلما وزورا قوم آخرون هم اليهود وقيل عداس مولى حويطب بن عبد العزى ويسار مولى العلاء بن
الحضرمي وابو فكيهة الرومي قال ذلك النضر بن الحارث بن عبد الدار جاء واتى يستعملان في معنى فعل فيعديان
تعديته وقد يكون على معنى وردوا ظلما كما تقول جئت المكان ويجوز ان يحذف الجار ويوصل الفعل
وظلمهم ان جعلوا العربي يتلقن من العجمي الرومي كلاما عربيا اعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب والزور
ان بهتوه بنسبة ما هو بريء منه اليه وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا اساطير الاولين
ما سطره المتقدمون من نحو احاديث رستم واسفنديار جمع اسطار او اسطورة كاحدوثة اكتتبها كتبها
لنفسه واخذها كما تقول استكب الماء واصطبه اذا سكبه وصبه لنفسه واخذه وقرئ اكتتبها على البناء للمفعول
والمعنى اكتتبها كاتب له لانه كان اميا لا يكتب بيده وذلك من تمام اعجازه ثم حذفت اللام فافضى الفعل الى
الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب كقوله تعالى واختار موسى قومه ثم بني الفعل للضمير الذي هو اياه فانقلب

مرفوعا مستترا بعد اذ كان بارزا منصوبا وبقي ضمير الاساطير على حاله فصار اكتتبها كما ترى فان قلت كيف قيل اكتتبها فهي تملى عليه او كتبت له وانما يقال امليت عليه فهو يكتتبها قلت فيه وجهان احدهما اراد اكتتابها او طلبه فهي تملى عليه او كتبت له وهو امي فهي تملى عليه اي تلقى عليه من كتابه يتحفظها لان صورة الالقاء على الحافظ كصورة الالقاء على الكاتب وعن الحسن انه قول الله سبحانه يكذبهم وانما يستقيم ان لو فتحت الهمزة للاستفهام الذي في معنى الانكار ووجهه ان يكون نحو قوله * أفرح أن أرزأ الكرام * وحق الحسن ان يقف على الاولين بكرة واصيلا اي دائما او في الخفية قبل ان ينتشر الناس وحين يأوون الى مساكنهم قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض انه كان غفورا رحيما اي يعلم كل سر خفي في السموات والارض ومن جملته ما تسرونه انتم من الكيد لرسوله مع علمكم ان ما تقولونه باطل وزور وكذلك باطن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبراءته مما تبهتونه به وهو يجازيكم ويجازيه على ما علم منكم وعلم منه فان قلت كيف طابق قوله انه كان غفورا رحيما هذا المعنى قلت لما كان ما تقدمه في معنى الوعيد عقبه بما يدل على القدرة عليه لانه لا يوصف بالمغفرة والرحمة الا القادر على العقوبة وهو تنبيه على انهم استوجبوا بمكابرتهم هذه ان يصب عليهم العذاب صبا ولكن صرف ذلك عنهم انه كان غفورا رحيما يمهل ولا يعاجل وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا وقعت اللام في المصحف مفصولة عن هذا خارجة عن اوضاع الخط العربي وخط المصحف سنة لا تغير وفي هذا استهانة وتصغير لشأنه وتسميته بالرسول سخرية منهم وطنز كانهم قالوا ما لهذا الزاعم انه رسول ونحوه قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون اي ان صح انه رسول الله فما باله حاله مثل حالنا يأكل الطعام كما نأكل ويتردد في الاسواق لطلب المعاش كما نتردد يعنون انه كان يجب ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والتعيش ثم نزلوا عن اقتراحهم ان يكون ملكا الى اقتراح ان يكون انسانا معه ملك حتى يتساندا في الانذار والتخويف ثم نزلوا ايضا فقالوا وان لم يكن مرفودا بملك فليكن مرفودا بكنز يلقى اليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش ثم نزلوا فاقتنعوا بان يكون رجلا له بستان يأكل منه ويرتزق كالدهاقين والمياسير او يأكلون هم من ذلك البستان فينتفعون به في دنياهم ومعاشهم واراد بالظالمين اياهم بأعيانهم وضع الظاهر موضع المضمر ليسجل عليهم بالظلم فيما قالوا وقرئ فيكون بالرفع او تكون له جنة بالياء ونأكل بالنون فان قلت ما وجها الرفع والنصب في فيكون قلت النصب لانه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام والرفع على انه معطوف على انزل ومحله الرفع الا ترى انك تقول لولا ينزل بالرفع وقد عطف عليه يلقى ويكون مرفوعين ولا يجوز النصب فيهما لانهما في حكم الواقع بعد لولا ولا يكون الا مرفوعا والقائلون هم كفار قريش النضر بن الحرث وعبد ابن ابي امية ونوفل بن خويلد ومن ضامهم مسحورا سحر فغلب على عقله او ذا سحر وهو الرئة عنوا انه بشر لا ملك انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا ضربوا لك الامثال اي قالوا فيك تلك الاقوال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال النادرة من نبوة مشتركة بين انسان وملك والقاء كنز عليك من السماء وغير ذلك فبقوا متحيرين ضلالا لا يجدون قولا يستقرون عليه او فضلوا عن الحق فلا يجدون طريقا اليه تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا تكاثر خير الذي ان شاء وهب لك في الدنيا خيرا مما قالوا وهو ان يجعل لك مثل ما وعدك في الآخرة من الجنات والقصور وقرئ ويجعل بالرفع عطفا على جعل لان الشرط اذا وقع ماضيا

جاز في جوابه الجزم والرفع كقوله ٭ وإن أتاه خليل يوم مسألة ٭ يقول لا غائب مالي ولا حرم ٭
ويجوز في ويجعل لك إذا أدغمت أن تكون اللام في تقدير الجزم والرفع جميعا وقرئ بالنصب على أنه جواب
الشرط بالواو بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا بل كذبوا عطف على ما حكى عنهم يقول بل أتوا
بأعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة ويجوز أن يتصل بما يليه كأنه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون
إلى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وهم لا يؤمنون بالآخرة والسعير النار الشديدة
الاستعار وعن الحسن أنه اسم من أسماء جهنم إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا رأتهم من قولهم
دورهم تتراءى وتتناظر ومن قوله صلى الله عليه وسلم لا تتراءى ناراهما كأن بعضها يرى بعضا على سبيل
المجاز والمعنى إذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر
ويجوز أن يراد إذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام منهم وإذا ألقوا منها
مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا الكرب مع الضيق كما أن الروح مع السعة ولذلك
وصف الله تعالى الجنة بأن عرضها السموات والأرض وجاء في الأحاديث أن لكل مؤمن من القصور والجنان كذا
وكذا ولقد جمع الله على أهل النار أنواع التضييق والإرهاق حيث ألقاهم في مكان ضيق يتراصون فيه تراصا
كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيره أنه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح وهم مع ذلك الضيق مسلسلون
مقرنون في السلاسل قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الجوامع وقيل يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي
أرجلهم الأصفاد والثبور الهلاك ودعاؤه أن يقال واثبوراه أي تعال يا ثبور فهذا حينك وزمانك ولا تدعوا
أي يقال لهم ذلك أو هم أحقاء بأن يقال لهم وإن لم يكن ثم قول ومعنى وادعوا ثبورا كثيرا وإحدا وادعوا ثبورا كثيرا
أنكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا إنما هو ثبور كثير إما لأن العذاب أنواع وألوان كل نوع منها ثبور لشدته
وفظاعته أو لأنهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد
المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا الراجع إلى الموصولين محذوف يعني وعدها المتقون وما يشاؤونه وإنما قيل
كانت لأن ما وعده الله وحده فهو في تحققه كأنه قد كان أو كان مكتوبا في اللوح قبل أن برأهم بأزمنة
متطاولة أن الجنة جزاؤهم ومصيرهم فإن قلت ما معنى قوله كانت لهم جزاء ومصيرا قلت هو كقوله تعالى
نعم الثواب وحسنت مرتفقا فمدح الثواب ومكانه كما قال تعالى بئس الشراب وساءت مرتفقا وذم العقاب
ومكانه لأن النعيم لا يتم للمتنعم إلا بطيب المكان وسعته وموافقته للمراد والشهوة ولا تنغص وكذلك
العقاب يتضاعف بغثاثة الموضع وضيقه وظلمته وجمعه لأسباب الاجتواء والكراهة فلذلك ذكر
المصير مع ذكر الجزاء لهم فيها ما يشاؤون خالدين كان على ربك وعدا مسؤولا والضمير في كان لما يشاؤون والوعد
الموعود أي كان ذلك موعودا واجبا على ربك إنجازه حقيقا أن يسأل ويطلب لأنه جزاء وأجر مستحق
وقيل قد سأله الناس والملائكة في دعواتهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك آتنا في الدنيا حسنة وفي
الآخرة حسنة ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول
أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل يحشرهم فيقول كلاهما بالنون والياء وقرئ يحشرهم بكسر الشين
وما يعبدون يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير وعن الكلبي الأصنام ينطقها الله تعالى
ويجوز أن يكون عاما لهم جميعا فإن قلت كيف صح استعمال ما في العقلاء قلت هو موضوع على العموم

للعقلاء وغيرهم بدليل قولك اذا رايت شبحا من بعيد ما هو فاذا قيل لك انسان قلت حينئذ من هو ويدلك قولهم
من لما يعقل او اريد به الوصف كانه قيل ومعبوديهم الا تراك تقول اذا اردت السؤال عن صفة زيد ما زيد
تعني اطويل ام قصير افقيه ام طبيب فان قلت ما فائدة انتم وهم وهلا قيل اضللتم عبادي هؤلاء
ام ضلوا السبيل قلت ليس السؤال عن الفعل ووجوده لانه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب وانما هو عن
متوليه فلا بد من ذكره وايلائه حرف الاستفهام حتى يعلم انه المسؤول عنه فان قلت فالله سبحانه قد سبق
بالمسؤول عنه فما فائدة هذا السؤال قلت فائدته ان يجيبوا بما اجابوا به حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم اياهم فيبهتوا وينخذلوا
وتزيد حسرتهم ويكون ذلك نوعا مما يلحقهم من غضب الله تعالى وعذابه ويغتبط المؤمنون ويفرحوا بحالهم ونجاتهم من
فضيحة اولئك وليكون حكاية ذلك لطفا للمكلفين وفيه كسر بيّن لقول من زعم ان الله يضل عباده على الحقيقة حيث
يقول للمعبودين من دونه أانتم اضللتموهم ام هم ضلوا بانفسهم فيتبرؤون من اضلالهم ويستعيذون به ان يكونوا مضلين
ويقولون بل انت تفضلت من غير سابقة على هؤلاء وآبائهم تفضل جواد كريم فجعلوا النعمة التي حقها ان تكون سبب
الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر وكان ذلك سبب هلاكهم فاذا برأت الملائكة والرسل انفسهم من نسبة الاضلال
الذي هو عمل الشياطين اليهم واستعاذوا منه فهم لربهم الغني العدل اشد تبرئة وتنزيها منه ولقد نزهوه
حين اضافوا اليه التفضل بالنعمة والتمتيع بها واسندوا نسيان الذكر والتسبب به للبوار الى الكفرة فشرحوا الاضلال
المجازي الذي اسنده الله تعالى الى ذاته في قوله يضل من يشاء ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان الجواب
العتيد ان يقولوا بل انت اضللتهم والمعنى أانتم اوقعتموهم في الضلال عن طريق الحق ام هم ضلوا عنه بانفسهم
وضل مطاوع اضله وكان القياس ضل عن السبيل الا انهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق والاصل الى
الطريق وللطريق وقولهم اضل البعير في معنى جعله ضالا اي ضائعا لما كان اكثر ذلك بتفريط من صاحبه
وقلة احتياط في حفظه وقيل اضله سواء كان منه فعل او لم يكن قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من
دونك من اولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا سبحانك تعجب منهم قد تعجبوا مما قيل
لهم لانهم ملائكة وانبياء معصومون فما ابعدهم عن الاضلال الذي هو مختص بابليس وحزبه او نطقوا
بسبحانك ليدلوا على انهم المسبحون المقدسون الموسومون بذلك فكيف يليق بحالهم ان يضلوا عباده او قصدوا
به تنزيهه عن الانداد وان يكون له ملك او نبي او غيرهما ندا ثم قالوا ما كان يصح لنا ولا يستقيم ونحن
معصومون ان نتولى احدا دونك فكيف يصح لنا ان نحمل غيرها على ان يتولونا دونك او ما كان ينبغي لنا ان
نكون امثال الشياطين في توليهم الكفار كما تولاهم الكفار قال الله تعالى فقاتلوا اولياء الشياطين يريد
الكفرة وقال الذين كفروا اولياؤهم وقرا ابو جعفر المدني نُتَّخذ على البناء للمفعول وهذا الفعل اعني
اتخذ يتعدى الى مفعول واحد كقولك اتخذ وليا والى مفعولين كقولك اتخذ فلانا وليا قال الله تعالى
ام اتخذوا آلهة من الارض وقال واتخذ الله ابراهيم خليلا فالقراءة الاولى من المتعدي الى واحد وهو
من اولياء والاصل ان نتخذ اولياء فزيدت من لتاكيد معنى النفي والثانية من المتعدي الى مفعولين
فالاول ما بني له الفعل والثاني من اولياء ومن للتبعيض اي لا نتخذ بعض اولياء وتنكير اولياء من حيث
انهم مخصوصون وهم الجن والاصنام والذكر ذكر الله والايمان به او القرآن والشرائع والبور الهلاك
يوصف به الواحد والجمع ويجوز ان يكون جمع بائر كعائذ وعوذ فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا

ومن

ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا هذه المفاجأة بالاحتجاج والالزام حسنة رائعة اذا انضم اليها الالتفات وحذف القول
ونحوها قوله عز وعلا يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من
بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير وقول القائل . قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا
وقرئ يقولون بالتاء والياء فمعنى من قرأ بالتاء فقد كذبوكم بقولكم انهم آلهة ومعنى من قرأ بالياء فقد كذبوكم
بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء فان قلت هل يختلف حكم الباء مع التاء والياء
قلت اي والله هي مع التاء كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من الضمير كانه قيل فقد كذبوا بما
يقولون وهي مع الياء كقولك كتبت بالقلم وقرئ يستطيعون بالتاء والياء ايضا يعني فما تستطيعون
انتم يا كفار صرف العذاب عنكم وقيل الصرف التوبة وقيل الحيلة من قولهم انه ليتصرف اي يحتال
او فما تستطيع آلهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب وان يحتالوا لكم الخطاب على العموم للمكلفين والعذاب الكبير
لاحق بكل من ظلم والكافر ظالم لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم والفاسق ظالم لقوله تعالى ومن لم
يتب فاولئك هم الظالمون وقرئ يذقه بالياء وفيه ضمير الله تعالى او ضمير مصدر يظلم وما ارسلنا قبلك من
المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون وكان ربك
بصيرا الجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف والمعنى وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا آكلين وماشين
وانما حذف اكتفاء بالجار والمجرور اعني من المرسلين ونحوه قوله عز وعلا وما منا الا له مقام معلوم على معنى
وما منا احد وقرئ ويمشون على البناء للمفعول اي تمشيهم حوائجهم او الناس ولو قرئ يمشون لكان
اوجه لولا الرواية وقيل هو احتجاج على من قال مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق فتنة اي
محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قالوه واستبدعوه من اكله الطعام ومشيه في الاسواق
بعد ما احتج عليهم بسائر الرسل يقول وجرت عادتي وموجب حكمتي على ابتلاء بعضكم ايها الناس ببعض
والمعنى انه ابتلى المرسلين بالمرسل اليهم وبمناصبتهم لهم العداوة واقاويلهم الخارجة عن حد الانصاف
وانواع اذاهم وطلب منهم الصبر الجميل ونحوه ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا
اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وموقع اتصبرون بعد ذكر الفتنة موقع ايكم بعد
الابتلاء في قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا بصيرا عالما بالصواب فيما يبتلي به وغيره فلا يضيقن صدرك
ولا يستخفنك اقاويلهم فان في صبرك عليها سعادتك وفوزك في الدارين وقيل هو تسلية له عما عيروه
به من الفقر حين قالوا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة وانه جعل الاغنياء فتنة للفقراء لينظر هل يصبرون
وانها حكمة ومشيئة يغني من يشاء ويفقر من يشاء وقيل جعلناك فتنة لهم لانك لو كنت غنيا صاحب
كنوز وجنان لكان ميلهم اليك وطاعتهم لك للدنيا او ممزوجة بالدنيا فانما بعثناك فقيرا ليكون طاعة
من يطيعك خالصة لوجه الله من غير طمع دنياوي وقيل كان ابو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن
وائل ومن في طبقتهم يقولون ان اسلمنا وقد اسلم قبلنا عمار وصهيب وبلال وفلان وفلان ترفعوا علينا ادلالا
بالسابقة فهو افتتان بعضهم ببعض وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد
استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا اي لا يأملون لقاءنا بالخير لانهم كفرة او لا يخافون لقاءنا بالشر والرجاء
في لغة تهامة الخوف وبه فسر قوله عز وعلا لا ترجون لله وقارا جعلت الصيرورة الى دار جزائه بمنزلة لقائه

لو كان ملكيّاً اقترحوا من الآيات أن ينزل الله عليهم الملائكة فتخبرهم بأن محمداً صادق حتى يصدقوه • أو يروا الله جهرة
فيأمرهم بتصديقه واتباعه ولا يخلو إما أن يكونوا عالمين بأن الله لا يرسل الملائكة إلى غير الأنبياء • وأن الله لا يصح
أن يُرى وإنما علقوا إيمانهم بما لا يكون • وإما أن لا يكونوا عالمين بذلك • وإنما أرادوا التعنت باقتراح آيات سوى الآيات
التي نزلت وقامت بها الحجة عليهم كما فعل قوم موسى حين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة • فإن قلت ما معنى
في أنفسهم قلت معناه أنهم أضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه كما قال إن
في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم يقال عتا علينا فلان وقد وصف العتو بالكبر
فبالغ في إفراطه يعني أنهم لم يجسروا على هذا القول العظيم إلا لأنهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو واللام جواب قسم محذوف
وهذه الجملة في حسن استئنافها غاية وفي أسلوبها • قول القائل •

• وجارة جساس أبأنا بنابها • كليباً غلت ناب كليب بواؤها •

وفي فحوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ التعجب ألا ترى أن المعنى ما أشد استكبارهم وما أكبر عتوهم
وما أغلى ناباً بواؤها كليب يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجراً محجوراً يوم يرون
منصوب بأحد شيئين إما بما دل عليه لا بشرى أي يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى أو يعدمونها • ويومئذ
للتكرير • وإما بإضمار اذكر أي اذكر يوم يرون الملائكة • ثم قال لا بشرى يومئذ للمجرمين • وقوله تعالى للمجرمين
إما ظاهر في موضع ضمير وإما لأنه عام فقد تناولهم بعمومه وحجراً محجوراً ذكره سيبويه في باب المصادر غير
المتصرفة المنصوبة بأفعال متروك إظهارها نحو معاذ الله وقعدك وعمرك • وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند
لقاء عدو موتور أو هجوم نازلة أو نحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة قال سيبويه ويقول الرجل للرجل أتفعل
كذا وكذا فيقول حجراً وهي من حجره إذا منعه لأن المستعيذ طالب من الله أن يمنع المكروه فلا يلحقه وكان المعنى
أسأل الله أن يمنع ذلك منعاً ويحجره حجراً ومجيئه على فعل أو فعل في قراءة الحسن تصرف فيه لاختصاصه
بموضع واحد كما كان قعدك وعمرك كذلك وأنشدت لبعض الرجاز •

• قالت وفيها حيدة وذعر • عوذ بربي منكم وحجر •

فإن قلت فإذ قد ثبت أنه من باب المصادر فما معنى وصفه بمحجور قلت جاءت هذه الصفة لتأكيد
معنى الحجر كما قالوا • ليل أليل • والذيل الهوان • وموت مائت • والمعنى في الآية أنهم يطلبون
نزول الملائكة ويقترحونه وهم إذا رأوهم عند الموت أو يوم القيامة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لأنهم
لا يلقونهم إلا بما يكرهون وقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو الموتور وشدة النازلة
وقيل هو من قول الملائكة ومعناه حراماً محرماً عليكم الغفران والجنة والبشرى • أي جعل الله ذلك حراماً
عليكم وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً ليس هنا قدوم ولا ما يشبه القدوم ولكن مثلت
حال هؤلاء وأعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة الرحم وإغاثة ملهوف • وقرى ضيف ومن على أسير وغير
ذلك من مكارمهم ومحاسنهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم إلى أشيائهم وقصد إلى ما
تحت أيديهم فأفسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها أثراً ولا عثيراً والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء
الشمس شبيه بالغبار • وفي أمثالهم أقل من الهباء • منثوراً صفة للهباء شبهه بالهباء في قلته وحقارته
عنده تعالى وأنه لا ينتفع به ثم بالمنثور منه لأنك تراه منتظماً مع الضوء فإذا حركته الريح رأيته قد تناثر

وذهب

وذهب كل مذهب ونحوه قوله تعالى كعصف مأكول لم يكن ان شبههم بالعصف حتى جعله موؤفا بالاكال ولا ان
شبه عملهم بالهباء حتى جعله متناثرا او مفعول ثالث لجعلناه اي فجعلناه جامعا لحقارة الهباء والتناثر
كقوله تعالى كونوا قردة خاسئين اي جامعين للمسخ والخسء ولام الهباء واو بدليل الهبوة أصحاب الجنة يومئذ
خير مستقرا وأحسن مقيلا المستقر المكان الذي يكونون فيه في اكثر اوقاتهم متقرين يتجالسون ويتحادثون
والمقيل المكان الذي يأوون اليه للاسترواح الى ازواجهم والتمتع بمغازلتهن وملامستهن كما ان المترفين
في الدنيا يعيشون على ذلك الترتيب وروي انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في
الجنة واهل النار في النار وفي معناه قوله عز وعلا ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وازواجهم
في ظلال على الارائك متكئون قيل في تفسير الشغل افتضاض الابكار ولا نوم في الجنة وانما سمي مكان دعتهم
واسترواحهم الى الحور مقيلا على طريق التشبيه وفي لفظ الاحسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الوجوه
وملاحة الصور الى غير ذلك من التحاسين والتزيين ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وقرئ
تشقق والاصل تتشقق فحذف بعضهم التاء وغيره ادغمها ولما كان انشقاق السماء بطلوع الغمام منها جعل
الغمام كأنه الذي تشقق به السماء كما تقول شق السنام بالشفرة وانشق بها ونظيره قوله عز وجل السماء
منفطر به فان قلت اي فرق بين قولك انشقت الارض بالنبات وانشقت عن النبات قلت
معنى انشقت به ان الله تعالى شقها بطلوعه فانشقت به ومعنى انشقت عنه ان التربة ارتفعت عنه عند طلوعه
والمعنى ان السماء تنفتح بغمام يخرج منها وفي الغمام الملائكة ينزلون وفي ايديهم صحائف الاعمال وروي تنشق
سماء سماء وتنزل الملائكة الى الارض وقيل هو غمام ابيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبني اسرائيل
في تيههم وفي معناه قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقرئ ونزل
الملائكة ونزل ونزل الملائكة ونزلت الملائكة ونزل الملائكة على حذف النون الذي هو فاء
الفعل من تنزل قراءة اهل مكة الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا الحق الثابت لان كل
ملك يزول يومئذ ويبطل ولا يبقى الا ملكه ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول
سبيلا عض اليدين والانامل والسقوط في اليد واكل البنان وحرق الاسنان والارم وقرعها كنايات عن الغيظ
والحسرة لانها من روادفها فتذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة ويجد
السامع عنده في نفسه من الروعة والاستحسان ما لا يجده عند لفظ المكنى عنه وقيل نزلت في عقبة بن ابي
معيط بن امية بن عبد شمس وكان يكثر مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل اتخذ ضيافة فدعا اليها رسول
الله صلى الله عليه وسلم فابى ان يأكل من طعامه حتى يأتي بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه
وقال صبأت يا عقبة فقال لا ولكن ابى ان يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له والشهادة
ليست في نفسي فقال وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأ قفاه وتبزق في وجهه وتطأ قفاه
وتلطم عينه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال له لا القاك خارجا من مكة الا علوت رأسك بالسيف
فقتل يوم بدر امر عليا رضي الله عنه بقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت بن افلح الانصاري وقال يا محمد الى من الصبية
فقال الى النار وطعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيا بأحد فرجع الى مكة فمات واللام في الظالم يجوز ان تكون
للعهد يراد به عقبة خاصة ويجوز ان تكون للجنس فيتناول عقبة وغيره تمنى ان لو صحب الرسول وسلك معه طريقا

واحدا وهو طريق الحق ولم يتشعب به طرق الضلالة والهوى • أو أراد أني كنت ضالا لم يكن لي سبيل قط فليتني
حصّلت لنفسي في صحبة الرسول سبيلا يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان
للإنسان خذولا وقرئ يا ويلتي بالياء وهو الأصل لأن الرجل ينادي ويلته وهي هلكته يقول لها تعالي فهذا أوانك
وإنما قلبت الياء ألفا كما في صحارى ومدارى • فلان كناية عن الأعلام كما أن الهن كناية • فإن أريد بالظالم عقبة
فالمعنى ليتني لم أتخذ أبيا خليلا • فكنى عن اسمه وإن أريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلا • كان لخليله اسم
علم لا محالة فجعله كناية عنه • عن الذكر عن ذكر الله تعالى أو القرآن أو موعظة الرسول • ويجوز أن يريد به
نطقه بشهادة الحق وعزمه على الإسلام والشيطان إشارة إلى خليله سماه شيطانا لأنه أضله كما يضل الشيطان ثم خذله
كما يخذل الشيطان ثم خذله ولم ينفعه في العاقبة أو أراد إبليس وأنه هو الذي حمله على مخالته اتخذت يقرأ على
الإدغام والإظهار والإدغام أكثر • وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا الرسول محمد عليه الصلاة
والسلام وقومه قريش حكى الله تعالى عنه شكواه قومه إليه • وفي هذه الحكاية تعظيم للشكاية • وتخويف
لقومه لأن الأنبياء كانوا إذا التجأوا إليه وشكوا إليه قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا وكذلك جعلنا لكل نبي
عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا ثم أقبل عليه مسليا ومؤتسيا وواعدا النصرة عليهم فقال كذلك
كان كل نبي قبلك مبتلى بعداوة قومه • وكفاك بي هاديا إلى طريق قهرهم والانتصار منهم وناصرا لك عليهم
مهجورا أي تركوه وصدوا عنه • وعن الإيمان به • وعن النبي صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن وعلمه وعلق مصحفا
لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يا رب العالمين • عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه
وقيل هو من هجر إذا هذى أي جعلوه مهجورا فيه فحذف الجار وعلى الوجهين أحدهما زعمهم أنه هذيان وباطل
وأساطير الأولين والثاني أنهم كانوا إذا سمعوه هجروا فيه لقوله تعالى فإنهم عدو لي إلا رب العالمين وقيل المعنى
وقال الرسول يوم القيامة وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه
ترتيلا نزل هاهنا بمعنى أنزل لا غير كخبر بمعنى أخبر وإلا كان متدافعا وهذا أيضا من اعتراضاتهم واقتراحاتهم
الدالة على شرادهم عن الحق وتجافيهم عن اتباعه قالوا هلا أنزل عليه دفعة واحدة في وقت واحد كما أنزلت الكتب الثلاثة
وما له أنزل على التفاريق والقائلون قريش وقيل اليهود وهذا فضول من القول ومماراة بما لا طائل تحته لأن أمر
الإعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة أو متفرقا وقوله تعالى كذلك جواب لهم أي كذلك أنزل
متفرقا والحكمة فيه أن نقوي بتفريقه فؤادك حتى تعيه وتحفظه لأن المتلقن إنما يقوى قلبه على حفظ العلم
شيئا بعد شيء وجزءا عقيب جزء ولو ألقي عليه جملة واحدة لتبعل به وتعيا بحفظه والرسول عليه الصلاة
والسلام فارقت حاله حال موسى وداود وعيسى حيث كان أميا لا يقرأ ولا يكتب وهم كانوا قارئين كاتبين فلم يكن
له بد من التلقن والتحفظ فأنزل عليه منجما في عشرين سنة وقيل في ثلث وعشرين سنة وأيضا فكان ينزل على حسب
الحوادث وجوابات السائلين ولأن بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا يتأتى ذلك إلا فيما أنزل مفرقا فإن قلت
ذلك في كذلك يجب أن يكون إشارة إلى شيء تقدمه والذي تقدم هو إنزاله جملة واحدة فكيف فسرته بكذلك
أنزلناه مفرقا قلت لأن قولهم لولا نزل عليه جملة واحدة معناه لم أنزل مفرقا والدليل على فساد هذا •
الاعتراض أنهم عجزوا عن أن يأتوا بنجم واحد من نجومه وتحدوا بسورة واحدة من أصغر السور فأبرزوا صفحة عجزهم
وتساجلوا به على أنفسهم حين لاذوا بالمناصبة وفزعوا إلى المحاربة ثم قالوا هلا نزل جملة واحدة كأنهم قدروا على تفاريقه حتى

يقدروا

ليتدرجوا على جملته ﻫ ورتلناه معطوف على الفعل الذي تعلق به كذلك كأنه قال كذلك فرقناه ورتلناه ومعنى
ترتيله ان قدره آية بعد آية ووقفة عقيب وقفة ويجوز ان يكون المعنى وامرنا بترتيل قراءته لقوله عز وعلا
ورتل القرآن ترتيلا اي اقرأه بترسل وتثبت ومنه حديث عائشة ام المؤمنين رضي الله تعالى عنهما
في صفة قراءته لا كسردكم هذا لو اراد السامع ان يعد حروفه لعدها واصل الترتيل في الاسنان وهو
تفليجها يقال ثغر مرتل ورتل ويشبه بنور الاقحوان في تفليجه وقيل هو ان نزله مع كونه متفرقا
على تمكث وتمهل في مدة متباعدة وهي عشرون سنة ولم نفرقه في مدة متقاربة ولا يأتونك بمثل الا جئناك
بالحق واحسن تفسيرا ولا يأتونك بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كانه مثل في البطلان الا اتيناك نحن بالجواب
الحق الذي لا محيد عنه وبما هو احسن معنى ومؤدى من سؤالهم ولما كان التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام
وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا او لا يأتونك بحال وصفة عجيبة
يقولون هلا كانت هذه صفتك وحالك نحو ان يقرن بك ملك ينذر معك او يلقى اليك كنز او تكون
لك جنة او ينزل عليك القرآن جملة الا اعطيناك نحن من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا ومشيتنا ان نعطاه
وما هو احسن تكشفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته يعني ان تنزيله مفرقا وتحديهم بان يأتوا ببعض تلك التفا
كلما نزل شي منها ادخل في الاعجاز وانور للحجة من ان ينزل كله جملة ويقال لهم جيئوا بمثل هذا الكتاب
في فصاحته مع بعد ما بين طرفيه الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا واضل سبيلا
كأنه قيل لهم ان حاملكم على هذه السؤالات انكم تضللون سبيله وتحقرون مكانه ومنزلته ولو نظرتم
بعين الانصاف وانتم من المسحوبين على وجوههم الى جهنم لعلمتم ان مكانكم شر من مكانه وسبيلكم اضل من
سبيله وفي طريقته قوله تعالى قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه
الآية ويجوز ان يراد بالمكان الشرف والمنزلة وان يراد الدار والمسكن لقوله تعالى اي
الفريقين خير مقاما واحسن نديا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازي وعن النبي صلى الله
عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة على ثلثة اثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على
اقدامهم ينسلون نسلا ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا الوزارة لا تنافي النبوة
فقد كان يبعث في الزمن الواحد انبياء ويؤمرون بان يوازر بعضهم بعضا فقلنا اذهبا الى القوم الذين
كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا والمعنى فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم لقوله تعالى اضرب بعصاك
البحر فانفلق اي فضرب فانفلق اراد اختصار القصة فذكر حاشيتيها اولها وآخرها لانهما المقصود من القصة
بطولها اعني الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم وعن علي رضي الله عنه فدمرتهم وعنه
فدمراهم وقرئ فدمرانهم على التأكيد بالنون الثقيلة وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم وجعلناهم
للناس آية واعتدنا للظالمين عذابا اليما كأنهم كذبوا نوحا ومن قبله من الرسل صريحا او كان تكذيبهم لواحد
منهم تكذيبا للجميع او لم يروا بعثة الرسل اصلا كالبراهمة ﻫ وجعلناهم وجعلنا اغراقهم او قصتهم وللظالمين
اما ان يعني بهم قوم نوح واصله واعتدنا لهم الا انه قصد تظليمهم فاظهر واما ان يتناولهم بعمومه
وعادا وثمودا واصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا عطف عادا على هم في جعلناهم او على الظالمين لان المعنى
ووعدنا الظالمين وقرئ وثمود على تأويل القبيلة واما المنصرف فعلى تأويل الحي او لانه اسم الاب الاكبر وقيل في

في أصحاب الرس كانوا قوما من عبدة الأصنام أصحاب آبار ومواش فبعث الله تعالى إليهم شعيبا عليه الصلاة والسلام
فدعاهم إلى الإسلام فتمادوا في طغيانهم وفي إيذائه فبينما هم حول الرس وهو البئر غير المطوية عن أبي عبيدة
انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود
قوم صالح وقيل هم أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام حنظلة بن صفوان كانوا مبتلين بالعنقاء وهي أعظم ما
يكون من الطير سميت لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ وهي تنقض على صبيانهم فتخطفهم
إن أعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فأصابتها الصاعقة ثم إنهم قتلوا حنظلة فأهلكوا وقيل هم أصحاب الأخدود
والرس هو الأخدود وقيل الرس بأنطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل كذبوا نبيهم ورسوه في بئر أي دسوه
فيها بين ذلك أي بين ذلك المذكور وقد يذكر الذاكر أشياء مختلفة ثم يشير إليها بذلك ويحسب الحاسب
أعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على معنى فذلك المحسوب أو المعدود وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا
تتبيرا ضربنا له الأمثال بينا له القصص العجيبة من قصص الأولين ووصفنا لهم ما أجروا عليه من تكذيب الأنبياء
وجرى عليهم من عذاب الله وتدميره والتتبير التفتيت والتكسير ومنه التبر وهو كسار الذهب والفضة والزجاج
وكلا الأول منصوب بما دل عليه ضربنا له الأمثال وهو أنذرنا أو حذرنا والثاني بتبرنا لأنه فارغ له ولقد
أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا أراد بالقرية سدوم
من قرى قوم لوط وكانت خمسا أهلك الله أربعا بأهلها وبقيت واحدة ومطر السوء الحجارة يعني أن قريشا
مروا مرارا كثيرة في متاجرهم إلى الشام على تلك القرية التي أهلكت بالحجارة من السماء أفلم يكونوا في مرار مرورهم
ينظرون إلى آثار عذاب الله تعالى ونكاله ويذكرون بل كانوا قوما كفرة بالبعث لا يتوقعون نشورا وعاقبة
فوضع الرجاء موضع التوقع لأنه إنما يتوقع العاقبة من يؤمن فمن ثم لم ينظروا ولم يذكروا ومروا بها كما مرت
ركابهم أو لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون لطمعهم في الوصول إلى ثواب أعمالهم أو لا يخافون على اللغة التهامية
وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا إن الأولى نافية والثانية المخففة من الثقيلة واللام
هي الفارقة بينهما واتخذه هزوا في معنى استهزأ به والأصل اتخذه موضع هزؤ أو مهزوءا به أهذا محكي بعد
القول المضمر وهذا استصغار وبعث الله رسولا وإخراجه في معرض التسليم والإقرار وهم على غاية الجحود والإنكار
سخرية واستهزاء ولو لم يستهزئوا لقالوا هذا الذي زعم أو ادعى أنه مبعوث من عند الله رسولا إن كاد ليضلنا
عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا وقولهم إن كاد ليضلنا
دليل على فرط مجاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذله قصارى الوسع والطاقة في استعطافهم مع عرض
الآيات والمعجزات حتى شارفوا بزعمهم أن يتركوا دينهم إلى دين الإسلام ولولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة
آلهتهم ولولا في مثل هذا الكلام جار من حيث المعنى لا من حيث الصنعة مجرى التقييد للحكم المطلق وسوف يعلمون
وعيد ودلالة على أنهم لا يفوتونه وإن طالت مدة الإمهال ولا بد للوعيد أن يلحقهم فلا يغرنهم التأخير
وقوله تعالى من أضل سبيلا كالجواب عن قولهم إن كاد ليضلنا لأنه نسبة لرسول الله إلى الضلال من حيث
لا يضل غيره إلا من هو ضال في نفسه ويروى أنه من قول أبي جهل لعنه الله أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت
تكون عليه وكيلا من كان في طاعة الهوى في دينه يتبعه في كل ما يأتي ويذر لا يتبصر دليلا ولا يصغي إلى برهان فهو
عابد هواه وجاعله إلهه فيقول لرسوله هذا الذي لا يرى معبودا إلا هواه كيف تستطيع أن تدعوه إلى الهدى

أفتتوكل

اتتوكل عليه وتجبره على الاسلام وتقول لا بد ان تسلم اى ابيت ولا اكراه فى الدين وهذا كقوله تعالى عز وجل
وما انت عليهم بجبار لست عليهم بمصيطر • ويروى ان الرجل منهم كان يعبد الحجر فاذا رأى احسن منه رمى به واخذ
آخر • ومنهم الحارث بن قيس السهمى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل
سبيلا ام هذه منقطعة معناه بل احسب كأن هذه المذمة اشد من التى تقدمتها حتى حقت بالاضراب عنها
اليها وهى كونهم مسلوبى الاسماع والعقول لانهم لا يلقون الى استماع الحق اذنا ولا الى تدبره عقلا ومشبهين
بالانعام التى هى مثل فى الغفلة والضلالة ثم ارجح ضلالة منها فان قلت لم اخر هواه والاصل قولك
اتخذ الهوى الها قلت ما هو الا تقديم المفعول الثانى على الاول للعناية كما تقول علمت منطلقا زيدا لفضل
عنايتك بالمنطلق فان قلت ما معنى ذكر الاكثر قلت كان فيهم من لم يصده عن الاسلام الا داء
واحد وهو حب الرياسة وكفى به داء عضالا فان قلت كيف جعلوا اضل من الانعام قلت لان الانعام
تنقاد لاربابها التى تعلفها وتتعهدها وتعرف من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما
يضرها وتهتدى لمراعيها ومشاربها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان
الذى هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذى هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذى هو اشد المضار والمهالك
ولا يهتدون للحق الذى هو المشرع الهنى والعذب الروى الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله
ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا الم تر الى ربك الم تنظر الى صنع ربك وقدرته
ومعنى مد الظل ان جعله يمتد وينبسط فينتفع به الناس ولو شاء لجعله ساكنا اى لاصقا باصل كل مظل
من جبل وبناء وشجرة غير منبسط فلم ينتفع به احد سمى انبساط الظل وامتداده تحركا منه وعدم
ذلك سكونا ومعنى كون الشمس دليلا ان الناس يستدلون بالشمس وباحوالها فى مسيرها على احوال الظل
من كونه ثابتا فى مكان وزائلا ومتسعا ومتقلصا فيبنون حاجتهم الى الظل واستغناءهم عنه على حسب ذلك
وقبضه اليه انه ينسخه بضح الشمس يسيرا اى على مهل وفى هذا القبض اليسير شيئا بعد شىء من المنافع ما لا يعد
ولا يحصر ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت مرافق الناس بالظل والشمس جميعا فان قلت ثم فى هذين
الموضعين كيف موقعها قلت موقعها لبيان تفاضل الامور الثلثة كأن الثانى اعظم من الاول والثالث اعظم
منهما تشبيها لتباعد ما بينهما من الفضل بتباعد ما بين الحوادث فى الوقت ووجه آخر وهو انه مد الظل حين بنى
السماء كالقبة المضروبة ودحا الارض تحتها فالقت القبة ظلها على الارض فينانا ما فى اديمه جوب لعدم النير
ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على تلك الحالة على ذلك الظل اى سلطها
عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل فى الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه
قبضا سهلا يسيرا غير عسير ويحتمل ان يريد قبضه عند قيام الساعة بقبض اسبابه وهى الاجرام التى تلقى الظل
فيكون قد ذكر اعدامه باعدام اسبابه كما ذكر انشاءه بانشاء اسبابه وقوله تعالى قبضناه الينا يدل عليه
وكذلك قوله تعالى يسيرا كما قال تعالى ذلك حشر علينا يسير وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا
وجعل النهار نشورا شبه ما يستر من ظلام الليل باللباس الساتر والسبات الموت والمسبوت الميت
لانه مقطوع الحياة وهذا كقوله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل فان قلت هلا فسرته بالراحة قلت
النشور فى مقابلته يأباه اباء العيوف الورد • وهو مرنق • وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق

فيها اظهار لنعمته على خلقه لان الاحتجاب بستر الليل كم فيه لكثير من الناس من فوايد دينية ودنيوية • والنوم واليقظة
والموت • اي عبرة فيهما لمن اعتبر • وعن لقمان انه قال لابنه يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر • وهو الذي ارسل
الرياح نشرا بين يدي رحمته وانزلنا من السماء ماء طهورا لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي
كثيرا • قرئ الريح والرياح نشرا احياء • ونشرا جمع نشور وهي المحيية • ونشرا تخفيف نشر • وبشرا تخفيف بشر
جمع بشور • وبشرى • وبين يدي رحمته استعارة مليحة • اي قدام المطر • طهورا اي بليغا في طهارته • وعن احمد
ابن يحيى هو ما كان طاهرا في نفسه مطهرا لغيره • فان كان ما قاله شرحا لبلاغته في الطهارة كان سديدا ويعضده
قوله عز وجل • وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به • والا فليس فعول من التفعيل في شيء • والطهور على
وجهين في العربية صفة • واسم غير صفة • فالصفة قولك ماء طهور • كقولك طاهر • والاسم قولك لما يتطهر
به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به ويوقد به النار • وقولهم تطهرت طهورا حسنا • كقولك وضوءا حسنا • ذكره
سيبويه • ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا صلاة الا بطهور اي بطهارة • فان قلت ما الذي يزيل عن الماء اسم الطهور • قلت
تيقن مخالطة النجاسة او غلبتها على الظن تغير احد اوصافه الثلثة • او لم يتغير • او استعماله في البدن لاداء عبادة عند
ابي حنيفة • وعند مالك بن انس رحمة الله عليهما ما لم يتغير احد اوصافه فهو طهور • فان قلت فما تقول في قوله
صلى الله عليه وسلم حين سئل عن بئر بضاعة فقال الماء طهور لا ينجسه شيء • الا ما غير لونه او طعمه او ريحه • قلت
قال الواقدي كان بئر بضاعة طريقا للماء الى البساتين • وانما قال ميتا لان البلدة في معنى البلد في قوله تعالى فسقناه
الى بلد ميت • وانه غير جار على الفعل كفعول ومفعال ومفعيل • وقرئ نسقيه بالفتح • وسقى واسقى لغتان • وقيل اسقاه
جعل له سقيا • الاناسي جمع انسي او انسان • ونحوه ظرابي في ظربان على قلب النون ياء • والاصل اناسين وظرابين
وقرئ بالتخفيف بحذف الياء • افاعيل كقولك اناعم في اناعيم • فان قلت انزال الماء موصوفا بالطهارة •
وتعليله بالاحياء • والسقي يؤذن بان الطهارة شرط في صحة ذلك • كما تقول حملني الامير على فرس جواد لاصيد
عليه الوحش • قلت لان لما كان سقي الاناسي من جملة ما انزل له الماء وصفه بالطهور اكراما لهم
وتتميما للمنة عليهم وبيانا ان من حقهم حين اراد الله لهم الطهارة واراداهم عليها ان يؤثروها في بواطنهم ثم في
ظواهرهم • وان يربأوا بانفسهم عن مخالطة القاذورات كلها كما ربأ بهم ربهم • فان قلت لم خص الانعام
من بين ما خلق من الحيوان الشارب • قلت لان الطير والوحش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب
بخلاف الانعام ولانها قنية الاناسي • وعامة منافعهم متعلقة بها فكان الانعام عليهم بسقي انعامهم كالانعام بسقيهم
قلت معنى ذلك ان علية الناس وجلهم منيخون بالقرب من الاودية والانهار ومنابع الماء فيهم غنية عن سقي
الماء واعقابهم وهم كثير منهم لا يعيشهم الا ما ينزل الله تعالى من رحمته وسقيا سمائه • وكذلك قوله تعالى لنحيي
به بلدة ميتا يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين من مظان الماء • فان قلت لم قدم احياء الارض وسقي الانعام على سقي
الاناسي • قلت لان حيوة الاناسي بحيوة ارضهم وحيوة انعامهم فقدم ما هو سبب حيوتهم وتعيشهم على سقيهم ولانهم
اذا ظفروا بما يكون سقيا ارضهم ومواشيهم لم يعدموا سقياهم • ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فابى اكثر الناس الا
كفورا • يريد ولقد صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن • وفي سائر الكتب • والصحف التي انزلت على الرسل وهو ذكر
انشاء السحاب • وانزال القطر ليتفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا • فابى اكثرهم الا كفران النعمة
وجحودها وقلة • الاكتراث لها • وقيل صرفنا المطر بينهم في البلدان • المختلفة والاوقات المتغايرة وعلى الصفات

بلغ مقابلة

المتفاوتة

بلغ مقابلة

المتدارك من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة ورهام فأبوا إلا كفورا أن يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله تعالى ورحمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما من عام أقل مطرا من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الآية وروي أن الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لأنه لا يختلف فيه البلاد وينتزع من ههنا جواب في تنكير البلدة والأنعام والأناسي كأنه قال لنحيي به بعض البلاد الميتة ونسقيه بعض الأنعام والأناسي وذلك البعض كثير فإن قلت هل يكفر من ينسب المطر إلى الأنواء قلت إن كان لا يراها إلا من الأنواء ويجحد أن تكون هي والأنواء من خلق الله تعالى فهو كافر وإن كان يرى أن الله خالقها وقد نصب الأنواء دلائل وأمارات عليها لم يكفر ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم ولو شئنا لخففنا عنك أعباء جميع القرى ولبعثنا في كل قرية نبيا ينذرها وإنما قصرنا الأمر عليك وعظمناك به وأجللناك وفضلناك على سائر الرسل فقابل ذلك بالتشدد والتصبر ولا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه وإنما أراد بهذا تهييجه وتهييج المؤمنين وتحريكهم والضمير للقرآن أو لترك الطاعة الذي يدل عليه ولا تطع والمراد أن الكفار يجدون ويجتهدون في توهين أمرك فقابلهم من جدك واجتهادك وعضك على نواجذك بما تغلبهم به وتعلوهم وجعله جهادا كبيرا لما يحتمل فيه من المشاق العظام ويجوز أن يرجع الضمير في به إلى ما دل عليه ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا من كونه نذير كافة القرى لأنه لو بعث في كل قرية نذيرا لوجبت على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده من أجل ذلك وعظم فقال له وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا سمى الماءين الكثيرين الواسعين بحرين والفرات البليغ العذوبة حتى يضرب إلى الحلاوة والأجاج نقيضه ومرجهما خلاهما متجاورين متلاصقين وهو بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج وهذا من عظيم اقتداره وفي كلام بعضهم وبحران أحدهما مع الآخر ممروج وماء العذب منهما بالأجاج ممزوج برزخا حائلا من قدرته كقوله تعالى بغير عمد ترونها يريد بغير عمد مرئية وهي قدرته وقرئ ملح على فعل وقيل كأنه حذف من مالح تخفيفا كما قال وصليانا بردا يريد باردا فإن قلت وحجرا محجورا قلت هي الكلمة التي يقولها المتعوذ وقد فسرناها وهي ههنا واقعة على سبيل المجاز كأن كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له حجرا محجورا كما قال لا يبغيان أي لا يبغي أحدهما على صاحبه بالممازجة فانتفاء البغي ثمة كالتعوذ ههنا جعل كل واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه فهو يتعوذ منه وهي من أحسن الاستعارات وأشهدها على البلاغة وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا أراد قسم البشر قسمين ذوي نسب أي ذكورا ينسب إليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر أي إناثا يصاهر بهن ونحوه قوله عز وجل فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى وكان ربك قديرا حيث خلق من النطفة الواحدة بشرا نوعين ذكرا وأنثى ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا الظهير والمظاهر كالعوين والمعاون وفعيل بمعنى مفاعل غير عزيز والمعنى أن الكافر يظاهر الشيطان على ربه بالعداوة والشرك وروي أنها نزلت في أبي جهل ويجوز أن يريد بالظهير الجماعة كقوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير كما جاء الصديق والخليط ويريد بالكافر الجنس وأن بعضهم مظاهر لبعض على إطفاء نور دين الله وقيل معناه وكان الذي يفعل هذا الفعل وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر على ربه هينا مهينا من قولهم ظهرت به إذا خلفته خلف ظهرك لا تلتفت إليه وهذا نحو قوله تعالى أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيمة

وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا مثال إلا من شاء والمراد
إلا فعل من شاء واستثناؤه عن الأجر قول ذي شفقة عليك قد سعى لك في تحصيل مال ما أطلب منك ثوابا على ما سعيت
إلا أن تحفظ هذا المال لا تضيعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صوره هو بصورة الثواب وسماه
باسمه فأفاد فائدتين إحداهما قلع شبهة الطمع في الثواب من أصله كأنه يقول لك إن كان حفظك لمالك ثوابا فإني أطلب
الثواب والثانية إظهار الشفقة البالغة وأنك إن حفظت مالك اعتد بحفظك ثوابا ورضي به كما يرضى المثاب بالثواب
ولعمري إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مع المبعوث إليهم بهذا الصدد وفوقه ومعنى اتخاذهم إلى الله سبيلا تقربهم إليه
وطلبهم عنده الزلفى بالإيمان والطاعة وقيل المراد التقرب بالصدقة والنفقة في سبيل الله وتوكل على الحي الذي لا يموت
وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا أمره بأن يثق به ويسند أمره إليه في استكفاء شرورهم مع التمسك بقاعدة
التوكل وأساس الالتجاء وهو طاعته وعبادته وتنزيهه وتحميده وعرفه أن الحي الذي لا يموت حقيق بأن يتوكل عليه
وحده ولا يتكل على غيره من الأحياء الذين يموتون وعن بعض السلف أنه قرأها فقال لا يصح لذي عقل أن يثق بعدها
بمخلوق ثم أراه أن ليس إليه من أمر عباده شيء آمنوا أم كفروا وأنه خبير بأحوالهم كاف في جزاء أعمالهم الذي خلق السموات
والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا في ستة أيام يعني في مدة مقدارها هذه المدة
لأنه لم يكن حينئذ نهار ولا ليل وقيل ستة أيام من أيام الآخرة وكل يوم ألف سنة والظاهر أنها من أيام الدنيا
وعن مجاهد أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة ووجهه أن يسمي الله تعالى لملائكته تلك الأيام المعدودة بعض الأيام
تماما فلما خلق الشمس وأدارها وترتب أمر العالم على ما هو عليه جرت التسمية على هذه الأيام وأما الداعي إلى هذا
العدد أعني الستة دون سائر الأعداد فلا نشك أنه داعي حكمة وإن كنا لا نطلع عليه ولا نهتدي إلى معرفته ومن ذلك
تقدير الملائكة الذين هم أصحاب النار تسعة عشر وحملة العرش ثمانية والشهور اثني عشر والسموات سبعا والأرض
كذلك والصلوات خمسا وأعداد النصب والحدود والكفارات وغير ذلك والإقرار بدواعي الحكمة في جميع أفعاله
وبأن ما قدره حق وصواب هو الإيمان وقد نص عليه في قوله عز وعلا وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا
عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب
والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا ثم قال تعالى وما يعلم جنود ربك
إلا هو وهو الجواب أيضا في أن لم يخلقها في لحظة وهو قادر على ذلك وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه إنما خلقها في ستة
أيام وهو يقدر على أن يخلقها في لحظة تعليما لخلقه الرفق والتثبت وقيل اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله الله عيدا
للمسلمين الذي خلق مبتدأ والرحمن خبره أو هو صفة للحي والرحمن خبر مبتدأ محذوف أو بدل عن المستتر في استوى
وقرئ الرحمن بالجر صفة للحي وقوله فاسأل به والباء في به صلة فاسأل كقوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع
كما تكون عن صلته في نحو قوله تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم فسأل به كقوله اهتم به واعتنى به واشتغل به
وسأل عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه ونقر عنه أو صلة خبيرا وتجعل خبيرا مفعول سل يريد فسل عنه رجلا
عارفا يخبرك برحمته أو فسل رجلا خبيرا به وبرحمته أو فسل بسؤاله خبيرا كقولك رأيت به أسدا أي برؤيته والمعنى
إن سألته وجدته خبيرا أو تجعله حالا عن الهاء تريد فسل عنه عالما بكل شيء وقيل الرحمن اسم من أسماء الله تعالى مذكور
في الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل فسل بهذا الاسم من يخبرك من أهل الكتاب حتى يعرف من ينكره
ومن ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن إلا الذي باليمامة يعنون مسيلمة وكان يقال له رحمن اليمامة

وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا وما الرحمن يجوز ان يكون سؤالا عن المسمى به لانهم
ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما ويجوز ان يكون سؤالا عن معناه لانه لم يكن مستعملا في كلامهم كما استعمل الرحيم
والرحوم والراحم او لانهم انكروا اطلاقه على الله تعالى لما تأمرنا اي للذي تأمرناه بمعنى تأمرنا سجوده على قوله امرتك
الخير او لامر لنا وقرئ بالياء كان بعضهم قال لبعض انسجد لما يأمرنا محمد او يأمرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو
وفي زادهم ضمير اسجدوا للرحمن لانه هو المقول تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا
البروج منازل الكواكب السبعة السيارة الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان
والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت سميت بالبروج التي هي القصور العالية لانها للكواكب
كالمنازل لسكانها واشتقاق البرج من التبرج لظهوره والسراج الشمس لقوله تعالى وجعل الشمس سراجا وقرئ
سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار معها وقرأ الحسن والاعمش وقمرا منيرا وهي جمع ليلة قمراء كانه قال
وذا قمر منيرا لان الليالي تكون قمرا فاضافه اليها ونظيره في بقاء حكم المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف
اليه مقامه قول حسان بردى يصفق بالرحيق السلسل يريد بردى ولا يكون القمر بمعنى
القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد
شكورا الخلفة من خلف كالركبة من ركب وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الآخر
والمعنى جعلهما ذوي خلفة اي ذوي عقبة اي يعقب هذا ذاك وذاك هذا ويقال الليل والنهار يختلفان
كما يقال يعتقبان ومنه قوله تعالى واختلاف الليل والنهار ويقال بفلان خلفة واختلاف اذا اختلف كثيرا
الى متبرزه وقرئ يذكر ويذكر وعن ابي بن كعب يتذكر والمعنى لينظر في اختلافهما الناظر فيعلم ان لا بد
من انتقالهما من حال الى حال وتغيرهما من ناقل ومغير ويستدل بذلك على عظم قدرته ويشكر الشاكر على النعمة فيهما
من السكون بالليل والتصرف بالنهار كما قال الله عز وجل ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا
من فضله او ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته في احدهما ورده من العبادة قام به في الآخر وعن الحسن
رحمة الله عليه من فاته عمله من التذكر والشكر بالنهار كان له في الليل مستعتب ومن فاته بالليل كان له في النهار
مستعتب وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وعباد الرحمن مبتدأ خبره
في آخر السورة كانه قيل وعباد الرحمن هذه صفاتهم اولئك يجزون الغرفة ويجوز ان يكون خبره الذين يمشون
واضافهم الى الرحمن تخصيصا وتفضيلا وقرئ وعباد الرحمن وقرئ يمشون هونا حال او صفة للمشي بمعنى
هينين او مشيا هينا الا ان في وضع المصدر موضع الصفة مبالغة والهون الرفق واللين ومنه الحديث
احبب حبيبك هونا ما وقوله صلى الله عليه وسلم المؤمنون هينون لينون والمثل اذا عز اخوك فهن
ومعناه اذا عاسر فياسر والمعنى يمشون بسكينة ووقار وتواضع لا يضربون باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم
اشرا وبطرا ولذلك كره بعض العلماء الركوب في الاسواق ولقوله ويمشون في الاسواق سلاما تسلما
منكم لا نجاهلكم ومتاركة لا خير بيننا ولا شر اي نتسلم منكم تسلما فاقيم السلام مقام التسلم وقيل قالوا سدادا
من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم والمراد بالجهل السفه وقلة الادب وسوء الرعة من قوله

ألا لا يجهلن احد علينا ۔ فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وعن ابي العالية نسختها آية القتال ولا حاجة الى ذلك لان الاغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في الادب

والمروءة والشرابة وأسلم للعرض والورع **والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما** البيتوتة خلاف الظلول وهو أن يدرك الليل نمت أو لم تنم وقالوا من قرأ شيئا من القرآن في صلاة وإن قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء والظاهر أنه وصف لهم بإحياء الليل أو أكثره يقال فلان يظل صائما ويبيت قائما **والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما** غراما هلاكا وخسرانا ملحا لازما قال

ويوم النسار ويوم الجفار ... كانا عذابا وكانا غراما

وقال

إن يعاقب يكن غراما ... وإن يعط جزيلا فإنه لا يبالي

ومنه الغريم لإلحاحه وإلزامه وصفهم بإحياء الليل ساجدين وقائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه إيذانا بأنهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون إلى الله تعالى في صرف العذاب عنهم كقوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة **إنها ساءت مستقرا ومقاما** ساءت في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا أحزنت وفيها ضمير اسم إن ومستقرا حال أو تمييز والتعليلان يصح أن يكونا متداخلين ومترادفين وأن يكونا من كلام الله تعالى وحكاية لقولهم **والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما** قرئ يقتروا بكسر التاء وضمها ويقتروا بتخفيف التاء وتشديدها والقتر والإقتار والتقتير التضييق الذي هو نقيض الإسراف والإسراف مجاوزة الحد في النفقة ووصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير وبمثله أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقيل الإسراف إنما هو الإنفاق في المعاصي وأما في القرب فلا إسراف وسمع رجل رجلا يقول لا خير في الإسراف فقال لا إسراف في الخير وعن عمر بن عبد العزيز أنه شكر عبد الملك بن مروان حين زوجه ابنته وأحسن إليه فقال وصلت الرحم وفعلت وصنعت وجاء بكلام حسن فقال ابن لعبد الملك إنما هو كلام أعده لهذا المقام فسكت عبد الملك فلما كان بعد أيام دخل عليه والابن حاضر فسأله عن نفقته وأحواله فقال الحسنة بين السيئتين فعرف عبد الملك أنه أراد ما في هذه الآية فقال لابنه يا بني هذا أيضا مما أعده وقيل أولئك أصحاب محمد كانوا لا يأكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال والزينة ولكن كانوا يأكلون ما يسد جوعتهم ويعينهم على عبادة الله ويلبسون ما يستر عورتهم ويكنهم من الحر والقر وقال عمر رضي الله عنه كفى سرفا أن لا يشتهي رجل شيئا إلا أكله فائدة والقوام العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالهما ونظير القوام من الاستقامة السواء من الاستواء وقرئ قواما بالكسر وهو ما يقام به الشيء يقال أنت قوامنا بمعنى ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص والمنصوبان أعني بين ذلك قواما جائز أن يكونا خبرين معا وأن يجعل بين ذلك لغوا وقواما مستقرا وأن يكون الظرف خبرا وقواما حالا مؤكدة وأجاز الفراء أن يكون بين ذلك اسم كان على أنه مبني لإضافته إلى غير متمكن كقوله

لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت

وهو من جهة الإعراب لا بأس به ولكن المعنى ليس بقوي لأن ما بين الإسراف والتقتير قوام لا محالة فليس في الخبر الذي هو معتمد الفائدة فائدة **والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما** حرم الله أي حرمها والمعنى حرم قتلها وإلا بالحق متعلق بهذا القتل المحذوف أو بلا يقتلون ونفي هذه المقبحات العظام عن الموصوفين بتلك الخلال العظيمة في الدين للتعريض بما كان عليه أعداء المؤمنين من قريش وغيرهم كأنه قيل والذين برأهم الله وطهرهم مما أنتم عليه والقتل بغير حق يدخل فيه الوأد وغيره وعن ابن مسعود رضي الله عنه قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أي

قال

قال أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك قلت ثم أي قال أن تزني بحليلة جارك فأنزل الله تعالى تصديقه وقرئ يلق فيه أثاما وقرئ يلقى بإثبات الألف وقد مرّ مثله و والأثام جزاء الإثم بوزن الوبال والنكال ومعناهما

قال • جزى الله ابن عروة حيث أمسى • عقوقا والعقوق له أثام •

وقيل هو الإثم ومعناه يلق جزاء أثام • وقرأ ابن مسعود أياما أي شدائد يقال يوم ذو أيام لليوم الصعب يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما يضاعف بدل من يلق لأنهما في معنى واحد • كقوله •

• متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا • تجد حطبا جزلا ونارا تأججا •

وقرئ يضعف ونضعف له العذاب بالنون ونصب العذاب وقرئ بالرفع على الاستئناف أو على الحال وكذلك يخلد على البناء للمفعول مخففا ومثقلا من الإخلاد والتخليد وقرئ وتخلد بالتاء على الالتفات يبدل مخفف ومثقل وكذلك سيئاتهم فإن قلت ما معنى مضاعفة العذاب وإبدال الحسنات سيئات قلت إذا ارتكب المشرك معاصي الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعا فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه وإبدال السيئات حسنات أنه يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الإيمان والطاعة والتقوى وقيل يبدلهم بالشرك إيمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين • وبالزنا عفة وإحصانا ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا يريد ومن يترك المعاصي ويندم عليها ويدخل في العمل الصالح فإنه بذلك تائب إلى الله متابا مرضيا عنده مكفرا للخطايا محصلا للثواب أو فإنه تائب متابا إلى الله الذي يعرف حق التائبين ويفعل بهم ما يستوجبون • والذي يحب التوابين ويحب المتطهرين • وفي كلام بعض العرب لله أفرح بتوبة العبد من المضل الواجد • والظمآن الوارد • والعقيم الوالد • أو فإنه يرجع إلى الله تعالى وإلى ثوابه مرجعا حسنا وأي مرجع والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما يحتمل أنهم ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يحضرونها ولا يقربونها تنزها عن مخالطة الشر وأهله وصيانة لدينهم عما يثلمه لأن مشاهد الباطل شركة فيه ولذلك قيل في النظارة إلى كل ما لم تسوغه الشريعة هم شركاء فاعليه في الإثم لأن حضورهم ونظرهم دليل الرضا به وسبب وجوده والزيادة فيه لأن الذي سلطه على فعله هو استحسان النظارة ورغبتهم في النظر إليه وفي مواعظ عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام إياكم ومجالسة الخطائين ويحتمل أنهم لا يشهدون شهادة الزور فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه • وعن قتادة مجالس الباطل • وعن أبي حنيفة رضي الله عنه اللهو والغناء وعن مجاهد أعياد المشركين واللغو كل ما ينبغي أن يلغى ويطرح والمعنى وإذا مروا بأهل اللغو والمشتغلين به مروا معرضين عنهم مكرمين • أنفسهم عن التوقف عليهم والخوض معهم كقوله عز وجل وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه • وقالوا لنا أعمالنا • ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين • وعن الحسن رحمه الله عليه لم تسفههم المعاصي • وقيل إذا سمعوا من الكفار الشتم والأذى أعرضوا وصفحوا وقيل إذا ذكروا النكاح كنوا عنه والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا لا يخروا عليها ليس بنفي للخرور وإنما إثبات له ونفي للصمم والعمى كما تقول لا يلقاني زيد مسلما هو نفي للسلام لا للقاء والمعنى أنهم إذا ذكروا بها أكبوا عليها حرصا على استماعها وأقبلوا على المذكر بها وهم في إكبابهم عليها سامعون بآذان واعية مبصرون بعيون راعية لا كالذين يذكرون بها فتراهم مكبين على من يذكرها مظهرين الحرص الشديد على استماعها وهم كالصم العميان حيث لا يعونها ولا يتبصرون ما فيها كالمنافقين وأشباههم

والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما قرئ ذريتنا وذرياتنا
وقرات أعين سألوا ربهم أن يرزقهم أزواجا وأعقابا عمالا لله يسرون بمكانهم وتقر بهم عيونهم وعن محمد بن كعب
ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله تعالى وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الولد إذا
رآه يكتب الفقه وقيل سألوا أن يلحق الله بهم أزواجهم وذرياتهم في الجنة ليتم لهم سرورهم أراد أئمة فاكتفى بالواحد
لدلالته على الجنس ولعدم اللبس كقوله تعالى ثم يخرجكم طفلا أو أراد واجعل كل واحد منا إماما أو أراد جمع آم
كصائم وصيام أو أراد واجعلنا إماما واحدا لاتحادنا واتفاق كلمتنا وعن بعضهم في الآية ما يدل على أن الرياسة
في الدين يجب أن تطلب ويرغب فيها وقيل نزلت هذه الآيات في العشرة المبشرين بالجنة فإن قلت من في قوله من
أزواجنا ما هي قلت يحتمل أن تكون بيانية كأنه قيل هب لنا قرة أعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله من
أزواجنا وذرياتنا ومعناه أن يجعلهم الله لهم قرة أعين وهو من قولهم رأيت منك أسدا أي أنت أسد وأن
تكون ابتدائية على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح فإن قلت لم قال قرة أعين فنكر
وقلل قلت أما التنكير فلأجل تنكير القرة لأن المضاف لا سبيل إلى تنكيره إلا بتنكير المضاف إليه كأنه قال هب لنا منهم
سرورا وفرحا وإنما قيل أعين دون عيون لأنه أراد أعين المتقين وهي قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم قال
الله تعالى وقليل من عبادي الشكور ويجوز أن يقال في تنكير أعين إنها أعين خاصة وهي أعين المتقين أولئك
يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما المراد يجزون الغرفات
وهي العلالي في الجنة فوحد اقتصارا على الواحد الدال على الجنس والدليل على ذلك قوله تعالى وهم في الغرفات
آمنون وقراءة من قرأ في الغرفة بما صبروا بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى أذى الكفار ومجاهدتهم
وعلى الفقر وغير ذلك وإطلاقه لأجل الشياع في كل مصبور عليه وقرئ يلقون كقوله عز وجل ولقاهم
نضرة وسرورا ويلقون كقوله تعالى يلق أثاما والتحية دعاء بالتعمير والسلام دعاء بالسلامة
يعني أن الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم أو يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه أو يعطون التبقية والتخليد مع السلامة
عن كل آفة اللهم وفقنا لطاعتك واجعلنا مع أهل رحمتك وارزقنا مما ترزقهم في دار رضوانك قل ما
يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما لما وصف عبادة العباد وعدد صالحاتهم وحسناتهم
وأثنى عليهم من أجلها ووعدهم الرفع من درجاتهم في الجنة أتبع ذلك بيان أنه إنما اكترث لأولئك وعبأ بهم وأعلى
ذكرهم ووعدهم ما وعدهم لأجل عبادتهم فأمر رسوله أن يصرح للناس ويجزم لهم القول بأن الاكتراث لهم
عند ربهم إنما هو للعبادة وحدها لا لمعنى آخر ولولا عبادتهم لم يكترث لهم البتة ولم يعتد بهم ولم يكونوا عنده
شيئا يبالي به والدعاء العبادة وما متضمنة لمعنى الاستفهام وهي في محل النصب وهي عبارة عن المصدر كأنه قيل وأي عبء
يعبأ بكم لولا دعاؤكم يعني أنكم لا تستأهلون شيئا من العبء بكم لولا عبادتكم وحقيقة قولهم ما عبأت به ما اعتددت
به من فوادح همومي ومما يكون عبئا علي كما تقول ما اكترثت له أي ما اعتددت به من كوارثي ومما يهمني
وقال الزجاج في تأويل ما يعبأ بكم ربي أي وزن يكون لكم عنده ويجوز أن يكون ما نافية فقد كذبتم
يقول إذا أعلمتكم أن حكمي أني لا أعتد بعبادي إلا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي فسوف يلزمكم
أثر تكذيبكم حتى يكبكم في النار ونظيره في الكلام أن يقول الملك لمن استعصى عليه إن من عادتي أن أحسن

من يطيعني ويتبع امري فقد عصيت • سوف ترى ما احل بك بسبب عصيانك وقيل معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه
اياكم الى الاسلام • وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه الهة فان قلت الى من يتوجه هذا الخطاب
قلت الى الناس على الاطلاق ومنهم مؤمنون عابدون ومكذبون عاصون فخوطبوا بما وجد في جنسهم من العبادة
والتكذيب • وقرئ فقد كذب الكافرون وقيل يكون العذاب لزاما • وعن مجاهد هو القتل يوم بدر وانه
لوزم بين القتلى لزاما • وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت • والوجه ان ترك اسم كان غير منطوق
به بعد ما علم انه مما توعد به لاجل الابهام وتناول ما لا يكتنهه الواصف • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
الفرقان • لقي الله تعالى يوم القيمة وهو مؤمن بان الساعة اتية لا ريب فيها • وادخل الجنة بغير نصب

سورة الشعراء مكية | بسم الله الرحمن الرحيم | وهي مائتان وسبع وعشرون آية

طسم تلك آيات الكتاب المبين طسم بتفخيم الالف وامالتها واظهار النون وادغامها الكتاب المبين الظاهر اعجازه
وصحة انه من عند الله تعالى والمراد السورة او القران والمعنى ايات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك ايات
الكتاب المبين لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين البخع ان يبلغ بالذبح البخاع بالباء وهو عرق مستبطن الفقار
وذلك اقصى حد الذابح ولعل للاشفاق يعني اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك ان
لا يكونوا مؤمنين لئلا يؤمنوا او لامتناع ايمانهم او خيفة ان لا يؤمنوا • وعن قتادة باخع نفسك على الاسف
ان نشا ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين اراد اية ملجئة الى الايمان قاسرة عليه فظلت معطوف
على الجزاء الذي هو ننزل لانه لو قيل انزلنا لكان صحيحا • ونظيره فاصدق واكن كانه قيل اصدق وقد قرئ
لو شئنا لانزلنا • وقرئ فتظل اعناقهم فان قلت كيف صح خاضعين خبرا عن الاعناق قلت اصل الكلام
فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على اصله • كقولهم ذهبت اهل اليمامة
كان الاهل غير مذكور • او لما اضيفت الى العقلاء او لما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء قيل خاضعين كقوله تعالى لي ساجدين
وقيل اعناق الناس رؤساؤهم ومقدموهم شبهوا بالاعناق كما قيل لهم هم الرؤوس والنواصي والصدور قال
في محفل • من نواصي الناس مشهود • وقيل جماعات الناس • يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ فظلت
اعناقهم لها خاضعة • وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية فينا وفي بني امية قال ستكون لنا عليهم الدولة
فتذل لنا اعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين
فقد كذبوا فسياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون اي وما يجدد لهم الله تعالى بوحيه موعظة وتذكيرا الا جددوا
اعراضا عنه وكفرا به فان قلت كيف خولف بين الالفاظ والغرض واحد وهو الاعراض والتكذيب والاستهزاء
والسخرية قلت انما خولف بينها لاختلاف الاغراض كانه قيل حين اعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا
به فقد خف عندهم قدره وصار عرضة للاستهزاء والسخرية لان من كان قابلا للحق مقبلا عليه كان مصدقا
به لا محالة ولم يظن به التكذيب • ومن كان مصدقا به كان موقرا له فسياتيهم وعيد لهم وانذار بانهم سيعلمون
اذا مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيمة ما الشيء الذي كانوا يستهزءون به وهو القران وسياتيهم انباؤه واحواله التي

كانت خافية عليهم أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ وصف الزوج وهو الصنف من النبات بالكرم والكريم صفة لكل ما يرضي ويحمد في بابه
يقال وجه كريم اذا رضي في حسنه وجماله وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوائده وقال حتى يشق الصفوف
من كرمه اي من كونه مرضيا في شجاعته وبأسه والنبات الكريم المرضي فيما يتعلق به من المنافع ان في انبات
تلك الاصناف لآية على ان منبتها قادر على احياء الموتى وقد علم الله ان اكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجو ايمانهم
وان ربك لهو العزيز في انتقامه من الكفرة الرحيم لمن تاب وآمن وعمل صالحا فان قلت ما معنى الجمع بين
كم وكل ولو قيل كم انبتنا فيها من زوج كريم قلت قد دل كل على الاحاطة بازواج النبات على سبيل التفصيل
وكم على ان هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة فهذا معنى الجمع بينهما وبه نبه على كمال قدرته فان قلت فما معنى وصف
الزوج بالكريم قلت يحتمل معنيين احدهما ان النبات على نوعين نافع وضار فذكر كثرة ما انبت في الارض
من جميع اصناف النبات النافع وخلى ذكر الضار والثاني ان يعم جميع النبات نافعه وضاره ويصفهما جميعا
بالكرم وينبه على انه ما انبت شيئا الا وفيه فائدة لأن الحكيم لا يفعل فعلا الا لغرض صحيح ولحكمة بالغة وان
غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفتها العاقلون فان قلت فحين ذكر الازواج ودل عليها بكلمتي الكثرة
والاحاطة وكانت بحيث لا يحصيها الا عالم الغيب كيف قال ان في ذلك لآية وهلا قال آيات قلت فيه وجهان
ان يكون ذلك مشارا به الى مصدر انبتنا فكأنه قال ان في الانبات لآية اي آية وان يراد ان في كل واحد من تلك
الازواج لآية وقد سبقت لهذا الوجه نظائر وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ
سجل عليهم بالظلم بان قدم القوم الظالمين ثم عطفهم عليهم عطف البيان كأن معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون
وكأنهما عبارتان تعتقبان على مؤدى واحد ان شاء ذاكرهم عبر عنهم بالقوم الظالمين وان عبر بقوم فرعون وقد
استحقوا هذا الاسم من جهتين من جهة ظلمهم انفسهم بالكفر وشرارتهم ومن جهة ظلمهم لبني اسرائيل باستعبادهم
لهم قرئ ألا يتقونِ بكسر النون بمعنى ألا يتقونني فحذفت النون لاجتماع النونين والياء للاكتفاء بالكسرة
فان قلت بم تعلق قوله ألا يتقون قلت هو كلام مستأنف اتبعه عز وجل ارساله اليهم للانذار
والتسجيل عليهم بالظلم تعجيبا لموسى عليه الصلاة والسلام من حالهم التي شنعت في الظلم والعسف ومن امنهم العواقب
وقلة خوفهم وحذرهم من ايام الله ويحتمل ان يكون ألا يتقون حالا من الضمير في الظالمين اي يظلمون غير
متقين الله وعقابه فادخلت همزة الانكار على الحال واما من قرأ ألا تتقون على الخطاب فعلى طريقة الالتفات
اليهم وجبههم وضرب وجوههم بالانكار والغضب عليهم كما ترى من يشكو من ركب جناية الى بعض اخصائه والجاني
حاضر فاذا اندفع في الشكاية وحر مزاجه وحمي غضبه قطع مباثة صاحبه واقبل على الجاني يوبخه ويعنف به
ويقول له ألم تتق الله ألم تستحي من الناس فان قلت فما فائدة هذا الالتفات والخطاب مع موسى عليه الصلاة
والسلام في وقت المناجاة والملتفت اليهم غيب لا يشعرون قلت اجراء ذلك في تكليم المرسل اليهم في معنى اجرائه بحضرتهم
والقائه الى مسامعهم لانه مبلغه ومنهيه وناشره بين الناس وله فيه لطف وحث على زيادة التقوى وكم من آية
انزلت في شأن الكافرين وفيها اوفر نصيب للمؤمنين تدبرا لها واعتبارا بموردها وفي ألا يتقون بالياء
وكسر النون وجه آخر وهو ان يكون المعنى ألا يا ناس اتقون كقوله تعالى ألا يسجدوا قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ
أَنْ يُكَذِّبُونِ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ

ويضيق وينطلق بالرفع لأنهما معطوفان على خبر إن وبالنصب لعطفهما على صلة أن والفرق بينهما في المعنى أن الرفع يفيد
أن فيه ثلث علل خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع انطلاق اللسان والنصب على أن خوفه متعلق بهذه
الثلثة فإن قلت في النصب تعليق الخوف بالأمور الثلثة وفي جملتها نفي انطلاق اللسان وحقيقة الخوف إنما هي غم
يلحق الانسان لأمر سيقع وذلك كان واقعا فكيف جاز تعليق الخوف به قلت قد علق الخوف بتكذيبهم وبما يحصل له
بسببه من ضيق الصدر والحبسة في اللسان زائدة على ما كان به على أن تلك الحبسة التي كانت به قد زالت بدعوته وقيل بقيت
منها بقية يسيرة فإن قلت اعتذارك هذا يرده الرفع لأن المعنى إني خائف ضيق الصدر غير منطلق اللسان
قلت يجوز أن يكون هذا قبل الدعوة واستجابتها ويجوز أن يريد القدر اليسير الذي بقي به ويجوز أن لا يكون مع
حل العقدة من لسانه من الفصحاء المصاقع الذين أوتوا سلاطة الألسنة وبسطة المقال وهرون كان بتلك الصفة
فأراد أن يقرن به ويدل عليه قوله عز وجل وأخي هرون هو أفصح مني لسانا ومعنى فأرسل إلى هرون أرسل إليه
جبريل واجعله نبيا وآزرني به واشدد به عضدي وهذا كلام مختصر وقد بسطه في غير هذا الموضع وقد أحسن
في الاختصار حيث قال فأرسل إلى هرون فجاء بما يتضمن معنى الاستنباء ومثله في تقصير الطويلة والحسن قوله تعالى
فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا حيث اقتصر على ذكر طرفي القصة أولها وآخرها وهما
الإنذار والتدمير ودل بذكرهما على ما هو الغرض من القصة الطويلة كلها ونحوه أنهم قوم كذبوا بآيات الله فأراد
إلزام الحجة عليهم فبعث إليهم رسولين فكذبوهما فأهلكهم فإن قلت كيف ساغ لموسى عليه الصلاة والسلام أن يأمره
الله تعالى بأمر فلا يتقبله بسمع وطاعة من غير توقف وتشبث بعلل وقد علم أن الله تعالى من ورائه قلت
قد امتثل وتقبل ولكنه التمس من ربه أن يعضده بأخيه حتى يتعاونا على تنفيذ أمره وتبليغ رسالته فمهد قبل التماسه
عذره فيما التمسه ثم التمس بعد ذلك وتمهيد العذر في التماس المعين على تنفيذ الأمر ليس بتعلل فيه وكفى بطلب العون
دليلا على التقبل لا على التعلل أراد بالذنب قتله القبطي وقيل كان خباز فرعون واسمه فاتون يعني ولهم علي تبعة
ذنب وهي قود ذلك القتل فأخاف أن يقتلوني به فحذف المضاف أو سمى تبعة الذنب ذنبا كما سمي جزاء السيئة
سيئة فإن قلت قد أبيت أن تكون تلك الثلاث عللا وجعلتها تمهيدا للعذر فيما التمسه فما قولك في هذه الرابعة
قلت هذه استدفاع للبلية المتوقعة وفرق من أن يقتل قبل أداء الرسالة فكيف يكون تعللا والدليل عليه ما
جاء بعده من كلمة الردع والموعدة بالكلاءة والدفع قال كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون جمع الله له الاستجابتين معا
في قوله تعالى كلا فاذهبا لأنه استدفعه بلاءهم فوعده الدفع بردعه عن الخوف والتمس منه الموازرة بأخيه فأجابه
بقوله تعالى اذهبا أي اذهب أنت والذي طلبته وهو هرون فإن قلت علام عطف قوله فاذهبا قلت
على الفعل الذي يدل عليه كلا كأنه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب أنت وهرون وقوله تعالى معكم مستمعون
من مجاز الكلام يريد أنا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه إذا حضر واستمع ما يجري بينكما وبينه فأظهركما
وغلبكما وكسر شوكته عنكما ونكسه ويجوز أن يكونا خبرين لأن أو يكون مستمعون مستقرا ومعكم لغوا فإن قلت
لم جعلت مستمعون قرينة معكم في كونه من باب المجاز والله تعالى يوصف على الحقيقة بأنه سامع وسميع قلت
ولكن لا يوصف بالمستمع على الحقيقة لأن الاستماع جار مجرى الإصغاء والاستماع من السمع بمنزلة النظر من الرؤية ومنه
قوله تعالى قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا ويقال استمع إلى حديثه أي أصغى إليه وأدركه
بحاسة السمع ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنيه الآنك يوم فأتيا فرعون

فقولا إنا رسول رب العالمين فإن قلت هلا ثنى الرسول كما ثنى في قوله تعالى إنا رسولا ربك قلت الرسول
يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعله ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعله ههنا بمعنى الرسالة فجاز التسوية فيه إذا
وصف به بين الواحد والتثنية والجمع كما يفعل في الصفة بالمصادر نحو صوم وزور قال
• ألكني إليها وخير الرسو • ل أعلمهم بنواحي الخبر • فجعله للجماعة والشاهد في الرسول بمعنى الرسالة قوله •
• لقد كذب الواشون ما فهت • عندهم بسر ولا أرسلتهم برسول • ويجوز أن يوحد لأن حكمهما لتساندهما
واتفاقهما على شريعة واحدة واتحادهما لذلك وللأخوة كان حكما واحدا فكأنهما رسول واحد وأريد أن كل واحد منا
أن أرسل معنا بني إسرائيل أن أرسل بمعنى أي أرسل لتضمن الرسول معنى الإرسال وتقول أرسلت إليك أن افعل كذا
لما في الإرسال من معنى القول كما في المناداة والكتابة ونحو ذلك • ومعنى هذا الإرسال التخلية والإطلاق كقولك أرسل
البازي يريد خلهم يذهبوا معي إلى فلسطين وكانت مسكنهما • ويروى أنهما انطلقا إلى باب فرعون فلم يؤذن
لهما سنة حتى قال البواب إن ههنا إنسانا يزعم أنه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فأديا
إليه الرسالة فعرف موسى عليه الصلاة والسلام فقال له ألم نربك فحذف فأتيا فرعون فقالا له ذلك لأنه معلوم لا يشتبه
وهذا النوع من الاختصار كثير في التنزيل قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي
فعلت وأنت من الكافرين الوليد الصبي لقرب عهده من الولادة وفي رواية عن أبي عمرو من عمرك بسكون الميم
سنين قيل مكث عندهم ثلاثين سنة وقيل وكز القبطي وهو ابن ثنتي عشرة سنة وفر منهم على أثرها والله أعلم بصحيح
ذلك • وعن الشعبي فعلتك بالكسر وهي قتلة القبطي لأنه قتله بالوكز وهو ضرب من القتل وأما الفعلة فلأنها كانت
وكزة واحدة عدد عليه نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال ووبخه بما جرى على يده من قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه
بقوله • وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين يجوز أن يكون حالا أي قتلته وأنت لذلك من الكافرين بنعمتي
أو وأنت إذ ذاك ممن تكفرهم الساعة وقد افترى عليه أو جهل أمره لأنه كان يعايشهم بالتقية فإن الله عز وعلا
عاصم من يريد أن يستنبئه من كل كبيرة ومن بعض الصغائر فما بال الكفر • ويجوز أن يكون قوله وأنت من الكافرين
حكما عليه بأنه من الكافرين بالنعم ومن كانت عادته كفران النعم لم يكن قتل خواص المنعم عليه بدعا منه أو بأنه من الكافرين
لفرعون وإلهيته أو من الذين كانوا يكفرون في دينهم فقد كانت لهم آلهة يعبدونهم يشهد لذلك قوله عز وعلا
ويذرك وآلهتك وقرئ وإلاهتك قال فعلتها إذا وأنا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما
وجعلني من المرسلين فأجابه موسى عليه الصلاة والسلام بأن تلك الفعلة إنما فرطت منه وهو من الضالين أي
من الجاهلين • وقراءة ابن مسعود رضي الله عنه من الجاهلين مفسرة والمعنى من الفاعلين فعل أولي الجهل والسفه كما قال
يوسف عليه الصلاة والسلام لإخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون أو المخطئين كمن يقتل خطأ
من غير تعمد للقتل أو الذاهبين عن الصواب أو الناسين من قوله تعالى أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى وكذب
موسى فرعون ودفع الوصف بالكفر عن نفسه وبرأ ساحته بأن وضع الضالين موضع الكافرين ربأ بمن رشح للنبوة
عن تلك الصفة وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل ثم كر على امتنانه عليه بالتربية فأبطله من أصله واستأصله
من سنخه وأبى أن يسمي نعمته إلا نقمة حيث بين أن حقيقة إنعامه عليه تعبيد بني إسرائيل لأن تعبيدهم وقصدهم بذبح
أبنائهم هو السبب في حصوله عنده وتربيته فكأنه امتن عليه بتعبيد قومه إذا حققت وتعبيدهم تذليلهم
واتخاذهم عبيدا يقال عبدت الرجل وأعبدته إذا اتخذته عبدا • قال

علام

علام يعتدي قومي وقد كثرت فيهم　　أباعر ما شاؤا وعبدان

فإن قلت إذن جواب وجزاء معاً والكلام وقع جواباً لفرعون فكيف وقع جزاء قلت قول فرعون وفعلت فعلتك فيه معنى إنك جازيت نعمتي بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازياً لك تسليماً لقوله لأن نعمته كانت عنده جديرة بأن تجازى بنحو ذلك الجزاء فإن قلت لم جمع الضمير في منكم وخفتكم مع إفراده في تمنها وعبدت قلت الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملائه المؤتمرين بقتله بدليل قوله تعالى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك وأما الامتنان فمنه وحده وكذلك التعبيد فإن قلت تلك إشارة إلى ماذا وأن عبدت ما محلها من الإعراب قلت تلك إشارة إلى خصلة شنعاء مبهمة لا يدرى ما هي إلا بتفسيرها ومحل أن عبدت الرفع عطف بيان لتلك ونظيره قوله تعالى وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع والمعنى تعبيدك بني إسرائيل نعمة تمنها علي وقال الزجاج ويجوز أن يكون أن في موضع نصب المعنى إنما صارت نعمة علي لأن عبدت بني إسرائيل أي لو لم تفعل ذلك لكفلني أهلي ولم يلقوني في اليم **قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين** لما قال له بوابه إن ههنا من يزعم أنه رسول رب العالمين يريد أي شيء رب العالمين وهذا السؤال لا يخلو إما أن يريد به أي شيء هو من الأشياء التي شوهدت وعرفت أجناسها فأجاب بما يستدل به عليه من أفعاله الخاصة ليعرفه أن فرعون أنه تعالى ليس بشيء مما شوهد وعرف من الأجرام والأعراض وأنه تعالى شيء مخالف لجميع الأشياء ليس كمثله شيء وإما أن يريد به أي شيء هو على الإطلاق ٢　عن حقيقة الخاصة ما هي فأجابه بأن الذي إليه سبيل وهو الكافي في معرفته معرفة ثباته تعالى بصفاته استدلالاً بأفعاله الخاصة على ذلك وأما التفتيش عن حقيقة الخاصة التي هي فوق فطر العقول فتفتيش عما لا سبيل إليه والسائل عنه متعنت غير طالب للحق والذي يليق بحال فرعون ويدل عليه الكلام أن يكون سؤاله هذا إنكاراً لأن يكون للعالمين رب سواه لادعائه الإلهية **قال لمن حوله ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الأولين قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون** فلما أجاب موسى بما أجاب عجب قومه من جوابه حيث نسب الربوبية إلى غيره فلما ثنى بتقرير قوله جننه إلى قومه وطنز به حيث سماه رسولهم فلما ثلث بتقرير آخر احتد واحتدم وقال لئن اتخذت إلهاً غيري وهذا يدل على صحة هذا الوجه الأخير فإن قلت كيف قيل وما بينهما على التثنية والمرجوع إليه مجموع قلت أريد وما بين الجنسين فعل بالمضمر ما فعل بالظاهر من قال في الهيجاء جمالين فإن قلت ما معنى قوله إن كنتم موقنين وأين عن فرعون وملائه الإيقان قلت معناه إن كان يرجى منكم الإيقان الذي يؤدي إليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب وإلا لم ينفع أو إن كنتم موقنين بشيء قط فهذا أولى ما توقنون به لظهوره وإنارة دليله فإن قلت ومن كان حوله قلت أشراف قومه قيل كانوا خمسمائة رجل عليهم الأساور وكانت للملوك خاصة فإن قلت ذكر السموات والأرض وما بينهما قد استوعب به الخلائق كلها فما معنى ذكرهم وذكر آبائهم بعد ذلك وذكر المشرق والمغرب قلت قد عمم أولاً ثم خصص من العام للبيان أنفسهم وآباءهم لأن أقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد وعاين من الدلائل على الصانع والناقل من هيئة إلى هيئة وحال إلى حال من وقت ميلاده إلى وقت وفاته **قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون قال لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين** ثم خصص المشرق والمغرب لأن طلوع الشمس من أحد الخافقين وغروبها في الآخر على تقدير مستقيم في فصول السنة وحساب مستو من أظهر ما استدل به ولظهوره انتقل إلى الاحتجاج به خليل الله عن الاحتجاج بالإحياء والإماتة على نمرود

ابن كنعان فبهت الذي كفر وقرئ رب المشارق والمغارب الذي أرسل إليكم بفتح الهمزة فإن قلت لين قال
أولا إن كنتم موقنين وآخرا إن كنتم تعقلون قلت لاين أولا فلما رأى منهم شدة الشكيمة في العناد وقلة الإصغاء
إلى عرض الحجج خاشن وعارض إن رسولكم لمجنون بقوله إن كنتم تعقلون فإن قلت ألم يكن لأسجننك أخصر من لأجعلنك
من المسجونين ومؤديا مؤداه قلت أما أخصر فنعم وأما مؤد مؤداه فلا لأن معناه لأجعلنك واحدا ممن عرفت
حالهم في سجوني وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الأرض بعيدة العمق فردا لا يبصر
فيها ولا يسمع فكان ذلك أشد من القتل وأشد قال أولو جئتك بشيء مبين قال فأت به إن كنت من الصادقين
الواو في قوله أولو جئتك بشيء واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام معناه أتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين
أي جائيا بالمعجزة وفي قوله تعالى إن كنت من الصادقين أنه لا يأتي بالمعجزة إلا الصادق في دعواه لأن المعجزة تصديق
من الله تعالى لمدعي النبوة والحكيم لا يصدق الكاذب ومن العجب أن مثل فرعون لم يخف عليه هذا وخفي
على ناس من أهل القبلة حيث جوزوا القبيح على الله تعالى حتى لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات وتقديره إن كنت
من الصادقين في دعواك أتيت به فحذف الجزاء لأن الأمر بالإتيان به يدل عليه قوله تعالى فألقى عصاه
فإذا هي ثعبان مبين ثعبان مبين ظاهر الثعبانية لا شيء يشبه الثعبان كما تكون الأشياء المزورة بالشعوذة
والسحر وروي أنها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة إلى فرعون وجعلت تقول يا موسى
مرني بما شئت ويقول فرعون أسألك بالذي أرسلك إلا أخذتها فأخذها فعادت عصا ونزع يده فإذا هي بيضاء
للناظرين للناظرين دليل على أن بياضها كان شيئا يجتمع النظارة على النظر إليه لخروجه عن العادة وكان بياضا
نورانيا روي أن فرعون لما أبصر الآية الأولى قال فهل غيرها فأخرج يده فقال له ما هذه قال يدك فما فيها فأدخلها في
إبطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الأبصار ويسد الأفق قال للملإ حوله إن هذا لساحر عليم فإن قلت ما العامل
في قوله حوله قلت هو منصوب نصبين نصب في اللفظ ونصب في المحل فالعامل في النصب اللفظي ما يقدر في الظرف
والعامل في النصب المحلي وهو النصب على الحال قال ولقد تحير فرعون لما أبصر الآيتين وبقي لا يدري أي طرفيه أطول
حتى زل عنه ذكر دعوى الإلهية وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت فرائصه وانتفخ سحره خوفا وفرقا وبلغت
به الاستكانة لقومه الذين هم بزعمه عبيده وهو إلههم أن طفق يؤامرهم ويعترف لهم بما حذره منه وتوقعه وأحس به
من جهة موسى وغلبته على ملكه وأرضه وقوله تعالى إن هذا لساحر عليم قول باهت إذا غلب ومتمحل إذا ألزم يريد
أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون تأمرون من المؤامرة وهي المشاورة أو من الأمر الذي هو ضد النهي
جعل العبيد آمرين وربهم مأمورا لما استولى عليه من فرط الدهش والحيرة وماذا منصوب إما لكونه في معنى المصدر
وإما لأنه مفعول به من قوله أمرتك الخير قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم
قرئ أرجئه وأرجه بالهمز والتخفيف وهما لغتان يقال أرجأته وأرجيته إذا أخرته ومنه المرجئة وهم الذين
يقطعون بوعيد الفساق ويقولون هم مرجون لأمر الله والمعنى أخره ومناظرته لوقت اجتماع السحرة وقيل احبسه
حاشرين شرطا يحشرون السحرة وعارضوا قوله إن هذا لساحر بقولهم بكل سحار فجاءوا بكلمة الإحاطة وصفة
المبالغة ليطامنوا من نفسه ويسكنوا بعض قلقه وقرأ الأعمش بكل ساحر فجمع السحرة لميقات يوم معلوم اليوم المعلوم
يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لأنه الوقت الذي وقته لهم موسى عليه الصلاة والسلام من يوم الزينة في قوله
موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى والميقات ما وقت به أي حدد من زمان أو مكان ومنه مواقيت الإحرام

وقيل

وقيل للناس هل أنتم مجتمعون استبطاء لهم في الاجتماع والمراد منه استعجالهم واستحثاثهم كما يقول
الرجل لغلامه هل أنت منطلق إذا أراد أن يحرك منه ويحثه على الانطلاق كأنما يخيل له أن الناس قد انطلقوا
وهو واقف ومنه قول تأبط شرا

هل أنت باعث دينار لحاجتنا ... أو عبد رب أخا عون بن مخراق

يريد ابعثه إلينا سريعا ولا تبطئ به لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين لعلنا نتبع السحرة في
دينهم إن غلبوا موسى ولا نتبع موسى في دينه وليس غرضهم باتباع السحرة وإنما الغرض الكلي أن لا يتبعوا
موسى فساقوا الكلام مساق الكناية لأنهم إذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى فلما جاء السحرة قالوا لفرعون
أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان ولما كان قوله
أئن لنا لأجرا في معنى جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله تعالى وإنكم إذا لمن المقربين معطوفا عليه ومدخلا عليه
ومدخلا في حكمه دخلت إذن قارة في مكانها الذي تقتضيه من الجواب والجزاء وعدهم أن يجمع لهم إلى الثواب
على سحرهم الذي قدروا أنهم يغلبون به موسى القربة عنده والزلفى قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا
حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون أقسموا بعزة فرعون وهي من أيمان الجاهلية وهكذا
كل حلف بغير الله ولا يصح في الإسلام إلا الحلف بالله معلقا ببعض أسمائه أو صفاته كقولك بالله والرحمن وربي
ورب العرش وعزة الله وجلال الله وعظمة الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحلفوا بآبائكم
ولا بأمهاتكم ولا بالطواغيت ولا تحلفوا إلا بالله ولا تحلفوا إلا وأنتم صادقون ولقد استحدث الناس في هذا
الباب في إسلامهم جاهلية نسيت لها الجاهلية الأولى وذلك أن الواحد لو أقسم بأسماء الله تعالى كلها وصفاته
على شيء لم يقبل منه ولم يعتد بها حتى يقسم برأس سلطانه فإذا أقسم به فتلك عندهم جهد اليمين التي ليس وراءها
حلف لحالف فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون فألقي السحرة ساجدين ما يأفكون ما يقلبونه عن
وجهه وحقيقته بسحرهم وكيدهم ويزورونه فيخيلون في حبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى بالتمويه على الناظرين
أو إفكهم سمي تلك الأشياء إفكا مبالغة روي أنهم قالوا إن يك ما جاء به موسى سحرا فلن يغلب وإن كان من
عند الله فلن يخفى علينا فلما قذف عصاه فتلقفت ما أتوا به علموا أنه من الله فآمنوا وعن عكرمة أصبحوا سحرة
وأمسوا شهداء وإنما عبر عن الخرور بالإلقاء لأنه ذكر مع الإلقاءات فسلك به طريق المشاكلة وفيه أيضا مع مراعاة
المشاكلة أنهم حين رأوا ما رأوا لم يتمالكوا أن رموا بأنفسهم إلى الأرض ساجدين كأنهم أخذوا فطرحوا طرحا
فإن قلت فاعل الإلقاء ما هو لو صرح به قلت هو الله عز وجل بما خولهم من التوفيق أو إيمانهم أو ما
عاينوا من المعجزة الباهرة ولك أن لا تقدر فاعلا لأن ألقوا بمعنى خروا وسقطوا قالوا آمنا برب العالمين
رب موسى وهرون رب موسى وهرون عطف بيان لرب العالمين لأن فرعون كان يدعي الربوبية فأرادوا
أن يعزلوه ومعنى إضافته إليهما في ذلك المقام أنه الذي يدعو إليه هذان والذي أجرى على أيديهما ما أجرى
قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم
أجمعين قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين أي فلسوف تعلمون
أي وبال ما فعلتم الضر والضير والضور واحد أراد لا ضرر علينا في ذلك بل لنا فيه أعظم النفع لما يحصل
لنا في الصبر عليه لوجه الله تعالى من تكفير الخطايا والثواب العظيم مع الأعواض الكثيرة أو لا ضير علينا فيما تتوعدنا

به من القتل انه لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من اسباب الموت والقتل اهون اسبابه وارجاها او لا ضير
علينا في قتلك اياك ان تقتلنا انقلبنا الى ربنا انقلاب من يطمع في مغفرته ويرجوا رحمته لما رزقنا من السبق الى
الايمان وخبر لا محذوف والمعنى لا ضير في ذلك او علينا ❊ ان كنا معناه لان كنا وكانوا اول جماعة مؤمنين من اهل
زمانهم او من رعية فرعون او من اهل المشهد وقرئ ان كنا بالكسر وهو من الشرط الذي يجي به المدل بامره
المتحقق لصحته وهم كانوا متحققين انهم اول المؤمنين ونظيره قول العامل لمن يؤخر جعله ان كنت عملت لك فوفني
حقي ومنه قوله عز وجل ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي مع علمه تعالى انهم لم يخرجوا الا لذلك
واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي انكم متبعون قرئ اسر بقطع الهمزة ووصلها وسر انكم متبعون علل الامر بالاسراء
باتباع فرعون وجنوده اثارهم والمعنى اني بنيت تدبير امركم وامرهم على ان تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا
مدخلكم ويسلكوا مسلككم من طريق البحر فاطبقه عليهم فاهلكهم وروي انه مات في تلك الليلة في كل بيت من
بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وروي ان الله تبارك وتعالى اوحى الى موسى عليه الصلاة والسلام
ان اجمع بني اسرائيل كل اربعة ابيات في بيت ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمائها على ابوابكم فاني سامر الملائكة ان
لا يدخلوا بيتا على بابه دم وسامرهم بقتل ابكار القبط واخبزوا خبزا فطيرا فانه اسرع لكم ثم اسر بعبادي
حتى تنتهي الى البحر فياتيك امري فارسل فرعون في المدائن حاشرين فارسل فرعون في اثره الف وخمسمائة
وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة الف كل رجل على حصان وعلى راسه بيضة ❊ وعن ابن عباس رضي الله
عنهما خرج فرعون في الف الف حصان سوى الاناث فلذلك استقل قوم موسى وكانوا ستمائة الف وسبعين الفا
ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وسماهم شرذمة قليلين ان هؤلاء محكي بعد
قول مضمر والشرذمة الطائفة القليلة ومنها قولهم ثوب شراذم للذي بلي وتقطع ذكرهم بالاسم الدال
على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا ❊ واختار جمع السلامة الذي هو للقلة
وقد يجمع القليل على اقلة وقلل ويجوز ان يريد بالقلة الذلة والقماءة ولا يريد قلة العدد والمعنى انهم لقلتهم
لا يبالي بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون افعالا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا
التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر
بها الى اهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه ❊ وقرئ حذرون وحاذرون ❊ وحادرون
وحادرون غير الذال المعجمة فالحذر اليقظ ❊ والحاذر الذي يجدد حذره ❊ وقيل المؤدي في السلاح
وانما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه والحادر السمين القوي ❊ قال ❊ ❊

❊ احب الصبي السوء من اجل امه ❊ وابغضه من بغضها وهو حادر ❊

اراد انهم اقوياء اشداء وقيل مدججون في السلاح قد كسبهم ذلك حدارة في اجسامهم فاخرجناهم من
جنات وعيون وكنوز ومقام كريم وعن مجاهد سماها كنوزا لانهم لم ينفقوا منها في طاعة الله والمقام المكان
يريد المنازل الحسنة والمجالس البهية ❊ وعن الضحاك المنابر وقيل السرر في الحجال كذلك واورثناها
بني اسرائيل فاتبعوهم مشرقين كذلك يحتمل ثلاثة اوجه النصب على اخرجناهم مثل ذلك الاخراج ❊ الذي
الذي وصفناه والجر على انه وصف لمقام اي مقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم ❊ والرفع على انه
خبر لمبتدا محذوف اي الامر كذلك فاتبعوهم فلحقوهم ❊ وقرئ فاتبعوهم مشرقين داخلين في وقت الشروق

من

من شرقت الشمس شروقا اذا طلعت فلما تراءى الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين سيهديني
طريق النجاة من ادراكهم واضرارهم وقرئ انا لمدّركون بتشديد الدال وكسر الراء من ادّرك الشيء
اذا تتابع ففني ومنه قوله عز وجل بل ادّرك علمهم في الآخرة قال الحسن رحمة الله عليه جهلوا علم الآخرة
وفي معناه بيت الحماسة

أبعد بني أمي الذين تتابعوا • أرجّي الحياة ام من الموت أجزع •

والمعنى انا لمتتابعون في الهلاك على ايديهم حتى لا يبقى منا احد فأوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق
فكان كل فرق كالطود العظيم وازلفنا ثم الآخرين وانجينا موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الآخرين الفرق الجزء
المتفرق منه وقرئ كل فلق والمعنى واحد والطود الجبل العظيم المنطاد في السماء وازلفنا ثم الآخرين ثم
حيث انفلق البحر الآخرين قوم فرعون اي قربناهم من بني اسرائيل او ادنينا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى
لا ينجو منهم احد او قدمناهم الى البحر وقرئ وازلقنا بالقاف اي ازللنا اقدامهم والمعنى اذهبنا عزّهم
كقوله • تداركتما عبسا وقد ثلّ عرشها • وذبيان اذ زلّت بأقدامها النعل •

ويحتمل ان يجعل طريقهم في البحر على خلاف ما جعله لبني اسرائيل يبسا فيزلقهم فيه عن عطاء بن السائب ان
جبريل كان بين بني اسرائيل وبين آل فرعون فكان يقول لبني اسرائيل ليلحق آخركم اولكم ويستقبل القبط
فيقول رويدكم ليلحق آخركم فلما انتهى موسى عليه الصلاة والسلام الى البحر قال له مؤمن آل فرعون وكان بين يدي
موسى اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولا يدري موسى ما يصنع فاوحى الله تعالى
اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق وروي ان يوشع قال يا كليم الله اين
امرت فقد غشينا فرعون والبحر امامنا قال موسى ههنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا وروي
ان موسى قال عند ذلك يا من كان قبل كل شيء والمكوّن لكل شيء والكائن بعد كل شيء ويقال هذا البحر
بحر القلزم وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له اساف ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو
العزيز الرحيم ان في ذلك لآية اية آية وآية لا توصف وقد عاينها الناس وشاع امرها فيهم وما تنبّه عليها اكثرهم
ولا آمن بالله وبنو اسرائيل الذين كانوا اصحاب موسى عليه الصلاة والسلام المخصوصين بالانجاء قد سألوه بقرة
يعبدونها واتخذوا العجل وطلبوا رؤية الله جهرة وان ربك لهو العزيز المنتقم من اعدائه الرحيم
باوليائه واتل عليهم نبأ ابرهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين كان ابرهيم
عليه الصلاة والسلام يعلم انهم عبدة اصنام ولكنه سألهم ليريهم ان ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة
في شيء كما تقول للتاجر ما مالك وانت تعلم ان ماله الرقيق ثم تقول له الرقيق جمال وليس بمال
فان قلت ما تعبدون سؤال عن المعبود فحسب فكان القياس ان يقولوا اصناما كقوله تعالى ويسئلونك ماذا
ينفقون قل العفو ماذا قال ربكم قالوا الحق ماذا انزل ربكم قالوا خيرا قلت هؤلاء قد جاؤا بقصة ابرهيم
كاملة كالمبتهجين بها والمفتخرين فاشتملت على جواب ابراهيم عليه الصلاة والسلام وعلى ما قصدوه من اظهار
ما في نفوسهم من الابتهاج والافتخار الا تراهم كيف عطفوا على قولهم نعبد فنظل لها عاكفين ولم يقتصروا على زيادة
نعبد وحده ومثاله ان تقول لبعض الشطار ما تلبس في بلادك فيقول البس البرد الاتحمي فأجرّ ذيله بين
جواري الحي وانما قالوا نظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل قال هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او
يضرون

لا بد في يسمعونكم من تقدير حذف المضاف معناه هل يسمعون دعاءكم وقرأ قتادة يُسمِعونكم الجواب عن دعائكم وهل يقدرون
على ذلك وجاء مضارعا مع إيقاعه في إذ على حكاية الحال الماضية ومعناه استحضروا الاحوال الماضية التي كنتم تدعونها
فيها وقولوا هل سمعوا قط وهذا ابلغ في التبكيت قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون
أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين لما اجابوه بجواب المقلدين لآبائهم قال لهم رقوا امر تقليدكم
هذا الى اقصى غاياته وهي عبادة الاقدمين الاولين من آبائكم فان التقدم والاولية لا يكون برهانا على الصحة
والباطل لا ينقلب حقا بالقدم وما عبادة من عبد هذه الاصنام الا عبادة اعداء له ومعنى العداوة قوله عز وجل
كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ولان المغري على عبادتها اعدى اعداء الانسان وهو الشيطان وانما قال
عدو لي تصويرا للمسألة في نفسه على معنى اني فكرت في امري فرأيت عبادتي لها عبادة للعدو فاجتنبتها وآثرت عبادة
من الخير كله منه واراهم بذلك انها نصيحة نصح بها نفسه اولا وبنى عليها تدبير امره لينظروا فيقولوا ما نصحنا ابراهيم
الا بما نصح به نفسه وما اراد لنا الا ما اراد لروحه ليكون ادعى لهم الى القبول وابعث على الاستماع منه ولو قال
فانهم عدو لكم لم يكن بتلك المثابة ولانه دخل في باب من التعريض وقد يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغه
التصريح لانه يتأمل فيه فربما قاده التأمل الى التقبل ومنه ما يحكى عن الشافعي رضي الله عنه ان رجلا
واجهه بشيء فقال لو كنت بحيث انت لاحتجت الى ادب وسمع رجل ناسا يتحدثون في الحجر فقال ما هو بيتي ولا
بيتكم والعدو والصديق يجيئان في معنى الوحدة والجماعة قال

• وقوم علي ذوي مئرة • اراهم عدوا وكانوا صديقا •

ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو شبها بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل إلا رب العالمين
استثناء منقطع كانه قال ولكن رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين وإذا
مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين فهو يهدين يريد انه حين اتم خلقه ونفخ فيه الروح عقب ذلك هدايته
المتصلة التي لا تنقطع الى كل ما يصلحه ويعنيه والا فمن هداه الى ان يغتذي بالدم في البطن امتصاصا ومن هداه الى معرفة
الثدي عند الولادة والى معرفة مكانه ومن هداه لكيفية الارتضاع الى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد
وانما قال مرضت دون امرضني لان كثيرا من اسباب المرض يحدث بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه
وغير ذلك ومن ثم قالت الحكماء لو قيل لاكثر الموتى ما سبب آجالكم لقالوا التخم والذي أطمع أن يغفر
لي خطيئتي يوم الدين وقرئ خطاياي والمراد ما يندر منه من بعض الصغائر لان الانبياء معصومون مختارون
على العالمين وقيل هي قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي اختي وما هي الا معاريض
كلام وتخييلات للكفرة ليست بخطايا يطلب لها الاستغفار فان قلت اذا لم يندر منهم الا الصغائر وهي
تقع مكفرة فما له اثبت لنفسه خطيئة او خطايا وطمع ان يغفر له قلت الجواب ما سبق لي ان استغفار الانبياء
تواضع منهم لربهم وهضم لانفسهم ويدل عليه قوله تعالى أطمع ولم يجزم القول بالمغفرة وفيه تعليم لاممهم وليكون
لطفا لهم في اجتناب المعاصي والحذر منها وطلب المغفرة مما يفرط منهم فان قلت لم علق مغفرة الخطيئة بيوم
الدين وانما تغفر في الدنيا قلت لان اثرها يتبين يومئذ وهو الآن خفي لا يعلم رب هب لي حكما وألحقني
بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم الحكم الحكمة او الحكم بين الناس
بالحق وقيل النبوة لان النبي ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله والحاق الصالحين ان يوفقه لعمل ينتظم به في جملتهم

لاخزني م

او يجمع بينه وبينهم في الجنة ولقد اجابه حيث قال وانه في الآخرة لمن الصالحين واغفر لابي انه كان من الضالين ولا تخزني
يوم يبعثون والاخزاء من الخزي وهو الهوان ومن الخزاية وهو الحياء وهذا ايضا من نحو استغفارهم مما علموا انه
مغفور وفي يبعثون ضمير العباد لانه معلوم او ضمير الضالين وان يجعل من جملة الاستغفار لابيه يعني يوم يبعث
الضالون وابي فيهم يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم الا من اتى الله بقلب الا حال من اتى الله بقلب
سليم وهو من قوله تحية بينهم ضرب وجيع وما ثوابه الا السيف وبيانه ان يقال لك هل لزيد مال وبنون فتقول
ماله وبنوه سلامة قلبه يريد نفي المال والبنين عنه واثبات سلامة القلب له بدلا عن ذلك وان شئت حملت
الكلام على المعنى وجعلت المال والبنين في معنى الغنى يوم لا ينفع غنى الا غنى من اتى الله بقلب سليم لان غنى الرجل
في دينه بسلامة قلبه كما ان غناه في الدنيا بماله وبنيه ولك ان تجعل الاستثناء منقطعا ولا بد مع ذلك من
تقدير المضاف وهو الحال والمراد بها سلامة القلب وليست هي من جهة جنس المال والبنين حتى يؤول المعنى
الى ان المال والبنين لا ينفعان وانما ينفع سلامة القلب وان لم يقدر المضاف لم يتحصل للاستثناء معنى وقد
جعل من مفعولا لينفع اي لا ينفع مال ولا بنون الا رجلا سلم قلبه مع ماله حيث انفقه في طاعة الله ومع بنيه
حيث ارشدهم الى الدين وعلمهم الشرائع ويجوز على هذا الا من اتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين ومعنى
سلامة القلب سلامته من آفات الكفر والمعاصي ومما اكرم الله تعالى به خليله ونبه على جلالة محله في الاخلاص
ان حكى استثناءه هذا حكاية راض باصابته فيه ثم جعله صفة له في قوله تعالى وان من شيعته لابراهيم
اذ جاء ربه بقلب سليم ومن بدع التفاسير تفسير بعضهم السليم باللديغ من خشية الله تعالى وقول آخر هو الذي
سلم وسلم واسلم وسالم واستسلم وما احسن ما رتب عليه الصلاة والسلام كلامه مع المشركين حين سألهم اولا عما يعبدون
سؤال مقرر لا مستفهم ثم انحى على آلهتهم فابطل امرها بانها لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تبصر وعلى تقليدهم آباءهم
الاقدمين فكسره واخرجه من ان يكون شبهة فضلا ان يكون حجة ثم صور المسألة في نفسه دونهم حتى تخلص
منها الى ذكر الله عز وجل فعظم شأنه وعدد نعمته من لدن خلقه وانشائه الى حين وفاته مع ما يرجى في الآخرة
من رحمته ثم اتبع ذلك ان دعاه بدعوات المخلصين وابتهل اليه ابتهال الاوابين ثم وصله بذكر يوم القيمة
وثواب الله وعقابه وما يدفع اليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمني الكرة
الى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم اينما كنتم تعبدون
من دون الله هل ينصرونكم او ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون الجنة تكون قريبة من موقف السعداء
ينظرون اليها ويغتبطون بانهم المحشورون اليها والنار تكون بارزة مكشوفة للاشقياء بمرأى منهم يتحسرون
على انهم المسوقون اليها قال الله تعالى وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد وقال الله تبارك وتعالى
فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا اجمع عليهم الغموم كلها والحسرات فتجعل النار بمرأى منهم فيهلكون
غما في كل لحظة ويوبخون على اشراكهم فيقال لهم اين آلهتكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم او هل ينفعون
انفسهم بانتصارهم لانهم وآلهتهم وقود النار وقال الله تعالى فكبكبوا فيها اي الآلهة والغاوون
وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى كانه
اذا القي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها اللهم اجرنا منها يا خير مستجار وجنود ابليس اجمعون
قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما اضلنا الا المجرمون

وجنود ابليس شياطينه اي متبعوه من عصاة الانس والجن ويجوز ان ينطق الله الاصنام حتى يصح التقاول والتخاصم ويجوز
ان يجري ذلك بين العصاة والشياطين والمراد بالمجرمين الذين اضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم لقوله تعالى ربنا
انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا وعن السدي الاولون الذين اقتدينا بهم وعن ابن جريج ابليس
وابن ادم القاتل لانه اول من سن القتل وانواع المعاصي فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فما لنا من شافعين كما نرى
المؤمنين لهم شفعاء من الملائكة والنبيين ولا صديق كما نرى لهم اصدقاء لانه لا يتصادق في الاخرة الا المؤمنون واما
اهل النار فبينهم التعادي والتباغض قال الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او فما لنا من شافعين ولا صديق حميم
من الذين كنا نعدهم شفعاء واصدقاء لانهم كانوا يعتقدون في اصنامهم انهم شفعاؤهم عند الله وكان لهم الاصدقاء من شياطين
الانس او ارادوا انهم وقعوا في مهلكة علموا ان الشفعاء والاصدقاء لا ينفعونهم ولا يدفعون عنهم فقصدوا بنفيهم نفي
ما يتعلق بهم من النفع لان ما لا ينفع حكمه حكم المعدوم والحميم من الاحتمام وهو الاهتمام وهو الذي يهمه ما يهمك او من
الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص فان قلت لم جمع الشافع ووحد الصديق قلت لكثرة الشفعاء في العادة
وقلة الصديق الا ترى ان الرجل اذا امتحن بارهاق ظالم نهضت جماعة وافرة من اهل بلده لشفاعته رحمة له وحسبة
وان لم يسبق له باكثرهم معرفة واما الصديق وهو الصادق في ودادك الذي يهمه ما اهمك فاعز من بيض
الانوق وعن بعض الحكماء انه سئل عن الصديق فقال اسم لا معنى له ويجوز ان يريد بالصديق الجمع فلو ان لنا كرة
فنكون من المؤمنين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم الكرة الرجعة الى الدنيا
ولو في مثل هذا الموضع في معنى التمني كانه قيل فليت لنا كرة وذلك لما بين معنى لو وليت من التلاقي في التقدير
ويجوز ان تكون على اصلها ويحذف الجواب وهو لفعلنا كيت وكيت كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم اخوهم
نوح الا تتقون القوم مؤنثة وتصغيرها قويمة ونظير قوله المرسلين والمراد نوح عليه الصلاة والسلام
قولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود وما له الا دابة وبرد وقيل اخوهم لانه كان منهم من قول العرب

يا اخا بني تميم يريدون واحدا منهم ومنه بيت الحماسة

لا يسألون اخاهم حين يندبهم * في النائبات على ما قال برهانا

اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون كان امينا فيهم مشهورا بالامانة كمحمد صلى الله عليه وسلم في قريش في نصحي
لكم وفيما ادعوكم اليه من الحق وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون
عليه وعلى هذا الامر وعلى ما انا فيه يعني دعاءه ونصحه ومعنى فاتقوا الله واطيعون فاتقوا الله في طاعتي وكرره
ليؤكده عليهم ويقرره في نفوسهم مع تعليق كل واحد منهما بعلة جعل علة الاول كونه امينا فيما بينهم وفي الثاني
حسم طمعه عنهم قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون قال وما علمي بما كانوا يعملون ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون
وما انا بطارد المؤمنين ان انا الا نذير مبين قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين قال رب ان قومي
كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين وقرئ واتباعك جمع تابع كشاهد واشهاد او جمع تبع
كبطل وابطال والواو للحال وحقها ان تضمر بعدها قد في واتبعك وقد جمع الارذل على الصحة وعلى التكسير في قوله
عز وجل الذين هم اراذلنا والرذالة والنذالة الخسة والدناءة وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من
الدنيا وقيل كانوا من اهل الصناعات الدنيئة كالحياكة والحجامة والصناعة لا تزري بالديانة وهكذا كانت قريش
تقول في اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما زالت اتباع الانبياء كذلك حتى صارت من سماتهم واماراتهم الم تر الى هرقل حين

سال

سأل أبا سفين عن أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قال ضعفاء الناس وأراذلهم قال ما زالت الأنبياء كذلك وعن ابن
عباس رضي الله عنهما هم الغاغة وعن عكرمة الحاكة والأساكفة وعن مقاتل السفلة وما علمي وأي شيء علمي والمراد
انتفاء علمه بإخلاص أعمالهم لله واطلاعه على سر أمرهم وباطنه وإنما قال هذا لأنهم طعنوا مع استرذالهم في إيمانهم وأنهم لم
يؤمنوا عن نظر وبصيرة وإنما آمنوا هوى وبديهة كما حكى الله عنهم في قوله سبحانه وتعالى إلا الذين هم أراذلنا
بادي الرأي ويجوز أن يتغابى لهم نوح عليه الصلاة والسلام فيفسر قولهم الأرذلين بما هو الرذالة عنده من سوء الأعمال
وفساد العقائد ولا يلتفت إلى ما هو الرذالة عندهم ثم يبني جوابه على ذلك فيقول ما علي إلا اعتبار الظواهر التفتيش
عن أسرارهم والشق عن قلوبهم وإن كان لهم عمل سيء فالله محاسبهم ومجازيهم عليه وما أنا إلا منذر لا محاسب ولا مجاز
لو تشعرون ذلك ولكنكم تجهلون فتنساقون مع الجهل حيث سيركم وقصد بذلك رد اعتقادهم وإنكار أن يسمى
المؤمن رذلاً وإن كان أفقر الناس وأوضعهم نسباً فإن الغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى وما أنا بطارد
المؤمنين يريد ليس من شأني أن أتبع شهواتكم وأطيب نفوسكم بطرد المؤمنين الذين صح إيمانهم طمعاً في إيمانكم
وما علي إلا أن أنذركم إنذاراً بيناً بالبرهان الصحيح الذي يتميز به الحق من الباطل ثم أنتم أعلم بشأنكم ليس هذا بإخبار
بالتكذيب لعلمه أن عالم الغيب والشهادة أعلم ولكنه أراد أني لا أدعوك عليهم لما غاظوني وآذوني وإنما أدعوك
لأجلك ولأجل دينك ولأنهم كذبوني في وحيك ورسالتك فاحكم بيني وبينهم والفتاحة الحكومة والفتاح
الحاكم لأنه يفتح المستغلق كما سمي فيصلاً لأنه يفصل بين الخصومات **فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون ثم أغرقنا**
بعد الباقين إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم الفلك السفينة وجمعه
فلك قال الله تعالى وترى الفلك فيه مواخر فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن أسد كسروا فعلاً على فعل
كما كسروا فعلاً على فعل لأنهما أخوان في قولك العرب والعرب والرشد والرشد فقالوا أسد وأسد وفلك وفلك
ونظيره بعير هجان وإبل هجان ودرع دلاص ودروع دلاص فالواحد بوزن كناز والجمع بوزن كرام والمشحون
المملوء يقال شحنها عليهم خيلاً ورجالاً **كذبت عاد المرسلين إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون إني لكم رسول أمين**
فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون
مصانع لعلكم تخلدون وقرئ بكل ريع بالكسر والفتح وهو المكان المرتفع قال المسيب بن علس في الآل يرفعها
ويخفضها ريع يلوح كأنه سحل ومنه قولهم كم ريع أرضك وهو ارتفاعها والآية العلم وكانوا ممن
يهتدون بالنجوم في أسفارهم فاتخذوا في طرقهم أعلاماً طوالاً فعبثوا بذلك لأنهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم
وعن مجاهد بنوا بكل ريع بروج الحمام والمصانع مآخذ الماء وقيل القصور المشيدة والحصون لعلكم
تخلدون ترجون الخلود في الدنيا أو تشبه حالكم حال من يخلد وفي حرف أبي كأنكم وقرئ تخلدون بضم التاء
مخففاً ومشدداً **وإذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعون واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون** وإذا
بطشتم بسوط أو سيف كان ذلك ظلماً وعلواً وقيل الجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب وعن الحسن تبادرون
تعجيل العذاب لا تتثبتون متفكرين في العواقب **أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون**
إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم بالغ في تنبيههم على نعم الله تعالى حيث أجملها ثم فصلها مستشهداً
بعلمهم وذلك أنه أيقظهم عن سنة غفلتهم عنها حين قال أمدكم بما تعلمون ثم عددها عليهم وعرفهم المنعم بتعديد
ما يعلمون من نعمته وأنه كما قدر أن يتفضل عليكم بهذه النعمة فهو قادر على الثواب والعقاب فاتقوه ونحوه

قوله تعالى وتحمد وكرم الله نفسه والله رؤوف بالعباد فإن قلت كيف قرن البنين بالأنعام قلت هم الذين يعينونهم على حفظها والقيام عليها قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين فإن قلت لو قيل أوعظت أو لم تعظ كان أخصر والمعنى واحد قلت ليس المعنى بواحد وبينهما فرق لأن المراد سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ أم لم تكن أصلاً من أهله ومباشريه فهو أبلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك أم لم تعظ إن هذا إلا خلق الأولين وما نحن بمعذبين فكذبوه فأهلكناهم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم من قرأ خلق الأولين بالفتح فمعناه أن ما جئت به اختلاق الأولين وتخرصهم كما قالوا أساطير الأولين أو ما خلقنا هذا إلا خلق القرون الخالية نحيا كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب ومن قرأ خلق بضمتين وبواحدة فمعناه ما هذا الذي نحن عليه من الدين إلا خلق الأولين وعادتهم كانوا يدينونه ويعتقدونه ونحن بهم مقتدون أو ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت إلا عادة لم يزل عليها الناس في قديم الدهر أو ما هذا الذي جئت به من الكذب إلا عادة الأولين كانوا يلفقون مثله ويسطرونه كذبت ثمود المرسلين إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أتتركون فيما هاهنا آمنين في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم أتتركون يجوز أن يكون إنكاراً لأن يتركوا مخلدين في نعيمهم لا يزالون عنه وأن يكون تذكيراً بالنعمة في تخلية الله إياهم وما يتنعمون فيه من الجنات وغيرها مع الأمن والدعة فيما هاهنا في الذي استقر في هذا المكان من النعيم ثم فسره بقوله تعالى في جنات وعيون وهذا أيضاً إجمال ثم تفصيل فإن قلت لم قال ونخل بعد قوله في جنات والجنة تتناول النخل أول شيء كما يتناول النعم الإبل كذلك من بين الأزواج حتى إنهم ليذكرون الجنة ولا يقصدون إلا النخيل كما يذكرون النعم ولا يريدون إلا الإبل قال زهير تسقي جنة سحقا قلت فيه وجهان أن يخص النخل بإفراده بعد دخوله في جملة سائر الشجر تنبيهاً على انفراده عنها بفضله عليها وأن يريد بالجنات غيرها من الشجر لأن اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل الطلعة هي التي تطلع من النخلة كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو والقنو اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه وشماريخه والهضيم اللطيف الضامر من قولهم كشح هضيم وطلع إناث النخل فيه لطف وفي طلع الفحاحيل جفاء وكذلك طلع البرني ألطف من طلع اللون فذكرهم نعمة الله في أن وهب لهم أجود النخل وأنفعه لأن الإناث ولادة التمر والبرني أجود التمر وأطيبه ويجوز أن يريد أن نخيلهم أصابت جودة المنابت وسعة الماء وسلمت من العاهات فحملت الحمل الكثير وإذا كثر الحمل هضم وإذا قل جاء فاخراً وقيل الهضيم اللين النضيج كأنه قال ونخل قد أرطب ثمره وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين وقرأ الحسن تنحتون بفتح الحاء وقرئ فرهين وفارهين والفراهة الكيس والنشاط ومنه خيل فرهة استعير لامتثال الأمر وارتسامه طاعة الآمر المطاع أو جعل الأمر مطاعاً على المجاز الحكمي والمراد الآمر ومنه قولهم لك علي أمرة مطاعة وقوله تعالى وأطيعوا أمري الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون قالوا إنما أنت من المسحرين ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين فإن قلت ما فائدة قوله ولا يصلحون قلت فائدته أن فسادهم فساد مصمت ليس معه شيء من الصلاح كما يكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح المسحر الذي سحر كثيراً حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر الرئة وأنه بشر قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها

بلغ مقابلة

بسو

بلغ مقابلة

بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم الشرب النصيب من الماء نحو السقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم روي
انهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا فقعد صالح يتفكر فقال له جبريل صل ركعتين وسل
ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وبركت بين ايديهم ونتجت سقبا مثلها في العظم وعن ابي موسى رأيت مصدرها
فاذا هو ستون ذراعا وعن قتادة اذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله ولهم شرب يوم لا تشرب فيه الماء بسوء
بضرب او عقر او غير ذلك عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به ابلغ من وصف العذاب لان الوقت
اذا عظم بسببه كان موقعه من العظم اشد فعقروها فأصبحوا نادمين فأخذهم العذاب ان في ذلك لآية
وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم وروي ان مسطعا الجأها الى مضيق في شعب فرماها
بسهم فاصاب رجلها فسقطت ثم ضربها قدار وروي ان عاقرها قال لا اعقرها حتى ترضوا اجمعين فكانوا
يدخلون على المرأة في خدرها فيقولون اترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم فان قلت لم اخذهم العذاب وقد
ندموا قلت لم يكن ندمهم ندم تائبين ولكن ندم خائفين ان يعاقبوا على العقر عقابا عاجلا كمن يرى في بعض
الامور رأيا فاسدا ويبني عليه ثم يندم ويتحسر كندامة الكسعي او ندموا ندم تائبين ولكن في غير وقت التوبة
وذلك عند معاينة العذاب كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا
الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتأتون الذكران من العالمين وتذرون
ما خلق لكم ربكم من ازواجكم بل انتم قوم عادون اراد بالعالمين الناس اي اتأتون من بين اولاد آدم على
فرط كثرتهم وتفاوت اجناسهم وغلبة اناثهم على ذكورهم في الكثرة ذكرانهم كأن الاناث قد اعوزتكم او اتأتون
انتم من بين من عداكم من العالمين الذكران يعني انكم يا قوم لوط وحدكم مختصون بهذه الفاحشة والعالمون
على هذا القول كل ما ينكح من الحيوان من ازواجكم يصلح ان يكون تبيينا لما خلق وان يكون للتبعيض ويراد بما خلق
العضو المباح منهن وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ما اصلح لكم ربكم من ازواجكم وكأنهم كانوا يفعلون مثل ذلك
بنسائهم العادي المتعدي في ظلمه المتجاوز فيه الحد ومعناه اترتكبون هذه المعصية على عظمها بل انتم قوم عادون
في جميع المعاصي فهذا من جملة ذاك او بل انتم قوم احقاء بان توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة
قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين لئن لم تنته عن نهينا وتقبيح امرنا لتكونن من جملة من اخرجناه من بين
اظهرنا وطردناه من بلدنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على اسوء حال من تعنيف به واحتباس لاملاكه
وكما يكون حال الظلمة اذا اجلوا بعض من يغضبون عليه وكما كان يفعل اهل مكة بمن يريد المهاجرة قال اني لعملكم
من القالين ومن القالين ابلغ من ان تقول اني لعملكم قال كما تقول فلان من العلماء فيكون ابلغ من قولك فلان
عالم لانك تشهد له بكونه معدودا في زمرتهم ومعروفة مساهمته لهم في العلم ويجوز ان يريد من الكاملين في
قلاهم والقلى البغض الشديد كأنه بغض يقلي الفؤاد والكبد وفي هذا دليل على عظم المعصية والمراد من حيث الدين والتقوى
وقد تقوى همة الدين في دين الله حتى تتقرب كراهته للمعاصي من الكراهة الجبلية رب نجني واهلي مما يعملون فنجيناه
واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين مما يعملون من عقوبة عملهم وهو الظاهر ويحتمل ان يريد
بالتنجية العصمة فان قلت فما معنى قوله فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا قلت معناه انه عصمه واهله من ذلك
الا العجوز فانها كانت غير معصومة منه لكونها راضية به ومعينة عليه ومحرضة والراضي بالمعصية في حكم العاصي فان قلت
كان اهله مؤمنين ولولا ذلك لما طلب لهم النجاة فكيف استثنيت الكافرة منهم قلت الاستثناء انما وقع من الاهل

وفي هذا الاسم لها معهم شركة بحق الزواج وان لم تشاركهم في الايمان فان قلت في الغابرين صفة لها كانه قيل الا عجوزا
غابرة ولم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم قلت معناه الا عجوزا مقدرا غبورها ومعنى الغابرين في العذاب
والهلاك غير الناجين وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز
الرحيم قيل انما اهلكت من خرج من القرية بما امطر عليهم من الحجارة والمراد بتدميرهم الائتفاك بهم واما الامطار
فعن قتادة امطر الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فاهلكهم وعن ابن زيد لم يرض بالائتفاك حتى اتبعه مطرا
من حجارة وفاعل ساء مطر المنذرين ولم يرد بالمنذرين قوما باعيانهم انما هو للجنس والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم
كذب اصحاب الايكة المرسلين اذ قال لهم شعيب الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم
عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين قرئ اصحاب الايكة بالهمزة وبتخفيفها وبالجر على الاضافة وهو الوجه ومن
قرأ بالنصب وزعم ان ليكة بوزن ليلة اسم بلد فتوهم قاد اليه خط المصحف حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة وفي سورة
ص بغير الف وفي المصحف اشياء كتبت على خلاف قياس الخط المصطلح عليه وانما كتبت على حكم لفظ اللافظ كما يكتب اصحاب
النحو لان ولولى على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف وقد كتبت في سائر القرآن على الاصل والقصة واحدة على ان ليكة اسم
لا يعرف وروي ان اصحاب الايكة كانوا اصحاب شجر ملتف وكان شجرهم الدوم فان قلت هلا قيل اخوهم شعيب
كما في سائر المواضع قلت قالوا ان شعيبا لم يكن من اصحاب الايكة وفي الحديث ان شعيبا اخا مدين ارسل اليهم والى اصحاب
الايكة اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم الكيل على ثلثة اضرب واف وطفيف وزائد
فامر بالواجب الذي هو الايفاء ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف ولم يذكر الزائد وكان تركه عن الامر والنهي
دليل على انه تعالى ان فعله فقد احسن وان لم يفعله فلا عليه قرئ بالقسطاس مضموما ومكسورا وهو الميزان وقيل
القرسطون فان كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس والا فهو رباعي وقيل هو بالرومية
العدل ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين يقال بخسته
حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وهو عام في كل حق يثبت لاحد ان لا يهضم وفي كل ملك ان لا يغصب
عليه مالكه فلا يتحيف منه ولا يتصرف فيه الا باذنه تصرفا شرعيا يقال عثا في الارض وعثي وعاث وذلك نحو
قطع الطريق والغارة واهلاك الزروع وكانوا يفعلون ذلك مع توليهم انواع الفساد فنهوا عن ذلك وقرئ
الجبلة بوزن الابلة والجبلة بوزن الخلقة ومعناهن واحد اي ذوي الجبلة وهو كقولك والخلق الاولين
قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فان قلت هل اختلف المعنى بادخال
الواو فقد قصد معنيان كلاهما مناف للرسالة عندهم التسحير والبشرية وان الرسول لا يجوز ان يكون مسحرا
ولا يجوز ان يكون بشرا واذا تركت الواو فلم يقصد الا معنى واحدا وهو كونه مسحرا ثم قرر بكونه بشرا مثلهم
فان قلت ان المخففة من الثقيلة ولامها كيف تفرقتا على فعل الظن وثاني مفعوليه قلت اصلهما ان تفرقا
على المبتدا والخبر فعل ذلك في البابين فقيل اذ كان لقولهم ان زيد لمنطلق فلما كان البابان اعني باب كان
وباب ظننت من جنس باب المبتدا والخبر فعل ذلك في البابين فقيل ان كان زيد لمنطلقا وان ظننته لمنطلقا
فاسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين قال ربي اعلم بما تعملون وقرئ كسفا بالسكون والحركة وكلاهما
جمع كسفة نحو قطع وسدر وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة وهي القطعة وكسفه قطعه والسماء السحاب او المظلة
وما كان طلبهم ذلك الا لتصميمهم على الجحود والتكذيب ولو كان فيهم ادنى ميل الى التصديق لما اخطروه ببالهم

فضلا

فضلاً ان يطلبوه والمعنى ان كنت صادقاً انك نبي فادع الله ان يسقط علينا كسفاً من السماء وان اراد عقاباً • قال ربي اعلم
بما تعملون يريد ان الله تعالى اعلم باعمالكم وبما تستوجبون عليها من العقاب • فان اراد ان يعاقبكم باسقاط كسف من السماء
فعل • وان اراد عقاباً آخر فاليه الحكم والمشيئة فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم ان في
ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم فاخذهم الله بنحو ما اقترحوا بعذاب ان ارادوا بالسماء
السحاب وان ارادوا المظلة فقد خالف بهم عن مقترحهم يروى انه حبس عنهم الريح سبعاً وسلط عليهم الومد فاخذ
بانفاسهم لا ينفعهم • ظل ولا ماء • ولا سرب • فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية • فاظلتهم سحابة وجدوا
لها برداً ونسيماً فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم ناراً فاحترقوا • وروي ان شعيباً عليه الصلاة والسلام بعث الى امتين
اصحاب مدين واصحاب الايكة فاهلكت مدين بصيحة جبريل واصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة فان قلت كيف كرر
في هذه السورة في اول كل قصة واخرها ما كرر قلت كل قصة كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما
في غيرها فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في ان تفتتح بما افتتحت به صاحبتها وان تختتم بما اختتمت ولان في التكرير
تقريراً للمعاني في الانفس وتثبيتاً لها في الصدور الا ترى انه لا طريق الى تحفظ العلوم الا ترديد ما يراد تحفظه منها
وكلما زاد ترديده كان امكن له في القلب وارسخ في الفهم • واثبت للذكر وابعد من النسيان ولان هذه القصص
طرقت بها آذان وقر عن الانصات للحق وقلوب غلف عن تدبره فكوثرت بالوعظ والتذكير وروجعت
بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح اذناً او يفتق ذهناً او يصقل عقلاً طال عهده بالصقل او يجلو فهماً قد غطى عليه
تراكم الصدأ وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين
وانه وان هذا التنزيل يعني ما نزل من القصص والآيات والمراد بالتنزيل المنزل والباء في نزل به الروح ونزل
به الروح على القراءتين للتعدية ومعنى نزل به الروح جعل الله الروح نازلاً به على قلبك اي حفظكه وفهمك اياه واثبته
في قلبك اثبات ما لا ينسى كقوله عز وجل سنقرئك فلا تنسى بلسان عربي اما ان يتعلق بالمنذرين فيكون المعنى
لتكون من الذين انذروا بهذا اللسان وهم خمسة • هود • وصالح • وشعيب • واسمعيل • ومحمد صلوات الله عليه
وعليهم اجمعين واما ان يتعلق بنزل فيكون المعنى نزله باللسان العربي لتنذر به لانه لو نزله باللسان الاعجمي •
لتجافوا عنه اصلاً ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار به وفي هذا الوجه ان تنزيله بالعربية التي هي لسانك
التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لانك تفهمه وتفهمه قومك • ولو كان اعجمياً لكان نازلاً على
سمعك دون قلبك لانك تسمع اجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفاً بعدة لغات
فاذا كلم بلغته التي لقنها اولاً ونشأ عليها وتطبع بها لم يكن قلبه الا الى معاني الكلام يتلقاها بقلبه ولا يكاد
يفطن للالفاظ كيف جرت • وان كلم بغير تلك اللغة وان كان ماهراً بمعرفتها كان نظره اولاً في الفاظها ثم
في معانيها فهذا تقرير انه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربي مبين وانه لفي زبر الاولين وانه وان القرآن
يعني ذكره مثبت في سائر الكتب السماوية وقيل معانيه فيها وبه احتج لابي حنيفة رحمة الله عليه في جواز القراءة
بالفارسية في الصلاة على ان القرآن قرآن اذا ترجم بغير العربية • وقيل وانه لفي زبر الاولين لكون معانيه
فيها • وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في ان يعلمه وليس بواضح أولم يكن لهم آية ان يعلمه
علماء بني اسرائيل ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين وقرئ يكن بالتذكير وآية
بالنصب على انها خبره وان يعلمه هو الاسم وقرئ تكن بالتأنيث وجعلت آية اسماً وان يعلمه خبراً وليست كالاولى

لوقوع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد خرج لها وجه آخر ليتخلص من ذلك فقيل في تكن ضمير القصة وآية أن يعلمه جملة
واقعة موقع الخبر ويجوز على هذا أن يكون لهم آية هي جملة الشأن وأن يعلمه بدلا عن آية ويجوز مع نصب الآية تأنيث
تكن لقوله عز وجل ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا ومنه بيت لبيد
فمضى وقدمها وكانت عادة منه * إذا هي عردت إقدامها *
وقرئ تعلمه بالتاء وعلماء بني إسرائيل عبد الله بن سلام وغيره قال الله تعالى وإذا يتلى عليهم آياتنا قالوا آمنا به
إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين فإن قلت كيف خط في المصحف علمؤا بواو قبل الألف قلت خط على لغة
من يميل الألف إلى الواو وعلى هذه اللغة كتبت الصلوة والزكوة والربوا الأعجم الذي لا يفصح وفي لسانه عجمة
واستعجام والأعجمي مثله إلا أن فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تأكيد وقرأ الحسن الأعجميين ولما كان من يتكلم بلسان غير
لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له أعجم وأعجمي شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين وقالوا لكل ذي صوت من البهائم والطيور
وغيرها أعجم قال * حمد ولا عربيا * شاقه صوت أعجما * كذلك سلكناه في قلوب المجرمين
لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون أفبعذابنا يستعجلون
أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون سلكناه وأدخلناه ومكناه
والمعنى إنا أنزلنا هذا القرآن على رجل عربي بلسان عربي مبين فسمعوه وفهموه وعرفوا فصاحته وأنه معجز
لا يعارض بكلام مثله وانضم إلى ذلك اتفاق علماء أهل الكتب المنزلة قبله على أن البشارة بإنزاله وتحلية المنزل
عليه وصفته في كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك أنها من عند الله وليست بأساطير كما زعموا فلم
يؤمنوا به وجحدوه وسموه شعرا تارة وسحرا أخرى وقالوا هو من تلفيق محمد وافترائه ولو نزلناه على بعض
الأعاجم الذي لا يحسن العربية فضلا أن يقدر على نظم مثله فقرأه عليهم هكذا فصيحا معجزا متحدى به لكفروا
به كما كفروا ولتمحلوا لجحودهم عذرا ولسموه سحرا ثم قال كذلك سلكناه أي مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم
وهكذا مكناه وقررناه فيها وعلى مثل هذه الحال وهذه الصفة من الكفر به والتكذيب له وضعناه فيها فكيف فعل
بهم وصنع وعلى أي وجه دبر أمرهم فلا سبيل إلى أن يتغيروا عما هم عليه من جحوده وإنكاره قال الله تبارك وتعالى
ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين فإن قلت كيف أسند
السلك بصفة التكذيب إلى ذاته قلت أراد به الدلالة على تمكنه مكذبا في قلوبهم أشد التمكن وأثبته فجعله
بمنزلة أمر قد جبلوا عليه وفطروا ألا ترى إلى قولهم هو مجبول على الشح يريدون تمكن الشح فيه لأن الأمور الخلقية
أثبت من العارضة والدليل عليه أنه أسند ترك الإيمان به إليهم على عقبه وهو قوله لا يؤمنون به فإن قلت
ما موقع لا يؤمنون به من قوله سلكناه في قلوب المجرمين قلت موقعه منه موقع الموضح والملخص لأنه مسوق
لثباته مكذبا مجحودا في قلوبهم فأتبع ما يقرر هذا المعنى من أنهم لا يزالون على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا
الوعيد ويجوز أن يكون حالا أي سلكناه فيها غير مؤمن به وقرأ الحسن رحمة الله عليه فتأتيهم بالتاء يعني الساعة
وبغتة بالتحريك وفي حرف أبي ويروه بغتة فإن قلت ما معنى التعقيب في قوله فيأتيهم بغتة فيقولوا
قلت ليس المعنى ترادف رؤية العذاب ومفاجأته وسؤال النظرة فيه في الوجود وإنما المعنى ترتبها في
الشدة كأنه قيل لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم للعذاب فما هو أشد منها وهو لحوقه بهم مفاجأة فما هو
أشد منه وهو سؤالهم النظرة ومثال ذلك أن تقول لمن تعظه إن أسأت مقتك الصالحون فمقتك الله فإنك

لا تقصد

لا تقصد بهذا الترتيب ان مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين وانما قصد الى ترتيب مبنى الامر على المبني وانه يحصل له
بسبب الاساءة مقت الصالحين فانه اشد من مقتهم وهو مقت الله وترى ثم يقع في هذا الاسلوب فيحل موقعه افبعذابنا
يستعجلون تبكيت لهم بانكار وتهكم ومعناه كيف يستعجل العذاب من هو معرض لعذاب يسأل فيه من جنس ما هو فيه اليوم من
النظرة والامهال طرفة عين فلا يجاب اليها ويحتمل ان يكون هذا حكاية توبيخ يوبخون به عند استنظارهم انه غير يومئذ
يستعجلون على هذا الوجه حكاية حال ماضية ووجه آخر متصل بما بعده وذلك ان استعجالهم بالعذاب انما كان لاعتقادهم
انه غير كائن ولا لاحق بهم وانهم ممتعون باعمار طوال في سلامة وامن فقال عز وجل افبعذابنا يستعجلون
اشرا وبطرا واستهزاء واتكالا على الامل الطويل ثم قال هب ان الامر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فاذا لحقهم
الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول اعمارهم وطيب معايشهم وعن ميمون بن مهران انه لقي الحسن في
الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عظني فلم يزده على تلاوة هذه الآية فقال ميمون لقد وعظت فابلغت وقرئ
يمتعون بالتخفيف وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين منذرون رسل ينذرونهم
وذكرى منصوبة بمعنى تذكرة اما لان انذر وذكر متقاربان فكانه قيل مذكرون تذكرة واما لانها حال من الضمير
في منذرون اي ينذرونهم ذوي ذكرى تذكرة واما لانها حال من الضمير في منذرون اي ينذرونهم ذوي تذكرة
واما لانها مفعول له على معنى انهم ينذرون لاجل الموعظة والتذكرة او مرفوعة على انها خبر مبتدا محذوف بمعنى هذه
ذكرى والجملة اعتراضية او صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى او جعلوا ذكرى لامعانهم في التذكرة واطنابهم فيها ووجه آخر وهو ان يكون ذكرى متعلقة باهلكنا مفعولا له والمعنى وما اهلكنا من اهل قرية ظالمين نهلك قوما غير ظالمين
الا بعدما الزمناهم الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم وما
كنا ظالمين فنهلك قوما غير ظالمين وهذا الوجه عليه المعول فان قلت كيف عزلت الواو عن الجملة بعد الا ولم تعزل
عنها في قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم قلت الاصل عزل الواو لان الجملة صفة لقرية
واذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف كما في قوله تعالى سبعة وثامنهم كلبهم وما تنزلت به الشياطين وما
ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين كانوا يقولون
ان محمدا كاهن وما يتنزل عليه من جنس ما يتنزل به الشياطين على الكهنة فكذبوا بان ذلك مما لا يتسهل للشياطين ولا
يقدرون عليه لانهم مرجومون بالشهب معزولون عن استماع كلام اهل السماء وقرا الحسن رحمة الله عليه الشياطون
ووجهه انه رأى آخره كآخر يبرين وفلسطين فتخير بين ان يجري الاعراب على النون وبين ان يجريه على ما قبله
فيقول الشياطين والشياطون كما تخيرت العرب بين ان يقولوا هذه يبرون ويبرين وفلسطون وفلسطين وحقه
ان يشتقه من الشيطوطة وهي الهلاك كما قيل له الباطل وعن الفراء غلط الشيخ في قراءته الشياطون ظن انها النون
التي على هجاءين فقال النضر بن شميل ان جاز ان يحتج بقول العجاج ورؤبة فهلا جاز ان يحتج بقول الحسن وصاحبه يريد
محمد بن السميقع مع انا نعلم انهما لم يقرءا به الا وقد سمعا فيه قد علم ان ذلك لا يكون ولكنه اراد ان يحرك منه
لازدياد الاخلاص والتقوى وفيه لطف لسائر المكلفين كما قال عز وجل ولو تقول علينا بعض الاقاويل فان كنت في شك
مما انزلنا اليك وانذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك فقل اني بريء
مما تعملون فيه وجهان احدهما ان يؤمر بانذار الاقربين فالاقرب من قومه ويبدا في ذلك بمن هو اولى بالبداءة ثم بمن
يليه وان يقدم انذارهم على انذار غيرهم كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما دخل مكة قال كل ربا في الجاهلية
موضوع تحت قدمي هاتين واول ما اضعه ربا العباس والثاني ان يؤمر بان لا يأخذه ما يأخذ القريب للقريب

من العطف والرأفة ولا يحابيهم في الانذار والتخويف • وروي انه صعد الصفا لما نزلت فنادى الاقرب فالاقرب
فخذا فخذا • وقال يا بني عبد المطلب • يا بني هاشم • يا بني عبد مناف • يا عباس عم النبي • يا صفية عمة رسول الله اني
لا املك لكم من الله شيأ • سلوني من مالي ما شئتم • وروي انه جمع بني عبد المطلب وهم يومئذ اربعون رجلا الرجل منهم
يأكل الجذعة ويشرب العس على رجل شاة وقعب من لبن فاكلوا وشربوا حتى صدروا ثم انذرهم • فقال يا بني عبد المطلب
لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد • وروي انه قال
يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف افتدوا انفسكم من النار فاني لا اغني عنكم شيأ ثم قال يا عائشة بنت ابي بكر
ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد • ويا صفية عمة محمد اشترين انفسكن من النار فاني لا اغني عنكن شيأ • الطائر
اذا اراد ان ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه واذا اراد ان ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلا
في التواضع ولين الجانب • ومنه قول بعضهم • وانت الشهير بخفض الجناح • فلا تك في رفعه اجدلا • ينهاه
عن التكبر بعد التواضع فان قلت المتبعون للرسول هم المؤمنون والمؤمنون هم المتبعون للرسول فما معنى قوله لمن اتبعك
من المؤمنين قلت فيه وجهان ان يسميهم قبل الدخول في الايمان مؤمنين لمشارفتهم ذلك وان يريد بالمؤمنين المصدقين
بالسنتهم وهم صنفان صنف صدق واتبع رسول الله فيما جاء به وصنف ما وجد منه الا التصديق فحسب ثم اما ان يكونوا
منافقين او فاسقين • والمنافق والفاسق لا يخفض لهما الجناح والمعنى من المؤمنين من عشيرتك وغيرهم يعني انذر
قومك فان اتبعوك واطاعوك فاخفض لهم جناحك وان عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم ومن اعمالهم من الشرك بالله
وغيره • وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين انه هو السميع العليم وتوكل على الله يكفك
شر من يعصيك منهم ومن غيرهم والتوكل تفويض الرجل امره الى من يملك امره ويقدر على نفعه وضره وقالوا المتوكل
من ان دهمه امر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله فعلى هذا اذا وقع الانسان في محنة ثم سأل غيره خلاصه
لم يخرج من حد التوكل لانه لم يحاول دفع ما نزل به عن نفسه بمعصية الله • وفي مصاحف اهل المدينة والشام
فتوكل وبه قرأ نافع وابن عامر وله محملان في العطف معطوف على فقل او فلا تدع على العزيز الرحيم • على الذي يقهر اعداءك
بعزته وينصرك عليهم برحمته ثم اتبع كونه رحيما على رسوله ما هو من اسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله في جوف الليل
من قيامه للتهجد وتقلبه في تصفح احوال المتهجدين من اصحابه ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون ويستبطن سر امرهم
وكيف يعبدون الله وكيف يعملون لآخرتهم كما يحكى انه حين نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه
لينظر ما يصنعون لحرصه عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات وتكثير الحسنات فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها
من دندنتهم بذكر الله والتلاوة والمراد بالساجدين المصلون وقيل معناه يراك حين تقوم للصلاة بالناس جماعة وتقلبه
في الساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده اذا امهم • وعن مقاتل انه سأل ابا حنيفة رحمه الله
عليه هل تجد الصلاة في الجماعة في القرآن فقال لا يحضرني • فتلا له هذه الآية ويحتمل انه لا يخفى عليه حالك كلما قمت
وتقلبت مع الساجدين في كفاية امور الدين انه هو السميع لما تقوله العليم بما تنويه وتعمله وقيل هو تقلب
بصره فيمن يصلي خلفه من قوله عليه الصلاة والسلام • اتموا الركوع والسجود فوالله اني لاراكم من خلف ظهري • اذا
ركعتم وسجدتم وقرئ ويقلبك هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم يلقون السمع واكثرهم
كاذبون اي كل افاك اثيم هم الكهنة والمتنبئة • كشق • وسطيح • ومسيلمة وطليحة • يلقون السمع هم الشياطين
كانوا قبل ان يحجبوا بالرجم يسمعون الى الملأ الاعلى فيختطفون بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون

به إلى أوليائهم من أولئك والأكثر كاذبون فيما يوحون به إليهم لأنهم يسمعونهم ما لم يسمعوا وقيل يلقون إلى أوليائهم السمع أي
المسموع من الملائكة وقيل الأفاكون يلقون السمع إلى الشياطين فيتلقون وحيهم إليهم أو يلقون المسموع من الشياطين
إلى الناس وأكثر الأفاكين كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا إليهم وترى أكثرهم ما يحكون به باطلاً وزوراً
وفي الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة والقر الصب فإن
قلت كيف دخل حرف الجر على من المتضمنة لمعنى الاستفهام والاستفهام له صدر الكلام ألا ترى إلى قولك أعلى
زيد مررت ولا تقول على أزيد مررت قلت ليس معنى التضمن أن الاسم دل على معنيين معاً معنى الاسم ومعنى الحرف
وإنما معناه أن الأصل أمن فحذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والأصل أهل
قال ❊ أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكم ❊ فإذا دخلت حرف الجر على من فقدر الهمزة
قبل حرف الجر في ضميرك كأنك تقول أعلى من تنزل الشياطين كقولك أعلى زيد مررت فإن قلت يلقون ما
محله قلت يجوز أن يكون في محل النصب على الحال أي تنزل ملقين السمع وفي محل الجر صفة لكل أفاك لأنه
في معنى الجمع وأن لا يكون له محل بأن يستأنف كأن قائلاً قال لم تنزل على الأفاكين فقيل يفعلون كيت وكيت
فإن قلت كيف قيل وأكثرهم كاذبون بعد ما قضي عليهم أن كل واحد منهم أفاك قلت الأفاكون هم الذين يكثرون
الإفك ولا يدل ذلك على أنهم لا ينطقون إلا بالإفك فأراد أن هؤلاء الأفاكين قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني
وأكثرهم مفتر عليه فإن قلت وإنه لتنزيل رب العالمين وما تنزلت به الشياطين هل أنبئكم على من تنزل
الشياطين لم فرق بينهن وهن أخوات قلت أريد التفريق بينهن بآيات ليست في معناهن ليرجع إلى المجيء
بهن وتطرية ذكر ما فيهن كرة بعد كرة فيدل بذلك على أن المعنى الذي نزلن فيه
من المعاني التي اشتدت كراهة الله لخلافها ومثاله أن يحدث الرجل بحديث وفي صدره اهتمام بشيء منه وفضل
عناية فتراه يعيد ذكره ولا ينفك عن الرجوع إليه والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون
وأنهم يقولون ما لا يفعلون والشعراء مبتدأ ويتبعهم الغاوون خبره ومعناه أنه لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم
وفضول قولهم وما هم عليه من الهجاء وتمزيق الأعراض والقدح في الأنساب والنسيب بالحرم والغزل
والابتهار ومدح ما لا يستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على قولهم إلا الغاوون والسفهاء والشطار
وقيل الغاوون الراوون وقيل الشياطين وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعري وهبيرة بن أبي
وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وأبو عزة الجمحي ومن ثقيف أمية بن أبي الصلت قالوا نحن نقول
مثل قول محمد وكانوا يهجونه ويجتمع إليهم الأعراب من قومهم يستمعون أشعارهم وأهاجيهم وقرأ عيسى بن عمر
والشعراء بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر قال أبو عبيد كان الغالب عليه حب النصب قرأ حمالة الحطب
والسارق والسارقة وسورة أنزلناها وقرئ يتبعهم بالتخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيهاً لبعه بعضد
ذكر الوادي والهيوم فيه تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق ومجاوزة
حد القصد فيه حتى يفضلوا أجبن الناس على عنترة وأشحهم على حاتم وأن يبهتوا البريء ويفسقوا التقي وعن
الفرزدق أن سليمان بن عبد الملك سمع قوله ❊ فبتن بجانبي مصرعات ❊ وبت أفض أغلاق الختام
فقال قد وجب عليك الحد فقال يا أمير المؤمنين قد درأ الله عني الحد بقوله تعالى وأنهم يقولون ما لا يفعلون
إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون

استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن وكان ذلك اغلب عليهم من الشعر واذا قالوا شعرا قالوه في توحيد الله والثناء عليه • والحكمة والموعظة والزهد والآداب الحسنة ومدح رسول الله عليه الصلاة والسلام والصحابة وصلحاء الامة وما لا بأس به من المعاني التي لا يتلطخون فيها بذنب ولا يتلبسون بشائنة ولا منقصة وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم قال الله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وذلك من غير اعتداء ولا زيادة على ما هو جواب لقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وعن عمرو بن عبيد رحمة الله عليه ان رجلا من العلوية قال له ان صدري ليجيش بالشعر فقال فما يمنعك منه فيما لا بأس به والقول فيه ان الشعر باب من الكلام فحسنه كحسن الكلام • وقبيحه كقبيح الكلام • وقيل المراد • بالمستثنين عبد الله ابن رواحة • وحسان بن ثابت • والكعبان • كعب بن مالك • وكعب بن زهير • والذين كانوا ينافحون • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم • ويكافحون هجاة قريش • وعن كعب بن مالك رضي الله عنه • ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل • وكان رسول الله عليه الصلاة والسلام • يقول لحسان بن ثابت رضي الله عنه • قل وروح القدس معك • ختم السورة بآية ناطقة بما لا شيء اهيب منه واهول ولا انكأ لقلوب المتأملين ولا اصدع لاكباد المتدبرين وذلك قوله تعالى وسيعلم وما فيه من الوعيد البليغ وقوله الذين ظلموا واطلاقه وقوله اي منقلب ينقلبون • وابهامه وقد تلاها ابو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه وكان السلف الصالح يتواعظون بها ويتناذرون شدتها وتفسير الظلم بالكفر تعليل • ولان تخاف فتبلغ الامن خير من ان تأمن فتبلغ الخوف • وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما اي منفلت ينفلتون • ومعناها ان الذين ظلموا يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله تعالى • وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات • وهو النجاة • اللهم اجعلنا ممن جعل هذه الآية بين عينيه ولم يغفل عنها • وعلم ان من عمل سيئة فهو من الذين ظلموا فنعوذ بالله منها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح • وكذب به وبهود • وشعيب • وصالح • وابراهيم • وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلى الله عليه وعليهم اجمعين • والله اعلم

سورة النمل مكية | بسم الله الرحمن الرحيم | وهي تسعون وثلاث آيات

طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين طس قرئ بالتفخيم والامالة • وتلك اشارة الى آيات السورة والكتاب المبين اما اللوح وابانته انه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه ابانة وإما السورة واما القرآن وابانتهما انهما يبينان ما اودعاه من العلوم والحكم والشرائع وان اعجازهما ظاهر مكشوف واضافة الآيات الى القرآن والكتاب المبين على سبيل التفخيم لها والتعظيم لان المضاف الى العظيم يعظم بالاضافة اليه فان قلت لم نكر الكتاب المبين قلت ليبهم بالتنكير فيكون افخم له كقوله تعالى في مقعد صدق عند مليك مقتدر فان قلت ما وجه عطفه على القرآن اذا اريد به القرآن قلت كما تعطف احدى الصفتين على الاخرى في نحو قولك هذا فعل السخي والجواد الكريم • لان القرآن هو المنزل المبارك المصدق لما بين يديه وكان حكمه حكم الصفات المستقلة بالمدح فكأنه قيل تلك • الآيات آيات المنزل المبارك وآي كتاب مبين وقرأ ابن ابي عبلة وكتاب مبين بالرفع على تقدير وآيات كتاب مبين فحذف

المضاف

المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فان قلت ما الفرق بين هذا وبين قوله الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين قلت
لا فرق بينهما الا ما بين المعطوف والمعطوف عليه من التقدم والتاخر وذلك على ضربين ضرب جار مجرى التثنية لا يترجح
فيه جانب وضرب فيه ترجح فالاول نحو قوله عز وجل وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا ومعناه ما في مصدره
والثاني نحو قوله شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم هدى وبشرى للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون
الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون هدى وبشرى في محل النصب او الرفع فالنصب على الحال اي هادية ومبشرة والعامل فيها
ما في تلك من معنى الاشارة والرفع على ثلاثة اوجه على هي هدى وبشرى وعلى البدل من الآيات وعلى ان يكون خبرا بعد خبر
اي جمعت انها آيات وانها هدى وبشرى والمعنى في كونها هدى للمؤمنين انها زايدة في هداهم قال الله تعالى
فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا فان قلت وهم بالآخرة هم يوقنون كيف يتصل بما قبله قلت يحتمل ان يكون من جملة
صلة الموصول ويحتمل ان تتم الصلة عنده ويكون جملة اعتراضية كانه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات
وايتاء الزكاة هم يوقنون بالآخرة وهو الوجه ويدل عليه انه عقد جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدا الذي هو هم حتى
صار معناها وما يوقن بالآخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة
يحملهم على تحمل المشاق ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون فان قلت كيف اسند تزيين
اعمالهم الى ذاته وقد اسنده الى الشيطان في قوله تعالى وزين لهم الشيطان اعمالهم قلت بين الاسنادين فرق وذلك
ان اسناده الى الشيطان حقيقة واسناده الى الله تعالى مجاز وله طريقان في علم البيان احدهما ان يكون من المجاز الذي
يسمى الاستعارة والثاني ان يكون من المجاز الحكمي فالطريق الاول انه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا
انعام الله بذلك عليهم واحسانه اليهم ذريعة الى اتباع شهواتهم وبطرهم وايثارهم الروح والترفه ونفارهم عما
يلزمهم فيه التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة فكانه زين لهم بذلك اعمالهم واليه اشارت الملائكة في قولهم ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق والطريق الثاني
ان امهاله الشيطان وتخليته حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين فاسند اليه لان المجاز الحكمي يصححه بعض الملابسات
وقيل هي اعمال الخير التي وجب عليهم ان يعملوها زينها لهم فعمهوا عنها وضلوا عنها ويعزى الى الحسن والعمه التحير والتردد
كما يكون حال الضال عن الطريق اولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الاخسرون وانك لتلقى القرآن من
لدن حكيم عليم سوء العذاب القتل والاسر يوم بدر والاخسرون اشد الناس خسرانا لانهم لو آمنوا لكانوا من الشهداء
على جميع الامم فخسروا ذلك مع خسرانهم النجاة وثواب الله لتلقى القرآن لتؤتاه وتلقنه من عند اي حكيم واي عليم وهذا
معنى مجيئهما نكرتين وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد ان يسوق بعدها من الاقاصيص وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق
علمه اذ قال موسى لاهله اني آنست نارا سآتيكم منها بخبر او آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون اذ منصوب بمضمر وهو
اذكر كانه قال على اثر ذلك خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى عليه الصلاة والسلام ويجوز ان ينتصب بعليم روي
انه لم يكن مع موسى عليه الصلاة والسلام غير امراته وقد كنى الله عنها بالاهل فتبع ذلك ورود الخطاب على لفظ الجمع وهو
امكثوا الشهاب الشعلة والقبس النار المقبوسة واضاف الشهاب الى القبس لانه يكون قبسا وغير قبس ومن
قرا بالتنوين جعل القبس بدلا او صفة لما فيه من معنى القبس والخبر ما يخبر به عن حال الطريق لانه كان قد ضله فان قلت
سآتيكم منها بخبر ولعلي آتيكم منها بخبر كالمتدافعين لان احدهما ترج والآخر تيقن قلت قد يقول الراجي اذا قوي رجاؤه
سافعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة فان قلت كيف جاء بسين التسويف قلت عدة لاهله انه ياتيهم به وان

أبطأ، أو كانت المسافة بعيدة، فإن قلت فلم جاء بأو دون الواو قلت بنى الرجاء على أنه إن لم يظفر بحاجتيه جميعاً لم يعدم واحدة منهما إما هداية الطريق وإما اقتباس النار ثقةً بعادة الله أنه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده وما أدراه حين قال ذلك أنه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين جميعاً وهما العزّان عز الدنيا وعز الآخرة **فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين** أن هي المفسرة لأن النداء فيه معنى القول والمعنى قيل له بورك فإن قلت هل يجوز أن تكون المخففة من الثقيلة وتقديره نودي بأنه بورك والضمير ضمير الشأن قلت لا لأنه لا بد من قد فإن قلت فعلى إضمارها قلت لا يصح لأنها علامة لا تحذف ومعنى بورك من في النار ومن حولها بورك من في مكان النار ومن حول مكانها ومكانها البقعة التي حصلت فيها وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة وتدل عليه قراءة أبيّ رضي الله عنه تباركت الأرض ومن حولها وعنه بوركت الأرض والذي بوركت له البقعة وبورك من فيها وحواليها حدوث أمر ديني فيها وهو تكليم الله موسى واستنباؤه له وإظهار المعجزات عليه ورب خير يتجدد في بعض البقاع فينشر الله بركة ذلك الخير في أقاصيها ويبث آثار يمنه في أباعدها فكيف بمثل ذلك الأمر العظيم الذي جرى في تلك البقعة وقيل المبارك فيهم موسى عليه الصلاة والسلام والملائكة الحاضرون والظاهر أنه عام في كل من كان في تلك الأرض وفي ذلك الوادي وحواليهما من أرض الشام ولقد جعل الله أرض الشام بالبركات موسومة في قوله تعالى ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين وحقّت أن تكون كذلك فهي مبعث الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ومهبط الوحي وكفاتهم أحياءً وأمواتاً فإن قلت فما معنى ابتداء خطاب الله لموسى بذلك عند مجيئه قلت هي بشارة له بأنه قد قضي أمر عظيم تنتشر منه في أرض الشام كلها البركة وسبحان الله رب العالمين تعجيب لموسى من ذلك وإيذان بأن ذلك الأمر مريده ومكونه رب العالمين تنبيهاً على أن الكائن من جلائل الأمور وعظائم الشؤون **ولما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون إلا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء فإني غفور رحيم** قرأ الحسن رحمه الله عليه جأن على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين فقال شأبة ودأبة ومنها قراءة عمرو بن عبيد ولا الضألين لم يعقب لم يرجع يقال عقب المقاتل إذا كر بعد الفرار قال

فما عقبوا إذا قيل هل من معقب ۞ ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا

وإنما رعب لظنه أن ذلك لأمر أريد به ويدل عليه إني لا يخاف لدي المرسلون وإلا بمعنى لكن لأنه لما أطلق نفي الخوف عن الرسل كان ذلك مظنة لطروء الشبهة فاستدرك ذلك والمعنى ولكن من ظلم منهم أي فرطت منه صغيرة مما يجوز على الأنبياء كالذي فرط من آدم ويونس وداود وسليمان وإخوة يوسف عليهم الصلاة والسلام ومن موسى بوكزه القبطي ويوشك أن يقصد بهذا التعريض بما وجد من موسى عليه الصلاة والسلام وهو من التعريضات التي يلطف مأخذها وسماه ظلماً كما قال موسى رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي والحسن والسوء حسن التوبة وقبح الذنب وقرئ ألا من ظلم بحرف التنبيه وعن أبي عمرو في رواية عصمة حسناً **وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوماً فاسقين** في تسع آيات كلام مستأنف وحرف الجر فيه يتعلق بمحذوف والمعنى اذهب في تسع آيات إلى فرعون ونحوه فقلت إلى الطعام فقال منهم فريق نحسد الإنس الطعاما ويجوز أن يكون المعنى وألق عصاك وأدخل يدك في تسع آيات أي في جملة تسع آيات وعدادهن ولقائل أن يقول كانت الآيات إحدى عشرة ثنتان منها اليد والعصا والتسع الفلق

البحر

الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان
في مزارعهم فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين المبصرة الظاهرة البينة جعل الإبصار لها وهو في
الحقيقة لمتأمليها لأنهم لابسوها وكانوا بسبب منها بنظرهم وتفكرهم فيها ويجوز أن يراد بحقيقة الإبصار
كل ناظر فيها من كافة أولي العقل وأن يراد إبصار فرعون وملائه لقوله تعالى واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا
أو جعلت كأنها تبصر فتهتدي لأن العمي لا تقدر على الاهتداء فضلا أن تهدي غيرها ومنه قولهم كلمة عيناء
وكلمة عوراء لأن الكلمة الحسنة ترشد والسيئة تغوي ونحوه قوله تعالى لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب
السموات والأرض بصائر فوصفها بالبصائر كما وصفها بالإبصار وقرأ علي بن الحسين وقتادة مبصرة
وهي نحو مجبنة ومبخلة ومجفرة أي مكانا يكثر فيه التبصر وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا
فانظر كيف كان عاقبة المفسدين الواو في واستيقنتها واو الحال وقد بعدها مضمرة والعلو الكبر والترفع
عن الإيمان بما جاء به موسى عليه الصلاة والسلام لقوله تعالى فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا أنؤمن
لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون وقرئ عليا وعليا بالضم والكسر كما قرئ عتيا وعتيا وفائدة ذكر الأنفس أنهم
جحدوا بألسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم والاستيقان أبلغ من الإيقان وقد قوبل بين المبصرة
والمبين وأي ظلم أفحش من ظلم من اعتقد واستيقن أنها آيات بينة واضحة جاءت من عند الله ثم كابر بتسميتها
سحرا بينا مكشوفا لا شبهة فيه ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده
المؤمنين علما طائفة من العلم أو علما سنيا غزيرا فإن قلت أليس هذا موضع الفاء دون الواو كقولك
أعطيته فشكر ومنعته فصبر قلت بلى ولكن عطفه بالواو إشعار بأن ما قالاه بعض ما أحدث فيهما إيتاء
العلم وشيء من مواجبه فأضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كأنه قال ولقد آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا
حق النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله الذي فضلنا والكثير المفضل عليه من لم يؤت علما مثل علمهما وفيه
أنهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وفي الآية دليل على شرف العلم وإنافة محله وتقدم حملته وأهله وأن
نعمة العلم من أجل النعم وأجزل القسم وأن من أوتيه فقد أوتي فضلا على كثير من عباد الله كما قال الله
تعالى والذين أوتوا العلم درجات وما سماهم رسول الله عليه الصلاة والسلام ورثة الأنبياء إلا لمداناتهم
لهم في الشرف والمنزلة لأنهم القوام بما بعثوا من أجله وفيها أنه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة لوازم منها أن
يحمدوا الله على ما أوتوه من فضلهم على غيرهم وفيها التذكير بالتواضع وأن يعتقد العالم أنه إن فضل على كثير فقد
فضل عليهم مثلهم وما أحسن قول عمر رضي الله عنه كل الناس أفقه من عمر وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس
علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم
يوزعون ورث منه النبوة والملك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وكان داود عليه الصلاة والسلام
أكثر تعبدا وسليمان أقضى وأشكر لنعمة الله وقال يا أيها الناس تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها واعترافا بمكانها ودعاء
للناس بالتصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك مما أوتيه من عظائم الأمور والمنطق كل ما يصوت
به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد وقد ترجم يعقوب كتابه بإصلاح المنطق وما أصلح فيه إلا مفردات الكلم
وقالت العرب نطقت الحمامة وكل صنف من الطير يتفاهم أصواته والذي علمه سليمان من منطق الطير هو ما يفهم

بعضه من بعض من معانيه وأغراضه • ويحكى أنه مر على بلبل يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لأصحابه أتدرون
ما يقول قالوا الله ونبيه أعلم قال يقول أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء • وصاحت فاختة فأخبر أنها
تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا • وصاح طاوس فقال يقول كما تدين تدان • وصاح هدهد فقال يقول
استغفروا الله يا مذنبون • وصاح طيطوى فقال يقول كل حي ميت وكل جديد بال • وصاح خطاف فقال
يقول قدموا خيرا تجدوه • وصاحت رخمة فقال تقول سبحان ربي الأعلى ملء سمائه وأرضه • وصاح قمري
فأخبر أنه يقول سبحان ربي الأعلى • وقال الحدأ يقول كل شيء هالك إلا الله • والقطاة تقول من سكت سلم •
والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه • والديك يقول اذكروا الله يا غافلون • والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت
آخرك الموت • والعقاب يقول في البعد من الناس أنس • والضفدع يقول سبحان ربي القدوس • وأراد بقوله
من كل شيء كثرة ما أوتي كما تقول فلان يقصده كل أحد ويعلم كل شيء تريد كثرة قصاده ورجوعه إلى غزارة
في العلم واستكثاره منه ومثله قوله تعالى وأوتيت من كل شيء • إن هذا لهو الفضل المبين قول وارد على سبيل الشكر
والمحمدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم • أنا سيد ولد آدم ولا فخر • أي أقول هذا القول شكرا ولا أقوله
فخرا فإن قلت كيف قال علمنا وأوتينا وهو من كلام المتكبر قلت فيه وجهان أحدهما أن يريد نفسه
وأباه والثاني أن هذه النون يقال لها نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا فكلم أهل طاعته على صفته
وحاله التي كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك • وقد يتعلق بتجمل الملك وتفخمه وإظهار آيينه سياسة مصالح
فيعود تكلف ذلك واجبا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل نحوا من ذلك إذا وفد عليه وفد واحتاج
أن يرجح في عيونهم • ألا ترى كيف أمر العباس رضي الله عنه بأن يحبس أبا سفيان حتى تمر عليه الكتائب • وروي
أن معسكره كان مائة فرسخ • خمسة وعشرون للجن • وخمسة وعشرون للإنس • وخمسة وعشرون للطير • وخمسة
وعشرون للوحش • وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة منكوحة • وسبعمائة سرية • وقد نسجت
له الجن بساطا من ذهب وإبريسم فرسخا في فرسخ • وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه
وحوله ستمائة ألف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الأنبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم
الناس وحول الناس الجن والشياطين • وتظله الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط
فتسير به مسيرة شهر • ويروى أنه كان يأمر الريح العاصف تحمله ويأمر الرخاء تسيره • فأوحى الله إليه وهو
يسير بين السماء والأرض إني قد زدت في ملكك لا يتكلم أحد بشيء إلا ألقته الريح في سمعك • فيحكى أنه
مر بحراث فقال لقد أوتي آل داود ملكا عظيما فألقته الريح في أذنه فنزل ومشى إلى الحراث وقال إنما
مشيت إليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله سبحانه وتعالى خير مما أوتي آل
داود يوزعون يحبس أولهم على آخرهم أي توقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف
منهم أحد وذلك للكثرة العظيمة حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا
يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون قيل هو واد بالشام كثير النمل فإن قلت لم عدي أتوا بعلى قلت
يتوجه على معنيين أحدهما أن إتيانهم كان من فوق فأتي بحرف الاستعلاء كما قال أبو الطيب •
• ولشد ما قربت عليك الأنجم • لما كان قربا من فوق • • والثاني أن يراد قطع الوادي وبلوغه

آخره

اخره كانهم ارادوا ان ينزلوا عند منقطع الوادي لانهم ما دامت الريح تحملهم في الهوى لا يخاف حطمهم وقرئ نملة يا ايها النمل
بضم الميم وبضم النون والميم وكان الاصل النمل بوزن الرجل والنمل الذي عليه الاستعمال تخفيف عنه كقولهم السبع
في السبع قيل كانت تمشي وهي عرجاء تتكاوس فنادت يا ايها النمل الاية فسمع سليمان كلامها من ثلثة اميال وقيل كان
اسمها طاخية وعن قتادة انه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا عما شئتم وكان ابو حنيفة رحمه الله
عليه حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمان اكانت ذكرا ام انثى فسألوه فافحم فقال ابو حنيفة رحمه
الله كانت انثى فقيل له من اين عرفت فقال من كتاب الله تعالى وهو قوله تعالى قالت نملة وذلك ان النملة مثل
الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى وهو وهي
وقرئ مسكنكم ولا يحطمنكم بتخفيف النون وقرئ لا يحطمنكم بفتح الحاء وكسرها واصله يحتطمنكم ولما جعلها
قائلة والنمل مقولا لهم كما يكون في اولي العقل اجرى خطابهم مجرى خطابهم فان قلت لا يحطمنكم ما هو قلت
يحتمل ان يكون جوابا للامر وان يكون نهيا بدلا من الامر والذي جوز ان يكون بدلا منه انه في معنى لا تكونوا
حيث انتم فيحطمكم على طريقة لا ارينك ههنا اراد لا يحطمنكم جنود سليمان فجاء بما هو ابلغ ونحوه عجبت من نفسي
ومن اشفاقها فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل
صالحا ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين ومعنى تبسم ضاحكا تبسم شارعا في الضحك واخذا
فيه يعني انه قد تجاوز حد التبسم الى الضحك ولذلك ضحك الانبياء واما ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ضحك حتى بدت نواجذه فالغرض المبالغة في وصف ما وجد منه من الضحك النبوي والا فبدو النواجذ
على الحقيقة انما يكون عند الاستغراب وقرئ ضحكا فان قلت ما اضحكه من قولها قلت شيآن
اعجابه بما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وعلى شهرة حاله وحالهم في باب التقوى
وذلك قولها وهم لا يشعرون يعني انهم لو شعروا لم يفعلوا وسروره بما آتاه الله مما لم يؤت احدا من ادراكه
بسمعه ما همس به بعض الحكل الذي هو مثل في الصغر والقلة ومن احاطته بمعناه ولذلك اشتمل دعاؤه على
استيزاع شكر ما انعم به عليه من ذلك وهو على استيفاقه لزيادة العمل الصالح والتقوى وحقيقة اوزعني
اجعلني ازع شكر نعمتك عندي واكفه وارتبطه لا ينفلت عني حتى لا انفك شاكرا لك وانما ادرج ذكر الوالدين
لان النعمة على الولد نعمة على الوالدين خصوصا النعمة الراجعة الى الدين فانه اذا كان تقيا نفعهما بدعائه وشفاعته
وبدعاء المؤمنين لهما كلما دعوا له وقالوا رضي الله عنك وعن والديك وروي ان النملة احست بصوت الجنود
ولا تعلم انهم في الهواء فامر سليمان عليه الصلاة والسلام الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم
دعا بالدعوة ومعنى وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين واجعلني من اهل الجنة وتفقد الطير فقال
مالي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه او لياتيني بسلطان مبين
ام هي المنقطعة نظر الى مكان الهدهد فلم يبصره فقال مالي لا اراه على معنى انه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره
او غير ذلك ثم لاح له انه غائب فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو غائب كانه يسئل عن صحة ما لاح له ونحوه
قولهم انها لابل ام شاء وذكر من قصة الهدهد ان سليمان عليه الصلاة والسلام حين تم له بناء بيت
المقدس تجهز للحج بحشره فوافى الحرم واقام به ما شاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه خمسة الاف ناقة
وخمسة الاف بقرة وعشرين الف شاة ثم عزم على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى صنعاء

وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا حسناء أعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجد الماء قناقنه وكان
يرى الماء من تحت الأرض كما يرى الماء في الزجاجة فيجيء الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الإهاب ويستخرجون الماء فتفقده
لذلك وحين نزل سليمان عليه الصلاة والسلام حلق الهدهد فرأى هدهدا واقعا فانحط إليه فوصف له ملك سليمان
وما سخر له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك بلقيس وأن تحت يدها اثني عشر ألف قائد تحت يد كل قائد مائة
ألف وذهب معه لينظر فما رجع إلا بعد العصر وذكر أنه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان فنظر فإذا موضع
الهدهد خال فدعا عفريت الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علي
به فارتفعت فنظرت فإذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله تعالى بحق الذي قواك وأقدرك علي إلا رحمتني
فتركته وقالت ثكلتك أمك إن نبي الله حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت بلى أو ليأتيني بعذر مبين فلما
قرب من سليمان عليه الصلاة والسلام أرخى ذنبه وجناحيه يجرها على الأرض تواضعا له فلما دنا منه أخذ برأسه
فمده إليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فارتعد سليمان عليه الصلاة والسلام وعفا عنه ثم سأله
تعذيبه أن يؤدب بما يحتمله حاله ليعتبر به أبناء جنسه وقيل كان عذاب سليمان للطير أن ينتف ريشه ويشمسه
وقيل أن يطلى بالقطران ويشمس وقيل أن يلقى للنمل تأكله وقيل إيداعه القفص وقيل التفريق بينه وبين
إلفه وقيل لألزمنه صحبة الأضداد وعن بعضهم أضيق السجون معاشرة الأضداد وقيل لألزمنه خدمة
أقرانه فإن قلت من أين حل له تعذيب الهدهد قلت يجوز أن يبيح الله له ذلك لما رأى منه من المصلحة
والمنفعة كما أباح ذبح البهائم والطيور للأكل وغيره من المنافع وإذا سخر له الطير ولم يتم ما سخر من أجله إلا
بالتأديب والسياسة جاز أن يباح له ما يستصلح به وقرئ ليأتينني وليأتيني والسلطان الحجة والعذر فإن
قلت قد حلف على أحد ثلاثة أشياء فحلفه على فعليه لا مقال فيه ولكن كيف صح حلفه على فعل الهدهد ومن
أين درى أنه يأتي بسلطان حتى يقول والله ليأتيني بسلطان قلت لما نظم الثلاثة بأو في الحكم الذي هو الحلف آل
كلامه إلى قولك ليكونن أحد الأمور يعني إن كان الإتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وإن لم يكن كان
أحدهما وليس في هذا ادعاء دراية على أنه يجوز أن يتعقب حلفه بالفعلين وحي من الله بأنه سيأتيه بسلطان
مبين فثلث بقوله أو ليأتيني بسلطان مبين عن دراية وإيقان فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به
وجئتك من سبإ بنبإ يقين فمكث قرئ بفتح الكاف وضمها غير بعيد غير زمان بعيد كقوله عن قريب ووصف
مكثه بقصر المدة للدلالة على إسراعه خوفا من سليمان عليه الصلاة والسلام وليعلم كيف كان الطير مسخرا له
ولبيان ما أعطي من المعجزة الدالة على نبوته وعلى قدرة الله عز وجل أحطت بإدغام الطاء في التاء بإطباق
وبغير إطباق ألهم الله الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام على ما أوتي من فضل النبوة والحكمة والعلوم
الجمة والإحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له في علمه وتنبيها على أن في أدنى خلقه وأضعفه من أحاط
علما بما لم يحط به لتتحاقر إليه نفسه ويتصاغر إليه علمه ويكون لطفا له في ترك الإعجاب الذي هو فتنة
العلماء وأعظم بها فتنة والإحاطة بالشيء علما أن يعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم قالوا وفيه دليل
على بطلان قول الرافضة إن الإمام لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه أحد أعلم منه سبإ قرئ
بالصرف ومنعه وقد روي بسكون الباء وعن ابن كثير في رواية سبا بالألف كقولهم ذهبوا أيدي
سبا وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان فمن جعله اسما للقبيلة لم يصرف ومن جعله اسما للحي أو الأب

الأكبر صرف قال من سبا الحاضرين مارب • اذ يبنون من دونه العرما • وقال •
• الواردون وتيم في ذرى سبا • قد عض اعناقهم جلد الجواميس •

ثم سميت مدينة مارب بسبا وبينها وبين صنعا مسيرة ثلث كما سميت معافر بمعافر بن ادد • ويحتمل ان يراد المدينة والقوم • والنبا الخبر الذي له شان وقوله تعالى من سبا بنبا من جنس الكلام الذي سماه المحدثون البديع وهو من محاسن الكلام التي يتعلق باللفظ بشرط ان يجي مطبوعا او يصنعه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده ولقد جاء ههنا زائدا على الصحة فحسن وبدع لفظا ومعنى الا ترى انه لو وضع مكان بنبا بخبر لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء اصح لما في النبا من الزيادة التي يطابقها وصف الحال • اني وجدت امراة تملكهم واوتيت من كل شي ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم المراة بلقيس بنت شراحيل وكان ابوها ملك ارض اليمن كلها وقد ولده اربعون ملكا ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس والضمير في تملكهم راجع الى سبا فان اريد به القوم فالامر ظاهر وان اريدت المدينة فمعناها تملك اهلها وقيل في وصف عرشها كان ثمانين ذراعا في ثمانين وسمكه ثمانين وقيل ثلاثين مكللا باللالئ وقيل كان من ذهب وفضة مكللا بانواع الجواهر وكانت قوائمه من ياقوت احمر واخضر ودر وزمرد وعليه سبعة ابيات على كل بيت باب مغلق فان قلت كيف استعظم عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان قلت يجوز ان يستصغر حالها الى حال سليمان فاستعظم لها ذلك العرش ويجوز ان لا يكون لسليمان عليه الصلاة والسلام مثله وان عظمت مملكته في كل شي كما يكون لبعض امراء الاطراف شي لا يكون مثله للملك الذي يملك عليهم امرهم ويستخدمهم ومن نوكى القصاص من يقف على قوله وقطنا عرش عظيم ثم يبتدي عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس فرمن استعظام الهدهد عرشها فوقع في عظيمة وهي مسخ كتاب الله فان قلت كيف قال واوتيت من كل شي مع قول سليمان واوتينا من كل شي كانه سوى بينهما قلت بينهما فرق بين لان سليمان عطف قوله على ما هو معجزة من الله وهو تعليم منطق الطير فرجع اولا الى ما اوتي من النبوة والحكمة واسباب الدين ثم الى الملك واسباب الدنيا وعطفه الهدهد على الملك فلم يرد الا ما اوتيت من اسباب الدنيا اللائقة بحالها فبين الكلامين بون بعيد • فان قلت كيف خفي على سليمان مكانها وكانت المسافة بين محطه وبين بلدها قريبة وهي مسيرة ثلث بين صنعاء ومارب قلت لعل الله عز وجل اخفى عليه ذلك لمصلحة رآها كما اخفى مكان يوسف على يعقوب عليهما الصلاة والسلام فان قلت من اين للهدهد التهدي الى معرفة الله عز وجل ووجوب السجود له وانكار سجودهم للشمس واضافته الى الشيطان وتزيينه له قلت لا يبعد ان يلهمه الله تعالى ذلك كما الهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون اليها • ومن اراد استقراء ذلك فعليه بكتاب الحيوان خصوصا في زمن نبي سخر الله له الطيور وعلم منطقها وجعل ذلك معجزة له من قراه بالتشديد اراد فصدهم عن السبيل لان لا يسجدوا فحذف الجار مع ان ويجوز ان تكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا ومن قراه بالتخفيف فهو الا يا اسجدوا والا للتنبيه •

ويا حرف النداء ومناداه محذوف كما حذفه من قال • ألا يا اسلمي يا دارمي على البلا • وفي حرف عبد الله وهي قراءة
الأعمش هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء • وعن عبد الله هلا تسجدون بمعنى ألا تسجدون على الخطاب وفي قراءة
أبي رضي الله عنه ألا تسجدون لله الذي يخرج الخبء في السماء والأرض ويعلم سركم وما تعلنون وسمي المخبوء
بالمصدر وهو النبات والمطر وغيرهما مما خبأه الله عز وجل من غيوبه وقرئ الخب بالتخفيف الهمزة بالحذف
والخبا على تخفيفها بالقلب وهي قراءة ابن مسعود ومالك بن دينار • ووجهها أن تخرج على لغة من يقول في الوقف هذا
الخبو ورأيت الخبا ومررت بالخبي ثم أجري الوصل مجرى الوقف على لغة من يقول الكماة والحماة لأنها ضعيفة
مسترذلة وقرئ تخفون وتعلنون بالتاء والياء وقيل من أحطت إلى العظيم هو كلام الهدهد • وقيل كلام رب
العزة • وفي إخراج الخبء أمارة على أنه من كلام الهدهد لهندسته ومعرفته الماء تحت الأرض وذلك بإلهام
من يخرج الخبء في السموات والأرض جلت قدرته ولطف علمه ولا يكاد يخفى على ذي الفراسة النظار بنور الله
مخايل كل مختص بصناعة أو فن من العلم في روائه ومنطقه وشمائله ولهذا ورد ما عمل عبد عملا إلا ألقى
الله عليه رداء عمله فإن قلت أسجدة التلاوة واجبة في القراءتين جميعا أم في إحداهما قلت هي واجبة
فيهما جميعا لأن مواضع السجدة إما أمر بها أو مدح لمن أتى بها أو ذم لمن تركها • وإحدى القراءتين أمر بالسجود
والأخرى ذم للتارك وقد اتفق أبو حنيفة والشافعي رحمة الله عليهما على أن سجدات القرآن أربع عشرة وإنما
اختلفا في سجدة ص فهي عند أبي حنيفة رحمه الله سجدة تلاوة وعند الشافعي رضي الله عنه سجدة شكر وفي سجدتي
سورة الحج وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد فغير مرجوع إليه فإن قلت هل يفرق •
الواقف بين القراءتين قلت نعم إذا خفف وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتدأ ألا يا اسجدوا وإن شاء وقف
على ألا يا ثم ابتدأ اسجدوا وإذا شدد لم يقف إلا على العرش العظيم فإن قلت كيف سوى الهدهد بين عرش
بلقيس وعرش الله في الوصف بالعظيم قلت بين الوصفين بون عظيم لأن وصف عرشها بالعظم تعظيم له
بالإضافة إلى عروش أبناء جنسها من الملوك ووصف عرش الله بالعظم تعظيم له بالنسبة إلى سائر ما خلق الله من السموات
والأرض وقرئ العظيم بالرفع قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين سننظر من النظر هو التأمل
والتصفح وأراد أصدقت أم كذبت إلا أن كنت من الكاذبين أبلغ لأنه إذا كان معروفا بالانخراط في سلك
الكاذبين كاذبا لا محالة وإذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيما أخبر به فلم يوثق به اذهب بكتابي هذا فألقه
إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون تول عنهم تنح عنهم إلى مكان قريب • تتوارى فيه ليكون ما يقولونه
بمسمع منك ويرجعون من قوله عز وعلا يرجع بعضهم إلى بعض القول يقال دخل عليها من كوة فألقى الكتاب إليها
وتوارى في الكوة فإن قلت لم قال فألقه إليهم على لفظ الجمع قلت لأنه قال • وجدتها وقومها يسجدون
للشمس فقال فألقه إلى الذين هذا دينهم اهتماما منه بأمر الدين واشتغالا به عن غيره وبني الخطاب في الكتاب
على لفظ الجمع لذلك قالت يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم
ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين كريم حسن مضمونه وما فيه أو وصفته بالكرم لأنه من عند ملك كريم أو مختوم
قال صلى الله عليه وسلم كرم الكتاب ختمه • وكان عليه الصلاة والسلام • يكتب إلى العجم فقيل له إنهم لا يقبلون
إلا كتابا عليه خاتم • فاصطنع خاتما • وعن ابن المقفع من كتب إلى أخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به • وقيل إنه
مصدر • ببسم الله الرحمن الرحيم هو استئناف وتبيين لما ألقي إليها كأنها لما قالت إني ألقي إلي كتاب كريم قيل لها

ممن

ممن هو وما هو فقالت انه من سليمان وانه كيت وكيت وقرأ عبد الله وانه عطفا على اني وقرئ انه من سليمان
وانه بالفتح على انه بدل من كتاب كانه قيل القي الي انه من سليمان ويجوز ان يريد لانه من سليمان ولانه
كانها عللت كرمه بكونه من سليمان وتصديره باسم الله وقرأ ابي رضي الله عنه ان من سليمان وان
بسم الله على ان المفسرة وان في ان لا تعلوا مفسرة ايضا لا تعلوا لا تتكبروا كما يفعل الملوك وقرأ
ابن عباس رضي الله عنهما بالغين معجمة من الغلو وهو مجاوزة الحد يروى ان نسخة الكتاب من عبد الله
سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبا السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا علي واتوني مسلمين
وكانت كتب الانبياء صلوات الله عليهم جملا لا يطيلون ولا يكثرون وطبع الكتاب بالمسك وختمه بخاتمه فوجدها
الهدهد راقدة في قصرها بمارب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت راسها فدخل من
كوة وطرح الكتاب على نحرها وهي مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل اتاها والقادة والجنود حواليها
فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت راسها فالقى الكتاب في حجرها وكانت قارئة كاتبة عربية من نسل تبع
ابن شراحيل الحميري فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت وقالت لقومها ما قالت مسلمين منقادين او مؤمنين
قالت يا ايها الملأ افتوني في امري ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون الفتوى الجواب في الحادثة اشتقت
على طريق الاستعارة من الفتاء في السن والمراد بالفتوى ههنا الاشارة عليها بما عندهم فيما حدث لها من الرأي
والتدبير وقصدت بالانقطاع اليهم والرجوع اليهم الى استشارتهم واستطلاع آرائهم استعطافهم وتطييب
نفوسهم ليمالئوها ويقوموا معها قاطعة امرا فاصلة وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه قاضية اي لا ابت امرا
الا بمحضركم وقيل كان اهل مشورتها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا كل واحد على عشرة آلاف قالوا نحن اولوا قوة
واولوا بأس شديد والامر اليك فانظري ماذا تأمرين ارادوا بالقوة قوة الاجساد وقوة الآلات والعدد
وبالبأس النجدة والبلاء في الحرب اي هو موكول اليك ونحن مطيعون لك فمرينا بامرك نطعك ولا نخالفك
كانهم اشاروا عليها بالقتال او ارادوا نحن من ابناء الحرب لا من ابناء الرأي والمشورة وانت ذات الرأي
والتدبير فانظري ماذا ترين نتبع رأيك قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة
اهلها اذلة وكذلك يفعلون لما احست منهم الميل الى المحاربة رأت من الرأي الميل الى الصلح والابتداء بما
هو احسن ورتبت الجواب فزيفت اولا ما ذكروه وارتهم الخطأ فيه بان الملوك اذا دخلوا قرية عنوة وقهرا
افسدوها اي خربوها ومن ثمة قالوا للفساد الخربة واذلوا اعزتها واهانوا اشرافها وقتلوا واسروا فذكرت
لهم عاقبة الحرب وسوء مغبتها ثم قالت وكذلك يفعلون ارادت وهذه عادتهم المستمرة الثابتة التي
لا تتغير لانها كانت في بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورأت ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية
وما رأت من الرأي السديد وقيل هو تصديق من الله تعالى لقولها وقد يتعلق الساعون في الارض بالفساد
بهذه الآية ويجعلونها حجة لانفسهم ومن استباح حراما فقد كفر فاذا احتج له بالقرآن على وجه التحريف
فقد جمع بين كفرين واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون مرسلة اليهم رسلا اي مرسلة
اي مرسلة رسلا بهدية اصانعه بها عن ملكي فناظرة ما يكون منه حتى اعمل على حسب ذلك روي
انها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن الاساور والاطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة
بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجوهر وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان والف

لبنة من ذهب وفضة، وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع، والمسك والعنبر، وحقا فيه درة عذراء
وجزعة معوجة الثقب، وبعثت رجلين من أشراف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذا رأي وعقل، وقالت
إن كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري، وثقب الدرة ثقبا مستويا، وسلك في الخرزة خيطا، ثم قالت للمنذر
إن نظر إليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك، وإن رأيته بشا لطيفا فهو نبي، فأقبل الهدهد فأخبر سليمان عليه
الصلاة والسلام، فأمر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة، وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ، وجعلوا
حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة، وأمر بأحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان
ويساره على اللبن، وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير فأقيموا عن اليمين واليسار، ثم قعد على سريره والكراسي
من جانبيه، واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ، والإنس صفوفا فراسخ، والوحش والسباع والطيور
والهوام كذلك، فلما دنا القوم ونظروا بهتوا ورأوا الدواب تروث على اللبن، فتقاصرت إليهم نفوسهم ورموا
بما معهم، ولما وقفوا بين يديه نظر إليهم بوجه طلق، وقال ما وراءكم، وقال أين الحق، وأخبره جبريل عليه الصلاة
والسلام بما فيه، فقال لهم إن فيه كذا وكذا، ثم أمر الأرضة فأخذت شعرة ونفذت فيها، فجعل رزقها في الشجرة،
وأخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت فيها، فجعل رزقها في الفواكه، ودعا بالماء، فكانت الجارية تأخذ الماء
بيدها فتجعله في الأخرى ثم تضرب به وجهها، والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه، ثم رد الهدية، وقال
للمنذر ارجع إليهم، فقالت هو نبي وما لنا به طاقة، فشخصت إليه في اثني عشر ألف قيل تحت كل قيل ألوف **فلما جاء سليمان**
قال أتمدونن بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون وفي قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه
فلما جاءوا، أتمدونني، وقرئ بحذف الياء والاكتفاء بالكسر، وبالإدغام كقوله تعالى أتحاجوني، وبنون واحدة أتمدوني،
الهدية اسم المهدى، كما أن العطية اسم المعطى، فتضاف إلى المهدي والمهدى له، تقول هذه هدية فلان تريد
هي التي أهداها أو أهديت إليه، والمضاف إليه ههنا هو المهدى إليه، والمعنى أن ما عندي خير مما عندكم، وذلك
أن الله تعالى آتاني الدين الذي فيه الحظ الأوفر والغنى الأوسع، وآتاني من الدنيا ما لا يستزاد عليه، فكيف يرضى
مثلي بأن يمد بمال ويصانع به، بل أنتم قوم لا تعلمون إلا ظاهرا من الحياة الدنيا، فلذلك تفرحون بما تزادون ويهدى
إليكم، لأن ذلك مبلغ همتكم، وحالي خلاف حالكم، وما أرضى منكم بشيء ولا أفرح به إلا بالإيمان وترك المجوسية،
فإن قلت ما الفرق بين قولك أتمدني بمال وأنا أغنى منكم، وبين أن تقوله بالفاء، قلت إذا قلته بالواو
فقد جعلت مخاطبي عالما بزيادتي عليه في الغنى واليسار، وهو مع ذلك يمدني بالمال، وإذا قلته بالفاء فقد جعلته
ممن خفيت عليه حالي، فأنا أخبره الساعة بما لا أحتاج معه إلى إمداده، كأني أقول له أنكر عليك ما فعلت فإني
غني عنه، وعليه ورد قوله فما آتاني الله، فإن قلت فما وجه الإضراب، قلت لما أنكر عليهم الإمداد وعلل إنكاره
أضرب عن ذلك إلى بيان السبب الذي حملهم عليه، وهو أنهم لا يعرفون سبب رضا ولا فرح إلا أن يهدى إليهم
حظ من الدنيا التي لا يعلمون غيرها، ويجوز أن تجعل الهدية مضافة إلى المهدي، ويكون المعنى بل أنتم بهديتكم
هذه التي أهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك بأنكم قدرتم على إهداء مثلها، ويحتمل أن يكون عبارة
عن الرد، كأنه قال بل أنتم من حقكم أن تأخذوا هديتكم وتفرحوا بها **ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود**
لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني
مسلمين ارجع خطاب للرسول، وقيل للهدهد محملا كتابا آخر، لا قبل لا طاقة، وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة

أي لا يقدرون أن يقابلوهم. وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه لا قبل لهم بهم. والضمير في منها لسبأ. والذل أن
يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك. والصغار أن يقعوا في أسر واستعباد ولا يقتصر بهم على أن يرجعوا سوقة
بعد أن كانوا ملوكا. روي أنها أمرت عند خروجها إلى سليمان عليه الصلاة والسلام فجعل عرشها في آخر سبعة
أبيات بعضها في بعض في آخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت الأبواب ووكلت به حرسا يحفظونه. ولعله أوحي
إلى سليمان عليه الصلاة والسلام باستيثاقها من عرشها فأراد أن يغرب عليها ويريها بذلك بعض ما خصه
الله تعالى من إجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظيم قدرة الله تعالى وعلى ما يشهد لنبوة سليمان عليه الصلاة
والسلام ويصدقها. وعن قتادة رحمة الله عليه أراد أن يأخذه قبل أن تسلم لعلمه أنها إذا أسلمت لم يحل له
أخذ مالها. وقيل أراد أن يؤتى به فينكر ويغير ثم ينظر أتثبته أم تنكره اختبارا لعقلها **قال عفريت**
من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين وقرئ عفرية والعفر والعفريت
والعفرية والعفراة والعفارية من الرجال الخبيث المنكر الذي يعفر أقرانه ومن الشياطين الخبيث المارد.
وقالوا كان اسمه ذكوان. لقوي على حمله وأمين آتي به كما هو لا أختزل منه شيئا ولا أبدله **قال الذي**
عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي
ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم الذي عنده علم من الكتاب
رجل كان عنده اسم الله الأعظم وهو يا حي يا قيوم. وقيل يا إلهنا وإله كل شيء إلها واحدا لا إله إلا أنت.
وقيل يا ذا الجلال والإكرام. وعن الحسن رحمة الله عليه الله والرحمن. وقيل هو آصف بن برخيا كاتب سليمان
عليه الصلاة والسلام وكان صديقا عالما. وقيل اسمه أسطوم. وقيل هو جبريل. وقيل ملك أيد الله تعالى
به سليمان. وقيل هو سليمان نفسه كأنه استبطأ العفريت فقال له أنا أريك ما هو أسرع مما تقول. وعن
ابن لهيعة بلغني أنه الخضر عليه السلام. علم من الكتاب المنزل وهو علم الوحي والشرائع. وقيل
هو اللوح والذي عنده علم منه جبريل عليه الصلاة والسلام وآتيك في الموضعين يجوز أن يكون فعلا
واسم فاعل. والطرف تحريكك أجفانك إذا نظرت فوضع موضع النظر. ولما كان الناظر موصوفا بإرسال الطرف
في نحو قوله. وكنت إذا أرسلت طرفك رائدا. لقلبك يوما أتعبتك المناظر.
وصف برد الطرف ووصف الطرف بالارتداد ومعنى قوله قبل أن يرتد إليك طرفك أنك ترسل طرفك
إلى شيء فقبل أن ترده أبصرت العرش بين يديك. ويروى أن آصف قال لسليمان عليه الصلاة والسلام
مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن ودعا آصف فغار العرش في مكانه ثم نبع عند مجلس
سليمان بالشام بقدرة الله قبل أن يرد طرفه ويجوز أن يكون هذا مثلا لاستقصار مدة المجيء به كما تقول
لصاحبك افعل كذا في لحظة وفي ردة طرف والتفت ترني وما أشبه ذلك تريد السرعة. ليشكر لنفسه
لأنه يحط عنها عبء الواجب ويصونها عن سمة الكفران ويرتبط به النعمة ويستمد المزيد. وقيل
الشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة. وفي كلام بعض المتقدمين إن كفران النعمة بوار
وقلما أقشعت نافرة فرجعت في نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار
واعلم أن سبوغ ستر الله متقلص عما قريب إذا أنت لم ترج لله وقارا. غني عن الشكر كريم
بالإنعام على من يكفر نعمته والذي قاله سليمان عليه الصلاة والسلام عند رؤية العرش شاكرا لربه جري على

بها كلّه انبأ بحبسه من انبياء الله والخلصين من عباده تلقوا النعمة النادمة بحسن الشكر كما يتلقون النعمة الوزنة
بجميل الصبر قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون نكروا اجعلوه متنكرا متغيرا عن
هيئته وشكله كما يتنكّر الرجل للناس لئلا يعرفوه قالوا وسّعوه وجعلوا مقدمه مؤخره واعلاه اسفله وقرئ ننظر
بالجزم على الجواب وبالرفع على الاستيناف أتهتدي لمعرفته او للجواب الصواب او للدين والايمان بنبوة سليمان
عليه الصلاة والسلام اذا رأت تلك المعجزة البيّنة من تقدم عرشها وقد خلّفته وغلّقت الابواب ونصبت عليه الحراس
فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين هكذا ثلث كلمات حرف
التنبيه وكاف التشبيه واسم الاشارة لم يقل أهذا عرشك ولكن أمثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا فقالت كأنه هو ولم تقل هو هو
ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل وأوتينا العلم من كلام سليمان وملائه فان قلت
علام عطف هذا الكلام وبم اتصل قلت لما كان المقام الذي سئلت فيه عن عرشها واجابت بما اجابت مقاما
اجرى فيه سليمان وملاؤه ما يناسب قولهم وأوتينا العلم نحو ان يقولوا عند قولها كأنه هو قد اصابت في جوابها
وطبّقت المفصل وهي عاقلة لبيبة وقد رزقت الاسلام وعلمت قدرة الله تعالى وصحة النبوة بالآيات التي
تقدمت عند وفدة المنذر وبهذه الآية العجيبة من امر عرشها عطفوا على ذلك قولهم وأوتينا نحن العلم بالله
وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها ولم نزل على دين الاسلام شكرا لله تعالى على فضلهم عليها وسبقهم
الى العلم بالله والاسلام قبلها وصدّها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين وصدّها عن
التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشؤها بين ظهراني الكفرة ويجوز ان يكون من كلام بلقيس موصولا بقولها كأنه
هو والمعنى وأوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام قبل هذه المعجزة او قبل هذه الحالة
تعني ما تبيّنت من الآيات عند وفدة المنذر ودخلنا في الاسلام ثم قال الله عز وجل وصدّها قبل ذلك عما
دخلت فيه ضلالها عن سواء السبيل وصدّها الله او سليمان عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وايصال الفعل
وقرئ أنها بالفتح على انه بدل من فاعل صدّ او بمعنى لأنها قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت
عن ساقيها قال إنه صرح ممرّد من قوارير قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب
العالمين الصرح القصر وقيل صحن الدار وقرأ ابن كثير سأقيها بالهمز ووجهه انه سمع سؤقا فاجرى عليه
الواحد والممرّد المملّس وروي ان سليمان قبل قدومها فبنى له على طريقها قصرا من زجاج ابيض واجرى
من تحته الماء والقى فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير
والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لامره وتحققا لنبوته وثباتا على الدين وزعموا ان الجن
كرهوا ان يتزوجها فتفضي اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا ان يولد له منها ولد فتجتمع له فطنة
الجن والانس فيخرجون من ملك سليمان الى ملك هو اشد وافظع فقالوا له ان في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين
ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها فكشفت عنها فاذا هي احسن
الناس ساقا وقدما الا انها شعراء ثم صرف بصره وناداها انه صرح ممرد من قوارير وقيل هي السبب في
اتخاذ النورة امر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها سليمان واحبها واقرها على ملكها وامر الجن فبنوا
لها سلحين وغمدان وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة ايام وولدت له وقيل بل زوجها
ذا تبّع ملك همدان وسلّطه على اليمن وامر زوبعة امير جن اليمن ان يطيعه فبنى له المصانع ولم يزل اميرا حتى مات

بلغ مقابلة

سليمان عليه الصلاة والسلام رب ظلمت نفسي تريد بكفرها فيما تقدم وقيل حسبت ان سليمان يغرقها في اللجة فقالت
ظلمت نفسي بسوء ظني لسليمان عليه الصلاة والسلام ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون
وقرئ أن اعبدوا بالضم على اتباع النون الباء فريقان فريق مؤمن وفريق كافر وقيل اريد بالفريقين صالح وقومه
انه مؤمن منهم احد يختصمون يقول كل فريق الحق معي قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله
لعلكم ترحمون السيئة العقوبة والحسنة التوبة فإن قلت ما معنى استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة وانما يكون ذلك اذا
كانتا متوقعتين احديهما قبل الاخرى قلت كانوا يقولون لجهلهم ان العقوبة التي يعدها صالح ان وقعت على زعمه تبنا
حينئذ واستغفرنا مقدرين ان التوبة مقبولة في ذلك الوقت وان لم تقع فنحن على ما نحن عليه فخاطبهم صالح على حسب قولهم
واعتقادهم ثم قال لهم هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب لعلكم ترحمون تنبيها لهم على الخطاء فيما قالوه وتجهيلا فيما
قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل انتم قوم تفتنون كان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطائر فيزجره فان مر
سانحا تيمن وان مر بارحا تشاءم فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله تعالى وقسمته او من عمل العبد
الذي هو السبب في الرحمة والنقمة ومنه قالوا طائر الله لا طائرك اي قدر الله الغالب الذي ينسب اليه الخير والشر لا طائرك
الذي تتشاءم به وتتيمن فلما قالوا اطيرنا بكم اي تشاءمنا وكانوا قد قحطوا قال طائركم عند الله اي سببكم الذي يجيء منه خيركم
وشركم عند الله وهو قدره وقسمته ان شاء رزقكم وان شاء حرمكم ويجوز ان يريد عملكم مكتوب عند الله فمنه نزل بكم
ما نزل عقوبة لكم وفتنة ومنه قوله تعالى طائركم معكم وكل انسان الزمناه طائره في عنقه وقرئ تطيرنا بك
على الاصل ومعنى تطير به تشاءم به وتطير منه نفر منه تفتنون تختبرون او تعذبون او يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة
وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون المدينة الحجر انما جاز تمييز التسعة بالرهط لانه في معنى الجماعة فكانه
قيل تسعة انفس والفرق بين الرهط والنفر ان الرهط من الثلاثة الى العشرة او من السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة
واسماؤهم عن وهب الهذيل بن عبد رب غنم بن غنم رباب بن مهرج مصدع بن مهرج عمير بن كردبة عاصم بن مخرمة
سبيط بن صدقة سمعان بن صفي قدار بن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من
ابناء اشرافهم ولا يصلحون اي شانهم الافساد البحت الذي لا يخلط بشيء من الصلاح كما ترى بعض المفسدين قد يندر منه بعض
الصلاح قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون تقاسموا يحتمل ان يكون
امرا وخبرا في محل الحال باضمار قد اي قالوا متقاسمين وقرئ تقسموا وقرئ لتبيتنه بالتاء والياء والنون فتقاسموا مع التاء والنون
يصح فيه الوجهان ومع الياء لا يصح فيه الا ان يكون خبرا والتقاسم والتقسم كالتظاهر والتظهر التحالف والبيات مباغتة
العدو ليلا وعن الاسكندر انه اشير عليه بالبيات فقال ليس من آيين الملوك استراق الظفر وقرئ مهلك بفتح الميم
واللام وكسرها من هلك ومهلك بضم الميم من اهلك ويحتمل المصدر والمكان والزمان فإن قلت كيف يكونون
صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فاتوا بالخبر على خلاف المخبر عنه قلت كانهم اعتقدوا انهم اذا بيتوا صالحا وبيتوا اهله
فجمعوا بين البياتين ثم قالوا ما شهدنا مهلك اهله فذكروا احدهما كانوا صادقين لانهم فعلوا البياتين جميعا لا احدهما
وفي هذا دليل قاطع على ان الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم الا ترى انهم قصدوا
قتل نبي الله ولم يرضوا لانفسهم بانهم كانوا كاذبين حتى سووا للصدق في خبرهم حيلة يتفصون بها عن الكذب ومكروا
مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين مكرهم ما اخفوه من تدبيرهم
الفتك بصالح واهله ومكر الله اهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة روي انه كان لصالح عليه

السلام مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلث فنحن نفرغ منه ومن اهله قبل الثلث فخرجوا
الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت
الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم اين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا في مكانه ونجى صالحا
معه وقيل جاؤا بالليل شاهري سيوفهم وقد ارسل الله الملائكة ملء دار صالح فدمغوهم بالحجارة ولا يرون راميا
انا دمرناهم استيناف ومن قرا بالفتح رفعه بدلا من العاقبة او خبر مبتدا محذوف تقديره تدميرهم او نصبه على
معنى لانا او على انه خبر كان اي كان عاقبة مكرهم الدمار فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان في ذلك لاية لقوم يعلمون
وانجينا الذين امنوا وكانوا يتقون خاوية حال عمل فيها ما دل عليه تلك وقرا عيسى بن عمر خاوية بالرفع على خبر المبتدا
المحذوف ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون ائنكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء
بل انتم قوم تجهلون واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه واذ بدل على الاول ظرف على الثاني وانتم
تبصرون من بصر القلب اي تعلمون انها فاحشة لم تسبقوا اليها وان الله انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا
الانثى للانثى فهي مضادة لله في حكمته وحكمه وعلمكم بذلك اعظم لذنوبكم وادخل في القبح والسماجة وفيه دليل على ان
القبيح من الله اقبح منه من عباده لانه اعلم العالمين واحكم الحاكمين او تبصرونها بعضكم من بعض لانهم كانوا في ناديهم يرتكبونها
معالنين لا يتستر بعضهم من بعض خلاعة ومجانة وانهماكا في المعصية وكان ابا نواس بنى على مذهبهم قوله

وبح باسم ما تاتي ودعني من الكنى ، فلا خير في اللذات من دونها ستر

او تبصرون اثار العصاة قبلكم وما نزل بهم فان قلت فسرت تبصرون بالعلم وبعده بل انتم قوم تجهلون فكيف
يكونون علماء جهلاء قلت اراد تفعلون فعل الجاهلين بانها فاحشة مع علمكم بذلك او تجهلون العاقبة
او اراد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها فان قلت تجهلون صفة لقوم والموصوف لفظه لفظ الغايب
فهلا طابقت الصفة الموصوف فقرئ بالياء دون التاء وكذلك بل انتم قوم تفتنون قلت اجتمعت الغيبة
والمخاطبة فغلبت المخاطبة لانها اقوى اصلا من الغيبة فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم
انهم اناس يتطهرون فانجيناه واهله الا امراته قدرناها من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين
وقرا الاعمش جواب قومه بالرفع والمشهورة احسن يتطهرون يتنزهون عن القاذورات كلها فينكرون هذا العمل القذر
ويغيظنا انكارهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو استهزاء قدرناها قدرنا كونها من الغابرين كقوله تعالى
قدرنا انها لمن الغابرين فالتقدير واقع على الغبور في المعنى قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير
اما يشركون امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتلو هذه الايات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شي
وحكمته وان يستفتح بتحميده والسلام على انبيائه عليهم الصلاة والسلام من الرحمن الرحيم والمصطفين من عباده وفيه تعليم
حسن وتوقيف على ادب جميل وبعث على التيمن بالذكرين والتبرك بهما والاستظهار بمكانهما على قبول ما يلقى الى السامعين
واصغائهم اليه وانزاله من قلوبهم المنزلة التي يبغيها المسمع ولقد توارث العلماء والخطباء والوعاظ كابرا عن كابر هذا
الادب فحمدوا الله وصلوا على رسوله امام كل علم مفاد وقبل كل عظة وتذكرة وفي مفتتح كل خطبة وتبعهم المترسلون
فاجروا عليه اوائل كتبهم في الفتوح والتهاني وغير ذلك من الحوادث التي لها شان وقيل هو متصل
بما قبله وامر بالتحميد على الهالكين من كفار الامم والصلوة على الانبياء واشياعهم الناجين وقيل هو خطاب للوط عليه السلام
وان يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم معلوم ان لا خير فيما اشركوه

ملاحتي بوازن بينه وبين من هو خالق كل خير ومالكه وإنما هو إلزام لهم وتبكيت وتهكم بحالهم، وذلك أنهم آثروا عبادة
الأصنام على عبادة الله ولا يؤثر عاقل شيئاً على شيء إلا لداع يدعوه إلى إيثاره من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم
بأنه لا خير فيما آثروه وأنهم لم يؤثروه لزيادة الخير ولكن هوى وعبثاً لينبهوا على الخطأ المفرط والجهل المورط وإضلالهم
التمييز ونبذهم المعقول وليعلموا أن الإيثار يجب أن يكون للخير الزائد ونحوه ما حكاه عن فرعون ف أم أنا خير من هذا
الذي هو مهين ولا يكاد يبين مع علمه أنه ليس لموسى مثل أنهاره التي كانت تجري تحته، ثم عدد سبحانه الخيرات والمنافع
التي هي آثار رحمته وفضله كما عددها في موضع آخر ثم قال هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء، وقرئ يشركون
بالياء والتاء وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قرأها قال بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم أمن خلق السموات
والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم
قوم يعدلون فإن قلت ما الفرق بين أم وأم في أما يشركون وأمن خلق قلت تلك متصلة لأن المعنى
أيهما خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة لما قال الله تعالى آلله خير أم الآلهة قال بل أمن خلق السموات والأرض خير تقريراً لهم
بأن من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء وقرأ الأعمش أمن بالتخفيف ووجهه أن يجعل بدلاً من الله كأنه قال
أمن خلق السموات والأرض خير أما تشركون فإن قلت أي نكتة في نقل الإخبار عن الغيبة إلى التكلم عن ذاته في قوله تعالى
فأنبتنا به قلت تأكيد معنى اختصاص الفعل بذاته والإيذان بأن إنبات الحدائق المختلفة الأصناف والألوان والطعوم
والروائح والأشكال مع حسنها وبهجتها بماء واحد لا يقدر عليه إلا هو وحده ألا ترى كيف رشح معنى الاختصاص بقوله تعالى ما كان
لكم أن تنبتوا شجرها ومعنى الكينونة الانبغاء أراد أن تأتي ذلك محال من غيره وكذلك قوله بل هم بعد الخطاب أبلغ في تخطئة
رأيهم والحديقة البستان عليه حائط من الإحداق وهو الإحاطة وقيل ذات لأن المعنى جماعة حدائق ذات بهجة كما يقال النساء
ذهبت والبهجة الحسن لأن الناظر يبتهج به أإله مع الله أغيره يقرن به ويجعل شريكاً له، وقرئ أإلهاً مع الله بمعنى أتدعون
أو أتشركون ولك أن تحقق الهمزتين وتوسط بينهما ألفاً وتخرج الثانية بين بين يعدلون به غيره أو يعدلون عن الحق
الذي هو التوحيد أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً أإله مع الله
بل أكثرهم لا يعلمون أمن جعل وما بعده بدل من أمن خلق فكان حكمها حكمه قراراً دحاها وسواها للاستقرار عليها حاجزاً
كقوله تعالى برزخاً الضرورة أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلاً ما تذكرون
الضرورة الحالة المحوجة إلى اللجاء والاضطرار افتعال منها يقال اضطره إلى كذا والفاعل والمفعول مضطر والمضطر الذي
أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الدهر إلى اللجاء والتضرع إلى الله تعالى وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو المجهود
وعن السدي الذي لا حول له ولا قوة وقيل المذنب إذا استغفر فإن قلت قد عم المضطرين بقوله يجيب المضطر إذا
دعاه وكم من مضطر يدعو فلا يجاب قلت الإجابة موقوفة على أن يكون المدعو به مصلحة ولهذا لا يحسن دعاء العبد
إلا شارطاً فيه المصلحة وأما المضطر فمتناول للجنس مطلقاً يصلح لكله ولبعضه فلا طريق إلى الجزم على أحدهما إلا بدليل وقد
قام الدليل على البعض وهو الذي إجابته مصلحة فبطل التناول على العموم خلفاء الأرض خلفاء فيها وذلك توارثهم
سكناها والتصرف فيها قرناً بعد قرن أو أراد بالخلافة الملك والتسلط وقرئ يذكرون بالياء مع الإدغام وبالتاء
مع الإدغام والحذف وما مزيدة أي يذكرون تذكراً قليلاً والمعنى نفي التذكر والقلة تستعمل في معنى النفي أمن يهديكم في
ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون يهديكم بالنجوم في
السماء والعلامات في الأرض إذا جن الليل عليكم مسافرين في البر والبحر أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء

ءاله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين فان قلت كيف قيل لهم امن يبدا الخلق ثم يعيده وهم منكرون
للاعادة قلت قد ازيحت علتهم بالتمكين من المعرفة والاقرار فلم يبق لهم عذر في الانكار من السماء الماء ومن الارض
النبات ان كنتم صادقين ان مع الله الها فاين دليلكم عليه قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون
ايان يبعثون فان قلت لم رفع اسم الله والله تعالى من ان يكون ممن في السموات والارض قلت جاء على لغة بني
تميم حيث يقولون ما في الدار احد الا حمار يريدون ما فيها الا حمار كان احدا لم يذكر ومنه قوله
عشية ما تغني الرماح مكانها ولا النبل الا المشرفي المصمم
وقولهم ما اتاني زيد الا عمرو وما اعانه اخوانكم الا اخوانه فان قلت ما الداعي الى اختيار التميمي
على الحجازي قلت دعت اليه نكتة سرية حيث اخرج المستثنى مخرج قوله ليس بها انيس ليؤول المعنى
الى قولك ان كان الله ممن في السموات والارض فهم يعلمون الغيب يعني ان علمهم الغيب في استحالته كاستحالة ان يكون الله
منهم كما ان معنى ما في البيت ان كانت اليعافير انيسا ففيها انيس بتا للقول بخلوها عن الانيس فان قلت هلا زعمت
ان الله ممن في السموات والارض كما يقول المتكلمون الله في كل مكان على معنى ان علمه في الاماكن كلها فكان ذاته فيها حتى لا تحمله
على مذهب بني تميم قلت يابى ذلك ان كونه تعالى في السموات والارض مجاز وكونهم فيهن حقيقة وارادة المتكلم بعبارة
واحدة حقيقة ومجازا غير صحيحة على ان قولك من في السموات والارض وجمعك بينه وبينهم في اطلاق اسم واحد فيه ايهام تسوية
والايهامات مزالة عنه تعالى وعن صفاته تعالى الا ترى كيف قال صلى الله عليه وسلم لمن قال ومن يعصهما فقد غوى
بئس خطيب القوم انت وعن ام المومنين عائشة رضي الله عنها من زعم انه يعلم ما في غد فقد اعظم على الله الفرية والله
تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وعن بعضهم اخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه احدا
لئلا يامن احد من عبيده مكره وقيل نزلت في المشركين حين سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ايان بمعنى متى ولو سمي به
لكان فعالا من آن يئين ولا انصرف وقرئ ايان بكسر الهمزة بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون
قرئ بل ادرك بل ادرك بل تدارك بل اادرك بهمزتين بل آادرك بالف بينهما بل ادرك بالتخفيف والنقل
بل ادرك بفتح اللام وتشديد الدال واصله بل ادرك على الاستفهام بل ادرك بلى ادرك ام تدارك ام ادرك فهذه
ثنتا عشرة قراءة وادارك اصله تدارك فادغمت التاء في الدال وادرك افتعل ومعنى ادرك علمهم انتهى وتكامل
وادارك تتابع واستحكم وهو على وجهين احدهما ان اسباب استحكام العلم وتكامله بان القيامة كائنة لا ريب فيها
قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وهو قوله تعالى بل هم في شك منها بل هم منها عمون
يريد المشركين ممن في السموات والارض لانهم لما كانوا في جملتهم نسب فعلهم الى الجميع كما يقال بنو فلان فعلوا كذا وانما
فعله ناس منهم فان قلت ان الاية سيقت لاختصاص الله بعلم الغيب وان العباد لا علم لهم بشيء منه
وان وقت بعثهم ونشورهم من جملة الغيب وهم لا يشعرون الغيب الكائن ووقته الذي يكون فيه فكان هذا
بيانا لعجزهم ووصفا لقصورهم فكيف لاءم هذا المعنى وصف المشركين بانكارهم البعث مع استحكام اسباب العلم والتمكن
من المعرفة فان قلت لما ذكر ان العباد لا يعلمون الغيب ولا يشعرون البعث الكائن فكيف ووقته الذي يكون
فيه وكان هذا بيانا لعجزهم ووصفا لقصور علمهم وصل به ان عندهم عجزا ابلغ منه وهو انهم يقولون للكائن
الذي لا بد ان يكون وهو وقت جزاء اعمالهم لا يكون مع ان عندهم اسباب معرفة كونه واستحكام العلم به والوجه
الثاني ان وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكم بهم كما تقول لاجهل الناس ما اعلمك على سبيل الهزء وذلك حيث

شكوا

ضلوا وعموا عن إثباته الذي الطريق إلى علمه مسلوك فضلاً أن يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق إلى معرفته وفي أدرك علمهم وادّارك
علمهم وجه آخر وهو أن يكون أدرك بمعنى انتهى وفني من قولك أدركت الثمرة لأن تلك غايتها التي عندها تعدم وقد فسره
بالحسن باضمحل علمهم وتدارك من تدارك بنو فلان إذا تتابعوا في الهلاك فإن قلت فما وجه قراءة من قرأ بل أأدرك على الاستفهام
قلت هو استفهام على وجه الإنكار لإدراك علمهم وكذلك من قرأ أم أدرك وأم تدارك لأنها أم التي بمعنى بل والهمزة
فإن قلت فمن قرأ بلى أدرك وبلى أأدرك قلت لما جاء ببلى بعد قوله وما يشعرون كان معناه
بلى يشعرون ثم فسر الشعور بقوله أدرك علمهم في الآخرة على سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم فكأنه قال
شعورهم بوقت الآخرة أنهم لا يعلمون كونها فيرجع إلى نفي الشعور على أبلغ ما يكون وأما من قرأ بلى أأدرك على الاستفهام
فمعناه بلى يشعرون متى يبعثون ثم أنكر علمهم بكونها وإذا أنكر علمهم بكونها لم يتحصل لهم شعور بوقت كونها لأن العلم بوقت وقت
الكائن تابع للعلم بكون الكائن في الآخرة في شأن الآخرة ومعناها فإن قلت هذه الإضرابات الثلاث ما معناها
قلت ما هي إلا تنزيل لأحوالهم وصفهم أولاً بأنهم لا يشعرون وقت البعث بأنهم لا يعلمون كونها وإذا أنكر علمهم بكونها
لم يتحصل لهم شعور بوقت كونها لأن العلم بوقت الكائن تابع للعلم بكون الكائن في الآخرة في شأن الآخرة ومعناها
فإن قلت هذه الإضرابات الثلاث ما معناها قلت ما هي إلا تنزيل لأحوالهم وصفهم أولاً بأنهم لا يشعرون
وقت البعث ثم بأنهم لا يعلمون أن القيامة كائنة ثم بأنهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه والإزالة مستطاعة
ألا ترى أن من لم يسمع اختلاف المذاهب وتضليل أربابها بعضهم لبعض كان أمره أهون ممن سمع بها وهو جاثم لا يشخص
به طلب التمييز بين الحق والباطل ثم بما هو أسوأ حالاً وهو العمى وأن يكون مثل البهيمة قد عكف همه على بطنه وفرجه
لا يخطر بباله حقاً ولا باطلاً ولا يفكر في عاقبة وقد جعل الآخرة مبدأ عماهم ومنشأه فلذلك عداه بمن دون عن
لأن الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي جعلهم كالبهائم لا يتدبرون ولا يتبصرون وقال الذين كفروا أإذا كنا تراباً وآباؤنا
أئنا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين العامل في إذا ما دل عليه أئنا لمخرجون
وهو نخرج لأن بين يدي عمل اسم الفاعل فيه عقاباً وهي همزة الاستفهام وإن ولام الابتداء وواحدة منها كافية فكيف إذا
اجتمعن والمراد الإخراج من الأرض أو من حال الفناء إلى الحياة وتكرير حرف الاستفهام بإدخاله على إذا وإن جميعاً
إنكار على إنكار وجحود عقيب جحود ودليل على كفر مؤكد مبالغ فيه والضمير في أئنا لهم ولآبائهم لأن كونهم تراباً قد
تناولهم وآباءهم فإن قلت قدم في هذه على نحن وآباؤنا وفي آية أخرى قدم نحن وآباؤنا على هذا قلت التقديم
دليل على أن المقدم هو الغرض المتعمد بالذكر وأن الكلام إنما سيق لأجله ففي إحدى الآيتين دل على أن اتخاذ البعث هو الذي
تعمد بالكلام وفي الأخرى على أن اتخاذ المبعوث بذلك الصدد قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين
لم تلحق علامة التأنيث بفعل العاقبة لأن تأنيثها غير حقيقي ولأن المعنى كيف كان آخر أمرهم وأراد بالمجرمين الكافرين
وإنما عبر عن الكفر بلفظ الإجرام ليكون لطفاً للمسلمين في ترك الإجرام وتخوف عاقبتها ألا ترى إلى قوله تعالى فدمدم
عليهم ربهم بذنبهم وقوله تعالى مما خطيئاتهم أغرقوا ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون ولا تحزن عليهم لأنهم
لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا وهم قومه قريش كقوله تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث
أسفاً في ضيق في حرج صدر من مكرهم وكيدهم لك ولا تبال بذلك فإن الله يعصمك من الناس يقال ضاق الشيء ضيقاً
وضيقاً بالفتح والكسر وقد قرئ بهما والضيق أيضاً تخفيف الضيّق قال الله تعالى ضيقاً حرجاً قرئ مخففاً ومثقلاً ويجوز
أن يراد في أمر ضيق من مكرهم ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي

يستعجلون استعجلوا العذاب الموعود فقيل لهم عسى أن يكون ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت اللام للتأكيد
كالباء في ولا تلقوا بأيديكم أو ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وأزف لكم ومعناه تبعكم ولحقكم وقد عدي
بمن قال • فلما ردفنا من عمير وصحبه • تولوا سراعا والمنية تعنق •
يعني دنونا من عمير • وقرأ الأعرج ردف لكم بوزن ذهب وهما لغتان والكسر أفصح وعسى ولعل
وسوف في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الأمر وجده وما لا مجال للشك بعده وإنما يعنون بذلك
إظهار وقارهم وأنهم لا يعجلون بالانتقام لإدلالهم بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم بأن عدوهم لا يفوتهم وأن
الرمزة إلى الأغراض كافية من جهتهم فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده وإن ربك لذو فضل على الناس ولكن
أكثرهم لا يشكرون الفضل والفاضلة الإفضال وجمعها فواضل يقال فلان ذو فواضل في قومه وفضول ومعناه أنه مفضل عليهم
بتأخير العقوبة وأنه لا يعاجلهم بها وأكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه ولكنهم بجهلهم يستعجلون وقوع
العقاب وهم قريش وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون قرئ تكن يقال كننت الشيء وأكننته إذا سترته
وأخفيته يعني أنه يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكايدهم وهو معاقبهم على ذلك
بما يستوجبونه وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين سمي الشيء الذي يغيب ويخفى غائبة وخافية فكانت
التاء فيهما بمنزلتها في العاقبة والعافية ونظيرهما النطيحة والرمية والذبيحة في أنها أسماء غير صفات ويجوز
أن يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة كالراوية في قولهم • ويل للشاعر من راوية السوء كأنه قال
وما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء إلا وقد علمه الله وأحاط به وأثبته في اللوح والمبين الظاهر البين لمن ينظر
فيه من الملائكة إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين قد
اختلفوا في المسيح فتحزبوا فيه أحزابا ووقع بينهم التناكر في أشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن ببيان
ما اختلفوا فيه لو أنصفوا وأخذوا به وأسلموا يريد اليهود والنصارى للمؤمنين لمن أنصف منهم وآمن أي من بني إسرائيل أو منهم
ومن غيرهم إن ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم بينهم وبين من آمن بالقرآن ومن كفر به فإن قلت ما معنى يقضي
بحكمه ولا يقال زيد يضرب بضربه ويمنع بمنعه قلت معناه بما يحكم به وهو عدله لأنه لا يقضي إلا بالعدل فسمى المحكوم
به حكما أو أراد بحكمته وتدل عليه قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمة وهو العزيز فلا يرد قضاؤه والعليم بمن يقضي له وبمن يقضي
عليه أو العزيز في انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين المحقين فتوكل على الله إنك على الحق المبين أمره بالتوكل
على الله وقلة المبالاة بأعداء الدين وعلل التوكل على الحق الأبلج الذي لا يتعلق به الشك والظن وفيه بيان أن صاحب
الحق حقيق بالوثوق بصنع الله وبنصرته وأن مثله لا يخذل إنك على الحق المبين لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء
إذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون فإن قلت
إنك لا تسمع الموتى يشبه أن يكون تعليلا آخر للتوكل فما وجه ذلك قلت وجهه أن الأمر بالتوكل
جعل مسببا عما كان يغيظ رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة المشركين وأهل الكتاب من ترك اتباعه
وتشييع ذلك بالعداوة والأذى فلاءم ذلك أن يعلل توكل متوكل مثله بأن اتباعهم أمر قد يئس منه فلم يبق
إلا الاستنصار عليهم لعداوتهم واستكفاء شرورهم وأذاهم وشبهوا بالموتى وهم أحياء صحاح الحواس لأنهم
إذا سمعوا ما يتلى عليهم من آيات فكانوا أقماع القول لا تعيه آذانهم وكان سماعهم كلا سماع كانت حالهم لانتفاء
جدوى السماع كحال الموتى الذين فقدوا مصحح السماع وكذلك تشبيههم بالصم الذين ينعق بهم فلا يسمعون وشبهوا

بالعمي

بالعمى حيث يضلون الطريق ولا يقدر أحد أن ينزع ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصراء إلا الله عز وجل فإن قلت
ما معنى قوله تعالى إذا ولوا مدبرين قلت هو تأكيد لحال الأصم لأنه إذا تباعد عن الداعي بأن يولي عنه مدبرا
وبعدا عن الضلال كان أبعد عن إدراك صوته وقرئ ولا يسمع الصم وما أنت بهادي العمي على الإضافة وتهدي
العمي وعن ابن مسعود رضي الله عنه وما إن تهدي العمي هداهم عن الضلالة لقولك سقاه عن العيمة أي أبعده عنها
بالسقي وأبعده عن الضلالة بالهدى إن تسمع أي ما يجدي إسماعك إلا على الذين علم الله أنهم يؤمنون بآياتنا أي يصدقون
بها فهم مسلمون أي مخلصون من قوله تعالى بلى من أسلم وجهه لله يعني جعله سالما لله خالصا له وإذا وقع القول
عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون سمي معنى القول ومؤداه بالقول
وهو ما وعدوا به من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله والمراد مشارفة الساعة وظهور أشراطها وحين
لا تنفع التوبة ودابة الأرض الجساسة جاء في الحديث أن طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب
وروي لها أربع قوائم وزغب وريش وجناحان وعن ابن جريج في وصفها رأس ثور وعين خنزير
وأذن فيل وقرن أيل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هر وذنب كبش وخف بعير
وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع آدم عليه الصلاة والسلام وروي لا تخرج إلا رأسها ورأسها يبلغ
عنان السماء أو يبلغ السحاب وعن أبي هريرة رضي الله عنه فيها من كل لون وما بين قرنيها فرسخ للراكب
وعن الحسن رضي الله عنه لا يتم خروجها إلا بعد ثلاثة أيام وعن علي كرم الله وجهه أنها تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون
فلا يخرج إلا ثلثها وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل من أين تخرج الدابة فقال من أعظم المساجد حرمة على
الله يعني المسجد الحرام وروي أنها تخرج ثلاث خرجات تخرج بأقصى اليمن ثم تكمن دهرا طويلا فبينا الناس في أعظم
المساجد حرمة وأكرمها على الله فما يهولهم إلا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من
المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وقيل تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية بلسان ذلق فتقول إن الناس
كانوا بآياتنا لا يوقنون يعني أن الناس كانوا لا يوقنون بخروجي لأن خروجها من الآيات وتقول ألا لعنة الله على
الظالمين وعن السدي تكلمهم ببطلان الأديان كلها سوى دين الإسلام وعن ابن عمر رضي الله عنهما تستقبل
المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل المشرق ثم الشام ثم اليمن فتفعل مثل ذلك وروي تخرج من أجياد
وروي بينا عيسى عليه الصلاة والسلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذ تضطرب الأرض تحتهم تحرك القنديل
وينشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصى موسى عليه الصلاة والسلام وخاتم سليمان فتضرب
المؤمن في مسجده أو فيما بين عينيه بعصى موسى فتنكت نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة في وجهه حتى يضيء لها
وجهه أو فتترك وجهه كأنه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم في أنفه فتفشو
النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر وروي فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتخطم أنف الكافر
بالخاتم ثم تقول لهم يا فلان أنت من أهل الجنة ويا فلان أنت من أهل النار وقرئ تكلمهم من الكلم وهو الجرح
والمراد به الوسم بالعصا والخاتم ويجوز أن يكون تكلمهم من الكلم أيضا على معنى التكثير يقال فلان مكلم أي مجرح
ويجوز أن يكون أن يستدل بالتخفيف على أن المراد بالتكليم التجريح كما فسر لنحرقنه بقراءة علي كرم الله وجهه
لنحرقنه وأن يستدل بقراءة أبي تنبئهم وبقراءة ابن مسعود رضي الله عنه تكلمهم بأن الناس على أنه من الكلام
والقراءة بأن مكسورة حكاية لقول الدابة إما لأن الكلام بمعنى القول أي تقول الدابة ذلك فإن قلت إذا كا

حكاية لقول الدابة فكيف تقول بآياتنا قلت قولها حكاية لقول الله تعالى او على معنى بآيات ربنا او لاختصاصها بالله
وأثرتها عند الله تعالى وانها من خواص خلقه اضافت آيات الله الى نفسها كما يقول بعض خاصة الملك خيلنا وبلادنا
وانما هي خيل مولاه وبلاده ومن قرأ بالفتح فعلى حذف الجار اي تكلمهم بأن ويوم نحشر من كل امة فوجا
ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون فهم يوزعون يحبس اولهم على آخرهم حتى يجتمعوا فيكبكبوا في النار وهذه عبارة
عن كثرة العدد وتباعد اطرافه كما وصفت جنود سليمان بذلك وكذلك قوله فوجا فان الفوج الجماعة الكثيرة
ومنه قوله تعالى يدخلون في دين الله افواجا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ابو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن
ربيعة يساقون بين يدي اهل مكة وكذلك يحشر قادة سائر الامم بين ايديهم الى النار فان قلت اي فرق
بين من الاولى والثانية قلت الاولى للتبعيض والثانية للتبيين كقوله تعالى من الاوثان حتى اذا جاءوا قال أكذبتم
بآياتي ولم تحيطوا بها علما اماذا كنتم تعملون ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون الواو للحال كأنه
قال اكذبتم بها بادي الرأي من غير فكر ولا نظر يؤدي الى احاطة العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق او بالتكذيب
او للعطف اي اجحدتموها ومع جحودكم لم تلقوا اذهانكم لتحققها وتبصرها فان المكتوب اليه قد يجحد ان يكون الكتاب
من عند من كتبه ولا يدع مع ذلك ان يقرأه ويتفهم مضامينه ويحيط بمعانيه ام ماذا كنتم تعملون بها للتبكيت
لا غير وذلك انهم لم يعملوا الا التكذيب فلا يقدرون ان يكذبوا ويقولوا قد صدقنا بها وليس الا التصديق بها
او التكذيب ومثاله ان تقول لراعيك وقد علمته راعي سوء أتأكل نعمي ام ماذا تعمل بها فتجعل ما ابتدأت به
وجعلته اصل كلامك واساسه هو الذي صح عندك من اكله وفساده وترمي بقولك ام ماذا تعمل بها مع علمك انه لا يعمل
بها الا الاكل لتبهته وتعلمه علمك بانه لا يجيء منه الا اكلها وانه لا يقدر ان يدعي الحفظ والاصلاح لما شهر من خلاف
ذلك او اراد اما كان لكم عمل في الدنيا الا الكفر والتكذيب بآيات الله ام ماذا كنتم تعملون من غير ذلك يعني انه لم يكن لكم عمل
غيره كأنهم لم يخلقوا الا للكفر والمعصية وانما خلقوا للايمان والطاعة يخاطبون بهذا قبل كبهم في النار ثم يكبون فيها وذلك
قوله ووقع القول عليهم يريد ان العذاب الموعود يغشاهم بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار
كقوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ألم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون
جعل الابصار للنهار وهو لاهله فان قلت ما للتقابل لم يراع في قوله ليسكنوا ومبصرا حيث كان احدهما علة والآخر حالا
قلت هو مراعى من حيث المعنى وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف لان معنى مبصرا ليبصروا فيه طرق التقلب في المكاسب
ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله وكل أتوه داخرين فان قلت لم قيل ففزع
دون فيفزع قلت لنكتة وهي الاشعار بتحقق الفزع وثبوته وانه كائن لا محالة واقع على اهل السموات
والارض لان الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به والمراد فزعهم عند النفخة الاولى حين يصعقون الا من
شاء الا من ثبت الله قلبه من الملائكة جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت عليهم الصلاة والسلام وقيل الشهداء
وعن الضحاك الحور وخزنة النار وحملة العرش وعن جابر رضي الله عنه منهم موسى لانه صعق مرة ومثله قوله عز وجل
ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله وقرئ أتوه وأتاه ودخرين فالجمع على المعنى والتوحيد
على اللفظ والداخر والدخر الصاغر وقيل معنى الاتيان حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية ويجوز ان يراد رجوعهم
الى امره وانقيادهم له وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون
جامدة من جمد في مكانه اذا لم يبرح تجمع الجبال فتسير كما تسير الريح السحاب فاذا نظر اليها الناظر حسبها واقفة

ثابتة في مكان واحد وهي تمر مر السحاب مراً حثيثاً كما يمر السحاب وهكذا الأجرام العظام المتكاثرة العدد
إذا تحركت لا تكاد تتبين حركتها كما قال النابغة في صفة جيش

بأرعن مثل الطود تحسب أنهم ● وقوف لحاج والركاب تهملج

صنع الله من المصادر المؤكدة كقوله تعالى وعد الله وصبغة الله إلا أن مؤكده محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ
والمعنى ويوم ينفخ في الصور فكان كيت وكيت أثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين ثم قال صنع الله يريد به
الإثابة والمعاقبة وجعل هذا الصنع من جملة الأشياء التي أتقنها وأتى بها على الحكمة والصواب حيث قال صنع الله
الذي أتقن كل شيء يعني أن مقابلته الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب من جملة إحكامه للأشياء وإتقانه لها
وإجرائه لها على قضايا الحكمة أنه عالم بما يفعل العباد وبما يستوجبون عليه فيكافئهم على حسب ذلك بقوله من جاء
بالحسنة إلى آخر الآيتين فانظر إلى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانة إضماره ورصانة تفسيره وأخذ
بعضه بحجزة بعض كأنما أفرغ إفراغاً واحداً ولأمر ما أعجز القوى وأخرس الشقاشق ونحو هذا المصدر إذا جاء
عقيب كلام جاء كالشاهد بصحته والمنادي على سداده وأنه ما كان ينبغي أن يكون إلا كما قد كان ألا ترى إلى قوله
تعالى صنع الله وصبغة الله ووعد الله وفطرة الله بعد ما وسمها بإضافتها إليه بسمة التعظيم كيف تلاها بقوله
الذي أتقن كل شيء ومن أحسن من الله صبغة إن الله لا يخلف الميعاد لا تبديل لخلق الله وقرئ تفعلون على الخطاب
من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون فله خير منها يريد الأضعاف وأن العمل يتقضى
والثواب يدوم وشتان ما بين فعل العبد وفعل السيد وقيل فله خير منها أي له خير حاصل من جهتها وهو الجنة
وعن ابن عباس رضي الله عنهما كلمة الشهادة وقرئ يومئذ مفتوحاً مع الإضافة لأنه أضيف إلى غير متمكن ومنصوباً
مع تنوين فزع فإن قلت ما الفرق بين الفزعين قلت الفزع الأول هو ما لا يخلو منه أحد عند الإحساس
بشدة تقع وهول يفجأ من رعب وهيبة وإن كان المحسن يأمن لحاق الضرر به كما يدخل الرجل على الملك بصدر
هياب وقلب وجاب وإن كانت ساعة إعزاز وتكرمة وإحسان وتولية وأما الثاني فالخوف من العذاب فإن قلت
فمن قرأ من فزع بالتنوين ما معناه قلت يحتمل معنيين من فزع واحد وهو خوف العقاب وأما ما يلحق
الإنسان من التهيب والرعب لما يرى من الأهوال والعظائم فلا يخلون منه لأن البشرية تقتضي ذلك وفي الأخبار
والآثار ما يدل عليه ومن فزع شديد مفرط الشدة لا يكتنهه الوصف وهو خوف النار أمن يعدى بالجار وبنفسه
كقوله تعالى أفأمنوا مكر الله والرقبة وكأنه قيل كبوا في النار كقوله تعالى فكبكبوا فيها ويجوز أن يكون ذكر
الوجوه إيذاناً بأنهم يكبون على وجوههم فيها منكوسين هل تجزون يجوز فيه الالتفات وحكاية ما يقال لهم عند
الكب بإضمار القول إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وأمرت أن أكون من المسلمين وأن
أتلو القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين أمر رسوله عليه الصلاة
والسلام بأن يقول أمرت أن أخص الله وحده بالعبادة ولا أتخذ له شريكاً كما فعلت قريش وأن أكون من الحنفاء
الثابتين على ملة الإسلام وأن أتلو القرآن من التلاوة أو التلو كقوله عز وجل واتبع ما يوحى إليك والبلدة
مكة حرسها الله اختصها من بين سائر البلاد بإضافة اسمه إليها لأنها أحب بلاده إليه وأكرمها عليه وأعظمها
عنده وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج في مهاجره فلما بلغ الحزورة استقبلها بوجهه الكريم
فقال إني أعلم أنك أحب بلاد الله ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت وأشار إليها إشارة تعظيم لها وتقريب

وله كلهم ح

دالًا على أنها موطن نبيه ومهبط وحيه ووصف ذاته بالتحريم الذي هو خاص وصفها فأجزل بذلك قسمها في الشرف
والعلو ووصفها بأنها محرمة لا ينتهك حرمتها إلا ظالم مضاد لربه ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم
لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها واللاجئ إليها آمن وجعل دخول كل شيء تحت ربوبيته
وملكوته كالتابع لدخولها تحتهما وفي ذلك إشارة إلى أن ملكا ملك مثل هذه البلدة عظيم الشأن قد ملكها وملك
إليها كل شيء اللهم بارك لنا في سكناها وآمنا فيها شر كل ذي شر ولا تنقلنا من جوار بيتك إلا إلى دار رحمتك
وثق بحرمتها وأتل عليهم هذا القرآن عن أبيّ رضي الله عنه وأن أتل عن ابن مسعود رضي الله عنه لمن اهتدى
باتباعه إياي فيما أنا بصدده من توحيد الله ونفي الأنداد عنه والدخول في الملة الحنيفية واتباع ما أنزل علي من
الوحي فمنفعة اهتدائه راجعة إليه لا إلي ومن ضل ولم يتبعني فلا علي وما أنا إلا رسول منذر وما على
الرسول إلا البلاغ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون ثم أمره أن يحمد الله
على ما خوله من نعمة النبوة التي لا توازيها نعمة وأن يهدد أعداءه بما سيريهم الله من آياته التي تلجئهم إلى المعرفة
والإقرار بأنها آيات الله وذلك حين لا تنفعهم المعرفة يعني في الآخرة عن الحسن وعن الكلبي رحمة الله عليهما
الدخان وانشقاق القمر وما حل بهم من نقمات الله في الدنيا وقيل هو كقوله تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق
وفي أنفسهم الآية وكل عمل يعملونه فإن الله عالم به غير غافل عنه لأن الغفلة والسهو لا يجوزان على عالم
الذات وهو من وراء جزاء العاملين قرئ تعملون بالياء والتاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
طس سليمان كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود وشعيب وصالح وإبراهيم و
يخرج من قبره وهو ينادي لا إله إلا الله ر صدق رسول الله وهو أصدق من الصادقين

سورة القصص مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي ثمان وثمانون آية

طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون من نبإ موسى وفرعون
مفعول نتلوا أي نتلو عليك بعض خبرهما بالحق محقين كقوله تعالى تنبت بالدهن لقوم يؤمنون لمن سبق في علمنا
أنه يؤمن لأن التلاوة إنما تنفع هؤلاء دون غيرهم إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف
طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين إن فرعون جملة مستأنفة كالتفسير للمجمل كأن
قائلا قال وكيف كان نبؤهما فقال إن فرعون علا في الأرض يعني مملكته قد طغى فيها وجاوز الحد في الظلم
والعسف وشيعا فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك أحد منهم أن يلوي عنقه قال الأعشى

وبلدة يرهب الجواب دلجتها ... حتى تراه عليها يبتغي الشيعا

أو يشيع بعضهم بعضا في طاعته أو أصنافا في استخدامه يسخر صنفا في بناء وصنفا في حرث وصنفا في حفر
ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية أو فرقا مختلفة قد أغرى بينهم العداوة وهم بنو إسرائيل والقبط والطائفة
المستضعفة بنو إسرائيل وسبب ذبح الأبناء أن كاهنا قال له يولد مولود في بني إسرائيل يذهب ملكك على
يده وفيه دليل بين على ثخانة حمق فرعون فإنه إن صدق الكاهن لم يدفع القتل الكائن وإن كذب فما
وجه القتل ويستضعف حال من الضمير في وجعل أو صفة لشيعا أو كلام مستأنف ويذبح بدل من يستضعف وقوله

أنه كان من المفسدين بيان أن القتل ما كان إلا فعل المفسدين محضاً لأنه فعل لا طائل تحته صدق الكاهن أو كذب ونريد أن نمن
على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين فإن قلت علام عطف قوله تعالى ونريد أن نمن
وعطفه على نتلو ويستضعف غير سديد قلت هي جملة معطوفة على قوله تعالى إن فرعون علا في الأرض لأنها
نظيرة تلك في وقوعها تفسيراً لنبأ موسى وفرعون واقتصاصاً له ونريد حكاية حال ماضية ويجوز أن يكون حالاً
من يستضعف أي يستضعفهم فرعون ونحن نريد أن نمن عليهم فإن قلت كيف يجتمع استضعافهم وإرادة الله المنة
عليهم وإذا أراد الله شيئاً كان ولم يتوقف إلى وقت آخر قلت لما كانت منة الله بخلاصهم من فرعون قريبة
الوقوع جعلت إرادة وقوعها كأنها مقارنة لاستضعافهم أئمة مقدمين في الدين والدنيا يطأ الناس أعقابهم
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قادة يقتدى بهم في الخير وعن مجاهد دعاة إلى الخير وعن قتادة ولاة كقوله تعالى
وجعلكم ملوكاً الوارثين يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون
وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون مكن له إذا جعل له مكاناً يقعد عليه أو يرقد فوطأه ومهده
ونظيره أرض له ومعنى التمكين لهم في الأرض وهي أرض مصر والشام أن نجعلها بحيث لا تنبو بهم ولا تغث عليهم
كما كانت في أيام الجبابرة وننفذ أمرهم ونطلق أيديهم ونسلطهم ونري فرعون وهامان وجنودهما يرون
منهم ما كانوا يحذرون من ذهاب ملكهم وهلكهم على يد مولود منهم وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت
عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين اليم البحر قيل هو نيل مصر
فإن قلت ما المراد بالخوفين حتى أوجب أحدهما ونهى عن الآخر قلت أما الأول فالخوف عليه من القتل
لأنه كان إذا صاح خافت أن يسمع الجيران صوته فينموا عليه وأما الثاني فالخوف عليه من الغرق ومن الضياع ومن الوقوع
في يد بعض العيون المبثوثة من قبل فرعون في تطلب الولدان وغير ذلك من المخاوف فإن قلت ما الفرق
بين الخوف والحزن قلت الخوف غم يلحق الإنسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والإخطار
به فنهيت عنهما جميعاً وأومنت بالوحي إليها ووعدت ما يسليها ويطامن قلبها ويملؤها غبطة وسروراً وهو
رده إليها وجعله من المرسلين وروي أنه ذبح في طلب موسى عليه الصلاة والسلام تسعون ألف وليد وروي أنها
حين أقربت وضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى بني إسرائيل مصافية لها فقالت لينفعني حبك اليوم
فعالجتها فلما وقع إلى الأرض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه قلبها فقالت ما جئتك إلا
لأقتل مولودك وأخبر فرعون ولكني وجدت لابنك حباً ما وجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون
فلفته في خرقة ووضعته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فلم يجدوا شيئاً فخرجوا وهي لا تدري
مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت إليه وقد جعل الله النار عليه برداً وسلاماً فلما ألح فرعون في
طلب الولدان أوحى الله إليها فألقته في اليم وقد روي أنها أرضعته ثلاثة أشهر في تابوت من بردي مطلي
بالقار من داخله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين
اللام في ليكون التي معناها التعليل كقولك جئتك لتكرمني ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون
الحقيقة لأنه لم يكن داعيهم إلى الالتقاط أن يكون لهم عدواً وحزناً ولكن المحبة والتبني غير أن ذلك لما كان
نتيجة التقاطهم له وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لأجله وهو الإكرام الذي هو نتيجة المجيء والتأدب
الذي هو ثمرة الضرب في قولك ضربته ليتأدب وتحريره أن هذه اللام حكمها حكم الأسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل

كما يستعار الأسد لمن يشبه الأسد • وقرئ وحزنا وهما لغتان كالعدم والعدم • كانوا خاطئين في كل شيء فليس خطأهم في
تربية عدوهم ببدع منهم أو كانوا مذنبين مجرمين فعاقبهم الله بأن ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على أيديهم •
وقرئ خاطين تخفيف خاطئين الصواب إلى الخطأ • وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا
أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون روي أنهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فأعياهم
فدنت آسية رضي الله عنها فرأت في جوف التابوت نورا فعالجته ففتحته فإذا بصبي نور بين عينيه وهو يمص إبهامه
لبنا فأحبوه • وكانت لفرعون بنت برصاء وقالت إن هذه لنسمة مباركة فهذا أحد ما عطفهم عليه فقال الغواة من
قومه هو الصبي الذي نحذر منه فأذن لنا في قتله فهم بذلك فقالت آسية رضي الله عنها قرة عين لي ولك فقال
فرعون لك لا لي وروي في حديث لو قال هو قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها وهذا على سبيل الفرض والتقدير أي لو كان
غير مطبوع على قلبه كآسية لقال مثل قولها ولأسلم كما أسلمت هذا إن صح الحديث تأويله والله أعلم بصحته • وروي
أنها قالت له لعله من قوم آخرين ليس من بني إسرائيل قرة عين لي خبر مبتدأ محذوف ولا يقوى أن تجعله مبتدأ
ولا تقتلوه خبرا ولو نصب لكان أقوى • وقراءة ابن مسعود رضي الله عنه دليل على أنه خبر قرأ لا تقتلوه قرة
عين لي ولك بتقديم لا تقتلوه • عسى أن ينفعنا فإن فيه مخايل اليمن ودلائل النفع لأهله وذلك لما عاينت من النور
وارتضاع الإبهام وبرء البرصاء ولعلها توسمت في سيماه النجابة المؤذنة بكونه نفاعا أو نتبناه فإنه أهل
للتبني ولأن يكون ولدا لبعض الملوك فإن قلت وهم لا يشعرون حال فما ذو حالها قلت ذو حالها آل فرعون
وتقدير الكلام فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأة فرعون كذا وهم لا يشعرون أنهم على خطأ عظيم
في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه • وقوله إن فرعون الآية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف
عليه مؤكدة لمعنى خطئهم وما أحسن نظم هذا الكلام عند المرتاض بعلم محاسن النظم وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت
لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين فارغا صفرا من العقل والمعنى أنها حين سمعت بوقوعه في يد
فرعون طار عقلها لما دهمها من فرط الجزع والدهش ونحوه قوله سبحانه وتعالى وأفئدتهم هواء أي جوف لا عقول
فيها • ومنه بيت حسان •

• ألا أبلغ أبا سفيان عني • فأنت مجوف نخب هواء •

وذلك أن القلوب مراكز العقول ألا ترى إلى قوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها ويدل عليه قراءة من قرأ
فرغا وقرئ قرعا أي خاليا من قولهم أعوذ بالله من صفر الإناء • وقرع الفناء • وفرغا من قولهم •
• دماؤهم بينهم فرغ • أي هدر يعني بطل قلبها • وذهب وبقيت لا قلب لها من شدة
ما ورد عليها لتبدي به لتصحر به والضمير لموسى والمراد بأمره وقصته وأنه ولدها لولا أن ربطنا على
قلبها بإلهام الصبر كما يربط على الشيء المنفلت ليقر ويطمئن لتكون من المؤمنين من المصدقين بوعد الله وهو
قوله تعالى إنا رادوه إليك • ويجوز وأصبح فؤادها فارغا من الهم حين سمعت أن فرعون عطف عليه وتبناه
إن كادت لتبدي بأنه ولدها لأنها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت لولا أنا طامنا قلبها وسكنا
قلقه الذي حدث به من شدة الفرح والابتهاج لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا بتبني
فرعون وتعطفه • وقرئ موسى بالهمز جعلت الضمة في جار الواو وهي الميم كأنها فيها أي نظرت
إليه فهمزت كما تهمز واو وجوه وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون قصيه

اتبعي

اتبعي اثره وتتبعي خبره وقرئ فبصرت بالكسر يقال بصرت به عن جنب وعن جنابة بمعنى عن بعد وقرئ عن جانب
وعن جنب والجنب الجانب يقال قعد الى جنبه والى جانبه اي نظرت اليه مزورة متجانفة مخاتلة وهم لا يحسون
بانها اخته وكان اسمها مريم وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم
وهم له ناصحون التحريم استعارة للمنع لان من حرم عليه الشيء فقد منعه الا ترى الى قولهم محظور وحجر
وذلك لانه منعه ان يرضع ثديا فكان لا يقبل ثدي مرضع قط حتى اهمهم ذلك • والمراضع جمع مرضع وهي المراة
التي ترضع او جمع مرضع وهو موضع الرضاع يعني الثدي او الرضاع من قبل من قبل قصصها اثره • روي انها لما قالت
وهم له ناصحون قال هامان انها لتعرفه وتعرف اهله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون • والنصح اخلاص
العمل من شائب الفساد فانطلقت الى امها بامرهم فجاءت بها والصبي على يد فرعون يعلله شفقة عليه وهو
يبكي يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن انت منه فقد ابى كل
ثدي الا ثديك فقالت اني امراة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها واجرى عليها
وذهبت به الى بيتها وانجز الله وعده في الرد فعندها ثبت واستقر في علمها ان سيكون نبيا وذلك قوله
تعالى ولتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثر الناس لا يعلمون يريد وليثبت علمها ويتمكن فان قلت كيف
حل لها ان تاخذ الاجر على ارضاع ولدها قلت ما كانت تاخذه على انه اجر الرضاع ولكنه مال حربي كانت
تاخذه على وجه الاستباحة وقوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون داخل تحت علمها المعنى لتعلم ان وعد الله حق
ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه حق فيرتابون ويشبه التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى عليه الصلاة والسلام
فجزعت واصبح فؤادها فارغا يروى انها حين القت التابوت في اليم جاءها الشيطان فقال لها يا ام موسى كرهت
ان يقتل فرعون موسى فتوجري ثم ذهبت فتوليت قتله فلما اتاها الخبر بان فرعون اصابه قالت وقع في يد
العدو فنسيت وعد الله ويجوز ان يتعلق ولكن بقوله ولتعلم ومعناه ان الرد انما كان لهذا الغرض الديني
وهو علمها بصدق وعد الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون بان هذا هو الغرض الاصلي الذي ما سواه تبع له من قرة العين
وذهاب الحزن ولما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين واستوى واعتدل وتم
استحكامه وبلغ المبلغ الذي هو لا يزاد عليه كما قال

لقيط: واستحملوا امركم لله دركم • شزر المريرة لا قحما ولا ضرعا •

وذلك اربعون سنة • ويروى انه لم يبعث نبي الا على راس اربعين سنة • العلم التوراة والحكم السنة وحكمة
الانبياء سنتهم قال الله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة وقيل معناه آتيناه
سيرة الحكماء العلماء وسمتهم قبل البعث فكان لا يفعل فعلا يستجهل فيه ودخل المدينة على حين غفلة
من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته
على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين قال رب اني ظلمت
نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم المدينة مصر وقيل مدينة منف من ارض مصر وحين غفلتهم
ما بين العشاءين • وقيل وقت القائلة وقيل يوم عيد لهم هم مشتغلون فيه بلهوهم وقيل لما شب وعقل
اخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فخافوه فلا يدخل قرية الا على تغفل وقرا سيبويه فاستعانه من شيعته ممن شايعه
على دينه من بني اسرائيل وقيل هو السامري من عدوه من مخالفيه من القبط وهو فاتون وكان يتسخر الاسرائيلي

لحمل الحطب الى مطبخ فرعون • والوكز الدفع باطراف الاصابع وقيل بجمع الكف • وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه
فلكزه موسى باللام فقضى عليه فقتله فان قلت لم جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه
قلت لانه قتله قبل ان يؤذن له في القتل فكان ذنبا يستغفر منه • وعن ابن جريج ليس لنبي ان يقتل ما لم يؤمر
قال رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين بما انعمت علي من المغفرة فلن اكون ان عصمتني ظهيرا للمجرمين
واراد بمظاهرة المجرمين اما صحبة فرعون وانتظامه في جملته • وتكثيره سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد
مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون • واما مظاهرة من ادت مظاهرته الى الجرم والاثم كمظاهرة الاسرائيلي المؤدية
الى القتل الذي لم يحل له • وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يستثن فابتلي به مرة اخرى يعني لم يقل فلن اكون ان شاء
الله وهذا نحو قوله عز وجل ولا تركنوا الى الذين ظلموا وعن عطاء رحمه الله عليه ان رجلا قال له ان اخي يضرب بقلمه ولا يعدو
رزقه قال فمن الراس يعني من يكتب له قال خالد بن عبد الله القسري قال فاين قول موسى وتلا هذه الآية وفي الحديث
ينادي مناد يوم القيمة اين الظلمة واشباه الظلمة واعوان الظلمة حتى من لاق لهم دواة او برى لهم قلما •
فيجمعون في تابوت من حديد فيرمى به في جهنم • وقيل معناه بما انعمت علي من القوة فلن استعملها الا في مظاهرة
اوليائك واهل طاعتك والايمان بك ولا ادع قبطيا يغلب احدا من بني اسرائيل فاصبح في المدينة خائفا يترقب
فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى انك لغوي مبين يترقب المكروه وهو الاستقادة منه
او الاخبار وما يقال فيه • ووصف الاسرائيلي بالغي لانه كان سبب قتل رجل وهو يقاتل آخر فلما ان اراد ان يبطش
بالذي هو عدو لهما قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض
وما تريد ان تكون من المصلحين وقرئ يبطش بالضم والذي هو عدو لهما القبطي لانه ليس على دينهما ولان القبط
كانوا اعداء بني اسرائيل والجبار الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم لا ينظر في العواقب ولا
يدفع بالتي هي احسن وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لامر الله ولما قال هذا افشى على موسى فانتشر الحديث في المدينة ورقي
الى فرعون وهموا بقتله وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من
الناصحين قيل الرجل مؤمن آل فرعون وكان ابن عم فرعون ويسعى يجوز ارتفاعه وصفا لرجل وانتصابه حالا عنه
لانه قد تخصص بان وصف بقوله من اقصى المدينة واذا جعل صفة لجاء لم يجز فيه الا الوصف والائتمار التشاور
يقال الرجلان يتآمران ويأتمران لان كل واحد منهما يأمر صاحبه بشيء او يشير عليه بامر والمعنى يتشاورون
بسببك لك بيان وليس بصلة الناصحين فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين ولما توجه
تلقاء مدين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل يترقب التعرض له في الطريق او ان يلحق وتلقاء مدين قصدها
ونحوها ومدين قرية شعيب عليه الصلاة والسلام سميت بمدين بن ابرهيم ولم تكن في سلطان فرعون وبينها
وبين مصر ثمان • وكان موسى عليه الصلاة والسلام لا يعرف اليها الطريق قال ابن عباس رضي الله عنهما خرج •
وليس له علم بالطريق الا حسن ظنه بربه وسواء السبيل وسطه ومعظم نهجه • وقيل خرج حافيا لا يعيش
الا بورق الشجر فما وصل حتى سقط خف قدمه وقيل جاءه ملك على فرس بيده عنزة فانطلق به الى مدين ولما ورد
ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون ماء مدين ماؤهم الذي يستقون منه وكان بئرا فيما روي ووروده
مجيئه والوصول اليه وجد عليه فوق شفيره ومستقاه امة جماعة كثيفة العدد من الناس من اناس
مختلفين ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وابونا

شيخ كبير من دونهم في مكان أسفل من مكانهم والذود الطرد والدفع وإنما كانتا تذودان لأن على الماء من هو أقوى
منهما فلا تتمكنان من السقي وقيل كانتا تكرهان المزاحمة على الماء وقيل لئلا تختلط أغنامهما بأغنامهم وقيل
تذودان عن وجوههما نظر الناظر لتسترهما قال ما خطبكما ما شأنكما وحقيقته ما مخطوبكما من الذياد فسمي المخطوب
خطبا كما سمي المشؤن شأنا في قولك ما شأنك يقال شأنت شأنه أي قصدت قصده وقرئ لا نُسقي ويُصدر الرعاء
بضم النون والياء والرعاء اسم جمع كالرخال والثناء وأما الرعاء بالكسر فكصيام وقيام وكبير كبير السن فسقى
لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير فسقى لهما غنمهما لأجلهما وروي أن الرعاء كانوا يضعون
على رأس البئر حجرا لا يقله إلا سبعة رجال وقيل عشرة وقيل مائة فأقله وحده وروي أنه سألهم دلوا من ماء
فأعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكانت لا ينزعها إلا أربعون فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة وروى
غنمهما وأصدرهما وروي أنه دفعهم عن الماء حتى سقى لهما وقيل كانت بئرا أخرى عليها الصخرة وإنما فعل هذا
رغبة في المعروف وإغاثة للملهوف والمعنى أنه وصل إلى ذلك الماء وقد ازدحمت عليه أمة من الناس مختلفة
متكاثفة العدد ورأى الضعيفتين من ورائهم مع غنيمتهما مترقبتين لفراغهم فما أخطأت همته في دين الله
تعالى تلك الفرصة مع ما كان به من النصب وسقوط خف القدم والجوع ولكنه رحمهما فأغاثهما وكفاهما أمر
السقي في مثل تلك الزحمة بقوة قلبه وقوة ساعده وما آتاه الله من الفضل في متانة الفطرة ورصانة الجبلة
وفيه مع إرادة اقتصاص أمره وما أوتي من البطش والقوة وما لم يغفل عنه على ما كان به من انتهاز فرصته
لاحتساب ترغيب في الخير وانتهاز فرصه وبعث على الاقتداء في ذلك بالصالحين والأخذ بسيرهم ومذاهبهم
فإن قلت لم ترك المفعول غير مذكور في قوله تعالى يسقون وتذودان ولا نسقي قلت لأن الغرض
هو الفعل لا المفعول ألا ترى أنه إنما رحمهما لأنهما كانتا على الذياد وهم على السقي ولم يرحمهما لأن مذودهما غنم
ومسقيهم إبل مثلا وكذلك قولهما لا نسقي حتى يصدر الرعاء المقصود فيه السقي لا المسقي فإن قلت كيف طابق
جوابهما سؤاله قلت سألهما عن سبب الذود فقالتا السبب في ذلك أنا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر
على مساجلة الرجال ومن ازدحامهم فلا بد لنا من تأخير السقي إلى أن يفرغوا وما لنا رجل يقوم بذلك وأبونا
شيخ قد أضعفه الكبر فلا يصلح للقيام أبلتا إليه عذرهما في توليهما السقي بأنفسهما فإن قلت كيف ساغ
لنبي الله الذي هو شعيب عليه الصلاة والسلام أن يرضى لابنتيه بسقي الماشية قلت الأمر في نفسه ليس
بمحظور فالدين لا يأباه وأما المروءة فالناس مختلفون في ذلك والعادات متباينة فيه وأحوال العرب فيه
خلاف أحوال العجم ومذهب أهل البدو فيه غير مذهب أهل الحضر خصوصا إذا كانت الحالة حالة ضرورة
أي لأي شيء أنزلت إلي قليل أو كثير غث أو سمين لفقير وإنما عدي فقير باللام لأنه ضمن معنى
سائل وطالب قيل ذكر ذلك وإن خضرة البقل تتراءى في بطنه من الهزال ما سأل الله إلا أكلة ويحتمل أن
يريد أني فقير من الدنيا لأجل ما أنزلت إلي من خير الدين وهو النجاة من الظالمين لأنه كان عند فرعون
في ملك وثروة قال ذلك رضى بالبدل السني وفرحا به وشكرا له وكان الظل ظل سمرة فجاءته إحداهما
تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف
نجوت من القوم الظالمين على استحياء في موضع الحال أي مستحيية متخفرة وقيل قد استترت بكم درعها
روي أنهما لما رجعتا إلى أبيهما قبل الناس وأغنامهما حفل بطان قال لهما ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا

تسقي لنا فقال لاحديهما اذهبي فادعيه لي فتبعها موسى فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشي خلفي ٥
وانعتي لي الطريق فلما قص عليه قصته قال له لا تخف فلا سلطان لفرعون بارضنا فان قلت كيف ساغ لموسى
ان يعمل بقول امراة وان يمشي معها وهي اجنبية قلت اما العمل بقول امراة فكما نعمل بقول الواحد حرا كان
او عبدا ذكرا او انثى في الاخبار وما كانت الا مخبرة عن ابيها بانه يدعوه واما مماشاته امراة اجنبية فلا باس
بها في نظائر تلك الحال مع ذلك الاحتياط والتورع فان قلت كيف صح اخذ الاجر على البر والمعروف قلت
يجوز ان قد فعل ذلك لوجه الله على سبيل البر والمعروف وقبل اطعام شعيب عليه الصلاة والسلام واحسانه لا
على سبيل الاجر ولكن على سبيل التقبل لمعروف مبتدأ كيف وقد قص عليه قصصه وعرفه انه من بيت النبوة من اولاد
يعقوب عليه الصلاة والسلام قلت يجوز ان يكون قد فعل ذلك لوجه الله على سبيل المعروف ومثله حقيق بان
يضيف ويكرم خصوصا في دار نبي من انبياء الله ولما قدم اليه الطعام امتنع وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع
الارض ذهبا ولا ناخذ على المعروف ثمنا حتى قال شعيب عليه الصلاة والسلام هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا وعن
عطاء ابن السائب رفع صوته بدعائه ليسمعهما فلذلك قيل له ليجزيك اجر ما سقيت اي جزاء سقيك والقصص مصدر
كالعلل سمي به المقصوص **قالت احديهما يا ابت استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين** كبراهما كانت تسمى
صفراء والصغرى صفيراء التي ذهبت به وطلبت الى ابيها ان يستاجره وهي التي تزوجها وعن ابن عباس رضي
الله عنهما ان شعيبا عليه الصلاة والسلام احفظته الغيرة فقال وما علمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر
ونزع الدلو وانه صوب راسه حتى بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه وقولها ان خير من استاجرت القوي الامين
كلام حكيم جامع لا يزاد عليه لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان اعني الكفاية والامانة في القائم بامرك فقد فرغ
بالك وتم مرادك وقد استغنت بارسال هذا الكلام سياقه سياق المثل والحكمة ان تقول استاجره لقوته وامانته فان
قلت كيف جعل خير من استاجرت اسما لان والقوي الامين خبرا قلت هو مثل قوله

ألا ان خير الناس حيا وهالكا ... اسير ثقيف عندهم في السلاسل

في ان العناية هي سبب التقديم وقد صدقت حتى جعل لها ما هو احق بان يكون خبرا وورود الفعل بلفظ الماضي
للدلالة على انه امر قد جرب وعرف ومنه قولهم اهون ما عملت لسان ممخ وعن ابن عباس رضي الله عنه افرس
الناس ثلاثة بنت شعيب وصاحب يوسف في قوله عسى ان ينفعنا وابو بكر في عمر رضي الله عنهما **قال اني اريد
ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تاجرني ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن عندك وما اريد ان اشق عليك ٥
ستجدني ان شاء الله من الصالحين** وروي انه انكحه صفراء وقوله هاتين فيه دليل على انه كانت له غيرهما تاجرني
من اجرته اذا كنت له اجيرا كقولك ابوته اذا كنت له ابا وثماني حجج ظرفه او من اجرته كذا اذا اثبته اياه ومنه
تعزية رسول الله صلى الله عليه وسلم اجركم الله ورحمكم الله وثماني حجج مفعول به ومعناه رعية ثماني حجج فان قلت
كيف صح ان ينكحه احدى ابنتيه من غير تمييز كيف صح ان يمهرها اجارة نفسه او يسكنها داره سنة قلت
لم يكن ذلك عقدا للنكاح ولكن مواعدة ومواصفة امر قد عزم عليه ولو كان عقدا لقال قد انكحتك ولم يقل
اني اريد انكاحك فان قلت كيف صح ان يمهرها اجارة نفسه في رعية الغنم ولا بد من تسليم ما هو مال ٥
الا ترى الى ابي حنيفة رحمة الله عليه كيف منع ان تتزوج امراة بان يخدمها سنة وجوز ان يتزوجها بان يخدمها
عبده سنة او يسكنها داره سنة لانه في الاول مسلم نفسه وليس بمال وفي الثاني هو مسلم مالا وهو العبد او الدار قلت

الأمر على مذهب أبي حنيفة رحمه الله على ما ذكرت وأما الشافعي رضي الله عنه فقد جوز التزوج على الإجارة لبعض الأعمال
والخدمة إذا كان المستأجر له والمخدوم فيه أمراً معلوماً ولعل ذلك كان جائزاً في تلك الشريعة ويجوز أن يكون المهر
شيئاً آخر وإنما أراد أن يكون راعي غنمه هذه المدة وأراد أن ينكحه ابنته فذكر له المرادين وعلق الإنكاح بالرعية
على معنى إني أفعل هذا إذا فعلت ذاك على وجه المعاهدة لا على وجه المعاقدة ويجوز أن يستأجره لرعية ثماني سنين
بمبلغ معلوم ويوفيه إياه ثم ينكحه ابنته به ويجعل قوله على أن تأجرني ثماني حجج عبارة عما جرى بينهما فإن
أتممت عشراً فمن عندك فإتمامه من عندك لا من عندي يعني لا ألزمكه ولا أحتمه عليك ولكنك إن فعلته فهو
منك تفضل وتبرع وإلا فلا عليك وما أريد أن أشق عليك بإلزام أتم الأجلين وإيجابه فإن قلت ما حقيقة قولهم
شققت عليه وشق عليه الأمر قلت حقيقته أن الأمر إذا تعاظمك فكأنه شق عليك ظنك باثنين تقول تارة
أطيقه وتارة لا أطيقه أو وعده المساهلة والمسامحة من نفسه وأنه لا يشق عليه فيما استأجره له من رعي غنمه ولا
يفعل نحو ما يفعل المعاسرون من المسترعين من المناقشة في مراعاة الأوقات والمداقة في استيفاء الأعمال وتكليف
الرعاة أشغالاً خارجة من حد الشرط وهكذا كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام آخذين بالأسمح في معاملات الناس
ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شريكي فكان خير شريك لا يداري ولا يشاري ولا يماري وقوله تعالى
ستجدني إن شاء الله من الصالحين يدل على ذلك يريد بالصلاح حسن المعاملة ووطاءة الخلق ولين الجانب
ويجوز أن يريد الصلاح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد باشتراط مشيئة الله فيما وعد من الصلاح
الاتكال على توفيقه ومعونته لا أنه يستعمل الصلاح إن شاء الله وإن شاء استعمل خلافه قال ذلك بيني وبينك أيما
الأجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل ذلك مبتدأ وبيني وبينك خبره وهو إشارة إلى ما
عاهده عليه شعيب عليه الصلاة والسلام يريد ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعاً لا يخرج
كلانا عنه لا أنا عما شرطت ولا أنت عما شرطت على نفسك ثم قال أي الأجلين أطولهما الذي هو العشر أو أقصرهما الذي
هو الأقصر هو الثمان فلا عدوان علي أي لا يعتدى علي في طلب الزيادة عليه فإن قلت تصور العدوان إنما هو في
أحد الأجلين الذي هو الأقصر وهو المطالبة بتتمة العشر فما معنى تعليق العدوان بهما جميعاً قلت معناه كما أني
إن طولبت بالزيادة على العشر كان عدواناً لا شك فيه فكذلك إن طولبت بالزيادة على الثمان أراد بذلك تقرير
أمر الخيار وأنه ثابت مستقر وأن الأجلين على السواء إما هذا وإما هذا من غير تفاوت بينهما في القضاء وأما التتمة
فموكولة إلى رأيي إن شئت أتيت بها وإلا لم أجبر عليها وقيل معناه فلا أكون متعدياً وهو في نفي العدوان عن نفسه كقولك
لا إثم علي ولا تبعة علي وفي قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أي الأجلين ما قضيت وقرئ أيما بسكون الياء كقوله

تنظرت نصراً والسماكين أيهما ... علي من الغيث استهلت مواطره

وعن ابن قطيب عدوان بالكسر فإن قلت ما الفرق بين موقعي ما المزيدة في القراءتين قلت وقعت في المستفيضة
مؤكدة لإبهام أي زائدة في شياعها وفي الشاذة تأكيداً للقضاء كأنه قال أي الأجلين صممت على قضائه وجردت
عزيمتي له والوكيل الذي وكل إليه الأمر ولما استعمل في موضع الشاهد والمهيمن والمقيت عدي بعلى لذلك
روي أن شعيباً عليه الصلاة والسلام عصي الأنبياء فقال لموسى عليه الصلاة والسلام بالليل ادخل ذلك البيت فخذ
عصا من تلك العصي فأخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم يزل الأنبياء يتوارثونها حتى وقعت إلى شعيب عليه السلام
فمسها وكان مكفوفاً فضن بها فقال غيرها فما وقع في يده إلا هي سبع مرات فعلم أن له شأناً وقيل أخذها جبريل بعد موت آدم

فكانت معه حتى لقي بها موسى ليلاً وقيل أودعها شعيباً ملك في صورة رجل فأمر ابنته أن تأتيه بعصا فأتته بها فردها سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها فدفعها إليه ثم ندم لأنها وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا أن يحكم بينهما أول طالع فأتاهما الملك فقال ألقياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى عليه الصلاة والسلام وعن الحسن رحمه الله عليه ما كانت إلا عصا من الشجر اعترضها اعتراضاً وعن الكلبي الشجرة التي منها نودي شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما أصبح قال له شعيب إذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فإن الكلأ وإن كان بها أكثر إلا أن فيها تنيناً أخشاه عليك وعلى الغنم فأخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها فمشى على أثرها فإذا عشب وريف لم ير مثله فنام فإذا بالتنين قد أقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت إلى جنب موسى عليه الصلاة والسلام دامية فلما أبصرها دامية والتنين مقتولاً ارتاح لذلك ولما رجع إلى شعيب عليه الصلاة والسلام وجدها ملأى البطون غزيرة اللبن فأخبره موسى ففرح وعلم أن لموسى عليه الصلاة والسلام والعصا شأناً وقال له إني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل أدرع ودرعاء فأوحي إليه في المنام أن اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما أخطأت واحدة إلا ولدت أدرع ودرعاء فوفى له بشرطه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأجلين قضى موسى فقال أبعدهما وأبطأهما وروي أنه قال قضى أوفاهما وتزوج صغراهما وهذا خلاف الرواية التي سبقت فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً قال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون الجذوة باللغات الثلاث وقرئ بهن جميعاً العود الغليظ كانت في رأسه نار أو لم تكن قال كثير

باتت حواطب ليلى يلتمسن لها ... جزل الجذى غير خوار ولا دعر

وقال

وألقى على قبس من النار جذوة ... شديداً عليه حرها والتهابها

فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين [illegible] يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء من الأولى والثانية لابتداء الغاية أي أتاه النداء من شاطئ الوادي من قبل الشجرة ومن الشجرة بدل من قوله شاطئ الوادي بدل الاشتمال لأن الشجرة كانت نابتة على الشاطئ لقوله تعالى لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وقرئ البقعة بالضم والفتح واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملائه إنهم كانوا قوماً فاسقين والرهب بفتحتين وضمتين وفتح وسكون وضم وسكون وهو الخوف فإن قلت ما معنى قوله واضمم إليك جناحك من الرهب قلت فيه معنيان أحدهما أن موسى عليه الصلاة والسلام لما قلب الله العصا حية فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له إن اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الأعداء فإذا ألقيتها فكما تنقلب حية فأدخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم أخرجها بيضاء ليحصل الأمران اجتناب ما هو غضاضة عليك وإظهار معجزة أخرى والمراد بالجناح اليد لأن يد الإنسان بمنزلة جناح الطائر وإذا أدخل يده اليمنى تحت عضد يده اليسرى فقد ضم جناحه إليه والثاني أن يراد بضم جناحه إليه تجلده وضبطه نفسه وتشدده عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لأنه إذا خاف نشر جناحيه وأرخاهما وإلا فجناحاه مضمومان إليه مشمران ومنه ما يحكى عن عمر ابن عبد العزيز رحمه الله أن كاتباً له كان يكتب بين يديه فانفلتت منه فلتة ريح فخجل وانكسر فقام وضرب بقلمه الأرض فقال له عمر خذ قلمك واضمم إليك جناحك وليفرخ روعك فإني ما سمعتها من أحد أكثر مما سمعتها

من

من شيء ومعنى قوله من أجل الرهب أي إذا أصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم إليك جناحك جعل الرهب
الذي يصيبه سببا وعلة فيما أمر به من ضم جناحه إليه ومعنى واضمم جناحك وقوله اسلك يدك في جيبك على أحد
التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين وإنما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين وذلك أن الغرض في أحدهما
خروج اليد بيضاء وفي الثاني إخفاء الرهب فإن قلت قد جعل الجناح وهو اليد في أحد الموضعين مضموما
وفي الآخر مضموما إليه وذلك قوله تعالى واضمم إليك جناحك وقوله واضمم يدك إلى جناحك فما التوفيق بينهما
قلت المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمنى وبالمضموم إليه اليد اليسرى وكل واحدة من يمنى اليدين ويسراهما جناح
ومن بدع التفاسير أن الرهب الكم بلغة حمير وأنهم يقولون أعطني مما في رهبك وليت شعري كيف صحته في اللغة
وهل سمع من الأثبات الثقات الذين ترتضى عربيتهم ثم ليت شعري كيف موقعه في الآية وكيف تطبيقه المفصل
كسائر كلمات التنزيل على أن موسى عليه الصلاة والسلام ما كان عليه ليلة المناجاة إلا زرمانقة من صوف لا كمي لها
فذانك قرئ مخففا ومشددا فالمخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك برهانان حجتان بينتان نيرتان
فإن قلت لم سميت الحجة برهانا قلت لبياضها وإنارتها من قولهم للمرأة البيضاء برهرهة بتكرير العين واللام
منها والدليل على زيادة النون قولهم أبره الرجل إذا جاء بالبرهان ونظيره تسميتهم إياها سلطانا من السليط
وهو الزيت لإنارتها قال رب إني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله
معي ردءا يصدقني إني أخاف أن يكذبون يقال ردأته أعنته والردء اسم ما يعان به فعل بمعنى مفعول به كما
أن الدفء اسم لما يتدفأ به قال سلامة بن جندل * وردئي كل أبيض مشرفي * شحيذ الحد عضب ذي فلول *
وقرئ ردا على التخفيف كما قرئ الخب ردا يصدقني بالرفع والجزم صفة وجواب نحو وليا يرثني
سواء فإن قلت تصديق أخيه ما الفائدة فيه قلت ليس الغرض بتصديقه أن يقول له صدقت
أو يقول للناس صدق موسى وإنما هو أن يلخص بلسانه الحق ويبسط القول فيه ويجادل به الكفار كما يفعل الرجل
المنطيق ذو العارضة فذلك جار مجرى التصديق المفيد كما يصدق القول بالبرهان ألا ترى إلى قوله
وأخي هرون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي وفضل الفصاحة إنما يحتاج إليه لذلك لا لقوله صدقت فإن
سحبان وباقلا يستويان فيه أو يصل جناح كلامه بالبيان حتى يصدقه الذي يخاف تكذيبه فأسند التصديق
إلى هرون لأنه السبب فيه إسنادا مجازيا ومعنى الإسناد المجازي أن التصديق حقيقة في المصدق فإسناده إليه حقيقة
وليس في السبب تصديق ولكن استعير له الإسناد لأنه لابس التصديق بالتسبب كما لابسه الفاعل بالمباشرة والدليل
على هذا الوجه قوله إني أخاف أن يكذبون وقراءة من قرأ ردا يصدقوني وفيها تقوية للقراءة بجزم يصدقني
قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون العضد
قوام اليد وبشدتها تشتد قال طرفة * أبني لبيني لستم بيد * إلا يدا ليست لها عضد * ويقال في
دعاء الخير شد الله عضدك وفي ضده فت الله في عضدك ومعنى سنشد عضدك بأخيك سنقويك
به ونعينك فإما أن يكون ذلك لأن اليد تشتد بشدة العضد والجملة تقوى بشدة اليد على مزاولة الأمور وإما
لأن الرجل شبه باليد في اشتدادها باشتداد العضد فجعل كأنه يد مشتدة بعضد شديدة سلطانا غلبة وتسلطا
أو حجة واضحة بآياتنا متعلق بنحو ما تعلق به في تسع آيات أي اذهبا بآياتنا أو بنجعل لكما سلطانا أي نسلطكما بآياتنا
أو بلا يصلون أي تمتنعون منهم بآياتنا أو هو بيان للغالبون لا صلة لامتناع تقدم الصلة على الموصول ولو تأخر

ولو تأخر لم يكن إلا صلة له ويجوز أن يكون قسماً جوابه لا يصلون مقدماً عليه أو من لغو القسم فلما جاءهم موسى بآياتنا
بينات قالوا ما هذا إلا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين سحر مفترى سحر تعمله ثم تفتريه
على الله أو سحر ظاهر افتراؤه أو موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر وليس بمعجزة من عند الله في آبائنا حال منصوبة
عن هذا أي كائناً في زمانهم وأيامهم يريد ما حدثنا بكونه فيهم ولا يخلو من أن يكونوا كاذبين في ذلك وقد سمعوا وعلموا
بنحوه أو يريدوا أنهم لم يسمعوا بمثله في فظاعته أو ما كان الكهان يخبرون بظهور موسى ومجيئه بما جاء به وهذا
دليل أنهم حجوا وبهتوا وما وجدوا ما يدفعون به ما جاءهم من الآيات إلا قولهم هذا سحر وبدعة لم نسمع بمثلها
وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون يقول ربي أعلم منكم
بحال من أهله الله للفلاح الأعظم حيث جعله نبياً وبعثه بالهدى ووعده حسن العقبى يعني نفسه ولو كان كما تزعمون
كاذباً ساحراً مفترياً لما أهله لذلك لأنه غني حكيم لا يرسل الكاذبين ولا ينبئ الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون وعاقبة
الدار هي العاقبة المحمودة والدليل عليه قوله عز وجل أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن وقوله
وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها وعقباها أن يختم للعبد بالرحمة والرضوان
وتلقي الملائكة بالبشرى عند الموت فإن قلت العاقبة المحمودة والمذمومة كلتاهما يصح أن تسمى عاقبة الدار لأن
الدنيا إما أن تكون خاتمتها بخير أو بشر فلم اختصت خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر قلت
قد وضع الله سبحانه الدنيا مجازاً إلى الآخرة وأراد بعباده أن لا يعملوا فيها إلا الخير وأما عاقبة السوء فلا اعتداد بها
لأنها من نتائج وما خلقهم إلا لأجله ليتلقوا خاتمة الخير وعاقبة الصدق ومن عمل فيها خلاف ما وضعها الله له
فقد حرف فإذن عاقبتها الأصلية هي عاقبة الخير وأما عاقبة السوء فلا اعتداد بها لأنها من نتائج تحريف
الفجار وقرأ ابن كثير قال موسى بغير واو على ما في مصاحف أهل مكة وهي قراءة حسنة لأن الموضع موضع سؤال
وبحث عما أجابهم به موسى عند تسميتهم مثل تلك الآيات الباهرة سحراً مفترى ووجه الأخرى أنهم قالوا ذلك وقال
موسى عليه الصلاة والسلام هذا ليوازن الناظر بين القول والمقول ويتبصر فساد أحدهما وصحة الآخر وبضدها تتبين
الأشياء وقرئ يكون بالتاء والياء وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على
الطين فاجعل لي صرحاً لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين روي أنه لما أمر ببناء الصرح جمع
هامان العمال حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى الأتباع والأجراء وأمر بطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب
المسامير فشيدوه حتى بلغ ما لم يبلغه أحد من الخلق فكان الباني لا يقدر أن يقوم على رأسه يبني فبعث الله تعالى
جبريل عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف
رجل ووقعت قطعة في البحر وقطعة في المغرب ولم يبق أحد من عماله إلا قد هلك ويروى في هذه القصة
أن فرعون ارتقى فوقه فرمى بنشابة نحو السماء فأراد الله تعالى أن يفتنهم فردت إليه وهي ملطوخة بالدم فقال
قد قتلت إله موسى فعندها بعث الله جبريل عليه الصلاة والسلام لهدمه والله أعلم بصحته قصد بنفي علمه بإله غيره نفي وجوده
معناه ما لكم من إله غيري كما قال الله سبحانه وتعالى قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض معناه بما ليس فيهن
وذلك لأن العلم تابع للمعلوم لا يتعلق به إلا على ما هو عليه فإذا كان الشيء معدوماً لم يتعلق به موجوداً فمن ثم كان انتفاء العلم
بوجوده لانتفاء وجوده وعبر عن انتفاء وجوده ويجوز أن يكون على ظاهره وأن إلهاً غيره غير معلوم عنده ولكنه مظنون
كاليقين بدليل قوله تعالى وإني لأظنه من الكاذبين وإذا ظن موسى كاذباً في إثباته إلهاً غيره ولم يعلمه كاذباً فقد ظن

أن في الوجود

بلغ مقابلة

أن في الوجود إلهاً غيره ولو لم يكن المخذول ظاناً ظناً كاليقين بل عالماً بصحة قول موسى عليه الصلاة والسلام لقول موسى له لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر لما تكلف ذلك البنيان العظيم ولما تعب في بنائه ما تعب لعله يطلع بزعمه إلى إله موسى وإن كان جاهلاً مفرطاً في الجهل به وبصفاته حيث حسب أنه في مكان وأنه يطلع إليه كما كان يطلع إليه إذا قعد في عليته وأنه ملك السماء كما أنه ملك الأرض ولا ترى بينة أثبت شهادة على إفراط جهله وغباوته وجهل ملائه وغباوتهم من أنهم راموا نيل أسباب السموات بصرح يبنونه وليت شعري أكان يلبس على أهل بلاده ويضحك من عقولهم حيث صادفهم أغبى الناس وأخلاهم من الفطن وأشبههم بالبهائم بذلك أم كان في نفسه بتلك الصفة وإن صح ما حكي من رجوع النشابة ملطوخة بالدم فتهكم به بالفعل كما جاء التهكم بالقول في غير موضع من كتاب الله بنظرائه من الكفرة ويجوز أن يفسر الظن على القول الأول باليقين كقوله • فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج • ويكون بناء الصرح مناقضة لما ادعاه من العلم واليقين وقد خفيت على قومه لغباوتهم وبلههم أو لم تخف عليهم ولكن كلاً كان يخاف على نفسه سوطه وسيفه وإنما قال أوقد لي يا هامان على الطين ولم يقل اطبخ لي الآجر واتخذه لأنه أول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة ولأن هذه العبارة أحسن طباقاً لفصاحة القرآن وعلو طبقته وأشبه بكلام الجبابرة وأمر هامان وهو وزيره ورديفه بالإيقاد على الطين منادى باسمه بيا في وسط الكلام دليل التعظم والتجبر • وعن عمر رضي الله عنه أنه حين سافر إلى الشام ورأى القصور المشيدة بالآجر قال ما علمت أن أحداً بنى بالآجر غير فرعون • والطلوع والاطلاع الصعود يقال طلع الجبل واطلع بمعنى واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون الاستكبار بالحق إنما هو لله عز وجل وهو المتكبر على الحقيقة أي المتبالغ في كبرياء الشأن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكى عن ربه الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في النار وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق يرجعون بالفتح والضم فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم من الكلام الفخم الذي دل به على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه شبههم استحقاراً لهم واستقلالاً لعددهم وإن كانوا الكثير الكثير والجم الغفير بحصيات أخذهن آخذ في كفه فطرحهن في البحر ونحو ذلك قوله تعالى وألقينا فيها رواسي شامخات • وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة • وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه وما هي إلا تصويرات وتمثيلات لاقتداره وأن كل مقدور وإن عظم وجل فهو مستصغر إلى جنب قدرته وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين

فإن قلت ما معنى قوله وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار قلت معناه ودعوناهم أئمة دعاة إلى النار وقلنا إنهم أئمة دعاة إلى النار كما يدعى خلفاء الحق أئمة دعاة إلى الجنة وهو من قولك جعله بخيلاً وفاسقاً إذا دعاه وقال إنه بخيل وفاسق ويقول أهل اللغة في تفسير فسقه وبخله جعله بخيلاً وفاسقاً ومنه قوله عز من قائل وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ومعنى دعوتهم إلى النار دعوتهم إلى موجباتها من الكفر والمعاصي ويوم القيامة لا ينصرون كما ينصر الأئمة الدعاة إلى الجنة ويجوز خذلناهم حتى كانوا أئمة الكفر ومعنى الخذلان منع الألطاف وإنما يمنعها من علم أنها لا تنفع فيه وهو المصمم على الكفر الذي لا تغني عنه الآيات والنذر ومجراه مجرى الكناية لأن منع الألطاف يردف التصميم والغرض بذكره التصميم نفسه فكأنه قيل صمموا على الكفر حتى كانوا أئمة فيه دعاة إليه وإلى سوء عاقبته فإن قلت وأي فائدة في ترك المردوف إلى الرادفة قلت ذكر الرادفة يدل على وجود المردوف فيعلم وجود المردوف مع الدليل الشاهد بوجوده فيكون أقوى لإثباته من ذكره ألا ترى أنك تقول لولا أنه مصمم على الكفر مقطوع أمره مثبوت حكمه لما منعت منه الألطاف فبذكر منع الألطاف يحصل العلم

بوجود التصميم على الكفر وزيادة وهو قيام الحجة على وجوده ويُنصر هذا الوجه • قوله تعالى ويوم القيمة لا ينصرون وكأنه
قيل وخذلناهم في الدنيا وهم يوم القيمة مخذولون كما قال واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة أي طردا وإبعادا عن
الرحمة ويوم القيمة هم من المقبوحين أي من المطرودين المبعدين ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون
الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون بصائر نصب على الحال والبصيرة نور القلب الذي يستبصر به
كما أن البصر نور العين الذي تبصر به يريد آتيناه التورية أنوارا للقلوب لأنها كانت لا تستبصر ولا تعرف حقا من
باطل وإرشادا لأنهم كانوا يخبطون في ضلال ورحمة • لأنهم لو عملوا بها وصلوا إلى نيل الرحمة لعلهم يتذكرون وأشبهت
الإرادة بالترجي فاستعير لها ويجوز أن يراد به ترجي موسى لتذكرهم لقوله تعالى لعله يتذكر وما كنت بجانب
الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا
في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين الغربي المكان الواقع في شق الغرب وهو المكان الذي وقع فيه ميقات
موسى عليه الصلاة والسلام من الطور وكتب الله له في الألواح • والأمر المقضي إلى موسى الوحي الذي أوحي إليه والخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وما كنت حاضر المكان الذي أوحينا إلى موسى فيه ولا كنت من الشاهدين للوحي إليه
أو على الوحي إليه وهم نقباؤه الذين اختارهم للميقات حتى تقف من جهة المشاهدة على ما جرى من أمر موسى في ميقاته
وكتبة التورية في الألواح وغير ذلك فإن قلت كيف يتصل قوله تعالى ولكنا أنشأنا قرونا بهذا الكلام ومن
أي وجه يكون استدراكا له قلت اتصاله به وكونه استدراكا له من حيث أن معناه ولكنا أنشأنا بعد
عهد الوحي إلى عهدك قرونا كثيرة فتطاول على آخرهم وهو القرن الذي أنت فيهم العمر أي أمد انقطاع الوحي واندرست
العلوم فوجب إرسالك إليهم فأرسلناك وكسبناك العلم بقصص الأنبياء عليهم السلام وقصة موسى كأنه قال • وما كنت
شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكنا أوحيناه إليك فذكر سبب الوحي الذي هو إطالة الفترة ودل به على المسبب على عادة
الله عز وجل في اختصاراته فإذن هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده وما كنت ثاويا مقيما • في أهل
مدين وهم شعيب عليه السلام والمؤمنون به تتلو عليهم آياتنا تقرأ عليهم تعلما منهم يريد الآيات التي فيها قصة
شعيب وقومه ولكنا أرسلناك وأخبرناك بها وعلمناكها وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة
من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون إذ نادينا يريد مناداة موسى عليه السلام
ليلة المناجاة وتكليمه ولكن علمناك رحمة وقرئ رحمة بالرفع أي هي رحمة ما أتاهم من نذير في زمان الفترة
بينك وبين عيسى عليه السلام وهو خمسمائة وخمسون سنة ونحوه قوله عز وجل لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم
ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون
من المؤمنين لولا الأولى امتناعية وجوابها محذوف والثانية تحضيضية وإحدى الفاءين للعطف والأخرى
جواب لولا لكونها في حكم الأمر من قبل أن الأمر باعث على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد والمعنى ولولا
أنهم قائلون إذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي هلا أرسلت إلينا رسولا محتجين بذلك علينا لما أرسلنا إليهم
يعني أن إرسال الرسول إليهم إنما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموها كقوله عز وجل لئلا يكون للناس على الله
حجة بعد الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك فإن قلت كيف
استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الإرسال لا القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه قلت
القول هو المقصود بأن يكون سببا لإرسال الرسل ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول وكان وجوده بوجودها

جعلت

جعلت العقوبة كأنها سبب الإرسال بواسطة القول فأدخلت عليها لولا وجيء معطوفاً عليها بالفاء المعطية معنى السببية ويؤول معناه الى قولك ولولا قولهم هذا اذا اصابتهم مصيبة لما ارسلنا ولكن اختيرت هذه الطريقة لنكتة وهي انهم لو لم يعاقبوا مثلاً على كفرهم وقد عاينوا ما الجئوا به الى العلم اليقين لم يقولوا لولا ارسلت الينا رسولاً وانما السبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التأسف على ما فاتهم من الايمان بخالقهم وفي هذا من الشهادة القوية على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم ما لا يخفى لقوله عز وجل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولما كانت اكثر الاعمال تزاول بالايدي جعل كل عمل معبراً عنه باجتراح الايدي وتقديم الايدي وان كان من اعمال القلوب وهذا من الاتساع في الكلام وتصيير الاقل تابعاً للاكثر وتغليب الاكثر على الاقل فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون فلما جاءهم الحق وهو الرسول المصدق بالكتاب المعجز مع سائر المعجزات وقطعت معاذيرهم وسدت طريق احتجاجهم قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى من قبل الكتاب المنزل جملة واحدة ومن قلب العصا حية وفلق البحر وغيرها من الآيات فجاؤوا بالاقتراحات المبنية على التعنت والعناد كما قالوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وما اشبه ذلك اولم يكفروا يعني ابناء جنسهم ومن مذهبهم وعنادهم وهم الكفرة في زمن موسى عليه الصلاة والسلام بما اوتي موسى وعن الحسن رحمة الله عليه قد كان للعرب اصل في ايام موسى عليه الصلاة والسلام فمعناه على هذا اولم يكفر اباؤهم قالوا في موسى وهرون ساحران تظاهرا اي تعاونا وقرئ اظاهرا على الادغام وسحران بمعنى ذوا سحر وجعلوهما سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر او ارادوا نوعان من السحر بكل بكل واحد منهما فان قلت بم علقت قوله من قبل في هذا التفسير قلت باولم يكفروا ولي ان علقته باوتي فينقلب المعنى الى ان اهل مكة الذين قالوا هذه المقالة كما كفروا بمحمد عليه الصلاة والسلام وبالقرآن فقد كفروا بموسى بالتورية وقالوا في موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ساحران تظاهرا او في الكتابين سحران تظاهرا وذلك حين بعثوا الرهط الى رؤساء اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فاخبروهم انه نعته وصفته وانه في كتابهم فرجع الرهط الى قريش فاخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك ساحران تظاهرا قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين هو اهدى منهما مما انزل على موسى ومما انزل علي هذا الشرط من نحو ما ذكرت انه شرط المدل بالامر المتحقق لان امتناع الاتيان بكتاب هو اهدى من الكتابين امر معلوم متحقق لا مجال فيه للشك ويجوز ان يقصد بحرف الشك التهكم بهم فان قلت ما الفرق بين فعل الاستجابة في الآية وبينه في قوله فلم يستجبه عند ذاك مجيب حيث عدي بغير اللام قلت هذا الفعل يتعدى الى الدعاء بنفسه والى الداعي باللام ويحذف الدعاء اذا عدي الى الداعي في الغالب فيقال استجاب الله دعاءه واما البيت فمعناه فلم يستجب دعاءه على حذف المضاف فان قلت فالاستجابة تقتضي دعاء ولا دعاء ههنا قلت قوله تعالى فأتوا بكتاب امر بالاتيان والامر بعث على الفعل ودعاء اليه فكأنه قال فان لم يستجيبوا دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فاعلم انهم قد الزموا ولم تبق لهم حجة الا اتباع الهوى ثم قال ومن اضل ممن لا يتبع في دينه الا هويه بغير هدى من الله اي مطبوعاً على قلبه ممنوع الالطاف ان الله لا يهدي اي لا يلطف بالقوم الثابتين على الظلم الذين اللطف بهم عابث وقوله بغير هدى في موضع الحال يعني مخذولاً مخلى بينه وبين هواه ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وقرئ وصلنا بالتشديد بدون التخفيف والمعنى ان القرآن اتاهم متتابعاً متواصلاً وعداً ووعيداً وقصصاً وعبراً ومواعظ

ونصائح ارادة ان يتذكروا فيفلحوا او نزل عليهم نزولا متصلا بعضه في اثر بعض لقوله تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث
الا كانوا عنه معرضين نزلت في مؤمني اهل الكتاب وعن رفاعة بن قرظة نزلت في عشرة انا احدهم وقيل في اربعين من
مسلمي اهل الانجيل اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من ارض الحبشة وثمانية من الشام والضمير في من قبله للقران
واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين فان قلت اي فرق بين الاستئنافين انه وانا قلت
الاول تعليل للايمان به لان كونه حقا من الله حقيق بان يؤمن به والثاني بيان لقوله آمنا به لانه يحتمل ان يكون ايمانا
قريب العهد وبعيده فاخبروا ان ايمانهم به متقادم لان اباءهم القدماء قرؤا في الكتب الاول ذكره وابناءهم من بعدهم
من قبله من قبل وجوده ونزوله مسلمين كائنين على دين الاسلام لان الاسلام صفة كل موحد مصدق للوحي ه
**اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون واذا سمعوا اللغو اعرضوا
عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين** بما صبروا بصبرهم على الايمان بالتورية والايمان ه
بالقران او بصبرهم على الايمان بالقران قبل نزوله وبعد نزوله او بصبرهم على اذى المشركين واهل الكتاب ونحوه يؤتكم
كفلين من رحمته بالحسنة السيئة بالطاعة المعصية المتقدمة او بالحلم الاذى سلام عليكم توديع ومتاركة
وعن الحسن كلمة حلم من المؤمنين ه لا نبتغي الجاهلين لا نريد مخالطتهم وصحبتهم فان قلت من خاطبوا بقولهم ولكم
اعمالكم قلت اللاغين الذين دل عليهم قوله تعالى واذا سمعوا اللغو **انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي
من يشاء وهو اعلم بالمهتدين** لا تقدر ان تدخل في الاسلام كل من احببت ان يدخل فيه من قومك وغيرهم
لانك عبد لا تعلم المطبوع على قلبه من غيره ولكن الله يدخل في الاسلام من يشاء وهو الذي علم انه غير مطبوع على قلبه
وان الالطاف تنفع فيه فيقرن به الطافه حتى تدعوه الى القبول وهو اعلم بالمهتدين بالقابلين من الذين لا يقبلون قال
الزجاج اجمع المسلمون انها نزلت في ابي طالب وذلك ان ابا طالب قال عند موته يا معشر بني هاشم اطيعوا محمدا وصدقوه
تفلحوا وترشدوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عم تأمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن اخي
قال اريد منك كلمة واحدة فانك في آخر يوم من ايام الدنيا ان تقول لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله قال
يا ابن اخي قد علمت انك صادق ولكني اكره ان يقولوا جزع عند الموت ولولا ان تكون عليك وعلى بني ابيك غضاضة
ومسبة بعدي لقلتها ولاقررت بها عينك عند الفراق لما ارى من شدة وجدك ونصيحتك ولكني سوف اموت
على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف **وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا اولم نمكن لهم حرما آمنا
يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون** قالت قريش وقيل ان القائل الحارث بن عثمان بن نوفل
ابن عبد مناف نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب بذلك وانما نحن اكلة رأس اي قليلون
ان يتخطفونا من ارضنا فالقمهم الله الحجر بانه مكن لهم في الحرم الذي آمنه بحرمة البيت وآمن قطانه بحرمته
وكانت العرب في الجاهلية حولهم يتغاورون ويتناحرون وهم آمنون في حرمهم لا يخافون وبحرمة البيت قارون
بواد غير ذي زرع والثمرات والارزاق تجبى اليهم من كل اوب فاذا خولهم ما خولهم من الامن والرزق بحرمة
البيت وحدها وهم كفرة عبدة اصنام فكيف يستقيم ان يعرضهم للتخوف والتخطف ويسلبهم الامن اذا ضموا الى حرمة
البيت حرمة الاسلام واسناد الامن الى اهل الحرم حقيقة والى الحرم مجاز تجبى اليه تجلب وتجمع قرئ بالياء والتاء
وقرئ يجنى بالنون من الجنى وتعديته بالى كقولك يجنى الى فيه ويجنى الى الخافة وثمرات بضمتين وبضمة وسكون
ومعنى الكلية الكثرة كقوله تعالى واوتيت من كل شيء ولكن اكثرهم لا يعلمون متعلق بقوله من لدنا اي قليل منهم يقرون

بأن ذلك رزق من عند الله والكثر منهم جهلة لا يعلمون ذلك ولا يفطنون له ولو علموا أنه من عند الله لعلموا أن الخوف والأمن من عنده ولما خافوا التخطف إذا آمنوا به وخلعوا أنداده فإن قلت بم انتصب رزقا قلت إن جعلته مصدرا جاز أن ينتصب بمعنى ما قبله لأن معنى ما قبله لأن معنى يجبى إليه ثمرات كل شيء ويرزق ثمرات كل شيء واحد وأن يكون مفعولا له وإن جعلته بمعنى مرزوق كان حالا من الثمرات لتخصصها بالإضافة كما ينتصب عن النكرة المتخصصة بالصفة **وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين** هذا تخويف لأهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم من إنعام الله عليهم بالرقود في ظلال الأمن وخفض العيش فغمطوا النعمة وقابلوها بالأشر والبطر فدمرهم الله وخرب ديارهم وانتصب معيشتها إما بحذف الجار واتصال الفعل كقوله تعالى واختار موسى قومه وإما على الظرف بنفسه كقولك زيد ظني مقيم أو بتقدير حذف الزمان المضاف أصله بطرت أيام معيشتها كخفوق النجم ومقدم الحاج وإما بتضمين بطرت معنى كفرت وغمطت وقيل البطر سوء احتمال الغنى وهو أن لا يحفظ حق الله فيه إلا قليلا من السكنى قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يسكنها إلا المسافر ومار الطريق يوما أو ساعة ويحتمل أن شؤم معاصي المهلكين بقي أثره في ديارهم فكل من سكنها من أعقابهم لم يبق فيها إلا قليلا وكنا نحن الوارثين لتلك المساكن من ساكنيها أي تركناها على حال لا يسكنها أحد أو خربناها وسويناها بالأرض تتخلف الأنا رعن أصحابها حينا ويدركها الفناء فتتبع **وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون** ما كانت عادة ربك أن يهلك القرى في كل وقت حتى يبعث في القرية التي هي أمها أي أصلها وقصبتها التي هي أعمالها وتوابعها رسولا لإلزام الحجة وقطع المعذرة مع علمه أنهم لا يؤمنون أو ما كان في حكم الله تعالى وسابق قضائه أن يهلك القرى في الأرض حتى يبعث في أم القرى يعني مكة رسولا وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء وقرئ إمها بضم الهمزة وكسرها لاتباع الجر وهذا بيان لعدله وتقدسه عن الظلم حيث أخبر بأنه لا يهلكهم إلا إذا استحقوا الإهلاك بظلمهم ولا يهلكهم مع كونهم ظالمين إلا بعد تأكيد الحجة والإلزام ببعثة الرسل ولا يجعل علمه بأحوالهم حجة عليهم ونزه ذاته أن يهلكهم وهم غير ظالمين كما قال تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون فنص في قوله بظلم أنه لو أهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك ظلما منه وأن حاله في غناه وحكمته منافية للظلم دل على ذلك بحرف النفي مع لامه كما قال تعالى وما كان الله ليضيع إيمانكم **وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون** وأي شيء أصبتموه من أسباب الدنيا فما هو إلا تمتع وزينة أياما قلائل وهي مدة الحياة المنقضية وما عند الله وهو ثوابه خير في نفسه من ذلك وأبقى لأن بقاءه دائم سرمد وقرئ يعقلون بالياء وهو أبلغ في الموعظة وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله خلق الدنيا وجعل أهلها ثلاثة أصناف المؤمن والمنافق والكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع **أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين** هذه الآية تقرير وإيضاح للتي قبلها والوعد الحسن الثواب لأنه منافع دائمة على وجه التعظيم والاستحقاق وأي شيء أحسن منها ولذلك سمى الله تعالى الجنة بالحسنى ولاقيه كقوله تعالى ولقاهم نضرة وسرورا وعكسه فسوف يلقون غيا من المحضرين من الذين أحضروا النار ونحوه لكنت من المحضرين فكذبوه فإنهم لمحضرون قيل نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي جهل وقيل في علي وحمزة وقيل في عمار بن ياسر رضي الله عنه والوليد بن المغيرة فإن قلت فسر لي الفاءين وثم وأخبرني عن مواقعها قلت قد ذكر في الآية التي قبلها متاع الحياة الدنيا وما عند الله وتفاوتهما ثم عقبه بقوله تعالى أفمن وعدناه على معنى أبعد هذا التفاوت الظاهري

يسوّي بين أبناء الآخرة وأبناء الدنيا فهذا معنى الفاء الأولى وبيان موقعها وأما الثانية فللتسبيب لأن لقاء الموعود مسبب
عن الوعد الذي هو الضمان في الخبر وأما ثم فلتراخي حال الإحضار عن حال التمتيع لا لتراخي وقته عن وقته وقرئ
ثم هو بسكون الهاء كما قيل عضد في عضد تشبيها للمنفصل بالمتصل وسكون الهاء في فهو وهو ولهو أحسن لأن الحرف
الواحد لا ينطق به وحده فهو كالمتصل ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون شركائي مبني على زعمهم وفيه
تهكم فإن قلت زعم يطلب مفعولين كقوله ولم أزعمك عن ذاك معزلا فأين هما قلت محذوفان تقديره الذين
كنتم تزعمونهم شركائي ويجوز حذف المفعولين في باب ظننت ولا يصح الاقتصار على أحدهما قال الذين حق عليهم
القول ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون الذين حق عليهم القول الشياطين أو أئمة الكفر
ورؤوسه ومعنى حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وهؤلاء
مبتدأ والذين أغوينا صفته والراجع إلى الموصول محذوف وأغويناهم الخبر والكاف صفة مصدر محذوف تقديره
أغويناهم يعنون أنا لم نغو إلا باختيارنا لا أن فوقنا مغوين أغوونا بقسر منهم وإلجاء أو دعونا إلى الغي وسوّلوه لنا فهؤلاء
كذلك غووا باختيارهم لأن إغواءنا لهم لم يكن إلا وسوسة وتسويلا لا قسرا وإلجاء فلا فرق إذن بين غينا وغيهم وإن
كان تسويلنا داعيا لهم إلى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله لهم إلى الإيمان بما وضع فيهم من أدلة العقل وما بعث إليهم
من الرسل وأنزل عليهم من الكتب المشحونة بالوعد والوعيد والمواعظ والزواجر وناهيك بذلك صارفا عن الكفر
وداعيا إلى الإيمان وهذا معنى ما حكاه الله تعالى عن الشيطان إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي
عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم والله عز وجل قدم هذا المعنى أول شيء حيث
قال لإبليس إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين تبرأنا إليك منهم ومما اختاروه من الكفر
بأنفسهم هوى منهم للباطل ومقتا للحق لا بقوة منا على استكراههم ولا سلطان ما كانوا إيانا يعبدون إنما كانوا يعبدون
أهواءهم ويطيعون شهواتهم وإخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الأولى وقيل ادعوا شركاءكم
فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون لو أنهم كانوا مهتدين لوجه من وجوه الحيل يدفعون
أو لو أنهم كانوا مهتدين مؤمنين لما رأوه أو تمنوا لو كانوا مهتدين أو تحيروا عند رؤيته وسدروا فلا يهتدون طريقا حكى
أولا ما يوبخهم به من اتخاذهم له شركاء ثم ما يقوله الشياطين أو أئمتهم عند توبيخهم لأنهم إذا وبخوا بعبادة الآلهة اعتذروا
بأن الشياطين هم الذين استغووهم وزينوا لهم عبادتها ثم ما يشبه الشماتة بهم من استغاثتهم آلهتهم لأنهم لهم وعجزهم ثم ما
يبكتون به من الاحتجاج عليهم بإرسال الرسل وإزاحة العلل والله أعلم ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين فعميت
عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتساءلون فعميت عليهم الأنباء فصارت الأنباء كالعمي عليهم جميعا ولا تهتدي إليهم فهم لا
يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا كما يتساءل الناس في المشكلات لأنهم يتساوون جميعا في عمى الأنباء عليهم والعجز
عن الجواب وقرئ فعميت والمراد بالنبإ الخبر عما أجاب به المرسل إليه رسوله وإذا كانت الأنبياء لهول ذلك
اليوم يتتعتعون في الجواب عن مثل هذا السؤال ويفوضون الأمر إلى علم الله تعالى وذلك قوله سبحانه وتعالى
يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب فما ظنك بالضلال من أممهم
فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين فأما من تاب من المشركين عن الشرك وجمع بين الإيمان والعمل
الصالح فعسى أن يفلح عند الله وعسى من الكرام تحقيق ويجوز أن يراد ترجي التائب وطمعه كأنه قال
فليطمع أن يفلح وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون الخيرة من التخير كالطيرة

من

من الطيرة تستعمل بمعنى المصدر وهو التخير وبمعنى المتخير لقولهم محمد عليه الصلاة والسلام خيرة الله من خلقه • ما كان لهم الخيرة بيان
لقوله عليه الصلاة والسلام ويختار لان معناه ويختار ما يشاء ولهذا لم يدخل العاطف • والمعنى ان الخيرة لله تعالى
في افعاله وهو اعلم بوجوه الحكمة فيها ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه قيل السبب فيه قول الوليد بن المغيرة لولا نزل
هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم لا يبعث الله الرسل باختيار المرسل اليهم وقيل معناه ويختار الذي لهم فيه
الخيرة اي يختار للعباد ما هو خير لهم واصلح وهو اعلم بمصالحهم من انفسهم من قولهم في الامرين ليس فيهما خيرة لمختار
فان قلت فاين الراجع من الصلة الى الموصول اذا جعلت ما موصولة قلت اصل الكلام ما كان لهم فيه الخيرة
فحذف فيه كما حذف منه في قوله تعالى ان ذلك لمن عزم الامور لانه مفهوم • سبحان الله برئ من اشراكهم وما تحملهم
عليه من الجراءة على الله واختيارهم عليه ما لا يختار وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ما تكن
من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يعلنون من مطاعنهم فيه وقولهم هلا اختير عليه غيره في النبوة
وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون وهو الله وهو المستأثر بالالوهية المختص بها
ولا اله الا هو تقرير لذلك • كقولك الكعبة القبلة لا قبلة الا هي قل ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا
الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء افلا تسمعون • قل ارأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى
يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون ارأيتم وقرئ أرايتم بحذف الهمزة وليس بحذف
قياسي ومعناه اخبروني من يقدر على هذا والسرمد الدائم المتصل من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم في الاشهر
الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد والميم مزيدة ووزنه فعمل ونظيره دلامص من الدلاص فان قلت هلا قيل
بنهار تتصرفون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه قلت ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لان المنافع التي تتعلق به
متكاثرة ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثم قرن بالضياء افلا تسمعون لان السمع يدرك
• ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل افلا تبصرون لان غيرك يبصر من منفعة الظلام
ما تبصره انت من السكون ونحوه ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون
ومن رحمته زاوج بين الليل والنهار لاغراض ثلاثة لتسكنوا في احدهما وهو الليل ولتبتغوا من فضل الله في الآخر وهو
النهار ولارادة شكركم وقد سلكت بهذه الآية طريقة اللف ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون في
تقريع التوبيخ باتخاذ الشركاء ايذان بان لا شيء اجلب لغضب الله من الاشراك به كما لا شيء ادخل في مرضاته من
توحيده • اللهم فكما ادخلتنا في اهل توحيدك فادخلنا في الناجين من وعيدك ونزعنا من كل امة شهيدا فقلنا
هاتوا برهانكم فعلموا ان الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون ونزعنا واخرجنا من كل امة شهيدا وهو نبيهم
لان انبياء الامم شهداء عليهم يشهدون بما كانوا عليه فقلنا للامة هاتوا برهانكم فيما كنتم عليه من الشرك •
ومخالفة الرسول فعلموا حينئذ ان الحق لله ولرسوله ولشياطينهم • وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الشيء الضائع
• ما كانوا يفترون من الباطل والكذب ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه
لتنوء بالعصبة اولي القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين قارون اسم اعجمي مثل
هرون ولم ينصرف للعجمة والتعريف ولو كان فاعولا من قرن لانصرف وقيل معنى كونه من قومه انه آمن به
وقيل كان اسرائيليا ابن عم لموسى عليه الصلاة والسلام هو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب •
عليه الصلاة والسلام وموسى ابن عمران بن قاهث وقيل كان موسى ابن اخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان

وكان أقرأ بني إسرائيل للتوراة، ولكنه نافق كما نافق السامري، وقال إذا كانت النبوة لموسى، والمذبح والقربان إلى هرون
فما لي؟ وروي أنه لما جاوز موسى البحر وصارت الرسالة والحبورة لهرون يقرب القربان ويكون رأساً فيهم، وكان
القربان إلى موسى فجعله موسى إلى أخيه، وجد قارون في نفسه وحسدهما، وقال لموسى الأمر لكما ولست على شيء، إلى متى أصبر؟
قال موسى هذا صنع الله. قال لا أصدقك حتى تأتي بآية، فأمر رؤساء بني إسرائيل أن يجيء كل واحد بعصاه فحزمها وألقاها
في القبة التي كان الوحي ينزل عليه فيها، وكانوا يحرسون عصيهم بالليل، فأصبحوا وإذا بعصا هرون تهتز ولها ورق
أخضر، وكانت من شجر اللوز، فقال قارون ما هو بأعجب مما تصنع من السحر. فبغى عليهم من البغي وهو الظلم، قيل ملّكه
فرعون على بني إسرائيل فظلمهم. وقيل من البغي وهو الكبر والبذخ، تبذخ عليهم بكثرة ماله وولده. وقيل زاد عليهم
في الثياب شبراً. المفاتح جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به. وقيل هي الخزائن، وقياس واحدها مفتح بالفتح. ويقال ناء به
الحمل إذا أثقله حتى أماله. والعصبة الجماعة الكثيرة، والعصابة مثلها، واعصوصبوا اجتمعوا. وقيل كانت
تحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلاً، لكل خزانة مفتاح، ولا يزيد المفتاح على إصبع، وكانت من جلود. وقال أبو رزين
يكفي الكوفة مفتاح. وقد بولغ في ذكر ذلك بلفظ الكنوز والمفاتح والنوء والعصبة وأولي القوة. وقرأ بديل
بن ميسرة لينوء بالياء، ووجهه أن يفسر المفاتح بالخزائن ويعطيها حكم ما أضيفت إليه للملابسة والاتصال، كقولك
ذهبت أهل اليمامة. ومحل إذ منصوب بتنوء. لا تفرح كقوله تعالى ولا تفرحوا بما آتيكم. وقول القائل
ولست بمفراح إذا الدهر سرني. وذلك أنه لا يفرح بالدنيا إلا من رضي بها واطمأن،
فأما من قلبه إلى الآخرة ويعلم أنه مفارق ما فيه عن قريب لم تحدثه نفسه بالفرح، وما أحسن ما قال
القائل: أشد الغم عندي في سرور ... تيقن عنه صاحبه انتقالا

وابتغ فيما آتيك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض
إن الله لا يحب المفسدين.

وابتغ فيما آتيك الله من الغنى والثروة الدار الآخرة بأن تفعل فيه أفعال الخير
من أصناف الواجب والمندوب إليه، وتجعله زادك إلى الآخرة، ولا تنس نصيبك وهو أن تأخذ منه ما يكفيك
ويصلحك، وأحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليك. والفساد في الأرض ما كان عليه من الظلم والبغي. وقيل إن
القائل موسى عليه الصلاة والسلام. وقرئ واتبع.

قال إنما أوتيته على علم عندي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من
القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون

على علم أي على استحقاق واستيجاب
لما فيّ من العلم الذي فضلت به الناس، وذلك أنه كان أعلم بني إسرائيل بالتوراة. وقيل هو علم الكيمياء. عن سعيد بن
المسيب رضي الله عنه كان موسى عليه الصلاة والسلام يعلم علم الكيمياء، فأفاد يوشع بن نون ثلثه، وقارون
ثلثه، فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه، فكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهباً. وقيل علّم الله
موسى علم الكيمياء فعلمه أخته فعلمته أخته قارون. وقيل هو بصره بأنواع الدهقنة والتجارة وسائر
المكاسب. وقيل عندي معناه في ظني كما تقول الأمر عندي كذا، كأنه قال إنما أوتيته على علم كقوله تعالى
ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم، ثم زاد عندي أي هو في ظني ورأيي هكذا. يجوز أن يكون
إثباتاً لعلمه بأن الله تعالى قد أهلك من القرون قبله من هو أشد منه وأغنى، لأنه قد قرأه في التوراة وأخبره
به موسى عليه الصلاة والسلام وسمعه من حفاظ التواريخ والأيام، كأنه قيل أولم يعلم في جملة ما عنده من العلم
هذا حتى يغتر بكثرة ماله وقوته. ويجوز أن يكون نفياً لعلمه بذلك لأنه لما قال أوتيته على علم عندي فتنفج بالعلم

وتعظم

وتعظم به قيل اعبد مثل ذلك العلم الذي ادعاه ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى
يقي به نفسه مصارع الهالكين والكثير جمعا للمال او اكثر جماعة وعددا فان قلت ما وجه اتصال قوله تعالى ولا يسأل
عن ذنوبهم المجرمون قلت لما ذكر قارون من اهلك من قبله من القرون الذين كانوا اقوى منه واغنى قال
على سبيل التهديد له والله مطلع على ذنوب المجرمين لا يحتاج الى سؤالهم عنها واستعلامهم وهو قادر على ان يعاقبهم
عليها كقوله تعالى والله خبير بما تعملون والله بما تعملون عليم وما اشبه ذلك فخرج على قومه في زينته قال الذين
يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم في زينته قال الحسن رحمه الله
عليه في الحمرة والصفرة وقيل خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة الاف
على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن
الحلي والديباج وقيل في تسعين الفا عليهم المعصفرات وهو اول يوم رؤي فيه المعصفر كان المتمنون قوما مسلمين
وانما تمنوه على سبيل الرغبة في اليسار والاستغناء كما هو عادة البشر وعن قتادة تمنوه ليتقربوا به الى الله وينفقوه في
سبيل الخير وقيل كانوا قوما كفارا الغابط هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير ان تزول عنه والحاسد هو الذي يتمنى
ان تكون نعمة صاحبه له دونه فمن الغبطة قوله تعالى يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون ومن الحسد قوله ولا تتمنوا ما
فضل الله به بعضكم على بعض وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل يضر الغبط فقال لا الا كما يضر العضاه الخبط والحظ
الجد وهو البخت والدولة وصفوه بانه رجل مجدود مبخوت يقال فلان ذو حظ وحظيظ ومحظوظ وما الدنيا
الا احاظ وجدود وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا
الصابرون ويلك اصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرتضى
كما استعمل لا ابا لك واصله الدعاء على الرجل بالاقراف في الحث على الفعل والراجع في ولا يلقاها للكلمة التي تكلم بها العلماء
او للثواب لانه في معنى المثوبة او الجنة او للسيرة والطريقة وهي الايمان والعمل الصالح والصابرون على الطاعات
عن الشهوات وعلى ما قسم الله من القليل عن الكثير فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه
من دون الله وما كان من المنتصرين كان قارون يؤذي نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام كل وقت وهو يداريه
للقرابة التي بينهما حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل الف دينار على دينار وعن كل الف درهم على درهم فحسبه
فاستكثره فشحت به نفسه فجمع بني اسرائيل وقال ان موسى اراد كم على كل شيء وهو يريد ان يأخذ اموالكم
فقالوا انت كبيرنا وسيدنا فمر بما شئت قال نبرطل فلانة البغي حتى ترميه بنفسها فيرفضه بنو اسرائيل فجعل لها الف
دينار وقيل طستا من ذهب وقيل طستا من ذهب مملوءة ذهبا فلما كان يوم العيد قام موسى عليه الصلاة والسلام
فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وان احصن رجمناه
فقال قارون وان كنت انت قال وان كنت انا قال فان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها
موسى بالذي فلق البحر وانزل التورية ان تصدق فتداركها الله فقالت بل كذبوا بل جعل لي قارون جعلا على ان
اقذفك بنفسي فخر موسى ساجدا يبكي وقال يا رب ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى الله اليه ان امر الارض بما
شئت فانها مطيعة لك أي ما أشبه الحال بان الكافرين لا ينالون الفلاح وهو مذهب الخليل وسيبويه قال يا بني اسرائيل
ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا
غير رجلين ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فاطبقت

عليهم. واوحى الله الى موسى ما اغلظك استغاثوا بك مرارا فلم ترحمهم. اما وعزتي لو اياي دعوا مرة واحدة لوجدوني قريبا
مجيبا. فاصبحت بنو اسرائيل يتناجون بينهم انما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله حتى خسف
بداره وامواله. من المنتصرين. واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده
ويقدر لولا ان من الله علينا لخسف بنا ويكانه لا يفلح الكافرون. قد يذكر الامس ولا يراد به اليوم الذي قبل
يومك ولكن الوقت المستقرب على طريق الاستعارة. مكانه منزلته من الدنيا. وي مفصولة عن كان وهي كلمة
تنبه على الخطا وتندم. ومعناه ان القوم قد تنبهوا على خطائهم في تمنيهم وقولهم يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون
وتندموا ثم قالوا كانه لا يفلح الكافرون اي ما اشبه الحال بان الكافرين لا ينالون الفلاح وهو مذهب الخليل
وسيبويه. قال. وي كان من يكن له نشب. يحبب. ومن يفتقر يعش عيش ضر. وحكى الفراء ان
اعرابية قالت لزوجها اين ابنك فقال وي كانه وراء البيت. وعند الكوفيين ان ويك بمعنى ويلك وان المعنى
الم تعلم انه لا يفلح الكافرون. ويجوز ان تكون الكاف كاف الخطاب مضمومة الى وي. كقوله ويك عنتر
اقدم وانه بمعنى لانه واللام لبيان المقول لاجله هذا القول او لانه لا يفلح الكافرون كان ذلك وهو الخسف بقارون
ومن الناس من يقف على وي. وقرا الاعمش لولا من الله علينا. وقرئ لخسف بنا وفيه ضمير الله ولا نخسف
بنا كقولك انقطع به. ولتخسف بنا. تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة
للمتقين. تلك تعظيم لها وتفخيم لشانها يعني تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها. ولم يعلق الموعد بترك العلو والفساد
ولكن بترك ارادتهما وميل القلوب اليهما كما قال تعالى. ولا تركنوا الى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون. وعن
علي رضي الله عنه. ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها. وعن الفضيل
انه قراها. ثم قال ذهبت الاماني هاهنا. وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يرددها حتى قبض. ومن الطماع
من يجعل العلو لفرعون والفساد لقارون متعلقا بقوله تعالى ان فرعون علا في الارض. ولا تبغ الفساد في الارض
ويقول من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الآخرة ولا يتدبر قوله تعالى والعاقبة
للمتقين. كما تدبره علي والفضيل وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم. من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة
فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون. معناه فلا يجزون فوضع الذين عملوا السيئات موضع الضمير
لان في اسناد عمل السيئة اليهم مكررا فضل تهجين لحالهم وزيادة تبغيض للسيئة الى قلوب السامعين. الا
ما كانوا يعملون. وهذا من فضله العظيم وكرمه الواسع ان لا يجزي السيئة الا بمثلها ويجزي الحسنة بعشر
امثالها وبسبعمائة وهو معنى قوله تعالى فله خير منها. ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد قل ربي
اعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين. فرض عليك القرآن اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه
يعني ان الذي حملك صعوبة هذا التكليف لمثيبك عليها ثوابا لا يحيط به الوصف. ولرادك بعد الموت الى
معاد اي معاد والى معاد ليس لغيرك من البشر وتنكير المعاد لذلك. وقيل المراد به مكة ووجهه ان يراد رده
اليها يوم الفتح ووجه تنكيره انها كانت في ذلك اليوم معادا له شان ومرجعا له اعتداد لغلبة رسول الله صلى الله
عليه وسلم عليها وقهره لاهلها. ولظهور عز الاسلام واهله. وذل الشرك وحزبه والسورة مكية فكان الله
وعده وهو بمكة في اذى وغلبة من اهلها انه يهاجر به منها ويعيده اليها ظاهرا ظافرا. وقيل نزلت عليه حين
بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق الى مولده ومولد آبائه وحرم ابراهيم. فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام فقال له

اشتاق الى مكة قال نعم فاوحى الله اليه فان قلت كيف اتصل قوله قل ربي اعلم بما قبله قلت لما وعد رسوله الرد
الى معاده قال قل للمشركين ربي اعلم من جاء بالهدى يعني نفسه وما يستحقه من الثواب في معاده ومن هو في ضلال
مبين يعنيهم وما يستحقونه من العقاب في معادهم وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا
تكونن ظهيرا للكافرين فان قلت قوله تعالى الا رحمة من ربك ما وجه الاستثنا فيه قلت هذا كلام
محمول على المعنى كانه قيل وما القي عليك الكتاب الا رحمة من ربك ويجوز ان يكون الا بمعنى لكن للاستدراك
اي ولكن لرحمة من ربك القي عليك ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت اليك وادع الى ربك ولا تكونن
من المشركين وقرئ يصدنك من اصده بمعنى صده وهي في لغة كلب وقال اناس اصدوا الناس
بالسيف عنهم صدود السواقي عن انوف الحوائم بعد اذ انزلت اليك بعد وقت انزاله واذ تضاف اليه
اسماء الزمان كقولك حينئذ وليلتئذ ويومئذ وما اشبه ذلك والنهي عن مظاهرة الكافرين ونحو ذلك من
باب التهييج الذي سبق ذكره ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه له
الحكم واليه ترجعون الا وجهه الا اياه والوجه يعبر به عن الذات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق موسى وكذب ولم يبق ملك في السموات والارض الا شهد له
يوم القيمة انه كان صادقا ان كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون والله اعلم

سورة العنكبوت مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي تسع وستون آية

الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون الحسبان لا يصح تعليقه بمعاني المفردات ولكن
بمضامين الجمل الا ترى انك لو قلت حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شيئا حتى تقول حسبت زيدا عالما
وظننت الفرس جوادا لان قولك زيد عالم او الفرس جواد كلام دال على مضمون فاردت الاخبار عن ذلك المضمون
ثابتا عندك على وجه الظن لا اليقين فلم تجد بدا في العبارة عن ثباته عندك على ذلك الوجه من ذكر شطري
الجملة مدخلا عليهما فعل الحسبان حتى يتم لك غرضك فان قلت فاين الكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه
الحسبان في الآية قلت هو في قوله ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وذلك ان تقديره احسبوا تركهم
غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك اول مفعولي حسب ولقولهم آمنا هو الخبر واما غير مفتونين فتتمة الترك لانه من
الترك الذي هو بمعنى التصيير كقوله فتركته جزر السباع ينشنه الا ترى انك قبل المجيء بالحسبان تقدر
ان تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام فان قلت ان يقولوا هو علة
تركهم غير مفتونين فكيف يصح ان يقع خبر مبتدا محذوف قلت كما تقول خروجه لمخافة الشر وضربه
للتاديب والمخافة في قولك خرجت مخافة الشر وضربته تاديبا تعليلين وتقول ايضا حسبت خروجه لمخافة
الشر وضربته للتاديب فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدا وخبرا والفتنة الامتحان بشدائد التكليف
من مفارقة الاوطان ومجاهدة الاعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات والملاذ وبالفقر والقحط
وانواع المصائب في الانفس والاموال ومصابرة الكفار على اذاهم وكيدهم وضرارهم والمعنى احسب الذين اجروا كلمة

الشهادة

على ألسنتهم واظهروا الإيمان أنهم يتركون لذلك غير ممتحنين بل يمتحنهم الله بضروب المحن حتى يبلو صبرهم وثبات
أقدامهم وصحة عقائدهم ونصوع نياتهم ليتميز المخلص من غير المخلص والراسخ في الدين من المضطرب والمتمكن
من العابد على حرف كما قال تعالى لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين
أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور • وروي أنها نزلت في ناس من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد جزعوا من أذى المشركين • وقيل في عمار بن ياسر رضي الله عنه • وكان يعذب في الله تعالى
وقيل في ناس أسلموا بمكة فكتب إليهم المهاجرون لا يقبل منكم إسلامكم حتى تهاجروا فخرجوا فتبعهم المشركون فردوهم
فلما نزلت كتبوا بها إليهم فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا • وقيل في مهجع بن عبد الله
مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه • وهو أول قتيل من المسلمين يوم بدر رماه عامر بن الحضرمي • فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم • سيد الشهداء مهجع • وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة فجزع عليه أبواه وامرأته ولقد فتنا الذين
من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ولقد فتنا موصول بأحسب أو بلا يفتنون • كقولك ألا يمتحن فلان
وقد امتحن من هو خير منه يعني أن أتباع الأنبياء قبلهم قد أصابهم من الفتن والمحن نحو ما أصابهم أو ما هو أشد
منه فصبروا كما قال تعالى وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير الآية • وعن النبي صلى الله عليه وسلم • قد كان من
قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على رأسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه • ويمشط بأمشاط الحديد ما دون
عظمه من لحم وعصب • ما يصرفه ذلك عن دينه • فليعلمن الله بالامتحان الذين صدقوا في الإيمان • وليعلمن الله
الكاذبين فيه فإن قلت كيف وهو عالم بذلك فيما لم يزل قلت لم يزل يعلمه معدوما ولا يعلمه موجودا إلا
إذا وجد • والمعنى وليتميزن الصادق منهم من الكاذب ويجوز أن يكون وعدا ووعيدا كأنه قال وليثيبن الذين صدقوا
وليعاقبن الكاذبين • وقرأ علي رضي الله عنه والزهري • فليعلمن من الإعلام أي وليعرفنهم الله الناس
من هم أو ليسمنهم بعلامة يعرفون بها من بياض الوجوه وسوادها وكحل العيون وزرقها أم حسب الذين يعملون
السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون أن يسبقونا أن يفوتونا • يعني أن الجزاء يلحقهم لا محالة وهم لم يطمعوا في
الفوت ولم يحدثوا به نفوسهم ولكنهم لغفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة وإصرارهم على المعاصي في صورة
من يقدر ذلك ويطمع فيه ونظيره وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون
فإن قلت أين مفعولا حسب قلت اشتمال صلة أن على مسند ومسند إليه سد مسد المفعولين كقوله
عز وجل أم حسبتم أن تدخلوا الجنة • ويجوز أن يضمن معنى قدر وأم منقطعة ومعنى الإضراب فيها أن هذا
الحسبان أبطل من الحسبان الأول لأن ذاك يقدر أن لا يمتحن لإيمانه • وهذا يظن أنه لا يجازى بمساويه • ساء ما يحكمون
بئس الذي يحكمونه حكمهم فحذف المخصوص بالذم من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم
ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين لقاء الله وصول إلى العاقبة من تلقي ملك الموت
والبعث والحساب • والجزاء مثلت تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد اطلع مولاه على
ما كان يأتي ويذر • فإما أن يلقاه ببشر • وترحيب لما رضي من أفعاله أو بضد ذلك لما سخطه منها فمعنى
قوله تعالى من كان يرجو لقاء الله من كان يأمل تلك الحال وأن يلقى فيها الكرامة من الله والبشرى فإن •
أجل الله وهو الموت لآت لا محالة فليبادر العمل الصالح الذي يصدق رجاءه ويحقق أمله ويكتسب
به القربة عند الله والزلفى • وهو السميع العليم الذي لا يخفى عليه شيء مما يقوله عباده ومما يفعلونه فهو حقيق

فما وهنوا

بالتقوى

للقوي، وللخشية، وقيل يرجو يخاف من قول — الهذلي في صفة — عسال — إذا لسعته الدبر لم يرج لسعها
فإن قلت — فإن أجل الله لآت كيف وقع جوابا للشرط قلت — إذا علم أن لقاء الله عنيت به تلك الحال الممثلة
والوقت الذي فيه تلك الحال هو الأجل المضروب للموت فكأنه قال من كان يرجو لقاء الله فإن لقاء الله لآت لأن
الأجل واقع فيه اللقاء كما تقول من كان يرجو لقاء الملك فإن يوم الجمعة قريب إذا علم أنه يقعد للناس يوم الجمعة
ومن جاهد نفسه في منعها ما تأمر به وحملها ما تأباه فإنما يجاهد لأن منفعة ذلك راجعة إليها وإنما أمر الله ونهى
رحمة لعباده وهو الغني عنهم وعن طاعتهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي
كانوا يعملون إما أن يريد قوما مسلمين صالحين قد أساؤوا في بعض أعمالهم الذي يصدق رجاءه ويحقق أمله ويكتب
سيئاتهم مغمورة بحسناتهم فهو يكفرها عنهم أي يسقط عقابها بثواب الحسنات ويجزيهم أحسن الذي كانوا يعملون
أي أحسن جزاء أعمالهم وإما قوما مشركين آمنوا وعملوا الصالحات فالله عز وجل يكفر عنهم سيئاتهم بأن يسقط عقاب
ما تقدم لهم من الكفر والمعاصي ويجزيهم أحسن أعمالهم في الإسلام ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وإن
جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون وصى حكمه حكم
أمر في معناه وتصرفه يقال وصيت زيدا بأن يفعل خيرا كما تقول أمرته بأن يفعل ومنه — بيت الإصلاح وذ
بيانية وصت بنيها بأن كذب القراطف والقروف كما تقول — أمرتهم بأن ينتهبوها ومنه
قوله سبحانه وتعالى ووصى بها إبراهيم بنيه أي وصاهم بكلمة التوحيد وأمرهم بها وقولك وصيت زيدا بعمرو معناه
وصيته بتعهده ومراعاته ونحو ذلك وكذلك معنى قوله تعالى ووصينا الإنسان بوالديه حسنا ووصيناه بإيتاء
والديه حسنا أو بإيلاء والديه حسنا أي فعلا ذا حسن أو ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه كقوله تعالى وقولوا للناس
حسنا ويقرئ حسنا وإحسانا ويجوز أن تجعل حسنا من باب قولك زيدا بإضمار اضرب إذا رأيته متهيئا للضرب
فتنصبه بإضمار أولهما أو افعل بهما لأن التوصية بهما دالة عليه وما بعده مطابق له كأنه قال قلنا أولهما معروفا
ولا تطعهما في الشرك إذا حملاك عليه وعلى هذا التفسير إن وقف على بوالديه وابتدأ حسنا حسن الوقف وعلى
التفسير الأول إن وقف على بوالديه — وعلى التفسير الثاني الأول لا بد من إضمار القول — معناه وقلنا إن جاهداك
أيها الإنسان ما ليس لك به علم أي لا علم لك بإلهيته — والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كأنه قال لتشرك بي
شيئا لا يصح أن يكون إلها ولا يستقيم وصاه بوالديه وأمره بالإحسان إليهما ثم نبهه بنهيه عن طاعتهما إذا
أراداه على ما ذكر على أن كل حق وإن عظم ساقط إذا جاء حق الله وأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق
ثم قال إلي مرجع من آمن منكم ومن أشرك فأجازيكم حق جزائكم وفيه شيئان أحدهما على الترك والحث على الثبا
أن الجزاء إلي فلا تحدث نفسك بجفوة والديك وعقوقهما لشركهما ولا تحرمهما برك ومعروفك في الدنيا
كما أني لا أمنعهما رزقي والثاني التحذير من متابعتهما على الشرك والحث على الثبات والاستقامة في الدين بذكر
المرجع والوعيد روي أن سعد بن أبي وقاص الزهري رضي الله عنه حين أسلم قالت أمه وهي حمنة بنت
أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس يا سعد بلغني أنك قد صبأت فوالله لا يظلني سقف بيت من الضح والريح
وإن الطعام والشراب علي حرام حتى تكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وكان أحب ولدها إليها فأبى سعد وبقيت ثلاثة
أيام كذلك فجاء سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا إليه فنزلت هذه الآية والتي في لقمان والتي في الأحقاف
فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يداريها ويترضاها بالإحسان وروي أنها نزلت في عياش بن أبي ربيعة

الحديبية وذلك انه هاجر مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه متوافقين حتى نزلا المدينة فخرج ابو جهل بن هشام والحرث
ابن هشام اخواه لامه اسماء بنت مخرمة امراة من بني حنظلة من بني تميم فنزلا بعياش وقالا له ان من دين محمد صلة
الارحام وبر الوالدين وقد تركت امك لا تطعم ولا تشرب ولا تأوي بيتا حتى تراك وهي اشد حبا لك منا
فاخرج معنا وفتلا منه في الذروة والغارب فاستشار عمر رضي الله عنه فقال هما يخدعانك ولك علي ان اقسم
مالي بيني وبينك فما زالا به حتى اطاعهما وعصى عمر فقال عمر رضي الله عنه اما اذا عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا
بعير يلحقها فان رابك منهم ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء قال ابو جهل ان ناقتي قد كلت فاحملني معك فلما
نزل ليوطئ لنفسه وله فاخذاه وشداه وثاقا وجلده كل واحد منهما مائة جلدة وذهبا به الى امه فقالت
لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد صلى الله عليه وسلم فنزلت والذين امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين
في الصالحين في جملتهم والصلاح من ابلغ صفات المؤمنين وهو متمنى انبياء الله قال الله عز وجل حكاية عن سليمان
وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال تعالى في ابراهيم وانه في الاخرة لمن الصالحين او في مدخل الصالحين
وهي الجنة وهذا نحو قوله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم الاية ومن الناس من يقول امنا
بالله فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم اوليس الله باعلم بما في
صدور العالمين وليعلمن الله الذين امنوا وليعلمن المنافقين هم ناس كانوا يؤمنون بالسنتهم فاذا مسهم اذى من الكفار
وهو المراد بفتنة الناس كان ذلك صارفا لهم عن الايمان كما ان عذاب الله صارفا للمؤمنين عن الكفر او كما يجب ان يكون
عذاب الله صارفا واذا نصر الله المؤمنين وغنمهم اعترضوهم وقالوا انا كنا معكم اي مشايعين لكم في دينكم ثابتين
عليه ثباتكم ما قدر احد ان يفتننا فاعطونا نصيبنا من المغنم ثم اخبر سبحانه وتعالى انه اعلم بما في صدور العالمين من
العالمين واوعد المنافقين وقرئ ليقولن الله بفتح اللام وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل
خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون امروهم باتباع سبيلهم وهي طريقتهم التي كانوا عليها في
دينهم وامروا انفسهم بحمل خطاياهم فعطف الامر على الامر وارادوا ليجتمع هذان الامران في الحصول ان تتبعوا
سبيلنا وان نحمل خطاياكم والمعنى تعليق الحمل بالاتباع وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن امن منهم لا نبعث
نحن ولا انتم فان عسى كان ذلك فانا نحمل الاثم وترى في المتسمين بالاسلام من يستن باوليائه فيقول لصاحبه اذا اراده
ان يشجعه على ارتكاب بعض العظائم افعل هذا واثمه في عنقي وكم من مغرور بمثل هذا الضمان من ضعفة العامة
وجهلتهم ومنه ما يحكى ان ابا جعفر المنصور رفع بعض اهل الحشو حوائجه فلما قضاها قال يا امير المؤمنين بقيت الحاجة
العظمى قال وما هي قال شفاعتك يوم القيمة فقال له عمرو بن عبيد اياك وهولاء فانهم قطاع الطريق في المامن
فان قلت كيف سماهم كاذبين وانما ضمنوا شيئا علم الله انهم لا يقدرون على الوفاء به وضامن ما لا يعلم اقتداره
على الوفاء به لا يسمى كاذبا لا حين ضمن ولا حين عجز لانه في الحالين لا يدخل تحت حد الكاذب وهو المخبر عن الشيء
لا على ما هو عليه قلت شبه حالهم حيث علم ان ما ضمنوه لا طريق لهم الى ان يفوا به فكان ضمانهم عندهم لا على ما عليه
المضمون بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما عليه المخبر عنه ويجوز ان يريد انهم كاذبون لانهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه
كالكاذبين الذين يعدون الشيء وفي قلوبهم نية الخلف وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وليسألن يوم
القيمة عما كانوا يفترون وليحملن اثقالهم اي اثقال انفسهم يعني اثقالا اخر غير الخطايا التي ضمنوا للمؤمنين حملها
وهي اثقال الذين كانوا سببا في ضلالهم وليسئلن سؤال تقريع عما كانوا يفترون اي يختلقون من الاكاذيب

والاباطيل

TO THE FRIENDS OF

CHRISTIAN MISSIONS.



The American Missionaries very gratefully acknowledge the kindness and sympathy of the friends who have given the following unsolicited testimonial of their deep interest in the Lord's work in this land, and their generous contributions to the funds of the Mission.



On Sunday, February 28th, 1869, about fifty American and English travelers attended the English service in the Chapel of the American Mission at Cairo. At the close of the service one of the missionaries, at the request of some of the travelers, made a brief statement of the extent and character of the work that is being carried on by this Mission at its several stations scattered between Alexandria and Thebes. As soon as the statement was finished, William A. Booth, Esq., of New York, embraced the opportunity to say that he and others present had met the missionaries and had seen something of their work both here and up the Nile, and he proposed that a Committee be appointed to prepare a paper expressive of the interest of this meeting in the Mission and its good work, and recommending it to the sympathy and cooperation of travelers in Egypt, and to the continued confidence and increased contributions of its friends and patrons in America and elsewhere.

As the result of our observation and inquiries, and in behalf of the assembly of Christians who have authorized us to speak for them, we hereby record the expression of our confidence and great satisfaction in the fidelity and growing usefulness of the labors of these missionaries.

We voluntarily give this testimony for the encouragement and cheering of the missionaries themselves, assuring them that they have the grateful sympathy of the Christians from the West who are witnesses of their self denying labors in this land, and that our prayers are joined with theirs for the continued and more abundant blessing of God upon their efforts. We do it also with the hope that this testimony of eye witnesses may reach the notice of the benevolent in America and elsewhere, upon whom the Mission is dependent for its support, and stimulate them to encourage the missionaries here by the increased liberality of their contributions, thus furnishing the means of enlarging their operations and greatly increasing their usefulness.

We do it, finally, in order that we may commend the Mission to the Christian sympathy of other travelers, appealing to them that, while they are enjoying the privilege of visiting this cradle of the world's history, and while their hearts are pained by witnessing the sad condition of the people, they may be induced to encourage these self denying Christian men in the noble work in which they are engaged, not only by their prayers, but by their benevolent contributions, to aid in their efficient and more extensive instrumentality in spreading the gospel among the inhabitants of Egypt.

In accordance with a suggestion at the meeting, the missionaries are requested to present this paper to travelers

The meeting unanimously voted to adopt and act upon the proposal, and the undersigned, being appointed such Committee, present the following facts and considerations to the attention of all friends of Christian Missions.

This Mission is under the charge of the United Presbyterian Church of America. Its headquarters are in Cairo, where two congregations are sustained, one of which is taught in Arabic and the other in Turkish, and where also a printing establishment and flourishing schools are sustained.

There are also ordained missionaries, with congregations and schools at Alexandria, at Mansoora in the Delta, at Osioot in Upper Egypt, in the Fayoom, and at Koos near Thebes.

A Colporteur's boat is employed in moving up and down the Nile; the colporteurs, under the direction of the Mission, visiting the towns and villages, supplying Bibles and Christian books to all who will purchase them at low prices, and laboring with the people as they have opportunity.

The missionaries have evidence that their work is progressively fruitful, and that an awakened interest in gospel truth is being secured in the minds of a large and increasing number of the natives, outside of the several Mission congregations and churches.

Two of the undersigned have just returned from a trip up the Nile, in which they have seen the most painful indications of the utter darkness and deep degradation of the people, and have found that the only efforts that are being made to introdnce the gospel among these benighted multitudes are those made through the agency of this Mission.

who are temporarily in Cairo, to afford them an opportunity of contributing.

Ezra Farnsworth,
Wm. A. Booth,
George Buckham,
Committee.

Cairo, March 1st, 1869.

The Undersigned cordially concur in the foregoing, and subscribe their names with the sums set opposite thereto for the use of the Mission.

	£.	s.	d.
George Buckham, New York.	10.	0.	0.
Wm. A. Booth, New York.	10.	0.	0.
Joseph H. Parsons, Troy, N. Y.	10.	0.	0.
John Cooke, Paterson, New Jersey.	5.	12.	0.
Ezra Farnsworth, Boston, U. S.	10.	0.	0.
Miss C. N. Torrey, Honesdale, Pa.	1.	0.	0.
Miss A. N. Torrey, ,, ,,	1.	0.	0.
A Friend.	15.	0.	0.
E. W. F. Hartmann, London.	1.	0.	0.
Miss Parsons.	2.	0.	0.
Mrs. Bruen.	10.	0.	0.

Besides the above contributions the following donations have been received since the beginning of the year from travelers in Egypt.

	£.	s.	d.
Mr. Geo. Buckham, New York.	0.	16.	0.
Mr. Arth. Heywood, Manchester, Eng.	5.	0.	0.
Rev. Chas. Marston, ,, ,,	1.	0.	0.
Dr. Pritcheth, Chicago.	1.	0.	0.
Robert Brown, Cincinnati, O.	1.	0.	0.
Gen. Howland & party, in Osioot.	7.	2.	0.
Mr. Wm. A. Booth, N. Y. ,,	5.	0.	0.

Mission print, Cairo, March 10, 1869.

بالأباطيل. وقرئ: من خطيئاتهم ﴿ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان
وهم ظالمون﴾ كان عمر نوح عليه الصلاة والسلام ألفا وخمسين سنة، بعث على رأس أربعين، ولبث في قومه تسعمائة
وخمسين، وعاش بعد الطوفان ستين. وعن وهب أنه عاش ألفا وأربعمائة سنة. فإن قلت: هلا قيل تسعمائة وخمسين
سنة؟ قلت: ما أورده الله أحكم، لأنه لو قيل كما قلت لجاز أن يتوهم إطلاق هذا العدد على أكثره، وهذا التوهم
زائل مع مجيئه كذلك، وكأنه قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد، إلا أن ذلك أخصر وأعذب لفظا وأملأ
بالفائدة. وفيه نكتة أخرى، وهي أن القصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح عليه الصلاة والسلام من أمته وما كابده
من طول المصابرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيتا له، فكان ذكر رأس العدد الذي لا رأس أكثر منه أوقع
وأوصل إلى الغرض من استطالة السامع مدة صبره. فإن قلت: فلم جاء المميز أولا بالسنة وثانيا بالعام؟ قلت:
لأن تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة، إلا إذا وقع ذلك لأجل غرض ينتحيه المتكلم من
تفخيم أو تهويل أو تنويه أو نحو ذلك. والطوفان: ما أطاف وأحاط بكثرة وغلبة، من سيل أو ظلام ليل أو نحوهما.
قال العجاج: وغم طوفان الظلام الأثأبا. ﴿فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها
للعالمين﴾ أصحاب السفينة كانوا ثمانية وسبعين نفسا، نصفهم ذكور ونصفهم إناث، منهم أولاد نوح سام وحام
ويافث ونساؤهم. وعن محمد بن إسحق: كانوا عشرة: خمسة رجال وخمس نسوة. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
كانوا ثمانية: نوح وأهله وبنوه الثلاثة. والضمير في وجعلناها للسفينة أو للحادثة والقصة ﴿وإبراهيم إذ قال
لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ نصب إبراهيم بإضمار اذكر، وأبدل عنه إذ بدل الاشتمال
لأن الأحيان تشتمل على ما فيها، أو هو معطوف على نوحا، وإذ ظرف لأرسلنا، يعني أرسلناه حين بلغ من السن والعلم مبلغا
صلح فيه لأن يعظ قومه وينصحهم ويعرض عليهم الحق ويأمرهم بالعبادة والتقوى. وقرأ إبراهيم النخعي وأبو حنيفة رحمة
الله عليهما: وإبراهيم بالرفع، على معنى: ومن المرسلين إبراهيم. إن كنتم تعلمون: يعني إن كان لكم علم بما هو خير لكم مما هو شر
لكم، أو إن نظرتم بعين الدراية المبصرة دون عين الجهل العمياء علمتم أنه خير لكم ﴿إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون
إفكا إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون﴾
وقرئ: تخلّقون، من خلّق بمعنى التكثير في خلق، وتخلّقون من تخلّق بمعنى تكذب وتخرص. وقرئ: أفكا
وفيه وجهان: أن يكون مصدرا نحو كذب ولعب، والإفك مخففا منه كالكذب واللعب من أصلهما، وأن يكون
صفة على فعل أي خلقا أفكا ذا إفك وباطل. واختلاقهم الإفك: تسميتهم الأوثان آلهة وشركاء لله أو شفعاء إليه
أو سمى الأصنام إفكا وعملهم لها ونحتهم خلقا للإفك. فإن قلت: لم نكر الرزق ثم عرفه؟ قلت: لأنه
أراد لا يستطيعون أن يرزقوكم شيئا من الرزق، فابتغوا عند الله الرزق كله فإنه هو الرازق وحده لا يرزق
غيره. إليه ترجعون، وقرئ: بفتح التاء، فاستعدوا للقائه بعبادته والشكر له على أنعمه ﴿وإن تكذبوا فقد
كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ وإن تكذبوني فلا تضرونني بتكذيبكم، فإن الرسل قبلي قد
كذبتهم أممهم وما ضروهم، وإنما ضروا أنفسهم حيث حل بهم ما حل بسبب تكذيب الرسل، وأما الرسول فقد تم أمره حين بلغ
البلاغ المبين الذي زال معه الشك، وهو اقترانه بآيات الله ومعجزاته. أو وإن كنت مكذبا فيما بينكم فلي في سائر
الأنبياء أسوة وسلوة حيث كذبوا، وما على الرسول أن يبلغ وما عليه أن يصدق ولا يكذب. وهذه الآية والآيات
التي بعدها إلى قوله تعالى فما كان جواب قومه محتملة أن تكون من جملة قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه وأن تكون

آيات وقعت معترضة في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشأن قريش بين أول قصة إبرهيم وآخرها فإن قلت
إذا كانت من قول إبراهيم فما المراد بالأمم قبله قلت قوم شيث وإدريس
ونوح وغيرهم وكفى بقوم نوح أمة في معنى أمم جمة مكذبة ولقد عاش إدريس عليه الصلاة والسلام ألف
سنة في قومه إلى أن رفع إلى السماء وآمن به ألف إنسان منهم على عدد سنيه وأعقابهم على التكذيب فإن قلت
فما تصنع بقوله قل سيروا في الأرض قلت هي حكاية كلام الله حكاه إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه كما
تحكي رسولنا عليه الصلاة والسلام كلام الله على هذا المنهاج في أكثر القرآن فإن قلت فإذا كانت خطابا
لقريش فما وجه توسطها بين طرفي قصة إبراهيم والجملة أو الجمل الاعتراضية لا بد لها من اتصال بما وقعت معترضة
فيه ألا تراك لا تقول مكة وزيد أبوه قائم خير بلاد الله قلت إيراد قصة إبرهيم ليس إلا إرادة للتنفيس عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأن تكون مسلاة له ومتفرجا بأن أباه إبراهيم خليل الله كان ممنوا بنحو ما مني به من شرك
قومه وعبادتهم الأوثان فاعترض بقوله تعالى وإن تكذبوا على معنى أنكم يا معشر قريش إن تكذبوا محمدا فقد كذب
إبراهيم قومه وكل أمة نبيها لأن قوله تعالى كذب أمم من قبلكم لا بد من تناوله لأمة إبراهيم وهو كما ترى اعتراض
واقع متصل ثم سائر الآيات الواقعة عقيبها من أذيالها وتوابعها لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله وهدم الشرك
وتوهين قواعده وصفة قدرة الله وسلطانه ووضوح حجته وبرهانه أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده
إن ذلك على الله يسير قرئ يروا بالياء والتاء ويبدئ ويبدأ وقوله تعالى ثم يعيده ليس بمعطوف
على يبدئ وليست الرؤية واقعة عليه وإنما هو إخبار على حياله بالإعادة بعد الموت كما وقع النظر في قوله
تعالى كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة على البدء دون الإنشاء ونحوه قولك ما زلت أوثر فلانا
وأستخلفه على من أخلفه فإن قلت هو معطوف بحرف العطف فلا بد له من معطوف عليه فما هو قلت
هو جملة قوله أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق وكذلك وأستخلفه معطوف على جملة قوله ما زلت أوثر
فلانا ذلك يرجع إلى ما يرجع إليه هو في قوله تعالى وهو أهون عليه من معنى يعيد قل سيروا في الأرض فانظروا
كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير ودل بقوله النشأة الآخرة على
أنهما نشأتان وأن كل واحدة منهما إنشاء أي ابتداء واختراع وإخراج من العدم إلى الوجود لا تفاوت
بينهما إلا أن الآخرة إنشاء بعد إنشاء مثله والأولى ليست كذلك وقرئ النشأة والنشاءة كالرأفة والرآفة
فإن قلت ما معنى الإفصاح باسمه مع إيقاعه مبتدأ في قوله تعالى ثم الله ينشئ النشأة الآخرة بعد
إضماره في قوله تعالى كيف بدأ الخلق وكان القياس أن يقال كيف بدأ الله الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة
قلت الكلام معهم كان واقعا في الإعادة وفيها كانت تصطك الركب فلما قررهم في الإبداء بأنه من الله احتج
عليهم بأن الإعادة إنشاء مثل الإبداء فإذا كان الله الذي لا يعجزه الإبداء فهو الذي وجب أن لا تعجزه الإعادة
فكأنه قال ثم ذاك الذي أنشأ النشأة الأولى هو الذي ينشئ النشأة الآخرة فللدلالة والتنبيه على
هذا المعنى أبرز اسمه وأوقعه مبتدأ يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تقلبون يعذب من يشاء تعذيبه
ويرحم من يشاء رحمته ومتعلق المشيئتين مفسر مبين في مواضع من القرآن وهو من يستوجبهما من الكافر والفاسق
إذا لم يتوبا ومن المعصوم والتائب تقلبون تردون وترجعون وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء
وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وما أنتم بمعجزين ربكم أي لا تفوتونه إن هربتم من حكمه وقضائه في الأرض

فاشزرا

الفسيحة ولا في السماء التي هي أفسح منها وأبسط لو كنتم فيها لقوله تعالى إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض
فانفذوا وقيل ولا من في السماء كقول حسان . أمن يهجو رسول الله عليه الصلاة والسلام منكم ويمدحه
ويحتمل أن يراد لا تعجزونه كيف ما هبطتم في مهاوي الأرض وأعماقها وعلوتم في البروج والقلاع
الذاهبة في السماء كقوله تعالى ولو كنتم في بروج مشيدة أو لا تعجزون أمره الجاري في السماء والأرض
أن يجري عليكم فيصيبكم ببلاء يظهر من الأرض أو ينزل من السماء والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك
يئسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم بآيات الله بدلائله على وحدانيته وكتبه ومعجزاته ولقائه والبعث
يئسوا من رحمتي وعيد أي ييأسون يوم القيمة لقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون أو هو وصف
لحالهم لأن المؤمن إنما يكون راجيا خاشيا فأما الكافر فلا يخطر بباله رجاء ولا خوف أو شبه حالهم في انتفاء
الرحمة عنهم بحال من يئس من الرحمة وعن قتادة أن الله تعالى ذم قوما هانوا عليه فقال أولئك يئسوا من رحمتي وقال
إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون فينبغي للمؤمن أن لا ييأس من روح الله ولا من رحمته وأن لا يأمن
من عذابه وعقابه صفة المؤمن أن يكون راجيا لله خائفا فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه
فأنجاه الله من النار إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون قرئ جواب قومه بالنصب والرفع فقالوا قال
بعضهم لبعض أو قاله واحد منهم وكان الباقون راضين فكانوا جميعا في حكم القائلين وروي أنه لم ينتفع في
ذلك اليوم بالنار يعني يوم ألقي إبراهيم في النار وذلك لذهاب حرها وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانا
مودة بينكم في الحيوة الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما
لكم من ناصرين قرئ على النصب بغير إضافة وبإضافة وعلى الرفع كذلك فالنصب على وجهين على التعليل أي
لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها وائتلافكم كما يتفق الناس على مذهب فيكون
ذلك سبب تحابهم وتصادقهم وأن يكون مفعولا ثانيا كقوله تعالى اتخذ إلهه هواه أي اتخذتم الأوثان سبب
المودة بينكم على تقدير حذف المضاف أو اتخذتموها مودة بينكم بمعنى مودودة بينكم كقوله تعالى ومن الناس
من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله وفي الرفع وجهان أن يكون خبرا لأن على أن ما موصولة وأن
يكون خبر مبتدأ محذوف والمعنى أن الأوثان مودة بينكم أو سبب مودة وعن عاصم مودة بينكم بفتح بينكم مع
الإضافة كما قرئ لقد تقطع بينكم بفتح وهو فاعل وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه أوثانا إنما مودة بينكم
في الحيوة الدنيا أي إنما تتوادون عليها وتودونها في الحيوة الدنيا ثم يوم القيمة يقوم بينكم التلاعن والتباغض
والتعادي يتلاعن العبدة ويلاعن العبدة والأصنام كقوله تعالى ويكونون عليهم ضدا فآمن له لوط وقال
إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم كان لوط عليه الصلاة والسلام ابن أخت إبراهيم عليه الصلاة والسلام
وهو أول من آمن له حين رأى النار لم تحرقه وقال يعني إبراهيم إني مهاجر من كوثى وهي من سواد الكوفة إلى حران
ثم منها إلى فلسطين ومن ثم قالوا لكل نبي هجرة ولإبراهيم هجرتان وكان معه في هجرته لوط وامرأته سارة وهاجر
وهو ابن خمس وسبعين سنة إلى ربي إلى حيث أمرني بالهجرة إليه إنه هو العزيز الذي يمنعني من أعدائي الحكيم الذي
لا يأمرني إلا بما هو مصلحتي ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه أجره
في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين أجره الثناء الحسن والصلوة عليه آخر الدهر والذرية الطيبة
والنبوة وأن أهل الملك كلهم يتولونه فإن قلت ما بال إسمعيل عليه الصلاة والسلام لم يذكر وذكر إسحق عليه السلام

وينصره سواء

وعقبه قلت قد دل عليه في قوله تعالى وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب ولكن الدليل لشهرة أمره وعلو قدره فإن قلت
ما المراد بالكتاب قلت قصد به جنس الكتاب حتى دخل تحته ما نزل على ذريته من الكتب الاربعة التي هي التورية
والزبور والانجيل والقرآن ولوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين
ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا
بعذاب الله ان كنت من الصادقين ولوطا معطوف على ابراهيم او على ما عطف عليه الفاحشة الفعلة البالغة
في القبح وما سبقكم بها من احد من العالمين جملة مستأنفة مقررة لفحاشة تلك الفعلة كأن قائلا قال لم كانت فاحشة
فقيل له لأن احدا قبلهم لم يقدم عليها اشمئزازا منها في طباعهم لافراط قبحها حتى اقدم عليها قوم لوط لخبث طينتهم
وقذر طباعهم قالوا لم ينز ذكر على ذكر قبل قوم لوط قط وقرئ انكم بغير استفهام في الاول دون الثاني قال
ابو عبيد وجدته في الامام بحرف واحد بغير ياء ورأيت الثاني بحرفين الياء والنون وقطع السبيل عمل قطاع
الطريق من قتل الانفس واخذ الاموال وقيل اعتراضهم للسابلة بالفاحشة وعن الحسن رحمه الله قطع النسل
باتيان ما ليس بحرث والمنكر وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الحذف بالحصى والرمي بالبنادق والفرقعة ومضغ
العلك والسواك بين الناس وحل الازرار والسباب والفحش في المزاح وعن عائشة رضي الله عنها كانوا
يتحابقون وقيل السخرية بمن مر بهم وقيل المجاهرة في ناديهم بذلك العمل وكل معصية فاظهارها اقبح من
سترها ولذلك جاء من خرق جلباب الحياء فلا غيبة له ولا يقال للمجلس ناد الا ما دام فيه اهله فاذا قاموا عنه
لم يبق ناديا ان كنت من الصادقين فيما تعدناه من نزول العذاب قال رب انصرني على القوم المفسدين كانوا
يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش طوعا وكرها ولانهم ابتدعوا الفاحشة وسنوها
فيمن بعدهم وقال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون
فاراد لوط عليه الصلاة والسلام ان يشتد غضب الله عليهم فذكر لذلك صفة المفسدين في دعائه ولما جاءت
رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين بالبشرى هي البشارة
بالولد والنافلة وهما اسحق ويعقوب عليهما الصلاة والسلام واضافة مهلكوا اضافة تخفيف لا تعريف والمعنى
الاستقبال والقرية سدوم التي قيل فيها اجور من قاضي سدوم كانوا ظالمين معناه ان الظلم قد استمر
منهم ايجاده في الايام السالفة وهم عليه مصرون وظلمهم كفرهم والوان معاصيهم قال ان فيها لوطا
قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امرأته كانت من الغابرين ان فيها لوطا ليس اخبارا لهم بكونه
فيها وانما هو جدال في شأنه لانهم لما عللوا اهلاك اهلها بظلمهم اعترض عليهم بان فيها من هو بريء من الظلم
واراد بالجدال اظهار الشفقة عليه وما يجب للمؤمن من التحزن لاخيه والتشمر في نصرته
وحياطته والخوف من ان يمسه اذى او يلحقه ضرر قال قتادة لا يرى المؤمن ان لا يحوط المؤمن الا
يؤدي الى جوابهم بانهم اعلم منهم بمن فيها يعنون نحن اعلم منك واخبر بحال لوط وحال قومه وامتيازه منهم
الامتياز البين وانه لا يستأهل ما يستأهلون فخفض على نفسك وهون عليك الخطب وقرئ
لننجينه بالتشديد وبالتخفيف وكذلك منجوك ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا
وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك واهلك الا امرأتك كانت من الغابرين ان صلة اكدت
وجود الفعلين مترتبا احدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما كانهما وجدا في جزء واحد من الزمان

كانه

عنكبوت

كأنه قيل لما أحس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه وضاق بهم ذرعا وضاق بشأنهم وبتدبير أمرهم
ذرعه أي طاقته وقد جعلت العرب ضيق الذراع والذرع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع بكذا
إذا كان مطيقا له والأصل فيه أن الرجل إذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع فضرب ذلك مثلا
في العجز والقدرة إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون الرجز والرجس العذاب
من قولهم ارتجز وارتجس إذا اضطرب لما يلحق المعذب من القلق والاضطراب وقرئ منزلون مخففا ومشددا
ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون منها من القرية آية بينة هي آثار منازلهم الخربة وقيل بقية الحجارة
وقيل الماء الأسود على وجه الأرض وقيل الخبر عما صنع بهم لقوم متعلق بتركنا أو ببينة وإلى مدين أخاهم
شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض مفسدين وارجوا وافعلوا ما ترجون به
العاقبة فأقيم المسبب مقام السبب أو أمروا بالرجاء والمراد اشتراطه ما يسوغه من الإيمان كما يؤمر الكافر بالشرعيات
على إرادة الشرط وقيل هو من الرجاء بمعنى الخوف فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين والرجفة
الزلزلة الشديدة وعن الضحاك صيحة جبريل عليه الصلاة والسلام لأن القلوب رجفت لها في دارهم
في بلدهم وأرضهم أو في ديارهم فاكتفى بالواحد لأنه لا يلبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا وثمود
وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين وعادا منصوب
بإضمار أهلكنا لأن قوله تعالى فأخذتهم الرجفة يدل عليه لأنه في معنى الإهلاك وقد تبين لكم ذلك يعني
ما وصفه من إهلاكهم من جهة مساكنهم إذا نظرتم إليها عند مروركم بها وكان أهل مكة يمرون عليها في
أسفارهم فيبصرونها وكانوا مستبصرين عقلاء متمكنين من النظر والافتكار ولكنهم لم يفعلوا أو كانوا متبينين
أن العذاب نازل بهم لأن الله تعالى قد بين لهم على ألسنة الرسل ولكنهم لجوا حتى هلكوا وقارون وفرعون
وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من
أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم
ولكن كانوا أنفسهم يظلمون سابقين فائتين أدركهم أمر الله فلم يفوتوه الحاصب لقوم لوط وهي ريح عاصف
فيها حصباء وقيل ملك كان يرميهم والصيحة لمدين وثمود والخسف لقارون والغرق لقوم نوح وفرعون
مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت
لو كانوا يعلمون الغرض تشبيه ما اتخذوه متكلا ومعتمدا في دينهم وتولوه من دون الله بما هو مثل عند
الناس في الوهن وضعف القوة وهو نسج العنكبوت ألا ترى مقطع التشبيه وهو قوله تعالى وإن أوهن
البيوت لبيت العنكبوت فإن قلت ما معنى قوله تعالى لو كانوا يعلمون وكل أحد يعلم وهن بيت
قلت معناه لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم وأن أمر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن ووجه آخر وهو أنه
إذا صح تشبيه ما اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت وقد صح أن أوهن البيوت فقد تبين ببيت العنكبوت
فقد تبين أن دينهم أوهن الأديان لو كانوا يعلمون أو أخرج الكلام بعد تصحيح التشبيه مخرج المجاز
فكأنه قال وإن أوهن ما يعتمد عليه في الدين عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون ولقائل أن يقول مثل المشرك الذي
يعبد الوثن بالقياس إلى المؤمن الذي يعبد الله مثل عنكبوت يتخذ بيتا بالإضافة إلى رجل يبني بيتا بالإضافة إلى رجل
يبني بيتا بآجر وجص أو ينحته من صخر وكما أن أوهن البيوت إذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت

دياد يا عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم قرئ يدعون
بالياء والتاء هذا توكيد للمثل وزيادة عليه حيث لم يجعل ما يدعونه شيئا وهو العزيز الحكيم فيه تجهيل لهم حيث
عبدوا ما ليس بشيء لأنه جماد ليس معه مصحح العلم والقدرة أصلا وتركوا عبادة القاهر القادر على كل شيء الحكيم
الذي لا يفعل شيئا إلا بحكمة وتدبير وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون كان الجهلة
والسفهاء من قريش يقولون إن رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك فلذلك قال
وما يعقلها إلا العالمون أي لا يعقل صحتها وحسنها وفائدتها إلا هم لأن الأمثال والتشبيهات إنما هي الطرق
إلى المعاني المحتجبة في الأستار حتى تبرزها وتكشف عنها وتصورها للأفهام كما صور هذا التشبيه الفرق
بين حال المشرك وحال الموحد وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته
واجتنب سخطه خلق الله السموات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين بالحق أي بالغرض الصحيح الذي هو حق لا باطل
وهو أن تكون مساكن عباده وعبرة للمعتبرين منهم ودلائل على عظم قدرته ألا ترى إلى قوله إن في ذلك لآية للمؤمنين
ونحوه قوله عز وجل وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ثم قال ذلك ظن الذين كفروا اتل ما أوحي إليك
من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون الصلاة
التي هي الصلاة عند الله لطفا في ترك المعاصي فكأنها ناهية عنها فإن قلت كم من مصل يرتكب ولا تنهاه صلاته
قلت الصلاة التي هي عند الله المستحق بها الثواب أن يدخل فيها مقدما للتوبة النصوح متقيا لقوله
تعالى إنما يتقبل الله من المتقين ويصليها خاشعا بالقلب والجوارح بعد أن يصليها فلا يحبطها فهي الصلاة
التي تنهى عن الفحشاء والمنكر وعن ابن عباس رضي الله عنهما من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزدد
بصلاته من الله إلا بعدا وعن الحسن رحمة الله عليه من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلاة
وهي وبال عليه وقيل من كان مراعيا للصلاة جره ذلك إلى أن ينتهي عن السيئات يوما ما وروي أن فتى من الأنصار
كان يصلي معه وروي أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال إن
صلاته لتردعه وروي أن فتى من الأنصار كان يصلي معه الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش إلا ركبه
فوصف له فقال إن صلاته ستنهاه فلم يلبث أن تاب وعلى كل حال فإن المراعي للصلاة لا بد أن يكون أبعد من الفحشاء
والمنكر ممن لا يراعيها وأيضا فكم من مصلين تنهاهم الصلاة عن الفحشاء والمنكر وإنما يريد هذه الخصلة
موجودة فيه واللفظ لا يقتضي أن لا يخرج واحد من المصلين عن قضيتها كما تقول إن زيدا ينهى عن المنكر
فليس غرضك أنه ينهى عن جميع المناكير إنما تريد هذه الخصلة موجودة فيه وحاصلة منه من غير اقتضاء
للعموم ولذكر الله أكبر يريد والصلاة أكبر من غيرها من الطاعات وسماها بذكر الله كما قال تعالى
فاسعوا إلى ذكر الله وإنما قال ولذكر الله ليستقل بالتعليل كأنه قال وللصلاة أكبر لأنها ذكر الله أو ولذكر
الله عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما أكبر فكان أولى بأن ينهى من اللطف الذي في الصلاة وعن
ابن عباس رضي الله عنهما ولذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون من الخير
والطاعة فيثيبكم أحسن الثواب ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا
بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون بالخصلة التي هي أحسن وهي مقابلة الخشونة
باللين والغضب بالكظم والسورة بالأناة كما قال الله تعالى ادفع بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا فأفرطوا في الاعتداء

بلغ مقابلة

والعناد

عنكبوت

بلغ مقا

والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق فاستعملوا معهم الغلظة وقيل الا الذين آذوا رسول الله وقيل الا الذين ظلموا
اثبتوا الولد والشريك وقالوا يد الله مغلولة وقيل معناه ولا تجادلوا الداخلين في الذمة المؤدين للجزية الا
بالتي هي احسن الا الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فان اولئك مجادلتهم بالسيف وعن قتادة الآية منسوخة
بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا مجادلة اشد من السيف وقوله وقولوا آمنا
بالذي انزل الينا من جنس المجادلة بالتي هي احسن وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما حدثكم اهل الكتاب فلا تصدقوهم
ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان كان باطلا لم تصدقوهم وان كان حقا لم تكذبوهم وكذلك
انزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون
ومثل ذلك الانزال انزلنا الكتاب اي انزلناه مصدقا لسائر الكتب السماوية تحقيقا لقوله تعالى آمنا بالذي انزل
الينا وانزل اليكم وقيل كما انزلنا الكتب الى من كان قبلك انزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب هم عبد الله
بن سلام رضي الله عنه ومن آمن معه ومن هؤلاء من اهل مكة وقيل اراد بالذين اوتوا الكتاب الذين تقدموا
عهد رسول الله من اهل الكتاب ومن هؤلاء ومن في عهده منهم وما يجحد بآياتنا مع ظهورها وزوال الشبهة عنها
الا المتوغلون في الكفر المصممون عليه وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه وما كنت تتلو من قبله من كتاب
ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون وانت امي ما عرفك احد قط بتلاوة كتاب ولا خط اذن لو كان
شيء من ذلك اي من التلاوة والخط لارتاب المبطلون من اهل الكتاب وقالوا الذي نجده في كتبنا امي لا يكتب
ولا يقرأ وليس به او لارتاب مشركوا مكة وقالوا لعله تعلمه او كتبه بيده فان قلت لم سماهم مبطلين ولو لم
يكن اميا وقالوا ليس بالذي نجده في كتبنا لكانوا صادقين محقين ولكان اهل مكة ايضا على حق في قولهم لعله تعلمه او كتبه
فانه رجل قارئ كاتب قلت سماهم مبطلين لانهم كفروا به وهو امي بعيد من الريب فكأنه قال هؤلاء المبطلون
في كفرهم به لو لم يكن اميا لارتابوا اشد الريب فحين ليس بقارئ كاتب فلا وجه لارتيابهم وشيء آخر وهو
ان سائر الانبياء لم يكونوا اميين ووجب الايمان بهم وبما جاؤوا به لكونهم مصدقين من جهة الحكيم بالمعجزات فهب
انه قارئ كاتب فما لهم لم يؤمنوا به ونحو امي ومبطلون لو لم يؤمنوا به وهو من الوجه الذي آمنوا منه بموسى وعيسى
على ان المنزلين ليسا بمعجزين وهذا المنزل معجز فاذن مبطلون حيث لم يؤمنوا به وهو امي ومبطلون لو لم يؤمنوا به وهو
غير امي فان قلت ما فائدة قوله بيمينك قلت ذكر اليمين وهي الجارحة التي يزاول بها الخط زيادة تصوير
لما نفي عنه من كونه كاتبا ألا ترى انك اذا قلت في الاثبات رأيت الامير يخط هذا الكتاب بيمينه كان اشد لاثباتك
انه تولى كتبته فكذلك النفي بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون
بل القرآن آيات بينات في صدور العلماء به وحفاظه ومن خصائص القرآن كون آياته بينات الاعجاز
وكونه محفوظا في الصدور تتلوه اكثر الامة ظاهرا بخلاف سائر الكتب فانها لم تكن معجزات وما كانت
تقرأ الا من المصاحف ومنه ما جاء في صفة هذه الامة صدورهم اناجيلهم وما يجحد بآيات
الله الواضحة الا المتوغلون في الظلم المكابرون وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله
وانما انا نذير مبين اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون
قرئ آية وآيات ارادوا هلا انزل عليه آية مثل ناقة صالح ومائدة عيسى عليهما الصلاة والسلام ونحو
ذلك انما الآيات عند الله ينزل ايتها شاء ولو شاء ان ينزل ما تقترحونه لفعل وانما انا نذير كلفت الانذار

وآتيته بما أعطيت من الآيات وليس لي أن أتخير على الله آياته فأقول أنزل علي آية كذا دون آية كذا
مع علمي على أن الغرض من الآية ثبوت الدلالة والآيات كلها في حكم آية واحدة في ذلك ثم قال أولم يكفهم آية
مغنية عن سائر الآيات إن كانوا طالبين للحق غير متعنتين هذا القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان
فلا تزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها وتكون في مكان دون مكان • إن في مثل هذه
الآية الموجودة في كل مكان وزمان إلى آخر الدهر لرحمة لنعمة عظيمة لا تشكر • وتذكرة لقوم يؤمنون • وقيل أولم
يكفهم يعني اليهود أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم بتحقيق ما في أيديهم من نعتك • ونعت دينك • وقيل إن ناسا من
المسلمين • أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود • فلما أن نظر إليها ألقاها وقال
كفى بها حماقة قوم أو ضلالة قوم • أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم إلى ما جاء به غير نبيهم • فنزلت والوجه ما ذكرناه
قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات والأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك
هم الخاسرون كفى بالله بيني وبينكم شهيدا أني قد بلغتكم ما أرسلت به إليكم وأنذرتكم وأنكم
قابلتموني بالجحد • والتكذيب يعلم ما في السموات والأرض فهو مطلع على أمري وأمركم وعالم بحقي وباطلكم
والذين آمنوا بالباطل منكم وهو ما تعبدون من دون الله وكفروا بالله وآياته أولئك هم الخاسرون المغبونون
في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان • إلا أن الكلام ورد مورد الإنصاف كقوله تعالى وإنا أو إياكم
لعلى هدى أو في ضلال مبين • • ولقول حسان • •
• فشركما لخيركما الفداء • • وروي أن كعب بن الأشرف وأصحابه قالوا
يا محمد من يشهد لك بأنك رسول الله فنزلت ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب
وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون كان استعجال العذاب استهزاء منهم وتكذيبا والنضر بن الحارث هو الذي
قال اللهم أمطر علينا حجارة من السماء • كما قال أصحاب الأيكة • فأسقط علينا كسفا من السماء ولولا أجل قد سماه الله
وبينه في اللوح لعذابهم وأوجبت الحكمة تأخيره إلى ذلك الأجل المسمى لجاءهم العذاب عاجلا فالمراد بالأجل الآخرة
لما روي أن الله عز وجل وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يعذب قومه ولا يستأصلهم وأن يؤخر عذابهم
إلى يوم القيامة • وقيل يوم بدر • وقيل وقت فنائهم بآجالهم يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين
يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون لمحيطة أي ستحيط بهم
يوم يغشاهم العذاب أو هي محيطة بهم في الدنيا لأن المعاصي التي توجبها محيطة بهم أو لأنها مآلهم ومرجعهم •
لا محالة فكأنها الساعة محيطة بهم ويوم يغشاهم على هذا منصوب بمضمر أي يوم يغشاهم العذاب كان كيت
وكيت ومن فوقهم ومن تحت أرجلهم كقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل وقرئ
بالنون والياء • ما كنتم تعملون أي جزاءه • يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون
معنى الآية أن المؤمن إذا لم تتسهل له العبادة في بلد هو فيه ولم يتمش له أمر دينه كما يحب فليهاجر عنه
إلى بلد يقدر أنه أسلم قلبا وأصح دينا وأكثر عبادة • وأحسن خشوعا ولعمري إن البقاع تتفاوت في ذلك •
التفاوت الكثير ولقد جربنا وجرب أولونا فلم نجد فيما درنا وداروا أعون على قهر النفس وعصيان
الشهوة وأجمع للقلب المتلفت وأضم للهم المنتشر وأحث على القناعة وأطرد للشيطان وأبعد من كثير من الفتن
وأضبط للأمر الديني في الجملة من سكنى حرم الله وجوار بيت الله فلله الحمد على ما سهل من ذلك وقرب ورزق من

الصبر وأروح من الشكر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا من الأرض استوجب الجنة
وكان رفيق إبراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم وقيل هي في المستضعفين بمكة الذين نزل فيهم ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا
فيها وإنما كان ذلك لأن أمر دينهم ما كان يستتب لهم بين ظهراني الكفرة وإياي فاعبدون في المتكلم نحو إياه ضربته في
الغائب وإياك عصيتك في المخاطب فإياي فاعبدوا وإياي فاعبدون فإن قلت ما معنى الفاء في فاعبدون وتقديم المفعول
قلت الفاء جواب شرط محذوف لأن المعنى إن أرضي واسعة فإن لم تخلصوا العبادة لي في أرض فأخلصوها لي في غيرها
ثم حذف الشرط وعوض من حذفه تقديم المفعول مع إفادة تقديمه معنى الاختصاص والإخلاص كل نفس ذائقة الموت
ثم إلينا ترجعون لما أمر عباده بالحرص على العبادة وصدق الاهتمام بها حتى يتطلبوا لها أوفق البلاد وإن شسعت أتبعه
قوله كل نفس ذائقة الموت أي واجدة مرارته وكربه كما يجد الذائق طعم المذوق ومعناه أنكم ميتون فواصلون إلى
الجزاء ومن كانت هذه عاقبته لم يكن له بد من التزود لها والاستعداد بجهده والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم
من الجنة غرفا تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون لنبوئنهم لننزلنهم
من الجنة علالي وثوى لنثوينهم من الثواء وهو النزول للإقامة يقال ثوى في المنزل وأثوى هو وأثوى غيره
وثوى غير متعد فإذا تعدى بزيادة همزة النقل لم يتجاوز مفعولا واحدا نحو ذهب وأذهبته والوجه في تعديته إلى ضمير
المؤمنين وإلى الغرف إما إجراؤه مجرى لننزلنهم ونبوئنهم أو حذف الجار وإيصال الفعل أو تشبيه الظرف المؤقت بالمبهم
وقرأ يحيى بن وثاب فنعم بزيادة الفاء الذين صبروا على مفارقة الأوطان والهجرة لأجل الدين وعلى أذى المشركين وعلى المحن
والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصي ولم يتوكلوا في جميع ذلك إلا على الله عز وجل وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله
يرزقها وإياكم وهو السميع العليم لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسلم بمكة بالهجرة خافوا العيلة والضيعة وكان يقول
الرجل منهم كيف أقدم بلدة ليست لي فيها معيشة فنزلت والدابة كل نفس دبت على وجه الأرض عقلت أو لم تعقل
لا تحمل رزقها لا تطيق أن تحمله لضعفها عن حمله الله يرزقها وإياكم أي لا يرزق تلك الدواب الضعاف إلا الله ولا
يرزقكم أيضا أيها الأقوياء إلا هو وإن كنتم مطيقين لحمل أرزاقكم وكسبها لأنه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم أسباب الكسب
لكنتم أعجز من الدواب التي لا تحمل وعن الحسن رحمه الله عليه لا تحمل رزقها لا تدخره إنما تصبح فيرزقها الله تعالى وعن
ابن عيينة ليس شيء يخبأ إلا الإنسان والنملة والفأرة وعن بعضهم رأيت البلبل يحتكر في حضنه ويقال
للعقعق مخابي إلا أنه ينساها وهو السميع لقولكم نخشى الفقر والضيعة والعليم بما في ضمائركم ولئن سألتهم من
خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون الضمير في سألتهم لأهل مكة فأنى يؤفكون
فكيف يصرفون عن توحيد الله وأن لا يشركوا به مع إقرارهم بأنه خالق السماوات والأرض الله يبسط الرزق لمن يشاء
من عباده ويقدر له إن الله بكل شيء عليم قدر الرزق وقتره بمعنى إذا ضيقه فإن قلت الذي رجع إليه
الضمير في قوله تعالى ويقدر له هو من يشاء فكان بسط الرزق وقدره جعلا لواحد قلت يحتمل الوجهين جميعا أن
يريد ويقدر لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء لأن من يشاء مبهم غير معين فكان الضمير مبهما مثله وأن يريد تعاقب
الأمرين على واحد على حسب المصلحة إن الله بكل شيء عليم يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم ولئن سألتهم من نزل من
السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون أحمد رسول الله عليه الصلاة
والسلام على أنه ممن أقر بنحو ما أقروا به ثم نفعه ذلك في توحيده ونفي الأنداد والشركاء عنه ولم يكن إقرارا عاطلا كإقرار
المشركين وعلى أنهم أقروا بما هو حجة عليهم حيث نسبوا النعمة إلى الله وقد جعلوا العبادة للصنم ثم قال بل أكثرهم

لا يعقلون ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد او لا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله ولا يفطنون
لم حمدت الله عند مقالتهم وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون
هذه فيها ازدراء للدنيا وتصغير لامرها وكيف لا يصغرها وهي لا تزن عنده جناح بعوضة يريد ما هي لسرعة
زوالها عن اهلها وموتهم عنها الا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون وان الآخرة لهي الحيوان اي ليس فيها الا حيوة مستمرة
دائمة خالدة لا موت فيها فكانها في ذاتها حيوة والحيوان مصدر حيي وقياسه حييان فقلبت الياء الثانية
واوا كما قالوا حيوة في اسم رجل وبه سمي ما فيه حيوة حيوانا قالوا اشتر من الموتان ولا تشتر من الحيوان وفي بناء الحيوان
زيادة معنى ليس في بناء الحيوة وهي ما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب كالنزوان والنقضان واللهبان وما
اشبه ذلك والحيوة حركة كما ان الموت سكون فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحيوة في هذا الموضع
المقتضي للمبالغة لو كانوا يعلمون فلم يؤثروا الحيوة الدنيا عليها فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له
الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون فان قلت بم
اتصل قوله فاذا ركبوا قلت بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من امرهم معناه على ما وصفوا به من الشرك
والعناد فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين كائنين في صورة من يخلص الدين لله من المؤمنين حيث
لا يذكرون الا الله ولا يدعون معه الها آخر وفي تسميتهم مخلصين ضرب من التهكم فلما نجاهم الى البر
عادوا الى حال الشرك واللام في ليكفروا محتملة ان تكون لام كي وكذلك في وليتمتعوا فيمن قرأها بالكسر
والمعنى انهم يعودون الى شركهم ليكونوا بالعود الى شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ وان
تكون لا غير على خلاف ما هو عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة اذا انجاهم الله ان يشكروا نعمة الله في انجائهم
ويجعلوا نعمة النجاة ذريعة على ازدياد الطاعة لا الى التمتع والتلذذ وان تكون لام الامر وقراءة من قرأ
وليتمتعوا بالسكون تشهد له ونحوه قوله عز وجل اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير فان قلت كيف جاز
ان يامر الله تعالى بالكفر وبان يعمل العصاة ما شاؤا وهو ناه عن ذلك ومتوعد عليه قلت هو مجاز عن الخذلان
والتخلية وان ذلك الامر متسخط الى غاية ومثاله ان ترى الرجل قد عزم على امر وعندك ان ذلك الامر خطاء
وانه يؤدي الى ضرر عظيم فتبالغ في نصحه واستنزاله عن رايه فاذا لم تر منه الا الاباء والتصميم حردت
عليه وقلت انت وشانك وافعل ما شئت ولا تريد بهذا حقيقة الامر وكيف والآمر بالشيء مريد له وانت
شديد الكراهة متحسر ولكنك كانك تقول له فاذا قد ابيت قبول النصيحة فانت اهل ليقال لك افعل ما شئت
وتبعث عليه لتتبين لك اذا فعلت صحة رأي الناصح وفساد رايك اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف
الناس من حولهم افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون كانت العرب حول مكة يغزو بعضهم بعضا ويتغاورون
ويتناهبون واهل مكة قارون آمنون فيها لا يغزون ولا يغار عليهم مع قلتهم وكثرة العرب فذكرهم الله
تعالى هذه النعمة الخاصة عليهم ووبخهم بانهم يؤمنون بالباطل الذي هم عليه ومثل هذه النعمة المكشوفة الظاهرة
وغيرها من النعم التي لا يقدر عليها الا الله وحده مكفورة عندهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب
بالحق لما جاءه اليس في جهنم مثوى للكافرين افتراؤهم على الله كذبا زعمهم ان لله شريكا وتكذيبهم بما جاءهم من الحق
كفرهم بالرسول والكتاب وفي قوله تعالى لما جاءه تسفيه لهم يعني لم يتلعثموا في تكذيبه وقت سمعوه ولم يفعلوا كما يفعل
المراجيح العقول المتثبتون في الامور يسمعون الخبر فيستعملون فيه الروية والفكر ويستأنون الى ان يصح لهم صدقه

او كذبه

اولد به • أليس تقرير لثوائهم في جهنم لقولهم خير من ركب المطايا • قال بعضهم

• ولو كان استفهاما ما اعطاه الخليفة مائة من الابل • وحقيقته ان الهمزة همزة الانكار دخلت على النفي فرجع الى معنى التقرير فهما وجهان احدهما الا يثوون في جهنم والا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق هذا التكذيب والثاني الم يصح عندهم ان في جهنم للكافرين حتى اجترؤا مثل هذا الجراءة • والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين اطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول ليتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس الامارة بالسوء والشيطان واعداء الدين • فينا في حقنا ومن اجلنا ولوجهنا خالصا • لنهدينهم سبلنا لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا لقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وعن ابي سليمان الداراني رحمه الله عليه والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم الى ما لم يعلموا • وعن بعضهم من عمل بما يعلم وفق لما لا يعلم • وقيل ان الذي نرى من جهلنا بما لا نعلم انما هو من تقصيرنا فيما نعلم • لمع المحسنين لناصرهم ومعينهم • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين صدق وهو اصدق القائلين

سورة الروم مكية | بسم الله الرحمن الرحيم | وهي سبعون آية

الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين القراءة المشهورة الكثيرة غلبت بضم الغين وسيغلبون بفتح الياء والارض ارض العرب لان الارض المعهودة عند العرب ارضهم والمعنى غلبوا في ادنى ارض العرب منهم وهي اطراف الشام او اراد ارضهم على انابة اللام مناب المضاف اليه اي في ادنى ارضهم الى عدوهم قال مجاهد رحمه الله هي ارض الجزيرة وهي ادنى ارض الروم الى فارس • وعن ابن عباس رضي الله عنهما الاردن وفلسطين • وقرئ في اداني الارض • والبضع ما بين الثلاث الى العشر • عن الاصمعي • وقيل احتربت الروم وفارس بين اذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم فبلغ الخبر مكة فشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين لان فارس مجوس لا كتاب لهم والروم اهل الكتاب وفرح المشركون وشمتوا وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن نحن عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر رضي الله عنه لا يقرر الله اعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف كذبت يا ابا فصيل اجعل بيننا وبينك اجلا اناحبك عليه والمناحبة المراهنة فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعل الاجل ثلث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلث الى التسع فزايده في الخطر ومادّه في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابي من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس سبع سنين • وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين • فاخذ ابو بكر رضي الله عنه الخطر من ذرية ابي وجاء به الى رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال تصدق به • وهذه الاية من الايات البينة الشاهدة على صحة النبوة وان القرآن من عند الله لانها انباء عن علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله • وقرئ غلبهم بسكون اللام • والغلب والغلب مصدران كالجلب والجلب والحلب والحلب • وقرئ غلبت الروم بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه ان الروم غلبوا في ريف الشام وسيغلبهم المسلمون في بضع سنين وعند انقضاء هذه المدة اخذ المسلمون في جهاد الروم واضافة غلبهم تختلف باختلاف القراءتين ففي احديهما اضافة المصدر الى المفعول وفي الثانية اضافته

في القابل ومنا لهما محرّم عليكم اخراجهم ولن يخلف الله وعده فان قلت كيف صحت المناحبة وانما هي قمار قلت عن قتادة
انه كان ذلك قبل تحريم القمار ومن مذهب ابي حنيفة ومحمد رحمهما الله ان العقود الفاسدة من عقود الربا وغيرها
جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد احتجا على صحة ذلك بما عقده ابو بكر رضي الله عنه بينه وبين ابيّ بن خلف
لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم من قبل ومن بعد اي في
اول الوقتين وفي آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كانه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد
كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين يعني ان كونهم مغلوبين اولا وغالبين آخرا ليس الا بامر الله وقضائه وتلك
الايام نداولها بين الناس وقرئ من قبلٍ ومن بعدٍ على الجر من غير تقدير مضاف اليه واقتطاعه كانه قيل قبلا
وبعدا بمعنى اولا وآخرا ويومئذ ويوم تغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله من غلبتهم يفرح المؤمنون
بنصر الله وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وقيل نصر الله اظهار صدق المؤمنين فيما
اخبروا به المشركين من غلبة الروم وقيل نصر الله انه ولّى بعض الظالمين بعضا وفرق بين كلمهم حتى تفانوا وتناقصوا
وفلّ هؤلاء شوكة هؤلاء وفي ذلك قوة للاسلام وعن ابي سعيد الخدري وافق ذلك يوم بدر وفي هذا اليوم
نصر المؤمنين وهو العزيز الرحيم ينصر عليكم تارة وينصركم اخرى وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن
اكثر الناس لا يعلمون وعد الله مصدر مؤكد كقولك لك علي الف درهم عرفا لان معناه اعترف لك بها
اعترافا ووعد الله ذلك وعدا لان ما سبقه في معنى وعد يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون
وصفهم الله بانهم عقلاء في امور الدنيا بله في امر الدين وذلك انهم كانوا اصحاب تجارات ومكاسب وعن الحسن رحمة
الله عليه بلغ من حذق احدهم انه يأخذ الدرهم فينقره باصبعه فيعلم اردي هو ام جيد وقوله تعالى يعلمون
بدل من قوله لا يعلمون وفي هذا الابدال من النكتة انه ابدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده
ليعلمك انه لا فرق بين العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا وقوله تعالى ظاهرا من الحياة
الدنيا يفيد ان للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها وباطنها
وحقيقتها انها مجاز الى الآخرة يتزود منها اليها بالطاعة والاعمال الصالحة وفي تنكير الظاهر انهم لا يعلمون
الا ظاهرا واحدا من جملة الظواهر وهم الثانية يجوز ان يكون مبتدأ وغافلون خبره ونقرها ومعلمها
والجملة خبر هم الاولى وان يكون تكريرا للاولى وغافلون خبر الاولى واية كانت فذكرها مناد على انهم معدن
الغفلة عن الآخرة ومقرها ومحلها وانها منهم تنبع واليهم ترجع اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات
والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون يحتمل ان يكون ظرفا كانه قال
اولم يحدثوا التفكر في انفسهم اي في قلوبهم الفارغة من الفكر والتفكر لا يكون الا في القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين التفكر
كقولك اعتقده في قلبك واضمره في نفسك وان يكون صلة التفكر كقولك تفكر في الامر واجال فيه فكره وما خلق متعلق
بالقول المحذوف ومعناه اولم يتفكروا فيقولوا هذا القول وقيل معناه فيعلموا لان في الكلام دليلا عليه الا بالحق واجل
مسمى اي ما خلقها باطلا وعبثا لغير غرض صحيح وحكمة بالغة ولا لتبقى خالدة وانما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير
اجل مسمى لا بد لها من ان تنتهي اليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب الا ترى الى قوله تعالى
افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون كيف سمى تركهم غير راجعين اليه عبثا والباء في قوله تعالى الا بالحق مثلها
في قولك دخلت عليه بثياب السفر واشترى الفرس بسرجه ولجامه تريد اشتراه وهو متلبس بالسرج واللجام غير منفك

عنها

عنهما وكذلك المعنى ما خلقها الا وهي ملتبسة بالحق مقترنة به فان قلت اذا جعلت في انفسهم صلة للتفكر فما معناه قلت
معناه اولم يتفكروا في انفسهم التي هي اقرب اليهم من غيرها من المخلوقات وهم اعلم واخبر باحوالها منهم باحوال
ما عداها فيتدبروا ما اودعها الله ظاهرا وباطنا من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الاهمال وانه لا بد لها من
انتهاء اليه وقت يجازيها فيه الحكيم الذي دبر امرها على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك ان
سائر الخلائق كذلك امرها جار على الحكمة والتدبير وانه لا بد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت والمراد بلقاء ربهم الاجل
المسمى اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وعمروها
اكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون اولم يسيروا تقرير
لسيرهم في البلاد ونظرهم الى اثار المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الامم العاتية ثم اخذ يصف لهم احوالهم
وانهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وحرثوها قال الله تعالى لا ذلول تثير الارض وقيل لبقر الحرث
المثيرة وقالوا سمي ثورا لاثارته الارض وبقرة لانها تبقرها اي تشقها وعمروها يعني اولئك المدمرون
اكثر مما عمروها من عمارة اهل مكة واهل مكة اهل واد غير ذي زرع ما لهم اثارة الارض اصلا ولا عمارة
لها راسا فما هو الا تهكم بهم وبضعف حالهم في دنياهم لان معظم ما يستظهر به اهل الدنيا ويتباهون به
امر الدهقنة وهم ايضا ضعاف القوى قوله كانوا اشد منهم قوة اي عاد وثمود واضرابهم من هذا
القبيل كقوله عز وجل اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وان كان هذا ابلغ لانه خالق القوى
والقدر فما كان تدميره اياهم ظلما لهم لان حاله منافية للظلم ولكنهم ظلموا انفسهم حيث عملوا ما اوجب تدميرهم
ثم كان عاقبة الذين اساءوا السوأى ان كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزءون ترى عاقبة بالنصب والرفع والسوأى
تانيث الاسوأ وهو الاقبح كما ان الحسنى تانيث الاحسن والمعنى انهم عوقبوا في الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم السوأى
الا انه وضع المظهر موضع المضمر اي العقوبة التي هي اسوأ العقوبات في الاخرة وهي جهنم التي اعدت للكافرين
وان كذبوا بمعنى لان كذبوا ويجوز ان يكون بمعنى اي لانه اذا كان تفسير الاساءة التكذيب والاستهزاء كانت في
معنى القول نحو ناديت وكتبت وما اشبه ذلك ووجه اخر ان يكون اساءوا السوأى بمعنى اقترفوا الخطيئة التي هي اسوأ
الخطايا وان كذبوا عطف بيان لها وخبر كان محذوف كما يحذف جواب لما ولو ارادة الابهام الله يبدأ الخلق ثم
يعيده ثم اليه ترجعون ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ثم اليه ترجعون اي الى ثوابه وعقابه وقرئ بالياء والتاء
الابلاس ان يبقى بائسا ساكنا متحيرا يقال ناظرته فابلس اذا لم ينبس ويئس من ان يحتج ومنه الناقة المبلاس
التي لا ترغو وقرئ يبلس بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين
من شركائهم من الذين عبدوهم من دون الله وكانوا بشركائهم كافرين اي يكفرون بالهتهم ويجحدونها او كانوا
في الدنيا كافرين بسببهم وكتب شفعوا في المصحف بواو قبل الالف كما كتب علموا بني اسرائيل وكذلك كتب السوأى
بالف قبل الياء اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون
الضمير في يتفرقون للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده عليه وعن الحسن رحمة الله عليه هو تفرق المسلمين والكافرين
هؤلاء في عليين وهؤلاء في اسفل السافلين وعن قتادة فرقة لا اجتماع بعدها فاما الذين امنوا
وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون في روضة في بستان وهي الجنة والتنكير لابهام امرها وتفخيمه
والروضة عند العرب كل ارض ذات نبات وماء وفي امثالهم احسن من بيضة في روضة يريدون بيضة النعامة

يحبرون يسرون يقال حبره اذا سره سرورا تهلل له وجهه وظهر فيه اثره ثم اختلف فيه الاقاويل لاحتماله وجوه
جميع المسار فعن مجاهد يكرمون • وعن قتادة ينعمون • وعن ابن كيسان يحلون • وعن ابي بكر بن عياش التيجان
على رؤسهم • وعن وكيع السماع في الجنة • وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر الجنة وما فيها من النعيم • وفي اخر
القوم اعرابي فقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع • قال نعم يا اعرابي • ان في الجنة لنهرا حافتاه الابكار
من كل بيضاء خوصانية يتغنين باصوات لم تسمع الخلائق بمثلها قط فذلك افضل نعيم الجنة • قال الراوي
فسالت ابا الدرداء بم يتغنين • قال بالتسبيح • وروي ان في الجنة لاشجارا فيها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة
السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا • واما
الذين كفروا وكذبوا باياتنا ولقاء الاخرة فاولئك في العذاب محضرون محضرون لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم
لقوله عز وجل وما هم بخارجين منها لا يفتر عنهم • فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات
والارض وعشيا وحين تظهرون لما ذكر الوعد والوعيد اتبعه ذكر ما يوصل الى الوعد وينجي من الوعيد والمراد
بالتسبيح ظاهره الذي هو تنزيه الله من السوء والثناء عليه بالخير في هذه الاوقات لما يتجدد فيها من نعمة الله الظاهرة
وقيل الصلاة • وقيل لابن عباس رضي الله عنهما هل تجد الصلوات الخمس في القران • قال نعم وتلا هذه الاية تمسون
صلوتا المغرب • والعشاء • وتصبحون صلوة الفجر • وعشيا صلوة العصر • وتظهرون صلوة الظهر • وقوله
تعالى • وعشيا متصل بقوله حين تمسون • وقوله وله الحمد في السموات والارض اعتراض بينهما ومعناه ان على
المميزين كلهم من اهل السموات والارض ان يحمدوه • فان قلت لم ذهب الحسن الى ان هذه الاية مدنية • قلت
لانه كان يقول فرضت الصلوات الخمس بالمدينة وكان الواجب بمكة ركعتين في غير وقت معلوم والقول الاكثر
ان الخمس انما فرضت بمكة وعن عايشة رضي الله عنها فرضت الصلوة ركعتين فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
اقرت صلاة السفر • وزيد في صلاة الحضر • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسره ان يكال له بالقفيز
الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون • ومن قالها حين يمسي ادرك ما فاته في ليلته • وفي قراءة
عكرمة حينا تمسون وحينا تصبحون • والمعنى تمسون فيه • وتصبحون فيه لقوله تعالى • يوما لا تجزي نفس عن نفس
شيا ويعني فيه • يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون الحي من الميت •
الطاير من البيضة والميت من الحي البيضة من الطاير • واحياء الارض اخراج النبات منها • وكذلك تخرجون
ومثل ذلك الاخراج تخرجون من القبور وتبعثون والمعنى ان الابداء والاعادة متساويان في قدرة من هو
قادر على الطرد والعكس من اخراج الميت من الحي واخراج الحي من الميت • واحياء الميت واماتة الحي • وقري
الميت بالتشديد • وتخرجون بفتح التاء • ومن اياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون خلقكم من تراب
لانه خلق اصلهم منه واذا للمفاجاة وتقديره ثم فاجاتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض لقوله عز من
قايل وبث منهما رجالا كثيرا ونساء • ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة
ورحمة ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون من انفسكم ازواجا لان حواء خلقت من ضلع ادم عليه الصلاة والسلام
والنساء بعدها خلقن من اصلاب الرجال او من شكل انفسكم وجنسها لا من جنس اخر وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد
من الالف والسكون وما بين الجنسين المختلفين من التنافر وجعل بينكم التوادد والتراحم • بعصمة الزواج بعد ان لم تكن
بينكم سابقة معرفة ولا لقاء ولا سبب يوجب • التعاطف من قرابة او رحم • وعن الحسن رحمه الله عليه اذا ما له الميه كناية

المودة

عن

من الجماع والرحمة من الولد كما قال عز وجل ورحمة منا وقال ذكر رحمة ربك عبده زكريا ويقال سكن اذا مال اليه كقولهم انقطع اليه واطمان اليه ومنه السكن وهو الالف المسكون اليه فعل بمعنى مفعول وقيل ان المودة والرحمة من قبل الله وان الفرك من قبل الشيطان **ومن اياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لايات للعالمين** الالسنة اللغات واجناس النطق واشكاله خالف عز وعلا بين هذه الاشيا حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين في همس واحد ولا جهارة ولا حدة ولا رخاوة ولا فصاحة ولا لكنة ولا نظم ولا اسلوب ولا غير ذلك من صفات النطق واحواله وكذلك الصور وتخطيطها والالوان وتنويعها ولاختلاف ذلك وقع التعارف والا فلو اتفقت وتشاكلت وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة وربما رايت توامين تشتبهان في الحلية فيعروك الخطا في التمييز بينهما وتعرف حكمة الله في المخالفة بين الحلى وفي ذلك اية بينة حيث ولدوا من اب واحد وفرعوا من اصل فذ وهم على الكثرة التي لا يعلمها الا الله مختلفون متفاوتون وقرئ للعالمين بفتح اللام وكسرها ويشهد للكسر قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون **ومن اياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان في ذلك لايات لقوم يسمعون** هذا من باب اللف وترتيبه ومن اياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار الا انه فصل بين القرينين الاولين بالقرينين الاخيرين لانهما زمانان والزمان والواقع فيه كشيء واحد مع اعانة اللف على الاتحاد ويجوز ان يراد منامكم في الزمانين وابتغاؤكم فيهما والظاهر الاول لتكرره في القران واسد المعاني ما دل عليه القران يسمعونه بالاذان الواعية **ومن اياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السما ما فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لايات لقوم يعقلون** وفي يريكم وجهان اضمار ان وانزال الفعل منزلة المصدر وبهما فسر المثل تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وقول القائل

وقالوا ما تشا فقلت … الهو الى الاصباح اثر ذي اثير

خوفا من الصاعقة او من الاخلاف وطمعا في الغيث وقيل خوفا للمسافر وطمعا للحاضر وهما منصوبان على المفعول له فان قلت من حق المفعول له ان يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل والخوف والطمع ليسا كذلك قلت فيه وجهان احدهما ان المفعولين فاعلون في المعنى لانهم راؤون فكانه قيل يجعلكم رائين البرق خوفا وطمعا والثاني ان يكون على تقدير حذف المضاف اي ارادة خوف وارادة طمع فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويجوز ان يكونا حالين اي خائفين وطامعين وقرئ ينزل بالتشديد **ومن اياته ان تقوم السما والارض بامره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون وله من في السموات والارض كل له قانتون** ومن اياته قيام السموات والارض واستمساكهما بغير عمد وبامره اي بقوله كونا قائمتين والمراد باقامتهما وارادته لكونهما على صفة القيام دون الزوال وقوله تعالى اذا دعاكم بمنزلة قوله تعالى يريكم في ايقاع الجملة موقع المفرد على المعنى كانه قال ومن اياته قيام السموات والارض ثم خروج الموتى من القبور اذا دعاهم دعوة واحدة يا اهل القبور اخرجوا والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف ولا تلبث كما يجيب الداعي المطاع مدعوه كما قال القائل

دعوت كليبا دعوة فكانما … دعوت به ابن الطود او هو اسرع

يريد ابن الطود الصدى او الحجر اذا تدهدى وانما عطف هذا على قيام السموات والارض بثم بيانا لعظم ما يكون من ذلك الامر واقتداره على مثله وهو ان يقول يا اهل القبور قوموا فلا يبقى نسمة من الاولين والاخرين الا قامت تنظر كما قال الله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون قولك دعوته من مكان كذا كما يجوز ان يكون مكانك يجوز ان يكون مكان صاحبك تقول دعوت زيدا من اعلى الجبل فنزل علي ودعوته من اسفل الوادي

فاطلع اليّ فان قلت بم تعلق من الأرض أبالفعل أم بالمصدر قلت هيهات اذا جاء نهر بطل نهر معقل فان قلت ما
الفرق بين اذا واذا قلت الاولى للشرط والثانية للمفاجأة وهي تنوب مناب الفاء في جواب الشرط وقرئ تخرجون
بضم التاء وفتحها قانتون منقادون لوجود افعاله فيهم لا يمتنعون عليه وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه وله
المثل الاعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم وهو اهون عليه وهو العزيز فيما يجب عندكم وينقاس على اصولكم
ويقتضيه معقولكم لان من اعاد منكم صنعة شيء كان اسهل عليه واهون من انشائها وتعتذرون للصانع اذا خطئ في بعض
ما ينشئه بقولكم اول الغزو اخرق وتسمون الماهر في صناعته معاودا تعنون انه عاودها كرة بعد اخرى حتى
مرن عليها وهانت عليه فان قلت لم ذكر الضمير في قوله تعالى وهو اهون والمراد به الاعادة قلت معناه
ان يعيده اهون عليه فان قلت لم اخرت الصلة وهو اهون عليه وقدمت في قوله هو علي هين قلت
هنالك قصد الاختصاص وهو محزه فقيل هو علي هين وان كان مستصعبا عندكم ان يولد بين هم وعاقر واما ههنا
فلا معنى للاختصاص كيف والامر مبني على ما يعقلون من ان الاعادة اسهل من الابتداء فلو قدمت الصلة لتغير المعنى
فان قلت ما بال الاعادة استعظمت في قوله تعالى ثم اذا دعاكم حتى كأنها فضلت على قيام السموات والارض
والارض بامره ثم هونت بعد ذلك قلت الاعادة في نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس الى الانشاء
وقيل الضمير في عليه للخلق ومعناه ان البعث اهون على الخلق من الانشاء لان تكوينه في حد الاستحكام والتمام اهون
عليه لانه تكوينه واقل تعبا وكدا من ان يتنقل في احوال ويتدرج فيها الى ان يبلغ ذلك وقيل الاهون بمعنى الهين
ووجه آخر وهو ان الانشاء من قبيل التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين ان يفعله وان لا يفعله والاعادة من قبيل الواجب
الذي لا بد له من فعله لانها لجزاء الاعمال وجزاؤها واجب والافعال اما محال والمحال ممتنع اصلا خارج عن المقدور
واما ما يصرف الحكيم عن فعله صارف وهو القبيح وهو رديف المحال لان الصارف يمنع وجود الفعل كما تمنعه الاحالة
واما تفضل والتفضل حالة بين بين للفاعل ان يفعله وان لا يفعله واما واجب لا بد من فعله ولا سبيل الى الاخلال
به فكان الواجب ابعد الافعال من الامتناع واقربها من الحصول فلما كانت الاعادة من قبيل الواجب كانت ابعد الافعال
من الامتناع واذا كانت ابعدها من الامتناع كانت ادخلها في التأتي والتسهل فكانت اهون منها واذا كانت اهون
منها كانت اهون من الانشاء وله المثل الاعلى اي الوصف الاعلى الذي ليس لغيره مثله وقد عرف به ووصف في السموات
والارض على السنة الخلائق والسنة الدلائل وهو انه القادر الذي لا يعجز عن شيء من انشاء واعادة وغيرهما
من المقدورات ويدل عليه قوله تعالى وهو العزيز الحكيم اي القاهر لكل مقدور الحكيم الذي يجري كل فعل
على قضايا حكمته وعلمه وعن مجاهد المثل الاعلى قول لا اله الا الله ومعناه وله الوصف الاعلى الذي هو الوصف
بالوحدانية ويعضده قوله ضرب لكم مثلا من انفسكم وقال الزجاج وله المثل الاعلى في السموات والارض
اي قوله تعالى وهو اهون عليه قد ضربه لكم مثلا فيما يصعب ويسهل يريد التفسير الاول
ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم من ما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم انفسكم
كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون فان قلت اي فرق بين من الاولى والثانية والثالثة في قوله تعالى من انفسكم
مما ملكت ايمانكم من شركاء قلت الاولى للابتداء كانه قال اخذ مثلا وانتزعه من اقرب شيء منكم وهي
انفسكم ولم يبعد والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي ومعناه هل ترضون
لانفسكم وعبيدكم امثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد ان يشارككم بعضكم فيما رزقناكم من الاموال وغيرها

تكونون انتم وهم فيه على السواء من غير تفضلة بين حر وعبد تهابون ان تستبدوا بتصرف دونهم وان تفتاتوا بتدبير عليهم
كما يهاب بعضكم بعضا من الاحرار فاذا لم ترضوا بذلك لانفسكم فكيف ترضون لرب الارباب ومالك الاحرار والعبيد ان
تجعلوا بعض عبيده له شركاء كذلك اي مثل هذا التفصيل نفصل الآيات اي نبينها لان التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها
لانه بمنزلة التصوير والتشكيل لها الا ترى كيف صور الشرك بالصورة المشوهة بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم بغير علم فمن يهدي
من اضل الله وما لهم من ناصرين الذين ظلموا اي اشركوا كقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم بغير علم اي اتبعوا اهواءهم
جاهلين لان العالم اذا ركب هواه ربما ردعه علمه وكفه واما الجاهل فيهيم على وجهه كالبهيمة لا يكفه شيء من
اضل الله من خذله ولم يلطف به لعلمه انه ممن لا لطف له فمن يقدر على هداية مثله وقوله تعالى وما لهم من
ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل
لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون فاقم وجهك للدين فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت عنه
يمينا ولا شمالا وهو تمثيل لاقباله على الدين واستقامته عليه وثباته واهتمامه باسبابه فان من اهتم بالشيء عقد عليه طرفه
وسدد اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا به عليه وحنيفا حال من المأمور او من الدين فطرة الله الزموا فطرة الله او
عليكم فطرة الله وانما اضمرته على خطاب الجماعة لقوله منيبين اليه ومنيبين حال من الضمير في الزموا وقوله
تعالى واتقوه واقيموا ولا تكونوا معطوف على هذا المضمر والفطرة الخلقة الا ترى الى قوله لا تبديل لخلق
الله والمعنى انه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الاسلام غير نائين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوبا للعقل مساوقا
للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا اخر ومن غوى منهم فباغواء شياطين الانس والجن ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم فامروهم ان يشركوا بي غيري وقوله
عليه الصلاة والسلام كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه لا تبديل
لخلق الله اي ما ينبغي ان تبدل تلك الفطرة او تغير فان قلت لم وحد الخطاب اولا ثم جمع قلت
خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا وخطاب الرسول خطاب لامته مع ما فيه من التعظيم للامام ثم جمع بعد
ذلك للبيان والتلخيص من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون من الذين بدل من المشركين
فارقوا دينهم تركوا دين الاسلام وقرئ فرقوا دينهم اي جعلوه اديانا مختلفة لاختلاف اهوائهم
وكانوا شيعا فرقا كل واحدة تشايع امامها الذي اضلها كل حزب منهم فرح بمذهبه مسرور يحسب باطله
حقا ويجوز ان يكون من الذين منقطعا مما قبله ومعناه من المفارقين دينهم كل حزب فرحين بما لديهم ولكنه
رفع فرحون على الوصف لكل كقوله

وكل خليل غير هاضم نفسه • لوصل خليل صارم او معارز

واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا اذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا
فسوف تعلمون الضر الشدة من هزال او مرض او قحط او غير ذلك والرحمة الخلاص من الشدة واللام في ليكفروا
مجاز مثلها في ليكون لهم عدوا وتمتعوا نظير اعملوا ما شئتم وسوف تعلمون وبال تمتعكم وقرأ ابن مسعود
رحمه الله وليتمتعوا ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون السلطان الحجة وتكلمه مجاز
كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا مما نطق به القرآن ومعناه الدلالة والشهادة كانه قال فهو يشهد بشركهم
وبصحته وما في بما كانوا مصدرية اي بكونهم بالله يشركون ويجوز ان تكون موصولة ويرجع الضمير اليها ومعناه

منيبين اليه واتقوه ... ولا تكونوا ...

فهو يتكلم بالامر الذي بسببه يشركون ويحتمل ان يكون المعنى ام انزلنا عليهم ذا سلطان اي ملكا معه برهان فذلك الملك
يتكلم بالبرهان الذي بسببه يشركون واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون
واذا اذقناهم رحمة اي نعمة من مطر او سعة او صحة فرحوا بها وان تصبهم سيئة اي بلاء من جدب او ضيق او مرض
والسبب فيها شوم معاصيهم قنطوا من الرحمة اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لايات لقوم
يؤمنون ثم انكر عليهم بانهم قد علموا انه هو الباسط القابض فما لهم يقنطون من رحمته وما لهم لا يرجعون اليه تائبين من المعاصي
التي عوقبوا بالشدة من اجلها حتى يعيد اليهم رحمته فات ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون
وجه الله واولئك هم المفلحون حق ذي القربى صلة الرحم وحق المسكين وابن السبيل نصيبهما من الصدقة المسماة لهما
وقد احتج ابو حنيفة رحمه الله بهذه الاية في وجوب النفقة للمحارم اذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب وعند الشافعي
رضي الله عنه لا نفقة على القرابة الا على الولد والوالدين قاس سائر القرابات على ابن العم لانه لا ولاد بينهم فان قلت
كيف تعلق قوله تعالى فات ذا القربى بما قبله حتى جي بالفاء قلت لما ذكر ان السيئة اصابتهم بما قدمت ايديهم
اتبعه ذكر ما يجب ان يفعل وما يجب ان يترك ويريدون وجه الله يحتمل ان يراد بوجهه ذاته او جهته وجانبه
اي يقصدون بمعروفهم اياه خالصا وحقه لقوله تعالى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى او يقصدون جهة التقرب
الى الله لا جهة اخرى والمعنيان متقاربان ولكن الطريقة مختلفة وما اتيتم من ربا ليربوا في اموال الناس فلا
يربوا عند الله وما اتيتم من زكوة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون هذه الاية في معنى قوله عز وجل يمحق الله
الربوا ويربي الصدقات سواء بسواء يريد وما اعطيتم اكلة الربا من ربا ليربوا في اموالهم ليزيدوا ويزكوا في اموالهم
فلا يزكوا عند الله ولا يبارك فيه وما اتيتم من زكوة اي من صدقة تبتغون به وجهه خالصا لا تطلبون به مكافاة ولا
رياء ولا سمعة فاولئك هم المضعفون ذوو الاضعاف من الحسنات ونظير المضعف المقوي والموسر لذي القوة واليسار
وقرئ بفتح العين وقيل نزلت في ثقيف وكانوا يربون وقيل المراد ان يهب الرجل للرجل او يهدي له ليعوضه
اكثر مما وهب او اهدى فليست تلك الزيادة بحرام ولكن المعوض لا يثاب على تلك الزيادة وقالوا الربا ربوان
فالحرام كل قرض يوخذ فيه اكثر منه او تجر منفعة والذي ليس بحرام ان يستدعي بهبته او بهديته اكثر منها وفي
الحديث المستغزر يثاب من هبته وقرئ وما اتيتم من ربا بمعنى وما غشيتموه او رهقتموه من اعطاء ربا
وقرئ لتربوا اي لتزيدوا في اموالهم كقوله تعالى ويربي الصدقات اي يزيدها وقوله تعالى فاولئك هم
المضعفون التفات حسن كانه تعالى قال لملائكته وخواص خلقه فاولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون
فهو امدح لهم من ان يقول فانتم المضعفون والمعنى المضعفون والحذف لما في الكلام من الدليل عليه وهذا اسهل
ماخذا والاول املا بالفائدة الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من
من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون الله مبتدا وخبره الذي خلقكم اي الله هو فاعل هذه الافعال الخاصة التي لا يقدر
على شيء منها احد غيره ثم قال هل من شركائكم الذين اتخذتموهم انداد اله من الاصنام وغيرها من يفعل شيئا قط
من تلك الافعال حتى يصح ما ذهبتم اليه ثم استبعد حاله من حال شركائهم ويجوز ان يكون الذي خلقكم صفة المبتدا
والخبر هل من شركائكم وقوله تعالى من ذلكم هو الذي ربط الجملة بالمبتدا لان معناه من افعاله ومن الاولى والثانية
والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتاكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت
ايدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون الفساد في البر والبحر نحو الجدب والقحط وقلة الريع في الزراعات

والربح

والريح في التجارات، ووقوع الموتان في الناس والدواب، وكثرة الحرق والغرق، واخفاق الصيادين والغاصة، ومحق
البركات من كل شيء، وقلة المنافع في الجملة، وكثرة المضار. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: اجدبت الارض وانقطعت
مادة البحر. وقالوا: اذا انقطع القطر عميت دواب البحر. وعن الحسن رحمة الله عليه: ان المراد بالبحر مدن البحر وقراه التي على
شاطئه. وعن عكرمة: العرب تسمي الامصار البحار. وقرئ: في البر والبحور. بما كسبت ايدي الناس بسبب معاصيهم
وذنوبهم، كقوله تعالى: وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم. الناس: بسبب معاصيهم. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ظهر
الفساد في البر بقتل ابن آدم اخاه، وفي البحر بان جلندى كان يأخذ كل سفينة غصبا. وعن قتادة: كان ذلك قبل البعث
فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم رجع راجعون عن الضلال والظلم. ويجوز ان يريد ظهور الشر والمعاصي بكسب الناس ذلك.
فان قلت: ما معنى قوله تعالى ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون؟ قلت: اما على التفسير الاول فظاهر، وهو ان الله
قد افسد اسباب دنياهم ومحقها ليذيقهم وبال بعض اعمالهم في الدنيا قبل ان يعاقبهم بجميعها في الآخرة لعلهم يرجعون
عما هم عليه. واما على الثاني فاللام مجاز على معنى ان ظهور الشرور بسببهم مما استوجبوا به ان يذيقهم الله وبال اعمالهم
ارادة الرجوع، فكأنهم انما افسدوا وتسببوا لفشو المعاصي في الارض لاجل ذلك. وقرئ: لنذيقهم بالنون. قل سيروا في الارض
فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان اكثرهم مشركين. ثم اكد تسبب المعاصي لغضب الله ونكاله حيث امرهم
بان يسيروا فينظروا كيف اهلك الله الامم واذاقهم سوء العاقبة لمعاصيهم، ودل بقوله تعالى كان اكثرهم مشركين على
ان الشرك وحده لم يكن سبب تدميرهم، وان ما دونه من المعاصي يكون سببا لذلك. فاقم وجهك للدين القيم من قبل ان
يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون. القيم البليغ الاستقامة الذي لا يتأتى فيه عوج. من الله: اما ان يتعلق بيأتي
فيكون المعنى من قبل ان يأتي من الله يوم لا يرده احد، كقوله سبحانه وتعالى فلا يستطيعون ردها، او بمرد على معنى لا يرده
هو بعد ان يجيء به، ولا رد له من جهته. والمرد مصدر بمعنى الرد. يصدعون: يتصدعون، اي يتفرقون، كقوله تعالى
ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون. من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون. فعليه كفره كلمة جامعة
لما لا غاية وراءه من المضار، لان من كان ضاره كفره فقد احاطت به كل مضرة. فلانفسهم يمهدون اي يسوون
لانفسهم ما يسويه لنفسه الذي يمهد فراشه ويوطئه لئلا يصيبه في مضجعه ما ينبيه عليه وينغص عليه مرقده من نتوء
او قضض او بعض ما يؤذي الراقد. ويجوز ان يريد فعلى انفسهم يشفقون، من قولهم في المشفق: ام فرشت فانامت.
وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على ان ضرر الكفر لا يعود الا على الكافر لا يتعداه، ومنفعة الايمان والعمل الصالح ترجع
الى المؤمن لا تتجاوزه. ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله انه لا يحب الكافرين. ليجزي متعلق بيمهدون تعليل
له. من فضله مما يتفضل عليهم بعد توفية الواجب من الثواب، وهذا يشبه الكناية لان الفضل تبع للثواب فلا يكون الا
بعد حصول ما هو تبع له. او اراد من عطائه وهو ثوابه، لان الفضول والفواضل هي الاعطية عند العرب. وتكرير الذين آمنوا
وعملوا الصالحات وترك الضمير الى الصريح لتقرير انه لا يفلح عنده الا المؤمن الصالح. وقوله تعالى انه لا يحب الكافرين
تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس. ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا
من فضله ولعلكم تشكرون. الرياح هي الجنوب والشمال والصبا، وهي رياح الرحمة. واما الدبور فريح
العذاب، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا. وقد عدد الاغراض في ارسالها
وانه ارسلها للبشارة بالغيث، ولاذاقة الرحمة وهي نزول المطر وحصول الخصب الذي يتبعه، والروح الذي مع
هبوب الريح، وزكاء الارض. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اذا كثرت المؤتفكات زكت الارض. وازالة العفونة.

من الهواء وتذريه الحبوب وغير ذلك ولتجري الفلك في البحر عند هبوبها وإنما زاد بأمره لأن الريح قد تهب ولا تكون مؤاتية
فلا بد من إرساء السفن والاحتيال بحبسها وربما عصفت فأغرقتها ولتبتغوا من فضله يريد تجارة البحر ولعلكم تشكرون نعمة
الله فيها فإن قلت بم تعلق وليذيقكم قلت فيه وجهان أن يكون معطوفا على مبشرات على المعنى كأنه قيل ليبشركم وليذيقكم
وأن يتعلق بمحذوف تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا أرسلناها ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاؤوهم بالبينات
فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين اختصر الطريق إلى الغرض بأن أدرج تحت ذكر الانتقام والنصر ذكر
الفريقين وقد أخلى الكلام أولا من ذكرهما وقوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين تعظيم للمؤمنين ورفع من المؤمنين
شأنهم وتأهيل لكرامة سنية وإظهار لفضل سابقة ومزية حيث جعلهم مستحقين على الله أن ينصرهم مستوجبين
عليه أن يظهرهم ويظفرهم بهم وقد يوقف على حقا ومعناه وكان الانتقام منهم حقا ثم يبتدأ علينا نصر المؤمنين وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما من امرئ يرد عن عرض أخيه إلا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا قوله
تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا
فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون وإن كانوا من قبل أن ينزل
عليهم من قبله لمبلسين فيبسطه متصلا تارة ويجعله كسفا أي قطعا تارة فترى الودق يخرج من خلاله في
التارتين جميعا والمراد بالسماء سمت السماء وشقها كقوله تعالى وفرعها في السماء وبإصابة العباد إصابة بلادهم وأراضيهم
من قبله من باب التكرير والتوكيد كقوله تعالى فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها ومعنى التوكيد فيه الدلالة على
أن عهدهم بالمطر قد تطاول وبعد فاستحكم بأسهم وتمادى إبلاسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك فانظر إلى آثار رحمة
الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير قرئ أثر وآثار على الوحدة والجمع وقرأ
أبو حيوة وغيره كيف تحيي أي الرحمة إن ذلك يعني أن ذلك القادر الذي يحيي الأرض بعد موتها هو الذي يحيي الناس
بعد موتهم وهو على كل شيء من المقدورات قادر وهذا من جملة المقدورات بدليل الإنشاء ولئن أرسلنا ريحا
فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين وما
أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون فرأوا أثر رحمة الله لأن رحمة
الله هي الغيث وأثرها النبات ومن قرأ بالجمع رجع الضمير إلى معناه لأن معنى آثار الرحمة النبات واسم النبات
يقع على القليل والكثير لأنه مصدر سمي به ما ينبت ولئن هي اللام الموطئة للقسم دخلت على حرف الشرط ولظلوا
جواب القسم سد مسد الجوابين أعني جواب القسم وجواب الشرط ومعناه ليظلن ذمهم الله عز وجل بأنه إذا حبس
عنهم القطر قنطوا من رحمته وضربوا أذقانهم على صدورهم مبلسين فإذا أصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا
وابتهجوا فإذا أرسل ريحا فضرب زروعهم بالصفار ضجوا وكفروا بنعمة الله فهم في جميع هذه الأحوال على الصفة المذمومة
كان عليهم أن يتوكلوا على الله وفضله فقنطوا وأن يشكروا نعمته ويحمدوا عليها فلم يزيدوا على الفرح والاستبشار
وأن يصبروا على بلائه فكفروا والريح التي اصفر لها النبات يجوز أن تكون حرورا وحرجفا وكلتاهما مما
يصوح له النبات ويصبح هشيما وقال مصفرا لأن تلك صفرة حادثة وقيل فرأوا السحاب مصفرا لأنه إذا
كان كذلك لم يمطر الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا
وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير قرئ بفتح الضاد وضمها وهما لغتان والضم أقوى في القراءة لما روى
ابن عمر رضي الله عنهما قال قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فأقرأني من ضعف وقوله تعالى خلقكم من ضعف

لقوله تعالى خلق الانسان من عجل يعني ان اساس امركم عليه جبلتكم وتلك حال القوة الى الاكتهال وبلوغ الاشد ثم رددتم
الى اصل حالكم والضعف بالشيخوخة والهرم وبتشكم الضعف وخلق الانسان ضعيفا اي ابتداءناكم في اول الامر
ضعافا وذلك حال الطفولة والنشوء حتى بلغتم وقت الاحتلام والشبيبة لقوله تعالى من ماء مهين وهذا الترديد
في الاحوال المختلفة والتغير من هيئة الى هيئة وصفة الى صفة اظهر دليل واعدل شاهد على الصانع العالم
ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون الساعة القيامة سميت بذلك
لانها تقوم في اخر ساعة من ساعات الدنيا اولانها تقع بغتة وبديهة كما تقول في ساعة لمن تستعجله وجرت
علما لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة واراد والبثهم في الدنيا او في القبور او فيما بين فناء الدنيا الى البعث
وفي الحديث ما بين فناء الدنيا الى وقت البعث اربعون قالوا لا نعلم اهي اربعون سنة ام اربعون الف سنة وذلك
وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم وانما يقدرون وقت لبثهم بذلك على وجه استقصار لمهلة اوينسون اويكذبون
اويخمنون ٯ كذلك كانوا يؤفكون اي مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق والتحقيق في الدنيا
وهكذا كانوا يبنون امرهم على خلاف الحق او مثل ذلك الافك كانوا يؤفكون في الاغترار بما تبين لهم الان
انه ما كان الا ساعة وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث
ولكنكم كنتم لا تعلمون القائلون هم الملائكة والانبياء والمؤمنون ٯ في كتاب الله في اللوح او في علم الله وقضائه
او فيما كتبه اي اوجبه بحكمته ردوا ما قالوه وحلفوا عليه واطلعوهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على
انكار البعث بقولهم فهذا يوم البعث ٯ ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم في طلب الحق واتباعه فان قلت
ما هذه الفاء وما حقيقتها قلت هي التي في قوله فقد جئنا خراسانا وحقيقتها انها جواب شرط يدل عليه
الكلام كانه قال ان صح ما قلتم ان خراسان اقصى ما يراد بنا فقد جئنا خراسان وان لنا ان نخلص وكذلك ان
كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث اي فقد تبين بطلان قولكم وقرأ الحسن رحمة الله عليه يوم البعث بالتحريك
فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون قرئ بالياء والتاء يستعتبون من قولك استعتبني فلان
فاعتبته اي استرضاني فارضيته وذلك اذا كنت جانيا عليه وحقيقة اعتبته ازلت عتبه الا ترى الى
قوله غضبت تميم ان تقتل عامر ٭ يوم النسار فاعتبوا بالصيلم ٭
ثم قال فاعتبوا اي ازيل غضبهم والغضب في معنى العتب والمعنى لا يقال لهم ارضوا ربكم بتوبة وطاعة
ومثله قوله عز وجل لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون فان قلت كيف جعلوا غير مستعتبين في بعض الايات
وغير معتبين في بعضها وهو قوله تعالى وان يستعتبوا فما هم من المعتبين قلت اما كونهم غير مستعتبين فهذا
معناه واما كونهم غير معتبين فمعناه انهم غير راضين بما هم فيه فشبهت حالهم بحال قوم جني عليهم فهم عاتبون
على الجاني غير راضين منه فان يستعتبوا الله اي يسألوه ازالة ما هم فيه فما هم من المجابين الى ازالته ولقد ضربنا للناس
في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم باية ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون كذلك يطبع الله على قلوب
الذين لا يعلمون ولقد وصفنا لهم كل صفة كانها مثل في غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشان كصفة المبعوثين
يوم القيامة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما يمنع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم ولكنهم لقسوة
قلوبهم ومج اسماعهم حديث الاخرة اذا جئتهم باية من ايات القرآن قالوا جئتنا بزور وباطل ثم قال
مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الجهلة ومعنى طبع الله منع الالطاف التي تنشرح لها الصدور حتى تقبل الحق

وإنما منعها من علم أنها لا تجدي عليه ولا تغني عنه كما يمنع الواعظ الموعظة من يلغو إذ لا تنجع فيه فوقع ذلك جناية عن قسوة قلوبهم
وركوب الصدإ والرين إياها كأنه قال تنبو وتصدأ قلوب الجهلة حتى يسموا المحقين مبطلين وهم أعرق خلق
الله تعالى في تلك الصفة فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون فاصبر على عداوتهم إن وعده
بنصرتك وإظهار دينك على الدين كله حق لا بد من إنجازه والوفاء به ولا يحملنك على الخفة والقلق جزعا مما يقولون
ويفعلون فإنهم قوم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك وقرئ بتخفيف النون وقرأ ابن أبي إسحاق ويعقوب
ولا يستحقنك أي لا يفتننك فيملكوك ويكونوا أحق بك من المؤمنين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرأ سورة الروم كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والأرض وأدرك ما ضيع في يومه وليلته

سورة لقمان مكية | بسم الله الرحمن الرحيم | وهي أربع وثلاثون آية

الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم
يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون الكتاب الحكيم ذي الحكمة أو وصف بصفة الله تعالى على
الإسناد المجازي ويجوز أن يكون الأصل الحكيم قائله فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر
استكن في الصفة المشبهة هدى ورحمة بالنصب على الحال عن الآيات والعامل فيهما ما في تلك من معنى الإشارة وبالرفع
على أنه خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف للمحسنين للذين يعملون الحسنات وهي التي ذكرها من إقامة الصلاة
وإيتاء الزكاة والإيقان بالآخرة ونظيره قول أوس

الألمعي الذي يظن بك الظن ... كأن قد رأى وقد سمعا

حكي عن الأصمعي أنه سئل عن الألمعي فأنشده ولم يزد أو للذين يعملون جميع ما يحسن من الأعمال
ثم خص منهم القائمين بهذه الثلاث لفضل اعتدادها ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن
سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين اللهو كل باطل ألهى عن الخير وعما
يعني ولهو الحديث نحو السمر بالأساطير والأحاديث التي لا أصل لها والتحدث بالخرافات والمضاحيك
وفضول الكلام وما لا ينبغي من كان وكان ونحو الغناء وتعلم الموسيقار وما أشبه ذلك وقيل نزلت
في النضر بن الحارث وكان يتجر إلى فارس فيشتري كتب الأعاجم فيحدث بها قريشا ويقول
إن كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فأنا أحدثكم بحديث رستم وبهرام والأكاسرة وملوك الحيرة
فيستحسنون حديثه ويتركون استماع القرآن وقيل كان يشتري المغنيات فلا يظفر بأحد يريد الإسلام
إلا انطلق به إلى قينته فيقول أطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا خير مما يدعوك إليه محمد من الصلاة
والصيام وأن تقاتل بين يديه وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة
فيهن وعنه صلى الله عليه وسلم ما من رجل يرفع صوته بالغناء إلا بعث الله عليه شيطانين أحدهما
على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب ولا يزالان يضربان بأرجلهما حتى يكون هو الذي يسكت وقيل الغناء
منفدة للمال مسخطة للرب مفسدة للقلب فإن قلت ما معنى إضافة اللهو إلى الحديث قلت

معناها

معناه التبيين وهي الإضافة بمعنى من وأن يضاف الشيء إلى ما هو منه كقولك صفة خز وباب ساج والمعنى من يشتري اللهو من الحديث لأن اللهو يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء في الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش ويجوز أن تكون الإضافة بمعنى من التبعيضية كأنه قيل ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه واشتراؤه إما من الشرى على ما روي عن النضر من شرى كتب الأعاجم أو من شرى القيان وإما من قوله اشتروا الكفر بالإيمان أي استبدلوه منه واختاروه عليه وعن قتادة اشتراؤه استحبابه يختار حديث الباطل على حديث الحق وقرئ ليضل بضم الياء وفتحها وسبيل الله دين الإسلام أو القرآن فإن قلت القراءة بالضم بينة لأن النضر كان غرضه باشتراء اللهو أن يصد الناس عن الدخول في الإسلام واستماع القرآن ويضلهم عنه فما معنى القراءة بالفتح قلت فيه معنيان أحدهما ليثبت على ضلاله الذي كان عليه ولا يصدف عنه ويزيد فيه ويمده فإن المخذول كان شديد الشكيمة في عداوة الدين وصد الناس عنه والثاني أن يوضع ليضل موضع ليضل من قبل أن من أضل كان ضالا لا محالة فدل بالرديف على المردوف فإن قلت ما معنى قوله بغير علم قلت لما جعله مشتريا لهو الحديث بالقرآن قال يشتري بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة بها حيث يستبدل الضلال بالهدى والباطل بالحق ونحوه قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين أي وما كانوا مهتدين للتجارة بصراء بها وقرئ ويتخذها بالنصب والرفع عطفا على يشتري أو ليضل والضمير للسبيل لأنها مؤنثة كقوله تعالى ويصدون عن سبيل الله من آمن به ويبغونها عوجا **وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم** ولى مستكبرا زامّا لا يعبأ بها ولا يرفع بها رأسا تشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع في أذنيه وقرا أي ثقلا ولا وقر فيهما وقرئ بسكون الذال فإن قلت ما محل الجملتين المصدرتين بكأن قلت الأولى حال من مستكبرا والثانية من لم يسمعها ويجوز أن يكونا استئنافين والأصل في كأن المخففة كأنه والضمير ضمير الشأن **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم** وعد الله حقا مصدران مؤكدان الأول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره لأن قوله تعالى لهم جنات النعيم وعدهم الله جنات النعيم فأكد معنى الوعد وأما حقا فدال على معنى الثبات أكد به معنى الوعد ومؤكدهما جميعا قوله تعالى لهم جنات النعيم وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء ولا يعجزه يقدر على الشيء وضده فيعطي النعيم من شاء والبؤس من شاء وهو الحكيم لا يشاء إلا ما توجبه الحكمة والعدل **خلق السماوات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم** ترونها الضمير فيه للسماوات وهو استشهاد برؤيتهم لها غير معمودة على قوله تعالى بغير عمد كما تقول لصاحبك أنا بلا سيف ولا رمح تراني فإن قلت ما محلها من الإعراب قلت لا محل لها لأنها مستأنفة أو هي في محل الجر صفة للعمد أي بغير عمد مرئية يعني أنه عمدها لا ترى وهي إمساكها بقدرته **هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين** هذا إشارة إلى ما ذكر من مخلوقاته والخلق بمعنى المخلوق والذين من دونه آلهتهم بكتهم بأن هذه الأشياء العظيمة مما خلقه الله وأنشأه فأروني ماذا خلقته آلهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة ثم أضرب عن تبكيتهم إلى التسجيل عليهم بالتورط في ضلال ليس بعده ضلال **ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد** هو لقمان بن باعوراء ابن أخت أيوب أو ابن خالته وقيل كان من أولاد آزر وعاش ألف سنة

وادرك داود عليه الصلاة والسلام واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود عليه الصلاة والسلام فلما بعث قطع الفتوى
فقيل له فقال الا اكتفي اذ كفيت وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل والاكثر على انه كان حكيما ولم يكن نبيا وعن
ابن عباس رضي الله عنهما لقمان لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان راعيا اسود فرزقه الله العتق ورضي قوله ووصيته
فقص امره في القران لتمسكوا بوصيته وقال عكرمة والشعبي كان نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار
الحكمة وعن سعيد بن المسيب كان اسود من سودان مصر خياطا وعن مجاهد كان عبدا اسود غليظ الشفتين
متشقق القدمين وقيل كان نجارا وقيل راعيا وقيل كان يحتطب لمولاه كل يوم حزمة وعنه انه قال
لرجل ينظر اليه ان كنت تراني غليظ الشفتين فانه يخرج من بينهما كلام رقيق وان كنت تراني اسود فقلبي ابيض
وروي ان رجلا وقف عليه في مجلسه فقال الست الذي ترعى معي في مكان كذا قال بلى قال ما بلغ بك ما ارى
قال صدق الحديث والصمت عما لا يعنيني وروي انه دخل على داود عليه الصلاة والسلام وهو يسرد الدرع وقد
لين الله له الحديد كالطين فاراد ان يسأله فادركته الحكمة فسكت فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب
انت فقال الصمت حكم وقليل فاعله فقال له داود بحق ما سميت حكيما وروي ان مولاه امره بذبح شاة
وبان يخرج منها اطيب مضغتين فاخرج اللسان والقلب ثم امره بمثل ذلك بعد ايام وان يخرج منها
اخبث مضغتين فاخرج اللسان والقلب فساله عن ذلك فقال هما اطيب ما فيها اذا طابا واخبث ما فيها
اذا خبثا وعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه انه قال لاسود لا تحزن فانه كان من خير الناس ثلاثة من
السودان بلال ومهجع مولى عمر ولقمان ان هي المفسرة لان ايتاء الحكمة في معنى القول وقد نبه
الله سبحانه وتعالى على ان الحكمة الاصلية والعلم الحقيقي هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له حيث فسر
ايتاء الحكمة بالبعث على الشكر غني عن محتاج الى الشكر حميد حقيق بان يحمد وان لم يحمد احد واذ قال
لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم قيل كان اسم ابنه انعم وقال الكلبي اشكم
وقيل كان ابنه وامراته كافرين فما زال بهما حتى اسلما لظلم عظيم لان التسوية بين من لا نعمة الا هي منه ومن لا نعمة منه
البتة ولا يتصور ان يكون منه ظلم لا يكتنه عظمه ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله في
عامين ان اشكر لي ولوالديك الي المصير وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما
في الدنيا معروفا واتبع سبيل من اناب الي ثم الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون اي حملته تهن وهنا على وهن كقولك
رجع عودا على بدء بمعنى يعود عودا على بدء وهو في موضع الحال والمعنى انها تضعف ضعفا فوق ضعف
اي يتزايد ضعفها وتنقصا عف لان الحمل كلما ازداد وعظم ازداد ثقلا وضعفا وقرئ وهنا على وهن
بالتحريك عن ابي عمرو يقال وهن يوهن وهن يهن وقرئ وفصله ان اشكر تفسير لوصينا ما ليس لك به
علم اراد بنفي العلم به نفيه اي لا تشرك بي ما ليس بشيء يريد الاصنام كقوله سبحانه وتعالى ما يدعون من دونه من
شيء معروفا صحابا او مصاحبا معروفا حسنا بخلق جميل وحلم واحتمال وبر وصلة وما يقتضيه الكرم والمروءة
واتبع سبيل من اناب الي بالتوحيد واتبع سبيل المؤمنين في دينك ولا تتبع سبيلهما فيه وان كنت مامورا بحسن مصاحبتهما
في الدنيا ثم الي مرجعك ومرجعهما فاجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما علم بذلك حكم الدنيا وما يجب
على الانسان في صحبتهما ومعاشرتهما من مراعاة حق الابوة وتعظيمه وما لهما من المواجب التي لا يسوغ الاخلال
بها ثم بين حكمهما وحالهما في الاخرة وروي انها نزلت في سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه وامه وفي القصة

انها

انما مكثت ثلثا لا تطعم ولا تشرب حتى يجزوا فاها بعود • وروي انه قال لو كانت لها سبعون نفسا لخرجت لما ارتددت
الى الكفر • فان قلت هذا الكلام كيف وقع في اثناء وصية لقمان قلت هو كلام اعترض به على سبيل الاستطراد
تاكيدا لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك فان قلت فقوله تعالى حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين
كيف اعترض به بين المفسر والمفسر قلت لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الام وتعانيه من المشاق والمتاعب
في حمله وفصاله هذه المدة المتطاولة ايجابا للتوصية بالوالدة خصوصا وتذكيرا بحقها العظيم مفردا ومن ثم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن قال له من ابر امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك وعن بعض
العرب انه حمل امه الى الحج على ظهره • وهو يقول في حدائه • •
• بنفسه احمل امي وهي الحمالة ترضعني الدرة والعلالة • ولا يجازى والد فعاله •
فان قلت ما معنى توقيت الفصال بالعامين قلت المعنى في توقيته بهذه المدة انها الغاية التي لا تتجاوز
والامر فيما دون العامين موكول الى اجتهاد الام ان علمت انه يقوى على الطعام ان تفطمه ويدل عليه قوله
عز وجل والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وبه استشهد عند ابي حنيفة رحمة
الله عليه فمدة الرضاع ثلثون شهرا وعن ابي حنيفة رحمة الله عليه ان فطمته قبل العامين فاستغنى بالطعام
ثم ارضعته لم يكن رضاعا وان اكل اكلا ضعيفا لم يستغن به عن الرضاع ثم ارضعته فهو رضاع • محرم
يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السموات او في الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير
قرئ مثقال حبة بالنصب والرفع فمن نصب كان الضمير للهنة من الاساءة او الاحسان اي ان كانت مثلا في
الصغر والقماءة كحبة الخردل فكانت مع صغرها في اخفى موضع واحرزه كجوف الصخرة اوحيث كانت في العالم
العلوي او السفلي يأت بها الله يوم القيامة فيحاسب به عاملها ان الله لطيف يتوصل علمه الى كل خفي خبير
عالم بكنهه • وعن قتادة لطيف باستخراجها خبير بمستقرها • ومن قرأ بالرفع كان ضمير القصة وانما انث
المثقال لاضافته • قال سرتني صدر القناة من الدم • وروي ان ابن لقمان
قال له ارايت الحبة تكون في مقل البحر اي في مغاصه يعلمها الله فقال ان الله يعلم اصغر الاشياء في اخفى
الامكنة لان الحبة في الصخرة اخفى منها في الماء وقيل الصخرة هي التي تحت الارض وهي السجين يكتب فيها
اعمال الكفار • وقرئ فتكن بكسر الكاف من وكن الطائر يكن اذا استقر في وكنته وهي مقره ليلا يا بني
لب اقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور واصبر على ما اصابك
يجوز ان يكون عاما في كل ما يصيبه من المحن وان يكون خاصا بما يصيبه فيما امر به من الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر من اذى من يبعثهم على الخير وينكر عليهم الشر ان ذلك مما عزمه الله من الامور اي قطعه
قطع ايجاب والزام • ومنه الحديث لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل اي لم يقطعه بالنية •
الا ترى الى قوله صلى الله عليه وسلم من لم يبيت الصيام ومنه ان الله يحب ان يؤخذ برخصه كما
يحب ان يؤخذ بعزائمه • وقولهم عزمة • من عزمات ربنا • ومنه عزمات الملوك • وذلك
ان يقول الملك لمن تحت يده عزمت عليك الا فعلت كذا • اذا قال ذلك لم يكن للمعزوم عليه بد من
فعله • ولا مندوحة في تركه • وحقيقته انه من تسمية المفعول بالمصدر واصله من معزومات
الامور اي مقطوعاتها ومفروضاتها • ويجوز ان يكون مصدرا في معنى الفاعل • اصله من عازمات الامور

من قوله تعالى فاذا عزم الامر كقولك جد الامر وصدق القتال وناهيك بهذه الآية مؤذنة بقدم هذه
الطاعة وانها كانت مامورا بها في سائر الامم وان الصلاة لم تزل عظيمة الشان سابقة القدم على ما سواها
موصى بها في الاديان كلها ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور تصاعر
وتصعر بالتشديد والتخفيف يقال اصعر خده وصعره وصاعره كقولك اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى والصعر
والصيد داء يصيب البعير يلوي منه عنقه والمعنى اقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم شق وجهك
وصفحته كما يفعله المتكبرون اراد ولا تمش تمرح مرحا او اوقع المصدر موقع الحال بمعنى مرحا ويجوز ان يريد
لا تمش لاجل المرح والاشر اي لا يكن غرضك في المشي البطالة والاشر كما يمشي كثير من الناس لذلك لا لكفاية
مهم ديني او دنيوي ونحوه قوله تعالى ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس والمختال
مقابل للماشي مرحا وكذلك الفخور للمصعر خده كبرا واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان انكر
الاصوات لصوت الحمير واقصد في مشيك واعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لا تدب دبيب المتماوتين
ولا تثب وثيب الشطار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وقول
عايشة رضي الله عنها في عمر رضي الله عنه كان اذا مشى اسرع فانما ارادت السرعة المرتفعة عن دبيب
المتماوت وقرئ واقصد بقطع الهمزة اي سدد في مشيك من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية
واغضض من صوتك وانقص منه واقصر من قولك فلان يغض من فلان اذا قصر به ووضع منه انكر الاصوات
اوحشها من قولك شيء نكر اذا انكرته النفوس واستوحشت منه ونفرت فالحمار مثل في الذم البليغ
والشتيمة ولذلك نهاقه ومن استفحاشهم لذكره مجردا وتفاديهم من اسمه انهم يكنون عنه ويرغبون عن
التصريح به فيقولون الطويل الاذنين كما يكنى عن الشيء المستقذر وقد عد في مساوي الاداب ان يجري
ذكر الحمار في مجلس قوم من اولي المروة ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافا وان بلغت منه الرجلة
فتشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق ثم اخلاء الكلام من لفظ التشبيه واخراجه مخرج الاستعارة
وان جعلوا حميرا وصوتهم نهاقا مبالغة شديدة في الذم والتهجين وافراط في التثبيط عن رفع الصوت
والترغيب عنه وتنبيه على انه من كراهة الله بمكان فان قلت لم وحد صوت الحمير ولم يجمع قلت
ليس المراد ان يذكر صوت كل واحد من احاد هذا الجنس حتى يجمع وانما المراد ان كل جنس من الحيوان له صوت
وانكر اصوات هذه الاجناس فوجب توحيده الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض واسبغ عليكم
نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ما في السموات الشمس
والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك وما في الارض البحار والانهار والمعادن والدواب وما لا يحصى
واسبغ قرئ بالسين والصاد وهكذا كل سين اجتمع معه الغين والخاء والقاف تقول في سلخ صلخ
وفي سقر صقر وفي سالغ صالغ وقرئ نعمة ونعمه ونعمته فان قلت ما النعمة قلت كل نفع
قصد به الاحسان والله عز وجل خلق العالم كله نعمة لانه اما حيوان واما غير حيوان فما ليس بحيوان نعمة
على الحيوان والحيوان نعمة من حيث ان ايجاده حيا نعمة عليه لانه لولا ايجاده حيا لما صح منه الانتفاع وكل ما
ادى الى الانتفاع وصححه فهو نعمة فان قلت لم خلق العالم مقصودا به الاحسان قلت لانه لا يخلقه
الا لغرض والا كان عبثا والعبث لا يجوز عليه ولا يجوز ان يكون لغرض راجع اليه من نفع لانه غني غير محتاج الى المنافع

فلم يبق

فلم يبق الا ان يكون لغرض يرجع الى الحيوان وهو نفعه فان قلت فما معنى الظاهرة والباطنة قلت الظاهرة كل
ما يعلم بالمشاهدة والباطنة ما لا يعلم الا بدليل او لا يعلم اصلا فكم في بدن الانسان من نعمة لا يعلمها ولا يهتدي الى
العلم بها وقد اكثروا في ذلك فعن مجاهد الظاهرة ظهور الاسلام والنصرة على الاعداء والباطنة الامداد من
الملائكة وعن الحسن رحمة الله عليه الظاهرة الاسلام والباطنة الستر وعن الضحاك حسن الصورة وامتداد
القامة وتسوية الاعضاء والباطنة المعرفة وقيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح
الظاهرة والباطنة القلب والعقل والفهم وما اشبه ذلك ويروى في دعاء موسى عليه الصلاة والسلام الهي دلني على
اخفى نعمتك على عبادك فقال اخفى نعمتي عليهم النفس ويروى ان ايسر ما يعذب به اهل النار الاخذ بالانفاس
وإذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير
معناه ايتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم اي في حال دعاء الشيطان اياهم الى العذاب ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن
فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور قرأ علي بن ابي طالب رضي الله عنه ومن يسلّم بالتشديد يقال
اسلم امرك الى الله فان قلت ما له عدي بالى وقد عدي باللام في قوله بلى من اسلم وجهه لله قلت معناه مع اللام
انه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالما لله اي خالصا له ومعناه مع الى انه اسلم اليه نفسه كما يسلم المتاع الى الرجل
اذا دفع اليه والمراد التوكل عليه والتفويض اليه فقد استمسك بالعروة الوثقى من باب التمثيل مثلت حال
المتوكل بحال من اراد ان يتدلى من شاهق فاحتاط لنفسه بان استمسك باوثق عروة من حبل متين مأمون
انقطاعه والى الله عاقبة الامور اي هي صائرة اليه ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا
ان الله عليم بذات الصدور نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ قرئ يحزنك ويحزنك من حزن
واحزن والذي عليه الاستعمال المستفيض احزنه ما في صدور عباده فيفعل بهم على حسبه نمتعهم زمانا قليلا
بدنياهم ثم نضطرهم الى عذاب غليظ شبه الزامهم التعذيب وارهاقهم اياه باضطرار المضطر الى الشيء الذي
لا يقدر على الانفكاك منه والغلظ مستعار من الاجرام الغليظة والمراد الشدة والثقل على المعذب ولئن سألتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون لله ما في السموات والارض ان الله هو
الغني الحميد قل الحمد لله الزام لهم على اقرارهم بان الذي خلق السموات والارض هو الله وحده وانه يجب ان يكون
له الحمد والشكر وان لا يعبد معه غيره ثم قال بل اكثرهم لا يعلمون ان ذلك يلزمهم واذا نبهوا عليه لم ينتبهوا
ان الله هو الغني عن حمد الحامدين المستحق للحمد وان لم يحمدوه ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام
والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم قرئ والبحر بالنصب عطفا على
اسم ان وبالرفع عطفا على محل ان ومعمولها على ولو ثبت كون الاشجار اقلاما وثبت البحر ممدودا بسبعة ابحر
او على الابتداء والواو واو الحال على معنى ولو ان الاشجار اقلام في حال كون البحر ممدودا وفي قراءة ابن مسعود رضي
الله عنه وبحر يمده على التنكير ويجب ان يحمل هذا على الوجه الاول وقرئ يمده ويمده بالتاء والياء فان قلت
كان مقتضى الكلام ان يقال ولو ان الشجر اقلام والبحر مداد قلت اغنى عن ذكر المداد قوله يمده
لانه من قولك مد الدواة وامدها جعل البحر الاعظم بمنزلة الدواة وجعل الابحر السبعة مملوءة مدادا فهي
تصب فيه مدادها ابدا صبا لا ينقطع والمعنى ولو ان اشجار الارض اقلام والبحر ممدود بسبعة ابحر وكتبت بتلك
الاقلام وبذلك المداد كلمات الله لما نفدت كلماته ونفدت الاقلام والمداد لقوله عز وجل قل لو كان البحر

بلغ مقابلة

مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي فإن قلت زعمت أن قوله تعالى والبحر يمده حال في
أحد وجهي الرفع وليس فيه ضمير راجع إلى ذي الحال قلت هو كقوله

وقد اغتدي والطير في وكناتها . وجئت والجيش مصطف

وما أشبه ذلك من الأحوال التي حكمها حكم الظروف ويجوز أن يكون المعنى وبحرها والضمير للأرض فإن قلت
لم قيل من شجرة على التوحيد دون اسم الجنس الذي هو شجر قلت أريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة
حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة إلا قد بريت أقلاماً فإن قلت الكلمات جمع قلة والموضع موضع التكثير
لا التقليل فهلا قيل كلم الله قلت معناه أن كلماته لا تفي بكتبها البحار فكيف بكلمه وعن ابن عباس رضي الله عنهما
أنها نزلت جواباً لليهود لما قالوا قد أوتينا التوراة وفيها كل الحكمة وقيل إن المشركين قالوا إن هذا يعني الوحي كلام
سينفد فأعلم الله أن كلامه لا ينفد وهذه الآية عند بعضهم مدنية وأنها نزلت بعد الهجرة وقيل مكية وإنما أمر
اليهود وفد قريش أن يقولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألست تتلو فيما أنزل إليك أنا قد أوتينا التوراة فيها علم
كل شيء إن الله عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج من علمه وحكمته شيء ومثله لا تنفد كلماته وحكمه ما خلقكم ولا بعثكم
إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير إلا كنفس واحدة إلا كخلقها وبعثها أي سواء في قدرته القليل والكثير والواحد
والجمع لا يتفاوت وذلك أنه إنما كان تتفاوت النفس الواحدة والنفوس الكثيرة العدد أن لو شغله شأن عن شأن
وفعل عن فعل وقد تعالى عن ذلك إن الله سميع بصير يسمع كل صوت ويبصر كل مبصر في حالة واحدة لا يشغله إدراك بعضها
عن إدراك بعض فكذلك الخلق والبعث ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر
الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير كل واحد من الشمس والقمر يجري في فلكه ويقطعه
إلى وقت معلوم الشمس إلى آخر السنة والقمر إلى آخر الشهر وعن الحسن رحمه الله الأجل المسمى يوم القيامة
لأنه لا ينقطع جريهما إلا حينئذ دل أيضاً بالليل والنهار وتعاقبهما وزيادتهما ونقصانهما وجري النيرين في فلكيهما
كل ذلك على تقدير وحساب وبإحاطته بجميع أعمال الخلق على عظم قدرته وحكمته فإن قلت يجري لأجل مسمى
ويجري إلى أجل مسمى أهو من تعاقب الحرفين قلت كلا ولا يسلك هذه الطريقة إلا بليد الطبع ضيق العطن ولكن المعنيين
أعني الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض لأن قولك يجري إلى أجل مسمى معناه يبلغه وينتهي إليه
وقولك يجري لأجل مسمى تريد يجري لإدراك أجل مسمى تجعل الجري مختصاً بإدراك أجل مسمى ألا ترى أن جري الشمس
مختص بآخر السنة وجري القمر بآخر الشهر فكلا المعنيين غير ناب به موضعه ذلك بأن الله هو الحق وأن ما تدعون
من دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير ذلك الذي وصف من عجائب قدرته وحكمته التي يعجز عنها الأحياء القادرون
العالمون فكيف بالجماد الذي تدعونه من دون الله إنما هو بسبب أنه هو الحق الثابت إلهيته وأن من دونه باطل
الإلهية وأن الله هو العلي الشأن الكبير السلطان أو ذلك الذي أوحي إليك من هذه الآيات بسبب بيان أن الله
هو الحق وأن إلهاً غيره باطل وأن الله هو العلي الكبير عن أن يشرك به ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة
الله ليريكم من آياته إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور قرئ الفلك بضم اللام وكل فعل يجوز فيه فعل
فعل على مذهب التعويض وبنعمات الله بسكون العين وعين فعلات يجوز فيها الكسر والفتح والسكون بنعمة
الله بإحسانه ورحمته صبار على بلائه شكور لنعمائه وهما صفتا المؤمن فكأنه قال إن في ذلك لآيات
لكل مؤمن وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا

إلا كل ختار كفور يرتفع ويتراكب فيعود مثل الظلل والظلة كل ما أظلك من جبل أو سحاب أو غيرهما وقرئ
كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال فمنهم مقتصد متوسط في الكفر والظلم خفض من غلوائه وانزجر بعض
الانزجار أو مقتصد في الإخلاص الذي كان عليه في البحر والختر أشد الغدر ومنه قولهم

إنك لا تمد لنا شبرا من غدر • إلا مددنا لك باعا من ختر قال

وإنك لو رأيت أبا عمير • ملأت يديك من غدر وختر

يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا
ولا يغرنكم بالله الغرور لا يجزي لا يقضي عنه شيئا ومنه قيل للمتقاضي المتجازي وفي الحديث في جذعة ابن نيار

تجزي عنك ولا تجزي عن أحد بعدك • وقرئ لا يجزئ لا يغني يقال أجزأت عنك مجزأ

فلان والمعنى لا يجزي فيه فحذف والغرور الشيطان وقيل الدنيا وقيل تمنيكم في المعصية المغفرة وعن سعيد
ابن جبير رضي الله عنه الغرة بالله أن يتمادى الرجل في المعصية ويتمنى على الله المغفرة وقيل ذكرك لحسناتك
ونسيانك لسيئاتك غرة وقرئ بضم الغين وهو مصدر غره غرورا جعل الغرور غارا كما قيل
جد جده أو أريد زينة الدنيا غرور فإن قلت قوله تعالى ولا مولود هو جاز عن والده شيئا وارد
على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه قلت الأمر كذلك لأن الجملة الاسمية آكد من الفعلية وقد
انضم إلى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب في مجيئه على هذا السنن أن الخطاب للمؤمنين وعليتهم قبض آباؤهم
على الكفر وعلى الدين الجاهلي فأريد حسم أطماعهم وأطماع الناس فيهم أن ينفعوا آباءهم في الآخرة وأن يشفعوا لهم وأن
يغنوا عنهم من الله شيئا فلذلك جيء به على الطريق الآكد ومعنى التوكيد في لفظ المولود أن الواحد منهم لو شفع للأب
الأدنى الذي ولد منه لم تقبل شفاعته فضلا أن يشفع لمن فوقه من أجداده لأن الولد يقع على الولد وولد الولد
بخلاف المولود فإنه لمن ولد منك إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا
تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير روي أن رجلا من محارب وهو الحارث بن عمرو
ابن حارثة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أخبرني عن الساعة متى قيامها وإني قد ألقيت حباتي
في الأرض وقد أبطأت عنا السماء فمتى تمطر وأخبرني عن امرأتي فقد اشتملت ما في بطنها أذكر أم أنثى وإني علمت
ما عملت أمس فما أعمل غدا وهذا مولدي قد عرفته فأين أموت فنزلت وعن النبي صلى الله عليه وسلم
مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية وعن ابن عباس رضي الله عنهما من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب إياكم
والكهانة فإن الكهانة تدعو إلى الشرك والشرك وأهله في النار وعن المنصور أنه أهمه معرفة مدة عمره فرأى
في منامه كأن خيالا أخرج يده من البحر وأشار إليه بالأصابع الخمس فاستفتى العلماء في ذلك فتأولوها بخمس سنين
وبخمسة أشهر وبغير ذلك حتى قال أبو حنيفة رحمه الله عليه تأويلها أن مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله وأن ما طلبت
معرفته لا سبيل لك إليه عنده علم الساعة أي زمان إرسائها وينزل الغيث في إبانه من غير تقديم ولا تأخير
وفي بلد لا يتجاوزه به ويعلم ما في الأرحام أذكر أم أنثى أتام أم ناقص وكذلك ما سوى ذلك من الأحوال
وما تدري نفس برة أو فاجرة ماذا تكسب غدا من خير أو شر وربما كانت عازمة على خير فعملت شرا وربما
كانت عازمة على شر فعملت خيرا وما تدري نفس أين تموت وربما أقامت بأرض وضربت أوتادها وقالت
لا أبرحها وأقبر فيها فترمي بها مرامي القدر حتى تموت في مكان لم يخطر ببالها ولا حدثتها به ظنونها وروي

جمع علي كصنه وصبي والمراد بعلبه للاسرار والجهاد وفي القاموس [illegible] علبه الباس وعلم [illegible] مكسور [illegible]

أن ملك الموت مر على سليمان عليه الصلاة والسلام فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم النظر إليه فقال الرجل من هذا
فقال ملك الموت فقال كأنه يريدني وسأل سليمان عليه الصلاة والسلام أن يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند
ففعل ثم قال ملك الموت لسليمان عليه الصلاة والسلام كان دوام نظري إليه تعجبا منه لأني أمرت أن أقبض روحه
بالهند وهو عندك وجعل العلم لله والدراية للعبد لما في الدراية من معنى الختل والحيلة والمعنى أنها لا تعرف
وإن أعملت حيلها ما يلصق بها ويختص ولا يتخطاها ولا شيء أخص بالإنسان من كسبه وعاقبته فإذا لم يكن
له طريق إلى معرفتهما كان من معرفة ما عداهما أبعد وقرئ بأية أرض وشبه سيبويه تأنيث أي بتأنيث كل في
قولهم كلتهن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيامة
وأعطي من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة مكية — بسم الله الرحمن الرحيم — وهي ثلاثون آية

الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير
من قبلك لعلهم يهتدون الم على أنها اسم السورة مبتدأ خبره تنزيل الكتاب وإن جعلتها تعديدا
للحروف ارتفع تنزيل الكتاب بأنه خبر مبتدأ محذوف أو هو مبتدأ خبره لا ريب فيه والوجه أن يرتفع بالابتداء
وخبره من رب العالمين ولا ريب فيه اعتراض لا محل له والضمير في فيه راجع إلى مضمون الجملة كأنه قيل لا ريب في ذلك
أي في كونه منزلا من رب العالمين ويشهد لوجاهته قوله أم يقولون افتراه لأن قولهم هذا مفترى إنكار
لأن يكون من رب العالمين وكذلك قوله بل هو الحق من ربك وما فيه من تقرير أنه من الله وهذا أسلوب صحيح
محكم أثبت أولا أن تنزيله من رب العالمين وأن ذلك ما لا ريب فيه ثم أضرب عن ذلك إلى قوله أم يقولون افتراه
لأن أم هي المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة إنكارا لقولهم وتعجيبا منه لظهور أمره في عجز
بلغائهم عن مثل ثلاث آيات منه ثم أضرب عن الإنكار إلى إثبات أنه الحق من ربك ونظيره أن يعلل العالم في
المسألة بعلة صحيحة جامعة قد احترز فيها أنواع الاحتراز كقول المتكلمين النظر أول الأفعال الواجبة على
الإطلاق التي لا يعرى عن وجوبها مكلف ثم يعترض عليه فيها ببعض ما وقع احترازه منه فيرده بتلخيص أنه
احترز من ذلك ثم يعود إلى تقرير كلامه وتمشيته فإن قلت كيف نفى أن يرتاب في أنه من الله وقد أثبت
ما هو أطم من الريب وهو قولهم افتراه قلت معنى لا ريب فيه أن لا مدخل للريب في أنه تنزيل الله لأن نافي
الريب ومميطه معه لا ينفك عنه وهو كونه معجزا للبشر ومثله أبعد شيء من الريب وأما قولهم افتراه فإما قول
متعنت مع علمه أنه من الله لظهور الإعجاز له أو جاهل يقوله قبل التأمل والنظر لأنه سمع الناس يقولونه ما أتاهم من نذير
من قبلك كقوله تعالى ما أنذر آباؤهم وذلك أن قريشا لم يبعث الله إليهم رسولا قبل محمد صلى الله عليه وسلم فإن قلت
فإذا لم يأتهم نذير لم تقم عليهم حجة قلت أما قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك علمها إلا بالرسل فلا وأما قيامها
بمعرفة الله وتوحيده وحكمته فنعم لأن أدلة العقل الموصلة إلى ذلك معهم في كل زمان لعلهم يهتدون فيه وجهان

١

أن يكونوا على الترجي من رسول الله كما كان لعله يتذكر على الترجي من موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام ولأن يشفع لفظ الترجي للإرادة **الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون** فإن قلت ما معنى قوله من دونه من ولي ولا شفيع قلت هو على معنيين أحدهما أنكم إذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لأنفسكم وليا أي ناصرا ينصركم ولا شفيعا يشفع لكم والثاني أن الله تعالى وليكم الذي يتولى مصالحكم وشفيعكم أي ناصركم على سبيل المجاز لأن الشفيع ينصر المشفوع له فهو كقوله وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير فإذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير **يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون** الأمر المأمور به من الطاعات والأعمال الصالحات ينزله مدبرا من السماء إلى الأرض ثم لا يعمل به ولا يصعد إليه ذلك المأمور به خالصا كما يريده ويرتضيه إلا في مدة متطاولة لقلة عمال الله والخلص من عباده وقلة الأعمال الصاعدة لأنه لا يوصف بالصعود إلا الخالص ودل عليه قوله على أثره قليلا ما تشكرون أو يدبر أمر الدنيا كلها من السماء إلى الأرض لكل يوم من أيام الله وهو ألف سنة كما قال تعالى وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ثم يعرج إليه أي يصير إليه ويثبت عنده ويكتب في صحف ملائكته كل وقت من أوقات هذه المدة ما يرتفع من ذلك الأمور ويدخل تحت الوجود إلى أن تبلغ المدة آخرها ثم يدبر أيضا ليوم آخر وهلم جرا إلى أن تقوم الساعة وقيل ينزل الوحي مع جبريل عليه الصلاة والسلام من السماء إلى الأرض ثم يرجع إليه ما كان من قبول الوحي أو رده مع جبريل وذلك في وقت هو في الحقيقة ألف سنة لأن المسافة مسيرة ألف سنة في الهبوط والصعود لأن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة وهو يوم من أيامكم لسرعة جبريل لأنه يقطع مسيرة ألف سنة في يوم واحد وقيل يدبر أمر الدنيا من السماء إلى الأرض إلى أن تقوم الساعة ثم يعرج إليه ذلك الأمر كله أي يصير إليه ليحكم فيه في يوم كان مقداره ألف سنة وهو يوم القيمة وقرأ ابن أبي عبلة يعرج على البناء للمفعول وقرئ يعدون بالياء والتاء **ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين** أحسن كل شيء حسنه لأنه ما من شيء خلقه إلا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة وأوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وإن تفاوتت إلى حسن وأحسن كما قال عز وجل لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسن وحقيقته يحسن معرفته أي يعرفه معرفة حسنة بتحقيق وإتقان وقرئ خلقه على البدل أي أحسن خلق كل شيء وخلقه على الوصف أي كل شيء خلقه فقد أحسنه **ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون** سميت الذرية نسلا لأنها تنسل منه أي تنفصل منه وتخرج من صلبه ونحوه قولهم للولد سليل ونجل سواه قومه كقوله تعالى في أحسن تقويم ودل بإضافة الروح إلى ذاته على أنه خلق عجيب لا يعلم كنهه إلا الله كقوله تعالى ويسألونك عن الروح الآية كأنه قال ونفخ فيه من الشيء الذي اختص هو به وبمعرفته **وقالوا أإذا ضللنا في الأرض أإنا لفي خلق جديد** وقالوا قيل القائل أبي بن خلف ولرضاهم بقوله أسند إليهم جميعا وقرئ أئنا وإنا على الاستفهام وتركه وضللنا صرنا ترابا وذهبنا مختلطين بتراب الأرض لا نتميز منه كما يضل الماء في اللبن أو غبنا في الأرض بالدفن فيها من قوله وآب مضلوه بعين جلية وقرأ علي وابن عباس رضي الله عنهم ضللنا بكسر اللام يقال ضل يضل وضل يضل وقرأ الحسن رحمة الله عليه صللنا من صل

اللحم

وأصل إذا أنتن وقيل صرنا من جنس الصلة وهي الأرض فإن قلت بم انتصب الظرف في أإذا ضللنا قلت بما يدل
عليه قوله تعالى إنا لفي خلق جديد وهو نبعث أو يجدد خلقنا بل هم بلقاء ربهم كافرون لقاء ربهم هو
الوصول إلى العاقبة من تلقي ملك الموت وما وراءه فلما ذكر كفرهم بالإنشاء أضرب عنه إلى ما هو أبلغ في الكفر
وهو أنهم كافرون بجميع ما يكون في العاقبة لا بالإنشاء وحده ألا ترى كيف خوطبوا بتوفي ملك الموت وبالرجوع
إلى ربهم بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء وهذا معنى لقاء الله على ما ذكرنا قل يتوفاكم ملك الموت الذي
وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون والتوفي استيفاء النفس وهي الروح قال الله تعالى الله يتوفى الأنفس حين موتها
وقال أخرجوا أنفسكم وهو أن تقبض كلها لا يترك منها شيء من قولك توفيت حقي من فلان واستوفيته إذا
أخذته وافيا كاملا من غير نقصان والتفعل والاستفعال يلتقيان في مواضع منه تقضيته واستقضيته
وتعجلته واستعجلته وعن مجاهد حويت لملك الموت الأرض وجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء
وعن قتادة يتوفاهم ومعه أعوان من الملائكة وقيل ملك الموت يدعو الأرواح فتجيبه ثم يأمر أعوانه بقبضها
ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون ولو ترى
يجوز أن يكون خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه وجهان أن يراد به التمني كأنه قال وليتك ترى
كقول النبي صلى الله عليه وسلم للمغيرة لو نظرت إليها والتمني لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان الترجي
له في لعلهم يهتدون لأنه تجرع منهم الغصص ومن عداوتهم وضرارهم فجعل الله له تمني أن يراهم
على تلك الصفة الفظيعة من الحياء والخزي والغم ليشمت بهم وأن تكون لو الامتناعية وقد حذف
جوابها وهو لرأيت أمرا فظيعا أو لرأيت أسوأ حال ترى ويجوز أن يخاطب به كل أحد كما تقول فلان
لئيم إن أكرمته أهانك وإن أحسنت إليه أساء إليك فلا تريد به مخاطبا بعينه فكأنك قلت إن أكرم
وإن أحسن إليه ولو وإذ كلاهما للمضي وإنما جاز ذلك لأن المترقب من الله بمنزلة الموجود المقطوع به في تحققه
ولا يقدر لترى ما يتناوله كأنه قيل ولو تكون منك الرؤية وإذ ظرف له يستغيثون بقولهم ربنا أبصرنا
وسمعنا فلا يغاثون يعني أبصرنا صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك أو كنا عميا وصما
فأبصرنا وسمعنا فارجعنا أي الرجعة إلى الدنيا ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن
جهنم من الجنة والناس أجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم
تعملون لآتينا كل نفس هداها على طريق الإلجاء والقسر ولكنا بنينا الأمر على الاختيار دون الاضطرار
فاستحبوا العمى على الهدى فحقت كلمة العذاب على أهل العمى دون البصراء ألا ترى إلى ما عقبه به من قوله تعالى
فذوقوا بما نسيتم فجعل ذوق العذاب نتيجة فعلهم من نسيان العاقبة وقلة الفكر فيها وترك الاستعداد لها والمراد
بالنسيان خلاف التذكر يعني أن الانهماك في الشهوات أذهلكم وألهاكم عن تذكر العاقبة وسلط عليكم نسيانها
ثم قال إنا نسيناكم على المقابلة أي جازيناكم جزاء نسيانكم وقيل هو الترك أي تركتم الفكر في العاقبة
فتركناكم من الرحمة وفي استئناف قوله تعالى إنا نسيناكم وبناء الفعل على إن واسمها تشديد في الانتقام
منهم والمعنى فذوقوا هذا أي ما أنتم فيه من نكس الرؤوس والخزي والغم بسبب نسيان اللقاء وذوقوا العذاب
المخلد في جهنم بسبب ما عملتم من المعاصي والكبائر الموبقة إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا
وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون إذا ذكروا بها أي وعظوا سجدوا تواضعا لله وخشوعا وشكرا على ما رزقهم من

الاسلام

الإسلام وسبحوا بحمد ربهم، ونزهوا الله من نسبة القبائح إليه وأثنوا عليه حامدين له وهم لا يستكبرون كما يفعل من يصر مستكبرا كأن لم يسمعها ومثله قوله تعالى: إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا. تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون ترتفع وتتنحى عن المضاجع عن الفرش ومواضع النوم داعين ربهم عابدين له لأجل خوفهم من سخطه وطمعهم في رحمته وهم المتهجدون. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسيرها: قيام العبد من الليل. وعن الحسن رحمة الله عليه: أنه التهجد. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا جمع الأولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم: سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم، ثم ينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل، ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا إلى الجنة ثم يحاسب سائر الناس. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: كان أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء الآخرة فنزلت فيهم. وقيل هم الذين يصلون صلاة العتمة لا ينامون عنها. فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون. ما أخفي لهم على البناء للمفعول، ما أخفى لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه وتعالى، وما أخفي لهم وما أخفيت لهم الثلاثة للمتكلم وهو الله تعالى، وما بمعنى الذي أو بمعنى أي. وقرئ من قرات أعين. والمعنى لا تعلم النفوس كلهن ولا نفس واحدة منهن لا ملك مقرب ولا نبي مرسل أي نوع عظيم من الثواب ادخر الله لأوليائه وأخفاه من جميع خلائقه لا يعلمه إلا هو مما تقر به عيونهم ولا مزيد على هذه العدة ولا مطمح وراءها ثم قال جزاء بما كانوا يعملون فحسم أطماع المتمنين. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما أطلعتهم عليه، اقرؤوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين. وعن الحسن رحمة الله عليه: أخفى القوم أعمالا في الدنيا فأخفى الله لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت. أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون. كان مؤمنا وكان فاسقا محمولان على لفظ من، لا يستوون محمول على المعنى بدليل قوله جل وعلا: أما الذين آمنوا وأما الذين فسقوا ونحوه قوله عز وجل: ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك. وجنات المأوى نوع من الجنان، قال الله تعالى: ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى. على التوحيد سميت بذلك لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: تأوي إليها أرواح الشهداء. وقيل هي عن يمين العرش. وقرئ جنة المأوى على التوحيد. نزلا عطاء بأعمالهم، والنزل عطاء النازل ثم صار عاما. فمأواهم النار أي ملجؤهم ومنزلهم. ويجوز أن يراد فجنة مأواهم النار أي النار لهم مكان جنة المأوى للمؤمنين كقوله تعالى: فبشرهم بعذاب أليم. ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون. العذاب الأدنى عذاب الدنيا من القتل والأسر وما محنوا به من السنة سبع سنين. وعن مجاهد عذاب القبر. والعذاب الأكبر عذاب الآخرة. أي نذيقهم عذاب الدنيا قبل أن يصلوا إلى الآخرة لعلهم يرجعون أي يتوبون عن الكفر. أو لعلهم يريدون الرجوع ويطلبونه كقوله: فارجعنا نعمل صالحا. وسميت إرادة الرجوع رجوعا كما سميت إرادة القيام قياما في قوله تعالى: إذا قمتم إلى الصلاة. ويدل عليه قراءة من قرأ: يرجعون على البناء للمفعول.

فإن قلت من أين صح تفسير الرجوع بالتوبة ولعل من الله إرادة وإذا أراد الله شيئا كان ولم يمتنع وتوبتهم
مما لا يكون ألا ترى أنها لو كانت مما يكون لم يكونوا ذائقين العذاب الأكبر قلت إرادة الله تتعلق بأفعاله
وأفعال عباده فإذا أراد شيئا من أفعاله كان ولم يمتنع للاقتدار وخلوص الداعي وأما أفعال عباده فإما أن
يريدها وهم مختارون لها أو مضطرون إليها بقسره وإلجائه فإن أرادها وقد قسرهم فحكمها حكم أفعاله
وإن أرادها أن يختاروها وهو عالم أنهم لا يختارونها لم يقدح ذلك في اقتداره كما إذا أردت أن يختار عبدك
طاعتك وهو لا يختارها لأن اختياره لا يتعلق بقدرتك وإذا لم يتعلق بقدرتك لم يكن فقده دالا على عجزك
وروي في نزولها أنه شجر بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه والوليد بن عقبة ابن أبي معيط يوم بدر كلام
فقال له الوليد اسكت فإنك صبي أنا أشب منك شبابا وأجلد منك جلدا وأذرب منك لسانا وأحد منك
سنانا وأشجع منك جنانا وأملأ منك حشوا في الكتيبة فقال له علي رضي الله عنه اسكت فإنك فاسق فنزلت
عامة للمؤمنين والفاسقين فتناولتهما وكل من كان في مثل حالهما وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما
أنه قال للوليد كيف تشتم عليا وقد سماه الله مؤمنا في عشر آيات وسماك فاسقا ومن أظلم ممن ذكر بآيات
ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون ثم في قوله تعالى ثم أعرض للاستبعاد والمعنى أن الإعراض
عن مثل آيات الله في وضوحها وإنارتها وإرشادها إلى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير
بها مستبعد في العقل والعدل كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعادا لتركه
الانتهاز ومنه ثم في بيت الحماسة

لا يكشف الغماء إلا ابن حرة ۝ يرى غمرات الموت ثم يزورها

استبعد أن يزور غمرات الموت بعد أن رآها واستيقنها واطلع على شدتها فإن قلت هلا قيل إنا منه
منتقمون قلت لما جعله أظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم فقد دل على إصابة الأظلم
النصيب الأوفر من الانتقام ولو قاله بالضمير لم يفد هذه الفائدة ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية
من لقائه وجعلناه هدى لبني إسرائيل الكتاب للجنس والضمير في لقائه له ومعناه إنا آتينا موسى مثل ما آتيناك
من الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي فلا تكن في شك من أنك لقيت مثله ولقيت نظيره كقوله
تعالى فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك ونحوه قوله تعالى من لقائه
قوله وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم وقوله تعالى ويخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا
وجعلنا الكتاب المنزل على موسى هدى لقومه وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا
يوقنون إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون وجعلنا منهم أئمة يهدون الناس ويدعونهم
إلى ما في التوراة من دين الله وشرائعه لصبرهم وإيقانهم بالآيات وكذلك لنجعلن الكتاب المنزل عليك هدى ونورا
ولنجعلن من أمتك أئمة يهدون مثل تلك الهداية لما صبروا عليه من نصرة الدين وثبتوا عليه من اليقين وقيل من لقائك
موسى ليلة الإسراء أو يوم القيامة وقيل من لقاء موسى الكتاب أي من تلقيه له بالرضا والقبول وقرئ لما صبروا ولما
صبروا أي لصبرهم وعن الحسن رحمة الله عليه صبروا عن الدنيا وقيل إنما جعل الله التوراة هدى لبني إسرائيل
خاصة ولم يتعبد بما فيها ولد إسمعيل عليه السلام يفصل بينهم يقضي فيميز المحق في دينه من المبطل أولم يهد
لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون الواو في أولم

بعد العطف على معطوف عليه منون من جنس المعطوف والنصب بفعل دال عليه فعمل ... والفاعل ما دل عليه كم أهلكنا لأن كم لا تقع فاعلة لا يقال جاءني كم رجل تقديره أو لم يهد لهم كثرة إهلاكنا القرون أو هذا الكلام كما هو بمضمونه ومعناه كقولك يعصم لا إله إلا الله الدماء والأموال ويجوز أن يكون فيه ضمير الله بدلالة القراءة بالنون والقرون عاد وثمود وقوم لوط يمشون في مساكنهم يعني أهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم وقرئ يمشّون بالتشديد أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون الجرز الأرض التي جرز نباتها أي قطع إما لعدم الماء وإما لأنه رعي وأزيل ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ جرز ويدل عليه قوله تعالى فنخرج به زرعا وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنها أرض اليمن وعن مجاهد هي أبين به بالماء تأكل من الزرع أنعامهم من عصفه وأنفسهم من حبه وقرئ يأكل بالياء ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين الفتح النصر أو الفصل بالحكومة من قوله تعالى ربنا افتح بيننا وكان المسلمون يقولون سيفتح لنا على المشركين أو يفتح بيننا وبينهم فإذا سمع المشركون قالوا متى هذا الفتح أي في أي وقت يكون إن كنتم صادقين في أنه كائن ويوم الفتح يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن يوم فتح مكة قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون فإن قلت سألوا عن وقت الفتح فكيف ينطبق هذا الكلام جوابا على سؤالهم قلت كان غرضهم في السؤال عن وقت الفتح استعجالا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء فأجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزئوا فكأني بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم وآمنتم فلم ينفعكم الإيمان واستنظرتم في أدراك العذاب فلم تنظروا فإن قلت فمن فسره بيوم الفتح أو بيوم بدر كيف يستقيم على تفسيره أن لا ينفعهم الإيمان وقد نفع الطلقاء يوم فتح مكة وناسا يوم بدر قلت المراد أن المقتولين منهم لا ينفعهم إيمانهم في حال القتل كما لم ينفع فرعون إيمانه عند إدراك الغرق فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون وانتظر النصرة عليهم وهلاكهم إنهم منتظرون الغلبة عليكم وهلاككم لقوله تعالى فتربصوا إنا معكم متربصون وقرأ ابن السميفع منتظَرون بفتح الظاء ومعناه وانتظر هلاكهم فإنهم أحقاء بأن ينتظر هلاكهم يعني أنهم هالكون لا محالة أو وانتظر ذلك فإن الملائكة في السماء ينتظرونه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك أعطي من الأجر كأنما أحيا ليلة القدر وقال من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام

سورة الأحزاب مكية | بسم الله الرحمن الرحيم | وهي ثلاث وسبعون آية

يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليما حكيما واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيرا وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا عن زر قال قال لي أبي بن كعب رضي الله عنه كم تعدون سورة الأحزاب قلت ثلاثا وسبعين آية قال فوالذي يحلف به أبي بن كعب إن كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول ولقد قرأنا منها آية الرجم الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم أراد أبي

أراد أبي رضي الله عنه أن ذلك من جملة ما نسخ من القرآن وأما ما يحكى أن تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة
رضي الله عنها فأكلتها الداجن فمن تأليف الملاحدة والروافض جعل نداءه بالنبي والرسول في قوله تعالى يا أيها
النبي اتق الله، يا أيها النبي لم تحرم، يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك وترك نداءه باسمه كما قال يا آدم يا موسى يا عيسى
يا داود كرامة له وتشريفا وربأ بمحله وتنويها بفضله فإن قلت إن لم يوقع اسمه في النداء فقد أوقعه
في الإخبار في قوله محمد رسول الله وما محمد إلا رسول قلت ذلك لتعليم الناس بأنه رسول الله وتلقين لهم
أن يسموه بذلك ويدعوه به فلا تفاوت بين النداء والإخبار ألا ترى إلى ما لم يقصد به التعليم والتلقين من
الإخبار كيف ذكره بنحو ما ذكره في النداء لقد جاءكم رسول من أنفسكم وقال الرسول يا رب لقد كان لكم في
رسول الله أسوة حسنة والله ورسوله أحق أن يرضوه النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم إن الله وملائكته يصلون
على النبي ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي اتق الله واظب على ما أنت عليه من التقوى واثبت عليه وازدد منه
وذلك لأن التقوى باب لا يبلغ آخره ولا تطع الكافرين والمنافقين لا تساعدهم على شيء ولا تقبل لهم رأيا
ولا مشورة وجانبهم واحترس منهم فإنهم أعداء الله وأعداء المؤمنين لا يريدون إلا المضارة والمضادة
وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة وكان يحب إسلام اليهود قريظة والنضير وبني
قينقاع وقد بايعه ناس منهم على النفاق فكان يلين لهم جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم وإذا أتى منهم قبيح تجاوز
عنه وكان يسمع منهم فنزلت وروي أن أبا سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور السلمي قدموا
عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم عبد الله بن أبي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا
لرسول الله ارفض ذكر آلهتنا وقل إنها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على رسول الله وعلى المؤمنين وهموا
بقتلهم فنزلت أي اتق الله في نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تطع الكافرين من أهل مكة والمنافقين وروي
أن أهل مكة دعوا رسول الله إلى أن يرجع عن دينه صلى الله عليه وسلم ويعطوه شطر أموالهم وأن يزوجه شيبة بن ربيعة
بنته وخوفه منافقو المدينة أنهم يقتلونه إن لم يرجع فنزلت إن الله كان عليما بالصواب من الخطأ وبالمصلحة
من المفسدة حكيما لا يفعل شيئا ولا يأمر به إلا بداعي الحكمة واتبع ما يوحى إليك في ترك طاعة الكافرين و
والمنافقين وغيره ذلك إن الله الذي يوحي إليك خبير بما تعملون فموح إليك ما يصلح به أعمالكم فلا حاجة بكم
إلى الاستماع من الكفرة وقرئ يعملون بالياء أي بما يعمل المنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم وتوكل على الله وأسند
أمرك إليه وكله إلى تدبيره وكفى بالله وكيلا حافظا موكولا إليه كل أمر ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل
أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول
الحق وهو يهدي السبيل ما جمع الله قلبين في جوف ولا زوجية وأمومة في امرأة ولا بنوة ودعوة في رجل
والمعنى أن الله سبحانه وتعالى كما لم ير في حكمته أن يجعل للإنسان قلبين لأنه لا يخلو إما أن يفعل بأحدهما مثل ما
يفعل بالآخر من أفعال القلوب فأحدهما فضلة غير محتاج إليها وإما أن يفعل بهذا غير ما يفعل بذاك فذلك
يؤدي إلى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما ظانا موقنا شاكا في حالة واحدة لم ير أيضا أن تكون المرأة
الواحدة أما لرجل زوجا له لأن الأم مخدومة مخفوض لها جناح الذل والزوجة مستخدمة متصرف
فيها بالاستفراش وغيره كالمملوكة وهما حالتان متنافيتان وأن يكون الرجل الواحد دعيا لرجل وابنا له لأن
البنوة أصالة في النسب وعراقة فيه والدعوة إلصاق عارض بالتسمية لا غير ولا يجتمع في الشيء الواحد أن يكون أصيلا

غير اصيل • وهذا مثل ضربه الله في زيد بن حارثة • وهو رجل من كلب سبي صغيرا • وكانت العرب في جاهليتها يتغاورون
ويتسابون • فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة رضي الله عنها • فلما تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم • وهبته له • وطلبه
أبوه وعمه فخير فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتقه • وكانوا يقولون زيد بن محمد فانزل الله عز وجل هذه
الاية • وقوله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله • وقيل كان ابو معمر رجلا من احفظ العرب
وارواهم فقيل له ذو القلبين • وقيل جميل بن اسد الفهري • وكان يقول ان لي قلبين افهم باحدهما اكثر مما
يفهم محمد • فروي انه انهزم يوم بدر • فمر بابي سفيان وهو معلق احدى نعليه بيده والاخرى في رجله
فقال له ما فعل الناس فقال هم ما بين مقتول وهارب فقال له ما بال احدى نعليك في رجلك والاخرى في يدك
فقال ما ظننت الا انهما في رجلي • فاكذب الله قوله وقولهم • وضربه مثلا في الظهار • والتبني • وعن ابن عباس رضي
الله عنهما • كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان فاكذبهم الله • وقيل سها في صلاته • فقالت اليهود له قلبان قلب
مع اصحابه وقلب معكم • وعن الحسن رحمه الله نزلت في ان الواحد يقول نفس تامرني ونفس تنهاني والتنكير
في رجل • وادخال من الاستغراقية • على قلبين تاكيدان لما قصد من المعنى كانه قال ما جعل الله لامة الرجال ولا لواحد
منهم قلبين البتة في جوفه • فان قلت اي فائدة في ذكر الجوف قلت الفائدة فيه كالفائدة في قوله تعالى
القلوب التي في الصدور وذلك لما يحصل للسامع من زيادة التصور والتجلي للمدلول عليه لانه اذا سمع به صور
لنفسه جوفا يشتمل على قلبين فكان اسرع الى الانكار • وقرئ اللائي بياء وهمزة مكسورتين • واللاي بياء ساكنة
بعد الهمزة • وتظاهرون من ظاهر • وتظاهرون من اظاهر • بمعنى تظاهر وتظهرون من اظهر بمعنى تظهر
وتظهرون من ظهر بمعنى ظاهر • كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من تظهر بلفظ فعل من الظهور • ومعنى ظاهر
من امراته قال لها انت علي كظهر امي • ونحوه في العبارة عن اللفظ لبى المحرم اذا قال لبيك • وافف الرجل
اذا قال اف واخوات لهن • فان قلت فما وجه تعديته واخواته بمن قلت كان الظهار طلاقا عند
اهل الجاهلية • فكانوا يتجنبون المراة المظاهر منها والمظهر منها • كما يتجنبون المطلقة وكان قولهم تظاهر
منها • تباعد منها بجهة الظهار وتظهر منها تحرز منها وظاهر منها حاذر منها وظهر منها وحش منها وظهر منها خلص
منها • ونظيره آلى من امراته لما ضمن معنى التباعد منها عدي بمن • والا فآلى في اصله الذي هو بمعنى حلف واقسم
ليس بحكمه • فان قلت ما معنى قولهم انت علي كظهر امي قلت ارادوا ان يقولوا انت علي حرام كبطن امي
فكنوا عن البطن بالظهر لئلا يذكروا البطن الذي ذكره يقارب ذكر الفرج • وانما جعلوا الكناية عن البطن بالظهر لانه عمود البطن
ومنه حديث عمر رضي الله عنه يجيء به احدهم على عمود بطنه اراد على ظهره • ووجه اخر وهو ان اتيان المراة
وظهرها الى السماء كان محرما عندهم محظورا وكان اهل المدينة يقولون اذا اتيت المراة ووجهها الى الارض
جاء الولد احول • فلقصد المطلق منهم الى التغليظ في تحريم امراته عليه شبهها بالظهر لم يقنع بذلك حتى جعله
ظهر امه فلم يترك • فان قلت الدعي فعيل بمعنى مفعول وهو الذي يدعى ولدا فما له جمع على افعلاء وبابه
ما كان منه بمعنى فاعل كتقي واتقياء • ولا يكون ذلك في نحو رمي وسمي قلت ان شذوذه عن القياس
كشذوذ قتلاء واسراء • والطريق في مثل ذلك التشبيه اللفظي • ذلكم النسب هو قولكم بافواهكم هذا
ابني لا غير من غير ان يواطئه اعتقاد لصحته وكونه حقا • والله عز وجل لا يقول الا ما هو حق ظاهره وباطنه
ولا يهدي الا سبيل الحق • ثم قال ما هو الحق • وهدى الى ما هو سبيل الحق وهو قوله تعالى ادعوهم لآبائهم • وبين ان

ونسبتهم لآبائهم هو أدخل الأمرين في القسط والعدل. وفي فصل هذه الجمل ووصلها من الحسن والفصاحة ما لا يغبى على عالم بطرق
النظم. وقرأ قتادة وهو الذي يهدّي السبيل ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين
ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما وقيل كان الرجل في الجاهلية
إذا أعجبه جلد الرجل وظرفه ضمه إلى نفسه وجعل له مثل نصيب الذكر من أولاده من ميراثه وكان ينسب إليه فيقال
فلان بن فلان. فإن لم تعلموا آباءهم تنسبونهم إليهم فهم إخوانكم في الدين وأولياؤكم في الدين فقولوا هذا أخي وهذا مولاي
ويا أخي ويا مولاي يريد الأخوة في الدين والولاية فيه. ما تعمدت في محل الجر عطفا على ما أخطأتم. ويجوز أن يكون
مرتفعا على الابتداء والخبر محذوف ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح والمعنى لا إثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين
جاهلين قبل ورود النهي ولكن الإثم فيما تعمدتموه بعد النهي أو لا إثم عليكم إذا قلتم لولد غيركم يا بني على سبيل الخطأ
وسبق اللسان ولكن إذا قلتموه متعمدين ويجوز أن يراد العفو عن الخطأ دون العمد على طريق العموم لقول النبي صلى الله عليه وسلم
ما أخشى عليكم الخطأ ولكن أخشى عليكم العمد وقوله صلى الله عليه وسلم وضع عن أمتي الخطأ دون العمد على طريق العموم
والنسيان وما أكرهوا عليه ثم تناوله لعمومه خطأ التبني وعمده. فإن قلت فإذا وجد التبني فما
حكمه؟ قلت إذا كان المتبنى مجهول النسب وأصغر سنا من المتبني ثبت نسبه منه وإن كان عبدا له عتق وكان
الله غفورا رحيما لعفوه عن الخطأ وعن العمد مع ثبوت النسب. وإن كان لا يولد مثله لمثله لم يثبت النسب
ولكنه يعتق عند أبي حنيفة رحمة الله عليه وعند صاحبيه لا يعتق وأما المعروف النسب فلا يثبت نسبه بالتبني وإن كان
عبدا عتق. وكان غفورا رحيما لعفوه عن الخطأ وعن العمد إذا تاب العامد النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم
وأزواجه أمهاتهم أولى بالمؤمنين في كل شيء من أمور الدين والدنيا من أنفسهم ولهذا أطلق ولم يقيد
فيجب عليهم أن يكون أحب إليهم من أنفسهم وحكمه أنفذ عليهم من حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم
عليه أقدم من شفقتهم عليها وأن يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه إذا أعضل خطب ووقاءه إذا لقحت
حرب وأن لا يتبعوا ما تدعوهم إليه نفوسهم ولا ما تصرفهم عنه ويتبعوا كل ما دعاهم إليه رسول الله وصرفهم عنه
لأن كل ما دعا إليه فهو إرشاد لهم إلى نيل النجاة والظفر بسعادة الدارين وما صرفهم عنه فأخذ بحجزهم لئلا
يتهافتوا فيما يرمي بهم إلى الشقاوة وعذاب النار. أو هو أولى بهم على أنه أرأف بهم وأعطف عليهم وأنفع لهم
لقوله تعالى بالمؤمنين رؤوف رحيم. وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن إلا أنا أولى به في الدنيا
والآخرة اقرؤوا إن شئتم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وقال مجاهد كل نبي فهو أبو أمته
فأيما مؤمن هلك وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا وإن ترك دينا أو ضياعا فإلي وفي قراءة ابن مسعود رضي الله
عنه النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وقال مجاهد كل نبي فهو أبو أمته ولذلك صار المؤمنون إخوة
لأن النبي صلى الله عليه وسلم أبوهم في الدين. وأزواجه أمهاتهم تشبيه لهن بالأمهات في بعض الأحكام وهو وجوب
تعظيمهن واحترامهن وتحريم نكاحهن قال الله عز وجل ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا وهن فيما وراء
ذلك بمنزلة الأجنبيات ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لسنا أمهات النساء تعني أنهن إنما كن أمهات
الرجال لكونهن محرمات عليهم كتحريم أمهاتهم والدليل على ذلك أن هذا التحريم لم يتعد إلى بناتهن وكذلك لم
يثبت لهن سائر أحكام الأمهات وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين
كان المسلمون في صدر الإسلام يتوارثون بالولاية في الدين وبالهجرة لا بالقرابة كما كانت تتآلف قلوب قوم بإسهام لهم

في الصدقات ثم نسخ ذلك لما دجا الاسلام وعز اهله • وجعل التوارث بحق القرابة في كتاب الله في اللوح او فيما اوحى
الله الى نبيه وهو هذه الاية او في اية التوارث • او فيما فرض الله كقوله كتاب الله عليكم من المؤمنين والمهاجرين
يجوز ان يكون بيانا لاولي الارحام اي الاقرباء من هؤلاء بعضهم اولى بان يرث بعضا من الاجانب • ويجوز
ان يكون لابتداء الغاية • اي اولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق الولاية في الدين ومن
المهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا فان قلت مم استثنى
ان تفعلوا قلت من اعم العام في معنى النفع والاحسان كما تقول القريب اولى من الاجنبي الا في الوصية تريد
انه احق منه في كل نفع من ميراث وهدية وصدقة وهبة وغير ذلك الا في الوصية والمراد بفعل المعروف
التوصية لانه لا وصية لوارث وعدى تفعلوا بالى لانه في معنى تسدوا وتزلوا والمراد بالاولياء المؤمنون
والمهاجرون للولاية في الدين ذلك اشارة الى ما ذكر في الايتين جميعا • وتفسير الكتاب ما مر انفا والجملة
مستانفة كالخاتمة لما ذكر من الاحكام واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى
ابن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا ليسئل الصادقين عن صدقهم واعد للكافرين عذابا اليما
واذكر حين اخذنا من النبيين جميعا ميثاقهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى ابراهيم والدعاء الى الدين القيم
ومنك خصوصا • ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وانما فعلنا ذلك ليسئل الله يوم القيمة عند
تواقف الاشهاد المؤمنين الذين صدقوا عهدهم ووفوا به من جملة من اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى
عن صدقهم عهدهم وشهادتهم فليشهد لهم الانبياء بانهم صدقوا عهدهم وشهادتهم وكانوا مؤمنين او ليسئل
المصدقين للانبياء عن تصديقهم لان من قال للصادق صدقت كان صادقا في قوله او ليسئل الانبياء ما الذي
اجابتهم به اممهم وتاويل مسئلة الرسل تبكيت الكافرين بهم كقوله تعالى انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين
فان قلت لم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على نوح فمن بعده قلت هذا العطف لبيان فضيلة الانبياء
الذين هم مشاهيرهم وذراريهم فلما كان محمد صلى الله عليه وسلم افضل هؤلاء المفضلين قدم عليهم لبيان انه
افضلهم ولولا ذلك لقدم من قدمه زمانه فان قلت فقد قدم عليه نوح في الاية التي هي اخت هذه
الاية وهي قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك ثم قدم على غيره قلت
مورد هذه الاية على طريقة خلاف طريقة تلك • وذلك ان الله عز وجل انما اوردها لوصف دين الاسلام
بالاصالة والاستقامة فكانه تعالى قال شرع لكم الدين الاصيل الذي بعث اليه نوح في العهد القديم وبعث
عليه محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم في العهد الحديث • وبعث عليه من توسط بينهما من الانبياء المشاهير
فان قلت علام عطف قوله تعالى واعد للكافرين فان فماذا اراد بالميثاق الغليظ قلت اراد به ذلك
الميثاق بعينه معناه واخذنا منهم بذلك الميثاق ميثاقا غليظا والغلظ استعارة من وصف الاجرام والمراد عظم
الميثاق وجلالة شانه في بابه وقيل الميثاق الغليظ اليمين بالله تعالى على الوفاء بما حملوا فان قلت علام
عطف قوله تعالى واعد للكافرين قلت على اخذنا من النبيين لان المعنى ان الله اكد على الانبياء الدعوة
الى دينه لاجل اثابة المؤمنين • واعد للكافرين عذابا اليما او على ما دل عليه ليسئل الصادقين كانه قال
فاثاب المؤمنين واعد للكافرين يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا
وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا اذكروا ما انعم الله به عليكم يوم الاحزاب وهو يوم الخندق

اذ جاءتكم جنود وهم الاحزاب فارسل الله تعالى عليهم ريح الصبا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وجنودا لم تروها وهم الملائكة وكانوا الفا بعث الله عليهم الصبا باردة في ليلة شاتية فاحصرتهم وسفت التراب في وجوههم وامر الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب واطفأت النيران واكفأت القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في جوانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال وحين سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم ضرب الخندق على المدينة اشار عليه بذلك سلمان الفارسي رضي الله عنه ثم خرج في ثلاثة الاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وامر بالنساء والذراري فرفعوا في الآطام واشتد الخوف وظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر لا نقدر ان نذهب الى الغائط وكانت قريش قد اقبلت في عشرة الاف من الاحابيش وبني كنانة واهل تهامة وقائدهم ابو سفيان وخرج غطفان في الف ومن تابعهم من اهل نجد وقائدهم عيينة بن حصين وعامر بن الطفيل في هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى انزل الله تعالى النصر تعملون يعملون بالياء والتاء اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا من فوقكم من اعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان ومن اسفل منكم من اسفل الوادي من قبل المغرب قريش تحزبوا وقالوا سنكون جملة واحدة حتى نستأصل محمدا زاغت الابصار مالت عن سننها ومستوى نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شيء فلم تلتفت الا الى عدوها لشدة الروع الحنجرة رأس الغلصمة وهي منتهى الحلقوم والحلقوم مدخل الطعام والشراب قالوا اذا انتفخت الرئة من شدة الفزع او الغضب او الغم الشديد ربت وارتفع القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة ومن ثمه قيل للجبان انتفخ سحره ويجوز ان يكون ذلك مثلا في اضطراب القلوب ووجيبها وان لم تبلغ الحناجر حقيقة وتظنون بالله الظنونا خطاب للذين آمنوا ومنهم الثبت القلوب والاقدام والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون الذين لم يوجد منهم الايمان الا بالسنتهم فظن الاولون بالله انه يبتليهم ويفتنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال واما الآخرون فظنوا بالله ما حكي عنهم وعن الحسن رحمه الله ظنوا ظنونا مختلفة ظن المنافقون ان المسلمين يستأصلون وظن المؤمنون انهم يبتلون وقرئ الظنون بغير الف في الوصل والوقف وهو القياس وبزيادة الف في الوقف زادوها في الفاصلة كما زادوها في القافية من قال

اقلي اللوم عاذل والعتابا * وقولي ان اصبت لقد اصابا *

وكذلك الرسولا والسبيلا وقرئ بزيادتها في الوصل ايضا اجراء له مجرى الوقف قال ابو عبيد وهن كلهن في الامام بالف وعن ابي عمرو اشمام زاي زلزلوا وقرئ زلزالا بالفتح والمعنى ان الخوف ازعجهم اشد الازعاج واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا قيل قائله معتب حين رأى الاحزاب قال يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور واذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا

طائفة منهم اوس بن قيظي ومن وافقه على رأيه وعن السدي عبد الله بن أبي واصحابه ويثرب اسم المدينة
وقيل ارض وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام لكم قرئ بضم الميم وفتحها اي لا قرار لكم ههنا ولا مكان
تقيمون فيه او تقومون فارجعوا الى المدينة امروهم بالهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قالوا لهم ارجعوا
كفارا واسلموا محمدا والا فليست يثرب لكم بمكان عورة قرئ عورة بسكون الواو وكسرها فالعورة الخلل
والعورة ذات العورة يقال عور المكان عورا اذا بدا فيه خلل يخاف منه العدو والسارق ويجوز ان تكون عورة
تخفيف عورة اعتذروا ان بيوتهم معرضة للعدو ممكنة للسراق لانها غير محرزة ولا محصنة فاستأذنوه
ليحصنوها ثم يرجعوا اليه فاكذبهم الله بانهم لا يخافون ذلك وانما يريدون الفرار ولو دخلت عليهم من
اقطارها ثم سئلوا الفتنة لاتوها وما تلبثوا بها الا يسيرا ولو دخلت عليهم المدينة وقيل بيوتهم من قولك
دخلت على فلان داره من اقطارها من جوانبها يريد ولو دخلت هذه العساكر المتحزبة التي يفرون خوفا
منها مدينتهم وبيوتهم من نواحيها كلها وانثالت على اهاليهم واولادهم ناهبين سابين ثم سئلوا عند ذلك
الفزع وتلك الرجفة الفتنة اي الردة والرجعة الى الكفر ومقاتلة المسلمين لاتوها لجاؤوها وفعلوها
وقرئ لآتوها لاعطوها وما تلبثوا بها وما البثوا الا اعطاءها الا يسيرا ريثما يكون السؤال والجواب من غير
توقف وما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم الا يسيرا فان الله يهلكهم والمعنى انهم يتعللون باعوار بيوتهم
ويتمحلون ليفروا عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وعن مصافة الاحزاب الذين ملأوهم هولا
ورعبا وهؤلاء الاحزاب كما هم لو كبسوا عليهم ارضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على المسلمين
لسارعوا اليه وما تعللوا بشيء وما ذاك الا لمقتهم الاسلام وشدة بغضهم لاهله وحبهم الكفر وتهالكهم على حزبه
ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وكان عهد الله مسؤولا عن ابن عباس رضي الله عنهما
عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة ان يمنعوه مما يمنعون منه انفسهم وقيل هم قوم غابوا عن بدر
فقالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن وعن محمد بن اسحاق عاهدوا يوم احد ان لا يفروا بعد ما نزل فيهم
ما نزل مسؤولا مطلوبا مقتضى حتى يوفى به قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذا لا تمتعون
الا قليلا لن ينفعكم الفرار مما لا بد لكم من نزوله بكم من حتف انف او قتل وان نفعكم الفرار
مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع الا زمانا قليلا وعن بعض المروانية انه مر بحائط مائل
فاسرع فتليت له هذه الآية فقال ذلك القليل نطلب قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد
بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا فان قلت كيف جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة
ولا عصمة الا من السوء قلت معناه او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام واجري مجرى قوله
متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى المنع قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين
لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا المعوقون المثبطون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون
كانوا يقولون لاخوانهم من ساكني المدينة من انصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما محمد واصحابه الا اكلة رأس
ولو كانوا لحما لالتهمهم ابو سفيان واصحابه فخلوهم وهلموا الينا اي قربوا انفسكم الينا وهي لغة اهل الحجاز
يسوون فيه بين الواحد والجماعة واما تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال وهو صوت سمي به فعل
متعد مثل احضر وقرب قل هلم شهداءكم الا قليلا الا اتيانا قليلا اشحة عليكم فاذا جاء الخوف

رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة
على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا أشحة عليكم في وقت الحرب أضناء
يترفرفون عليكم كما يفعل الرجل بالذاب عنه المناضل دونه عند الخوف ينظرون إليك في تلك الحالة كما ينظر
المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخورا ولواذا بك • فإذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم ووقعت القسمة
نقلوا ذلك الشح وتلك الضنة • والرفرفة عليكم إلى الخير وهو المال والغنيمة ونسوا تلك الحالة الأولى واجترءوا
عليكم وضربوكم بألسنتهم وقالوا وفروا قسمتنا فإنا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم
وبنا نصرتم عليه ونصب أشحة على الحال أو على الذم • وقرئ أشحة بالرفع وصلقوكم بالصاد فإن قلت هل
يثبت للمنافق عمل حتى يرد عليه الإحباط قلت لا ولكنه تعليم لمن عسى يظن أن الإيمان باللسان إيمان وإن لم
يواطئه القلب وأن ما يعمل المنافق من الأعمال يجدي عليه فبين أن إيمانه ليس بإيمان وأن كل عمل يوجد منه باطل
وفيه بعث على إتقان المكلف أساس أمره وهو الإيمان الصحيح • وتنبيه على أن الأعمال الكثيرة من غير تصحيح
المعرفة كالبناء على غير أساس وأنها مما يذهب عند الله هباء منثورا فإن قلت ما معنى قوله وكان ذلك على
الله يسيرا • وكل شيء عليه يسير قلت معناه أن أعمالهم حقيقة بالإحباط تدعو إليه الدواعي ولا يصرف
عنه صارف يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب
يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا يحسبون أن الأحزاب لم ينهزموا • وقد انهزموا فانصرفوا
عن الخندق إلى المدينة راجعين لما نزل بهم من الخوف الشديد ودخلهم من الجبن المفرط • وإن يأت
الأحزاب كرة ثانية تمنوا لخوفهم مما منوا به هذه الكرة أنهم خارجون إلى البدو وحاصلون بين الأعراب
يسألون • كل قادم منهم من جانب المدينة عن أخباركم وعما جرى عليكم ولو كانوا فيكم ولم يرجعوا إلى
المدينة • وكان قتال لم يقاتلوا إلا قليلا رياء وسمعة • وقرئ بدى على فعل جمع باد كغاز وغزى
في رواية صاحب الإقليد بديا بوزن عدي • وتساءلون أي يتساءلون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا
سمعت ماذا بلغك • أو يتساءلون الأعراب كما تقول رأيت الهلال وتراءيناه كان عليكم أن تواسوا رسول
الله بأنفسكم فتوازروه وتثبتوا معه كما آساكم بنفسه في الصبر على الجهاد والثبات في مرحى الحرب •
حتى كسرت رباعيته يوم أحد • وشج وجهه لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا
الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا فإن قلت فما حقيقة قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة
حسنة وقرئ أسوة بالضم قلت فيه وجهان أحدهما أنه في نفسه أسوة حسنة أي قدوة وهو المؤتسى
به أي المقتدى به كما تقول في البيضة عشرون منا حديدا أي هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد والثاني أن
فيه خصلة من حقها أن يؤتسى بها وتتبع وهي المواساة بنفسه لمن كان يرجوا الله بدل من لكم كقوله تعالى
للذين استضعفوا لمن آمن منهم يرجوا الله واليوم الآخر • من قولك رجوت زيدا وفضله أي فضل زيد •
أو يرجوا أيام الله واليوم الآخر خصوصا والرجاء بمعنى الأمل والخوف وذكر الله كثيرا وقرن
الرجاء بالطاعات الكثيرة والتوفر على الأعمال الصالحة والمؤتسي برسول الله من كان كذلك ولما رأى المؤمنون
الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما وعدهم
الله أن يزلزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه في قوله تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة • ولما يأتكم مثل الذين

خلوا من قبلكم. فلما جاء الأحزاب وشخص بهم واضطربوا ورعبوا الرعب الشديد. قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله
وايقنوا بالجنة والنصر وعن ابن عباس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الاحزاب سائرون اليكم
تسعا او عشرا اي في آخر تسع ليال او عشر. فلما رأوهم قد اقبلوا للميعاد قالوا ذلك وهذا اشارة الى
الخطب او البلاء. ايمانا بالله وبمواعيده. وتسليما لقضاياه واقداره من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب
المنافقين ان شاء او يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما نذر رجال من الصحابة انهم اذا لقوا حربا
مع رسول الله ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم. عثمان بن عفان. وطلحة بن عبيد الله. وسعيد بن زيد
ابن عمرو. وبن نفيل. وحمزة. ومصعب بن عمير. رضوان الله عليهم اجمعين. وغيرهم. فمنهم من قضى نحبه
يعني حمزة. ومصعبا. ومنهم من ينتظر. يعني عثمان. وطلحة. رضي الله عنهما. وفي الحديث
من احب ان ينظر الى شهيد. يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة. فان قلت ما قضاء النحب قلت
وقع عبارة عن الموت. لان كل حي لا بد له ان يموت. فكأنه نذر لازم في رقبته فاذا مات فقد قضى
نحبه اي نذره وقوله تعالى فمنهم من قضى نحبه يحتمل موته شهيدا ويحتمل وفاءه بنذره من الثبات مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فان قلت ما حقيقة قوله تعالى صدقوا ما عاهدوا الله عليه قلت يقال
صدقني اخوك وكذبني اذا قال لك الصدق والكذب. واما المثل صدقني سن بكره فمعناه صدقني في
سن بكره. بطرح الجار وايصال الفعل فلا يخلو ما عاهدوا الله عليه اما ان يكون بمنزلة السن في طرح الجار
واما ان يجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كانهم قالوا للمعاهد عليه سنفي بك وهم وافون به فقد صدقوه
ولو كانوا ناكثين لكذبوه. ولكان مكذوبا. وما بدلوا العهد ولا غيروه لا المستشهد ولا من ينتظر.
الشهادة. ولقد ثبت طلحة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حتى اصيبت يده. فقال صلى الله عليه
وسلم اوجب طلحة. وفيه تعريض بمن بدلوا من اهل النفاق ومرض القلوب. جعل المنافقون كانهم قصدوا
عاقبة السوء واراده بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لان كلا الفريقين مسوق
الى عاقبته من الثواب والعقاب. فكانهما استويا في طلبها والسعي في تحصيلها. ويعذبهم ان شاء اذا لم
يتوبوا او يتوب عليهم اذا تابوا ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال
وكان الله قويا عزيزا ورد الله الذين كفروا الاحزاب بغيظهم مغيظين كقوله تعالى تنبت بالدهن
لم ينالوا خيرا غير ظافرين وهما حالان بتداخل او تعاقب. ويجوز ان تكون الثانية بيانا للاولى
او استئنافا وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب
من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا واورثكم ارضهم
وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديرا ورد الله الذين كفروا
وانزل الذين ظاهروهم الاحزاب من اهل من صياصيهم من حصونهم والصيصية ما تحصن به يقال
لقرن الثور والظبي صيصية ولشوكة الديك وهي مخلبه التي في ساقه لانه يتحصن بها روي ان
جبريل عليه الصلاة والسلام اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم. صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب
ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا سلاحهم على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس وعلى السرج فقال

ما هذا يا جبريل فقال من متابعة قريش فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه فقال يا رسول الله ان الملائكة لم تضع السلاح ان الله يأمرك بالمسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فان الله تعالى داقهم دق البيض على الصفا وانهم لكم طعمة فأذن في الناس ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلي العصر الا في بني قريظة فما صلى كثير من الناس العصر الا بعد العشاء الآخرة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزلون على حكمي فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم ان تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله تعالى من فوق سبعة ارقعة ثم استنزلهم وخندق في سوق المدينة خندقا وقدمهم فضرب اعناقهم وهم من ثمانمائة الى تسعمائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة اسير وقرئ الرعب بسكون العين وضمها وتأسرون بضم السين وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار في ذلك فقال انكم في منازلكم وقال عمر اما تخمس كما خمست يوم بدر قال لا انما جعلت هذه لي طعمة دون الناس قال رضينا بما صنع الله ورسوله وارضا لم تطؤوها عن الحسن رحمة الله عليه فارس والروم وعن قتادة كنا نحدث انها مكة وعن مقاتل انها خيبر وعن عكرمة كل ارض تفتح الى يوم القيمة ومن بدع التفاسير انه اراد نساءهم يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما اردن شيئا من ثياب وزيادة نفقة وتغايرن فغم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فبدأ بعائشة رضي الله عنها وكانت احبهن اليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فرئي الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اختارت جميعهن اختيارها فشكر لهن الله ذلك فانزل لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج وروي انه قال لعائشة رضي الله عنها اني ذاكر لك امرا ولا عليك ان لا تعجلي فيه حتى تستأمري ابويك ثم قرأ عليها القرآن فقالت افي هذا استأمر ابوي فاني اريد الله ورسوله والدار الآخرة وروي انها قالت لا تخبر ازواجك اني اخترتك فقال صلى الله عليه وسلم انما بعثني الله مبلغا ولم يبعثني متعنتا فان قلت ما حكم التخيير في الطلاق قلت اذا قال لها اختاري فقالت اخترت نفسي او قال اختاري نفسك فقالت اخترت لا بد من ذكر النفس في قول المخير والمخيرة وقعت طلقة بائنة عند ابي حنيفة رحمة الله عليه واصحابه واعتبروا ان يكون ذلك في المجلس قبل القيام او الاشتغال بما يدل على الاعراض واعتبر الشافعي رضي الله عنه اختيارها على الفور وهي عنده طلقة رجعية وهو مذهب عمر وابن مسعود رضي الله عنهما وعن الحسن رحمة الله عليه وقتادة والزهري امرها بيدها في ذلك المجلس وفي غيره واذا اختارت زوجها لم يقع شيء باجماع فقهاء الامصار وعن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعده طلاقا وروي افكان طلاقا وعن علي رضي الله عنه اذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وان اختارت نفسها فواحدة بائنة وروي عنه ايضا ان اختارت زوجها فليس بشيء اصل تعال ان يقوله من في المكان المستوطي ثم كثر حتى استوت في استعماله الامكنة ومعنى تعالين اقبلن بارادتكن واختياركن

لامر

لاحد امرين ولم يرد تفويضهن اليه باختيارهن كما تقول اقبل يخاصمني وذهب يكلمني يهددني • امتعكن
اعطكن متعة الطلاق • فان قلت المتعة في الطلاق واجبة ام لا قلت المطلقة التي لم يدخل بها
ولم يفرض لها في العقد متعتها واجبة عند ابي حنيفة واصحابه رحمة الله عليهم • واما سائر المطلقات فمتعتهن
مستحبة • وعن الزهري متعتان احدهما يقضي بها السلطان من طلق قبل ان يفرض ويدخل بها • والثانية
حق على المتقين من طلق بعد ما يفرض ويدخل خاصمت امرأة الى شريح في المتعة فقال متعها ان كنت
من المتقين ولم يجبره • وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه • المتعة حق مفروض • وعن الحسن رحمة الله عليه لكل
مطلقة متعة • الا المختلعة والملاعنة والمتعة درع وخمار وملحفة على حسب السعة والاقتار الا
ان يكون نصف مهرها اقل من ذلك فيجب لها الاقل منهما • ولا تنقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة
دراهم فلا ينقص من نصفها • فان قلت ما وجه قراءة من قرأ امتعكن واسرحكن بالرفع قلت وجهه
الاستئناف • سراحا جميلا من غير ضرار طلاقا بالسنة يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها
العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا منكن للبيان لا للتبعيض • الفاحشة السيئة البليغة في القبح
وهي الكبيرة • والمبينة الظاهر فحشها • والمراد كل ما اقترفن من الكبائر • وقيل هي عصيانهن رسول الله
صلى الله عليه وسلم • ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه او ما يضيق به ذرعه ويغتم لاجله • وقيل الزنا
والله عاصم رسوله من ذلك كما مر في حديث الافك • وانما ضوعف عذابهن لان ما قبح من سائر النساء كان
اقبح منهن واقبح لان زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل والمرتبة وزيادة النعمة على العاصي
من المعصي • وليس لاحد من النساء مثل فضل النبي ولا لاحد منهن مثل ما لله عليهن من النعمة والجزاء يتبع
لكون الفعل قبيحا فمتى ازداد قبحا ازداد عقابه شدة ولذلك كان ذم العقلاء للعاصي العالم اشد
منه للعاصي الجاهل لان المعصية من العالم اقبح ولذلك فضل حد الاحرار على حد العبيد حتى ان ابا حنيفة
واصحابه لا يرون الرجم على الكافر • وكان ذلك على الله يسيرا ايذان بان كونهن نساء النبي ليس بمغن
عنهن شيئا وكيف يغني عنهن وهو سبب مضاعفة العذاب فكان داعيا الى تشديد الامر عليهن غير
صارف عنه قرئ يأت بالياء والتاء مبينة بفتح الياء وكسرها من بين بمعنى تبين • يضاعف على البناء
للمفعول ويضاعف ونضعف بالياء والنون ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين
واعتدنا لها رزقا كريما • وقرئ يقنت وتعمل بالتاء والياء ويؤتها بالياء والنون • والقنوت
الطاعة • وانما ضوعف اجرهن لطلبهن رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق وطيب المعاشرة
والقناعة وتوفرهن على عبادة الله تعالى والتقوى يا نساء النبي لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فلا
تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا احد في الاصل بمعنى وحد وهو الواحد
ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه • ومعنى قوله تعالى لستن
كاحد من النساء لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء اذا تقصيت امة النساء جماعة جماعة لم توجد
منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل والسابقة • ومثله قوله سبحانه وتعالى والذين امنوا بالله
ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم • يريد بين جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم في انهم على الحق المبين
ان اتقيتن ان اردتن التقوى • وان كنتن متقيات فلا تخضعن بالقول فلا تجبن بقولكن خاضعا

أي لينًا حسنًا مثل كلام المريبات والمومسات فيطمع الذي في قلبه مرض • أي ريبة وفجور • وقرئ بالجزم عطفًا
على محل فعل النهي على أنهن نهين • عن الخضوع بالقول ونهي المريض القلب عن الطمع كأنه قيل لا تخضعن فلا يطمع ،
وعن ابن محيصن • أنه قرأ بكسر الميم • وسبيله ضم الياء مع كسرها واسناد الفعل الى ضمير القول اي فيطمع القول
المريب • قولًا معروفًا • بعيدًا من طمع المريب بجد وخشونة من تخنيث او قولًا حسنًا مع كونه خشنًا وقرن
في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكوة وأطعن الله ورسوله
إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا وقرن بكسر القاف من وقر يقر وقارًا
او من قرّ يقِر حذفت الأولى من راءي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف كما تقول ظلن وقرن بفتحها
وأصله اقررن فحذفت الراء والقيت فتحتها على ما قبلها كقولك ظلن وذكر ابو الفتح الهمداني في
كتاب التبيان وجهًا آخر قال قار يقار اذا اجتمع • ومنه القارة لاجتماعها الا ترى الى قول
عضل • والديش • اجتمعوا فكونوا قارة • والجاهلية الأولى هي القديمة التي يقال لها الجاهلية الجهلاء
وهي الزمن الذي ولد فيه ابرهيم عليه الصلاة والسلام • كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق
تعرض نفسها على الرجال وقيل ما بين آدم ونوح • وقيل بين ادريس ونوح • وقيل زمن داود وسليمان صلوات
الله عليهم • والجاهلية الأخرى ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم • ويجوز ان تكون الجاهلية الأولى جاهلية
الكفر • قبل الاسلام والجاهلية الأخرى جاهلية الفسوق والفجور في الاسلام • فكان المعنى ولا تحدثن
بالتبرج الأولى جاهلية في الاسلام تتشبهن بها باهل جاهلية الكفر ويعضده ما روي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لابي الدرداء إن فيك جاهلية • قال جاهلية كفر ام اسلام قال بل جاهلية كفر • امرهن امرًا
خاصًا بالصلاة والزكوة • ثم جاء به عامًا في جميع الطاعات لان هاتين الطاعتين البدنية والمالية
مما اصل سائر الطاعات من اعتنى بهما حق اعتنائه جرتاه الى ما وراءهما ثم بين انما نهاهن وامرهن
ووعظهن لئلا يقارف اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم المآثم وليتصونوا عنها بالتقوى واستعار
الذنوب الرجس وللتقوى الطهر لان عرض المقترف للمقبحات يتلوث بها ويتدنس كما يتلوث بدنه
بالارجاس • واما المحسنات فالعرض معها نقي مصون كالثوب الطاهر وفي هذه الاستعارة ما ينفر
اولي الالباب عما كرهه الله تعالى لعباده ونهاهم عنه • ويرغبهم فيما يرضيه لهم وامرهم به واهل
البيت نصب على النداء او على المدح • وفي هذا دليل بين على ان نساء النبي من اهل بيته واذكرن ما
يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفًا خبيرًا ثم ذكرهن ان بيوتهن مهابط الوحي
وامرهن ان لا ينسين ما يتلى فيها من الكتاب الجامع بين امرين هو آيات بينات تدل على صدق النبوة لانه
معجزة بنظمه • وهو حكمة وعلوم • وشرائع • إن الله كان لطيفًا خبيرًا حين علم ما ينفعكم ويصلحكم
في دينكم فانزله عليكم • او علم ما يصلح لنبوته • ومن يصلح لان يكونوا اهل بيته • او حيث جعل الكلام
الواحد جامعًا بين الغرضين إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات
والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين
والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرًا
والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا • روي ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الرجال

بلغ مقابلة

في القرآن بخير أما فينا خير نذكر به إنا نخاف أن لا تقبل منا طاعة • وقيل السائلة أم سلمة رضي الله عنها • وروي أنه
لما نزل في نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت والمسلم الداخل في السلم بعد الحرب
المنقاد الذي لا يعاند أو المفوض أمره إلى الله المتوكل عليه من أسلم وجهه إلى الله والمؤمن المصدق بالله ورسوله • وبما يجب
أن يصدق به و القانت القائم بالطاعة الدائم عليها و الصادق الذي يصدق في نيته وقوله وعمله و الصابر الذي
يصبر على الطاعات وعن المعاصي و الخاشع المتواضع لله بقلبه وجوارحه وقيل الذي إذا صلى لم يعرف من عن يمينه وشماله
و المتصدق الذي يزكي ماله ولا يخل بالنوافل وقيل من تصدق في أسبوع بدرهم فهو من المتصدقين ومن صام
البيض من كل شهر فهو من الصائمين و الذاكر الله من لا يكاد يخلو من ذكر الله بقلبه أو لسانه أو بهما • وقراءة القرآن والاشتغال
بالعلم من الذكر • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استيقظ من نومه وأيقظ امرأته فصليا جميعا ركعتين كتبا من
الذاكرين الله كثيرا والذاكرات والمعنى والحافظاتها والذاكراته فحذف لأن الظاهر يدل عليه فإن قلت أي فرق بين
العطفين أعني عطف الإناث على الذكور وعطف الزوجين على الزوجين قلت العطف الأول نحو قوله تعالى ثيبات
وأبكارا في أنهما جنسان مختلفان إذا اشتركا في حكم لم يكن بد من توسيط العاطف بينهما وأما العطف الثاني فمن عطف الصفة على
الصفة بحرف الجمع فكأنه معناه أن الجامعين والجامعات لهذه الطاعات • أعد الله لهم مغفرة وما كان لمؤمن
ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا
خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة فأبت وأبى
أخوها عبد الله فنزلت فقالا رضينا يا رسول الله فأنكحها إياه وساق عنه إليها مهرها ستين درهما وخمارا وملحفة
ودرعا وإزارا وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر • وقيل هي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وهي أول من هاجر
من النساء وهبت نفسها للنبي فقال قد قبلت وزوجها زيدا فسخطت هي وأخوها وقالا إنما أردنا رسول الله فزوجنا
عبده والمعنى وما صح لرجل ولا امرأة من المؤمنين • إذا قضى الله ورسوله أمرا أي رسول الله أو لأن قضاء رسول الله هو قضاء
الله أمرا من الأمور أن يختاروا من أمرهم ما شاؤوا بل من حقهم أن يجعلوا رأيهم تبعا لرأيه واختيارهم تلوا لاختياره
فإن قلت كان من حق الضمير أن يوحد كما تقول ما جاءني من رجل ولا امرأة إلا كان من شأنه كذا قلت نعم ولكنهما
وقعا تحت النفي فعما كل مؤمن ومؤمنة فرجع الضمير على المعنى لا على اللفظ وقرئ يكون بالتاء والياء • والخيرة ما يتخير
وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه
وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج
في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا للذي أنعم الله عليه بالإسلام الذي هو أجل النعم
وبتوفيقك لعتقه ومحبته واختصاصه وأنعمت عليه بما وفقك الله فيه فهو متقلب في نعمة الله ونعمة رسوله وهو زيد
ابن حارثة أمسك عليك أي خطبها لنفسه • زوجك لا لزيد يعني زينب بنت جحش وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أبصرها بعد ما أنكحها إياه فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب • وذلك أن نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك
لا تريدها ولو أرادها لاختطبها وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن وألقى الله في نفسه كراهة صحبتها
والرغبة عنها لرسول الله عليه الصلاة والسلام فقال لرسول الله إني أريد أن أفارق صاحبتي فقال ما لك أرابك منها شيء
قال لا والله ما رأيت منها إلا خيرا ولكنها تتعظم علي لشرفها وتؤذيني فقال له أمسك عليك زوجك واتق الله ثم
طلقها بعد • فلما اعتدت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أجد أحدا أوثق في نفسي منك اخطب علي زينب قال زيد

رضي الله عنه فانطلقت فاذا تخمر عجينتها فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر اليها حين علمت ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري وقلت يا زينب أبشري ان رسول الله يخطبك ففرحت وقالت
ما أنا بصانعة شيئا حتى أؤامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل القرآن زوجناكها فتزوجها رسول الله صلى الله
عليه وسلم ودخل بها وما أولم على امرأة من نسائه ما أولم عليها ذبح شاة وأطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار
فان قلت ماذا اراد بقوله واتق الله قلت اراد واتق الله فلا تطلقها وقصد نهي تنزيه لا تحريم لان الاولى ان
لا يطلقها وقيل اراد اتق الله فلا تذمها بالنسبة الى الكبر واذى الزوج فان قلت ما الذي اخفى في نفسه قلت
تعلق قلبه بها وقيل مودة مفارقة زيد اياها وقيل علمه بان زيدا سيطلقها وسينكحها لان الله تعالى قد اعلمه
بذلك وعن عائشة رضي الله عنها لو كتم رسول الله شيئا مما اوحي اليه لكتم هذه الآية فان قلت فماذا اراد
الله منه عز وجل ان يصمت عند ذلك او يقول له انت اعلم بشأنك حتى لا يخالف سره في ذلك علانيته
انه يقول له حين قال له زيد اريد مفارقتها وكان من الهجنة ان يقول له افعل فاني اريد نكاحها قلت كان الذي
اراده منه عز وجل ان يصمت عند ذلك او يقول له انت اعلم بشأنك حتى لا يخالف سره في ذلك علانيته لان الله
يريد من الانبياء تساوي الظاهر والباطن والتصلب في الامور والتجاوب في الاحوال والاستمرار على طريقة
مستتبة كما جاء في حديث ارادة رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل عبد بن ابي سرح واعتراض عثمان بن عفان
رضي الله عنه بشفاعته له ان عمر قال له لقد كان عيني الى عينك هل تشير الي فاقتله فقال ان الانبياء لا تومض ظاهرهم
وباطنهم واحد فان قلت كيف عاتبه الله في ستر ما استهجن التصريح به ولا يستهجن النبي التصريح بشيء الا
والنبي في نفسه مستهجن ومقالة الناس لا تتعلق الا بما يستقبح في العقول والعادات وما له لم يعاتبه في نفس الامر ولم
يأمره بقمع الشهوة وكف النفس عن ان تنازع الى زينب وتتبعها ولم يعصم نبيه عن تعلق الهجنة به وما يعرضه للقالة
قلت كم من شيء يتحفظ منه الانسان ويستحيي من اطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح متسع وحلال مطلق لا مقال
فيه ولا عيب عند الله تعالى وربما كان للمباح لذ للمباح سلما الى حصول واجبات يعظم اثرها في الدين ويجل ثوابها لو لم يتحفظ
منه لاطلق كثير من الناس فيه السنتهم الا من اوتي فضلا وعلما ودينا ونظرا في حقائق الامور ولبوبها دون قشورها
الا ترى انهم كانوا اذا طعموا في بيوت النبي صلى الله عليه وسلم بقوا مرتكزين في مجالسهم مستأنسين بالحديث وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤذيه قعودهم ويضيق صدره حديثهم والحياء يصده ان يأمرهم بالانتشار حتى
نزلت ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق ولو ابرز رسول الله مكنون ضميره وامرهم
ان ينتشروا لشق عليهم ولكان بعض القالة فهذا من ذاك القبيل لان طموح قلب الانسان الى بعض مشتهياته من امرأة
او غيرها غير موصوف بالقبح في العقل ولا في الشرع لانه ليس بفعل الانسان ولا وجوده باختياره وتناول
المباح بالطريق الشرعي ليس بقبيح ايضا وهو خطبة زينب ونكاحها من غير استنزال زيد عنها ولا طلب اليه
وهو اقرب منه من زر قميصه ان يواسيه بمفارقتها مع قوة العلم بان نفس زيد لم تكن من التعلق بها في شيء بل
كانت تجفو عنها ونفس رسول الله صلى الله عليه وسلم متعلقة ولم يكن مستنكرا عندهم ان ينزل الرجل عن امرأته
لصديقه ولا مستهجنا اذا نزل عنها ان ينكحها الآخر فان المهاجرين حين دخلوا المدينة استهم الانصار بكل شيء
حتى ان الرجل منهم اذا كانت له امرأتان نزل عن احديهما وانكحها المهاجر واذا كان الامر مباحا من جميع جهاته ولم يكن فيه
وجه من وجوه القبح ولا مفسدة ولا مضرة بزيد ولا باحد بل كان مستجرا مصالح ناهيك بواحدة منها ان بنت عمة رسول

صلى الله عليه وسلم امنت الايمة والضيعة ونالت الشرف وعادت اسوة امهات المسلمين الى ما ذكر الله عز وجل
من المصلحة العامة في قوله تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا فبالحري
ان يعاتب الله رسوله حين كتمه وبالغ في كتمه بقوله امسك عليك زوجك واتق الله وان لا يرضى له الاتحاد
الضمير والظاهر والثبات في مواطن الحق حتى يقتدي به المؤمنون فلا يستحيوا من المكافحة بالحق وان كان
مرا فان قلت الواو في وتخفي في نفسك وتخشى الناس والله احق ما هي قلت واو الحال اي تقول
لزيد امسك عليك زوجك مخفيا في نفسك ارادة ان لا يمسكها وتخفي خاشيا قالة الناس وتخشى الناس حقيقا في
بان تخشى الله او واو العطف كانه قيل واذ تجمع بين قولك امسك واخفاء خلافه وخشية الناس والله احق ان تخشاه
حتى لا تفعل مثل ذلك اذا بلغ البالغ حاجته من شيء له فيه همة قيل قضى منه وطره والمعنى فلما لم تبق لزيد
فيها حاجة وتقاصرت عنها همته وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها وقراءة
اهل البيت زوجتكها وقيل لجعفر بن محمد اليس تقرأ على غير ذلك فقال لا والذي لا اله الا هو ما قرأتها على ابي
الا كذلك ولا قرأها الحسن بن علي على ابيه الا كذلك ولا قرأها علي بن ابي طالب رضي الله عنه على رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا كذلك وكان امر الله مفعولا جملة اعتراضية يعني وكان امر الله الذي يريد ان يكونه مفعولا مكونا
لا محالة وهو مثل لما اراد كونه من تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب رضي الله عنها ومن نفي الحرج
عن المؤمنين في اجراء ازواج المتبنين مجرى ازواج البنين في تحريمهن عليهم بعد انقطاع علائق الزواج بينهم
وبينهن ويجوز ان يراد بامر الله المكون لانه مفعول بكن وهو امر الله ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له
سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان امر الله قدرا مقدورا فرض الله له قسم له واوجب من قولهم
فرض لفلان في الديوان كذا ومنه فروض العسكر لرزقاتهم سنة الله اسم موضوع موضع المصدر كقولهم
تربا وجندلا مؤكد لقوله تعالى ما كان على النبي من حرج كانه قيل سن الله ذلك سنة في الانبياء الماضين
وهو ان لا يحرج عليهم في الاقدام على ما اباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره وقد كانت تحتهم
المهائر والسراري وكانت لداود عليه الصلاة والسلام مائة امرأة وثلثمائة سرية ولسليمان عليه الصلاة
والسلام ثلاثمائة وسبعمائة في الذين خلوا في الانبياء الذين مضوا الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا
يخشون احدا الا الله وكفى بالله حسيبا والذين يبلغون تحتمل وجوه الاعراب الجر على الوصف للانبياء والرفع
والنصب على المدح على هم الذين يبلغون او على اعني الذين يبلغون وقرئ رسالة الله قدرا مقدورا قضاء
مقضيا وحكما مبتوتا ووصف الانبياء بانهم لا يخشون الا الله تعريض بعد التصريح في قوله تعالى
وتخشى الناس والله احق ان تخشاه حسيبا كافيا للمخاوف او محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب ان
يكون حق الخشية من مثله ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان
الله بكل شيء عليما ما كان محمد ابا احد من رجالكم اي لم يكن ابا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه
ما يثبت بين الاب وولده من حرمة الصهر والنكاح ولكن كان رسول الله وكل رسول ابو امته فيما يرجع
الى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لا في سائر الاحكام الثابتة بين الآباء
والابناء وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا باولاده حقيقة فكان حكمه حكمهم والادعاء والتبني من باب
الاختصاص والتقريب لا غير وكان خاتم النبيين يعني انه لو كان له ولد بالغ مبلغ الرجال لكان نبيا ولم يكن هو

خاتم الأنبياء كما روي انه قال في ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين توفي لو عاش لكان نبيا فان قلت اما كان
ابا للطاهر والطيب والقاسم وابرهيم صلوات الله عليهم قلت قد اخرجوا من حكم النفي بقوله تعالى من
رجالكم من وجهين احدهما ان هؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال والثاني انه قد اضاف الرجال اليهم وهؤلاء رجاله
لا رجالهم فان قلت اما كان ابا للحسن والحسين رضي الله عنهما قلت بلى ولكنهما لم يكونا رجلين حينئذ
وهما ايضا من رجاله لا من رجالهم وشيء اخر وهو انما قصد ولده خاصة لا ولد ولده لقوله تعالى
وخاتم النبيين الا ترى ان الحسن والحسين رضي الله عنهما قد عاشا الى ان نيف احدهما على الاربعين
والاخر على الخمسين وقرئ ولكن رسول الله بالنصب عطفا على ابا احد وبالرفع على ولكن هو رسول الله
ولكن بالتشديد على حذف الخبر تقديره ولكن رسول الله من عرفتموه لم يعش له ولد ذكر وخاتم بفتح
التاء بمعنى الطابع وبكسرها الطابع وفاعل الختم وتقويه قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين
فان قلت كيف كان اخر الأنبياء وعيسى ينزل في اخر الزمان قلت معنى كونه اخر الانبياء انه لا ينبأ
احد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل ينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا الى قبلته كانه
كانه بعض امته يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا اذكروا الله اثنوا عليه
بضروب الثناء من التقديس والتحميد والتهليل والتكبير وما هو اهله واكثروا ذلك بكرة واصيلا
اي في كافة الاوقات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الله على فم كل مسلم وروي في قلب
كل مسلم وعن قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله
وعن مجاهد هذه الكلمات كلمات يقولها الطاهر والجنب والفعلان اعني اذكروا وسبحوا موجهان الى
البكرة والاصيل كقولك صم وصل يوم الجمعة والتسبيح من جملة الذكر وانما اختصه من بين انواعه اختصاص جبريل وميكائيل
عليهما السلام من بين الملائكة ليبين فضله على سائر الاذكار لان معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات
والافعال وتبرئته من القبائح ومثال فضله على غيره من الاذكار فضل وصف العبد بالنزاهة من ادناس
المعاصي والطهر من ارجاس المآثم على سائر اوصافه من كثرة الصلوة والصيام والتوفر على الطاعات والاشتمال
على العلوم والاشتهار بالفضائل ويجوز ان يريد بالذكر واكثاره تكثير الطاعات والاقبال على العبادات فان كل طاعة
وكل خير من جملة الذكر ثم خص من ذلك التسبيح بكرة واصيلا وهي الصلوة في جميع اوقاتها لفضل الصلوة على غيرها
او صلوة الفجر والعشائين لان اداءها اشق ومراعاتها اشد هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات
الى النور وكان بالمؤمنين رحيما لما كان من شأن المصلي ان ينعطف في ركوعه وسجوده استعير لمن ينعطف
على غيره حنوا عليه وترؤفا كعائد المريض في انعطافه عليه والمرأة في حنوها على ولدها ثم كثر حتى استعمل
في الرحمة والترؤف ومنه قولهم صلى الله عليك اي ترحم عليك وترأف فان قلت قوله تعالى هو
الذي يصلي عليكم ان فسرته بترحم عليكم وترأف فما تصنع بقوله تعالى وملائكته وما معنى صلوتهم قلت
هي قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلوا لكونهم مستجابي الدعوة كانهم فاعلون الرحمة والرأفة ونظيره قولك
حياك الله اي احياك وابقاك وحييتك دعوت لك بان يحييك الله لانك لاتكالك على اجابة دعوتك كانك
تبقيه على الحقيقة ولذلك عمرك الله وعمرتك وسقاك الله وسقيتك قوله عز وجل ان الله وملائكته يصلون على النبي

يا ايها

يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه. أي ادعوا بأن يصلي عليه والمعنى هو الذي يترحم عليكم ويترأف حيث يدعوكم إلى الخير ويأمركم
بإكثار الذكر والتوفر على الصلاة والطاعة ليخرجكم من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة وكان بالمؤمنين رحيما دليل
على أن المراد بالصلاة الرحمة. وروي أنه لما نزل قوله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر
رضي الله عنه ما خصك الله يا رسول الله بشرف إلا وقد أشركنا فيه فأنزلت تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد
لهم أجرا كريما تحيتهم من إضافة المصدر إلى المفعول أي يحيون يوم لقائه بسلام فيجوز أن يعظمهم الله
تعالى بسلامه عليهم كما يفعل بهم سائر أنواع التعظيم وأن يكون مثلا كاللقاء على ما فسرناه وقيل هو سلام ملك
الموت والملائكة معه وبشارتهم بالجنة وقيل سلام الملائكة عند الخروج من القبور كما قال
تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم. والأجر الكريم الجنة يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا شاهدا على من بعثت إليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم
أي مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل في الحكم فإن قلت وكيف كان شاهدا وقت
الإرسال وإنما يكون شاهدا عند تحمل الشهادة أو عند أدائها قلت هي حال مقدرة كمسئلة الكتاب
مررت برجل معه صقر صائدا به غدا أي مقدرا به الصيد غدا فإن قلت قد فهم من قوله
تعالى إنا أرسلناك داعيا أنه مأذون له في الدعاء فما فائدة قوله تعالى بإذنه قلت لم يرد به حقيقة
الإذن وإنما جعل الإذن مستعارا للتسهيل والتيسير لأن الدخول في حق المالك متعذر فإذا صودف الإذن
تسهل وتيسر فلما كان الإذن تسهيلا لما تعذر من ذلك وضع موضعه وذلك أن دعاء أهل الشرك والجا
لى التوحيد والشرائع أمر في غاية الصعوبة والتعذر فقيل بإذنه للإيذان بأن الأمر صعب لا يتأتى ولا يستطاع
إلا إذا سهله الله تعالى ويسره. ومنه قولهم في الشحيح إنه غير مأذون له في الإنفاق أي غير مسهل له
الإنفاق لكونه شاقا عليه داخلا في حد التعذر جلى به الله ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى
ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به وأمد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الأبصار
ووصفه بالإنارة لأن من السرج ما لا يضيء إذا قل سليطه ودقت فتيلته وفي كلام بعضهم ثلاثة تضني رسول بطي
وسراج لا يضيء ومائدة ينتظر لها من يجيء. وسئل بعضهم عن الموحشين فقال ظلام ساتر وسراج
فاتر. وقيل وذا سراج منير أو وتاليا سراجا منيرا ويجوز على هذا التفسير أن يعطف على كاف أرسلناك وبشر
المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا الفضل ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب وإذا ذكر المتفضل به
وكبره فما ظنك بالثواب ويجوز أن يراد بالفضل الثواب من قولهم للعطايا فضول وفواضل وأن يريد
أن لهم فضلا كبيرا على سائر الأمم وذلك الفضل من جهة الله تعالى وأنه آتاهم ما فضلوهم به على سائر الأمم
ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ولا تطع الكافرين معناه
الدوام والثبات على ما كان عليه أو التهييج أذاهم يحتمل إضافته إلى الفاعل والمفعول ودع أن تؤذيهم
بضرر أو قتل وخذ بظاهرهم وحسابهم على الله في باطنهم أو ودع ما يؤذونك به ولا تجازهم عليه حتى تؤمر
وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي منسوخة بآية السيف وتوكل على الله فإنه يكفيكهم وكفى به مفوضا إليه ولقائل
أن يقول وصفه الله بخمسة أوصاف وقابل كلا منها بخطاب مناسب له قابل الشاهد بقوله تعالى وبشر
المؤمنين لأنه يكون شاهدا على أمته وهم يكونون شهداء على سائر الأمم وهو الفضل الكبير والمبشر بالإعراض

عن الكافرين والمنافقين لأنه إذا أعرض عنهم أقبل بجميع إقباله على المؤمنين وهو مناسب للبشارة والنذير بدع أذاهم
لأنه إذا أنزل أذاهم في الحاضر والأذى لا بد له من عقاب عاجل أو آجل كانوا منذرين به في المستقبل والداعي إلى الله بتيسيره
بقوله تعالى وتوكل على الله لأن من توكل على الله يسر عليه كل عسير والسراج المنير بالاكتفاء به وكيلا لأن من أناره
الله برهانا على جميع خلقه كان جديرا بأن يكتفى به عن جميع خلقه يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن
من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا النكاح الوطء وتسمية العقد
نكاحا لملابسته له من حيث إنه طريق إليه ونظيره تسميتهم الخمر إثما لأنها سبب في اقتراف الإثم ونحوه في علم البيان
قول الراجز. أسنمة الآبال في سحابه. سمى الماء بأسنمة الآبال لأنه سبب سمن المال وارتفاع أسنمته
ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله إلا في معنى العقد لأنه في معنى الوطء من باب التصريح به ومن آداب القرآن
الكناية عنه بلفظ الملامسة والمماسة والقربان والتغشي والإتيان فإن قلت لم خص المؤمنات والحكم الذي
نطقت به الآية تستوي فيه المؤمنات والكتابيات قلت في اختصاصهن تنبيه على أن أصل المؤمن
والأولى به أن يتخير لنطفته وأن لا ينكح إلا مؤمنة عفيفة ويتنزه عن مزاوجة الفواسق فما بال الكوافر
ويستنكف أن يدخل تحت لحاف واحد عدوة الله ووليته فالتي في سورة المائدة تعليم ما هو جائز غير
محرم من نكاح المحصنات من الذين أوتوا الكتاب وهذه فيها تعليم ما هو الأولى بالمؤمن من نكاح المؤمنات
فإن قلت ما فائدة ثم في قوله تعالى ثم طلقتموهن قلت فائدته نفي التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت
الحكم بين أن يطلقها وهي قريبة العهد من النكاح وبين أن يبعد عهدها بالنكاح وتتراخى بها المدة في حبالة الزوج
ثم يطلقها فإن قلت إذا خلا بها خلوة يمكنه معها المساس هل يقوم ذلك مقام المساس قلت نعم عند أبي حنيفة
رحمه الله عليه وأصحابه حكم الخلوة الصحيحة حكم المساس وقوله تعالى فما لكم عليهن من عدة تعتدونها دليل على أن العدة
حق واجب على النساء للرجال تعتدونها تستوفون عددها من قولك عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله
ووزنته فاتزنه وقرئ تعتدونها مخففا أي تعتدون فيها كقوله ويوم شهدناه والمراد بالاعتداء ما في قوله
تعالى ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا فإن قلت ما هذا التمتيع أواجب أم مندوب إليه قلت إن كان
غير مفروض لها كانت المتعة واجبة ولا تجب المتعة عند أبي حنيفة رحمة الله عليه إلا لها وحدها دون غيرها من سائر
المطلقات وإن كانت مفروضا لها فالمتعة مختلف فيها فبعض على الندب والاستحباب ومنهم أبو حنيفة وبعض على
الوجوب سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع واجب يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت
يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة
مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا
عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما أجورهن مهورهن
لأن المهر أجر على البضع وإيتاؤها إما إعطاؤها عاجلا وإما فرضها وتسميتها في العقد فإن قلت لم قال
اللاتي آتيت ومما أفاء الله عليك واللاتي هاجرن معك وما فائدة هذه التخصيصات قلت قد اختار الله لرسوله الأفضل
الأولى واستحبه بالأطيب الأزكى كما اختصه بغيرها من الخصائص وآثره بما سواها من الأثرة وذلك أن تسمية
المهر في العقد أولى وأفضل من ترك التسمية وإن وقع العقد جائزا وله أن يماسها وعليه مهر المثل
إن دخل بها والمتعة إن لم يدخل بها وسوق المهر إليها عاجلا أفضل من أن يسميه ويؤجله وكان التعجيل

ديدن

دون السلف وسنتهم وما لا يعرف بينهم غيره وكذلك الجارية اذا كانت سبية مالكها وخطبة سيفه ورمحه
ومما غنمه الله تعالى من دار الحرب احل واطيب مما يشتري من شق الجلب والسبي على ضربين سبي طيبة
وسبي خبيثة فسبي الطيبة ما سبي من اهل الحرب واما من كان له عهد فالمسبي منهم سبي خبيثة ويدل عليه
قوله تعالى مما افاء الله عليك لان فيء الله لا يطلق الا على الطيب دون الخبيث كما ان رزق الله يجب اطلاقه
على الحلال دون الحرام وكذلك اللاتي هاجرن معك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرائبه غير المحارم افضل
من غير المهاجرات معه وعن ام هانئ بنت ابي طالب رضي الله عنها خطبني رسول الله عليه الصلاة والسلام فاعتذرت
اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الآية فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء واحللنا لك من وقع
لها ان تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا من النساء المومنات ان اتفق ذلك ولذلك نكرها واختلف في
اتفاق ذلك فعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم احد منهن بالهبة وقيل
الموهوبات اربع ميمونة بنت الحرث وزينب بنت خزيمة ام المساكين الانصارية وام شريك بنت جابر
وخولة بنت حكيم قرئ ان وهبت على الشرط وقرأ الحسن رحمه الله عليه ان بالفتح على التعليل
بتقدير حذف اللام ويجوز ان يكون مصدرا محذوفا معه الزمان لقولك اجلس ما دام زيد جالسا بمعنى وقت
دوامه جالسا ووقت هبتها نفسها وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه بغير ان فان قلت ما معنى الشرط
الثاني مع الاول قلت هو تقييد له شرط في الاحلال هبتها نفسها وفي الهبة ارادة استنكاح رسول الله
صلى الله عليه وسلم كانه قال احللناها لك ان وهبت لك نفسها وانت تريد ان تستنكحها لان ارادته هي قبول
الهبة وما به تتم فان قلت لم عدل عن الخطاب الى الغيبة في قوله تعالى نفسها للنبي ان اراد النبي ثم
رجع الى الخطاب قلت للايذان بانه مما خص به واوثر ومجيئه على لفظ النبي للدلالة على ان الاختصاص
تكرمة له لاجل النبوة وتكريره تفخيم له وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته واستنكاحها طلب نكاحها
والرغبة فيه وقد استشهد به ابو حنيفة رحمة الله عليه على جواز عقد النكاح بلفظ الهبة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وامته سواء في الاحكام الا ما خصه الدليل وقال الشافعي رضي الله عنه لا يصح وقد خص رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمعنى الهبة ولفظها جميعا لان اللفظ تابع للمعنى والمدعي للاشتراك في اللفظ يحتاج الى دليل وقال ابو الحسن الكرخي
ان عقد النكاح بلفظ الاجارة جائز لقوله تعالى اللاتي آتيت اجورهن وقال ابو بكر الرازي لا يصح لان
الاجارة عقد مؤقت وعقد النكاح مؤبد فهما متنافيان خالصة مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله اي
خلص لك خالصة احلال لك ما احللنا لك خالصة بمعنى خلوصا والفاعلة في المصادر غير عزيز كالخارج
والقاعد والعافية والكاذبة والدليل على انها وردت في اثر الاحلالات الاربع مخصوصة برسول الله صلى الله
عليه وسلم على سبيل التوكيد لها قوله تعالى قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم بعد قوله
تعالى من دون الله وهي جملة اعتراضية وقوله تعالى لكيلا يكون عليك حرج متصل بخالصة من دون المومنين
ومعنى هذه الجملة الاعتراضية ان الله تعالى قد علم ما يجب فرضه على المومنين في الازواج والاماء وعلى اي حد
وصفة يجب ان يفرض عليهم ففرضه وعلم المصلحة في اختصاص رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اختصه به ففعل
ومعنى لكيلا يكون عليك حرج لكيلا يكون عليك ضيق في دينك حيث اختصصناك بالتنزيه واختيار
ما هو اولى وافضل وفي دنياك حيث احللنا لك اجناس المنكوحات وزدنا لك الواهبة نفسها وقرئ

خالصةً بالرفع اي ذاك خلوص لك وخصوص من دون المؤمنين ومن جعل خالصة نعتا للمرأة فعلى مذهبه المرأة خالصة لك من دونهم ﴿وكان الله غفورا﴾ للواقع في الحرج اذا تاب ﴿رحيما﴾ بالتوسعة على عباده ﴿ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما﴾ روي ان امهات المؤمنين حين تغايرن وابتغين زيادة النفقة وغظن رسول الله صلى الله عليه وسلم هجرهن شهرا ونزل التخيير فاشفقن ان يطلقهن فقلن يا رسول الله افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت وروي ان عائشة رضي الله عنها قالت اني ارى ربك يسارع في هواك ﴿ترجي﴾ بهمز وغير همز تؤخر ﴿وتؤوي﴾ تضم يعني تترك مضاجعة من تشاء منهن وتضاجع من تشاء او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء او لا تقسم لايتهن شئت وتقسم لمن شئت او تترك تزوج من شئت من نساء امتك وتتزوج من شئت وعن الحسن رحمة الله عليه كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب امرأة لم يكن لاحد ان يخطبها حتى يدعها وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما ان تطلق واما ان تمسك فاذا امسك ضاجع او ترك وقسم او لم يقسم واذا طلق وعزل فاما ان يخلي المعزولة لا يبتغيها او يبتغيها وروي انه ارجأ منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وام حبيبة رضوان الله عليهن فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن آوى اليه عائشة وحفصة وام سلمة وزينب ارجى خمسا وآوى اربعا وروي انه كان يسوي مع ما اطلق له وخير فيه الا سودة فانها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقني حتى احشر في زمرة نسائك ﴿ذلك﴾ التفويض ومشيئته الى مشيتك ﴿ادنى ان تقر اعينهن﴾ وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لانه اذا سوى بينهن في الايواء والارجاء والعزل والابتغاء وارتفع التفاضل ولم يكن لاحديهن مما تريد ومما لا تريد الا مثل ما للاخرى وعلمن ان هذا التفويض من عند الله وبوحيه اطمأنت نفوسهن وذهب التنافس والتغاير وحصل الرضا وقرت العيون وسلت القلوب ﴿والله يعلم ما في قلوبكم﴾ فيه وعيد لمن لم ترض منهن بما دبر الله من ذلك وفوض الى مشيئة رسوله وبعث على تواطؤ قلوبهن والتصافي بينهن والتوافق على طلب رسول الله وما فيه طيب نفسه وقرئ تُقِرَّ اعينَهن بضم التاء ونصب الاعين وتُقَرَّ اعينُهن على البناء للمفعول ﴿وكان الله عليما﴾ بذات الصدور ﴿حليما﴾ لا يعاجل بالعقاب فهو حقيق بان يتقى ويحذر كلهن تأكيد لنون يرضين وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه ويرضين كلهن بما آتيتهن على التقديم وقرئ كلَّهن تأكيدا لهن في آتيتهن ﴿لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا﴾ لا يحل وقرئ بالتذكير لان تأنيث الجمع غير حقيقي واذا جاز بغير فصل في قوله تعالى وقال نسوة كان مع الفصل اجوز ﴿من بعد﴾ من بعد التسع لان نصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الازواج كما ان الاربع نصاب امته منهن فلا يحل له ان يتجاوز النصاب ﴿ولا ان تبدل بهن﴾ ولا ان تستبدل بهؤلاء التسع ازواجا اخر بكلهن او بعضهن اراد الله لهن كرامة وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهن وهن التسع اللاتي مات عنهن عائشة بنت ابي بكر حفصة بنت عمر ام حبيبة بنت ابي سفيان سودة بنت زمعة ام سلمة بنت ابي امية صفية بنت حيي الخيبرية ميمونة بنت الحارث الهلالية زينب بنت جحش الاسدية جويرية بنت الحارث المصطلقية رضوان الله عليهن اجمعين ﴿من ازواج﴾ من لتأكيد النفي وفائدته استغراق جنس الازواج بالتحريم

وقيل معناه لا تحل لك النساء من بعد النساء اللاتي نص احلالهن لك من الاجناس الاربعة من الاعرابيات والغرائب او من الكتابيات او من الاماء بالنكاح • وقيل في تحريم التبدل هو من البدل الذي كان في الجاهلية كان يقول الرجل للرجل بادلني بامرأتك وابادلك بامرأتي فينزل كل واحد منهما عن امرأته لصاحبه ويحكى ان عيينة بن حصين دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة رضي الله عنها من غير استئذان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عيينة اين الاستئذان قال يا رسول الله ما استأذنت على رجل قط ممن مضى منذ ادركت • ثم قال من هذه الجميلة الى جنبك فقال صلى الله عليه وسلم هذه عائشة ام المؤمنين • قال عيينة افلا انزل لك عن احسن الخلق فقال صلى الله عليه وسلم ان الله حرم ذلك فلما خرج قالت عائشة من هذا يا رسول الله قال احمق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه • وعن عائشة رضي الله عنها ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له النساء تعني ان الآية قد نسخت ولا يخلو نسخها ان يكون بالسنة واما بقوله انا احللنا لك ازواجك وترتيب النزول على خلاف ترتيب المصحف • ولو اعجبك في موضع الحال من الفاعل وهو الضمير في تبدل لا من المفعول الذي هو من ازواج لانه موغل في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك • وقيل هي اسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر ابن ابي طالب والمراد انها ممن اعجبه واستثنى ممن حرم عليه الاماء • رقيبا حافظا • وهو تحذير عن مجاوزة حدوده وتخطي حلاله الى حرامه يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما ان يؤذن لكم في معنى الظرف تقديره وقت ان يؤذن لكم • وغير ناظرين حال من لا تدخلوا وقع الاستثناء على الوقت والحال معا كانه قيل لا تدخلوا بيوت النبي الا وقت الاذن ولا تدخلوها غير ناظرين وهؤلاء قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه ومعناه لا تدخلوا يا هؤلاء المتحينون للطعام الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه والا فلو لم يكن لهؤلاء خصوصا لما جاز لاحد ان يدخل بيوت النبي الا ان يؤذن له اذنا خاصا وهو الاذن الى الطعام فحسب • وعن ابن ابي عبلة انه قرأ غير ناظرين مجرورا صفة لطعام وليس بالوجه لانه جرى على غير ما هو له فمن حق ضمير ما هو له ان يبرز الى اللفظ فيقال غير ناظرين اناه انتم كقولك هند زيد ضاربته هي • واناه الطعام ادراكه يقال انى الطعام انى كقولك قلاه قلى • ومنه قوله تعالى حميم آن بالغ اناه • وقيل اناه وقته • اي غير ناظرين وقت الطعام وساعة اكله • وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اولم على زينب بتمر وسويق وشاة وامر انسا ان يدعو بالناس فترادفوا افواجا يأكل فوج فيخرج ثم يدخل فوج الى ان قال يا رسول الله دعوت حتى ما اجد احدا ادعوه فقال ارفعوا طعامكم وتفرق الناس وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فاطالوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا فانطلق الى حجرة عائشة رضي الله عنها فقال السلام عليكم اهل البيت فقالوا وعليك السلام يا رسول الله كيف وجدت اهلك • وطاف بالحجرات فسلم عليهن ودعون له فاذا الثلاثة جلوس يتحدثون

ورجع

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فتولى فلما رآه متوليا خرجوا فرجع فنزلت ولا مستأنسين لحديث نهوا عن ان يطيلوا
الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لاجل حديث يحدثه به وعن ان يستأنسوا حديث اهل البيت واستئناسه تسمعه وتوجسه
وهو مجرور معطوف على ناظرين وقيل هو منصوب على ولا تدخلوها مستأنسين لابد في قوله تعالى فيستحيي منكم من تقدير
المضاف اي من اخراجكم بدليل قوله تعالى والله لا يستحيي من الحق يعني ان اخراجكم حق ما ينبغي ان يستحيى منه ولما كان
الحياء مما يمنع الحيي من بعض الافعال قيل لا يستحيي من الحق بمعنى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيي منكم وهذا ادب ادب
الله به الثقلاء وقال لهم اذا طعمتم فانتشروا وقرئ لا يستحي بياء واحدة الضمير في سألتموهن لنساء
النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكرن لان الحال ناطقة بذكرهن متاعا حاجة فسألوهن المتاع قيل
ان عمر رضي الله عنه كان يحب ضرب الحجاب عليهن محبة شديدة وكان يذكره كثيرا ويود ان ينزل
فيه وكان يقول لو اطاع فيكن ما رأتكن عين وقال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر
فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وروي انه مر عليهن وهن مع النساء في المسجد فقال لئن احتجبتن
فان لكن على النساء فضلا كما ان لزوجكن على الرجال الفضل فقالت زينب يا ابن الخطاب انك لتغار علينا
والوحي ينزل في بيوتنا فلم يلبثوا الا يسيرا حتى نزلت وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم
ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل منهم يد عائشة رضي الله عنها فكره النبي عليه الصلاة والسلام ذلك
فنزلت اية الحجاب وذكر ان بعضهم قال انهى ان نكلم بنات عمنا الا من وراء حجاب لئن مات محمد لا تزوجن
عائشة فاعلم الله ان ذلك محرم وما كان لكم وما صح لكم ايذاء رسول الله ولا نكاح ازواجه من بعده وسمى نكاحهن
بعده عظيما عنده وهو من اعلام تعظيم الله لرسوله وايجاب حرمته حيا وميتا واعلامه بذلك مما طيب نفسه وسر قلبه
واستغزر شكره فان نحو هذا مما يحدث الرجل به نفسه ولا يخلي منه فكره ومن الناس من تفرط غيرته على حرمته
حتى يتمنى لها الموت لئلا تنكح من بعده وعن بعض الفتيان انه كانت له جارية لا يرى الدنيا بها شغفا واستهتارا
فنظر اليها ذات يوم فتنفس الصعداء وانتحب فعلا نحيبه مما ذهب به فكره هذا المذهب فلم يزل ذلك حتى
قتلها تصورا للمعنى تشفق من بقائها بعده وحصولها تحت يد غيره وعن بعض الفقهاء ان الزوج في هدم الثلث
مما تجري مجرى العقوبة فصين رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلاحظ ذلك ان تبدوا شيئا او تخفوه
فان الله كان بكل شيء عليما ان تبدوا واشياء من نكاحهن على السنتكم او تخفوه في صدوركم فان الله يعلم
ذلك فيعاقبكم به وانما جاء به على اثر ذلك عاما لكل باد وخاف ليدخل تحته نكاحهن وغيره ولانه على هذه
الطريقة اهول واجزل لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء
اخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت ايمانهن واتقين الله ان الله كان على كل شيء شهيدا روي انه لما نزلت اية
الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله او نحن ايضا نكلمهن من وراء الحجاب فنزلت
لا جناح عليهن اي لا اثم عليهن في ان لا يحتجبن من هؤلاء ولم يذكر العم والخال لانهما يجريان مجرى الوالدين
وقد جاءت تسمية العم ابا قال الله سبحانه وتعالى واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق واسمعيل عم
يعقوب وقيل كره ترك الاحتجاب عنهما لانهما يصفانها لابنائهما وابناؤهما غير محارم ثم نقل الكلام من
الغيبة الى الخطاب وفي هذا النقل ما يدل على فضل تشديد فقيل واتقين الله فيما امرتن به من الاحتجاب
وانزل فيه الوحي من الاستتار واحتطن فيه وفيما استثني منه ما قدرتن واحتفظن حدوده واسلكن

طريق التقوى في حفظها وليكن عملكن في الحجب احسن مما كان وانتن غير محتجبات ليفضل سركن علنكن ان الله
كان على كل شيء من السر والعلن وظاهر الحجاب وباطنه شهيدا لا يتفاوت في علمه الاحوال ان الله وملائكته
يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قرئ وملائكته بالرفع عطفا على محل ان واسمها
وهو ظاهر على مذهب الكوفيين ووجهه عند البصريين ان يحذف الخبر لدلالة يصلون عليه صلوا عليه وسلموا
اي قولوا الصلاة على الرسول والسلام ومعناه الدعاء بان يترحم عليه الله ويسلم فان قلت الصلاة على النبي
واجبة او مندوب اليها قلت واجبة وقد اختلفوا في حال وجوبها فمنهم من اوجبها كلما جرى
ذكره وفي الحديث من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فابعده الله ويروى انه قيل يا رسول الله
ارايت قول الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي فقال عليه الصلاة والسلام هذا من العلم المكنون ولولا
انكم سألتموني عنه ما اخبرتكم به ان الله تعالى وكل بي ملكين فلا اذكر عند عبد مسلم فيصلي علي الا قال
ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ولا اذكر عند عبد مسلم
فلا يصلي علي الا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك وقال الله وملائكته لذينك الملكين آمين ومنهم
من قال تجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره كما قيل في آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك في كل دعاء
في اوله وآخره ومنهم من اوجبها في العمر مرة وكذا قال في اظهار الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط
الصلاة عليه عند كل ذكر لما ورد من الاخبار فان قلت فالصلاة عليه في الصلاة واجبة أهي شرط
في جوازها ام لا قلت ابو حنيفة رحمه الله عليه واصحابه لا يرونها شرطا وعن ابراهيم النخعي كانوا
يكتفون بذلك يعني الصحابة بالتشهد وهو السلام عليك ايها النبي واما الشافعي رضي الله عنه فقد جعلها شرطا
فان قلت فما تقول في الصلاة على غيره قلت القياس جواز الصلاة على كل مؤمن لقوله تعالى هو الذي
يصلي عليكم وملائكته وقوله تعالى وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم وقوله عليه الصلاة والسلام
اللهم صل على آل ابي اوفى ولكن للعلماء تفصيلا في ذلك وهو انها ان كانت على سبيل التبع كقولك صلى الله
على النبي وآله فلا كلام فيها واما اذا افرد غيره من اهل البيت بالصلاة كما يفرد هو فمكروه لان ذلك
صار شعارا لذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولانه يؤدي الى الاتهام بالرفض وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم ان الذين يؤذون الله ورسوله
لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا يؤذون الله ورسوله فيه وجهان احدهما ان
يعبر بايذائهما عن فعل ما يكرهانه ولا يرضيانه من الكفر والمعاصي وانكار النبوة ومخالفة الشريعة
وما كانوا يصيبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم من انواع المكروه وانما جعلته مجازا على سبيل الحال
فانما جعلته مجازا فيهما جميعا وحقيقة الايذاء صحيحة في رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا اجعل العبارة
الواحدة معطية معنى المجاز والحقيقة والثاني ان يراد يؤذون رسول الله وقيل في اذى الله هو قول
اليهود والنصارى والمشركين يد الله مغلولة وثالث ثلاثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله
والاصنام شركاؤه وقيل قول الذين يلحدون في اسمائه وصفاته وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيما حكى عن ربه تبارك وتعالى شتمني ابن آدم ولم ينبغ له ان يشتمني وآذاني ولم ينبغ له ان
يؤذيني فاما شتمه اياي فقوله اني اتخذت ولدا واما اذاه فقوله ان الله لا يعيدني بعد ان

بدأني

وعن عكرمة فعل اصحاب التصاوير الذين يرومون تكوين خلق مثل خلق الله • وقيل في اذى رسول الله قولهم ساحر شاعر
كاهن مجنون وقيل كسر رباعيته وشج وجهه يوم احد • وقيل طعنهم عليه في نكاح صفية بنت حيي واطلق ايذاء الله ورسوله
والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا وقيد ايذاء المؤمنين
والمؤمنات لان اذى الله ورسوله لا يكون الا غير حق ابدا واما اذى المؤمنين والمؤمنات فمنه ومنه
ومعنى بغير ما اكتسبوا بغير جناية واستحقاق للاذى • وقيل نزلت في ناس من المنافقين يؤذون عليا
رضي الله عنه ويسمعونه • وقيل في الذين افكوا على عائشة رضي الله عنها • وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء
وهن كارهات • وعن الفضيل لا يحل لك ان تؤذي كلبا او خنزيرا بغير حق فكيف وكان ابن عون لا يكري الحوانيت
الا من اهل الذمة لما فيه من الروعة عند كر الحول • يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين
يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما الجلباب ثوب
واسع اوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المراة على راسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها • وعن
ابن عباس رضي الله عنهما • الرداء الذي يستر من فوق الى اسفل • وقيل الملحفة وكل ما يستتر به من كساء وغيره
قال ابو زبيد • مجلبب من سواد الليل جلبابا • ومعنى يدنين عليهن من جلابيبهن يرخينها عليهن
ويغطين بها وجوههن واعطافهن يقال اذا زل الثوب عن وجه المراة ادني ثوبك على وجهك وذلك ان
النساء كن في اول الاسلام على هجيراهن في الجاهلية متبذلات تبرز المراة في درع وخمار لا فصل
بين الحرة والامة وكان الفتيان واهل الشطارة يتعرضون اذا خرجن بالليل الى مقاضي حوائجهن في النخيل
والغيطان للاماء وربما تعرضوا للحرة بعلة الامة يقولون حسبناها امة فامرن ان يخالفن بزيهن عن زي
الاماء بلبس الاردية والملاحف وستر الرؤس والوجوه ليحتشمن ويهبن فلا يطمع فيهن طامع وذلك
قوله عز وجل • ذلك ادنى ان يعرفن • اي اولى واجدر بان يعرفن فلا يتعرض لهن ولا يلقين
ما يكرهن فان قلت ما معنى من في من جلابيبهن قلت هو التبعيض الا ان معنى التبعيض
محتمل وجهين احدهما • ان يتجلببن ببعض ما لهن من الجلابيب والمراد ان لا تكون الحرة متبذلة
في درع وخمار • كالامة والماهنة ولها جلبابان فصاعدا في بيتها والثاني ان ترخي المراة بعض
جلبابها وفضله على وجهها • تتقنع حتى تتميز من الامة • وعن ابن سيرين رحمه الله عليه • سالت
عبيدة السلماني عن ذلك • فقال ان تضع رداءها فوق الحاجب ثم تديره حتى تضعه على انفها
وعن السدي ان تغطي احدى عينيها وجبهتها والشق الآخر الا العين وعن الكسائي يتقنعن
بملاحفهن منضمة عليهن اراد بالانضمام معنى الادناء وكان الله غفورا لما سلف منهن من التفريط
مع التوبة لان هذا مما يمكن معرفته بالعقل لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون
في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا الذين في قلوبهم مرض قوم كان فيهم
ضعف ايمان وقلة ثبات عليه • وقيل هم الزناة واهل الفجور من قوله تعالى فيطمع
الذي في قلبه مرض والمرجفون ناس كانوا يرجفون باخبار السوء عن سرايا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيقولون هزموا وقتلوا • وجرى عليهم كيت وكيت • فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين •
يقال ارجف بكذا اذا اخبر به على غير حقيقة لكونه خبرا متزلزلا غير ثابت من الرجفة وهي

الزلزلة

الزلزلة. والمعنى لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم، وكيدهم، والفسقة عن فجورهم، والمرجفون عما يؤلفون من
أخبار السوء لنأمرنك بأن تفعل بهم الأفاعيل التي تسوءهم وتنوءهم، ثم بأن تضطرهم إلى طلب الجلاء عن المدينة
وإلى أن لا يساكنوك فيها إلا زمنا قليلا ريثما يرتحلون، ويتلقطون أنفسهم وعيالاتهم، فسمى ذلك إغراء
وهو التحريش على سبيل المجاز. ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا ملعونين نصب على الشتم أو الحال
أي لا يجاورونك إلا ملعونين، دخل حرف الاستثناء على الظرف والحال معا، كما مر في قوله تعالى إلا
أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين. ولا يصح أن ينتصب عن أخذوا لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها
وقيل في قليلا هو منصوب على الحال أيضا. ومعناه لا يجاورونك إلا أقلاء أذلاء ملعونين. فإن قلت
ما موقع لا يجاورونك؟ قلت لا يجاورونك عطف على لنغرينك، لأنه يجوز أن يجاب به القسم، ألا ترى
إلى صحة قولك لئن لم ينتهوا لا يجاورونك. فإن قلت أما كان من حق لا يجاورونك أن يعطف بالفاء وأن
يقال لنغرينك بهم فلا يجاورونك؟ قلت لو جعل الثاني مسببا عن الأول لكان الأمر كما قلت، ولكنه
جعل جوابا آخر للقسم معطوفا على الأول، وإنما عطف بثم لأن الجلاء عن الأوطان كان أعظم عليهم وأعظم من
جميع ما أصيبوا به، فتراخت حالة عن حال المعطوف عليه. سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا
سنة الله في موضع مصدر مؤكد، أي سن الله في الذين ينافقون الأنبياء أن يقتلوا حيثما ثقفوا. وعن مقاتل
يعني كما قتل أهل بدر وأسروا. يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل
الساعة تكون قريبا. كان المشركون يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استعجالا
على سبيل الهزء، واليهود يسألونه امتحانا، لأن الله تعالى عمى وقتها في التوراة وفي كل كتاب. فأمر رسول الله
أن يجيبهم بأنه علم قد استأثر الله به، لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا، ثم بين لرسوله أنها قريبة الوقوع تهديدا
للمستعجلين وإسكاتا للممتحنين. وقريبا شيئا قريبا، أو لأن الساعة في معنى اليوم، أو في زمان قريب. إن الله لعن
الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم في النار
يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا. السعير النار المسعورة الشديدة الإيقاد. وقرئ تقلب
على البناء للمفعول، وتقلب بمعنى تتقلب، ونقلب أي نقلب نحن، على أن الفعل للسعير. ومعنى تقليبها
تصريفها في الجهات، كما ترى البضعة تدور في القدر إذا غلت فترامى بها الغليان من جهة
إلى جهة، أو تغييرها عن أحوالها وتحويلها، أو طرحها في النار مقلوبين منكوسين. وخصت الوجوه
بالذكر لأن الوجه أكرم موضع على الإنسان من جسده، ويجوز أن يكون الوجه عبارة عن الجملة. وناصب
الظرف يقولون، أو محذوف وهو اذكر، وإذا نصب بالمحذوف كان يقولون حالا. وقالوا ربنا إنا أطعنا
سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا. وقرئ ساداتنا، وسادتنا وهم رؤساء الكفر الذين لقنوهم الكفر
وزينوه لهم. يقال ضل السبيل وأضله إياه، وزيادة الألف لإطلاق الصوت، جعلت فواصل
الآي كقوافي الشعر، وفائدتها الوقف والدلالة على أن الكلام قد انقطع وأن ما بعده مستأنف. ربنا
آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا. وقرئ كثيرا، تكثيرا لأعداد اللعائن، وكبيرا
ليدل على أشد اللعن وأعظمه. ضعفين ضعفا لضلاله وضعفا لإضلاله. لم يعتو قوله ويستغيثون ويتمنون
ولا ينفعهم شيء من ذلك. يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله
وجيها

لا تكونوا كالذين آذوا موسى • قيل نزلت في شأن زيد وزينب وما سمع فيه من قالة بعض الناس • وقيل في اذى
موسى هو حديث المومسة التي اراد قارون على قذفه بنفسها • وقيل اتهامهم اياه بقتل هارون وكان
قد خرج معه الى الجبل فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به عليهم ميتا فابصروه حتى عرفوا انه غير
مقتول • وقيل احياه فاخبرهم ببراءة موسى • وقيل قذفوه بعيب في بدنه من برص او ادرة فاطلعهم الله
على انه بريء منه • وجيها ذا جاه • ومنزلة عنده • فلذلك كان يميط عنه التهم ويدفع عنه الاذى ويحافظ
عليه لئلا يلحقه وصم ولا يوصف بنقيصة كما يحفظ الملك من له عنده قربة ووجاهة • وقراءة العامة اوجه
لانها مفصحة عن وجاهته عند الله كقوله تعالى عند ذي العرش مكين • وهذه ليست كذلك فان قلت
قوله تعالى مما قالوا معناه من توهمه ان ما اما مصدرية او موصولة • وايهما كان فكيف تصح البراءة منه
قلت المراد منه بالقول اي المقول مؤداه ومضمونه وهو الامر المعيب الا ترى انهم سموا السبة بالقالة
والقالة بمعنى القول يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع
الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما قولا سديدا قاصدا الى الحق والسداد القصد الى الحق والقول بالعدل
يقال سدد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عن سمتها كما قالوا سهم قاصد والمراد نهيهم عما خاضوا فيه
من حديث زينب من غير قصد وعدل في القول والبعث على ان يسد قولهم في كل باب لان حفظ
اللسان وسداد القول رأس الخير كله • والمعنى راقبوا الله في حفظ السنتكم وتسديد قولكم فانكم ان فعلتم
ذلكم اعطاكم الله ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والاثابة عليها • ومن مغفرة سيئاتكم وتكفيرها وقيل
اصلاح الاعمال التوفيق في المجيء بها صالحة مرضية • وهذه الآية مقررة للتي قبلها بنيت تلك على النهي عما
يؤذي رسول الله وهذه على الامر باتقاء الله في حفظ اللسان ليترادف عليهم النهي والامر مع اتباع النهي ما يتضمن
الوعيد من قصة موسى واتباع الامر الوعد البليغ فيقوى الصارف عن الاذى والداعي الى تركه انا عرضنا الامانة
على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا
لما قال ومن يطع الله ورسوله علق بالطاعة الفوز العظيم اتبعه قوله تعالى انا عرضنا الامانة وهو يريد
بالامانة الطاعة فعظم امرها وفخم شانها • وفيه وجهان احدهما ان هذه الاجرام العظام من السموات
والارض والجبال قد انقادت لامر الله تعالى انقياد مثلها وهو ما يتأتى من الجمادات واطاعت الله
الطاعة التي تصح منها وتليق بها حيث لم تمتنع عليه على مشيئته وارادته ايجادا وتكوينا وتسوية على هيئات
مختلفة واشكال متنوعة كما قال الله تبارك وتعالى قالتا اتينا طائعين • واما الانسان فلم يكن حاله
فيما يصح منه من الطاعة ويليق به من الانقياد لاوامر الله ونواهيه • وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل
حال تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من الانقياد وعدم الامتناع • والمراد بالامانة الطاعة لانها
لازمة الاداء وعرضها على الجمادات واباؤها واشفاقها مجاز • واما حمل الامانة فمن قولك فلان حامل
للامانة ومحتمل لها تريد انه لا يؤديها الى صاحبها حتى تزول عن ذمته ويخرج عن عهدتها لان
الامانة كانها راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها • الا تراهم يقولون ركبته الديون ولي عليه حق فاذا اداها
لم تبق راكبة له ولا هو حاملا لها • ونحوه قولهم لا يملك مولى لمولى نصرا يريدون انه يبذل له النصرة
ويسامحه بها ولا يمسكها كما يمسكها الخاذل • ومنه قول القائل

أخوك الذي لا تملك الحس نفسه • وترفض عند المحفظات الكتايف •

أي لا يمسك الرقة والعطف إمساك المال الضنين ما في يده بل يبذل ذلك ويسمح به • ومنه قولهم •
أبغض حق أخيك • لأنه إذا أحبه لم يخرجه إلى أخيه ولم يؤده وإذا أبغضه أخرجه وأداه فمعنى فأبين
أن يحملنها وحملها الإنسان فأبين إلا أن يؤدينها • وأبى الإنسان إلا أن يكون محتملا لها لا يؤديها ثم وصفه
بالظلم لكونه تاركا لأداء الأمانة بالجهل لإخطائه ما يسعده مع تمكنه منه وهو أداؤها والثاني أن ما كلفه
الإنسان بلغ من عظمه وثقل محمله أنه عرض على أعظم ما خلق الله تعالى من الأجرام وأقوى وأشده أن يتحمله
ويستقل به فأبى حمله والاستقلال به وأشفق منه وحمله الإنسان على ضعفه ورخاوة قوته إنه كان ظلوما
جهولا • حيث حمل الأمانة • ثم لم يف بها • وضمنها ثم خاس بضمانه فيها ونحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب
وما جاء القرآن إلا على طرقهم وأساليبهم من ذلك قولهم لو قيل للشحم أين تذهب • لقال أسوي العوج وكم لهم • وكم
من أمثال على ألسنة البهائم والجمادات • وتصور مقاولة الشحم محال • ولكن الغرض أن السمن في الحيوان مما
يحسن قبحه كما أن العجف • مما يقبح حسنه فصور أثر السمن فيه تصويرا هو أوقع في نفس السامع وهي به آنس وله
أقبل • وعلى حقيقته أوقف • وكذلك تصوير عظم الأمانة وصعوبة أمرها • وثقل محملها والوفاء بها
فإن قلت قد علم وجه التمثيل في قولهم الذي لا يثبت على رأي واحد • أراك تقدم رجلا وتؤخر
أخرى لأنه مثلت • حاله في تميله • وترجحه بين الرأيين • وتركه المضي على أحدهما بحال من يتردد في ذهابه
فلا يجمع رجليه للمضي في وجهه وكل واحد من الممثل والممثل به شيء مستقيم داخل تحت الصحة والمعرفة وليس كذلك
ما في الآية فإن عرض الأمانة على الجماد وإباءه وإشفاقه محال في نفسه غير مستقيم فكيف صح بناء التمثيل على
المحال وما مثال هذا إلا أن تشبه شيئا والمشبه به غير معقول قلت الممثل به في الآية وفي قولهم
لو قيل للشحم أين تذهب في نظائره • مفروض والمفروضات تتخيل في الذهن كما المحققات مثلت حال
التكليف في صعوبته وثقل محمله بحاله المفروضة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها
ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات
وكان الله غفورا رحيما اللام في ليعذب لام التعليل على طريق المجاز لأن التعذيب نتيجة حمل الأمانة
كما أن التأديب في ضربته للتأديب • نتيجة الضرب • وقرأ الأعمش ويتوب ليجعل العلة قاصرة على
فعل الحامل • ويبتدئ ويتوب الله • ومعنى قراءة العامة • ليعذب الله حامل الأمانة ويتوب على
غيره • ممن لم يحملها لأنه إذا تيب على الوافي كان ذلك نوعا من عذاب • الغادر والله أعلم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأحزاب وعلمها أهله وما ملكت يمينه • أعطي الأمان
من عذاب القبر

سورة سبأ مكية — بسم الله الرحمن الرحيم — وهي خمس وخمسون آية

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير يعلم ما يلج في الأرض
وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور • ما في السموات
والأرض كله نعمة من الله وهو الحقيق بأن يحمد ويثنى عليه ولما قال الحمد لله ثم وصف ذاته بالإنعام بجميع النعم

الدنيوية كان معناه انه المحمود على نعم الدنيا • كما تقول احمد اخاك الذي كساك وحملك تريد احمده على كسوته وحملانه
ولما قال وله الحمد في الاخرة علم انه المحمود على نعم الاخرة وهو الثواب فان قلت ما الفرق بين الحمدين قلت
اما الحمد في الدنيا فواجب لانه على نعمة متفضل بها وهو الطريق الى تحصيل نعمة الاخرة وهي الثواب • واما
الحمد في الاخرة فليس بواجب لانه على نعمة واجبة الايصال الى مستحقها • انما هو تتمة سرور المؤمنين
وتكملة اغتباطهم يلتذون به كما يلتذ من به العطاش بالماء البارد وهو الحكيم الذي احكم امور الدارين ودبرها
بحكمته الخبير بكل كائن يكون ثم ذكر مما يحيط به علما يلج في الارض من الغيث كقوله تعالى فسلكه
ينابيع في الارض • ومن الكنوز والدفائن والاموات وجميع ما هي له كفات وما يخرج منها من الشجر والنبات
وماء العيون والغلة والدواب وغير ذلك وما ينزل من السماء من الامطار • والثلوج والبرد والصواعق
والارزاق والملائكة • وانواع البركات والمقادير • كما قال تبارك وتعالى • وفي السماء رزقكم وما
توعدون وما يعرج من الملائكة واعمال العباد وهو مع كثرة نعمته وسبوغ فضله الرحيم الغفور
للمفرطين في اداء مواجب شكرها • وقرا علي بن ابي طالب رضي الله عنه ننزل بالنون والتشديد
وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة قل بلى وربي لتاتينكم عالم الغيب قولهم لا تاتينا الساعة
نفي للبعث وانكار لمجيء الساعة او استبطاء لما وعدوه من قيامها على سبيل الهزء والسخرية كقولهم متى
هذا الوعد اوجب ما بعد النفي ببلى على معنى ان ليس الامر الا اتيانها • ثم اعيد ايجابه مؤكدا بما هو الغاية
في التوكيد والتشديد • وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل ثم امد التوكيد القسمي امدادا بما اتبع
المقسم به من الوصف بما وصف به الى قوله ليجزي لان عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه
وبشدة ثباته واستقامته لانه بمنزلة الاستشهاد على الامر وكلما كان المستشهد به اعلى كعبا وابين
فضلا وارفع منزلة • كانت الشهادة اقوى واكد • والمستشهد عليه اثبت وارسخ فان قلت هل
للوصف الذي وصف به المقسم به وجه اختصاص بهذا المعنى قلت نعم لان قيام الساعة من مشاهير الغيوب
وادخلها في الخفية واولها مسارعة الى القلب اذا قيل عالم الغيب فحين اقسم باسمه على اثبات قيام الساعة
وانه كائن لا محالة ثم وصف بما يرجع الى علم الغيب وانه لا يفوت علمه شيء من الخفيات • اندرج تحته
احاطته بوقت قيام الساعة فجاء ما تطلبه من وجه الاختصاص مجيئا واضحا فان قلت الناس قد
انكروا اتيان الساعة وجحدوه فهب انه حلف لهم باغلظ الايمان واقسم عليهم جهد هذا القسم فيمين من هو
في معتقدهم مفتر على الله كذبا كيف تكون مصححة لما انكروه قلت هذا لو اقتصر على اليمين ولم
يتبعها الحجة القاطعة والبينة الساطعة وهو قوله تعالى ليجزي فقد وضع الله في العقول وركب
في الغرائز وجوب الجزاء • وان المحسن لا بد له من ثواب • والمسيء لا بد له من عقاب • وقوله تعالى ليجزي
متصل بقوله لتاتينكم تعليلا له وقرئ لتاتينكم بالتاء والياء • ووجه من قرا بالياء ان تكون ضميره
للساعة بمعنى اليوم او يسند الى عالم الغيب اي ليأتينكم امره كما قال الله سبحانه وتعالى هل ينظرون
الا ان تاتيهم الملائكة • او ياتي ربك • وقال او ياتي امر ربك وقرئ عالم الغيب • وعلام الغيب
بالجر صفة لربي • وعالم الغيب وعالم الغيوب • بالرفع على المدح لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات
ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين ليجزي الذين امنوا وعملوا الصلحت

اولئك

أولئك لهم مغفرة ورزق كريم ولا يعزب بالرفع والكسر من عزب يعزب وهو البعد يقال روض عزيب بعيد من
الناس مثقال ذرة مقدار اصغر نملة وذلك اشارة الى مثقال ذرة وقرئ ولا اصغر من ذلك
ولا اكبر بالرفع على اصل الابتداء وبالفتح على نفي الجنس كقولك لا حول ولا قوة الا بالله بالرفع والنصب
وهو كلام منقطع عما قبله فان قلت هل يصح عطف المرفوع على مثقال ذرة كانه قيل لا يعزب
عنه مثقال ذرة واصغر من ذلك واكبر وزيادة لا لتاكيد النفي وعطف المفتوح على ذرة بانه فتح
في موضع الجر لامتناع الصرف كانه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة ولا مثقال اصغر من ذلك ولا اكبر
قلت يابى ذلك حرف الاستثناء الا اذا جعلت الضمير في عنه للغيب وجعلت الغيب اسما
للخفيات قبل ان تكتب في اللوح لان اثباتها في اللوح نوع من البروز عن الحجاب على معنى انه
لا ينفصل عن الغيب شيء ولا يزل عنه الا مسطورا في اللوح والذين سعوا في اياتنا معجزين اولئك
لهم عذاب من رجز اليم ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى
صراط العزيز الحميد وقرئ معجزين واليم بالرفع والجر وعن قتادة الرجز سوء العذاب ويرى
في موضع الرفع اي ويعلم اولوا العلم يعني اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يطأ اعقابهم من امته
او علماء اهل الكتاب الذين اسلموا مثل كعب الاحبار وعبد الله بن سلام الذي انزل اليك الحق وهما
مفعولان ليرى وهو فصل ومن قرأ الحق بالرفع جعله مبتدأ والحق خبرا والجملة في موضع المفعول
الثاني وقيل يرى في موضع النصب معطوف على ليجزي اي وليعلم اولوا العلم عند مجيء الساعة انه الحق
علما لا يزاد عليه في الايقان ويحتجوا به على الذين كذبوا وتولوا ويجوز ان يراد وليعلم من لم يؤمن من الاحبار
انه هو الحق فيزدادوا حسرة وغما وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل
ممزق انكم لفي خلق جديد الذين كفروا قريش قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون محمدا عليه
الصلاة والسلام يحدثكم باعجوبة من الاعاجيب انكم تبعثون وتنشاون خلقا جديدا بعد ان
تكونوا رفاتا وترابا ويمزق اجسادكم البلى كل ممزق اي يفرقكم ويبدد اجزاءكم كل تبديد
افترى على الله كذبا ام به جنة بل الذين لا يؤمنون بالاخرة في العذاب والضلال البعيد
أهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك ام به جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه ثم قال الله
سبحانه ليس محمد من الافتراء والجنون في شيء وهو مبرأ منهما بل هؤلاء القائلون الكافرون بالبعث
واقعون في عذاب النار وفيما يؤديهم اليه من الضلال عن الحق وهم غافلون عن ذلك وذلك
اجن الجنون واشده اطباقا على عقولهم جعل وقوعهم في العذاب رسيلا لوقوعهم في الضلال
كانهما كائنان في وقت واحد لان الضلال لما كان العذاب من لوازمه وموجباته جعلا كانهما في
الحقيقة مقترنان وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما ينبيكم فان قلت فقد جعلت الممزق مصدرا
كبيت الكتاب الم تعلم مسرحي القوافي فلا عيا بهن ولا اجتلابا فهل يجوز ان يكون مكانا قلت
نعم ومعناه ما حصل من الاموات في بطون الطير والسباع وما مرت به السيول فذهبت به كل مذهب
وما سفته الرياح فطرحته كل مطرح فان قلت ما العامل في اذا قلت ما دل عليه انكم
لفي خلق جديد وقد سبق نظيره فان قلت الجديد فعيل بمعنى فاعل ام مفعول قلت هو عند البصريين

بمعنى فاعل تقول جدّ فهو جديد كحدّ فهو حادّ وقلّ فهو قليل وعند الكوفيين بمعنى مفعول من جدّه اذا قطعه
وقالوا هو الذي جدّه الناسج الساعة في الثوب ثم شاع ويقولون ولهذا قالوا ملحفة جديد وهو
عند الكوفيين البصريين كقوله سبحانه وتعالى ان رحمة الله قريب ونحو ذلك فان قلت لم سقطت
الهمزة في قوله أفترى دون قوله السحر وكلتاهما همزة وصل قلت القياس الطرح ولكن امرا
اضطرهم الى ترك اسقاطها في نحو السحر وهو التباس الاستفهام بالخبر لكون همزة الوصل مفتوحة كهمزة
الاستفهام فان قلت ما معنى وصف الضلال بالبعد قلت هو من الاسناد المجازي لان البعد صفة
الضال اذا بعد عن الجادة وكلما ازداد عنها بعدا كان اضل فان قلت كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم مشهورا علما في قريش وكان انباؤه بالبعث شائعا عندهم فما معنى قوله تعالى هل ندلكم
على رجل ينبئكم فنكّروه لهم وعرضوا عليهم الدلالة عليه كما يدل على مجهول في امر مجهول قلت
كانوا يقصدون بذلك الطنز والسخرية فاخرجوه مخرج التحلي ببعض الاحاجي التي يتحاجى بها للضحك
والتلهي متجاهلين به وبامره افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف
بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء ان في ذلك لآية لكل عبد منيب اعموا فلم ينظروا الى السماء
والارض وانهما حيثما كانوا واينما ساروا امامهم وخلفهم محيطتان بهم لا يقدرون ان ينفذوا من اقطارهما
وان يخرجوا عما هم فيه من ملكوت الله ولم يخافوا ان يخسف الله بهم او يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الآيات
وكفرهم بالرسول وبما جاء به كما فعل بقارون واصحاب الايكة ان في ذلك النظر الى السماء والارض
والفكر فيهما وما تدلان عليه من قدرة الله لآية ودلالة لكل عبد منيب وهو الراجع الى ربه
المطيع له لان المنيب لا يخلو من النظر في آيات الله على انه قادر على كل شيء من البعث ومن عقاب
من يكفر به وقرئ يشا ويخسف ويسقط بالياء لقوله تعالى افترى على الله كذبا وبالنون
لقوله تعالى ولقد آتينا وكسفا بفتح السين وسكونه وقرأ الكسائي نخسف بهم بالادغام وليست بقوية
ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال اوبي معه والطير وألنا له الحديد يا جبال اما ان يكون بدلا من فضلا
واما من آتينا بتقدير قولنا يا جبال او قلنا يا جبال وقرئ اوبي من التأويب او ارجعي معه في
التسبيح كما رجع فيه لانه اذا رجعه فقد رجع فيه ومعنى تسبيح الجبال ان الله يخلق فيها تسبيحا كما خلق
الكلام في الشجرة فيسمع منها ما يسمع من المسبح معجزة لداود عليه الصلاة والسلام وقيل كان ينوح على ذنبه
بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه باصدائها والطير باصواتها وقرئ
والطير رفعا ونصبا عطفا على لفظ الجبال ومحلها وجوزوا ان ينتصب مفعولا معه وان يعطف على فضلا
بمعنى وسخرنا له الطير فان قلت اي فرق بين هذا النظم وبين ان يقال وآتينا داود منا فضلا
تأويب الجبال معه والطير قلت كم بينهما الا ترى الى ما فيه من الفخامة التي لا تخفى من الدلالة
على عزة الربوبية وكبرياء الالهية حيث جعلت الجبال منزلة منزلة العقلاء الذين اذا امرهم
اطاعوا واذا دعاهم سمعوا واذعنوا واذا دعاهم سمعوا واجابوا اشعارا بانه ما من حيوان وجماد وناطق
وصامت الا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع عن ارادته والنا له الحديد لينا كالطين والعجين
والشمع يصرفه بيده كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وقيل لان الحديد في يده لما اوتي من شدة القوة

أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير وقرئ صابغات وهي الدروع الواسعة
الضافية وهو أول من اتخذها وكانت قبل صفائح. وقيل كان يبيع الدرع بأربعة آلاف فينفق منها على نفسه
وعياله ويتصدق على الفقراء. وقيل كان يخرج حين ملك بني إسرائيل متنكرا فيسأل الناس عن نفسه
ويقول لهم ما تقولون في داود فيثنون عليه فقيض الله ملكا في صورة آدمي فسأله على عادته فقال نعم الرجل
لولا خصلة فيه فريع داود عليه الصلاة والسلام فسأله فقال لولا أنه يطعم عياله من بيت المال فسأل عند
ذلك ربه أن يسبب له ما يستغني به عن بيت المال فعلمه صنعة الدروع. وقدر لا تجعل المسامير دقاقا
فتقلق ولا غلاظا فتفصم الحلق. والسرد نسج الدروع. واعملوا الضمير لداود عليه السلام وأهله
ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن
ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير وسخرنا لسليمان الريح فيمن نصب. ولسليمان
الريح مسخرة فيمن رفع وكذلك فيمن قرأ الرياح بالرفع. غدوها شهر جريها بالغداة مسيرة شهر
وجريها بالعشي كذلك. وقرئ غدوتها وروحتها. وعن الحسن رحمة الله عليه كان يغدو فيقيل باصطخر
ثم يروح فيكون رواحه بكابل. ويحكى أن بعضهم رأى مكتوبا في منزل بناحية دجلة كتبه بعض أصحاب
سليمان. نحن نزلناه وما بنيناه. ومبنيا وجدناه. غدونا من اصطخر فقلناه. ونحن رائحون منه
فبائتون بالشام إن شاء الله. القطر النحاس المذاب من القطران. فإن قلت ما أراد بعين
القطر قلت أراد بها معدن النحاس ولكنه أساله كما ألان الحديد لداود فنبع كما ينبع الماء من
العين فلذلك سماه عين القطر باسم ما آل إليه كما قال إني أراني أعصر خمرا. وقيل كان يسيل
في الشهر ثلاثة أيام. بإذن ربه بأمره. ومن يزغ منهم ومن يعدل عن أمرنا الذي أمرناه به من طاعة
سليمان عليه الصلاة والسلام. وقرئ يزغ من أزاغه. وعذاب السعير عذاب الآخرة. عن ابن عباس
وعن السدي كان معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه الجني. يعملون
له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل
من عبادي الشكور المحاريب المساكن والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال سميت محاريب لأنه
يحامى عليها ويذب عنها. وقيل هي المساجد. والتماثيل صور الملائكة والنبيين والصالحين
كانت تعمل في المساجد من نحاس وصفر وزجاج ورخام ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم. فإن
قلت كيف استجاز سليمان عليه الصلاة والسلام عمل التصاوير قلت هذا مما يجوز أن تختلف
فيه الشرائع لأنه ليس من مقبحات العقل كالظلم والكذب. وعن أبي العالية لم يكن اتخاذ الصور إذ ذاك
محرما. ويجوز أن تكون غير صور الحيوان كصور الأشجار وغيرها لأن التمثال كل ما صور على مثل
صورة غيره من حيوان وغير حيوان أو تصور محذوفة الرؤوس. وروي أنهم عملوا له أسدين في أسفل
كرسيه ونسرين فوقه. فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما وإذا قعد أظله النسران
بأجنحتهما. والجوابي الحياض الكبار قال. تروح على آل المحلق جفنة. كجابية الشيخ العراقي تفهق.
لأن الماء يجبى فيها أي يجمع جعل الفعل لها مجازا وهي من الصفات الغالبة كالدابة. قيل كان يقعد
على الجفنة ألف رجل. وقرئ بحذف الياء اكتفاء بالكسرة كقوله تعالى يوم يدع الداع. وراسيات ثابتات

على الأثافي لا تنزل عنها لعظمها • اعملوا آل داود حكاية لما قيل لآل داود وانتصب شكرا على أنه مفعول له أي
اعملوا لله واعبدوه على وجه الشكر لنعمائه • وفيه دليل على أن العبادة يجب على أن تؤدى على طريق الشكر
أو على الحال أي شاكرين أو على تقدير اشكروا شكرا لأن اعملوا فيه معنى اشكروا من حيث أن العمل للمنعم شكر
له ويجوز أن ينتصب باعملوا مفعولا به ومعناه أنا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا أنتم شكرا على
طريق المشاكلة • وقليل من عبادي الشكور المتوفر على أداء الشكر الباذل وسعه فيه قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه اعترافا
واعتقادا وكدحا وأكثر أوقاته • وعن ابن عباس رضي الله عنهما من يشكر على أحواله كلها • وعن السدي من يشكر
على الشكر وقيل من يرى عجزه عن الشكر • وعن داود أنه جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن
تأتي ساعة من الساعات إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي • وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
أنه سمع رجلا يقول اللهم اجعلني من القليل • فقال عمر ما هذا الدعاء فقال الرجل إني سمعت الله يقول
وقليل من عبادي الشكور فأنا أدعو أن يجعلني من ذلك القليل فقال عمر كل الناس أعلم من عمر • فلما قضينا
عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب
ما لبثوا في العذاب المهين • قرئ فلما قضي عليه الموت • دابة الأرض الأرضة وهي الدويبة
التي يقال لها السرفة • والأرض فعلها فأضيفت إليه يقال أرضت الخشبة أرضا إذا أكلتها الأرضة
وقرئ بفتح الراء من أرضت الخشبة أرضا وهو من باب فعلته ففعل كقولك أكلت القوادح الأسنان
أكلا فأكلت أكلا • والمنسأة العصا لأنه ينسأ بها أي يطرد ويؤخر • وقرئ بفتح الميم وبتخفيف الهمزة
قلبا وحذفا وكلاهما ليس بقياس ولكن إخراج الهمزة بين بين هو التخفيف القياسي • ومنساءته على
مفعالة كما يقال في الميضأة ميضاءة • ومن سأته أي من طرف عصاه سميت بسأة القوس على الاستعارة
وفيها لغتان كقولهم قحة وقحة • قرئ أكلت منسأته • تبينت الجن من تبين الشيء إذا ظهر
وتجلى وأن مع صلتها بدل من الجن بدل الاشتمال كقولك تبين زيد جهله والظهور له في المعنى أي
ظهر أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب • أو علم الجن كلهم علما بينا بعد التباس الأمر
على عامتهم وضعفتهم وتوهمهم أن كبارهم يصدقون في ادعائهم علم الغيب أو علم المدعون
علم الغيب منهم عجزهم وأنهم لا يعلمون الغيب وإن كانوا عالمين قبل ذلك بحالهم وإنما أريد التهكم
بهم كما تتهكم بمدعي الباطل إذا دحضت حجته وظهر إبطاله بقولك هل تبينت أنك مبطل وأنت تعلم
أنه لم يزل لذلك متبينا • وقرئ تبينت الجن على البناء للمفعول على أن المتبين في المعنى هو أن مع ما في
صلتها لأنه بدل • وفي قراءة أبي تبينت الإنس • وعن الضحاك تبايتت الإنس بمعنى تعارفت وتعالمت
والضمير في كانوا للجن في قوله ومن الجن من يعمل بين يديه • أي علمت الإنس أن لو كان الجن يصدقون فيما
يوهمونهم من علمهم الغيب ما لبثوا • وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه تبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون
الغيب • روي أنه كان من عادة سليمان عليه الصلاة والسلام أن يعتكف في مسجد بيت المقدس المدد
الطوال • فلما دنا أجله لم يصبح إلا رأى في محرابه شجرة نابتة قد أنطقها الله فيسألها لأي شيء أنت
فتقول لكذا حتى أصبح ذات يوم فرأى الخروبة فسألها فقالت نبت لخراب هذا المسجد فقال
ما كان الله ليخربه وأنا حي أنت الذي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها في حائط له

وقال اللهم عمِّ على الجن موتي حتى يعلم الناس أنهم لا يعلمون الغيب لأنهم كانوا يسترقون السمع ويموّهون على الإنس أنهم يعلمون الغيب
وقال لملك الموت إذا أمرت بي فأعلمني فقال أمرت بك وقد بقيت من عمرك ساعة فدعا الشياطين فبنوا
عليه صرحاً من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئاً على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها وكانت الشياطين
تجتمع حول محرابه أينما صلى فلم يكن شيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر فإذا سليمان عليه الصلاة والسلام
قد خرّ ميتاً ففتحوا عنه فإذا العصا قد أكلتها الأرضة فأرادوا أن يعرفوا وقت موته فوضعوا الأرضة على العصا
فأكلت منها في يوم وليلة مقداراً فحسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه
ويحسبونه حياً فأيقن الناس أنهم لو علموا الغيب لما لبثوا في العذاب سنة وروي أن داود عليه الصلاة والسلام
أسس بناء بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه الصلاة والسلام فمات قبل أن يتمه فوصى به إلى سليمان فأمر الشياطين
بإتمامه فلما بقي من عمره سنة سأل أن يعمّي عليهم موته حتى يفرغوا منه وليبطل دعواهم علم الغيب وروي
أن أفريدون جاء ليصعد كرسيه فضرب الأسدان ساقه فلم يجسر أحد بعد أن يدنو منه وكان عمر سليمان
عليه الصلاة والسلام ثلاثاً وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة فبقي في ملكه أربعين سنة وابتدأ بناء
بيت المقدس لأربع مضين من ملكه لقد كان لسبإ في مساكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا
له بلدة طيبة ورب غفور قرئ لسبإ بالصرف ومنعه وقلب الهمزة ألفاً ومسكنهم بفتح الكاف وكسرها
وهو موضع سكناهم وهو بلدهم وأرضهم التي كانوا مقيمين فيها أو مسكن كل واحد منهم وقرئ مساكنهم وجنتان
بدل من آية أو خبر مبتدإ محذوف تقديره الآية جنتان وفي الرفع معنى المدح يدل عليه قراءة من قرأ جنتين
بالنصب على المدح فإن قلت ما معنى كونهما آية قلت لم يجعل الجنتين في أنفسهما آية وإنما جعل قصتهما
وأن أهلهما أعرضوا عن شكر الله تعالى عليهما فخربهما وأبدلهم عنهما الخمط والأثل آية وعبرة لهم ليعتبروا
ويتعظوا فلا يعودوا إلى ما كانوا عليه من الكفر وغمط النعم ويجوز أن تجعلهما آية أي علامة دالة على الله وعلى قدرته
وإحسانه ووجوب شكره فإن قلت كيف عظم الله جنتي أهل سبإ وجعلهما آية ورب قرية من قريات
العراق يحتف بها من الجنان ما شئت قلت لم يرد بستانين اثنين فحسب وإنما أراد جماعتين من البساتين
جماعة عن يمين بلدهم وأخرى عن شمالها وكل واحد من الجماعتين في تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة كما تكون
بلاد الريف العامرة وبساتينها أو أراد بستاني كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله كما قال تعالى
جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب كلوا من رزق ربكم إما حكاية لما قال لهم أنبياء الله المبعوثون إليهم أو لما قال لهم
لسان الحال أو هم أحقاء بأن يقال لهم ذلك ولما قال كلوا من رزق ربكم واشكروا له أتبعه قوله بلدة طيبة
ورب غفور يعني هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم وعن ابن عباس
رضي الله عنهما كانت أخصب البلاد وأطيبها تخرج المرأة وعلى رأسها المكتل فتعمل بيديها وتسير بين تلك
الشجرة فيمتلئ المكتل بما يتساقط فيه من الثمر طيبة لم تكن سبخة وقيل لم يكن فيها بعوض ولا ذباب ولا براغيث
ولا عقرب ولا حية وقرئ بلدةً طيبةً وربّاً غفوراً بالنصب على المدح وعن ثعلب معناه اسكن واعبد
فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل
ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور العرم الجرذ الذي نقب عليهم السكر ضربت لهم بلقيس الملكة
بسدّ ما بين الجبلين بالصخر والقار فحقنت به ماء العيون والأمطار وتركت فيه خروقاً على مقدار ما يحتاجون إليه

في سفينتهم فلما طغوا. وقيل بعث الله ثلثة عشر نبيا يدعونهم إلى الله ويذكرونهم بنعمته عليهم فكذبوهم
وقالوا ما نعرف لله نعمة. سلط الله عليهم على سدهم الخلد فنقبه من أسفله فغرقهم. وقيل العرم جمع عرمة وهي الحجارة
المركومة. ويقال للكدس من الطعام عرمة. والمراد المسناة التي عقدوها سكرا. وقيل العرم اسم الوادي
وقيل العرم المطر الشديد. وقرئ العرم بسكون الراء. وعن الضحاك كانوا في الفترة التي كانت بين عيسى ومحمد
صلوات الله وسلامه عليهما. وقرئ أكل بالضم والسكون وبالتنوين والإضافة. والأكل الثمر. والخمط شجر
الأراك. وعن أبي عبيدة كل شجر ذي شوك. ووجه من نون أن أصله ذواتي أكل أكل خمط فحذف المضاف
وأقيم المضاف إليه مقامه. أو وصف الأكل بالخمط كأنه قيل ذواتي أكل بشع. ومن أضاف وهو أبو عمرو وحده
فلأن أكل الخمط في معنى البرير كأنه قيل ذواتي برير. والأثل والسدر معطوفان على أكل لا على خمط لأن الأثل لا أكل
له. وقرئ وأثلا وشيئا بالنصب عطفا على جنتين. وتسمية البدل جنتين لأجل المشاكلة وفيه ضرب من التهكم
وعن الحسن رحمه الله قلل السدر لأنه أكرم ما بدلوا. وقرئ وهل يجازى بالنون وهل يجازي والفاعل
الله تعالى وحده. وهل يجزى. والمعنى أن مثل هذا الجزاء لا يستحقه إلا الكافر وهو العقاب العاجل. وقيل
المؤمن تكفر سيئاته بحسناته. والكافر يحبط عمله فيجازى بجميع ما عمله من السوء. ووجه آخر وهو أن الجزاء
عام لكل مكافأة يستعمل تارة في معنى المعاقبة. وأخرى في معنى الإثابة فلما استعمل في معنى المعاقبة في قوله تعالى
جزيناهم بما كفروا بمعنى عاقبناهم بكفرهم قيل وهل يجازى إلا الكفور بمعنى وهل يعاقب. وهو الوجه
الصحيح. وليس لقائل أن يقول لم قيل وهل يجازى إلا الكفور على اختصاص الكفور بالجزاء والجزاء عام للكافر
والمؤمن لأنه لم يرد الجزاء العام وإنما أراد الخاص وهو العقاب. بل لا يجوز أن يراد العموم وليس بموضعه الا ترى
أنك لو قلت جزيناهم بما كفروا وهل يجازى إلا الكافر والمؤمن لم يصح ولم يسد كلاما فتبين أن ما
يتخيل من السؤال مضمحل. وأن الصحيح الذي لا يجوز غيره ما جاء عليه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه. وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا
فيها ليالي وأياما آمنين. القرى التي باركنا فيها هي قرى الشام. قرى ظاهرة متواصلة يرى بعضها من
بعض لتقاربها فهي ظاهرة لأعين الناظرين أو راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة لم تبعد عن
مسالكهم حتى تخفى عليهم. وقدرنا فيها السير قيل كان الغادي منهم يقيل في قرية والرائح يبيت في قرية
إلى أن يبلغ الشام لا يخاف جوعا ولا عطشا ولا عدوا ولا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء. سيروا فيها وقلنا
لهم سيروا ولا قول ثم ولكنهم لما مكنوا من السير وسويت لهم أسبابه فكأنهم أمروا بذلك وأذن لهم فيه
فإن قلت ما معنى قوله ليالي وأياما. قلت معناه سيروا فيها إن شئتم بالليل وإن شئتم بالنهار فإن الأمن
لا يختلف باختلاف الأوقات. أو سيروا فيها آمنين لا تخافون وإن تطاولت مدة سفركم فيها وامتدت أياما
وليالي. أو سيروا فيها لياليكم وأيامكم مدة أعماركم فإنكم في كل حين وزمان لا تلقون فيها إلا الأمن
فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن في ذلك
لآيات لكل صبار شكور. قرئ ربنا باعد بين أسفارنا وبعد ويا ربنا على الدعاء. بطروا النعمة وسئموا
من طيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو إسرائيل البصل والثوم مكان المن والسلوى
وقالوا لو كان جنى جناتنا أبعد كان أجدر أن نشتهيه. وتمنوا أن يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا

الرواحل

الرواحل فيها ويتزودوا الأزواد فعجل الله لهم الإجابة. وقرئ: ربنا بعد بين أسفارنا، وبعد بين أسفارنا على النداء، وإسناد الفعل إلى بين ورفعه به، كما تقول: سير فرسخان. وبوعد بين أسفارنا. وقرئ: ربنا باعد بين أسفارنا وبين سفرنا. وقرئ: بعد برفع ربنا على الابتداء، والمعنى خلاف الأول، وهو استبعاد مسايرهم على قصرها ودنوها لفرط تنعمهم وترفههم، كأنهم كانوا يتشاجون على ربهم ويتحازنون عليه. **أحاديث** يتحدث الناس بهم ويتعجبون من أحوالهم، وفرقناهم تفريقا اتخذه الناس مثلا مضروبا يقولون: ذهبوا أيدي سبا، وتفرقوا أيادي سبا.

قال كثير:

أيادي سبا يا عز ما كنت بعدكم ... ولم يحل بالعينين بعدك منظر

لحق غسان بالشام، وأنمار بيثرب، وجذام بتهامة، والأزد بعمان. **صبار** عن المعاصي **شكور** للنعم. والله أعلم.

ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين قرئ: صدق بالتشديد والتخفيف، ورفع إبليس ونصب الظن، فمن شدد فعلى: حقق عليهم ظنه، أو وجده صادقا. ومن خفف فعلى: صدق في ظنه، أو صدق يظن ظنا، نحو: فعلته جهدك. وبنصب إبليس ورفع الظن، فمن شدد فعلى: وجده ظنه صادقا، ومن خفف فعلى: قال له ظنه الصدق حين خيله إغواءهم، يقولون: صدقك ظنك. وبالتخفيف ورفعهما على: صدق عليهم ظن إبليس، ولو قرئ بالتشديد مع رفعهما لكان على المبالغة في صدق، كقوله: صدقت فيهم ظنوني. ومعناه أنه حين وجد آدم ضعيف العزم قد أصغى إلى وسوسته قال: إن ذريته أضعف عزما منه، فظن بهم اتباعه، وقال: لأضلنهم لأغوينهم. وقيل: ظن ذلك عند إخبار الله تعالى الملائكة أنه يجعل فيها من يفسد فيها. والضمير في عليهم واتبعوه إما لأهل سبأ أو لبني آدم. وقلل المؤمنين بقوله تعالى: إلا فريقا؛ لأنهم قليلون بالإضافة إلى الكفار، كما قال تعالى: لأحتنكن ذريته إلا قليلا، ولا تجد أكثرهم شاكرين. **وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ** وما كان له عليهم من تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء إلا لغرض صحيح وحكمة بينة، وذلك أن يتميز المؤمن بالآخرة من الشاك فيها. وعلل التسليط بالعلم، والمراد ما تعلق به العلم. وقرئ: ليعلم على البناء للمفعول. **حفيظ** محافظ عليه، وفعيل ومفاعل متآخيان.

قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير قل لمشركي قومك: ادعوا الذين عبدتموهم من دون الله من الأصنام والملائكة وسميتموهم باسمه كما تدعون الله، والتجئوا إليهم فيما يعن لكم كما تلتجئون إليه، وانتظروا استجابتهم لدعائكم ورحمتهم كما تنتظرون أن يستجيب لكم ويرحمكم. ثم أجاب عنهم بقوله تعالى: **لا يملكون مثقال ذرة** من خير أو شر أو نفع أو ضر في السموات والأرض، وما لهم في هذين الجنسين من شركة في الخلق ولا في الملك، كقوله تعالى: ما أشهدتهم خلق السموات والأرض. **وما له منهم** من عوين يعينه على تدبير خلقه، يريد أنهم على هذه الصفة من العجز والبعد عن أحوال الربوبية، فكيف يصح أن يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى. فإن قلت: أين مفعولا زعم؟ قلت: أحدهما الضمير المحذوف الراجع منه إلى الموصول، وأما الثاني فلا يخلو إما أن يكون من دون الله، أو لا يملكون، أو محذوفا، فلا يصح الأول؛ لأن قولك: هم من دون الله، لا يلتئم كلاما، ولا الثاني؛ لأنهم ما كانوا يزعمون ذلك، وكيف يتكلمون بما هو حجة عليهم، وبما لو قالوه قالوا ما هو حق وتوحيد؟ فبقي أن يكون محذوفا تقديره: زعمتموهم آلهة من دون الله، فحذف الراجع إلى الموصول كما حذف في قوله تعالى: أهذا الذي بعث الله رسولا، استخفافا لطول الموصول بصلته، وحذف آلهة لأنه موصوف صفته من دون الله، والموصوف يجوز حذفه وإقامة الصفة مقامه إذا كان مفهوما، فإذن مفعولا زعم محذوفان جميعا بسببين مختلفين. **ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له**

حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير تقول الشفاعة لزيد على معنى انه الشافع كما تقول
الكلام لزيد فاحتمل قوله ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له ان يكون على احد هذين الوجهين اي لا تنفع الشفاعة
الا كائنة الا لمن اذن له من الشافعين ومطلقة له او لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن اذن له اي لشفيعه او هي اللام
الثانية في قولك اذن لزيد لعمرو اي لاجله وكانه قيل الا لمن وقع الاذن للشفيع لاجله وهذا وجه لطيف وهو الوجه
وهذا تكذيب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله فان قلت بم اتصل قوله تعالى حتى اذا فزع عن قلوبهم
ولاي شيء وقعت حتى غاية قلت بما فهم من هذا الكلام من ان ثم انتظارا للاذن وتوقعا وتمهلا وفزعا
من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم او لا يؤذن وانه لا يطلق الاذن الا بعد ملي من الزمان وطول من التربص
ومثل هذه الحالة دل عليه قوله سبحانه وتعالى رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا
يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا كانه قيل يتربصون ويتوقفون مليا
فزعين وهلين حتى اذا فزع عن قلوبهم اي كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب
العزة في اطلاق الاذن تباشروا بذلك وسال بعضهم بعضا ماذا قال ربكم قالوا الحق اي القول الحق وهو الاذن بالشفاعة
لمن ارتضى وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم فاذا اذن لمن اذن ان يشفع فزعته الشفاعة وقرئ اذن له
واذن له على البناء للمفعول وقرا الحسن رحمة الله عليه فزع مخففا بمعنى فزع وقرئ فزع على البناء للفاعل وفرغ
اي نفى الوجل عنها وهو الله وحده وفرغ اي نفي الوجل عنها وافني من قولهم فرغ الزاد اذا لم يبق منه شيء ثم
ترك ذكر الوجل واسند الى الجار والمجرور كما تقول دفع الى زيد اذا علم ما المدفوع وقد تخفف واصله فرغ
الوجل عنها اي انتفى عنها وفني ثم حذف الفاعل واسند الى الجار والمجرور وقرئ افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف
عنها والكلمة مركبة من حروف المفارقة مع زيادة العين وعن ابي علقمة انه هاج به المرار فالتف عليه الناس
فلما افاق قال مالكم تكاكاتم علي تكاكؤكم على ذي جنة افرنقعوا والكلمة مركبة من حروف
المفارقة مع زيادة العين كما ركب اقمطر من حروف القمط مع زيادة الراء وقرئ الحق بالرفع اي مقوله
الحق وهو العلي الكبير ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه وان يشفع الا لمن ارتضى
قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين امره بان يقررهم بقوله
تعالى من يرزقكم ثم امره بان يتولى الاجابة والاقرار عنهم بقوله يرزقكم الله وذلك للاشعار بانهم مقرون به بقلوبهم
الا انهم ربما ابوا ان يتكلموا به لان في صدورهم من العناد وحب الشرك قد الجم افواههم عن النطق بالحق مع علمهم
بصحته ولانهم ان تفوهوا بان الله رازقهم لزمهم ان يقال لهم فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه
من لا يقدر على الرزق الا ترى الى قوله قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار حتى قال
فسيقولون الله ثم قال فماذا بعد الحق الا الضلال فكانهم كانوا يقرون بالسنتهم مرة ومرة كانوا يتلعثمون
عنادا وضرارا وحذرا من الزام الحجة ونحوه قوله سبحانه وتعالى قل من رب السموات والارض قل الله قل افاتخذتم
من دونه اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا وامره ان يقول لهم بعد الالزام والالجام الذي ان لم يزد على
على اقرارهم بالسنتهم لم يتقاصر عنه وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ومعناه وان احد
الفريقين من الذين يتوحدون الرازق من السموات والارض بالعبادة ومن الذين يشركون به الجماد الذي لا يوصف
بالقدرة لعلى احد الامرين من الهدى والضلال وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موال او مناف قال

لمن

لمن خوطب به قد انصفك صاحبك وفي درجة بعد تقدمه ما قدم من التقريب البليغ دلالة غير خفية على من هو
من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين ولكن التعريض والتورية اوصل بالمجادل الى الغرض واهجم
به على الغلبة مع قلة شغب الخصم وفل شوكته بالهوينا ونحوه قول الرجل لصاحبه قد علم الله
الصادق مني ومنك وان احدنا الكاذب • ومنه بيت حسان •
• اتهجوه ولست له بكفو • فشركما لخيركما الفداء • فان قلت
كيف خولف بين حرفي الجر الداخلين على الحق والضلال قلت لان صاحب الحق كانه مستعل على فرس جواد
يركضه حيث شاء والضال كانه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري اين يتوجه وفي قراءة ابي وانا او اياكم
اما على هدى او في ضلال مبين قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح
بيننا بالحق وهو الفتاح العليم قل اروني الذين الحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم
هذا ادخل في الانصاف وابلغ فيه من الاول حيث اسند الاجرام الى المخاطبين وان اراد بالاجرام الصغائر والزلات
التي لا يخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر والمعاصي العظام وفتح الله بينهم وهو حكمه وفصله انه يدخل هؤلاء الجنة
واولئك النار فان قلت ما معنى قوله تعالى اروني وكان يراهم ويعرفهم قلت اراد بذلك ان يريهم
الخطأ العظيم في الحاق الشركاء بالله وان يقايس على اعينهم بينهم وبين اصنامهم ليطلعهم على احالة القياس
اليه والاشراك به وكلا ردع لهم عن مذهبهم بعد ما كسره بابطال المقايسة كما قال ابرهيم عليه الصلاة
والسلام اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون بعد ما حجهم وقد نبه على تفاحش غلطهم وان لم
يقدروا الله حق قدره بقوله هو الله العزيز الحكيم كانه قال اين الذين الحقتم به شركاء من هذه الصفات
وهو راجع الى الله وحده او ضمير الشان كما في قوله تعالى قل هو الله احد وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا
ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون الا كافة للناس الا رسالة عامة لهم محيطة بهم لانها اذا شملتهم فقد
كفتهم ان يخرج منها احد منهم وقال الزجاج المعنى ارسلناك جامعا للناس في الانذار والابلاغ
فجعله حالا من الكاف وحق التاء على هذا ان يكون للمبالغة كتاء الراوية والعلامة ومن جعله حالا من المجرور
متقدما عليه فقد اخطأ لان تقدم حال المجرور عليه في الاحالة بمنزلة تقدم المجرور على الجار وكم ترى ممن يرتكب
هذا الخطأ ثم لا يقنع به حتى يضم اليه ان يجعل اللام بمعنى الى لانه لا يستوي له الخطأ الاول الا بالخطأ الثاني
فلا بد له من ارتكاب الخطائين ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه
ساعة ولا تستقدمون قرئ ميعاد يوم وميعاد يوم وميعاد يوما والميعاد ظرف الوعد من مكان او زمان
وهو ههنا الزمان والدليل عليه قراءة من قرأ ميعاد يوم فابدل منه اليوم فان قلت فما تأويل من اضافه
الى اليوم او نصب يوما قلت اما الاضافة فاضافة تبيين كما تقول سحق ثوب وبعير سانية
واما نصب اليوم فعلى التعظيم باضمار فعل تقديره لكم ميعاد اعني يوما واريد يوما من صفته كيت
وكيت ويجوز ان يكون الرفع على هذا اعني التعظيم فان قلت كيف انطبق هذا جوابا على سؤالهم
قلت ما سألوا عن ذلك وهم منكرون له الا تعنتا لا استرشادا فجاء الجواب على طريق التهديد
مطابقا لمجيء السؤال على سبيل الانكار والتعنت وانهم مرصدون ليوم يفاجئهم فلا يستطيعون تأخرا عنه ولا
تقدما عليه وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه الذي بين يديه ما نزل قبل القرآن

من كتب الله • يروى أن كفار مكة سألوا أهل الكتاب فأخبروهم أنهم يجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبهم فأغضبهم
ذلك وقرنوا إلى القرآن جميع ما تقدمه من كتب الله في الكفر فكفروا بها جميعا • وقيل الذي بين يديه يوم القيمة
والمعنى أنهم جحدوا أن يكون القرآن من الله تعالى وأن يكون لما دل عليه من الإعادة للجزاء حقيقة • ولو ترى
إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا
لولا أنتم لكنا مؤمنين ثم أخبر عن عاقبة أمرهم ومآلهم في الآخرة فقال لرسول الله عليه الصلاة والسلام
أو للمخاطب • ولو ترى في الآخرة موقفهم وهم يتجاذبون أطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم لرأيت العجب
فحذف الجواب المستضعفون هم الأتباع والمستكبرون هم الرؤس والمقدمون قال الذين استكبروا للذين استضعفوا
أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين أولي الاسم أعني نحن حرف الإنكار لأن الغرض إنكار
أن يكونوا هم الصادين لهم عن الإيمان وإثبات أنهم هم الذين صدوا بأنفسهم عنه وأنهم أتوا من قبل اختيارهم كأنهم
قالوا أنحن أجبرناكم وحلنا بينكم وبين كونكم ممكنين مختارين • بعد إذ جاءكم بعد أن صممتم على الدخول في الإيمان
وصحت نياتكم في اختياره بل أنتم منعتم أنفسكم حظها وآثرتم الضلال على الهدى وأطعتم آمر الشهوة دون آمر
النهى فكنتم مجرمين كافرين لاختياركم لا لقولنا وتسويلنا فإن قلت إذ وإذا من الظروف اللازمة
للظرفية فلم وقعت إذ مضافا إليها قلت قد اتسع في الزمان ما لم يتسع في غيره • فأضيف إليها الزمان كما أضيف
إلى الجمل في قولك • جئتك بعد إذ جاء زيد وحينئذ • ويومئذ • وكان ذلك أوان الحجاج • أمير • وحين خرج زيد
وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له
أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا
يعملون لما أنكر المستكبرون بقولهم أنحن صددناكم • أن يكونوا هم السبب في كفر المستضعفين وأثبتوا بقولهم
بل كنتم مجرمين أن ذلك بكسبهم واختيارهم • كر عليهم المستضعفون بقولهم • بل مكر الليل والنهار • فأبطلوا
إضرابهم بإضرابهم كأنهم قالوا ما كان الإجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا • وحملكم إيانا
على الشرك واتخاذ الأنداد • ومعنى مكر الليل والنهار • مكركم في الليل والنهار بالتنوين • ونصب الظرفين
وبل مكر الليل والنهار بالرفع والنصب • أي تكرون الإغواء مكرا دائبا لا تفترون عنه فاتسع في الظرف
بإجرائه مجرى المفعول به وإضافة المكر إليه أو جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الإسناد المجازي • وقرئ بل مكر
الليل والنهار بالتنوين والظرفين وبل مكر الليل والنهار بالرفع والنصب • أي تكرون الإغواء مكرا دائبا لا تفترون
عنه فإن قلت ما وجه الرفع والنصب قلت هو مبتدأ أو خبر على معنى بل سبب
ذلك مكركم أو مكركم سبب ذلك والنصب على بل تكرون الإغواء مكر الليل والنهار فإن قلت
لم قيل قال الذين استكبروا بغير عاطف • وقيل وقال الذين استضعفوا قلت لأن
الذين استضعفوا مر أولا كلامهم فجيء بالجواب محذوفا العاطف على طريقة الاستئناف ثم جيء بكلام آخر
للمستضعفين فعطف على كلامهم الأول • فإن قلت الجنس المشتمل على النوعين من صاحب الضمير في وأسروا •
قلت الجنس المشتمل على النوعين من المستكبرين والمستضعفين وهم الظالمون في قوله إذ الظالمون موقوفون عند ربهم
يندم المستكبرون على ضلالهم واتباعهم المضلين • في أعناق الذين كفروا • أي في أعناقهم فجاء بالصريح تنويها بذمهم وللدلالة
على ما استحقوا به الأغلال • وعن قتادة أسروا الكلام بذلك بينهم • وقيل أسروا الندامة أظهروها وهو من

الاضداد به وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا
وما نحن بمعذبين هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما مني به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة
بكثرة الاموال والاولاد والمفاخرة بالدنيا وزخارفها والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من اجله وقولهم اي الفريقين
خير مقاما واحسن نديا وانه لم يرسل قط الى اهل قرية من نذير الا قالوا له مثل ما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكادوه
اهل مكة وكادوه بنحو ما كادوه به وقاسوا امر الآخرة الموهومة او المفروضة عندهم على امر الدنيا واعتقدوا انهم لو لم يكرموا على الله
لما رزقهم ولولا ان المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فعلى قياسهم ذلك قالوا وما نحن بمعذبين اراد انهم اكرم على الله من
ان يعذبهم نظرا الى احوالهم في الدنيا وقد ابطل الله حسبانهم بان الرزق فضل من الله يقسمه كما يشاء على حسب ما
يراه من المصالح فربما وسع على العاصي وضيق على المطيع وربما عكس عليهما ولا ينقاس عليه امر الثواب الذي مبناه
على الاستحقاق وقدر الرزق تضييقه قال تعالى ومن قدر عليه رزقه وقرئ يقدّر بالتشديد
قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون وما أموالكم ولا أولادكم بالتي
تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون والذين
يسعون في آياتنا معاجزين أولئك في العذاب محضرون اراد وما جماعة اموالكم ولا جماعة اولادكم
بالتي تقربكم وذلك ان الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء في حكم التأنيث ويجوز ان يكون التي هي
التقوى وهي المقربة عند الله زلفى وحدها اي ليست اموالكم بتلك الموضوعة للتقريب وقرأ
الحسن رحمة الله عليه باللاتي تقربكم لانها جماعات وقرئ بالذي يقربكم اي بالشيء الذي يقربكم والزلفى
والزلفة كالقربى والقربة ومحلها النصب اي تقربكم قربة كقوله تعالى انبتكم من الارض نباتا
الا من آمن استثناء من كم في تقربكم والمعنى ان الاموال لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل
الله والاولاد لا تقرب احدا الا من علمهم الخير وفقههم في الدين ورشحهم للصلاح والطاعة جزاء الضعف
من اضافة المصدر الى المفعول اصله فاولئك لهم ان يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ومعنى جزاء
الضعف ان تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا وقرئ جزاء الضعف على فاولئك لهم الضعف جزاء
وجزاء الضعف ان يجازوا الضعف وجزاء الضعف مرفوعان الضعف بدل من جزاء وقرئ في الغرفات
بضم الراء وفتحها وسكونها وفي الغرفة قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم
من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين فهو يخلفه فهو يعوضه لا معوض سواه اما عاجلا بالمال او بالقناعة التي هي
كنز لا ينفد واما آجلا بالثواب الذي كل خلف دونه وعن مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد
فان الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما في يده ثم يبقى طول
عمره في فقر ولا يتأولن وما انفقتم من شيء فهو يخلفه فان هذا في الآخرة ومعنى الآية وما كان من خلف فهو منه
خير الرازقين واعلاهم رب العزة لان كل ما رزق غيره من سلطان يرزق جنده او سيد يرزق
عبده او رجل يرزق عياله فهو من رزق الله اجراه الله على ايدي هؤلاء وهو خالق الرزق وخالق
الاسباب التي بها ينتفع المرزوق بالرزق وعن بعضهم الحمد لله الذي اوجدني وجعلني ممن يشتهي فكم من
مشته لا يجد وواجد لا يشتهي ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون
قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون هذا الكلام خطاب الله تعالى

وتقريع للكفار وارد على المثل السائر. إياك أعني واسمعي يا جارة. ونحوه قوله عز وجل أأنت قلت للناس اتخذوني
وأمي إلهين من دون الله. وقد علم سبحانه كون الملائكة وعيسى منزهين برآء مما وجه عليهم من السؤال
الوارد على طريق التقرير. والغرض أن يقول ويقولوا ويسأل ويجيبوا فيكون تقريعهم أشد وتعييرهم أبلغ وخجلهم
أعظم وهوانهم ألزم ويكون اقتصاص ذلك لطفا لمن سمعه وزاجرا لمن اقتص عليه. والموالاة خلاف المعاداة ومنها
اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. وهي مفاعلة من الولي وهو القرب كما أن المعاداة من العدواء وهي البعد
والولي يقع على الموالي والموالى جميعا. والمعنى أنت الذي نواليه من دونهم إذ لا موالاة بيننا وبينهم فبينوا
بإثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم وأن من كان على هذه الصفة كانت له
حالة منافية لذلك بل كانوا يعبدون الجن يريدون الشياطين حيث أطاعوهم في عبادة غير الله وقيل صورت
لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها. وقيل كانوا يدخلون في أجواف الأصنام
إذا عبدت فيعبدون بعبادتها. وقرئ نحشرهم بالنون والياء فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا
ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون الأمر في ذلك اليوم لله وحده لا يملك فيه
أحد منفعة ولا مضرة لأحد لأن الدار دار ثواب وعقاب والمعاقب هو الله تعالى. فكانت حالها خلاف حال
التي هي دار تكليف. والناس فيها مخلى بينهم يتضارون وينتفعون. والمراد أنه لا ضار ولا نافع يومئذ
إلا هو. ثم ذكر معاقبة الظالمين بقوله تعالى ونقول للذين ظلموا معطوفا على لا يملك وإذا تتلى عليهم
آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا إلا إفك
مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين الإشارة الأولى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
والثانية إلى القرآن والثالثة إلى الحق والحق أمر النبوة كله ودين الإسلام كما هو وفي قوله
وقال الذين كفروا وفي أن لم يقل وقالوا وفي قوله للحق لما جاءهم وما في اللامين من الإشارة إلى
القائلين والمقول فيه وما في لما من المبادهة بالكفر دليل على صدور الكلام عن إنكار عظيم وغضب شديد
وتعجيب من أمرهم بليغ كأنه قال وقال أولئك الكفرة المتمردون بجراءتهم على الله ومكابرتهم لمثل
ذلك الحق النير قبل أن يذوقوه إن هذا إلا سحر مبين فبتوا القضاء على أنه سحر ثم بتوه على أنه
بين ظاهر كل عاقل تأمله سماه سحرا وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من
نذير وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير
وما آتيناهم كتبا يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك ولا أرسلنا إليهم نذيرا ينذرهم بالعقاب إن لم يشركوا
كما قال سبحانه وتعالى أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون. أو وصفهم بأنهم قوم أميون
أهل جاهلية لا ملة لهم وليس لهم عهد بإنزال كتاب وإن كانوا مبطلين ولا بعثة رسول كما قال تعالى
أم آتيناهم كتابا فهم به مستمسكون فليس لتكذيبهم وجه متشبث ولا شبهة متعلق كما يقول أهل الكتاب
وإن كانوا مبطلين. نحن أهل كتاب وشرائع ومستندون إلى رسول من رسل الله ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله
تعالى وكذب الذين تقدموهم من الأمم والقرون الخالية كما كذبوا وما بلغ هؤلاء بعض ما آتينا أولئك من طول
الأعمار وقوة الأجرام. وكثرة الأموال فحين كذبوا رسلهم جاءهم إنكاري بالتدمير والاستئصال ولم يغن
عنهم استظهارهم بما هم به مستظهرون فما بال هؤلاء. وقرئ يدرسونها من التدريس وهو تكرير

الدّارس أو من درس الكتاب وعفّى من الكتب وقرئ يدّرسونها بتشديد الدال يفتعلون من الدرس فإن قلت
ما معنى فكذبوا رسلي وهو مستغنى عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم قلت لما كان معنى قوله وكذب
الذين من قبلهم وفعل الذين من قبلهم التكذيب وأقدموا عليه جعل تكذيب الرسل مسببا عنه ونظيره أن
يقول القائل أقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ويجوز أن ينعطف على قوله وما بلغوا كقولك
ما بلغ زيد معشار فضل عمرو فتفضل عليه فكيف كان نكيري للمكذبين الأولين فليحذروا من مثله
قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم
بين يدي عذاب شديد بواحدة بخصلة واحدة وقد فسرها بقوله تعالى أن تقوموا على أنه عطف بيان
لها وأراد بقيامهم إما القيام عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقهم عن مجتمعهم عنده وإما القيام
الذي لا يراد به المثول على القدمين ولكن الانتصاب في الأمر والنهوض فيه بالهمة والمعنى إنما أعظكم
بواحدة إن فعلتموها أصبتم الحق وهي أن تقوموا لوجه الله خالصا متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا
ثم تتفكروا في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به أما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول
فكره على صاحبه وينظران فيه نظر متصادقين متناصفين لا يميل بهما اتباع هوى ولا ينبض لهما عرق
عصبية حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر الصحيح على جادة الحق وسننه وكذلك الفرد يفكر في نفسه
بعدل ونصفة من غير أن يكابرها ويعرض فكره على عقله وذهنه وما استقر عنده من عادات العقلاء
ومجاري أحوالهم والذي أوجب تفرقهم مثنى وفرادى أن الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمي البصائر
ويمنع من الروية ويخلط القول ومع ذلك يقل الإنصاف ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصب
ولا يسمع إلا نصرة المذهب وأراهم بقوله تعالى ما بصاحبكم من جنة أن هذا الأمر العظيم الذي تحته
ملك الدنيا والآخرة جميعا لا يتصدى لادعاء مثله إلا رجلان إما مجنون لا يبالي بافتضاحه إذا طولب بالبرهان
فعجز بل لا يدري ما الافتضاح وما رقبة العواقب وإما عاقل راجح العقل مرشح للنبوة مختار من أهل الدنيا
لا يدعيه إلا بعد صحته عنده بحجته وبرهانه وإلا فما يجدي على العاقل دعوى شيء لا بينة له عليه وقد علمتم
أن محمدا ما به من جنة بل علمتموه أرجح قريش عقلا وأرزنهم حلما وأثقبهم ذهنا وأصلهم رأيا وأصدقهم
قولا وأنزههم نفسا وأجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به فكان مظنة لأن تظنوا به الخير وترجحوا
فيه جانب الصدق على الكذب وإذا فعلتم ذلك كفاكم أن تطالبوه بأن يأتيكم بآية فإذا أتى بها تبين أنه
نذير مبين فإن قلت ما بصاحبكم بم يتعلق قلت يجوز أن يكون كلاما مستأنفا تنبيها
من الله عز وجل على طريقة النظر في أمر الرسول صلى الله عليه ويجوز أن يكون المعنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصا
من جنة وقد جوز بعضهم أن تكون ما استفهامية بين يدي عذاب شديد كقوله عليه الصلاة والسلام
بعثت في نسم الساعة قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله وهو على كل شيء شهيد
قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب فهو لكم جزاء الشرط وقوله ما سألتكم من أجر تقديره أي شيء سألتكم من
أجر كقوله سبحانه وتعالى ما يفتح الله للناس من رحمة وفيه معنيان أحدهما نفي مسألة الأجر رأسا كما يقول
الرجل لصاحبه إن أعطيتني شيئا فخذه وهو يعلم أنه لم يعطه شيئا ولكنه يريد البت لتعليقه الأخذ بما لم
يكن والثاني أن يريد بالأجر ما أراد في قوله تعالى قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا

وفي قوله تعالى لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى لأن اتخاذ السبيل إلى الله نصيبهم وما فيه نفعهم وكذلك
المودة في القرابة لأن القرابة قد انتظمته وإياهم ﴿على كل شيء شهيد﴾ حفيظ مهيمن يعلم أني لا أطلب الأجر
على نصيحتكم ودعائكم إليه إلا منه ولا أطمع منكم في شيء ﴿ القذف والرمي تزجية السهم ونحوه بدفع واعتماد
ويستعاران من حقيقتهما لمعنى الإلقاء ومنه قوله جل وعلا ﴿وقذف في قلوبهم الرعب﴾ ﴿أن اقذفيه
في التابوت﴾ ومعنى يقذف بالحق يلقيه وينزله إلى أنبيائه أو يرمي به الباطل فيدمغه ويزهقه ﴿علام
الغيوب﴾ رفع محمول على محل إن واسمها أو على المستكن في يقذف بالحق يلقيه وينزله إلى أنبيائه أو هو خبر
مبتدإ محذوف وقرئ بالنصب صفة لربي أو على المدح وقرئ الغيوب بالحركات الثلاث فالغيوب
كالبيوت والغيوب كالصبور وهو الأمر الذي غاب وخفي جدا ﴿قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد﴾
والحي إما أن يبدئ فعلا أو يعيده فإذا هلك لم يبق له إبداء ولا إعادة فجعلوا قولهم لا يبدئ ولا يعيد
مثلا في الهلاك ومنه قول عبيد

أقفر من أهله عبيد ... فاليوم لا يبدي ولا يعيد

والمعنى جاء الحق وهلك الباطل كقوله تعالى جاء الحق وزهق الباطل وعن ابن مسعود رضي الله عنه
دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود نبعة ويقول
جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد والحق القرآن
وقيل الإسلام وقيل السيف وقيل الباطل إبليس أي ما ينشئ خلقا ولا يعيده المنشئ والباعث
هو الله وعن الحسن رحمة الله عليه لا يبدئ لأهله خيرا ولا يعيده أي لا ينفعهم في الدنيا والآخرة وقال
الزجاج أي شيء ينشئ إبليس ويعيده فجعله للاستفهام وقيل للشيطان الباطل لأنه صاحب الباطل
أو لأنه هالك كما قيل له الشيطان من شاط إذا هلك ﴿قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت
فبما يوحي إلي ربي إنه سميع قريب﴾ وقرئ ضللت أضل بفتح العين لسو هاج فتحها وهما لغتان
نحو ضللت أضل وظللت أظل وقرئ إضل بكسر الهمزة مع فتح العين فإن قلت أين
التقابل بين قوله فإنما أضل على نفسي وقوله تعالى فبما يوحي إلي ربي وإنما كان يستقيم أن يقال
فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فإنما أهتدي لها كقوله جل وعلا من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها
فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها أو يقال فإنما أضل بنفسي قلت هما متقابلان من جهة
المعنى لأن النفس كل ما عليها فهو بها أعني أن كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بها وبسببها لأنها الأمارة
بالسوء وما لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه وهذا حكم عام لكل مكلف وإنما أمر رسوله أن يسنده إلى
نفسه لأن الرسول إذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره أولى به ﴿إنه سميع﴾ قريب
يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله لا يخفى عليه منهما شيء ﴿ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا
من مكان قريب﴾ ولو ترى جوابه محذوف يعني لرأيت أمرا عظيما وحالا هائلة ولو وإذ والأفعال
التي هي فزعوا وأخذوا وحيل بينهم كلها للمضي والمراد بها الاستقبال لأن ما الله فاعله في المستقبل بمنزلة
ما قد كان ووجد لتحققه ووقت الفزع وقت البعث وقيام الساعة وقيل الموت وقيل يوم بدر
وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في خسف البيداء وذلك أن ثمانين ألفا يغزون الكعبة ليخربوها فإذا دخلوا

البيداء

البيداء خسف بهم. فلا فوت فلا يفوتون الله ولا يسبقونه. وقرئ فلا فوتُ والأخذُ. من مكان قريب من
الموقف إلى النار إذا بعثوا أو من ظهر الأرض إلى بطنها إذا ماتوا أو من صحراء بدر إلى القليب. أو من تحت أقدا
إذا خسف بهم. فإن قلت علام عطف قوله وأخذوا. قلت فيه وجهان أحدهما العطف على فزعوا
وأخذوا فلا فوت لهم أو على لا فوت على معنى إذ فزعوا فلم يفوتوا وأخذوا. وقرئ وأخذٌ وهو معطوف
على محل لا فوت هنالك وهنالك أخذ. وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد آمنا بمحمد صلى الله
عليه وسلم لمرور ذكره في قوله ما بصاحبكم من جنة. والتناول والتناوش أخوان إلا أن التناوش تناول سهل
لشيء قريب. يقال ناشه ينوشه وتناوشه القوم. ويقال تناوشوا في الحرب ناش بعضهم بعضا. وهذا تمثيل
لطلبهم ما لا يكون وهو أن ينفعهم إيمانهم في ذلك الوقت كما ينفع المؤمنين إيمانهم في الدنيا مثلت حالهم
بحال من يريد أن يتناول الشيء من غلوة كما يتناوله الآخر من قيس ذراع تناولا سهلا لا تعب فيه. وقرئ
التناؤش بهمزة الواو المضمومة كما همزت في أجوه وأدور. وعن أبي عمرو التناؤش الهمز التناول من بعد
من قولهم نأشت إذا أبطأت وتأخرت. ومنه البيت.

. تمنى نئيشا أن يكون أطاعني . أي أخيرا . وقد كفروا به من قبل ويقذفون
بالغيب من مكان بعيد ويقذفون معطوف على حكاية الحال الماضية يعني وكانوا يتكلمون بالغيب. ويأتون
به من مكان بعيد. وهو قولهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم. شاعر. ساحر. كذاب. وهذا تكلم.
تكلم بالغيب. والأمر الخفي لأنهم لم يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا. وقد أتوا بهذا الغيب
من جهة بعيدة من حاله لأن أبعد شيء مما جاء به الشعر والسحر. وأبعد شيء من عادته. التي عرفت بينهم.
وجربت الكذب والزور. وقرئ ويقذفون بالغيب على البناء للمفعول. أي يأتيهم به شياطينهم ويلقنونهم
إياه. وإن شئت فعلقه بقوله. وقالوا آمنا به على أنه مثلهم في طلبهم تحصيل ما عطلوه من الإيمان
في الدنيا بقولهم آمنا في الآخرة. وذلك مطلب مستبعد ممن يقذف شيئا من مكان بعيد لا مجال للظن
في لحوقه حيث يريد أن يقع فيه لكونه غائبا عنه شاحطا. والغيب الشيء الغائب. ويجوز أن يكون الضمير
للعذاب الشديد في قوله تعالى. بين يدي عذاب شديد. وكانوا يقولون. وما نحن بمعذبين. إن كان الأمر
كما تصفون من قيام الساعة والعقاب. والثواب. ونحن أكرم على الله من أن يعذبنا قايسين أمر الآخرة
على أمر الدنيا فهذا كان قذفهم بالغيب. وهو غيب ومقذوف به من جهة بعيدة لأن دار الجزاء
لا تنقاس على دار التكليف وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنهم كانوا
في شك مريب ما يشتهون من نفع الإيمان يومئذ والنجاة به من النار والفوز بالجنة. أو من الرد
إلى الدنيا كما حكي عنهم ارجعنا نعمل صالحا. بأشياعهم. بأشباههم من كفرة الأمم ومن كان مذهبه
مذهبهم. مريب إما من أرابه إذا أوقعه في الريبة والتهمة. أو من أراب الرجل إذا صار ذا ريبة
ودخل فيها وكلاهما مجاز إلا أن بينهما فريقا. وهو أن المريب من الأول منقول ممن يصح أن يكون
مريبا. من الأعيان إلى المعنى والمريب من الثاني منقول من صاحب الشك إلى الشك كما تقول
شعر شاعر. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سبأ لم يبق رسول ولا نبي إلا كان له يوم القيامة.
رفيقا ومصافحا. والله سبحانه . وتعالى . أعلم بالصواب . ٥

سورة فاطر مكية | بسم الله الرحمن الرحيم | وهي خمس وأربعون

الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلث وربع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير • فاطر السموات مبتدئها ومبتدعها • وعن مجاهد • وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما كنت أدري ما فاطر السموات والأرض حتى اختصم إليّ أعرابيان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها • أي ابتدأتها وقرئ • الذي فطر السموات والأرض وجعل الملائكة • وقرئ جاعل الملائكة بالرفع على المدح • رسلاً بضم السين وسكونه • أولي أجنحة • وأولو اسم جمع لذو كما أن أولاء اسم جمع لذا ونظيرهما في المتمكنة المخاض والخلفة • مثنى وثلاث ورباع • صفات لأجنحة وإنما لم تنصرف لتكرر العدل فيها • وذلك أنها عدلت عن ألفاظ الأعداد عن صيغ إلى صيغ أخر كما عدل عمر عن عامر وحذام عن حاذمة • وعن تكرير إلى غير تكرير • وأما الوصفية فلا يفترق الحال فيها بين المعدولة والمعدول عنها • ألا تراك تقول مررت بنسوة أربع وبرجال ثلاثة • فلا يعرج عليها • والمعنى أن من الملائكة خلقاً أجنحتهم اثنان اثنان • أي لكل واحد منهم جناحان وخلقاً أجنحتهم ثلاثة ثلاثة • وخلقاً أجنحتهم أربعة أربعة • يزيد في الخلق ما يشاء • أي في خلق الأجنحة وغيره ما تقتضيه مشيئته وحكمته • والأصل الجناحان لأنهما بمنزلة اليدين ثم الثالث والرابع زيادة على الأصل وذلك أقوى للطيران وأعون عليه • فإن قلت قياس الشفع من الأجنحة أن يكون في كل شق نصفه فما صورة الثلاثة • قلت لعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بقوة ولعله لغير الطيران فقد مر بي في بعض الكتب أن صنفاً من الملائكة لهم ستة أجنحة فجناحان يلفون بهما أجسادهم وجناحان يطيرون بهما في الأمر من أمور الله وجناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى جبريل عليه الصلاة والسلام ليلة المعراج له ستمائة جناح وروي أنه سأل جبريل عليه الصلاة والسلام أن يتراءى له في صورته فقال إنك لن تطيق ذلك فقال إني أحب أن تفعل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مقمرة فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام في صورته فغشي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم أفاق وجبريل مسنده وإحدى يديه على صدره والأخرى بين كتفيه • فقال سبحان الله ما كنت أرى أن شيئاً من الخلق هكذا فقال جبريل فكيف لو رأيت إسرافيل له اثنا عشر جناحاً جناح منها بالمشرق • وجناح بالمغرب وإن العرش على كاهله وإنه ليتضاءل الأحايين لعظمة الله حتى يصير مثل الوصع مثل العصفور الصغير • وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء • هو الوجه الحسن • والصوت الحسن • والشعر الحسن • وقيل الخط الحسن • وعن قتادة الملاحة في العينين والآية مطلقة • تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامة واعتدال صورة وتمام الأعضاء • وقوة في البطش وحصافة في العقل • وجزالة في الرأي وجرأة في القلب • وسماحة في النفس • وذلاقة في اللسان • ولباقة في التكلم • وحسن تأت في مزاولة الأمور • وما أشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم استعير الفتح للإطلاق والإرسال ألا ترى إلى قوله فلا مرسل له من بعده مكان

لا فاتح

لا فاتح له يعني أي شيء يطلق الله من رحمة أي من نعمة رزق أو مطر أو صحة أو أمن أو غير ذلك من صنوف نعمائه التي
لا يحاط بعددها. وتنكير الرحمة للإشاعة والإبهام كأنه قال من أي رحمة كانت سماوية أو أرضية فلا أحد
يقدر على إمساكها وحبسها وأي شيء يمسك الله فلا أحد يقدر على إطلاقه فإن قلت لم أنث الضمير
أولا ثم ذكره وهو راجع في الحالين إلى الاسم المتضمن معنى الشرط قلت هما لغتان الحمل على المعنى
وعلى اللفظ والمتكلم على الخيرة فيهما فأنث على معنى الرحمة وذكر على أن لفظ المرجوع إليه لا تأنيث فيه ولأن
الأول فسر بالرحمة فحسن اتباع الضمير التفسير ولم يفسر الثاني فترك على أصل التذكير. وقرئ فلا مرسل
لها فإن قلت لا بد للثاني من تفسير فما تفسيره قلت يحتمل أن يكون مفسره مثل تفسير الأول
ولكنه ترك لدلالة الأول عليه وأن يكون مطلقا في كل ما يمسكه من غضبه ورحمته وإنما فسر الأول دون الثاني
للدلالة على أن رحمته سبقت غضبه فإن قلت فما تقول فيمن فسر الرحمة بالتوبة وعزاه إلى ابن عباس رضي
الله عنهما قلت إن أراد بالتوبة الهداية لها والتوفيق فيها وهو الذي أراده ابن عباس رضي الله
عنه إن قاله فمقبول. وإن أراد أنه إن شاء أن يتوب العاصي تاب وإن لم يشأ لم يتب فمردود
لأن الله تعالى يشاء التوبة أبدا ولا يجوز عليه أن لا يشاءها من بعده من بعد إمساكه كقوله جل وعلا
فمن يهديه من بعد الله فبأي حديث بعد الله أي من بعد هدايته وبعد آياته وهو العزيز الغالب
القادر على الإرسال والإمساك و الحكيم الذي يرسل ويمسك ما تقتضي الحكمة إرساله وإمساكه يا أيها الناس
اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون
ليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط ولكن به وبالقلب وحفظها من الكفران والغمط وشكرها بمعرفة
حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ومنه قول الرجل لمن أنعم الله عليه اذكر أيادي عندك يريد
حفظها وشكرها والعمل على موجبها والخطاب عام للجميع لأن جميعهم مغمورون في نعمة الله وعن ابن عباس
رضي الله عنهما يريد أهل مكة اذكروا نعمة الله عليكم حيث أسكنكم حرمه ومنعكم من جميع العالم والناس
يتخطفون من حولكم وعنه نعمة الله العافية وقرئ غير الله بالحركات الثلاث فالجر والرفع على
الوصف لفظا ومحلا والنصب على الاستثناء فإن قلت ما محل يرزقكم قلت يحتمل أن يكون
له محل إذا أوقعته صفة لخالق وأن لا يكون له محل إذا رفعت محل من خالق بإضمار يرزقكم تفسيرا
له أو جعلته كلاما مبتدأ بعد قوله تعالى هل من خالق غير الله فإن قلت هل فيه دليل على أن
الخالق لا يطلق على غير الله تعالى قلت نعم إن جعلت يرزقكم كلاما مبتدأ وهو الوجه الثالث من
الأوجه الثلاثة وأما على الوجهين الآخرين وهما الوصف والتفسير فقد تقيد فيهما بالرزق من السماء
والأرض وخرج من الإطلاق فكيف يستشهد به على اختصاصه بالإطلاق والرزق من السماء المطر
ومن الأرض النبات لا إله إلا هو جملة مفصولة لا محل لها مثل يرزقكم في الوجه الثالث ولو وصلتها
كما وصلت يرزقكم لم يساعد عليه المعنى لأن قولك هل من خالق آخر سوى الله لا إله إلا هو ذلك الخالق
غير مستقيم لأن قولك هل من خالق سوى الله إثبات لله فلو ذهبت تقول ذلك كنت مناقضا بالنفي
بعد الإثبات فأنى تؤفكون فمن أي وجه تصرفون عن التوحيد إلى الشرك وإن يكذبوك
فقد كذبت رسل من قبلك وإلى الله ترجع الأمور نعى به على قريش سوء تلقيهم لآيات الله وتكذيبهم

بها وسلّى رسوله بان له في الانبياء قبله اسوة حسنة ثم جاء بما يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الامور الى حكمه ومجازاة
المكذِّب والمكذَّب بما يستحقانه • وقرئ تَرجع الامور بضم التاء وفتحها فان قلت ما وجه صحة جزاء
الشرط ومن حق الجزاء ان يتعقب الشرط وهذا سابق له قلت معناه وان يكذبوك فتأس بتكذيب
الرسل من قبلك • فوضع فقد كذبت رسل من قبلك موضع فتأس استغناء بالسبب عن المسبب اعني بالتكذيب عن
التأسي فان قلت ما معنى التنكير في رسل قلت معناه فقد كذبت رسل اي رسل ذوو عدد
كثير واولوا آيات ونذر واهل اعمار طوال واصحاب صبر وعزم وما اشبه ذلك وهذا اسلى له واحث
على المصابرة يا ايها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وعد الله
الجزاء بالثواب والعقاب • فلا تغرنكم الحياة فلا تخدعنكم الدنيا ولا يذهلنكم التمتع بها والتلذذ بمنافعها
عن العمل للآخرة • وطلب ما عند الله و ولا يغرنكم بالله الغرور لا يقولن لكم اعملوا ما شئتم فان الله
غفور يغفر كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة • والغرور الشيطان لان ذلك ديدنه وقرئ بالضم وهو
مصدر غرّه كاللزوم والنهوك • او جمع غار كقاعد وقعود ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما
يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير اخبرنا الله عز وجل ان الشيطان لنا عدو مبين واقتص علينا قصته
وما فعل بابينا آدم وكيف انتدب لعداوة جنسنا من قبل وجوده وبعده ونحن على ذلك نتولاه ونطيعه
فيما يريد منا مما فيه هلاكنا فوعظنا عز وجل بانه كما علمتم عدوكم الذي لا عدو اعرف في العداوة منه
وانتم تعاملونه معاملة من لا علم له بحاله ف فاتخذوه عدوا • في عقائدكم وافعالكم • ولا يوجدن منكم الا
ما يدل على معاداته ومناصبته في سركم وجهركم ثم لخص سر امره وخطاء من اتبعه بان غرضه الذي يؤمه
في دعوة شيعته ومتبعي خطواته هو ان يوردهم مورد الشقوة والهلاك وان يكونوا من اصحاب السعير
الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير
ثم كشف الغطاء وقشر اللحاء ليقطع الاطماع الفارغة والاماني الكاذبة فبنى الامر كله على الايمان
والعمل وتركهما افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون لما ذكر الفريقين الذين الذين كفروا والذين آمنوا
قال لنبيه افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا • يعني افمن زين له سوء عمله من هذين الفريقين كمن لم
يزين له فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا فقال • فان الله يضل من يشاء • ويهدي من يشاء • فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات ومعنى التزيين العمل والاضلال واحد وهو ان يكون العاصي على صفة لا تجدي عليه المصالح
حتى يستوجب بذلك خذلان الله تعالى اياه وتخليته وشأنه فعند ذلك يهيم في الضلال ويطلق امر النهي ويعتنق
طاعة الهوى • حتى يرجع القبيح حسنا والحسن قبيحا كانما غلب على عقله وسلب تمييزه • ويقعد تحت قول
ابي نواس • اسقني حتى تراني حسنا عندي القبيح • واذا خذل الله المصممين على الكفر وخلاهم وشأنهم
فان على الرسول ان لا يهتم بامرهم • ولا يلقي بالا الى ذكرهم ولا يتحسر عليهم اقتداء بسنة الله في خذلانهم وتخليتهم
وذكر الزجاج ان المعنى افمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب
نفسك عليه و او افمن زين له سوء عمله كمن هداه الله فحذف لدلالة فان الله يضل من يشاء ويهدي من
يشاء عليه حسرات مفعول له يعني فلا تهلك نفسك للحسرات وعليهم صلة تذهب كما تقول هلك عليه حبا

ومات

وماتت عليه حزنًا أو هو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز أن يتعلق بحسرات لأن المصدر لا يتقدم عليه صلته ويجوز أن يكون حالًا كأن
كلها صارت حسرات لفرط التحسر كما قال جرير

مشق الهواجر لحمهن مع السرى • حتى ذهبن كلاكلًا وصدورا •

يريد رجعن كلاكلًا وصدورًا أي لم يبق إلا كلاكلها وصدورها • ومنه قوله

فعلى أثرهم تساقط نفسي • حسرات وذكرهم لي سقام •

وقرئ فلا تذهب نفسك إن الله عليم بما يصنعون وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم **والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابًا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور**
وقرئ أرسل الريح فإن قلت لم جاء فتثير على المضارع دون ما قبله وما بعده قلت
ليحكي الحال التي تقع فيها إثارة الرياح السحاب وتستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية
وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب أو تهم المخاطب أو غير ذلك كما قال

بأني قد لقيت الغول تهوي • بسهب كالصحيفة صحصحان •

فأضربها بلا دهش فخرت • صريعًا لليدين وللجران •

لأنه قصد أن يصور لقومه الحالة التي تشجع فيها بزعمه على ضرب الغول كأنه يبصرهم إياها ويطلعهم على
كنهها مشاهدة للتعجب من جراءته على كل هول وثباته عند كل شدة وكذلك سوق السحاب إلى البلد
الميت وإحياء الأرض بالمطر بعد موتها لما كانا من الدلائل على القدرة الباهرة قيل فسقناه وأحيينا معدولًا
بهما عن لفظ الغيبة إلى ما هو أدخل في الاختصاص وأدل عليه والكاف في كذلك في محل الرفع أي مثل
إحياء الموات نشور الأموات وروي أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحيي الله الموتى
وما آية ذلك في خلقه فقال صلى الله عليه وسلم هل مررت بوادي أهلك محلًا ثم مررت به يهتز خضرًا قال
نعم قال فكذلك يحيي الله الموتى وتلك آيته في خلقه وقيل يحيي الله الموتى بماء يرسله من تحت العرش
كمني الرجال تنبت منه أجساد الخلق **من كان يريد العزة فلله العزة جميعًا إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور**
كان الكافرون يتعززون بالأصنام كما قال الله سبحانه وتعالى واتخذوا من دون الله آلهة
ليكونوا لهم عزًا والذين آمنوا بألسنتهم من غير مواطأة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال الذين يتخذون
الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعًا فبين أن لا عزة إلا لله ولأوليائه
وقال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين والمعنى فليطلبها عند الله فوضع قوله تعالى فلله العزة جميعًا
موضعه استغناء به عنه لدلالته عليه لأن الشيء لا يطلب إلا عند صاحبه ومالكه ونظيره قولك من أراد النصيحة
فهي عند الأبرار يريد فليطلبها عندهم إلا أنك أقمت ما يدل عليه مقامه ومعنى فلله العزة جميعًا أن العزة
جميعًا أن العزة كلها مختصة بالله عزة الدنيا وعزة الآخرة ثم عرف أن ما تطلب به العزة هو الإيمان
والعمل الصالح بقوله تعالى إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والكلم الطيب لا إله إلا الله
عن ابن عباس رضي الله عنهما يعني أن هذه الكلم لا تقبل ولا تصعد إلى السماء فتكتب حيث تكتب الأعمال
المقبولة كما قال الله عز وجل إن كتاب الأبرار لفي عليين إلا إذا اقترن بها العمل الصالح الذي يحققها

ويصعد فيها فرعها. وقيل الرافع الكلم والمرفوع العمل لأنه لا يقبل عمل إلا من موحد. وقيل الرافع هو الله والمرفوع العمل. وقيل الكلم الطيب كل ذكر من تكبير وتسبيح وتهليل وقراءة قرآن ودعاء واستغفار وغير ذلك. وعن النبي صلى الله عليه وسلم هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر إذا قالها العبد عرج بها الملك إلى السماء فحيا بها وجه الرحمن فإذا لم يكن عمل صالح لم يقبل منه. وفي الحديث لا يقبل الله قولا إلا بعمل ولا عملا إلا بنية ولا يقبل قولا وعملا ونية إلا بإصابة السنة. وعن ابن المقفع قول بلا عمل كثريد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر. وقرئ إليه يُصعَد الكلم الطيب على البناء للمفعول وإليه يُصعِد الكلم الطيب على تسمية الفاعل من أصعد والمصعد هو الرجل أي يصعد إلى الله عز وجل الكلم الطيب. وإليه يصعد الكلام الطيب. وقرئ والعمل الصالح يرفعه بنصب العمل والرافع الكلم أو الله عز وجل. فإن قلت مكر فعل غير متعد لا يقال مكر فلانا فعلام نصب السيئات قلت هذه صفة للمصدر أو لما في حكمه كقوله تعالى ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله أصله والذين مكروا المكرات أو أصناف المكر السيئات. وعني بهن مكرات قريش حين اجتمعوا في دار الندوة وتداوروا الرأي في إحدى ثلاث مكرات يمكرونها برسول الله صلى الله عليه وسلم إما إثباته أو قتله أو إخراجه كما حكى الله سبحانه وتعالى عنهم وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك. ومكر أولئك هو يبور يعني ومكر أولئك الذين مكروا تلك المكرات الثلاث خاصة يبور أي يكسد ويفسد دون مكر الله بهم حين أخرجهم من مكة وقتلهم وأثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعا وحقق فيهم قوله تعالى ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله. والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير. أزواجا أصنافا ذكرانا وإناثا كقوله تعالى أو يزوجهم ذكرانا وإناثا. وعن قتادة زوج بعضكم بعضا. بعلمه في موضع الحال أي إلا معلومة له. فإن قلت ما معنى قوله تعالى وما يعمر من معمر قلت معناه وما يعمر من أحد وإنما سماه معمرا بما هو صائر إليه. فإن قلت الإنسان إما معمر أي طويل العمر أو منقوص العمر أي قصيره فأما أن يتعاقب عليه التعمير وخلافه فمحال فكيف صح قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره قلت هذا من الكلام المتسامح فيه ثقة في تأويله بأفهام السامعين واتكالا على تسديدهم معناه بعقولهم وأنه لا يلتبس عليهم إحالة الطول والقصر في عمر واحد وعليه كلام الناس المستفيض يقولون لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه إلا بحق وما تنعمت بلدا ولا اجتويته إلا قل فيه ثوائي. وفيه تأويل آخر وهو أنه لا يطول عمر إنسان ولا يقصر إلا في كتاب. وصورته أن يكتب في اللوح إن حج فلان أو غزا فعمره أربعون سنة وإن حج وغزا فعمره ستون سنة فإذا جمع بينهما فبلغ الستين فقد عمر وإذا أفرد أحدهما فلم يتجاوز به الأربعين فقد نقص من عمره الذي هو الغاية وهو الستون وإليه أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله إن الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الأعمار. وعن كعب أنه قال حين طعن عمر رضي الله عنه لو أن عمر دعا الله لأخر في أجله فقيل لكعب أليس قد قال الله عز وجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قال فقد قال الله تعالى وما يعمر من معمر. وقد استفاض على الألسنة أطال الله بقاءك وفسح في مدتك وما أشبهه. وعن سعيد بن جبير يكتب في الصحيفة

عمره كذا وكذا ثم يكتب في اسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان حتى يأتي على آخره • وعن قتادة المعمر من بلغ ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة • والكتاب اللوح • وعن ابن عباس رضي الله عنهما ويجوز ان يراد كتاب الله علم الله او صحيفة الانسان • ولا ينقص من عمره على تسمية الفاعل من عمره بالتخفيف **وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون** ضرب البحر العذب والمالح مثلين للمؤمن والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد في صفة البحرين • وما علق بهما من نعمته وعطائه • ومن كل اي ومن كل واحد منهما • تأكلون لحما طريا • وهو السمك • وتستخرجون حلية • وهي اللؤلؤ والمرجان • وترى الفلك فيه مواخر • شواق للماء بجريها يقال مخرت السفينة الماء • ويقال للسحاب بنات مخر لأنها تمخر الهواء • والسفن التي اشتقت منه السفينة قريب من المخر لانها تسفن الماء كأنها تقشره كما تمخره • من فضله • من فضل الله ولم يجر له ذكر في الآية ولكن فيما قبلها ولو لم يجر لم يشكل لدلالة المعنى عليه وحرف الرجاء مستعار لمعنى الارادة الا ترى كيف سلك به مسلك لام التعليل كأنما قيل لتبتغوا ولتشكروا • والفرات الذي يكسر العطش • والسائغ المريء السهل الانحدار لعذوبته • وقرئ سيغ بوزن سيد • وسيغ بالتخفيف • وملح على فعل • والاجاج الذي يحرق بملوحته • ويحتمل غير طريقة الاستطراد وهو ان يشبه الجنسين بالبحرين ثم يفضل البحر الاجاج على الكافر بانه قد شارك العذب في منافع من السمك واللؤلؤ وجري الفلك فيه • والكافر خلو من النفع فهو في طريقة **قوله عز وجل** ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة • ثم قال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله **يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير** ذلكم مبتدأ • والله ربكم له الملك اخبار مترادفة • او والله ربكم خبران وله الملك جملة مبتدأة واقعة في قران قوله تعالى والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير • ويجوز في حكم الاعراب ايقاع اسم الله صفة لاسم الاشارة او عطف بيان • وربكم خبرا • لولا ان المعنى يأباه • والقطمير لفافة النواة • وهي القشرة الرقيقة الملتفة عليها **ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير** ان تدعوا الاوثان لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد • ولو سمعوا على سبيل الفرض والتمثيل لما استجابوا لكم لانهم لا يدعون ما تدعون لهم من الالهية • ويتبرؤن منها • وقيل ما نفعوكم • يكفرون بشرككم باشراككم لهم وعبادتكم اياهم يقولون ما كنتم ايانا تعبدون • ولا ينبئك مثل خبير • ولا يخبرك بالامر مخبر هو مثل خبير عالم به يريد ان الخبير بالامر وحده هو الذي يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به • والمعنى ان هذا الذي اخبرتكم به من حال الاوثان هو الحق لاني خبير بما اخبرت به • وقرئ تدعون بالياء والتاء **يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد** **فان قلت** لم عرف الفقراء **قلت** قصد بذلك ان يريهم انهم لشدة افتقارهم اليه هم جنس الفقراء • وان كانت الخلائق كلهم مفتقرين اليه من الناس وغيرهم لان الفقر مما يتبع الضعف وكلما كان الفقير اضعف كان افقر وقد شهد الله سبحانه وتعالى على الانسان في قوله وخلق الانسان ضعيفا • وقال الله سبحانه وتعالى الله الذي خلقكم من ضعف • ولو نكر لكان المعنى انتم بعض الفقراء

فإن قلت قد قوبل الفقراء بالغني فما فائدة الحميد قلت لما اثبت فقرهم اليه وغناه عنهم وليس كل غني نافعا
بغناه الا اذا كان الغني جوادا منعما واذا جاد وانعم حمده المنعم عليهم واستحق عليهم الحمد ذكر الحميد ليدل به على انه
الغني النافع بغناه خلقه الجواد المنعم عليهم المستحق بانعامه عليهم ان يحمدوه الحميد على السنة مؤمنيهم
إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز بممتنع وهذا غضب عليهم لاتخاذهم
له اندادا وكفرهم باياته ومعاصيهم كما قال سبحانه وتعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم وعن ابن عباس رضي
الله عنهما يخلق بعدكم من يعبده لا يشرك به شيئا ولا تزر وازرة وزر أخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها
لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلوة
ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير الوزر والوقر اخوان ووزر الشيء اذا حمله والوازرة
صفة للنفس والمعنى ان كل نفس يوم القيمة لا تحمل الا وزرها الذي اقترفته لا تؤخذ نفس بذنب نفس كما
تأخذ جبابرة الدنيا الولي بالولي والجار بالجار فإن قلت هلا قيل ولا تزر نفس وزر اخرى
ولم قيل وازرة قلت لان المعنى ان النفوس الوازرة لا ترى منهن واحدة الا حاملة وزرها لا وزر
غيرها فإن قلت كيف توفق بين هذا وبين قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم قلت
تلك الاية في الضالين المضلين وانهم يحملون اثقال اضلال الناس مع اثقال ضلالهم وذلك كله اوزارهم
ما فيها شيء من وزر غيرهم الا ترى كيف كذبهم الله تعالى في قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم
بقوله تعالى وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء فإن قلت ما الفرق بين معنى قوله
ولا تزر وازرة وزر اخرى ومعنى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء قلت الاول في
الدلالة على عدل الله تعالى في حكمه وانه تعالى لا يؤاخذ نفسا بغير ذنبها والثاني في ان لا غياث يومئذ لمن استغاث
حتى ان نفسا قد اثقلتها الاوزار وبهظتها لو دعت الى ان يخفف بعض وقرها لم تجب ولم تغث وان
كان المدعو بعض قرابتها من اب او ولد او اخ فإن قلت الام اسند كان في ولو كان ذا قربى
قلت الى المدعو المفهوم من قوله تعالى وان تدع مثقلة فإن قلت فلم ترك ذكر المدعو
قلت ليعم ويشمل كل مدعو فإن قلت كيف استقام اضمار العام ولا يصح ان يكون العام
ذا قربى للمثقلة قلت هو من العموم الكائن على طريق البدل فإن قلت ما تقول فيمن
قرأ ولو كان ذو قربى على كان التامة كقوله تعالى وان كان ذو عسرة قلت نظم الكلام
احسن ملاءمة للناقصة لان المعنى على ان المثقلة ان دعت احدا الى حملها لا يحمل منه شيء وان
كان مدعوها ذا قربى وهو معنى صحيح ملتئم ولو قلت ولو وجد ذو قربى لتفكك وخرج من
اتساقه والتئامه على ان ههنا ما ساغ ان يستتر له ضمير في الفعل بخلاف ما اوردته بالغيب حال من
الفاعل او المفعول اي يخشون ربهم غائبين عن عذابه او يخشون عذابه غائبا عنهم وقيل بالغيب في السر وهذه
صفة الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصحابه فكانت عادتهم مستمرة ان يخشوا الله وهم الذين
اقاموا الصلاة وتركوها منارا منصوبا وعلما مرفوعا يعني انما تقدر على انذار هؤلاء وتحذيرهم
من قومك على تحصيل منفعة الانذار فيهم دون متمرديهم واهل عنادهم ومن تزكى ومن تطهر
بفعل الطاعات وترك المعاصي وقرئ ومن ازكى فانما يزكي وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم

الصلاة

لانهما من جملة التزكي ف وإلى الله المصير. وعد للمتزكين بالثواب فإن قلت كيف اتصل قوله تعالى إنما تنذر
بما قبله قلت لما غضب الله عليهم في قوله تعالى ف إن يشأ يذهبكم. أتبعه الإنذار بيوم القيامة
وذكر أهوالها. ثم قال إنما تنذر كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسمعهم ذلك فلم ينفعهم فنزل
إنما تنذر أو أخبره الله تعالى بعلمه فيهم وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل
ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور إن
أنت إلا نذير الأعمى والبصير مثل للكافر والمؤمن كما ضرب البحرين مثلا لهما أو للصنم ولله
عز وجل ف والظلمات والنور والظل والحرور مثلان للحق والباطل. وما يؤديان إليه من الثواب
والعقاب. والأحياء والأموات. مثل للذين دخلوا في الإسلام والذين لم يدخلوا فيه. وأصروا على
الكفر. والحرور السموم. إلا أن السموم تكون بالنهار والحرور بالليل والنهار. وقيل بالليل. فإن
قلت لا المقرونة بواو العطف ما هي قلت إذا وقعت الواو في النفي قرنت بها لتأكيد النفي
فإن قلت هل من فرق بين هذه الواوات قلت بعضها ضمت شفعا إلى شفع وبعضها
وترا إلى وتر ف إن الله يسمع من يشاء يعني أنه قد علم من يدخل في الإسلام ممن لا يدخل فيه
فيهدي الذي قد علم أن الهداية قد تنفع فيه ف وما أنت تخفى عليك أمرهم فلذلك تحرص وتتهالك
على إسلام قوم من المخذولين. ومثلك في ذلك مثل من يريد أن يسمع المقبورين وينذر وذلك وما
لا سبيل إليه. ثم قال إن أنت إلا نذير أي ما عليك إلا أن تبلغ وتنذر فإن كان المنذر ممن يسمع الإنذار
نفع. وإن كان من المصرين فلا عليك ويحتمل إن الله يسمع من يشاء. أنه قادر أن يهدي المطبوع على
قلوبهم على وجه القسر والإلجاء وغيرهم على وجه الهداية والتوفيق. وأما أنت فلا حيلة لك في المطبوع
على قلوبهم الذين هم بمنزلة الموتى إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وإن من أمة إلا خلا فيها نذير
بالحق حال من أحد الضميرين يعني محقا أو محقين أو صفة للمصدر أي إرسالا مصحوبا بالحق أو صلة
لبشير ونذير على بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق والأمة الجماعة الكثيرة قال الله تعالى
وجد عليه أمة من الناس ويقال لكل أهل عصر أمة ف وفي حدود المتكلمين الأمة هم المصدقون
بالرسول دون المبعوث إليهم وهم الذين يعتبر إجماعهم. والمراد ههنا أهل العصر فإن قلت
كم من أمة في الفترة. بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم ولم يخل فيها نذير قلت إذا كانت آثار النذارة
باقية لم تخل من نذير إلى أن تندرس وحين اندرست آثار نذارة عيسى بعث الله محمدا صلى الله
عليه وسلم فإن قلت كيف اكتفى بذكر النذير عن البشير في آخر الآية بعد ذكرهما قلت
لما كانت النذارة مشفوعة بالبشارة لا محالة دل ذكرها على ذكرها لا سيما وقد اشتملت الآية على ذكرهما
وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب
المنير ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير بالبينات بالشواهد على صحة النبوة وهي المعجزات
وبالزبر وبالصحف ف وبالكتاب المنير نحو التوراة والإنجيل والزبور. لما كانت هذه الأشياء في جنسهم
أسند المجيء بها إليهم إسنادا مطلقا وإن كان بعضها في جميعهم. وهي البينات وبعضها في بعضهم وهي الزبر والكتاب
وفيه مسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات

مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام
مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور • ألوانها أجناسها من الرمان
والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر أو هيئاتها من الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها
والجدد • الخطط والطرائق • قال لبيد • أو مذهب جدد على ألواحه •
ويقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره • وقد يكون للظبي جدتان مسكيتان تفصلان
بين لوني ظهره وبطنه • وغرابيب معطوف على بيض أو على جدد كأنه قيل ومن الجبال
مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد • غرابيب • وعن عكرمة هي الجبال الطوال
السود فإن قلت الغرابيب تأكيد للأسود • يقال أسود غربيب وأسود حلكوك • وهو الذي
أبعد في السواد • وأغرب فيه ومنه الغراب • ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد كقولك • أصفر فاقع
وأبيض يقق • وما أشبه ذلك قلت وجهه أن يضمر المؤكد قبله ويكون الذي بعده
تفسيرا لما أضمر كقول • النابغة ٣ • يمسحها ركبان مكة بين الغيل والسند •
٢ والمؤمن العائذات الطير • وإنما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد
من طريقي الإظهار والإضمار جميعا • ولا بد من تقدير حذف المضاف في قوله تعالى ومن الجبال
جدد بمعنى ومن الجبال ذو جدد بيض • وحمر وسود • حتى يؤول إلى قولك • ومن الجبال مختلف
ألوانه كما قال عز وجل ثمرات مختلفا ألوانها ومن الناس والدواب والأنعام مختلف
ألوانه يعني ومنهم بعض مختلف ألوانه • وقرئ ألوانها • وقرأ الزهري جدد بالضم جمع جديدة
وهي الجدة يقال جديدة • وجدد • وجدائد كسفينة وسفن وسفائن وقد فسر بها قول
أبي ذؤيب • يصف حمار وحش • جون السراة له جدائد أربع • وروي
عنه جدد بفتحتين • وهو الطريق • الواضح • المسفر موضع الطرائق والخطوط • الواضحة المنفصل •
بعضها من بعض • وقرئ والدواب مخففا • ونظير هذا التخفيف قراءة من قرأ • ولا الضالين
لأن كل واحد منهما فرار من التقاء الساكنين • فحرك ذاك أولهما • وحذف هذا آخرهما وقوله تعالى
كذلك كاختلاف الثمرات والجبال المراد به العلماء الذين علموه بصفاته • وعدله وتوحيده • وما يجوز
عليه وما لا يجوز • فعظموه وقدروه حق قدره • وخشوه حق خشيته • وعن مسروق كفى بالمرء علما
أن يخشى الله وكفى بالمرء جهلا • أن يعجب بعلمه • وقال رجل للشعبي • أفتني أيها العالم فقال
العالم من خشي الله • وقيل نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه • وقد ظهرت عليه
الخشية حتى عرفت فيه • فإن قلت هل يختلف المعنى إذا قدم المفعول في هذا الكلام
أو أخر قلت لا بد من ذلك فإنك إذا قدمت اسم الله • وأخرت العلماء كان المعنى أن الذين
يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم • وإذا عملت على العكس انقلب المعنى إلى أنهم لا
يخشون إلا الله كقوله تعالى ولا يخشون أحدا إلا الله • وهما معنيان مختلفان فإن قلت
ما وجه اتصال هذا الكلام بما قبله • قلت لما قال ألم تر بمعنى ألم تعلم أن الله أنزل من السماء
ماء • وعدد آيات الله وأعلام قدرته وآثار صنعه • وما خلق من الفطر المختلفة الأجناس وما يستدل

به عليه

بلغ مقا

به عليه وعلى صفاته اتبع ذلك انما يخشى الله من عباده العلماء كأنه قال انما يخشاه مثلك ومن على صفتك ممن عرفه حق معرفته وعلمه
كنه علمه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انا ارجو ان اكون اتقاكم واعلمكم به فان قلت فما وجه قراءة من قرأ انما يخشى الله
من عباده العلماء وهو عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه ويحكى عن ابي حنيفة قلت الخشية في هذه القراءة استعارة
والمعنى انما يجلهم ويعظمهم كما يجل المهيب المخشي من الرجال بين الناس من بين جميع عباده ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب
الخشية لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم واثابة اهل الطاعة والعفو عنهم والمعاقب المثيب حقه ان يخشى
ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور
ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور يتلون كتاب الله يداومون على تلاوته وهي شأنهم
ودأبهم وعن مطرف رحمه الله هي اية القراء وعن الكلبي يأخذون بما فيه وقيل يعلمون ما فيه ويعملون
به وعن السدي هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عطاء هم المؤمنون يرجون خبر ان والتجارة
طلب الثواب ويزيدهم من التفضل على المستحق وان شئت بالطاعة ه ليوفيهم متعلق بلن تبور اي تجارة
ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها عنده اجورهم وهي ما استحقوه من الثواب ويزيدهم
من التفضل على المستحق وان شئت جعلت يرجون في موضع الحال على وانفقوا راجين ليوفيهم اي فعلوا جميع ذلك
من التلاوة واقامة الصلاة والانفاق في سبيل الله لهذا الغرض وخبر ان قوله تعالى ه انه غفور شكور
على معنى غفور لهم شكور لاعمالهم والشكر مجاز عن الاثابة والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا
لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير الكتاب هو القرآن ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض مصدقا
حال مؤكدة لان الحق لا ينفك عن هذا التصديق لما بين يديه لما تقدمه من الكتب لخبير بصير يعني انه خبر احوالك وابصر
احوالك فرآك اهلا لان يوحي اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب ثم اورثنا الكتاب الذين
اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو
الفضل الكبير فان قلت ما معنى قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب قلت فيه وجهان احدهما انا اوحينا اليك
القرآن ثم اورثناه من بعدك اي حكمنا بتوريثه او قال اورثنا وهو يريد نورثه لما عليه
اخبار الله ف الذين اصطفينا من عبادنا وهم امته من الصحابة والتابعين وتابعيهم رضي الله تعالى عنهم
ومن بعدهم الى يوم القيامة لان الله تعالى اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم امة وسطا ليكونوا شهداء على الناس
واختصهم بكرامة الانتماء الى افضل رسل الله وحمل الكتاب الذي هو افضل كتب الله تعالى ثم قسمهم الى ظالم
لنفسه مجرم وهو المرجأ لامر الله تعالى ومقتصد وهو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا وسابق من السابقين
والوجه الثاني انه قدم ارساله في كل امة رسولا وانهم كذبوا رسلهم وقد جاؤوهم بالبينات والزبر والكتاب المنير ثم
قال ان الذين يتلون كتاب الله فاثنى على التالين لكتبه العاملين بشرائعه من بين المكذبين بها من سائر الامم واعترض
بقوله تعالى والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق ثم قال ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا
اي من بعد اولئك المذكورين يريد بالمصطفين من عباده اهل الملة الحنيفية جنات عدن يدخلونها يحلون
فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير فان قلت فكيف جعلت جنات عدن بدلا من الفضل
الكبير الذي هو السبق بالخيرات المشار اليه بذلك قلت لما كان السبب في نيل الثواب نزل منزلة المسبب
كانه هو الثواب فابدلت عنه جنات عدن وفي اختصاص السابقين بعد التقسيم بذكر ثوابهم والسكوت

عن الأخرين ما فيه من وجوب الحذر فليحذر المقتصد وليهلك الظالم لنفسه حذرًا وعليهما بالتوبة النصوح المخلصة
من عذاب الله ولا يغترّ بما رواه عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا
ناج وظالمنا مغفور له فإن شرط ذلك صحة التوبة لقوله تعالى عسى الله أن يتوب عليهم وقوله تعالى إما يعذبهم
وإما يتوب عليهم ولقد نطق القرآن بذلك في مواضع من استقراها اطّلع على حقيقة الأمر ولم يعلّل نفسه بالخدع
وقرئ سبّاق ومعنى بإذن الله بتيسيره وتوفيقه فإن قلت لم قدّم الظالم ثم المقتصد ثم السابق قلت
للإيذان بكثرة الفاسقين منهم وغلبتهم وأن المقتصدين قليل بالإضافة إليهم والسابقون أقل من القليل وقرئ
جنة عدن على الإفراد كأنها جنة مختصة بالسابقين وجنات عدن بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر
أي يدخلون جنات عدن يدخلونها ويُدخلونها على البناء للمفعول ويحلّون من حليت المرأة فهي حال ولؤلؤًا
معطوفًا على محل من أساور ومن داخلة للتبعيض أي يحلّون بعض أساور من ذهب كأنه بعض سابق لسائر الأبعاض
كما سبق المسوّرون به غيرهم وقيل إن ذلك الذهب في صفاء اللؤلؤ ولولؤا بتخفيف الهمزة الأولى وقالوا الحمد
لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور وقرئ الحزن والمراد حزن المتقين وهو ما أهمهم من خوف
سوء العاقبة لقوله تعالى إنا كنا في أهلنا مشفقين فمنّ الله علينا ووقانا عذاب السموم وعن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما حزن الأعراض والآفات وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن إبليس ووسوسته
وقيل هم المعاش وقيل حزن زوال النعم وقد أكثروا حتى قال بعضهم كراء الدار ومعناه أنه يعم كل حزن
من أحزان الدين والدنيا حتى هذا وعن النبي صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم
ولا في محشرهم ولا في مسيرهم وكأني بأهل لا إله إلا الله يخرجون من قبورهم وهم ينفضون التراب عن رؤوسهم
ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وذكر الشكور دليل على أن القوم كثيرو الحسنات الذي
أحلّنا دار المقامة من فضله لا يمسّنا فيها نصب ولا يمسّنا فيها لغوب المقامة بمعنى الإقامة يقال أقمت إقامة
ومقامًا ومقامة من فضله من عطائه وإفضاله من قولهم لفلان فضول على قومه وفواضل وليس من الفضل
الذي هو التفضل لأن الثواب بمنزلة الأجر المستحق والتفضل كالتبرع وقرئ لغوب وهو اسم ما يلغب
منه أي لا نتكلف عملًا يلغبنا أو مصدر كالقبول والولوع أو صفة للمصدر كأنه لغوب لغوب كقولهم موت
مائت فإن قلت ما الفرق بين النصب واللغوب قلت النصب التعب والمشقة التي تصيب
المنتصب للأمر المزاول له وأما اللغوب فما يلحقه من الفتور بسبب النصب فالنصب نفس المشقة والكلفة
واللغوب نتيجته وما يحدث منه من الكلال والفترة والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم
فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور فيموتوا جواب النفي ونصبه بإضمار أن
وقرئ فيموتون عطفًا على يقضى عليهم الموت فلا يموتون لقوله عز وعلا ولا يؤذن لهم فيعتذرون
كذلك مثل ذلك الجزاء نجزي وقرئ يجازى ويجزى بالنون وهم يصطرخون فيها ربنا
أخرجنا نعمل صالحًا غير الذي كنا نعمل يصطرخون يتصارخون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح
بجهد وشدة قال كصرخة حبلى أسلمتها قبيلها واستعمل في الاستغاثة
لجهد المستغيث صوته فإن قلت هلا اكتفى بصالحًا كما اكتفى به في قوله تعالى فارجعنا
نعمل صالحًا وما فائدة زيادة غير الذي كنا نعمل على أنه يوهم أنهم يعملون صالحًا آخر غير الصالح الذي

عملوه

عملوه قلت فايدة زيادة التحسر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به واما الوهم فزايل بظهور حالهم
في الكفر وركوب المعاصي ولانهم كانوا يحسبون انهم على سيرة صالحة كما قال الله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا
فقالوا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نحسبه صالحا فنعمله أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير
فذوقوا فما للظالمين من نصير أولم نعمركم توبيخ من الله يعني فنقول لهم وقرئ ما يذكر فيه من اذكر على الادغام
وهو متناول لكل عمر تمكن فيه المكلف من اصلاح شانه وان قصر الا ان التوبيخ في المتطاول اعظم وعن
صلى الله عليه وسلم العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة وعن مجاهد ما بين العشرين الى الستين
وقيل ثماني عشرة وسبع عشرة وجاءكم النذير الرسول وقيل الشيب وقرئ وجاءتكم النذر فان قلت
علام عطف وجاءكم النذير قلت على معنى أولم نعمركم لان لفظه لفظ الاستخبار ومعناه معنى
اخبار كانه قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور
انه عليم بذات الصدور كالتعليل لانه اذا علم ما في الصدور وهو اخفى ما يكون فقد علم كل غيب في العالم وذات
الصدور مضمراتها وهي تانيث ذو في نحو قول ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ذو بطن خارجة
جارية وقوله لتغني عني ذا انائك اجمعا المعنى ما في بطنها من الحبل وما في انائك من الشراب
يصحبان البطن والاناء الا ترى الى قولهم معها حبل وكذلك المضمرات تصحب الصدور وهي معها وذو
موضوع لمعنى الصحبة هو الذي جعلكم خلائف في الارض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين
كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا يقال للمستخلف خليفة وخليف فالخليفة
تجمع خلائف والخليف خلفاء والمعنى انه جعلكم خلفاء في ارضه قد ملككم مقاليد التصرف فيها وسلطكم
على ما فيها واباح لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد والطاعة فمن كفر وغمط مثل هذه النعمة السنية فوبال
كفره راجع عليه وهو مقت الله الذي ليس وراءه خزي وصغار وخسار الاخرة الذي ما بعده خسار والمقت
اشد البغض ومنه قيل لمن ينكح امراة ابيه مقتي لكونه ممقوتا في كل قلب وهو خطاب للناس وقيل
خطاب لمن بعث اليهم رسول الله اي جعلكم امة خلفت من قبلها ورايت وشاهدت فيمن سلف ما ينبغي ان
تعتبروا به فمن كفر منكم فعليه جزاء كفره من مقت الله وخسار الاخرة كما ان ذلكم حكم من قبلكم
قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات
ام آتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا
اروني بدل من ارايتم لان معنى ارايتم اخبروني كانه قال اخبروني عن هؤلاء الشركاء وعن ما استحقوا به الالهية
والشركة اروني اي جزء من اجزاء الارض استبدوا بخلقه دون الله ام لهم مع الله شركة في خلق السموات
ام عندهم كتاب من عند الله ينطق بانهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب او يكون الضمير في
آتيناهم للمشركين كقوله تبارك وتعالى ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم ام آتيناهم كتابا من قبله
بل ان يعد بعضهم وهم الرؤساء بعضا وهم الاتباع الا غرورا وهو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله
وقرئ بينات ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده
انه كان حليما غفورا ان تزولا كراهة ان تزولا لان الامساك منع انه كان حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة
حيث يمسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا لعظم كلمة الشرك كما قال الله عز وجل

تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض • وقرئ ولو زالتا وإن أمسكهما • جواب القسم في ولئن زالتا سد مسد الجوابين
ومن الأولى مزيدة لتأكيد النفي والثانية للابتداء • من بعده من بعد إمساكه • وعن ابن عباس رضي الله
عنهما أنه قال لرجل مقبل من الشام من لقيت به قال كعبا • قال وما سمعته يقول قال
سمعته يقول إن السموات على منكب ملك قال كذب كعب أما ترك يهوديته بعد ثم قرأ هذه الآية وأقسموا بالله
جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا استكبارا
في الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة
تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل الكتاب كذبوا
فقالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم • فوالله لئن أتانا رسول • لنكونن من إحدى الأمم
فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبوه • من إحدى الأمم • وجهان • أحدهما من بعض الأمم ومن واحدة
من الأمم من اليهود والنصارى وغيرهم والثاني من الأمة التي يقال لها إحدى الأمم تفضيلا لها على غيرها في
الهدى والاستقامة • ما زادهم • إسناد مجازي لأنه هو السبب في أن زادوا أنفسهم نفورا عن الحق وابتعادا
عنه كقوله عز وجل فزادتهم رجسا إلى رجسهم • استكبارا بدل من نفورا أو مفعول له على معنى • فما
زادهم إلا أن نفروا استكبارا • وعلوا في الأرض أو حال بمعنى مستكبرين • وماكرين برسول الله صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين • ويجوز أن يكون ومكر السيئ معطوفا على نفورا • فإن قلت فما وجه قوله تعالى ومكر السيئ
قلت أصله وأن مكروا السيئ أي المكر السيئ ثم ومكرا السيئ ثم ومكر السيئ والدليل عليه قوله ولا يحيق
المكر السيئ إلا بأهله ومعنى يحيق يحيط وينزل وقرئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله أي لا يحيق الله • ولقد حاق
بهم يوم بدر • وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فإن الله تعالى • يقول
ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله ولا تبغوا ولا تعينوا باغيا • يقول الله تبارك وتعالى إنما بغيكم على أنفسكم
وعن كعب أنه قال لابن عباس قرأت في التوراة من حفر مهواة وقع فيها قال أنا وجدت ذلك في كتاب الله
وقرأ الآية • وفي أمثال العرب • من حفر لأخيه جبا وقع فيه منكبا • وقرأ حمزة ومكر السيئ
بإسكان الهمزة وذلك لاستثقاله الحركات مع الياء والهمزة • ولعله اختلس فظن سكونا أو وقف وقفة
خفيفة • ثم ابتدأ ولا يحيق وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه • ومكرا سيئا • سنة الأولين إنزال العذاب
على الذين كذبوا برسلهم من الأمم قبلهم وجعل استقبالهم لذلك انتظارا له • وبين أن عادته التي هي
الانتقام من مكذبي الرسل عادة لا يبدلها ولا يحولها أي لا يغيرها وأن ذلك مفعول له لا محالة
أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله
ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا واستشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه
في مسايرهم ومتاجرهم في رحلهم إلى الشام والعراق واليمن من آثار الماضين • وعلامات هلاكهم
ودمارهم • ليعجزه ليسبقه ويفوته • ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة
ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا بما كسبوا بما اقترفوا
من معاصيهم على ظهرها على ظهر الأرض من دابة من نسمة تدب عليها يريد بني آدم وقيل ما ترك
بني آدم وغيرهم من سائر الدواب بشؤم ذنوبهم • وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه • كاد الجعل يعذب

في

في جحره بذنب ابن آدم. ثم تلا هذه الآية. وعن أنس رضي الله عنه إن الضب ليموت هزلا في جحره بذنب ابن آدم. وقيل يحبس المطر فيهلك كل شيء. إلى أجل مسمى. كان بعباده بصيرا وعيد بالجزاء. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية أبواب الجنة أن ادخل من أي باب شئت

سورة يس مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي ثلاث وثمانون آية

يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم قرئ يا سين بالفتح كأين وكيف أو بالنصب على اتل يا سين وبالكسر على الأصل كجير وبالرفع على هذه أو بالضم كحيث وفخمت الألف وأميلت وعن ابن عباس رضي الله عنهما معناه يا إنسان في لغة طيء والله أعلم بصحته وإن صح فوجهه أن يكون أصله يا أنيسين فكثر النداء به على ألسنتهم حتى اقتصروا على شطره كما قالوا في القسم م الله في أيمن الله الحكيم ذي الحكمة أو لأنه دليل ناطق بالحكمة أو لأنه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به على صراط مستقيم خبر بعد خبر أو صلة للمرسلين فإن قلت أي حاجة إليه خبرا كان أو صلة وقد علم أن المرسلين لا يكونون إلا على صراط مستقيم قلت ليس الغرض بذكره ما ذهب إليه من تمييز من أرسل على صراط مستقيم عن غيره ممن ليس على صفته وإنما الغرض وصفه ووصف ما جاء به من الشريعة فجمع بين الوصفين في نظام واحد كأنه قال إنك لمن المرسلين الثابتين على طريق ثابت وأيضا فإن التنكير فيه دال على أنه أرسل من بين الصرط المستقيمة على صراط مستقيم لا يكتنه وصفه تنزيل العزيز الرحيم لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون وقرئ تنزيل العزيز الرحيم بالرفع على أنه خبر مبتدإ محذوف وبالنصب على أعني وبالجر على البدل من القرآن قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون قوما غير منذر آباؤهم على الوصف ونحوه قوله عز وجل لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير وقد فسر ما أنذر آباؤهم على إثبات الإنذار ووجه ذلك أن تجعل ما مصدرية لتنذر قوما إنذار آبائهم أو موصولة منصوبة على المفعول الثاني لتنذر قوما ما أنذره آباؤهم من العذاب فإن قلت إنا أنذرناكم عذابا قريبا قلت أي فرق بين تعلقي قوله تعالى فهم غافلون على التفسيرين فإن قلت هو على الأول متعلق بالنفي أي لم ينذروا فهم غافلون على أن عدم إنذارهم هو سبب غفلتهم وعلى الثاني بقوله إنك لمن المرسلين لتنذر كما تقول أرسلتك إلى فلان لتنذره فإنه غافل أو فهو غافل فإن قلت كيف يكونون منذرين غير منذرين لمناقضة هذا ما في الآي الأخر قلت لا مناقضة لأن الآي في نفي إنذارهم لا في نفي إنذار آبائهم وآباؤهم القدماء من ولد إسماعيل عليه الصلاة والسلام وكانت النذارة فيهم فإن قلت ففي أحد التفسيرين أن آباءهم لم ينذروا وهو الظاهر فما تصنع به قلت أريد آباؤهم الأدنون دون الأباعد لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون القول قوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين يعني تعلق بهذا القول

وثبت عليهم ووجب لانهم ممن علم انهم يموتون على الكفر ثم مثل تصميمهم على الكفر وانه لا سبيل الى ارعوائهم بان جعلهم
كالمغلولين المقمحين في انهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطاطئون رؤسهم له وكالحاصلين
بين سدين لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم في ان لا تامل لهم ولا تبصر وانهم متعامون عن النظر
في آيات الله • فان قلت ما معنى قوله فهي الى الاذقان قلت معناه فالاغلال واصلة الى الاذقان ملزوزة
اليها • وذلك ان طوق الغل الذي في عنق المغلول يكون في ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها راس العمود
نادرا من الحلقة الى الذقن فلا تخليه يطاطئ راسه ويوطئ قذاله فلا يزال مقمحا والمقمح الذي يرفع راسه
ويغض بصره • ويقال قمح البعير فهو قامح اذا روي فرفع راسه ومنه شهرا قماح لان الابل ترفع
رؤسها عن الماء لبرده فيهما وهما الكانونان ومنه اقتمحت السويق فان قلت فما قولك فيمن جعل الضمير
للايدي وزعم ان الغل لما كان جامعا لليد والعنق وبذلك يسمى جامعة كان ذكر الاعناق دالا على ذكر الايدي
قلت الوجه ما ذكرت لك والدليل عليه قوله فهم مقمحون • الا ترى كيف جعل الاقماح نتيجة قوله فهي الى الاذقان
ولو كان الضمير للايدي لم يكن معنى التسبب في الاقماح ظاهرا على ان هذا الاضمار فيه ضرب من التعسف وترك
الظاهر الذي يدعوه المعنى الى نفسه الى الباطن الذي يجفو عنه ترك للحق الابلج الى الباطل اللجلج • قوله
وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون فان قلت فقد قرا
ابن عباس رضي الله عنهما في ايديهم • وابن مسعود في ايمانهم • فهل تجوز على هاتين القراءتين ان تجعل
الضمير للايدي او للايمان قلت يابى ذلك وان ذهب الاضمار المتعسف ظهور كون الضمير للاغلال
وسداد المعنى عليه كما ذكرت • وقرئ سدا بالفتح والضم وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح وما كان من خلق الله
فبالضم • فاغشيناهم فاغشينا ابصارهم • اي غطيناها • وجعلنا عليها غشاوة عن ان تطمح الى مرئي • وعن مجاهد
فاغشيناهم فالبسنا ابصارهم غشاوة • وقرئ بالعين من العشا • وقيل نزلت في بني مخزوم • وذلك ان ابا جهل
حلف لئن راى محمدا يصلي ليرضخن راسه فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه به فلما رفع يده اثبتت الى عنقه
ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومي اخر انا اقتله بهذا الحجر
فذهب فاعمى الله عينيه وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون انما تنذر من اتبع الذكر وخشي
الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة واجر كريم فان قلت قد ذكر ما دل على انتفاء ايمانهم مع ثبوت الانذار
ثم قفاه بقوله تعالى انما تنذر من اتبع وانما كانت تصح هذه التقفية لو كان الانذار منفيا قلت هو كما
قلت • ولكن لما كان ذلك منفيا للايمان مع وجود الانذار وكان معناه البغية المرومة بالانذار غير حاصلة
سوى الايمان نفى بقوله انما تنذر على معنى انما تحصل البغية بانذارك من غير هؤلاء المنذرين وهم المتبعون
للذكر وهو القران او الوعظ الخاشون ربهم انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا واثارهم وكل
شيء احصيناه في امام مبين نحيي الموتى نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن رحمة الله عليه احياؤهم ان يخرجهم من الشرك
الى الايمان • ونكتب ما اسلفوا من الاعمال الصالحة وغيرها وما هلكوا عنه من اثر حسن كعلم علموه او كتاب
صنفوه • او حبيس احبسوه او بناء بنوه من مسجد او رباط او قنطرة او نحو ذلك او سيئ كوظيفة وظفها بعض
الظلام على المسلمين وسكة احدث فيها تخسيرهم وشيء احدث فيه صد عن ذكر الله من الحان وملاه وكذلك كل
سنة حسنة او سيئة يستن بها ونحوه قوله تعالى ينبا الانسان يومئذ بما قدم واخر من اثاره وقيل اثار المشائين

الى

إلى المساجد وعن جابر أردنا النقلة إلى المسجد والبقاع حوله خالية فبلغ ذلك رسول الله عليه الصلاة والسلام فأتانا
في ديارنا وقال يا بني سلمة بلغني أنكم تريدون النقلة إلى المسجد فقلنا نعم بعد علينا المسجد والبقاع حوله
خالية فقال عليكم دياركم إنما تكتب آثاركم قال فما وددنا بحضرة المسجد لما قال صلى الله عليه وسلم وعن عمر
ابن عبد العزيز رحمة الله عليه لو كان الله مغفلا شيئا لأغفل هذه الآثار التي تعفيها الرياح والإمام اللوح وقرئ وكتب
ما قدموا وآثارهم على البناء للمفعول وكل شيء بالرفع **واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون إذ أرسلنا
إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون** واضرب لهم مثلا ومثل لهم مثلا من قولهم عندي
من هذا الضرب كذا أي من هذا المثال وهذه الأشياء على ضرب واحد والمعنى واضرب لهم مثلا مثل أصحاب القرية
أي اذكر لهم قصة عجيبة قصة أصحاب القرية والمثل الثاني بيان للأول وانتصاب إذ بأنه بدل من أصحاب القرية
والقرية انطاكية والمرسلون رسل عيسى عليه الصلاة والسلام إلى أهلها بعثهم دعاة إلى الحق وكانوا عبدة أوثان ه
أرسل إليهم اثنين فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار وفشى الخبر فشفي على أيديهما
خلق كثير ورقي حديثهما إلى الملك وقال لهما ألنا إله سوى آلهتنا قالا نعم من أوجدك وآلهتك فقال
حتى أنظر في أمركما فتبعهما الناس وضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون فدخل متنكرا وعاشر
حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره إلى الملك فأنس به فقال له ذات يوم أنك حبست رجلين فهل سمعت
قال لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من أرسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك
فقال صفاه وأوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين
فدعوا الله حتى انشق له بصر وأخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فكانتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون أرأيت
لو سألت إلهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال ليس لي عنك سر إن إلهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر
ولا ينفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع ويحسبون أنه منهم ثم قال إن قدر إلهكما على إحياء ميت
آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة أيام فقام وقال إني دخلت في سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم فيه
فآمنوا وقال فتحت أبواب السماء فرأيت حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن هم قال شمعون ه
وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون أن قوله قد أثر فيه نصحه فآمن وآمن معه قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم
جبريل صيحة فهلكوا **فعززنا** فقوينا يقال المطر يعزز الأرض إذا لبدها وشدها وتعزز لحم النا
وقرئ بالتخفيف من عزه يعزه إذا غلبه أي فغلبنا وقهرنا بثالث وهو شمعون فإن قلت
لم ترك ذكر المفعول به قلت لأن الغرض ذكر المعزز به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير حتى عز الحق
وذل الباطل وإذا كان الكلام منصبا إلى غرض من الأغراض جعل سياقه له وتوجهه إليه كان ما سواه مرفوضا
مطرحا ونظيره قولك حكم السلطان اليوم بالحق الغرض المسوق إليه قولك بالحق فلذلك رفضت
ذكر المحكوم له والمحكوم عليه **قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون قالوا ربنا
يعلم إنا إليكم لمرسلون وما علينا إلا البلاغ المبين** إنما رفع بشر ونصب في قوله ما هذا بشرا لأن إلا
تنقض النفي فلا يبقى لما المشبهة بليس شبه فلا يبقى له عمل فإن قلت لم قيل إنا إليكم مرسلون أولا
وإنا إليكم لمرسلون آخرا قلت لأن الأول ابتداء إخبار والثاني جواب عن إنكار وقوله
ربنا يعلم جار مجرى القسم في التوكيد وكذلك قولهم شهد الله وعلم الله وإنما حسن منهم هذا الجواب

الوارد على طريق التوكيد والتحقيق مع قوله وما علينا الا البلاغ المبين • اي الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة لصحته
والا فلو قال المدعي والله اني لصادق فيما ادعي به ولم يحضر البينة كان قبيحا قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم
تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم تطيرنا بكم تشأمنا منكم • وذلك انهم كرهوا دينهم ونفرت
منه نفوسهم وعادة الجهال ان يتيمنوا بكل شيء مالوا اليه • واشتهوه وآثروه وقبلته طباعهم ويتشاءموا
بما نفروا عنه وكرهوه فان اصابهم نعمة او بلاء قالوا ببركة هذا وبشوم هذا • كما حكى الله تعالى
عن القبط وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن مشركي مكة وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك
وقيل حبس عنهم القطر فقالوا ذلك • وعن قتادة ان اصابنا شيء كان من اجلكم قالوا طائركم معكم ائن ذكرتم
بل انتم قوم مسرفون طائركم معكم • وقرئ طيركم وهو لغة فيه واسباب شومكم معكم وهي كفرهم ومعاصيهم
وقرأ الحسن اطيركم • اي تطيركم • وقرئ ائن ذكرتم بهمزة الاستفهام وحرف الشرط وآين بالف بينهما
بمعنى اتتطيرون ان ذكرتم • وقرئ أن ذكرتم بهمزة الاستفهام وان الناصبة بمعنى أتطيرتم لان ذكرتم
وقرئ ان وأن بغير استفهام وحرف الشرط بمعنى الاخبار • اي تطيرتم لان ذكرتم او ان ذكرتم •
تطيرتم • وقرئ اين ذكرتم على التخفيف • اي شومكم معكم حيث جرى ذكركم واذا شئتم المكان بذكركم
كانوا يحلونهم فيه اشأم بل انتم قوم مسرفون في العصيان فمن ثم اتاكم الشوم لا من قبل رسول الله وتذكيرهم
او بل انتم مسرفون • وفي ضلالكم متمادون في غيكم حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله •
وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون
رجل يسعى وهو حبيب بن اسرائيل النجار • وكان ينحت الاصنام وهو ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم
• وبينهما ستمائة سنة • كما آمن به تبع الاكبر • وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبي احد الا بعد ظهوره
وقيل كان في غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل اتاهم واظهر دينه • وقاول الكفرة • فقالوا وانت تخالف
الكفرة دينا • فوثبوا عليه فقتلوه • وقيل توطؤوه بارجلهم حتى خرج قصبه من دبره • وقيل رجموه وهو يقول
اللهم اهد قومي • وقبره في سوق انطاكية • فلما قتل غضب الله عليهم فاهلكوا بصيحة جبريل عليه الصلاة والسلام
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم • سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين • علي بن ابي طالب وصاحب
ياسين ومؤمن آل فرعون • من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون كلمة جامعة في الترغيب فيهم اي لا تخسرون
معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم • فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة • وما لي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون
أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون اني اذا لفي ضلال
مبين اني آمنت بربكم فاسمعون ثم ابرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف
ويداريهم ولانه ادخل في امحاض النصح حيث لا يريد لهم الا ما يريد لروحه ولقد وضع قوله تعالى وما لي لا اعبد
الذي فطرني واليه ترجعون مكان قوله ما لكم لا تعبدون الذي فطركم • الا ترى الى قوله واليه ترجعون
ولولا انه قصد ذلك لقال الذي فطرني واليه ارجع وقد ساقه ذلك المساق الى ان قال آمنت بربكم
فاسمعون يريد فاسمعوا قولي واطيعون • فقد نبهتكم على الصحيح الذي لا معدل عنه ان العبادة لا تحق
الا لمن منه مبتدأكم واليه مرجعكم وما ادفع العقول وانكرها لان تستحبوا على عبادته عبادة اشياء
ان ارادكم هو بضر وشفع لكم هؤلاء لم تنفع شفاعتهم ولم يمكنوا من ان يكونوا شفعاء عنده ولم يقدروا •

على انقاذكم منه بوجه من الوجوه • انكم في هذا الاستحباب لو اتبعوني في ضلال ظاهر بين لا يخفى على ذي عقل
وتمييز وقيل لما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحو الرسل قبل ان يقتل فقال لهم اني آمنت بربكم فاسمعون اي
فاسمعوا ايماني تشهدوا لي به • وقرئ ان يردني الرحمن بضر بمعنى ان يوردني ضرا اي يجعلني موردا للضر
قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين اي لما قتل قيل له ادخل
الجنة • وعن قتادة ادخله الله الجنة وهو فيها حي يرزق اراد به قوله عز وجل بل احياء عند ربهم يرزقون
فرحين وقيل معناه البشرى بدخول الجنة وانه من اهلها فان قلت كيف مخرج هذا القول في علم البيان قلت
مخرجه مخرج الاستيناف لان هذا من مظان المسئلة عن حاله عند لقاء ربه كان قائلا قال كيف كان لقاء ربه
بعد ذلك التصلب في نصرة دينه والتسخي لوجهه بروحه فقيل قيل ادخل الجنة ولم يقل قيل له لانصباب الغرض الى المقول
وعظمه لا الى المقول له مع كونه معلوما وكذلك قال يا ليت قومي يعلمون مرتب على تقدير سؤال سائل عما وجد من قوله
عند ذلك الفوز العظيم وانما تمنى علم قومه بحاله ليكون علمهم بها سببا لاكتساب مثلها لانفسهم بالتوبة عن الكفر
والدخول في الايمان والعمل الصالح المفضيين باهلهما الى الجنة • وفي حديث مرفوع نصح قومه حيا وميتا
وفيه تنبيه على وجوب كظم الغيظ والحلم عن اهل الجهل والترؤف على من ادخل نفسه في غمار الاشرار
واهل البغي والتشمر في تخليصه والتلطف في افتدائه والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه الا ترى
كيف تمنى الخير لقتلته والباغين له الغوائل وهم كفرة عبدة اصنام ويجوز ان يتمنى ذلك ليعلموا انهم كانوا
على خطاء عظيم في امره وانه كان على صواب ونصيحة وشفقة وان عداوتهم لم تكسبه الا فوزا ولم تعقبه الا سعادة
لان في ذلك زيادة غبطة له وتضاعف لذة وسرور والاول اوجه وقرئ المكرمين فان قلت ما في قوله
تعالى بما غفر لي ربي اي الماآت هي قلت المصدرية او الموصولة اي بالذي غفره لي من الذنوب
ويحتمل ان تكون استفهامية يعني باي شيء غفر لي ربي يريد به ما كان منه معهم من المصابرة لاعزاز الدين
حتى قتل الا ان قولك بما غفر لي بطرح الالف اجود وان كان اثباتها جائزا يقال قد علمت بما صنعت
هذا اي باي شيء صنعت وبم صنعت وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين
المعنى ان الله كفى امرهم بصيحة ملك ولم ينزل لاهلاكهم جندا من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق
فان قلت وما معنى قوله تعالى وما كنا منزلين قلت معناه وما كان يصح لنا في حكمتنا ان ننزل في
اهلاك قوم حبيب جندا من السماء وذلك لان الله تعالى اجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون البعض
وما ذلك الا بناء على ما اقتضته الحكمة واوجبته المصلحة • الا ترى الى قوله تعالى فمنهم من ارسلنا عليه
حاصبا • ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض • ومنهم من اغرقنا فان قلت فلم انزل
الجنود من السماء يوم بدر فقال الله تعالى فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها • بالف
من الملائكة مردفين • بثلثة الاف من الملائكة منزلين • بخمسة الاف من الملائكة مسومين قلت
انما كان يكفي ملك واحد فقد اهلكت مدائن لوط بريشة من جناح جبريل عليه الصلاة والسلام وبلاد
ثمود وقوم صالح عليه الصلاة والسلام بصيحة منه • ولكن الله فضل محمدا عليه الصلاة والسلام
بكل شيء على كبار الانبياء واولي العزم من الرسل فضلا على حبيب النجار واولاه من اسباب الكرامة والاعزاز
ما لم يوله احدا فمن ذلك انه انزل له جنودا من السماء وكانه اشار بقوله وما انزلنا وما كنا منزلين الى ان انزالنا

الى انزال الجنود من عظائم الامور التي لا يؤهل لها الا مثلك وما كنا نفعله بغيرك إن كانت الا صيحة واحدة فاذا هم
خامدون إن كانت الا صيحة والقياس والاستعمال على تذكير الفعل لان المعنى ما وقع شيء الا صيحة ولكنه
نظر الى ظاهر اللفظ وان الصيحة في حكم فاعل الفعل ومثلها قراءة الحسن رحمه الله عليه فاصبحوا لا ترى الا
الا مساكنهم • وبيت ذي الرمة • وما بقيت الا الضلوع الجراشع • وقرأ ابن مسعود
رضي الله عنه • الا زقية واحدة من زقا الطائر يزقو ويزقي اذا صاح • ومنه المثل
اثقل من الزواقي • خامدون خمدوا كما تخمد النار فتعود رمادا • كما قال لبيد •
• وما المرء الا كالشهاب وضوئه • يحور رمادا بعد اذ هو ساطع •
يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون يا حسرة على العباد نداء للحسرة عليهم كانما
قيل لها تعالي يا حسرة فهذه من احوالك التي حقك ان تحضري فيها وهي حال استهزائهم بالرسل
والمعنى انهم احقاء بان يتحسر عليهم المتحسرون • ويتلهف على حالهم المتلهفون • او هم متحسر عليهم
من جهة الملائكة • والمؤمنين من الثقلين • ويجوز ان يكون من الله تعالى • على سبيل الاستعارة • في
معنى يا حسرتي • وقرئ يا حسرة العباد على الاضافة • ما جنوا على انفسهم • وتحسرها به وفرط انكاره له وتعجيبه
منه • وقراءة من قرأ يا حسرتى تعضد هذا الوجه • لان المعنى يا حسرتي • وقرئ يا حسرة العباد على
الاضافة اليهم لاختصاصها بهم من حيث انها موجهة اليهم ويا حسرة على العباد على اجراء الوصل مجرى الوقف
ألم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون ألم يروا ألم يعلموا وهو معلق عن العمل في كم
لان كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام او للخبر لان اصلها الاستفهام الا ان معناه نافذ • في
الجملة كما نفذ في قولك ألم يروا ان زيدا لمنطلق • وان لم يعمل في لفظه • وانهم اليهم لا يرجعون بدل من كم
اهلكنا على المعنى • لا على اللفظ تقديره • ألم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين
اليهم • وعن الحسن رحمة الله عليه • كسر ان على الاستئناف • وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه • ألم يروا
من اهلكنا • والبدل على هذه القراءة بدل اشتمال وهذا مما يرد قول اهل الرجعة • ويحكى عن
ابن عباس رضي الله عنهما • انه قيل له • ان قوما يزعمون ان عليا مبعوث قبل يوم القيامة فقال
بئس القوم نحن اذن نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه وإن كل لما جميع لدينا محضرون وقرئ لما بالتخفيف
على ان ما صلة للتاكيد وان مخففة من الثقيلة وهي متلقاة باللام لا محالة ولما بالتشديد
بمعنى الا كالتي في مسألة الكتاب نشدتك بالله لما فعلت وان نافية والتنوين في كل هو الذي يقع •
عوضا من المضاف اليه كقولك مررت بكل قائما • والمعنى ان كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب
يوم القيامة • وقيل محضرون معذبون فان قلت كيف اخبر عن كل بجميع ومعناهما واحد قلت
ليس بواحد لان كلا يفيد معنى الاحاطة وان لا ينفلت منهم احد والجميع معناه الاجتماع وان
المحشر يجمعهم والجميع فعيل بمعنى مفعول يقال حي جميع وجاؤوا جميعا وآية لهم الارض الميتة
احييناها واخرجنا منها حبا فمنه يأكلون القراءة بالميتة على الخفة اشيع لسلسها على
اللسان واحييناها استئناف بيان لكون الارض الميتة آية • ولذلك نسلخ ويجوز ان يوصف
الارض والليل بالفعل لانه لا اريد بهما الجنسان المطلقان لا ارض وليل باعيانهما فعوملا

معاملة

معاملة النكرات في وصفها بالافعال ونحوه • ولقد امر على اللئيم يسبني • واذا قل جاء القحط • ووقع الضر • واذا
فقد حضر الهلاك • ونزل البلاء • وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا
من ثمره وما عملته ايديهم افلا يشكرون قرئ وفجرنا بالتخفيف والتثقيل • والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح
لفظا ومعنى • وقرئ ثمره بضمتين وضمة وسكون • والضمير لله تعالى والمعنى ليأكلوا مما
خلقه الله من الثمر ومما عملته ايديهم من الغرس والسقي والآبار وغير ذلك من الاعمال الى ان بلغ الثمر منتهاه
وآن اكله يعني ان الثمر في نفسه فعل الله وخلقه • وفيه آثار من كد بني آدم • واصله من ثمرنا • كما
قال • وجعلنا • وفجرنا • فنقل الكلام من التكلم الى الغيبة على طريقة الالتفات • ويجوز ان يرجع
الى النخيل وترك الاعناب غير مرجوع اليها لانه علم انها في حكم النخيل فيما علق به من اكل ثمره • ويجوز ان
يراد من ثمر المذكور وهو الجنات كما قال رؤبة •
فيها خطوط من بياض وبلق • كأنه في الجلد توليع البهق •
فقيل له فقال اردت كأن ذاك • ولك ان تجعل ما نافية على ان الثمر خلق الله ولم تعمله ايدي الناس ولا يقدرون
عليه • وقرئ على الوجه الاول • ومما عملت من غير راجع • وهي في مصاحف اهل الكوفة • وفي مصاحف
اهل الحرمين • والبصرة • والشام مع الضمير سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن
انفسهم ومما لا يعلمون الازواج الاجناس والاصناف • ومما لا يعلمون • ومن ازواج لم يطلعهم الله عليها
ولا توصلوا الى معرفتها بطريق من طرق العلم • ولا يبعد ان يخلق الله تعالى من الخلائق • الحيوان منه
والجماد • ما لم يجعل للبشر طريقا الى العلم به لانه لا حاجة بهم في دينهم ودنياهم الى ذلك العلم ولو كانت بهم اليه
حاجة لاعلمهم بما لا يعلمون • وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يسمهم • وفي الحديث ما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر • بله ما اطلعتهم عليه فاعلمنا بوجوده واعداده • ولم يعلمنا
به ما هو ونحوه • فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين • وفي الاعلام بكثرة ما خلق مما علموه ومما جهلوه
ما دل على عظم قدرته • واتساع ملكه • وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون نسلخ
جلد الشاة اذا كشطه عنها • وازاله • ومنه سلخ الحية لخرشائها فاستعير لازالة الضوء وكشفه عن
مكان الليل وملقى ظله • مظلمون داخلون في الظلام • يقال اظلمنا • كما يقال • اعتمنا وادجينا
والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم لمستقر لها لحد لها موقت مقدر تنتهي اليه من
فلكها في آخر السنة • شبه بمستقر المسافر • اذا قطع مسيره • او لمنتهى لها من المشارق • والمغارب لانها
تتقصاها مشرقا مشرقا ومغربا مغربا حتى تبلغ اقصاها • ثم ترجع فذلك حدها ومستقرها لانها لا تعدوه
او لحد لها من مسيرها كل يوم • في مرأى عيوننا • وهو المغرب • وقيل مستقرها اجلها الذي اقر الله عليه
امرها في جريها • فاستقرت عليه • وهو آخر السنة • وقيل الوقت الذي تستقر فيه وينقطع جريها وهو يوم
القيامة • وقرئ تجري الى مستقر لها • وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه • لا مستقر لها • اي لا تزال تجري لا تستقر
على ان لا بمعنى ليس • ذلك الجري على ذلك التقدير والحساب الدقيق الذي تكل الفطن عن استخراجه وتتحير
الافهام عن استنباطه • ما هو الا تقدير الغالب على كل مقدور المحيط علما بكل معلوم • التقدير والحساب
والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم قرئ والقمر رفعا على الابتداء او عطفا على الليل

يريد ومن آياته القمر ونصبا بفعل يفسره قدرناه منازل من تقدير مضاف لانه لا معنى لتقدير نفس القمر
منازل والمعنى قدرنا مسيره منازل وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة في واحد
منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين
ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص الشهر وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت اليها العرب الانواء
المستمطرة وهي الشرطين البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف
الجبهة الزبرة الصرفة العوا السماك الغفر الزبانا الاكليل القلب الشولة النعائم
البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر
الرشا فاذا كان في آخر منازله دق واستقوس وعاد كالعرجون القديم وهو عود العذق ما بين
شماريخه الى منبته من النخلة وقال الزجاج هو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف
وقرئ العرجون بوزن الفرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون والقديم المحول واذا
قدم دق وانحنى واصفر فشبه به من ثلثة اوجه وقيل اقل مدة الموصوف بالقديم الحول
فلو ان رجلا قال كل مملوك لي قديم فهو حر او كتب ذلك في وصيته عتق منهم من مضى حول واكثر
لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون وقرئ سابق النهار
على الاصل والمعنى ان الله تعالى قسم لكل واحد من الليل والنهار وآيتيهما قسما من الزمان وضرب له حدا معلوما
ودبر امرهما على التعاقب فلا ينبغي للشمس اي لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم لوقوع التدبير على المعاقبة
وان جعل لكل واحد من النيرين سلطان على حياله ان تدرك القمر فيجتمع معه في وقت واحد وتداخله في
سلطانه فتطمس نوره ولا يسبق الليل النهار يعني آية الليل آية النهار وهما النيران ولا يزال الامر
على هذا الترتيب الى ان يبطل الله ما دبر من ذلك وينقض ما الف فيجمع بين الشمس والقمر ويطلع الشمس من مغربها
فان قلت لم جعلت الشمس غير مدركة والقمر غير سابق قلت لان الشمس لا تقطع فلكها الا في
سنة والقمر يقطع فلكه في شهر فكانت الشمس جديرة بان توصف بالادراك لتباطؤ سيرها
عن سير القمر والقمر خليقا بان يوصف بالسبق لسرعة سيره وكل التنوين فيه عوض من
المضاف اليه والمعنى وكلهم والضمير للشموس والاقمار على ما سبق ذكره وآية لهم انا حملنا ذريتهم
في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون ذريتهم اولادهم ومن يهمهم حمله وقيل اسم الذرية
يقع على النساء لانهن مزارعها وفي الحديث انه نهى عن قتل الذراري يعني النساء ومن مثله من
مثل الفلك ما يركبون من الابل وهي سفائن البر وقيل الفلك المشحون سفينة نوح عليه الصلاة والسلام
ومعنى حمل الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها آباءهم الاقدمين وفي اصلابهم هم وذرياتهم وانما ذكر
ذرياتهم دونهم لانه ابلغ في الامتنان عليهم وادخل في التعجب من قدرته في حمل اعقابهم الى يوم القيمة
في سفينة نوح ومن مثله من مثل ذلك الفلك ما يركبون من السفن والزوارق وان نشا نغرقهم
فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون الا رحمة منا ومتاعا الى حين لا صريخ لا مغيث او لا اغاثة
يقال اتاهم الصريخ ولا هم ينقذون لا ينجون من الموت بالغرق الا رحمة الا لرحمة
منا ولتمتيع بالحيوة الى حين الى اجل يموتون فيه لا بد لهم منه بعد النجاة من موت الغرق ولقد احسن

من

من قال ... ولم أسلم لكي أبقى ولكن سلمت من الحمام إلى الحمام . وقرأ الحسن رحمه الله نخرقهم
وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا
كانوا عنها معرضين اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم كقوله عز وجل أفلم يروا ما بين أيديهم
وما خلفهم من السماء والأرض . وعن مجاهد ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر . وعن قتادة ما بين أيديكم
من الوقائع التي خلت يعني من مثل الوقائع التي ابتليت بها الأمم المكذبة بأنبيائها . وما خلفكم من أمر
الساعة لعلكم ترحمون لتكونوا على رجاء رحمة الله . وجواب إذا محذوف مدلول عليه بقوله
إلا كانوا عنها معرضين فكأنه قال وإذا قيل لهم اتقوا أعرضوا . ثم قال ودأبهم الإعراض عند كل آية
وموعظة وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله
أطعمه إن أنتم إلا في ضلال مبين كانت الزنادقة منهم يسمعون المؤمنين يعلقون أفعال الله تعالى
بمشيئته فيقولون لو شاء الله لأغنى فلانا ولو شاء لأعزه . ولو شاء لكان كذا فأخرجوا هذا
الجواب مخرج الاستهزاء بالمؤمنين . وبما كانوا يقولونه من تعليق الأمور بمشيئة الله . ومعناه
أنطعم المقول فيه هذا القول بينكم وذلك أنهم كانوا دافعين أن يكون الغنى والفقر من الله لأنهم
معطلة لا يؤمنون بالصانع . وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان بمكة زنادقة فإذا أمروا
بالصدقة على المساكين قالوا لا والله أيفقره الله ونطعمه نحن وقيل كانوا يوهمون أن الله تعالى
لما كان قادرا على إطعامه ولم يشأ إطعامه فنحن أحق بذلك . نزلت في مشركي قريش حين
قال فقراء الصحابة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أعطونا مما زعمتم من أموالكم أنها لله
يعنون قوله تعالى وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فحرموهم وقالوا لو شاء الله
لأطعمكم إن أنتم إلا في ضلال مبين قول الله لهم أو حكاية قول المؤمنين أو هو من جملة
جوابهم للمؤمنين ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ما ينظرون إلا صيحة
واحدة تأخذهم وهم يخصمون قرئ وهم يخصمون بإدغام التاء في الصاد مع فتح الخاء
وكسرها وإتباع الياء الخاء في الكسر ويختصمون على الأصل ويخصمون من خصمه والمعنى أنها
تبغتهم وهم في أمنهم وغفلتهم عنها لا يخطرونها ببالهم مشتغلين بخصوماتهم في متاجرهم
ومعاملاتهم . وسائر ما يتخاصمون فيه ويتشاجرون ومعنى يخصمون يخصم بعضهم بعضا
وقيل تأخذهم وهم عند أنفسهم يخصمون في الحجة في أنهم لا يبعثون فلا يستطيعون توصية
ولا إلى أهلهم يرجعون لا يستطيعون أن يوصوا في شيء من أمورهم توصية ولا يقدرون
على الرجوع إلى منازلهم وأهاليهم بل يموتون حيث تفجؤهم الصيحة ونفخ في الصور فإذا هم
من الأجداث إلى ربهم ينسلون قرئ الصور بسكون الواو وهو القرن . أو جمع صورة
وحركها بعضهم والأجداث القبور وقرئ بالفاء ينسلون يعدون بكسر السين وضمها
وهي النفخة الثانية قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون
قرئ يا ويلتنا . وعن ابن مسعود رضي الله عنه من أهبنا من هب من نومه إذا انتبه
وأهبه غيره . وقرئ من هبنا بمعنى أهبنا وعن بعضهم أراد هب بنا فحذف الجار وأوصل الفعل

وقرئ من بعثنا ومن هبّنا على من الجارّة والمصدر وهذا مبتدأ وما وعد خبره وما مصدرية او موصولة
ويجوز ان يكون هذا صفة للمرقد وما وعد خبر مبتدأ محذوف اي هذا وعد الرحمن او مبتدأ
محذوف الخبر اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق وعن مجاهد للكفار هجعة يجدون فيها طعم
النوم فاذا صيح باهل القبور قالوا من بعثنا واما هذا ما وعد الرحمن فكلام الملائكة عن ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما وعن الحسن كلام المتقين وقيل كلام الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيجيبون
به انفسهم او بعضهم بعضا فان قلت اذا جعلت ما مصدرية كان المعنى هذا وعد الرحمن وصدق
المرسلين على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد والصدق فما وجه قوله وصدق المرسلون اذا
جعلتها موصولة قلت تقديره هذا الذي وعده الرحمن والذي صدقه المرسلون بمعنى والذي صدق
فيه المرسلون من قولهم صدقوهم الحديث والقتال فيه ومنه صدقني سن بكره فان قلت
من بعثنا من مرقدنا سؤال عن الباعث فكيف طابقه ذلك جوابا قلت معناه بعثكم الرحمن
الذي وعدكم البعث وانبأكم به الرسل الا انه جيء به على طريقة تبيّتت بها قلوبهم ونعيت اليهم
احوالهم وذكروا كفرهم وتكذيبهم واخبروا بوقوع ما انذروا به وكانه قيل لهم ليس بالبعث الذي
عرفتموه وهو بعث النائم من مرقده حتى يهمكم السؤال عن الباعث ان هذا هو البعث الاكبر
ذو الاهوال والافزاع وهو الذي وعده الله في كتبه المنزلة على السنة رسله الصادقين **ان كانت
الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم
تعملون ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون** الا صيحة قرئت منصوبة ومرفوعة
فاليوم لا تظلم نفس شيئا ان اصحاب الجنة اليوم في شغل حكاية لما يقال لهم في ذلك اليوم
وفي مثل هذه الحكاية زيادة تصوير للموعود وتمكين له في النفوس وترغيب في الحرص عليه وعلى ما يثمره
في شغل اي في اي شغل وفي شغل لا يوصف وما ظنك بشغل من سعد بدخول الجنة التي هي دار المتقين ووصل
الى نيل تلك الغبطة وذلك الملك الكبير والنعيم المقيم ووقع في تلك الملاذ التي اعدها الله للمرتضين
من عباده ثوابا لهم على اعمالهم مع كرامة وتعظيم وذلك بعد الوله والصبابة والتفصي من مشاق
التكليف ومضايق التقوى والخشية وتخطي الاهوال وتجاوز الاخطار وجواز الصراط ومعاينة
ما لقي العصاة من العذاب وعن ابن عباس رضي الله عنهما في افتضاض الابكار وعنه في ضرب
الاوتار وعن ابن كيسان في التزاور وقيل في ضيافة الله وعن الحسن شغلهم عما فيه اهل النار
التنعم بما هم فيه وعن الكلبي هم في شغل عن اهاليهم من اهل النار لا يهمهم امرهم ولا يذكرونهم
لئلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم وقرئ في شغل بضمتين وضمة وسكون وفتحتين وفتحة
وسكون والفاكه والفكه المتنعم المتلذذ ومنه الفاكهة لانها مما يتلذذ به وكذلك الفكاهة
وهي المزاحة وقرئ فاكهون وفكهون بكسر الكاف كقولهم رجل حذر ونطس وقرئ
فاكهين وفكهين على انه حال والظرف مستقر **هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون**
هم يحتمل ان يكون مبتدأ وان يكون تأكيدا للضمير في في شغل وفي فاكهون على ان ازواجهم يشاركونهم
في ذلك الشغل والتفكه والاتكاء على الارائك تحت الظلال وقرئ في ظلل والاريكة السرير في الحجلة

وقيل

وقيل الفواكه فيها. وقرا ابن مسعود رضي الله عنه متكيين لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولا من رب
رحيم يدعون يفتعلون من الدعاء اي يدعون به لانفسهم كقولك اشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه
قال لبيد فاشتوى ليلة ريح واجتمل ويجوز ان يكون بمعنى يتداعونه كقولك
ارتموه وتراموه وقيل يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت بمعنى تمنه علي وفلان في خير ما ادعى اي في
خير ما تمنى. قال الزجاج وهو من الدعاء اي ما يدعو به اهل الجنة ياتيهم وسلام
بدل من ما يدعون كانه قال لهم يقال لهم قولا من جهة رب رحيم. والمعنى ان الله يسلم عليهم
بواسطة الملائكة او بغير واسطة مبالغة في تعظيمهم وذلك متمناهم ولهم ذلك لا يمنعونه قال
ابن عباس رضي الله عنهما والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين وقيل ما يدعون مبتدا
وخبره سلام بمعنى ولهم ما يدعون سلام خالص لا شوب فيه وقولا مصدر موكد لقوله
عز وجل ولهم ما يدعون سلام اي عدة من رب رحيم والاوجه ان ينتصب على الاختصاص
وهو من مجازه وقرئ سلم وهو بمعنى السلام في المعنيين وعن ابن مسعود رضي الله عنه
سلاما نصب على الحال اي لهم مرادهم خالصا وامتازوا اليوم ايها المجرمون وامتازوا وانفردوا
عن المومنين وكونوا على حدة وذلك حين يحشر المومنون ويسار بهم الى الجنة ونحوه قوله
عز وجل ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة
يحبرون واما الذين كفروا الاية يقال مازه فانماز وامتاز وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير
وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى ومعناه ان بعضهم يمتاز من بعض
الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط
مستقيم العهد الوصية وعهد اليه اذا وصاه وعهد الله اليهم ما ركز فيهم من ادلة العقل وانزل
عليهم من دلائل السمع وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم وقرئ اعهد بكسر
الهمزة وباب فعل كله يجوز في حروف مضارعته الكسر الا في الياء واعهد بكسر الهاء وقد
جوز الزجاج ان يكون من باب نعم ينعم وضرب يضرب واحهد بالحاء واحد وهي لغة تميم
ومنه قولهم دحا محا هذا اشارة الى ما عهد اليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن اذ لا صراط
اقوم منه ونحو التنكير فيه ما في قول كثير لئن كان يهدى برد انيابها العلى لافقر مني انني لفقير
اراد انني لفقير بليغ الفقر حقيق بان اوصف به لكمال شرائطه في والا لم يستقم معنى البيت
وكذلك قوله هذا صراط مستقيم يريد صراط بليغ في استقامته جامع لكل شرط يجب ان يكون
عليه ويجوز ان يراد هذا بعض الصرط المستقيمة توبيخا لهم على العدول عنه والتفادي عن سلوكه
كما يتفادى الناس عن الطريق المعوج الذي يودي الى الضلالة والتهلكة كانه قيل اقل احوال الطريق
الذي هو اقوم الطرق ان يعتقد فيه كما يعتقد في الطريق الذي لا يضل السالك كما يقول
الرجل لولده وقد نصحه النصح البالغ الذي ليس بعده هذا فيما اظن قول نافع غير ضار توبيخا
له على الاعراض عن نصائحه ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التي كنتم
توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون قرئ جبلا بضمتين بغير التشديد وبضمة وسكون

وضمتين وتشديد وكسرتين وكسرة وسكون وكسرتين وتشديد وهذه لغات في معنى الخلق • وقرئ جبلا جمع
جبلة كفطر وخلق • وفي قراءة علي رضي الله عنه • اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم
وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون يروى أنهم يجحدون ويخاصمون فيشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم
وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم • وفي
الحديث • يقول العبد يوم القيامة إني لا أجيز علي شاهدا إلا من نفسي فيختم على فيه ويقال لأركانه
انطقي فتنطق بأعماله • ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل وقرئ
يختم على أفواههم وتتكلم أيديهم • وقرئ ولتكلمنا أيديهم وتشهد بلام كي والنصب على
ولذلك نختم على أفواههم • وقرئ ولتكلمنا أيديهم ولتشهد بلام الأمر • والجزم على أن الله
يأمر الأعضاء بالكلام والشهادة • ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون
الطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة • فاستبقوا الصراط لا يخلو من أن يكون على حذف الجار
وإيصال الفعل • والأصل فاستبقوا إلى الصراط أو يضمن معنى ابتدروا أو يجعل الصراط مسبوقا إليه
أو ينتصب على الظرف والمعنى أنه لو شاء لمسح أعينهم فلو راموا أن يستبقوا إلى الطريق المهيع الذي
اعتادوا سلوكه الى سلوكهم إلى مقاصدهم • المألوفة التي ترددوا إليها كثيرا كما كانوا يستبقون إليه ساعين
في متصرفاتهم موضعين في أمور دنياهم لم يقدروا وتعايا عليهم أن يبصروا ويعلموا جهة السلوك
فضلا عن غيره • أو لو شاء لأعماهم فلو أرادوا أن يمشوا مستبقين في الطريق المألوف كما كان •
ذلك هجيراهم لم يستطيعوا • أو لو شاء لأعماهم فلو طلبوا أن يخلفوا الصراط الذي اعتادوا المشي فيه
لعجزوا ولم يعرفوا طريقا يعني أنهم لا يقدرون إلا على سلوك الطريق المعتاد دون ما وراءه من سائر
الطرق والمسالك كما ترى العميان يهتدون فيما ألفوا وضروا به من المقاصد دون غيرها • ولو
نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون على مكانتهم وقرئ على مكاناتهم
والمكانة والمكان • واحد كالمقامة والمقام • أي لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون أن
يبرحوا بإقبال • ولا إدبار • ولا مضي ولا رجوع • واختلف في المسخ • فعن ابن عباس رضي الله عنهما
لمسخناهم قردة وخنازير • وقيل حجارة • وعن قتادة لأقعدناهم على أرجلهم وأزمناهم
وقرئ مضيا بالحركات الثلاث فالمضي والمضي كالعتي • والعتي والمضي كالصبي • ومن نعمره
ننكسه في الخلق أفلا يعقلون ننكسه في الخلق نقلبه فيه فنخلقه على عكس ما خلقناه
من قبل وذلك إنا خلقناه على ضعف • في جسد وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد وينتقل
من حال إلى حال • ويرتقي من درجة إلى درجة إلى أن يبلغ أشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم
ما له وما عليه فإذا انتهى نكسناه في الخلق فجعلناه ينتقص حتى يرجع في حال شبيهة بحال الصبي
في ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل أعلاه أسفله كقوله عز وجل
ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا • ثم رددناه أسفل سافلين • وهذه
دلالة على أن من ينقلهم من الشباب إلى الهرم • ومن القوة إلى الضعف • ومن رجاحة العقل إلى الخرف
وقلة التمييز ومن العلم إلى الجهل بعد ما نقلهم خلاف هذا النقل وعكسه • قادر على أن يطمس أعينهم •

ويمسخهم

ونمسخهم على مكانتهم ونفعل بهم ما شاء واراد وقرئ بكسر الكاف ونُنكسه ونَنكسه من التنكيس والانكاس افلا يعقلون
بالياء والتاء • وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله
عليه وسلم شاعر • وروي ان القائل عقبة ابن معيط فقيل وما علمناه الشعر اي وما علمناه بتعليم القرآن
الشعر على معنى ان هذا القرآن ليس بشعر • وما هو الشعر في شيء واين هو عن الشعر • والشعر انما هو كلام موزون
متقفى يدل على معنى فاين الوزن واين التقفية واين المعاني التي ينتحيها الشعراء عن معانيه واين نظم
كلامهم عن نظمه واساليبه فاذن لا مناسبة بينه وبين الشعر اذا حققت • اللهم الا ان هذا لفظه عربي
كما ان ذاك كذلك وما ينبغي له وما يصح له ولا يتطلب لو طلبه • اي جعلناه بحيث • لو اراد قرض الشعر
لم يتأت له ولم يتسهل • كما جعلناه اميا لا يتهدى للخط • ولا يحسنه لتكون الحجة اثبت والشبهة ادحض وعن
الخليل كان الشعر • احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكلام ولكن كان لا يتأتى له فان قلت فقوله
انا النبي لا اكذب انا ابن عبد المطلب • وقوله • هل انت الا اصبع دميت • وفي سبيل الله ما لقيت •
قلت ما هو الا كلام من جنس كلامه • الذي كان يرمي به على السليقة من غير صنعة فيه ولا تكلف
الا انه اتفق ذلك من غير قصد الى ذلك ولا التفات منه اليه ان جاء موزونا كما يتفق في كثير من انشاء
الناس في خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم اشياء موزونة لا يسميها احد شعرا ولا يخطر ببال المتكلم ولا •
السامع انه شعر واذا فتشت في كل كلام عن نحو ذلك • وجدت الواقع في اوزان البحور غير عزيز
على ان الخليل ما كان يعد المشطور من الرجز شعرا ولما نفى ان يكون القرآن من جنس الشعر قال
ان هو الا ذكر وقرآن مبين يعني ما هو الا ذكر من الله تعالى يوعظ به • الانس والجن كما قال تبارك وتعالى
ان هو الا ذكر للعالمين • وما هو الا قرآن كتاب سماوي تقرأ في المحاريب ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته
والعمل بما فيه فوز الدارين فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين لينذر من كان حيا
ويحق القول على الكافرين لينذر القرآن او الرسول وقرئ لتنذر بالتاء وليَنذر من نذر به اذا علمه
من كان حيا • اي عاقلا متأملا لان الغافل كالميت او معلوما منه انه يؤمن فيحيا بالايمان • ويحق القول
وتجب كلمة العذاب على الكافرين الذين لا يتأملون ولا يتوقع منهم الايمان اولم يروا انا خلقنا لهم
مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون مما عملت ايدينا مما تولينا نحن احداثه ولم نقدر على توليه
غيرنا وانما قال ذلك لبدائع الفطرة والحكمة فيها التي لا يصح ان يقدر عليها • الا هو وعمل الايدي استعارة
من عمل من يعملون بالايدي • فهم لها مالكون • اي خلقناها لاجلهم فملكناها اياهم فهم متصرفون فيها
تصرف الملاك مختصون بالانتفاع بها • او فهم لها ضابطون قاهرون من قوله •

• أصبحت لا احمل السلاح • ولا املك رأس البعير ان نفرا • اي لا اضبطه •

وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون وهو من جملة النعم الظاهرة والا فمن كان يقدر عليها
لولا تذليله وتسخيره لها كما قال القائل • يصرفه الصبي بكل وجه • ويحبسه على الخسف الجرير

• وتضربه الوليدة بالهراوى • فلا غير لديه ولا نكير • ولهذا الزم الله تعالى الراكب
• ان يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله • سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين • وقرئ ركوبتهم وهي
ما يركب كالحلوب • والحلوبة • وقيل الركوبة جمع وقرئ ركوبهم اي ذو ركوبهم او فمن منافعها

ركوبهم ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون منافع من الجلود والأوبار والأصواف وغير ذلك
ومشارب من اللبن ذكرها مجملة وقد فصلها في قوله تعالى وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا الآية
والمشارب جمع مشرب وهو موضع الشرب أو الشرب واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون
لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون اتخذوا الآلهة طمعا في أن يتقووا بهم ويعتضدوا بمكانهم
والأمر على عكس ما قدروا حيث هم جند لآلهتهم معدون محضرون يخدمونهم ويذبون عنهم ويغضبون
لهم والآلهة لا استطاعة بهم ولا قدرة على النصر أو اتخذوهم لينصروهم عند الله ويشفعوا لهم والأمر
على خلاف ما توهموا حيث هم يوم القيامة معدون محضرون لعذابهم لأنهم يجعلون وقود النار فلا يحزنك
قولهم إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون وقرئ فلا يحزنك بفتح الياء وضمها من حزنه وأحزنه
والمعنى فلا يهمنك تكذيبهم وأذاهم وجفاؤهم فإنا عالمون بما يسرون من عداوتهم وما يعلنون وإنا
مجازوهم عليه فحق مثلك أن يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر في نفسه صورة حاله وحالهم في الآخرة حتى
ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن فإن قلت ما تقول فيمن يقول إن قراءة قارئ أنا نعلم بالفتح
انتقضت صلاته وإن اعتقد ما يعطيه من المعنى كفر قلت فيه وجهان أحدهما أن يكون على حذف
لام التعليل وهو كثير في القرآن وفي الشعر وفي كل كلام وقياس مطرد وهذا معناه ومعنى الكسر سواء
وعليه تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الحمد لله والنعمة لك كسر أبو حنيفة وفتح الشافعي وكلاهما
تعليل والثاني أن يكون بدلا من قولهم كأنه قيل فلا يحزنك أنا نعلم ما يسرون وما يعلنون وهذا
المعنى قائم مع المكسورة إذا جعلتها مفعولة للقول فقد تبين أن تعلق الحزن بكون الله عالما وعدم
تعلقه لا يدور على كسر إن وفتحها وإنما يدور على تقديرك فتفصل إن فتحت بأن تقدره
معنى التعليل ولا تقدر البدل كما أنك تفصل بتقدير معنى التعليل إذا كسرت ولا تقدر معنى المفعولية
ثم إن قدرته كاسرا أو فاتحا على ما عظم فيه الخطب فذلك القائل فما فيه إلا نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الحزن على كون الله عالما بسرهم وعلانيتهم وليس النهي عن ذلك مما يوجب شيئا ألا ترى إلى قوله
تعالى فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله إلها آخر أولم ير
الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي
العظام وهي رميم قبح الله عز وجل إنكارهم البعث تقبيحا لا ترى أعجب منه وأبلغ وأدل على تمادي
كفر الإنسان وإفراطه في جحود النعم وعقوق الأيادي وتوغله في الخسة وتغلغله في القحة حيث قرره
بأن عنصره الذي خلقه منه هو أخس شيء وأمهنه وهو النطفة المذرة الخارجة من الإحليل الذي
هو قناة النجاسة ثم عجب من حاله بأن يتصدى مثله على مهانة أصله ودناءة أوله لمخاصمة الجبار
ويبرز صفحته لمجادلته ويركب متن الباطل ويلج ويمحك ويقول من يقدر على إحياء الميت بعدما
رمت عظامه ثم يكون خصامه في ألزم وصف له وألصقه به وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر
إنشاءه من موات وهي المكابرة التي لا مطمح وراءها وروي أن جماعة من كفار قريش منهم أبي ابن خلف
الجمحي وأبو جهل والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم أبي ألا ترون إلى ما يقول
محمد إن الله يبعث الأموات ثم قال واللات والعزى لأصيرن إليه ولأخصمنه وأخذ عظما باليا

فجعل

يجعل يفتّه بيده وهو يقول يا محمد أترى الله يحيي هذا بعد ما رمّ قال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك
ويدخلك جهنم. وقيل معنى قوله تعالى فإذا هو خصيم مبين فإذا هو بعد ما كان ماء مهينا
رجل مميّز منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما في نفسه فصيح كما قال تعالى أوَمن ينشّؤ في
الحلية وهو في الخصام غير مبين. فإن قلت لم سمّي قوله تعالى من يحيي العظام وهي رميم مثلا
قلت لما دلّ عليه من قصة عجيبة شبيهة بالمثل وهي إنكار قدرة الله على إحياء الموتى أو لما فيه من
التشبيه لأنّ ما أنكر من قبيل ما يوصف الله بالقدرة عليه بدليل النشأة الأولى فإذا قيل من يحيي العظام
على طريق الإنكار لأن يكون ذلك مما يوصف الله تعالى بكونه قادرا عليه كان تعجيزا لله تعالى وتشبيها
له بخلقه في أنهم غير موصوفين بالقدرة عليه. والرميم اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرمّة
والرفات فلا يقال لم لم يؤنث وقد وقع خبرا للمؤنث ولا هو فعيل بمعنى فاعل أو مفعول.
ولقد استشهد بهذه الآية من يثبت الحياة في العظام ويقول إن عظام الميتة نجسة لأن الموت
يؤثر فيها من قبل أن الحياة تحلها وأما أصحاب أبي حنيفة رحمة الله عليهم فهي عندهم طاهرة وكذلك
الشعر والعصب ويزعمون أن الحياة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت. ويقولون المراد بإحياء العظام
في الآية ردها إلى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي حساس قل يحييها الذي أنشأها أول مرة
وهو بكل خلق عليم وهو بكل خلق عليم يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شيء من خلق المنشآت والمعاد
ومن أجناسها وأنواعها وجلائلها ودقائقها الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه
توقدون ثم ذكر من بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الأخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها
به. وهي الزناد التي توري بها الأعراب. وأكثرها من المرخ والعفار وفي أمثالهم في كل شجر
نار واستمجد المرخ والعفار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما
الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهي أنثى فتنقدح النار بإذن الله. وعن ابن عباس رضي الله
عنهما ليس من شجرة إلا وفيها النار إلا العناب قالوا ولذلك تتخذ منه كذينقات القصارين.
الأخضر على اللفظ وقرئ الخضراء على المعنى ونحوه قوله تعالى من شجر من زقوم فمالئون منها البطون
فشاربون عليه من الحميم أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى
وهو الخلاق العليم من قدر على خلق السموات والأرض مع عظم شأنهما فهو على خلق الأناسي أقدر
وفي معناه قوله تعالى لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس. وقرئ يقدر. وقوله تعالى
أن يخلق مثلهم يحتمل معنيين أن يخلق مثلهم في الصغر والقماءة بالإضافة إلى السموات والأرض
أو أن يعيدهم لأن المعاد مثل للمبتدأ وليس به. وهو الخلاق الكثير المخلوقات العليم الكثير
المعلومات وقرئ الخالق إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون إنما أمره إنما شأنه
إذا أراد شيئا إذا دعاه داعي حكمة إلى تكوينه ولا صارف أن يقول له كن أن يكونه من غير
توقف فيكون فيحدث أي فهو كائن موجود لا محالة فإن قلت ما حقيقة قوله تعالى
أن يقول له كن فيكون قلت هو مجاز من الكلام وتمثيل لأنه لا يمتنع عليه شيء من المكونات
وإنه بمنزلة المأمور المطيع إذا ورد عليه أمر الآمر المطاع قلت فما وجه القراءتين في فيكون قلت

اما الرفع فلانها جملة من مبتدإ وخبر لان تقديرها فهو تكون معطوفة على مثلها وهي امره ان يقول له كن وأما
النصب فللعطف على نقول والمعنى انه لا يجوز عليه شيء مما يجوز على الاجسام اذا فعلت شيئا مما تقدر عليه من
المباشرة بمحال القدرة واستعمال الآلات وما يتبع ذلك من المشقة والتعب واللغوب انما امره وهو
القادر العالم لذاته ان يخلص داعيه الى الفعل فيتكون فمثله كيف يعجز عن مقدوره حتى يعجز عن الاعادة
فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون فسبحان تنزيه له عما وصفوه به وتعجيب من ان يقولوا
فيه ما قالوا وبيده ملكوت كل شيء هو مالك كل شيء والمتصرف فيه بمواجب مشيئته وقضايا حكمته وقرئ
ملكة كل شيء وممالك كل شيء وملك كل شيء والمعنى واحد ترجعون بضم التاء وفتحها وعن ابن عباس
رضي الله عنهما كنت لا اعلم ما روي في فضائل يس وقراءتها كيف خصت بذلك فاذا انه لهذه الآية
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا وان قلب القرآن يس يريد بها وجه الله غفر
الله له واعطي من الاجر كانما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به
ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه
ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم
قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة
بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث في
قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في القرآن سورة يشفع قارئها ويغفر لمستمعها ألا وهي سورة يس

سورة الصافات مكية — بسم الله الرحمن الرحيم — وهي مائة واثنتان وثمانون آية

والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا إن إلهكم لواحد أقسم سبحانه وتعالى بطوائف
الملائكة او بنفوسهم الصافات اقدامها في الصلاة من قوله تعالى وانا لنحن الصافون او اجنحتها
في الهواء واقفة منتظرة لامر الله فالزاجرات السحاب سوقا فالتاليات لكلام الله من
الكتب المنزلة وغيرها وقيل الصافات الطير من قوله عز وجل والطير صافات والزاجرات
كل ما زجر عن معاصي الله والتاليات كل من تلا كتاب الله ويجوز ان يقسم بنفوس العلماء العمال
الصافات اقدامها في التهجد وسائر الصلوات وصفوف الجماعات فالزاجرات بالمواعظ والنصائح
فالتاليات آيات الله والدارسات شرائعه او بنفوس قواد الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف
وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك لا تشغلها عنه تلك الشواغل كما يحكى عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه فان قلت ما حكم الفاء اذا جاءت عاطفة في الصفات قلت اما ان تدل
على ترتب معانيها في الوجود كقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب كأنه قيل الذي

صح نعنهم ثاقب • وأمّا على ترتيبها في التفاوت من بعض الوجوه • كقولك خذ الافضل فالاكمل واعمل الاحسن فالاجمل
وامّا على ترتيب موصوفاتها في ذلك كقوله • رحم الله المحلّقين • فالمقصّرين • فعلى هذه القوانين الثلاثة
ينساق وامر الفاء العاطفة فإن قلت فعلى اي هذه القوانين هي فيما انت بصدده قلت
ان وجدت الموصوف كانت الدلالة على ترتيب الصفات في التفاضل وان ثلثته فهي للدلالة على ترتيب الموصوفات
فيه بيان ذلك انك اذا اجريت هذه الاوصاف على الملائكة • وجعلتهم جامعين لها فعطفها بالفاء يفيد
ترتيبها في الفضل امّا ان يكون الفضل للصفّ • ثم للزجر ثم للتلاوة • وامّا على العكس وكذلك ان اردت
بالصافات الطير • وبالزاجرات • كل ما يزجر عن معصية الله • بالتاليات كل نفس تتلو الذكر فان الموصوفات
مختلفة • وقرئ بادغام التاء • في الصاد والزاي والذال رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ
ربّ السموات خبر بعد خبر • او خبر مبتدأ محذوف • والمشارق ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب
تشرق الشمس كل يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب • ولا تطلع ولا تغرب في واحد يومين
فان قلت فما اراد بقوله تعالى المشرقين ورب المغربين قلت اراد مشرقي الصيف
والشتاء • ومغربيهما اِنَّا زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِزِيْنَةِ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ الدنيا القربى
منكم والزينة مصدر كالنسبة • واسم لما يزان به الشيء كالليقة • اسم لما يلاق به الدواة • ويحتملهما
قوله تعالى بزينة الكواكب فان اردت المصدر فعلى اضافته الى الفاعل اي بان زانتها الكواكب
واصله بزينة الكواكب وعلى اضافته الى المفعول اي بان زان الله الكواكب وحسّنها لانها انما
زيّنت السماء بحسنها في انفسها واصله بزينة الكواكب وهي قراءة ابي بكر والاعمش ابن وثاب
وان اردت الاسم فللاضافة وجهان • ان تقع الكواكب بيانا للزينة لان الزينة مبهمة في الكواكب
وغيرها • مما يزان به مما زيّنت به الكواكب • وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما • بزينة الكواكب
بضوء الكواكب • ويجوز ان يراد اشكالها المختلفة كشكل الثريا • وبنات نعش • والجوزاء • وغير ذلك •
ومطالعها • ومسايرها • وقرئ على هذا المعنى بزينة الكواكب بتنوين بزينة • وجرّ الكواكب
على الابدال • ويجوز في نصب الكواكب ان يكون بدلا من محل بزينة • وحفظا مما على المعنى لان المعنى انّا
خلقنا الكواكب زينة للسماء • وحفظا من الشياطين كما قال سبحانه وتعالى • ولقد زيّنا السماء الدنيا
بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين • ويجوز ان يكون • ان يقدّر الفعل المعلّل كانه قيل وحفظا من كل شيطان
زيّناها بالكواكب • وقيل وحفظناها حفظا والمارد الخارج من الطاعة المتملّس منها لَا يَسَّمَّعُوْنَ اِلَى
الْمَلَاِ الْاَعْلٰى وَيُقْذَفُوْنَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُوْرًا وَّلَهُمْ عَذَابٌ وَّاصِبٌ اِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ
فَاَتْبَعَهٗ شِهَابٌ ثَاقِبٌ الضمير في لا يسمعون لكل شيطان مارد • لانه في معنى الشياطين • وقرئ بالتخفيف
والتشديد • واصله يتسمّعون • والتسمّع تطلّب السماع • يقال تسمّع فسمع او فلم يسمع • وعن ابن عباس رضي
الله عنهما هم يتسمّعون • ولا يسمعون وبهذا ينصر التخفيف على التشديد فان قلت لا يسمعون كيف
اتصل بما قبله قلت لا يخلو ان يتصل بما قبله على ان يكون صفة لكل شيطان واستينافا فلا تصحّ
الصفة لان الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا يسمّعون لا معنى له وكذلك الاستيناف لان سائلا لو سأل لم تحفظ
من الشياطين واجيب بانهم لا يسمعون لم يستقم فبقي ان يكون كلاما منقطعا مبتدأ اقتصاصا لما عليه حال المسترقة

الملأ ويراد العزاة وان اجريت الصفة الاولى على طوايف والثانية والثالثة على اخر فقد افادت ترتيب الموصوفات اعني الـ

الطوايف الصافات ذوات فضل والزاجرات افضل والتاليات ابهر فضلا او على العكس وكذا اذا اردت صح

بلغ مقا

للسمع وانهم لا يقدرون ان يسمعوا الى كلام الملائكة او يتسمّعوا وهم مقذوفون بالشهب مدحورون عن ذلك الّا من اختطف الخطفة وهو الاستراق. والاصل في المادة الاخذ بسرعة

من امهل حتى خطف خطفة واسترق استراقة فعندها تعاجله الهلكة باتباع الشهاب الثاقب فان قلت هل يصح قول من زعم ان اصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت في قولك جئتك ان تكرمني فبقي ان لا يسمعوا فحذفت ان واهدر عملها. كما في قول القائل. الا ايها الزاجري احضر الوغى. قلت كل واحد من هذين الحذفين غير مردود على انفراده. فاما اجتماعهما فمنكر من المنكرات على ان صون القران عن مثل هذا التعسف واجب فان قلت اي فرق بين سمعت فلانا تحدث وسمعت اليه تحدث وسمعت حديثه والى حديثه قلت المعدّي بنفسه يفيد الادراك والمعدّى بالى يفيد الاصغاء مع الادراك. والملأ الاعلى الملائكة لانهم لا يسكنون السموات. والانس والجن هم الملأ الاسفل لانهم سكان الارض. وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم الكتبة من الملائكة. وعنه اشراف الملائكة من كل جانب من جميع جوانب السماء. اي من جهة صعدوا للاستراق دحورا مفعول له. او يقذفون للدحور وهو الطرد. ومدحورين على الحال. او لان القذف والطرد متقاربان في المعنى فكانه قيل يدحرون او قذفا. وقرأ ابو عبد الرحمن السلمي بفتح الدال على قذفا دحورا طردا او على انه كالقبول والولوع والواصب الدائم وصب الامر وصوبا يعني انهم في الدنيا مرجومون بالشهب وقد اعدلهم في الاخرة نوع من العذاب واصب غير منقطع من في محل الرفع بدل من الواو في لا يسمعون اي لا يسمع الشياطين الا الشيطان الذي خطف الخطفة وقرئ خطف بكسر الخاء والطاء وتشديدها واصلها اختطف وقرئ فاتبعه فاتّبعه. فاستفتهم اهم اشد خلقا

امّن خلقنا انا خلقناهم من طين لازب الهمزة وان خرجت الى معنى التقرير فهي بمعنى الاستفهام في اصلها فلذلك قيل فاستفتهم اي استخبرهم اهم اشد خلقا ولم يقل. فقرّرهم والضمير لمشركي مكة وقيل نزلت في ابي الاشد بن كلدة وكنّي بذلك لشدة بطشه وقوته. ام من خلقنا يريد ما ذكر من خلائقه من الملائكة والسموات والارض والمشارق والكواكب والشهب الثواقب والشياطين المردة وغلّب اولي العقل على غيرهم فقال من خلقنا والدليل عليه قوله تعالى بعد عدّ هذه الاشياء فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا بالفاء المعقبة. وقوله ام من خلقنا مطلقا من غير تقييد بالبيان اكتفا ببيان ما تقدمه كانه قال خلقنا كذا وكذا من عجائب الخلق وبدائعه فاستفتهم اهم اشد خلقا ام الذي خلقناه من ذلك ويقطع به قراءة من قرأ ام من عددنا بالتخفيف والتشديد. واشد خلقا يحتمل اقوى خلقا من قولهم شديد الخلق وفي خلقه شدة واصعب خلقا واشقه على معنى الرد لانكارهم البعث والنشأة الاخرى وان من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه اهون وخلقهم من طين لازب الذي خلقوا منه تراب فمن اين استنكروا ان يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا ائذا كنا ترابا وهذا المعنى يعضده ما يلوح من ذكر انكارهم البعث وقيل من خلقنا من الامم الماضية وليس هذا القول بملائم وقرئ لازم. ولازب. والمعنى واحد. واللازب الشديد الاضافة بل عجبت ويسخرون واذا ذكروا

لا يذكرون واذا رأوا اية يستسخرون وقالوا ان هذا الا سحر مبين بل عجبت من قدرة الله تعالى على هذه الخلائق العظيمة وهم يسخرون منك ومن تعجبك وما تريهم من اثار قدرته او من انكارهم البعث وهم

يسخرون

يسخرون من أمر البعث • وقرئ بضم التاء اي بلغ من عظم آياتي وكثرة خلائقي أني عجبت منها فكيف بعبادي
وهؤلاء بجهلهم وعنادهم يسخرون من آياتي او عجبت من ان ينكروا البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن
يصف الله بالقدرة عليه • فإن قلت كيف يجوز العجب على الله تعالى وانما هو روعة تعتري الانسان عند
استعظامه الشيء والله تعالى لا يجوز عليه الروعة • قلت فيه وجهان احدهما ان يجرد العجب لمعنى الاستعظام
والثاني ان يتخيل العجب ويفرض • وقد جاء في الحديث • عجب ربكم من ألكم وقنوطكم • وسرعة إجابته
إياكم وكان شريح يقرأ بالفتح • ويقول ان الله لا يعجب من شيء وانما يعجب من لا يعلم • فقال ابراهيم النخعي
رحمه الله ان شريحا كان يعجبه علمه • وعبد الله اعلم يريد عبد الله بن مسعود رضي الله عنه • وكان يقرأ
بالضم • وقيل معناه قل يا محمد بل عجبت • واذا ذكروا ودأبهم انهم اذا وعظوا لا يتعظون به • واذا رأوا
آية من آيات الله البينة كانشقاق القمر ونحوه يستسخرون يبالغون في السخرية • او يستدعي بعضهم
من بعض ان يسخر منها أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أوآباؤنا الأولون قل نعم وأنتم
داخرون وآباؤنا معطوف على محل ان واسمها او على الضمير في مبعوثون والذي جوز العطف عليه الفصل
بهمزة الاستفهام والمعنى أيبعث أيضا آباؤنا على زيادة الاستبعاد يعنون انهم اقدم فبعثهم ابعد وابطل
وقرئ أو آباؤنا قل نعم وقرئ • نعم بكسر العين وهما لغتان • وقرئ قال نعم اي الله او الرسول
والمعنى نعم تبعثون وانتم داخرون صاغرون أئنا لمبعوثون أوآباؤنا الأولون قل نعم وأنتم داخ
فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون فإنما جواب شرط مقدر تقديره • اذا كان ذلك فما هي الا زجرة
واحدة وهي لا ترجع الى شيء انما هي مبهمة • يوضحها خبرها • ويجوز فانما البعثة زجرة واحدة وهي النفخة
الثانية • والزجرة الصيحة • من قولك زجر الراعي الغنم او الإبل اذا صاح عليها فريعت •
لصوته • ومنه • قوله • زجر ابي عروة السباع • اذا اشفق ان يختلطن بالغنم •
يريد • تصويته بها فإذا هم أحياء بصراء ينظرون وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذي
كنتم به تكذبون يحتمل ان يكون هذا يوم الدين الى قوله تعالى احشروا من كلام الكفرة بعضهم مع
بعض وان يكون من كلام الملائكة • وان يكون يا ويلنا • هذا يوم الدين • كلام الكفرة • وهذا يوم الفصل
من كلام الملائكة جوابا لهم ويوم الدين الذي ندان فيه • اي نجازى باعمالنا • ويوم الفصل يوم القضاء والفرق
بين فرق الهدى والضلالة احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم
إلى صراط الجحيم احشروا خطاب الله للملائكة • او خطاب بعضهم مع بعض وازواجهم وضرباءهم • عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم نظراؤهم واشباههم من العصاة واهل الزنا واهل السرقة مع اهل
السرقة • وقيل قرناؤهم من الشياطين • وقيل نساؤهم اللاتي على دينهم • فاهدوهم فعرفوهم طريق
النار • حتى يسلكوها • وقفوهم إنهم مسؤولون ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون هذا
تهكم بهم وتوبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعدما كانوا على خلاف ذلك في الدنيا متعاضدين متناصرين
بل هم اليوم مستسلمون قد اسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر • وقرئ لا تتناصرو
ولا تناصرون بالادغام وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين • اليمين
لما كانت اشرف العضوين • وامنهما وكانوا يتيمنون بها فبها يصافحون ويماسحون ويناولون ويتناولون

ويزالون الناس الامور ويتشاءمون بالشمال ولذلك سموها الشؤمى كما سموا اختها اليمنى وتيمنوا بالسانح وتطيروا
بالبارح وكان الاعسر معيبا عندهم وعضدت الشريعة ذلك فأمرت بمباشرة افاضل الامور باليمين واراذلها
بالشمال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التيامن في ذلك في كل شيء وجعلت اليمين لكاتب الحسنات
والشمال لكاتب السيئات ووعد المحسن ان يؤتى كتابه بيمينه والمسيء ان يؤتاه بشماله استعيرت لجهة الخير وجانبه
فقيل اتاه عن اليمين اي من قبل الخير وناحيته فصده عنه واضله وجاء في بعض التفسير من اتاه الشيطان
من جهة اليمين اتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق ومن اتاه من جهة الشمال اتاه من قبل الشهوات ومن اتاه من بين
يديه اتاه من قبل التكذيب بالقيامة وبالثواب والعقاب ومن اتاه من خلفه خوفه الفقر على نفسه
وعلى من يخلف بعده فلم يصل رحما ولم يؤد زكوة فإن قلت قولهم اتاه من جهة الخير وناحيته مجاز
في نفسه مستعارة للقوة والقهر لان اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطش فكيف اذا جعلت اليمين مجازا عن المجاز
قلت من المجاز ما غلب في الاستعمال حتى لحق بالحقائق وهذا من ذاك ولك ان تجعلها مستعارة للقوة والقهر
لان اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطش والمعنى انكم كنتم تأتوننا عن القوة والقهر وتقصدوننا عن السلطان
والغلبة حتى تحملونا على الضلالة وتقسرونا عليه وهذا من خطاب الاتباع لرؤسائهم والغواة لشياطينهم
قالوا بل لم تكونوا مؤمنين بل لم تكونوا مؤمنين بل ابيتم انتم الايمان واعرضتم عنه مع تمكنكم منه
مختارين له على الكفر غير ملجئين اليه وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين وما كان لنا
عليكم من تسلط نسلبكم به تمكنكم واختياركم بل كنتم قوما مختارين الطغيان فحق علينا قول ربنا
انا لذائقون فحق علينا فلزمنا قول ربنا انا لذائقون يعني وعيد الله بانا ذائقون لعذابه لا محالة
لعلمه بحالنا واستحقاقنا بها العقوبة ولو حكى الوعيد كما هو لقال انكم لذائقون ولكنه عدل
به الى لفظ المتكلم لانهم متكلمون بذلك عن انفسهم ونحوه قول القاشل
لقد زعمت هوازن قل مالي ولو حكى قولها لقال قل مالك ومنه
قول المحلف للحالف احلف لاخرجن ولتخرجن الهمزة لحكاية لفظ الحالف والتاء لاقبال
المحلف على المحلف فاغويناكم انا كنا غاوين فانهم يومئذ في العذاب مشتركون انا كذلك نفعل
بالمجرمين فاغويناكم فدعوناكم الى الغي دعوة محصلة للبغية لقبولكم لها واستحبابكم الغي على الرشد انا كنا
غاوين فاردنا اغواءكم لتكونوا امثالنا فانهم فان الاتباع والمتبوعين جميعا يومئذ يوم القيمة مشتركون في
العذاب كما كانوا مشتركين في الغواية انا مثل ذلك الفعل نفعل بكل مجرم يعني ان سبب العقوبة
هو الاجرام فمن ارتكبه استوجبها انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون انهم كانوا اذا بالمجرمين
سمعوا بكلمة التوحيد نفروا واستكبروا عنها وابوا الا الشرك ويقولون ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر
مجنون لشاعر مجنون يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم بل جاء بالحق وصدق المرسلين بل جاء بالحق رد على
المشركين وصدق المرسلين تصديق لهم مصدقا لما بين يديه انكم لذائقوا العذاب الاليم وقرئ
لذائقوا العذاب بالنصب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا بتقدير التنوين
وقرئ على الاصل لذائقون العذاب وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا عباد الله المخلصين الا ما
كنتم تعملون الا مثل ما عملتم جزاء سيئا بعمل سيئ الا عباد الله المخلصين ولكن عباد الله على الاستثناء المنقطع

اوليك

اولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون في جنات النعيم فسّر الرزق المعلوم بالفواكه وهي كل ما يتلذذ به ولا
يتقوّت لحفظ الصحة يعني أن رزقهم كله فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات بانهم اجسام محكمة مخلوقة
للابد فكل ما ياكلونه ياكلونه على سبيل التلذذ ويجوز ان يراد رزق معلوم منعوت بخصايص خلق عليها من طيب
طعم ورايحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم الوقت لقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وعن قتادة
الرزق المعلوم الجنة وقوله في جنات يأباه وقوله تعالى وهم مكرمون هو الذي يقوله العلماء في حد الثواب
على سبيل المدح والتعظيم وهو من اعظم ما يجب ان تتوق اليه نفوس ذوي الهمم كما ان من اعظم ما يجب ان تنفر
عنه نفوسهم هو ان اهل النار وصغارهم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكاس من معين التقابل اتم للسرور
والانس وقيل لا ينظر بعضهم الى قفا بعض يقال للزجاجة فيها الخمر كاس وتسمى الخمر نفسها كاسا قال وكاس شربت
على لذة وعن الاخفش كل كاس في القران فهي الخمر وكذا في تفسير ابن عباس رضي الله عنهما من معين من شراب معين
او نهر معين وهو الجاري على وجه الارض الظاهر للعيون وصف بما يوصف به العيون الما لانه يجري في الجنة
في انهار كما يجري الماء قال الله عز وجل وانهار من خمر بيضاء لذة للشاربين بيضاء صفة للكاس لذة
اما ان توصف باللذة كانها نفس اللذة وعينها او هي تانيث اللذ يقال لذ الشيء فهو لذ ولذيذ ووزنه فعل
كقولك رجل طب قال ولذ كطعم الصرخدي تركته بارض العدى من خشية الحدثان
يريد النوم لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون الغول من غاله يغوله غولا اذا اهلكه وافسده
ومنه الغول التي في تكاذيب العرب وفي امثالهم الغضب غول الحلم و ينزفون
للمفعول من نزف الشارب اذا ذهب عقله ويقال للسكران نزيف ومنزوف ويقال للمطعون نزف
فمات اذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها اذا لم تترك فيها ماء وفي امثالهم اجبن من
المنزوف ضرطا وقرئ ينزفون من انزف الشارب اذا ذهب عقله او شرابه قال لعمري

لعمري لئن انزفتم او صحوتم ... لبئس الندامى كنتم آل ابجرا

ومعناه صار ذا نزف ونظيره اقشع السحاب وقشعته الريح وكب الرجل وكببته وحقيقتها
دخلا في الكب والقشع وفي قراءة طلحة بن مصرف ينزفون بضم الزاي من نزف ينزف كقرب يقرب اذا
سكر والمعنى لا فيها فساد قط من انواع الفساد التي تكون في شرب الخمر من مغص او صداع او خمار او عربدة
او لغو او تاثيم او غير ذلك ولا هم يسكرون وهو اعظم مفاسدها فافرزه وافرده بالذكر وعندهم
قاصرات الطرف عين كانهن بيض مكنون قاصرات الطرف قصرن ابصارهن على ازواجهن لا يمددن طرفا
الى غيرهم كقوله تعالى عربا والعين النجل العيون شبههن ببيض النعام المكنون في الاداحي وبها تشبه
العرب النساء وتسميهن بيضات الخدور فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم اني كان لي
قرين يقول ائنك لمن المصدقين ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون فان قلت علام
عطف قوله فاقبل بعضهم على بعض قلت على يطاف عليهم والمعنى يشربون فيتحادثون على الشراب
قال وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام فيقبل بعضهم على بعض
يتساءلون عما جرى لهم وعليهم في الدنيا الا انه يجيء به ماضيا على عادة الله في اخباره قرين من
المصدقين بيوم الدين او من المتصدقين لطلب الثواب والله لا اعطيك شيئا وقيل نزلت في
رجل تصدق بماله لوجه الله تعالى فاحتاج فاستجدى بعض اخوانه فقال واين مالك قال تصدقت به

على البناء

ليقرضه في الله في الاخرة خيراً منه • فقال أإنك لمن المصدقين بيوم الدين • او من المتصدقين لطلب الثواب والله
لا اعطيك شيئاً ف لمدينون لمجزيون من الدين وهو الجزاء • او لمسوسون مربوبون يقال دانه ساسه •
ومنه الحديث العاقل من دان نفسه قال هل انتم مطلعون فاطلع فرآه في سواء الجحيم قال يعني ذلك القائل
هل انتم مطلعون الى النار • لاريكم ذلك القرين • قيل ان في الجنة كوى • ينظر اهلها منها الى اهل النار • وقيل
القائل هو الله عز وجل • وقيل بعض الملائكة • يقول لاهل الجنة • هل تحبون ان تطلعوا • فتعلموا • اين
منزلكم من منزلة اهل النار • وقرئ مطلعون • فاطلع وفاطلع • بالتشديد على لفظ الماضي • والمضارع
المنصوب • ومطلعون فاطلع • وفاطلع • بالتخفيف على لفظ الماضي • والمضارع المنصوب يقال طلع علينا فلان
واطلع واطلع • بمعنى واحد • والمعنى هل انتم مطلعون الى القرين • فاطلع انا ايضاً او عرض عليهم الاطلاع فاعترضوه
فاطلع هو بعد ذلك • وان جعلت الاطلاع • من اطلعه غيره • فالمعنى انه لما شرط في اطلاعه اطلاعهم ه
وهو من آداب المجالسة ان لا يستبد بشيء دون جلسائه فكانهم مطلعون • وقيل الخطاب على هذا للملائكة •
وقرئ مطلعون بكسر النون • اراد مطلعون اياي • فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون
الخير والامرونه • او شبه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع لتآخ بينهما كانه قيل تطلعون وهو ضعيف
لا يقع • الا في الشعر في سواء الجحيم في وسطها يقال تعبت حتى انقطع سوائي • وعن ابي عبيدة قال لي
عيسى بن عمر كنت اكتب • يا ابا عبيدة • حتى ينقطع سوائي قال تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربي
لكنت من المحضرين ان مخففة من الثقيلة وهي تدخل على كاد كما تدخل على كان ونحوه ان كاد
ليضلنا • واللام هي الفارقة بينها وبين النافية ف والارداء الاهلاك • وفي قراءة عبد الله ه
لتغوين ف نعمة ربي هي العصمة والتوفيق في الاستمساك • بعروة الاسلام والبراءة من قرين السوء
او انعام الله بالثواب • وكونه من اهل الجنة • من المحضرين من الذين احضروا العذاب كما احضرته
انت وامثالك افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين الذي عطفت عليه الفاء محذوف
معناه انحن مخلدون ومنعمون فما نحن بميتين ولا معذبين • وقرئ بما نحن بمعذبين • والمعنى ان هذه حال المؤمنين
وما قضى الله به لهم ف للعلم باعمالهم • ان لا يذوقوا الا الموتة الاولى • بخلاف الكفار فانهم فيما
يتمنون فيه الموت كل ساعة • وقيل لبعض الحكماء • ما شر من الموت • قال الذي يتمنى فيه الموت يقوله
المؤمن تحدثاً بنعمة الله • واغتباطاً بحاله ف وبمسمع من قرينه ليكون توبيخاً له يزيد به تعذباً وليحكيه
الله فيكون لنا لطفاً وزاجراً ويجوز ان يكون قولهم جميعاً ان هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا
فليعمل العاملون وكذلك قوله تعالى ان هذا لهو الفوز العظيم اي ان هذا الامر الذي نحن فيه
وقيل هو من قول الله عز وجل تقريراً لقولهم وتصديقاً له وقرئ لهو الرزق العظيم هو ما رزقوه
من السعادة تمت قصة المؤمن وقرينه ثم رجع الى ذكر الرزق المعلوم فقال تعالى اذلك خير
نزلاً ام شجرة الزقوم انا جعلناها فتنة للظالمين انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها
كانه رؤوس الشياطين اذلك الرزق خير نزلاً اي خير حاصلاً ام شجرة الزقوم واصل النزل
الفضل والريع في الطعام • يقال طعام كثير النزل فاستعير للحاصل من الشيء وحاصل الرزق
المعلوم • اللذة والسرور وحاصل شجرة الزقوم • الالم والغم • وانتصاب نزلاً على التمييز ولك ان
تجعله حالاً • كما تقول اثمر النخلة خير بلحاً ام رطباً • يعني ان الرزق المعلوم نزل اهل الجنة واهل النار

العاقل م

تتمنون صح

نزلهم

نزله شجرة الزقوم فانها خير في كونه نزلا والنزل ما يقام للنازل بالمكان من الرزق ومنه انزال الجند
لارزاقهم كما يقال لما يقام لساكن الدار السكن ومعنى الاول ان الرزق المعلوم نزلا لشجرة الزقوم
نزلا فايهما خير نزلا ومعلوم انه لا خير في شجرة الزقوم ولكن المومنين لما اختاروا ما ادى الى الرزق
المعلوم واختار الكافرون ما ادى الى شجرة الزقوم قيل لهم ذلك توبيخا على سوء اختيارهم فتنة
للظالمين محنة وعذابا لهم في الاخرة او ابتلاء لهم في الدنيا وذلك انهم قالوا يكون في النار شجرة والنار
تحرق الشجر فكذبوا وقرى نابتة في اصل الجحيم قيل منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها
والطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم ومن حملها استعارة لفظية او معنوية وشبه برءوس
الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهية وقبح المنظر لان الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس
لاعتقادهم انه شر محض لا يخلطه خير فيقولون في القبيح الصورة كانه راس شيطان واذا صوره المصورون
جاءوا بصورته على اقبح ما يقدر واهوله كما انهم اعتقدوا في الملك انه خير محض لا شر فيه فشبهوا به الصورة
الحسنة قال الله عز وجل ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وهذا تشبيه تخييلي وقيل الشيطان
حية عرفاء لها صورة قبيحة المنظر هائلة جدا وقيل ان شجرا يقال له الاستن خشنا منتنا مرا منكر
الصورة يسمى ثمره رءوس الشياطين وما سمت العرب هذا الثمر برءوس الشياطين الا قصدا الى احد التشبيهين
ولكنه بعد التسمية بذلك رجع اصلا ثانيا يشبه به فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ثم ان لهم
عليها لشوبا من حميم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم منها من الشجر اي من طلعها فمالئون بطونهم لما يغلبهم
من الجوع الشديد او يقسرون على اكلها وان كرهوها ليكون بابا من العذاب فاذا شبعوا غلبهم
العطش فيشربون شرابا من غساق او صديد شوبه اي مزاجه من حميم يشوي وجوههم ويقطع
امعاءهم كما قال في صفة شراب اهل الجنة ومزاجه من تسنيم وقرى لشوبا بالضم وهو اسم ما
يشاب به والاول تسمية بالمصدر فان قلت ما معنى حرف التراخي في قوله تعالى ثم ان لهم عليها
لشوبا وفي قوله تعالى ثم ان مرجعهم قلت في الاول وجهان احدهما انهم يملؤون البطون من
شجر الزقوم وهو حار يحرق بطونهم ويعطشهم فلا يسقون الا بعد ملي تعذيبا بذلك العطش
ثم يسقون ما هو احر وهو الشراب عن حال الطعام ومباينة صفته لصفته المشوب بالحميم والثاني
انه ذكر الطعام بتلك الكراهة والبشاعة ثم ذكر الشراب بما هو اكره وابشع فجاء بثم للدلالة
على تراخي حال الشراب عن حال الطعام ومباينة صفته لصفته في الزيادة عليه ومعنى الثاني انهم
يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم وهي الدركات التي اسكنوها الى شجرة الزقوم الى
ان يملؤوا ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون الى دركاتهم ومعنى التراخي في ذلك بين وقرى
ثم ان منقلبهم ثم ان مصيرهم ثم ان منقذهم الى الجحيم انهم الفوا اباءهم ضالين فهم
على اثارهم يهرعون علل استحقاقهم للوقوع في تلك الشدائد كلها بتقليد الاباء في الدين واتباعهم
اياهم على الضلال وترك اتباع الدليل والاهراع الاسراع الشديد كانهم يحثون حثا وقيل اسراع
فيه شبه بالرعدة ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان
عاقبة المنذرين الا عباد الله المخلصين ولقد ضل قبلهم قبل قومك قريش ومنذرين انبياء حذروهم

فيأكلون

العواقب المنذرين الذين انذروا وحذروا اي اهلكوا جميعا الا عباد الله الذين امنوا منهم واخلصوا دينهم لله
او اخلصهم الله لدينه على القراءتين ولقد نادينا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه واهله من الكرب العظيم
وجعلنا ذريته هم الباقين لما ذكر ارسال المنذرين في الامم الخالية وسوء عاقبة المنذرين اتبع ذلك
ذكر نوح عليه الصلاة والسلام ودعائه اياه حين ايس من قومه واللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف
والمخصوص بالمدح محذوف تقديره فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع دليل العظمة والكبرياء والمعنى انا
اجبناه احسن الاجابة واوصلناه الى مراده وبلغناه من نصرته على اعدائه والانتقام منهم بابلغ
ما يكون هم الباقين هم الذين بقوا وحدهم وتداني غيرهم فقد روي انه مات كل من كان معه في السفينة
غير ولده او هم الذين بقوا متناسلين الى يوم القيامة قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح عليه
الصلاة والسلام وكان له ثلاثة اولاد سام وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس والروم
وحام ابو السودان من المشرق الى المغرب ويافث ابو الترك ويأجوج ومأجوج وتركنا عليه
في الاخرين سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ثم اغرقنا
الاخرين وتركنا عليه في الاخرين من الامم هذه وهي سلام على نوح يعني يسلمون عليه تسليما ويدعون له
وهو من الكلام المحكي كقولك قرأت سورة انزلناها فان قلت فما معنى قوله في العالمين قلت
معناه الدعاء بثبوت هذه التحية فيهم جميعا وان لا يخلوا احد منهم منها كانه قيل ثبت الله التسليم
على نوح وادامه في الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن اخرهم علل مجازاة نوح عليه الصلاة والسلام بتلك
الكرامة التكرمة السنية من تبقية ذكره وتسليم العالمين عليه الى اخر الدهر بانه كان محسنا
ثم علل كونه محسنا بانه كان عبدا مؤمنا ليريك جلالة محل الايمان وانه القصارى من صفات
المدح والتعظيم ويرغبك في تحصيله والازدياد منه وان من شيعته لابراهيم اذ جاء
ربه بقلب سليم من شيعته ممن شايعه على اصول الدين وان اختلفت شرائعهما او شايعه
على التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين ويجوز ان يكون بين شريعتيهما اتفاق في اكثر الاشياء
وعن ابن عباس رضي الله عنهما من اهل دينه وعلى سنته وما كان بين نوح وابراهيم عليهما الصلاة والسلام
الا نبيان هود وصالح عليهما الصلاة والسلام وكان بين نوح وابراهيم عليهما الصلاة والسلام الفان وستمائة
واربعون سنة فان قلت بم تعلق الظرف قلت بما في الشيعة من معنى المشايعة يعني وان ممن
شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه بقلب سليم لابراهيم او بمحذوف وهو اذكر بقلب سليم من جميع
افات القلوب وقيل من الشرك ولا معنى للتخصيص لانه مطلق فليس بعض الافات اولى من بعض فتناولها
كلها فان قلت ما معنى المجيء بقلبه ربه قلت معناه انه اخلص لله قلبه وعرف ذلك منه
فضرب المجيء مثلا لذلك اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون ائفكا الهة دون الله تريدون فما
ظنكم برب العالمين افكا مفعول له تقديره أتريدون الهة من دون الله افكا وانما قدم المفعول على
الفعل للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لانه كان الاهم عنده ان يكافحهم بانهم على افك وباطل في
شركهم ويجوز ان يكون افكا مفعولا به يعني اتريدون افكا ثم فسر الافك بقوله الهة من دون الله
على انها افك في انفسها ويجوز ان يكون حالا بمعنى اتريدون الهة من دون الله افكين فما ظنكم برب العالمين

من

بمن هو الحقيق بالعبادة لأنّ من كان ربّا للعالمين استحق عليهم ان يعبدوه حتى تركتم عبادته الى عبادة الاصنام والمعنى
انه لا يقدر في وهمٍ ولا ظنٍّ ما يصدّ عن عبادته ● او فما ظنكم به أيّ شيءٍ هو من الاشياء حتى جعلتم الاصنام له اندادا او فما
ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم فتولوا عنه مدبرين
في علم النجوم او في كتابها او في احكامها ● وعن بعض الملوك انه سال عن مشتهاه ● فقال احبيب انظر اليه ومحتا
انظر اليه ● وحساب انظر فيه ● كان القوم نجّامين ● فاوهمهم انه استدل بامارة في علم النجوم على انه يسقم ● فقال
اني سقيم ● اي انّي مشارفٌ للسقم وهو الطاعون ● وكان اغلب الاسقام عليهم ● وكانوا يخافون العدوى ●
ليتفرقوا عنه فهربوا منه الى عيدهم ● وتركوه في بيت الاصنام ليس معه احد فيفعل بالاصنام ما فعل ● فان قلت
كيف جاز له ان يكذب قلت قد جوّزه بعض الناس في المكيدة في الحرب ● والتقية وارضاء الزوج والصلح
بين المتخاصمين والمتهاجرين ● والصحيح ان الكذب حرام ● الا اذا عرّض وورّى والذي قاله ابرهيم عليه الصلاة
والسلام معرّض من الكلام ● ولقد نوى به ان من في عنقه الموت سقيم ● ومنه المثل كفى بالسلامة داء ●
وقول لبيد ● فدعوت ربي بالسلامة جاهدا ● ليصحني فاذا السلامة داء ● ●
وقد مات رجل فجأة ● فالتفّ عليه الناس ● وقالوا مات وهو صحيح ● فقال اعرابي أصحيحٌ من الموت في عنقه
وقيل اراد اني سقيم النفس لكفركم فراغ الى الهتهم فقال الا تاكلون ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا
باليمين فراغ الى الهتهم فذهب اليها في خفية من روغة الثعلب الى الهتهم الى اصنامهم التي هي في زعمهم
الهة ● كقوله تعالى ● اين شركائي ● الا تاكلون ما لكم لا تنطقون ● استهزاء بها وبانحطاطها عن حال عبدتها ● فراغ
عليهم فاقبل عليهم مستخفيا ● كانه قال فضربهم ضربا لان راغ عليهم بمعنى ضربهم او فراغ عليهم يضربهم
ضربا بمعنى ضاربا ● وقرئ صفقا سفقا ● ومعناهما الضرب ● ومعنى ضربا باليمين ضربا شديدا قويا
لان اليمين اقوى الجارحتين ● واشدهما ● وقيل بالقوة والمتانة ● وقيل بسبب الحلف وهو قوله
تعالى ● تالله لاكيدنّ اصنامكم فاقبلوا اليه يزفون قال اتعبدون ما تنحتون يزفون يسرعون من زفيف
ويزفون ● من وزف ● يزف اذا اسرع ● ويزفون من زفاه اذا حداه كان بعضهم يزفون بعضا لتسارعهم
اليه ● فان قلت بين هذا وبين قوله تعالى قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم
يقال له ابرهيم ● كالتناقض حيث ذكر ههنا انهم ادبروا عنه خيفة العدوى فلما ابصروه يكسرهم اقبلوا اليه
متبادرين ليكفّوه ويوقعوا به ● وذكر ثم انهم سالوا عن الكاسر حتى قيل لهم سمعنا ابراهيم يذمهم فلعله هو الكاسر
ففي احدهما انهم شاهدوه يكسرها ● وفي الاخر انهم استدلوا بذمه على انه الكاسر قلت فيه وجهان احدهما
ان يكون الذين ابصروه وزفوا اليه نفرا منهم دون جمهورهم وكبرائهم ● فلما رجع الجمهور والعلية من عيدهم
الى بيت الاصنام لياكلوا الطعام ● الذي وضعوه عندها لتبرك عليه ورأوها مكسورة اشمأزوا من ذلك وسالوا
من فعل هذا بها ثم لم ينمّ عليه اولئك النفر نميمة صريحة ولكن على سبيل التورية والتعريض بقولهم سمعنا فتى
يذكرهم لبعض الصوارف ● والثاني ان يكسرها ويذهب ولا يشعر بذلك احد ويكون اقبالهم اليه يزفون بعد
رجوعهم ● من عيدهم وسؤالهم عن الكاسر وقولهم فاتوا به على اعين الناس والله خلقكم وما تعملون
والله خلقكم وما تعملون ● يعني خلقكم وخلق ما تعملونه من الاصنام ● كقوله تعالى بل ربكم رب السموات
والارض الذي فطرهن ● اي فطر الاصنام ● فان قلت كيف يكون الشيء الواحد مخلوقا لله معمولا لهم حيث اوقع

خلقه وعملهم عليها جميعاً قلت هذا كما يقال عمل النجار الباب والكرسي وعمل الصائغ السوار والخلخال والمراد عمل اشكال
هذه الاشياء وصورها دون جواهرها والاصنام جواهر واشكال فخالق جواهرها الله وعاملوا اشكالها الذين
يشكلونها بنحتهم وحذفهم بعض اجزائها حتى يستوي التشكيل الذي يريدونه فان قلت فما انكرت ان تكون
مصدرية لا موصولة ويكون المعنى والله خلقكم وعملكم كما تقول المجبرة قلت اقرب ما يبطل به هذا
السؤال بعد بطلانه بحجج العقل والكتاب ان معنى الآية يأباه اباءً جلياً وينبو عنه نبواً ظاهراً وذلك ان الله
عز وجل قد احتج عليهم بان العابد والمعبود جميعاً خلق الله فكيف يعبد المخلوق المخلوق على ان العابد منهما هو الذي
عمل صورة المعبود وشكله ولولاه لما قدر ان تصور نفسه وتشكلها ولو قلت والله خلقكم وخلق عملكم
لم يكن محتجاً عليهم ولا كان لكلامك طباق وشيء آخر وهو ان قوله ما تعملون ترجمة عن قوله ما تنحتون
وما في ما تنحتون موصولة لا مقال فيها فلا يعدل بها عن اختها الا متعسف متعصب لمذهبه من غير نظر
في علم البيان ولا تبصر لنظم القرآن فان قلت اجعلها موصولة حتى لا يلزمني ما الزمت واريد وما
تعملونه من اعمالكم قلت بل الالزامان في عنقك لا يفكهما الا الاذعان للحق وذلك انك وان جعلتها
موصولة فانك في ارادتك بها العمل غير محتج على المشركين كحالك وقد جعلتها مصدرية وايضاً فانك قاطع بذلك
الوصلة بين تعملون وما تنحتون حيث تخالف بين المرادين بهما فتريد بما تنحتون الاعيان التي هي الاصنام
وبما تعملون المعاني التي هي الاعمال وفي ذلك فك النظم وتبتيره كما اذا جعلتها مصدرية قالوا ابنوا له
بنياناً فالقوه في الجحيم فارادوا به كيداً فجعلناهم الاسفلين الجحيم النار الشديدة الوقود وقيل كل نار
على نار وجمر فوق جمر فهي جحيم والمعنى ان الله تعالى غلبه عليهم في المقامين جميعاً واذلهم بين يديه
ارادوا ان يغلبوه بالحجة فلقنه الله والهمه ما القمهم به الحجر وقهرهم فمالوا الى المكر فابطل الله مكرهم
وجعلهم الاذلين الاسفلين لم يقدروا عليه وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين اراد بذهابه الى ربه
مهاجرته الى حيث امره بالمهاجرة اليه من ارض الشام كما قال اني مهاجر الى ربي سيهدين سيرشدني
الى ما فيه صلاحي في ديني ويعصمني ويوفقني كما قال موسى عليه الصلاة والسلام كلا ان معي ربي سيهدين
كان الله وعده وقال له سأهديك فاجري كلامه على سنن موعد ربه او بناه على عادة الله معه في هدايته
وارشاده واظهر بذلك توكله وتفويضه امره الى الله ولو قصد الرجاء والطمع لقال كما قال موسى عسى ربي
ان يهديني سواء السبيل رب هب لي من الصالحين فبشرناه بغلام حليم هب لي من الصالحين هب لي
بعض الصالحين يريد الولد لان لفظ الهبة غلب في الولد وان كان قد جاء في الاخ في قوله تعالى ووهبنا له من
رحمتنا اخاه هرون نبياً قال الله عز وجل ووهبنا له اسحاق ويعقوب ووهبنا له يحيى وقال
علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لابن عباس رضي الله عنهما حين هنأه بولد على ابي الاملاك شكرت
الواهب وبورك لك في الموهوب ولذلك وقعت التسمية بهبة الله وبموهوب ووهب وموهب
وقد انطوت البشارة على ثلث على ان الولد غلام ذكر وانه يبلغ اوان الحلم وانه يكون
حليماً واي حلم اعظم من حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين
ثم استسلم لذلك وقيل ما نعت الله الانبياء عليهم الصلاة والسلام باقل مما نعتهم بالحلم وذلك لعزة
وجوده ولقد نعت الله به ابراهيم عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى ان ابراهيم لاواه حليم ان ابرهيم لحليم اواه

منيب

منبئ لان الحادثة شهدت بحلمهما جميعا فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى
قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين فلما بلغ ان يسعى مع ابيه في اشغاله وحوائجه فان قلت
معه بم يتعلق قلت لا يخلو اما ان يتعلق ببلغ او بالسعي او بمحذوف ولا يصح تعلقه ببلغ لاقتضائه بلوغهما معا
حد السعي ولا بالسعي لان صلة المصدر لا تتقدم عليه فبقي ان يكون بيانا كانه لما قال فلما بلغ السعي اي الحد الذي
يقدر فيه على السعي قيل مع من قال مع ابيه والمعنى في اختصاص الاب انه ارفق الناس به واعطفهم عليه وغيره
ربما عنف به في الاستسعاء فلا يحتمله لانه لم تستحكم قوته ولم يصلب عوده وكان اذ ذاك ابن ثلث عشرة
سنة والمراد انه على غضاضة سنه وتقلبه في حد الطفولة كان فيه من رصانة الحلم وفسحة الصدر ما جسره على احتمال
تلك البلية العظيمة والاجابة بذلك الجواب الحكيم اتي في المنام فقيل له اذبح ابنك ورؤيا الانبياء
وحي كالوحي في اليقظة فلهذا قال اني ارى في المنام اني اذبحك فذكر تاويل الرؤيا كما تقول
الممتحن وقد راى انه راكب في سفينة رايت في المنام اني ناج من هذه المحنة وقيل راى ليلة التروية
كان قائلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح روى في ذلك من الصباح الى الرواح امن الله
هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثم سمي يوم التروية فلما امسى راى مثل ذلك فعرف انه من الله فمن ثم سمي
يوم عرفة ثم راى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي اليوم يوم النحر وقيل ان الملائكة حين بشرته
بغلام حليم قال هو اذا ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعي معه قيل له اوف بنذرك فانظر ماذا ترى من
الراي على وجه المشاورة وقرئ ماذا تري اي ماذا تبصر من رايك وتبديه وماذا ترى على البناء
للمفعول اي ماذا يريك نفسك من الراي افعل ما تؤمر اي ما تؤمر به فحذف الجار كما حذف من قوله
امرتك الخير فافعل ما امرت به او امرك على اضافة المصدر الى المفعول وتسمية الماموربه
امرا وقرئ ما تؤمر به فان قلت لم شاوره في امر هو حتم من الله تبارك وتعالى قلت
لم يشاوره ليرجع الى رايه ومشورته ولكن ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله فيثبت قدمه ويصبره
ان جزع ويامن عليه الزلل ان صبر وسلم وليعلمه حتى يراجع نفسه فيوطنها ويهون عليها ويلقى البلاء وهو
كالمستانس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر الله قبل نزوله ولان المغافصة بالذبح مما يستسمج وليكون
سنة في المشاورة فقد قيل لو شاور آدم الملائكة في اكله من الشجرة لما فرط منه ذلك فان قلت لم كان
ذلك بالمنام دون اليقظة قلت كما اري يوسف عليه الصلاة والسلام سجود ابويه واخوته في المنام من غير
وحي الى ابيه وكما وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم دخول المسجد الحرام في المنام وما سوى ذلك من منامات
الانبياء وذلك لتقوية الدلالة على كونهم صادقين مصدقين لان الحال اما حال يقظة او حال نوم
فاذا كان تظاهرت على الصدق كان ذلك اقوى للدلالة من انفراد احدها فلما اسلما وتله للجبين الحالتان م
وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين يقال سلم لامر الله واسلم واستسلم
بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعا اذا انقاد له وخضع واصلها من قولك سلم هذا لفلان اذا
خلص له ومعناه سلم من ان ينازع فيه وقولهم سلم لامر الله واسلم له منقولان منه وحقيقة
معناهما اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه لله وعن قتادة
في اسلما اسلم هذا ابنه وهذا نفسه وتله للجبين صرعه على شقه فوقع احد جبينيه على الارض تواضعا

على مباشرة الامر بصبر وجلد لِيُرضيا الرحمن ويخزيا الشيطان. وروي ان ذلك المكان عند الصخرة التي بمنا
وعن الحسن رحمة الله عليه. في الموضع المشرف على منى. وعن الضحاك في المنحر الذي ينحر فيه اليوم فإن قلت
اين جواب لما قلت هو محذوف تقديره فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابرهيم ان
قد صدقت الرؤيا كان ما كان مما ينطق به الحال. ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما وحمدهما
لله وشكرهما على ما انعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله. وما اكتسبا في تضاعيفه بتوطين الانفس
عليه من الثواب والاعواض. ورضوان الله الذي ليس وراءه مطلوب. وقوله انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لتخويل
ما خولهما من الفرج بعد الشدة والظفر بالبغية بعد اليأس ان هذا لهو البلاء المبين البلاء المبين
الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم او المحنة البينة الصعوبة التي لا محنة اصعب منها
وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه في الآخرين الذبح اسم ما يذبح به. وعن ابن عباس رضي الله عنهما
هو الكبش الذي قربه هابيل فتقبل منه وكان يرعى وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه في الآخرين
عم
في الجنة. حتى فدي به اسماعيل عليه الصلاة والسلام. وعن الحسن رحمة الله عليه فدي بوعل اهبط عليه من
ثبير. وعن ابن عباس رضي الله عنه. لو تمت تلك الذبيحة لصارت سنة وذبح الناس ابناءهم
عظيم ضخم الجثة سمين. وهي السنة في الاضاحي. وقوله صلى الله عليه وسلم استسمنوا ضحاياكم
فانها على الصراط مطاياكم. وقيل لانه وقع فداء عن ولد ابراهيم عليه الصلاة والسلام. وروي انه
هرب من ابراهيم عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فبقي سنة في الرمي. وروي انه
رمى الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده. وروي انه لما ذبحه قال جبريل
الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله اكبر فقال ابراهيم الله اكبر ولله الحمد
فبقي سنة. وحكي في قصة الذبيح انه حين اراد ان يذبحه. فقال يا بني خذ الحبل والمدية
وانطلق بنا الى الشعب نحتطب. فلما توسطا شعب ثبير اخبره بما امر. فقال له اشدد
رباطي لا اضطرب. واكفف عني ثيابك لا ينتضح عليها شيء من دمي فينقص اجري وتراه امي
فتحزن. واشحذ شفرتك. واسرع امرارها على حلقي حتى تجهز علي ليكون اهون فان الموت شديد
واقرأ على امي السلام. وان رأيت ان ترد قميصي على امي فافعل فانه عسى ان يكون اسهل لها
فقال ابراهيم عليه الصلاة والسلام نعم العون انت يا بني على امر الله. ثم اقبل عليه يقبله
وقد ربطه وهما يبكيان. ثم وضع السكين على حلقه فلم تعمل لان صارت صفيحة نحاس على حلقه
فقال له كبني على وجهي فانك اذا نظرت في وجهي رحمتني وادركتك رقة تحول بينك
وبين امر الله ففعل ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين. ونودي يا ابراهيم قد
صدقت الرؤيا. فنظر فاذا جبريل معه كبش اقرن املح فكبر جبريل. والكبش وابراهيم
وابنه. واتى المنحر من منى فذبحه. وقيل لما وصل موضع السجود منه الى الارض جاء الفرج
وقد استشهد ابو حنيفة بهذه الآية. فيمن نذر ذبح ولده. انه يلزمه ذبح شاة فان قلت
من كان الذبيح من ولديه قلت قد اختلف فيه فعن ابن عباس رضي الله عنهما. وابن عمر رضي
الله عنهما. ومحمد بن كعب رحمة الله عليهم وجماعة من التابعين رضوان الله عليهم انه اسمعيل عليه السلام

والحجة

والحجة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا ابن الذبيحين فقال له اعرابي يا ابن الذبيحين فتبسم فسئل عن ذلك فقال
ان عبد المطلب لما حفر بئر زمزم نذر لله لئن سهل الله له امرها ليذبحن احد ولده فخرج السهم على عبد الله
فمنعه اخواله فقالوا له افد ابنك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل والثاني اسمعيل . وعن محمد بن كعب
القرظي قال كان مجتهد بني اسرائيل يقول اذا دعا اللهم اله ابراهيم واسمعيل واسرائيل . فقال موسى
عليه الصلاة والسلام يا رب ما لمجتهد بني اسرائيل اذا دعا قال اللهم اله ابراهيم واسمعيل واسرائيل وانا
بين اظهرهم قد اسمعتني كلامك واصطفيتني برسالتك قال يا موسى لم يحبني احد حب ابراهيم قط
ولا خير بيني وبين شيء قط الا اختارني . واما اسمعيل عليه الصلاة والسلام فانه جاد بدم نفسه . واما اسرائيل
فانه لم ييأس من روحي في شدة نزلت به قط . ويدل عليه ان الله لما اتم قصة الذبيح قال وبشرناه
باسحق . وعن محمد بن كعب انه قال لعمر بن عبد العزيز هو اسمعيل . فقال عمر ان هذا شيء ما كنت انظر فيه
واني لاراه كما قلت . ثم ارسل الى يهودي فقال ان اليهود لتعلم انه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم يا معشر
العرب . ويدل عليه ان قرني الكبش كانا منوطين في الكعبة في ايدي بني اسمعيل الى ان احترق البيت
وعن الاصمعي قال سألت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا اصمعي اين عزب عنك عقلك ومتى
كان اسحق بمكة وهو الذي بنى البيت مع ابيه . والمنحر بمكة . ومما يدل عليه ان الله تعالى وصفه بالصبر دون
اسحق في قوله عز وجل واسمعيل واليسع وذا الكفل كل من الصابرين . وهو صبره على الذبح
ووصفه بصدق الوعد في قوله تعالى انه كان صادق الوعد لانه وعد اباه من نفسه الصبر على الذبح
فوفى به ولان الله تعالى بشره باسحق وولده يعقوب في قوله تعالى فبشرناها باسحاق ومن وراء
اسحاق يعقوب فلو كان الذبيح اسحاق لكان خلفا للوعد في يعقوب عليه الصلاة والسلام . وعن
علي بن ابي طالب رضي الله عنه وابن مسعود والعباس وعطاء وعكرمة وجماعة من التابعين رضوان
الله عليهم اجمعين انه اسحاق . والحجة فيه ان الله تعالى اخبر عن خليله ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين
هاجر الى الشام بانه استوهبه ولدا ثم اتبع ذلك البشارة بغلام حليم ثم ذكر رؤياه بذبح ذلك
الغلام المبشر به . ويدل عليه كتاب يعقوب الى يوسف صلوات الله عليهما من يعقوب اسرائيل الله
ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله فان قلت قد اوحي الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام في
المنام بان يذبح ولده ولم يذبح وقيل له قد صدقت الرؤيا وانما كان يصدقها لو صح منه الذبح ولم يصح
قلت قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح من بطحه على شقه وامرار الشفرة على حلقه
ولكن الله سبحانه جاء بما منع الشفرة ان تمضي فيه وهذا لا يقدح في فعل ابراهيم عليه الصلاة
والسلام . الا ترى انه لا يسمى عاصيا ولا مفرطا بل يسمى مطيعا ومجتهدا كما لو مضت فيه
الشفرة . وفرت الاوداج وانهرت الدم وليس هذا من ورود النسخ على المامور به قبل الفعل
ولا قبل اوان الفعل في شيء كما يسبق الى بعض الاوهام حتى يشتغل بالكلام فيه فان قلت
الله تعالى المفتدي منه لانه الامر بالذبح فكيف يكون فاديا حتى قال وفديناه قلت
الفادي هو ابراهيم عليه الصلاة والسلام والله عز وجل وهب له الكبش ليفدي به وانما قال
تعالى وفديناه اسنادا للفدي اي التسبب الذي هو المكن من الفداء بهبته فان قلت فاذا كان ما اتى به

قلاه

قد اسلم فصاله ص

ابراهيم عليه الصلاة والسلام من البطح وامرار الشفرة في حكم الذبح • فما معنى الفداء والفداء انما هو التخليص من الذبح ببدل قلت قد علم منع الله ان حقيقة الذبح لم تحصل من فري الاوداج وانهار الدم فوهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة حتى لا تحصل تلك الحقيقة في نفس اسمعيل ولكن في نفس الكبش بدلا منه فان قلت فاي فائدة في تحصيل تلك الحقيقة وقد استغنى عنها بقيام ما وجد من ابراهيم عليه السلام مقام الذبح من غير نقصان قلت الفائدة في ذلك ان يوجد ما منع منه بدله حتى يكمل منه الوفاء بالمنذور وايجاد المامور به من كل وجه سلام على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين فان قلت لم يقل ههنا كذلك نجزي المحسنين وفي غيرها من القصص انا كذلك قلت قد سبقه في هذه القصة انا كذلك فكانما استخف بطرحه اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانية وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين نبيا حال مقدرة • كقوله تعالى • ادخلوها خالدين فان قلت فرق بين هذا وبين قوله تعالى فادخلوها خالدين وذلك ان المدخول موجود مع الدخول والخلود غير موجود معهما فقدرت مقدرين الخلود فكان مستقيما وليس كذلك المبشر به فانه معدوم وقت وجود البشارة وعدم المبشر به اوجب عدم حاله لا محالة لان الحال حلية والحلية لا تقوم الا بالمحلي وهذا المبشر به الذي هو اسحق عليه السلام حين وجد لم توجد النبوة ايضا بوجوده بل تراخت عنه مدة متطاولة فكيف تجعل نبيا حالا مقدرة والحال صفة الفاعل او المفعول عند وجود الفعل منه • او به فالخلود وان لم تكن صفتهم عند دخول الجنة فتقديرها صفتهم لان المعنى مقدرين الخلود وليس كذلك النبوة فانه لا سبيل الى ان تكون موجودة او مقدرة وقت وجود البشارة باسحاق لعدم اسحاق قلت هذا سؤال دقيق السلك ضيق المسلك والذي يحل الاشكال انه لا بد من تقدير مضاف محذوف وذلك قوله وبشرناه بوجود اسحاق نبيا اي بان يوجد مقدرة نبوته والعامل في الحال الوجود لا فعل البشارة • وبذلك ترجع نظير قوله تعالى فادخلوها خالدين من الصالحين حال ثانية • وورودها على سبيل الثناء والتقريظ لان كل نبي لا بد ان يكون من الصالحين • وعن قتادة بشره الله بنبوة اسحاق بعد ما امتحنه بذبحه وهذا جواب من يقول الذبيح اسحق لصاحبه عن تعلقه بقوله • وبشرناه باسحق قالوا ولا يجوز ان يبشره الله بمولده ونبوته معا لان الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه انه سيكون نبيا وباركنا عليه وعلى اسحاق • وقرئ وبركنا عليه وعلى اسحاق • وقرئ وبركنا اي افضنا عليهما بركات الدين والدنيا كقوله تعالى • واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين • وقيل باركنا على ابراهيم في اولاده • وعلى اسحق بان اخرجنا انبياء بني اسرائيل من صلبه وقوله تعالى وظالم لنفسه نظيره قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين وفيه تنبيه على ان الخبيث والطيب لا يجري امرهما على العرق والعنصر فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر وهذا مما يهدم امر الطبائع والعناصر وعلى ان الظلم في اعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة فان المرء انما يعاب بسوء فعله ويعاقب على ما اجترحت يداه لا على ما وجد من اصله او فرعه ولقد مننا على موسى وهرون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم

ونجيناهم

ونصرناهم فكانوا هم الغالبين وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم وتركنا
عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون إنا كذلك نجزي المحسنين إنهما من عبادنا
المؤمنين من الكرب العظيم من الغرق او من سلطان فرعون وقومه وغشمهم ° ونصرناهم
الضمير لهما ولقومهما في قوله تعالى ونجيناهما وقومهما ° الكتاب المستبين البليغ في بيانه
وهو التورية كما قال عز وجل ° انا انزلنا التورية فيها هدى ونور وقال من جوز
ان تكون التورية عربية انها تشتق من ورى الزند فوعلة منه على ان التاء مبدلة من واو
° الصراط المستقيم صراط اهل الاسلام وهي صراط الذين انعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا
الضالين وإن الياس لمن المرسلين إذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا وتذرون أحسن
الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الأولين فكذبوه فإنهم لمحضرون إلا عباد الله المخلصين
قرئ الياس بكسر الهمزة والياس على لفظ الوصل وقيل هو ادريس النبي عليه السلام ° وقرأ ابن
مسعود وان ادريس في موضع الياس ° وقرئ ادراس ° وقيل هو الياس بن ياسين
بن ولد هرون اخي موسى عليهما السلام ° اتدعون بعلا اتعبدون بعلا ° وهو علم لصنم
كان لهم كناه وهبل وقيل كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله اربعة اوجه فتنوا
به وعظموه حتى اخدموه اربعمائة سادن وجعلوهم انبياءه فكان الشيطان يدخل في جوف بعل
ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وهم اهل بعلبك من بلاد الشام
وبه سميت مدينتهم بعلبك ° وقيل البعل الرب بلغة اليمن يقال من بعل هذه الدار اي من ربها
والمعنى اتعبدون بعض البعول وتتركون عبادة الله ° الله ربكم ورب آبائكم قرئ
بالرفع على الابتداء وبالنصب وكان حمزة رحمه الله اذا وصل نصب واذا وقف رفع
وتركنا عليه في الآخرين سلام على الياسين إنا كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين
وقرئ على الياسين وادريسين وادراسين وادرسين على انها لغات في الياس وادريس
ولعل لزيادة الياء والنون في السريانية معنى وقرئ على الياسين بالوصف على انه جمع يراد به
الياس وقومه كقولهم الخبيبون والمهلبون فان قلت فهلا حملت على هذا الياسين
على القطع واخواته قلت لو كان جمعا لعرف بالالف واللام واما من قرا على آل ياسين
اسم ابي الياس اضيف اليه الآل ولوطا لمن المرسلين إذ نجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزا في
الغابرين ثم دمرنا الآخرين وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون
مصبحين داخلين في الصباح يعني تمرون على منازلهم في متاجركم الى الشام ليلا ونهارا فما
فيكم عقول تعتبرون بها وإن يونس لمن المرسلين إذ أبق إلى الفلك المشحون فساهم فكان
من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم قرئ يونس بضم النون وكسرها وسمي
هربه من قومه بغير اذن ربه اباقا على طريقة المجاز والمساهمة المقارعة ويقال استهم
القوم اذا اقترعوا ° والمدحض المغلوب ° المقروع ° وحقيقته المزلق عن مقام الظفر
والغلبة روي انه حين ركب في السفينة وقفت فقالوا ههنا عبد ابق من سيده وفيما يزعم

فعلى آل ياسين صح

البحّارون انّ السفينة اذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فقال انا الآبق وزجّ
نفسه في الماء فالتقمه الحوت وهو مليم داخل في الملامة يقال ربّ لائم مليم اي يلوم غيره
وهو احقّ منه باللوم وقرئ مَليم بفتح الميم من ليم فهو مليم كما جاء مشيب في مشوب مبنيا
على شيب ونحوه مدعىّ بناء على دُعي فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون
من المسبحين من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح والتقديس وقيل هو قوله في بطن الحوت لا اله الا الله
سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل تسبيح في القرآن فهو
صلوة وعن قتادة كان كثير الصلوة في الرخاء قال وكان يقال انّ العمل الصالح يرفع صاحبه
اذا عثر واذا صرع وجد متّكأ وهذا ترغيب من الله عزّ وجلّ في اكثار المؤمن من ذكره بما هو اهله
واقباله على عبادته وجمع همه لتقييد نعمته بالشكر في وقت المهلة والفسحة لينفعه ذلك عنده تعالى
في المضايق والشدائد وللبث في بطنه الظاهر لبثه فيه حيا الى يوم البعث وعن قتادة لكان بطن
الحوت له قبرا الى يوم القيمة وروى انه حين ابتلعه اوحى الله تعالى الى الحوت اني جعلت بطنك له سجنا
ولم اجعله لك طعاما واختلف في مقدار لبثه فعن الكلبي اربعون يوما وعن الضحاك عشرون
وعن عطا سبعة وعن بعضهم ثلثة وعن الحسن لم يلبث الا قليلا ثم اخرج من بطنه بعيد
الوقت الذي التقم فيه وروى ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس ويسبح
ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البرّ فلفظه سالما لم يتغير منه شئ فاسلموا وروى ان الحوت
قذفه بساحل قرية من الموصل فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين
والعراء المكان الخالي لا شجر فيه ولا شئ يغطيه وهو سقيم اعتلّ مما حلّ به وروى انه
بدنه كبدن الصبي حين يولد واليقطين كلّ ما ينسدح على وجه الارض ولا يقوم على ساق كشجر
البطيخ والقثا والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به وقيل هو الدبّاء
وفائدة الدبّاء ان الذباب لا يجتمع عنده وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع
قال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل هي التين وقيل شجرة الموز تغطى بورقها واستظل
باغصانها وافطر على ثمارها وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب
من لبنها وروى انه مرّ زمان على الشجرة فيبست فبكى جزعا فاوحى الله اليه بكيت على شجرة
ولا تبكي على مائة الف في يد الكافر فان قلت ما معنى انبتنا عليه شجرة قلت انبتناها
فوقه مظلة له كما يطنب البيت على الانسان وارسلناه الى مائة الف او يزيدون
فآمنوا فمتعناهم الى حين وارسلناه الى مائة الف والمراد ما سبق من ارساله الى اهله الى قومه
وهم اهل نينوى وقيل هو ارسال ثان بعد ما جرى عليه الى الاولين او الى غيرهم وقيل
اسلموا فسألوه ان يرجع اليهم فأبى لان النبي عليه السلام اذا هاجر عن قومه لم يرجع اليهم مقيما
فيهم وقال لهم انّ باعث اليكم نبيا او يزيدون في مرأى الناظر اي اذا رآها الرائي
قال هي مائة الف او اكثر والغرض الوصف بالكثرة الى حين الى اجل مسمّى وقرئ ويزيدون
بالواو وحتى حين فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون ام خلقنا الملائكة اناثا وهم

شاهدون

يشاهدون الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون اصطفى البنات على البنين ما لكم كيف
تحكمون افلا تذكرون فاستفتهم معطوف على مثله في اول السورة وان تباعدت بينهما المسافة
امر رسوله باستفتاء قريش عن وجه الانكار البعث اولا ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض ثم
امره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التي قسموها حيث جعلوا لله الاناث ولانفسهم الذكور
في قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة لهن ووادهم واستنكافهم من ذكرهن وقد ارتكبوا
في ذلك ثلثة انواع من الكفر احدها التجسيم لان الولادة مختصة بالاجسام والثاني تفضيل
انفسهم على ربهم حين اختاروا اوضع الجنسين وارفعهما لهم كما قال تعالى واذا بشر احدهم بما ضرب
للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم او من ينشؤ في الحلية وهو في الخصام غير مبين والثالث
انهم استهانوا باكرم خلق الله عليه واقربهم اليه حيث انثوهم ولو قيل لاقلهم وادناهم فيك
انوثة او شكلك شكل النساء للبس لقائله جلد النمر ولانقلبت حماليقه وذلك في
اهاجيهم بين مكشوف فكرر الله سبحانه الانواع كلها في كتابه العزيز مرات ودل على فظاعتها
في ايات وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وقالوا اتخذ
الرحمن ولدا سبحانه بديع السموات انى يكون له ولد الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وجعلوا له
من عباده جزءا ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ام له البنات ولكم البنون
ويجعلون لله ما يكرهون اصطفى البنات على البنين ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم
بالبنين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون
فان قلت لم قال وهم شاهدون فخص علم المشاهدة قلت ما هو الا استهزاء بهم وتجهيل
وكذلك قوله تعالى اشهدوا خلقهم ونحو ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وذلك
انهم كما لم يعلموا ذلك بطريق المشاهدة لم يعلموه بخلق الله علمه في قلوبهم ولا باخبار صادق
ولا بطريق استدلال ونظر ويجوز ان يكون المعنى انهم يقولون ذلك كالقائل قولا عن ثلج صدر
وطمانينة نفس لافراط جهلهم كانهم قد شاهدوا خلقهم وقرئ ولد الله اي الملائكة ولده
والولد فعل بمعنى مفعول يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث تقول هذه ولدي
وهؤلاء ولدي فان قلت اصطفى البنات بفتح الهمزة استفهام على طريق الانكار والاستبعاد
فكيف صحت قراءة ابي جعفر بكسر الهمزة على الاثبات قلت جعله من كلام الكفرة بدلا عن
قولهم ولد الله وقد قرأ بها حمزة والاعمش وهذه القراءة وان كان هذا محملها فهي ضعيفة
والذي اضعفها ان الانكار قد اكتنف هذه الجملة من جانبيها وذلك قوله وانهم لكاذبون
ما لكم كيف تحكمون فمن جعلها للاثبات فقد اوقعها دخيلة بين نسيبين وقرئ تذكرون من
ذكر ام لكم سلطان مبين فاتوا بكتابكم ان كنتم صادقين وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا
ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين ام لكم
سلطان مبين اي حجة نزلت عليكم من السماء وخبر بان الملائكة بنات الله فاتوا
بكتابكم الذي انزل عليكم في ذلك كقوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا

به يشركون وهذه الآيات صادرة عن سخط عظيم وإنكار فظيع واستبعاد لأقاويلهم شديد وما
الأساليب التي وردت عليها إلا ناطقة بتسفيه أحلام قريش وتجهيل نفوسها واستركاك عقولها
مع استهزاء وتهكم وتعجيب من أن يخطر مثل ذلك على بال ويحدث به نفسا فضلا أن تجعله
معتقدا وتتظاهر به مذهبا وجعلوا بين الله وبين الجنة أراد الملائكة نسبا وهو زعمهم أنهم
بناته والمعنى وجعلوا بما قالوا نسبة بين الله وبينهم وأثبتوا له بذلك جنسية جامعة له وللملائكة
فإن قلت لم سمى الملائكة جنة قلت قالوا الجنس واحد ولكن من خبث من الجن ومرد وكان
شرا كله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك فذكرهم في هذا الموضع باسم
جنسهم وإنما ذكرهم بهذا الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم وإن كانوا معظمين في أنفسهم أن يبلغوا
منزلة المناسبة التي أضافوها إليهم وفيه إشارة إلى أن من صفته الاجتنان والاستتار وهو من
صفات الأجرام لا يصلح أن يناسب من لا يجوز عليه ذلك ومثاله أن تسوي بين الملك وبين بعض
خواصه ومقربيه فيقول لك أتسوي بيني وبين عبدي وإذا ذكره في غير هذا المقام وقره
وكناه والضمير في إنهم لمحضرون للكفرة والمعنى أنهم يقولون ما يقولون في الملائكة
وقد علم الملائكة أنهم في ذلك كاذبون مفترون وأنهم محضرون النار معذبون بما يقولون والمراد
المبالغة في التكذيب حيث أضيف إلى علم الذين ادعوا لهم تلك النسبة وقيل قالوا
إن الله صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا إن الله والشيطان أخوان وعن الحسن رحمه الله
عليه أشركوا الجن في طاعة الله ويجوز إذا فسر الجنة بالشياطين أن يكون الضمير في إنهم لمحضرون
لهم والمعنى أن الشياطين عالمون بأن الله تعالى يحضرهم النار ويعذبهم ولو كانوا مناسبين له
أو شركاء في وجوب الطاعة لما عذبهم إلا عباد الله المخلصين استثناء منقطع من المحضرين
معناه ولكن المخلصين ناجون وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه ويجوز أن يقع
الاستثناء من الواو في يصفون أي يصفه هؤلاء بذلك المخلصين براء من أن يصفوه به فإنكم ولكن
وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم وما منا إلا له مقام معلوم
وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون الضمير في عليه لله عز وجل ومعناه فإنكم ومعبوديكم
ما أنتم وهم جميعا بفاتنين على الله تعالى إلا أصحاب النار الذين سبق في علمه أنهم لسوء
أعمالهم يستوجبون أن يصلوها فإن قلت كيف يفتنونهم على الله قلت يفسدونهم
عليه بإغوائهم واستهوائهم من قولك فتن فلان على فلان امرأته كما تقول أفسدها عليه
وخببها عليه ويجوز أن تكون الواو في وما تعبدون بمعنى مع مثلها في قولهم كل رجل وضيعته
فكما جاز السكوت على كل رجل وضيعته حتب فلان غلامي أي خدعه وإن كل رجل وضيعته
جاز أن يسكت على قوله تعالى فإنكم وما تعبدون لأن قوله وما تعبدون ساد مسد الخبر لأن
معناه فإنكم مع ما تعبدون والمعنى فإنكم مع آلهتكم أي فإنكم قرناؤهم وأصحابهم لا تبرحون
تعبدونها ثم قال ما أنتم عليه أي على ما تعبدون بفاتنين بباعثين أو حاملين على طريق الفتنة
والإضلال إلا من هو ضال مثلكم أو يكون في أسلوب قوله فإنك والكتاب إلى علي كدابغة

دبغ

وقد جلي الاديم • وقرا الحسن رحمه الله عليه صال الجحيم بضم اللام وفيه ثلثة اوجه احدها ان يكون
جمعا وسقوط واوه لالتقاء الساكنين هي ولام التعريف فان قلت كيف استقام الجمع مع قوله من هو
قلت من موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه والصالون على معناه كما حمل في مواضع من
التنزيل على لفظ من ومعناه في اية واحدة • والثاني ان يكون اصله صائل على القلب ثم يقال
صال في صائل كقولهم شاك في شائك • والثالث ان تحذف لام صال تخفيفا ويجرى الاعراب
على عينه كما حذف من قولهم ما باليت به بالة واصلها بالية من بالى كعافية من عافى ونظيره
قراءة من قرا وجنى الجنتين دان وله الجوار المنشآت باجراء الاعراب على العين • وما
منا احد الا له مقام معلوم فحذف الموصوف واقيم الصفة مقامه كقوله •

• انا ابن جلا وطلاع الثنايا • بكفي كان من ارمى البشر •

مقام معلوم في العبادة والانتهاء الى امر الله مقصور عليه لا يتجاوزه كما روي
فمنهم راكع لا يقيم صلبه • وساجد لا يرفع راسه • ولنحن الصافون نصف اقدامنا في
الصلوة او اجنحتنا في الهوى منتظرين ما نومر • وقيل نصف اجنحتنا حول العرش داعين
للمؤمنين وقيل ان المسلمين انما اصطفوا في الصلوة منذ نزلت هذه الاية وليس يصطف احد
من اهل الملل في صلوتهم غير المسلمين • المسبحون • المنزهون او المصلون والوجه ان يكون هذا وما قبله
من قوله سبحان الله عما يصفون من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم في قوله • ولقد علمت الجنة
انهم لمحضرون كانه قيل ولقد علم الملائكة وشهدوا ان المشركين مفترون عليهم في مناسبة
رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا عباد الله المخلصين وبرأوهم منه وقالوا
للكفرة فاذا صح ذلك فانكم والهتكم لا تقدرون ان تفتنوا على الله احدا من خلقه وتضلوه
الا من كان مثلكم ممن علم الله لكفرهم لا لتقديره وارادته تعالى الله عما يقول الظالمون علوا
كبيرا انهم من اهل النار وكيف نكون مناسبين لرب العزة ونجمع واياه جنسية واحدة وما نحن
الا عبيد اذلاء بين يديه لكل منا مقام من الطاعة لا يستطيع ان يزل عنه ظفرا خشوعا لعظمته
وتواضعا لجلاله • ونحن الصافون اقدامنا لعبادته او اجنحتنا مذعنين خاضعين مسبحين
ممجدين وكما يجب على العباد لربهم • وقيل هو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني وما من
المسلمين احد الا له مقام معلوم يوم القيمة على قدر عمله • من قوله سبحانه وتعالى • عسى ان
يبعثك ربك مقاما محمودا ثم ذكر اعمالهم وانهم الذين يصطفون في الصلوة ويسبحون الله وينزهونه
مما يصفه به من لا يعرفه مما لا يجوز عليه وان كانوا ليقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين
لكنا عباد الله المخلصين فكفروا به فسوف يعلمون هم مشركو قريش كانوا يقولون لو
ان عندنا ذكرا من الاولين اي كتابا من كتب الاولين الذين نزل عليهم التورية والانجيل
لاخلصنا العبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا ولما خالفنا كما خالفوا ثم جاءهم الذكر الذي هو سيد
الاذكار والكتاب الذي هو معجز من بين الكتب فكفروا به ونحوه فلما جاءهم نذير ما زادهم
الا نفورا • فسوف يعلمون مغبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام وان هي المخففة من

الثقيلة

واللام هي الفارقة وفي ذلك انهم كانوا يقولونه مؤكدين للقول جادين فيه فكم بين اول امرهم وآخره
ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون الكلمة
قوله انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وانما سماه كلمة وهي كلمات عدة لانها
لما انتظمت في معنى واحد كانت في حكم كلمة مفردة وقرئ كلماتنا والمراد الموعد بعلوهم
على عدوهم في مقام الحجاج وملاحم القتال في الدنيا وعلوهم عليهم في الآخرة كما قال الله سبحانه
وتعالى والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة ولا يلزم انهزامهم في بعض المشاهد وما جرى عليهم من
القتل فان الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم في العاقبة وكفى بمشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
والخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم مثلا يحتذى عليها ويعتبر بها وعن الحسن رحمة الله عليه
ما غلب نبي في حرب ولا قتل فيها ولانه قاعدة امرهم واساسه والغالب منه الظفر والنصرة
وان وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه على عبادنا على تضمين سبقت
معنى حقت فتول عنهم حتى حين وابصرهم فسوف يبصرون افبعذابنا يستعجلون فاذا نزل
بساحتهم فساء صباح المنذرين فتول عنهم فاعرض عنهم واغض على اذاهم حتى حين الى مدة
يسيرة وهي مدة الكف عن القتال وعن السدي يوم بدر وقيل الى الموت وقيل الى يوم القيمة
وابصرهم وما يقضى عليهم من الاسر والقتل والعذاب في الآخرة فسوف يبصرونك وما
يقضى لك من النصرة والتأييد والثواب في العاقبة والمراد بالامر بابصارهم على الحال
المنتظرة الموعودة الدلالة على انها كائنة واقعة لا محالة وان كينونتها قريبة كأنها قدام
ناظريك وفي ذلك تسلية له صلى الله عليه وسلم وتنفيس عنه وقوله تعالى فسوف يبصرون للوعيد
كما سلف لا للتبعيد مثل العذاب النازل بهم بعد ما انذروه فانكروه بجيش انذر بهجومه
قومه بعض نصاحهم فلم يلتفتوا الى انذاره ولا اخذوا اهبتهم ولا دبروا امرهم تدبيرا ينجيهم
حتى اناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم وكانت عادة مغاويرهم ان
يغيروا صباحا فسميت الغارة صباحا وان وقعت في وقت آخر وما فصحت هذه الآية
ولا كانت لها الروعة التي تحس بها ويروقك موردها على نفسك وطبعك الا لمجيئها
على طريقة التمثيل وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه فبئس صباح وقرئ نزل بساحتهم
على اسناده الى الجار والمجرور كقولك ذهب بزيد ونزل على ونزل العذاب والمعنى فساء
صباح المنذرين صباحهم واللام في المنذرين مبهم في جنس من انذروا لان ساء وبئس يقتضيان
ذلك وقيل هو نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بمكة وعن انس رضي الله عنه
لما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحي قالوا محمد
والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال صلى الله عليه وسلم الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة
قوم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون سبحان ربك
رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وانما ثنى وتول عنهم

ليكون

ليكون تسلية على تسلية وتاكيدا لوقوع الميعاد الى تاكيد • وفيه فائدة زائدة وهي الاطلاق قبل الفعلين معا عن التقييد
بالمفعول وانه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وانواع المساءة • وقيل اريد باحدهما
عذاب الدنيا وبالآخر عذاب الآخرة • اضيف الرب الى العزة لاختصاصه بها كانه قيل ذو العزة
كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق ويجوز ان يراد ان ما من عزة لاحد من الملوك وغيرهم الا وهو
ربها ومالكها لقوله عز وعلا تعز من تشاء • اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون في الله ونسبوا
اليه مما هو منزه عنه • وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه في العاقبة من النصرة عليهم فختمها
بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين والحمد لرب العالمين على ما قيض لهم
من حسن العواقب • والغرض تعليم المؤمنين ان يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه
الكريم ومودعات قرآنه المجيد وعن علي رضي الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر
يوم القيمة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين • عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد
كل جني وشيطان • وتباعدت عنه مردة الشياطين • وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيمة
انه كان مؤمنا بالمرسلين • والحمد لله رب العالمين • وحسبنا الله ونعم الوكيل

سورة ص مكية | بسم الله الرحمن الرحيم | وهي ثمان وثمانون آية

ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق صاد على الوقف وهي اكثر القراءة وقرئ
بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين • ويجوز ان ينتصب بحذف حرف القسم وايصال فعله كقولهم الله
لافعلن بالنصب او باضمار حرف القسم • والفتح في موضع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وامتناع الصرف
والتانيث لانها بمعنى السورة وقد صرفها من قرأ صاد بالجر والتنوين على تاويل الكتاب
والتنزيل وقيل فيمن كسر هو من المصاداة وهي المعارضة • والمعادلة ومنها الصدى وهو
ما يعارض الصوت في الاماكن الخالية من الاجسام الصلبة ومعناه عارض القرآن بعملك فاعمل
باوامره وانته عن نواهيه • فان قلت قوله ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق
كلام ظاهره متنافر غير منتظم فما وجه انتظامه قلت فيه وجهان احدهما ان يكون قد ذكر
اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدي • والتنبيه على الاعجاز كما مر في اول الكتاب
ثم اتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدي عليه كانه قال والقرآن ذي الذكر انه لمعجز ثم قال
بل الذين كفروا انه لكلام معجز والثاني ان يكون ص خبر مبتدأ محذوف على انها اسم للسورة
كانه قال هذه صاد يعني هذه السورة التي اعجزت العرب والقرآن ذي الذكر كما تقول
هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله وكذلك اذا اقسم بها كانه قال اقسمت بصاد والقرآن
ذي الذكر انه لمعجز ثم قال بل الذين كفروا في عزة وشقاق واستكبار عن الاذعان لذلك والاعتراف بالحق وشقاق لله ورسوله

وإذا جعلتها مقسمًا بها وعطفت عليها والقرآن ذي الذكر جاز لك أن تريد بالقرآن التنزيل كله وأن تريد السورة بعينها ومعناه أقسم بالسورة الشريفة والقرآن ذي الذكر كما تقول مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة ولا تريد بالنسمة غير الرجل ❊ والذكر الشرف والشهرة من قولك فلان مذكور • وإنه لذكر لك ولقومك أو الذكرى والموعظة أو ذكر ما يحتاج إليه في الدين من الشرائع وغيرها كأقاصيص الأنبياء والوعد والوعيد والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وتفاقمهما • وقرئ في غرة أي في غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق **كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص** كم أهلكنا وعيد لذوي العزة والشقاق فنادوا ودعوا واستغاثوا • وعن الحسن فنادوا بالتوبة ولات هي لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت على رب وثم للتأكيد وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل إلا على الأحيان ولم يبرز إلا أحد مقتضيها إما الاسم وإما الخبر وامتنع بروزهما جميعًا وهذا مذهب الخليل وسيبويه وعند الأخفش أنها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الأحيان وحين مناص منصوب بها كأنك قلت ولا حين مناص لهم وعنه أن ما ينتصب بعدها بفعل مضمر أي ولا أرى حين مناص حاصلًا لهم وقرئ حين مناص بالكسر ومثله • قول أبي زبيد الطائي •

❊ طلبوا صلحنا ولات أوان ❊ فأجبنا أن لات حين بقاء ❊

فإن قلت ما وجه الكسر في أوان قلت شبه بإذ في قوله • وأنت إذ صحيح • في أنه زمان قطع منه المضاف إليه وعوض التنوين لأن الأصل ولات أوان صلح فإن قلت فما تقول في حين مناص والمضاف إليه قائم قلت نزل قطع المضاف إليه من مناص لأن أصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لاتحاد المضاف والمضاف إليه وجعل تنوينه عوضًا من الضمير المحذوف ثم بني الحين لكونه مضافًا إلى غير متمكن وقرئ ولات بكسر التاء على البناء كجير فإن قلت كيف يوقف على لات قلت يوقف عليها بالتاء كما يوقف على الفعل الذي يتصل به تاء التأنيث وأما الكسائي فيقف عليها بالهاء كما يقف على الأسماء المؤنثة وأما قول أبي عبيد • أن التاء داخلة على حين فلا وجه له واستشهاده بأن التاء ملتزقة بحين في الإمام لا متشبث به فكم وقعت في المصحف أشياء خارجة عن قياس الخط ❊ والمناص المنجا والفوت يقال ناصه ينوصه إذا فاته واستناص طلب المناص قال حارثة بن بدر يصف فرسًا •

❊ غمر الجراء إذا قصرت عنانه ❊ بيدي استناص ورام جري المسحل ❊

وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة إلهًا واحدًا إن هذا لشيء عجاب منذر منهم رسول من أنفسهم وقال الكافرون ولم يقل وقالوا إظهارًا للغضب عليهم ودلالة على أن هذا القول لا يتجسر عليه إلا الكافرون المتوغلون في الكفر المنهمكون في الغي الذين قال فيهم أولئك هم الكافرون حقًا وهل ترى كفرًا أعظم وجهلًا أبلغ من أن يسموا من صدقه الله بوحيه كاذبًا ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الذي لا يصح غيره ولا يتعجبوا من الشرك وهو الباطل الذي لا وجه لصحته • روي أن إسلام عمر رضي الله عنه فرح به المؤمنون فرحًا شديدًا وشق على قريش وبلغ منهم فاجتمع خمسة وعشرون نفسًا من صناديدهم ومشوا إلى أبي طالب وقالوا أنت شيخنا وكبيرنا • وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء

ويرتفع بالابتداء أي فلا حين مناص كائن لهم
وعندهما أن النصب على ولات الحين حين مناص
والرفع على ولات حين مناص ٤

بربرون

يريدون الذين دخلوا في الإسلام وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر أبو طالب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال يا ابن أخي هؤلاء قومك يسئلونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال
صلى الله عليه وسلم ماذا تسئلوني قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلهك فقال عليه الصلاة
والسلام أرأيتم إن أعطيتكم ما سألتم أمعطيّ أنتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم
قالوا نعم وعشرًا أي نعطيكها وعشر كلمات معها فقال قولوا لا إله إلا الله فقاموا وقالوا أجعل الآلهة
إلهًا واحدًا إن هذا لشيء عجاب أي بليغ في العجب وقرئ عجّاب بالتشديد كقوله عز وجل
مكرًا كبّارًا وهو أبلغ من المخفف ونظيره كريم وكرام وكرّام وقوله تعالى أجعل الآلهة
إلهًا واحدًا مثل قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا في أن معنى الجعل التصيير في
القول على سبيل الدعوى والزعم كأنه قال أجعل الجماعة واحدًا في قوله لأن ذلك في الفعل محال
وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد الملأ أشراف قريش وانطلقوا
عن مجلس أبي طالب بعد ما بكّتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض امشوا واصبروا
فلا حيلة لكم في دفع أمر محمد صلى الله عليه وسلم إن هذا الأمر لشيء يراد أي يريده الله تعالى ويحكم بإمضائه
وما أراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه إلا الصبر وإن هذا الأمر لشيء من نوائب الدهر يراد بنا
فلا انفكاك لنا منه أو إن دينكم لشيء يراد أي يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه وأن بمعنى أي لأن
المنطلقين عن مجلس التقاول لا بد لهم من أن يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم فكان انطلاقهم مضمنًا معنى
القول ويجوز أن يراد بالانطلاق الاندفاع في القول وأنهم قالوا امشوا أي اكثروا واجتمعوا من مشت
المرأة إذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل كما قيل لها الفاشية قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ضموا فواشيكم ومعنى واصبروا على آلهتكم واصبروا على عبادتها والتمسك
بها حتى لا تزالوا عنها وقرئ وانطلق الملأ منهم امشوا بغير أن على إضمار القول وعن ابن مسعود وانطلق
الملأ منهم يمشون أن اصبروا ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق في الملة الآخرة في
ملة عيسى عليه السلام التي هي آخر الملل لأن النصارى يدعونها وهي مثلثة غير موحدة أو في ملة قريش
التي أدركنا عليها آباءنا أو ما سمعنا بهذا كائنًا في الملة الآخرة على أن يجعل في الملة الآخرة حالًا من هذا
ولا تعلقه بما سمعنا كما في الوجهين والمعنى أنا لم نسمع من أهل الكتاب ولا الكهان أنه يحدث في الملة الآخرة
لا توحيد الله ما هذا إلا اختلاق أي افتعال وكذب أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من
ذكري بل لما يذوقوا عذاب أنكروا أن يختص بالشرف من بين أشرافهم ورؤسائهم وينزل عليه
الكتاب من بينهم كما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وهذا الإنكار ترجمة
عما كانت تغلي به صدورهم من الحسد على ما أوتي من شرف النبوة من بينهم بل هم في شك من القرآن
على رجل من القريتين يقولون في أنفسهم إما وإما وقولهم إن هذا إلا اختلاق كلام مخالف لاعتقادهم
فيه يقولونه على سبيل الحسد بل لما يذوقوا فإذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد حينئذ يعني أنهم عذابي بعد
لا يصدقون به إلا أن يمسهم العذاب مضطرين إلى تصديقه أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب
أم عندهم خزائن رحمة ربك يعني ما هم بمالكي خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من شاؤوا ويصرفوها عمن شاؤوا ۵

ويتخيروا للنبوة بعض صناديدهم ويترفعوا بها عن محمد صلى الله عليه وسلم وإنما الذي يملك الرحمة وخزائنها العزيز
القهار على خلقه • الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها الذي يقسمها على ما تقتضيه حكمته وعدله
كما قال تعالى أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليرتقوا
في الأسباب ثم رشح هذا المعنى فقال أم لهم ملك السموات والأرض حتى يتكلموا في الأمور الربانية
والتدابير الإلهية التي يختص بها رب العزة والكبرياء • ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال
فإن كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف في قسمة الرحمة • وكانت عندهم الحكمة التي يميزون
بها بين من هو حقيق بإيتاء النبوة دون من لا تحق له فليرتقوا في الأسباب فليصعدوا في المعارج
والطرق التي يتوصل بها إلى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحي
على من يختارون ويستصوبون جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب ثم خسأهم خسأة بقوله
تعالى جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب يريد ما هم إلا جند من الكفار المتحزبين على رسل الله
مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث لما به يهذون وما مزيدة وفيها معنى
الاستعظام كما في قول امرئ القيس • وحديث ما على قصره • إلا أنه على سبيل الهزء
وهنالك إشارة إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب
لأمر ليس من أهله لست هنالك كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد ذو الأوتاد أصله من
ثبات البيت المطنب بأوتاده • قال

• والبيت لا يبتنى إلا على عمد • ولا عماد إذا لم ترس أوتاد •

فاستعير لثبات العز والملك واستقامة الأمر كما قال الأسود • في ظل ملك ثابت الأوتاد • وقيل
كان يشبح المعذب بين أربع سوار كل طرف من أطرافه إلى سارية مضروب فيه وتد من حديد
ويتركه حتى يموت • وقيل كان يمده بين أربعة أوتاد في الأرض ويرسل عليه العقارب
والحيات • وقيل كانت له أوتاد وحبال يلعب بها بين يديه وثمود وقوم لوط وأصحاب
الأيكة أولئك الأحزاب أولئك الأحزاب قصد بهذه الإشارة الإعلام بأن الأحزاب
الذين جعلوا الجند المهزوم منهم هم هم وأنهم الذين وجد منهم التكذيب ولقد ذكر تكذيبهم
أولا في الجملة الخبرية على وجه الإبهام إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب ثم جاء بالجملة الاستثنائية
فأوضحه فيها بأن كل واحد من الأحزاب كذب جميع الرسل لأنهم إذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوهم
جميعا • وفي تكرير التكذيب وإيضاحه بعد إبهامه والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية أولا وبالاستثنائية
ثانيا وما في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص أنواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق
أشد العقاب وأبلغه ثم قال فحق عقاب أي فوجب لذلك أن أعاقبهم حق عقابهم وما ينظر هؤلاء
إلا صيحة واحدة ما لها من فواق هؤلاء أهل مكة ويجوز أن يكون إشارة إلى جميع الأحزاب لاستحضارهم
بالذكر أو لأنهم كالحضور عند الله تعالى • والصيحة النفخة ما لها من فواق وقرئ بالضم ما لها من
توقف مقدار فواق وهو ما بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع يعني إذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر
من الزمان كقوله تعالى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وعن ابن عباس رضي الله عنهما

مالها

مالها من رجوع وترداد من أفاق المريض إذا رجع إلى الصحة • وفواق الفاقة ساعة ترجع الدر إلى
ضرعها يريد أنها نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد • وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب
القط القسط من الشيء لأنه قطعة منه من قطه إذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لأنها قطعة من
القرطاس وقد فسر بهما قوله تعالى عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب أي نصيبنا من العذاب الذي
وعدته لقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب • وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله المؤمنين
الجنة فقالوا على سبيل الهزؤ عجل لنا نصيبنا منها • أو عجل لنا صحيفة أعمالنا ننظر فيها
اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب فإن قلت كيف تطابق
قوله تعالى اصبر على ما يقولون وقوله تعالى واذكر عبدنا داود حتى عطف أحدهما على صاحبه
قلت كأنه قال لنبيه صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون وعظم أمر معصية الله
في أعينهم بذكر قصة داود عليه الصلاة والسلام وهو أنه نبي من أنبياء الله تعالى قد أولاه ما أولاه
من النبوة والملك لكرامته عليه وزلفته لديه ثم زل زلة فبعث إليه الملائكة ووبخه
عليها على طريق التمثيل والتعريض حتى فطن لما وقع فيه فاستغفر وأناب ووجد منه ما يحكى
من بكائه الدائم • وغمه الواصب ونقش جنايته في بطن كفه حتى لا يزال مجددا الندم عليها
فما الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم أو قال له صلى الله عليه وسلم • اصبر على ما يقولون وصن
نفسك وحافظ عليها أن تزل فيما كلفت من مصابرتهم • وتحمل أذاهم • واذكر أخاك داود وكرامته
على الله كيف زل تلك الزلة اليسيرة فلقي من توبيخ الله وتظليمه ونسبته إلى البغي ما لقي ذا الأيد
ذا القوة في الدين المضطلع بمشاقه وتكاليفه كان على نهوضه بأعباء النبوة والملك يصوم يوما
ويفطر يوما وهو أشد الصوم ويقوم نصف الليل يقال فلان أيد وذو أيد • وذو آد وأياد
كل شيء ما يتقوى به أواب تواب رجاع إلى مرضات الله تعالى فإن قلت ما دل على
أن الأيد القوة في الدين قلت قوله تعالى إنه أواب لأنه تعليل لذي الأيدي إنا سخرنا
الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق والطير محشورة كل له أواب والإشراق ووقت الإشراق
وهو حين تشرق الشمس أي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها
تقول شرقت الشمس ولما تشرق • وعن أم هانئ رضي الله عنها هذه صلاة الإشراق • وعن طاوس عن ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما قال هل تجدون ذكر صلاة الضحى في القرآن قالوا لا فقرأ إنا سخرنا
الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق وقال كانت صلاة يصليها داود • وعنه ما عرفت صلاة
الضحى إلا بهذه الآية • وعنه لم يزل في نفسي من صلاة الضحى شيء حتى طلبتها فوجدتها في هذه
الآية يسبحن بالعشي والإشراق وكان لا يصلي صلاة الضحى ثم صلاها بعد • وعن كعب أنه
قال لابن عباس رضي الله عنهما إني لأجد في كتب الله صلاة بعد طلوع الشمس فقال
أنا أوجدك ذلك في كتاب الله تعالى يعني هذه الآية ويحتمل أن يكون من أشرق القوم إذا دخلوا
في الشرق ومنه قوله سبحانه وتعالى فأخذتهم الصيحة مشرقين • وقول أهل الجاهلية

دخل علينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم
فدعا بوضوء فتوضا
ثم صلى صلاة
الضحى ثم قال
يا ام هاني
هذه
نخ

أشرق ثبير ويراد وقت صلوة الضحى لانتهائه بالشروق • ويسبحن في معنى مسبحات على الحال فإن قلت هل من فرق
بين يسبحن ومسبحات قلت نعم وما اختير يسبحن على مسبحات إلا لذلك وهو الدلالة على حدوث
التسبيح من الجبال شيئاً بعد شيء وحالاً بعد حال وكان السامع محاضر تلك الحال يسمعها تسبح ومثله
قول الأعشى • إلى ضوء نار في يفاع تحرق • ولو قال لم يكن شيئاً • وقوله محشورة • في مقابلة يسبحن محرقة
إلا أنه لما لم يكن • في الحشر ما كان في التسبيح من إرادة الدلالة على الحدوث شيئاً بعد شيء جيء به اسماً
لا فعلاً وذلك أنه لو قيل وسخرنا الطير تحشرن على أن الحشر يوجد من حاشرها شيئاً بعد شيء •
واجتمعت إليه الطير والحاشر هو الله تعالى لكان خلفاً لأن حشرها جملة واحدة أدل على القدرة
وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان إذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح لأنها كانت تسبح بتسبيحه ووضع
الأواب موضع المسبح واجتمعت إليه الطير فسبحت فذلك حشرها • وقرئ والطير محشورة بالرفع
كل له أواب كل واحد من الجبال والطير لأجل داود أي لأجل تسبيحه مسبح لأنها كانت تسبح
بتسبيحه • ووضع الأواب موضع المسبح إما لأنها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لأنه يرجع إلى
فعله رجوعاً بعد رجوع وإما لأن الأواب وهو التواب الكثير الرجوع إلى الله وطلب مرضاته
من عادته أن يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه • وقيل الضمير لله تعالى أي كل من داود
والجبال والطير لله أواب أي مسبح مرجع للتسبيح وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل
الخطاب وشددنا ملكه قويناه قال الله تعالى سنشد عضدك • وقرئ شددنا على المبالغة
قيل كان يبيت حول محرابه أربعون ألف مستلئم يحرسونه • وقيل الذي شد الله به ملكه وقذف
في قلوب قومه الهيبة • أن رجلاً ادعى عنده على آخر بقرة وعجز عن إقامة البينة فأوحي إليه
في المنام أن اقتل المدعى عليه فقال هذا منام فأعيد الوحي في اليقظة فأعلم الرجل فقال إن الله لم
يأخذني بهذا الذنب ولكن بأني قتلت أبا هذا غيلة فقتله فقال الناس إن أذنب أحد ذنباً
أظهره الله عليه فقتله فهابوه • الحكمة الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو
حكمة • الفصل التمييز بين الشيئين • وقيل للكلام البين فصل بمعنى المفصول كضرب الأمير
لأنهم قالوا كلام ملتبس وقيل في كلامه لبس والملتبس المختلط فقيل في نقيضه فصل أي مفصول
بعضه من بعض فمعنى فصل الخطاب البين من الكلام الملخص • الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس
عليه ومن فصل الخطاب وملخصه أن لا يخطئ صاحبه مظان الفصل والوصل فلا يقف في كلمة
الشهادة على المستثنى منه ولا يتلو قوله تعالى فويل للمصلين • إلا موصولاً بما بعده ولا والله يعلم
وأنتم حتى يصله بقوله لا تعلمون ونحو ذلك وكذلك مظان العطف وتركه والإضمار والإظهار •
والحذف والتكرار • وإن شئت كان الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور وأردت بفصل الخطاب
الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والباطل • والصواب والخطاء
وهو كلامه في القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات وعن علي بن أبي طالب كرم الله
وجهه هو قوله البينة على من ادعى واليمين على المدعى عليه وهو من الفصل بين الحق والباطل ويدخل

فيه

فيه قول بعضهم هو قوله اما بعد لانه يفتتح اذا تكلم في الامر الذي له شان بذكر الله وتحميده فاذا اراد ان
يخرج الى الغرض المسوق اليه فصل بينه وبين ذكر الله بقوله اما بعد ويجوز ان يراد الخطاب القصد الذي ليس فيه
اختصار مخل ولا اشباع ممل ومنه ما جاء في صفة كلام الله صلى الله عليه وسلم فصل لا نزر ولا هذر
رسوله
وهل اتاك نبؤا الخصم اذ تسوروا المحراب كان اهل زمان داود عليه الصلاة والسلام يسال بعضهم بعضا
ان ينزل له عن امراته فيتزوجها اذا اعجبته وكانت لهم عادة في المواساة بذلك قد اعتادوها وقد
روينا ان الانصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك فاتفق ان عين داود وقعت على امراة رجل يقال له
اوريا فاحبها فساله النزول عنها فاستحيا ان يرده ففعل فتزوجها وهي ام سليمان فقيل له انك
مع عظم منزلتك وكبر شانك وكثرة نسائك لم يكن ينبغي لك ان تسال رجلا ليس له الا امراة واحدة
النزول بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به وقيل
خطبها اوريا ثم خطبها داود عليه الصلاة والسلام فاثره اهلها فكان ذنبه ان خطب على خطبة
اخيه المؤمن مع كثرة نسائه واما ما يذكر ان داود تمنى منزلة ابائه ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم
الصلاة والسلام فقال يا رب ان ابائي ذهبوا بالخير كله فاوحى اليه انهم ابتلوا ابتلايا فصبروا عليها قد
ابتلي ابراهيم بنمرود وذبح ولده واسحق بذبحه وذهاب بصره ويعقوب بالحزن على يوسف عليه السلام
فسال الابتلاء فاوحى اليه انك لمبتلى في يوم كذا فاحترس فلما كان ذلك اليوم دخل محرابه واغلق بابه
وجعل يصلي ويقرا الزبور فجاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها لابن له صغير فطارت
فامتد اليها فطارت فوقعت في كوة فتبعها فابصر امراة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهي امراة
اوريا وهو من غزاة البلقاء فكتب الى ايوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء ان ابعث اوريا
وقدمه الى التابوت وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له ان يرجع حتى يفتح الله على يده فتحا او يستشهد
ففتح الله على يده وسلم فامر برده مرة اخرى وثالثة حتى قتل واتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن
على الشهداء وتزوج امراته فهذا ونحوه مما يقبح ان يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من افناء المسلمين
فضلا عن بعض اعلام الانبياء وعن سعيد بن المسيب والحارث الاعور ان علي بن ابي طالب
رضي الله عنه قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين
وهو حد الفرية على الانبياء وروي انه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من اهل
الحق فكذب المحدث به وقال ان كانت القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي ان يلتمس خلافها
واعظم بان يقال غير ذلك وان كانت على ما ذكرت وكف الله عنها سترا على نبيه فما ينبغي
اظهارها عليه فقال عمر لسماعي هذا الكلام احب الي مما طلعت عليه الشمس والذي يدل عليه المثل
الذي ضربه الله لقصته عليه السلام ليس الا طلبه الى زوج المراة ان ينزل له عنها فحسب فان قلت
لم جاءت على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح قلت لكونها ابلغ في التوبيخ من قبل
ان التامل اذا اداه الى الشعور بالمعرض به كان اوقع في نفسه واشد تمكنا من قلبه واعظم اثرا فيه
واجلب لاحتشامه وحيائه وادعى الى التنبه على الخطا فيه من ان يبادئه به صريحا مع مراعاة حسن الادب
بترك المجاهرة الا ترى الى الحكماء كيف اوصوا في سياسة الولد اذا وجدت منه هنة منكرة بان يعرض له

بانكارها عليه ولا يصرح وأن يحكى له حكاية ملاحظة لحاله اذا تأملها استسمج حال صاحب الحكاية فاستسمج حال
نفسه وذلك ازجر له لانه ينصب ذلك مثالا لحاله ومقياسا لشأنه فيتصور قبح ما وجد منه بصورة
مكشوفة مع انه اصون لما بين الوالد والولد من حجاب الحشمة فان قلت فلم كان ذلك على وجه التحاكم
اليه قلت ليحكم بما حكم به من قوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه حتى يكون محجوجا بحكمه ومعترفا
على نفسه بظلمه وهل أتاك نبؤا الخصم ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على انه من الانباء العجيبة
التي حقها ان تشيع ولا تخفى على احد والتشويق الى استماعه والخصم الخصماء وهو يقع على الواحد
والجمع كالضيف قال الله عز وجل حديث ضيف ابراهيم المكرمين لانه مصدر في أصله تقول
خصمه خصما كما تقول ضافه ضيفا فان قلت هذا جمع وقوله خصمان تثنية فكيف استقام ذلك
قلت معنى خصمان فريقان خصمان والدليل عليه قراءة من قرأ خصمان بغى بعضهم على بعض ونحوه
قوله تعالى هذان خصمان اختصموا فان قلت فما تصنع بقوله ان هذا أخي وهو دليل على اثنين
قلت هذا قول البعض المراد بقوله على بعض فان قلت فاذا كان التحاكم بين اثنين كيف
سماهم جميعا خصما في قوله نبأ الخصم ان التحاكم كان بين ملكين ولا يمنع ذلك ان يصحبهما آخرون فان
قلت اذا كان التحاكم بين اثنين كيف سماهم جميعا خصما في قوله نبأ الخصم وخصمان قلت
لما كان صحب كل واحد من المتحاكمين في صورة الخصم صحت التسمية به فان قلت بم انتصب اذ
قلت لا يخلو إما ان ينتصب بأتاك او بالنبأ لان النبأ الواقع في عهد داود عليه السلام لا يصح
اتيانه رسول الله وان اردت بالنبأ القصة في نفسها لم يكن ناصبا فبقي ان ينتصب بمحذوف
وتقديره وهل أتاك نبأ تحاكم الخصم • ويجوز ان ينتصب بالخصم لما فيه من معنى الفعل
واما اذ الثانية فبدل من الاولى تسوروا المحراب تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحائط
المرتفع ونظيره في الابنية تسنمه اذا علا سنامه وتذرّاه اذا علا ذروته اذ دخلوا على داود ففزع منهم
قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط
روي ان الله تعالى بعث اليه ملكين في صورة انسانين فطلبا ان يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته
فمنعهما الحرس فتسورا اليه المحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم قال
ابن عباس رضي الله عنهما ان داود عليه السلام جزأ زمانه اربعة اجزاء يوما للعبادة ويوما
للقضاء ويوما للاشتغال بخواص اموره • ويوما يجمع فيه بني اسرائيل فيعظهم ويبكيهم فجاؤه في غير
يوم القضاء • ففزع منهم ولانهم نزلوا عليه من فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون
من يدخل عليه • خصمان خبر مبتدأ محذوف اي نحن خصمان • ولا تشطط ولا تجر وقرئ
ولا تشطط • اي ولا تبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط ولا تشاطط وكلها من معنى الشطط وهو
مجاوزة الحد وتخطي الحق وسواء الصراط وسطه ومحجته مثلا لعين الحق ومحضه ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة
ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب اخي بدل من هذا او خبر لان والمراد اخوة الدين او اخوة الصداقة
والالفة او اخوة الشركة والخلطة لقوله تعالى وان كثيرا من الخلطاء وكل واحدة من هذه الاخوات
تدلي بحق مانع من الاعتداء والظلم • وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون

وهذا من اختلاف اللغات نحو نطع ونطع ولقوة ولقوة و اكفلنيها ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت يدي • وعزني وغلبني يقال عزه يعزه • قال •

• قطاة عزها شرك • فباتت تجاذبه • وقد علق الجناح •

يريد جاءني بحجاج لم اقدر ان اورد عليه ما ارده به • واراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل • او اراد خطبت المراة وخطبها هو فخاطبني خطابا اي غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني • وقرئ وعازني من المعازة وهي المغالبة • وقرا ابو حيوة بتخفيف الزاي طلبا للخفة وهو تخفيف غريب • وكانه قاسه على نحو ظلت ومست فان قلت ما معنى ذكر النعاج قلت كان تحاكمهم في نفسه تمثيلا وكلامهم تمثيلا لان التمثيل ابلغ في التوبيخ لما ذكرنا • وللتنبيه على انه امر يستحيي من كشفه فيكنى عنه كما يكنى عما يستسمج الافصاح به وللستر على داود والاحتفاظ بحرمته ووجه التمثيل فيه ان مثلت قصة اوريا مع داود عليه الصلاة والسلام بقصة رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون فاراد صاحبه تتمة المائة فطمع في نعجة خليطه واراده على الخروج من ملكها اليه وحاجه في ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده والدليل عليه قوله وان كثيرا من الخلطاء وانما خص هذه القصة لما فيها من الرمز الى الغرض بذكر النعجة فان قلت انما يستقيم التمثيل اذا فسرت الخطاب بالجدال فان فسرته بالمفاعلة من الخطبة لم يستقم قلت الوجه مع هذا التفسير ان اجعل النعجة استعارة عن المراة كما استعاروا لها الشاة في قوله •

• يا شاة ما قنص لمن حلت له • فرميت غفلة عينه عن شاته •

وشبهها بالنعجة من قال • كنعاج الملا تعسفن رملا • لولا ان الخلطاء ياباه الا ان يضرب داود الخلطاء ابتداء مثلا لهم ولقصتهم فان قلت الملائكة كيف صح منهم ان يخبروا عن انفسهم بما لم يتلبسوا منه بقليل ولا كثير ولا هو من شانهم قلت هو تصوير للمسئلة وفرض لها فصوروها في انفسهم وكانوا في صورة الاناسي • كما تقول في تصوير المسئلة لزيد له اربعون شاة ولك اربعون فخلطناها • وعمرو له اربعون وانت تشير اليهما فخلطاها وحال عليها الحول كم يجب فيها • وما لزيد • وعمرو سبد ولا لبد • وتقول ايضا في تصويرها لي اربعون شاة ولك اربعون فخلطناها وما لكما من الاربعين اربعة ولا ربعها فان قلت ما وجه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه • ولي نعجة انثى قلت يقال امراة انثى للحسناء الجميلة والمعنى وصفها بالعراقة في لين الانوثة وفتورها وذلك املح لها وازيد في تكسرها وتثنيها الا ترى الى وصفهم لها بالكسول والمكسال • وقوله فتور القيام قطيع الكلام وقوله

• تمشي رويدا تكاد تنغرف • قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن ماب لقد ظلمك بسؤال نعجتك جواب قسم محذوف • وفي ذلك استنكار • لفعل خليطه وتهجين لطمعه والسؤال مصدر مضاف الى المفعول كقوله تعالى لا يسأم الانسان من دعاء الخير • وقد ضمن معنى الاضافة فعدي تعديتها

كأنه قيل بإضافة نعجتك إلى نعاجه على وجه السؤال والطلب فإن قلت كيف سارع إلى تصديق أحد
الخصمين حتى ظلم الآخر قبل استماع كلامه قلت ما قال ذلك إلا بعد اعتراف صاحبه ولكنه لم يحك
في القرآن لأنه معلوم ويروى أنه قال أنا أريد أن آخذها منه وأكمل نعاجي مائة فقال
داود عليه الصلاة والسلام إن رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا وأشار إلى طرف الأنف والجبهة
فقال يا داود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا وأنت فعلت كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير
أحدا فعرف ما وقع فيه والخلطاء الشركاء الذين خلطوا أموالهم الواحد خليط وهي الخلطة
وقد غلبت في الماشية والشافعي رضي الله عنه يعتبرها فإذا كان الرجلان خليطين في ماشية
بينهما غير مقسومة أو لكل واحد منهما ماشية على حدة إلا أن مراحهما ومسقاهما وموضع
حلبهما والراعي والكلب واحد والفحولة مختلطة فهما يزكيان زكاة الواحد فإن كانت لهما
أربعون شاة فعليهما شاة وإن كانوا ثلاثة ولهم مائة وعشرون لكل واحد أربعون فعليهم واحدة
كما لو كانت لواحد وعند أبي حنيفة رحمة الله عليه لا تعتبر الخلطة والخليط والمنفرد عنده في
أربعين بين خليطين لا شيء عنده وفي مائة وعشرين بين ثلاثة ثلاث شياه فإن قلت
فهذه الخلطة ما تقول فيها قلت عليهما شاة واحدة فيجب على ذي النعجة أداء جزء من مائة
جزء من الشاة عند الشافعي رضي الله تعالى عنه وعند أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه لا شيء عليه
فإن قلت ماذا أريد بذكر حال الخلطاء في ذلك المقام قلت قصد به الموعظة الحسنة
والترغيب في إيثار عادة الخلطاء الصلحاء الذين حكم لهم بالقلة وأن يكره إليهم الظلم والاعتداء الذي
عليه أكثرهم مع التأسف على حالهم وأن يسلي المظلوم عما جرى عليه من خليطه وأن له في أكثر الخلطاء
أسوة وقرئ ليبغي بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله اضرب عنك الهموم
طارقها وهو جواب قسم محذوف وليبغ بحذف الياء اكتفاء منها بالكسرة وما في وقليل ما هم
للإبهام وفيه تعجب من قلتهم وإن أردت أن تتحقق فائدتها وموقعها فاطرحها من قول
امرئ القيس وحديث ما على قصره سعد إذا أمتى قد قل كل مسلم
وانظر هل بقي له معنى قط لما كان الظن الغالب يداني العلم استعير له ومعناه وعلم داود وأيقن
أنما فتناه أنا ابتليناه بامرأة أوريا هل يثبت أو يزل وقرئ فتناه بالتشديد
للمبالغة وأفتناه من قوله لئن فتنتني لهي بالأمس أفتنت وفتناه وفتناه على أن الألف
ضمير الملكين وعبر بالراكع عن الساجد لأنه ينحني ويخضع كالساجد وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله
تعالى عليه وأصحابه في سجدة التلاوة على أن الركوع يقوم مقام السجود وعن الحسن رحمة الله عليه
لأنه لا يكون ساجدا حتى يركع ويجوز أن يكون قد استغفر لذنبه وأحرم بركعتي الاستغفار والإنابة
فيكون المعنى وخر للسجود راكعا أي مصليا لأن الركوع يجعل عبارة عن الصلاة وأناب رجع إلى
الله بالتوبة والتنصل وروي أنه بقي ساجدا أربعين يوما وليلة لا يرفع رأسه إلا لصلاة مكتوبة
أو ما لا بد منه ولا يرقأ دمعه حتى نبت العشب من دمعه إلى رأسه ولم يشرب ماء
إلا وثلثاه دمع وجهد نفسه راغبا إلى الله في العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك

حتى

حتى وثب ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعا الى نفسه واجتمع اليه اهل الزيغ من بني اسرائيل فلما غفر له حاربه
فهزمه . وروي انه نقش خطيئته في كفه حتى لا ينساها . وقيل ان الخصمين كانا من الانس وكانت
الخصومة على الحقيقة بينهما . اما كانا خليطين في الغنم . واما كان احدهما موسرا وله نسوان كثيرة
من المهاير والسراري . والثاني معسر ماله الا امراة واحدة فاستنزله عنها . وانما فزع لدخولهما
عليه في غير وقت الحكومة ان يكونا مغتالين وما كان ذنب داود عليه الصلاة والسلام الا انه صدق
احدهما على الاخر وظلمه قبل مسئلته يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق
ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم
الحساب خليفة في الارض اي استخلفناك على الملك في الارض كمن يستخلفه بعض السلاطين على بعض البلاد
ويملكه عليها . ومنه قولهم خلفاء الله في ارضه او جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء
القائمين بالحق . وفيه دليل على ان حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير . فاحكم
بين الناس بالحق اي بحكم الله اذ كنت خليفته ولا تتبع هوى النفس في قضاياك . وغيرها
مما تتصرف فيه من اسباب الدين والدنيا فيضلك الهوى فيكون سببا لضلالك عن سبيل الله
عن دلائله التي نصبها في العقول . وعن شرائعه التي شرعها واوحى بها ويوم الحساب
متعلق بنسوا اي بنسيانهم يوم الحساب او بقوله لهم اي لهم عذاب يوم القيمة بسبب نسيانهم
وهو ضلالهم عن سبيل الله . وعن بعض خلفاء بني مروان انه قال لعمر بن عبد العزيز او للزهري
هل سمعت ما بلغنا قال وما هو قال بلغنا ان الخليفة لا يجري عليه القلم ولا يكتب عليه
معصية فقال يا امير المؤمنين الخلفاء افضل ام الانبياء ثم تلا هذه الاية وما
خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار باطلا
خلقا باطلا لا لغرض صحيح وحكمة بالغة او مبطلين عابثين كقوله تعالى وما خلقنا السماء والارض
وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق . وتقديره ذوي باطل او عبثا فوضع باطلا موضعه كما
وضعوا هنيئا موضع المصدر وهو صفة اي ما خلقناهما وما بينهما للعبث واللعب ولكن للحق
المبين وهو انا خلقنا نفوسا اودعناها العقل والتمييز . ومنحناها التمكين فازحنا عللها
ثم عرضناها للمنافع العظيمة بالتكليف واعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب اعمالهم وذلك اشارة
الى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون اي خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا فان
قلت اذا كانوا مقرين بان الله خالق السموات والارض وما بينهما بدليل قوله تعالى ولئن
سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله . ثم جعلوا ظانين انه خلقها للعبث لا للحكمة
قلت لما كان انكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب مؤديا الى ان خلقها عبث
وباطل جعلوا كانهم يظنونه ويقولونه لان الجزاء هو الذي سيقت اليه الحكمة في خلق العالم
من راسها فمن جحده فقد جحد الحكمة من اصلها . ومن جحد الحكمة في خلق العالم فقد سفه الخالق
وظهر بذلك انه لا يعرفه ولا يقدره حق قدره فكان اقراره بكونه خالقا كلا . اقرار ام نجعل
الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار ام منقطعة ومعنى

الاستفهام فيها الانكار والمراد انه لو بطل الجزاء كما يقول الكافرون لاستوت عند الله احوال من اصلح
وافسد واتقى وفجر ومن سوى بينهم كان سفيها ولم يكن حكيما **كتاب انزلناه اليك مبارك**
ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب وقرئ مباركا وليتدبروا على الاصل ولتدبروا
وتدبر الآيات التفكر فيها والتأمل الذي يؤدي الى معرفة ما يدبر ظاهرها من التأويلات
الصحيحة والمعاني الحسنة لان من اقتنع بظاهر المتلو لم يحل منه بكثير طائل وكان مثله كمثل من له
لقحة درور لا يحتلبها ومهرة نثور لا يستولدها وعن الحسن رحمة الله عليه قد قرأ هذا
القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده حتى ان احدهم ليقول
والله لقد قرأت القرآن فما اسقطت منه حرفا وقد والله اسقطه كله ما يرى للقرآن عليه اثر
في خلق ولا عمل والله ما هو بحفظ حروفه واضاعة حدوده والله ما هؤلاء بالحكماء ولا الوزعة
لا كثر الله في الناس مثل هؤلاء اللهم اجعلنا من العلماء المتدبرين واعذنا من القراء المتكبرين
ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب وقرئ نعم العبد على الاصل والمخصوص بالمدح
محذوف وعلل كونه ممدوحا بكونه اوابا رجاعا اليه بالتوبة او مسبحا مؤوبا للتسبيح مرجعا
له لان كل مؤوب اواب **اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد** الصافن الذي في قوله
ألف الصفون فما يزال كأنه مما يقوم على الثلث كسيرا وقيل الذي يقوم على طرف سنبك يد او رجل
هو المتخيم و واما الصافن الذي يجمع بين يديه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان يقوم
الناس له صفونا فليتبوأ مقعده من النار اي واقفين كما خدم الجبابرة فان قلت ما معنى وصفها
بالصفون قلت الصفون لا يكاد يكون في الهجن وانما هو في العراب الخلص وقيل وصفها بالصفون
والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعني اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة
في مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا في جريها وروي ان سليمان غزا اهل دمشق
ونصيبين فاصاب الف فرس وقيل ورثها من ابيه واصابها ابوه من العمالقة وقيل
خرجت من البحر لها اجنحة فقعد يوما بعد ما صلى الاولى على كرسيه فاستعرضها فلم تزل
تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد من الذكر كان له وقت العشي وتهيبوه
فلم يعلموه فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها مقربا لله وبقي مائة فما في ايدي الناس من الجياد
فان قلت ما معنى احببت فمن نسلها وقيل لما عقرها ابدله الله خيرا منها وهي الريح تجري
بامره **فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب** فان قلت
ما معنى احببت حب الخير عن ذكر ربي قلت احببت مضمن معنى فعل يتعدى بعن
كانه قيل انبت حب الخير عن ذكر ربي او جعلت حب الخير مجزيا او مغنيا و عن ذكر ربي
وذكر ابو الفتح الهمداني في كتاب التبيان بمعنى لزمت من قوله مثل بعير السوء اذ احبا
واعجابا بها فان قلت بم اتصل قوله تعالى ردوها علي قلت بمحذوف تقديره
قال ردوها علي فاضمر واضمر ما هو جواب له كان قائلا قال فماذا قال
سليمان لانه موضع مقتض للسؤال اقتضاء ظاهرا وهو اشتغال نبي من انبياء الله بامر الدنيا حتى تفوته

اذ احبت ع

سورة الانفال

وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كفروا سبقوا انهم لا يُعْجِزُونَ

قرى انهم بالفتح

يُعَجِّزُونَ بالتشديد

(الاعمش) يَحْسِب بكسر البا

(Hamza) ولا يَحْسَبَنَّ

سورة فصلت

وقرى فُصِّلَتْ فَصَّلَتْ اياته

واملى لهم (Hamza 47) سورة محمد

الارض. أنّ أحببت بمعنى لزمت من قوله. مثل بعير السوء إذا أحبّا. وليس بذاك. والخير المال
لقوله تعالى. إن ترك خيرا. وقوله تعالى. وإنه لحبّ الخير لشديد. والمال الخيل التي
شغلته. أو سمّى الخيل خيرا كأنها نفس الخير لتعلّق الخير بها. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل
معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيمة. وقال في زيد الخيل وقد وفد عليه وأسلم ما وصف لي رجل فرأيته
إلا كان دون ما بلغني إلا زيد الخيل وسمّاه زيد الخير. وسأل رجل بلالا عن قوم يستبقون من
السابق. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الرجل أردت الخيل فقال وأنا أردت الخير
والتواري بالحجاب مجاز في غروب الشمس عن تواري الملك أو المخبأة بحجابهما. والذي يدل على
أن الضمير للشمس مرور ذكر العشيّ. ولا بدّ للمضمر من جرى ذكر أو دليل ذكر. وقيل الضمير للصافنات
أي حتى توارت بحجاب الليل يعني الظلام. ومن بدع التفاسير أن الحجاب جبل دون قاف بمسيرة
سنة تغرب الشمس من ورائه ردّوها عليّ فطفق مسحا بالسوق والأعناق فطفق مسحا فجعل يمسح مسحا أي
يمسح السيف بسوقها وأعناقها يعني يقطعها تقول مسح علاوته إذا ضرب عنقه ومسح المسفر الكتاب
إذا قطع أطرافه بسيفه وعن الحسن رحمه الله عليه كسف عراقيبها وضرب أعناقها أراد بالكسف
القطع. ومنه الكسف في ألقاب الزحاف في العروض ومن قاله بالشين المعجمة فمصحّف وقيل
مسحها بيده استحسانا لها وإعجابا بها. فإن قلت بم اتصل قوله تعالى ردّوها عليّ قلت
بمحذوف تقديره قال ردّوها عليّ فأضمر وأضمر ما هو جواب له كأن قائلا قال فماذا قال
سليمان لأنه موضع مقتض للسؤال اقتضاء ظاهرا وهو اشتغال نبي من أنبياء الله بأمر الدنيا حتى
تفوته الصلوة عن وقتها. وقرئ بالسؤق بهمز الواو لضمتها كما في أدؤر ونظيره غارت
الشمس وأما من قرأ بالسؤوق فقد جعل الضمة في السين كأنها في الواو للتلاصق كما قيل مؤسى ونظير
ساق وسوق أسد وأسد. وقرئ بالساق. اكتفاء بالواحد لأمن الإلباس ولقد فتنا سليمان
وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب قيل فتن سليمان عليه الصلاة والسلام بعد ما ملك عشرين
سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وكان من فتنته أنه ولد له ابن فقالت الشياطين إن عاش
لم ننفك من السخرة فسبيلنا أن نقتله أو نخبله فعلم ذلك فكان يغذوه في السحابة فما
راعه إلا أن ألقي على كرسيه ميتا فتنبه على خطائه في أن لم يتوكل فيه على ربه فاستغفر ربه
وتاب إليه. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم. قال سليمان لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة
تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل إلا امرأة
واحدة جاءت بشق رجل والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا
أجمعون فذلك قوله عزّ وجلّ. ولقد فتنا سليمان. وهذا ونحوه مما لا بأس به وأما ما
يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان والله أعلم بصحته
حكوا أن سليمان بلغه خبر صيدون وهي مدينة في بعض الجزائر وأن بها ملكا عظيم
الشأن لا يقوى عليه لتحصنه بالبحر فخرج إليه تحمله الريح حتى أناخ بها بجنوده من الجن
والإنس فقتل ملكها وأصاب بنتا له اسمها جرادة من أحسن الناس وجها فاصطفاها لنفسه

واسلمت واحبها وكانت لا يرقا دمعها حزنا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورة ابيها فكستها مثل
كسوته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدن له كعادتهن في ملكه فاخبر آصف سليمان
بذلك فكسر الصورة وعاقب المراة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تائبا
الى الله تعالى متضرعا وكانت له ام ولد يقال لها امينة اذا دخل للطهارة او لاصابة امراة وضع
خاتمه عندها وكان ملكه في خاتمه فوضعه عندها يوما واتاها الشيطان صاحب البحر وهو الذي دل
سليمان عليه الصلاة والسلام على الماس حين امر ببناء بيت المقدس واسمه صخر على صورة سليمان فقال
يا امينة خاتمي فتختم به وجلس على كرسيه سليمان وعكفت عليه الطير والجن والانس وغير سليمان
عليه الصلاة والسلام عن هيئته فاتى امينة لطلب الخاتم فانكرته وطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته
فكان يدور على البيوت يتكفف واذا قال انا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد الى السماكين
ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك اربعين صباحا عدد ما عبد الوثن في بيته
فانكر آصف وعظماء بني اسرائيل حكم الشيطان وسال آصف نساء سليمان فقلن ما يدع امراة
منا في دمها ولا يغتسل من جنابة وقيل بل نفذ حكمه في كل شيء الا فيهن ثم طار الشيطان
وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة ووقعت السمكة في يد سليمان عليه الصلاة والسلام فبقر
بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجدا ورجع اليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد
عليه باخرى ثم اوثقها بالحديد والرصاص وقذفه في البحر وقيل لما افتتن كان يسقط الخاتم من
يده ولا يتماسك فيها فقال له آصف انك لمفتون بذنبك فالخاتم لا يتقر في يدك فتب الى
الله ولقد ابى العلماء المتقنون قبوله وقالوا هذا من اباطيل اليهود والشياطين لا يتمكنون من مثل
هذه الافاعيل وتسليط الله اياهم على عباده حتى يقعوا في تغيير الاحكام وعلى نساء الانبياء حتى
يفجروا بهن قبيح واما اتخاذ التماثيل فيجوز ان تختلف فيه الشرائع الا ترى الى قوله من محاريب
وتماثيل واما السجود للصورة فلا يظن بنبي الله ان ياذن فيه واذا كان بغير علمه فلا عليه
وقوله تعالى والقينا على كرسيه جسدا ناب عن افادة معنى انابة الشيطان منابه نبوا
ظاهرا قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي انك انت الوهاب
تقديم الاستغفار على استيهاب الملك جريا على عادة الانبياء والصالحين في تقديمهم امر دينهم
على امور دنياهم لا ينبغي لا يتسهل ولا يكون ومعنى من بعدي من دوني فان قلت اما
يشبه الحسد والحرص على الاستبداد بالنعمة ان يستعطي الله ما لا يعطيه غيره قلت كان سليمان
عليه الصلاة والسلام ناشئا في بيت الملك والنبوة ووارثا لهما فاراد ان يطلب من ربه
معجزة فطلب على حسب الفه ملكا زائدا على الممالك زيادة خارقة للعادة بالغة حد الاعجاز
ليكون ذلك دليلا على نبوته قاهرا للمبعوث اليهم وان تكون معجزة حتى تخرق العادات
فذلك معنى قوله تعالى لا ينبغي لاحد من بعدي وقيل كان ملكا عظيما فخاف ان يعطى مثله
احد فلا يحافظ على حدود الله فيه كما قالت الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء
ونحن نسبح بحمدك وقيل ملكا لا اسلبه ولا يقوم غيري فيه مقامي كما سلبته مرة واقيم

فيه

فيه متاني غيري • ويجوز ان يقال علم الله فيما اختصه به من ذلك الملك العظيم مصالح في الدين وعلم انه
لا يضطلع باعبائه غيره و اوجبت الحكمة استيهابه فامره ان يستوهبه اياه فاستوهبه بامر من
الله تعالى على الصفة التي علم الله انه لا يضبطه عليها الا هو وحده دون سائر عباده او اراد ان
يقول ملكا عظيما • فقال لا ينبغي لاحد من بعدي ولم يقصد بذلك الا عظم الملك وسعته
كما قال لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال وربما كان للناس امثال ذلك ولكنك تريد
تعظيم ما عنده • وعن الحجاج انه قيل له انك لحسود فقال احسد مني من قال وهب لي ملكا •
لا ينبغي لاحد من بعدي • وهذا من جراءته على الله وشيطنته كما حكي عنه طاعتنا اوجب
من طاعة الله • لانه شرط في طاعته فقال فاتقوا الله ما استطعتم • واطلق طاعتنا فقال
واولوا الامر منكم • فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب وقرئ الريح والرياح
رخاء لينة طيبة لا تزعزع • وقيل طيعة له لا تمتنع عليه • حيث اصاب حيث قصد واراد
حكى الاصمعي عن العرب اصاب الصواب فاخطأ الجواب • وعن رؤبة ان رجلين
من اهل اللغة قصداه ليسألاه عن هذه الكلمة فخرج اليهما فقال اين تصيبان فقالا
هذه طلبتنا ورجعا • ويقال اصاب الله بك خيرا والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين
في الاصفاد هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب والشياطين عطف على الريح وكل
بناء بدل من الشياطين وآخرين عطف على كل داخل في حكم البدل وهو بدل الكل كانوا من الكل ص
يبنون له ما شاء من الابنية • ويغوصون له فيستخرجون اللؤلؤ وهو اول من استخرج الدر
من البحر وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض في القيود والسلاسل للتاديب
والكف عن الفساد • وعن السدي كان يجمع ايديهم الى اعناقهم مغللين في الجوامع والصفد
القيد • وسمي به العطاء لانه ارتباط للمنعم عليه ومنه قول امير المؤمنين علي بن ابي طالب
رضي الله تعالى عنه من برك فقد اسرك • ومن جفاك فقد اطلقك • ومنه قول القائل •
غل يدا مطلقها • وارق رقبة معتقها • وقال حبيب ان العطاء اسار وتبعه
من قال • ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا • وفرقوا بين الفعلين • فقالوا صفده قيده
واصفده اعطاه • لو عده • واوعده • اي هذا الذي اعطيناك من الملك والمال والبسطة
عطاؤنا بغير حساب يعني جما كثيرا • لا يكاد يقدر على حسبه وحصره • فامنن من المنة
وهي العطاء اي فاعط منه ما شئت او امسك مفوضا اليك التصرف فيه • وفي قراءة ابن مسعود عطاؤنا ح
رضي الله تعالى عنه هذا فامنن او امسك بغير حساب • او هذا التسخير عطاؤنا فامنن على من
شئت من الشياطين بالاطلاق • وامسك من شئت منهم في الوثاق بغير حساب • اي لا حساب
عليك في ذلك واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه اني مسني الشيطان بنصب وعذاب
ايوب عطف بيان واذ بدل اشتمال منه • اني مسني حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه
ولو لم يحك لقال بانه مسه لانه غائب • وقرئ بنصب بضم النون وفتحها مع سكون
الصاد وبفتحهما وضمهما فالنصب والنصب كالرشد والرشد • والنصب على اصل المصدر • والنصب

بتثقيل نصب والمعنى واحد وهو التعب والمشقة • والعذاب الألم يريد مرضه وما كان يقاسي فيه
من أنواع الوصب • وقيل الضر في البدن والعذاب في ذهاب الأهل والمال • فإن قلت لم نسبه
إلى الشيطان ولا يجوز أن يسلطه الله على أنبيائه ليقضي من إتعابهم وطره ولو قدر على ذلك لم يدع صالحاً
إلا نكبه وأهلكه • وقد تكرر في القرآن أنه لا سلطان له إلا الوسوسة فحسب قلت لما كانت
وسوسته إليه وطاعته له فيما وسوس سبباً فيما مسه الله من النصب والعذاب نسبه إليه • وقد
راعى الأدب في ذلك حيث لم ينسبه إلى الله تعالى في دعائه مع أنه فاعله ولا يقدر عليه إلا هو
وقيل أراد ما كان يوسوس به إليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع
فالتجأ إلى الله في أن يكفيه ذلك بكشف البلاء أو بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل وروي أنه
كان يعوده ثلاثة من المؤمنين فارتد أحدهم فسأل عنه فقيل ألقى إليه الشيطان أن الله لا يبتلي الأنبياء
والصالحين وذكر في سبب بلائه أن رجلاً استغاثه على ظالم فلم يغثه • وقيل كانت مواشيه في ناحية
ملك كافر فداهنه ولم يغزه • وقيل أعجب بكثرة ماله اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ومغتسل بارد وشراب اي هذا ماء
اركض برجلك حكاية ما أجيب به أيوب أي اضرب برجلك الأرض • وعن قتادة هي أرض
الجابية فضربها فنبعت عين فقيل هذا ماء تغتسل به وتشرب منه فيبرأ به باطنك
وظاهرك وتنقلب ما بك قلبة • وقيل نبعت له عينان فاغتسل من إحداهما وشرب من الأخرى
فذهب الداء من ظاهره وباطنه بإذن الله سبحانه وتعالى • وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت
عين حارة • فاغتسل منها ثم باليسرى فنبعت باردة فشرب منها ووهبنا له أهله ومثلهم
معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب رحمة منا وذكرى مفعول لهما والمعنى أن الهبة
كانت للرحمة له وليتذكر لأولي الألباب لأنهم إذا سمعوا بما أنعمنا به عليه لصبره رغبهم في
الصبر على البلاء وعاقبة الصابرين وما يفعل الله بهم وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا
تحنث إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب وخذ معطوف على اركض والضغث
الحزمة الصغيرة من حشيش أو ريحان أو غير ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما قبضة من
الشجر كان حلف في مرضه ليضربن امرأته مائة إذا برئ فحلل الله يمينه بأهون شيء عليه
وعليها لحسن خدمتها إياه ورضاه عنها وهذه الرخصة باقية • وعن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه أتي بمخدج قد خبث بأمة فقال خذوا عثكالاً فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة
ويجب أن يصيب المضروب كل واحد من المائة إما أطرافها قائمة وإما أعراضها مبسوطة
مع وجود صورة الضرب • وكان السبب في يمينه أنها أبطأت عليه ذاهبة في حاجة فحرج
صدره • وقيل باعت ذؤابتيها برغيفين وكانتا متعلق أيوب عليه السلام إذا قام • وقيل
قال لها الشيطان اسجدي لي سجدة وأرد عليكم مالكم وأولادكم فهمت بذلك فأدركتها العصمة
فذكرت ذلك له فحلف • وقيل أوهمها الشيطان أن أيوب عليه السلام إذا شرب الخمر برأ
فعرضت له بذلك • وقيل سألته أن يقرب للشيطان بعناق وجدناه صابراً علمناه صابراً
فإن قلت كيف وجده صابراً وقد شكى إليه ما به واسترحمه قلت الشكوى إلى الله عز

وجل

رجل لا تسمى جزعا. ولقد قال يعقوب عليه السلام إنما أشكو بثي وحزني إلى الله. وكذلك شكوى العليل
إلى الطبيب. وذلك أن أصبر الناس على البلاء لا يخلو من تمني العافية وطلبها. فإذا صح أن تسمى
صابرا مع تمني العافية وطلب الشفاء فليسم صابرا مع اللجاء إلى الله تعالى والدعاء إلى كشف ما به
ومع التعالج ومشاورة الأطباء. على أن أيوب عليه السلام كان يطلب الشفاء خيفة على قومه
من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس إليهم كما كان يوسوس إليه أنه لو كان نبيا لما ابتلي بمثل
ما ابتلي به، وإرادة القوة على الطاعة فقد بلغ أمره إلى أن لم يبق منه إلا القلب واللسان
ويروى أنه قال في مناجاته إلهي إنك قد علمت أنه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري
ولم يهبني ما ملكت يميني ولم آكل إلا ومعي يتيم ولم أبت شبعان ولا كاسيا ومعي جائع أو عريان
فكشف الله عنه. **واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار** إبراهيم
وإسحاق ويعقوب عطف بيان لعبادنا. ومن قرأ عبدنا جعل إبراهيم وحده عطف بيان له ثم
عطف ذريته على عبدنا وهي إسحاق ويعقوب. كقراءة ابن عباس رضي الله عنهما وإله أبيك
إبراهيم و[illegible] وإسحاق. لما كانت أكثر الأعمال تباشر بالأيدي غلبت فقيل في كل عمل هذا
مما عملت أيديهم. وإن كان عملا لا يتأتى فيه المباشرة بالأيدي أو كان العمال جذما لا أيدي
لهم. وعلى ذلك ورد قوله عز وجل أولي الأيدي والأبصار يريد أولي الأعمال والفكر
كأن الذين لا يعملون أعمال الآخرة ولا يجاهدون في الله ولا يفكرون أفكار ذوي الديانات
ولا يستبصرون في حكم الزمنى الذين لا يقدرون على إعمال جوارحهم والمسلوبي العقول الذين
لا استبصار بهم. وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين في دين الله
وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منهما. وقرئ أولي الأيادي
إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار أخلصناهم جعلناهم لنا خالصين بخالصة بخصلة
خالصة لا شوب فيها ثم فسرها بذكرى الدار شهادة لذكرى الدار بالخلوص والصفاء وانتفاء
الكدورة عنها. وقرئ على الإضافة والمعنى بما خلص من ذكرى الدار على أنهم لا يشوبون ذكرى
الدار بهم آخر إنما همهم ذكرى الدار لا غير. ومعنى ذكرى الدار ذكراهم الآخرة دائبا ونسيانهم
إليها ذكرى الدنيا أو تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم في الدنيا كما هو شأن الأنبياء
وديدنهم. وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم
فإن قلت ما معنى أخلصناهم بخالصة قلت معناه أخلصناهم بسبب هذه الخصلة
وبأنهم من أهلها أو أخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم في اختيارها وتعضد الأول قراءة
من قرأ بخالصتهم. **وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار** المصطفين المختارين من بين أبناء
جنسهم. والأخيار جمع خير أو خير على التخفيف كأموات في جمع ميت أو ميت. **واذكر إسمعيل
واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار** واليسع كأن حرف التعريف دخل على يسع. وقرئ
والليسع كأن حرف التعريف دخل على ليسع فيعل من اللسع والتنوين في وكل عوض من المضاف
إليه ومعناه وكلهم من الأخيار. **هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب** هذا ذكر هذا نوع من الذكر

بكشف

بأن

في سبيل الله

وهو القرآن لما اجرى ذكر الانبياء واتمه وهو باب من ابواب التنزيل ونوع من انواعه واراد ان يذكر
على عقبه بابا آخر وهو ذكر الجنة واهلها قال هذا ذكر كريم قال وان للمتقين كما يقول الجاحظ
في كتابه هذا باب ثم يشرع في باب آخر ويقول الكاتب اذا فرغ من فصل من كتابه واراد الشروع
في آخر هذا وقد كان كيت وكيت والدليل عليه انه لما اتم ذكر اهل الجنة واراد ان يعقبه بذكر اهل
النار قال هذا وان للطاغين وقيل معناه هذا شرف معرفة لقوله تعالى جنات عدن التي
وعد الرحمن وذكر جميل يذكرون به ابدا وعن ابن عباس رضي الله عنهما هذا ذكر من مضى من الانبياء
جنات عدن مفتحة لهم الابواب جنات عدن معرفة لقوله تعالى جنات عدن التي وعد
الرحمن وانتصابها على انها عطف بيان لحسن مآب ومفتحة حال والعامل فيها ما في للمتقين من
معنى الفعل وفي مفتحة ضمير الجنات والابواب بدل من الضمير تقديره مفتحة هي الابواب
كقولك ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال وقرئ جنات عدن مفتحة بالرفع
على ان جنات عدن مبتدأ ومفتحة خبره او كلاهما خبر مبتدأ محذوف اي هو جنات عدن
هي مفتحة لهم متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم
قاصرات الطرف اتراب كأن اللذات سمين اترابا لان التراب مسهن في وقت واحد
وانما جعلن على سن واحدة لان التحاب بين الاقران اثبت وقيل هن اتراب لازواجهن
اسنانهن كاسنانهم هذا ما توعدون ليوم الحساب ان هذا لرزقنا ما له من نفاد هذا وان
للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها فبئس المهاد وقرئ يوعدون بالتاء والياء ليوم اي لاجل
يوم الحساب كما تقول هذا ما تدخرونه ليوم الحساب اي ليوم تجزى كل نفس ما عملت هذا اي
الامر هذا وهذا كما ذكر فبئس المهاد كقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش شبه ما
تحتهم من النار بالمهاد الذي يفترشه النائم هذا فليذوقوه حميم وغساق وآخر من شكله
ازواج اي هذا حميم فليذوقوه او العذاب هذا فليذوقوه ثم ابتدأ فقال هو حميم وغساق
او هذا فليذوقوه بمنزلة واياي فارهبون اي ليذوقوا هذا فليذوقوه والغساق بالتخفيف
والتشديد ما يغسق من صديد اهل النار يقال غسقت العين اذا سال دمعها وقيل
الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقيل لو قطرت منه قطرة في المشرق لنتنت
اهل المغرب ولو قطرت منه قطرة في المغرب لنتنت اهل المشرق وعن الحسن رحمه الله
الغساق عذاب لا يعلمه الا الله تعالى ان الناس اخفوا لله طاعة فاخفى لهم ثوابا في قوله
تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين واخفوا معصية فاخفى لهم عقوبة وآخر
ومذوقات اخر من شكله ازواج وآخر من شكل هذا المذوق من مثله في الشدة والفظاعة
ازواج اجناس وقرئ واخر اي ومذاقات اخر او ومذوق اخر وازواج صفة لآخر
لانه يجوز ان يكون ضروبا او صفة للثلاثة وهي حميم وغساق وآخر من شكله وقرئ من
شكله بالكسر وهي لغة واما الفتح فبالكسر لا غير هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا
بهم انهم صالوا النار هذا فوج مقتحم هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار اي دخل النار في

صحبتكم وتباعكم والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها والقحمة الشدة • وهذه حكاية كلام الطاغين لبعضهم مع بعض • اي يقولون هذا والمراد بالفوج اتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب • لا مرحبا بهم دعاء منهم على اتباعهم بقول لمن تدعو له مرحبا اي اتيت رحبا من البلاد لا ضيقا • او رحبت بلادك رحبا • ثم تدخل عليه لا في دعاء السوء وبهم بيان للمدعو عليهم انهم صالوا النار تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم ونحوه قوله عز وجل كلما دخلت امة لعنت اختها • وقيل هذا فوج مقتحم معكم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة في اتباعهم ولا مرحبا بهم انهم صالوا النار كلام الرؤساء وقيل هذا كله كلام الخزنة **قالوا بل انتم لا مرحبا بكم بل انتم قدمتموه لنا فبئس القرار** قالوا اي الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم يريدون الدعاء الذي دعوتم به علينا انتم احق به وعللوا ذلك بقولهم انتم قدمتموه لنا والضمير للعذاب او لصليهم • فان قلت ما معنى تقديمهم العذاب لهم قلت المقدم هو عمل السوء قال الله تعالى ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم ولكن الرؤساء لما كانوا السبب فيه باغوائهم وكان العذاب جزاءهم عليه قيل انتم قدمتموه لنا فجعل رؤساهم المقدمين وجعل الجزاء هو المقدم فجمع بين مجازين لان العاملين هم المقدمون في الحقيقة لا رؤساؤهم • والعمل هو المقدم لا جزاؤه فان قلت فالذي جعل قوله لا مرحبا بهم من كلام الخزنة ما يصنع بقوله بل انتم لا مرحبا بكم والمخاطبون اعني رؤساءهم لم يتكلموا بما يكون هذا جوابا له قلت كانه قيل هذا الذي دعا به علينا الخزنة انتم يا رؤساء احق به منا لاغوائكم ايانا وتسببكم فيما نحن فيه من العذاب وهذا صحيح كما لو زين قوم لقوم بعض المساوي فارتكبوه فقيل للمزينين اخزى الله هؤلاء ما اسوا فعلهم فقال المزين لهم للمزينين بل انتم اولى بالخزي منا فلولا انتم لم نرتكب ذلك **قالوا ربنا من قدم هذا فزده عذابا ضعفا في النار** قالوا هم الاتباع ايضا فزده عذابا ضعفا اي مضاعفا ومعناه ذا ضعف ونحوه قوله عز وجل ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا في النار وهو ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله تعالى ربنا آتهم ضعفين من العذاب وجاء في التفسير عذابا ضعفا حيات وافاعي **وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار** وقالوا الضمير للطاغين رجالا يعنون فقراء المسلمين الذين لا يؤبه لهم من الاشرار من الاراذل الذين لا خير فيهم ولا جدوى ولانهم كانوا على خلاف دينهم وكانوا عندهم اشرارا **اتخذناهم سخريا ام زاغت عنهم الابصار** اتخذناهم سخريا قرئ بلفظ الاخبار على انه صفة لرجالا مثل قوله كنا نعدهم من الاشرار وبهمزة الاستفهام على انه انكار على انفسهم وتأ[نيب] لها في الاستسخار منهم • وقوله تعالى ام زاغت عنهم الابصار له وجهان من الاتصال • احدهما ان يتصل بقوله ما لنا اي ما لنا لا نراهم في النار ليسوا فيها بل ازاغت عنهم الابصار فلا نراهم وهم فيها قسموا امرهم بين ان يكونوا من اهل الجنة وبين ان يكونوا من اهل النار الا انه خفي عليهم مكانهم والوجه الثاني ان يتصل باتخذناهم سخريا اما ان يكون ام متصلة على معنى اي الفعلين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام ازدراؤهم وتحقيرهم وان ابصارنا كانت تعلو عنهم وتقتحمهم على معنى انكار

الامرين جميعا على انفسهم • وعن الحسن رحمه الله عليه كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم الابصار محقرة
لهم • واما ان تكون منقطعة بعد مضي اتخذناهم سخريا • على الخبر او الاستفهام كقولك انك بل ام شاء وازيد
عندك ام عندك عمرو • ولك ان تقدر همزة الاستفهام محذوفة فيمن قرا بغير همزة لان ام تدل
عليها فلا تفترق القراءتان اثبات همزة الاستفهام وحذفها • وقيل الضمير في وقالوا لصناديد قريش كابي
جهل والوليد واضرابهما والرجال عمار وصهيب وبلال واشباههم • وقري سخريا بالضم والكسر •
ان ذلك لحق تخاصم اهل النار ان ذلك الذي حكينا عنهم • ولحق لابد ان يتكلموا به ثم بين ما هو فقال
هو تخاصم اهل النار • وقري بالنصب على انه صفة لذلك لان اسماء الاشارة توصف باسماء الاجناس • فان
قلت لم سمي ذلك تخاصما قلت شبه تقاولهم وما يجري بينهم من السؤال والجواب بما يجري
بين المتخاصمين من نحو ذلك ولان قول الرؤساء لا مرحبا بهم وقول اتباعهم بل انتم لا مرحبا بكم من
باب الخصومة فسمي التقاول كله تخاصما لاجل اشتماله على ذلك قل انما انا منذر وما من اله الا الله
الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار قل يا محمد لمشركي مكة ما انا الا رسول
منذر انذركم عذاب الله للمشركين • واقول لكم ان دين الحق توحيد الله وان تعتقدوا ان لا اله الا الله الواحد
بلا ند ولا شريك وان الملك والربوبية له في العالم كله وهو العزيز الذي لا يغلب اذا عاقب العصاة
وهو مع ذلك الغفار لذنوب من التجأ اليه • او قل لهم ما انا الا منذر لكم ما الذي اعلم وانا انذركم
عقوبة من هذه صفته فان مثله حقيق بان يخاف عقابه كما هو حقيق بان ترجى ثوابه
قل هو نبأ عظيم انتم عنه معرضون ما كان لي من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون ان يوحى الي الا
انما انا نذير مبين قل هو نبأ عظيم اي هذا الذي انباتكم به من كوني رسولا منذرا وان الله واحد
لا شريك له نبأ عظيم لا يعرض عن مثله الا غافل شديد الغفلة • ثم احتج لصحة نبوته بان
ما ينبئ به عن الملا الاعلى واختصامهم امر ما كان له به من علم قط ثم علمه ولم يسلك الطريق
الذي يسلكه الناس في علم ما لا يعلموا وهو الاخذ من اهل العلم وقراءة الكتب فعلم ان ذلك لم
يحصل له الا بالوحي من الله تعالى ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين • اي لانما انا نذير ومعناه
ما يوحى الي الا للانذار • فحذف اللام وانتصب بافضاء الفعل اليه ويجوز ان يرتفع على معنى ما يوحي
الي الا هذا وهو ان انذر وابلغ ولا افرط في ذلك اي ما اومر الا بهذا الامر وحده وليس الي غير ذلك
وقري انما بالكسر على الحكاية اي الا هذا القول وهو ان اقول لكم انما انا نذير مبين ولا ادعي شيئا
اخر • وقيل النبأ العظيم قصص ادم عليه الصلاة والسلام والانباء به من غير سماع من احد • وعن
ابن عباس رضي الله عنهما القران • وعن الحسن رحمة الله عليه يوم القيمة • فان قلت بم يتعلق اذ
يختصمون قلت بمحذوف لان المعنى ما كان لي من علم بكلام الملا الاعلى وقت اختصامهم اذ قال
ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين واذ قال ربك بدل من اذ يختصمون • فان قلت ما كان التقاول
بينهم انما كان بين الله وبينهم لان الله سبحانه هو الذي قال لهم وقالوا له فانت بين امرين اما ان تقول
الملا الاعلى هؤلاء وكان التقاول بينهم واما ان تقول التقاول كان بين الله وبينهم فقد جعلته من
الملا الاعلى قلت كانت مقاولة الله سبحانه بواسطة ملك فكان المقاول في الحقيقة هو الملك المتوسط

غ مقابلة

فصح

بلغ مقابله

نصح أن التقاول كان بين الملائكة وآدم وإبليس وهم الملأ الأعلى والمراد بالاختصام التقاول على ما سبق ه
فإن قلت كيف صح أن يقول لهم إني خالق بشرا وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قبل قلت
وجهه أن يكون قد قال لهم إني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم
فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان
من الكافرين فإذا سويته فإذا أتممت خلقه وعدلته ونفخت فيه من روحي وأحييته وجعلته حساسا متنفسا
فقعوا له فخروا كل للإحاطة وأجمعون للاجتماع فأفادا معا أنهم سجدوا عن آخرهم ما بقي منهم ملك إلا سجد
وأنهم سجدوا جميعا في وقت واحد غير متفرقين في أوقات فإن قلت كيف ساغ السجود لغير الله
قلت الذي لا يسوغ هو السجود لغير الله على وجه العبادة فأما على وجه التكرمة والتبجيل فلا يأباه العقل
إلا أن يعلم الله فيه مفسدة فينهى عنه فإن قلت كيف استثنى إبليس من الملائكة وهو من الجن قلت
قد أمر بالسجود معهم فغلبوا عليه في قوله تعالى فسجد الملائكة ثم استثني كما يستثنى الواحد منهم استثناء
متصلا وكان من الكافرين أريد وجود كفره ذلك الوقت وإن لم يكن قبله كافرا لأن كان مطلق
في جنس الأوقات الماضية فهو صالح لأيها شئت ويجوز أن يراد وكان من الكافرين في الأزمنة الماضية
في علم الله تعالى قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين قال أنا خير
منه خلقتني من نار وخلقته من طين فإن قلت ما وجه قوله خلقت بيدي قلت قد سبق لنا
أن ذا اليدين يباشر أكثر أعماله بيديه فغلب العمل باليدين على سائر الأعمال التي تباشر بغيرهما حتى قيل
في عمل القلب هو مما عملت يداك وحتى قيل لمن لا يدي له يداك أوكتا وفوك نفخ وحتى لم يبق فرق
بين قولك هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك ومنه قوله تعالى مما عملت أيدينا ولما خلقت
بيدي فإن قلت فما معنى قوله ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي قلت الوجه الذي
استنكر له إبليس السجود لآدم عليه الصلاة والسلام واستنكف منه أنه سجود لمخلوق فذهب بنفسه
وتكبر أن يكون سجوده لغير الخالق وانضم إلى ذلك أن آدم عليه الصلاة والسلام مخلوق من طين وهو
مخلوق من نار ورأى للنار فضلا على الطين فاستعظم أن يسجد لمخلوق مع فضله عليه في المنصب
وزل عنه أن الله سبحانه حين أمر به أعز عباده عليه وأقربهم منه زلفى وهم الملائكة وهم أحق
بأن يذهبوا بأنفسهم عن التواضع للبشر الضئيل ويستنكفوا من السجود له من غيرهم ثم لم يفعلوا و
تبعوا أمر الله وجعلوه قدام أعينهم ولم يلتفتوا إلى التفاوت بين الساجد والمسجود له تعظيما لأمر
ربهم وإجلالا لخطابه كان هو مع انحطاطه عن مراتبهم حري بأن يقتدي بهم ويقتفي أثرهم ويعلم أنهم
في السجود لمن هو دونهم بأمر الله أوغل في عبادته منهم في السجود له لما فيه من طرح الكبرياء وخفض الجناح
فقيل له ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أي ما منعك من السجود لشيء هو كما تقول مخلوق خلقته
بيدي لا شك في كونه مخلوقا امتثالا لأمري وإعظاما لخطابي كما فعلت الملائكة فذكر له ما تركه
من السجود مع ذكر العلة التي تشبث بها في تركه وقيل له لم تركته مع وجود هذه العلة وقد أمرك الله
به يعني كان عليك أن تعتبر أمر الله ولا تعتبر هذه العلة ومثاله أن يأمر الملك وزيره أن
يزور بعض سقاط الحشم فيمتنع اعتبارا لسقوطه فيقول له ما منعك أن تتواضع لمن لا يخفى علي سقوطه

يريد هلا اعتبرت أمري وخطابي وتركت اعتبار سقوطه. وفيه أني خلقته بيدي فأنا أعلم بحاله
ومع ذلك أمرت الملائكة بأن يسجدوا له لداعي حكمة دعاني اليه من انعام عليه بالتكرمة السنية
وابتلاء للملائكة. فمن أنت حتى يصرفك عن السجود له ما لم يصرفني عن الأمر بالسجود له. وقيل
معنى لما خلقت بيدي لما خلقت بغير واسطة. وقرئ بيدي كما قرئ بمصرخي. وبيدي على التوحيد
من العالين ممن علوت وفقت فأجاب بأنه من العالين حيث قال أنا خير منه. وقيل استكبرت
الآن أم لم تزل منذ كنت من المستكبرين ومعنى الهمزة التقرير. وقرئ استكبرت بحذف حرف
الاستفهام لأن أم تدل عليه أو بمعنى الإخبار هذا على سبيل الأولى أي لو كان مخلوقا لما سجدت له
لأنه مخلوق مثلي فكيف أسجد لمن هو دوني لأنه من طين. والنار تغلب الطين. ولما كان قد جرت
الجملة الثانية من الأولى وهي خلقتني من نار مجرى المعطوف عطف البيان من المعطوف عليه في البيان
والإيضاح قال فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين منها من الجنة. وقيل من السموات
وقيل من الخلقة التي أنت فيها لأنه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته فاسود بعد ما كان أبيض
وقبح بعد ما كان حسنا. وأظلم بعد ما كان نورانيا. والرجيم المرجوم ومعناه المطرود كما قيل له
المدحور والملعون لأن من طرد رمي بالحجارة على أثره. والرجم الرمي بالحجارة. أو لأن الشياطين يرجمون
بالشهب فإن قلت قوله لعنتي إلى يوم الدين كأن لعنة إبليس غايتها يوم الدين ثم تنقطع قلت
كيف تنقطع وقد قال عز وجل فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين. ولكن المعنى أن عليه اللعنة
في الدنيا فإذا كان يوم الدين اقترن له باللعنة ما ينسى عنده اللعنة فكأنها انقطعت قال رب فأنظرني
إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا
عبادك منهم المخلصين فإن قلت ما الوقت المعلوم الذي أضيف إليه اليوم قلت الوقت الذي
يقع فيه النفخة الأولى ويومه اليوم الذي وقت النفخة جزء من أجزائه ومعنى المعلوم أنه معلوم عند الله
معين لا يستقدم ولا يستأخر فبعزتك إقسام بعزة الله وهي قهره وسلطانه قال فالحق والحق
أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين قرئ فالحق والحق منصوبين على أن
الأول مقسم به كالله في إن عليك الله أن تبايعا . تؤخذ كرها أو تجيء طائعا .
وجوابه لأملأن جهنم. والحق أقول اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه. ومعناه ولا أقول
إلا الحق والمراد بالحق إما اسمه عز وعلا الذي في قوله تعالى إن الله هو الحق المبين أو الحق
الذي هو نقيض الباطل عظمه الله بإقسامه به ومرفوعين على أن الأول مبتدأ محذوف الخبر
كقوله . لعمرك فالحق قسمي لأملأن. والحق أقول أي أقوله. كقوله كله لم أصنع ومجرورين على
أن الأول مقسم به قد أضمر حرف قسمه كقولك الله لأفعلن. والحق أقول أي ولا أقول إلا الحق على
حكاية لفظ المقسم به ومعناه التوكيد والتشديد. وهذا الوجه جائز في المنصوب والمرفوع أيضا
وهو وجه دقيق حسن. وقرئ برفع الأول وجره مع نصب الثاني. وتخريجه على ما ذكرنا ومنك
من جنسك. وهم الشياطين وممن تبعك من ذرية آدم فإن قلت أجمعين تأكيد لماذا
قلت لا يخلو أن يؤكد به الضمير في منهم أو الكاف في منك مع من تبعك ومعناه لأملأن

جهنم

جهنم من المتبوعين والتابعين أجمعين لا أترك منهم أحدا أو لأملأنها من الشياطين وممن تبعهم من جميع
الناس لا تفاوت في ذلك بين ناس وناس بعد وجود الاتباع منهم من أولاد الأنبياء وغيرهم
قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين إن هو إلا ذكر للعالمين ولتعلمن نبأه بعد حين
عليه من أجر الضمير للقرآن أو للوحي ق وما أنا من المتكلفين من الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من
وما عرفتموني قط متصنعا ولا مدعيا ما ليس عندي حتى انتحل النبوة وأتقول القرآن ق إن هو إلا
ذكر من الله للعالمين للثقلين أوحي إلي فأنا أبلغه • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتكلف ثلاث
علامات ينازع من فوقه • ويتعاطى ما لا ينال ويقول ما لا يعلم ق ولتعلمن نبأه أي ما يأتيكم عند الموت
أو يوم القيمة • أو عند ظهور الإسلام وفشوه من صحة خبره • وأنه الحق والصدق وفيه تهديد
عن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات
وعصمه أن يصر على ذنب صغير أو كبير •

سورة الزمر مكية | بسم الله الرحمن الرحيم | وهي سبعون وخمس آيات

تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم تنزيل الكتاب قرئ بالرفع على أنه مبتدأ خبره من الله أو خبر
مبتدأ محذوف تقديره صلة التنزيل كما تقول نزل من عند الله أو غير صلة كقولك هذا الكتاب من فلان إلى
فلان وهو على هذا خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا من الله أو حال
من التنزيل عمل فيها معنى الإشارة وبالنصب • على إضمار فعل نحو اقرأ والزم فإن قلت ما المراد بالكتاب
قلت الظاهر على الوجه الأول أنه القرآن وعلى الثاني أنه السورة إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق
فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص مخلصا له الدين ممحضا له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد
وتصفية السر • وقرئ الدين بالرفع وحق من رفعه أن يقرأ مخلصا باللام كقوله جل وعلا
وأخلصوا دينهم لله • حتى يطابق قوله ألا لله الدين • الخالص والخالص والمخلص واحد إلا أن يصف
الدين بصفة صاحبه على الإسناد المجازي كقولهم • شعر شاعر • وأما من جعل مخلصا حالا من العابد
وله الدين مبتدأ وخبرا فقد جاء بإعراب رجع به الكلام إلى قولك لله الدين ألا لله الدين الخالص
أي هو الذي وجب اختصاصه بأن يخلص له الطاعة من كل شائبة كدر لاطلاعه على الغيوب
والأسرار ولأنه • الحقيق بذلك لخلوص نعمته عن استجرار المنفعة بها • وعن قتادة الدين الخالص
شهادة أن لا إله إلا الله • وعن الحسن الإسلام والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا
إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون والذين اتخذوا يحتمل المتخذين وهم الكفرة والمتخذ بن
وهم الملائكة • وعيسى عليه الصلاة والسلام • واللات والعزى • عن ابن عباس رضي الله عنهما فالضمير
في اتخذوا على الأول راجع إلى الذين • وعلى الثاني إلى المشركين ولم يجر ذكرهم لكونه مفهوما والراجع

إلى الذين محذوف والمعنى والذين اتخذهم المشركون أولياء والذين اتخذوا في موضع الرفع على الابتداء فإن
قلت هو على الأول إما إن الله يحكم بينهم أو ما أضمر من القول قبل قوله ما نعبدهم وعلى
الثاني إن الله يحكم بينهم فإن قلت فإذا كان إن الله يحكم بينهم الخبر فما موضع القول المضمر
قلت يجوز أن يكون في موضع الحال أي قائلين ذلك ويجوز أن يكون بدلا من الصلة فلا يكون له محل
كما أن المبدل منه كذلك وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه بإظهار القول قالوا ما نعبدهم وفي قراءة
أبي رضي الله عنه ما نعبدكم إلا ليقربونا على الخطاب حكاية لما خاطبوا به آلهتهم وقرئ نُعُبدهم
بضم النون اتباعا للعين كما يتبعها الهمزة في الأمر والتنوين في عذابن اركض والضمير في بينهم لهم
ولأوليائهم والمعنى أن الله يحكم بينهم بأنه يدخل الملائكة وعيسى الجنة ويدخلهم النار مع الحجارة التي
نحتوها وعبدوها من دون الله يعذبهم بها حيث يجعلهم وإياها حصب جهنم واختلافهم أن الذين
يعبدون موحدون وهم مشركون وأولئك يعادونهم ويلعنونهم وهم يرجون شفاعتهم وتقريبهم
إلى الله زلفى وقيل كان المسلمون إذا قالوا لهم من خلق السموات والأرض أقروا وقالوا الله فإذا قالوا
لهم فما لكم تعبدون الأصنام قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى فالضمير في بينهم عائد إليهم
وإلى المسلمين والمعنى أن الله يحكم بينهم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين إن الله لا يهدي من هو كاذب
كفار لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار المراد
منع الهداية منع اللطف تسجيلا عليهم بأن لا لطف لهم وأنهم في علم الله من الهالكين وقرئ كذاب وكذوب
وكذبهم قولهم في بعض من اتخذوا من دون الله أولياء بنات الله ولذلك عقبه محتجا عليهم بقوله تعالى لو
أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء يعني لو أراد اتخاذ الولد لامتنع ولم يصح لكونه محالا
ولم يتأت إلا أن يصطفي من خلقه بعضه ويختصهم كما يختص الرجل ولده ويقربه وقد فعل ذلك
بالملائكة فافتتنتم به وغركم اختصاصه إياهم فزعمتم أنهم أولاده جهلا منكم به وبحقيقته المخالفة
لحقائق الأجسام والأعراض كأنه قال لو أراد اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل من اصطفاء ما يشاء من خلقه
وهم الملائكة إلا أنكم لجهلكم به حسبتم اصطفاءهم اتخاذهم أولادا ثم تماديتم في جهلكم وسفهكم
فجعلتموهم بنات فكنتم كاذبين كفارين متبالغين في الافتراء على الله وملائكته غالين في الكفر
ثم قال سبحانه فنزه ذاته عن أن يكون له أحد ما نسبوا إليه من الأولاد والأولياء ودل على
ذلك بما ينافيه وهو أنه واحد ولا يجوز أن يكون له صاحبة لأنه لو كانت له صاحبة لكانت من جنسه
ولا جنس له وإذا لم يتأت أن تكون له صاحبة لم يتأت أن يكون له ولد وهو معنى قوله
تعالى أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وقهار غلاب لكل شيء ومن الأشياء آلهتهم فهو
يغلبهم فكيف يكونون له أولياء وشركاء خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور
النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار
ثم دل بخلق السموات والأرض وتكوير كل واحد من الملوين على الآخر وتسخير النيرين
وجريهما لأجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الأنعام على أنه
واحد لا يشارك ولا يغالب والتكوير اللف واللي يقال كار العمامة على رأسه وكورها

دبنه

بينه أوجه منها أن الليل والنهار خلفة يذهب هذا ويغشى مكانه فكأنما ألبسه ولف عليه كما يلف اللباس

على اللابس ومنه قول ذي الرمة في وصف السراب

تلوي الثنايا بأحقيها حواشيه ليّ الملاء بأبواب التفاريج

ومنها أن كل واحد منهما يغيّب الآخر إذا طرأ فشبه في تغييبه إياه بشيء ظاهر لف عليه ما غيّبه عن مطامح الأبصار ومنها أن هذا يكر على هذا كرورا متتابعا فشبه ذلك بتتابع أكوار العمامة بعضها على أثر بعض ألا هو العزيز الغفار القادر على عقاب المصرين الغفار لذنوب التائبين أو الغالب الذي يقدر على أن يعاجلهم بالعقوبة وهو يحلم عنهم ويؤخرهم إلى أجل مسمى فسمى الحلم عنهم مغفرة خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون فإن قلت ما وجه قوله ثم جعل منها زوجها وما يعطيه من معنى التراخي قلت هما آيتان من جملة الآيات التي عددها دالا على وحدانيته وقدرته تشعيب هذا الخلق الفائت للحصر من نفس آدم وخلق حواء من قصيراه إلا أن إحداهما جعلها الله عادة مستمرة والأخرى لم تجر بها العادة ولم تخلق أنثى غير حواء من قصيرى رجل فكانت أدخل في كونها آية وأجلب لعجب السامع فعطفها بثم على الآية الأولى للدلالة على مباينتها لها فضلا ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع إلى زيادة كونها آية فهو من التراخي في الحال والمنزلة لا من التراخي في الوجود وقيل ثم متعلق بمعنى واحدة كأنه قيل خلقكم من نفس وحدت ثم شفعها الله بزوج وقيل أخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء وأنزل لكم وقضى لكم وقسم لكم لأن قضاياه وقسمه موصوفة بالنزول من السماء حيث كتب في اللوح كل كائن يكون وقيل لا تعيش الأنعام إلا بالنبات والنبات لا يقوم إلا بالماء وقد أنزل الماء فكأنه أنزلها وقيل خلقها في الجنة ثم أنزلها ثمانية أزواج ذكرا وأنثى من الإبل والبقر والضأن والمعز والزوج اسم لواحد معه آخر فإذا انفرد فهو فرد ووتر قال الله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى خلقا من بعد خلق حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف والظلمات الثلاث البطن والرحم والمشيمة وقيل الصلب والرحم والبطن ذلكم الذي هذه أفعاله هو الله ربكم فأنى تصرفون فكيف يعدل بكم عن عبادته إلى عبادة غيره إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور فإن الله غني عنكم أي عن إيمانكم وإنكم المحتاجون إليه لاستضراركم بالكفر واستنفاعكم بالإيمان ولا يرضى لعباده الكفر رحمة لهم لأنه يوقعهم في الهلكة وإن تشكروا يرضه لكم أي يرض الشكر لكم لأنه سبب فوزكم وفلاحكم فإذن ما كره كفركم ولا رضي شكركم إلا لكم ولصلاحكم لا لأن منفعة ترجع إليه لأنه الغني الذي لا يجوز عليه الحاجة ولقد تمحل بعض الغواة ليثبت لله

ما نفاه

عن ذاته من الرضى لعباده الكفر فقال هذا من العام الذي أريد به الخاص وما أراد إلا عباده الذين عناهم
في قوله تعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان يريد المعصومين كقوله عز وجل عينا يشرب بها عباد
الله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا • وقرئ يرضه بضم الهاء بوصل وبغير وصل وبسكونها
وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعوا إليه من قبل وجعل
لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار خوله أعطاه قال
أبو النجم • أعطى فلم يبخل ولم يبخل • كوم الذرى من خول المخول •
وفي حقيقته وجهان • أحدهما جعله خائل مال من قولهم هو خائل مال وخال مال إذا كان
متعهدا له حسن القيام به • ومنه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يتخول أصحابه
بالموعظة والثاني جعله يخول من خال إذا اختال وافتخر وفي معناه قول العرب
• إن الغني طويل الذيل مياس • ما كان يدعو إليه أي نسي الضر الذي كان
يدعو الله إلى كشفه • وقيل نسي ربه الذي كان يتضرع إليه ويبتهل إليه • وما بمعنى من كقوله
تعالى وما خلق الذكر والأنثى وقرئ ليضل بفتح الياء وضمها يعني أن نتيجة جعله لله أندادا
ضلاله عن سبيل الله أو إضلاله • والنتيجة قد تكون غرضا في الفعل وقد تكون غير غرض
وقوله تعالى تمتع بكفرك من باب الخذلان والتخلية كأنه قيل له إذ قد أبيت قبول ما أمرت
به من الإيمان والطاعة • فمن حقك أن لا تؤمر به بعد ذلك وتؤمر بتركه مبالغة في خذلانه
وتخليته • وشأنه لأنه لا مبالغة في الخذلان أشد من أن يبعث على عكس ما أمر به ونظيره في
المعنى قوله تعالى متاع قليل ثم مأواهم جهنم أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر
الآخرة ويرجوا رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب
قرئ أمن هو قانت بالتخفيف على إدخال همزة الاستفهام على من وبالتشديد على إدخال
أم عليه ومن مبتدأ خبره محذوف تقديره أمن هو قانت كغيره وإنما حذف لدلالة الكلام
عليه • وهو جري ذكر الكافر قبله وقوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون • وقيل
معناه أمن هو قانت أم من هو كافر أو أهذا أفضل أم من هو قانت على الاستفهام المتصل
القانت القائم بما يجب عليه من الطاعة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة طول
القنوت وهو القيام فيها ومنه القنوت في الوتر لأنه دعاء المصلي قائما وساجدا حال وقرئ
ساجد حالا • وقرئ ساجد وقائم • على أنه خبر بعد خبر • والواو للجمع بين الصفتين وقرئ
ويحذر عذاب الآخرة وأراد بالذين يعلمون العاملين من علماء الديانة كأنه جعل من لا يعمل غير
عالم وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقنتون ويفتنون فيها ثم يفتنون في الدنيا
فهم عند الله جهلة • حيث جعل القانتين هم العلماء • ويجوز أن يرد على سبيل التشبيه أي كما
لا يستوي العالمون والجاهلون كذلك لا يستوي القانتون والعاصون • وقيل نزلت في عمار بن
ياسر وأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه
الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب في هذه الدنيا متعلق بأحسنوا

لابحسنة

لا بحسنة معناه الذين أحسنوا في هذه الدنيا فلهم حسنة في الآخرة وهي دخول الجنة غير مُتنهكة بالوصف
وقد علقه السدي بحسنة ففسر بالصحة والعافية فإن قلت إذا علق الظرف بأحسنوا فإعرابه
ظاهر فما معنى تعليقه بحسنة ولا يصح أن تقع صفة لها لتقدمه قلت هو صفة لها إذا تأخر
وإذا تقدم كان بيانا لمكانها فلم يخل التقدم بالتقدم بالتعلق وصفا ومعنى وأرض الله واسعة أن لا عذر
للمفرطين في الإحسان البتة حتى إن اعتلوا بأوطانهم وبلادهم وأنهم لا يتمكنون فيها من التوفر
على الإحسان ليزدادوا إحسانا إلى إحسانهم وطاعة إلى طاعتهم وقيل هو للذين كانوا في بلد المشركين
وصرف الهمم إليه قيل لهم فإن أرض الله واسعة وبلاده كثيرة فلا تجتمعوا مع العجز وتحولوا
إلى بلاد أخر واقتدوا بالأنبياء والصالحين في مهاجرتهم إلى غير بلادهم ليزدادوا إحسانا إلى
إحسانا وطاعة إلى طاعتهم وقيل هو للذين كانوا في بلد المشركين فأمروا بالمهاجرة عنه كقوله تعالى ألم تكن
أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وقيل هي أرض الجنة والصابرون الذين صبروا على مفارقة أوطانهم وعشا برهم
وعلى غيرها من تجرع الغصص واحتمال البلايا في طاعة الله وازدياد الخير وبغير حساب لا يحاسبون عليه
وقيل بغير مكيال وغير ميزان يغرف لهم غرفا وهو تمثيل للتكثير وعن ابن عباس رضي الله عنهما
لا يهتدي إليه حساب الحساب ولا يعرف وعن النبي صلى الله عليه وسلم ينصب الله الموازين يوم القيامة
فيؤتى بأهل الصلاة فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الصدقة فيوفون أجورهم بالموازين
ويؤتى بأهل الحج فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان
ويصب عليهم الأجر صبا قال الله عز وجل إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا
أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا
له الدين وأمرت أن أكون من المسلمين قل إني أمرت بإخلاص الدين وأمرت بذلك لأجل أن أكون أول
المسلمين أي مقدمهم وسابقهم في الدنيا والآخرة والمعنى أن الإخلاص له السبقة في الدين فمن أخلص كان
سابقا فإن قلت كيف عطف أمرت على أمرت وهما واحد قلت ليسا بواحد لاختلاف
جهتيهما وذلك أن الأمر بالإخلاص وتكليفه شيء والأمر به ليحرز القائم به قصب السبق في الدين شيء
وإذا اختلف وجها الشيء وصفتاه ينزل بذلك منزلة شيئين مختلفين ولك أن تجعل اللام مزيدة
مثلها في أردت لأن أفعل ولا تزاد إلا مع أن خاصة دون الاسم الصريح كأنما وصفتاه ينزل بذلك
منزلة زيدت عوضا من ترك الأصل إلى ما يقوم مقامه كما عوض السين في اسطاع عوضا من ترك الأصل الذي
هو أطوع والدليل على هذا الوجه مجيئه بغير لام في قوله تعالى وأمرت أن أكون من المسلمين وأمرت
أن أكون من المؤمنين وأمرت أن أكون أول من أسلم وفي معناه أوجه أن أكون أول من أسلم
في زماني ومن قومي لأنه أول من خالف دين آبائه وخلع الأصنام وحطمها وأن أكون أول الذين دعوتهم
إلى الإسلام إسلاما وأن أكون أول من دعا نفسه إلى ما دعا إليه غيره لأكون مقتدى به في
قولي وفعلي جميعا ولا تكون صفتي صفة الملوك الذين يأمرون بما لا يفعلون وأن أفعل ما استحق به الأولية
من أعمال السابقين دلالة على السبب بالمسبب يعني أن الله أمرني أن أخلص له الدين من الشرك والرياء وكل
شوب

بدليل العقل والوحي قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم فإن عصيت ربي بمخالفة الدليلين استوجبت
عذابه فلا أعصيه ولا أتابع أمركم وذلك حين دعوه إلى دين آبائه قل الله أعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما
شئتم من دونه قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين
فإن قلت ما معنى التكرير في قوله تعالى قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وقوله تعالى قل
الله أعبد مخلصا له ديني قلت ليس بتكرير لأن الأول للإخبار بأنه مأمور من جهة الله بإحداث
العبادة والإخلاص والثاني إخبار بأنه يخص الله وحده دون غيره بعبادته مخلصا له دينه
ولدلالته قدم المعبود على فعل العبادة وأخره في الأول فالكلام أولا واقع في الفعل نفسه وإيجاده
وثانيا فيمن يفعل الفعل لأجله ولذلك رتب عليه قوله تعالى فاعبدوا ما شئتم من دونه والمراد بهذا الأمر
الوارد على وجه التخيير المبالغة في الخذلان والتخلية على ما حققت فيه القول مرتين قل إن الكاملين
في الخسران الجامعين لوجوهه وأسبابه هم الذين خسروا أنفسهم لوقوعها في هلكة لا هلكة بعدها وخسروا
أهليهم لأنهم إن كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم وإن كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا
عنهم ذهابا لا رجوع بعده إليهم وقيل وخسروهم لأنهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين لهم أهل في الجنة
يعني وخسروا أهليهم الذين كانوا يكونون لهم لو آمنوا ولقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة في قوله تعالى ألا
ذلك هو الخسران المبين حيث استأنف الجملة وصدرها بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدأ
والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده
يا عباد فاتقون ومن تحتهم أطباق من النار هي ظلل لآخرين ذلك العذاب هو الذي يتوعد الله به
عباده ويخوفهم ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي وهذه
عظة من الله ونصيحة بالغة وقرئ يا عبادي والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا
إلى الله لهم البشرى فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله
وأولئك هم أولو الألباب الطاغوت فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت إلا أن فيها قلبا بتقديم
اللام على العين أطلقت على الشيطان أو الشياطين لكونها مصدرا وفيها مبالغات وهي التسمية بالمصدر
كأن عين الشيطان طغيان وأن البناء بناء مبالغة فإن الرحموت الرحمة الواسعة والملكوت الملك
المبسوط والقلب وهو للاختصاص إذ لا يطلق على غير الشيطان والمراد بها ههنا الجمع وقرئ الطواغيت
أن يعبدوها بدل من الطاغوت بدل الاشتمال لهم البشرى هي البشارة بالثواب كقوله تعالى
لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة والله يبشرهم بذلك في وحيه على ألسنة رسله وتتلقاهم الملائكة
عند حضور الموت مبشرين وحين يحشرون قال الله سبحانه وتعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات
يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات وأراد بعباده الذين يستمعون القول فيتبعون
أحسنه الذين اجتنبوا وأنابوا لا غيرهم وإنما أراد بهم أن يكونوا مع الاجتناب والإنابة على هذه
الصفة فوضع الظاهر موضع المضمر وأراد أن يكونوا نقادا في الدين يميزون بين الحسن والأحسن والفاضل
والأفضل فإذا اعترضهم أمران واجب وندب اختاروا الواجب وكذلك المباح والندب حراصا

على ما هو اقرب عند الله واكثر ثوابا ويدخل تحته المذاهب واختيار اثبتها على السبك واقواها عند
السبر وابينها دليلا وامارة وان لا تكون في مذهبك كما قال القائل ولا تكن مثل عير قيد فانقادا
يريد المقلد وقيل يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن وقيل يستمعون اوامر الله فيتبعون
احسنها نحو القصاص والعفو والانتصار والاغضاء والابداء والاخفاء لقوله تعالى وان تعفوا اقرب
للتقوى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الرجل يجلس
مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن ومساوي فيحدث باحسن ما سمع ويكف عما سواه ومن الوقفة
من يقف على فبشر عبادي ويبتدي الذين يستمعون يرفعه على الابتداء وخبره اولئك افمن حق عليه كلمة
العذاب افانت تنقذ من في النار اصل الكلام امن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذه جملة
شرطية دخل عليها همزة الانكار والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التي في اولها للعطف على محذوف
يدل عليه الخطاب تقديره اانت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب فانت تنقذه والهمزة الثانية هي
الاولى كررت لتوكيد معنى الانكار والاستبعاد ووضع من في النار موضع الضمير فالاية على هذه
جملة واحدة ووجه آخر وهو ان تكون الاية جملتين افمن حق عليه العذاب فهم في الدنيا بمنزلة
دخولهم النار افانت تخلصه افانت تنقذ من في النار وانما جاز حذف فانت تخلصه لان
فانت تنقذ يدل عليه نزل استحقاقهم العذاب وهم في الدنيا منزلة دخولهم النار حتى نزل اجتهاد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكده نفسه في دعائهم الى الايمان منزلة انقاذهم من النار وقوله
تعالى افانت تنقذ من في النار يفيد ان الله تعالى هو الذي يقدر على الانقاذ من النار
وحده لا يقدر على ذلك احد غيره فكما لا تقدر انت ان تنقذ من في النار الداخل في النار
من النار لا تقدر ان تخلصه مما هو فيه من استحقاق العذاب بتحصيل الايمان فيه لكن الذين
اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد
غرف من فوقها غرف علالي بعضها فوق بعض فان قلت ما معنى قوله تعالى مبنية
قلت والله اعلم انها بنيت بناء المنازل التي على الارض وسويت تسويتها تجري من تحتها
الانهار كما تجري من تحت المنازل من غير تفاوت بين العلو والسفل وعد الله مصدر مؤكد
لان قوله تعالى لهم غرف في معنى وعدهم الله ذلك الم تر ان الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في
الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما ان في ذلك لذكرى
لاولي الالباب انزل من السماء ماء هو المطر وقيل كل ماء في الارض فهو من السماء ينزل منها
الى الصخرة ثم يقسمه الله فسلكه فادخله ونظمه ينابيع في الارض عيونا ومسالك ومجاري
كالعروق في الاجساد مختلفا الوانه هيئاته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير
او اصنافه من بر وشعير وسمسم وغيرها يهيج يتم جفافه عن الاصمعي لانه اذا تم جفافه
حان له ان يثور عن منابته ويذهب حطاما فتاتا ودرينا ان في ذلك لذكرى لتذكيرا
وتنبيها على انه لا بد من صانع حكيم وان ذلك كائن عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل واهمال ويجوز
ان يكون مثلا للدنيا كقوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا واضرب لهم مثل الحياة الدنيا وقرئ مصفار

أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال
مبين أفمن عرف الله أنه من أهل اللطف فلطف به حتى انشرح صدره للإسلام ورغب فيه وقبله
كمن لا لطف له فهو حرج الصدر قاسي القلب ونور الله هو لطفه وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذه الآية فقيل يا رسول الله كيف انشراح الصدر قال إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل
يا رسول الله فما علامة ذلك قال الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل
نزول الموت وهو نظير قوله تعالى أمن هو قانت في حذف الخبر من ذكر الله من أجل ذكره أي إذا ذكر
الله عندهم وآياته اشمأزوا وازدادت قلوبهم قساوة كقوله تعالى فزادتهم رجسا إلى رجسهم وقرئ
عن ذكر الله فإن قلت ما الفرق بين من وعن في هذا قلت إذا قسا قلبه من ذكر الله فالمعنى
ما ذكرت من أن القسوة من أجل الذكر بسببه وإذا قلت عن ذكر الله فالمعنى غلظ عن قبول الذكر
وجفا عنه ونظيره سقاه من العيمة أي من أجل عطشه وسقاه عن العيمة إذا أرواه حتى
أبعده عن العطش عن ابن مسعود رضي الله عنه أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا
له حدثنا فنزلت الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين
يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن
يضلل الله فما له من هاد وإيقاع اسم الله مبتدأ وبناء نزل عليه فيه تفخيم لأحسن الحديث ورفع
منه واستشهاد على حسنه وتأكيد لاستناده إلى الله وأنه من عنده وأن مثله لا يجوز أن يصدر
إلا عنه وتنبيه على أنه وحي معجز مباين لسائر الأحاديث وكتابا بدل من أحسن الحديث
ويحتمل أن يكون حالا منه ومتشابها مطلق في مشابهة بعضه بعضا فكان متناولا لتشابه
معانيه في الصحة والإحكام والبناء على الصدق ومنفعة الخلق وتناسب ألفاظه وتناصفها في
التخير والإصابة وتجاوب نظمه وتأليفه في الإعجاز والتبكيت ويجوز أن يكون مثاني بيانا لكونه
متشابها لأن القصص المكررة لا تكون إلا متشابهة والمثاني جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثني من قصصه
وأنبائه وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه وقيل لأنه يثنى في التلاوة فلا يمل
كما جاء في وصفه لا يتفه ولا يتشان ولا يخلق على كثرة الرد ويجوز أن يكون جمع مثنى مفعل من التثنية
بمعنى التكرير والإعادة كما كان في قوله تعالى وتقدس ثم ارجع البصر كرتين بمعنى كرة بعد كرة
وكذلك لبيك وسعديك وحنانيك فإن قلت كيف وصف الواحد بالجمع قلت إنما صح
ذلك لأن الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشيء هي جملته لا غير ألا تراك تقول القرآن أسباع
وأخماس وسور وآيات وكذلك تقول أقاصيص وأحكام ومواعظ مكررات ونظيره قولك الإنسان
عظام وعروق وأعصاب إلا أنك تركت الموصوف إلى الصفة وأصله كتابا متشابها
فصولا مثاني ويجوز أن يكون كقولك برمة أعشار وثوب أخلاق ويجوز أن لا يكون
مثاني صفة ويكون منتصبا على التمييز من متشابها كما تقول رأيت رجلا حسنا شمائله
والمعنى متشابهة مثانيه فإن قلت ما فائدة التثنية والتكرير قلت النفوس أنفر شيء
عن حديث الوعظ والنصيحة فما لم يكرر عليها عودا عن بدء ولم يعمل عمله ومن ثم كانت عادة رسول الله

صلى الله عليه

صلى الله عليه وسلم أن يكرر عليهم ما كان يعظ به وينصح ثلث مرات وسبعا ليركز في قلوبهم ويغرسه في
اقشعرت الجلد إذا تقبض تقبضا شديدا وتركيبه من حروف القشع وهو الأديم اليابس مضموما إليها
حرف رابع وهو الراء ليكون رباعيا ودالا على معنى زائد يقال اقشعر جلده من الخوف
وقف شعره وهو مثل في شدة الخوف فيجوز أن يريد به الله سبحانه التمثيل تصويرا لإفراط
خشيتهم وأن يريد التحقيق والمعنى أنهم إذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده أصابتهم خشية تقشعر
منها جلودهم إذا ذكروا الله ورحمته وجوده بالمغفرة لانت قلوبهم وجلودهم وزال عنها ما كان
بها من الخشية والقشعريرة فإن قلت ما وجه تعديته بإلى قلت ضمن معنى فعل متعد
بإلى كأنه قيل سكنت واطمأنت إلى ذكر الله لينة غير منقبضة راجية غير خاشية فإن قلت
لم اقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة قلت لأن أصل أمره الرحمة والرأفة ورحمته هي سابقة
غضبه فلأصالة رحمته إذا ذكر لم يخطر بالبال قبل كل شيء من صفاته إلا كونه رؤوفا رحيما فإن قلت
لم ذكرت الجلود وحدها أولا ثم قرنت بها القلوب ثانيا قلت إذا ذكرت الخشية
التي محلها القلوب فقد ذكرت القلوب فكأنه قيل تقشعر جلودهم من آيات الوعيد وتخشى
قلوبهم في أول وهلة فإذا ذكروا الله ومبنى أمره على الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء
في قلوبهم وبالقشعريرة لينا في جلودهم ذلك إشارة إلى الكتاب وهو هدى الله يهدي به
يوفق به من يشاء يعني عباده المتقين حتى يخشوا تلك الخشية ويرجوا ذلك الرجاء كما قال
هدى للمتقين ومن يضلل الله ومن يخذله من الفساق والفجرة فما له من هاد أو ذلك الكائن
من الخشية والرجاء هدى الله أي أثر هداه وهو لطفه فسماه هدى لأنه حاصل بالهدى يهدي به
بهذا الأثر من يشاء من عباده يعني من صحب أولئك ورآهم خاشين راجين فكان ذلك مرغبا لهم في
الاقتداء بسيرهم وسلوك طريقتهم ومن يضلل الله ومن لم يؤثر فيه ألطافه لقسوة قلبه وإصراره
على فجوره فما له من هاد من مؤثر فيه بشيء قط أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقيل
للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون يقال اتقاه بدرقته استقبله بها واتقاه
فوقى بها نفسه إياه واتقاه بيده وتقديره أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب فحذف الخبر كما حذف في
نظائره وسوء العذاب شدته ومعناه أن الإنسان إذا لقي مخوفا من المخاوف استقبله بيده وطلب أن
يقي بها وجهه لأنه أعز أعضائه عليه والذي يلقى في النار يلقى مغلولة يداه إلى عنقه فلا يتهيأ
له أن يتقي النار إلا بوجهه الذي كان يتقي المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه وقيل المراد
بالوجه الجملة وقيل نزلت في أبي جهل وقال لهم خزنة النار ذوقوا وبال ما كنتم تكسبون كذب
الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا
ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر
ببالهم أن الشر يأتيهم منها بينا هم آمنون رافهون إذ فوجئوا من مأمنهم والخزي الذل
والصغار كالمسخ والخسف والقتل والجلاء وما أشبه ذلك من نكال الله ولقد ضربنا للناس في هذا
القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون قرآنا عربيا حال مؤكدة

لقولك جاءني زيد رجلا صالحا وإنسانا عاقلا ويجوز أن ينتصب على المدح غير ذي عوج مستقيما بريئا
من التناقض والاختلاف فإن قلت فهلا قيل مستقيما أو غير معوج قلت فيه فائدتان
أحدهما نفي أن يكون فيه عوج قط كما قال ولم يجعل له عوجا والثانية أن لفظ العوج مختص
بالمعاني دون الأعيان وقيل المراد بالعوج الشك واللبس وأنشد

وقد أتاك يقين غير ذي عوج ... من الإله وقول غير مكذوب

ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سالما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل
أكثرهم لا يعلمون واضرب لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون في رجل من المماليك قد اشترك فيه
شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد منهم يدعي أنه عبده فهم يتجاذبونه ويتعاورونه في
مهن شتى ومشاده وإذا عنت له حاجة تدافعوه فهو متحير في أمره سادر قد تشعبت الهموم
قلبه وتوزعت أفكاره لا يدري أيهم يرضي بخدمته وعلى أيهم يعتمد في حاجاته وفي آخر قد سلم
لمالك واحد وخلص له فهو معتنق لما لزمه من خدمته معتمد عليه فيما يصلحه فهمه واحد وقلبه
مجتمع أي هذين العبدين أحسن حالا وأحمد شأنا والمراد تمثيل حال من يثبت آلهة شتى وما يلزمه
قضية مذهبه من أن يدعي كل واحد منهم عبوديته ويتشاكسوا في ذلك ويتغالبوا كما قال الله تعالى
ولعلا بعضهم على بعض ويبقى هو متحيرا ضائعا لا يدري أيهم يعبد وعلى ربوبية أيهم يعتمد
وممن يطلب رزقه وممن يلتمس رفقه فهمه شعاع وقلبه أوزاع وحال من لم يثبت إلا إلها
واحدا فهو قائم بما كلفه عارف بما أرضاه وما أسخطه متفضل عليه في عاجله مؤمل للثواب
في آجله وفيه صلة شركاء كما تقول اشتركوا فيه والتشاكس والتشاخس الاختلاف تقول تشاكست
أحواله وتشاخست أسنانه وسالما لرجل خالصا له وقرئ سلما بفتح الفاء والعين وفتح الفاء
وكسرها مع سكون العين وهي مصادر سلم والمعنى ذا سلامة لرجل أي ذا خلوص له من الشركة من قولهم
سلمت له الضيعة وقرئ بالرفع على الابتداء أي وهناك رجل سالم لرجل وجعله رجلا ليكون
أفطن لما شقي به أو سعد فإن المرأة والصبي قد يغفلان عن ذلك هل يستويان صفة
على التمييز والمعنى هل يستوي صفتاهما وحالاهما وإنما اقتصر في التمييز على الواحد لبيان
الجنس كقوله تعالى طفلا والأكثر أن الأولى ولا ذا مع قوله تعالى أشد منهم قوة ويجوز فيمن قرأ
مثلين أن يكون الضمير في يستويان للمثلين لأن التقدير مثل رجل ومثل رجل والمعنى هل
يستويان فيما يرجع إلى الوصفية كما تقول كفى بهما رجلين الحمد لله الواحد الذي
لا شريك له دون كل معبود سواه أي يجب أن يكون الحمد متوجها إليه وحده والعبادة
فقد ثبت أنه لا إله إلا هو بل أكثرهم لا يعلمون فيشركون به غيره إنك ميت وإنهم
ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم
موته فأخبر أن الموت يعمهم فلا معنى للتربص وشماتة الباقي بالفاني وعن قتادة نعى إلى نبيه نفسه
ونعى إليكم أنفسكم وقرئ مائت ومائتون والفرق بين الميت والمائت أن الميت صفة لازمة
كالسيد وأما المائت فصفة حادثة تقول زيد مائت غدا كما تقول سائد غدا أي سيموت

من الكشاف

وسيسود

وسيموت وإذا قلت زيد ميت فكما تقول حي في نقيضه فيما يرجع إلى اللزوم والثبوت والمعنى في قوله
تعالى إنك ميت وإنهم ميتون إنك وإياهم وإن كنتم أحياء فأنتم في عداد الموتى لأن ما هو
كائن فكأن قد كان ثم إنكم ثم إنك وإياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب تختصمون
فتحتج أنت عليهم بأنك بلغت فكذبوا فاجتهدت في الدعوة فلجوا في العناد ويعتذرون بما لا طائل
تحته تقول الأتباع أطعنا سادتنا وكبراءنا وتقول السادات أغوتنا الشياطين وآباؤنا
الأقدمون وقد حمل على اختصام الجميع وأن الكفار يخاصم بعضهم بعضا حتى يقال لهم لا تختصموا
لدي والمؤمنون الكافرين يبكتونهم بالحجج وأهل القبلة يكون بينهم الخصام قال
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لقد عشنا برهة من دهرنا ونحن نرى أن هذه الآية أنزلت فينا
وفي أهل الكتاب قلنا نختصم ونبينا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد حتى رأيت بعضنا
يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت أنها نزلت فينا وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه
كنا نقول ربنا واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض
بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن إبراهيم النخعي قالت الصحابة ما خصومتنا ونحن إخوان فلما
قتل عثمان رضي الله عنه قالوا هذه خصومتنا وعن أبي العالية نزلت في أهل القبلة والوجه الذي
يدل عليه كلام الله هو ما قدمت أولا ألا ترى إلى قوله فمن أظلم ممن كذب على الله وقوله والذي
جاء بالصدق وصدق به وما هو إلا بيان وتفسير للذين تكون بينهم الخصومة **فمن أظلم ممن كذب
على الله وكذب بالصدق إذ جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين** كذب على الله افترى عليه بإضافة
الولد والشريك إليه وكذب بالصدق بالأمر الذي هو الصدق بعينه وهو ما جاء به محمد صلى الله
عليه وسلم إذ جاءه فاجأه بالتكذيب لما سمع به من غير وقفة لإعمال روية واهتمام بتمييز بين حق
وباطل كما يفعل أهل النصفة فيما يسمعون مثوى للكافرين أي لهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا
بالصدق واللام في للكافرين إشارة إليهم **والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم
ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين** والذي جاء بالصدق وصدق به هو رسول الله صلى الله عليه
وسلم جاء بالحق وآمن به وأراد به إياه ومن تبعه كما أراد بموسى عليه الصلاة والسلام إياه وقومه
في قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون فلذلك قال أولئك هم المتقون إلا أن
هذا في الصفة وذاك في الاسم ويجوز أن يريد والفوج أو الفريق الذي جاء بالصدق وصدق
به وهم الرسول الذي جاء بالصدق وصحابته الذين صدقوا به وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه
والذين جاءوا بالصدق وصدقوا به وقرئ وصدق بالتخفيف أي صدق به الناس ولم يكذبهم
يعني أداه إليهم كما نزل عليه من غير تحريف وقيل صار صادقا به أي بسببه لأن القرآن
معجزة والمعجزة تصديق من الحكيم الذي لا يفعل القبيح لمن يجريها على يده ولا يجوز أن
يصدق إلا الصادق فيصير لذلك صادقا بالمعجزة وقرئ وصدق به **ليكفر الله عنهم
أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون** فإن قلت ما معنى إضافة
الأسوإ والأحسن إلى الذي عملوا وما معنى التفضيل فيهما قلت أما الإضافة فما هي من إضافة أفعل

الى الجملة التي تفضل عليها • ولكن من اضافة الشيء الى ما هو بعضه من غير تفضيل كقولك الاشج اعدل
بني مروان • واما التفضيل فايذان بان السيء الذي يفرط منهم من الصغاير والزلات المكفرة
هو عندهم الاسوأ لاستعظامهم المعصية • والحسن الذي يعملونه هو عند الله الاحسن لحسن اخلاصهم
فيه فلذلك ذكر سيئهم بالاسوأ وحسنهم بالاحسن • وقرئ اسوأ الذي عملوا جمع سوء • اليس الله بكاف
عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل اليس الله
بعزيز ذي انتقام • اليس الله بكاف عبده ادخلت همزة الانكار على كلمة النفي فافيد معنى اثبات
الكفاية وتقريرها • وقرئ بكاف عبده وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاف عباده وهم الانبيا
صلوات الله عليهم اجمعين • وذلك ان قريشا قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا نخاف ان
تخبلك آلهتنا وانا نخشى عليك معرتها لعيبك اياها • وروي انه بعث خالدا الى العزى ليكسرها
فقال له سادنها • احذركها يا خالد ان لها شدة لا يقوم لها شيء • فعمد خالد اليها فهشم انفها
فقال الله تعالى • اليس الله بكاف • نبيه ان يعصمه من كل سوء ويدفع عنه كل بلاء في مواطن الخوف
وفي هذا تهكم بهم لانهم خوفوه ما لا يقدر على نفع ولا ضر • او اليس الله بكاف انبيائه ولقد قالت
اممهم نحو ذلك فكفاهم الله • وذلك قول قوم هود • ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء • ويجوز
ان يريد العبد والعباد على الاطلاق لانه كافيهم في الشدايد وكافل مصالحهم • وقرئ بكافي
عباده على الاضافة ويكافي عباده ويحتمل ان يكون غير مهموز مفاعلة من الكفاية كقولك
يجازي في يجزي وهو ابلغ من كفى لبنائه على لفظ المغالبة والمباراة • وان يكون مهموزا من المكافاة
وهي المجازاة لما تقدم من قوله تعالى • ويجزيهم اجرهم • بالذين من دونه اراد الاوثان التي
اتخذوها آلهة من دونه • بعزيز بغالب منيع • ذي انتقام من اعدائه وفيه وعيد لقريش
ووعد للمؤمنين بانه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
قل افرايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني
برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون • قرئ
كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين على الاصل وبالاضافة للتخفيف • فان قلت
لم فرض المسألة في نفسه دونهم قلت لانهم خوفوه معرة الاوثان وتخبيلها فامر
بان يقررهم اولا بان خالق العالم هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرير فان ارادني خالق
العالم الذي اقررتم به بضر من مرض او فقر او غير ذلك من النوازل • او برحمة
من صحة او غنى او نحوهما هل هؤلاء اللاتي خوفتموني اياهن كاشفات عني ضره او ممسكات
رحمته • حتى اذا القمهم الحجر وقطعهم حتى لا يحيروا ببنت شفة قال حسبي الله كافيا لمعرة
اوثانكم • عليه يتوكل المتوكلون • وفيه تهكم • ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم
سألهم فسكتوا فنزل قل حسبي الله • فان قلت لم قيل كاشفات وممسكات على التانيث
بعد قوله ويخوفونك بالذين من دونه قلت انثهن وكن اناثا وهن اللات والعزى
ومناة قال الله تعالى افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى الكم الذكر وله الانثى ليضعفها

ويعجزها

ويجوز هاهنا زيادة تضعيف وتعجيز عما طالبهم به من كشف الضر وامساك الرحمة لان الانوثة من باب اللين والرخاوة
كما ان الذكورة من باب الشدة والصلابة كانه قال اللاتي هن اللات والعزى ومناة اضعف مما تدعون
لهن واعجز وفيه تهكم ايضا قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ويحل
عليه عذاب مقيم على مكانتكم على حالكم التي انتم عليها وجهتكم من العداوة التي تمكنتم منها و والمكانة
بمعنى المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان وهما للمكان فان قلت
حق الكلام فاني عامل على مكانتي فلم حذف قلت للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والايذان
بان حاله لا تقف وتزداد كل يوم قوة وشدة لان الله ناصره ومعينه ومظهره على الدين كله الا
ترى الى قوله فسوف تعلمون كيف توعدهم بكونه منصورا عليهم غالبا عليهم في الدنيا والاخرة لانهم اذا
اتاهم الخزي في الدنيا والعذاب فذلك عزه وغلبته من حيث ان الغلبة تتم له بعز عزيز من
اوليائه وبذل ذليل من اعدائه و يخزيه مثل مقيم في وقوعه صفة للعذاب اي عذاب مخز له
وهو يوم بدر وعذاب دائم وهو عذاب النار وقرئ مكاناتكم انا انزلنا عليك الكتاب
للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انت عليهم بوكيل للناس لاجلهم ولاجل
حاجتهم اليه ليبشروا وينذروا فيقوى دواعيهم الى اختيار الطاعة على المعصية ولا حاجة لي الى ذلك فانا
الغني فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه ومن اختار الضلالة فقد ضرها وما وكلت عليهم لتجبرهم
على الهدى فان التكليف مبني على الاختيار دون الاجبار الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها
فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون ۵
الانفس الجمل كما هي وتوفيها اماتتها وهي ان يسلب ما هي به حية حساسة دراكة من صحة اجزائها
وسلامتها لانها عند سلب الصحة كان ذاتها قد سلبت والتي لم تمت في منامها يريد ويتوفى
الانفس التي لم تمت في منامها اي يتوفاها حين تنام تشبيها للنائمين بالموتى ومنه
قوله عز وجل وهو الذي يتوفاكم بالليل حيث لا يميزون ولا يتصرفون كما ان الموتى كذلك
فيمسك الانفس التي قضى عليها الموت الحقيقي اي لا يردها في وقتها حية و ويرسل الاخرى النائمة
الى اجل مسمى الى وقت ضربه لموتها وقيل يتوفى الانفس يستوفيها ويقبضها وهي الانفس
التي تكون معها الحيوة والحركة ويتوفى الانفس التي لم تمت في منامها وهي انفس التمييز قالوا
فالتي تتوفى في النوم هي نفس التمييز لا نفس الحيوة لان نفس الحيوة اذا زالت زال معها النفس والنائم
يتنفس ورووا عن ابن عباس رضي الله عنهما في ابن ادم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس
فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والتحرك فاذا نام العبد قبض الله نفسه
ولم يقبض روحه والصحيح ما ذكرت اولا لان الله عز وجل علق التوفي والموت والمنام جميعا
بالانفس وما عنوا بنفس الحياة والحركة ونفس العقل والتمييز غير متصف بالموت والنوم وانما الجملة هي
التي تموت وهي التي تنام ان في ذلك ان في توفي الانفس مائتة ونائمة وامساكها وارسالها الى اجل
لايات على قدرة الله وعلمه لقوم يجيلون فيها افكارهم ويعتبرون وقرئ قضى عليها الموت
على البناء للمفعول ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون

أم اتخذوا بل اتخذ قريش والهمزة للإنكار من دون الله من دون إذنه شفعاء حين قالوا هؤلاء شفعاؤنا
عند الله ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ألا ترى إلى قوله تعالى قل لله الشفاعة جميعا أي هو مالكها فلا
يستطيع أحد شفاعة إلا بشرطين أن يكون المشفوع له مرتضى وأن يكون الشفيع مأذونا له وههنا
الشرطان مفقودان جميعا أولو كانوا يعني أيشفعون ولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون أي ولو كانوا
على هذه الصفة لا يملكون شيئا قط حتى يملكوا الشفاعة ولا عقل لهم قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات
والأرض ثم إليه ترجعون له ملك السموات والأرض تقرير لقوله تعالى لله الشفاعة جميعا لأنه إذا كان
له الملك كله والشفاعة من الملك كان مالكا لها فإن قلت بم يتصل قوله تعالى ثم إليه ترجعون
قلت بما يليه معناه له ملك السموات والأرض اليوم ثم إليه ترجعون يوم القيمة فلا يكون الملك
في ذلك اليوم إلا له فله ملك الدنيا والآخرة وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون
بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون مدار المعنى على قوله وحده أي إذا أفرد
الله بالذكر ولم يذكر معه آلهتهم اشمأزوا أي نفروا وانقبضوا وإذا ذكر الذين من دونه
وهم آلهتهم ذكر الله معهم أو لم يذكر استبشروا لافتتانهم بها ونسيانهم حق الله إلى هواهم فيها
وقيل إذا قيل لا إله إلا الله وحده لا شريك له نفروا لأن فيه نفيا لآلهتهم وقيل أراد استبشارهم
بما سبق إليه لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكر آلهتهم حين قرأ والنجم عند باب الكعبة فسجدوا
معه لفرحهم ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز إذ كل واحد منهما غاية في بابه لأن
الاستبشار أن يمتلئ قلبه سرورا حتى ينبسط له بشرة وجهه ويتهلل والاشمئزاز أن يمتلئ
غما وغيظا حتى يظهر الانقباض في أديم وجهه فإن قلت ما العامل في إذا ذكر قلت
العامل في إذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجؤوا وقت الاستبشار قل اللهم
فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون
بعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وبشدة شكيمتهم في الكفر والعناد فقيل له ادع الله بأسمائه العظمى
وقل أنت وحدك تقدر على الحكم بيني وبينهم ولا حيلة لغيرك فيهم وفيه وصف لحالهم وإعذار
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له ووعيد لهم وعن الربيع بن خثيم وكان قليل الكلام أنه
أخبر بقتل الحسين رضي الله عنه وسخط على قاتله وقالوا الآن يتكلم فما زاد على أن قال آه أو قد فعلوا
وقرأ هذه الآية وروي أنه قال على أثره قتل من كان صلى الله عليه وسلم يجلسه في حجره ويضع فاه على
فيه ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة وبدا لهم من
الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وعيد لهم لا كنه لفظاعته وشدته
وهو نظير قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم والمعنى وظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن
قط في حسابهم ولم يحدثوا به نفوسهم وقيل عملوا أعمالا حسبوها حسنات فإذا هي سيئات
وعن سفيان الثوري رحمة الله عليه أنه قرأها فقال ويل لأهل الرياء ويل لأهل الرياء وجزع
محمد بن المنكدر عند موته فقال أخشى آية من كتاب الله وتلاها فأنا أخشى أن يبدو لي من الله ما لم
أحتسبه وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون وبدا لهم سيئات ما كسبوا أي سيئات أعمالهم

التي

التي كسبوها او سيئات كسبهم حين تعرض صحائفهم وكانت خافية عليهم كقوله عز وجل احصيه الله ونسوه
او اراد بالسيئات انواع العذاب التي يجازون بها على ما كسبوا فسماها سيئات كما قال
وجزاء سيئة سيئة مثلها وحاق بهم ونزل بهم واحاط جزاء هزئهم فاذا مس الانسان ضر دعانا
ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم بل هي فتنة ولكن اكثرهم لا يعلمون التخويل
مختص بالتفضل يقال خولني اذا اعطاك على غير جزاء على علم اي على علم مني اني ساعطاه لما في من
فضل واستحقاق او على علم من الله بي وباستحقاقي او على علم مني بوجوه الكسب كما قال
قارون على علم عندي فان قلت لم ذكر الضمير في اوتيته وهو للنعمة قلت ذهابا به
الى المعنى لان قوله نعمة منا شيئا من النعم وقسما منها ويحتمل ان يكون ما في انما موصولة لا كافة
فيرجع اليها الضمير على معنى ان الذي اوتيته على علم بل هي فتنة انكار لقوله كانه قال ما
خولناك ما خولناك من النعمة لما تقول بل هي فتنة اي ابتلاء وامتحان لك اتشكر ام تكفر
فان قلت كيف ذكر الضمير ثم انثه قلت حملا على المعنى اولا وعلى اللفظ اخرا
ولان الخبر لما كان مؤنثا اعني فتنة ساغ تانيث المبتدا لاجله لانه في معناه كقولهم ما جاءت حاجتك
وقرئ بل هو فتنة على وفق انما اوتيته فان قلت ما السبب في عطف هذه الاية بالفاء
وعطف مثلها في اول السورة بالواو قلت السبب في ذلك ان هذه وقعت مسببة عن
قوله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمازت على معنى انهم يشمئزون عن ذكر الله ويستبشرون بذكر
الالهة فاذا مس احدهم ضر دعا من اشمأز من ذكره دون من استبشر بذكره وما بينهما من الاي اعتراض
فان قلت حق الاعتراض ان يؤكد المعترض بينه وبينه قلت ما في الاعتراض من دعاء رسول
الله صلى الله عليه وسلم ربه بامر منه وقوله تعالى انت تحكم بينهم ثم ما عقبه من الوعيد العظيم
تاكيد لانكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم الى الله في الشدائد دون الهتهم كانه قيل قل
يا رب لا يحكم بيني وبين هؤلاء الذين يجترؤن عليك مثل هذه الجراءة ويرتكبون مثل هذا المنكر الا انت
وقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا متناول لهم ولكل ظالم ان جعل مطلقا او اياهم خاصة ان ٥
عنيتهم به كانه قيل ولو ان لهؤلاء الظالمين ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به حين احكم عليهم
بسوء العذاب وهذه الاسرار والنكت لا يبرزها الا علم النظم والا بقيت محتجبة في اكمامها
واما الاية الاولى فلم تقع مسببة وما هي الا جملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو ٥
كقولك قام زيد وقعد عمرو فان قلت من اي وجه وقعت مسببة والاشمئزاز
عن ذكر الله ليس بمقتض لالتجائهم اليه بل هو مقتض لصدوفهم عنه قلت في هذا التسبيب
لطف وبيانه انك تقول زيد مؤمن بالله فاذا مسه ضر التجأ اليه فهذا تسبيب ظاهر لا لبس
فيه ثم تقول زيد كافر بالله فاذا مسه ضر التجأ اليه فتجيء بالفاء مجيئك به ثمة كان الكافر حين
التجأ الى الله التجاء المؤمن اليه مقيم كفره مقام الايمان ومجريه مجراه في جعله سببا في الالتجاء فانت
تحكي ما عكس فيه الكافر الا ترى انك تقصد بهذا الكلام الانكار والتعجب من فعله قد قالها
الذين من قبلهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون الضمير في قالها راجع الى قوله تعالى انما اوتيته على علم لانها

كلمة او جملة من القول وقرئ قد قاله على معنى القول والكلام وذلك والذين من قبلهم قارون
وقومه حيث قالوا انما اوتيته على علم عندي وقومه راضون بها فكانهم قالوها ويجوز
ان يكون في الامم الخالية آخرون قائلون مثلها فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا
ويجمعون منه فاصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما
هم بمعجزين اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون
من هؤلاء من مشركي قومك سيصيبهم مثل ما اصاب اولئك فقتل صناديدهم ببدر وحبس عنهم
الرزق فقحطوا سبع سنين ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين فقيل لهم اولم يعلموا انه لا قابض ولا باسط
الا الله عز وجل قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب
جميعا انه هو الغفور الرحيم اسرفوا على انفسهم جنوا عليها بالاسراف في المعاصي والغلو فيها ولا تقنطوا
قرئ بفتح النون وكسرها وضمها ان الله يغفر الذنوب جميعا يعني بشرط التوبة
وقد تكرر ذكر هذا الشرط في القرآن فكان ذكره فيما ذكر فيه ذكرا له فيما لم يذكر فيه
لان القرآن في حكم كلام واحد ولا يجوز فيه التناقض وفي قراءة ابن عباس رضي الله عنهما
يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء والمراد بمن يشاء من تاب لان مشيئة الله تابعة لحكمته وعدله
لا لملكه وجبروته وقيل في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وفاطمة رضي الله عنها يغفر
الذنوب جميعا ولا يبالي ونظير نفي المبالاة نفي الخوف في قوله تعالى ولا يخاف عقباها وقيل
قال اهل مكة يزعم محمد ان من عبد الاوثان وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له فكيف ولم نهاجر
وقد عبدنا الاوثان وقتلنا النفس التي حرم الله فنزلت وروي انه اسلم عياش بن ابي ربيعة
والوليد بن الوليد ونفر معهما ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا فكنا نقول لا يقبل الله منهم صرفا
ولا عدلا ابدا فنزلت فكتب بها عمر رضي الله عنه اليهم فاسلموا وهاجروا وقيل نزلت
في وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احب ان لي الدنيا وما فيها
بهذه الآية فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال الا ومن اشرك ثلاث مرات
وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون وانيبوا الى ربكم وتوبوا اليه واسلموا
له واخلصوا له العمل وانما ذكر الانابة على اثر المغفرة لئلا يطمع طامع في حصولها بغير توبة وللدلالة
على انها شرط فيها لازم لا تحصل بدونه واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل ان يأتيكم
العذاب بغتة وانتم لا تشعرون واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم مثل قوله تعالى الذين يستمعون
القول فيتبعون احسنه وانتم لا تشعرون اي يفجأكم وانتم غافلون كانكم لا تخشون شيئا لفرط
غفلتكم وسهوكم ان تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين
ان تقول نفس كراهة ان تقول فان قلت لم نكرت قلت لان المراد بها بعض الانفس
وهي نفس الكافر ويجوز ان يراد نفس متميزة من الانفس اما بلجاج في الكفر شديد او بعذاب عظيم
ويجوز ان يراد التكثير كما قال الاعشى

ورب بقيع لو هتفت بجوه ... اتاني كريم ينفض الرأس مغضبا

ه

وهو يريد افواجا

لما

من الكرام ينصرونه لا كريما واحدا ونظيره رب بلد قطعت ورب بطل قارعت وقد اختلس
الطعنة ولا يقصد إلا التكثير • وقرئ يا حسرتي على الأصل ويا حسرتاي على الجمع بين العوض
والمعوض منه والجنب الجانب يقال أنا في جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجنب
ثم قالوا فرط في جنبه وفي جانبه يريد في حقه • قال سابق البربري

أما تتقين الله في جنب وامق • له كبد حرى عليك تقطع

وهذا من باب الكناية لأنك إذا أثبت الأمر في مكان الرجل وحيزه فقد أثبته فيه ألا ترى
إلى قوله • إن السماحة والمروءة والندى • في قبة ضربت على الحشرج •
ومنه قول الناس • لمكانك فعلت كذا يريدون لأجلك • وفي الحديث • من الشرك الخفي
أن يصلي الرجل لمكان الرجل وكذلك فعلت كذا هذا من جهتك فمن حيث لم يبق فرق فيما يرجع إلى أداء
الغرض بين ذكر المكان وتركه قيل فرطت في جنب الله على معنى فرطت في ذات الله فإن قلت
فمرجع كلامك إلى أن ذكر الجنب كلا ذكر سوى ما تعطي من حسن الكناية وبلاغتها فكأنه قيل فرطت
وفي حرف عبد الله • وحفصة في ذكر الله • وما في فرطت مصدرية مثلها في بما رحبت • وإن
كنت لمن الساخرين • قال قتادة لم يكفه في الله فما معنى فرطت في الله قلت لا بد من
تقدير مضاف محذوف • وسواء ذكر الجنب أو لم يذكر والمعنى فرطت في طاعة الله وعبادة الله
وما أشبه ذلك وفي حرف عبد الله وحفصة في ذكر الله وما في فرطت مصدرية مثلها في بما رحبت
وإن كنت لمن الساخرين • قال قتادة لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى سخر من أهلها ومحل وإن كنت
النصب على الحال كأنه قال فرطت وأنا ساخر • أي فرطت في حال سخريتي • وروي أنه كان
في بني إسرائيل عالم ترك علمه • وفسق أتاه إبليس وقال له تمتع من الدنيا ثم تب فأطاعه • وكان
له مال فأنفقه في الفجور فأتاه ملك الموت في ألذ ما كان فقال يا حسرتي على ما فرطت في جنب
الله ذهب عمري في طاعة الشيطان وأسخطت ربي فندم حين لم ينفعه الندم • فأنزل الله خبره في
القرآن أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة
فأكون من المحسنين بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين لو أن
الله هداني لا يخلو إما أن يريد به الهداية بالإلجاء أو بالألطاف أو بالوحي فالإلجاء خارج عن الحكمة
ولم يكن من أهل الألطاف فيلطف به وأما الوحي فقد كان ولكنه أعرض ولم يتبعه حتى يهتدي وإنما
يقول هذا تحيرا في أمره وتعللا بما لا يجدي عليه كما حكى عنهم التعلل بإغواء الرؤساء والشياطين
ونحو ذلك ونحوه لو هدانا الله لهديناكم • وقوله تعالى بلى قد جاءتك آياتي رد من الله عليه
معناه بلى قد هديت بالوحي فكذبت به • واستكبرت عن قبوله وآثرت الكفر على الإيمان والضلالة
على الهدى • وقرئ بكسر التاء على مخاطبة النفس فإن قلت هلا قرن الجواب بما هو
جواب له وهو قوله لو أن الله هداني ولم يفصل بينهما بآية قلت لأنه لا يخلو إما أن
يقدم على أخرى القرائن الثلاث فيفرق بينهن وإما أن تؤخر القرينة الوسطى فلم يحسن الأول
لما فيه من تبتير النظم بالجمع بين القرائن وأما الثاني فلما فيه من نقض الترتيب وهو التحسر

على التفريط في الطاعة ثم التعلل بفقد الهداية ثم تمني الرجعة وكان الصواب ما جاء عليه وهو
انه حكى اقوال النفس على ترتيبها ونظمها ثم اجاب من بينها عما اقتضى الجواب فان قلت
كيف صح ان يقع بلى جوابا لغير منفي قلت لو ان الله هداني فيه معنى ما هديت ويوم القيمة
ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة اليس في جهنم مثوى للمتكبرين كذبوا على الله وصفوه
بما لا يجوز عليه تعالى وهو متعال عنه فاضافوا اليه الولد والشريك وقالوا هؤلاء شفعاؤنا وقالوا لو
شاء الرحمن ما عبدناهم وقالوا والله امرنا بها ولا يبعد عنهم قوم يسفهونه بفعل القبائح ويجوزون
ان يخلق خلقا لا لغرض ويؤلم لا لعوض ويظلمونه بتكليف ما لا يطاق ويجسمونه بكونه مرئيا معاينا
مدركا بالحاسة ويثبتون له يدا وقدما وجنبا مستترين بالبلكفة ويجعلون له اندادا باثباتهم
معه قدماء وجوههم مسودة جملة في موضع الحال ان كان ترى من رؤية البصر ومفعول ثان ان
كان من رؤية القلب وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون وقرئ
ينجي وينجي بمفازتهم بفلاحهم يقال فاز بكذا اذا افلح به وظفر بمراده منه وتفسير المفازة
قوله تعالى لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون كانه قيل وما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء فقيل لا يمسهم
السوء اي ينجيهم بنفي السوء والحزن عنهم او بسبب منجاتهم من قوله تعالى فلا تحسبنهم بمفازة
من العذاب اي بمنجاة منه لان النجاة من اعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسر
ابن عباس رضي الله عنهما المفازة بالاعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم لان العمل الصالح سبب الفلاح
وهو دخول الجنة ويجوز ان يسمى العمل الصالح في نفسه مفازة لانه سببها وقرئ بمفازاتهم
على ان لكل متق مفازة فان قلت لا يمسهم السوء ما محله من الاعراب على التفسيرين قلت
اما على التفسير الاول فلا محل له لانه كلام مستانف واما على الثاني فمحله النصب على الحال
الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل له مقاليد السموات والارض والذين كفروا بآيات الله اولئك هم
الخاسرون له مقاليد السموات والارض اي هو مالك امرها وحافظها وهي من باب الكناية لان
حافظ الخزائن ومدبر امرها هو الذي يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان القيت اليه مقاليد
الملك وهي المفاتيح ولا واحد لها من لفظها وقيل مقليد ويقال اقليد واقاليد والكلمة اصلها
فارسية فان قلت ما للكتاب العربي المبين وللفارسية قلت التعريب احالها عربية
كما اخرج الاستعمال المهمل من كونه مهملا فان قلت بم اتصل قوله تعالى والذين كفروا قلت
بقوله وينجي الله الذين اتقوا اي ينجي الله المتقين بمفازتهم والذين كفروا هم الخاسرون واعترض بينهما
بانه خالق الاشياء كلها وهو مهيمن عليها فلا يخفى عليه شيء من اعمال المكلفين فيها وما يستحقون عليها
من الجزاء وقد جعل متصلا بما يليه على ان كل شيء في السموات والارض فالله خالقه وفاتح بابه
والذين كفروا وجحدوا ان يكون الامر كذلك اولئك هم الخاسرون وقيل سال عثمان رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله له مقاليد السموات والارض فقال يا عثمان ما سالني
عنها احد قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله واستغفر الله ولا حول
ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير بلغ مقابله

وتأويله

بلغ مقابلة

وتاويله على ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها من المتقين اصابه
والذين كفروا بايات الله وكلمات توحيده وتمجيده اولئك هم الخاسرون قل أفغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون
افغير الله منصوب باعبد وتامروني اعتراض ومعناه افغير الله اعبد بامركم وذلك حين قال له المشركون
استلم بعض الهتنا ونؤمن بالهك او ينتصب بما دل عليه جملة قوله تعالى تامروني اعبد لانه في معنى تعبدونني
وتقولون لي اعبد والاصل تامرونني ان اعبد فحذف ان ورفع الفعل كما في قوله ألا ايهذا الزاجري احضر الوغى
الا تراك تقول افغير الله تقولون لي اعبده وافغير الله تقولون لي اعبد فكذلك افغير الله تامرونني
ان اعبده فتنصبه كما في قوله اكرمني واكرمك افغير الله تامرونني ان اعبد والدليل على صحة هذا الوجه
قراءة من قرا اعبد بالنصب وقرئ تامروني على ادغام النون او حذفها ولقد اوحي اليك والى الذين من
قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين قرئ ليحبطن عملك وليحبطن على البناء للمفعول
وليحبطن بالنون وبالياء اي ليحبطن الله او الشرك فان قلت الموحى اليهم جماعة فكيف قال لئن اشركت
على التوحيد قلت معناه اوحي اليك لئن اشركت ليحبطن عملك والى الذين من قبلك مثله واوحي اليك
والى كل واحد منهم لئن اشركت كما تقول كسانا حلة اي كل واحد منا فان قلت ما الفرق بين اللامين
قلت الاولى موطئة للقسم المحذوف والثانية لام الجواب وهذا الجواب ساد مسد الجوابين اعني جوابي القسم
والشرط فان قلت كيف صح هذا الكلام مع علم الله تعالى ان رسله لا يشركون ولا تحبط اعمالهم قلت
هو على سبيل الفرض والمحالات يصح فرضها لاغراض فكيف بما ليس بمحال الا ترى الى قوله ولو شاء ربك لآمن من
في الارض كلهم جميعا يعني على سبيل الالجاء ولن تكون ذلك لامتناع الداعي اليه ووجود الصارف عنه فان قلت
ما معنى قوله ولتكونن من الخاسرين قلت يحتمل ولتكونن من الخاسرين بسبب حبوط العمل ويحتمل ولتكونن في
الاخرة من جملة الخاسرين الذين خسروا انفسهم ان مت على الردة ويجوز ان يكون غضب الله على الرسول اشد
فلا يمهله بعد الردة الا ترى الى قوله اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات بل الله فاعبد وكن من
الشاكرين بل الله فاعبد رد لما امروه به من استلام بعض الهتهم كانه قال لا تعبد ما امروك بعبادته
بل ان كنت عاقلا فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا منه وكن من الشاكرين على ما
انعم به عليك من ان جعلك سيد ولد ادم عليه الصلاة والسلام وجوز الفراء نصبه بفعل مضمر هذا
معطوف عليه تقديره بل الله اعبد فاعبد وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة
والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون لما كان العظيم من الاشياء اذا عرفه الانسان
حق معرفته وقدره في نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل وما قدروا الله حق قدره وقرئ بالتشديد
على معنى وما عظموه كنه تعظيمه ثم نبههم على عظمته وجلالة شانه على طريقة التخييل فقال والارض
جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه والغرض من هذا الكلام اذا اخذته كما هو بجملته ومجموعه
تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين الى جهة حقيقة او جهة
مجاز ولذلك حكم ما يروى ان جبريل عليه الصلاة والسلام جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا القاسم
ان الله يمسك السموات يوم القيمة على اصبع والارضين على اصبع والجبال على اصبع والشجر على اصبع والثرى
على اصبع وسائر الخلق على اصبع ثم يهزهن فيقول انا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا مما قال

ثم قرأ تصديقاً له وما قدروا الله حق قدره الآية وإنما ضحك أفصح العرب وتعجب لأنه لم يفهم منه إلا ما يفهمه علماء
البيان من غير تصور إمساك ولا إصبع ولا هز ولا شيء من ذلك ولكن فهمه وقع أول شيء وآخره على الزبدة والخلاصة
التي هي الدلالة على القدرة الباهرة وأن الأفعال العظام التي تتحير فيها الأفهام والأذهان ولا تكتنهها الأوهام
هينة عليه هواناً لا يوصل السامع إلى الوقوف عليه إلا إجراء العبارة في مثل هذه الطريقة من التخييل ولا ترى
باباً في علم البيان أدق ولا أرق ولا ألطف من هذا الباب ولا أنفع وأعون على تعاطي تأويل المشتبهات
من كلام الله في القرآن وسائر الكتب الإلهية السماوية وكلام الأنبياء فإن أكثره وعليته تخييلات قد زلت
فيها الأقدام قديماً وما أوتي الزالون إلا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقير حتى يعلموا أن في عداد العلوم الدقيقة
علماً لو قدروه حق قدره لما خفي عليهم أن العلوم كلها مفتقرة إليه وعيال عليه إذ لا يحل عقدها الموربة
ولا يفك قيودها المكربة إلا هو وكم آية من آيات التنزيل وحديث من أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام
قد ضيم وسيم الخسف بالتأويلات الغثة والوجوه الرثة لأن من تأول ليس من هذا العلم في عير ولا نفير ولا يعرف
قبيلاً من دبير والمراد بالأرض الأرضون السبع يشهد لذلك شاهدان قوله جميعاً وقوله والسماوات ولأن الموضع
موضع تعظيم وتفخيم فهو مقتض للمبالغة ومع القصد إلى الجمع وتأكيده بالجميع أتبع الجميع مؤكده قبل مجيء الخبر
ليعلم أول الأمر أن الخبر الذي يرد لا يقع عن أرض واحدة ولكن عن الأراضي كلهن والقبضة المرة
من القبض فقبضت قبضة من أثر الرسول والقبضة بالضم المقدار المقبوض بالكف ويقال أيضاً أعطني
قبضة من كذا يريد معنى القبضة تسمية بالمصدر كما روي أنه نهى عن خطفة السبع وكلا المعنيين محتمل والمعنى
والأرضون جميعاً قبضته أي ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة يعني أن الأرضين مع عظمهن وبسطتهن
لا يبلغن إلا قبضة واحدة من قبضاته كأنه يقبضها قبضة بكف واحدة كما تقول الجزور أكلة لقمان والقلة
جرعته أي ذات أكلته وذات جرعته يريد أنهما لا يفيان إلا بأكلة واحدة فذة من أكلاته وجرعة
فردة من جرعاته وإذا أريد معنى القبضة فظاهر لأن المعنى أن الأرضين بجملتها مقدار ما يقبضه
بكف واحدة فإن قلت قلت جعلها ظرفاً مشبهاً للموقت بالمبهم مطويات من الطي الذي هو ضد النشر
كما قال تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب وعادة طاوي السجل أن يطويه بيمينه وقيل قبضته
ملكه بلا مدافع ولا منازع وبيمينه بقدرته وقيل مطويات بيمينه مفنيات بقسمه لأنه أقسم أن
يفنيها ومن اشتم رائحة من علمنا هذا فليعرض عليه هذا التأويل ليتلهى بالتعجب منه ومن قائله
ثم يبكي حمية لكلام الله المعجز بفصاحته وما مني به من أمثاله وأثقل منه على الروح وأصدع للكبد تدوين
العلماء واستحسانهم له وحكايته على فروع المنابر واستجلاب الاهتزاز به من السامعين وقرئ مطويات
على نظم السماوات في حكم الأرض ودخولها تحت القبضة ونصب مطويات على الحال سبحانه وتعالى ما أبعد
من هذه قدرته وعظمته وما أعلاه عما يضاف إليه من الشركاء ونفخ في الصور فصعق من في السماوات
ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون فإن قلت أخرى ما محلها من
الإعراب قلت يحتمل الرفع والنصب أما الرفع فعلى قوله تعالى فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة وأما النصب فعلى
قراءة من قرأ نفخةً واحدةً والمعنى ونفخ في الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه أخرى وإنما حذفت لدلالة أخرى
عليها ولكونها معلومة بذكرها في غير مكان وقرئ قياماً ينظرون يقلبون أبصارهم في الجهات نظر

ما وجه قراءة من قرأ قبضته بالنصب قلت ع

المبهوت

المبهوت اذا فاجاه خطب وقيل ينظرون ماذا يفعل بهم ويجوز ان يكون القيام بمعنى الوقوف والجمود في مكان
لتحيرهم ﴿واشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون
ووفيت كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون﴾ قد استعار الله عز وجل النور للحق والقران والبرهان في مواضع من
التنزيل وهذا من ذاك والمعنى واشرقت الارض بما يقيمه فيها من الحق والعدل ويبسطه من القسط في الحساب ووزن
الحسنات والسيئات وينادي عليه بانه مستعار اضافته الى اسمه لانه هو الحق العدل واضافة اسمه الى الارض
لانه يزينها حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم بالحق بين اهلها ولا ترى ازين للبقاع
من العدل ولا اعمر لها منه وفي هذه الاضافة ان ربها وخالقها هو الذي يعدل فيها وانما يجور فيها غير ربها
ثم ما عطف على اشراق الارض من وضع الكتاب والمجيء بالنبيين والشهداء والقضاء بالحق وهو النور المذكور
وترى الناس يقولون للملك العادل اشرقت الافاق بعدلك واضاءت الدنيا بقسطك كما يقولون اظلمت
البلاد بجور فلان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيمة وكما فتح الاية باثبات العدل
ختمها بنفي الظلم وقرئ واشرقت على البناء للمفعول من شرقت بالضوء تشرق اذا امتلات به واغتصت
واشرقها الله كما تقول ملا الارض عدلا وطبقها عدلا والكتاب صحايف الاعمال ولكنه اكتفى باسم الجنس
وقيل اللوح المحفوظ والشهداء الذين يشهدون للامم وعليهم من الحفظة والاخيار وقيل المستشهدون في سبيل الله
﴿وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها الم ياتكم رسل منكم
يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين﴾ الزمر
الافواج المتفرقة بعضها في اثر بعض وقد تزمروا قال حتى احزألت زمر بعد زمر وقيل في زمر الذين
اتقوا هي الطبقات المختلفة الشهداء والزهاد والعلماء والقراء وغيرهم وقرئ نذر منكم فان قلت
لم اضيف اليهم اليوم قلت ارادوا لقاء وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيمة وقد جاء
استعمال اليوم والايام مستفيضا في اوقات الشدة قالوا بلى اتونا وتلوا علينا ولكن وجبت علينا كلمة الله
لاملان لسوء اعمالنا كما قالوا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب
وهو الكفر والضلال ﴿قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين﴾ اللام في المتكبرين للجنس
لان مثوى المتكبرين فاعل بئس وفاعلها اسم معرف بلام الجنس او مضاف الى مثله والمخصوص بالذم محذوف
تقديره فبئس مثوى المتكبرين جهنم ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها
وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾ حتى هي التي تحكى بعدها الجمل هي الشرطية الا ان
جزاها محذوف وانما حذف لانه في صفة ثواب اهل الجنة فدل بحذفه على انه شيء لا يحيط به الوصف وحق موقعه
ما بعد خالدين وقيل حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها اي مع فتح ابوابها وقيل ابواب جهنم لا تفتح
الا عند دخول اهلها فيها واما ابواب الجنة فمتقدم فتحها بدليل قوله تعالى جنات عدن مفتحة لهم الابواب
فلذلك جيء بالواو كانه قيل حتى اذا جاؤها وقد فتحت ابوابها فان قلت كيف عبر عن الذهاب بالفريقين
جميعا بلفظ السوق قلت المراد بسوق اهل النار طردهم اليها بالهوان والعنف كما يفعل بالاسارى والخارجين
على السلطان اذا سيقوا الى حبس او قتل والمراد بسوق اهل الجنة سوق مراكبهم لانه لا يذهب بهم الا راكبين
وحثها اسراعا بهم الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك فشتان

...عنهم كل دنس وطهرتم من خبث الخطايا فادخلوها خالدين جعل دخول الجنة مسببا عن الطيب
والطهارة فما هي الا دار الطيبين ومثوى الطاهرين لانها دار طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل قذر
فلا يدخلها الا مناسب لها موصوف بصفتها فما ابعد احوالنا من تلك المناسبة وما اضعف سعينا في اكتساب
تلك الصفة الا ان يهب لنا الوهاب الكريم توبة نصوحا تنقي انفسنا من درن الذنوب وتميط وضر هذه القلوب
خالدين مقدرين الخلود وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الارض حيث نشاء فنعم
اجر العاملين الارض عبارة عن المكان الذي اقاموا فيه واتخذوه مقرا ومتبوأ وقد اورثوها اي ملكوها وجعلوا
ملوكها واطلق تصرفهم فيها كما يشاؤن تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه واتساعه فيه وذهابه
في انفاقه طولا وعرضا فان قلت ما معنى قوله تعالى حيث نشاء وهل يتبوأ احدهم مكان غيره قلت
يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف زيادة وسعة على الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج الى جنة
غيره ٥ وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين
حافين محدقين من حوله يسبحون بحمد ربهم يقولون سبحان الله والحمد لله متلذذين لا متعبدين فان قلت
الام يرجع الضمير في قوله بينهم قلت يجوز ان يرجع الى العباد كلهم وان ادخال بعضهم النار وبعضهم
الجنة لا يكون الا قضاء بينهم بالحق والعدل وان يرجع الى الملائكة على ان ثوابهم وان كانوا معصومين جميعا لا يكون
على سنن واحد ولكن يفاضل بين مراتبهم على حسب تفاضلهم في اعمالهم فهو القضاء بينهم بالحق فان قلت
قوله تعالى وقيل الحمد لله من القائل ذلك قلت المقضي بينهم اما جميع العباد واما الملائكة كانه قيل
وقضي بينهم بالحق وقالوا الحمد لله على قضائه بيننا بالحق وانزال كل منا منزلته التي هي حقه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاه يوم القيمة واعطاه الله ثواب الخائفين الذين خافوا
وعن عائشة رضي الله تعالى عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ كل ليلة بني اسرائيل والزمر

سورة المؤمن مكية | بسم الله الرحمن الرحيم | وهي خمس وثمانون آية

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم قرئ بامالة الحاء وتفخيمها وبتسكين الميم وفتحها ووجه الفتح التحريك
لالتقاء الساكنين وايثار اخف الحركات نحو اين وكيف او النصب باضمار اقرأ ومنع الصرف للتانيث والتعريف
وانها على زنة اعجمي نحو قابيل وهابيل غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول
لا اله الا هو اليه المصير التوب والثوب والاوب اخوات في معنى الرجوع والطول الفضل والزيادة
يقال لفلان على فلان طول والافضال يقال طال عليه وتطول اذا تفضل فان قلت كيف اختلفت
هذه الصفات تعريفا وتنكيرا والموصوف معرفة يقتضي ان تكون مثله معارف قلت اما غافر
الذنب وقابل التوب ويقبل التوب الان او غدا حتى يكون في تقدير الانفصال فتكون اضافتهما
غير حقيقية وانما اريد ثبوت ذلك ودوامه فكان حكمهما حكم اله الخلق ورب العرش واما شديد
العقاب فامره مشكل لانه في تقدير شديد عقابه لا ينفك من هذا التقدير وقد جعله الزجاج بدلا وفي

كونه

لو نكّر بدلاً وجمع بين الصفات نبوٌّ ظاهر والوجه ان يقال لما صودف بين هؤلاء المعارف هذه النكرة
الواحدة فقد آذنت بان كلها ابدال غير اوصاف ومثال ذلك قصيدة جاءت تفاعيلها كلها على مستفعلن
وهي محكوم عليها بانها من بحر الرجز فان وقع فيها جزء واحد على متفاعلن كانت من الكامل ولقائل
ان يقول هي صفات • وانما حذف الالف واللام من شديد العقاب ليزاوج ما قبله وما بعده لفظا
فقد غيّروا كثيرا من كلامهم عن قوانينه لاجل الازدواج حتى قالوا ما يعرف سحادليه من عناديه •
فثنوا ما هو وتر لاجل ما هو شفع على ان الخليل قال في قولهم • ما يحسن بالرجل مثلك ان يفعل
ذلك وما يحسن بالرجل خير منك ان يفعل انه على نية الالف واللام كما كان الجماء الغفير على نية طرح الالف
واللام ومما سهّل ذلك الامن من اللبس وجهالة الموصوف ويجوز ان يقال تعمّد تنكيره وابهامه للدلالة
على فرط الشدة وعلى ما لا شيء ادهى منه وامرّ لزيادة الانذار ويجوز ان يقال هذه النكتة هي الداعية
الى اختيار البدل على الوصف اذا سلكت طريقة الابدال فان قلت ما بال الواو • في قوله تعالى وقابل التوب
قلت فيها نكتة جليلة وهي افادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين ان يقبل توبته فيكتبها
له طاعة من الطاعات وان يجعلها محاءة للذنوب كان لم يذنب كانه قال جامع المغفرة والقبول
وروي ان عمر رضي الله عنه افتقد رجلا ذا بأس شديد من اهل الشام فقيل له تتابع في هذا الشراب فقال
عمر رضي الله عنه • لكاتبه اكتب من عمر الى فلان سلام عليك وانا احمد اليك الله الذي لا اله الا هو بسم
الله الرحمن الرحيم حم الى قوله اليه المصير • وختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه اليه حتى تجده صاحيا ثم امر
من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما اتته الصحيفة جعل يقرأها • ويقول قد وعدني الله ان يغفر لي وحذرني
عقابه فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فاحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر امره قال
هكذا فاصنعوا اذا رأيتم اخاكم قد زل زلة فسددوه ووفقوه وادعوا له الله ان يتوب عليه ولا تكونوا
اعوانا للشياطين عليه • ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد سجل على المجادلين
في آيات الله بالكفر والمراد الجدال بالباطل من الطعن فيها والقصد الى ادحاض الحق واطفاء نور الله فقد دل
على ذلك في قوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيها لايضاح ملتبسها وحل مشكلها
ومقادحة اهل العلم في استنباط معانيها • ورد اهل الزيغ بها وعنها فاعظم جهاد في سبيل الله وقوله
صلى الله عليه وسلم ان جدالا في القرآن كفر وايراده منكرا • وان لم يقل ان الجدال تمييز منه بين جدال وجدال
فان قلت من اين تسبب لقوله فلا يغررك ما قبله قلت من حيث انهم لما كانوا مشهودا عليهم
من قبل الله بالكفر والكافر لا احد اشقى منه عند الله وجب على من تحقق ذلك ان لا يرجح احوالهم في عينه
ولا يغره اقبالهم في دنياهم وتقلبهم في البلاد النافقة والمكاسب المربحة وكانت قريش كذلك يتقلبون
في بلاد الشام واليمن ولهم الاموال يتجرون فيها ويتربحون فان مصير ذلك وعاقبته الى الزوال ووراءه
شقاوة الابد ثم ضرب لتكذيبهم وعداوتهم للرسل وجدالهم بالباطل وما ادخر لهم من سوء العاقبة مثلا
ما كان من نحو ذلك في الامم وما اخذهم به من عقابه واحله بساحتهم من انتقامه وقرئ لا يغرك
كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل امة برسولهم لياخذوه وجادلوا بالباطل
ليدحضوا به الحق فاخذتهم فكيف كان عقاب الاحزاب الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم

وهم عاد وثمود وفرعون وغيرهم وهمت كل أمة من هذه التي هي قوم نوح والاحزاب برسولهم وقرئ برسولها
ليأخذوه ليتمكنوا منه ومن الايقاع به واصابته بما ارادوه من تعذيب او قتل ويقال للاسير اخيذ
فأخذتهم يعني انهم قصدوا اخذه فجعلت جزاءهم على ارادة اخذه ان اخذتهم فكيف كان عقاب
فانكم تمرون على بلادهم ومساكنهم فتعاينون اثر ذلك وهذا تقرير فيه معنى التعجب وكذلك حقت
كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار انهم اصحاب النار في محل الرفع بدل من كلمة ربك اي مثل ذلك الوجوب
وجبت على الكفرة كونهم من اصحاب النار ومعناه كما وجب اهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستأصل كذلك وجب
اهلاكهم بعذاب النار في الآخرة او في محل النصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل والذين كفروا قريش
ومعناه كما وجب اهلاك اولئك الامم وجب اهلاك هؤلاء لان علة واحدة تجمعهم انهم من اصحاب النار
وقرئ كلمات الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين
امنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم
جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم
وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم روي ان حملة
العرش ارجلهم في الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلى الله
عليه وسلم لا تفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل
زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وانه ليتضاءل
من عظمة الله حتى يصير كأنه الوصع وفي الحديث ان الله تعالى امر جميع الملائكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام
على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة وقيل خلق الله العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين
من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام وقيل حول العرش سبعون الف صف من الملائكة
يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون الف صف قيام قد وضعوا ايديهم على عواتقهم
رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة الف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل
ما منهم من احد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الاخر وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما العرش بضم
العين فان قلت ما فائدة قوله تعالى ويؤمنون به ولا يخفى على احد ان حملة العرش ومن حوله
من الملائكة الذين يسبحون بحمده مؤمنون قلت فائدته اظهار شرف الايمان وفائدة اخرى وهي
التنبيه على ان الامر لو كان كما يقول المجسمة لكان حملة العرش ومن حوله مشاهدين معاينين ولما وصفوا
بالايمان لانه انما يوصف بالايمان الغائب فلما وصفوا به على سبيل الثناء عليهم علم ان ايمانهم وايمان من
في الارض وكل من غاب عن ذلك المقام سواء في ان ايمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير
وانه لا طريق الى معرفته الا هذا وانه منزه عن صفات الاجرام وقد روعي التناسب في قوله
تعالى ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا كأنه قيل ويؤمنون ويستغفرون لمن في مثل حالهم وصفتهم
وفيه تنبيه على ان الاشتراك في الايمان يجب ان يكون ادعى شيء الى النصيحة واحث على امحاض الشفقة
وان تفاوتت الاجناس وتباعدت الاماكن فانه لا تجانس بين ملك وانسان ولا بين سماوي وارضي
قط ثم لما جاء جامع الايمان جاء معه التجانس الكلي والتناسب الحقيقي حتى استغفر من حول العرش لمن فوق

ووصفه والترغيب فيه كما وصف الانبياء في غير موضع من كتابه بالصلاح لذلك وكما عقب اعمال الخير بقوله ثم كان من الذين امنوا فأبان بذلك فضل الايمان صح

الارض

الأرض قال الله تعالى ويستغفرون لمن في الأرض اي يقولون ربنا وهذا المضمر يحتمل ان يكون بيانا لما
يستغفرون مرفوع المحل وسع وان يكون حالا فان قلت تعالى الله عن المكان فكيف صح ان يقال وسع
كل شيء قلت الرحمة والعلم هما اللذان وسعا كل شيء في المعنى والاصل وسع كل شيء رحمتك وعلمك
ولكن ازيل الكلام عن اصله بان اسند الفعل الى صاحب الرحمة والعلم فوجب ان يكون ما بعد الفاء
واخرجا منصوبين على التمييز للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم كان ذاته رحمة وعلم واسعان كل
شيء فان قلت قد ذكر الرحمة والعلم فوجب ان يكون ما بعد الفاء مشتملا على حديثهما جميعا وما ذكر
الا الغفران قلت معناه فاغفر للذين علمت منهم التوبة وسبيل الله سبيل الحق التي نهجها
لعباده ودعا اليها و انك انت العزيز الحكيم اي الملك الذي لا يغلب وانت مع ملكك وعزتك
لا تفعل شيئا الا بداعي الحكمة وموجب حكمتك ان تفي بوعدك و وقهم السيئات اي العقوبات او جزاء
السيئات فحذف المضاف على ان السيئات هي الصغاير والكباير الموب عنها والوقاية منها التكفير او قبول
التوبة فان قلت ما الفائدة في استغفارهم وهم تائبون صالحون موعودون المغفرة والله لا يخلف
الميعاد قلت هذا بمنزلة الشفاعة وفائدته زيادة الكرامة والثواب وقرى جنة عدن
وصلح بضم اللام والفتح افصح يقال صلح فهو صالح وصلح فهو صليح وذريتهم ان الذين كفروا ينادون
لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون اي ينادون يوم القيمة فيقال لهم
لمقت الله اكبر والتقدير لمقت الله انفسكم اكبر من مقتكم انفسكم فاستغنى بذكرها مرة واذ تدعون
منصوب بالمقت الاول والمعنى انه يقال لهم يوم القيمة كان الله يمقت انفسكم الامارة بالسوء والكفر
حين كان الانبياء عليهم الصلاة والسلام يدعونكم الى الايمان فتابون قبوله وتختارون عليه الكفر اشد
مما تمقتونهن اليوم وانتم في النار اذ اوقعتكم فيها باتباعكم هواهن وعن الحسن لما راوا اعمالهم
الخبيثة مقتوا انفسهم فنودوا لمقت الله وقيل معناه لمقت الله اياكم الآن اكبر من مقت بعضكم لبعض
كقوله عز وجل يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا واذ تدعون تعليل والمقت اشد البغض
فوضع في موضع ابلغ الانكار واشده قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا
فهل الى خروج من سبيل ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي
الكبير اثنتين اماتتين واحياءتين او موتتين وحيوتين واراد بالاماتتين خلقهم امواتا اولا واماتتهم
عند انقضاء اجالهم وبالاحياءتين الاحياءة الاولى واحياءة البعث وناهيك تفسيرا لذلك قوله الله
تعالى وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وكذا عن ابن عباس فان قلت كيف صح ان
يسمي خلقهم امواتا اماتة قلت كما صح ان يقول سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل
وقولك للحفار ضيق فم الركية ووسع اسفلها وليس ثم نقل من كبر الى صغر ولا من صغر الى كبر
ولا من ضيق الى سعة ولا من سعة الى ضيق وانما اردت الانشاء على تلك الصفات والسبب في صحته
ان الصغر والكبر جائزان معا على المصنوع الواحد من غير ترجح لاحدهما وكذلك الضيق والسعة
فاذا اختار الصانع احد الجائزين وهو متمكن منهما على السواء فقد صرف المصنوع عن الجائز الاخر فجعل
صرفه عنه كنقله منه ومن جعل الاماتتين التي بعد حيوة الدنيا والتي بعد حيوة القبر لزمه اثبات ثلث

احياآت وهو خلاف ما في القرآن الا ان يتمحل فيجعل احديهما غير متعدد بها او يزعم ان الله يحييهم في القبور
وتستمر بهم تلك الحيوة فلا يموتون بعدها ويعدهم في المستثنين من الصعقة في قوله تعالى الا من شاء الله
فان قلت كيف تسبب هذا لقوله تعالى فاعترفنا بذنوبنا قلت قد انكروا البعث فكفروا وتبع
ذلك من الذنوب ما لا يحصى لان من لم يخش العاقبة تخرق في المعاصي فلما رأوا الاماتة والاحياء قد تكررا عليهم
علموا بان الله قادر على الاعادة قدرته على الانشاء فاعترفوا بذنوبهم التي اقترفوها من انكار
البعث وما تبعه من معاصيهم فهل الى خروج اي الى اي نوع من الخروج سريع او بطيء من سبيل
قط ام اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط
وانما يقولون ذلك تعللا وتحيرا ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله تعالى ذلكم
اي ذلكم الذي انتم فيه وان لا سبيل لكم الى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وايمانكم بالاشراك به
فالحكم لله حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد وقوله تعالى العلي الكبير دلالة على الكبرياء والعظمة
وعلى ان عقاب مثله لا يكون الا كذلك وهو الذي يطابق كبرياءه ويناسب جبروته وقيل كان
الحرورية اخذوا قولهم لا حكم الا لله من هذا هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما
يتذكر الا من ينيب فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون يريكم آياته من الريح
والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها والرزق المطر لانه سببه وما يتذكر الا من
ينيب وما يتعظ وما يعتبر بآيات الله الا من يتوب من الشرك ويرجع الى الله فان المعاند لا سبيل
الى تذكره واتعاظه ثم قال للمنيبين فادعوا الله اي اعبدوه مخلصين له الدين من الشرك وان غاظ
ذلك اعداءكم ممن ليس على دينكم رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده
لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح ثلثة اخبار لقوله
مترتبة على قوله هو مترتبة على قوله او اخبار مبتداء محذوف وهي مختلفة تعريفا وتنكيرا
وقرئ رفيع الدرجات بالنصب على المدح ورفيع الدرجات كقوله تعالى ذي المعارج وهي مصاعد
الملائكة الى ان يبلغ العرش وهي دليل على عزته وملكوته وعن ابن جبير سماء فوق سماء والعرش
فوقهن ويجوز ان تكون عبارة عن رفعة شأنه وعلو سلطانه كما ان ذا العرش عبارة عن ملكه
وقيل هي درجات ثوابه التي ينزلها اولياءه في الجنة الروح من امره الذي هو سبب الحيوة من
امره يريد الوحي الذي هو امر بالخير وبعث عليه فاستعار له الروح كما قال الله تبارك وتعالى
أومن كان ميتا فاحييناه لينذر الله او الملقى عليه وهو الرسول او الروح وقرئ لتنذر اي
لتنذر الروح لانها تؤنث او على خطاب الرسول وقرئ لينذر يوم التلاق على البناء للمفعول
ويوم التلاق يوم القيمة لان الخلائق تلتقي فيه وقيل يلتقي فيه اهل السموات واهل الارض
وقيل المعبود والعابد يوم هم بارزون ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل او اكمة او بناء لان الارض بارزة
قاع صفصف ولا عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث يحشرون حفاة عراة غرلا
لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لا يخفى على الله منهم شيء من اعمالهم واحوالهم
وعن ابن مسعود رضي الله عنه لا يخفى على الله منهم شيء فان قلت قوله تعالى لا يخفى على الله منهم شيء بيان

دنوير

وتسترهم لبروزهم والله تعالى لا يخفى عليه شيء منهم برزوا ولم يبرزوا فما معناه قلت معناه انهم كانوا يتوهمون
في الدنيا اذا استتروا بالحيطان والحجب ان الله لا يراهم وتخفى عليه اعمالهم فهم اليوم صائرون من البروز
والانكشاف الى حال لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمونه قال الله تعالى ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا
مما تعملون • وقال يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وذلك لعلمهم ان الناس يبصرونهم وظنهم
ان الله لا يبصرهم وهو معنى قوله تعالى وبرزوا لله الواحد القهار لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار • حكاية لما يسأل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به ومعناه انه ينادي مناد فيقول لمن الملك فيجيبه
اهل المحشر لله الواحد القهار • وقيل يجمع الله الخلائق يوم القيامة في صعيد واحد بارض بيضاء كانها
سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فاول ما يتكلم به ان ينادي مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم
تجزى كل نفس الاية فهذا يقتضي ان يكون المنادي هو المجيب لما قرر ان الملك لله وحده في ذلك اليوم
اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب عدد نتائج ذلك وهي ان كل نفس تجزى
ما كسبت وان الظلم مأمون لان الله ليس بظلام للعبيد وان الحساب لا يبطئ لان الله لا يشغله حساب
عن حساب فيحاسب الخلق كله في وقت واحد وهو اسرع الحاسبين وعن ابن عباس رضي الله عنهما اذا
اخذ في حسابهم لم يقل اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها وانذرهم يوم الازفة اذ القلوب
لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع الازفة القيامة سميت لازوفها اي لقربها
ويجوز ان يريد بيوم الازفة وقت الخطة الازفة وهي مشارفتهم دخول النار فعند ذلك ترتفع
قلوبهم عن مقارها فتلصق بحناجرهم فلا هي تخرج فيموتوا ولا ترجع الى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا
ولكنها معترضة كالشجا كما قال فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا فان قلت كاظمين بم انتصب
قلت هو حال عن اصحاب القلوب على المعنى لان المعنى اذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين عليها
ويجوز ان يكون حالا عن القلوب وان القلوب كاظمة على غم وكرب فيها مع بلوغها الحناجر
وانما جمع الكاظم جمع السلامة لانه وصفها بالكظم الذي هو من افعال العقلاء كما قال تعالى
رأيتهم لي ساجدين • وقال تعالى فظلت اعناقهم لها خاضعين • وتعضده قراءة من قرأ كاظمون
ويجوز ان يكون حالا عن قوله تعالى وانذرهم اي وانذرهم مقدرين اي مشارفين الكظم كقوله
تعالى • فادخلوها خالدين الحميم المحب المشفق والمطاع مجاز في المشفع لان حقيقة الطاعة نحو
حقيقة الامر في انها لا تكون الا لمن فوقك فان قلت ما معنى قوله تعالى ولا شفيع يطاع
قلت يحتمل ان يتناول النفي الشفاعة والطاعة معا وان يتناول الطاعة دون الشفاعة كما تقول
ما عندي كتاب يباع فهو محتمل نفي البيع وحده وان عندك كتابا الا انك لا تبيعه ونفيهما جميعا وان
لا كتاب عندك ولا كونه مبيعا ونحوه • ولا ترى الضب بها ينجحر • يريد نفي الضب وانجحاره
فان قلت فعلى اي الاحتمالين يجب حمله قلت على نفي الامرين جميعا من قبل ان الشفعاء
هم اولياء الله واولياء الله لا يحبون ولا يرضون الا من احبه الله ورضيه وان الله لا يحب
الظالمين فلا يحبونهم • واذا لم يحبوهم لم ينصروهم ولم يشفعوا لهم قال الله عز وجل
وما للظالمين من انصار • وقال ولا يشفعون الا لمن ارتضى • ولان الشفاعة لا تكون الا في زيادة

للتفضل واهل التفضل عنده باردته انما هم اهل الثواب بدليل قوله تعالى ويزيدهم من فضله وعن الحسن رحمة الله
عليه والله ما يكون لهم شفيع البتة فان قلت الغرض حاصل بذكر الشفيع ونفيه فما الفائدة في ذكر هذه
الصفة ونفيها قلت في ذكرها فائدة جليلة وهي انها ضمت اليه ليقام انتفا الموصوف في مقام الشاهد
على انتفا الصفة لان الصفة لا تتأتى بدون موصوفها فيكون ذلك ازالة لتوهم وجود الموصوف بيانه
انك اذا عوتبت على القعود عن الغزو فقلت ما لي فرس اركبه ولا معي سلاح احارب به فقد جعلت
عدم الفرس وفقد السلاح علة مانعة من الركوب والمحاربة كانك تقول كيف يتأتى مني الركوب
والمحاربة ولا فرس لي ولا سلاح معي فكذلك قوله تعالى ولا شفيع يطاع معناه كيف يتأتى التشفيع ولا شفيع
فكان ذكر التشفيع والاستشهاد على عدم تأتيه بعدم الشفيع وضعا لانتفا الشفيع موضع الامر المعروف
غير المنكر الذي لا ينبغي ان يتوهم خلافه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور الخائنة صفة للنظرة
او مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر الى ما لا يحل كما يفعل اهل الريب
ولا يحسن ان يراد الخائنة من الاعين لان قوله تعالى وما تخفي الصدور لا يساعد عليه فان قلت
بم اتصل قوله تعالى يعلم خائنة الاعين قلت هو خبر من اخبار هو في قوله تعالى
هو الذي يريكم مثل يلقي الروح ولكن يلقي الروح قد علل بقوله تعالى لينذر يوم التلاق ثم
استطرد ذكر احوال يوم التلاق الى قوله ولا شفيع يطاع فبعد لذلك عن اخواته والله يقضي
بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء ان الله هو السميع البصير والله يقضي بالحق والذي
هذه صفاته واحواله لا يقضي الا بالحق والعدل لاستغنائه عن الظلم والتهكم في لا يقضون
بشيء وهذا تهكم بهم لان ما لا يوصف بالقدرة لا يقال فيه يقضي ولا يقضي في ان الله هو السميع البصير
تقرير لقوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ووعيد لهم بانه يسمع ما يقولون
ويبصر ما يعملون وانه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من دون الله وانها لا تسمع ولا تبصر
وقرئ تدعون بالتاء والياء اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا
من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة وآثارا في الارض فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله
من واق ذلك بانهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد
العقاب هم في كانوا هم اشد منهم فصل فان قلت من حق الفصل ان لا يقع الا بين
معرفتين فما باله واقعا بين معرفة وغير معرفة وهو اشد منهم قوة قلت قد ضارع
المعرفة في انه لا يدخله الالف واللام فاجري مجراه وقرئ منكم وهي في مصاحف اهل الشام واثارا
يريد حصونهم وقصورهم وعددهم وما يوصف بالشدة من آثارهم او اراد واكثر آثارا كقوله
ورأيت زوجك في الوغى ∴ متقلدا سيفا ورمحا ∴ اسمرا
ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب
وسلطان مبين وحجة ظاهرة وهي المعجزات فقالوا هو ساحر كذاب فسموا السلطان المبين سحرا وكذبا
فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين الا في
ضلال فلما جاءهم بالحق بالنبوة فان قلت اما كان قتل الابناء واستحياء النساء من قبل خيفة ان

يولد المولود الذي أنذرته الكهنة بظهوره وزوال ملكه على يده قلت قد كان ذلك القتل حينئذ وهذا
قتل آخر. وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله قالوا اقتلوا أعيدوا عليهم القتل كالذي كان أولاً
يريد أن هذا قتل غير القتل الأول ﴿في ضلال﴾ في ضياع وذهاب باطلاً لم يجد عليهم يعني أنهم
باشروا قتلهم أولاً فما أغنى عنهم ونفذ قضاء الله بإظهار من خافوه فما يغني عنهم هذا القتل الثاني
وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه الصلاة والسلام وأحس بأنه قد وقع
أعاده عليهم غيظاً وحنقاً وظناً منه أنه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى عليه الصلاة والسلام وما علم أن
كيده ضائع في الكرتين جميعاً ﴿وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل
دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد﴾ ذروني أقتل موسى كانوا إذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس بالذي
تخافه وهو أقل من ذلك وأضعف وما هو إلا بعض السحرة ومثله لا يقاوم إلا ساحراً مثله ويقولون إذا
قتلته أدخلت الشبهة على الناس واعتقدوا أنك عجزت عن معارضته بالحجة. والظاهر أن فرعون كان قد
استيقن أنه نبي وأن ما جاء به آيات وما هو بسحر ولكن الرجل كان فيه خب وجربزة وكان قتالاً سفاكاً
للدماء في أهون شيء فكيف لا يقتل من أحس منه بأنه هو الذي يثل عرشه ويهدم ملكه ولكنه كان يخاف
إن هم بقتله أن يعاجل بالهلاك. وقوله تعالى وليدع ربه شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته
ربه. وكان قوله ذروني أقتل موسى تمويهاً على قومه وإيهاماً أنهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه
إلا ما في نفسه من هول الفزع أن يبدل دينكم أن يغير ما أنتم عليه وكانوا يعبدونه ويعبدون الأصنام بدليل
قوله تعالى ويذرك وآلهتك والفساد في الأرض التقاتل والتهارج الذي يذهب معه الأمن وتتعطل
المزارع والمكاسب والمعايش ويهلك الناس قتلاً وضياعاً كأنه قال إني أخاف أن يفسد عليكم دينكم
بدعوتكم إلى دينه أو يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه. وفي مصاحف أهل الحجاز وأن يظهر
بالواو ومعناه إني أخاف فساد دينكم ودنياكم معاً وقرئ يظهر من أظهر والفساد منصوب أي يظهر
موسى الفساد وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء من تظهر بمعنى تظاهر أي تتابع وتعاون ﴿وقال
موسى إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب﴾ لما سمع موسى عليه الصلاة والسلام
بما أجراه فرعون من قتله قال لقومه إني عذت بالله الذي هو ربي وربكم وقوله وربكم فيه بعث
لهم على أن يقتدوا به فيعوذوا بالله عياذه ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه وقال
من كل متكبر لتشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة وليكون على طريقة التعريض فيكون أبلغ وأراد
بالتكبر الاستكبار عن الإذعان للحق وهو أقبح استكبار وأدله على دناءة صاحبه ومهانة
نفسه وعلى فرط ظلمه وعسفه. وقال لا يؤمن بيوم الحساب لأنه إذا اجتمع في الرجل التجبر
والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل أسباب القسوة والجرأة على الله وعباده
ولم يترك عظيمة إلا ارتكبها وعذت ولذت أخوان وقرئ عذت بالإدغام ﴿وقال
رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات
من ربكم وإن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله
لا يهدي من هو مسرف كذاب﴾ رجل مؤمن وقرئ رجْل بسكون الجيم كما يقال عضْد في عضُد.

من ذكرهم

وكان قبطياً ابن عم لفرعون آمن بموسى عليه الصلاة والسلام سرّاً • وقيل كان اسرائيلياً • ومن آل فرعون ٥
صفة لرجل او صلة ليكتم • اي يكتم ايمانه من آل فرعون واسمه سمعان او حبيب • وقيل خربيل او حزبيل
والظاهر انه كان من آل فرعون فان المؤمنين من بني اسرائيل لم يقلوا ولم يعزوا • والدليل عليه قول
فرعون ابنا الذين آمنوا معه وقول المؤمن فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا دليل ظاهر على انه يتنصح لقومه
ان يقول لان يقول وهذا انكار منه عظيم وتبكيت شديد كانه قال اترتكبون الفعلة الشنعاء التي
هي قتل نفس محرمة • وما لكم علة قط في ارتكابها الا كلمة الحق التي نطق بها وهي قوله ربي الله مع انه
لم يحضر لتصحيح قوله بينة واحدة • ولكن ببينات عدة من عند من نسب اليه الربوبية وهو ربكم
لا ربه وحده وهو استدراج لهم على الاعتراف وليليّن بذلك جماحهم ويكسر من سورتهم ولك ان
تقدر مضافاً محذوفاً اي وقت ان يقول والمعنى اتقتلونه ساعة سمعتم منه هذا القول من غير
روية ولا فكر في امره وقوله تعالى بالبينات العظيمة التي عهدتموها وقهرتموها ثم اخذهم
بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال لا يخلو من ان يكون كاذباً او صادقاً وان يك كاذباً
فعليه كذبه اي يعود عليه كذبه ولا يتخطاه ضرره وان يك صادقاً يصبكم بعض ما يعدكم
ان تعرضتم له فان قلت لم قال بعض الذي يعدكم وهو نبي صادق لا بد لما يعدكم ان يصيبهم
كله لا بعضه قلت لانه احتاج في مقاولة خصوم موسى عليه الصلاة والسلام ومناكرته الى ان يلاوصهم
ويداريهم ويسلك معهم طريق الانصاف في القول ويأتيهم من جهة المناصحة فجاء بما علم انه اقرب
الى تسليمهم لقوله وادخل في تصديقهم له وقبولهم منه • فقال وان يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم
وهو كلام المنصف في مقاله غير المشتط فيه ليسمعوا منه ولا يردوا عليه وذلك انه حين فرضه صادقاً
فقد اثبت انه صادق في جميع ما يعد ولكنه اردفه يصبكم بعض الذي يعدكم ليهضمه بعض حقه
في ظاهر الكلام فيريهم انه ليس بكلام من اعطاه حقه وافياً فضلاً ان يتعصب له او يرمي بالحصى
من وراءه وتقديم الكاذب على الصادق ايضاً من هذا القبيل وكذلك قوله تعالى ان الله لا يهدي
من هو مسرف كذاب فان قلت فعن ابي عبيدة انه فسر البعض بالكل • وانشد بيت لبيد •

• ترّاك امكنة اذا لم ارضها • او يرتبط بعض النفوس حمامها

قلت ان صحت الرواية عنه فقد حق فيه قول المازني في مسئلة العلقى كان
اجفى من ان يفقه ما اقول له ان الله لا يهدي من هو مسرف يحتمل انه ان كان مسرفاً
كذاباً خذله الله واهلكه ولم يستقم له امر فيتخلصون منه وانه لو كان مسرفاً كذاباً لما هداه
الله للنبوة • ولما عضده بالبينات • وقيل ما تولى ابو بكر رضي الله عنه من رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان اشد من ذلك طاف بالبيت • فلقوه حين فرغ فاخذوا بمجامع ردائه
فقالوا له انت الذي تنهانا عما كان يعبد آباؤنا فقال انا ذاك فقام ابو بكر الصديق رضي الله عنه
فالتزمه من ورائه وقال اتقتلون رجلاً ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم
رافع صوته بذلك وعيناه تسفحان حتى ارسلوه وعن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه
ان مؤمن آل فرعون قال ذلك سراً وابو بكر رضي الله تعالى عنه قاله ظاهراً

يا قوم

ويا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما
أهديكم إلا سبيل الرشاد ظاهرين في الأرض في أرض مصر غالين فيها على بني اسرائيل يعني ان لكم ملك مصر وقد
علوتم الناس وقهرتموهم ولا تفسدوا امركم على انفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله وعذابه فانه لا قبل لكم به
إن جاءكم ولا يمنعكم منه احد وقال ينصرنا وجاءنا لانه منهم في القرابة وليعلمهم بان الذي ينصحهم
به هو مساهم لهم فيه ما أريكم إلا ما أرى اي ما أشير عليكم برأي الا بما ارى من قتله يعني لا استصوب
الا قتله وهذا الذي يقولونه غير صواب وما اهديكم بهذا الرأي الا سبيل الرشاد يريد الصواب
والصلاح او ما اعلمكم الا ما اعلم من الصواب ولا ادخر منه شيئا ولا اسر عنكم خلاف ما اظهر يعني ان
لسانه وقلبه متواطئان على ما يقول وقد كذب فقد كان مستشعرا للخوف الشديد من جهة موسى عليه
الصلاة والسلام ولكنه كان يتجلد ولولا استشعاره لم يستشر احدا ولم يقف الامر على الاشارة
وقرئ الرشاد فعال من رشد بالكسر كعلام او من رشد بالفتح كعباد وقيل هو من ارشد كجبار
من اجبر وليس بذاك لان فعالا من افعل لم يجئ الا في عدة احرف نحو دراك وسآر وجبار
ولا يصح القياس على القليل ويجوز ان يكون نسبة الى الرشد كعواج وبتات غير منظور فيه الى الفعل
وقال الذي آمن يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من
بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد مثل يوم الاحزاب مثل ايامهم لانه لما اضافه الى الاحزاب
وفسرهم بقوم نوح وعاد وثمود ولم يلبس ان كل حزب منهم كان له يوم دمار اقتصر على الواحد من الجمع لان
المضاف اليه اغنى عن ذلك كقوله كلوا في بعض بطونكم تعفوا فان زمانكم زمن خميص
وقال الزجاج مثل يوم حزب حزب ودأب هؤلاء دؤبهم في عملهم من الكفر
والتكذيب وسائر المعاصي وكون ذلك دائبا دائما منهم لا يفترون عنه لا بد من حذف مضاف
يريد مثل جزاء دأبهم فان قلت بم انتصب مثل الثاني قلت بانه عطف بيان لمثل الاول
لان آخر ما تناولته الاضافة قوم نوح ولو قلت اهلك الله الاحزاب قوم نوح وعاد وثمود
لم يكن الا عطف بيان لاضافة قوم الى اعلام فسرى ذلك الحكم الى اول ما تناولته الاضافة وما الله
يريد ظلما للعباد يعني ان تدميرهم كان عدلا وقسطا لانهم استوجبوا باعمالهم وهو ابلغ من قوله
سبحانه وتعالى وما ربك بظلام للعبيد حيث جعل المنفي ارادة الظلم لان من كان عن ارادة
الظلم بعيدا كان عن الظلم ابعد وحيث نكر الظلم كانه نفى ان يريد ظلما ما لعباده ويجوز ان
يكون معناه كمعنى قوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر اي لا يريد لهم ان يظلموا يعني انه دمرهم
لانهم كانوا ظالمين ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم
ومن يضلل الله فما له من هاد التنادي ما حكى الله في سورة الاعراف من قوله ونادى اصحاب
الجنة اصحاب النار ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ويجوز ان يكون تصايحهم بالويل والثبور
وقرئ بالتشديد وهو ان يند بعضهم من بعض كقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه وعن
الضحاك اذا سمعوا زفير النار ندوا وهربوا فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا الملائكة
صفوفا فبيناهم يموج بعضهم في بعض اذ سمعوا مناديا اقبلوا الى الحساب وتولون مدبرين

عن قتادة منصرفين عن موقف الحساب الى النار وعن مجاهد فارين عن النار غير معجزين ولقد جاءكم يوسف من
قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل
الله من هو مسرف مرتاب هو يوسف بن يعقوب وقيل هو يوسف بن افرائيم بن يوسف بن يعقوب عليهم
الصلاة والسلام اقام فيهم نبيا عشرين سنة وقيل ان فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر الى زمنه
وقيل هو فرعون آخر • وبخهم بان يوسف اتاكم بالمعجزات فشككتم فيها ولم تزالوا شاكين كافرين حتى
اذا قبض قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا حكما من عند انفسكم من غير برهان وتقدمة عزم منكم
على تكذيب الرسل فاذا جاءكم رسول جحدتم وكذبتم بناء على حكمكم الباطل الذي اسستموه وليس قولهم
لن يبعث الله من بعده رسولا بتصديق لرسالة يوسف وكيف وقد شكوا فيها وكفروا بها وانما هو تكذيب
لرسالة من بعده مضموم الى تكذيب رسالته وقرئ ألن يبعث الله على ادخال همزة الاستفهام على
حرف النفي كأن بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث ثم قال كذلك اي مثل هذا الخذلان المبين يخذل
الله كل مسرف في عصيانه مرتاب في دينه الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اتاهم كبر
مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار الذين يجادلون بدل من من هو
مسرف فان قلت كيف جاز ابداله منه وهو جمع وذاك موحد قلت لانه لا يريد مسرفا واحدا
فكأنه قال كل مسرف • فان قلت فما فاعل كبر قلت ضمير من هو مسرف فان قلت
ما قلت هو جمع ولهذا ابدلت منه الذين يجادلون قلت بلى هو جمع في المعنى واما اللفظ فموحد
فحمل البدل على معناه والضمير الراجع اليه على لفظه وليس ببدع ان يحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى
وله نظائر ويجوز ان يرفع الذين يجادلون على الابتداء ولا بد في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع اليه الضمير
في كبر تقديره جدال الذين يجادلون كبر مقتا • ويحتمل ان يكون الذين يجادلون مبتدأ وبغير سلطان
اتاهم خبرا وفاعل كبر قوله • كذلك اي كبر مقتا مثل ذلك الجدال ويطبع الله كلام مستأنف
ومن قال كبر مقتا عند الله جدالهم فقد حذف الفاعل والفاعل لا يصح حذفه • وفي كبر مقتا
ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم • والشهادة على خروجه من حد اشكاله وقرئ سلطان بضم
اللام وقرئ • قلب بالتنوين ووصف القلب بالتكبر والتجبر لانه مركزهما ومنبعهما كما
تقول رأت العين وسمعت الاذن ونحوه قوله سبحانه وتعالى فانه آثم قلبه وان كان الآثم هو
الجملة ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي على كل ذي قلب متكبر بجعل الصفة لصاحب القلب
وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات والارض فاطلع الى اله
موسى واني لاظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد
فرعون الا في تباب قيل الصرح البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وان بعد اشتقوه من صرح
الشيء اذا ظهر اسباب السموات طرقها وابوابها وكل ما اداك الى شيء فهو سبب اليه كالرشاء ونحوه فان
قلت ما فائدة هذا التكرير ولو قيل لعلي ابلغ اسباب السموات لاجزى قلت اذا ابهم الشيء
ثم اوضح كان تفخيما لشأنه فلما اراد تفخيم ما امل بلوغه من اسباب السموات ابهمها ثم اوضحها ولانه
لما كان بلوغها امرا عجيبا اراد ان يورده على نفس متشوقة اليه ليعطيه السامع حقه من التعجب

فأبينه ليشرف إليه نفس هامان ثم أوضحه وقرئ فأطّلع بالنصب على جواب الترجي تشبيهاً للترجي بالتمني ومثل
ذلك التزيين وذلك الصد وصد عن السبيل والمزين إما الشيطان بوسوسته كقوله تعالى وزين لهم الشيطان أعمالهم
فصدهم عن السبيل أو الله تعالى على وجه التسبب لأنه مكن الشيطان وأمهله ومثله زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون
وقرئ زين له سوء عمله على البناء للفاعل والفعل لله عز وجل دل عليه قوله إلى إله موسى وصد بفتح الصاد
وضمها وكسرها على نقل حركة العين إلى الفاء كما قيل قيل والتباب الخسران والهلاك وصد مصدر
معطوف على سوء عمله وصدوا هو وقومه وقال الذي آمن يا قوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد يا قوم
إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار قال أهدكم سبيل الرشاد فأجمله لهم ثم فسره
فافتتح بذم الدنيا وتصغير شأنها لأن الإخلاد إليها هو أصل الشر كله ومنه يتشعب جميع ما يؤدي
إلى سخط الله وتجلب الشقاوة في العاقبة وثنى بتعظيم الآخرة والاطلاع على حقيقتها وأنها هي الوطن
والمستقر وذكر الأعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منهما ليثبط عما يتلف وينشط لما يزلف ثم وازن
بين الدعوتين دعوته إلى دين الله الذي ثمرته النجاة ودعوتهم إلى اتخاذ الأنداد الذي عاقبته النار
وحذر وأنذر واجتهد في ذلك واحتشد لا جرم أن الله استثناه من آل فرعون وجعله حجة
عليهم وعبرة للمعتبرين وهو قوله تعالى فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء
العذاب وفي هذا أيضاً دليل بين على أن الرجل كان من آل فرعون والرشاد نقيض الغي وفيه
تعريض شبه بالتصريح أن ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الغي من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها
ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب
فلا يجزى إلا مثلها لأن الزيادة على مقدار جزاء السيئة قبيحة لأنها ظلم وأما الزيادة على مقدار
جزاء الحسنة فحسنة لأنها فضل وقرئ يُدخَلون ويَدخُلون بغير حساب واقع في مقابلة إلا مثلها
يعني أن جزاء السيئة له حساب وتقدير لئلا يزيد على الاستحقاق فأما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير
وحساب بل ما شئت من الزيادة على الحق والكثرة والسعة ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة
وتدعونني إلى النار فإن قلت لم كرر نداء قومه ولم جاء بالواو في النداء الثالث دون
الثاني قلت أما تكرير النداء ففيه زيادة تنبيه لهم وإيقاظ عن سنة الغفلة وفيه أنهم قومه
وعشيرته وهم فيما يوبقهم وهو يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه واجبة فهو يتحزن لهم ويتلطف بهم
ويستدعي بذلك أن لا يتهموه فإن سرورهم سروره وغمهم غمه وينزلوا على تنصيحه لهم كما كرر إبراهيم
عليه الصلاة والسلام في نصيحة أبيه يا أبت وأما المجيء بالواو العاطفة فلأن الثاني داخل على كلام
بيان للمجمل وتفسير له فأعطي الداخل عليه حكمه في امتناع دخول الواو وأما الثالث فعلى كلام ليس بتلك
المثابة تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار يقال دعاه
إلى كذا ودعاه له كما يقال هداه إلى الطريق وهداه له به علم أي بربوبيته والمراد بنفي العلم نفي
المعلوم كأنه قال وأشرك به ما ليس بإله وما ليس بإله كيف يصح أن يعلم إلهاً لا جرم أنما تدعونني
إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردنا إلى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار
لا جرم سياقه على مذهب البصريين أن يجعل لا رداً لما دعاه إليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وأن

مع ما في حيزه فاعله اي حق ووجب بطلان دعوته او بمعنى كسب من قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم اي كسب
ذلك الدعاء اليه بطلان دعوته على معنى انه ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته ويجوز ان يقال ان
لا جرم نظير لا بد فعل من الجرم وهو القطع كما ان بد فعل من التبديد وهو التفريق وكما ان معنى لا بد
انك تفعل كذا بمعنى لا بد لك من فعله فكذلك لا جرم ان لهم النار اي لا قطع لذلك بمعنى انهم ابدا
يستحقون النار لا انقطاع لاستحقاقهم ولا قطع لبطلان دعوة الاصنام اي لا تزال باطلة لا ينقطع
ذلك فينقلب حقا وروي عن العرب لا جرم انه يفعل بضم الجيم وسكون الراء بزنة بد وفعل
وفعل اخوان كرشد ورشد وعدم وعدم ليس له دعوة معناه انما تدعونني اليه ليس له دعوة الى
نفسه قط اي من حق المعبود بالحق ان يدعو العباد الى طاعته ثم يدعو العباد اليها اظهارا لدعوة
ربهم وما تدعون اليه والى عبادته لا يدعو هو الى ذلك ولا يدعي الربوبية ولو كان حيوانا ناطقا
لضج من دعائكم وقوله في الدنيا ولا في الآخرة يعني انه في الدنيا جماد لا يستطيع شيئا من دعاء وغيره
وفي الآخرة اذا انشأه الله حيوانا تبرأ من الدعاء اليه ومن عبدته وقيل معناه ليس له استجابة دعوة
تنفع في الدنيا وفي الآخرة او دعوة مستجابة جعلت الدعوة التي لا استجابة لها ولا منفعة كلا دعوة او سميت
الاستجابة باسم الدعوة كما سمي الفعل المجازى عليه باسم الجزاء في قولهم كما تدين تدان قال
الله سبحانه وتعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء و المسرفين عن قتادة
المشركين وعن مجاهد السفاكين للدماء بغير حلها وقيل الذين غلب شرهم خيرهم هم المسرفون فستذكرون
ما اقول لكم وافوض امري الى الله ان الله بصير وقرئ فستذكرون اي فسيذكر بعضكم بعضا وافوض
امري الى الله لانهم توعدوه فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار
يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب فوقاه
الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم وما هموا به من الحاق انواع العذاب بمن خالفهم وقيل نجا مع موسى
وحاق بآل فرعون ما هموا به من تعذيب المسلمين ورجع عليهم كيدهم والنار بدلا من سوء العذاب او خبر
مبتدأ محذوف كان قائلا قال ما سوء العذاب فقيل هو النار او مبتدأ خبره يعرضون عليها وفي هذا
الوجه تعظيم للنار وتهويل من عذابها وعرضهم عليها احراقهم بها يقال عرض الامام الاسارى
على السيف اذا قتلهم به وقرئ النار بالنصب وهي تعضد الوجه الاخير وتقديره يدخلون النار
يعرضون عليها ويجوز ان ينتصب على الاختصاص غدوا وعشيا في هذين الوقتين يعذبون
بالنار وفيما بين ذلك الله اعلم بحالهم فاما ان يعذبوا بجنس آخر من العذاب او ينفس عنهم ويجوز
ان يكون غدوا وعشيا عبارة عن الدوام هذا ما دامت الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم ادخلوا
يا آل فرعون اشد عذاب جهنم وقرئ ادخلوا آل فرعون اي يقال لخزنة جهنم ادخلوهم
فان قلت قوله وحاق بآل فرعون سوء العذاب معناه انه رجع عليهم ما هموا به من المكر
بالمسلمين كقول العرب من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا فاذا فسر سوء العذاب بنار جهنم
لم يكن مكرهم راجعا عليهم لانهم لا يعذبون بجهنم قلت يجوز ان يهم الانسان بان يغرق قوما فيحرق
بالنار وقول المؤمن وان المسرفين هم اصحاب النار فيفعل بهم نحو ما فعل نمرود ويعذبهم بالنار فحاق به

مثل

مثل ما اضمر وهو بعلمه ويستدل بهذه الاية على اثبات عذاب القبر واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء
للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار وقت يتحاجون تبعا تبا عا كخدم
في جمع خادم او ذوي تبع اي اتباع او وصفا بالمصدر قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم
بين العباد وقرئ كلا على التاكيد لاسم ان وهو معرفة والتنوين عوض من المضاف اليه يريد
انا كلنا او كلنا فيها فان قلت هل يجوز ان يكون كلا حالا قد عمل فيها فيها قلت لا لان الظرف
لا يعمل في الحال متقدمة كما يعمل في الظرف متقدما تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول قائما في
الدار زيد ان الله قد حكم بين العباد قضى بينهم وفصل بان ادخل اهل الجنة واهل النار النار
وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب لخزنة جهنم للقوام
بتعذيب اهلها فان قلت هلا قيل الذين في النار جهنام تسميه بها لزعمهم لان في ذكر جهنم
تهويلا وتعظيما • ويحتمل ان جهنم هي ابعد النار قعرا من قولهم بير جهنام بعيدة القعر وقولهم
في النابغة • جهنام تسميه لزعمهم انه يلقي الشعر على لسان المنتسب اليه فهو بعيد الغور
في علمه بالشعر كما • قال ابو نواس في خلف • الاحمر فليدم من العياليم الخسف • وفيها
اعني الكفار واطغاهم فلعل الملايكة الموكلين بعذاب اوليك اجوب دعوة لزيادة قربهم
من الله تعالى فلهذا تعمدهم اهل النار بطلب الدعوة منهم قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات
قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال اولم تك تاتيكم الزام للحجة وتوبيخ وانهم
خلفوا وراءهم اوقات الدعاء والتضرع وعطلوا الاسباب التي يستجيب الله لها الدعوات قالوا فادعوا
انتم فانا لا نجترئ على ذلك ولا نشفع الا بشرطين كون المشفوع له غير ظالم والاذن في الشفاعة
مع مراعاة وقتها وذلك قبل الحكم الفاصل بين الفريقين وليس قولهم فادعوا لرجاء المنفعة ولكن للدلالة
على الخيبة فان الملك المقرب اذا لم يسمع دعاؤه فكيف يسمع دعاء الكافر انا لننصر رسلنا والذين امنوا
في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار في
الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد اي في الدنيا والاخرة يعني انه يغلبهم في الدارين جميعا بالحجة والظفر
على مخالفيهم وان غلبوا في الدنيا في بعض الاحايين امتحانا من الله فالعاقبة لهم ويتيح الله من يقتص من
اعدائهم ولو بعد حين والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب يريد الحفظة من الملايكة والانبياء
والمومنين من امة محمد صلى الله عليه وسلم لتكونوا شهداء على الناس واليوم الثاني بدل من الاول
يحتمل انهم يعتذرون بمعذرة ولكن لا تنفع لانها باطلة وانهم لو جاءوا بمعذرة لم تكن مقبولة لقوله
سبحانه وتعالى • ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولهم اللعنة البعد من رحمة الله ولهم سوء الدار اي
سوء دار الاخرة وهو عذابها وقرئ تقوم بالياء والتاء ولا تنفع ولقد اتينا موسى الهدى واورثنا بني
اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لاولي الالباب يريد بالهدى جميع ما اتاه في باب الدين من
المعجزات والتورية والشرايع واورثنا وتركنا على بني اسرائيل من بعده الكتاب اي التورية هدى
وذكرى ارشادا وتذكرة وانتصابهما على المفعول له او على الحال واولوا الالباب المومنون به
العاملون بما فيه فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار

فاصبر إن وعد الله حق يعني أن نصرة الرسل في ضمان الله وضمان الله لا يخلف واستشهد بموسى عليه الصلاة والسلام وما آتاه
من أسباب الهدى والنصرة على فرعون وجنوده وإبقاء آثار هداه في بني إسرائيل والله ناصرك كما نصرهم ومظفرك
على الدين كله ومبلغ ملك أمتك مشارق الأرض ومغاربها فاصبر على ما يجرع قومك من الغصص فإن العاقبة
لك وما سبق به وعدي من نصرتك وإعلاء كلمتك حق وأقبل على التقوى واستدرك الفرطات بالاستغفار
ودم على عبادة ربك والثناء عليه بالعشي والإبكار وقيل هما صلاتا العصر والفجر إن الذين يجادلون في آيات
الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير
إن في صدورهم إلا كبر إلا تكبر وتعظم وهو إرادة التقدم والرياسة وأن لا يكون أحد فوقهم ولذلك عادوك
ودفعوا آياتك خيفة أن تتقدمهم ويكونوا تحت يدك وأمرك ونهيك لأن النبوة تحتها كل ملك ورياسة أو إرادة
أن تكون لهم النبوة دونك حسدا وبغيا ويدل عليه قوله تعالى لو كان خيرا ما سبقونا إليه أو إرادة دفع الآيات
بالجدال وما هم ببالغيه أي ببالغي موجب الكبر ومقتضيه وهو متعلق إرادتهم من الرياسة أو النبوة أو دفع الآيات
وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون يخرج صاحبنا المسيح بن داود يريدون الدجال ويبلغ سلطانه البر والبحر
وتسير معه الأنهار وهو آية من آيات الله ويرجع إلينا الملك فسمى الله تمنيهم ذلك كبرا ونفى أن
يبلغوا متمناهم فاستعذ بالله فالتجئ إليه من كيد من يحسدك ويبغي عليك إنه هو السميع لما يقولون
ويقولون البصير بما تعمل ويعملون فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم لخلق السماوات والأرض
أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون فإن قلت كيف اتصل قوله لخلق السماوات والأرض
بما قبله قلت إن مجادلتهم في آيات الله كانت مشتملة على إنكار البعث وهو أصل المجادلة ومدارها
فحجوا بخلق السماوات والأرض لأنهم كانوا مقرين بأن الله خالقها وبأنها خلق عظيم لا يقادر قدره وخلق
الناس بالقياس إليه شيء قليل مهين فمن قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الإنسان مع مهانته أقدر وهو
أبلغ من الاستشهاد بخلق مثله لا يعلمون لأنهم لا ينظرون ولا يتأملون لغلبة الغفلة عليهم واتباعهم
أهواءهم وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما يتذكرون
ضرب الأعمى والبصير مثلا للمحسن والمسيء وقرئ يتذكرون بالياء والتاء والتاء أعم إن الساعة لآتية
لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون لا ريب فيها لا بد من مجيئها ولا محالة وليس بمرتاب
فيها لأنه لا بد من جزاء ولا يؤمنون لا يصدقون بها وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون
عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ادعوني اعبدوني والدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن ويدل عليه
قوله تعالى إن الذين يستكبرون عن عبادتي والاستجابة الإثابة وفي تفسير مجاهد اعبدوني أثبكم
وعن الحسن رحمة الله عليه وقد سئل عنها اعملوا وأبشروا فإنه حق على الله أن يستجيب للذين آمنوا
وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وعن الثوري رحمة الله عليه أنه قيل له ادع الله فقال
إن ترك الذنوب هو الدعاء وفي الحديث إذا شغل عبدي طاعتي عن الدعاء أعطيته أفضل ما
أعطي السائلين وروى النعمان بن بشير رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو
العبادة وقرأ هذه الآية ويجوز أن يريد الدعاء والاستجابة على ظاهرها ويريد بعبادتي دعائي لأن
الدعاء باب من العبادة ومن أفضل أبوابها يصدقه قول ابن عباس رضي الله عنهما أفضل العبادة

الدعاء ❊ وعن كعب اعطي الله هذه الامة ثلث خلال لم يعطهن الا نبيا مرسلا كان يقول لكل نبي انت شاهدي
على خلقي وقال لهذه الامة لتكونوا شهداء على الناس وكان يقول ما عليك من حرج وقال
لنا ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج وكان يقول ادعني استجب لك وقال لنا ادعوني استجب لكم
وعن ابن عباس رضي الله عنهما وحدوني اغفر لكم وهذا تفسير للدعا بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد
الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون
مبصرا من الاسناد المجازي لان الابصار في الحقيقة لاهل النهار فان قلت لم قرن الليل بالمفعول
له والنهار بالحال وهلا كانا حالين او مفعولا لهما فيراعى حق المقابلة قلت هما متقابلان من حيث
المعنى لان كل واحد منهما يؤدي مؤدى الآخر ولانه لو قيل لتبصروا فيه فاتت الفصاحة التي في
الاسناد المجازي ولو قيل ساكنا والليل يجوز ان يوصف بالسكون على الحقيقة الا ترى الى
قوله ليل ساج وساكن لا ريح فيه لم يتميز للحقيقة من المجاز فان قلت فهلا قيل
لمفضل او لمتفضل قلت لان الغرض تنكير الفضل وان يجعل فضلا لا يوازيه فضل وذلك انما
يستوي بالاضافة فان قلت فلو قيل ولكن اكثرهم ولا يشكرون فكرر ذكر الناس قلت في هذا التكرير تخصيص
لكفران النعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله تعالى ان الانسان لكفور
ان الانسان لربه لكنود ان الانسان لظلوم كفار ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو فانى تؤفكون كذلك
يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون ذلكم المعلوم المتميز بالافعال الخاصة التي لا يشاركه فيها احد
هو الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اخبار مترادفة اي هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وخلق كل
شيء والانشاء لا يمتنع عليه شيء والوحدانية لا ثاني له فانى تؤفكون فكيف ومن اي وجه تصرفون عن
عبادته الى عبادة الاوثان ثم ذكر ان كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها ولم يكن فيه همة طلب الحق
وخشية العاقبة أفك كما افكوا وقرئ خالق كل شيء نصبا على الاختصاص ويؤفكون بالتاء والياء الله الذي
جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك
الله رب العالمين هذه ايضا دلالة اخرى على تميزه بافعال خاصة وهي انه جعل الارض مستقرا والسماء بناء
اي قبة ومنه ابنية العرب لمضاربهم لان السماء في منظر العين كقبة مضروبة على وجه الارض
فاحسن صوركم وقرئ بكسر الصاد والمعنى واحد قيل لم يخلق حيوانا احسن صورة من الانسان
وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم كقوله تعالى في احسن تقويم هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين
له الدين الحمد لله رب العالمين فادعوه فاعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة من الشرك والرياء
قائلين الحمد لله رب العالمين وعن ابن عباس رضي الله عنهما من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها
الحمد لله رب العالمين قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي
وامرت ان اسلم لرب العالمين فان قلت اما نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبادة الاوثان
بادلة العقل حتى جاءته البينات من ربه قلت بلى ولكن البينات لما كانت مقوية لادلة العقل
ومؤكدة لها ومضمنة ذكرها نحو قوله تعالى اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون واشباه
ذلك من التنبيه على ادلة العقل كان ذكر البينات ذكرا لادلة العقل والسمع جميعا وانما ذكر ما يدل على الامرين

جميعًا لان دكو تناصر الادلة ادلة العقل وادلة السمع اقوى في ابطال مذهبهم وان كانت ادلة العقل وحدها
كافية هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم
ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا اجلا مسمى ولعلكم تعقلون لتبلغوا اشدكم
متعلق بفعل محذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك لتكونوا واما ولتبلغوا اجلا مسمى وهو وقت
الموت وقيل يوم القيمة وقرئ شيوخا بكسر الشين وشيخا على التوحيد كقوله طفلا والمعنى كل واحد
منكم او اقتصر على الواحد لان الغرض بيان الجنس من قبل من قبل الشيخوخة او من قبل هذه الاحوال اذا
خرج سقطا ولعلكم تعقلون ما في ذلك من العبر والحجج هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فانما يقول
له كن فيكون فاذا قضى امرا فانما يكونه من غير كلفة ولا معاناة جعل هذا نتيجة من قدرته على الاحياء
والاماتة وسائر ما ذكر من افعاله الدالة على انه مقدور لا يمتنع عليه كانه قال فلذلك من الاقتدار اذا قضى
امرا كان اهون شيء واسرعه الم تر الى الذين يجادلون في ايات الله انى يصرفون الذين كذبوا بالكتاب
وبما ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في
النار يسجرون بالكتاب بالقرآن وبما ارسلنا رسلنا من الكتب فان قلت وهل قوله تعالى فسوف
يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم الا مثل قولك سوف اصوم امس قلت المعنى على اذا الا ان الامور
المستقبلة لما كانت في اخبار الله تعالى متيقنة مقطوعا بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال
وعن ابن عباس رضي الله عنهما والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على عطف الجملة الفعلية على الاسمية
وعنه رضي الله عنه والسلاسل يسحبون بجر السلاسل ووجهه انه لو قيل اذ اعناقهم في الاغلال مكان
قوله تعالى اذ الاغلال في اعناقهم لكان صحيحا مستقيما فلما كانتا عبارتين متعقبتين حمل قوله والسلاسل
على العبارة الاخرى ونظيره مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب كانه قيل بمصلحين وقرئ
وبالسلاسل يسحبون في النار مملوءة بها اجوافهم يسجرون من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه البحر المسجور كانه
بحر بالحبت اي ملئ ومعناه انهم في النار فهي محيطة بهم وهم مسجورون بالنار مملوءة بها اجوافهم ومنه
قوله تعالى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة اللهم اجرنا من نارك فانا عائذون بجوارك
ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن من قبل كذلك يضل الله الكافرين
ضلوا عنا غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا ننتفع بهم فان قلت اما ذكرت في تفسير قوله تعالى انكم
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انهم مقرونون بالهتهم فكيف يكونون معهم وقد ضلوا عنهم
قلت يجوز ان يضلوا عنهم اذ وبخوا اذا قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله فيغيثوكم ويشفعوا
لكم وان يكونوا معهم في سائر الاوقات وان يكونوا معهم في جميع اوقاتهم الا انهم لما لم ينفعوهم فكانوا
ضالين عنهم بل لم نكن ندعو من قبل شيئا اي تبين لنا انهم لم يكونوا شيئا وما كنا نعبد بعبادتهم
شيئا كما تقول حسبت ان فلانا شيء فاذا هو ليس بشيء اذا خبرته فلم تر عنده خيرا كذلك يضل الله
الكافرين مثل ضلال الهتهم عنهم يضلهم عن الهتهم حتى لو طلبوا الالهة لم يتصادفوا ذلكم بما كنتم
تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ذلكم الاضلال بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق
وهو الشرك وعبادة الاوثان ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ادخلوا ابواب جهنم

مقابلة

بلغ مقابلة

السبعة المسوّمة لكم قال الله سبحانه وتعالى لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم • خالدين مقدّرين
بالخلود فبئس مثوى المتكبرين عن الحق المستخفّين به مثواكم وجهنم فان قلت أليس قياس النظم ان يقال
فبئس مدخل المتكبرين كما تقول زر بيت الله فنعم المزار وصلّ في المسجد الحرام فنعم المصلّى قلت
الدخول المؤقت بالخلود في معنى الثواء. فاصبر ان وعد الله حق فاما نرينّك بعض الذي نعدهم
او نتوفينّك فالينا يرجعون فاما نرينك اصله فان نرك وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط ولذلك
ألحقت النون بالفعل ألا تراك لا تقول إن تكرمني أكرمك ولكن إما تكرمنّي أكرمك فان
قلت لا يخلو إما أن تعطف او نتوفينك على نرينك وتشركهما في جزاء واحد وهو قوله فالينا
يرجعون فقولك فاما نرينك بعض الذي نعدهم فالينا يرجعون غير صحيح وان جعلت فالينا
يرجعون مختصا بالمعطوف الذي هو نتوفينك بقي المعطوف عليه بغير جزاء قلت فالينا يرجعون
متعلق بنتوفينك وجزاء نرينك محذوف تقديره فاما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب
وهو القتل والاسر يوم بدر فذاك او ان نتوفينك قبل يوم بدر فالينا يرجعون يوم القيمة
فننتقم منهم اشد الانتقام ونحوه قوله تعالى فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون او نرينك الذي
وعدناهم فانا عليهم مقتدرون. ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص
عليك وما كان لرسول ان يأتي باية الا باذن الله فاذا جاء امر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون
ومنهم من لم نقصص عليك قيل بعث الله ثمانية آلاف نبي اربعة آلاف من بني اسرائيل واربعة آلاف من سائر
الناس • وعن علي رضي الله عنه ان الله بعث نبيا اسود فهو ممن لم نقصص عليه وهذا في اقتراحهم الايات
على رسول الله عنادا يعني انا قد ارسلنا كثيرا من الرسل وما كان لواحد منهم ان يأتي باية الا باذن الله
فمن لي بان آتي باية مما تقترحونه الا ان يشاء الله ويأذن في الاتيان بها فاذا جاء امر الله وعيد ورد عقيب
اقتراح الايات وامر الله القيمة والمبطلون المعاندون الذين اقترحوا الايات وقد اتتهم الايات فانكروها
وسموها سحرا. الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها
حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون الانعام الابل خاصة فان قلت لم قال لتركبوا منها
ولتبلغوا عليها ولم يقل لتأكلوا منها ولتصلوا الى منافع او هلا قال منها تركبون ومنها تأكلون وتبلغون
عليها حاجة في صدوركم قلت في الركوب الركوب في الحج والغزو وفي بلوغ الحاجة الهجرة من بلد
الى بلد لاقامة دين او طلب علم وهذه اغراض دينية اما واجبة او مندوب اليها مما يتعلق به
ارادة الحكيم واما الاكل واصابة المنافع فمن جنس المباح الذي لا يتعلق به ارادته ومعنى قوله
تعالى وعليها وعلى الفلك تحملون وعلى الانعام وحدها لا تحملون ولكن عليها وعلى الفلك في البر والبحر
فان قلت هلا قيل وفي الفلك كما قال قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين قلت
معنى الايعاء ومعنى الاستعلاء كلاهما مستقيم لان الفلك وعاء لمن يكون فيها حمولة له يستقلها فلما
صح المعنيان صحت العبارتان وايضا فليطابق قوله وعليها ويزاوجه. ويريكم آياته فاي آيات
الله تنكرون فاي آيات الله جاءت على اللغة المستفيضة وقولك فايّة آيات الله قليل لان التفرقة بين
المذكر والمؤنث في الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي في أيّ أغرب لابهامه افلم يسيروا

في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض فما أغنى
عنهم ما كانوا يكسبون وآثارا قصورهم ومصانعهم وقيل مشيهم بأرجلهم لعظم أجرامهم فما أغنى عنهم ما
نافية أو مضمنة معنى الاستفهام ومحلها النصب والثانية موصولة أو مصدرية ومحلها الرفع يعني
أي شيء أغنى عنهم مكسوبهم أو كسبهم فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما
كانوا به يستهزءون فرحوا بما عندهم من العلم فيه وجوه منها أنه أراد العلم الوارد على طريق التهكم
في قوله تعالى بل ادارك علمهم في الآخرة وعلمهم في الآخرة أنهم كانوا يقولون لا نبعث ولا نعذب
وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت
إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به البينات وعلم الأنبياء كما قال
عز وجل كل حزب بما لديهم فرحون ومنها أن يريد علم الفلاسفة والدهريين من بني يونان
وكانوا إذا سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا علم الأنبياء إلى علمهم وعن سقراط أنه سمع بموسى عليه الصلاة
والسلام وقيل له لو هاجرت إليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا إلى من يهذبنا ومنها أن يوضع
قوله فرحوا بما عندهم من العلم ولا علم عندهم البتة موضع قوله لم يفرحوا بما جاءهم من العلم مبالغة
في نفي فرحهم بالوحي الموجب لأقصى الفرح والمسرة مع تهكم بفرط جهلهم وخلوهم من العلم ومنها
أن يراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به كأنه قال استهزءوا بالبينات وبما جاءوا
به من علم الوحي فرحين مرحين ويدل عليه قوله تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ومنها أن يجعل
الفرح للرسل ومعناه أن الرسل لما رأوا جهلهم المتمادي واستهزاءهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من
العقوبة على جهلهم واستهزائهم فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء
جهلهم ويجوز أن يريد بما فرحوا به من العلم علمهم بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال
تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ذلك مبلغهم من العلم فلما جاءهم الرسل
بعلوم الديانات وهي أبعد شيء من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ والشهوات لم يلتفتوا إليها
وصغروها واستهزءوا بها واعتقدوا أنه لا علم أنفع وأجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به فلما رأوا بأسنا
قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد
خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون البأس شدة العذاب ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس
فإن قلت أي فرق بين قوله فلم يك ينفعهم إيمانهم وبينه لو قيل فلم ينفعهم إيمانهم قلت
هو من كان في نحو قوله تعالى ما كان لله أن يتخذ من ولد والمعنى فلم يصح ولم يستقم أن ينفعهم فإن
قلت كيف ترادفت هذه الفاءات قلت أما قوله فما أغنى عنهم فهو نتيجة قوله تعالى كانوا
أكثر منهم وأما قوله تعالى فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فجار مجرى البيان والتفسير لقوله فما أغنى عنهم
كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن إلى الفقراء وقوله تعالى فلما رأوا بأسنا تابع لإيمانهم
لما رأوا بأس الله وسنة الله بمنزلة وعد الله وما أشبهه من المصادر المؤكدة وهنالك مكان مستعار
للزمان أي وخسروا وقت رؤية البأس وكذلك قوله تعالى وخسر هنالك المبطلون بعد قوله
فإذا جاء أمر الله قضي بالحق أي خسروا وقت مجيء أمر الله أو وقت القضاء بالحق عن رسول الله صلى

الله

الله عليه وسلم من قرا سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

سورة فصلت مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي خمس وخمسون آية

حم تنزيل من الرحمن الرحيم ان جعلت حم اسما للسورة كانت في موضع المبتدا وان جعلتها تعديدا للحروف
كان تنزيل خبر المبتدا محذوف كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون وكتاب بدل من تنزيل
او خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف ان يكون تنزيل مبتدا وكتاب خبره ووجهه ان تنزيلا تخصص
بالصفة فساغ وقوعه مبتدا فصلت آياته ميزت وجعلت تفاصيل في معان مختلفة من احكام
وامثال ومواعظ ووعد ووعيد وغير ذلك وقرئ فصلت اي فرقت بين الحق والباطل او فصل
بعضها من بعض باختلاف معانيها من قولك فصل من البلد قرآنا عربيا نصب على الاختصاص والمدح
اي اريد بهذا الكتاب المفصل قرآنا من صفته كيت وكيت وقيل هو نصب على الحال اي فصلت آياته
في حال كونه قرآنا عربيا لقوم يعلمون لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة
بلسانهم العربي المبين لا يلتبس عليهم شيء منه فان قلت بم يتعلق قوله لقوم يعلمون قلت يجوز ان
يتعلق بتنزيل من الله لاجلهم او فصلت آياته لهم والاجود ان يكون صفة مثل ما قبله وما بعده اي قرآنا
عربيا كائنا لقوم عرب لئلا يفرق بين الصلات والصفات بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون
وقرئ بشير ونذير صفة للكتاب او خبر مبتدا محذوف فهم لا يسمعون لا يقبلون ولا يطيعون
من قولك تشفعت الى فلان فلم يسمع قولي ولقد سمعه ولكنه لما لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكانه لم يسمعه
وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون
والاكنة جمع كنان وهو الغطاء والوقر بالفتح الثقل وقرئ بالكسر وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم
عن تقبل الحق واعتقاده كانها في غلف واغطية تمنع من نفوذه فيها كقوله تعالى وقالوا قلوبنا
غلف ومج اسماعهم له كان بها صمما عنه ولتباعد المذهبين والدينين كان بينهم وما هم عليه
وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هو عليه حجابا ساترا وحاجزا منيعا من جبل او نحوه فلا تلاقي
ولا ترائي فاعمل على دينك انا عاملون او فاعمل في ابطال امرنا اننا عاملون في ابطال امرك وقرئ
انا عاملون فان قلت هل لزيادة من في قوله ومن بيننا وبينك حجاب فائدة قلت نعم لانه لو
قيل وبيننا وبينك حجاب لكان المعنى ان حجابا حاصل وسط الجهتين واما بزيادة من فالمعنى ان الحجاب
ابتداء منا وابتداء منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها
فان قلت هلا قيل على قلوبنا اكنة كما قيل وفي آذاننا وقر ليكون الكلام على نمط واحد قلت
هو على نمط واحد لانه لا فرق في المعنى بين قولك قلوبنا في اكنة والدليل عليه قوله تعالى انا جعلنا

على قلوبهم اكنة • ولو قيل انا جعلنا قلوبهم في اكنة لم يختلف المعنى وترى المطابيع منهم لا يراعون الطباق
والملاحظة في المعاني قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه فان
قلت من اين كان قوله تعالى انما انا بشر مثلكم يوحى الي جوابا لقولهم قلوبنا في اكنة قلت من
حيث انه قال لهم اني لست بملك وانما انا بشر مثلكم وقد اوحي الي دونكم فصحت بالوحي الي وانا
بشر نبوتي • واذا صحت نبوتي وجب عليكم اتباعي • وفيما اوحي الي ان الهكم اله واحد فاستقيموا اليه
فاستووا اليه بالتوحيد • واخلاص العبادة • غير ذاهبين يمينا ولا شمالا • ولا ملتفتين الى ما يسول لكم
الشيطان من اتخاذ الاولياء والشفعاء وتوبوا اليه مما سبق لكم من الشرك واستغفروه • وقرئ قال
انما انا بشر وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم كافرون فان قلت لم خص
من اوصاف المشركين منع الزكوة مقرونا بالكفر بالاخرة قلت لان احب شيء الى الانسان ماله وهو
شقيق روحه فاذا بذله في سبيل الله فذلك اقوى دليل على ثباته واستقامته وصدق نيته ونصوع
طويته • الا ترى الى قوله عز وجل مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم
اي يثبتون انفسهم ويدلون على ثباتها بانفاق الاموال وما خدع المؤلفة قلوبهم الا بلمظة من الدنيا
فقرت عصبيتهم ولانت شكيمتهم واهل الردة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تظاهروا الا بمنع الزكوة
فنصبت لهم الحرب وجوهدوا وفيه بعث للمؤمنين على اداء الزكوة وتخويف شديد من منعها حيث جعل
المنع من اوصاف المشركين • وقرن بالكفر بالاخرة وهو الايمان ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم
اجر غير ممنون الممنون المقطوع وقيل لا يمن عليهم لانه انما يمن التفضل فاما الاجر فحق اداؤه وقيل نزلت
في المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون قل ائنكم لتكفرون
بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين ائنكم بهمزتين الثانية
بين بين وآئنكم بالف بين همزتين ذلك الذي قدر على خلق الارض في مدة يومين هو رب العالمين وجعل
فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين رواسي جبالا
ثوابت فان قلت ما معنى قوله من فوقها وهلا اقتصر على قوله تعالى وجعل فيها رواسي كقوله تعالى
وجعلنا فيها رواسي شامخات • وجعلنا في الارض رواسي • وجعل لها رواسي • المنافع في الجبال معرضة
لطالبها حاضرة لمحصليها • وليبصر ان الارض والجبال اثقال على اثقال كلها مفتقرة الى ممسك
لا بد لها منه وهو ممسكها عز وعلا بقدرته • وبارك فيها واكثر خيرها وانماه وقدر فيها اقواتها
ارزاق اهلها ومعايشهم وما يصلحهم وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وقسم فيها اقواتها
في اربعة ايام سواء فذلكة لمدة خلق الله الارض وما فيها كانه قال كل ذلك في اربعة ايام كاملة
مستوية بلا زيادة ولا نقصان • قيل خلق الارض في يوم الاحد • ويوم الاثنين • وما فيها يوم الثلثاء
ويوم الاربعاء • وقال الزجاج في اربعة ايام في تتمة اربعة يريد بالتتمة اليومين • وقرئ
سواء بالحركات الثلث الجر على الوصف والنصب على استوت سواء اي استواء والرفع على هي سواء فان
قلت بم تعلق قوله تعالى للسائلين قلت بمحذوف كانه قيل هذا الحصر لاجل من سال
في كم خلقت الارض وما فيها او بقدر اي قدر فيها الاقوات لاجل الطالبين المحتاجين اليها من المقتاتين

وهذا

وهذا الوجه الأخير لا يستقيم إلا تفسير الزجاج فإن قلت هلا قيل في يومين • وأي فائدة في هذه الفذلكة
قلت إذا قال في أربعة أيام وقد ذكر أن الأرض خلقت في يومين فبقيت الحاجة وقد يطلق اليومان على
أكثرهما لكان يجوز أن يريد باليومين • الأولين والآخرين أكثرهما ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال
لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ثم استوى إلى السماء من قولك استوى إلى مكان كذا إذا توجه إليه
توجها لا يلوي على شيء وهو من الاستواء الذي هو ضد الاعوجاج • ونحوه قولهم استقام إليه وامتد
إليه • ومنه قوله تعالى فاستقيموا إليه • والمعنى دعاه داعي الحكمة إلى خلق السماء بعد خلق الأرض
وما فيهما من غير صارف يصرفه عن ذلك قيل كان عرشه قبل خلق السموات والأرض على الماء • فأخرج
من الماء دخانا فارتفع فوق الماء وعلا عليه فأيبس الماء فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها أرضين ثم خلق
السماء والأرض بالإتيان وامتثالهما أنه أراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما أرادهما وكانتا في ذلك
كالمأمور المطيع إذا ورد عليه فعل الآمر المطاع وهو من المجاز الذي يسمى التمثيل ويجوز أن يكون تخييلا
ويبنى الأمر فيه على أن الله تعالى كلم السماء والأرض • وقال لهما ائتيا شئتما ذلك أو أبيتما
فقالتا أتينا على الطوع لا على الكره والغرض تصوير أثر قدرته في المقدورات لا غير من غير
أن يحقق شيء من الخطاب والجواب • ونحوه قول القائل قال
• الجدار للوتد لم تشقني • قال الوتد اسأل من يدقني • فلم يتركني ورائي •
الحجر الذي ورائي • فإن قلت لم ذكر الأرض مع السماء وانتظمهما في الأمر بالإتيان والأرض
مخلوقة قبل السماء بيومين قلت قد خلق جرم الأرض أولا غير مدحوة ثم دحاها بعد
خلق السماء كما قال تعالى والأرض بعد ذلك دحاها • والمعنى ائتيا على ما ينبغي أن تأتيا
عليه من الشكل والوصف ائتي يا أرض مدحوة قرارا ومهادا لأهلك وائتي يا سماء مقببة سقفا
لهم ومعنى الإتيان الحصول والوقوع كما تقول أتى عمله مرضيا وجاء مقبولا • ويجوز أن يكون
المعنى لتأت كل واحدة منكما صاحبتها الإتيان الذي أريده وتقتضيه الحكمة والتدبير من كون
الأرض قرارا للسماء وكون السماء سقفا للأرض وتنصره قراءة من قرأ آتيا وآتينا من المواتاة
وهي الموافقة أي لتوات كل واحدة أختها ولتوافقها قالتا وافقنا وساعدنا ويحتمل وفقا
أمري ومشيئتي • ولا تمتنعا فإن قلت ما معنى طوعا أو كرها قلت هو مثل للزوم
تأثير قدرته • وأن امتناعهما من تأثير قدرته محال كما يقول الجبار
لمن تحت يده لتفعلن هذا شئت أو أبيت ولتفعلنه طوعا أو كرها وانتصابهما على الحال
بمعنى طائعين أو مكرهين فإن قلت هلا قيل طائعتين على اللفظ أو طائعات على المعنى
لأنها سموات وأرضون قلت لما جعلن مخاطبات ومجيبات ووصفن بالطوع والكره
قيل طائعين في موضع طائعات • نحو قوله سبحانه وتعالى ساجدين فقضاهن سبع سموات
في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم
فقضاهن يجوز أن يرجع الضمير فيه إلى السماء على المعنى كما قال طائعين ونحوه أعجاز نخل خاوية
ويجوز أن يكون ضميرا مبهما مفسرا بسبع سموات والفرق بين النصبين أن أحدهما على الحال والثاني

على التمييز قيل خلق السموات وما فيها . ويجوز أن يكون ضميراً مبهماً مفسراً بسبع سموات . والفرق بين النصبين
أن احدهما في يومين في يوم الخميس والجمعة . وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم وهي
الساعة التي تقوم فيها القيامة . وفي هذا دليل على ما ذكرت أنه لو قيل في يومين في موضع أربعة أيام
سواء لم يعلم أنهما يومان كاملان أم ناقصان . فإن قلت فلو قيل خلق الأرض في يومين كاملين وقدر
فيها أقواتها في يومين كاملين . أو قيل بعد ذكر اليومين تلك أربعة سواء . قلت الذي أورده سبحانه
أحصر وأفصح وأحسن طباقاً لما عليه التنزيل من مغاصات القرائح ومصاك الركب ليتميز الفاضل من الناقص
والمتقدم من الناكص وترتفع الدرجات ويتضاعف الثواب . أمرها ما أمر به فيها ودبره من خلق الملائكة
والنيرات وغير ذلك أو شأنها وما يصلحها . وحفظا وحفظناها حفظا من المسترقة بالثواقب . ويجوز
أن يكون مفعولا على المعنى كأنه قال وخلقنا المصابيح زينة وحفظا **فإن أعرضوا فقل أنذرتكم
صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله قالوا لو
شاء ربنا لأنزل ملائكة فإنا بما أرسلتم به كافرون** فإن أعرضوا بعد ما تتلو عليهم من هذه الحجج على وحدانيته وقدرته
فحذرهم أن يصيبهم صاعقة أي عذاب شديد الوقع كأنه صاعقة . وقرئ صعقة مثل صعقة
عاد وثمود . وهي المرة من الصعق أو الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقاً فصعق صعقاً وهو من باب
فعلته ففعل من بين أيديهم ومن خلفهم أي أتوهم من كل جانب . واجتهدوا بهم واعملوا فيهم كل حيلة
فلم يروا منهم إلا العتو والإعراض كما حكى الله تعالى عن الشيطان لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم
يعني لآتينهم من كل جهة ولأعملن فيهم كل حيلة وتقول استدرت بفلان من كل جانب فلم يكن لي فيه
حيلة . وعن الحسن رحمة الله عليه أنذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الأمم وعذاب الآخرة لأنهم إذا
حذروهم ذلك فقد جاؤهم بالوعظ من جهة الزمن الماضي وما جرى فيه على الكافرين ومن جهة المستقبل
وما سيجري عليهم وقيل معناه إذ جاءتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم فإن قلت الرسل الذين من قبلهم
ومن بعدهم كيف يوصفون بأنهم جاؤهم وكيف يخاطبونهم بقولهم إنا بما أرسلتم به كافرون قلت
جاءهم هود وصالح داعيين إلى الإيمان بهما وبجميع الرسل ممن جاء من بين أيديهم أي من قبلهم وممن يجيء
من خلفهم أي من بعدهم فكأن الرسل جميعاً قد جاؤهم . وقولهم إنا بما أرسلتم به كافرون خطاب منهم
لهود وصالح عليهما الصلاة والسلام ولسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين دعوا إلى الإيمان
بهم . أن في أن لا تعبدوا بمعنى أي أو مخففة من الثقيلة أصله بأنه لا تعبدوا أي بأن الشأن
والحديث قولنا لكم لا تعبدوا ومفعول شاء محذوف أي لو شاء ربنا إرسال الرسل لأنزل ملائكة
فإنا بما أرسلتم به كافرون معناه فإذا أنتم بشر ولستم بملائكة فإنا لا نؤمن بكم . وبما جئتم به
وقولهم أرسلتم به ليس بإقرار بالإرسال وإنما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال
فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون . روي أن أبا جهل قال في ملأ من قريش قد التبس علينا أمر
محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم أتانا ببيان عن أمره فقال
عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة وعلمت من ذلك علما وما يخفى علي فأتاه فقال
أنت يا محمد خير أم هاشم . أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضللنا

وإن كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا وإن تك بك الباءة زوجناك عشر نسوة
تختارهن أي بنات قريش شئت وإن كان بك المال جمعنا لك ما تستغني به ورسول الله صلى الله عليه
وسلم ساكت فلما فرغ قال بسم الله الرحمن الرحيم حم إلى قوله مثل صاعقة عاد
وثمود فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش فلما احتبس عنهم
قالوا ما نرى عتبة إلا قد صبأ فانطلقوا إليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا إلا قد صبأت فغضب
وأقسم لا يكلم محمدا أبدا ثم قال والله لقد كلمته فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا
سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود أمسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكف ولقد علمتم أن محمدا
إذا قال شيئا لم يكذب فخفت أن ينزل عليكم العذاب **فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا
من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون** فاستكبروا
في الأرض أي تعظموا فيها على أهلها بما لا يستحقون به التعظيم وهو القوة وعظم الأجرام أو استعلوا في الأرض
واستولوا على أهلها بغير استحقاق للولاية من أشد منا قوة كانوا ذوي أجسام طوال وخلق عظيم
وبلغ من قوتهم أن الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده فإن قلت القوة هي الشدة
والصلابة في البنية وهي نقيضة الضعف وأما القدرة فما لأجله يصح الفعل من الفاعل
من تميز بذات أو بصحة بنية وهي نقيضة العجز والله سبحانه لا يوصف بالقوة إلا على معنى
القدرة فكيف صح قوله تعالى هو أشد منهم قوة وإنما يصح إذا أريد بالقوة في الموضعين
شيء واحد قلت القدرة في الإنسان هي صحة البنية والاعتدال والقوة هي الشدة والصلابة
في البنية وحقيقتها زيادة القدرة فكما صح أن يقال الله أقدر منهم جاز أن يقال أقوى منهم
بمعنى أنه يقدر لذاته على ما لا يقدرون عليه بازدياد قدرهم يجحدون كانوا يعرفون أنها حق ولكنهم
جحدوها كما يجحد المودع الوديعة وهو معطوف على فاستكبروا أي كانوا كفرة فسقة **فأرسلنا عليهم
ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم
لا ينصرون** الصرصر العاصفة التي تصرصر أي تصوت في هبوبها وقيل الباردة التي تحرق بشدة
بردها تكرير لبناء الصر وهو البرد الذي يصر أي يجمع ويقبض نحسات قرئ بكسر الحاء وسكونها
ونحس نحسا نقيض سعد سعدا وهو نحس وأما نحس فإما مخفف نحس أو صفة على فعل أو وصف بمصدر
وقرئ لنذيقهم على أن الإذاقة للريح أو للأيام النحسات وأضاف العذاب إلى الخزي وهو الذل
والاستكانة على أنه وصف للعذاب كأنه قال عذاب خزي كما تقول فعل السوء تريد الفعل
السيء والدليل عليه قوله تعالى ولعذاب الآخرة أخزى وهو من الإسناد المجازي ووصف العذاب
بالخزي أبلغ من وصفهم به ألا ترى إلى البون بين قوليك هو شاعر وله شعر شاعر **وأما ثمود فهديناهم
فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ونجينا الذين وكانوا
يتقون** وقرئ ثمود بالرفع والنصب منونا وغير منون والرفع أفصح لوقوعه بعد حرف الابتداء
وقرئ بضم الثاء فهديناهم فدللناهم على طريقي الضلالة والرشد كقوله تعالى وهديناه
النجدين فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا الدخول في الضلالة على الدخول في الرشد فإن قلت

أليس معنى هديته حصلت فيه الهدى • والدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول
ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة قلت الدلالة على انه مكنتهم وازحت عللهم
ولم يبق لهم عذرا ولا علة فكانه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها • صاعقة العذاب
داهية العذاب وقارعة العذاب • والهون الهوان وصف به العذاب مبالغة او ابدله منه ولو لم
يكن في القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الامة بشهادة نبيها صلى الله عليه وسلم • وكفى به
شاهدا الا هذه لكفى بها حجة • ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون قرئ يحشر على البناء للمفعول
ونحشر بالنون وضم الشين وكسرها ويحشر على البناء للفاعل اي يحشر الله عز وجل • اعداء الله ٥
الكفار • من الاولين والآخرين • يوزعون اولهم على آخرهم • اي يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم توالیهم
وهي عبارة عن كثرة اهل النار • نسأل الله ان يجيرنا منها بسعة رحمته حتى اذا ما جاؤها شهد
عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله
الذي انطق كل شيء وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون فان قلت ما في قوله تعالى حتى اذا ما جاؤها
ما هي قلت مزيدة للتأكيد ومعنى التأكيد فيها ان وقت مجيئهم النار لا محالة ان يكون وقت الشهادة
عليهم ولا وجه ان يخلو منها • ومثله قوله تعالى اثم اذا ما وقع آمنتم به الآن اي لا بد لوقت وقوعه
من ان يكون وقت ايمانهم به • شهادة الجلود بالملامسة الحرام وما اشبه ذلك مما يفضي اليها من المحرمات
فان قلت كيف تشهد عليهم اعضاؤهم وكيف تنطق قلت الله عز وجل ينطقها كما انطق الشجرة
بان يخلق فيها كلاما • وقيل المراد بالجوارح • وقيل هي كناية عن الفروج • اراد بكل شيء من الحيوان
كما اراد به قوله تعالى • والله على كل شيء قدير كل شيء من المقدورات • والمعنى انطقنا ليس بعجب
من قدرة الله الذي قدر على انطاق كل حيوان وعلى خلقكم وانشائكم • اول مرة • وعلى اعادتكم
ورجعكم الى جزائه • وانما قالوا لهم لم شهدتم علينا لما تعاظمهم من شهادتها • وكبر عليهم • من
الافتضاح على السنة جوارحهم وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم
ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون المعنى انكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب
الفواحش • وما كان استتاركم ذلك خيفة • ان يشهد عليكم جوارحكم لانكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم
بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء اصلا • ولكنكم انما استترتم لظنكم • ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون •
وهو الخفيات من اعمالكم وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين وذلكم الظن
هو الذي اهلككم وفي هذا تنبيه على ان من حق المؤمن ان لا يذهب عنه ولا يزل عن ذهنه ان
عليه من الله عينا كالئة ورقيبا مهيمنا حتى يكون في اوقات خلواته من ربه اهيب واحسن احتشاما
واوفر تحفظا • وتصونا منه مع الملأ • ولا يتبسط في سره مراقبة من التشبه بهؤلاء الظانين • وقرئ
ولكن زعمتم • وذلكم رفع بالابتداء • وظنكم وارداكم خبران • ويجوز ان يكون ظنكم بدلا من ذلكم
وارداكم الخبر فان يصبروا فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا فما هم من المعتبين فان يصبروا لم ينفعهم
الصبر • ولم ينفكوا به من الثواء في النار • وان يستعتبوا وان يسألوا العتبى وهي الرجوع لهم الى ما
يحبون جزعا مما هم فيه لم يعتبوا لم يعطوا العتبى • ولم يجابوا اليها • ونحوه قوله تعالى اجزعنا

أو صبرنا ما لنا من محيص • وقرئ وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين أي إن سألوا أن يرضوا ربهم فما هم فاعلون أي لا سبيل لهم إلى ذلك • وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين • وقيضنا لهم يعني لمشركي مكة يقال هذان ثوبان قيضان إذا كانا متكافئين والمقايضة المعاوضة قرناء أخدانا من الشياطين جمع قرين لقوله عز وجل ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين • فإن قلت كيف جاز أن يقيض لهم القرناء من الشياطين والدليل عليه ومن يعش نقيض • ما بين أيديهم وما خلفهم ما تقدم من أعمالهم • وما هم عازمون عليها أو ما بين أيديهم من أمر الدنيا واتباع الشهوات • وما خلفهم من أمر العاقبة وأن لا بعث ولا حساب • وحق عليهم القول يعني كلمة العذاب • في جملة أمم ومثل في هذه • ما في قوله • إن تك أحسن الصنيعة مأفوكا ففي آخرين قد أفكوا • يريد فأنت في جملة آخرين • وأنت في عداد آخرين • لست في ذلك بأوحد • فإن قلت في أمم ما محله قلت محله النصب على الحال من الضمير في عليهم • أي حق عليهم القول كائنين في جملة أمم • إنهم كانوا خاسرين تعليل • لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللأمم • وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون • قرئ والغوا فيه بفتح الغين وضمها يقال لغي يلغى • ولغا يلغو • واللغو الساقط من الكلام الذي لا طائل تحته • قال • من اللغا ورفث التكلم والمعنى لا تسمعوا له إذا قرئ وتشاغلوا عند قراءته برفع الأصوات بالخرافات والهذيان والرمل وما أشبه ذلك حتى تخلطوا على القارئ وتشوشوا عليه • وتغلبوه على قراءته كانت قريش يوصي بذلك بعضهم بعضا • فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون • فلنذيقن الذين كفروا يجوز أن يريد بالذين كفروا هؤلاء اللاغين والآمرين لهم باللغو خاصة وأن يذكر الذين كفروا عامة لينطووا تحت ذكرهم • وقد ذكرنا إضافة أسوأ بما أغنى عن إعادته • وعن ابن عباس رضي الله عنهما • عذابا شديدا • يوم بدر • وأسوأ الذي كانوا يعملون في الآخرة • ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون • ذلك إشارة إلى الأسوأ • ويجب أن يكون التقدير أسوأ جزاء الذي كانوا يعملون حتى تستقيم هذه الإشارة • والنار عطف بيان للجزاء أو خبر مبتدأ محذوف • فإن قلت ما معنى قوله تعالى لهم فيها دار الخلد • قلت معناه أن النار في نفسها دار الخلد كقوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة • والمعنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة وتقول لك في هذه الدار دار السرور • وأنت تعني الدار بعينها • جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون أي جزاء بما كانوا يلغون فيها فذكر الجحود الذي هو سبب اللغو • وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين • اللذين أضلانا • أي الشيطانين • اللذين أضلانا من الجن والإنس لأن الشيطان على ضربين جني وإنسي • قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الجن والإنس • وقال • الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس • وقيل هما إبليس وقابيل لأنهما سنا الكفر والقتل بغير حق • وقرئ أرنا بسكون الراء لثقل الكسرة كما قالوا في فخذ فخذ • وقيل معناه أعطنا اللذين أضلانا • وحكوا عن الخليل أنك إذا قلت أرني ثوبك بالكسر • وإذا قلته بالسكون فهو استعطاء معناه أعطني ثوبك • ونظيره اشتهار الإيتاء في معنى الإعطاء • وأصله الإحضار • إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون •

ثم لتراخي الاستقامة عن الاقرار في المرتبة وفضلها عليه لان الاستقامة لها الشان كله ونحوه قوله تعالى
انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا والمعنى ثم ثبتوا على الاقرار ومقتضياته وعن ابي بكر
الصديق رضي الله عنه استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وعنه انه تلاها ثم قال ما تقولون فيها قالوا لم يذنبوا
قال حملتم الامر على اشده قالوا فما تقول قال لم يرجعوا الى عبادة الاوثان وعن عمر رضي الله عنه
استقاموا على الطريقة لم يروغوا روغان الثعالب وعن عثمان رضي الله عنه اخلصوا العمل وعن
علي رضي الله عنه ادوا الفرائض وقال سفين بن عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله اخبرني بامر
اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قال فقلت ما اخوف ما تخاف علي فاخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم بلسان نفسه فقال هذا تتنزل عليهم الملائكة عند الموت بالبشرى وقيل البشرى في ثلثة مواطن
عند الموت وفي القبر واذا قاموا من قبورهم ان لا تخافوا ان بمعنى اي او مخففة من الثقيلة واصله بانه
لا تخافوا والهاء ضمير الشان وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه لا تخافوا اي يقولون لا تخافوا والخوف
غم يلحق الانسان لتوقع المكروه والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع او حصول ضار والمعنى ان الله كتب لكم
الامن من كل غم فلن تذوقوه ابدا وقيل لا تخافوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم نحن
اولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي الاخرة ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور
رحيم كما ان الشياطين قرناء العصاة واخوانهم فكذلك الملائكة اولياء المتقين واحباؤهم في الدارين
تدعون تتمنون والنزل رزق النزيل وهو الضيف وانتصابه على الحال ومن احسن قولا ممن دعا الى
الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين ممن دعا الى الله عن ابن عباس رضي الله عنهما هو رسول الله صلى
الله عليه وسلم دعا الى الاسلام وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وجعل الاسلام نحلة له وعنه انهم اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عايشة رضي الله عنها ما كنا نشك ان هذه الاية نزلت في المؤذنين وهي عامة
في كل من جمع بين هذه الثلاث ان يكون موحدا معتقدا لدين الاسلام عاملا بالخير داعيا اليه وما هم الا طبقة
العالمين العاملين من اهل العدل والتوحيد الدعاة الى دين الله وقوله تعالى وقال انني من المسلمين
ليس الغرض انه تكلم بهذا الكلام ولكن جعل دين الاسلام مذهبه ومعتقده كما تقول هذا قول ابي حنيفة
تريد مذهبه ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة
كانه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم يعني ان الحسنة والسيئة متفاوتتان
في انفسهما فخذ بالحسنة التي هي احسن من اختها اذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التي ترد عليك
من بعض اعدائك ومثال ذلك رجل اساء اليك اساءة فالحسنة ان تعفو عنه والتي هي احسن ان تحسن
اليه مكان اسائته اليك مثل ان يذمك فتمدحه ويقتل ولدك فتفتدي ولده من يد عدوه فانك اذا
فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولي الحميم مصافاة لك ثم قال وما يلقى هذه الخليقة او السجية
التي هي مقابلة الاساءة بالاحسان الا اهل الصبر والا رجل خير وفق لحظ عظيم من الخير فان قلت فهلا
قيل فادفع بالتي هي احسن قلت هو على تقدير قائل قال فكيف اصنع فقيل ادفع بالتي
هي احسن وقيل لا مزيدة والمعنى ولا تستوي الحسنة والسيئة فان قلت فكان القياس على هذا التفسير
ان يقال ادفع بالتي هي حسنة قلت اجل ولكن وضع التي هي احسن موضع الحسنة ليكون ابلغ في الدفع بالحسنة

لان من دفع بما هو دونها • وعن ابن عباس رضي الله عنهما بالتي هي احسن الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل
والعفو عند الاساءة • وفسر الحظ بالثواب • وعن الحسن رحمه الله عليه • والله ما عظم حظ دون الجنة وقيل
نزلت في ابي سفين بن حرب • وكان عدوا مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار وليا مصافيا
واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه النخس والشيطان
ينزغ الانسان كانه ينخسه يبعثه على ما لا ينبغي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده او اريد واما ينزغنك
نازغ وصفا للشيطان بالمصدر او لتسويله والمعنى وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي احسن
فاستعذ بالله من شره وامض على شانك ولا تطعه ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا
للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون الضمير في خلقهن لليل والنهار والشمس
والقمر لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى والاناث يقال الاقلام بريتها وبريتهن او لما قال ومن اياته
كن في معنى الايات فقيل خلقهن فان قلت اين موضع السجدة قلت عند الشافعي رضي الله تعالى عنه
تعبدون وهي رواية مسروق عن عبد الله لذكر لفظ السجدة قبلها • وعند ابي حنيفة رحمه الله عليه يسامون لانها
تمام المعنى • وهي عن ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب رضوان الله عليهم اجمعين • لعل ناسا منهم كانوا
يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب • ويزعمون انهم يقصدون بالسجود لهما السجود
لله • فنهوا عن هذه الواسطة وامروا ان يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصا ان كانوا اياه يعبدون وكانوا
موحدين غير مشركين فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسامون فان
استكبروا ولم يمتثلوا ما امروا به وابوا الا الواسطة فدعهم وشانهم فان الله عز سلطانه لا يعدم عابدا ولا
ساجدا بالاخلاص وله العباد المقربون الذين ينزهونه بالليل والنهار عن الانداد • وقوله تعالى عند ربك
عبارة عن الزلفى والمكانة والكرامة وقرئ لا يسامون بكسر الياء ومن اياته انك ترى الارض خاشعة
فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي احياها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير الخشوع التذلل
والتقاصر فاستعير لحال الارض اذا كانت قحطة لا نبات فيها كما وصفها بالهمود في قوله تعالى • وترى الارض هامدة
وهو خلاف وصفها بالاهتزاز • والربو وهو الانتفاخ اذا اخصبت وتزخرفت بالنبات كانها بمنزلة
المختال في زيه وهي قبل ذلك كالذليل الكاسف البال في الاطمار الرثة • وقرئ وربأت اي ارتفعت
لان النبت اذا هم ان يظهر ارتفعت له الارض ان الذين يلحدون في اياتنا لا يخفون علينا افمن يلقى في
النار خير ام من ياتي امنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير يقال الحد الحافر والحد اذا
مال عن الاستقامة فحفر في شق فاستعير للانحراف في تاويل ايات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة وقرئ
يلحدون ويلحدون على اللغتين وقوله تعالى لا يخفون علينا وعيد لهم على التحريف ان الذين كفروا
بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز فان قلت بم اتصل قوله ان الذين كفروا بالذكر قلت هو بدل
من قوله ان الذين يلحدون في اياتنا والذكر القرآن لانهم لكفرهم به طعنوا فيه وحرفوا تاويله وانه
لكتاب عزيز اي منيع محمي بحماية الله تبارك وتعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل
من حكيم حميد لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه مثل كان الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد اليه
سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل اليه ويتعلق به فان قلت اما طعن فيه الطاعنون وتاوله المبطلون

قلت ولكن الله قد تقدم في حمايته عن تعلق الباطل به بان قيض قوما عارضوهم بابطال تاويلهم وافساد اقاويلهم
فلم يخلو طعن طاعن الا ممحوقا ولا قول مبطل الا مضمحلا ونحوه قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم ما يقال لك اي
ما يقول لك كفار قومك الا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعن في الكتب
المنزلة ان ربك لذو مغفرة ورحمة لانبيائه وذو عقاب لاعدائهم ويجوز ان يكون ما يقول لك الله
الا مثل ما قال للرسل من قبلك والمقول هو قوله تعالى ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم فمن حقه ان يرجوه
اهل طاعته ويخافه اهل معصيته والغرض تخويف العصاة ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت
اياته ءاعجمي وعربي قل هو للذين امنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في اذانهم وقر وهو عليهم عمى
اولئك ينادون من مكان بعيد كانوا لتعنتهم يقولون هلا نزل القران بلغة العجم فقيل لو كان كما
يقترحون لم يتركوا الاعتراض والتعنت وقالوا لولا فصلت اي بينت ولخصت بلسان نفقهه
ءاعجمي وعربي الهمزة همزة الانكار يعني لانكروا وقالوا قران اعجمي ورسول عربي ومرسل عربي
وقرئ اعجمي والاعجمي الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه من اي جنس كان والعجمي منسوب الى امة
العجم وفي قراءة الحسن رحمة الله عليه اعجمي بغير همزة الاستفهام على الاخبار بان القران اعجمي
والمرسل او المرسل اليه عربي والمعنى ان ايات الله على اي طريقة جاءتهم وجدوا فيها متعنتا
لان القوم غير طالبين للحق وانما يتبعون اهواءهم ويجوز في قراءة الحسن هلا فصلت اياته تفصيلا فجعل بعضها
بيانا للعجم وبعضها بيانا للعرب فان قلت كيف يصح ان يراد بالعربي المرسل اليهم وهم امة العرب
قلت هو على ما يجب ان يقع في انكار المنكر لو راى كتابا اعجميا كتب الى قوم من العرب يقول
اكتاب اعجمي وذلك لان مبنى الانكار على تنافر حالتي الكتاب والمكتوب اليه لا على ان المكتوب اليه
واحد وجماعة فوجب ان يجرد لما سيق له من الغرض ولا يوصل به ما يخيل غرضا اخر الا تراك تقول وقد
رايت لباسا طويلا على امراة قصيرة اللباس طويل واللابس قصير ولو قلت واللابسة قصيرة
جئت بما هو لكنة وفضول قول لان الكلام لم يقع في ذكورة اللابس وانوثته انما وقع في غرض
وراءهما هو اي القران هدى وشفاء ارشاد الى الحق وشفاء لما في الصدور من الظن والشك فان قلت
والذين لا يؤمنون في اذانهم وقر منقطع عن ذكر القران فما وجه اتصاله به قلت لا يخلو اما ان يكون
الذين لا يؤمنون في موضع الجر معطوفا على قوله تعالى للذين امنوا على معنى قولك هو للذين امنوا هدى
وشفاء وهو للذين لا يؤمنون في اذانهم وقر الا ان فيه عطفا على عاملين وان كان الاخفش يجيزه
واما ان يكون مرفوعا على تقدير والذين لا يؤمنون هو في اذانهم وقر على حذف المبتدا او في اذانهم
منه وقر وقرئ وهو عليهم عم وعمي لقوله فعميت عليكم ينادون من مكان بعيد يعني انهم
لا يقبلونه ولا يرعونه اسماعهم فمثلهم في ذلك مثل من يصيح به من مسافة شاحطة لا يسمع من مثلها
الصوت فلا يسمع النداء ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي
بينهم وانهم لفي شك منه مريب فاختلف فيه فقال بعضهم حق وقال بعضهم هو باطل والكلمة السابقة
هي العدة بالقيامة وان الخصومات تفصل في ذلك اليوم ولولا ذلك لقضي بينهم في الدنيا قال الله تعالى

بل

بل الساعة موعدهم ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وما ربك بظلام
للعبيد فلنفسه نفعه وفعليها فنفسه ضره وما ربك بظلام فيعذب غير المسيء اليه يرد علم
الساعة وما تخرج من ثمرة من اكمامها وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه ويوم يناديهم اين شركاي
قالوا اذناك ما منا من شهيد وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص اليه
يرد علم الساعة اذا سئل عنها يقال الله اعلم اذ لا يعلمها الا الله وقرئ من ثمرات من
اكمامهن والكم بكسر الكاف وعاء الثمرة كجف الطلعة اي وما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع الا وهو عالم به يعلم عدد ايام الحمل وساعاته واحواله ع
من الجذاع والتمام والذكورة والانوثة والحسن والقبح وغير
ذلك اين شركاي اضافهم اليه على زعمهم وبيانه في قوله تعالى اين شركاي الذين كنتم
تزعمون وفيه تهكم وتقريع اذناك اعلمناك ما منا من شهيد اي ما منا احد اليوم وقد
ابصرنا وسمعنا يشهد بانهم شركاؤك ما منا الا من هو موحد لك او ما منا من احد يشاهدهم
لانهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم لا يبصرونها في ساعة التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء اي ما منا
من يشهد بما اضافوا الينا من الشركة ومعنى ضلالهم عنهم على هذا التفسير انهم لا ينفعونهم فكانهم
ضلوا عنهم وظنوا وايقنوا والمحيص المهرب فان قلت اذناك اخبار بايذان فاذا قد اذنوا
فلم سئلوا قلت يجوز ان يعاد عليهم شركاي اعادة للتوبيخ واعادته في القران على سبيل
الحكاية اعادة دليل على اعادة المحكي ويجوز ان يكون المعنى انك علمت من قلوبنا وعقايدنا
الآن انا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكانهم اعلموه ويجوز ان يكون
انشاء للايذان ولا يكون اخبارا بايذان قد كان كما تقول اعلم الملك انه كان من الامر كيت وكيت
لا يسأم الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر فيؤس قنوط من دعاء الخير من طلب السعة في المال
والنعمة وقرا ابن مسعود من دعاء بالخير وان مسه الشر اي الضيقة والفقر فيؤس قنوط بولغ فيه من
طريقين من طريق بناء فعول ومن طريق التكرير والقنوط ان يظهر عليه اثر الياس فيتضاءل وينكسر
اي يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذه صفة الكافر بدليل قوله تعالى انه لا ييأس من روح
الله الا القوم الكافرون ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي واذا فرجنا
عنه بصحة بعد مرض او سعة بعد ضيق قال هذا لي اي هذا حقي وصل الي لاني استوجبته بما عندي
من خير وفضل واعمال بر او هذا لي لا يزول عني ونحوه قوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا
هذه ونحو قوله سبحانه وتعالى وما اظن الساعة قائمة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين
يريد وما اظنها تكون فان كانت على طريقة التوهم ان لي عند الله الحالة الحسنى من الكرامة
والنعمة قايسا امر الاخرة على امر الدنيا وعن بعضهم للكافر امنيتان يقول في الدنيا ولئن رجعت
الى ربي ان لي عنده للحسنى ويقول في الاخرة يا ليتني كنت ترابا وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة
فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ فلنخبرنهم بحقيقة ما عملوا من الاعمال
الموجبة للعذاب ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها انهم يستوجبون عليها كرامة وقربة عند الله
وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وذلك انهم كانوا ينفقون اموالهم رئاء
الناس وطلبا للافتخار والاستكبار وكانوا يحسبون ان ما هم عليه سبب الغنى والصحة

وانتم محقوقون بذلك **وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض** هذا
ايضا ضرب اخر من طغيان الانسان اذا اصابه الله بنعمة ابطرته النعمة وكانه لم يلق بؤسا قط
فنسي المنعم واعرض عن شكره ونأى بجانبه اي ذهب بنفسه وتكبر وتعظم وان مسه الضر والفقر
اقبل على دوام الدعاء واخذ في الابتهال والتضرع وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه
وهو من صفة الاجرام ويستعار له الطول ايضا كما استعير الغلظ لشدة العذاب وقرئ ونأى
بامالة الالف وكسر النون للاتباع وناء على القلب كما قالوا راء في رأى فان قلت حقق لي
معنى قوله تعالى ونأى بجانبه قلت فيه وجهان ان يوضع جانبه موضع نفسه كما ذكرنا في قوله
تعالى على ما فرطت في جنب الله ان مكان الشيء وجهته ينزل منزلة الشيء نفسه ومنه
قوله ونفيت عنه مقام الذئب يريد ونفيت عنه الذئب ومنه ولمن خاف مقام
ربه ومنه قول الكتاب حضرة فلان ومجلسه وكتبت الى جهته والى جانبه العزيز يريدون
نفسه وذاته فكانه قال ونأى بنفسه كقولهم في المتكبر ذهب بنفسه اي ذهبت به
الخيلاء وان يراد بجانبه عطفه وان يكون عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا ثنى عطفه
وتولى بركنه **قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد**
ارايتم اخبروني ان كان القرآن من عند الله يعني ان ما انتم عليه من انكار القرآن وتكذيبه ليس بامر
صادر عن حجة قاطعة حصلتم منها على اليقين وثلج الصدور وانما هو قبل النظر واتباع
الدليل امر محتمل يجوز ان يكون من عند الله وان لا يكون من عنده وانتم لم تنظروا ولم تفحصوا
فما انكرتم ان يكون حقا وقد كفرتم به فاخبروني من اضل منكم وانتم ابعدتم الشوط في مشاقته
ومناصبته فاهلكتم انفسكم وقوله ممن هو في شقاق بعيد موضوع موضع منكم بيانا لحالهم وصفتهم
سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد
سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم يعني ما يسر الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم وللخلفاء
من بعده وانصار دينه في آفاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عموما وفي باحة العرب خصوصا
من الفتوح التي لم يتيسر امثالها من خلفاء الارض قبلهم ومن الاظهار على الجبابرة والاكاسرة
وتغليب قليلهم على كثيرهم وتسليط ضعافهم على اقويائهم واجرائه على ايديهم امورا خارجة
عن المعهود خارقة للعادات ونشر دعوة الاسلام في اقطار المعمورة وبسط دولته في اقاصيها
والاستقراء يطلعك في التواريخ والكتب المدونة في مشاهد اهله وايامهم على عجائب لا ترى
وقعة من وقائعهم الا علما من اعلام الله وآية من آياته يقوى معها اليقين ويزداد بها الايمان
ويتبين ان دين الاسلام هو دين الحق الذي لا يحيد عنه الا مكابر حسه مغالط نفسه وما الثبات
والاستقامة الا صفة الحق والصدق كما ان الاضطراب والتزلزل صفة الفرية والزور
وان للباطل ريحا تخفق ثم تسكن ودولة تظهر ثم تضمحل بربك في موضع الرفع على انه فاعل
كفى وانه على كل شيء فاعل منه تقديره اولم يكفهم ان ربك على كل شيء شهيد ومعناه ان هذا
الموعود من اظهار آيات الله في الآفاق وفي انفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك

ان

أن القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد أي مطلع مهيمن يستوي عنده غيبه وشهادته
فيكفيهم ذلك دليلا على أنه حق ولو لم يكن كذلك لما قوي هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة
ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم ألا إنه بكل شيء محيط وقرئ في مرية بالضم وهي الشك محيط
عالم بجمل الأشياء وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا يخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم
على كفرهم ومريتهم في لقاء ربهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة أعطاه الله تعالى
بكل حرف عشر حسنات

سورة عسق مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي ثلاث وخمسون آية

حم عسق كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم قرأ ابن عباس رضي الله عنهما وابن
مسعود رضي الله عنه حم سق كذلك يوحي إليك أي مثل ذلك الوحي أو مثل ذلك الكتاب
يوحي إليك وإلى الرسل من قبلك الله يعني أن ما تضمنته هذه السورة من المعاني قد أوحى
الله إليك مثله في غيرها من السور وأوحاه من قبلك إلى رسله على معنى أن الله تعالى كرر
هذه المعاني في القرآن وفي جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم
لعباده من الأولين والآخرين ولم يقل أوحي إليك ولكن على لفظ المضارع ليدل على أن إيحاء
مثله عادته وقرئ يوحى إليك على البناء للمفعول فإن قلت فما رافع اسم الله على هذه
القراءة قلت ما دل عليه يوحى كأن قائلا قال من الموحي فقيل الله كقراءة السلمي وكذلك
زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم على البناء للمفعول ورفع شركاؤهم على معنى زينه لهم شركاؤهم
فإن قلت فما رافعه فيمن قرأ نوحي بالنون قلت يرتفع بالابتداء والعزيز وما بعده أخبار أو العزيز قلت
الحكيم صفتان والظرف خبر له ما في السموات وما في الأرض وهو العلي العظيم تكاد السموات يتفطرن
من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم
قرئ تكاد بالتاء والياء وينفطرن ويتفطرن وروى يونس عن أبي عمرو قراءة غريبة
تتفطرن بتاءين مع النون ونظيرها حرف نادر روي في نوادر ابن الأعرابي الإبل
تتشممن ومعناه يكدن ينفطرن من علو شأن الله تعالى وعظمته يدل عليه مجيئه
بعد العلي العظيم وقيل من دعائهم له ولدا كقوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه
فإن قلت لم قال من فوقهن قلت لأن أعظم الآيات وأدلها على الجلال والعظمة فوق
السموات وهي العرش والكرسي وصفوف الملائكة المرتجة بالتسبيح والتقديس حول العرش
وما لا يعلم كنهه إلا الله من آثار ملكوته العظمى فلذلك قال ينفطرن من فوقهن
أي يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية أو لأن كلمة الكفر جاءت من الذين تحت السموات
فكان القياس أن يقال ينفطرن من تحتهن من الجهة التي منها جاءت الكلمة ولكنه بولغ في ذلك

لجعلت مؤكدة مؤثرة في جهة الفوق كأنه قيل يكدن يتفطرن من الجهة التي فوقهن دع الجهة التي تحتهن
ونظيره في المبالغة في قوله سبحانه وتعالى من فوق رءوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم
فجعل الحميم مؤثرا في أجزائهم الباطنة وقيل من فوقهن من فوق الأرض فإن قلت كيف
صح أن يستغفروا لمن في الأرض وفيهم الكفار أعداء الله وقد قال الله تبارك وتعالى أولئك عليهم
لعنة الله والملائكة فكيف يكونون لاعنين مستغفرين لهم قلت قوله لمن في الأرض يدل على
جنس أهل الأرض وهذه الجنسية قائمة في كلهم وفي بعضهم فيجوز أن يراد به هذا وهذا وقد دل الدليل
على أن الملائكة لا تستغفر إلا لأولياء الله وهم المؤمنون فما أراد الله إلا إياهم ألا ترى إلى قوله
تعالى في سورة المؤمن ويستغفرون للذين آمنوا وحكايته عنهم فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك
كيف وصفوا المستغفر لهم بما يستوجب به الاستغفار فما تركوا للذين لم يتوبوا من المصدقين طمعا في استغفارهم
فكيف للكفرة ويحتمل أن يقصدوا بالاستغفار طلب الحلم والغفران في قوله عز وجل إن الله يمسك
السموات والأرض أن تزولا إلى أن قال إنه كان حليما غفورا وقوله إن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم
والمراد الحلم عنهم وأن لا يعاجلهم بالانتقام فيكون عاما فإن قلت قد فسرت قوله تكاد السموات
يتفطرن تفسيرين فما وجه طباق ما بعده لهما قلت أما على أحدهما فكأنه قيل تكاد السموات
يتفطرن هيبة من جلاله واحتشاما من كبريائه والملائكة الذين هم ملاء السبع الطباق وحافون
حول العرش صفوفا بعد صفوف يداومون خضوعا لعظمته على عبادته وتسبيحه وتحميده
ويستغفرون لمن في الأرض خوفا عليهم من سطواته وأما الثاني فكأنه قيل يكدن يتفطرن من
إقدام أهل الشرك على تلك الكلمة الشنعاء والملائكة يوحدون الله وينزهونه عما لا يجوز عليه
من الصفات التي يضيفها إليه الجاهلون به حامدين له على ما أولاهم من ألطافه التي علم أنهم عندها
يستعصمون مختارين غير ملجئين ويستغفرون لمؤمني أهل الأرض الذين تبرءوا من تلك الكلمة
ومن أهلها أو يطلبون إلى ربهم أن يحلم عن أهل الأرض ولا يعاجلهم بالعقاب مع وجود ذلك فيهم
لما عرفوا في ذلك من المصالح وحرصا على نجاة الخلق وطمعا في توبة الكفار والفساق منهم
والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل والذين اتخذوا من دونه أولياء
جعلوا له شركاء وأندادا الله حفيظ عليهم رقيب على أحوالهم وأعمالهم لا يفوته منها شيء وهو محاسبهم
عليها ومعاقبهم لا رقيب عليهم إلا هو وحده وما أنت يا محمد بموكل بهم ولا مفوض إليك أمرهم ولا
قسرهم على الإيمان إنما أنت منذر فحسب **وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى
ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير** ومثل ذلك أوحينا
إليك وذلك إشارة إلى معنى الآية قبلها من أن الله هو الرقيب عليهم وما أنت برقيب عليهم ولكن
نذير لهم لأن هذا المعنى كرره الله في كتابه في جمة والكاف مفعول به لأوحينا وقرآنا عربيا
حال من المفعول به أي أوحيناه إليك وهو قرآن عربي بين لا لبس فيه عليك لتفهم ما يقال لك
ولا يتجاوز حد الإنذار ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى مصدر أوحينا أي ومثل ذلك الإيحاء
البين المفهم أوحينا إليك قرآنا عربيا بلسانك لتنذر يقال أنذرته كذا وأنذرته بكذا وقد عدي الأول

بلغ مقابلة

اعني

اعني لتنذر ام القرى الى المفعول الاول • والثاني وهو قوله تعالى وتنذر يوم الجمع الى المفعول الثاني
ام القرى اهل ام القرى • لقوله عز وجل واسئل القرية • ومن حولها من العرب • وقرئ
لينذر بالياء • والفعل للقرآن يوم الجمع يوم القيمة لان الخلايق تجمع فيه قال الله تعالى •
يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل تجمع بين الارواح والاجساد • وقيل تجمع بين كل عامل وعمله ولاريب
فيه اعتراض لا محل له فريق في الجنة وفريق في السعير والضمير للمجموعين لان المعنى يوم جمع الخلايق
والنصب على الحال منهم اي متفرقين لقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فان قلت
كيف • يكونون مجموعين متفرقين في حالة واحدة قلت هم مجموعون في ذلك اليوم مع افتراقهم
في داري البؤس والنعيم • كما يجتمع الناس يوم الجمعة متفرقين في مسجدين وان اريد بالجمع جمعهم في الموقف
فالتفرق على معنى مشارفتهم للتفرق ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة ولكن يدخل من يشاء في
رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير لجعلهم امة واحدة اي مؤمنين كلهم على القسر والالجاء
كقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها وقوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الارض
كلهم جميعا والدليل على ان المعنى هو الالجاء الى الايمان قوله تعالى افانت تكره الناس حتى يكونوا
مؤمنين بادخال همزة الانكار على المكره دون فعله دليل على ان الله وحده هو القادر على هذا
الاكراه دون غيره والمعنى ولو شاء ربك مشية قدرة لقسرهم جميعا على الايمان ولكنه شاء مشية
حكمة وبنى امرهم على ما يختارون ليدخل المؤمنين في رحمته وهم المرادون بمن يشاء • الا ترى الى وضعهم
في مقابلة الظالمين ويترك الظالمين بغير ولي ولا نصير في عذابه ام اتخذوا من دونه اولياء فالله
هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير معنى الهمزة في ام الانكار فالله
هو الولي هو الذي يجب ان يتولى وحده ويعتقد انه المولى والسيد والفاء في قوله تعالى فالله
هو الولي جواب شرط مقدر كانه قيل بعد انكار كل ولي سواه ان ارادوا وليا بحق فالله هو الولي
بالحق لا ولي سواه وهو يحيي اي ومن شان هذا الولي انه يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير فهو الحقيق
بان يتخذ وليا دون من لا يقدر على شيء وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربي
عليه توكلت واليه انيب وما اختلفتم فيه من شيء حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
للمؤمنين اي ما خالفكم فيه الكفار من اهل الكتاب والمشركين فاختلفتم انتم وهم فيه من امر من امور الدين
فحكم ذلك المختلف فيه مفوض الى الله تعالى وهو اثابة المحقين فيه من المؤمنين ومعاقبة المبطلين ذلكم الحاكم
بينكم هو الله ربي عليه توكلت في رد كيد اعداء الدين واليه ارجع في كفاية شرهم • وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم
من شيء من الخصومات فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم • ولا تؤثروا على حكومته غيره كقوله عز وجل
فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول • وقيل وما اختلفتم فيه من تاويل اية واشتبه عليكم
فارجعوا في بيانه الى المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل وما وقع
بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح
قال الله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي فان قلت هل يجوز حمله على
اختلاف المجتهدين في احكام الشريعة قلت لا لان الاجتهاد لا يجوز بحضرة الرسول

فاطر السموات والارض جعل لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير
له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شيء عليم فاطر السموات قرئ بالرفع والجر فالرفع
على انه احد اخبار ذلكم او خبر مبتدا محذوف والجر على ردّه الى الله فاطر السموات وذلكم الى انيب اعتراض بين
الصفة والموصوف جعل لكم خلق لكم من انفسكم من جنسكم من الناس ازواجا ومن الانعام ازواجا اي وخلق
من الانعام ازواجا ومعناه وخلق للانعام ايضا من انفسها ازواجا يذرؤكم يكثركم يقال ذرأ الله الخلق
بثهم وكثرهم والذرّ والذرو والذرء اخوات فيه في هذا التدبير وهو ان جعل للناس والانعام ازواجا
حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل والضمير في يذرؤكم يرجع الى المخاطبين والانعام مغلبا
فيه المخاطبين العقلاء على الغيب مما لا يعقل وهي من الاحكام ذات العلتين فان قلت ما معنى يذرؤكم في
هذا التدبير وهلا قيل يذرؤكم به قلت جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير الا تراك تقول
للحيوان في خلق الازواج تكثير كما قال تعالى ولكم في القصاص حياة قالوا مثلك لا يبخل فنفوا البخل عن مثله وهم
يريدون نفيه عن ذاته قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية لانهم اذا نفوه عمن يسد مسده وعمن هو على
اخص اوصافه فقد نفوه عنه ونظيره قولك للعربي العرب لا تخفر الذمم كان ابلغ من قولك انت لا تخفر ومنه
قولهم قد ايفعت لداته وبلغت اترابه يريدون ايفاعه وبلوغه وفي حديث رقيقة بنت صيفي في سقيا
عبد المطلب الا وفيهم الطيب الطاهر لذاته والقصد الى طهارته وطيبه فاذا علم انه من باب الكناية لم يقع
فرق بين قوله ليس كالله شيء الا ما تعطيه الكناية من فائدتها وكانهما عبارتان معتقبتان على معنى واحد
وهو نفي المماثلة عن ذاته تعالى ونحوه قوله عز وجل بل يداه مبسوطتان فان معناه بل هو جواد من غير
تصور يد ولا بسط لها لانها وقعت عبارة عن الجود لا يقصدون شيئا اخر حتى انهم استعملوها فيمن لا يد له فكذلك
استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له ولك ان تزعم ان كلمة التشبيه كررت للتاكيد كما كررها من قال
وصاليات ككما يؤثفين ومن قال فاصبحت مثل كعصف ماكول وقرئ
ويقدر انه بكل شيء عليم فاذا علم ان الغنى خير للعبد اغناه والا افقره شرع لكم من الدين ما وصى به
نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين
ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد عليهما الصلاة والسلام
ومن بينهما من الانبياء ثم فسر المشروع الذي اشترك هؤلاء الاعلام من رسله فيه بقوله تعالى ان اقيموا الدين
ولا تتفرقوا فيه والمراد اقامة دين الاسلام الذي هو توحيد الله وطاعته والايمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء
وسائر ما يكون الرجل باقامته مسلما ولم يرد الشرائع التي هي مصالح الامم على حسب احوالها فانها مختلفة متفاوتة
قال الله سبحانه وتعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ومحل ان اقيموا اما نصب بدل من مفعول شرع
والمعطوفين عليه واما رفع على الاستيناف كانه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين ونحوه قوله تعالى ان
هذه امتكم امة واحدة كبر على المشركين عظم عليهم وشق عليهم ما تدعوهم اليه من اقامة دين الله والتوحيد
يجتبي اليه يجتلب ويجمع والضمير للدين بالتوفيق والتسديد من يشاء ممن ينفع فيهم توفيقه ويجدي عليهم
لطفه وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضي بينهم
وان الذين اوتوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب وما تفرقوا يعني اهل الكتاب بعد انبيائهم الا من بعد

ان

ان يعلموا ان الفرقة ضلال وفساد وامر متوعد عليه على السنة الانبياء صلوات الله عليهم ولولا كلمة سبقت من ربك
وهي عدة التأخير الى يوم القيمة لقضي بينهم حين افترقوا لعظم ما اقترفوا وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم
وهم اهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لفي شك منه من كتابهم لا يؤمنون به حق الايمان
وقيل كان الناس امة واحدة مؤمنين بعد ان اهلك الله اهل الارض اجمعين بالطوفان فلما مات الآباء اختلف الابناء
فيما بينهم وذلك حين بعث الله اليهم النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وانما اختلفوا للبغي بينهم وقيل
ما تفرق اهل الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى وما تفرق الذين
اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم هم المشركون اورثوا القرآن
من بعد ما اورث اهل الكتاب التورية والانجيل وقرئ ورثوا وورثوا فلذلك فادع واستقم كما امرت
ولا تتبع اهواءهم وقل آمنت بما انزل الله من كتاب وامرت لاعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم
اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير فلذلك فلاجل ذلك التفرق ولما حدث بسببه
من تشعب الكفر شعبا فادع الى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفية القديمة واستقم عليها وعلى الدعوة اليها
كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم المختلفة الباطلة بما انزل الله من كتاب باي كتاب صح ان الله انزله
يعني الايمان بجميع الكتب المنزلة لان المتفرقين آمنوا ببعض وكفروا ببعض لقوله تعالى ويقولون نؤمن ببعض
ونكفر ببعض الى قوله اولئك هم الكافرون حقا لاعدل بينكم في الحكم اذا تخاصمتم فتحاكمتم الي لا حجة
بيننا وبينكم اي لا خصومة لان الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به فلا حاجة الى المحاجة ومعناه لا ايراد
حجة بيننا لان المتحاجين يورد هذا حجته وهذا حجته الله يجمع بيننا يوم القيمة فيفصل بيننا وبينكم
لنا منكم وهذه محاجزة ومتاركة بعد ظهور الحق وقيام الحجة والالزام فان قلت كيف حوجزوا وقد
فعل بهم بعد ذلك ما فعل من القتل وتخريب البيوت وقطع النخيل والاجلاء قلت المراد محاجزة في
مواقف المقاولة لا المقاتلة والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم
غضب ولهم عذاب شديد يحاجون في الله يخاصمون في دينه من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا في الاسلام
ليردوهم الى دين الجاهلية لقوله تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا كان
اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم واولى بالحق
وقيل من بعد ما استجاب الله لرسوله ونصره يوم بدر واظهر دين الاسلام داحضة باطلة زائلة الله
الذي انزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب انزل الكتاب اي جنس الكتاب
والميزان والعدل والتسوية ومعنى انزال العدل انه انزله في كتبه المنزلة وقيل الذي يوزن به بالحق
ملتبسا بالحق مقترنا به بعيدا من الباطل او بالغرض الصحيح كما اقتضته الحكمة او بالواجب من التحليل والتحريم
وغير ذلك الساعة في تأويل البعث فلذلك قيل قريب او لعل مجيء الساعة قريب فان قلت
كيف يوفق ذكر اقتراب الساعة مع انزال الكتاب والميزان قلت لان الساعة يوم الحساب ووضع
الموازين للقسط فكأنه قيل امركم الله بالعدل والتسوية والعمل بالشرائع قبل ان يفاجئكم اليوم الذي يحاسبكم
فيه ويزن اعمالكم ويوفي لمن اوفى ويطفف لمن طفف يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون
منها ويعلمون انها الحق الا ان الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد المماراة الملاجة كل واحد منهما يمري

ما عند صاحبه لفي ضلال بعيد من الحق لأن قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله تعالى ولدلالة الكتاب المعجز
على أنها آتية لا ريب فيها ولشهادة العقول على أنه لا بد من دار الجزاء الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي
العزيز لطيف بعباده بر بليغ البر بهم قد توصل بره إلى جميعهم وتوصل من كل واحد منهم إلى حيث لا يبلغه
وهم أحد من كلياته وجزئياته فإن قلت فما معنى قوله يرزق من يشاء بعد توصل بره إلى جميعهم قلت
كلهم مبرور لا يخلو أحد من بره إلا أن البر أصناف وله أوصاف والقسمة بين العباد تتفاوت على حسب
تفاوت قضايا الحكمة والتدبير فيطير لبعض العباد صنف من البر لم يطر مثله لآخر ويصيب هذا حظ له وصف ليس ذلك الوصف
لحظ صاحبه فمن قسم له منهم ما لا يقسم للآخر فقد رزقه وهو الذي أراد بقوله يرزق من يشاء كما يرزق أحد الأخوين
ولدا دون الآخر على أنه أصابه بنعمة أخرى لم يرزقها صاحب الولد وهو القوي الباهر القدرة الغالب
على كل شيء العزيز المنيع الذي لا يغلب من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث
الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب سمى ما يعمله العامل مما يبتغي به الفائدة والزكاء حرثا على المجاز وفرق بين عملي
العاملين بأن من عمل للآخرة وفق في عمله وضوعفت حسناته ومن كان عمله للدنيا أعطي شيئا منها
لا ما يريده ويبتغيه وهو رزقه الذي قسم له وفرغ منه وما له نصيب قط في الآخرة ولم يذكر في معنى
عامل الآخرة وله في الدنيا نصيب وعلى أن رزقه المقسوم له واصل إليه لا محالة للاستهانة بذلك إلى جنب
ما هو بصدده من زكاء عمله وفوزه في المآب أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة
الفصل لقضي بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم معنى الهمزة في أم التقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم
الذين زينوا لهم الشرك وإنكار البعث والعمل للدنيا لأنهم لا يعلمون غيرها وهو الدين الذي شرعت لهم
الشياطين وتعالى الله عن الإذن فيه والأمر به وقيل شركاؤهم أوثانهم وإنما أضيفت إليهم لأنهم
متخذوها شركاء لله فتارة تضاف إليهم لهذه الملابسة وتارة إلى الله ولما كانت سببا لضلالتهم
وافتتانهم جعلت شارعة لدين الكفر كما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام إنهن أضللن كثيرا ولولا
كلمة الفصل أي القضاء السابق بتأجيل الجزاء أي ولولا العدة بأن الفصل يكون يوم القيامة لقضي
بينهم أي بين الكافرين والمؤمنين أو بين المشركين وشركائهم وقرأ مسلم بن جندب وأن الظالمين بالفتح
عطفا له على كلمة الفصل يعني ولولا كلمة الفصل وتقدير تعذيب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا
ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات
لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ترى الظالمين في الآخرة مشفقين خائفين خوفا شديدا
أرق قلوبهم مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم يريد ووباله واقع بهم وواصل إليهم لا بد لهم منه
أشفقوا أو لم يشفقوا كأن روضة جنة المؤمن أطيب بقعة فيها وأنزهها عند ربهم منصوب بالظرف
لا بيشاؤون ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة
في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا إن الله غفور شكور قرئ يبشر من بشره ويبشر من أبشره
ويبشر من بشره والأصل ذلك الثواب الذي يبشر الله به عباده فحذف الجار كقوله عز وجل
واختار موسى قومه سبعين ثم حذف الراجع إلى الموصول كقوله تعالى أهذا الذي بعث الله رسولا أو ذلك
التبشير الذي يبشره الله عباده وروي أنه اجتمع المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض أترون محمدا

يسأل

يسأله على ما يتعاطاه أجرًا نزلت الآية إلا المودة في القربى يجوز أن يكون استثناء متصلًا أي لا أسألكم أجرًا
إلا هذا وهو أن تودوا أهل قرابتي ولم يكن أجرًا في الحقيقة لأن قرابته قرابتهم فكانت صلتهم لازمة لهم في المروءة
ويجوز أن يكون منقطعًا أي لا أسألكم أجرًا قط ولكني أسألكم أن تودوا قرابتي الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم
فإن قلت هلا قيل إلا مودة القربى أو إلا المودة للقربى قلت وما معنى قوله إلا المودة في القربى
جعلوا مكانًا للمودة ومقرًا لها كقولك لي في آل فلان مودة ولي فيهم هوى وحب شديد تريد أحبهم وهم مكان
حبي ومحله وليست في بصلة للمودة كاللام إذا قلت إلا المودة للقربى إنما هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف
به في قولك المال في الكيس وتقديره إلا المودة ثابتة في القربى ومتمكنة منها والقربى مصدر كالزلفى
والبشرى بمعنى القرابة والمراد في أهل القربى وروي أنها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء
الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة رضي الله عنهما وابناهما ويدل عليه ما روي عن
علي رضي الله عنه شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حسد الناس لي فقال أما ترضى أن تكون رابع أربعة
أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذريتنا خلف أزواجنا وعن
النبي صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة إلى أحد
من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فأنا أجازيه عليها غدًا إذا لقيني يوم القيامة وروي أن الأنصار قالوا
فعلنا وفعلنا كأنهم افتخروا فقال عباس أو ابن عباس رضي الله عنهما لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معشر الأنصار ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال
ألم تكونوا ضلالًا فهداكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال أفلا تجيبونني قالوا ما نقول يا رسول الله قال
ألا تقولون ألم يخرجك قومك فآويناك أولم يكذبوك فصدقناك أولم يخذلوك فنصرناك قال فما زال
يقول حتى جثوا على الركب وقالوا أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله فنزلت الآية وقال عليه الصلاة والسلام
من مات على حب آل محمد مات شهيدًا ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفورًا له ألا ومن مات على حب
آل محمد مات تائبًا ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنًا مستكمل الإيمان ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير
ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها ألا ومن مات على حب آل محمد فتح
له في قبره بابان إلى الجنة ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة ألا ومن مات على حب
آل محمد مات على السنة والجماعة ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله
ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرًا ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة وقيل لم يكن بطن من
بطون قريش إلا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم قربى فلما كذبوه وأبوا أن يبايعوه نزلت والمعنى إلا
أن تودوني في القربى أي في حق القربى ومن أجلها كما تقول الحب في الله والبغض في الله بمعنى في حقه ومن
أجله يعني أنكم قومي وأحق من أجابني وأطاعني فإذ قد أبيتم ذلك فاحفظوا حق القربى ولا تؤذوني ولا تهيجوا
علي وقيل أتت الأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال جمعوه وقالوا يا رسول الله قد هدانا الله بك وأنت
ابن أختنا وتعروك نوائب وحقوق وما لك سعة فاستعن بهذا على ما ينوبك فنزلت ورده وقيل القربى
التقرب إلى الله أي إلا أن تحبوا الله ورسوله في تقربكم إليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ إلا مودة في
القربى ومن يقترف حسنة عن السدي أنها المودة في آل رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت في أبي بكر الصديق رضي

المفضل
فانا معهم في مجالسهم

رضي الله عنه ومودته فيهم والظاهر العموم في أي حسنة كانت إلا أنها لما ذكرت عقيب ذكر المودة في القربى دلّ
ذلك على أنها تناولت المودة تناولا أوليا كأن سائر الحسنات لها توابع وقرئ يزد أي يزد الله وزيادة حسنها من جهة الله مضاعفتها
كقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة وقرئ حسنى وهي مصدر كالبشرى
الشكور في صفة الله مجاز للاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها والتفضل على المثاب أم يقولون افترى على الله كذبا
فإن يشإ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور أم منقطعة ومعنى الهمزة فيه
التوبيخ كأنه قيل أيتمالكون أن ينسبوا مثله إلى الافتراء على الله الذي هو أعظم الفرى وأفحشها فإن يشإ الله يختم
على قلبك فإن يشإ الله يجعلك من المختوم على قلوبهم حتى تفتري عليه الكذب فإنه لا يجترئ على افتراء الكذب
على الله إلا من كان في مثل حالهم وهذا الأسلوب مؤداه استبعاد الافتراء من مثله وأنه في البعد مثل الشرك
بالله والدخول في جملة المختوم على قلوبهم ومثال هذا أن يخون بعض الأمناء فيقول لعل الله خذلني لعل الله
أعمى قلبي وهو لا يريد إثبات الخذلان وعمى القلب وإنما يريد استبعاد أن يخون مثله والتنبيه على أنه ركب
من تخوينه أمر عظيم ثم قال ومن عادة الله أن يمحو الباطل ويثبت الحق بكلماته بوحيه أو بقضائه كقوله
تعالى وتقدس بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه يعني لو كان مفتريا كما تزعمون لكشف الله افتراءه ومحقه
وقذف بالحق على باطله فدمغه ويجوز أن يكون عدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه يمحو الباطل الذي هم
عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذي أنت عليه بالقرآن وبقضائه الذي لا مرد له من نصرتك عليهم
إن الله عليم بما صدرك وصدورهم فيجري الأمر على حسب ذلك وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القرآن ويقطع
عنك الوحي يعني لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لا يشق
عليك أذاهم فإن قلت إن كان قوله تعالى ويمح الله الباطل كلاما مبتدأ غير معطوف على يختم فما بال
الواو ساقطة في الخط قلت كما سقطت في قوله تعالى ويدع الإنسان بالشر دعاءه وقوله تعالى سندع
الزبانية على أنها مثبتة في بعض المصاحف وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم
ما تفعلون يقال قبلت منه الشيء وقبلته عنه فمعنى قبلته منه أخذته منه وجعلته مبدأ قبولي ومنشأه
ومعنى قبلته عنه عزلته عنه وأبنته عنه والتوبة أن يرجع عن القبيح والإخلال بالواجب بالندم عليهما
والعزم على أن لا يعاود لأن المرجوع عنه قبيح وإخلال بالواجب وإن كان فيه لعبد حق وروى جابر
أن أعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك وكبر فلما
فرغ من صلاته قال له علي رضي الله عنه يا هذا إن سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك
تحتاج إلى توبة فقال يا أمير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة
ولتضييع الفرائض الإعادة ورد المظالم وإذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية وإذاقتها مرارة الطاعة كما أذقتها
حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيئات عن الكبائر وعن الصغائر إذا تيب عنها وعن الصغائر
إذا اجتنبت الكبائر ويعلم ما تفعلون قرئ بالياء والتاء أي يعلمه فيثيب على حسناته ويعاقب على سيئاته
ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد ويستجيب
الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويستجيب لهم فحذف اللام كما حذف في قوله تعالى وإذا كالوهم أي يثيبهم على طاعته
ويزيدهم على الثواب تفضلا أو إذا دعوه استجاب دعاءهم وأعطاهم ما طلبوا وزادهم على مطلوبهم وقيل

المستجابة

الاستجابة فعلهم اي يستجيبون له بالطاعة اذا دعاهم اليها ويزيدهم من فضله على ثوابهم وعن سعيد بن جبير رضي الله
عنه هذا من فعلهم يجيبونه اذا دعاهم وعن ابرهيم بن ادهم رحمة الله عليه قيل له ما بالنا ندعو فلا نجاب
قال لانه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرا والله يدعو الى دار السلام ويستجيب الذين امنوا ولو بسط الله الرزق
لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير لبغوا من البغي وهو الظلم اي لبغى هذا
على ذلك وذاك على هذا لان الغنى مبطرة مأشرة وكفى بحال قارون عبرة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام
ان اخوف ما اخاف على امتي زهرة الدنيا وكثرتها ولبعض العرب

وقد جعل الوسمي ينبت بيننا ● وبين بني رومان نبعا وشوحطا

يعني انهم احيوا فحدثوا انفسهم بالبغي والتغابن او من البغي وهو البذخ والكبر اي لتكبروا في الارض وفعلوا ما
يتبع الكبر من العلو فيها والفساد وقيل نزلت في قوم من اهل الصفة تمنوا سعة الرزق والغنى قال
خباب بن الارت فينا نزلت وذلك انا نظرنا الى اموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنيناها بقدر
بتقدير يقال قدره قدرا وقدرا خبير بصير يعلم ما يؤول اليه احوالهم فيقدر لهم ما هو اصلح لهم واقرب
الى جمع شملهم فيفقر ويغني ويمنع ويعطي ويقبض ويبسط كما توجبه الحكمة الربانية ولو اغناهم جميعا
لبغوا ولو افقرهم لهلكوا فان قلت قد نرى الناس يبغي بعضهم على بعض ومنهم مبسوط لهم ومنهم
مقبوض عنهم فان كان المبسوط لهم يبغون فلم بسط لهم وان كان المقبوض عنهم يبغون فقد يكون البغي بدون البسط
فلم شرطه قلت لا شبهة في ان البغي مع الفقر اقل ومع البسط اكثر واغلب وكلاهما سبب ظاهر للاقدام على البغي
والاحجام عنه فلو عم البسط لغلب البغي حتى ينقلب الامر الى عكس ما عليه الآن وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر
رحمته وهو الولي الحميد قنطوا بفتح النون وكسرها وينشر رحمته اي بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به
من الخصب وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قيل له اشتد القحط وقنط الناس فقال مطروا اذن اراد هذه الآية
ويجوز ان يريد رحمته في كل شيء كانه قال ينزل الرحمة التي هي الغيث وينشر غيرها من رحمته الواسعة
الولي الذي يتولى عباده باحسانه والحميد المحمود على ذلك يحمده اهل طاعته ومن اياته خلق السموات والارض
وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير وما بث يجوز ان يكون مجرورا ومرفوعا حملا على المضاف
اليه او المضاف فان قلت لم جاز فيهما من دابة والدواب في الارض وحدها قلت يجوز ان ينسب
الشيء الى جميع المذكور وان كان ملتبسا ببعضه كما يقال في بني تميم فيهم شاعر مجيد او شجاع بطل وانما هو في فخذ
من افخاذهم او فصيلة من فصائلهم وبنو فلان فعلوا كذا وانما فعله نويس منهم ومنه قوله تعالى سبحانه
يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح ويجوز ان يكون للملائكة عليهم السلام مشي مع الطيران فيوصف بالدبيب
كما يوصف به الاناسي ولا يبعد ان يخلق في السموات حيوانا يمشون فيها مشي الاناسي على الارض سبحان الذي
خلق ما نعلم وما لا نعلم من اصناف الخلق اذا يدخل على المضارع كما يدخل على الماضي قال الله تعالى
والليل اذا يغشى ومنه اذا يشاء وقال الشاعر

واذا ما اشاء ابعث منها ● اخر الليل ناشطا مذعورا

وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير في مصاحف اهل العراق فبما كسبت باثبات الفاء على تضمين ما
معنى الشرط وفي مصاحف اهل المدينة بما كسبت بغير فاء على ان ما مبتدأة وبما كسبت خبرها من غير تضمين معنى الشرط

ولا آية مخصوصة بالمجرمين ولا يمتنع ان يستوفي الله بعض عقاب المجرم ويعفو عن بعض فاما من لا جرم عليه كالانبيا والاطفال والمجانين فهولاء اذا
اصابهم شي من الم او غيره فللعوض الموفي والمصلحة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة
حجر الا بذنب ولما يعفو الله عنه اكثر وعن بعضهم من لم يعلم ان ما وصل اليه من الفتن والمصايب باكتسابه وان ما عفا عنه
مولاه اكثر كان قليل النظر في احسان ربه اليه وعن اخر العبد ملازم للجنايات في كل اوان وجناياته في طاعاته اكثر من جناياته في معاصيه لان
جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله يطهر عبده من جناياته بانواع المصايب ليخفف عنه اثقاله
في القيمة ولولا عفوه ورحمته لهلك في اول خطوة وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقد رفعه من عفي عنه في الدنيا عفي
عنه في الاخرة ومن عوقب في الدنيا لم تثن عليه العقوبة في الاخرة وعنه كرم الله وجهه هذه ارجى اية للمومنين في القران
وما انتم بمعجزين في الارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير بمعجزين بفايتين ما قضي عليكم من المصايب ومن ولي من
متول بالرحمة ومن اياته الجوار في البحر كالاعلام ان يشا يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ان في ذلك لايات
لكل صبار شكور الجواري السفن وقري الجوار كالاعلام كالجبال قالت الخنسا كانه علم في راسه نار وقري
الرياح فيظللن بفتح اللام وكسرها من ظل يظل ويظل ونحو ضل يضل ويضل رواكد ثوابت لا تجري على ظهره على ظهر
البحر لكل صبار على بلاء الله شكور لنعمايه وهما صفتا المومن المخلص فجعلهما كناية عنه وهو الذي وكل همته بالنظر في
ايات الله فهو يستملي منها العبر او يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير يوبقهن يهلكهن والمعنى انه ان يشا يبتلي المسافرين في
البحر باحدى بليتين اما ان يسكن الريح فيركد الجواري على متن البحر ويمنعهن من الجري واما ان يرسل الريح عاصفة
فيهلكهن اغراقا بسبب ما كسبوا من الذنوب ويعفو عن كثير منها فان قلت علام عطف يوبقهن قلت على يسكن
لان المعنى ان يشا يسكن الريح فيركدن او يعصفها فيغرقن بعصفها فان قلت فما معنى ادخال العفو في حكم الايباق حيث جزم
جزمه قلت معناه او ان يشا يهلك ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم فان قلت فمن قرا ويعفو قلت
قد استانف الكلام ويعلم الذين يجادلون في اياتنا ما لهم من محيص فان قلت فما وجوه القراات الثلث في ويعلم قلت
اما الجزم فعلى ظاهر العطف واما الرفع فعلى الاستيناف واما النصب فللعطف على تعليل محذوف تقديره لينتقم
منه ويعلم الذين يجادلون ونحوه في العطف على التعليل المحذوف غير عزيز في القران منه قوله تعالى ولنجعله اية
للناس وقوله وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت واما قول الزجاج النصب على اضمار ان
لان قبلها جزاء تقول ما تصنع اصنع مثله واكرمك وان شيت واكرمك على وانا اكرمك وان شيت واكرمك
جزما ففيه نظر لما اورده سيبويه في كتابه قال واعلم ان النصب بالفاء والواو في قوله ان تاتني اتك
واعطيك ضعيف وهو نحو من قوله والحق بالحجاز فاستريحا فهذا يجوز وليس بحد الكلام ولا وجهه الا انه في الجزاء
صار اقوى قليلا لانه ليس بواجب انه يفعل الا ان يكون من الاول فعل فلما ضارع الذي لا يوجبه كالاستفهام ونحوه
اجازوا فيه هذا على ضعفه ولا يجوز ان تحمل القراة المستفيضة على وجه ليس بحد الكلام ولا وجهه ولو كانت من هذا
الباب لما اخلى سيبويه منها كتابه وقد ذكر نظايرها من الايات المشكلة فان قلت كيف يصح المعنى على جزم ويعلم قلت
كانه قال او ان يشا يجمع بين ثلثة امور هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير اخرين فما اوتيتم
من شي فمتاع الحيوة الدنيا وما عند الله خير وابقى للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون ما الاولى ضمنت معنى الشرط فجاءت
الفاء في جوابها بخلاف الثانية عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه اجتمع لابي بكر رضي الله عنه مال فتصدق به كله في سبيل الله
والخير فلامه المسلمون وخطاه الكافرون فنزلت والذين ~~استجابوا لربهم~~ يجتنبون كباير الاثم والفواحش واذا ما

يجتنبون م

عضبوا هم يغفرون والذين عطف على للذين آمنوا وكذلك ما بعده ومعنى كبائر الإثم والكبائر من هذا الجنس وقرئ
كبير الإثم وعن ابن عباس رضي الله عنهما كبير الإثم هو الشرك هم يغفرون أي هم الأخصاء بالغفران في حال
الغضب لا يغول الغضب أحلامهم كما يغول حلوم الناس والمجيء بهم وإيقاعه مبتدأ وإسناد يغفرون إليه لهذه
الفائدة ومثله هم ينتصرون والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم
ينفقون والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون والذين استجابوا لربهم نزلت في الأنصار دعاهم الله
تعالى إلى الإيمان به فاستجابوا له بأن آمنوا به وأطاعوه وأقاموا الصلاة وأتموا الصلوات الخمس وكانوا قبل
الإسلام وقبيل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة إذا كان بينهم أمر اجتمعوا وتشاوروا فأثنى
الله عليهم أن لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا عليه وعن الحسن ما تشاور قوم إلا هدوا لأرشد أمرهم والشورى
مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومعنى قوله تعالى وأمرهم شورى بينهم أي ذو شورى وكذلك وقولهم ترك رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة شورى وهو أن يقتصروا على الانتصار وعن النخعي أنه كان
إذا قرأها قال كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فيجترئ عليهم الفساق فإن قلت أهم محمودون على الانتصار
قلت نعم لأن من أخذ حقه غير متعد حد الله وما أمر به فلم يسرف في القتل إن كان ولي دم أو رد على سفيه محاماة
على عرضه أو ردعا له فهو مطيع وكل مطيع محمود قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله
إنه لا يحب الظالمين كلتا الفعلتين الأولى وجزاؤها سيئة لأنها تسوء من تنزل به قال الله تبارك وتعالى
فإذا قال أخزاك الله قال أخزاك الله فمن عفا وأصلح بينه وبين خصمه وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك يريد
ما يسوؤهم من المصائب والبلايا والمعنى أنه يجب إذا قوبلت الإساءة أن تقابل بمثلها من غير زيادة فإذا قال
أخزاك الله قال أخزاك الله فمن عفا وأصلح بينه وبين خصمه بالعفو والإغضاء كما قال تعالى فإذا الذي بينك
وبينه عداوة كأنه ولي حميم فأجره على الله عدة مبهمة لا يقاس أمرها في العظم وقوله تعالى إنه لا يحب
الظالمين دلالة على الانتصار لا يكاد يؤمن فيه تجاوز السيئة والاعتداء خصوصا في حال الحرد والتهاب الحمية
فربما كان المجازي من الظالمين وهو لا يشعر وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله
أجر فليقم قال فيقوم خلق فيقال لهم ما أجركم على الله فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة
بإذن الله ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل بعد ظلمه من إضافة المصدر إلى المفعول ويفسره قراءة
من قرأ بعد ما ظلم فأولئك إشارة إلى معنى من دون لفظه ما عليهم من سبيل للمعاقب ولا للعائب والعائب
إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم إنما السبيل على الذين
يظلمون الناس يبتدئونهم بالظلم ويبغون في الأرض يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون ولمن صبر وغفر إن
ذلك لمن عزم الأمور ولمن صبر على الظلم والأذى وغفر ولم ينتصر وفوض أمره إلى الله إن ذلك منه
لمن عزم الأمور وحذف الراجع لأنه مفهوم كما حذف من قولهم السمن منوان بدرهم ويحكى أن رجلا سب
رجلا في مجلس الحسن رحمه الله عليه وكان المسبوب يكظم ويعرق فيمسح العرق ثم قام فتلا هذه الآية فقال
الحسن عقلها وفهمها إذ ضيعها الجاهلون وقالوا العفو مندوب إليه ثم قد ينعكس الأمر في بعض الأحوال فيرجع
ترك العفو مندوبا إليه وذلك إذا احتيج إلى كف زيادة البغي وقطع مادة الأذى وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ما يدل عليه وهو أن زينب سمعت عائشة رضي الله عنها بحضرته وكان ينهاها فقال صلى الله عليه وسلم لعائشة دونك

فلا تنتهي م

ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده وترى الظالمين لما راوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل ومن يضلل
الله ومن يخذله فما له من ولي من بعده فليس له من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله وتريهم يعرضون عليها خاشعين
من الذل ينظرون من طرف خفي وقال الذين امنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة
الا ان الظالمين في عذاب مقيم خاشعين متضائلين متقاصرين مما يلحقهم من الذل ينظرون ويوقف على خاشعين من
طرف خفي اي يبتدي نظرهم من تحريك لاجفانهم ضعيف خفي بمسارقة كما ترى المصبور ينظر الى السيف وهكذا
نظر الناظر الى المكاره لا يقدر ان يفتح اجفانه عليها ويملا عينيه منها كما يفعل في نظره الى المحاب وقيل يحشرون
عميا فلا ينظرون الا بقلوبهم وذلك نظر من طرف خفي وفيه تعسف يوم القيمة اما ان يتعلق بخسروا ويكون قول
المومنين واقعا في الدنيا واما ان يتعلق بقال اي يقولون يوم القيمة اذا راوهم على تلك الصفة وما كان لهم
من اولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل استجيبوا لربكم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله
ما لكم من ملجا يومئذ وما لكم من نكير من الله من صلة لا مرد اي لا يرده الله بعد ما حكم به او من صلة ياتي اي من
قبل ان ياتي من الله يوم لا يقدر احد على رده والنكير الانكار اي ما لكم من مخلص من العذاب ولا تقدرون
ان تنكروا شيا مما اقترفتموه ودون في صحايف اعمالكم فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا ان عليك
الا البلاغ وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان
كفور اراد بالانسان الجمع لا الواحد لقوله تعالى وان تصبهم سيئة ولم يرد الا المجرمين لان اصابة السيئة بما
قدمت ايديهم انما يستقيم فيهم والرحمة النعمة من الصحة والغنى والامن والسيئة البلاء من المرض والفقر
والمخاوف والكفور البليغ الكفران ولم يقل فانه كفور ليسجل ان الجنس موسوم بكفران النعم كما قال
تعالى ان الانسان لظلوم كفار ان الانسان لربه لكنود والمعنى انه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها
لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا
واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير لما ذكر اذاقة الانسان الرحمة واصابته بضدها اتبع ذلك
ان له الملك وانه يقسم النعمة والبلاء كيف اراد ويهب لعباده من الاولاد ما تقتضيه مشيئته فيخص
بعضا بالاناث وبعضا بالذكور وبعضا بالصنفين جميعا ويعقم اخرين فلا يهب لهم ولدا قط فان قلت
لم قدم الاناث اولا على الذكور مع تقدمهم عليهن ثم رجع فقدمهم ولم عرف الذكور بعد ما نكر الاناث
قلت لانه ذكر البلاء في اخر الاية الاولى وكفران الانسان بنسيانه الرحمة السابقة عنده ثم عقبه بذكر
ملكه ومشيئته وذكر قسمة الاولاد فقدم الاناث لان سياق الكلام انه فاعل ما يشاؤه لا ما يشاؤه الانسان
فكان ذكر الاناث اللاتي من جملة ما لا يشاؤه الانسان اهم والاهم واجب التقديم وليلي الجنس الذي كانت
العرب تعده بلاء ذكر البلاء واخر الذكور فلما اخرهم لذلك تدارك تاخيرهم وهم احقاء بالتقديم بتعريفهم
لان التعريف تنويه وتشهير كانه قال ويهب لمن يشاء الفرسان الاعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم
ثم اعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتاخير وعرف ان تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتضى
اخر فقال ذكرانا واناثا كما قال تعالى انا خلقناكم من ذكر وانثى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وقيل
نزلت في الانبياء عليهم السلام حيث وهب لشعيب ولوط عليهما اناثا ولابرهيم عليهما الصلاة الذكور ولمحمد صلى الله عليه وسلم
ذكورا واناثا وجعل يحيى وعيسى عليهما السلام عقيمين انه عليم بذات بمصالح العباد قدير على تكوين ما يصلحهم

وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم وما كان لبشر
وما صح لبشر أن يكلمه الله إلا على ثلاثة أوجه إما على طريق الوحي وهو الإلهام والقذف في القلب أو المنام
كما أوحى إلى أم موسى وإلى ابرهيم عليه الصلاة والسلام في ذبح ولده وعن مجاهد أوحى الله الزبور إلى داود عليه السلام
في صدره قال عبيد بن الأبرص وأوحى إلي الله أن قد تأمروا بإبل أبي أوفى فقمت على رجلي أي ألهمني وقذف
في قلبي وإما على أن يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الأجرام من غير أن يبصر السامع من يكلمه لأنه في ذاته غير مرئي
وقوله تعالى من وراء حجاب أي مثل ما يكلم الملك المحتجب بعض خواصه وهو من وراء الحجاب فيسمع صوته ولا يرى
شخصه وذلك كما كلم موسى ويكلم الملائكة وإما على أن يرسل إليه رسولا من الملائكة فيوحي الملك إليه كما كلم الأنبياء غير موسى
وقيل وحيا كما أوحى إلى الرسل بواسطة الملائكة أو يرسل رسولا أي نبيا كما كلم أمم الأنبياء على ألسنتهم ووحيا
وأن يرسل مصدران واقعان موقع الحال لأن أن يرسل في المعنى إرسالا ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال
أيضا كقوله تعالى وعلى جنوبهم والتقدير وما صح أن يكلم أحدا إلا موحيا أو مسمعا من وراء حجاب أو مرسلا ويجوز
أن يكون وحيا موضوعا موضع كلاما لأن الوحي كلام خفي في سرعة كما تقول لا أكلمه إلا جهرا وإلا خفاتا لأن
الجهر والخفات ضربان من الكلام وكذلك إرسالا جعل الكلام على لسان الرسول بمنزلة الكلام بغير واسطة
تقول قلت لفلان كذا وإنما قاله وكيلك أو رسولك وقوله أو من وراء حجاب بمعناه أو إرسالا أو إسماعا من
وراء حجاب ومن جعل وحيا في معنى أن يوحي وعطف يرسل عليه على معنى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا بأن يوحي أو بأن
يرسل فعليه أن يقدر قوله أو من وراء حجاب تقديرا يطابقهما عليه نحو أو أن يسمع من وراء حجاب وقرئ
أو يرسل رسولا فيوحي بالرفع على وهو يرسل أو بمعنى مرسلا عطفا على وحيا في معنى موحيا وروي أن اليهود قالت للنبي
صلى الله عليه وسلم ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر إليه فإنا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك
فقال لم ينظر موسى إلى الله فنزلت وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية
ثم قالت أو لم تسمعوا ربكم يقول فتلت هذه الآية إنه علي عن صفات المخلوقين حكيم يجري أفعاله على موجب الحكمة
فيكلم تارة بواسطة وأخرى بغير واسطة إما إلهاما وإما خطابا وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت
تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم
صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور روحا من أمرنا يريد ما أوحي إليه لأن الخلق
يحيون به في دينهم كما يحيى الجسد بالروح فإن قلت قد علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يدري
ما القرآن قبل نزوله عليه فما معنى قوله ولا الإيمان والأنبياء لا يجوز عليهم إذا عقلوا وتمكنوا من النظر والاستدلال
أن يخطئهم الإيمان بالله وتوحيده ويجب أن يكونوا معصومين من ارتكاب الكبائر ومن الصغائر التي فيها تنفير
قبل المبعث وبعده فكيف لا يعصمون من الكفر قلت الإيمان اسم يتناول أشياء بعضها الطريق إليه العقل وبعضها
الطريق إليه السمع فعنى به ما الطريق إليه السمع دون العقل وذاك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحي ألا ترى أن الله قد
فسر الإيمان في قوله سبحانه وتعالى وما كان الله ليضيع إيمانكم بالصلاة لأنها بعض ما يتناوله الإيمان من
نشاء من عبادنا من له لطف ومن لا لطف له فلا هداية تجدي عليه وصراط الله بدل وقرئ لتهدي أي
يهديك الله وقرئ لتدعو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم عسق كان ممن يصلي
عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له صدق النبي وهو أصدق الصادق والله أعلم

سورة الزخرف مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي تسع وثمانون آية

حم والكتاب المبين أقسم بالكتاب المبين وهو القرآن وجعل قوله تعالى انا جعلناه قرآنا عربيا جوابا للقسم وهو من الايمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه وكونهما من واد واحد ونظيره قول ابي تمام

• وثناياك انها اغريض •

المبين البين للذين انزل عليهم لانه بلغتهم واساليبهم وقيل الواضح للمتدبرين وقيل المبين الذي ابان طرق الهدى من طرق الضلالة وابان ما تحتاج اليه الامة في ابواب الديانة انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون جعلناه بمعنى صيرناه معدى الى مفعولين او بمعنى خلقناه معدى الى واحد كقوله وجعل الظلمات والنور وقرآنا عربيا حال ولعل مستعار لمعنى الارادة لتلاحظ معناها ومعنى الترجي اي خلقناه عربيا غير عجمي ارادة ان تعقله العرب ولئلا يقولوا لولا فصلت آياته وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم وقرئ ام الكتاب بالكسر وهي اللوح لقوله تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ سمي بام الكتاب لانه الاصل الذي اثبتت فيه الكتب وقرئ ام الكتاب منه تنقل وتستنسخ علي رفيع الشان في الكتب لكونه معجزا من بينها حكيم ذو حكمة بالغة اي منزلته عندنا منزلة كتاب هما صفتاه وهو مثبت في ام الكتاب هكذا افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين افنضرب عنكم الذكر صفحا بمعنى افننحي عنكم الذكر ونذوده عنكم على سبيل المجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض ومنه قول الحجاج ولاضربنكم ضرب غرائب الابل وقال طرفة

• اضرب عنك الهموم طارقها • ضربك بالسيف قونس الفرس •

والفاء للعطف على محذوف تقديره انهملكم فنضرب عنكم الذكر انكارا لان يكون الامر على خلاف ما قدم من انزاله الكتاب وخلقه قرآنا عربيا ليعقلوه ويعملوا بموجبه وصفحا على وجهين اما مصدر من صفح عنه اذا اعرض منتصب على انه مفعول له على معنى افنعزل عنكم انزال القرآن والزام الحجة به اعراضا عنكم واما بمعنى الجانب من قولهم نظر اليه بصفح وجهه وصفح وجهه على معنى افننحيه عنكم جانبا فينتصب على الظرف كما تقول ضعه جانبا وامش جانبا وتعضده قراءة من قرأ صفحا بالضم وفي هذه القراءة وجه آخر وهو ان يكون تخفيف صفح جمع صفوح وينتصب على الحال اي صافحين معرضين ان كنتم اي لان كنتم وقرئ ان كنتم واذ كنتم فان قلت كيف استقام معنى ان الشرطية وقد كانوا مسرفين على البت قلت

هو

موقع الشرط الذي ذكرت أنه يصدر عن المدل بصحة الأمر المتحقق لثبوته كما يقول الأجير إن كنت عملت لك فوفني حقي وهو
عالم بذلك ولكنه يخيل في كلامه أن تفريطك في الخروج عن الحق فعل من له شك في الاستحقاق مع وضوحه
استجهالا له وكم أرسلنا من نبي في الأولين وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون وما يأتيهم حكاية حال
ماضية مستمرة أي كانوا على ذلك وهذه تسلية لرسول الله عليه الصلاة والسلام عن استهزاء قومه فأهلكنا
أشد منهم بطشا ومضى مثل الأولين الضمير في أشد منهم للقوم المسرفين لأنه صرف الخطاب عنهم إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يخبره عنهم ومضى مثل الأولين أي سلف في القرآن في غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التي حقها
أن تسير مسير المثل وهذا وعد لرسول الله عليه الصلاة والسلام ووعيد لهم ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن
خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذي نزل من السماء ماء
فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون فإن قلت قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم وما سرد من الأوصاف
عقيبه إن كان من قولهم فما تصنع بقوله فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون وإن كان من قول الله فما وجهه قلت
هو من قول الله لا من قولهم ومعنى قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي من صفته كيت وكيت لينسبن خلقها
إلى الذي هذه أوصافه وليسندنه إليه بقدر بمقدار يسلم معه البلاد والعباد ولم يكن طوفانا والذي خلق
الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا
استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون والأزواج الأصناف
ما تركبون أي ما تركبونه فإن قلت يقال ركبوا الأنعام وركبوا في الفلك وقد ذكر الجنسين فكيف قال
تركبونه قلت غلب المتعدي بغير واسطة لقوته على المتعدي بواسطة فقيل تركبونه على ظهوره على ظهور ما تركبون
وهو الفلك والأنعام ومعنى ذكر نعمة الله عليهم أن يذكروها في قلوبهم معترفين بها مستعظمين لها ثم يحمدوا عليها
بألسنتهم وهو ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فإذا استوى على الدابة
قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا إلى قوله لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا وقالوا إذا
ركب في السفينة قال بسم الله مجريها ومرسيها إن ربي لغفور رحيم وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما
أنه رأى رجلا ركب دابة فقال سبحان الذي سخر لنا هذا فقال أبهذا أمرتم فقال وبم أمرنا قال
أن تذكروا نعمة ربكم كان قد أغفل التحميد فنبهه عليه وهذا من حسن مراعاتهم لآداب ومحافظتهم على
دقيقها وجليلها جعلنا الله من المقتدين بهم والسائرين بسيرتهم فما أحسن بالعاقل النظر في لطائف الصناعات
فكيف بالنظر في لطائف الديانات ومقرنين مطيقين يقال أقرن الشيء إذا أطاقه قال ابن هرمة

وأقرنت ما حملتني ولقلما يطاق احتمال الصد يا دعد والهجر

وحقيقة أقرنه وجده قرينته وما يقرن به لأن الصعب لا يكون قرينة الضعيف ألا ترى إلى قولهم في
الضعيف لا يقرن به الصعبة وقرئ مقرنين والمعنى واحد فإن قلت كيف اتصل بذلك قوله
تعالى وإنا إلى ربنا لمنقلبون قلت كم من راكب دابة عثرت به أو شمست أو تقحمت أو طاح من ظهرها
فهلك وكم من راكبين في سفينة انكسرت بهم فغرقوا فلما كان الركوب مباشرة أمر مخطر واتصالا بسبب
من أسباب التلف كان من حق الراكب وقد اتصل بسبب من أسباب التلف أن لا ينسى عند اتصاله
يومه وأنه هالك لا محالة فمنقلب إلى الله غير منفلت من قضائه ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون

مستشعر لقاء الله باخلاصه من نفسه • والحذر من أن يكون ركوبه من أسباب موته في علم الله تعالى وهو غافل عنه ويستعيذ بالله من مقام من يقول لقرنائه تعالوا نتنزه على الخيل او في بعض الزوارق فيركبون حاملين مع انفسهم اواني الخمر والمعازف فلا يزالون يسقون حتى تميل طلاهم وهم على ظهور الدواب او في بطون السفن وهي تجري بهم لا يذكرون الا الشيطان ولا يمتثلون الا اوامره • وقد بلغني ان بعض السلاطين ركب وهو يشرب من بلد الى بلد بينهما مسيرة شهر فلم يصح الا بعدما اطمأنت به الدار فلم يشعر بمسيره ولا احس به فكم بين فعل اولئك الراكبين وبين ما امر الله به في هذه الاية • وقيل يذكرون عند الركوب ركوب الجنازة • وجعلوا له من عباده جزءا ان الانسان لكفور مبين • وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله • ولئن سالتهم • اي ولئن سالتهم عن خالق السموات والارض ليعترفن به وجعلوا له • وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزءا فوصفوه بصفات المخلوقين • ومعنى من عباده جزءا وادعاء ان الجزء في لغة العرب اسم للاناث • وما هو الا كذب على العرب ان قالوا الملائكة بنات الله فجعلوهم جزءا له وبعضا منه كما يكون الولد بضعة من والده وجزءا له ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالاناث وادعاء ان الجزء في لغة العرب اسم للاناث وما هو الا كذب على العرب ووضع مستحدث منحول ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه اجزأت المرأة ثم صنعوا بيتا وبيتا • قال •

• ان اجزأت حرة يوما فلا عجب • زوجتها من بنات الاوس مجزئة •

وقرئ جزؤا بضمتين ولكفور مبين لجحود للنعمة • ظاهر جحوده لان نسبة الولد اليه كفر والكفر اصل الكفران كله • ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين • ام اتخذ بل اتخذ والهمزة للانكار تجهيلا لهم وتعجيبا من شانهم حيث لم يرضوا بان جعلوا لله من عباده جزءا حتى جعلوا ذلك الجزء شر الجزئين وهو الاناث دون الذكور على انهم انفر خلق الله عن الاناث وامقتهم لهن • ولقد بلغ بهم المقت الى ان وأدوهن كانه قيل هبوا ان اضافة اتخاذ الولد اليه جائزة فرضا وتمثيلا اما تستحيون من الشطط في القسمة ومن ادعائكم انه آثركم على نفسه بخير الجزئين واعلاهما وترك له شرهما وادناهما وتنكير بنات وتعريف البنين وتقديمهن في الذكر عليهم لما ذكرت في قوله تعالى يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور • واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم اومن ينشؤ في الحلية وهو في الخصام غير مبين • بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذي جعله مثلا اي شبها لانه اذا جعل الملائكة جزءا لله وبعضا منه فقد جعله من جنسه ومماثلا له لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد يعني انهم نسبوا اليه هذا الجنس ومن حالهم ان احدهم اذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم واربد وجهه غيظا وتاسفا وهو مملوء من الكرب • وعن بعض العرب ان امرأته وضعت انثى فهجر البيت الذي فيه المرأة فقالت

• ما لابي حمزة لا ياتينا • غضبان ان لا نلد البنينا •

• ليس لنا من امرنا ما شينا • وانما ناخذ ما اعطينا •

والظلول بمعنى الصيرورة كما يستعمل اكثر الافعال الناقصة بمعناها • وقرئ مسود ومسواد على ان في ظل ضمير المبشر • ووجهه مسود جملة واقعة موقع الخبر • ثم قال • او يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته وهو انه ينشا • اي يتربى في الزينة والنعمة وهو اذا احتاج الى مجاثاة الخصوم ومجاراة الرجال كان غير مبين ليس عنده بيان ولا ياتي ببرهان يحتج به على من يخاصمه وذلك لضعف عقول النساء ونقصانهن عن فطرة الرجال يقال قل ما تكلمت امرأة فارادت ان تتكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها

وفيه

وفيه انه جعل النشاء في الزينة والنعومة من المعايب والمذام وانه من صفة ربات الحجال • فعلى الرجل ان يجتنب
ذلك • ويأنف منه • ويربأ بنفسه عنه ويعيش كما قال عمر رضي الله • اخشوشنوا واخشوشبوا
وتمعددوا • وان اراد ان يزين نفسه زينها من باطن بلباس التقوى • وقرئ ينشأ • وينشأ • ويناشأ •
ونظير المناشأة بمعنى الانشاء المغالاة بمعنى الاغلاء • وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أشهدوا
خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون قد جمعوا في كفرة ثلث كفرات • وذلك انهم نسبوا الى الله الولد
ونسبوا اليه اخس النوعين وجعلوه من الملائكة الذين هم اكرم عباد الله على الله فاستخفوا بهم واحتقروهم
وقرئ عباد الرحمن وعبيد الرحمن وعند الرحمن • وهو مثل لزلفاهم • واختصاصهم واناثا وانثا
جمع الجمع • ومعنى جعلوا سموا • وقالوا انهم اناث • وقرئ اشهدوا واأشهدوا بهمزتين مضمومة ومفتوحة
وآشهدوا بالف بينهما • وهكذا تهكم بهم بمعنى انهم يقولون ذلك من غير ان يستند قولهم الى علم فان
الله لم يضطرهم الى علم ذلك ولا تطرقوا اليه باستدلال ولا احاطوا به من خبر يوجب العلم فلم يبق الا ان
يشاهدوا خلقهم فاخبروا عن المشاهدة ستكتب شهادتهم التي شهدوا بها على الملائكة من انوثتهم ويسئلو
وهذا وعيد • وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وشهاداتهم وشهاداتهم ويساءلون على
يفاعلون وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون وقالوا لو شاء الرحمن
ما عبدناهم هما كفرتان ايضا مضمومتان الى الكفرات الثلث وهما عبادتهم الملائكة من دون الله وزعمهم
ان عبادتهم بمشيئة الله كما يقول اخوانهم المجبرة • فان قلت ما انكرت على ما يقوله قالوا ذلك على وجه
الاستهزاء لو قالوه جادين لكانوا مؤمنين قلت لا دليل على انهم قالوا مستهزئين وادعاء ما لا دليل عليه
باطل على ان الله تعالى قد حكى عنهم على سبيل الذم والشهادة بالكفر انهم جعلوا له من عباده جزءا وانه
اتخذ بنات واصفاهم بالبنين وانهم جعلوا الملائكة المكرمين اناثا وانهم عبدوهم وقالوا لو شاء
الرحمن ما عبدناهم فلو كانوا ناطقين بها على طريق الهزء لكان النطق بالمحكيات قبل هذا المحكي الذي هو
ايمان عنده لو جدوا في النطق به مدحا لهم من قبل انها كلمات كفر نطقوا بها على طريق الهزء فبقي ان
يكونوا جادين • ويشترك كلها في انها كلمات كفر فان قالوا نجعل هذا الاخير وحده مقولا على وجه الهزء
دون ما قبله • فما بهم الا تعويج كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لتسوية مذهبهم
الباطل • ولو كانت هذه الكلمة حقا نطقوا بها هزءا لم يكن لقوله تعالى ما لهم بذلك من علم ان هم الا
يخرصون معنى لان من قال لا اله الا الله على طريق الهزء كان الواجب ان ينكر عليه استهزاؤه ولا يكذب
لانه لا يجوز تكذيب الناطق • بالحق جادا كان او هازئا • فان قلت ما قولك فيمن يفسر ما لهم بقولهم
ان الملائكة بنات الله من علم ان هم الا يخرصون في ذلك القول لا في تعليق عبادتهم بمشيئة الله قلت
تمحل مبطل وتحريف مكابر • ونحوه قوله تعالى سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا
ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم ام اتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون بل قالوا انا
وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية الا قال مترفوها
انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون الضمير في من قبله للقرآن او الرسول والمعنى انهم الصقوا
عبادة غير الله بمشيئة الله قولا قالوه غير مستند الى علم ثم قال تعالى ام اتيناهم كتابا قبل هذا الكتاب

ننسب فيه الكفر والقبائح الينا فحصل لهم علم بذلك من جهة الوحي فاستمسكوا بذلك الكتاب واحتجوا به بل لا حجة لهم
يستمسكون بها الا قولهم انا وجدنا اباءنا على دين وقرئ على إمة بالكسر وكلتاهما من الأم وهو القصد فالأمة
الطريقة التي تؤم اي تقصد كالرحلة للمرحول اليه والإمة الحالة التي يكون عليها الآم وهو القاصد وقيل
على نعمة وحالة حسنة على آثارهم مهتدون خبر إن او الظرف صلة لمهتدون مترفوها الذين اترفتهم النعمة
اي ابطرتهم فلا يحبون الا الشهوات والملاهي ويعافون مشاق الدين وتكاليفه قل اولو جئتكم باهدى
مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين
قرئ قل وقال وجئتكم وجئناكم يعني أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين اهدى من دين آبائكم قالوا انا
ثابتون على دين آبائنا لا ننفك عنه وان جئتنا بما هو اهدى واهدى واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني
براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين قرئ براء بفتح الباء وضمها وبريء فبريء وبراء نحو كريم
وكرام وبراء مصدر كظماء ولذلك استوى فيه الواحد والاثنان والجماعة والمذكر والمؤنث يقال
نحن البراء منك والخلاء منك الذي فطرني فيه غير وجه ان يكون منصوبا على انه استثناء منقطع كانه قال
لكن الذي فطرني فانه سيهدين وان يكون مجرورا بدلا من المجرور بمن كانه قال انني براء مما تعبدون الا
من الذي فطرني فان قلت كيف تجعله بدلا وليس من جنس ما يعبدون من وجهين احدهما ان ذات الله
مخالفة لجميع الذوات فكانت مخالفة لذوات ما تعبدون والثاني ان الله تعالى غير معبود بينهم والاوثان
معبودة قلت كانوا يعبدون الله مع اوثانهم وان تكون الا صفة بمعنى غير على ان ما في ما تعبدون موصوفة
تقديره انني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فانه نظير قوله سبحانه وتعالى لو كان فيهما آلهة
الا الله لفسدتا فان قلت ما معنى قوله تعالى سيهدين على التسويف قلت قال مرة فهو يهدين ومرة
فانه سيهدين فاجمع بينهما وقدر كانه قال فهو يهدين وسيهدين فيدلان على استمرار الهداية في الحال والاستقبال
وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون وجعلها وجعل ابرهيم عليه الصلاة والسلام كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي
قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني كلمة باقية في عقبه في ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله
ويدعو الى توحيده لعل من اشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم ونحوه ووصى بها ابراهيم بنيه وقيل وجعلها
الله وقرئ كلمة على التخفيف وفي عقبه كذلك وفي عاقبه اي فيمن عقبه اي خلفه بل متعت هؤلاء وآباءهم
حتى جاءهم الحق ورسول مبين بل متعت هؤلاء يعني اهل مكة وهم من عقب ابراهيم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا
بالمهلة وشغلوا بالتنعم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد حتى جاءهم
الحق وهو القرآن ورسول مبين الرسالة واضحها بما معه من الآيات البينة فكذبوا به وسموه ساحرا وما جاء به
سحرا ولم يوجد منهم ما رجاه ابرهيم عليه الصلاة والسلام وقرئ بل متعنا فان قلت فما وجه من قرأ
متعت بفتح التاء قلت كان الله تعالى اعترض على ذاته في قوله وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم
يرجعون فقال بل متعتهم بزيادة النعم ووجب عليهم ان يجعلوا ذلك سببا في زيادة الشكر والثبات على
التوحيد والايمان لا ان يشركوا به ويجعلوا له اندادا فمثاله ان يشكو الرجل اساءة من احسن اليه ثم يقبل على نفسه
فيقول انت السبب في ذلك بمعروفك واحسانك وغرضه بهذا الكلام توبيخ المسيء لا تقبيح فعله فان قلت قد
جعل مجيء الحق والرسول غاية التمتيع ثم اردفه قوله تعالى ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر فما طريقة هذا النظم

ومؤداه

وءاباءهم قلت المراد بالتمتيع ما هو سبب له وهو اشتغالهم بالاستمتاع عن التوحيد ومقتضياته فقال عز وعلا بل اشتغلوا
عن التوحيد حتى جاءهم الحق ورسول مبين فخيل بهذه الغاية انهم تنبهوا عندها عن غفلتهم لاقتضائها التنبه
ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ثم ابتدا
قصتهم عند مجيء الحق فقال ولما جاءهم جاؤوا بما هو شر من غفلتهم التي كانوا عليها وهو ان ضموا الى شركهم معاندة
الحق ومكابرة الرسول ومعاداته والاستخفاف بكتاب الله وشرايعه والاصرار على افعال الكفرة والاحتكام
على حكمة الله في تخير محمد من اهل زمانه بقوله تعالى لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وهي الغا
في تشويه صورة امرهم قرئ على رجل بسكون الجيم ومن القريتين من احدى القريتين كقوله تعالى
يخرج منهما اللؤلؤ اي من احدهما والقريتين مكة والطايف وقيل من رجلي القريتين وعنى الوليد بن المغيرة
المخزومي وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفي عن ابن عباس رضي الله عنه وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة
ابن عبد ليل وعن قتادة الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي وكان الوليد يقول لو كان حقا ما يقول
محمد لنزل هذا القرآن علي او على ابي مسعود الثقفي وابو مسعود كنية عروة بن مسعود ما زالوا ينكرون ان
يبعث الله بشرا رسولا فلما علموا بتكرير الله الحجج ان الرسل لم يكونوا الا رجالا من اهل القرى جاؤوا بالانكار
من وجه آخر وهو تحكمهم ان يكون احد هذين وقولهم هذا القرآن ذكر له على وجه الاستهانة وارادوا بعظم
الرجل رياسته وتقدمه في الدنيا وعزب عن عقولهم ان العظيم من كان عند الله عظيما اهم يقسمون
رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم
بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون اهم يقسمون رحمة ربك هذه الهمزة للانكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من اعتراضهم
وتحكمهم وان يكونوا هم المدبرين لامر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بها والمتولين لقسمة رحمة الله التي لا
يتولاها الا هو بباهر قدرته ثم ضرب لهم مثلا فاعلم انهم عاجزون عن تدبير خويصة امرهم وما يصلحهم في دنياهم
وان الله عز وعلا هو الذي قسم بينهم معيشتهم وقدرها ودبر احوالهم تدبير العالم بها فلم يسو بينهم في اسباب
العيش وغاير بين منازلهم فجعل منهم الاقوياء والضعفاء والاغنياء والمحاويج والموالي والخدم ليصرف بعضهم بعضا
في حوائجهم ويستخدموهم في مهنهم ويتسخروهم في اشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا الى منافعهم ويحصلوا
على مرافقهم ولو وكلهم الى انفسهم وولاهم تدابير امرهم لضاعوا وهلكوا واذا كانوا في تدبير امر المعيشة الدنية
في الحياة الدنيا على هذه الصفة فما ظنك بهم في تدابير الدين الذي هو رحمة الله الكبرى ورأفته العظمى وهو
الطريق الى حيازة حظوظ الآخرة والسلم الى حلول دار السلام ثم قال ورحمة ربك يريد هذه الرحمة
وهي دين الله وما يتبعه من الفوز في المآب خير مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا فان قلت معيشتهم
ما يعيشون به من المنافع ومنهم من يعيش بالحلال ومنهم من يعيش بالحرام فاذن قد قسم الله الحلال والحرام قلت
الله تعالى قسم لكل عبد معيشته وهي مطاعمه ومشاربه وما يصلحه من المنافع واذن له في تناولها ولكن شرط
عليه وكلفه ان يسلك في تناولها الطريق التي شرعها فاذا سلكها فقد تناول قسمته من المعيشة حلالا
وسماها رزق الله فالله تعالى قاسم المعايش والمنافع واذا لم يسلكها تناولها حراما وليس له ان يسميها رزق
الله فالله تعالى قاسم المعايش والمنافع ولكن العباد هم الذين يكسبونها صفة الحرمة بسوء تناولهم وهو عدولهم
فيه عما شرعه الله الى ما لم يشرعه ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من

فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والاخرة
عند ربك للمتقين لبيوتهم بدل اشتمال من قوله لمن يكفر بالرحمن • ويجوز ان يكونا بمنزلة اللامين في قولك وهبت
له ثوبا لقميصه • وقرئ سقفا بفتح السين • وسكون القاف وبضمها واسكان القاف • وبضمهما
جمع سقف • كرهن ورهن • ورهن • وعن الفراء جمع سقيفة وسقفا بفتحتين كانه لغة في سقف وسقوفا
ومعارج ومعاريج والمعارج جمع معرج او اسم جمع لمعراج وهو المصاعد الى العلالي • عليها يظهرون اي
على المعارج يظهرون السطوح يعلونها • فما اسطاعوا ان يظهروه وسررا بفتح الراء لاستثقال الضمتين
مع حرف التضعيف لما متاع الحياة اللام هي الفارقة بين ان المخففة والنافية • وقرئ بكسر اللام اي للذي
هو متاع الحياة كقوله تعالى • مثلا ما بعوضة • ولما بالتشديد بمعنى الا وان نافية • وقرئ الا وقرئ
وما كل ذلك الا • لما قال خير مما يجمعون • فقلل امر الدنيا وصغرها اردفه ما يقرر قلة الدنيا عنده من قوله
تعالى • ولولا ان يكون الناس امة واحدة اي ولولا كراهة ان يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه لجعلنا لحقارة
زهرة الحياة الدنيا عندنا للكفار سقوفا ومصاعد وابوابا وسررا كلها من فضة وجعلنا لهم زخرفا اي زينة
من كل شيء • والزخرف الزينة والذهب ويجوز ان يكون الاصل سقفا من فضة وزخرف يعني بعضها من فضة
وبعضها من ذهب • فنصب عطفا على محل من فضة • وفي معناه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لو وزنت عند
الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء • فان قلت فحين لم يوسع على الكافرين للفتنة التي كان
يؤدي اليها التوسعة عليهم من اطباق الناس على الكفر لحبهم الدنيا وتهالكهم عليها فهلا وسع على المسلمين ليطبق الناس
على الاسلام قلت التوسعة عليهم مفسدة ايضا لما تؤدي اليه من الدخول في الاسلام لاجل الدنيا والدخول في الدين
لاجل الدنيا من دين المنافقين فكانت الحكمة فيما دبر حيث جعل في الفريقين اغنياء وفقراء وغلب الفقر على الغنى
ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين قرئ ومن يعش بضم الشين وفتحها والفرق بينهما
انه اذا حصلت الآفة في بصره قيل عشي واذا نظر نظر العشي ولا آفة به قيل عشا ونظيره عرج لمن به الآفة
وعرج لمن مشى مشية العرجان من غير عرج • قال الحطيئة •
• متى تأته تعشو الى ضوء ناره • اي تنظر اليها نظر العشي لما يضعف بصرك من عظم
الوقود واتساع الضوء • وهو بين في قول حاتم •
• اعشو اذا ما جارتي برزت • حتى يواري جارتي الخدر •
وقرئ يعشو على ان من موصولة غير مضمنة معنى الشرط وحق هذا القارئ ان يرفع نقيض ومعنى القراءة
بالفتح • ومن يعم عن ذكر الرحمن وهو القرآن كقوله عز وجل صم بكم عمي • واما القراءة بالضم فمعناها
ومن يتعام عن ذكره اي يعرف انه الحق وهو يتجاهل ويتعامى كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم
نقيض له شيطانا نخذله ونخل بينه وبين الشياطين كقوله تعالى • وقيضنا لهم قرناء • الم تر انا ارسلنا
الشياطين على الكافرين • وقرئ يقيض اي يقيض له الرحمن ويقيض له شيطان وانهم ليصدونهم عن
السبيل ويحسبون انهم مهتدون فان قلت لم جمع ضمير من وضمير الشيطان في قوله وانهم ليصدونهم قلت
لان من مبهم في جنس العاشي وقد قيض له شيطان مبهم في جنسه فلما جاز ان يتناولا لابهامهما غير واحد
جاز ان يرجع الضمير اليهما مجموعا حتى اذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين حتى اذا جاءنا

وقرئ

وقرئ جاءانا على أن الفعل له ولشيطانه قال لشيطانه يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين يريد المشرق والمغرب
فغلب كما قيل العمران والقمران فإن قلت فما بعد المشرقين قلت تباعدهما والأصل بعد المشرق من المغرب
والمغرب من المشرق فلما غلب جمع المفترقين بالتثنية أضاف البعد إليهما ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في
العذاب مشتركون أنكم في محل الرفع على الفاعلية يعني ولن ينفعكم كونكم مشتركين في العذاب كما ينفع الواقعين
في الأمر الصعب اشتراكهم فيه لتعاونهم في تحمل أعبائه وتقسمهم لشدته وعنائه وذلك أن لكل واحد منكم
من العذاب ما لا تبلغه طاقته ولك أن تجعل الفعل للتمني في قوله تعالى يا ليت بيني وبينك على معنى ولن ينفعكم
اليوم ما أنتم فيه من تمني مباعدة القرين وقوله تعالى أنكم في العذاب مشتركون تعليل أي لن ينفعكم تمنيكم لأن
حقكم أن تشتركوا أنتم وقرناؤكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه وهو الكفر وتقويه قراءة من قرأ
إنكم بالكسر وقيل إذا رأى الممنو بشدة من مني بمثلها روحه ذلك ونفس بعض كربه وهو التأسي الذي ذكرته
الخنساء: أعزي النفس عنه بالتأسي • وما يبكون مثل أخي ولكن • فهؤلاء لا يؤسيهم
اشتراكهم ولا يروحهم لعظم ما هم فيه فإن قلت ما معنى قوله إذ ظلمتم قلت معناه إذ صح ظلمكم
وتبين ولم يبق لكم ولا لأحد شبهة في أنكم كنتم ظالمين وذلك يوم القيامة وإذ بدل من اليوم ونظيره
إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة • أي تبين أني ولد كريمة • أفأنت تسمع الصم أو تهدي
العمي ومن كان في ضلال مبين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجد ويجتهد ويكد روحه في دعائهم وهم
لا يزيدون في دعائه إلا تصميما على الكفر وتماديا في الغي فأنكر عليه بقوله تعالى أفأنت تسمع إنكار تعجب
من أن يكون هو الذي يقدر على هدايتهم وأراد أنه لا يقدر على ذلك منهم إلا هو وحده على سبيل الإلجاء والقسر كقوله
تعالى إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون أو نرينك الذي
وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم ما في قوله تعالى
فإما نذهبن بمنزلة لام القسم في أنها إذا دخلت دخلت معها النون المؤكدة والمعنى فإن قبضناك قبل أن ننصرك عليهم
ونشفي صدور المؤمنين منهم فإنا منهم منتقمون أشد الانتقام في الآخرة كقوله تعالى أو نتوفينك
فإلينا يرجعون وإن أردنا أن ننجز في حياتك ما وعدناهم من العذاب النازل بهم وهو يوم بدر فهم
تحت ملكتنا وقدرتنا لا يفوتوننا وصفهم بشدة الشكيمة في الكفر والضلال ثم أتبعه شدة الوعيد بعذاب
الدنيا والآخرة وقرئ نرينك الخفيفة وقرئ بالذي أوحى إليك على البناء للفاعل وهو الله عز وجل
والمعنى وسواء عجلنا لك الظفر والغلبة وأخرنا إلى يوم الآخر فكن مستمسكا بما أوحينا إليك وبالعمل به فإنه الصراط
المستقيم الذي لا يحيد عنه إلا ضال وزد كل يوم صلابة في المحاماة على دين الله ولا يخرجك الضجر بأمرهم إلى
شيء من اللين والرخاوة في أمرك ولكن كما يفعل الثابت الذي لا ينشطه تعجيل ظفر ولا يثبطه تأخيره
وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون وإن الذي أوحينا إليك لذكر لشرف لك ولقومك وسوف
تسألون عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم له وشكركم على أن رزقتموه وخصصتم به من بين العالمين
واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال
لإحالته ولكنه مجاز عن النظر في أديانهم والفحص عن مللهم هل جاءت عبادة الأصنام الأوثان قط في ملة من
ملل الأنبياء وكفاه نظرا وفحصا نظره في كتاب الله سبحانه وتعالى المعجز المصدق لما بين يديه وإخبار الله بأنهم

ولم يجد من يقتدي به قط

واخبار الله فيه بأنهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وهذه الآية في نفسها كافية لا حاجة الى
غيرها • والسؤال الواقع مجازا عن النظر حيث لا يصح السؤال على الحقيقة كثير منه مسألة الشعراء
الديار والرسوم والأطلال • وقول من قال سل الأرض من شق أنهارك وغرس أشجارك • فإنها
لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا • وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم جمع له الأنبياء ليلة الاسراء في بيت المقدس
فأمهم • وقيل له سلهم فلم يشكك ولم يسأل ومعناه سل أمم من أرسلنا وهم أهل الكتابين التوراة
والانجيل • وعن الفراء انما يخبرونه عن كتب الرسل فإذا سألهم فكأنه سأل الأنبياء ولقد أرسلنا موسى
بآياتنا الى فرعون وملائه فقال اني رسول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون
ما أجابوه به عند قوله اني رسول رب العالمين محذوف دل عليه قوله فلما جاءهم بآياتنا وهو مطالبتهم اياه
باحضار البينة على دعواه وابراز الآية اذا هم منها يضحكون اي يسخرون منها ويهزؤن بها ويسمونها
سحرا واذا للمفاجأة • فإن قلت كيف جاز أن تجاب لما باذا المفاجأة قلت لأن فعل المفاجأة
معها مقدر وهو عامل النصب في محلها كأنه قيل فلما جاءهم بآياتنا فاجأوا وقت ضحكهم وما نريهم من آية
الا هي أكبر من أختها وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون فإن قلت اذا جاءتهم آية واحدة من جملة التسع
فما أختها التي فضلت عليها في الكبر من بقية الآيات قلت أختها التي هي آية مثلها وهذه صفة
كل واحدة فكان المعنى على أنها أكبر من بقية الآيات على سبيل التفصيل والاستقراء واحدة بعد واحدة كما
تقول هو أفضل رجل رأيته تريد تفضيله على أمة الرجال الذين رأيتهم اذا قفوتهم رجلا رجلا فإن
قلت هو كلام متناقض لأن معناه ما من آية من التسع الا هي أكبر من كل واحدة منها فتكون كل واحدة
منها فاضلة ومفضولة في حالة واحدة قلت الغرض بهذا الكلام أنهن موصوفات بالكبر لا يكدن يتفاوتن
فيه وكذلك العادة في الأشياء التي تتلاقى في الفضل وتتفاوت منازلها فيه التفاوت اليسير أن
تختلف آراء الناس في تفضيلها فيفضل بعضهم هذا وبعضهم ذلك فعلى ذلك بنى الناس كلامهم فقالوا
رأيت رجالا بعضهم أفضل من بعض وربما اختلف آراء الرجل الواحد فيها فتارة يفضل هذا وتارة
يفضل ذاك • ومنه بيت الحماسة

• من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم • مثل النجوم التي يسري بها الساري • ولقد
• فاضلت الأنمارية بين الكملة من بنيها • ثم قالت •
• لما أبصرت مراتبهم متدانية • قليلة التفاوت ثكلتهم ان كنت أعلم أيهم •

أفضل كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها • لعلهم يرجعون ارادة أن يرجعوا عن الكفر
الى الايمان فان قلت لو أراد رجوعهم لكان قلت ارادته فعل غيره ليس الا أن يأمره
به ويطلب منه ايجاده فإن كان ذلك على سبيل القسر وجد والا دار بين أن يوجد وبين أن لا يوجد
على حسب اختيار المكلف وانما لم يكن الرجوع لأن الارادة لم تكن قسرا ولم يختاروه والمراد بالعذاب
السنون والطوفان والجراد وغير ذلك وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون
فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون قرئ يا أيه الساحر بضم الهاء وقد سبق وجهه فان قلت
كيف سموه بالساحر مع قولهم اننا لمهتدون قلت قولهم اننا لمهتدون وعد منوي اخلافه وعهد معزوم

على نكثه

بلغ مقابله

بلغ مقابله

على نكثه معلق بشرط ان ندعو لهم وينكشف عنهم العذاب الا ترى الى قوله فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون
فما كانت تسميتهم اياه بالساحر بمنافية لقولهم اننا لمهتدون وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر انما هو ساحر
لاستعظامهم علم السحر. بما عهد عندك بعهده عندك من ان دعوتك مستجابة او بعهده عندك وهو النبوة او بما عهد
عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة او بما عهد عندك من كشف العذاب عمن اهتدى ونادى فرعون في قومه
قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون ونادى فرعون في قومه جعلهم محلا لندائه
وموقعا له والمعنى انه امر بالنداء في مجامعهم واماكنهم من نادى فيها بذلك فاسند النداء اليه كقولك قطع الامير اللص
اذا امر بقطعه ويجوز ان يكون عنده عظماء القبط فيرفع صوته بذلك فيما بينهم ثم ينشر عنه في جموع القبط
فكانه نودي به بينهم فقال اليس لي ملك مصر وهذه الانهار يعني انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر
طولون ونهر دمياط ونهر تنيس قيل كانت تجري تحت قصره وقيل تحت سريره لارتفاعه وقيل بين يديه في
جناني وبساتيني ويجوز ان يكون الواو عاطفة للانهار على ملك مصر وتجري نصب على الحال منها وان تكون الواو
للحال واسم الاشارة مبتدا والانهار صفة لاسم الاشارة وتجري خبر للمبتدا وليت شعري كيف ارتقت الى
دعوى الربوبية همة من تعظم بملك مصر وعجب الناس من مدى عظمته وامر فنودي بها في اسواق مصر وازقتها
لئلا تخفى تلك الابهة والجلالة على صغير ولا كبير وحتى تتربع في صدور الدهماء مقدار عزته وملكوته وعن
الرشيد انه لما قراها قال لاولينها اخس عبيدي فولاها الخصيب وكان على وضوئه وعن عبد الله بن طاهر انه وليها
فخرج اليها فلما شارفها ووقع عليها بصره قال اهي القرية التي افتخر بها فرعون حتى قال اليس لي ملك مصر والله لهي
اقل عندي من ان ادخلها فثنى عنانه ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين فلولا القي عليه اسورة من ذهب
او جاء معه الملائكة مقترنين ام انا خير ام هذه متصلة لان المعنى افلا تبصرون ام تبصرون الا انه وضع قوله انا خير موضع
تبصرون لانهم اذا قالوا انت خير فهم عنده بصراء وهذا من انزال السبب منزلة المسبب ويجوز ان تكون منقطعة
على بل انا خير والهمزة للتقرير وذلك انه قدم تعديد اسباب الفضل والتقدم عليهم من ملك مصر وجري الانهار
تحته ونادى بذلك وملأ به مسامعهم ثم قال انا خير كانه يقول اثبت عندكم واستقر اني انا خير وهذه حالي من
هذا الذي هو مهين اي ضعيف حقير وقرئ اما انا خير ولا يكاد يبين الكلام لما به من الرتة يريد انه ليس معه من
العدد وآلات الملك والسياسة ما يعتضد به وهو في نفسه مخل بما ينعت به الرجال من الفصاحة وكانت الانبياء
كلهم ابيناء بلغاء واراد بالقاء الاسورة عليه القاء مقاليد الملك اليه لانهم كانوا اذا ارادوا تسويد الرجل سوروه
بسوار وطوقوه بطوق من ذهب مقترنين اما مقترنين به من قولك قرنته به فاقترن به واما من اقترنوا
بمعنى تقارنوا لما وصف نفسه بالملك والعزة ووازن بينه وبين موسى عليه السلام فوصفه بالضعف وقلة الاعضاد
اعترض فقال هلا ان كان صادقا ملكه ربه وسوده وسوره وجعل الملائكة اعضاده وانصاره وقرئ
اساورة جمع اسورة واساوير جمع اسوار وهو السوار واساورة على تعويض التاء من ياء اساوير وقرئ
القي عليه اسورة واساور على البناء للفاعل وهو الله سبحانه وتعالى وتعظم فاستخف قومه فاطاعوه انهم
كانوا قوما فاسقين فاستخف قومه فاستفزهم وحقيقته حملهم على ان يخفوا له ولما اراد منهم وكذلك
استفزه من قولهم للخفيف فز فلما آسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين آسفونا منقول من اسف
اسفا اذا اشتد غضبه ومنه الحديث في موت الفجاءة رحمة للمؤمن واخذة اسف للكافر ومعناه انهم افرطوا في

المعاصي وعدوا طورهم فاستوجبوا ان يعجل لهم عذابنا وانتقامنا وان لا نحلم عنهم **فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين**
وقرئ سلفا جمع سالف كخادم وخدم وسلفا بضمتين جمع سليف اي فريق قد سلف وسلفا جمع سلفة اي
ثلة قد سلفت ومعناه فجعلناهم قدوة للآخرين من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم
لاتيانهم بمثل افعالهم وحديثا عجيب الشأن سائرا مسير المثل يحدثون به ويقال لهم مثلكم مثل قوم فرعون **ولما ضرب**
ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش انكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم امتعضوا من ذلك امتعاضا شديدا فقال عبد الله بن الزبعرى يا محمد اخاصة لنا ولآلهتنا ام لجميع الامم
فقال صلى الله عليه وسلم هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم فقال خصمتك ورب الكعبة ألست تزعم ان عيسى بن مريم نبي
وتثني عليه خيرا وعلى امه وقد علمت ان النصارى يعبدونهما وعزير يعبد والملائكة يعبدون فان كان هؤلاء في النار فقد رضينا
ان نكون نحن وآلهتنا معهم ففرحوا وضحكوا وسكت النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا
الحسنى ونزلت هذه الآية والمعنى ولما ضرب عبد الله بن الزبعرى عيسى ابن مريم مثلا وجادل رسول الله عليه السلام
بعبادة النصارى اياه اذا قومك منه يصدون قريش من هذا المثل يصدون ترتفع لهم جلبة وضجيج
فرحا وجذلا وضحكا بما سمعوا منه من اسكات رسول الله صلى الله عليه وسلم بجدله كما يرتفع لغط القوم وجلبتهم اذا تعيوا
بحجة ثم فتحت عليهم واما من قرأ يصدون بالضم فمن الصدود اي من اجل هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه
وقيل من الصديد وهو الجلبة وانهما لغتان نحو يعكف ويعكف ونظائر لهما **وقالوا آلهتنا خير ام هو ما ضربوه**
لك الا جدلا بل هم قوم خصمون ان هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة
في الارض يخلفون وقالوا آلهتنا خير ام هو يعنون ان آلهتنا عندك ليست بخير من عيسى واذا كان عيسى من حصب
النار كان امر آلهتنا هينا ما ضربوه اي ما ضربوا هذا المثل لك الا جدلا الا لاجل الجدل والغلبة في القول
لا لطلب الميز بين الحق والباطل بل هم قوم خصمون لد شداد الخصومة دأبهم اللجاج كقوله تعالى قوما لدا وذلك
ان قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله ما اريد به الا الاصنام وكذلك قوله عليه السلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع
الامم انما قصد به الاصنام ومحال ان يقصد به الانبياء والملائكة الا ان ابن الزبعرى بخبثه وخداعه وخبث
دخلته لما رأى كلام الله ورسوله محتملا لفظه وجه العموم مع علمه بان المراد به اصنامهم لا غير وجد للحيلة مساغا
فصرف معناه الى الشمول والاحاطة بكل معبود غير الله على طريقة المحك والجدال وحب المغالبة والمكابرة وتوقح
في ذلك فتوقر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اجاب عنه ربه ان الذين سبقت لهم منا الحسنى فدل به على ان الآية خاصة
في الاصنام على ان ظاهرها قوله تعالى وما تعبدون لغير العقلاء وقيل لما سمعوا قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله
كمثل آدم قالوا نحن اهدى من النصارى لانهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت وقوله آلهتنا خير ام
هو على هذا القول تفضيل لآلهتهم على عيسى لان المراد بهم الملائكة وما ضربوه لك الا جدلا معناه ما قالوا
هذا القول يعني آلهتنا خير ام هو الا للجدال وقرئ آآلهتنا خير باثبات همزة الاستفهام وباسقاطها لدلالة
ام العديلة عليها • وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه خير ام هذا ويجوز ان يكون جدلا حالا اي جدلين وقيل
لما نزلت ان مثل عيسى عند الله قالوا ما يريد محمد بهذا الا ان نعبده وانه يستأهل ان يعبد وان كان بشرا كما
عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدون على هذا الوجه يضجون ويضجرون والضمير في ام هو لمحمد صلى الله
عليه وسلم وغرضهم بالموازنة بينه وبين آلهتهم السخرية والاستهزاء ويجوز ان يقولوا لما انكر عليهم قولهم الملائكة بنات الله

وعبده وهم ما قلنا بدعًا من القول ولا فعلنا نكرًا من الفعل فإن النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه ونحن أشف
منهم قولًا وفعلًا فإنا نسبنا إليه الملائكة وهم نسبوا إليه الأناسي فقيل لهم مذهب النصارى شرك بالله ومذهبكم
شرك مثله وما تنصلكم مما أنتم عليه بما أوردتموه إلا قياس باطل بباطل وما عيسى إلا عبد كسائر العبيد ف انعمنا
عليه حيث جعلناه آية بأن خلقناه من غير سبب كما خلقنا آدم وشرفناه بالنبوة وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل
السائر لبني إسرائيل ف ولو نشاء لقدرتنا على عجائب الأمور وبدائع الفطر لجعلنا منكم يا رجال ملائكة يخلفونكم
في الأرض كما يخلفكم أولادكم كما ولدنا عيسى من أنثى من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة ولتعلموا أن الملائكة
أجسام لا تتولد إلا من أجسام وذات القديم متعالية عن ذلك **وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا
صراط مستقيم ولا يصدنكم الشيطان إنه لكم عدو مبين** وإنه أي وإن عيسى عليه السلام لعلم للساعة أي شرط من أشراطها
تعلم به فسمي الشرط علمًا لحصول العلم به وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما لَعَلَم وهو العلامة وقرئ للعلم وقرأ أبي
رضي الله عنه لذكر على تسمية ما يذكر به ذكرًا كما سمي ما يعلم به علمًا وفي الحديث أن عيسى عليه السلام ينزل على
ثنية بالأرض المقدسة يقال لها أفيق وعليه ممصرتان وشعر رأسه دهين وبيده حربة وبها يقتل الدجال فيأتي بيت
المقدس والناس في صلاة الصبح والإمام يؤم بهم فيتأخر الإمام فيقدمه عيسى عليه السلام ويصلي خلفه على شريعة
محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى إلا من آمن به
وعن الحسن رحمه الله أن الضمير للقرآن وأن القرآن به تعلم الساعة لأن فيه الإعلام بها فلا تمترن بها من المرية وهي الشك
واتبعون واتبعوا هداي وشرعي أو رسولي وقيل هذا أمر لرسول الله عليه السلام أن يقوله هذا صراط مستقيم أي هذا
الذي أدعوكم إليه أو هذا القرآن إن جعل الضمير في وإنه للقرآن ف عدو مبين قد بانت عداوته لكم إذ أخرج أباكم
من الجنة ونزع عنه لباس النور **ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه
فاتقوا الله وأطيعون إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم** بالبينات بالمعجزات أو بآيات الإنجيل
والشرائع البينات الواضحات بالحكمة يعني الإنجيل والشرائع فإن قلت هلا بين لهم كل الذي يختلفون فيه ولكن
بعضه قلت كانوا يختلفون في الديانات وما يتعلق بالتكليف وفيما سوى ذلك مما لم يتعبدوا بمعرفته والسؤال
عنه وإنما بعث ليبين لهم ما اختلفوا فيه مما يعنيهم من أمر دينهم **فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم
أليم** الأحزاب الفرق المتحزبة بعد عيسى عليه السلام وقيل اليهود والنصارى فويل للذين ظلموا وعيد للأحزاب فإن قلت
من بينهم إلى من يرجع الضمير فيه قلت إلى الذين خاطبهم عيسى عليه السلام في قوله قد جئتكم بالحكمة وهم قومه المبعوث
إليهم **هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون** أن تأتيهم الساعة بدل من الساعة والمعنى هل
ينظرون إلا إتيان الساعة فإن قلت ما أدى قوله بغتة مؤدى قوله تعالى وهم لا يشعرون فيستغنى عنه قلت
لا لأن معنى قوله تعالى وهم لا يشعرون وهم غافلون لاشتغالهم بأمور دنياهم كقوله تعالى تأخذهم وهم يخصمون
ويجوز أن تأتيهم بغتة وهم فطنون **الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين يا عباد لا خوف عليكم
اليوم ولا أنتم تحزنون** يومئذ منصوب بعدو أي ينقطع في ذلك اليوم كل خلة بين المتخالين في غير ذات الله
وتنقلب عداوة ومقتًا إلا خلة المتصادقين في الله فإنها الخلة الباقية المزدادة قوة إذا رأوا ثواب التحاب
في الله والتباغض في الله وقيل إلا المتقين إلا المجتنبين أخلاء السوء وقيل نزلت في أبي بن خلف وعقبة
بن أبي معيط يا عبادي حكاية لما ينادي به المتقون المتحابون في الله يومئذ **الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين**

والذين امنوا منصوب المحل صفة لعبادي لانه منادى مضاف اي الذين صدقوا باياتنا وكانوا مخلصين وجوههم لنا جاعلين انفسهم
سالمة لطاعتنا وقيل اذا بعث الله الناس فزع كل احد فينادي مناد يا عبادي فيرجوها الناس كلهم ثم يتبعها
الذين امنوا فييأس الناس منها غير المسلمين وقرئ يا عباد ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون تحبرون
تسرون سرورا يظهر حباره اي اثره على وجوهكم لقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم وقال الزجاج
تكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب وفيها
ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وانتم فيها خالدون والكوب الكوز لا عروة له وفيها الضمير للجنة
وقرئ تشتهي وتشتهيه وهذا حصر لانواع النعم لانها اما مشتهاة في القلوب واما مستلذة في العيون
وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون وتلك اشارة الى الجنة المذكورة وهي مبتدأ والجنة خبر
والتي اورثتموها صفة للجنة والجنة صفة للمبتدأ الذي هو اسم الاشارة والتي اورثتموها خبر للمبتدأ والتي
اورثتموها صفة وبما كنتم تعملون الخبر والباء تتعلق بمحذوف كما في الظروف التي تقع اخبارا وفي الوجه
الاول تتعلق باورثتموها وشبهت في بقائها على اهلها بالميراث الباقي على الورثة وقرئ ورثتموها
لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون من للتبعيض اي لا تاكلون الا بعضها واعقابها باقية في
شجرها فهي مزينة بالثمار ابدا موقرة بها لا ترى شجرة عريانة من ثمرها كما في الدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم
لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها الا نبت مكانها مثلاها ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم
وهم فيه مبلسون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين لا يفتر عنهم لا يخفف ولا ينقص من قولهم فترت عنه
الحمى اذا سكنت عنه قليلا ونقص حرها والمبلس اليائس ساكت يأس من فرج وعن الضحاك يجعل المجرم في تابوت
من نار ثم يردم عليه فيبقى فيه خالدا لا يرى ولا يرى هم فصل عند البصريين عماد عند الكوفيين وقرئ وهم فيها
اي في النار ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون وقرأ علي وابن مسعود رضي الله عنهما يا مال بحذف
الكاف للترخيم كقول القائل والحق يا مال غير ما تصف وقيل لابن عباس ان ابن مسعود قرأ ونادوا يا مال
فقال ما اشغل اهل النار عن الترخيم وعن بعضهم حسن الترخيم انهم يقتطعون بعض الاسم لضعفهم وعظم ما هم
فيه وقرأ ابو السرار الغنوي يا مال بالرفع كما يقال يا حار ليقض علينا من قضى عليه اذا اماته فوكزه موسى فقضى
عليه والمعنى سل ربك ان يقضي علينا فان قلت كيف قال ونادوا ونادوا يا مالك بعد ما وصفهم بالابلاس قلت
تلكم ازمنة متطاولة واحقاب ممتدة فتختلف بهم الاحوال فيسكتون اوقاتا لغلبة اليأس عليهم وعلمهم انه لا فرج
ويغوثون اوقاتا لشدة ما بهم ماكثون لابثون وفيه استهزاء والمراد خالدون عن ابن عباس رضي الله عنهما
انما يجيبهم بعد الف سنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم يلقى على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب
فيقولون ادعوا مالكا فيدعون يا مالك ليقض علينا ربك لقد جئناكم بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون
لقد جئناكم بالحق كلام الله عز وجل بدليل قراءة من قرأ لقد جئتكم ويجب ان يكون في قال ضمير الله عز وجل
لما سألوا مالكا ان يسأل الله القضاء عليهم اجابهم بذلك كارهون لا تقبلونه وتنفرون منه لان مع الباطل الدعة
ومع الحق التعب ام ابرموا امرا فانا مبرمون ام ابرم مشركو مكة امرا من كيدهم ومكرهم برسول الله عليه السلام
كقوله تعالى ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتنادون فيتناجون في امر رسول الله عليه السلام
ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون فان قلت ما المراد بالسر والنجوى قلت

السر ما حدث به الرجل نفسه او غيره في مكان خال والنجوى ما تكلموا به فيما بينهم • بلى نسمعها ونطلع عليهما
عليهما • ورسلنا يريد الحفظة عندهم يكتبون ذلك وعن يحيى بن معاذ الرازي رحمة الله عليه من ستر من الناس
ذنوبه وابداها للذي لا يخفى عليه شيء في السموات فقد جعله اهون الناظرين اليه وهو من علامات النفاق
قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين ان كان للرحمن ولد وصح ذلك وثبت ببرهان صحيح وحجة واضحة
تدلون بها • فانا اول من يعظم ذلك الولد واسبقكم الى طاعته والانقياد له كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم
ابيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة في نفي الولد والاطناب فيه وان لا يترك
الناطق به شبهة الا مضمحلة مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد وذلك انه علق العبادة
بكينونة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها فهو في صورة اثبات الكينونة والعبادة
وفي معنى نفيهما على ابلغ الوجوه واقواها ونظيره ان يقول العدلي للمجبرة ان كان الله خالقا للكفر في القلوب
ومعذبا عليه عذابا سرمدا فانا اول من يقول هو شيطان وليس باله فمعنى هذا الكلام وما وضع له اسلوبه
ونظمه نفي ان يكون الله خالقا للكفر وتنزيهه عن ذلك • وتقديسه ولكن على طريق المبالغة فيه من الوجه الذي ذكرنا
مع الدلالة على سماجة المذهب وضلالة الذاهب اليه والشهادة القاطعة باحالته والافصاح عن نفسه بالبراءة
منه وغاية النفار • والاستبعاد من ارتكابه ونحو هذه الطريقة قول سعيد بن جبير رحمه الله للحجاج حين قال
له اما والله لابدلنك بالدنيا نارا تلظى لو عرفت ان ذلك اليك ما عبدت الها غيرك • وقد تمحل الناس بما اخرجوه
به من هذا الاسلوب الشريف المليء بالنكت والفوائد المستقل باثبات التوحيد على ابلغ وجوهه فقيل ان كان
للرحمن ولد في زعمكم فانا اول العابدين الموحدين لله المكذبين قولكم باضافة الولد اليه وقيل ان كان للرحمن
ولد في زعمكم فانا اول من قال بذلك وعبد ووحد • وروي ان النضر بن عبد الدار بن قصي قال ان الملائكة
بنات الله • فنزلت فقال النضر الا ترون انه قد صدقني فقال له الوليد بن المغيرة ما صدقك ولكن قال
ما كان للرحمن ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة ان لا ولد له وقرئ ولد بضم الواو • سبحان رب السموات
والارض رب العرش عما يصفون فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون • نزه
ذاته موصوفة بربوبية السموات والارض والعرش عن اتخاذ الولد ليدل على انه من صفة الاجسام ولو كان جسما لم يقدر
على خلق هذا العالم وتدبير امره • فذرهم يخوضوا ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم باطلهم ويلعبوا في دنياهم
حتى يلاقوا يومهم وهذا دليل على ان ما يقولونه من باب الجهل والخوض واللعب واعلام لرسول الله صلى الله عليه
وسلم انهم من المطبوع على قلوبهم الذين لا يرجون البتة وان ركب في دعوتهم كل صعب وذلول وخذلان وتخلية
كقوله عز وجل اعملوا ما شئتم واعاد بالسفاهة في العاقبة • وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وهو الحكيم العليم
ضمن اسمه تعالى معنى وصف فلذلك علق به الظرف في قوله في السماء وفي الارض كما تقول هو حاتم في طي حاتم في تغلب
على تضمين معنى الجواد الذي شهر به كانك قلت هو جواد في طي جواد في تغلب وقرئ وهو الذي في السماء الله وفي الارض
الله ومثله قوله عز وعلا وهو الله في السموات وفي الارض كانه ضمن معنى المعبود او المالك او نحو ذلك والراجع الى الموصول
محذوف لطول الكلام • كقولهم ما انا بالذي قائل لك شيئا وزاده طولا ان المعطوف داخل في حيز الصلة ويحتمل
ان يكون في السماء صلة الذي واله خبر مبتدا محذوف على ان الجملة بيان للصلة وان كونه في السماء على سبيل الالهية والربوبية
لا على معنى الاستقرار وفيه نفي الالهة التي كانت تعبد في الارض • وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما

في باطلهم

بيّنة

وعنده علم الساعة واليه ترجعون ترجعون بضم التاء وفتحها ويرجعون بيا مضمومة وبري يحشرون ولا يملك الذين
يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون ولا يملك آلهتهم الذين يدعون من دون الله الشفاعة
كما زعموا انهم شفعاؤهم عند الله ولكن من شهد بالحق وهو توحيد الله وهو يعلم ما يشهد به عن بصيرة وايقان
واخلاص هو الذي يملك الشفاعة وهو استثناء منقطع ويجوز ان يكون متصلا لان في جملة الذين يدعون من دون
الله الملائكة وقرئ تدعون بالتاء وتدّعون بالتاء وتشديد الدال ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فانى
يؤفكون وقيله يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون وقيله قرئ بالحركات
الثلث وذكر في النصب عن الاخفش انه حمله على ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجويهم وقيله وعنه وقال
قيله وعطفه الزجاج على محل الساعة كما تقول عجبت من ضرب زيد وعمرا وحمل الجر على لفظ الساعة والرفع على الابتدا
والخبر ما بعده وجوز عطفه على علم الساعة على تقدير حذف المضاف معناه وعنده علم الساعة وعلم قيله والذي قالوه
ليس بقوي في المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضا ومع تنافر النظم واقوى من
ذلك واوجه ان يكون الجر والنصب على اضمار حرف القسم وحذفه والرفع على قولهم ايمن الله وامانة الله ويمين الله ولعمرك ويكون قوله
تعالى ان هؤلاء قوم لا يؤمنون جواب القسم كانه قيل واقسم بقيله يا رب او وقيله يا رب قسمي ان هؤلاء قوم لا يؤمنون
فاصفح عنهم فاعرض عن دعوتهم يائسا عن ايمانهم وودعهم وتاركهم وقل لهم سلام اي تسلم منكم ومتاركة فسوف
يعلمون وعيد من الله لهم وتسلية لرسوله والضمير في وقيله لرسول الله واقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه
والتجائه اليه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة يا عباد لا خوف عليكم اليوم
ولا انتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

سورة الدخان مكية | بسم الله الرحمن الرحيم | وهي تسع وخمسون آية

حم والكتاب المبين انا انزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم الواو في والكتاب واو القسم ان
جعلت حم تعديدا للحروف او اسما للسورة مرفوعا على خبر الابتدا المحذوف وواو العطف ان كانت حم مقسما بها
وقوله تعالى انا انزلناه جواب القسم والكتاب المبين القرآن والليلة المباركة ليلة القدر وقيل ليلة النصف
من شعبان ولها اربعة اسامي الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة الصك وليلة الرحمة وقيل بينها وبين ليلة
القدر اربعون ليلة وقيل في تسميتها ليلة البراءة والصك ان البندار اذا استوفى الخراج من اهله كتب
لهم البراءة كذلك الله عز وجل يكتب لعباده المؤمنين البراءة في هذه الليلة وقيل هي مختصة بخمس خصال
تفريق كل امر حكيم وفضيلة العبادة فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى في هذه الليلة مائة
ركعة ارسل الله اليه مائة ملك ثلثون يبشرونه بالجنة وثلثون يؤمنونه من عذاب النار وثلثون يدفعون عنه
آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان ونزول الرحمة قال صلى الله عليه وسلم ان الله يرحم
امتي في هذه الليلة بعدد شعر اغنام بني كلب وحصول المغفرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يغفر
لجميع المسلمين في تلك الليلة الا الكاهن او الساحر او مشاحن او مدمن خمر او عاق للوالدين او مصر على الزنا
وما اعطي فيها رسول الله عليه السلام من تمام الشفاعة وذلك انه سال ليلة الثالث عشر من شعبان في امته فاعطي

الثلث منها ما سال ليلة الرابع عشر فاعطي الثلثين ثم سال ليلة الخامس عشر فاعطي الجميع الا من شرد على الله
شراد البعير • ومن عادة الله في هذه الليلة ان يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة والقول الاكثر ان
المراد بالليلة المباركة ليلة القدر لقوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر ولمطابقة قوله فيها يفرق كل امر حكيم
لقوله تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر وقوله شهر رمضان الذي انزل فيه القران وليلة القدر
في اكثر الاقاويل في شهر رمضان فان قلت ما معنى انزال القران في هذه الليلة قلت قالوا انزل جملة
واحدة من السماء السابعة الى السماء الدنيا وامر السفرة الكرام بانتساخه في ليلة القدر وكان جبريل عليه السلام
ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما نجوما فان قلت انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم
ما موقع هاتين الجملتين قلت هما جملتان مستانفتان ملفوفتان فسر بهما جواب القسم الذي هو قوله
انا انزلناه في ليلة مباركة كانه قيل انزلناه لان من شاننا الانذار والتحذير من العقاب وكان انزالنا
اياه في هذه الليلة خصوصا لان انزال القران من الامور الحكيمة وهذه الليلة مفرق كل امر حكيم والمباركة
الكثيرة الخير لما يتيح الله فيها من الامور التي يتعلق بها منافع العباد في دينهم ودنياهم ولو لم يوجد فيها
الا انزال القران وحده لكفى به بركة ومعنى يفرق يفصل ويكتب كل امر حكيم من ارزاق العباد واجالهم
وجميع امورهم منها الى الاخرى القابلة وقيل يبدا في استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة
ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبريل عليه السلام
وكذلك الصواعق والزلازل والخسف ونسخة الاعمال الى اسماعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة
المصائب الى ملك الموت وعن بعضهم يعطى كل عامل بركات اعماله فيلقي على السنة الخلق مدحه وعلى قلوبهم
هيبته وقرئ بالتشديد ويفرق كل على بنائه للفاعل ونصب كل والفارق الله عز وجل وقرا زيد
ابن علي رضي الله عنهما نفرق بالنون كل امر حكيم كل شان ذي حكمة اي مفعول على ما تقتضيه الحكمة وهو
من الاسناد المجازي لان الحكيم صفة صاحب الامر على الحقيقة ووصف الامر به مجاز امرا من عندنا انا
كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو السميع العليم رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين
لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب ابائكم الاولين بل هم في شك يلعبون امرا من عندنا نصب
على الاختصاص جعل كل امر جزلا فخما بان وصفه بالحكيم زاده جزالة وكسبه فخامة بان قال
اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا كائنا من لدنا وكما اقتضاه علمنا وتدبيرنا ويجوز ان يراد به الامر
الذي هو ضد النهي ثم اما ان يوضع موضع فرقانا الذي هو مصدر يفرق لان معنى الامر والفرقان واحد
من حيث انه اذا حكم بالشيء وكتبه فقد امر به واوجبه او يكون حالا من واحد الضميرين في انزلناه اما من ضمير
الفاعل اي انزلناه امرين امرا او من ضمير المفعول اي انزلناه في حال كونه امرا من عندنا بما يجب ان يفعل
فان قلت انا كنا مرسلين رحمة من ربك بم يتعلق قلت يجوز ان يكون بدلا من قوله تعالى انا كنا
منذرين ورحمة من ربك مفعولا له على معنى انا انزلنا القران لان من شاننا ارسال الرسل بالكتب
الى عبادنا لاجل الرحمة عليهم وان يكون تعليلا ليفرق او لقوله امرا من عندنا ورحمة مفعولا به وقد وصف
الرحمة بالارسال كما وصفها به في قوله تعالى وما يمسك فلا مرسل له من بعده اي يفصل في هذه الليلة كل
امر او تصدر الاوامر من عندنا لان من عادتنا ان نرسل رحمتنا وفصل كل امر من قسمة الارزاق وغيرها

من باب الرحمة ولذلك الاوامر الصادرة من جهته عز وعلا لان الغرض في تكليف العباد تعريضهم للمنافع والاصل
انا كنا مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع الضمير ايذانا بان الربوبية تقتضي الرحمة على المربوبين وفي قراءة
زيد بن علي رضي الله عنهما امر من عندنا على هو امر وهي تنصر انتصابه على الاختصاص وقراءة الحسن رحمة الله عليه
رحمة ربك على تلك رحمة من ربك وهي تنصر انتصابها بانها مفعول له انه هو السميع العليم وما بعده تحقيق لربوبيته
وانها لا تحق الا لمن هذه اوصافه • وقرئ رب السموات ربكم ورب اباءكم بالجر بدلا من ربك فان قلت ما معنى الشرط
الذي هو قوله ان كنتم موقنين قلت كانوا يقرون بان للسموات والارض ربا وخالقا فقيل لهم ان ارسال الرسل
وانزال الكتب رحمة من الرب ثم قيل ان هذا الرب هو السميع العليم الذي انتم مقرون به ومعترفون بانه
رب السموات والارض وما بينهما ان كان اقراركم عن علم وايقان كما تقول هذا انعام زيد الذي تسامع
الناس بكرمه واشتهروا سخاوته ان بلغك حديثه وحدثت بقصته ثم رد ان يكونوا موقنين بقوله بل هم في
شك يلعبون وان اقرارهم غير صادر عن علم وتيقن واشتهر سخاء ولا جد وحقيقة بل قول مخلوط بهزء ولعب
فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين يوم تاتي السماء مفعول به مرتقب يقال رقبته وارتقبته نحو نظرته
وانتظرته واختلف في الدخان فعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وبه اخذ الحسن انه دخان ياتي من السماء قبل يوم
القيمة يدخل في اسماع الكفرة حتى يكون راس الواحد كالراس الحنيذ ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض
كلها كبيت اوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الايات الدخان ونزول عيسى ابن
مريم ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا
رسول الله صلى الله عليه وسلم الاية وقال يملا ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه
كهيئة الزكمة واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره • وعن ابن مسعود رضي الله عنه خمس
قد مضت الروم والدخان والقمر والبطشة واللزام • ويروى انه قيل لابن مسعود ان قاصا عند ابواب
كندة يقول انه دخان ياتي يوم القيمة فياخذ بانفاس الخلق فقال من علم علما فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله اعلم
فان من علم الرجل ان يقول لشيء لا يعلمه الله اعلم • ثم قال الا وساحدثكم ان قريشا لما استعصت على رسول الله
دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاصابهم الجهد حتى اكلوا الجيف •
والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان
فمشى اليه ابو سفين ونفر معه وناشدوه الله والرحم وواعدوه ان دعا لهم وكشف عنهم ان يؤمنوا فلما كشف
عنهم رجعوا الى شركهم بدخان مبين ظاهر حاله لا يشك احد في انه دخان **يغشى الناس هذا عذاب اليم ربنا
اكشف عنا العذاب انا مؤمنون** يغشى الناس يشملهم ويلبسهم وهو في محل الجر صفة لدخان وهذا
عذاب الى قوله مؤمنون منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون ويقولون منصوب على الحال اي قائلين ذلك انا مؤمنون
موعدة بالايمان ان كشف عنهم العذاب **انى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم
مجنون انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون** • اي لهم الذكرى كيف يذكرون ويتعظون ويفون بما
وعدوه من الايمان عند كشف العذاب وقد جاءهم ما هو اعظم • وادخل في وجوب الادكار من كشف الدخان •
وهو ما ظهر على رسول الله صلى الله عليه من الايات والبينات من الكتاب المعجز • وغيره من المعجزات فلم
يذكروا وتولوا عنه وبهتوه بان عداسا غلاما اعجميا لبعض ثقيف هو الذي علمه ونسبوه الى الجنون ثم قال

إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون أي ريثما نكشف عنكم العذاب تعودون إلى شرككم لا تلبثون غب الكشف
على ما أنتم عليه من التضرع والابتهال فإن قلت كيف يستقيم على قول من جعل الدخان قبل يوم القيمة
قوله تعالى إنا كاشفوا العذاب قليلا قلت إذا أتت السماء بالدخان تضور المعذبون به من الكفار
والمنافقين وعجوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون منيبون فيكشفه الله عنهم بعد أربعين
فريثما يكشفه عنهم يرتدون لا يتمهلون يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون ثم قال نبطش البطشة
الكبرى يريدون يوم القيمة لقوله تعالى فإذا جاءت الطامة الكبرى إنا منتقمون أي ننتقم منهم في ذلك اليوم
فإن قلت بم انتصب يوم نبطش قلت بما دل عليه إنا منتقمون وهو ننتقم ولا يصح أن ينتصب بمنتقمون لأن
إن يحجب عن ذلك وقرئ نبطش بضم الطاء وقرأ الحسن نبطش بضم النون كأنه يحمل الملائكة على أن يبطشوا بهم
البطشة الكبرى أو يجعل البطشة الكبرى باطشة بهم وقيل البطشة الكبرى يوم بدر ولقد فتنا قبلهم
قوم فرعون وجاءهم رسول كريم أن أدوا إلي عباد الله إني لكم رسول أمين وقرئ ولقد فتنا بالتشديد
للتأكيد أو لوقوعه على القوم ومعنى الفتنة أنه أمهلهم ووسع عليهم الرزق فكان ذلك سببا في ارتكابهم المعاصي
واقترافهم الآثام أو ابتلاهم بإرسال موسى إليهم ليؤمنوا فاختاروا الكفر على الإيمان أو سلبهم ملكهم وأغرقهم
كريم على الله وعلى عباده المؤمنين أو كريم في نفسه لأن الله لم يبعث نبيا إلا من سراة قومه وكرامهم أن
أدوا إلي هي أن المفسرة لأن مجيء الرسول من بعث إليهم متضمن لمعنى القول لأنه لا يجيئهم إلا مبشرا
ونذيرا وداعيا إلى الله أو المخففة من الثقيلة ومعناه وجاءهم بأن الشأن والحديث أدوا إلي وعباد
الله مفعول به وهم بنوا إسرائيل يقول أدوهم إلي وأرسلوهم معي كقوله تعالى فأرسل معنا بني إسرائيل
ولا تعذبهم ويجوز أن يكون نداء لهم على أدوا إلي يا عباد الله ما هو واجب لي عليكم من الإيمان لي وقبول دعوتي
واتباع سبيلي وعلل ذلك بأنه رسول أمين غير ظنين قد ائتمنه الله تعالى على وحيه ورسالته وأن لا تعلوا على
الله إني آتيكم بسلطان مبين وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون فدعا
ربه أن هؤلاء قوم مجرمون وأن لا تعلوا أن هذه مثل الأولى في وجهيها أي لا تستكبروا على الله بالاستهانة
برسوله ووحيه أو لا تستكبروا على نبي الله بسلطان مبين بحجة واضحة أن ترجمون أن تقتلون فاعتزلون
يريد وقرئ عت بالإدغام ومعناه أنه عائذ بربه متكل على أنه يعصمه منهم ومن كيدهم فهو غير مبال
بما كانوا يتوعدونه به من الرجم والقتل فاعتزلون يريد إن لم تؤمنوا لي فلا موالاة بيني وبين من لا يؤمن فتنحوا عني
واقطعوا أسباب الوصلة عني أو فخلوني كفافا لا لي ولا علي ولا تتعرضوا لي بشركم وأذاكم فليس جزاء من دعاكم
إلى ما فيه فلاحكم ذلك أن هؤلاء بأن هؤلاء أي دعا ربه بذلك قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه بإجرامهم
وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وإنما ذكر الله تعالى السبب الذي استوجبوا به الهلاك وهو
كونهم مجرمين وقرئ إن هؤلاء بالكسر على إضمار القول أي فدعا ربه فقال إن هؤلاء فأسر بعبادي ليلا إنكم متبعون
واترك البحر رهوا إنهم جند مغرقون كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها
فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين فاسر قرئ بقطع الهمزة من أسرى ووصلها من سرى وفيه وجهان إضمار القول بعد الفاء
فقال أسر بعبادي وأن يكون جواب شرط محذوف كأنه قيل قال إن كان الأمر كما تقول فأسر بعبادي يعني فأسر ببني
إسرائيل فقد دبر الله أن تتقدموا ويتبعكم فرعون وجنوده فينجي المتقدمين ويغرق التابعين الرهو فيه وجهان

احدهما انه الساكن قال الاعشى يمشين رهوا فلا الاعجاز خاذلة • ولا الصدور على الاعجاز تتكل • اي مثنيا
ساكنا على هيئته • اراد موسى عليه السلام لما جاوز البحر ان يضربه بعصاه فينطبق كما ضربه فانفلق فأمر بان يتركه
ساكنا على هيئته قارا على حاله من انتصاب الماء وكون الطريق يبسا لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيا ليدخله
القبط فاذا حصلوا فيه اطبقه الله عليهم • والثاني ان الرهو الفجوة الواسعة • وعن بعض العرب انه راي
جملا فالجا فقال سبحان الله رهو بين سنامين اي اتركه مفتوحا على حاله منفرجا والمقام الكريم ما كان لهم من
المجالس والمنازل الحسنة وقيل المنابر والنعمة بالفتح من التنعم وبالكسر من الانعام • وقرئ فاكهين وفكهين
كذلك الكاف منصوبة على معنى مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها واورثناها او في موضع الرفع على الامر كذلك
قوما اخرين ليسوا منها في شي من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنو اسرايل كانوا مستسخرين مستعبدين في ايديهم
فاهلكهم الله على ايديهم واورثهم ملكهم وديارهم فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين اذا مات
رجل خطير قالت العرب في تعظيم مهلكه بكت عليه السما والارض وبكته الريح واظلمت له الشمس وفي حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مومن مات في غربة غابت فيها بواكيه • الا بكت عليه اهل السما والارض • وقال
جرير تبكي عليك نجوم الليل والقمرا • وقالت الخارجية • ايا شجر الخابور ما لك مورقا • كانك لم تجزع على ابن طريف • وذلك
على سبيل التمثيل والتخييل مبالغة في وجوب الجزع والبكا عليه وكذلك ما يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما من بكا
مصلى المومن واثاره في الارض ومصاعد عمله ومهابط رزقه في السما • والارض له تمثيل ونفي ذلك عنهم في قوله
تعالى فما بكت عليهم السما والارض فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده فيقال فيه بكت عليه السما
والارض • وعن الحسن رحمة الله عليه فما بكى عليهم الملايكة والمومنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين يعني فما بكى عليهم
اهل السما والارض وما كانوا منظرين لما جاء وقت هلاكهم لم ينظروا الى وقت اخر ولم يمهلوا الى الاخرة بل عجل
لهم في الدنيا ولقد نجينا بني اسرايل من العذاب المهين من فرعون انه كان عاليا من المسرفين من فرعون بدل
من العذاب المهين كانه في نفسه كان عذابا مهينا لافراطه في تعذيبهم واهانتهم ويجوز ان يكون المعنى من العذاب
المهين واقعا من جهة فرعون وقرئ من عذاب المهين ووجهه ان يكون تقدير قوله من فرعون من عذاب فرعون
حتى يكون المهين هو فرعون وفي قراءة ابن عباس رضي الله عنهما من فرعون لما وصف عذاب فرعون بالشدة والفظاعة
قال من فرعون على هل تعرفونه من هو في عتوه وشيطنته ثم عرف حاله في ذلك بقوله تعالى انه كان عاليا من المسرفين
اي كبيرا رفيع الطبقة من بينهم فايقا لهم بليغا في اسرافه او عاليا متكبرا كقوله تعالى ان فرعون علا في الارض ومن المسرفين
خبر ثان كانه قيل انه كان متكبرا مسرفا ولقد اخترناهم على علم على العالمين واتيناهم من الايات ما فيه بلاء مبين
الضمير في اخترناهم لبني اسرايل • وعلى علم في موضع الحال اي عالمين بمكان الخيرة وبانهم احقا بان يختاروا ويجوز ان
يكون المعنى مع علم منا بانهم يزيغون ويفرط منهم الفرطات في بعض الاحوال على العالمين على عالمي زمانهم وقيل
على الناس جميعا لكثرة الانبيا منهم من الايات من نحو فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير
ذلك من الايات العظام التي لم يظهر الله في غيرهم مثلها بلاء مبين نعمة ظاهرة لان الله تعالى يبلو بالنعمة كما
يبلو بالمصيبة او اختبار ظاهر لينظر كيف تعملون كقوله تعالى وفي ذلكم بلا من ربكم عظيم ان هولاء ليقولون
ان هي الا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين فاتوا بابايانا ان كنتم صادقين هولاء اشارة الى كفار قريش فان قلت
كان الكلام واقعا في الحياة الثانية لا في الموت فهلا قيل ان هي الا حياتنا الاولى وما نحن بمنشرين كما قيل ان هي

الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وما معنى قوله ان هي الا موتتنا الاولى وما معنى ذكر الاولى كانهم وعدوا
موتة اخرى حتى نفوها وجحدوها واثبتوا الاولى قلت معناه والله الموفق للصواب انه قيل لهم انكم تموتون موتة
تتعقبها حيوة وذلك قوله عز وجل وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فقالوا ان هي الا موتتنا الاولى يريدون
التي من شانها ان تتعقبها حيوة الا الموتة الاولى دون الموتة الثانية وما هذه الصفة التي تصفون بها الموتة من
تعقب الحيوة لها الا للموتة الاولى خاصة فلا فرق بين هذا وبين قوله ان هي الا حيوتنا الدنيا في المعنى يقال انشر
الله الموتى ونشرهم اذا بعثهم فاتوا بابائنا خطاب للذين كانوا يعدونهم النشور من رسول الله والمؤمنين
اي ان صدقتم فيما تقولون فعجلوا لنا احياء من مات من ابائنا بسؤالكم ربكم ذلك حتى يكون دليلا على ان ما تعدونه
من قيام الساعة وبعث الموتى حق وقيل كانوا يطلبون اليهم ان يدعوا الله فينشر لهم قصي بن كلاب ليشاوروه
فانه كان كبيرهم ومشاورهم في النوازل ومعاظم الشؤون اهم خير ام قوم تبع والذين من قبلهم اهلكناهم
انهم كانوا مجرمين وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم
لا يعلمون هو تبع الحميري كان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذم الله قومه ولم يذمه وهو الذي سار بالجيوش
وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان اذا كتب قال بسم الله الذي ملك برا وبحرا وعن النبي صلى الله
عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم وعنه صلى الله عليه وسلم ما ادري اكان تبعا نبيا او غير نبي
وعن ابن مسعود رضي الله عنهما كان نبيا وقيل نظر الى قبرين بناحية حمير قال هذا قبر رضوى وقبر حبى
بنتي تبع لا تشركان بالله شيئا وقيل هو الذي كسى البيت وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال
لانهم يتقيلون وسمي الظل تبعا لانه يتبع الشمس فان قلت ما معنى قوله اهم خير ولا خير في الفريقين قلت
اهم خير في القوة والمنعة كقوله تعالى اكفاركم خير من اولئكم بعد ذكر ال فرعون وفي تفسير ابن عباس
رضي الله عنهما اهم اشد ام قوم تبع وما بينهما وما بين الجنسين وقرا عبيد بن عمير وما بينهن ان يوم
الفصل ميقاتهم اجمعين يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون الا من رحم الله انه هو العزيز
الرحيم وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه اسم ان ويوم الفصل خبرها اي ان ميعاد حسابهم وجزائهم في
يوم الفصل لا يغني مولى اي مولى كان من قرابة او غيرها وعن مولى عن اي مولى كان شيئا من اغناء اي
قليلا منه ولا هم ينصرون الضمير للموالي لانهم في المعنى كثير لتناول اللفظ على الابهام والشياع كل مولى
ومن رحم الله في محل الرفع على البدل من الواو في ينصرون اي لا يمنع من العذاب الا من رحمه الله ويجوز
ان ينتصب على الاستثناء انه هو العزيز لا ينصر منه من عصاه الرحيم لمن اطاعه ان شجرة الزقوم طعام
الاثيم كالمهل تغلي في البطون كغلي الحميم خذوه الى سواء الجحيم وقرئ ان شجرة الزقوم بكسر الشين وفيها
ثلاث لغات شجرة بفتح الشين وكسرها وشيرة بالياء وروي انه لما نزل اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم قال
ابن الزبعرى ان اهل اليمن يدعون اكل الزبد والتمر التزقم فدعا ابو جهل بتمر وزبد فقال تزقموا فان هذا
هو الذي يخوفكم به محمد فنزل ان شجرة الزقوم طعام الاثيم وهو الفاجر الكثير الاثام وعن ابي الدرداء رضي
الله عنه انه كان يقرئ رجلا فكان يقول طعام اليتيم فقال قل طعام الفاجر يا هذا وبهذا يستدل على ان
ابدال كلمة مكان كلمة جائز اذا كانت مؤدية معناها ومنه اجاز ابو حنيفة رحمة الله عليه القراءة بالفارسية
على شريطة وهي ان يؤدي القاري المعاني على كمالها من غير ان يخرم منها شيئا قالوا وهذه الشريطة تشهد

انما اجازه كلا اجازة لان في كلام العرب خصوصا في القران الذي هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه واساليبه من لطائف
المعاني والاغراض ما لا يستقل باداية لسان من فارسية وغيرها وما كان ابو حنيفة يحسن الفارسية فلم يكن ه
ذلك منه عن تحقق وتبصر. وروى علي بن الجعد عن ابي يوسف عن ابي حنيفة مثل قول صاحبيه في انكار القراة
بالفارسية كالمهل قرئ بضم الميم وفتحها وهو دردي الزيت ويدل عليه قوله تعالى يوم تكون السما كالمهل مع قوله
فكانت وردة كالدهان وقيل هو ذائب الفضة والنحاس والكاف رفع خبر بعد خبر وكذلك تغلي وقرئ بالتاء للشجرة وبالياء
للطعام والحميم الماء الحار الذي انتهى غليانه يقال للزبانية خذوه فاعتلوه فقودوه بعنف وغلظة وهو ان يؤخذ بتلبيب
الرجل فيجر الى حبس او قتل ومنه العتل وهو الغليظ الجافي وقرئ بكسر التاء وضمها الى سواء الجحيم الى وسطها ومعظمها
ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم ذق انك انت العزيز الكريم ان هذا ما كنتم به تمترون فان قلت
هلا قيل صبوا فوق راسه من الحميم كقوله تعالى يصب من فوق رؤوسهم الحميم لان الحميم هو المصبوب لا عذابه قلت
اذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته الا ان صب العذاب معلقا به الصب طريقة الاستعارة كقوله
صبت عليه صروف الدهر من صبب وكقوله تعالى افرغ علينا صبرا. فذكر العذاب معلقا به الصب مستعارا له ليكون
اهول واهيب يقال ذق انك انت العزيز الكريم على سبيل الهزء والتهكم بمن كان يتعزز ويتكرم على قومه. وروي ان ابا جهل قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جبليها اعز ولا اكرم مني فوالله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيا.
وقرئ انك بمعنى لانك وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما انه قراه على المنبر ان هذا العذاب او ان هذا الامر هو
ما كنتم به تمترون اي تشكون او تتمارون وتتلاجون ان المتقين في مقام امين في جنات وعيون يلبسون
من سندس واستبرق متقابلين وقرئ في مقام بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذي
وقع مستعملا في معنى العموم وبالضم وهو موضع الاقامة والامين من قولك امن الرجل امانة فهو امين وهو ضد
الخائن فوصف به المكان استعارة لان المكان المخيف كانما يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره قيل السندس
مارق من الديباج والاستبرق ما غلظ منه وهو تعريب استبره فان قلت كيف ساغ ان يقع في القران العربي
المبين لفظ اعجمي قلت اذا عرب خرج من ان يكون عجميا لان معنى التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره
عن منهاجه واجرائه على اوجه الاعراب كذلك وزوجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة امنين لا يذوقون
فيها الموت الا الموتة الاولى ووقاهم عذاب الجحيم كذلك الكاف مرفوعة على الامر كذلك او منصوب على
مثل ذلك اثبناهم وزوجناهم وقرا عكرمة بحور عين على الاضافة والمعنى بالحور من العين اما ان يكون حورا او غير حور
فهولاء من الحور العين لا من شهلهن مثلا وفي قراءة عبد الله بعيس عين والعيسا البيضا تعلوها حمرة. وقرا عبيد بن
عمير لا يذاقون فيها الموت. وقرا عبد الله لا يذوقون فيها طعم الموت. فان قلت كيف استثنيت الموتة الاولى المذوقة
قبل دخول الجنة من الموت المنفي ذوقه فيها قلت اريد ان يقال لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله الا الموتة
الاولى موضع ذلك لان الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل فهو من باب التعليق بالمحال كانه قيل ان كانت الموتة
الاولى يستقيم ذوقها في المستقبل فانهم يذوقونها وقرئ ووقاهم بالتشديد فضلا من ربك ذلك هو
الفوز العظيم فضلا من ربك عطاء من ربك وثوابا يعني كل ما اعطي المتقين من نعيم الجنة والنجاة من النار وقرئ
فضل اي ذلك فضل فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فارتقب انهم مرتقبون فانما يسرناه
بلسانك فذلكة للسورة ومعنى ذكرهم بالكتاب المبين فانما يسرناه اي سهلناه حيث انزلناه عربيا بلسانك

بلغتك

بلغتك ارادة ان يفهمه قومك فيتذكروا فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون ما يحل بك متربصون بك الدوائر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا حم الدخان في ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك وعنه عليه السلام
من قرا حم التي يذكر فيها الدخان في ليلة جمعة اصبح مغفورا له

سورة الجاثية مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي سبع وثلاثون اية

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان في السموات والارض لايات للمومنين وفي خلقكم وما يبث من
دابة ايات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق فاحيا به الارض بعد
موتها وتصريف الرياح ايات لقوم يعقلون حم ان جعلتها اسما مبتدا مخبرا عنه بتنزيل الكتاب لم يكن بد من حذف المضاف
تقديره تنزيل حم تنزيل الكتاب ومن الله صلة للتنزيل وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدا والظرف
خبرا ان في السموات والارض يجوز ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى في خلق السموات لقوله تعالى وفي خلقكم فان قلت
علام عطف وما يبث على الخلق المضاف لان المضاف اليه ضمير متصل مجرور يقبح العطف عليه استقبحوا ان
يقال مررت بك وزيد وهذا ابوك وعمرو وكذلك ان اكدوه كرهوا ان يقولوا مررت بك انت وزيد وقرئ ايات
لقوم يوقنون بالنصب والرفع على قولك ان زيدا في الدار وعمرا في السوق او وعمرو في السوق واما قوله ايات لقوم يعقلون
فمن العطف على عاملين سواء نصبت او رفعت فالعاملان اذا نصبت هما ان وفي اقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في اختلاف
الليل والنهار والنصب في ايات واذا رفعت فالعاملان الابتداء وفي عملت الرفع في ايات والجر في اختلاف وقرا
ابن مسعود رضي الله عنه وفي اختلاف الليل والنهار فان قلت العطف على عاملين على مذهب الاخفش سديد
لا مقال فيه وقد اباه سيبويه فما وجه تخريج الاية عنده قلت فيه وجهان احدهما ان يكون على اضمار في والذي
حسنه تقدم ذكره في الايتين قبلها ويعضده قراءة ابن مسعود والثاني ان ينتصب ايات على الاختصاص بعد انقضاء
المجرور معطوفا على ما قبله او على التكرير ورفعها باضمار هي وقرئ واختلاف الليل والنهار بالرفع وقرئ اية وكذلك
وما يبث من دابة اية وقرئ وتصريف الريح والمعنى ان المنصفين من العباد اذا نظروا في السموات والارض النظر
الصحيح علموا انها مصنوعة وانه لا بد لها من صانع فامنوا بالله واقروا فاذا نظروا في خلق انفسهم وتنقلها من حال
الى حال وهيئة الى هيئة وفي خلق ما على ظهر الارض من صنوف الحيوان ازدادوا ايمانا وايقنوا وانتفى عنهم اللبس
فاذا نظروا في سائر الحوادث التي تتجدد في كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الامطار وحياة الارض بعد موتها
وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم وسمي المطر رزقا لانه سبب الرزق
تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق فباي حديث بعد الله واياته يومنون ويل لكل افاك اثيم يسمع ايات الله
تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كان لم يسمعها فبشره بعذاب اليم واذا علم من اياتنا شيا اتخذها هزوا اولئك
لهم عذاب مهين تلك اشارة الى الايات المتقدمة اي تلك الايات ايات الله ونتلوها في محل الحال اي متلوة
عليك بالحق والعامل ما دل عليه تلك من معنى الاشارة ونحوه وهذا بعلي شيخا وقرئ يتلوها بالياء بعد الله
واياته اي بعد ايات الله كقولهم اعجبني زيد وكرمه يريدون اعجبني كرم زيد ويجوز ان يراد بعد حديث الله
وهو كتابه وقرانه كقوله تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا وقرئ يومنون بالياء والتاء ويل لكل افاك الكذاب

ثم الاثيم المبالغ في اقتراف الاثام يصر يقبل على كفره ويقيم عليه واصله من اصرار الحمار على العانة وهو
ان ينحي عليها صارا اذنيه مستكبرا عن الايمان بالايات والاذعان لما ينطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده قيل
نزلت في النضر بن الحارث وما كان يشتري من احاديث الاعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القران والاية عامة
في كل من كان مضارا لدين الله فان قلت ما معنى ثم في قوله تعالى ثم يصر مستكبرا قلت كمعناه في قول القايل
يرى غمرات الموت ثم يزورها وذلك ان غمرات الموت حقيقة بان ينجو رايها بنفسه ويطلب الفرار عنها واما
زيارتها والاقدام على مزاولتها فامر مستبعد فمعنى ثم الايذان بان فعل المقدم عليها بعد ما راها وعاينها شي
يستبعد في العادات والطباع وكذلك ايات الله الواضحة الناطقة بالحق من تليت عليه وسمعها كان مستبعدا في
العقول اصراره على الضلالة عندها واستكباره عن الايمان بها كان مخففة والاصل كانه لم يسمعها والضمير ضمير
الشان كما في قوله كان ظبية تعطو الى ناضر السلم ومحل الجملة النصب على الحال اي يصر مثل غير السامع واذا بلغه
شي من اياتنا وعلم انه منها اتخذها اي اتخذ الايات هزوا ولم يقل اتخذه للاشعار بانه اذا احس بشي من الكلام
انه من جملة الايات التي انزلها الله على محمد صلى الله عليه وسلم خاض في الاستهزاء بجميع الايات ولم يقتصر على
الاستهزاء بما بلغه ويحتمل واذا علم من اياتنا شيا يمكن ان يتشبث به المعاند ويجد له محملا يتسلق به على الطعن
والغميزة افترصه واتخذ ايات الله هزوا وذلك نحو افتراص ابن الزبعرى قوله عز وعلا انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم ومغالطته رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله خصمتك ويجوز ان يرجع الضمير
الى شي لانه في معنى الاية لقول ابي العتاهية نفسي بشي من الدنيا معلقة الله والقايم المهدي يكفيها حين اراد
عتبة وقرى علم اوليك اشارة الى كل افاك اثيم لشموله الافاكين من ورايهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيا
ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء ولهم عذاب عظيم هذا هدى والذين كفروا بايات ربهم لهم عذاب
من رجز اليم والوراء اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف او قدام قال لبيد اليس ورايي ان تراخت منيتي
ادب مع الولدان ازحف كالنسر ومنه قوله عز وجل من ورايهم اي من قدامهم ما كسبوا من الاموال في
رحلهم ومتاجرهم ولا ما اتخذوا من دون الله من الاوثان هذا اشارة الى القران يدل عليه قوله تعالى
والذين كفروا بايات ربهم لان ايات ربهم هي القران اي هذا القران كامل في الهداية كما تقول زيد رجل تريد
كامل في الرجولية وايما رجل والرجز اشد العذاب وقرى بجر اليم ورفعه الله الذي سخر لكم البحر لتجري
الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ولتبتغوا من فضله بالتجارة او بالغوص على اللولو
والمرجان واستخراج اللحم الطري وغير ذلك من منافع البحر وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه
ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون فان قلت ما معنى منه في قوله تعالى جميعا منه وما موقعها من الاعراب
قلت هي واقعة موقع الحال والمعنى انه سخر هذه الاشيا كاينة منه وحاصلة من عنده يعني انه مكونها وموجدها
بقدرته وحكمته ثم مسخرها لخلقه ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف تقديره هي جميعا منه وان يكون وسخر
لكم تاكيدا لقوله سخر لكم ثم ابتدى قوله ما في السموات وما في الارض جميعا منه وان يكون وما في الارض
مبتدا ومنه خبره وقرا ابن عباس رضي الله عنهما منة وقرا سلمة بن محارب منه على ان يكون منه فاعل سخر
على الاسناد المجازي او على انه خبر مبتدا محذوف اي ذلك او هو منه قل للذين امنوا يغفروا للذين
لا يرجون ايام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون من عمل صالحا فلنفسه ومن اسا فعليها ثم

الي

الى ربكم ترجعون حذف المقول لان الجواب دال عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا لا يرجون ايام الله لا يتوقعون
وقايع الله باعدائه من قولهم لوقايع العرب ايام العرب. وقيل لا يأملون الاوقات التي وقتها الله لثواب
المومنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت قبل اية القتال ثم نسخ حكمها وقيل نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه
وقد شتمه رجل من غفار فهم ان يبطش به. وعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه كنا بين يدي عمر بن الخطاب فقرأ
قاري هذه الاية فقال عمر ليجزي عمر بما صنع ليجزي تعليل للامر بالمغفرة اي انما امروا بان يغفروا لما اراده الله
من توفيتهم جزاء مغفرتهم يوم القيامة فان قلت قوله قوما ما وجه تنكيره وانما اراد الذين امنوا وهم معارف
قلت هو مدح لهم وثناء عليهم كانه قيل ليجزي ايما قوم وقوما مخصوصين بصبرهم واغضائهم على اذى اعدائهم
من الكفار وعلى ما كانوا يجرعونهم من الغصص مما كانوا يكسبون من الثواب العظيم بكظم الغيظ واحتمال المكروه
. ومعنى قول عمر رضي الله عنه ليجزي عمر بما صنع ليجزي بصبره واحتماله وقوله لرسول الله صلى الله عليه
وسلم عند نزول الاية والذي بعثك بالحق لا ترى الغضب في وجهي. وقرئ ليجزى قوما اي الله عز وجل وليجزى
قوم وليجزي قوما على معنى وليجزي الجزاء قوما ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم
من الطيبات وفضلناهم على العالمين الكتاب التورية والحكم الحكمة والفقه او فصل الخصومات بين
الناس لان الملك كان فيهم والنبوة من الطيبات مما احل الله لهم واطاب من الارزاق وفضلناهم على العالمين
حيث لم نؤت غيرهم مثل ما اتيناهم واتيناهم بينات من الامر فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا
بينهم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها
ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي
المتقين بينات ايات معجزات من الامر من امر الدين فما وقع بينهم الخلاف في الدين الا من بعد ما جاءهم
ما هو موجب لزوال الخلاف وهو العلم وانما اختلفوا لبغي حدث بينهم اي لعداوة وحسد على شريعة على طريقة
ومنهاج من الامر من امر الدين فاتبع شريعتك الثابتة بالدلائل والحجج ولا تتبع ما لا حجة عليه من اهواء
الجهال ودينهم المبني على هوى وبدعة وهم رؤساء قريش حين قالوا ارجع الى دين ابائك ولا توالهم انما يوالي
الظالمين من هو ظالم مثلهم واما المتقون فوليهم الله وهم موالوه وما ابين الفصل بين الولايتين هذا بصائر
للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون هذا القران بصائر للناس جعل ما فيه من معالم الدين والشرائع
بمنزلة البصائر في القلوب كما جعل روحا وحياة وهو هدى من الضلالة ورحمة من العذاب لمن امن وايقن وقرئ
هذه بصائر اي هذه الايات ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات
سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان والاجتراح الاكتساب
ومنه الجوارح وفلان جارحة اهله اي كاسبهم ان نجعلهم ان نصيرهم وهو من جعل المتعدي الى مفعولين فاولهما
الضمير. والثاني الكاف والجملة التي هي سواء محياهم ومماتهم بدل من الكاف لان الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت
في حكم المفرد الا ترى لو قلت ان نجعلهم سواء محياهم ومماتهم كان سديدا كما تقول ظننت زيدا ابوه منطلق
ومن قرأ سواء بالنصب اجرى سواء مجرى مستويا وارتفع محياهم ومماتهم على الفاعلية وكان مفردا غير جملة
ومن قرأ ومماتهم بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج وخفوق النجم اي سواء في محياهم وفي مماتهم
والمعنى انكار ان يستوي المسيئون والمحسنون محيا وان يستووا مماتا لافتراق احوالهم احياء حيث عاش هولاء

على القيام بالطاعات واولئك على ركوب المعاصي ومما تاجيت مات هؤلاء على البشرى بالرحمة والوصول
الى ثواب الله ورضوانه واولئك على اليأس من رحمة الله والوصول الى هول ما اعد لهم. وقيل معناه انكار
ان يستووا في الممات كما استووا في الحياة لان المسيئين والمحسنين مستو محياهم في الرزق والصحة وانما
يفترقون في الممات. وقيل سواء محياهم ومماتهم كلام مستانف على معنى ان محيا المسيئين ومماتهم سواء وكذلك
محيا المحسنين ومماتهم كل يموت على حسب ما عاش عليه. وعن تميم الداري رضي الله عنه كان يصلي ذات ليلة
عند المقام فبلغ هذه الآية فجعل يبكي ويردد الى الصباح ساء ما يحكمون. وعن الفضيل انه بلغها فجعل يرددها
ويبكي ويقول يا فضيل ليت شعري من اي الفريقين انت وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى
كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ولتجزى معطوف على بالحق لان فيه معنى التعليل او على معلل محذوف تقديره
خلق السموات والارض ليدل بهما على قدرته ولتجزى كل نفس افرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم
وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون اي هو مطواع
لهوى النفس يتبع ما تدعوه اليه فكانه يعبده كما يعبد الرجل الهه وقرئ آلهة هواه لانه كان يستحسن الحجر
فيعبده فاذا رأى ما هو احسن رفضه اليه فكانه اتخذ هواه آلهة شتى يعبد كل وقت واحدا منها واضله
الله على علم وتركه عن الهداية واللطف وخذله على علم عالما بان ذلك لا يجدي عليه وانه ممن لا لطف له او مع علمه
بوجوه الهداية واحاطته بانواع الالطاف المحصلة والمقربة. فمن يهديه من بعد اضلاله وقرئ غشاوة بالحركات
الثلث. وغشوة بالكسر والفتح. وقرئ تذكرون وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا
الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون نموت ونحيا نموت نحن ونحيا اولادنا او يموت بعض
ويحيى بعض او نكون مواتا نطفا في الاصلاب ونحيا بعد ذلك او يصيبنا الامران الموت والحياة يريدون الحياة
في الدنيا والموت بعدها وليس وراء ذلك حياة وقرئ نحيا بضم النون وقرئ الا دهر يمر وما يقولون ذلك
عن علم ولكن عن ظن وتخمين كانوا يزعمون ان مرور الايام والليالي هو المؤثر في هلاك الانفس وينكرون ملك
الموت وقبضه الارواح بامر الله تعالى وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث الى الدهر والزمان وترى اشعارهم
ناطقة بشكوى الزمان. ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر اي فان الله هو الآتي
بالحوادث لا الدهر واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين
قرئ حجتهم بالنصب والرفع على تقديم خبر كان وتاخيره. فان قلت لم سمى قولهم حجة وليس بحجة قلت
لانهم ادلوا به كما يدلي المحتج بحجته وساقوه مساقها فسميت حجة على سبيل التهكم او لانه في حسبانهم وتقديرهم
حجة او لانه في اسلوب قولهم. تحية بينهم ضرب وجيع. كانه قيل ما كان حجتهم الا ما ليس بحجة والمراد نفي ان تكون
لهم حجة البتة قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون
فان قلت كيف وقع قوله قل الله يحييكم جوابا لقولهم ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين قلت لما انكروا البعث
وكذبوا الرسل وحسبوا ان ما قالوه قول مبكت الزموا ما هم مقرون به من ان الله عز وجل هو الذي يحييهم ثم
يميتهم وضم الى الزام ذلك الزام ما هو واجب الاقرار به ان انصفوا واصغوا الى داعي الحق وهو جمعهم الى
يوم القيامة ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الاتيان بآبائهم وكان اهون شيء عليه ولله ملك السموات
والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون وترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها اليوم

تجزون

تجزون ما كنتم تعملون عامل النصب في يوم تقوم يخسر ويومئذ بدل من يوم تقوم جاثية باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية والجذو أشد استيفازا من الجثو لأن الجاذي هو الذي يجلس على أطراف أصابعه وعن ابن عباس رضي الله عنهما جاثية مجتمعة وعن قتادة جماعات من الجثوة وهي الجماعة وجمعها جثى وفي الحديث من جثى جهنم وقرئ كل أمة على الابتداء وكل أمة على الابدال من كل أمة الى كتابها الى صحائف أعمالها فاكتفى باسم الجنس كقوله تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه اليوم تجزون محمول على القول فإن قلت كيف أضيف الكتاب اليهم والى الله عز وجل قلت الاضافة تكون للملابسة وقد لابسهم ولابسه تعالى أما ملابسته اياهم فلان أعمالهم مثبتة فيه وأما ملابسته اياه فلانه مالكه والآمر ملائكته أن يكتبوا فيه أعمال عباده هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين ينطق عليكم يشهد عليكم بما عملتم بالحق من غير زيادة ولا نقصان انا كنا نستنسخ الملائكة ما كنتم تعملون أي نستكتبهم أعمالكم في رحمته في جنته وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين وجواب أما محذوف تقديره وأما الذين كفروا فيقال لهم أفلم تكن آياتي تتلى عليكم والمعنى ألم يأتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين وقرئ والساعة بالنصب عطفا على الوعد وبالرفع عطفا على محل إن واسمها ما الساعة أي شيء الساعة فإن قلت ما معنى إن نظن إلا ظنا قلت أصله نظن ظنا ومعناه إثبات الظن فحسب فأدخل حرف النفي والاستثناء ليفاد إثبات الظن مع نفي ما سواه وزيد نفي ما سوى الظن توكيدا بقوله تعالى وما نحن بمستيقنين وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون سيئات ما عملوا أي قبائح أعمالهم أو عقوبات أعمالهم السيئات كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون ننساكم نترككم في العذاب كما تركتم عدة لقاء يومكم هذا وهي الطاعة أو نجعلكم بمنزلة الشيء المنسي غير المبالي به كما لم تبالوا أنتم بلقاء يومكم ولم تخطروه ببال كالشيء الذي يطرح نسيا منسيا فإن قلت ما معنى إضافة اللقاء الى اليوم قلت كمعنى إضافة المكر في قوله بل مكر الليل والنهار أي نسيتم لقاء الله في يومكم هذا ولقاء جزائه وقرئ لا يخرجون بفتح الياء ولا هم يستعتبون ولا يطلب منهم أن يعتبوا ربهم أي أن يرضوه فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم فلله الحمد فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب كل شيء من السموات والأرض والعالمين فإن مثل هذه الربوبية العامة يوجب الحمد والثناء على كل مربوب وكبروه فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته في السموات والأرض وحق مثله أن يكبر ويعظم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب والله أعلم بالصواب

سورة الأحقاف مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي خمس وثلاثون آية

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عما

معرضون

انذروا معرضون الا بالحق الاخلقا ملتبسا بالحكمة والغرض الصحيح وبتقدير اجل مسمى ينتهي اليه وهو يوم القيمة والذين كفروا عما انذروا من هول ذلك اليوم الذي لابد لكل خلق من انتهائه اليه معرضون لا يؤمنون به ولا يهتمون بالاستعداد له ويجوز ان تكون ما مصدرية اي عن انذارهم ذلك اليوم قل ارايتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ايتوني بكتاب من قبل هذا او اثارة من علم ان كنتم صادقين بكتاب من قبل هذا اي من قبل هذا الكتاب وهو القران يعني ان هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وابطال الشرك وما من كتاب انزل من قبله من كتب الله الا وهو ناطق بمثل ذلك فاتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما انتم عليه من عبادة غير الله او اثارة من علم او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين من قولهم سمنت الناقة على اثارة من شحم اي على بقية شحم كانت بها من شحم ذاهب وقرئ اثرة اي من شيء اوثرتم به وخصصتم من علم لا احاطة به لغيركم وقرئ اثرة بالحركات الثلاث في الهمزة مع سكون الثاء فالاثرة بالكسر بمعنى الاثرة واما الاثرة فالمرة من مصدر اثر الحديث اذا رواه واما الاثرة بالضم فاسم ما يؤثر كالخطبة اسم ما يخطب به ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ومن اضل معنى الاستفهام فيه انكار ان يكون في الضلال كلهم ابلغ ضلالا من عبدة الاصنام حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على تحصيل كل بغية ومرام ويدعون من دونه جمادا لا يستجيب لهم ولا قدرة به على استجابة احد منهم ما دامت الدنيا والى ان تقوم القيمة واذا قامت القيامة وحشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا عليهم ضدا فليسوا في الدارين الا على نكد ومضرة لا تتولاهم في الدنيا بالاستجابة وفي الاخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم وانما قيل من وهم لانه اسند اليهم ما يسند الى اولي العلم من الاستجابة والغفلة ولانهم كانوا يصفونهم بالتمييز جهلا وغباوة ويجوز ان يريد كل معبود من دون الله من الجن والانس والاوثان فغلب غير الاوثان عليها وقرئ ما لا يستجيب وقرئ يدعو غير الله من لا يستجيب ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة طريقة طريق التهكم بها وبعبدتها ونحوه قوله عز وعلا ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين بينات جمع بينة وهي الحجة والشاهد او واضحات مبينات واللام في للحق مثلها في قوله تعالى للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه اي لاجل الحق ولاجل الذين امنوا والمراد بالحق الايات وبالذين كفروا المتلو عليهم فوضع الظاهران موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلو بالحق لما جاءهم اي بادهوه بالجحود ساعة اتاهم واول ما سمعوه من غير اجالة فكر ولا اعادة نظر ومن عنادهم وظلمهم انهم سموه سحرا مبينا ظاهرا امره في البطلان لا شبهة فيه ام يقولون افتراه قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا هو اعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم ام يقولون افتراه اضراب عن ذكر تسميتهم الايات سحرا الى ذكر قولهم ان محمدا عليه السلام افتراه ومعنى الهمزة في ام الانكار والتعجيب كانه قيل دع هذا واستمع قولهم المستنكر المقضي فيه العجب وذلك ان محمدا كان لا يقدر عليها حتى يقوله ويفتريه على الله ولو قدر عليه دون امة العرب لكانت قدرته عليه معجزة لخرقها العادة واذا كانت معجزة كانت تصديقا من الله له والحكيم لا يصدق الكاذب فلا يكون مفتريا والضمير للحق والمراد به الايات قل ان افتريته على سبيل الفرض عاجلني الله لا محالة بعقوبة

الافترا عليه

الافترا عليه • فلا تقدرون على كفه عن معاجلتي ولا تطيقون دفع شي من عقابه عني فكيف افتريته واتعرض لعقابه
يقال فلان لا يملك اذا غضب ولا يملك عنانه اذا صمم • ومثله فمن يملك من الله شيا ان اراد ان يهلك المسيح بن
مريم • ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيا • ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا املك لكم من الله شيا
ثم قال هو اعلم بما تفيضون فيه اي تندفعون فيه من القدح في وحي الله تعالى والطعن في اياته وتسميته
سحرا تارة وفرية اخرى كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالكذب والجحود
ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد لجزاء افاضتهم وهو الغفور الرحيم موعدة بالغفران والرحمة ان رجعوا
عن الكفر وتابوا وامنوا واشعار بحلم الله عنهم مع عظم ما ارتكبوا • فان قلت فما معنى اسناد الفعل المبهم
الى قوله تعالى فلا تملكون لي قلت كان فيما اتاهم به النصيحة لهم والاشفاق عليهم من سو العاقبة وارادة الخير
بهم فكانه قال لهم ان افتريته وانا اريد بذلك التنصح لكم وصدكم عن عبادة الالهة الى عبادة الله فما تغنون
عني ايها المنصوحون ان اخذني الله بعقوبة الافترا عليه قل ما كنت بدعا من الرسل وما ادري ما يفعل
بي ولا بكم ان اتبع الا ما يوحى الي وما انا الا نذير مبين البدع بمعنى البديع كالخف بمعنى الخفيف • وقرى بدعا
بفتح الدال اي ذا بدع • ويجوز ان يكون صفة على فعل كقولهم دين قيم ولحم زيم كانوا يقترحون عليه الايات
ويسالونه عما لم يوح اليه من الغيوب • فقيل له قل ما كنت بدعا من الرسل فاتيكم بكل ما تقترحونه واخبركم
بكل ما تسالون عنه من المغيبات • فان الرسل لم يكونوا ياتون الا بما اتاهم الله من اياته ولا يخبرون الا بما اوحي
اليهم • ولقد اجاب موسى عليه السلام عن قول فرعون • فما بال القرون الاولى • بقوله تعالى علمها عند ربي وما
ادري لانه لا علم لي بالغيب • ما يفعل الله بي وبكم فيما يستقبل من الزمان من افعاله ويقدر لي من قضاياه • وان
اتبع الا ما يوحى الي • وعن الحسن رحمة الله عليه وما ادري ما يصير اليه امري وامركم في الدنيا ومن الغالب
منا والمغلوب • وعن الكلبي قال له اصحابه وقد ضجروا من اذى المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما ادري
ما يفعل بي ولا بكم انزل بمكة ام اومر بالخروج الى ارض قد رفعت لي ورايتها يعني في منامه ذات نخيل وشجر
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما يفعل بي ولا بكم في الاخرة • وقال هي منسوخة بقوله تعالى ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تاخر • ويجوز ان تكون نفيا للدراية المفصلة • وقرى ما يفعل بفتح اليا اي يفعل الله عز
وجل فان قلت ان يفعل مثبت غير منفي فكان وجه الكلام ما يفعل بي ولا بكم قلت اجل ولكن
النفي فيما ادري لما كان مشتملا عليه لتناوله ما وما في حيزه صح ذلك وحسن الا ترى الى قوله اولم يروا ان الله
الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر كيف دخلت البا في خبر ان وذلك لتناول النفي اياها
مع ما في حيزها وما في ما يفعل يجوز ان تكون موصولة منصوبة وان تكون استفهامية مرفوعة وقرى يوحى
اي الله عز وجل قل ارايتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فامن
واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين جواب الشرط محذوف تقديره ان كان القران من عند الله
وكفرتم به الستم ظالمين • ويدل على هذا المحذوف قوله ان الله لا يهدي القوم الظالمين • والشاهد من
بني اسرائيل عبد الله بن سلام رضي الله عنه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نظر الى وجهه فعلم
انه ليس بوجه كذاب وتامله فتحقق انه النبي المنتظر وقال له اني سائلك عن ثلث لا يعلمهن الا نبي • ما اول
اشراط الساعة • وما اول طعام ياكله اهل الجنة • وما بال الولد ينزع الى ابيه او امه فقال صلى الله عليه وسلم

اما اول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واما اول طعام يأكله اهل الجنة فزيادة كبد حوت
واما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المرأة نزعته فقال اشهد انك رسول الله حقا ثم قال
يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وان علموا باسلامي قبل ان تسألهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال
لهم النبي صلى الله عليه وسلم اي رجل عبد الله فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا
قال ارأيتم ان اسلم قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا
رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال هذا ما كنت اخاف يا رسول الله واحذر قال سعد بن ابي
وقاص رضي الله عنه ما سمعت رسول الله يقول لاحد يمشي على وجه الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن
سلام رضي الله عنه وفيه نزل وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله الضمير للقرآن اي على مثله في المعنى
وهو ما في التوراة من المعاني المطابقة لمعاني القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك ويدل عليه قوله
تعالى وانه لفي زبر الاولين ان هذا لفي الصحف الاولى كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك ويجوز ان يكون المعنى
ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد على نحو ذلك يعني كونه من عند الله فان قلت اخبرني عن نظم
هذا الكلام لاقف على معناه من جهة النظم قلت الواو الاولى عاطفة لكفرتم على فعل الشرط كما عطفته
ثم في قوله تعالى قل ارأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به وكذلك الواو الاخرة عاطفة لاستكبرتم على شهد
شاهد واما الواو في وشهد شاهد فقد عطفت جملة قوله شهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فامن
واستكبرتم على جملة قوله كان من عند الله وكفرتم به ونظيره قولك ان احسنت اليك واسأت واقبلت عليك
واعرضت لم تتفق فانك اخذت ضميمتين فعطفتهما على مثليهما والمعنى قل اخبروني ان اجتمع كون القرآن من
عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة اعلم بني اسرائيل على نزول مثله وايمانه به مع استكباركم عنه وعن الايمان
به الستم اضل الناس واظلمهم وقد جعل الايمان في قوله تعالى فامن مسببا عن الشهادة على مثله لانه لما
علم ان مثله انزل على موسى عليه السلم وانه من جنس الوحي وليس من كلام البشر وانصف من نفسه فشهد
عليه واعترف كان الايمان نتيجة ذلك وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه واذ لم
يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم للذين امنوا لاجلهم وهو كلام كفار مكة قالوا عامة من يتبع محمدا
السقاط يعنون الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود رضوان الله عليهم فلو كان ما جاء به خيرا ما سبقنا اليه
هؤلاء وقيل لما اسلمت جهينة ومزينة واسلم وغفار قالت بنو عامر وغطفان واسد واشجع لو كان خيرا
ما سبقونا اليه رعاء البهم وقيل ان امة لعمر اسلمت فكان عمر رضي الله عنه يضربها حتى يفتر ثم يقول لولا اني
فترت لزدتك ضربا وكان كفار قريش يقولون لو كان ما يدعو اليه محمد حقا ما سبقنا اليه فلانة وقيل كان
اليهود يقولونه عند اسلام عبد الله بن سلام واصحابه فان قلت لا بد من عامل في الظرف في قوله
تعالى اذ لم يهتدوا به ومن متعلق لقوله فسيقولون وغير مستقيم ان يكون فسيقولون هو العامل في
الظرف لتدافع دلالتي المضي والاستقبال فما وجه هذا الكلام قلت العامل في اذ محذوف لدلالة
الكلام عليه كما حذف من قوله تعالى فلما ذهبوا به وقولهم حينئذ الان وتقديره واذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم
فسيقولون هذا افك قديم فهذا المضمر صح به الكلام حيث انتصب به الظرف وكان قوله تعالى فسيقولون
مسببا عنه كما صح باضمار ان قوله حتى يقول الرسول لمصادفة حتى مجرورها والمضارع ناصبه وقولهم

افك قديم كقولهم اساطير الاولين ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا
لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون كتاب موسى مبتدأ ومن قبله ظرف واقع خبرا مقدما
عليه وهو ناصب اماما على الحال كقولك في الدار زيد قائما وقرئ ومن قبله كتاب موسى على وآتينا الذي قبله التورية
ومعنى اماما قدوة يؤتم به في دين الله وشرائعه كما يؤتم بالامام ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه وهذا القرآن كتاب
مصدق لكتاب موسى او لما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب وقرئ مصدق لما بين يديه ولسانا عربيا
حال من ضمير الكتاب في مصدق والعامل فيه مصدق ويجوز ان ينتصب عن كتاب لتخصصه بالصفة ويعمل
فيه معنى الاشارة وجوز ان يكون مفعولا لمصدق اي يصدق ذا لسان عربي وهو الرسول وقرئ لينذر بالتاء
والياء ولينذر من نذر ينذر اذا حذر وبشرى في محل النصب معطوف على محل لينذر لانه مفعول له ووصينا
الانسان بوالديه حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى اذا
بلغ اشده وبلغ اربعين سنة قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل
صالحا ترضاه واصلح لي في ذريتي اني تبت اليك واني من المسلمين قرئ حسنا بضم الحاء وسكون السين وبضمهما
وبفتحهما واحسانا وكرها بالفتح والضم وهما لغتان في معنى المشقة كالفقر والفقر وانتصابه على الحال اي ذات كره او
على انه صفة للمصدر اي حملا ذا كره وحمله وفصاله ومدة حمله وفصاله ثلاثون شهرا وهذا دليل على ان اقل
الحمل ستة اشهر وقرئ وفصله والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى فان قلت المراد بيان مدة الرضاع
لا الفطام فكيف عبر عنه بالفصال قلت لما كان الرضاع يليه الفصال ويلابسه لانه ينتهي به ويتم سمي
فصالا كما سمي المدة بالامد من قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى امده وفيه فائدة وهي الدلالة على
الرضاع التام المنتهي بالفصال ووقته وقرئ حتى اذا استوى وبلغ اشده وبلوغ الاشد ان يكتهل ويستوفي
السن التي يستحكم فيها قوته وعقله وتمييزه وذلك اذا اناف على الثلثين وناطح الاربعين وعن قتادة ثلث وثلثون
سنة ووجهه ان يكون ذلك اول الاشد وغايته الاربعين وقيل لم يبعث نبي قط الا بعد اربعين سنة والمراد
بالنعمة التي استوزع الشكر عليها نعمة التوحيد والاسلام وجمع بين شكري النعمة عليه وعلى والديه لان النعمة
عليهما نعمة عليه وقيل في العمل المرضي هو الصلوات الخمس فان قلت ما معنى في في قوله في ذريتي قلت
معناه ان يجعل ذريته موقعا للصلاح ومظنة له كانه قال هب لي الصلاح في ذريتي واوقعه فيهم ونحوه
يجرح في عراقيبها نصلي ومن المسلمين من المخلصين اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن
سيئاتهم في اصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون وقرئ يتقبل ويتجاوز بفتح الياء والضمير
فيهما لله عز وجل وقرئا بالنون فان قلت ما معنى قوله تعالى في اصحاب الجنة قلت هو نحو قولك
اكرمني الامير في ناس من اصحابه يريد اكرمني في جملة من اكرم منهم ونظمني في عدادهم ومحله النصب على الحال
على معنى كائنين في اصحاب الجنة ومعدودين فيهم ووعد الصدق مصدر مؤكد لان قوله تعالى نتقبل ونتجاوز
وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز وقيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه وفي ابيه ابي قحافة وامه ام الخير وفي اولاده
واستجابة دعائه فيهم وقيل لم يكن احد من الصحابة من المهاجرين منهم والانصار رضوان الله عليهم اسلم هو ووالداه
وهو وبناته غير ابي بكر رضي الله عنه والذي قال لوالديه اف لكما اتعدانني ان اخرج وقد خلت القرون

من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين أولئك
الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين والذي قال
لوالديه مبتدأ خبره أولئك الذين حق عليهم القول والمراد بالذي قال الجنس القائل ذلك القول ولذلك وقع
الخبر مجموعا وعن الحسن هو في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه
فاجر لربه وقيل نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه وقد دعاه أبوه أبو بكر وأمه أم رومان إلى الإسلام
فأفف بهما وقال ابعثوا لي جدعان بن عمرو وعثمان بن عمرو وهما من أجداده حتى أسألهما عما يقول محمد ويشهد
لبطلانه أن المراد بالذي قال جنس القائلين ذلك وأن قوله تعالى الذين حق عليهم القول هم أصحاب النار وعبد
الرحمن كان من أفاضل المسلمين وسرواتهم وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إنكار نزولها فيه وحين كتب
معاوية إلى مروان بأن يبايع الناس ليزيد قال عبد الرحمن لقد جئتم بها هرقلية أتبايعون لأبنائكم فقال مروان
يا أيها الناس هو الذي قال الله فيه والذي قال لوالديه أف لكما فسمعت عائشة رضي الله عنها فغضبت وقالت
والله ما هو به ولو شئت أن أسميه لسميته ولكن الله لعن أباك وأنت في صلبه فأنت فضض من لعنة الله وقرئ
أف بالكسر والفتح بغير تنوين وبالحركات الثلاث مع التنوين وهو صوت إذا صوت به الإنسان علم
أنه متضجر كما إذا قال حس علم أنه متوجع واللام للبيان معناه هذا التأفيف لكما خاصة ولأجلكما دون غيركما
وقرئ أتعدانني بنونين وأتعداني بأحدهما وأتعدانّي بالإدغام وقد قرأ بعضهم أتعدانَني بفتح النون كأنه
استثقل اجتماع النونين والكسرتين والياء ففتح الأولى تحريا للتخفيف كما تحراه من أدغم ومن أطرح أحدهما وأن
أخرج أن أبعث وأخرج من الأرض وقرئ أخرج وقد خلت القرون من قبلي يعني ولم يبعث منهم أحد وهما يستغيثان
الله يقولان الغياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله ويلك دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث
والتحريض على الإيمان لا حقيقة الهلاك وفي أمم نحو قوله في أصحاب الجنة وقرئ أن بالفتح على معنى آمن بأن وعد
الله حق ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون ويوم يعرض الذين كفروا على النار
ولكل من الجنسين المذكورين درجات مما عملوا أي منازل ومراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر أو من
أجل ما عملوا منهما فإن قلت كيف قيل درجات وقد جاء الجنة درجات والنار دركات قلت يجوز
أن يقال ذلك على وجه التغليب لاشتمال كل على الفريقين وليوفيهم وقرئ بالنون تعليل معلله محذوف لدلالة
الكلام عليه كأنه قيل وليوفيهم أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم قدر جزاءهم على مقادير أعمالهم فجعل الثواب درجات
والعقاب دركات ناصب الظرف هو القول المضمر قبل أذهبتم وعرضهم على النار تعذيبهم بها من
قولهم عرض بنو فلان على السيف إذا قتلوا به ومنه قوله عز وجل النار يعرضون عليها ويجوز أن يراد عرض
النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فقلبوا ويدل عليه تفسير ابن عباس
رضي الله عنهما يجاء بهم إليها فيكشف لهم عنها أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم
تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون أذهبتم
طيباتكم أي ما كتب لكم حظ من الطيبات إلا ما قد أصبتموه في دنياكم وقد ذهبتم به وأخذتموه فلم يبق لكم
بعد استيفاء حظكم شيء منها وعن عمر رضي الله عنه لو شئت لدعوت بصلائق وصناب وكراكر وأسنمة ولكني
رأيت الله تعالى نعى على قوم طيباتهم فقال أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وعنه لو شئت لكنت أطيبكم طعاما

واحسنكم

واحسنكم لباساً ولكني استبقي طيباتي • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه دخل على اهل الصفة وهم يرقعون ثيابهم بالادم ما يجدون لها رقاعاً فقال لهم انتم اليوم خير ام يوم يغدو احدكم في حلة ويروح في اخرى ويغدى عليه بجفنة ويراح عليه باخرى ويستر بيته كما تستر الكعبة قالوا نحن يومئذ خير قال بل انتم اليوم خير • وقرئ اذهبتم بهمزة الاستفهام وآذهبتم بالف بين همزتين الهون الهوان • وقرئ عذاب الهوان • وقرئ تفسقون بضم السين وكسرها **واذكر اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه الا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم** الاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج وكانت عاد اصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفين على البحر بارض يقال لها الشحر من بلاد اليمن • وقيل بين عمان ومهرة والنذر جمع نذير بمعنى المنذر او الانذار من بين يديه من قبله ومن خلفه ومن بعده • والمعنى ان هوداً قد انذرهم فقال لهم لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم العذاب • واعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره • وعن ابن عباس رضي الله عنهما يعني الرسل الذين بعثوا قبله والذين بعثوا اليهم في زمانه • ومعنى ومن خلفه على هذا التفسير • ومن بعد انذاره هذا اذا علقت وقد خلت النذر بقوله تعالى انذر قومه ولك ان تجعل قوله تعالى وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه اعتراضاً بين قوله انذر قومه وبين الا تعبدوا ويكون المعنى واذكر انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم • وقد انذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك فاذكرهم **قالوا اجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما العلم عند الله وابلغكم ما ارسلت به ولكني اراكم قوماً تجهلون** الافك الصرف يقال افكه عن رأيه وعن آلهتنا عن عبادتها بما تعدنا من معاجلة العذاب على الشرك ان كنت صادقاً في وعدك فان قلت — من اين طابق قوله تعالى انما العلم عند الله جواباً لقولهم فأتنا بما تعدنا قلت — من حيث ان قولهم هذا استعجال منهم بالعذاب الا ترى الى قوله بل هو ما استعجلتم به فقال لهم لا علم عندي بالوقت الذي يكون فيه تعذيبكم حكمة وصواباً انما علم ذلك عند الله فكيف ادعوه بان يأتيكم بعذابه في وقت عاجل تقترحونه انتم ومعنى وابلغكم ما ارسلت به • وقرئ بالتخفيف ان الذي هو شاني وشرطي ان ابلغكم ما ارسلت به من الانذار والتخويف والصرف عما يعرضكم لسخط الله بجهدي ولكنكم جاهلون لا تعلمون • ان الرسل لم يبعثوا الا منذرين لا مقترحين ولا سائلين غير ما اذن لهم فيه **فلما رأوه عارضاً مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم** فلما رأوه في الضمير وجهان ان يرجع الى ما تعدنا وان يكون مبهماً قد وضح امره بقوله عارضاً اما تمييزاً واما حالاً وهذا الوجه اعرب وافصح والعارض السحاب الذي يعرض في افق من السماء ومثله الحبي والعنان من حبا وعن اذا عرض • واضافة مستقبل وممطر مجازية غير معرفة بدليل وقوعهما وهما مضافان الى معرفتين وصفاً للنكرة • بل هو القول قبله مضمر • والقائل هود عليه السلام والدليل عليه قراءة من قرأ قال هود بل هو • وقرئ قل بل ما استعجلتم به هي ريح اي قال الله قل **تدمر كل شيء بامر ربها فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين** تدمر كل شيء تهلك من نفوس عاد واموالهم الجم الكثير فعبر عن الكثرة بالكلية • وقرئ يدمر كل شيء من دمر دماراً اذا هلك لا ترى الخطاب للرائي من كان وقرئ لا يرى على البناء للمفعول بالياء والتاء • وتأويل القراءة بالتاء وهي عن الحسن لا ترى بقايا ولا اشياء الا مساكنهم ومنه بيت ذي الرمة • وما بقيت الا الضلوع الجراشع • وللبيت بالقوية • وقرئ لا ترى الا مسكنهم ولا يرى الا مسكنهم • وروي ان الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة

فتوقفها في الجو حتى ترى كانها جرادة • وقيل اول من ابصر العذاب امراة منهم قالت رايت ريحا فيها كشهب النار • وروي
انه اول ما عرفوا به انه عذاب انهم راوا ما كان في الصحرا من رجالهم ومواشيهم تطير بهم الريح بين السما والارض
فدخلوا بيوتهم وغلقوا ابوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم وامال الله عليهم الاحقاف وكانوا تحتها سبع
ليال وثمانية ايام لهم انين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم في البحر • وروي ان هودا عليه السلام لما احس
بالريح خط على نفسه وعلى المومنين خطا الى جنب عين تنبع • وعن ابن عباس اعتزل هود ومن معه في حظيرة
ما يصيبهم من الريح الا ما يلين على الجلود وتلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السما والارض وتدمغهم
بالحجارة • وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا راى الريح فزع وقال اللهم اني اسالك خيرها وخير ما ارسلت
به • واعوذ بك من شرها وشر ما ارسلت به • واذا راى مخيلة قام وقعد وجا وذهب وتغير لونه فيقال له
يا رسول الله ما تخاف فيقول اني اخاف • ان يكون مثل قوم عاد حيث قالوا هذا عارض ممطرنا فان قلت
ما فايدة اضافة الرب الى الريح قلت الدلالة على ان الريح وتصريف اعنتها مما يشهد لعظم قدرته لانها من اعاجيب
خلقه واكابر جنوده • وذكر الامر وكونها مامورة من جهته عز وعلا يعضد ذلك ويقويه ولقد مكناهم
فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافيدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افيدتهم
من شي اذ كانوا يجحدون بايات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزون ان نافية اي فيما ما مكناكم فيه الا
ان ان احسن في اللفظ لما في مجامعة ما مثلها من التكرير المستبشع ومثله مجتنب الا ترى ان الاصل في مهما ما ما
فلبشاعة التكرير قلبوا الالف ها • ولقد اغث ابو الطيب في قوله • لعمرك ما ما بان منك لضارب • وما ضره لو
اقتدى بعذوبة لفظ التنزيل فقال لعمرك ما ان بان منك لضارب • وقد جعلت ان صلة مثلها فيما انشده
الاخفش • يرجي المرء ما ان لا يراه • وتعرض دون ادناه الخطوب • وتؤول بانا مكناهم في مثل ما مكناكم فيه
والوجه هو الاول ولقد جا عليه غير اية في القران هم احسن اثاثا ورئيا كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا
وهو ابلغ في التوبيخ وادخل في الحث على الاعتبار • من شي اي من شي من الاغنا وهو القليل منه فان قلت
بم انتصب اذ كانوا يجحدون قلت بقوله فما اغنى فان قلت لم جرى مجرى التعليل قلت لاستوا
مودى التعليل والظرف في قولك ضربته لاسائته وضربته اذ اسا لانك اذا ضربته في وقت اسائته فانما ضربته
فيه لوجود اسائته فيه الا ان اذ واحيث غلبتا دون سائر الظروف في ذلك والله اعلم ولقد اهلكنا ما حولكم
من القرى وصرفنا الايات لعلهم يرجعون ما حولكم يا اهل مكة من القرى من حجر ثمود وقرى قوم لوط
وغيرهما والمراد اهل القرى • ولذلك قال لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا
الهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون القربان ما تقرب به الى الله تعالى اي اتخذوهم شفعا
متقربا بهم الى الله حيث قالوا هولا شفعاونا عند الله واحد مفعولي اتخذ الراجع الى الذين المحذوف والثاني
الهة وقربانا حال ولا يصح ان يكون قربانا مفعولا ثانيا والهة بدلا منه لفساد المعنى • وقرى قربا بضم الرا والمعنى
فهلا منعهم من الهلاك الهتهم بل ضلوا عنهم اي غابوا عن نصرتهم • وذلك اشارة الى امتناع نصرة الهتهم لهم
وضلالهم عنهم اي وذلك اثر افكهم الذي هو اتخاذهم اياها الهة وثمرة شركهم وافترايهم على الله الكذب من كونه
ذا شركا • وقرى افكهم والافك • والافك كالحذر والحذر • وقرى وذلك افكهم اي وذلك الاتخاذ الذي هذا اثره
وثمرته صرفهم عن الحق • وقرى افكهم على التشديد للمبالغة وافكهم جعلهم افكين وافكهم اي قولهم الافك

ذو الافك كما تقول قول كاذب وذلك افك مما كانوا يفترون اي بعض ما كانوا يفترون من الافك واذ صرفنا
اليك نفرا من الجن يستمعون القران فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضي ولوا الي قومهم منذرين صرفنا
اليك نفرا املناهم اليك واقبلنا بهم نحوك وقرئ صرّفنا بالتشديد لانهم جماعة والنفر دون العشرة ويجمع انفارا
وفي حديث ابي ذر رضي الله عنه لو كان ههنا احد من انفارنا فلما حضروه الضمير للقران اي فلما كان بمسمع منهم
او لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعضده قراءة من قرا فلما قضي اي اتم قراءته وفرغ منها قالوا قال بعضهم لبعض
انصتوا اسكتوا مستمعين يقال انصت لكذا وانصت له قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى
مصدقا لما بين يديه يهدي الي الحق والي طريق مستقيم روي ان الجن كانت تسترق السمع فلما حرست
السما ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا لنبا حدث فنهض سبعة نفرا او تسعة من اشراف جن نصيبين او نينوى
منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا الي وادي نخلة فوافقوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم في
جوف الليل يصلي او في صلاة الفجر فاستمعوا لقراءته وذلك عند منصرفه من الطائف حين خرج اليهم يستنصرهم
فلم يجيبوه الي طلبته واغروا به سفهاء ثقيف وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه ما قرا رسول الله صلى الله
عليه وسلم على الجن ولا راهم وانما كان يتلو في صلاته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر فانباه
الله باستماعهم وقيل بل امر الله رسوله ان ينذر الجن ويقرا عليهم فصرف اليه نفرا منهم جمعهم له فقال
اني امرت ان اقرا علي الجن الليلة فمن يتبعني قالها ثلثا فاطرقوا الا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لم
يحضره ليلة الجن احد غيري فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة في شعب الحجون فخط لي خطا وقال لا تخرج منه
حتى اعود اليك ثم افتتح القران وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغشيته
اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما اسمع صوته ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لي رسول الله عليه
السلم هل رايت شيا قلت نعم رجالا سودا مستثفري ثياب بيض فقال اولئك جن نصيبين وكانوا
اثني عشر الفا والسورة التي قراها عليهم اقرا باسم ربك فان قلت كيف قالوا من بعد موسى قلت
عن عطاء انهم كانوا علي اليهودية وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الجن لم تكن سمعت بامر عيسى فلذلك
قال من بعد موسى يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب
اليم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه اولياء اولئك في ضلال
مبين فان قلت لم بعض في قوله من ذنوبكم قلت لان من الذنوب ما لا يغفر بالايمان كذنوب
المظالم ونحوها ونحوه قوله تعالى ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم فان قلت
هل للجن ثواب كما للانس قلت اختلف فيه فقيل لا ثواب لهم الا النجاة من النار لقوله تعالى ويجركم من عذاب اليم واليه
كان يذهب ابو حنيفة رحمة الله عليه والصحيح انهم في حكم بني ادم لانهم مكلفون مثلهم فليس بمعجز في الارض اي لا ينجي منه
مهرب ولا يسبق قضاءه سابق ونحوه قوله تعالى وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا اولم يروا ان الله
الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير بقادر محله
الرفع لانه خبر ان تدل عليه قراءة عبد الله قادر وانما دخلت الباء لاشتمال النفي في اول الاية على ان وما في حيزها
وقال الزجاج لو قلت ما ظننت ان زيدا بقايم جاز كانه قيل اليس الله بقادر الا ترى الي وقوع بلى مقررة للقدرة
على كل شيء من البعث وغيره لا لرؤيتهم وقرئ يقدر يقال عييت بالامر اذا لم تعرف وجهه ومنه افعيينا

بالخلق الاول ويوم يعرض الذين كفروا على النار اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون اليس هذا بالحق محكي بعد قول مضمر. وهذا المضمر هو ناصب الظرف. وهذا اشارة الى
العذاب بدليل قوله تعالى فذوقوا العذاب. والمعنى التهكم بهم والتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد
الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كانهم
يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون اولوا العزم
اولوا الجد والثبات والصبر. ومن يجوز ان تكون للتبعيض ويراد باولي العزم الانبيا قبلهم نوح صبر
على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه. وابراهيم على النار وذبح ولده. واسحق على الذبح. ويعقوب
على فقد ولده وذهاب بصره. ويوسف على الجب والسجن. وايوب على الضر. وموسى قال له قومه انا
لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين. وداود بكى على خطيئته اربعين سنة. وعيسى لم يضع لبنة على
لبنة صلوات الله عليهم وقال انها معبرة فاعبروها ولا تعمروها. قال الله سبحانه وتعالى في ادم ولم
نجد له عزما. وفي يونس ولا تكن كصاحب الحوت. ويجوز ان يكون للبيان فيكون اولوا العزم صفة
الرسل كلهم. ولا تستعجل لكفار قريش بالعذاب اي لا تدع لهم بتعجيله فانه نازل بهم لا محالة وان تاخر
وانهم مستقصرون حينئذ مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبوها ساعة من نهار بلاغ. هذا بلاغ اي هذا
الذي وعظتم به كفاية في الموعظة. او هذا تبليغ من الرسول. فهل يهلك الا الخارجون عن الاتعاظ به والعمل
بموجبه. ويدل على معنى التبليغ قراءة من قرا بلغ فهل يهلك. وقرئ بلاغا اي بلغوا بلاغا. وقرئ يهلك
بفتح اليا وكسر اللام. وفتحها من هلك وهلك ونهلك بالنون الا القوم الفاسقين. عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا

وهي ثمان وثلاثون آية	بسم الله الرحمن الرحيم	سورة محمد صلى الله عليه وسلم مدنية

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم. وصدوا واعرضوا وامتنعوا عن الدخول في الاسلام
او صدوا غيرهم عنه. قال ابن عباس رضي الله عنهما هم المطعمون يوم بدر. وعن مقاتل كانوا اثنى
عشر رجلا من اهل الشرك يصدون الناس عن الاسلام ويامرونهم بالكفر. وقيل هم اهل الكتاب
الذين كفروا وصدوا من اراد منهم ومن غيرهم ان يدخل في الاسلام. وقيل هو عام في كل من كفر وصد. واضل
اعمالهم ابطلها واحبطها. وحقيقته جعلها ضالة ضايعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الابل التي
هي مضيعة لا رب لها يحفظها ويعتني بامرها او جعلها ضالة في معاصيهم وكفرهم مغلوبة بها كما يضل الماء في اللبن
واعمالهم ما عملوه في كفرهم مما كانوا يسمونه مكارم من صلة الارحام وفك الاسارى وقرى الاضياف وحفظ
الجوار. وقيل ابطل ما عملوه من الكيد لرسول الله عليه السلام والصد عن سبيله بان نصره عليهم واظهر دينه
على الدين كله والذين امنوا وعملوا الصالحات وامنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر
عنهم سيئاتهم واصلح بالهم. والذين امنوا قال مقاتل هم ناس من قريش وقيل من الانصار وقيل هم
مؤمنوا اهل الكتاب وقيل هم عام. وقوله تعالى وامنوا بما نزل على محمد اختصاص للايمان بالمنزل على

الله صلى الله عليه وسلم من بين ما يجب به الايمان تعظيما لشانه وتعليما لانه لا يصح الايمان ولا يتم الا به واكد ذلك بالجملة الاعتراضية التي هي قوله وهو الحق من ربهم وقيل معناها ان دين محمد عليه السلام هو دين الحق اذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره وقرئ نزل وانزل على البنا للفاعل ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم ستر بايمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم عنها وتوبتهم واصلح بالهم اي حالهم وشانهم بالتوفيق في امور الدين وبالتسلط على الدنيا بما اعطاهم من النصرة والتاييد ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس امثالهم ذلك مبتدا وما بعده خبره اي ذلك الامر وهو اضلال اعمال احد الفريقين وتكفير سيئات الثاني كاين بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق ويجوز ان يكون ذلك خبر مبتدا محذوف اي الامر كما ذكر بهذا السبب فيكون محل الجار والمجرور منصوبا على هذا ومرفوعا على الاول والباطل ما لا ينتفع به وعن مجاهد الباطل الشيطان وهذا الكلام تسميه علما البيان التفسير كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس امثالهم والضمير راجع الى الناس او الى المذكورين من الفريقين على معنى انه يضرب امثالهم لاجل الناس ليعتبروا بهم فان قلت اين ضرب الامثال قلت في ان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع الحق مثلا لعمل المومنين او في ان جعل الاضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيئات مثلا لفوز المومنين فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق لقيتم من اللقاء وهو الحرب فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر فانيب منابه مضافا الى المفعول لان الواجب ان تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الاعضاء وذلك انهم كانوا يقولون ضرب الامير رقبة فلان وضرب عنقه وعلاوته وضرب ما فيه عيناه اذا قتله وذلك ان قتل الانسان اكثر ما يكون بضرب رقبته فوقع عبارة عن القتل وان ضرب غير رقبته من المقاتل كما ذكرنا في قوله تعالى بما كسبت ايديكم على ان في هذه العبارة من الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل باشنع صورة وهو حز العنق واطارة العضو الذي هو راس البدن وعلوه واوجه اعضائه ولقد زاد في هذه الغلظة في قوله تعالى فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان واثخنتموهم اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الشيء الثخين وهو الغليظ او اثقلتموهم بالقتل والجراح حتى اذهبتم عنهم النهوض فشدوا الوثاق فاسروهم والوثاق بالكسر والفتح اسم ما يوثق به فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض منا وفداء منصوبان بفعليهما مضمرين اي فاما تمنون منا واما تفدون فداء والمعنى التخيير بعد الاسر بين ان يمنوا عليهم فيطلقوهم وبين ان يفادوهم فان قلت كيف حكم اسارى المشركين قلت اما عند ابي حنيفة واصحابه فاحد امرين اما قتلهم واما استرقاقهم ايهما راى الامام ويقولون في المن والفداء المذكورين في الاية نزل ذلك في يوم بدر ثم نسخ وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فدا وانما هو الاسلام او ضرب العنق ويجوز ان يراد بالمن ان يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا او يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية وكونهم من اهل الذمة وبالفداء ان يفادى باسارائهم اسارى المشركين فقد رواه الطحاوي مذهبا عن ابي حنيفة رحمة الله عليه والمشهور انه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره خيفة ان يعودوا حربا للمسلمين واما الشافعي رضي الله عنه فيقال للامام ان يختار احد اربعة على حسب ما اقتضاه نظره للمسلمين وهو القتل والاسترقاق والفدا باسارى المسلمين والمن ويحتج

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم منّ على ابي عزة الجمحي وعلى اثال الحنفي وفادى رجلا برجلين من المشركين وهذا
كله منسوخ عند اصحاب الراي وقرئ فدا بالقصر مع فتح الفا اوزار الحرب الاتها واثقالها التي لا تقوم الا بها
كالسلاح والكراع قال الاعشى واعددت للحرب اوزارها رماحا طوالا وخيلا ذكورا وسميت اوزارها
لانه لما لم يكن لها بد من جرها فكانها تحملها وتستقل بها فاذا انقضت فكانها وضعتها وقيل اوزارها اثامها يعني
حتى يترك اهل الحرب وهم المشركون شركهم ومعاصيهم بان يسلموا فان قلت حتى بم تعلقت قلت
لا يخلوا اما ان تتعلق بالضرب والشد او بالمن والفداء والمعنى على كلا المتعلقين عند الشافعي رضي الله عنه
انهم لا يزالون على ذلك ابدا الى ان لا يكون حرب مع المشركين وذلك اذا لم يبق لهم شوكة وقيل اذا نزل عيسى
عليه السلام وعند ابي حنيفة رحمة الله عليه اذا علق بالضرب والشد فالمعنى انهم يقتلون ويوسرون
حتى يضع جنس الحرب الاوزار وذلك حين لا يبقى شوكة للمشركين واذا علق بالمن والفداء فالمعنى انه يمن
عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر اوزارها الا ان يتاول المن والفدا بما ذكرنا من التاويل ذلك اي الامر
ذلك او افعلوا ذلك لانتصر منهم لانتقم منهم ببعض اسباب الهلك من خسف او رجفة او حاصب او غرق
او موت جارف ولكن امركم بالقتال ليبلو المومنين بالكافرين ان تجاهدوا وتصبروا حتى يستوجبوا الثواب
العظيم والكافرين بالمومنين بان يعاجلهم على ايديهم ببعض ما وجب لهم من العذاب والذين قتلوا في سبيل
الله فلن يضل اعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم وقرئ قتلوا بالتخفيف والتشديد
وقتلوا وقاتلوا وقرئ فلن يضل اعمالهم وتضل اعمالهم على البنا للمفعول ويضل اعمالهم من ضل وعن قتادة
انها نزلت في يوم احد وعرفها لهم اعلمها لهم وبينها بما يعلم به كل احد منزلته ودرجته من الجنة قال مجاهد
يهتدي اهل الجنة الى مساكنهم منها لا يخطئون كانهم كانوا سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها وعن
مقاتل ان الملك الذي وكل بحفظ عمله في الدنيا يمشي بين يديه فيعرّفه كل شيء اعطاه الله او طيبها لهم من
العرف وهو طيب الرايحة وفي كلام بعضهم عزف كنوح القماري او حددها لهم فجنة كل احد محدودة
مفرزة عن غيرها من عرف الدار وارفها والعرف والارف الحدود يا ايها الذين امنوا ان تنصروا
الله ينصركم ويثبت اقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم واضل اعمالهم ان تنصروا دين الله ورسوله
ينصركم على عدوكم ويفتح لكم ويثبت اقدامكم في مواطن الحرب او على محجة الاسلام والذين كفروا
يحتمل الرفع على الابتدا والنصب بما يفسره فتعسا كانه قيل اتعس الذين كفروا فان قلت علام عطف
قوله واضل اعمالهم قلت على الفعل الذي نصب تعسا لان المعنى فقال تعسا لهم او فقضى تعسا لهم وتعسا
له نقيض لعا له قال الاعشى فالتعس اولى لها من ان اقول لعا يريد فالعثور والانحطاط اقرب
لها من الانتعاش والثبوت وعن ابن عباس رضي الله عنهما يريد في الدنيا القتل وفي الاخرة التردي في النار
ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم كرهوا القران وما انزل الله فيه من التكاليف
والاحكام لانهم قد الفوا الاهمال واطلاق العنان في الشهوات والملاذ فشق عليهم ذلك وتعاظمهم
افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين امثالها
دمره اهلكه ودمر عليه ما اختص به والمعنى دمر الله عليهم ما اختص بهم من انفسهم واولادهم واموالهم
وكل ما كان لهم وللكافرين امثالها الضمير للعاقبة المذكورة او للهلكة لان التدمير يدل عليها او للسنة

لقوله تعالى

لقوله تعالى سنة الله في الذين خلوا ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم مولى الذين امنوا
وليهم وناصرهم وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ولي الذين امنوا ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان في الشعب يوم احد وقد فشت فيهم الجراحات وفيه نزلت فنادى المشركون يوم بيوم والحرب سجال
ان لنا عزى ولا عزى لكم فقال رسول الله عليه السلم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم ان القتلى مختلفة اما قتلانا
فاحياء يرزقون واما قتلاكم ففي النار يعذبون فان قلت قوله تعالى وردوا الى الله مولاهم الحق مناقض
لهذه الاية قلت لا تناقض بينهما لان الله تعالى مولى عباده جميعا على معنى انه ربهم ومالك امرهم واما
على معنى الناصر فهو مولى المؤمنين خاصة ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من
تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون وياكلون كما تاكل الانعام والنار مثوى لهم يتمتعون ينتفعون
بمتاع الحياة الدنيا اياما قلائل وياكلون غافلين غير متفكرين في العاقبة كما تاكل الانعام في مسارحها ومعالفها
غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح والنار مثوى لهم منزل لهم ومقام وكاين من قرية هي اشد قوة من
قريتك التي اخرجتك اهلكناهم فلا ناصر لهم افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله
واتبعوا اهواءهم وقرئ وكاين بوزن كاعن واراد بالقرية اهلها ولذلك قال اهلكناهم كانه قال وكم
من قوم هم اشد قوة من قومك الذين اخرجوك اهلكناهم ومعنى اخرجوك كانوا سبب خروجك فان قلت
كيف قال فلا ناصر لهم وانما هو امر قد مضى قلت مجراه مجرى الحال المحكية كقولك اهلكناهم فهم لا ينصرون من
زين له هم اهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله ومن كان على بينة من ربه اي على حجة من
عنده وبرهان وهو القران المعجز وسائر المعجزات هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ امن كان على بينة من
ربه وقال عز وجل سوء عمله واتبعوا للحمل على لفظ من ومعناه مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير اسن
وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة
من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم فان قلت ما معنى قوله مثل الجنة التي وعد
المتقون فيها انهار من ماء غير اسن كمن هو خالد في النار قلت هو كلام في صورة الاثبات ومعنى النفي والانكار
لانطوائه تحت حكم كلام مصدر بحرف الانكار ودخوله في حيزه وانخراطه في سلكه وهو قوله تعالى افمن كان
على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله فكانه قيل امثل الجنة كمن هو خالد في النار فان قلت فلم عري من
حرف الانكار وفيها زيادة تصوير لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وانه بمنزلة من يثبت
التسوية بين الجنة التي تجري فيها تلك الانهار وبين النار التي يسقى اهلها الحميم ونظيره قول القائل

افرح ان ارزأ الكرام وان اورث ذودا شصائصا نبلا هو كلام منكر للفرح برزية الكرام ووراثة الذود مع
تعريه من حرف الانكار لانطوائه تحت قول من قال له اتفرح بموت اخيك بوراثة ابله والذي طرح لاجله
حرف الانكار ارادة ان يصور قبح ما ازن به فكانه قال له مثلي يفرح بمرزئة الكرام وبان يستبدل منهم ذودا
يقل طائله وهو من التسليم الذي تحته كل انكار ومثل الجنة صفة الجنة العجيبة الشان وهو مبتدأ وخبره
كمن هو خالد في النار وقوله تعالى فيها انهار داخل في حكم الصلة كالتكرير لها الا ترى الى صحة قولك التي فيها انهار ويجوز
ان يكون خبر مبتدأ محذوف هي فيها انهار وكان قائلا قال وما مثلها فقيل فيها انهار وان يكون في موضع الحال
اي مستقرة فيها انهار وفي قراءة علي رضي الله عنه امثال الجنة اي ما صفاتها كصفات النار وقرئ اسن يقال

اسن الماء واجن اذا تغير طعمه وريحه وانشد ليزيد بن معوية لقد سقتني رضابا غير ذي اسن كالمسك فت على ماء العناقيد
من لبن لم يتغير طعمه كما يتغير البان الدنيا فلا يعود قارصا ولا حازرا ولا ما يكره من الطعوم ولذة تانيث لذ وهو اللذيذ
او وصف بمصدر وقرئ بالحركات الثلث فالجر على صفة الخمر والرفع على صفة الانهار والنصب على العلة اي لاجل
لذة للشاربين والمعنى ما هو الا التلذذ الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع ولا افة من افات الخمر مصفى
لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره وماء حميما قيل اذا دنا منهم شوى وجوههم وانمازت فروة رؤسهم فاذا شربوه
قطع امعاءهم ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال انفا اولئك
الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يلقون له بالا تهاونا منهم فاذا خرجوا قالوا لاولي العلم من الصحابة ماذا قال الساعة
على جهة الاستهزاء وقيل كان يخطب فاذا عاب المنافقين خرجوا فقالوا ذلك للعلماء وقيل قالوا لعبد الله بن مسعود
رضي الله عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انا منهم وقد سميت فيمن سئل انفا وقرئ انفا على فعل نصب
الظرف قال الزجاج هو من استانفت الشئ اذا ابتدأته والمعنى ماذا قال في اول وقت يقرب منا والذين
اهتدوا زادهم هدى واتاهم تقواهم زادهم الله هدى بالتوفيق واتاهم تقواهم اعانهم عليها او
اتاهم جزاء تقواهم وعن السدي بين لهم ما يتقون وقرئ واعطاهم وقيل الضمير في زادهم لقول الرسول
او لاستهزاء المنافقين فهل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة فقد جاء اشراطها فانى لهم اذا جاءتهم
ذكراهم ان تاتيهم بدل اشتمال من الساعة نحو ان تطؤهم من قوله تعالى رجال مؤمنون ونساء مؤمنات وقرئ
ان تاتهم بالوقف على الساعة واستيناف الشرط وهي في مصاحف اهل مكة كذلك فان قلت فما جزاء الشرط
قلت قوله فانى لهم ومعنى ان تاتهم الساعة فكيف لهم ذكراهم اي تذكرهم واتعاظهم اذا جاءتهم الساعة يعني
لا تنفعهم الذكرى حينئذ كقوله تعالى يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى فان قلت بم يتصل قوله فقد
جاء اشراطها على القراءتين قلت باتيان الساعة اتصال العلة بالمعلول كقولك ان اكرمني زيد فانا حقيق بالاكرام
اكرمه والاشراط العلامات قال ابو الاسود فان كنت قد ازمعت بالصرم بيننا فقد جعلت اشراط اوله تبدو
وقيل مبعث محمد خاتم الانبياء صلى الله عليه وعليهم اجمعين منها وانشقاق القمر والدخان وعن الكلبي كثرة المال
والتجارة وشهادة الزور وقطع الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام وقرئ بغتة بوزن جربة وهي غريبة لم ترد
في المصادر اختها وهي مروية عن ابي عمرو وما اخوفني ان تكون غلطة من الراوي على ابي عمرو وان يكون الصواب
بغتة بفتح الغين من غير تشديد كقراءة الحسن فيما تقدم فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين
والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثويكم لما ذكر حال المؤمنين وحال الكافرين قال اذا علمت ان الامر
كما ذكر من سعادة هؤلاء وشقاوة هؤلاء فاثبت على ما انت عليه من العلم بوحدانية الله وعلى التواضع وهضم النفس
باستغفار ذنبك وذنوب من على دينك والله يعلم احوالكم ومتصرفاتكم ومتقلبكم في معايشكم ومتاجركم ويعلم
حيث تستقرون من منازلكم او متقلبكم في حياتكم ومثويكم في القبور او متقلبكم في اعمالكم ومثويكم من الجنة
والنار ومثله حقيق بان يخشى ويتقى وان يستغفر ويسترحم وعن سفين بن عيينة انه سئل عن فضل العلم فقال
الم تسمع قوله حين بدأ به فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك فامر بالعمل بعد العلم وقال اعلموا انما الحياة
الدنيا لعب ولهو الى قوله سابقوا الى مغفرة من ربكم وقال تعالى واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة

ثم قال بعد فاخذ روحهم وقال واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه ثم امر بالقفل بعد ويقول الذين
امنوا لولا نزلت سورة فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال كانوا يدعون الحرص على الجهاد ويتمنونه
بالسنتهم ويقولون لولا انزلت سورة في معنى الجهاد فاذا انزلت وامروا فيها بما تمنوا وحرصوا عليه كاعوا وشق
عليهم وسقطوا في ايديهم كقوله تعالى فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس ومحكمة مبينة
غير متشابهة لا تحتمل وجها الا وجوب القتال وعن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة وهي اشد
القران على المنافقين وقيل لها محكمة لان النسخ لا يرد عليها من قبل ان القتال قد نسخ ما كان من الصفح
والمهادنة وهو غير منسوخ الى يوم القيمة وقيل هي المحدثة لانها حين يحدث نزولها لا يتناولها النسخ ثم تنسخ
بعد ذلك او تبقى غير منسوخة وفي قراءة عبد الله سورة محدثة وقرئ فاذا نزلت سورة وذكر فيها القتال
على البناء للفاعل ونصب القتال رايت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت
فاولى لهم طاعة وقول معروف الذين في قلوبهم مرض هم الذين كانوا على حرف غير ثابتي الاقدام ونظر المغشي عليه
من الموت اي تشخص ابصارهم جبنا وهلعا كما ينظر من اصابته الغشية عند الموت وفاولى لهم وعيد بمعنى فويل لهم
وهو افعل من الولي وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه وطاعة وقول معروف كلام مستانف اي
طاعة وقول معروف خير لهم وقيل هي حكاية قولهم اي قالوا طاعة وقول معروف وتشهد له قراءة ابي رضي الله عنه
يقولون طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فهل عسيتم ان توليتم ان
تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم فاذا عزم الامر اي جد
والعزم والجد لاصحاب الامر وانما يسندان الى الامر اسنادا مجازيا ومنه قوله تعالى ان ذلك لمن عزم الامور و
فلو صدقوا الله فيما زعموا من الحرص على الجهاد او فلو صدقوا في ايمانهم وواطات قلوبهم فيه السنتهم وعسيتم
وعسيتم لغة اهل الحجاز واما بنو تميم فيقولون عسى ان تفعل وعسى ان تفعلوا ولا يلحقون الضماير وقرا نافع
بكسر السين وهو غريب وقد نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات ليكون ابلغ في التوبيخ
فان قلت ما معنى فهل عسيتم ان تفسدوا في الارض قلت معناه هل يتوقع منكم الافساد فان
قلت فكيف يصح هذا في كلام الله عز وجل وهو عالم بما كان وبما يكون قلت معناه انكم لما عهد منكم احقاء
بان يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم في الايمان يا هؤلاء ما ترون هل يتوقع منكم وان
توليتم امور الناس وتامرتم عليهم لما تبين منكم من الشواهد ولاح من المخايل ان تفسدوا في الارض وتقطعوا
ارحامكم تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا وقيل ان اعرضتم وتوليتم عن دين رسول الله عليه السلام وسنته
ان ترجعوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من الافساد في الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض
الاقارب بعضا ووأد البنات وقرئ وليتم وفي قراءة علي بن ابي طالب رضي الله عنه توليتم اي ان تولاكم
ولاة غشمة خرجتم معهم ومشيتم تحت لوائهم وافسدتم بافسادهم وقرئ وتقطعوا وتقطعوا من التقطيع
واولئك اشارة الى المذكورين لعنهم الله لافسادهم وقطعهم الارحام فمنعهم الطافه وخذلهم حتى صموا عن
استماع الموعظة وعموا عن ابصار طريق الهدى ويجوز ان يريد بالذين امنوا المؤمنين الخلص الثابتين وانهم
يتشوفون الى الوحي اذا ابطا عليهم فاذا انزلت سورة في معنى الجهاد ورايت المنافقين فيما بينهم يضجرون
منها افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها افلا يتدبرون القران ويتصفحونه وما فيه من

المواعظ والزواجر ووعيد العصاة حتى لا يجسروا على المعاصي ثم قال أم على قلوب أقفالها وأم بمعنى بل وهمزة التقرير
للتسجيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا يتوصل إليها ذكر. وعن قتادة إذن والله يجدوا في القرآن زاجرا عن معصية
الله لو تدبروه ولكنهم أخذوا بالمتشابه فهلكوا. فإن قلت لم نكرت القلوب وأضيفت الأقفال إليها قلت
أما التنكير ففيه وجهان أن يراد على قلوب قاسية مبهم أمرها في ذلك أو يراد على بعض القلوب وهي قلوب المنافقين
وأما إضافة الأقفال فلأنه يريد الأقفال المختصة بها وهي أقفال الكفر التي استغلقت فلا تنفتح. وقرئ إقفالها
على المصدر. إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم
سول لهم جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا لأن كقولك إن زيدا عمرو مر به. وسول لهم سهل لهم
ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء وقد اشتقه من السؤل من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعا
وأملى لهم ومد لهم في الآمال والأماني وقرئ وأملي لهم يعني أن الشيطان يغويهم وأنا أنظرهم كقوله تعالى
إنما نملي لهم وقرئ وأملي لهم على البناء للمفعول أي أمهلوا ومد في عمرهم. وقرئ سول لهم ومعناه كيد الشيطان
زين لهم على تقدير حذف المضاف. فإن قلت من هؤلاء قلت اليهود كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من
بعد ما تبين لهم الهدى وهو نعته في التوراة. وقيل هم المنافقون ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله
سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم. الذين قالوا القائلون اليهود والذين كرهوا ما نزل الله
المنافقون. وقيل عكسه وأنه قول المنافقين لقريظة والنضير لئن أخرجتم لنخرجن معكم. وقيل بعض الأمر التكذيب
برسول الله عليه السلام أو بلا إله إلا الله أو ترك القتال معه. وقيل هو أحد الفريقين للمشركين وسنطيعكم في
التناصر على عداوة رسول الله عليه السلام والقعود عن الجهاد معه. ومعنى في بعض الأمر الذي يهمكم والله يعلم
إسرارهم وقرئ أسرارهم على المصدر قالوا ذلك سرا فيما بينهم فأفشاه الله عليهم فكيف إذا توفتهم الملائكة
يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم
فكيف يعملون وما حيلتهم حينئذ. وقرئ توفاهم ويحتمل أن يكون ماضيا ومضارعا قد حذفت إحدى تاءيه
كقوله تعالى إن الذين توفاهم الملائكة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يتوفى أحد على معصية الله إلا يضرب
من الملائكة في وجهه ودبره. ذلك إشارة إلى التوفي الموصوف. ما أسخط الله من كتمان نعت رسول الله عليه
السلام. ورضوانه الإيمان برسول الله. أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم. أضغانهم
أحقادهم. وإخراجها إبرازها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين وإظهارهم على نفاقهم وعداوتهم لهم
وكانت صدورهم تغلي حنقا عليهم. ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله
يعلم أعمالكم. لأريناكهم لعرفناكهم ودللناك عليهم حتى تعرفهم بأعيانهم لا يخفون عليك. بسيماهم بعلامتهم
وهو أن يسمهم الله بعلامة يعلمون بها. وعن أنس بن مالك رضي الله عنهما ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين
يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة وأصبحوا وعلى جبهة كل واحد منهم هذا منافق. فإن قلت أي فرق بين
اللامين في فلعرفتهم ولتعرفنهم قلت الأولى هي الداخلة في جواب لو كالتي في لأريناكهم كررت في المعطوف
وأما اللام في ولتعرفنهم فواقعة مع النون في جواب قسم محذوف. في لحن القول في نحوه وأسلوبه. وعن ابن عباس
رضي الله عنهما هو قولهم ما لنا إن أطعنا من الثواب ولا يقولون ما علينا إن عصينا من العقاب. وقيل اللحن أن

تلحن

أن تلحن بكلامك أن تميله إلى نحو من الأنحاء ليفطن له صاحبك كالتعريض والتورية قال ولقد لحنت لكم لكيما تفقهوا واللحن يعرفه
ذو الألباب. أي تميله إلى نحو وقيل للمخطئ لاحن لأنه يعدل بالكلام عن الصواب ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم
والصابرين ونبلوا أخباركم أخباركم ما يحكى عنكم وما يخبر به عن أعمالكم ليعلم حسنها من قبيحها لأن الخبر على حسب
المخبر عنه إن حسنا فحسن وإن قبيحا فقبيح. وقرأ يعقوب ونبلو بسكون الواو على معنى ونحن نبلو أخباركم.
وقرئ وليبلونكم ويعلم ويبلو بالياء. وعن الفضيل أنه كان إذا قرأها بكى وقال اللهم لا تبتلنا فإنك إن بلوتنا فضحتنا
وهتكت أستارنا وعذبتنا إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم
الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحبط أعمالهم وسيحبط أعمالهم التي عملوها في دينهم يرجون بها الثواب لأنها
مع كفرهم برسول الله عليه السلام باطلة وهم قريظة والنضير أو سيحبط أعمالهم التي عملوها والمكايد التي نصبوها
في مشاقة الرسول أي سيبطلها فلا يصلون منها إلى أغراضهم بل يستضرون بها ولا تثمر لهم إلا القتل والجلاء عن
أوطانهم. وقيل هم رؤساء قريش والمطعمون يوم بدر يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول
ولا تبطلوا أعمالكم ولا تبطلوا أعمالكم. وعن أبي العالية أي لا تحبطوا الطاعات بالكبائر كقوله عز وجل لا ترفعوا
أصواتكم فوق صوت النبي إلى أن قال أن تحبط أعمالكم. وعن أبي العالية كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يرون أنه لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل حتى نزلت ولا تبطلوا أعمالكم. فكانوا يخافون الكبائر على أعمالهم
وعن حذيفة فخافوا أن تحبط الكبائر أعمالهم. وعن ابن عمر رضي الله عنهما كنا نرى أنه ليس شيء من حسناتنا إلا مقبولا
حتى نزل ولا تبطلوا أعمالكم. فقلنا ما هذا الذي يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر الموجبات والفواحش حتى نزل إن الله
لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء. فكففنا عن القول في ذلك فكنا نخاف على من أصاب الكبائر
ونرجو لمن لم يصبها. وعن قتادة رحم الله عبدا لم يحبط عمله الصالح بعمله السيء. وقيل لا تبطلوها بمعصيتهما.
وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا تبطلوها بالرياء والسمعة وعنه بالشرك والنفاق. وقيل بالعجب فإن
العجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب. وقيل ولا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى إن الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله
معكم ولن يتركم أعمالكم ثم ماتوا وهم كفار قيل هم أصحاب القليب والظاهر العموم فلا تهنوا فلا تضعفوا
ولا تذلوا للعدو ولا تدعوا إلى السلم وقرئ السلم وهما المسالمة وأنتم الأعلون أي الأغلبون الأقهرون
والله معكم أي ناصركم. وعن قتادة لا تكونوا أول الطائفتين ضرعت إلى صاحبتها بالموادعة وقرئ ولا
تدعوا من ادعى القوم وتداعوا إذا دعوا نحو قولك ارتموا الصيد وتراموه وتدعوا مجزوم لدخوله في حكم
النهي أو منصوب لإضمار أن ونحو قوله تعالى وأنتم الأعلون وقوله تعالى إنك أنت الأعلى ولن يتركم من
وترت الرجل إذا قتلت له قتيلا من ولد أو أخ أو حميم أو حربته وحقيقته أفردته من قريبه أو ماله من
الوتر وهو الفرد فشبه إضاعة عمل العامل وتعطيل ثوابه بوتر الواتر وهو من فصيح الكلام. ومنه قوله صلى
الله عليه وسلم من فاتته صلوة العصر فكأنما وتر أهله وماله أي أفرد عنهما قتلا ونهبا إنما الحيوة الدنيا
لعب ولهو وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا
ويخرج أضغانكم يؤتكم أجوركم ثواب إيمانكم وتقواكم ولا يسألكم أموالكم أي ولا يسألكم جميعها إنما
يقتصر منكم على ربع العشر ثم قال إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا أي يجهدكم ويطلبه كله. والإحفاء المبالغة

وبلوغ الغاية في كل شيء يقال احفاه في المسئلة اذ لم يترك شيئا من الالحاح واحفى شاربه اذا استاصله ويخرج
اضغانكم اي تضطغنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتضيق صدوركم لذلك واظهرتم كراهتكم ومقتكم
لدين يذهب باموالكم والضمير في يخرج لله عز وجل اي يضغنكم بطلب اموالكم او للبخل لانه سبب الاضطغان
وقرئ نخرج بالنون ويخرج بالياء والتاء مع فتحهما ورفع اضغانكم ها انتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله
هؤلاء موصول بمعنى الذين صلته تدعون اي انتم الذين تدعون او انتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون ثم
استانف وصفهم كانهم قالوا وما وصفنا فقيل تدعون لتنفقوا في سبيل الله قيل هي النفقة في الغزو وقيل الزكوة
كانه قيل الدليل على انه لو احفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء واضطغنتم انكم تدعون الى اداء ربع العشر فمنكم من يبخل ومن
يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني وانتم الفقراء فمنكم ناس يبخلون به ثم قال ومن يبخل بالصدقة واداء الفريضة
فلا يتعداه ضرر بخله وانما يبخل على نفسه يقال بخلت عليه وعنه وكذلك ضننت عليه وعنه ثم اخبر انه لا يامر
بذلك ولا يدعو اليه لحاجته اليه فهو الغني الذي يستحيل عليه الحاجات ولكن لحاجتكم وفقركم الى الثواب
وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم وان تتولوا معطوف على وان تؤمنوا وتتقوا يستبدل
قوما غيركم يخلق قوما سواكم على خلاف صفتكم راغبين في الايمان والتقوى غير متولين عنهما كقوله عز وعلا ويات
بخلق جديد وقيل هم الملائكة وقيل الانصار وعن ابن عباس رضي الله عنهما كندة والنخع وعن الحسن العجم
وعن عكرمة فارس والروم وسئل رسول الله عليه افضل الصلاة والسلام عن القوم وكان سلمان رضي الله عنه
الى جنبه فضرب على فخذه وقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال
من فارس عن رسول الله عليه افضل الصلاة والسلام من قرا سورة محمد كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة

سورة الفتح مدنية بسم الله الرحمن الرحيم وهي تسعة وعشرون آية

انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ويتم نعمته عليك ويهديك
صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا هو فتح مكة وقد نزلت مرجع رسول الله عليه افضل الصلوة
والسلم عن مكة عام الحديبية عدة له بالفتح وجيء به على لفظ الماضي على عادة رب العزة سبحانه في اخباره
لانها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شان المخبر ما لا يخفى فان
قلت كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة قلت لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من الامور وهي
المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كانه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك
لنجمع لك بين عز الدارين واغراض العاجل والآجل ويجوز ان يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو سببا
للغفران والثواب والفتح الظفر بالبلد عنوة او صلحا بحرب او بغير حرب لانه منغلق ما لم يظفر به فاذا ظفر
به وحصل في اليد فقد فتح وقيل هو فتح الحديبية ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم بحجارة
وسهام وعن ابن عباس رضي الله عنهما رموا المشركين حتى ادخلوهم ديارهم وعن الكلبي ظهروا عليهم
حتى سالوا الصلح فان قلت كيف يكون فتحا وقد احصروا فنحروا وحلقوا بالحديبية قلت كان
ذلك قبل الهدنة فلما طلبوها وتمت كان فتحا مبينا وعن موسى بن عقبة رضي الله عنه اقبل رسول الله عليه

افضل الصلاة

افضل الصلاة والسلام من الحديبية راجعا فقال رجل من اصحابه ماهذا بفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا
فبلغ النبي عليه افضل الصلاة والسلام فقال عليه السلام بئس الكلام بل هذا اعظم الفتوح وقد رضي
المشركون ان يدفعوكم عن بلادهم بالراح ويسلوكم القضية ويرغبوا اليكم في الامان وقد راوا منكم ما
كرهوا. وعن الشعبي نزلت بالحديبية واصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة مالم يصب في
غزوة اصاب ان بويع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وظهرت الروم على فارس وبلغ
الهدي محله واطعموا نخل خيبر وكان في فتح الحديبية اية عظيمة. وذلك انه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة
فتمضمض رسول الله عليه افضل الصلاة والسلام ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه
وقيل فجاش الماء حتى امتلات ولم ينفد ماؤها بعد. وقيل هو فتح خيبر وقيل فتح الروم. وقيل فتح الله له بالاسلام
والنبوة والدعوة بالحجة والسيف. ولا فتح ابين منه واعظم وهو راس الفتوح كلها اذ لا فتح من فتوح الاسلام
الا وهو تحته ومتشعب منه. وقيل معناه قضينا لك قضاء بينا على اهل مكة ان تدخلها انت واصحابك
من قابل ليطوفوا بالبيت من الفتاحة وهي الحكومة وكذا عن قتادة وما تقدم من ذنبك وما تاخر يريد جميع ما
فرط منك. وعن مقاتل ما تقدم في الجاهلية وما بعدها. وقيل ما تقدم من حديث مارية وما تاخر من امراة
زيد ونصرا عزيزا فيه عز ومنعة او وصف بصفة المنصور واسنادا مجازيا او عزيزا صاحبه هو الذي انزل
السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما
حكيما ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم
وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين
بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا ولله جنود
السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما السكينة للسكون كالبهيتة للبهتان. اي انزل الله في قلوبهم
السكون والطمانينة بسبب الصلح والامن ليعرفوا فضل الله عليهم بتيسير الامن بعد الخوف. والهدنة غب
القتال فيزدادوا يقينا الي يقينهم. او انزل فيها السكون الي ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الشرائع ليزدادوا
ايمانا بالشرائع مقرونا الي ايمانهم وهو التوحيد. عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اول ما اتاهم به النبي التوحيد.
فلما امنوا بالله وحده انزل الصلاة والزكوة ثم الحج ثم الجهاد. فازدادوا ايمانا الي ايمانهم او انزل فيها الوقار
والعظمة لله عز وجل ورسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك ايمانا الي ايمانهم. وقيل انزل فيها الرحمة ليتراحموا فيزداد
ايمانهم. ولله جنود السموات والارض يسلط بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته. ومن قضيته ان سكن
قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم ان يفتح لهم. وانما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيه ويشكروها
فيستحقوا الثواب فيثيبهم. ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكرهوه وقع السوء عبارة عن
رداءة الشيء وفساده. والصدق عن جودته وصلاحه. فقيل في المرضي الصالح من الافعال فعل صدق
وفي المسخوط الفاسد منها فعل سوء. ومعنى ظن السوء ظنهم ان الله تعالى لا ينصر الرسول والمؤمنين ولا
يرجعهم الي مكة ظافرين فاتحيها عنوة وقهرا عليهم دائرة السوء. اي ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو
حايق بهم ودائر عليهم. والسوء الهلاك والدمار. وقرئ دائرة السوء بالضم. اي الدائرة التي يذمونها
ويسخطونها فهي عندهم دائرة السوء وعند المؤمنين دائرة صدق. فان قلت هل من فرق بين السوء

والسوء. قلت هما كالكره والكره والضعف والضعف من ساء، إلا أن المفتوح غلب في أن يضاف إليه ما يراد ذمه من كل شيء
وأما السوء فجار مجرى الشر الذي هو نقيض الخير، يقال أراد به السوء وأراد به الخير، ولذلك أضيف الظن إلى المفتوح
لكونه مذموما، وكانت الدائرة محمودة، فكان حقها أن لا تضاف إليه إلا على التأويل الذي ذكرنا. وأما دائرة
السوء بالضم فلأن الذي أصابهم مكروه وشدة، فصح أن يقع عليه اسم السوء، كقوله عز من قائل
إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة. إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله
وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا. شاهدا تشهد على أمتك كقوله عز من قائل
ويكون الرسول عليكم شهيدا. لتؤمنوا الناس. وتعزروه وتقووه بالنصرة، وتوقروه وتعظموه وتسبحوه
من التسبيح أو من السبحة. والضمائر لله عز وجل، والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله، ومن فرق الضمائر فقد
أبعد. وقرئ ليؤمنوا ويعزروه ويوقروه، والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأمته. وقرئ
وتعزروه بضم الزاي وكسرها، وتعزروه بضم التاء والتخفيف، وتعززوه بالزايين، وتوقروه من
أوقره بمعنى وقره. وتسبحوا الله بكرة وأصيلا عن ابن عباس رضي الله عنهما صلاة الفجر وصلاة الظهر وصلاة
العصر. إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى
بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما. لما قال إنما يبايعون الله أكده تأكيدا على طريقة التخييل فقال يد الله
فوق أيديهم يريد أن يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تعلو أيدي المبايعين هي يد الله، والله تعالى منزه عن
الجوارح وعن صفات الأجسام، وإنما المعنى تقرير أن عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله تعالى كقوله
عز وجل من يطع الرسول فقد أطاع الله. والمراد بيعة الرضوان. فإنما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر نكثه إلا عليه
قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على الموت وعلى أن لا نفر
فما نكث واحد منا البيعة إلا جد بن قيس، وكان منافقا، اختبأ تحت إبط بعيره ولم يسر مع القوم
وقرئ إنما يبايعون لله أي لأجل الله ولوجهه. وقرئ ينكث بضم الكاف وكسرها. وبما عاهد وعهد. فسيؤتيه
بالياء والنون والياء، يقال وفيت بالعهد وأوفيت به، وهي لغة تهامة، ومنها قوله تعالى أوفوا بالعقود
والموفون بعهدهم. سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون
بألسنتهم ما ليس في قلوبهم. هم الذين خلفوا عن الحديبية وهم أعراب غفار ومزينة وجهينة وأشجع وأسلم
والديل، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة
من الأعراب وأهل البوادي ليخرجوا معه حذرا من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت
وأحرم هو ليعلم أنه لا يريد حربا، فتثاقل كثير من الأعراب وقالوا نذهب إلى قوم قد غزوه في عقر
داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فنقاتلهم، وظنوا أنه يهلك فلا ينقلبوا إلى المدينة، واعتلوا بالشغل بأهاليهم
وأموالهم وأنه ليس لهم من يقوم بأشغالهم. وقرئ شغّلتنا بالتشديد. يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم تكذيب
لهم في اعتذارهم، وأن الذي خلفهم ليس بما يقولون، وإنما هو الشك في الله والنفاق، وطلبهم الاستغفار أيضا
ليس بصادر عن حقيقة. قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا بل كان الله بما
تعملون خبيرا. فمن يملك لكم فمن يمنعكم من مشيئة الله وقضائه إن أراد بكم ما يضركم من قتل أو هزيمة أو أراد
بكم نفعا من ظفر أو غنيمة. وقرئ ضرا بالفتح والضم. بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم

أبدا

أبدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا الأهلون جمع أهل ويقال أهلات
على تقدير تاء التأنيث وقد جاء أهلة وأما أهال فاسم جمع كليال وقرئ إلى أهلهم وزين على البناء
للفاعل وهو الشيطان أو الله عز وجل وكلاهما في القرآن وزين لهم الشيطان أعمالهم وزينا لهم أعمالهم
والبور من بار كالهالك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ويجوز
أن يكون جمع بائر كعائذ وعوذ والمعنى وكنتم قوما فاسدين في أنفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم أو هالكين عند
الله مستوجبين لسخطه وعقابه ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا للكافرين
مقام مقام ضميرهم للإيذان بأن من لم يجمع بين الإيمانين الإيمان بالله وبرسوله فهو كافر ونكر سعيرا لأنها
نار مخصوصة كما نكر نارا تلظى ولله ملك السماوات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله
غفورا رحيما ولله ملك السماوات والأرض يدبره تدبير قادر حكيم فيغفر ويعذب بمشيئته ومشيئته
تابعة لحكمته وحكمته المغفرة للتائب وتعذيب المصر وكان الله غفورا رحيما ورحمته سابقة
لغضبه حيث يكفر السيئات باجتناب الكبائر وبالتوبة سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم
لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون
بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا سيقول المخلفون الذين تخلفوا عن الحديبية إذا
انطلقتم إلى غنائم خيبر أن يبدلوا كلام الله وقرئ كلم الله أن يغيروا موعد الله لأهل الحديبية وذلك
أن الله وعدهم أن يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر إذا قفلوا موادعين لا يصيبون منهم شيئا وقيل هو
قوله تعالى لن تخرجوا معي أبدا تحسدوننا أن نصيب معكم من الغنائم وقرئ بضم السين وكسرها
ما بين حرفي الإضراب لا يفقهون لا يفهمون إلا فهما قليلا وهو فطنتهم لأمور الدنيا دون أمور الدين كقوله
تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا فإن قلت ما الفرق بين حرفي الإضراب قلت الأول إضراب معناه
رد أن يكون حكم الله أن لا يتبعوكم وإثبات الحسد والثاني إضراب عن وصفهم بإضافة الحسد إلى المؤمنين
إلى وصفهم بما هو أطم منه وهو الجهل وقلة الفقه قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس
شديد تقاتلونهم أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا قل للمخلفين هم الذين تخلفوا عن الحديبية
إلى قوم أولي بأس شديد يعني بني حنيفة قوم مسيلمة وأهل الردة الذين حاربهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه
لأن مشركي العرب والمرتدين هم الذين لا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف عند أبي حنيفة رحمة الله عليه
ومن عداهم من مشركي العجم وأهل الكتاب والمجوس يقبل منهم الجزية وعند الشافعي رضي الله عنه
لا يقبل الجزية إلا من أهل الكتاب والمجوس دون مشركي العجم والعرب وهذا دليل على إمامة أبي بكر
الصديق رضي الله عنه فإنهم لم يدعوا إلى حرب في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن بعد وفاته
وكيف يدعوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قوله تعالى فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا
وقيل فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون لأن الروم نصارى وفارس مجوس يقبل منهم إعطاء
الجزية فإن قلت عن قتادة أنهم ثقيف وهوازن وكان ذلك في أيام رسول الله عليه السلام قلت إن صح ذلك
فالمعنى لن تخرجوا معي أبدا ما دمتم على ما أنتم عليه من مرض القلوب والاضطراب في الدين أو على قول
مجاهد كان الموعد أنهم لا يتبعون رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا متطوعين لا نصيب لهم في المغنم والله أعلم

فان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا اليما كما توليتم من قبل يريد في غزوة الحديبية او يسلمون معطوف
على تقاتلونهم اي يكون احد الامرين اما المقاتلة او الاسلام لا ثالث لهما • وفي قراءة ابي رضي الله عنه
او يسلموا بمعنى الى ان يسلموا ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج
ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا اليما
نفي الحرج عن هؤلاء من ذوي العاهات في التخلف عن الغزو • وقرئ ندخله ونعذبه بالنون لقد رضي
الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا
قريبا هي بيعة الرضوان سميت بهذه الاية وقصتها ان النبي صلى الله عليه وسلم حين نزل بالحديبية بعث
جواس بن امية الخزاعي رسولا الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فلما رجع دعا بعمر ليبعثه فقال اني
اخافهم على نفسي لما عرف من عداوتي اياهم وما بمكة عدوي يمنعني ولكني اذلكم على رجل هو اعز
بها مني واحب اليهم عثمان بن عفان رضي الله عنه فبعثه فخبرهم انه لم يات بحرب وانما جاء زائرا
لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت ان تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت لاطوف قبل
ان يطوف رسول الله عليه السلام واحتبس عندهم فارجف بانهم قتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا نبرح حتى نناجز القوم • ودعا الناس الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة قال جابر بن عبد الله
رضي الله عنه لو كنت ابصر لاريتك مكانها • وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في اصل الشجرة
وعلى ظهره غصن من اغصانها قال عبد الله بن المغفل رضي الله عنه وكنت قائما على راسه وبيدي غصن من الشجرة
اذب عنه فرفعت الغصن عن ظهره فبايعوه على الموت دونه وعلى ان لا يفروا فقال لهم نبي الله عليه
السلام انتم اليوم خير اهل الارض وكان عدد المبايعين الفا وخمسمائة وخمسة وعشرين • وقيل الفا واربعمائة
وقيل الفا وثلثمائة • فعلم ما في قلوبهم من الاخلاص وصدق الضمائر فيما بايعوا عليه ق فانزل السكينة الطمانينة
والامن بسبب الصلح على قلوبهم و واثابهم فتحا قريبا وقرئ واتاهم وهو فتح خيبر غب انصرافهم من مكة
وعن الحسن رحمة الله عليه فتح هجر وهو اجل فتح اتسعوا بثمرها زمانا ومغانم كثيرة ياخذونها وكان الله
عزيزا حكيما ومغانم كثيرة ياخذونها هي مغانم خيبر وكانت ارضا ذات عقار واموال فقسمها عليهم ثم
اتاه عثمان رضي الله عنه بالصلح فصالحهم فانصرف بعد ان نحر بالحديبية وحلق وعدكم الله مغانم كثيرة
تاخذونها فعجل لكم هذه وكف ايدي الناس عنكم ولتكون اية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما
وعدكم الله مغانم كثيرة وهي ما يفيء على المؤمنين الى يوم القيمة فعجل لكم هذه المغانم يعني مغانم خيبر
وكف ايدي الناس عنكم يعني ايدي اهل خيبر وحلفائهم من اسد وغطفان حين جاؤا لنصرتهم • فقذف الله
في قلوبهم الرعب • فنكصوا وقيل ايدي اهل مكة بالصلح ولتكون هذه الكفة ق اية للمؤمنين وعبرة
يعرفون بها انهم من الله بمكان وانه ضامن نصرهم والفتح عليهم • وقيل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتح مكة في منامه ورؤيا الانبياء وحي فتاخر ذلك الى السنة القابلة فجعل فتح خيبر علامة وعنوانا لفتح
مكة ويهديكم صراطا مستقيما ويزيدكم بصيرة ويقينا وثقة بفضل الله تعالى واخرى لم تقدروا عليها
قد احاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا واخرى معطوفة على هذه المغانم ومغانم اخرى لم تقدروا
عليها وهي مغانم هوازن في غزوة حنين وقال لم تقدروا عليها لما كان فيها من الجولة • قد احاط الله بها

اي قدر

بلغ مقا

اي قدروا عليها واستولوا واظهركم عليها وغنمكموها ويجوز في اخرى النصب بفعل مضمر يفسره قد احاط الله بها تقديره
وقضى الله اخرى قد احاط بها واما لم تقدروا عليها فصفة لاخرى والرفع على الابتداء لكونها موصوفة بلم تقدروا
وقد احاط بها خبر المبتدا والجر باضمار رب فان قلت قوله تعالى ولتكون اية للمؤمنين كيف موقعه قلت
هو كلام معترض ومعناه ولتكون الكفة اية للمؤمنين فعل ذلك ويجوز ان يكون المعنى وعدكم المغانم فعجل هذه الغنيمة
وكف الاعداء لينفعكم بها ولتكون اية للمؤمنين اذا وجدوا وعد الله بها صادقا لان صدق الاخبار عن الغيوب
معجزة واية ويزيدكم بذلك هداية وايقانا ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا
ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ولو قاتلكم الذين كفروا من اهل مكة
ولم يصالحوا وقيل من حلفاء اهل خيبر اي فقضى بينهم وبينكم المكافة والمحاجزة بعد ما خولكم الظفر عليهم والغلبة
وذلك لغلبوا وانهزموا سنة الله في موضع المصدر المؤكد اي سن الله غلبة انبيائه سنة وهو قوله سبحانه وتعالى
لاغلبن انا ورسلي وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم
وكان الله بما تعملون بصيرا ايديهم ايدي اهل مكة اي من قضى بينكم وبينهم المكافة والمحاجزة بعد ما خولكم الظفر
عليهم والغلبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد ابو حنيفة رحمة الله عليه على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا وقيل كان ذلك في
غزوة الحديبية لما روي ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة فبعث النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم من هزمه
وادخله حيطان مكة وعن ابن عباس رضي الله عنهما اظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى ادخلوهم البيوت وقرئ
تعملون بالياء والتاء هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله قرئ والهدي
والهدي بتخفيف الياء وتشديدها وهو ما يهدى الى الكعبة بالنصب عطفا على الضمير المنصوب في صدوكم اي
صدوكم وصدوا الهدي وبالجر عطفا على المسجد الحرام بمعنى وصدوكم عن نحر الهدي ومعكوفا ان يبلغ محله محبوسا
عن ان يبلغ وبالرفع على وصد الهدي ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره اي يجب وهذا دليل لابي حنيفة على ان المحصر محل
هديه الحرم فان قلت كيف حل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه وانما نحر هديهم بالحديبية قلت
بعض الحديبية من الحرم وروي ان مضارب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرم كانت في الحل ومصلاه في الحرم
فان قلت فاذن قد نحر في الحرم فلم قيل معكوفا ان يبلغ محله قلت المراد المحل المعهود وهو منى ولولا رجال
مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من
يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما لم تعلموهم صفة الرجال والنساء جميعا وان تطؤهم بدل
اشتمال منهم او من الضمير المنصوب في تعلموهم والمعرة مفعلة من عره بمعنى عراه اذا دهاه ما يكرهه ويشق
عليه وبغير علم متعلق بان تطؤهم يعني ان تطؤهم غير عالمين بهم والوطء والدوس عبارة عن الايقاع والابادة قال
ووطئتنا وطأ على حنق وطء المقيد نابت الهرم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وان اخر وطأة وطئها الله بوج
والمعنى انه كان بمكة قوم من المسلمين مختلطون بالمشركين غير متميزين منهم ولا معروفي الاماكن وقيل ولولا كراهة ان تهلكوا
ناسا مؤمنين بين ظهراني مشركين وانتم غير عارفين بهم فتصيبكم باهلاكهم مكروه ومشقة لما كف ايديكم عنهم
وحذف جواب لولا لدلالة الكلام عليه ويجوز ان يكون لو تزيلوا كالتكرير للولا رجال مؤمنون لمرجعهما الى معنى
واحد ويكون لعذبنا هو الجواب فان قلت اي معرة تصيبهم اذا قتلوهم وهم لا يعلمون قلت
يصيبهم وجوب الدية والكفارة وسوء قالة المشركين انهم فعلوا باهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تمييز

والمأثم اذا جري منهم بعض التقصير فان قلت قوله تعالى ليدخل الله في رحمته من يشا تعليل لماذا قلت
لما دلت عليه الاية وسيقت له من كف الايدي عن اهل مكة والمنع من قتلهم صونا لما بين اظهرهم من المومنين كانه
قال كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله في رحمته اي في توفيقه لزيادة الخير والطاعة مومنيهم او ليدخل
في الاسلام من رغب فيه من مشركيهم لو تزيلوا لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض من زاله يزيله وقرئ لو تزايلوا
اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المومنين والزمهم
كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها وكان الله بكل شيء عليما اذ يجوز ان يعمل فيه ما قبله اي لعذبناهم او صدوهم
عن المسجد الحرام في ذلك الوقت وان ينتصب باضمار اذكر والمراد بحمية الذين كفروا وسكينة المومنين والحمية
الانفة والسكينة الوقار ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بالحديبية بعث قريش سهيل بن عمرو
القرشي وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الاحنف على ان يعرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم ان
يرجع من عامه ذلك على ان تخلي له قريش مكة من العام القابل ثلثة ايام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال صلى الله
عليه وسلم لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل واصحابه ما نعرف هذا
اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك
رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال عليه
افضل الصلاة والسلام اكتب ما يريدون فانا اشهد اني رسول الله وانا محمد بن عبد الله فهم المسلمون ان يابوا
ذلك ويشمئزوا منه فانزل الله تعالى على رسوله سكينته فتوقروا وحلموا وكلمة التقوى بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد
رسول الله قد اختارها الله عز وجل لنبيه والذين معه اهل الخير ومستحقيه ومن هو اولى بالهداية من غيرهم
وقيل هي كلمة الشهادة وعن الحسن رحمة الله عليه كلمة التقوى هي الوفا بالعهد ومعنى اضافتها الى التقوى انها
سبب التقوى واساسها وقيل كلمة اهل التقوى وفي مصحف الحارث بن سويد صاحب عبد الله وكانوا اهلها واحق
بها وهو الذي دفن مصحفه ايام الحجاج لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شا الله
امنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا راى رسول الله صلى
الله عليه وسلم قبل خروجه الى الحديبية كانه واصحابه قد دخلوا مكة امنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرويا على
اصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا انهم داخلوها في عامهم وقالوا ان رويا رسول الله حق فلما تاخر ذلك قال عبد الله بن
ابي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحارث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا راينا المسجد الحرام فنزلت ومعنى صدق الله
رسوله الرويا صدقه في رؤياه ولم يكذبه تعالى الله عن الكذب وعن كل قبيح علوا كبيرا فحذف الجار واوصل الفعل كقوله
تعالى صدقوا ما عاهدوا الله عليه فان قلت بم تعلق بالحق قلت اما بصدق اي صدقه فيما راى
وفي كونه وحصوله صدقا ملتبسا بالحق اي بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين
المومن المخلص وبين من في قلبه مرض ويجوز ان يتعلق بالرويا حالا منها اي صدقه الرويا ملتبسة بالحق على معنى
انها لم تكن من اضغاث الاحلام ويجوز ان يكون بالحق قسما اما بالحق الذي هو نقيض الباطل او بالحق الذي هو
من اسمائه ولتدخلن جوابه وعلى الاول هو جواب قسم محذوف فان قلت ما وجه دخول ان شا الله في
اخبار الله عز وجل قلت فيه وجوه ان يعلق عدته بالمشية تعليما لعباده ان يقولوا في عداتهم مثل ذلك
متادبين بادب الله ومقتدين بسنته وان يريد لتدخلن جميعا ان شا الله ولم يمت منكم احد او كان ذلك

علي

لسان ملك فادخل الملك ان شاء الله وهي حكاية ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه وقص عليهم وقيل هي متعلق بامنين ﴿فعلم ما لم تعلموا﴾ من الحكمة والصواب في تاخير فتح مكة الى العام القابل ﴿فجعل من دون ذلك﴾ اي من دون فتح مكة ﴿فتحا قريبا﴾ وهو فتح خيبر ليستروح اليه قلوب المومنين الى ان يتيسر الفتح الموعود ﴿هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله﴾ بالهدى ودين الحق بدين الاسلام ﴿ليظهره﴾ ليغلبه ﴿على الدين كله﴾ على جنس الدين كله يريد الاديان المختلفة من اديان المشركين والجاحدين واهل الكتاب ولقد حقق ذلك سبحانه وتعالى فانك لا ترى دينا قط الا وللاسلام دونه العز والغلبة وقيل هو عند نزول عيسى عليه السلام حين لا يبقى على وجه الارض كافر وقيل هو اظهاره بالحجج والايات وفي هذه الاية تاكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المومنين على ان الله سيفتح لهم من البلاد ويقيض لهم من الغلبة على الاقاليم ما يستقلون اليه فتح مكة ﴿وكفى بالله شهيدا﴾ على ان ما وعده كائن عن الحسن شاهد على نفسه انه سيظهر دينك ﴿محمد﴾ اما خبر مبتدا اي هو محمد لتقدم قوله تعالى هو الذي ارسل رسوله واما مبتدا ورسول الله عطف بيان وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصب على المدح ﴿والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا﴾ والذين معه اصحابه اشداء على الكفار رحماء بينهم جمع شديد ورحيم ﴿و﴾ نحوه اذلة على المومنين اعزة على الكافرين واغلظ عليهم بالمومنين روف رحيم وعن الحسن رحمه الله بلغ من تشددهم على الكفار انهم كانوا يتحرزون من ثيابهم ان تلزق بثيابهم ومن ابدانهم ان تمس ابدانهم وبلغ من ترحمهم فيما بينهم انه كان لا يرى مومن مومنا الا صافحه وعانقه والمصافحة لم تختلف فيها الفقهاء واما المعانقة فقد كرهها ابو حنيفة رحمة الله عليه وكذلك التقبيل قال لا احب ان يقبل الرجل من الرجل وجهه ولا يده ولا شيئا من جسده وقد رخص ابو يوسف في المعانقة ومن حق المسلمين في كل زمان ان يراعوا هذا التشدد وهذا التعطف فيتشددوا على من ليس على ملتهم ودينهم ويتحاموه ويعاشروا اخوانهم في الاسلام متعطفين بالبر والصلة وكف الاذى والمعونة والاحتمال والاخلاق السجيحة ووجه من قرا اشداء ﴿و﴾ رحماء بالنصب ان ينصبهما على المدح او على الحال بالمقدر في معه وجعل تراهم الخبر ﴿سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل كزرع﴾ سيماهم علامتهم وقرى سيمياء وهو وفيها ثلاث لغات هاتان والسيمياء والمراد بها السمة التي تحدث في جبهة السجاد من كثرة السجود وقوله تعالى من اثر السجود يفسرها اي من التاثير الذي يوثره السجود وكان كل من العليين علي بن الحسين زين العابدين وعلي بن عبد الله بن عباس رضوان الله عليهما وعليهم يقال له ذو الثفنات لان كثرة سجودهما احدثت في مواقعه منهما اشباه ثفنات البعير وقرى من اثر السجود ومن اثار السجود وكذا عن سعيد بن جبير رضي الله عنه هي السمة في الوجه فان قلت فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تعلبوا صوركم وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه راي رجلا قد اثر في وجهه السجود فقال ان صورة وجهك انفك فلا تعلب وجهك ولا تشن صورتك قلت ذلك اذا اعتمد بجبهته على الارض لتحدث فيه تلك السمة وذلك رياء ونفاق يستعاذ بالله منه ونحن فيما حدث في جبهة السجاد الذي لا يسجد الا خالصا لوجه الله عز وجل وعن بعض المتقدمين كنا نصلي فلا نرى بين اعيننا شي ونرى احدنا الان يصلي فيرى بين عينيه ركبة البعير فما ندري اثقلت الاروس ام خشنت الارض وانما اراد بذلك من تعمد ذلك للنفاق وقيل هو صفرة الوجه من خشية

وعن الضحاك ليس بالندب في الوجوه ولكنه صفرة وعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه ندى الطهور وتراب الارض
وعن عطاء استنارت وجوههم من طول ما صلوا بالليل كقوله صلى الله عليه وسلم من كثر صلاته بالليل حسن
وجهه بالنهار ذلك الوصف ومثلهم اي وصفهم العجيب الشأن في الكتابين جميعا ثم ابتدأ فقال كزرع يريد هم
كزرع وقيل تم الكلام عند قوله ذلك مثلهم في التورية ثم ابتدي ومثلهم في الانجيل كزرع ويجوز ان يكون ذلك اشارة
مبهمة اوضحت بقوله كزرع اخرج شطأه كقوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقري
الانجيل بفتح الهمزة شطأه فراخه يقال اشطأ الزرع اذا فرخ وقري شطأه بفتح الطاء وشطاه بتخفيف الهمزة وشطاءه
بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه
يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما
فآزره من المؤازرة وهي المعاونة وعن الاخفش انه افعل وقري فأزره بالتخفيف والتشديد اي فشد ازره وقواه
ومن جعل آزر افعل فهو في معنى القراءتين فاستغلظ فصار من الدقة الى الغلظ فاستوى على سوقه فاستقام على
قصبه جمع ساق وقيل مكتوب في الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
وعن عكرمة اخرج شطأه بابي بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلي رضوان الله عليهم اجمعين
وهذا مثل ضربه الله عز وجل لبدء امر الاسلام وترقيه في الزيادة الى ان قوي واستحكم لان النبي صلى الله عليه وسلم
قام وحده ثم قواه الله بمن آمن معه كما يقوي الطاقة الاولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزراع فان قلت
قوله ليغيظ بهم الكفار تعليل لماذا قلت لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم في الزيادة والقوة ويجوز
ان يعلل به وعد الله الذين آمنوا لان الكفار اذا سمعوا بما اعد لهم في الآخرة مع ما يعزهم به في الدنيا غاظهم ذلك ومعنى
منهم البيان كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكانما كان
ممن شهد مع محمد عليه افضل الصلاة والسلام فتح مكة والله اعلم بالصواب

سورة الحجرات مدنية | بسم الله الرحمن الرحيم | وهي ثمان عشرة آية

يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم قدمه واقدمه منقولان
بتثقيل الحشو والهمزة من قدمه اذا تقدمه في قوله تعالى يقدم قومه ونظيرهما معنى ونقلا سلفه واسلفه
وفي قوله تعالى لا تقدموا من غير ذكر مفعول وجهان احدهما ان يحذف ليتناول كل ما يقع في النفس مما يقدم والثاني
ان لا يقصد قصد مفعول ولا حذفه ويتوجه بالنهي الى نفس التقدمة كانه قيل لا تقدموا على التلبس بهذا
الفعل ولا تجعلوه منكم بسبيل كقوله تعالى هو الذي يحيي ويميت ويجوز ان يكون من قدم بمعنى تقدم
كوجه وتبين ومنه مقدمة الجيش خلاف ساقته وهي الجماعة المتقدمة منه وتعضده قراءة من قرأ
لا تقدموا الا ان الاول املأ بالحسن واوجه واشد ملاءمة لبلاغة القرآن والعلماء له اقبل وقري لا
تقدموا من القدوم اي لا تقدموا الى امر من امور الدين قبل قدومهما ولا تعجلوا عليهما وحقيقة قولهم
جلست بين يدي فلان ان تجلس بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله قريبا منه فسميت الجهتان يدين
لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا كما يسمى الشيء باسم غيره اذا جاوره وداناه في غير موضع

وقد جرت هذه العبارة هنا على سنن ضرب من المجاز وهو الذي يسميه اهل البيان تمثيلا ولجريها هكذا فائدة
جليلة ليست في الكلام العريان وهي تصوير الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الاقدام على امر من الامور دون
الاحتذاء على امثلة الكتاب والسنة والمعنى ان لا تقطعوا امرا الا بعد ما يحكمان به ويأذنان فيه فتكونوا اما عاملين
بالوحي المنزل واما مقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه يدور تفسير ابن عباس رضي الله عنهما
وعن مجاهد لا تفتاتوا على الله شيئا حتى يقصه على لسان رسوله عليه افضل الصلاة والسلم ويجوز ان يجري
مجرى قولك سرني زيد وحسن حاله واعجبت بعمرو وكرمه وفائدة هذا الاسلوب الدلالة على قوة الاختصاص
ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله تعالى بالمكان الذي لا يخفى سلك به ذلك المسلك وفي هذا
تمهيد وتوطئة لما نقم منهم فيما يتلوها من رفع اصواتهم فوق صوته لان من احظاه الله بهذه الاثرة واختصه
هذا الاختصاص القوي كان ادنى ما يجب من التهيب والاجلال ان يخفض بين يديه الصوت ويخافت لديه بالكلام
وقيل بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تهامة سرية سبعة وعشرين رجلا عليهم المنذر بن عمرو الساعدي
فقتلهم بنو عامر وعليهم عامر بن الطفيل الا ثلاثة نفر نجوا فلقوا رجلين من بني سليم قرب المدينة فاعتزيا
لهم الى بني عامر لانهم اعز من بني سليم فقتلوهما وسلبوهما ثم اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بئسما
صنعتم كانا من سليم والسلب ما كسوتهما فوداهما رسول الله عليه افضل الصلاة والسلام وعن مسروق
رضي الله عنه دخلت على ام المومنين عائشة رضي الله عنها في اليوم الذي يشك فيه فقالت للجارية اسقيه عسلا
فقلت اني صائم فقالت قد نهى الله تعالى عن صوم هذا اليوم وفيه نزلت وعن الحسن رحمة الله عليه ان اناسا
ذبحوا يوم الاضحى قبل الصلاة فنزلت وامرهم رسول الله عليه السلام ان يعيدوا ذبحا اخر وهو مذهب
ابي حنيفة رحمة الله عليه الا ان تزول الشمس وعند الشافعي رضي الله عنه يجوز الذبح اذا مضى من الوقت
مقدار الصلوة وعن الحسن ايضا لما استقر رسول الله عليه افضل الصلاة والسلم بالمدينة اتته الوفود
من الافاق فاكثروا عليه بالمسائل فنهوا ان يبتدؤه بالمسئلة حتى يكون هو المبتدئ وعن قتادة ذكر لنا ان ناسا كانوا
يقولون لو انزل في كذا لكان كذا فكره الله ذلك منهم وانزلها وقيل هي عامة في كل قول وفعل ويدخل فيه انه اذا جرت
مسئلة في مجلس رسول الله عليه الصلاة والسلم لم يسبقوه بالجواب وان لا يمشي بين يديه الا لحاجة وان يستانى
في كل قول الافتتاح بالطعام واتقوا الله فانكم ان اتقيتموه عاقتكم التقوى عن التقدمة المنهي عنها وعن جميع
ما تقتضي مراقبة الله عز وجل تجنبه فان التقي حذر لا يشافه امرا الا عن ارتفاع الريب وانجلاء الشك في
ان لا تبعة عليه فيه وهذا كما تقول لمن يقارف بعض الرذائل لا تفعل هذا وتحفظ مما يلصق بك العار فتنهاه اولا
عن عين ما قارفه ثم تعم وتشيع وتامره بما لو امتثل فيه امرك لم يرتكب تلك الفعلة وكل ما يضرب في طريقها
ويتعلق بسببها وان الله سميع لما تقولون عليم بما تعملون وحق مثله ان يتقى ويراقب يا ايها الذين
امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط
اعمالكم وانتم لا تشعرون اعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب
وارد وتطرية الانصات لكل حكم نازل وتحريك منهم لئلا يفتروا ويغفلوا عن تاملهم وما اخذوا به عند
حضور مجلس رسول الله عليه الصلاة والسلام من الادب الذي المحافظة عليه تعود عليهم بعظيم الجدوى
في دينهم وذلك لان في اعظام صاحب الشرع اعظام ما ورد به ومستعظم الحق لا يدعه استعظامه ان

ونزلت اى لاتعلوا شيئا من ذات انفسكم حتى تستامروا رسول الله صلى الله عليه وسلم
صح

بالوعملا بما عجد وعليه وارتداعا عما يصدعنه وانتهاء الى كل خير والمراد بقوله تعالى لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت
النبي انه اذا نطق ونطقتم فعليكم ان لا تبلغوا باصواتكم وراء الحد الذي يبلغه بصوته وان تغضوا منها بحيث يكون
كلامه عاليا لكلامكم وجهره باهرا لجهركم حتى تكون مزيته عليكم لائحة وسابقته واضحة وامتيازه عن
جمهوركم كشية الابلق غير خاف لا ان تغمروا صوته بلغطكم وتبهروا منطقه بصخبكم وبقوله ولا تجهروا له
بالقول انكم اذا كلمتموه وهو صامت فاياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت بل عليكم ان لا تبلغوا به
الجهر الدائر بينكم وان تتعمدوا في مخاطبته القول اللين المقرب من الهمس الذي يضاد الجهر كما يكون مخاطبة
المهيب المعظم عاملين بقوله عز وجل وتعزروه وتوقروه وقيل معنى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض
ولا تقولوا له يا محمد يا احمد وخاطبوه بالنبوة قال ابن عباس رضي الله عنهما هذه الاية قال ابو بكر يا رسول
الله والله لا اكلمك الا السرار او اخا السرار حتى القى الله وعن عمر رضي الله عنه انه كان يكلم النبي عليه السلام
كاخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان ابو بكر رضي الله عنه اذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفد ارسل اليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويامرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله عليه افضل الصلاة والسلام
وليس الغرض برفع الصوت ولا الجهر ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة لان ذلك كفر والمخاطبون
مومنون وانما الغرض صوت هو في نفسه والمسموع من جرسه غير مناسب لما يهاب به العظماء
ويوقر الكبراء فيتكلف الغض منه ورده الى حد يميل به الى ما يستبين فيه المامور به من التعزير والتوقير
ولم يتناول النهي ايضا رفع الصوت الذي لا يتاذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما كان منهم
في حرب او مجادلة معاند او ارهاب عدو وما اشبه ذلك ففي الحديث انه قال صلى الله عليه وسلم
للعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه الحوامل لشدة صوته وفيه يقول ____ نابغة
بني جعدة • زجر ابي عروة السباع • اذا اشفق ان يختلطن بالغنم • زعمت الرواة
انه كان يزجر السباع عن الغنم فيفتق مرارة السبع في جوفه وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه لا ترفعوا
باصواتكم والباء مزيدة محذو بها حذو التشديد في قول ____ الاعلم الهذلي • رفعت عيني بالحجاز
الى اناس بالمناقب • وليس المعنى في هذه القراءة انهم نهوا عن الرفع الشديد تخيلا ان يكون ما دون الشديد
مسوغا لهم ولكن المعنى نهيهم عما كانوا عليه من الجلبة واستخفافهم فيما كانوا يفعلون • وعن ابن عباس
رضي الله عنهما نزلت في ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه وكان في اذنه وقر وكان جهوري
الصوت وكان اذا تكلم رفع صوته وربما كان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتاذى بصوته
وعن انس رضي الله عنه ان هذه الاية لما نزلت فقد ثابت فتفقده رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر بشانه
فدعاه فساله فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الاية واني رجل جهير الصوت فاخاف ان
يكون عملي قد حبط فقال له رسول الله عليه السلام لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من
اهل الجنة • واما ما يروى عن الحسن انها نزلت فيمن كان يرفع صوته من المنافقين فوق صوت
رسول الله عليه الصلاة والسلام فمحمله والخطاب للمومنين على ان ينهى المومنون ليندرج المنافقون
تحت النهي ليكون الامر اغلظ عليهم واشق • وقيل كان المنافقون يرفعون اصواتهم ليظهروا قلة مبالاتهم
فيقتدي بهم ضعفة المسلمين • وكاف التشبيه في محل النصب اي لا تجهروا له جهرا مثل جهر بعضكم لبعض وفي هذا

لما نزلت صح

لما انهزم الناس يوم حنين اصرخ بالناس وكان العباس اجهر الناس صوتا ويروى ان غارة اتتهم يوما فصاح العباس يا صباحاه فاسقطت صح

لم ينهو

لم ينهوا عن الجهر مطلقاً حتى لا يسوغ لهم ان يكلموه الا بالهمس والمخافتة وانما نهوا عن جهر مخصوص مقيد بصفة
اعني الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منه فيما بينهم وهو الخلو من مراعاة ابهة النبوة وجلالة مقدارها وانحطاط
سائر الرتب وان جلت عن رتبتها ان تحبط اعمالكم منصوب الموضع على انه مفعول له وفي متعلقه وجهان احدهما ان
يتعلق بمعنى النهي فيكون المعنى انتهوا عما نهيتم عنه لحبوط اعمالكم اي لخشية حبوطها على تقدير حذف المضاف
كقوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا والثاني ان يتعلق بنفس الفعل ويكون المعنى انهم نهوا عن الفعل الذي
فعلوه لاجل الحبوط لانه لما كان بصدد الاداء الى الحبوط جعل كانه فعل لاجله وكانه العلة والسبب في ايجاده على
سبيل التمثيل كقوله تعالى ليكون لهم عدواً وحزناً فان قلت لخص الفرق بين الوجهين قلت تلخيصه ان يقدر
الفعل في الثاني مضموماً اليه المفعول له كانهما شيء واحد ثم يصب النهي عليهما جميعاً صباً وفي الاول يقدر النهي موجهاً
على الفعل على حياله ثم يعلل له منهياً عنه فان قلت باي النهيين تعلق المفعول له قلت بالثاني عند
البصريين مقدراً اضماره عند الاول كقوله تعالى آتوني افرغ عليه قطراً وبالعكس عند الكوفيين وايهما كان
فمرجع المعنى الى ان الرفع والجهر كلاهما منصوص اداؤه الى حبوط العمل وقراءة ابن مسعود رضي الله عنهما فتحبط اعمالكم
اظهر نصاً بذلك لان ما بعد الفاء لا يكون الا مسبباً عما قبله فيتنزل الحبوط من الجهر منزلة الحلول من الطغيان في
قوله تعالى ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي والحبوط من حبطت الابل اذا اكلت الخضر فنفخ بطونها وربما هلكت ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم وان مما ينبت الربيع لما يقتل حبطاً او يلم ومن اخواته حبجت الابل اذا اكلت العرفج
فاصابها ذلك واحبض عمله مثل احبطه وحبط الجرح وحبر اذا غفر وهو نكسه وتراميه الى الفساد جعل العمل السيء
في اضراره بالعمل الصالح كالداء والحرض لمن يصاب به اعاذنا الله من حبط الاعمال وخيبة الآمال وقد دلت الآية على
امرين هائلين احدهما ان فيما يرتكب من يؤمن من الآثام ما يحبط عمله والثاني ان في آثامه ما لا يدري انه محبط ولعله
عند الله كذلك فعلى المؤمن ان يكون في تقواه كالماشي في طريق شائك لا يزال يحترز ويتوقى ويتحفظ ان الذين يغضون
اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم امتحن الله
قلوبهم للتقوى من قولك امتحن فلان لامر كذا وجرب له ودرب للنهوض فهو مضطلع به غير وان عنه والمعنى انهم
صبر على التقوى اقوياء على احتمال مشاقها او وضع الامتحان موضع المعرفة لان تحقق الشيء باختباره كما يوضع الخبر
موضعها فكانه قيل عرف الله قلوبهم للتقوى وتكون اللام متعلقة بمحذوف واللام هي التي في قولك انت لهذا
الامر اي كائن له ومختص به قال انت لها احمد من بين البشر اعداء من لليعملات على الوجى
وهي مع معمولها منصوبة على الحال او ضرب الله قلوبهم بانواع المحن والتكاليف الصعبة لاجل التقوى اي لتثبت
وتظهر تقواها ويعلم انهم متقون لان حقيقة التقوى لا تعلم الا عند المحن والشدائد والاصطبار عليها وقيل
اخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب وفتنه اذا اذابه فخلص ابريزه من خبثه ونقاه وعن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه اذهب الشهوات عنها والامتحان افتعال من محنه وهو اختبار بليغ او بلاء جهيد قال ابو عمرو
كل شيء جهدته فقد محنته وانشد اتت رذايا بادياً كلالها قد محنت واضطربت آطالها قيل انزلت في
الشيخين رضي الله عنهما لما كان منهما من غض الصوت والبلوغ به اخا السرار وهذه الآية بنظمها الذي رتبت
عليه من ايقاع الغاضين اصواتهم اسماً لان المؤكدة وتصيير خبرها جملة من مبتدأ وخبر معرفتين معاً
والمبتدأ اسم الاشارة واستئناف الجملة المستودعة ما هو جزاؤهم على عملهم وايراد الجزاء نكرة مبهماً امره ناظرة

في الدلالة على غاية الاعتداد والارتضاء لما فعل الذين وقروا رسول الله صلى الله عليه وسلم من خفض اصواتهم وفي
الاعلام بمبلغ عزة رسول الله عليه افضل الصلاة والسلام وقدر شرف منزلته وفيها تعريض بعظيم ما ارتكب الرافعون
اصواتهم واستيجابهم ضد ما استوجب هؤلاء. ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون والوراء
الجهة التي يواريها عنك الشخص بظلمة من خلف او قدام ومن لابتداء الغاية وان المناداة نشأت من ذلك المكان
فان قلت اي فرق بين الكلامين بين ما تثبت فيه وما تسقط عنه قلت الفرق بينهما ان المنادي والمنادى في
احدهما يجوز ان يجمعهما الوراء وفي الثاني لا يجوز لان الوراء يصير بدخول من مبتدأ الغاية ولا يجتمع على الجهة الواحدة ان تكون
مبتدأ ومنتهى لفعل واحد والذي يقول ناداني فلان من وراء الدار لا يريد وجه الدار ولا دبرها ولكن اي قطر من اقطارها
الظاهرة كان مطلقا بغير تعيين واختصاص والانكار لم يتوجه عليهم من قبل ان النداء وقع منهم في ادبار الحجرات او
الى وجوهها وانما انكر عليهم انهم نادوه من البر والخارج مناداة الاجلاف بعضهم لبعض من غير قصد الى جهة دون
جهة والحجرة الرقعة من الارض المحجورة بحائط يحوط عليها وحظيرة الابل تسمى الحجرة وهي فعلة بمعنى مفعولة كالغرفة والقبضة
وجمعها الحجرات بضمتين والحجرات بفتح الجيم والحجرات بتسكينها وقرئ بهن جميعا والمراد حجرات نساء رسول الله عليه
افضل الصلاة والسلام وكانت لكل منهن حجرة ومناداتهم من ورائها يحتمل انهم قد تفرقوا على الحجرات متطلبين له فناداه
بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك وانهم قد اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها وانهم نادوه من وراء الحجرة
التي كان فيها ولكنها جمعت اجلالا لرسول الله عليه الصلاة والسلام ولمكان حرمته والفعل وان كان مسندا الى جميعهم فانه
يجوز ان يتولاه بعضهم وكان الباقون راضين فكانهم تولوه جميعا فقد ذكر الاصم ان الذي ناداه عيينة بن حصن
والاقرع بن حابس والاخبار عن اكثرهم بانهم لا يعقلون يحتمل ان يكون فيهم من قصد بالمحاشاة ويحتمل ان يكون الحكم
بقلة العقلاء فيهم قصدا الى نفي ان يكون فيهم من يعقل فان القلة تقع موقع النفي في كلامهم وروي ان وفد بني تميم
اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة وهو راقد فجعلوا ينادونه يا محمد اخرج الينا فاستيقظ وخرج
فنزلت وسئل رسول الله عليه افضل الصلاة والسلام عنهم فقال هم جفاة بني تميم لولا انهم من اشد الناس قتالا للاعور
الدجال لدعوت الله عليهم ان يهلكهم وورود الاية على النمط الذي وردت عليه فيه ما لا يخفى على الناظر من بينات
اكبار محل رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلاله منها مجيئها على النظم المسجل على الصائحين به بالسفه والجهل لما اقدموا
عليه ومنها لفظ الحجرات وايقاعها كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه ومنها المرور على لفظها بالاقتصار
على القدر الذي تبين به ما استنكر عليهم ومنها التعريف باللام دون الاضافة ومنها ان شفع ذمهم باستجفائهم
واستركاك عقولهم وقلة ضبطهم لمواضع التمييز في المخاطبات تهوينا للخطب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية
له واماطة لما تداخله من ايحاش تعجرفهم وسوء ادبهم وهلم جرا من اول السورة الى اخر هذه الاية فتامل كيف ابتدئ
بايجاب ان تكون الامور التي تنتمي الى الله ورسوله متقدمة على الامور كلها من غير حصر ولا تقييد ثم اردف ذلك
النهي عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر كان الاول بساط للثاني ووطاء لذكره ثم ذكر ما هو ثناء على الذين
تحاموا ذلك فغضوا اصواتهم دلالة على عظيم موقعه عند الله عز وجل ثم جيء على عقب ذلك بما هو اطم وهجنته اتم
من الصياح برسول الله صلى الله عليه وسلم في حال خلوته ببعض حرماته من وراء الجدر كما يصاح باهون الناس
قدرا لينبه على فظاعة ما اجروا اليه وجسروا عليه لان من رفع الله عز وجل قدره عن ان يجهر له بالقول حتى
خاطبه جلة المهاجرين والانصار باخي السرار كان صنيع هؤلاء من المنكر الذي بلغ في التفاحش مبلغا ومن هذا

وامثا

وامثاله يقتطف ثمر الالباب ويقتبس محاسن الاداب كما يحكى عن ابي عبيدة ومكانه من العلم والزهد وثقة الرواية
ما لا يخفى انه قال ما دققت بابا على عالم قط حتى يخرج في وقت خروجه **ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان**
خيرا لهم والله غفور رحيم انهم صبروا في موضع الرفع على الفاعلية لان المعنى ولو ثبت صبرهم والصبر حبس النفس
عن ان تنازع الى هواها قال الله عز وعلا واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم وقولهم صبر عن كذا محذوف منه
المفعول وهو النفس وهو حبس فيه شدة ومشقة على المحبوس ولهذا قيل للحبس على اليمين او القتل صبر وفي كلام
بعضهم الصبر مر لا يتجرعه الا حر فان قلت هل من فرق بين حتى تخرج والى ان تخرج قلت ان حتى مختصة بالغاية
المضروبة تقول اكلت السمكة حتى رأسها ولو قلت حتى نصفها او صدرها لم يجز والى عامة في كل غاية فقد افادت حتى
بوضعها ان خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم غاية قد ضربت لصبرهم فما كان لهم ان يقطعوا امرا دون الانتهاء اليها
فان قلت فاي فائدة في قوله تعالى اليهم قلت فيه انه لو خرج ولم يكن خروجه اليهم ولاجلهم للزمهم ان يصبروا
الى ان يعلموا ان خروجه اليهم ق لكان خيرا لهم في كان اما ضمير فاعل الفعل المضمر بعد لو واما ضمير مصدر صبروا كقولهم من
كذب كان شرا له ق والله غفور رحيم بليغ الغفران والرحمة واسعهما فلن يضيق غفرانه ورحمته عن هؤلاء ان تابوا وانابوا
يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين
بعث رسول الله عليه افضل الصلاة والسلام الوليد بن عقبة اخا عثمان لامه وهو الذي ولاه عثمان الكوفة بعد سعد
ابن ابي وقاص رضي الله عنه فصلى بالناس وهو سكران صلاة الفجر اربعا ثم قال هل ازيدكم فعزله عثمان عنهم مصدقا
الى بني المصطلق وكانت بينه وبينهم احنة فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين له فحسبهم مقاتليه فرجع وقال
لرسول الله عليه افضل الصلاة والسلام قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فوردوا وقالوا نعوذ بالله من غضبه وغضب
رسوله فاتهمهم رسول الله وقال لتنتهن او لابعثن اليكم رجلا هو عندي كنفسي يقاتل مقاتلتكم ويسبي ذراريكم
ثم ضرب بيده على كتف علي رضي الله عنه وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد رضي الله عنه فوجدهم منادين
بالصلوات متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وفي تنكير الفاسق والنبا شياع في الفساق والانباء كانه
قال اي فاسق جاءكم باي نبا فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا قول الفاسق لان
من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذي هو نوع منه والفسوق الخروج من الشيء والانسلاخ منه يقال
فسقت الرطبة عن قشرها ومن مقلوبها فقست البيضة اذا كسرتها واخرجت ما فيها ومن مقلوبه ايضا فقست
الشيء اذا اخرجته من يد مالكه مغتصبا له عليه ثم استعمل في الخروج عن القصد والانسلاخ من الحق قال
رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا وقرا ابن مسعود فتثبتوا والتثبت والتبين متقاربان وهما طلب الثبات
والبيان والتعرف ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين معه بالمنزلة التي لا يجسر احد ان يخبرهم
بكذب وما كان يقع مثل ما فرط من الوليد الا في الندرة قيل ان جاءكم بحرف الشك وفيه ان على المؤمنين ان يكونوا
على هذه الصفة لئلا يطمع فاسق في مخاطبتهم بكلمة زور وان تصيبوا مفعول له اي كراهة اصابتكم قوما
بجهالة حال كقوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم يعني جاهلين حقيقة الامر وكنه القصة والاصباح
بمعنى الصيرورة والندم ضرب من الغم وهو ان تغتم على ما وقع منك تتمنى انه لم يقع وهو غم يصحب الانسان
صحبة لها دوام ولزام لانه كلما تذكر المتندم عليه راجعه من الندام وهو لزام الشريب ودوام صحبته ومن
مقلوبه ادمن الامر اذا ادامه ومدن بالمكان اقام به ومنه المدينة وقد تراهم يجعلون الهم صاحبا ونجيا وسميرا

ومحببا وموصوفا بانه لا يفارق خاصته واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم ولكن الله
حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون الجملة
المصدرة بلو لا تكون كلاما مستانفا لادائه الى تنافر النظم ولكن متصلا بما قبله حالا من احد الضميرين في فيكم المستتر
المرفوع او البارز المجرور وكلاهما مذهب سديد والمعنى ان فيكم رسول الله على حالة يجب عليكم تغييرها وهي انكم تحاولون
ان يعمل في الحوادث على مقتضى ما يعن لكم من راي واستصواب فعل المطواع لغيره التابع له فيما يرتئيه المحتذي على
امثلته ولو فعل ذلك لعنتم اي لوقعتم في الجهد والهلاك يقال فلان يتعنت فلانا اي يطلب ما يؤديه الى الهلاك
وقد اعنت العظم اذا هيض بعد الجبر وهذا يدل على ان بعض المؤمنين زينوا لرسول الله عليه السلم الايقاع ببني المصطلق
وتصديق قول الوليد وان نظائر ذلك من الهنات كانت تفرط منهم وان بعضهم كانوا يتصونون ويزعهم جدهم
في التقوى عن الجسارة على ذلك وهم الذين استثناهم بقوله تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان اي الى بعضكم ولكنه
اغنت عن ذكر البعض صفتهم المفارقة لصفة غيرهم وهذا من ايجازات القران ولمحاته اللطيفة التي لا يفطن لها الا الخواص
وعن بعض المفسرين هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وقوله تعالى اولئك هم الراشدون والخطاب لرسول الله
اي اولئك المستثنون منهم الراشدون يصدق ما قلته فان قلت ما فائدة تقديم خبر ان على اسمها
قلت القصد الى توبيخ بعض المؤمنين على ما استهجن منهم من استتباع راي رسول الله لآرائهم
فوجب تقديمه لانصباب الغرض اليه فان قلت فلم قيل يطيعكم دون اطاعكم قلت
للدلالة على انه كان في ارادتهم استمرار عمله على ما يستصوبون وانهم كلما عن لهم راي في امر
كان معمولا عليه بدليل قوله في كثير من الامر كقولك فلان يقري الضيف ويحمي الحريم تريد انه
مما اعتاده ووجد منه مستمرا فان قلت كيف موقع لكن وشريطتها مفقودة من مخالفة ما
بعدها لما قبلها نفيا واثباتا قلت هي مفقودة من حيث اللفظ حاصلة من حيث المعنى
لان الذين حبب اليهم الايمان قد غايرت صفتهم صفة المتقدم ذكرهم فوقعت لكن في حاق موقعها
من الاستدراك ومعنى تحبيب الله وتكريهه اللطف والامداد بالتوفيق وسبيله الكناية كما سبق وكل
ذي لب وراجع الى بصيرة وذهن لا يغبى عليه ان الرجل لا يمدح بغير فعله وحمل الاية على ظاهرها
يؤدي الى ان يثني عليهم بفعل الله وقد نعى الله هذا على الذين انزل فيهم ويحبون ان يحمدوا بما لم
يفعلوا فان قلت فان العرب تمدح بالجمال وحسن الوجه وذلك فعل الله وهو مدح مقبول
عند الناس غير مردود قلت الذي سوغ ذلك لهم انهم راوا حسن الرواء ووسامة
المنظر في الغالب يسفر عن مخبر مرضي واخلاق محمودة ومن ثم قالوا احسن ما في
الدميم وجهه فلم يجعلوه من صفات المدح لذاته ولكن لدلالته على غيره على ان من
محققة النقاد وعلماء المعاني من دفع صحة ذلك وخطا المادح به وقصر المدح على
النعت بامهات الخير وهي الفصاحة والشجاعة والعدل والعفة وما يتشعب
منها ويرجع اليها وجعل الوصف بالجمال والثروة وكثرة الحفدة والاعضاد وغير
ذلك مما ليس للانسان فيه عمل غلطا ومخالفة عن المعقول والكفر تغطية نعمة الله
وغمطها بالجحود والفسوق والخروج عن قصد الايمان ومحجته بركوب الكبائر

والعصيان

والعصيان ترك الانقياد والمضي لما امر به الشرع والعرق العاصي العائد
واعتصت النواة اشتدت والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب
فيه من الرشادة وهي الصخرة قال ابو الوازع كل صخرة رشادة وانشد
وغير مقلد وموشمات • صلين الضوء من صم الرشاد
وفضلا مفعول له او مصدر من غير فعله فان قلت من اين جاز وقوعه مفعولا له
والرشد فعل القوم والفضل فعل الله والشرط ان يتحد الفاعل قلت
لما وقع الرشد عبارة عن التحبيب والتزيين والتكريه مسندا الى اسمه تقدست
اسماؤه صار الرشد كانه فعله فجاز ان ينتصب عنه او لا ينتصب عن الراشدون ولكن
عن الفعل المسند الى اسم الله والجملة التي هي اولئك هم الراشدون اعتراض او عن فعل
مقدر كانه قيل جرى ذلك او كان ذلك فضلا من الله واما كونه مصدرا من غير فعله
فان يوضع موضع رشدا لان رشدهم فضل من الله لكونهم موفقين فيه والفضل والفضل
والنعمة بمعنى الافضال والانعام فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم وإن طائفتان من
المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي
حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله
يحب المقسطين إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون
عليم باحوال المؤمنين وما بينهما من التمايز والتفاضل وحكيم حين يفضل وينعم بالتوفيق
على افاضلهم عن ابن عباس رضي الله عنهما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مجلس بعض
الانصار وهو على حمار فبال الحمار فامسك عبد الله ابن ابي بانفه وقال خل سبيل حمارك
فقد اذانا نتنه فقال عبد الله ابن رواحة والله ان بول حماره لاطيب من مسكك
ورُوي حمازه اوفضل ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطال الخوض بينهما حتى استبّا
وتجالدا وجاء قوماهما وهما الاوس والخزرج فتجالدوا بالعصي وقيل بالايدي والنعال
والسعف فرجع اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصلح بينهم ونزلت وعن مقاتل
قرأها عليهم فاصطلحوا والبغي الاستطالة والظلم واباء الصلح والفيء الرجوع
وقد سمي به الظل والغنيمة لان الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة ما يرجع من اموال
الكفار الى المسلمين وعن ابي عمرو حتى تفي بغير همز ووجهه ان ابا عمرو خفف الاولى من
الهمزتين الملتقيتين فلطفت على الراوي تلك الخلسة فظنه قد طرحها فان قلت
ما وجه قوله اقتتلوا والقياس اقتتلتا كما قرأ ابن ابي عبلة او اقتتلا كما قرأ
عبيد ابن عمير على تاويل الرهطين او النفرين قلت هو مما حمل على المعنى دون
اللفظ لان الطائفتين في معنى القوم وفي قراءة عبد الله حتى يفيئوا الى امر الله
فان فاؤوا فخذوا بينهم بالقسط وحكم الفئة الباغية وجوب قتالها ما قاتلت
وعن ابن عمر ما وجدت في نفسي من شيء ما وجدت من امر هذه الاية ان لم اقاتل
هذه الفئة الباغية كما امرني الله قاله بعد ان اعتزل فاذا كافت وقبضت عن الحرب

إحداهما نزلت، وإذا تولت عمل بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: يا ابن أم عبد هل تدري كيف حكم الله فيمن بغى من هذه الأمة؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: لا يجهز على جريحها، ولا يقتل أسيرها، ولا يطلب هاربها، ولا يقسم فيئها. ولا تخلو الفئتان من المسلمين في اقتتالهما: إما أن يقتتلا على سبيل البغي منهما جميعاً، فالواجب في ذلك أن يمشى بينهما بما يصلح ذات البين ويثمر المكافة والموادعة، فإن لم تتحاجزا ولم تصطلحا وأقامتا على البغي صير إلى مقاتلتهما؛ وإما أن يلتحم بينهما القتال لشبهة دخلت عليهما وكلتاهما عند أنفسهما محقة، فالواجب إزالة الشبهة بالحجج النيرة والبراهين القاطعة واطلاعهما على مراشد الحق، فإن ركبتا متن اللجاج ولم تعملا على شاكلة ما هديتا إليه ونصحتا به من اتباع الحق بعد وضوحه لهما، فقد لحقتا بالفئتين الباغيتين. وإما أن تكون إحداهما الباغية على الأخرى، فالواجب أن تقاتل فئة البغي إلى أن تكف وتتوب، فإن فعلت أصلح بينها وبين المبغي عليها بالقسط والعدل. وفي ذلك تفاصيل: إن كانت الباغية من قلة العدد بحيث لا منعة لها، ضمنت بعد الفيئة ما جنت، وإن كانت كثيرة ذات منعة وشوكة لم تضمن إلا عند محمد بن الحسن رحمه الله تعالى، فإنه كان يفتي بأن الضمان يلزمها إذا فاءت، وأما قبل التجمع والتجند أو حين تتفرق عند وضع الحرب أوزارها فما جنته ضمنته عند الجميع، فمحمل الإصلاح بالعدل في قوله: فأصلحوا بينهما بالعدل على مذهب محمد واضح منطبق على لفظ التنزيل، وعلى قول غيره أن تحمل على كون الفئة قليلة العدد. والذي ذكروا أن الغرض إماتة الضغائن وسل الأحقاد دون ضمان الجنايات ليس بحسن الطباق للمأمور به من إعمال العدل ومراعاة القسط. فإن قلت: فلم قرن بالإصلاح الثاني العدل دون الأول؟ قلت: لأن المراد بالاقتتال في أول الآية أن يقتتلا باغيتين معاً أو راكبتي شبهة، وأيتهما كانت فالذي يجب على المسلمين أن يأخذوا به في شأنهما إصلاح ذات البين وتسكين الدهماء بإراءة الحق والمواعظ الشافية ونفي الشبهة، إلا إذا أصرتا فحينئذ تجب المقاتلة، وأما الضمان فلا يتجه، وليس كذلك إذا بغت إحداهما فإن الضمان متجه على الوجهين المذكورين. وأقسطوا أمر باستعمال القسط على طريق العموم بعد ما أمر به في إصلاح ذات البين، والقول فيه مثله في الأمر باتقاء الله على عقب النهي عن التقديم بين يديه. والقسط بالفتح الجور من القسط وهو اعوجاج في الرجلين، وعود قاسط يابس، وأقسطته الرياح. وأما القسط بمعنى العدل فالفعل منه أقسط، وهمزته للسلب، أي أزال القسط وهو الجور. هذا تقرير لما ألزمه من تولي الإصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين، وبيان أن الإيمان قد عقد بين أهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما إن لم يفضل الأخوة ولم يبرز عليها لم

لم تفضل عنها ولم يتباصر عن غايتها ثم قد جرت عادة الناس على انه اذا نشب مثل ذلك بين اثنين من اخوة الولاد لزم السايرين ان
يتناهضوا في رفعه وازاحته ويركبوا الصعب والذلول مشيا بالصلح وبثا للسفرا بينهما الى ان يصادف ما وهي من
الوفاق من يرقعه وما استشن من الوصال من يبله فالاخوة في الدين احق بذلك وباشد منه وعن النبي صلى الله
عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يعيبه ولا يتطاول عليه في البنيان فيستر عنه الريح الا
باذنه ولا يوذيه بقتار قدره ثم قال احفظوا ولا يحفظ منكم الا قليل فان قلت فلم خص الاثنان بالذكر دون
الجمع قلت لان اقل من يقع بينهم الشقاق اثنان فاذا لزمت المصالحة بين الاقل كانت بين الاكثر الزم لان الفساد في
شقاق الجمع اكثر منه في شقاق الاثنين وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم والمعنى
ليس المومنون الا اخوة وانهم خلص لذلك متمحضون قد انزاحت عنهم الشبهات الاجنبية وابى لطف حالهم في التمازج
والاتحاد ان يقدموا على ما يتولد منه التقاطع فبادروا قطع ما يقع من ذلك ان يقع واحسموه واتقوا الله فانكم ان
فعلتم لم تحملكم التقوى الا على التواصل والايتلاف والمسارعة الى اماطة ما يفرط منه وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة
الله اليكم واشتمال رافته عليكم حقيقا بان تعقدوا به رجاكم يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا
خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن القوم الرجال خاصة لانهم القوام بامور النساء قال الله تعالى الرجال
قوامون على النساء وقال صلوات الله وسلامه عليه النساء لحم على وضم الا ما ذب عنه والذابون هم الرجال وهو
في الاصل جمع قايم كصوم وزور في جمع صايم وزاير او تسمية بالمصدر عن بعض العرب اذا اكلت طعاما احببت
نوما وابغضت قوما اي قياما واختصاص القوم بالرجال صريح في الاية وفي قول زهير اقوم ال حصن ام نساء واما قولهم
في قوم فرعون وقوم عاد هم الذكور والاناث فليس لفظ القوم بمتعاط للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر
الاناث لانهن توابع لرجالهن وتنكير القوم والنساء يحتمل معنيين ان يراد لا يسخر بعض المومنين والمومنات من بعض وان يقصد
افادة الشياع وان يصير كل جماعة منهم منهية عن السخرية وانما لم يقل رجل من رجل ولا امراة من امراة على التوحيد اعلاما باقدام
غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسايهم على السخرية واستفظاعا للشان الذي كانوا عليه ولان مشهد الساخر
لا يكاد يخلو ممن يتلهى ويستضحك على قوله ولا ياتي ما عليه من النهي والانكار فيكون شريك الساخر وتلوه في
تحمل الوزر وكذلك كل من يطرق سمعه فيستطيبه ويضحك به فيودي ذلك وان اوجده واحد الى تكثر السخرة
وانقلاب الواحد جماعة وقوما وقوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم كلام مستانف وقد ورد مورد جواب
المستخبر عن العلة الموجبة لما جا النهي عنه والا فقد كان حقه ان يوصل بما قبله بالفا والمعنى وجوب ان يعتقد
كل احد ان المسخور منه ربما يكون عند الله عز وجل خيرا من الساخر لان الناس لا يطلعون الا على ظواهر الاحوال ولا علم
لهم بالخفيات وانما الذي يزن عند الله عز وجل خلوص الضماير وتقوى القلوب وعلمهم من ذلك بمعزل فينبغي ان لا
يجترئ احد على الاستهزا بمن تقتحمه عينه اذا راه رث الحال او ذا عاهة في بدنه او غير لبيق في محادثته فلعله اخلص
ضميرا واتقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله تعالى والاستهانة بمن عظمه الله ولقد بلغ
بالسلف افراط توقيهم وتصونهم من ذلك ان قال عمرو بن شرحبيل لو رايت رجلا يرضع عنزا فضحكت منه خشيت ان
اصنع مثل الذي صنعه وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه البلا موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت
ان احول كلبا وفي قراة عبد الله عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فعسى على هذه القراة ذات الخبر كالتي في قوله
عز وجل فهل عسيتم وعلى الاولى التي لا خبر لها كقوله عز وجل وعسى ان تكرهوا شيا ولا تلمزوا انفسكم

﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ واللمز الطعن والضرب باللسان وقرئ ولا تلمزوا بالضم والمعنى وخصوا أيها المؤمنون
أنفسكم بالانتهاء عن عيبها والطعن فيها ولا عليكم أن تعيبوا غيركم ممن لا يدين بدينكم ولا يسير بسيرتكم ففي الحديث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس وعن الحسن رحمة الله عليه في ذكر الحجاج
أخرج إلي بنانا قصيرة قلما عرقت فيها الأعنة في سبيل الله تعالى ثم جعل يطبطب شعيرات له ويقول يا أبا سعيد يا أبا
سعيد وقال لما مات اللهم أنت أمته فاقطع سنته فإنه أتانا أخيفش أعيمش يخطر في مشيته ويصعد المنبر
حتى تفوته الصلوات لا من الله يتقي ولا من الناس يستحي فوقه الله وتحته مائة ألف أو يزيدون لا يقول له قائل
الصلاة أيها الرجل الصلاة أيها الرجل هيهات دون ذلك السيف والسوط وقيل معناه لا يعب بعضكم بعضا لأن المؤمنين
كنفس واحدة فمتى عاب المؤمن المؤمن فكأنما عاب نفسه وقيل معناه لا تفعلوا ما تلمزون لأن من فعل ما استحق به اللمز
فقد لمز نفسه حقيقة والتنابز بالألقاب التداعي بها تفاعل من نبزه وهو فلان ينبز بالصبيان وينبز بالصبيان ويقال النبز
والنزب لقب السوء والتلقيب المنهي عنه وهو ما يتداخل المدعو به كراهة لكونه تقصيرا به وذما له وشينا فأما ما يحبه
مما يزينه وينوه به فلا بأس به روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من حق المؤمن على أخيه أن يسميه بأحب أسمائه
إليه ولهذا كانت التكنية من السنة والأدب الحسن قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه أشيعوا الكنى فإنها منبهة
ولقد لقب أبو بكر رضي الله عنه بالعتيق والصديق وعمر رضي الله عنه بالفاروق وحمزة رضي الله عنه بأسد
الله وخالد رضي الله عنه بسيف الله وقل من المشاهير في الجاهلية والإسلام من ليس له لقب ولم تزل هذه
الألقاب الحسنة في الأمم كلها من العرب والعجم تجري في مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير روي عن الضحاك أن
قوما من بني تميم استهزءوا ببلال وخباب وعمار وصهيب وأبي ذر وسالم مولى حذيفة رضوان الله عليهم أجمعين
فنزلت وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها كانت تسخر من زينب بنت خزيمة الهلالية رضي الله عنها وكانت
قصيرة وعن ابن عباس أن أم سلمة ربطت حقويها بسبيبة وسدلت طرفيها خلفها وكانت تجره فقالت عائشة لحفصة
رضي الله عنها انظري ما تجر خلفها كأنه لسان كلب وعن أنس رضي الله عنه عيرت نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم
أم سلمة رضي الله عنها بالقصر وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن صفية بنت حيي أتت النبي عليه أفضل الصلاة
والسلام فقالت إن النساء يعيرنني ويقلن يا يهودية بنت يهوديين فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم هلا
قلت إن أبي هارون وإن عمي موسى وإن زوجي محمد وروي أنها نزلت في ثابت بن قيس رضي الله عنه وكان به وقر
وكانوا يوسعون له في مجلس النبي عليه الصلاة والسلام ليسمع فأتى يوما وهو يقول تفسحوا لي حتى انتهى إلى رسول
الله عليه السلام فقال لرجل تنح فلم يفعل فقال من هذا قال الرجل أنا فلان فقال بل أنت ابن فلانة يريد أما كان
يعير بها في الجاهلية فخجل الرجل فنزلت فقال ثابت لا أفخر على أحد في الحسب بعدها أبدا ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ
الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ الاسم ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم أو
باللوم كما يقال طار ثناؤه وصيته وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع بين الناس ألا ترى إلى قولهم أشاد بذكره كأنه
قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائر أن يذكروا بالفسق وفي قوله تعالى بعد الإيمان ثلاثة
أوجه أحدها استقباح الجمع بين الإيمان وبين الفسق الذي يأباه الإيمان ويحظره كما تقول بئس الشأن بعد
الكبرة الصبوة والثاني أنه كان في شتائمهم لمن أسلم من اليهود يا فاسق فهو اعتداء وقيل لهم بئس الذكر أن تذكروا
الرجل بالفسق واليهودية بعد إيمانه والجملة على هذا التفسير متعلقة بالنهي عن التنابز والثالث أن يجعل من فسق غير

مومن

مؤمن كما تقول للمتحول عن التجارة الى الفلاحة بئست الحرفة الفلاحة بعد التجارة **يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم** يقال جنبه الشر اذا ابعده عنه وحقيقته جعله منه في جانب فيعدى الى مفعولين قال الله عز وجل واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ثم يقال في مطاوعه اجتنب الشر فينقص المطاوعة مفعولا والمامور باجتنابه هو بعض الظن وذلك البعض موصوف بالكثرة الا ترى الى قوله تعالى ان بعض الظن اثم فان قلت بين الفصل بين كثير حيث جاء نكرة وبينه لو جاء معرفة قلت مجيئه نكرة يفيد معنى البعضية وان في الظنون ما يجب ان يجتنب من غير تبيين لذلك ولا تعيين لئلا يجترئ احد على ظن الا بعد نظر وتامل وتمييز بين حقه وباطله بامارة بينة مع استشعار للتقوى والحذر ولو عرف لكان الامر باجتناب الظن منوطا بما يكثر منه دون ما يقل ووجب ان يكون كل ظن متصف بالكثرة مجتنبا وما اتصف منه بالقلة مرخصا في تظننه. والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها ان كل ما لم تعرف له امارة صحيحة وسبب ظاهر كان حراما واجب الاجتناب. وذلك اذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح واونست منه الامانة في الظاهر فظن الفساد والخيانة به محرم بخلاف من اشتهره الناس بتعاطي الريب والمجاهرة بالخبائث. عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من المسلم دمه وعرضه وان يظن به ظن السوء. وعن الحسن رحمة الله عليه كنا في زمان الظن بالناس حرام وانت اليوم في زمان اعمل واسكت وظن بالناس ما شئت. وعنه لا حرمة لفاجر وعنه ان الفاسق اذا اظهر فسقه وهتك ستره هتكه الله واذا استتر لم يظهر الله عليه لعله ان يتوب. وقد روي من القى جلباب الحياء فلا غيبة له. والاثم الذنب الذي يستحق صاحبه العقاب. ومنه قيل لعقوبته الاثام فعال منه كالنكال والعذاب والوبال قال

لقد فعلت هذي النوى بي فعلة ... اصاب النوى قبل الممات اثامها

والهمزة فيه عوض عن الواو كانه يثم الاعمال اي يكسرها باحباطه **ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا** وقرئ ولا تحسسوا بالحاء والمعنيان متقاربان يقال تجسس الامر اذا تطلبه وبحث عنه تفعل من الجس كما ان التلمس بمعنى التطلب من اللمس لما في اللمس من الطلب. وقد جاء بمعنى الطلب في قوله تعالى وانا لمسنا السماء والتحسس التعرف من الحس ولتقاربهما قيل لمشاعر الانسان الحواس بالحاء والجيم والمراد النهي عن تتبع عورات المسلمين ومعايبهم والاستكشاف عما ستروه. وعن مجاهد خذوا ما ظهر ودعوا ما ستره الله. وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه خطب فرفع صوته حتى اسمع العواتق في خدورهن قال يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو كان في جوف بيته. وعن زيد بن وهب رضي الله عنه قلنا لابن مسعود رضي الله عنه هل لك في الوليد بن عقبة بن ابي معيط تقطر لحيته خمرا فقال ابن مسعود انا قد نهينا عن التجسس فان ظهر لنا شيء اخذنا به. غابه واغتابه كغاله واغتاله. والغيبة من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال وهي ذكر السوء في الغيبة. وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكره فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته. وعن ابن عباس رضي الله عنهما الغيبة ادام كلاب الناس **ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم** ايحب احدكم تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على افظع وجه وافحشه وفيه مبالغات شتى منها الاستفهام الذي معناه التقرير ومنها جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ومنها اسناد الفعل الى احدكم والاشعار بان احدا من الاحدين لا يحب ذلك. ومنها ان لم يقتصر على تمثيل الاغتياب

باكل لحم الانسان حتى جعل الانسان اخا ومنها ان لم يقتصر على اكل لحم الاخ حتى جعل ميتا وعن قتادة كما تكره ان وجدت
جيفة مدودة ان تاكل منها كذلك فاكره لحم اخيك وهو حي وانتصب ميتا على الحال من اللحم ويجوز ان
ينتصب عن الاخ وقرئ ميّتا ولما قررهم عز وجل بان احدا منهم لا يحب اكل جيفة اخيه عقب ذلك بقوله
تعالى فكرهتموه اي فتحققت بوجوب الاقرار عليكم وبانكم لا تقدرون على دفعه وانكاره لاباء البشرية عليكم
ان تجحدوه كراهتكم له وتقذركم منه فليتحقق ايضا ان تكرهوا ما هو نظيره من الغيبة والطعن في اعراض
المسلمين وقرئ فكرّهتموه اي جبلتم على كراهته فان قلت هلا عدي في قوله وكره اليكم الكفر
وانما القياس قلت القياس تعديته بنفسه لانه ذو مفعول واحد قبل تثقيل حشوه تقول كرهت
الشيء فاذا ثقل استدعى زيادة مفعول واما تعديته بالى فتاول واجراء لكره مجرى بغض لان بغض منقول
من بغض اليه الشيء فهو بغيض اليه كقولك حبب اليه الشيء فهو حبيب اليه والمبالغة في التواب للدلالة
على كثرة من يتوب عليه من عباده او لانه ما من ذنب يقترفه المقترف الا كان معفوا عنه بالتوبة او لانه بليغ
في قبول التوبة منزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه والمعنى واتقوا الله بترك ما امرتم
باجتنابه والندم على ما وجد منكم منه فانكم ان اتقيتم تقبل الله توبتكم وانعم عليكم بثواب المتقين التائبين
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان سلمان رضي الله عنه كان يخدم رجلين من الصحابة ويسوي لهما طعامهما
فنام عن شانه يوما فبعثاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغي لهما اداما وكان اسامة على طعام رسول
الله عليه السلام فقال ما عندي شيء فاخبرهما سلمان رضي الله عنه فعند ذلك قالا لو بعثناه الى بئر سميحة
لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله قال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال
انكما قد اغتبتما فنزلت يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل
لتعارفوا من ذكر وانثى من آدم وحوى وقيل خلقنا كل واحد منكم من اب وام فما منكم احد الا وهو
يدلي بمثل ما يدلي به الآخر سواء بسواء فلا وجه للتفاخر والتفاضل في النسب والشعب الطبقة الاولى
من الطبقات الست التي عليها العرب وهي الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة
فالشعب تجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ تجمع
الفصائل خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة
وسميت الشعوب لان القبائل تشعبت منها وقرئ لتتعارفوا ولتعارفوا بالادغام ولتعرفوا اي
لتعلموا كيف تتناسبون ولتتعرفوا والمعنى ان الحكمة التي من اجلها رتبكم على شعوب وقبائل هي ان يعرف
بعضكم نسب بعض فلا يعتزي الى غير آبائه الا ان تتفاخروا بالآباء والاجداد وتدعوا التفاوت والتفاضل
في الانساب ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير ثم بين الخصلة التي بها يفضل الانسان
غيره ويكتسب الشرف والكرم عند الله فقال ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقرئ انّ بالفتح كانه قيل
لم لا يتفاخر بالانساب فقيل لان اكرمكم عند الله اتقاكم لا انسبكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه طاف
يوم فتح مكة فحمد الله واثنى عليه ثم قال الحمد لله الذي اذهب عنكم عبية الجاهلية وتكبرها يا ايها
الناس انما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ثم قرا الآية وعنه صلى الله
عليه وسلم من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة

التقوى

التقوى وعن يزيد بن شجرة رضي الله عنه مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في سوق المدينة فرأى غلاما اسود يقول
من اشتراني فعلى شرط لا يمنعني عن الصلوات الخمس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتراه رجل وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عند كل صلاة ففقده يوما فسأل عنه صاحبه فقال محموم فعاده
ثم سأل عنه بعد ثلاثة ايام فقال هو لما به فجاءه وهو في ذمائه فتولى غسله ودفنه فدخل على المهاجرين
والانصار رضوان الله عليهم امر عظيم فنزلت قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا
ولما يدخل الايمان في قلوبكم الايمان هو التصديق بالله مع الثقة وطمأنينة النفس والاسلام الدخول في
السلم والخروج من ان يكون حربا للمؤمنين باظهار الشهادتين الا ترى قوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم فاعلم
ان كل ما يكون من الاقرار باللسان من غير مواطأة القلب فهو اسلام وما واطأ فيه القلب اللسان فهو ايمان
فان قلت ما وجه قوله قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا والذي يقتضيه نظم الكلام ان يقال قل لا
تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا او قل لم تؤمنوا ولكن اسلمتم قلت افاد هذا النظم تكذيب دعواهم
اولا ودفع ما انتحلوه فقيل لم تؤمنوا وروعي في هذا النوع من التكذيب ادب حسن حين لم يصرح بلفظه
فلم يقل كذبتم ووضع لم تؤمنوا الذي هو نفي ما ادعوا اثباته موضعه ثم نبه على ما فعل من وضعه
موضع كذبتم في قوله في صفة المخلصين اولئك هم الصادقون تعريضا بان هؤلاء هم الكاذبون
ورب تعريض لا يقاومه التصريح واستغني بالجملة التي هي لم تؤمنوا عن ان يقال لا تقولوا آمنا لاستهجان
ان يخاطبوا بلفظ مؤداه النهي عن القول بالايمان ثم وصلت بها الجملة المصدرة بكلمة الاستدراك محمولة
على المعنى ولم يقل ولكن اسلمتم ليكون خارجا مخرج الزعم والدعوى كما كان قولهم آمنا كذلك ولو قيل
ولكن اسلمتم لكان خروجه في معرض التسليم لهم والاعتداد بقولهم وهو غير معتد به فان قلت
قوله تعالى لما يدخل الايمان في قلوبكم بعد قوله قل لم تؤمنوا يشبه التكرير من غير استقلال بفائدة متجددة
قلت ليس كذلك فان فائدة قوله تعالى لم تؤمنوا تكذيب دعواهم وقوله تعالى لما يدخل الايمان
في قلوبكم توقيت لما امروا به ان يقولوه كانه قيل لهم ولكن قولوا اسلمنا حين لم تثبت مواطأة قلوبكم
لالسنتكم لانه كلام واقع موقع الحال من الضمير في قولوا وما في لما من معنى التوقع دال على ان هؤلاء قد آمنوا
فيما بعد وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم لا يلتكم لا ينقصكم
ولا يظلمكم يقال ألته السلطان حقه اشد الألت وهي لغة غطفان واهل الحجاز لاته ليتا وحكى
الاصمعي عن ام هشام السلولية انها قالت الحمد لله الذي لا يفات ولا يلات ولا تصمه الاصوات
وقرئ باللغتين لا يلتكم ولا يألتكم ونحوه في المعنى فلا تظلم نفس شيئا ومعنى طاعة الله ورسوله ان
يتوبوا عما كانوا عليه من النفاق ويعقدوا قلوبهم على الايمان ويعملوا بمقتضياته فان فعلوا ذلك
تقبل الله توبتهم ووهب لهم مغفرته وانعم عليهم بجزيل ثوابه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان نفرا من
بني اسد قدموا المدينة في سنة جدبة فاظهروا الشهادة وافسدوا طرق المدينة بالعذرات واغلوا
اسعارها وهم يغدون ويروحون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون اتتك العرب بانفسها على
ظهور رواحلها وجئناك بالاثقال والذراري يريدون الصدقة • فنزلت انما المؤمنون
الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون

ارتاب مطاوع رابه إذا أوقعه في الشك مع التهمة. والمعنى أنهم آمنوا ثم لم يقع في نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام
لمن صدقوه واعترفوا بأن الحق معه فإن قلت ما معنى ثم هاهنا وهي للتراخي وعدم الارتياب يجب أن يكون
مقارنا للإيمان لأنه وصف لما يثبت من إفادة الإيمان معنى الثقة والطمأنينة التي حقيقتها التيقن وانتفاء
الريب قلت الجواب على طريقين أحدهما أن من وجد منه الإيمان ربما اعترضه الشيطان أو
بعض المضلين بعد ثلج الصدر فشككه وقذف في قلبه ما يقلقه أو نظر هو نظرا غير سديد يسقط به على الشك
ثم يستمر على ذلك راكبا رأسه لا يطلب له مخرجا فوصف المؤمنون حقا بالبعد عن هذه الموبقات ونظيره
قوله تعالى ثم استقاموا والثاني الإيقان وزوال الريب لما كان ملاك الإيمان أفرد بالذكر بعد تقدم الإيمان تنبيها
على مكانه وعطف على الإيمان بكلمة التراخي إشعارا باستقراره في الأزمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا
وجاهد ويجوز أن يكون المجاهد منويا وهو العدو المحارب والشيطان أو الهوى وأن يكون جاهد مبالغة
في الجهد ويجوز أن يراد بالمجاهدة بالنفس الغزو وأن يتناول العبادات بأسرها وأجمعها وبالمجاهدة بالمال
نحو ما صنع عثمان بن عفان رضي الله عنه في جيش العسرة وأن يتناول الزكوات وكل ما يتعلق بالمال من أعمال
البر التي يتحامل فيها الرجل على ماله لوجه الله أولئك هم الصادقون الذين صدقوا في قولهم آمنا ولم يكذبوا كما
كذب أعراب بني أسد وأولئك الذين إيمانهم إيمان صدق وإيمان حق وجد وثبات قل أتعلمون الله بدينكم
والله يعلم ما في السموات وما في الأرض والله بكل شيء عليم يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم
يقال ما علمت بقدومه أي ما شعرت به ولا أحطت به ومنه قوله تعالى أتعلمون الله بدينكم وفيه تجهيل
يقال من الله عليه بيد إذا أسداها إليه كقولك أنعم عليه وأفضل عليه والمنة النعمة التي لا يستثيب مسديها
من يزلها إليه واشتقاقها من المن الذي هو القطع لأنه إنما يسديها إليه ليقطع بها حاجته لا غير من غير أن يعمد
لطلب مثوبة ثم يقال من عليه صنيعه إذا اعتده عليه منة وإنعاما وسياق هذه الآية فيه لطف
ورشاقة وذلك أن الكائن من الأعراب قد سماه الله إسلاما ونفى أن يكون كما زعموا إيمانا فلما منوا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما كان منهم قال الله سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم إن هؤلاء يعتدون عليك
بما ليس جديرا بالاعتداد به من حدثهم الذي حق تسميته أن يقال له إسلام فقل لهم لا تعتدوا علي إسلامكم أي
حدثكم المسمى إسلاما عندي لا إيمانا بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين ثم قال
بل الله يعتد عليكم أن أمدكم بتوفيقه حيث هداكم للإيمان على ما زعمتم وادعيتم أنكم أرشدتم إليه ووفقتم
له إن صح زعمكم وصدقت دعواكم إلا أنكم تزعمون وتدعون ما الله عليم بخلافه وفي إضافة الإسلام
إليهم وإيراد الإيمان غير مضاف ما لا يخفى على المتأمل وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره
فإن كنتم صادقين في ادعائكم الإيمان فلله المنة عليكم وقرئ إن هداكم بكسر الهمزة وفي قراءة ابن مسعود
رضي الله عنه إذ هداكم إن الله يعلم غيب السموات والأرض والله بصير بما تعملون وقرئ يعملون
بالياء والتاء وهذا بيان لكونهم غير صادقين في دعواهم يعني أنه عز وجل يعلم كل مستتر في العالم ويبصر
كل عمل تعملونه في سركم وعلانيتكم لا يخفى عليه منه شيء فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم ولا يظهر
على صدقكم وكذبكم وذلك أن حاله مع كل معلوم واحدة لا تختلف والله أعلم
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات أعطي من الأجر بعدد من أطاع الله ومن

يتلمم

سورة

سورة ق مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي خمس وأربعون آية

ق والقرآن المجيد بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب أإذا متنا
وكنا ترابا ذلك رجع بعيد الكلام في ق والقرآن المجيد بل عجبوا نحوه في ص والقرآن ذي الذكر
بل الذين كفروا سواء بسواء لالتقائهما في أسلوب واحد والمجيد ذو المجد والشرف على غيره من الكتب
ومن أحاط علما بمعانيه وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس وهو بسبب من الله المجيد فجاز اتصافه بصفته
قوله تعالى بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم إنكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو أن ينذرهم بالمخوف رجل منهم
قد عرفوا وساطته فيهم وعدالته وأمانته ومن كان على صفته لم يكن إلا ناصحا لقومه مترفقا
عليهم خائفا أن ينالهم سوء ويحل بهم مكروه وإذا علم أن مخوفا أظلهم لزمه أن ينذرهم ويحذرهم
فكيف بما هو غاية المخاوف ونهاية المحاذير وإنكار لتعجبهم مما أنذرهم به من البعث مع علمهم بقدرة
الله عز وجل على خلق السموات والأرض وما بينهما وعلى اختراع كل شيء وإبداعه وإقرارهم بالنشأة الأولى
مع شهادة العقل بأنه لا بد من الجزاء ثم عول على أحد الإنكارين بقوله تعالى فقال الكافرون هذا
شيء عجيب أإذا متنا دلالة على أن تعجبهم من البعث أدخل في الاستبعاد وأحق بالإنكار ووضع
الكافرون موضع الضمير للشهادة على أنهم في قولهم هذا مقدمون على الكفر العظيم وهذا إشارة إلى
الرجع وإذا منصوب بمضمر معناه أحين نموت ونبلى نرجع ق ذلك رجع بعيد مستبعد مستنكر كقولك
هذا قول بعيد وقد أبعد فلان في قوله ومعناه بعيد من الوهم والعادة ويجوز أن يكون الرجع
بمعنى المرجوع وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالى استبعادا لإنكارهم ما أنذروا به من البعث
والوقف قبله على هذا التفسير حسن وقرئ إذا متنا على لفظ الخبر ومعناه إذا متنا بعد أن نرجع
والدال عليه ذلك رجع بعيد فإن قلت فما ناصب الظرف إذا كان الرجع بمعنى المرجوع قلت
ما دل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب
حفيظ قد علمنا رد لاستبعادهم الرجع لأن من لطف علمه حتى تغلغل إلى ما تنقص الأرض من أجساد
الموتى وتأكله من لحومهم وعظامهم كان قادرا على رجعهم أحياء كما كانوا عن النبي صلى الله عليه وسلم
كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب وعن السدي ما تنقص الأرض منهم ما يموت فيدفن في الأرض منهم
كتاب حفيظ محفوظ من الشياطين ومن التغير وهو اللوح المحفوظ وحافظ لما أودعه وكتب
فيه بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج بل كذبوا إضراب أتبع الإضراب الأول للدلالة
على أنهم جاءوا بما هو أفظع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوة الثابتة بالمعجزات
في أول وهلة من غير تفكر ولا تدبر فهم في أمر مريج مضطرب يقال مرج الخاتم في إصبعه
وجرج فيقولون تارة شاعر وتارة ساحر وتارة كاهن ولا يثبتون على شيء واحد وقرئ
لما جاءهم بكسر اللام وما المصدرية واللام هي التي في قولهم لخمس خلون أي عند مجيئهم وقيل الحق القرآن وقيل الإخبار
بالبعث

أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وما لها من فروج أفلم ينظروا حين كفروا بالبعث
إلى آثار قدرة الله عز وجل في خلق العالم بنيناها ورفعناها بغير عمد من فروج من فتوق يعني أنها ملساء
سليمة من العيوب لا فتق فيها ولا صدع ولا خلل كقوله عز وعلا هل ترى من فطور والأرض مددناها
وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب مددناها
دحوناها ورواسي جبالا ثوابت لولا هي لتكفأت ومن كل زوج من كل صنف بهيج يبتهج به لحسنه تبصرة
وذكرى لنبصر به ونذكر كل عبد منيب راجع إلى ربه مفكر في بدائع خلقه وقرئ تبصرة وذكرى
أي خلقها تبصرة ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها
طلع نضيد رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج ماء مباركا كثير المنافع وحب
الحصيد وحب الزرع الذي من شأنه أن يحصد وهو ما يقتات به من نحو الحنطة والشعير وغيرهما
باسقات طوالا في السماء وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم باصقات بإبدال السين صادا لأجل القاف
نضيد منضود بعضه فوق بعض إما أن يراد كثرة الطلع وتراكمه أو كثرة ما فيه من الثمر رزقا
على أنبتناها رزقا لأن الإنبات في معنى الرزق أو على أنه مفعول له أي أنبتناها لنرزقهم كذلك الخروج
كما حييت هذه البلدة الميتة كذلك تخرجون أحياء بعد موتكم والكاف في محل الرفع على الابتداء
كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط وأصحاب
الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد أراد بفرعون قومه لقوله تعالى من فرعون
وملائهم لأن المعطوف عليه قوم نوح والمعطوفات جماعات كل يجوز أن يراد به كل واحد منهم
وأن يراد جميعهم إلا أنه وحد الضمير الراجع إليه على اللفظ دون المعنى فحق وعيد فوجب
وحل وعيدي وهو كلمة العذاب وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم أفعيينا
بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد عيي بالأمر إذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للإنكار والمعنى
أنا لم نعجز كما علموا عن الخلق الأول حتى نعجز عن الثاني ثم قال هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الأول
واعترافهم بذلك في طيه الاعتراف بالقدرة على الإعادة بل هم في لبس أي في خلط وشبهة قد لبس عليهم
الشيطان وحيرهم ومنه قول علي رضي الله عنه يا حار إنه لملبوس عليك اعرف الحق تعرف أهله
ولبس الشيطان عليهم تسويله إليهم أن إحياء الموتى أمر خارج عن العادة فتركوا لذلك القياس الصحيح
أن من قدر على الإنشاء كان على الإعادة أقدر فإن قلت لم نكر الخلق الجديد وهلا عرف كما عرف
الخلق الأول قلت قصد في تنكيره إلى خلق جديد له شأن عظيم وحال شديدة حق من سمع به أن
يهتم به ويخاف ويبحث عنه ولا يقعد على لبس في مثله ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به
نفسه الوسوسة الصوت الخفي ومنها وسواس الحلي ووسوسة النفس ما يخطر ببال الإنسان ويهجس
في ضميره من حديث النفس والباء مثلها في قولك صوت بكذا وهمس به ويجوز أن يكون للتعدية والضمير
للإنسان أي ما تجعله موسوسا وما مصدرية لأنهم يقولون حدث نفسه بكذا كما يقول حدثته به نفسه
قال وأكذب النفس إذا حدثتها ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ونحن أقرب إليه مجاز والمراد قرب
علمه منه وأنه يتعلق بمعلومه منه ومن أحواله تعلقا لا يخفى عليه شيء من خفياته فكأن ذاته تعالى قريبة منه

كما قال الله تعالى

بلغ مقابلة

كما يقال الله تعالى في كل مكان وقد جل عن الامكنة وحبل الوريد مثل في فرط القرب كقولهم هو مني مقعد القابلة ومعقد
الازار قال ذو الرمة والموت ادنى لي من الوريد والحبل العرق شبه بواحد الحبال الا ترى الى قوله كان
وريديه رشا الخلب والوريدان عرقان مكتنفان لصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الراس اليه
وقيل سمي وريدا لان الروح ترده فان قلت ما وجه اضافة الحبل الى الوريد والشي لا يضاف الى نفسه قلت
فيه وجهان احدهما ان تكون الاضافة للبيان كقولهم بعير سانية والثاني ان يراد حبل العاتق فيضاف الى الوريد
كما يضاف الى العاتق لاجتماعهما في عضو واحد كما لو قيل حبل العلباء مثلا اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال
قعيد اذ منصوب باقرب وساغ ذلك لان المعاني تعمل في الظرف متقدمة ومتاخرة والمعنى انه لطيف يتوصل علمه الى خطرات
النفس وما لا شي اخفى منه وهو اقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى الحفيظان ما يتلفظ به ايذانا بان استحفاظ
الملكين امر هو غني عنه وكيف لا يستغني عنه وهو مطلع على اخفى الخفيات وانما ذلك لحكمة اقتضت ذلك وهي
ما في كتبة الملكين وحفظهما وعرض صحايف العمل يوم يقوم الاشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه باحاطة الله عز وجل بعمله
من زيادة لطف له في الانتهاء عن السيات والرغبة في الحسنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان مقعد ملكيك
على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وانت تجري فيما لا يعنيك لا تستحي من الله ولا منهما ويجوز ان
يكون تلقي الملكين بيانا للقرب يعني ونحن قريبون منه مطلعون على اعماله مهيمنون عليه اذ حفظتنا وكتبتنا
موكلون به والتلقي التلقن بالحفظ والكتبة والقعيد المقاعد كالجليس بمعنى المجالس وتقديره عن اليمين قعيد
وعن الشمال قعيد من المتلقيين فترك احدهما لدلالة الثاني عليه كقوله كنت منه والدي بريا ما يلفظ
من قول الا لديه رقيب عتيد رقيب ملك يرقب عمله عتيد حاضر واختلف فيما يكتب الملكان فقيل يكتبان
كل شي حتى انينه في مرضه وقيل ما يكتبان الا ما يوجر عليه او يوزر به ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم
كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيات على يسار الرجل وكاتب الحسنات امين على كاتب السيات
فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع
ساعات لعله ان يسبح او يستغفر وقيل ان الملائكة يجتنبون الانسان عند غايطه وعند جماعه وقرئ
ما يلفظ على البنا للمفعول وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد لما ذكر انكارهم البعث
واحتج عليهم بوصف قدرته وعلمه اعلمهم ان ما انكروه وجحدوه هم لاقوه عن قريب عند موتهم وعند
قيامهم الساعة ونبه على اقتراب ذلك بان عبر عنه بلفظ الماضي وهو قوله تعالى وجاءت سكرة الموت
بالحق ونفخ في الصور وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والبا في بالحق للتعدية يعني واحضرت
سكرة الموت حقيقة الامر الذي انطق الله به كتبه وبعث به رسله او حقيقة الامر وجلية الحال
من سعادة الميت وشقاوته وقيل الحق الذي خلق الانسان من ان كل نفس ذايقة الموت ويجوز ان
تكون البا مثلها في قوله تعالى تنبت بالدهن اي جاءت ملتبسة بالحق اي بحقيقة الامر او بالحكمة والغرض
الصحيح كقوله تعالى خلق السموات والارض بالحق وقرا ابو بكر وابن مسعود رضي الله عنهما سكرة الحق
بالموت على اضافة السكرة التي كتبت على الانسان واوجبت له وانها حكمة والبا للتعدية لانها سبب زهوق
الروح لشدتها او لان الموت يعقبها فكانها جاءت به ويجوز ان يكون المعنى جاءت ومعها الموت وقيل سكرة الحق
سكرة الله اضيفت اليه تفظيعا لشانها وتهويلا وقرئ سكرات الموت ذلك اشارة الى الموت والخطاب للانسان

في قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان على طريق الالتفات او الى الحق والخطاب للفاجر [illegible] وعن بعضهم انه
سأل زيد بن اسلم عن ذلك فقال الخطاب لرسول الله عليه السلام فحكاه لصالح بن كيسان فقال والله ما سن عالية
ولا لسان فصيح ولا معرفة بكلام العرب هو للكافر ثم حكاهما للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس رضوان
الله عليهم فقال اخالفهما جميعا هو للبر والفاجر ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق
وشهيد ذلك يوم الوعيد على تقدير حذف المضاف اي وقت ذلك الوعيد والاشارة الى مصدر نفخ وسائق
وشهيد ملكان احدهما يسوقه الى المحشر والاخر يشهد عليه بعمله او ملك واحد جامع بين الامرين كانه قيل معها ملك
يسوقه ويشهد عليه ومحل معها سائق النصب على الحال من كل لتعرفه بالاضافة الى ما هو في حكم المعرفة لقد
كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وقرئ لقد كنت عنك غطاءك فبصرك
بالكسر على خطاب النفس اي يقال لها لقد كنت جعلت الغفلة كانها غطاء غطي به جسدك كله او غشاوة غطى بها
عينيه فهو لا يبصر شيئا فاذا كان يوم القيامة تيقظ وزالت عنه الغفلة وغطاؤها فيبصر ما لم يبصره من الحق
ورجع بصره الكليل عن الابصار لغفلته حديدا لتيقظه وقال قرينه هذا ما لدي عتيد القيا في جهنم كل
كفار عنيد مناع للخير معتد مريب وقال قرينه هو الشيطان الذي قيض له في قوله تعالى نقيض له شيطانا
فهو له قرين يشهد له قوله قال قرينه ربنا ما اطغيته هذا ما لدي وفي ملكتي عتيد لجهنم والمعنى ان ملكا يسوقه
واخر يشهد عليه وشيطانا مقرونا به يقول قد اعتدته لجهنم وهيأته لها باغوائي واضلالي فان قلت
كيف اعراب هذا الكلام قلت ان جعلت ما موصوفة فعتيد صفة لها وان جعلتها موصولة فهو بدل او خبر
بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف والقيا خطاب من الله للملكين السائقين السائق بدله والشهيد ويجوز ان يكون
خطابا للواحد على وجهين احدهما قول المبرد ان تثنية الفاعل نزلت منزلة تثنية الفعل لاتحادهما كانه قيل الق
الق للتاكيد والثاني ان العرب اكثر ما يرافق الرجل منهم اثنين فكثر على السنتهم ان يقولوا خليلي وصاحبي وقفا
واسعدا حتى خاطبوا الواحد خطاب الاثنين عن الحجاج انه كان يقول يا حرسي اضربا عنقه وقرأ الحسن القين
بالنون الخفيفة ويجوز ان تكون الالف في القيا بدلا من النون اجراء للوصل مجرى الوقف وعنيد معاند مجانب
للحق معاد لاهله ومناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه جعل ذلك عادة له لا يبذل منه شيئا قط او مناع
لجنس الخير ان يصل الى اهله يحول بينه وبينهم قيل نزلت في الوليد بن المغيرة كان يمنع بني اخيه من الاسلام وكان
يقول من دخل منكم فيه لم انفعه بخير ما عشت ومعتد ظالم متخط للحق ومريب شاك في الله وفي دينه
الذي جعل مع الله الها اخر فالقياه في العذاب الشديد الذي جعل مبتدأ متضمن معنى الشرط ولذلك
اجيب بالفاء ويجوز ان يكون الذي جعل منصوبا بدلا من كل كفار ويكون فالقياه تكريرا للتاكيد قال قرينه
ربنا ما اطغيته ولكن كان في ضلال بعيد فان قلت لم اخليت هذه الجملة من الواو وادخلت على الاولى قلت
لانها استؤنفت كما تستأنف الجمل الواقعة في حكاية التقاول كما رأيت في حكاية المقاولة بين موسى وفرعون فان قلت
فاين التقاول ههنا قلت لما قال قرينه هذا ما لدي عتيد وتبعه قوله قال قرينه ربنا ما اطغيته وتلاه لا تختصموا
لدي علم ان ثم مقاولة من الكافر لكنها طرحت لما يدل عليها كانه قال رب هو اطغاني فقال قرينه ربنا ما اطغيته
واما الجملة الاولى فواجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين
وقول قرينه ما قال له ما اطغيته ما جعلته طاغيا وما اوقعته في الطغيان ولكنه طغى واختار الضلالة على الهدى

كقوله

كقوله تعالى وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي قال لا تختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد
ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد. قال لا تختصموا استيناف مثل قوله قال قرينه كان قائلا قال
فماذا قال الله فقيل قال لا تختصموا في دار الجزاء وموقف الحساب فلا فائدة في اختصامكم ولا طائل تحته وقد اوعدتكم
بعذابي على الطغيان في كتبي وعلى السنة رسلي فما تركت لكم حجة علي. ثم قال لا تطمعوا ان ابدل قولي ووعيدي فاعفيكم
عما اوعدتكم به وما انا بظلام للعبيد. فاعذب من ليس بمستوجب للعذاب. والباء في بالوعيد مزيدة
مثلها في ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او معدية على ان قدم مطاوع بمعنى تقدم. ويجوز ان يقع الفعل على جملة قوله
تعالى ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد ويكون بالوعيد حالا اي قدمت اليكم هذا ملتبسا بالوعيد
مقترنا به. او قدمته اليكم موعدا لكم به. فان قلت ان قوله وقد قدمت واقع موقع الحال من لا
تختصموا والتقديم بالوعيد في الدنيا والخصومة في الاخرة واجتماعهما في زمان واحد واجب قلت معناه لا تختصموا
وقد صح عندكم اني قدمت اليكم بالوعيد وصحة ذلك عندهم في الاخرة فان قلت كيف قال بظلام على
لفظ المبالغة قلت فيه وجهان ان يكون من قولك هو ظالم لعبده. وان يراد لو عذبت من لا يستحق العذاب
لكنت ظلاما مفرط الظلم فنفى ذلك يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد قرئ نقول بالنون واليا
. وعن سعيد بن جبير يوم يقول الله تعالى لجهنم. وعن ابن مسعود والحسن رضي الله عنهما يقال. وانتصاب اليوم
بظلام او بمضمر نحو اذكر وانذر. ويجوز ان ينتصب بنفخ كانه قيل ونفخ في الصور يوم نقول لجهنم. وعلى هذا
يشار بذلك الى يوم نقول ولا يقدر حرف المضاف وسؤال جهنم وجوابها من باب التخييل الذي يقصد به
تصوير المعنى في القلب وتثبيته. وفيه معنيان احدهما انها تمتلئ مع اتساعها وتباعد اطرافها حتى لا يسعها
شيء ولا يزاد على امتلائها كقوله تعالى لاملان جهنم. والثاني انها من السعة بحيث يدخلها وفيها موضع للمزيد ويجوز
ان يكون هل من مزيد استكثارا للداخلين فيها واستبداعا للزيادة عليهم لفرط كثرتهم. او طلبا للزيادة غيظا على العصاة
والمزيد اما مصدر كالمحيد والمميد واما اسم مفعول كالمبيع وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد هذا ما توعدون
لكل اواب حفيظ غير بعيد نصب على الظرف اي مكانا غير بعيد. او على الحال وتذكيره لانه على زنة المصدر كالزئير
والصليل والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث. او على حذف الموصوف اي شيئا غير بعيد ومعناه
التوكيد كما تقول هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل. وقرئ توعدون بالياء والتاء وهي جملة اعتراضية. ولكل
اواب بدل من قوله للمتقين بتكرير الجار كقوله تعالى للذين استضعفوا لمن امن منهم. وهذا اشارة الى
الثواب او الى مصدر ازلفت. والاواب الرجاع الى ذكر الله عز وجل والحفيظ الحافظ لحدوده من خشي
الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود ومن خشي بدل بعد بدل
تابع لكل. ويجوز ان يكون بدلا عن موصوف اواب وحفيظ. ولا يجوز ان يكون في حكم اواب وحفيظ لان
من لا يوصف به ولا يوصف من بين الموصولات الا بالذي وحده. ويجوز ان يكون مبتدأ خبره يقال لهم
ادخلوها بسلام لان من في معنى الجمع. ويجوز ان يكون منادى كقولهم من لا يزال محسنا احسن الي. وحذف
حرف النداء للتقريب وبالغيب حال من المفعول اي خشيه وهو غائب. او خشيه بسبب الغيب لم يعرفه
وكونه معاقبا الا بطريق الاستدلال. او صفة لمصدر خشي اي خشيه خشية ملتبسة بالغيب حيث
خشي عقابه وهو غائب. او خشيه بسبب الغيب الذي وعده به من عذابه. وقيل في الخلوة حيث لا يراه

احد فان قلت كيف قرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة قلت للثناء البليغ على الخاشي وهو
خشيته مع علمه انه الواسع الرحمة كما اثنى عليه بانه خاش مع ان المخشي منه غايب ونحوه والذين يؤتون ما
اتوا وقلوبهم وجلة فوصفهم بالوجل مع كثرة الطاعات ووصف القلب بالانابة وهي الرجوع الى الله لان الاعتبار
بما ثبت منها في القلب يقال لهم ادخلوها بسلام اي سالمين من العذاب وزوال النعم او مسلما عليكم يسلم
عليكم الله وملائكته ذلك يوم الخلود اي يوم تقدير الخلود كقوله تعالى فادخلوها خالدين اي مقدرين الخلود
لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد ولدينا مزيد وهو ما لم يخطر ببالهم ولم تبلغه امانيهم حتى يشاؤه وقيل
ان السحاب تمر باهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذي قال الله تعالى ولدينا مزيد وكم اهلكنا
قبلهم من قرن هم اشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص فنقبوا وقرئ بالتخفيف خرقوا في البلاد
ودوخوا والتنقيب التنقير عن الامور والبحث والطلب قال الحرث بن حلزة نقبوا في البلاد من حذر الموت
وجالوا في الارض كل مجال ودخلت الفاء للتسبيب عن قوله هم اشد منهم بطشا اي شدة بطشهم ابطرتهم واقدرتهم
على التنقيب وقوتهم عليه ويجوز ان يراد فنقب اهل مكة في اسفارهم ومسايرهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا
حتى يؤملوا مثله لانفسهم والدليل على صحته قراءة من قرأ فنقبوا على الامر كقوله تعالى فسيحوا في الارض وقرئ
بكسر القاف مخففة من النقب وهو ان ينتقب خف البعير قال ما مسها من نقب ولا دبر والمعنى
فنقبت اخفاف ابلهم او حفيت اقدامهم ونقبت كما تنقب اخفاف الابل لكثرة طوفهم في البلاد هل من محيص
من الله او من الموت ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد لمن كان له قلب اي قلب
واع لان من لا يعي قلبه فكانه لا قلب له او القى السمع اي اصغى وهو شهيد اي حاضر بفطنته لان من لا يحضر
ذهنه فكانه غايب الا وقد ملح الامام عبد القاهر في قوله لبعض من ياخذ عنه ما شئت من زهزهة
والمعنى مصفلا ياذا لسقي الزروع او وهو مؤمن شاهد على صحته وانه وحي من الله تعالى او وهو بعض الشهداء في
قوله جلا وعز لتكونوا شهداء على الناس وعن قتادة وهو شاهد على صدقه من اهل الكتاب لوجود نعته عنده
وقرأ السدي وجماعة القي السمع على البناء للمفعول ومعناه لمن القي غيره السمع وفتح له اذنه فحسب ولم يحضر ذهنه
وهو حاضر الذهن متفطن وقيل القي سمعه او السمع منه ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في
ستة ايام وما مسنا من لغوب اللغوب الاعياء وقرئ بالفتح بزنة القبول والولوع قيل نزلت في اليهود تكذيبا
لقولهم خلق الله السموات والارض في ستة ايام اولها الاحد واخرها الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى
على العرش وقالوا ان الذي وقع من التشبيه في هذه الامة انما وقع من اليهود لعنهم الله ومنهم اخذ فاصبر
على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود فاصبر
على ما يقول اليهود ويأتون به من الكفر والتشبيه وقيل فاصبر على ما يقول المشركون من انكارهم البعث
فان من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منهم وقيل هي منسوخة باية السيف وقيل الصبر مأمور
به في كل حال وبحمد ربك حامدا ربك والتسبيح محمول على ظاهره او على الصلوة فالصلاة قبل طلوع الشمس الفجر
وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاآن وقيل التهجد وادبار السجود التسبيح في اثار الصلوات
والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلوة وقيل النوافل بعد المكتوبات وعن علي رضي الله عنه الركعتان بعد
المغرب روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى بعد المغرب قبل ان يتكلم كتبت صلوته في عليين وعن ابن

عباس

عباس رضي الله عنهما الوتر بعد العشاء. والادبار جمع دبر وقرئ وادبار من ادبرت الصلوة اذا انقضت وتمت
ومعناه وقت انقضاء السجود كقولهم اتيك خفوق النجم واستمع يوم يناد المنادي من مكان قريب يوم يسمعون
الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج انا نحن نحيي ونميت والينا المصير واستمع يعني واستمع لما اخبرك به من حال
يوم القيمة وفي ذلك تهويل وتعظيم لشان المخبر به والمحدث عنه كما يروى عن النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم
انه قال سبعة ايام لمعاذ بن جبل رضي الله عنه يا معاذ اسمع ما اقول لك ثم حدثه بعد ذلك فان قلت
بم انتصب اليوم قلت بما دل عليه ذلك يوم الخروج اي يوم ينادي المنادي يخرجون من القبور. ويوم
يسمعون بدل من يوم ينادي والمنادي اسرافيل ينفخ في الصور وينادي ايتها العظام البالية. والاوصال المتقطعة
واللحوم المتمزقة. والشعور المتفرقة. ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضاء. وقيل اسرافيل ينفخ وجبرائيل ينادي بالحشر
من مكان قريب من صخرة بيت المقدس وهي اقرب الارض من السماء باثني عشر ميلا وهي وسط الارض وقيل من تحت
اقدامهم. وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة. ايتها العظام البالية. والصيحة النفخة الثانية بالحق متعلق
بالصيحة والمراد به البعث والحشر للجزاء. يوم تشقق الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير نحن اعلم بما
يقولون وما انت عليهم بجبار فذكر بالقران من يخاف وعيد قرئ تشقق وتشقق بادغام التاء في الشين
وتشقق على البناء للمفعول وتنشق. سراعا حال من المجرور. علينا يسير تقديم الظرف يدل على الاختصاص يعني
لا يتيسر مثل ذلك الامر العظيم الا على القادر الذات الذي لا يشغله شان عن شان كما قال الله سبحانه وتعالى ما خلقكم
ولا بعثكم الا كنفس واحدة نحن اعلم بما يقولون تهديد لهم وتسلية لرسول الله عليه السلام بجبار كقوله بمسيطر
حتى تقسرهم على الايمان انما انت داع وباعث. وقيل اريد التحلم عنهم وترك الغلظة عليهم. ويجوز ان يكون
من جبره على الامر بمعنى اجبره اي ما انت بوال عليهم تجبرهم على الايمان وعلى بمنزلته في قولك هو عليهم اذا كان واليهم
ومالك امرهم من يخاف وعيد كقوله تعالى انما انت منذر من يخشاها لانه لا ينفع الا فيه دون المصر على الكفر
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته.

سورة الذاريات مكية | بسم الله الرحمن الرحيم | وهي ستون اية

والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا فالمقسمات امرا انما توعدون لصادق وان الدين
لواقع. الذاريات الرياح لانها تذرو التراب وغيره. قال الله عز وجل تذروه الرياح وقرئ بادغام التاء في
الذال. والحاملات وقرا السحاب لانها تحمل المطر. وقرئ وقرا بفتح الواو على تسمية المحمول بالمصدر او على
ايقاعه موقع حملا. والجاريات يسرا الفلك ومعنى يسرا جريا ذا يسر اي ذا سهولة. والمقسمات امرا الملائكة
لانها تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او تفعل التقسيم مامورة بذلك وعن مجاهد تتولى
تقسيم امر العباد جبريل عليه السلام للغلظة. وميكائيل عليه السلام للرحمة. وملك الموت لقبض الارواح
واسرافيل للنفخ. وعن علي رضي الله عنه انه قال وهو على المنبر. سلوني قبل ان لا تسالوني ولن تسالوا بعدي
مثلي فقام ابن الكواء فقال ما الذاريات قال الرياح قال فالحاملات وقرا قال السحاب قال فالجاريات
يسرا قال الفلك قال فالمقسمات امرا قال الملائكة. وكذا عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن الحسن رحمه الله

عليه المقسمات السحاب يقسم بها ارزاق العباد وقد حملت على الكواكب السبعة ويجوز ان يراد الرياح لا غير لانها تنشئ
السحاب وتقله وتصرفه وتجري في الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف الرياح فان قلت ما معنى الفاء على
التفسيرين قلت اما على الاول فمعنى التعقيب فيها انه اقسم بالرياح فبالسحاب الذي يسوقه فبالفلك
التي تجريها بهبوبها فبالملائكة التي تقسم الارزاق باذن الله من الامطار وتجارات البحر ومنافعها واما على الثاني
فلانها تبتدي بالهبوب فتذرو التراب والحصبا فتقل السحاب فتجري في الجو باسطة له فتقسم المطر انما
توعدون جواب القسم وما موصولة او مصدرية والموعود البعث ووعد صادق كعيشة راضية والدين الجزاء
والواقع الحاصل والسماء ذات الحبك انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من افك والحبك الطرائق مثل
حبك الرمل اذا ضربته الريح وكذلك حبك الشعر اثار تثنيه وتكسره قال زهير مكلل باصول النجم تنسجه
ريح خريق لضاحي مائه حبك والدرع محبوكة لان حلقها مطرق طرائق ويقال ان خلقة السماء كذلك وعن الحسن رحمه
الله عليه حبكها نجومها والمعنى انها تزينها كما تزين الموشي طرائق الوشي وقيل حبكها صفاقتها واحكامها من قولهم فرس
محبوك المعاقم اي محكمها واذا اجاد الحائك الحياكة قالوا ما احسن حبكه وهو جمع حباك كمثال ومثل او حبيكة
كطريقة وطرق وقرئ الحبك بوزن القفل والحبك بوزن السلك والحبك بوزن الجبل والحبك بوزن البرق
والحبك بوزن النعم والحبك بوزن الابل لفي قول مختلف قولهم في الرسول ساحر وشاعر ومجنون وفي القران
سحر وشعر واساطير الاولين وعن الضحاك قول الكفرة لا يكون مستويا انما هو متناقض مختلف وعن قتادة
منكم مصدق ومكذب ومقر ومنكر يؤفك عنه الضمير للقران او للرسول اي يصرف عنه من صرف الصرف الذي
لا صرف اشد منه واعظم كقوله لا يهلك على الله الا هالك وقيل يصرف عنه من صرف في سابق علم الله اي
علم فيما لم يزل انه مافوك عن الحق لا يرعوي ويجوز ان يكون الضمير لما توعدون او للدين اقسم بالذاريات
على ان وقوع امر القيامة حق ثم اقسم بالسما على انهم في قول مختلف في وقوعه فمنهم شاك ومنهم
جاحد ثم قال يؤفك عن الاقرار بامر القيامة حق ثم اقسم بالسما على انه في قول مختلف في وقوعه ومنهم شاك
من هو المافوك ووجه اخر وهو ان يرجع الضمير الى قول مختلف وعن مثله في قوله ينهون عن اكل وعن شرب
اي يتناهون في السمن بسبب عن الاكل وعن الشرب وحقيقته يصدر تناهيهم في السمن عنهما وكذلك يصدر افكهم
عن القول المختلف وقرا سعيد بن جبير رضي الله عنه يؤفك عنه من افك على البنا اي من افك الناس عنه وهم قريش
وذلك ان الحي كانوا يبعثون الرجل ذا العقل والراي يسال عن رسول الله عليه السلام فيقولون احذره فيرجع
فيخبرهم وعن زيد بن علي رضي الله عنهما يافك عنه من افك يصرف الناس عنه من هو مافوك في نفسه
وعنه ايضا يافك عنه من افك اي يصرف الناس عنه من هو افاك كذاب وقرئ يؤفن عنه من افن اي يحرمه
من حرم من افن الضرع اذا انهكه حلبا قتل الخراصون الذين هم في غمرة ساهون يسالون ايان يوم الدين
يوم هم على النار يفتنون قتل الخراصون دعا عليهم كقوله تعالى قتل الانسان ما اكفره واصله الدعا
بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن وقبح والخراصون الكذابون المقدرون ما لا يصح وهم اصحاب القول
المختلف واللام اشارة اليهم كانه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرئ قتل الخراصين اي قتل الله في غمرة في
جهل يغمرهم ساهون غافلون عما امروا به يسالون فيقولون ايان يوم الدين اي متى يوم الجزاء وقرئ بكسر
الهمزة وهي لغة فان قلت كيف وقع ايان ظرفا لليوم وانما تقع الاحيان ظروفا للحدثان قلت

معناه

معناه ايان وقوع يوم الدين فان قلت بم انتصب اليوم الواقع في الجواب قلت بفعل مضمر دل عليه السوال
اي يقع يوم هم على النار يفتنون. ويجوز ان يكون مفتوحا لاضافته الى غير متمكن وهو الجملة فان قلت فما محله مفتوحا
قلت يجوز ان يكون محله نصبا بالمضمر الذي هو يقع ورفعا على هو يوم هم على النار يفتنون. وقراه ابن ابي
عبلة بالرفع يفتنون يحرقون ويعذبون ومنه الفتين وهو الحرة لان حجارتها كانها محرقة ذوقوا
فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون ذوقوا فتنتكم في محل الحال اي مقولا لهم هذا القول هذا مبتدا
والذي خبره اي هذا العذاب هو الذي كنتم به تستعجلون. ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم اي ذوقوا
هذا العذاب ان المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين آخذين ما
آتاهم ربهم قابلين لكل ما اعطاهم راضين به يعني انه ليس فيما آتاهم الا ما هو متلقى بالقبول مرضي غير مسخوط
لان جميعه حسن طيب ومنه قوله تعالى ويأخذ الصدقات اي يقبلها ويرضاها محسنين قد احسنوا
اعمالهم وتفسير احسانهم ما بعده كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وفي اموالهم
حق للسائل والمحروم ما مزيدة. والمعنى كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل ان جعلت قليلا ظرفا ولك ان تجعله
صفة للمصدر اي كانوا يهجعون هجوعا قليلا. ويجوز ان تكون ما مصدرية. او موصولة على كانوا قليلا من
الليل هجوعهم. او ما يهجعون فيه وارتفاعه بقليلا وفيه مبالغات لفظ الهجوع وهو الغرار من النوم قال
: قد حصت البيضة راسي فما اطعم نوما غير تهجاع :
وقوله قليلا ومن الليل لان الليل وقت السبات والراحة وزيادة ما المؤكدة لذلك وصفهم بانهم يحيون الليل
متهجدين فاذا اسحروا اخذوا في الاستغفار كانهم اسلفوا في ليلهم الجرائم وقوله هم يستغفرون فيه انهم هم
المستغفرون الاحقاء بالاستغفار دون المصرين فكانهم المختصون به لاستدامتهم له واطنابهم فيه فان
قلت هل يجوز ان تكون ما نافية كما قال بعضهم وان يكون المعنى انهم لا يهجعون من الليل قليلا ويحيونه كله
قلت لا لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها تقول زيدا لم اضرب ولا تقول زيدا ما ضربت. السائل
الذي يستجدي. والمحروم الذي يحسب غنيا فيحرم الصدقة لتعففه وعن النبي صلى الله عليه وسلم ليس المسكين
الذي ترده الاكلة والاكلتان والتمرة والتمرتان قالوا فما هو قال الذي لا يجد ولا يتصدق عليه وقيل الذي لا ينمى له مال
وقيل المحارف الذي لا يكاد يكسب وفي الارض آيات للموقنين وفي الارض آيات تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره
حيث هي مدحوة كالبساط لما فوقها كما قال تعالى الذي جعل لكم الارض مهادا وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين فيها
والماشين في مناكبها وهي مجزاة فمن سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات من صلبة ورخوة وعذاة وسبخة
وهي كالطروقة تلقح بالوان النبات وانواع الاشجار بالثمار المختلفة الالوان والطعوم والروائح تسقى بماء واحد
وتفضل بعضها على بعض في الاكل وكلها موافقة لحوائج ساكنيها ومنافعهم ومصالحهم في صحتهم واعتلالهم وما فيها
من العيون المتفجرة والمعادن المفتنة والدواب المنبثة في برها وبحرها المختلفة الصور والاشكال والافعال
من الوحشي والانسي والهوام وغير ذلك للموقنين الموحدين الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل
الى المعرفة فهم نظارون بعيون باصرة وافهام نافذة كلما راوا آية عرفوا وجه تاملها فازدادوا ايمانا
مع ايمانهم وايقانا الى ايقانهم وفي انفسكم افلا تبصرون وفي انفسكم في حال ابتدائها وتنقلها من حال الى حال وفي
بواطنها وظواهرها من عجائب الفطر وبدائع الخلق ما تتحير فيه الاذهان وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من

العقول وخصت به اصناف المعاني وبالالسن والنطق ومخارج الحروف وما في تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات
الساطعة والبينات القاطعة على حكمة المدبر وبدع الاسماع والابصار والاطراف وسائر الجوارح وتأتيها لما خلقت له
وما سوى في الاعضاء من المفاصل للانعطاف والتثني فانه اذا جسا شيء منها جاء العجز واذا استرخى اناخ الذل فتبارك
الله احسن الخالقين وفي السماء رزقكم وما توعدون رزقكم هو المطر لانه سبب الاقوات وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه
هو الثلج وكل عين دائمة منه وعن الحسن انه كان اذا راى السحاب قال لاصحابه فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه
بخطاياكم وما توعدون الجنة هي على ظهر السماء السابعة تحت العرش واراد ان ما ترزقونه في الدنيا وما توعدون به
في العقبى كله مقدر مكتوب في السماء فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون قرئ مثل ما بالرفع صفة للحق
اي حق مثل نطقكم وبالنصب على انه لحق حقا مثل نطقكم ويجوز ان يكون فتحا لاضافته الى غير متمكن وما مزيدة
بنص الخليل وهذا كقول الناس ان هذا لحق كما انك ترى وتسمع ومثل ما انك هاهنا وهذا الضمير اشارة الى ما ذكر
من امر الآيات والرزق وامر النبي عليه السلام او الى ما توعدون وعن الاصمعي اقبلت من جامع البصرة فطلع
اعرابي على قعود له فقال من الرجل قلت من بني اصمع قال من اين اقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن فقال اتل علي
فتلوت والذاريات فلما بلغت قوله وفي السماء رزقكم قال حسبك فقام الى ناقته فنحرها ووزعها على من اقبل وادبر
وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت اطوف فاذا انا بمن يهتف بي بصوت دقيق فالتفت
فاذا انا بالاعرابي قد نحل واصفر فسلم علي واستقرا السورة فلما بلغت الآية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا
ثم قال وهل غير هذا فقرات فورب السماء والارض انه لحق فصاح وقال يا سبحان الله من ذا الذي اغضب الجليل حتى
حلف لم يصدقوه بقوله حتى الجأوه الى اليمين قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه هل اتاك حديث ضيف ابراهيم
المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون هل اتاك تفخيم للحديث وتنبيه
على انه ليس من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما عرفه بالوحي و والضيف للواحد والجماعة كالزور والصوم
لانه في الاصل مصدر ضافه وكانوا اثني عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل عليه السلام وقيل ثلاثة جبريل
وميكائيل عليهما السلام وملك معهما وجعلهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف حيث اضافهم ابراهيم صلوات
الله عليه او لانهم كانوا في حسبانه كذلك واكرامهم ان ابراهيم عليه السلام خدمهم بنفسه واخدمهم امراته
وعجل لهم القرى او انهم في انفسهم مكرمون قال الله تعالى بل عباد مكرمون و اذ دخلوا نصب بالمكرمين اذا فسر
باكرام ابراهيم عليه السلام والا فبما في ضيف من معنى الفعل او باضمار اذكر سلاما مصدر ساد مسد الفعل مستغنى
عنه واصله نسلم عليكم سلاما واما سلام فمعدول به الى الرفع على الابتداء وخبره محذوف معناه عليكم
سلام للدلالة على ثبات السلام كانه قصد ان يحييهم باحسن مما حيوه به اخذا بادب الله عز وجل وهذا ايضا
من اكرامه لهم وقرئا مرفوعين وقرئ سلاما قال سلما والسلم السلام وقرئ سلاما قال سلم و قوم منكرون
انكرهم للسلام الذي هو علم الاسلام او اراد انهم ليسوا من معارفه او من جنس الناس الذين عهدهم كما لو ابصر
العرب قوما من الخزر او راى لهم حالا وشكلا خلاف حال الناس وشكلهم او كان هذا سؤالا لهم كانه قال انتم
قوم منكرون فعرفوني من انتم فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال الا تاكلون فراغ الى اهله
فذهب اليهم في خفية من ضيوفه ومن ادب المضيف ان يخفي امره وان يباده بالقرى من غير ان يشعر به
الضيف حذرا من ان يكفه ويعذره قال قتادة كان عامة مال نبي الله ابراهيم عليه السلام البقر و فجاء بعجل

سمين

سمين والهمزة في الا تاكلون للانكار انكر عليهم ترك الاكل وحثهم عليه فاوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه
بغلام عليم فاوجس فاضمر وانما خافهم لانهم لم يتحرموا بطعامه فظن انهم يريدون به سوءا وعن ابن عباس رضي
الله عنهما وقع في نفسه انهم ملايكة ارسلوا للعذاب وعن عون بن شداد مسح جبريل عليه السلام العجل بجناحه
فقام يدرج حتى لحق بامه • وبغلام عليم اي يبلغ ويعلم • وعن الحسن عليم نبي والمبشر به اسحاق عليه السلام
وهو اكثر الاقاويل واصحها لان الصفة صفة سارة لا هاجر وهي امراة ابراهيم عليه السلام وهو بعلها • وعن مجاهد
هو اسمعيل عليه السلام فاقبلت امراته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم في صرة في صيحة من صر
الجندب وصر القلم والباب ومحله النصب على الحال اي فجاءت صارة قال الحسن رحمة الله عليه اقبلت الى
بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم لانها وجدت حرارة الدم فلطمت وجهها من الحيا • وقيل فاخذت في صرة
كما تقول اقبل يشتمني • وقيل صرتها قولها اوه • وقيل يا ويلتا • وعن عكرمة رنتها • فصكت فلطمت ببسط يديها
وقيل فضربت باطراف اصابعها جبهتها فعل المتعجب • وعجوز انا عجوز فكيف الد قالوا كذلك قال ربك انه
هو الحكيم العليم كذلك مثل ذلك الذي قلنا واخبرنا به قال ربك اي انما نخبرك عن الله عز وجل والله قادر
على ما تستبعدين • وروي ان جبريل عليه السلام قال لها انظري الى سقف بيتك • فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة
قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة
عند ربك للمسرفين لما علم انهم ملايكة وانهم لا ينزلون الا باذن الله رسلا في بعض الامور • قال فما خطبكم اي فما
شانكم وما طلبتكم • الى قوم مجرمين الى قوم لوط • حجارة من طين يريد السجيل • وهي طين طبخ كما يطبخ الاجر حتى صار في
صلابة الحجارة • مسومة معلمة من السومة وهي العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك به • وقيل اعلمت انها
من حجارة العذاب • وقيل بعلامة تدل انها ليست من حجارة الدنيا • سماهم مسرفين كما سماهم عادين لاسرافهم
وعدوانهم في عملهم حيث لم يقتنعوا بما ابيح لهم فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت
من المسلمين وتركنا فيها اية للذين يخافون العذاب الاليم الضمير في فيها للقرية • ولم يجر لها ذكر لكونها معلومة •
وفيه دليل على ان الايمان والاسلام واحد وانهما صفتا مدح • قيل هم لوط عليه السلام وابنتاه • وقيل كان لوط
واهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر • وعن قتادة لو كان فيها اكثر من ذلك لانجاهم ليعلموا ان الايمان محفوظ
لا ضيعة على اهله عند الله تعالى اية علامة يعتبر بها الخائفون دون القاسية قلوبهم • قال ابن جريج
هي صخر منضود فيها • وقيل ماء اسود منتن وفي موسى اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين فتولى
بركنه وقال ساحر او مجنون وفي موسى عطف على وفي الارض ايات • او على قوله تعالى وتركنا فيها اية
على معنى وجعلنا في موسى اية كقوله علفتها تبنا وماء باردا • فتولى بركنه فازور واعرض كقوله تعالى ونا
بجانبه • وقيل فتولى بما كان يتقوى به من جنوده وملكه • وقرئ بركنه بضم الكاف • وقال ساحر اي هو ساحر
فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم اتى بما يلام عليه من كفره وعناده • والجملة مع الواو
حال من الضمير في فاخذناه • فان قلت كيف وصف نبي الله يونس عليه السلام بما وصف به فرعون
في قوله تعالى فالتقمه الحوت وهو مليم • قلت موجبات اللوم تختلف وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير
اللوم فراكب الكبيرة ملوم على مقدارها • وكذلك مقترف الصغيرة الا ترى الى قوله وعصوا رسله • وعصى
ادم ربه فغوى لان الكبيرة والصغيرة يجمعهما اسم العصيان كما يجمعهما اسم القبيح والسيئة وفي عاد اذ ارسلنا

عليهم الريح العقيم ما تذر من شي أتت عليه الا جعلته كالرميم العقيم التي لا خير فيها من انشاء مطر او القاح شجر
وهي ريح الهلاك واختلف فيها فعن علي رضي الله عنه النكبا وعن ابن عباس رضي الله عنهما الدبور وعن ابن المسيب
رضي الله عنه الجنوب والرميم كل ما رم اي بلي وتفتت من عظم او نبات او غير ذلك وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى
حين فعتوا عن امر ربهم فاخذتهم الصاعقة وهم ينظرون فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين
حتى حين تفسيره قوله تعالى تمتعوا في داركم ثلاثة ايام وعتوا عن امر ربهم فاستكبروا عن امتثاله وقرئ الصعقة وهي
المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة والصاعقة النازلة نفسها وهم ينظرون كانت نهارا يعاينونها وروي ان العمالقة
كانوا معهم في الوادي ينظرون اليهم وما ضرتهم فما استطاعوا من قيام كقوله تعالى فاصبحوا في ديارهم جاثمين وقيل هو
من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه وما كانوا منتصرين ممتنعين من العذاب وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين
وقوم قرئ بالجر على معنى وفي قوم نوح وتقويه قراءة عبد الله وفي قوم نوح وبالنصب على معنى واهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل
عليه او واذكر قوم نوح والسما بنيناها بايد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون ومن كل شي
خلقنا زوجين لعلكم تذكرون بايد بقوة والايد والآد القوة وقد آد يئيد وهو ايد وانا لموسعون لقادرون
من الوسع وهو الطاقة والموسع القوي على الانفاق وعن الحسن رحمه الله عليه لموسعون الرزق بالمطر
وقيل جعلنا بينها وبين الارض سعة فنعم الماهدون فنعم الماهدون نحن ومن كل شي اي من كل شي من الحيوان خلقنا
زوجين ذكرا وانثى وعن الحسن رحمه الله عليه السما والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبحر والبر والموت والحيا
فعدد اشيا وقال كل اثنين منها زوج والله تعالى فرد لا مثل له لعلكم تذكرون اي فعلنا ذلك كله من بناء
السما وفرش الارض وخلق الازواج ارادة ان تتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه ففروا الى الله اني لكم منه نذير
مبين ولا تجعلوا مع الله الها آخر اني لكم منه نذير مبين ففروا الى الله الى طاعته وثوابه من معصيته وعقابه
ووحدوه ولا تشركوا به وكرر قوله اني لكم منه نذير مبين عند الامر بالطاعة والنهي عن الشرك ليعلم ان الايمان
لا ينفع الا مع العمل كما ان العمل لا ينفع الا مع الايمان وانه لا يفوز عند الله الا الجامع بينهما الا ترى الى قوله لا ينفع
نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا والمعنى قل يا محمد ففروا الى الله كذلك ما أتى الذين
من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون كذلك الامر مثل
ذلك وذلك اشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرا ومجنونا ثم فسر ما اجمل بقوله ما أتى ولا يصح ان يكون الكاف
منصوبة بأتى لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها ولو قيل لم يأت لكان صحيحا على معنى مثل ذلك الاتيان
لم يأت من قبلهم رسول الا قالوا أتواصوا به الضمير للقول يعني اتواصى الاولون والآخرون بهذا القول
حتى قالوه جميعا متفقين عليه بل هم قوم طاغون اي لم يتواصوا به لانهم لم يتلاقوا في زمان واحد بل
جمعتهم العلة الواحدة وهي الطغيان والطغيان هو الحامل عليه فتول عنهم فما انت بملوم وذكر فان
الذكرى تنفع المؤمنين فتول عنهم فاعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا وعرفت منهم العناد
واللجاج فلا لوم عليك في اعراضك بعدما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك في البلاغ والدعوة ولا تدع
التذكير والموعظة بايام الله فان الذكرى تنفع المؤمنين اي تؤثر في الذين علم الله تعالى منهم انهم يدخلون
في الايمان او يزيد الداخلين فيه ايمانا وروي انه لما نزل فتول عنهم حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم
واشتد ذلك على اصحابه رضوان الله عليهم اجمعين وراوا ان الوحي قد انقطع وان العذاب قد حضر فانزل الله عز

وجل

وجل فذكر وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي وما خلقت الجن والانس الا لاجل العبادة ولم ارد من
جميعهم الا اياها فان قلت لو كان مريدا للعبادة منهم لكانوا كلهم عبادا قلت انما اراد منهم ان يعبدوه
مختارين للعبادة لا مضطرين اليها لانه خلقهم ممكنين فاختار بعضهم ترك العبادة مع كونه مريدا لها ولو ارادها
على القسر والالجاء لوجدت من جميعهم ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون اي ما خلقت الجن
والانس الا لاجل العبادة ولم ارد من جميعهم الا اياها فان قلت لو كان مريدا للعبادة منهم يريد ان شاني مع
عبادي ليس كشان السادة مع عبيدهم فان ملاك العبيد انما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم وارزاقهم
فاما مجهز في تجارة ليفيء ربحا او مرتب في فلاحة ليغتل ارضا او مسلم في حرفة لينتفع باجرته او محتطب او محتش او مستق
او طابخ او خابز وما اشبه ذلك من الاعمال والمهن التي هي تصرف في اسباب المعيشة وابواب الرزق ان الله هو
الرزاق ذو القوة المتين فاما مالك ملك العبيد وقال لهم اشتغلوا بما يسعدكم في انفسكم ولا اريد ان
اصرفكم في تحصيل رزقي ولا رزقكم وانا غني عنكم وعن مرافقكم ومتفضل عليكم برزقكم وبما يصلحكم ويعيشكم
من عندي فما هو الا انا وحدي والمتين الشديد القوة وقرئ بالرفع صفة لذو وبالجر صفة للقوة على تاويل
الاقتدار والمعنى في وصفه بالقوة والمتانة انه القادر البليغ الاقتدار على كل شيء وقرئ الرازق وفي قراءة
رسول الله صلى الله عليه وسلم اني انا الرازق فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم فلا يستعجلون
الذنوب الدلو العظيمة وهذا تمثيل اصله في السقاة يقتسمون الماء فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب
قال لنا ذنوب ولكم ذنوب فان ابيتم فلنا القليب ولما قال عمرو بن شاس وفي كل حي قد خبطت بنعمة
فحق لشاس من نداك ذنوب قال الملك نعم واذنبة والمعنى فان للذين ظلموا رسول الله عليه السلام بالتكذيب
من اهل مكة لهم نصيبا من عذاب الله مثل نصيب اصحابهم ونظرائهم من القرون وعن قتادة سجلا من عذاب الله
مثل سجل اصحابهم فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون من يومهم من يوم القيامة وقيل من يوم بدر عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الذاريات اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

سورة الطور مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي تسع واربعون آية

والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور ان عذاب
ربك لواقع ما له من دافع الطور الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام وهو بمدين والكتاب
المسطور في الرق المنشور والرق الصحيفة وقيل الجلد الذي يكتب فيه الكتاب الذي تكتب فيه الاعمال قال الله
تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا وقيل هو ما كتبه الله عز وجل لموسى عليه السلام وهو يسمع صرير
القلم وقيل اللوح المحفوظ وقيل القرآن ونكر لانه كتاب مخصوص من بين جنس الكتب كقوله عز وعلا ونفس وما سواها
والبيت المعمور الضراح في السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة وقيل الكعبة لكونها معمورة بالحجاج
والعمار والمجاورين والسقف المرفوع السماء والبحر المسجور المملوء وقيل الموقد من قوله تعالى واذا البحار سجرت وروي
ان الله يجعل يوم القيامة البحار كلها نارا تسجر بها نار جهنم وعن علي رضي الله عنه انه سال يهوديا اين موضع النار في
كتابكم قال في البحر قال علي ما اراه الا صادقا لقوله تعالى والبحر المسجور والواقع النازل قال جبير بن مطعم رضي الله

اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلمه في الاسارى فالفيته في صلاة الفجر يقرا سورة الطور فلما بلغ ان عذاب ربك
لواقع اسلمت خوفا من ان ينزل العذاب يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا فويل يومئذ للمكذبين
الذين هم في خوض يلعبون تمور تضطرب وتجيء وتذهب وقيل المور تحرك في تموج وهو الشيء يتردد في عرض
كالداغصة في الركبة غلب الخوض في الاندفاع في الباطل والكذب ومنه قوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين وخضتم
كالذي خاضوا يوم يدعون الى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون الدع الدفع العنيف
وذلك ان خزنة النار يغلون ايديهم الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم ويدفعونهم الى النار دفعا على
وجوههم وزخا في اقفيتهم وقرا زيد بن علي رضي الله عنهما يدعون من الدعاء اي يقال لهم هلموا الى النار وادخلوا
النار دعا مدعوعين يقال لهم هذه النار افسحر هذا ام انتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا
افسحر هذا يعني كنتم تقولون للوحي هذا سحر افسحر هذا يريد اهذا المصداق ايضا سحر ودخلت الفاء لهذا المعنى
ام انتم لا تبصرون كما كنتم لا تبصرون في الدنيا يعني ام انتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهذا
تقريع وتهكم سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون سواء خبر مبتدا محذوف اي سواء عليكم الامران الصبر
وعدمه فان قلت لم علل استواء الصبر وعدمه بقوله انما تجزون ما كنتم تعملون قلت لان الصبر
انما يكون له مزية على الجزع لنفعه في العاقبة بان يجازي عليه الصابر جزاء الخير فاما الصبر على العذاب الذي هو الجزاء
ولا عاقبة له ولا منفعة فلا مزية له على الجزع ان المتقين في جنات ونعيم فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم
عذاب الجحيم في جنات ونعيم في اية جنات واي نعيم بمعنى الكمال في الصفة او في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين
خلقت لهم خاصة وقرئ فاكهين وفكهين وفاكهون من نصبه حالا جعل الظرف مستقرا ومن رفعه خبرا
جعل الظرف لغوا متلذذين بما آتاهم ربهم فان قلت علام عطف قوله تعالى ووقاهم ربهم قلت
على قوله في جنات او على آتاهم ربهم على ان تجعل ما مصدرية والمعنى فاكهين بايتائهم ربهم ووقايتهم عذاب
الجحيم ويجوز ان يكون الواو للحال وقد بعدها مضمرة كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون متكئين
على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين يقال لهم كلوا واشربوا اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا
وهو الذي لا تنغيص فيه ويجوز ان يكون مثله في قوله هنيئا مريئا غير داء مخامر لعزة من اعراضنا ما استحلت
اعني صفة استعملت استعمال المصدر القائم مقام الفعل مرتفعا به ما استحلت كما يرتفع بالفعل كانه قيل هنا
عزة المستحل من اعراضنا وكذلك معنى هنيئا ههنا هناكم الاكل والشرب او هناكم ما كنتم تعملون والباء مزيدة كما
في كفى بالله والباء متعلقة بكلوا واشربوا اذا جعلت الفاعل الاكل والشرب وقرئ بعيس عين والذين آمنوا
واتبعناهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم وما التناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب
رهين والذين آمنوا معطوف على حور عين اي قرناهم بالحور وبالذين آمنوا اي بالرفقاء والجلساء منهم كقوله
تعالى اخوانا على سرر متقابلين فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وتارة بمؤانسة الاخوان من المؤمنين واتبعناهم
ذرياتهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه لتقر بهم
عينه ثم تلا هذه الاية فيجمع الله لهم انواع السرور بسعادتهم في انفسهم وبمزاوجة الحور العين وبمؤانسة
الاخوان المؤمنين وباجتماع اولادهم ونسلهم بهم ثم قال الحقنا بهم ذرياتهم اي بسبب ايمان عظيم
رفيع المحل وهو ايمان الآباء الحقنا بدرجاتهم ذريتهم وان كانوا لا يستاهلونها تفضلا عليهم وعلى آبائهم

ثم

لتسر بذلك ويكمل نعيمهم فان قلت ما معنى تنكير الايمان قلت معناه الدلالة على انه ايمان خاص عظيم المنزلة ويجوز
ان يراد ايمان الذرية الداني المحل كانه قال بشيء من الايمان لا يؤهلهم لدرجة الاباء الحقناهم بهم وقري واتبعتهم ذريتهم
واتبعناهم ذرياتهم وذرياتهم وقري ذرياتهم بكسر الذال ووجه اخر وهو ان يكون والذين امنوا مبتدا خبره
بايمان الحقنا بهم ذرياتهم وما بينهما اعتراض وما التناهم وما نقصناهم من ثواب عملهم من شيء وقيل معناه وما
نقصناهم من ثوابهم شيئا بعطية الابناء حتى يلحقوا بهم انما الحقناهم بهم على سبيل التفضيل وقري التناهم وهو
من باب الت يالت ومن لات يليت كامات يميت والتناهم من الت يولت كامن يومن ولتناهم من لات
يليت وولتناهم من ولت يلت ومعناهن واحد كل امري بما كسب رهين اي مرهون كان نفس العبد رهن
عند الله بالعمل الصالح الذي هو مطالب به كما يرهن الرجل عبده بدين عليه فان عمل صالحا فكها وخلصها والا
اوبقها وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون يتنازعون فيها كاسا لا لغو فيها ولا تاثيم وامددناهم
وزدناهم في وقت بعد وقت يتنازعون يتعاطون ويتعاورون هم وجلساؤهم من اقربائهم واخوانهم كاسا خمرا
لا لغو فيها في شربها ولا تاثيم اي لا يتكلمون في اثناء الشرب بسقط الحديث وما لا طائل تحته كفعل المتنادمين
في الدنيا على الشراب في سفههم وعربدتهم ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله اي ينسب الى الاثم لو فعله في دار التكليف
من الكذب والشتم والفواحش وانما يتكلمون بالحكم والكلام الحسن متلذذين بذلك لان عقولهم ثابتة غير
زايلة وهم حكما علما وقري لا لغو فيها ولا تاثيم ويطوف عليهم غلمان لهم كانهم لؤلؤ مكنون واقبل بعضهم على بعض
يتساءلون غلمان لهم اي مملوكون لهم مخصوصون بهم مكنون في الصدف لانه رطبا احسن واصفى او مخزون
لانه لا يخزن الا الثمين الغالي القيمة وقيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه صلى الله عليه وسلم
ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه فيجيبه الف ببابه لبيك لبيك ويتساءلون يتحادثون
ويسأل بعضهم بعضا عن احواله واعماله وما استوجب به نيل ما عند الله قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين فمن
الله علينا ووقانا عذاب السموم انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم مشفقين ارقا القلوب من خشية
الله ووقانا عذاب بالتشديد وعذاب السموم عذاب النار ووهجها ولفحها والسموم الريح الحارة تدخل المسام
فسميت بها نار جهنم لانها بهذه الصفة من قبل من قبل لقاء الله والمصير اليه يعنون في الدنيا ندعوه نعبده ونسأله
الوقاية انه هو البر المحسن والرحيم العظيم الرحمة الذي اذا عبد اثاب واذا سئل اجاب وقري انه بالفتح بمعنى لانه
فذكر فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فاني
معكم من المتربصين فذكر فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم ولا يثبطنك قولهم كاهن او مجنون ولا تبال به فانه
قول باطل متناقض لان الكاهن يحتاج في كهانته الى فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى على عقله وما انت بحمد الله
وانعامه عليك بصدق النبوة ورجاحة العقل احد هذين وقري يتربص به ريب المنون على البناء للمفعول وريب
المنون ما يقلق النفوس ويشخص بها من حوادث الدهر قال امن المنون وريبه تتوجع وقيل المنون
الموت وهو في الاصل فعول من منه اذا قطعه لان الموت قطوع ولذلك سميت شعوب قالوا ننتظر به نوايب الزمان
فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي ام تامرهم
احلامهم بهذا ام هم قوم طاغون ام يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين

احلامهم عقولهم والبابهم ومنه قولهم احلام عاد والمعنى اتأمرهم احلامهم بهذا التناقض في القول وهو قولهم كاهن
وشاعر مع قولهم مجنون وكانت قريش يدعون اهل الاحلام والنهى أم هم قوم طاغون مجاوزون الحد في العناد
مع ظهور الحق لهم فان قلت ما معنى كون الاحلام آمرة قلت هو مجاز لادائها الى ذلك كقوله عز وجل
أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا وقرئ بل هم قوم طاغون تقوّله اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون
فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه المطاعن مع علمهم ببطلان قولهم وانه ليس بمتقول لعجز العرب عنه وما محمد
الا واحد من العرب وقرئ بحديث مثله على الاضافة والضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومعناه ان مثل محمد
في فصاحته ليس بمعوز في العرب فان قدر محمد عليه الصلاة والسلام على نظمه كان مثله قادرا عليه فليأتوا بحديث
ذلك المثل أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون أم خلقوا أم احدثوا و
قدروا التقدير الذي عليه فطرتهم من غير شيء من غير مقدر أم هم الذين خلقوا انفسهم حيث لا يعبدون
الخالق بل لا يوقنون اي اذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والارض قالوا الله وهم شاكون فيما يقولون لا يوقنون وقيل
أخلقوا من اجل لا شيء من جزاء ولا حساب وقيل أخلقوا من غير اب ولا ام أم عندهم خزاين ربك أم هم
المسيطرون أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين أم له البنات ولكم البنون أم عندهم
أم عندهم خزاين الرزق حتى يرزقوا النبوة من شاءوا او اعندهم خزاين علمه حتى يختاروا لها من اختياره حكمة ومصلحة
أم هم المسيطرون الارباب الغالبون حتى يدبروا امر الربوبية ويبنوا الامر على ارادتهم ومشيئتهم وقرئ المصيطرون
بالصاد أم لهم سلم منصوب الى السماء يستمعون صاعدين فيه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو
كائن من تقدم هلاكه على هلاكهم وظفرهم في العاقبة دونه كما يزعمون بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماع
مستمعهم أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون أم عندهم الغيب فهم يكتبون أم يريدون كيدا فالذين كفروا
هم المكيدون المغرم ان يلتزم الانسان ما ليس عليه اي لزمهم مغرم ثقيل فدحهم فزهدهم ذلك في اتباعك
أم عندهم الغيب اي اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وان بعثنا لم نعذب أم يريدون
كيدا وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين فالذين كفروا اشارة اليهم او اريد
بهم كل من كفر بالله هم المكيدون هم الذين يعود عليهم وبال كيدهم ويحيق بهم مكرهم وذلك انهم قتلوا يوم بدر
او المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته أم لهم إله غير الله سبحان الله عما يشركون وإن يروا كسفا
من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون يوم لا يغني عنهم
شيئا ولا هم ينصرون الكسف القطعة وهو جواب قولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يريد
انهم لشدة طغيانهم وعنادهم لو اسقطناه عليهم لقالوا هذا سحاب مركوم بعضه فوق بعض يمطرنا ولم يصدقوا
انه كسف ساقط للعذاب وقرئ حتى يلقوا ويلقوا يصعقون يموتون وقرئ يصعقون يقال صعقه
فصعق وذلك عند النفخة الاولى نفخة الصعق وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون
وان للذين ظلموا وان لهؤلاء الظلمة عذابا دون ذلك دون يوم القيامة وهو القتل ببدر والقحط سبع سنين
وعذاب القبر وفي مصحف عبد الله دون ذلك قريبا واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك
حين تقوم ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم لحكم ربك بامهالهم وما يلحقك فيه من المشقة والكلفة
فانك باعيننا مثل اي بحيث نراك ونكلؤك وجمع العين لان الضمير بلفظ ضمير الجماعة الا ترى الى قوله

تعالى

تعالى ولتصنع على عيني. وقرئ بأعيننا بالادغام حين تقوم من أي مقام قمت. وقيل من منامك وإذا أدبرت
النجوم من آخر الليل وقرئ وأدبار بالفتح يعني في أعقاب النجوم وآثارها إذا غربت والمراد الأمر
بقوله سبحان الله وبحمده في هذه الأوقات. وقيل التسبيح الصلاة إذا قام من نومه ومن الليل صلاة العشاء
وإدبار النجوم صلاة الفجر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطور كان حقا على الله أن يؤمنه من عذابه

سورة النجم مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي اثنتان وستون آية

والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى النجم وهو الثريا وهو
اسم غالب لها. قال. إذا طلع النجم عشاء. ابتغى الراعي كساء. أو جنس النجوم قال
. فباتت تعد النجم في مستحيرة. يريد النجوم إذا غربت أو انتثرت يوم القيامة. أو النجم
الذي يرجم به إذا هوى إذا انقض. أو النجم من نجوم القرآن. وقد نزل منجما في عشرين سنة. إذا هوى
إذا نزل أو النبات إذا سقط على الأرض. وعن عروة بن الزبير رضي الله عنه أن عتبة بن أبي لهب وكانت
تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد الخروج إلى الشام فقال لآتين محمدا فلأوذينه فأتاه فقال يا محمد
هو كافر بالنجم إذا هوى وبالذي دنى فتدلى ثم تفل في وجه النبي صلى الله عليه وسلم ورد عليه ابنته وطلقها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وكان أبو طالب حاضرا فوجم لها وقال ما كان
أغناك عن هذه الدعوة فرجع عتبة إلى أبيه فأخبره ثم خرجوا إلى الشام فنزلوا منزلا فأشرف عليهم راهب
من الدير فقال لهم إن هذه أرض مسبعة فقال أبو لهب لأصحابه أعينونا يا معشر قريش هذه الليلة فإني
أخاف على ابني دعوة محمد فجمعوا أحمالهم وأناخوا حولهم وأحدقوا بعتبة فجاء الأسد يتشمم وجوههم حتى ضرب
عتبة فقتله. وقال حسان. من يرجع العام إلى أهله. فما أكيل السبع بالراجع. ما ضل صاحبكم يعني محمدا
صلى الله عليه وسلم والخطاب لقريش وهو جواب القسم والضلال نقيض الهدى والغي نقيض الرشد أي
أي هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم إياه إلى الضلال والغي وما أتاكم به من القرآن
ليس بمنطق يصدر عن هواه ورأيه وإنما هو وحي من عند الله تعالى يوحى إليه ويحتج بهذه الآية
من لا يرى الاجتهاد للأنبياء عليهم السلام ويجاب بأن الله تعالى إذا سوغ لهم الاجتهاد وما يستند إليه
كله وحيا لا نطقا عن الهوى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى ثم دنى فتدلى
فكان قاب قوسين أو أدنى شديد القوى ملك شديد قواه والإضافة غير حقيقية لأنها إضافة الصفة
المشبهة إلى فاعلها وهو جبريل عليه السلام ومن قوته أنه اقتلع قرى لوط عليه السلام من الماء الأسود وحملها
على جناحه ورفعها إلى السماء ثم قلبها. وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الأنبياء عليهم
السلام وصعوده في أوحى من رجعة الطرف ورأى إبليس يكلم عيسى عليه السلام على بعض عقاب الأرض
المقدسة فنفحه بجناحه نفحة فألقاه في أقصى جبل بالهند ذو مرة ذو حصافة في عقله ورأيه
ومتانة في دينه فاستوى فاستقام على صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط
بالوحي. فكان ينزل في صورة دحية وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أن يراه في صورته التي جبل

يا ابن اخي

عليها • فاستوى له في الافق الاعلى وهو افق الشمس فما الافق • وقيل ما رآه احد من الانبياء عليهم السلام في صورته
الحقيقية غير محمد عليه السلام مرتين مرة في الارض ومرة في السماء • ثم دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتدلى فتعلق عليه في الهواء • ومنه تدلت الثمرة • ودلى رجليه من السرير والدوالي الثمر المعلق قال
تدلى بين سب وخيطة • وقيل هو مثل القرلى ان رأى خيرا تدلى • وان لم يره تولى • قاب قوسين مقدار
قوسين • عربيتين • والقاب والقيب • والقاد والقيد • والقيس المقدار وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما
قاد وقرئ قيد • وقدر • وقد جاء التقدير بالقوس • والرمح والسوط والباع والذراع والخطوة والشبر
والفتر • والاصبع • ومنه لا صلاة الى ان ترتفع الشمس مقدار رمحين • وفي الحديث لقاب قوس احدكم
من الجنة وموضع قده • خير من الدنيا وما فيها • والقد السوط • وقيل بينهما خطوات يسيرة • وقال
• وقد جعلتني من خزيمة اصبعا • فان قلت كيف تقدير قوله تعالى فكان قاب قوسين قلت
تقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل • قاب قوسين فحذفت هذه المضافات كما قال ابو علي في قوله
وقد جعلتني من خزيمة اصبعا اي ذا مقدار مسافة اصبع • او ادنى اي على تقديركم كقوله تعالى او يزيدون
فاوحى الى عبده ما اوحى الى عبده الى عبد الله وان لم يجر لاسمه عز وجل ذكر لانه لا يلبس كقوله تعالى على ظهرها
ما اوحى تفخيم للوحي الذي اوحي اليه قيل اوحي اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى
تدخلها امتك ما كذب الفؤاد ما رأى ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم ما رآه ببصره من صورة
جبريل عليه الصلاة والسلام اي ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه اي رآه
بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك في ان ما رآه حق وقرئ ما كذب اي صدقه ولم يشك انه جبريل عليه السلام
بصورته افتمارونه على ما يرى افتمارونه من المراء وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مري
الناقة كان كل واحد من المتجادلين يمري عند صاحبه • وقرئ افتمرونه افتغلبونه في المراء من ماريته
فمريته ولما فيه من معنى الغلبة عدي بعلى كما تقول غلبته على كذا وقيل افتمرونه فتجحدونه • وانشدوا
• لئن هجوت اخا صدق ومكرمة • لقد مريت اخا ما كان يمريكا • وقالوا يقال مريته حقه اذا
جحدته وتعديته بعلى لا تصح الا على مذهب التضمين ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى
نزلة اخرى مرة اخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذي هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل
فكانت في حكمها اي نزل عليه جبريل عليه السلام نزلة اخرى في صورة نفسه فرآه عليها وذلك ليلة المعراج قيل في
سدرة المنتهى هي شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيول تنبع
من اصلها الانهار التي ذكرها الله عز وجل في كتابه يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى
بمعنى موضع الانتهاء او الانتهاء كانها في منتهى الجنة واخرها وقيل لم يجاوزها احد واليها ينتهي علم الملائكة
وغيرهم لا يعلم احد ما وراءها وقيل ينتهي اليها ارواح الشهداء عندها جنة المأوى جنة المأوى اي
الجنة التي يصير اليها المتقون عن الحسن رحمه الله وقيل تأوي اليها ارواح الشهداء وقرا علي رضي الله عنه
وابن الزبير وجماعة جنه المأوى اي ستره بظلاله ودخل فيه وعن عائشة رضي الله عنها انها انكرته
وقالت من قرأ به فاجنه الله اذ يغشى السدرة ما يغشى ما يغشى تعظيم وتكثير لما يغشاها وقد علم
بهذه العبارة ان ما يغشاها من الخلائق الدالة على عظمة الله وجلاله اشياء لا يكتنهها الا النعت ولا يحيط بها

الوصف

الوصف وقد قيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عز وجل عندها وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
رأيت على كل ورقة من ورقها ملكا قائما يسبح الله وعنه صلى الله عليه وسلم يغشاها رفرف من طير خضر وعن ابن
عباس رضي الله عنه وغيره يغشاها فراش من ذهب **ما زاغ البصر وما طغى** اي ما مال ما زاغ رسول
الله صلى الله عليه وسلم اي اثبت ما رآه اثباتا مستيقنا صحيحا من غير ان يزيغ بصره عنه او يتجاوزه
او ما عدل عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها ومكن منها وما طغى وما جاوز ما امر برؤيته **لقد رأى
من آيات ربه الكبرى** لقد رأى والله لقد رأى من آيات ربه الآيات التي هي كبراها وعظماها يعني حين
رقي به الى السماء فارى عجائب الملكوت **أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى** اللات والعزى
ومناة اصنام كانت لهم وهي مؤنثات • فاللات كانت لثقيف بالطائف • وقيل كانت لنخلة تعبدها قريش
وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها ويعكفون للعبادة او يلتوون عليها اي يطوفون • وقرئ اللات
بالتشديد وزعموا انه سمي برجل كان يلت عنده السمن بالزيت ويطعمه الحاج وعن مجاهد كان رجل يلت
السويق بالطائف وكانوا يعكفون على قبره فجعلوه وثنا والعزى كانت لغطفان وهي شجرة واصلها تانيث
الاعز وبعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضي الله عنه فقطعها فخرجت منها شيطانة
ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على راسها فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول
• يا عز كفرانك لا سبحانك • اني رأيت الله قد اهانك • ورجع فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال عليه السلام تلك العزى ولن تعبد ابدا • ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة • وعن ابن عباس
رضي الله عنهما لثقيف وقرئ ومناءة وكأنها سميت مناة لان دماء النسائك كانت تمنى عندها اي تراق
ومناءة مفعلة من النوء كانهم كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركا بها • والاخرى ذم وهي المتاخرة
الوضيعة لقوله عز وجل • وقالت اخراهم لاولاهم اي وضعاؤهم لرؤسائهم واشرافهم ويجوز ان
يكون الاولية والتقدم عندهم للات والعزى كانوا يقولون ان الملائكة وهذه الاصنام بنات الله وكانوا
يعبدونهم ويزعمون انهم شفعاؤهم عند الله مع وأدهم البنات فقيل لهم **ألكم الذكر وله الأنثى تلك
إذا قسمة ضيزى** ويجوز ان يراد ان اللات والعزى ومناة اناث وقد جعلتموهن لله شركاء ومن شانكم
ان تحتقروا الاناث وتستنكفوا من ان يولدن لكم وينسبن اليكم فكيف تجعلون هؤلاء الاناث
اندادا لله تعالى وتسمونهن آلهة • قسمة ضيزى جائرة من ضازه يضيزه • اذا ضامه والاصل
ضوزى ففعل بها ما فعل ببيض لتسلم الياء وقرئ ضئزى من ضأزه بالهمز وضيزى بفتح
الضاد **إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن
وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى** هي ضمير الاصنام اي ما هي الا اسماء ليس تحتها
في الحقيقة مسميات لانكم تدعون الالهية لما هو ابعد شيء منها واشده منافاة لها • ونحو
قوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها • او ضمير الاسماء وهي قولهم اللات والعزى
ومناة وهم يقصدون بهذه الاسماء الآلهة يعني ما هذه الاسماء الا اسماء سميتموها بهواكم وشهوتكم
ليس لكم من الله تعالى على صحة تسميتها برهان تتعلقون به ومعنى سميتموها سميتم بها يقال
سميته زيدا وسميته بزيد • ان يتبعون وقرئ بالتاء الا الظن الا توهم ان ما هم عليه حق •

وان الهتهم شفعاؤهم وما تشتهيه انفسهم ويتركون ما جاءهم من الهدى والدليل على ان دينهم باطل
ام للانسان ما تمنى ام المنقطعة من الهمزة فيها الانكار اي ليس للانسان ما تمنى والمراد طمعهم في شفاعة الالهة
وهو تمن على الله عز وجل في غاية البعد وقيل هو قولهم ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقيل هو قول
الوليد بن المغيرة لاوتين مالا وولدا وقيل هو تمني بعضهم ان يكون هو النبي فلله الاخرة والاولى وكم من
ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى فلله الاخرة والاولى
اي هو مالكهما فهو يعطي منهما من يشاء ويمنع من يشاء وليس لاحد ان يتحكم عليه في شيء منهما يعني ان امر الشفاعة
ضيق وذلك ان الملائكة مع قربتهم وزلفاهم وكثرتهم واغتصاص السموات بجموعهم لو شفعوا باجمعهم لاحد
لم تغن شفاعتهم عنه شيئا قط ولم تنفع الا اذا شفعوا من بعد ان يأذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء الشفا[عة]
له ويرضاه ويراه اهلا لان يشفع له فكيف تشفع الاصنام اليهم لعبدتهم ان الذين لا يؤمنون بالاخرة ليسمون الملا[ئكة]
تسمية الانثى وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا ليسمون الملائكة اي كل
واحد تسمية الانثى لانهم اذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهي تسمية الانثى
به من علم اي بذلك وبما يقولون وفي قراءة ابي رضي الله عنه بها اي بالملائكة او التسمية لا يغني من الحق شيئا يعني انما
يدرك الحق الذي هو حقيقة الشيء وما هو عليه بالعلم والتيقن لا بالظن والتوهم فاعرض عن من تولى عن ذكرنا
ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى
فاعرض عن دعوة من رايته معرضا عن ذكر الله تعالى وعن الاخرة ولم يرد الا الدنيا ولا تتهالك على اسلامه
ثم قال ان ربك هو اعلم اي انما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب وانت لا تعلم فخفض على نفسك ولا تتبعها
فانك لا تهدي من احببت وما عليك الا البلاغ وقوله تعالى ذلك مبلغهم من العلم اعتراض او فاعرض
عنه ولا تقابله ولله ما في السموات وما في الارض ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى
ان ربك هو اعلم بالضال والمهتدي وهو مجازيهما بما يستحقان من الجزاء وقرئ لنجزي ونجزي بالنون فيهما
ومعناه ان الله عز وجل انما خلق العالم وسوى الملكوت لهذا الغرض وهو ان يجازي المحسن من المكلفين
والمسيء منهم ويجوز ان يتعلق بقوله هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى لان نتيجة العلم بالضال
والمهتدي جزاؤهما بما اساؤا بعقاب ما عملوا من السوء ويجزي بالمثوبة الحسنى وهي الجنة او بسبب ما عملوا من
السوء وبسبب الاعمال الحسنى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم كبائر الاثم الكبائر من
الاثم لان الاثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر والكبائر الذنوب التي لا يسقط عقابها الا بالتوبة
وقيل التي يكبر عقابها بالاضافة الى ثواب صاحبها والفواحش ما فحش من الكبائر كانه قال والفواحش
منها خاصة وقرئ كبير الاثم اي النوع الكبير منه وقيل هو الشرك بالله واللمم ما قل وصغر
ومنه اللمم المس من الجنون واللوثة منه والم بالمكان اذا قل لبثه فيه والم بالطعام قل منه اكله
ومنه لقاؤه اخلا الصفا لمام والمراد الصغائر من الذنوب ولا يخلو قوله تعالى الا اللمم من ان
يكون استثناء منقطعا او صفة كقوله عز وجل لو كان فيهما الهة الا الله كانه قيل كبائر الاثم غير اللمم
والهة غير الله وعن ابي سعيد الخدري اللمم هي النظرة والغمزة والقبلة وعن السدي الخطرة
من الذنب وعن الكلبي كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا وعن عطاء عادة النفس الحين بعد الحين

إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ
بِمَنِ اتَّقَى ان ربك واسع المغفرة حيث يكفر الصغائر باجتناب الكبائر والكبائر بالتوبة فلا تزكوا انفسكم
فلا تنسبوها الى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات او الى الزكاء والطهارة من المعاصي ولا تثنوا عليها
واهضموها فقد علم الله الزكي منكم والتقي اولا وآخرا قبل ان يخرجكم من صلب آدم عليه السلام وقبل ان
تخرجوا من بطون امهاتكم وقيل كان ناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت
وهذا اذا كان على سبيل الاعجاب او الرياء فاما من اعتقد ان ما عمله من العمل الصالح من الله وبتوفيقه وتأييده
ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين انفسهم لان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر أَفَرَأَيْتَ الَّذِي
تَوَلَّى وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى الذي قطع عطيته وامسك واصله اكداء الحافر
وهو ان تلقاه كدية وهي صلابة كالصخرة فيمسك عن الحفر ثم استعير فقيل اجبل الشاعر اذا افحم
روي ان عثمان رضي الله عنه كان يعطي ماله في الخير فقال له عبد الله بن سعد بن ابي سرح وهو اخوه
من الرضاعة يوشك ان لا يبقى لك شيء فقال عثمان ان لي ذنوبا وخطايا واني اطلب بما اصنع الله وارجو عفوه
فقال عبد الله اعطني ناقتك برحلها وانا اتحمل عنك ذنوبك كلها فاعطاه واشهد عليه وامسك عن العطاء فنزلت
ومعناه تولى ترك المركز يوم احد فعاد عثمان رضي الله عنه الى احسن من ذلك واجمل فهو يرى يعلم ان ما قاله
اخوه من احتمال اوزاره حق أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى
وفى قرئ مخففا ومشددا والتشديد مبالغة في الوفاء او بمعنى الذي وفر واتم كقوله تعالى
فأتمهن واطلاقه ليتناول كل وفاء وتوفية من ذلك تبليغه الرسالة واستقلاله باعباء النبوة والصبر على ذبح
ولده وعلى نار نمرود وقيامه باضيافه وخدمته [illegible] بنفسه وانه كان يخرج كل يوم فيمشي فرسخا يرتاد
ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم [illegible] الله عليه ما امره الله بشيء الا وفى به وعن
الهذيل بن شرحبيل كان بين نوح وابراهيم يؤخذ الرجل بجريرة غيره ويقتل بابيه وابنه وعمه وخاله
والزوج بامرأته والعبد بسيده فاول من خالفهم ابراهيم عليه الصلاة والسلام وعن عطاء بن السائب عهد
ان لا يسأل مخلوقا فلما قذف في النار قال له جبريل وميكائيل عليهما الصلاة والسلام الك حاجة فقال اما
اليكما فلا وعن النبي صلى الله عليه وسلم وفى عمله في كل يوم باربع ركعات في صدر النهار وهي صلاة الضحى وروي
الا اخبركم لم سمى الله خليله الذي وفى كان يقول اذا اصبح وامسى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقيل
وفى سهام الاسلام وهي ثلاثون عشرة في التوبة التائبون وعشرة في الاحزاب ان المسلمين وعشرة في المؤمنين
قد افلح المؤمنون وقرئ في صحف بالتخفيف الا تزر مخففة من الثقيلة والمعنى انه لا تزر والضمير ضمير
الشأن ومحل ان وما بعدها الجر بدلا من ما في صحف موسى او الرفع على هو ان لا تزر كأن قائلا
قال وما في صحف موسى وابراهيم فقيل ان لا تزر وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى
ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى الا ما سعى الا سعيه فان قلت اما صح في الاخبار الصدقة عن الميت
والحج عنه وله الاضعاف قلت فيه جوابان احدهما ان سعي غيره لما لم ينفعه الا مبنيا على سعي
نفسه وهو ان يكون مؤمنا صالحا وكذلك الاضعاف كان سعي غيره كانه سعي نفسه لكونه
تابعا له وقائما بقيامه والثاني ان سعي غيره لا ينفعه اذا عمله لنفسه ولكن اذا نواه به فهو بحكم الشرع
كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه ثم يجزاه ثم يجزى العبد سعيه يقال جزاه الله عمله وجزاه على عمله

حذف الجار وايصال الفعل ويجوز ان يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله تعالى الجزاء الاوفى او ابدل منه لقوله تعالى
واسروا النجوى الذين ظلموا وان الى ربك المنتهى وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيا وانه خلق الزوجين الذكر
والانثى من نطفة اذا تمنى وان الى ربك المنتهى قرئ بالفتح على معنى ان هذا كله في الصحف وبالكسر على الابتداء
وكذلك ما بعده والمنتهى مصدر بمعنى الانتهاء اي ينتهي اليه الخلق ويرجعون اليه لقوله والى الله المصير وانه هو
اضحك وابكى خلق قوتي الضحك والبكاء اذا تمنى اذا تدفق في الرحم يقال منى وامنى وعن الاخفش تخلق من منى الماني
اي تقدر المقدر وان عليه النشأة الاخرى وقرئ النشاءة والنشآءة بالمد وقال عليه لانها واجبة عليه في
الحكمة ليجازي على الاحسان والاساءة وانه هو اغنى واقنى وانه هو رب الشعرى وانه اهلك عادا الاولى
وثمودا فما ابقى واقنى واعطى القنية وهي المال الذي تأثلته وعزمت ان لا تخرجه من يدك الشعرى مرزم
الجوزاء وهي التي تطلع وراءها وتسمى كلب الجبار وهما شعريان الغميصاء والعبور واراد تعالى العبور
وكانت خزاعة تعبدها سن لهم ذلك ابو كبشة رجل من اشرافهم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ابو كبشة تشبيها له به لمخالفته اياهم في دينهم يريد انه رب معبودهم هذا عاد الاولى قوم هود عليه السلام وعاد
الاخرى ارم وقيل الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد قوم نوح او المتقدمون في الدنيا الاشراف وقرئ
عاد لولى بادغام التنوين في اللام وطرح همزة اولى ونقل ضمتها الى لام التعريف وثمودا وقرئ ثمود
وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم اظلم واطغى والمؤتفكة اهوى فغشاها ما غشى فباي آلاء ربك تتمارى
هذا نذير من النذر الاولى اظلم واطغى لانهم كانوا يؤذونه ويضربونه حتى لا يكون به حراك وينفرون
حتى يكونوا يحذرون صبيانهم ان يسمعوا منه وما اثر فيهم دعاؤه قريبا من الف سنة والمؤتفكة
والقرى التي ائتفكت باهلها اي انقلبت وهم قوم لوط عليه السلام يقال افكه فانتفك وقرئ والمؤتفكات
اهوى رفعها الى السماء على جناح جبريل عليه السلام ثم اهواها الى الارض اي اسقطها فغشاها ما غشى تهويل وتعظيم
لما صب عليها من العذاب وامطر عليها من الحجر المنضود فباي آلاء ربك تتمارى تتشكك والخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم او للانسان على الاطلاق وقد عدد نعما ونقما وسماها كلها آلاء من قبل ما في نقمه من المزاجر
والمواعظ للمعتبرين هذا القران نذير من النذر الاولى اي انذار من جنس الانذارات الاولى التي انذر بها من
قبلكم او هذا الرسول منذر من المنذرين وقال الاولى على تأويل الجماعة ازفت الازفة ليس لها من دون
الله كاشفة افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون فاسجدوا لله واعبدوا
ازفت الازفة قربت الموصوفة بالقرب في قوله عز وجل اقتربت الساعة ليس لها نفس كاشفة اي مبينة متى تقوم لقوله
تعالى لا يجليها لوقتها الا هو او ليس لها نفس كاشفة اي قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله غير انه لا يكشفها
او ليس لها الآن نفس كاشفة بالتأخير وقيل الكاشفة مصدر بمعنى الكشف كالعافية وقرأ طلحة ليس لها مما يدعون من الله
كاشفة وهي على الظالمين ساءت الغاشية افمن هذا الحديث يعني القران تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء
ولا تبكون والبكاء والخشوع حق عليكم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لم ير ضاحكا بعد نزولها وقرئ
تعجبون تضحكون بغير واو وانتم سامدون شامخون مبرطمون وقيل لاهون لاعبون وقال بعضهم لجاريته
اسمدي اي غني لنا فاسجدوا لله واعبدوا ولا تعبدوا الآلهة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه من قرأ سورة
والنجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وجحد به عدد

سورة القمر مكية وهي خمس وخمسون آية

اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر انشقاق القمر من آيات رسول الله
عليه الصلاة والسلام ومعجزاته النيرة عن انس بن مالك رضي الله عنه ان الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
آية فانشق القمر مرتين وكذا عن ابن عباس وعن ابن مسعود رضي الله عنهما انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن
مسعود رضي الله عنه رأيت حراء بين فلقتي القمر وعن بعض الناس ان معناه ينشق يوم القيمة وقوله تعالى وان يروا كل آية
يعرضوا ويقولوا سحر مستمر يرده وكفى به رادا وفي قراءة حذيفة رضي الله عنه وقد انشق القمر اي اقتربت الساعة وقد حصل
من آيات اقترابها ان القمر قد انشق كما تقول اقبل الامير وقد جاء المبشر بقدومه وعن حذيفة انه خطب بالمداين ثم
قال الا ان الساعة قد اقتربت وان القمر قد انشق على عهد نبيكم مستمر دائم مطرد وكل شيء قد انقادت طريقته ودامت
حاله قيل فيه قد استمر لما رأوا تتابع المعجزات وترادف الآيات قالوا هذا سحر مستمر وقيل مستمر قوي محكم من قولهم
استمر مريره وقيل هو من استمر الشيء اذا اشتدت مرارته اي مستبشع عندنا مر على لهواتنا لا نقدر ان نسيغه كما لا يساغ المر الممقر وقيل
مستمر مار ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لانفسهم وتعليلا وقرئ وان يروا وكذبوا واتبعوا اهواءهم وكل امر
مستقر واتبعوا اهواءهم وما زين لهم الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره وكل امر مستقر اي كل امر لا بد ان يصير
الى غاية يستقر عليها وان امر محمد عليه السلام سيصير الى غاية يتبين عندها انه حق او باطل وسيظهر لهم عاقبته او
وكل امر من امورهم وامره مستقر اي سيثبت ويستقر على حالة خذلان او نصرة في الدنيا او شقاوة او سعادة
في الآخرة وقرئ بفتح القاف يعني كل امر ذو مستقر اي ذو استقرار وعن ابي جعفر مستقر بكسر القاف والجر
عطفا على الساعة اي اقتربت الساعة واقترب كل امر مستقر يستقر ويتبين حاله ولقد جاءهم من الانباء ما
فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغني النذر من الانباء من القرآن المودع انباء القرون الخالية او انباء الآخرة وما
وصف من عذاب الكفار مزدجر ازدجار او موضع ازدجار والمعنى هو في نفسه موضع الازدجار ومظنة له كقوله
تعالى لكم اسوة حسنة اي هو اسوة وقرئ مزجر بقلب تاء الافتعال زايا وادغام الزاي فيها وحكمة بالغة
بدل من ما او هو على حكمة وقرئ بالنصب حالا من ما فان قلت ان كانت ما موصولة ساغ لك ان
تنصب حكمة حالا فكيف تعمل ان كانت موصوفة وهو الظاهر قلت تخصصها الصفة فيحسن نصب الحال
عنها فما تغني النذر نفي او انكار وما منصوبة اي فاي غناء تغني النذر فتول عنهم يوم يدع الداع الى شيء نكر
خشعا ابصارهم لعلمك ان الانذار لا يغني فيهم نصب يوم يدع الداعي بيخرجون او باضمار اذكر وقرئ باسقاط الياء
اكتفاء بالكسرة عنها والداعي اسرافيل او جبرائيل صلوات الله عليهما كقوله تعالى يوم ينادي المنادي الى شيء نكر
منكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد بمثله وهو هول يوم القيمة وقرئ نكر بالتخفيف ونكر بمعنى انكر خاشعا
ابصارهم يخرجون من الاجداث كانهم جراد منتشر خاشعا ابصارهم حالا من الخارجين فعل للابصار
وذكر كما تقول يخشع ابصارهم وقرئ خاشعة على تخشع ابصارهم وخشعا على يخشعن ابصارهم وهي لغة من يقول
اكلوني البراغيث وهم طي ويجوز ان يكون في خشعا ضميرهم ويقع ابصارهم بدلا عنه وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء
والخبر ومحل الجملة النصب على الحال كقوله وجدته حاضراه الجود والكرم وخشوع الابصار كناية عن الذلة والانخزال
لان ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران في عيونهما وقرئ يخرجون من الاجداث من القبور كانهم جراد منتشر
الجراد مثل في الكثرة والتموج يقال في الجيش الكثير المائج بعضه في بعض جاؤا كالجراد وكالدبا ومنتشر
في كل مكان لكثرته مهطعين الى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر مهطعين الى الداع مسرعين

او ذو موضع استقرار او ذو زمان استقرار

مادي أعناقهم إليه. وقيل ناظرين إليه لا يقلعون بأبصارهم. قال:

تعبدني نمر بن سعد وقد أرى ... ونمر بن سعد لي مطيع ومهطع

كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر فدعا ربه أني مغلوب فانتصر قبلهم قبل أهل مكة. فكذبوا عبدنا يعني نوحا عليه السلام. ما معنى قوله فكذبوا بعد قوله كذبت. معناه كذبوا فكذبوا عبدنا أي لما كانوا مكذبين بالرسل كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب. أو كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا أي لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة رأسا كذبوا نوحا لأنه كان من جملة الرسل. مجنون هو مجنون. وازدجر وانتهروه بالضرب والشتم والوعيد بالرجم في قولهم لتكونن من المرجومين. وقيل هو من جملة قولهم أي قالوا هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه وطارت بقلبه. قرئ أني بمعنى فدعا بأني، وإني على إرادة القول فدعا فقال إني مغلوب غلبني قومي فلم يسمعوا مني واستحكم اليأس من إجابتهم لي فانتصر فانتقم منهم بعذاب تبعثه عليهم وإنما دعا بذلك بعدما طم عليه الأمر وبلغ السيل الزبى فقد روي أن الواحد من أمته كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق وهو يقول اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون. ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر. وقرئ ففتحنا مخففا ومشددا وكذلك وفجرنا. منهمر منصب في كثرة وتتابع لم ينقطع أربعين يوما. وفجرنا الأرض عيونا وجعلنا الأرض كلها كأنها عيون تتفجر وهو أبلغ من قولك وفجرنا عيون الأرض ونظيره في النظم واشتعل الرأس شيبا. فالتقى الماء يعني مياه السماء والأرض وقرئ الماءان أي النوعان من الماء السماوي والأرضي ونحوه قولك عندي تمران تريد ضربان من التمر برني ومعقلي. قال:

لنا إبلان فيهما ما علمتم.

وقرأ الحسن رحمة الله عليه الماوان بقلب الهمزة واوا كقولهم علباوان. على أمر قد قدر قد قدرها الله عز وجل كيف شاء. وقيل على حال جاءت مقدرة مستوية وهي أن قدر ما أنزل من السماء كقدر ما أخرج من الأرض سواء بسواء. وقيل على أمر قد قدر في اللوح أنه يكون وهو هلاك قوم نوح عليه السلام بالطوفان. وحملناه على ذات ألواح ودسر تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر. على ذات ألواح ودسر أراد السفينة وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتؤدي مؤداها بحيث لا يفصل بينها وبينها ونحوه ولكن قميصي مسرودة من حديد يعني درع. وكذلك ولو في عيون النازعات بأكرع. أراد ولو في عيون الجراد. ألا ترى أنك لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة أو بين الدرع والجراد وهاتين الصفتين لم يصح. وهذا من فصيح الكلام وبديعه. والدسر جمع دسار وهو المسمار فعال من دسره إذا دفعه لأنه يدسر به منفذه. جزاء مفعول له لما قدم من فتح أبواب السماء وما بعده أي فعلنا ذلك جزاء لمن كان كفر وهو نوح عليه السلام. وجعله مكفورا لأن النبي نعمة من الله تعالى ورحمة قال تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين. وكان نوح عليه السلام نعمة مكفورة. ومن هذا المعنى ما يحكى أن رجلا قال للرشيد رحمه الله الحمد لله عليك فقال ما معنى هذا الكلام قال أنت نعمة حمدت الله عليها. ويجوز أن يكون على تقدير حذف الجار وإيصال الفعل. وقرأ قتادة كفر أي جزاء للكافرين. وقرأ الحسن رحمة الله عليه جزاء بالكسر أي مجازاة. ولقد تركناها آية فهل من مدكر فكيف كان عذابي ونذر. الضمير في تركناها للسفينة أو للفعلة أي جعلناها آية يعتبر بها. وعن قتادة أبقاها الله تعالى بأرض الجزيرة. وقيل على الجودي دهرا طويلا حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة. والمدكر المعتبر وقرئ مذتكر على الأصل ومذكر بقلب التاء ذالا وإدغام الذال فيها. وهذا نحو مذجر والذ

او اراد والكرم

جمع نذير وهو الانذار ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ ولقد يسرنا القرآن للذكر سهلناه
للادكار والاتعاظ بان شحناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد فهل من متعظ • وقيل ولقد سهلناه للحفظ
واعنا عليه من اراد حفظه فهل من طالب لحفظه ليعان عليه • ويجوز ان يكون المعنى ولقد هيأناه للذكر من
يسر ناقته للسفر اذا رحلها ويسر فرسه للغزو اذا اسرجه والجمه • قال

• وقمت اليه باللجام ميسرا • هنالك يجزيني الذي كنت اصنع •

ويروى ان كتب اهل الاديان نحو التوراة والانجيل لا يتلوها اهلها الا نظرا ولا يحفظونها ظاهرا كما القرآن ﴿كذبت
عاد فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس كانهم اعجاز
نخل منقعر فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ ونذر وانذاراتي لهم
بالعذاب قبل نزوله او انذاراتي في تعذيبهم لمن بعدهم • في يوم نحس الى يوم شؤم وقرئ في يوم نحس كقوله عز
وجل في ايام نحسات قد استمر عليهم ودام حتى اهلكهم واستمر عليهم جميعا على كبيرهم وصغيرهم حتى لم يبق منهم نسمة
وكان في اربعاء في اخر الشهر لا تدور • ويجوز ان يريد بالمستمر الشديد المرارة والبشاعة • تنزع الناس تقلعهم
عن اماكنهم وكانوا يصطفون اخذين بعضهم بايدي بعض ويتداخلون في الشعاب ويحفرون الحفر فيندسون
فيها فتنزعهم وتكبهم وتدق رقابهم • كانهم اعجاز نخل منقعر يعني انهم كانوا يتساقطون على الارض امواتا وهم
جثث طوال عظام كانهم اعجاز نخل وهي اصولها بلا فروع • منقعر منقلع عن مغارسه • وقيل شبهوا باعجاز النخل
لان الريح كانت تقطع رؤسهم فتبقى اجسادا بلا رؤس وذكر صفة النخل على اللفظ • ولو حملها على المعنى لانث كما قال
تعالى اعجاز نخل خاوية ﴿كذبت ثمود بالنذر فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر
أؤلقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب اشر﴾ ابشرا منا واحدا نصب بفعل يفسره نتبعه • عن الحسن سعر
ونيران جمع سعير فعكسوا عليه فقالوا ان اتبعناك كنا اذن كما تقول • وقيل الضلال الخطأ والبعد عن الصواب • السعر
الجنون يقال ناقة مسعورة • قال

• كان بها سعرا اذا العيس هزها • ذميل وارخاء من السير متعب •

فان قلت كيف انكروا ان يتبعوا بشرا منهم واحدا قلت قالوا ابشرا انكارا لان يتبعوا مثلهم في
الجنسية وطلبوا ان يكون من جنس اعلى من جنس البشر وهم الملائكة • وقالوا منا لانه اذا كان منهم كانت المماثلة اقوى
وقالوا واحدا انكارا لان يتبع الامة رجلا واحدا او ارادوا واحدا من افنائهم ليس باشرفهم وافضلهم ويدل عليه قولهم القي
الذكر عليه من بيننا اي انزل عليه الوحي من بيننا وفينا من هو احق منه بالاختيار للنبوة • اشر بطر متكبر حمله
بطره وشطارته وطلبه التعظم علينا على ادعاء ذلك ﴿سيعلمون غدا من الكذاب الاشر انا مرسلوا الناقة
فتنة لهم فارتقبهم واصطبر﴾ سيعلمون غدا عند نزول العذاب بهم او يوم القيامة من الكذاب الاشر اصالح ام
من كذبه • وقرئ ستعلمون بالتاء على حكاية ما قال لهم صالح عليه السلام مجيبا لهم • او هو كلام الله على سبيل الالتفات • وقرئ الاشر
بضم الشين كقولهم حذث وحذث وحذر وحذر وانوات لها • وقرئ الاشر وهو الابلغ في الشرارة • والاخير والاشر
اصل قولهم هو خير منه وشر منه • وهو اصل مرفوض • وقد حكى ابن الانباري بقول العرب • هو اخير واشر • وما
اخيره وما اشره • مرسلوا الناقة باعثوها ومخرجوها من الهضبة كما سالوا • فتنة لهم امتحانا لهم وابتلاء • فارتقبهم
فانتظرهم وما هم صانعون • واصطبر على اذاهم ولا تعجل حتى ياتيك امري ﴿ونبئهم ان الماء قسمة بينهم كل شرب

محتضر فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فكيف كان عذابي ونذر قسمة مقسومة بينهم لها شرب يوم ولهم شرب يوم
وانما قال بينهم تغليبا للعقلاء و محتضر محضور لهم او للناقة وقيل يحضرون الماء في نوبتهم واللبن في نوبتها و صاحبهم قدار بن
سالف احيمر ثمود فتعاطى فاجترأ على تعاطي الامر العظيم غير مكترث له فاحدث العقر بالناقة. وقيل فتعاطى الناقة
فعقرها او فتعاطى السيف انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ولقد يسرنا القرآن
للذكر فهل من مدكر صيحة واحدة صيحة جبريل عليه السلام والهشيم الشجر اليابس المتهشم المتكسر والمحتظر
الذي يعمل الحظيرة وما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطاه البهائم فيتحطم ويتهشم. وقرأ الحسن رحمة الله عليه بفتح
~~وقرأ الحسن رحمة الله عليه~~ الظاء وهو موضع الاحتظار اي الحظيرة كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا
عليهم حاصبا الا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر حاصبا ريحا تحصبهم بالحجارة
اي ترميهم. بسحر بقطع من الليل وهو السدس الاخير منه وقيل هما سحران فالسحر الاعلى قبل انصداع الفجر والآخر عند
انصداعه. وانشد مرت باعلى السحرين تذال. وصرف لانه نكرة ويقال لقيته سحرا اذا لقيته في سحر يومه و نعمة
مفعول له من شكر نعمة الله بايمانه وطاعته ولقد انذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر ولقد راودوه عن ضيفه
فطمسنا اعينهم فذوقوا عذابي ونذر ولقد انذرهم لوط عليه السلام بطشتنا اخذتنا بالعذاب و فتماروا
بالنذر فكذبوا بالنذر متشاكين و فطمسنا اعينهم فمسحناها وجعلناها كسائر الوجه لا يرى لها شق روي انهم لما
عالجوا باب لوط عليه السلام ليدخلوا قالت الملائكة خلهم يدخلوا انا رسل ربك لن يصلوا اليك فصفقهم جبريل عليه
السلام بجناحه صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون الى الباب حتى اخرجهم لوط عليه السلام و فذوقوا فقلت
لهم ذوقوا على السنة الملائكة ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن
للذكر فهل من مدكر بكرة اول النهار وباكره كقوله تعالى مشرقين ومصبحين وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه بكرة غير
مصروفة تقول اتيته بكرة وغدوة بالتنوين اذا اردت التنكير وبكرة وغدوة اذا عرفت وقصدت بكرة نهارك وغدوته
عذاب مستقر ثابت قد استقر عليهم الى ان يفضي بهم الى عذاب الآخرة فان قلت ما فائدة تكرير قوله تعالى
فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر [illegible]
كل نبأ من انباء الاولين ادكارا واتعاظا وان يستأنفوا تنبها واستيقاظا اذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه
وان تقرع لهم العصا مرات ويقعقع لهم الشن تارات لئلا يغلبهم السهو ولا تستولي عليهم الغفلة وهكذا حكم التكرير
لقوله تعالى فباي آلاء ربكما تكذبان عند كل نعمة عدها في سورة الرحمن وقوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين عند كل آية
اوردها في سورة والمرسلات وكذلك تكرير الانباء والقصص في انفسها لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب مصورة
للاذهان مذكورة غير منسية في كل اوان ولقد جاء آل فرعون النذر كذبوا بآياتنا كلها فاخذناهم اخذ عزيز
مقتدر النذر موسى وهرون عليهما السلام وغيرهما من الانبياء عليهم السلام لانهما عرضا عليهم ما انذر به المرسلون
او جمع نذير وهو الانذار و بآياتنا كلها بالآيات التسع و اخذ عزيز لا يغالب و مقتدر لا يعجزه شيء اكفاركم خير من اولئكم
ام لكم براءة في الزبر ام يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر اكفاركم يا اهل مكة خير من اولئكم الكفار
المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام وآل فرعون اي اهم خير قوة وآلة ومكانة في الدنيا او اقل كفرا وعنادا يعني
ان كفاركم مثل اولئك بل شر منهم ام انزلت عليكم يا اهل مكة و براءة في الكتب المتقدمة ان من كفر منكم وكذب الرسل كان امنا
من عذاب الله فانتم بتلك البراءة و نحن جميع جماعة امرنا مجتمع منتصر ممتنع لا نرام ولا نضام وعن ابي جهل لعنه الله انه

ضرب

ضرب فرسه يوم بدر فتقدم في الصف وقال نحن ننتصر اليوم من محمد واصحابه فنزلت سيهزم الجمع عن ضمير الجمع وتولون الدبر اي عكرمة لما نزلت هذه الآية قال عمر رضي الله عنه اي جمع يهزم فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع
ويقول سيهزم الجمع عرفت تأويلها. ويولون الدبر اي الادبار كما قالوا كلوا في بعض بطنكم. وقرئ الادبار بل الساعة موعدهم
والساعة ادهى وامر ان المجرمين في ضلال وسعر ادهى اشد وافظع والداهية امر المنكر الذي لا يهتدى
لدوائه وامر من الهزيمة والقتل والاسر. وقرئ سيهزم الجمع. في ضلال وسعر في هلاك ونيران او في ضلال عن الحق
في الدنيا ونيران في الآخرة يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر وما امرنا
الا واحدة كلمح بالبصر كقولك وجد مس الحمى وذاق طعم الضرب لان النار اذا اصابتهم بحرها ولحقتهم بايلامها فكانها
تمسهم مسا بذلك كما يمس الحيوان ويباشر بما يؤذي ويؤلم وذوقوا على ارادة القول. وسقر علم لجهنم من سقرته النار
وصقرته اذا لوحته قال ذو الرمة: اذا ذابت الشمس اتقى صقراتها. بافنان مربوع الصريمة معبل.
وعدم صرفها للتعريف والتأنيث كل شيء منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر. وقرئ كل شيء بالرفع والقدر والقدر
التقدير وقرئ بهما اي خلقنا كل شيء مقدرا محكما مرتبا على حسب ما اقتضته الحكمة. او مقدرا مكتوبا في اللوح معلوما
قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه وما امرنا الا واحدة الا كلمة واحدة سريعة التكوين كلمح بالبصر اراد قوله كن يعني انه اذا اراد تكوين
شيء لم يلبث كونه ولقد اهلكنا اشياعكم فهل من مدكر وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر
ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر اشياعكم اشباهكم في الكفر من الامم
في الزبر في دواوين الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال ومن كل ما هو كائن مستطر مسطور في اللوح ونهر
وانهار واكتفى باسم الجنس. وقيل هو السعة والضياء من النهار. وقرئ بسكون الهاء ونهر جمع نهر كاسد واسد
في مقعد صدق في مكان مرضي. وقرئ في مقاعد صدق عند مليك مقتدر مقربين عند مليك مقتدر
مبهم امره في الملك والاقتدار فلا شيء الا وهو تحت ملكه وقدرته. فاي منزلة اكرم من تلك المنزلة واجمع للغبطة
كلها والسعادة باسرها. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل كالبدر

سورة الرحمن عز وجل وهي مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي ست وسبعون آية

الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان عدد الله عز وجل آلاءه فاراد ان يقدم اول شيء ما هو اسبق قدما
من ضروب الآلاء واصناف نعمائه وهي نعمة الدين فقدم من نعمة الدين ما هو في اعلى مراتبها واقصى مراقيها وهو انعامه
بالقرآن وتنزيله وتعليمه لانه اعظم وحي الله رتبة واعلاه منزلة واحسنه في ابواب الدين اثرا وهو سنام الكتب السماوية
ومصداقها والعيار عليها واخر ذكر خلق الانسان عن ذكره ثم اتبعه اياه ليعلم انه انما خلقه للدين وليحيط علما بوحيه
وكتبه. وما خلق الانسان من اجله وكان الغرض في انشائه كان مقدما عليه وسابقا له ثم ذكر ما تميز به من سائر
الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير والرحمن مبتدأ وهذه الافعال مع ضمائرها اخبار مترادفة
واخلاؤها عن العاطف لمجيئها على نمط التعديد كما تقول زيد اغناك بعد فقر اعزك بعد ذل كثرك بعد قلة فعل بك ما لم
يفعله احد باحد فما تنكر احسانه الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان يجريان بحساب معلوم وتقدير
سوي في بروجهما ومنازلهما وفي ذلك منافع للناس عظيمة. منها علم السنين والحساب والنجم النبات الذي
ينجم من الارض لا ساق له كالبقول والشجر الذي له ساق ويسجدان ينقادان لله عز وجل فيما خلقا له وانهما لا يمتنعان

تنبيها بالساجد من المكلفين في انقياده فان قلت كيف اتصلت هاتان الجملتان بالرحمن قلت
استغنى فيهما عن الوصل اللفظي بالوصل المعنوي لما علم ان الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره وكانه قيل الشمس والقمر
بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له فان قلت كيف اخل بالعاطف في الجمل الاول ثم جيء به بعد قلت
بكت بتلك الجمل الاول واردة على سنن التعديد ليكون كل واحدة من الجمل مستقلة في تقريع الذين انكروا الرحمن والاءه
كما يبكت منكر ايادي المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه في المثال الذي قدمته ثم رد الكلام الى منهاجه بعد
التبكيت في وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعاطف فان قلت اي تناسب بين هاتين
الجملتين حتى وسط بينهما العاطف قلت ان الشمس والقمر سماويان و والنجم والشجر ارضيان فبين
القبيلين تناسب من حيث التقابل وان السماء والارض لا تزالان تذكران قرينتين وان جري الشمس والقمر بحسبان
من جنس الانقياد لامر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر وقيل علم القران جعله علامة واية وعن ابن عباس رضي الله
عنهما الانسان ادم عليه السلام وعنه ايضا محمد صلى الله عليه وسلم وعن مجاهد النجم نجوم السما والسماء
رفعها ووضع الميزان الا تطغوا في الميزان والسماء رفعها خلقها مرفوعة مسموكة حيث جعلها منشا احكامه
ومصدر قضاياه ومتنزل اوامره ونواهيه ومسكن ملايكته الذين يهبطون بالوحي على انبيايه ونبه بذلك على
كبريا شانه وملكه وسلطانه و ووضع الميزان وفي قراءة عبد الله وخفض الميزان واراد به كل ما يوزن به الاشيا
وتعرف مقاديرها من ميزان وقرسطون ومكيال ومقياس اي خلقه موضوعا مخفوضا على الارض حيث علق به احكام
عباده وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية والتعديل في اخذهم واعطايهم و ان لا تطغوا لان لا تطغوا
او هي ان المفسرة وقرا عبد الله لا تطغوا بغير ان على ارادة القول واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان
واقيموا الوزن بالقسط وقوموا وزنكم بالعدل و ولا تخسروا الميزان ولا تنقصوه امر بالتسوية ونهي عن الطغيان الذي
هو اعتدا وزيادة وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للامر
باستعماله والحث عليه وقري والسما بالرفع ولا تخسروا بفتح التا وضم السين وكسرها وفتحها يقال خسر الميزان يخسره
ويخسره واما الفتح فعلى ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل والارض وضعها للانام فيها فاكهة والنخل
ذات الاكمام والحب ذو العصف والريحان فباي الاء ربكما تكذبان وضعها خفضها مدحوة على الما
للانام للخلق وهو كل ما على ظهر الارض من دابة وعن الحسن رحمة الله عليه الانس والجن فهي كالمهاد لهم يتصرفون فوقها فاكهة
ضروب مما يتفكه به و الاكمام كل ما يكم اي يغطي من ليفة وسعفة وكفراة وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمرة وجمارة
وجذعه وقيل الاكمام اوعية الثمر الواحد كم بكسر الكاف و والعصف ورق الزرع وقيل التبن والريحان الرزق وهو اللب
اراد فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب والريحان بالكسر
ومعناه والحب ذو العصف الذي هو علف الانعام والريحان اي وخلق الحب والريحان اي واخص الحب والريحان ويجوز ان
يراد وذو الريحان فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه والخطاب في ربكما تكذبان للثقلين بدلالة الانام عليهما
وقوله سنفرغ لكم ايها الثقلان خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار فباي الاء ربكما تكذبان
الصلصال الطين اليابس له صلصلة و والفخار الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف فان قلت قد اختلف التنزيل في هذا
وذلك قوله عز وجل من حما مسنون من طين لازب من تراب قلت هو متفق في المعنى ومفيد انه خلقه
من تراب جعله طينا ثم حما مسنونا ثم صلصالا و الجان ابو الجن وقيل هو ابليس و والمارج اللهب الصافي الذي

لادخان

لا دخان فيه وقيل المختلط بسواد النار من مرج الشيء اذا اضطرب واختلط فان قلت فما معنى قوله من نار
قلت هو بيان المارج كانه قيل من صاف من نار او مختلط من نار مخصوصة كقوله تعالى فانذرتكم نارا تلظى
رب المشرقين ورب المغربين فباي آلاء ربكما تكذبان قرئ رب المشرقين ورب المغربين بالجر بدلا من ربكما واراد
مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فباي آلاء ربكما تكذبان
مرج البحرين ارسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متلاقيين لا فصل بين الماءين في مرأى العين وبينهما برزخ حاجز من
قدرة الله ولا يبغيان لا يتجاوزان حديهما ولا يبغي احدهما على الآخر بالممازجة يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فباي
آلاء ربكما تكذبان قرئ يخرج ويخرج من اخرج وخرج ويخرج اي الله عز وجل اللؤلؤ والمرجان بالنصب ونخرج
بالنون واللؤلؤ الدر والمرجان هذا الخرز الاحمر وهو البسد وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره فان
قلت لم قال منهما وانما يخرجان من الملح قلت لما التقيا صارا كالشيء الواحد جاز ان يقال
يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وتقول خرجت من
البلد وانما خرجت من محلة من محاله بل من دار واحدة من دوره وقيل لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب
وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام فباي آلاء ربكما تكذبان الجواري السفن وقرئ الجوار بحذف الياء
ورفع الراء ونحوه لها ثنايا اربع حسان والمنشآت المرفوعات الشرع وقرئ بكسر الشين وهي الرافعات
الشرع او اللاتي ينشئن الامواج بجريهن والاعلام جمع علم وهو الجبل الطويل كل من عليها فان ويبقى وجه ربك
ذو الجلال والاكرام فباي آلاء ربكما تكذبان عليها على الارض وجه ربك ذاته والوجه يعبر به عن الجملة
والذات ومساكين مكة يقولون اين وجه عربي كريم ينقذنا من الهوان وذو الجلال والاكرام صفة الوجه وقرأ
عبد الله ذي على صفة ربك ومعناه الذي يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه وعن افعالهم او الذي يقال
له ما اجلك وما اكرمك او من عنده الجلال والاكرام للمخلصين من عباده وهذه الصفة من عظيم صفات الله
ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظوا بياذا الجلال والاكرام وعنه عليه السلام انه مر برجل يصلي
وهو يقول يا ذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك فان قلت ما النعمة في ذلك قلت اعظم
النعمة وهي مجيء وقت الجزاء عقيب ذلك يسأله من في السموات والارض كل يوم هو في شأن فباي آلاء
ربكما تكذبان كل من اهل السموات والارض مفتقرون اليه فيسأله اهل السموات ما يتعلق بدينهم
ويسأله اهل الارض ما يتعلق بدينهم ودنياهم كل يوم هو في شأن اي كل وقت وحين يحدث امورا ويجدد
احوالا كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه تلاها فقيل له وما ذلك الشأن فقال من شأنه ان يغفر
ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وعن ابن عيينة رضي الله عنه الدهر عند الله يومان احدهما
اليوم الذي هو مدة الدنيا فشأنه فيه الامر والنهي والاماتة والاحياء والاعطاء والمنع والآخر يوم القيمة
فشأنه فيه الجزاء والحساب وقيل نزلت في اليهود لعنهم الله حين قالوا ان الله لا يقضي يوم السبت شيئا وسأل
بعض الملوك وزيره عنها فاستمهله الى الغد وذهب كئيبا يفكر فيها فقال غلام له اسود يا مولاي اخبرني ما اصابك
لعل الله يسهل لك على يدي فاخبره فقال انا افسرها للملك فاعلمه فقال ايها الملك شأن الله ان يولج الليل في النهار
ويولج النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويشفي سقيما ويسقم سليما ويبتلي معافا ويعافي مبتلى ويعز
ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويغني فقيرا فقال الامير احسنت وامر الوزير ان يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يا مولاي

هذا من شأن الله، وعن عبد الله بن طاهر انه دعا الحسين بن الفضل وقال له اشكلت علي ثلاث ايات دعوتك لتكشفها لي قوله تعالى فاصبح من النادمين وقد صح ان الندم توبة، وقوله كل يوم هو في شان وصح ان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيمة، وقوله وان ليس للانسان الا ما سعى فما بال الاضعاف فقال الحسين يجوز ان لا يكون الندم توبة في تلك الامة ويكون توبة في هذه الامة لان الله عز وجل خص هذه الامة بخصائص لم يشاركهم فيها الامم وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل عليه السلام ولكن على حمله، واما قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى فمعناه ليس له الا ما سعى عدلا ولي ان اجزيه بواحدة الفا فضلا، واما قوله تعالى كل يوم هو في شان فانها شؤون يبديها لا شؤون يبتديها فقام عبد الله وقبل راسه وسوغ خراجه **سنفرغ لكم ايها الثقلان فباي الاء ربكما تكذبان** سنفرغ لكم مستعار من قول الرجل لمن يتهدد سافرغ لك يريد ساتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلني عنه حتى لا يكون لي شغل سواه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه ويجوز ان يراد ستنتهي الدنيا وتبلغ اخرها وتنتهي عند ذلك شؤون الخلق التي ارادها بقوله تعالى كل يوم هو في شان فلا يبقى الا شان واحد وهو جزاؤكم فجعل ذلك فراغا لهم على طريق المثل وقرئ سيفرغ لكم اي الله تعالى وسافرغ لكم بالنون مفتوحا ومكسورا وفتح الراء وسيفرغ بالياء مفتوحا ومكسورا مع فتح الراء وسيفرغ لكم مضموما مع فتح الراء وفي قراءة ابي رضي الله عنه سنفرغ اليكم بمعنى سنقصد اليكم، والثقلان الانس والجن سميا بذلك لانهما ثقلا الارض **يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان فباي الاء ربكما تكذبان** يا معشر الجن والانس كالترجمة لقوله تعالى ايها الثقلان ان استطعتم ان تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكوتي ومن سمائي وارضي فافعلوا ثم قال لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان يعني بقوة وقهر وغلبة واني لكم ذلك ونحوه وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء، وروي ان الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فاذا راهم الجن والانس هربوا فلا ياتون وجها الا وجدوا الملائكة احاطت به **يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران فباي الاء ربكما تكذبان** شواظ ونحاس كلاهما بالضم والكسر والشواظ اللهب الخالص والنحاس الدخان وانشد

يضيء كضوء السراج السليط ۰ لم يجعل الله فيه نحاسا ۰

وقيل الصفر المذاب يصب على رؤسهم، وعن ابن عباس رضي الله عنهما اذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ الى المحشر وقرئ ونحاس مرفوعا عطفا على شواظ ومجرورا عطفا على نار وقرئ ونحس جمع نحاس وهو الدخان نحو لحاف ولحف وقرئ ونحس اي ونقتل بالعذاب، وقرئ نرسل عليكما شواظا من نار ونحاسا فلا تنتصران فلا تمتنعان، **فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان فباي الاء ربكما تكذبان** وردة حمراء كالدهان كدهن الزيت كما قال كالمهل وهو دردي الزيت وهو جمع دهن او اسم ما يدهن به كالحزام والادام، قال الشاعر:

۰ كانهما مزادتان متجل ۰ فريان لما تدهنا بدهان ۰

وقيل الدهان الاديم الاحمر، وقرا عمرو بن عبيد وردة بالرفع بمعنى فحصلت سماء وردة وهو من الكلام الذي يسمى التجريد **فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان فباي الاء ربكما تكذبان** انس بعض من الانس ولا جان اريد به ولا جن اي ولا بعض من الجن فوضع الجان الذي هو ابو الجن موضع الجن كما يقال هاشم ويراد ولده وانما وحد ضمير الانس في قوله تعالى عن ذنبه لكونه في معنى البعض والمعنى لا يسالون لانهم يعرفون بسيما المجرمين وهي سواد الوجوه وزرقة العيون فان قلت هذا خلاف قوله تعالى فوربك لنسالنهم اجمعين، وقوله وقفوهم انهم مسؤلون قلت ذلك يوم طويل وفيه مواطن فيسالون في موطن ولا يسالون في اخر قال قتادة قد كانت مسألة ثم ختم على افواه القوم وتكلمت

ايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون • وقيل لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان ليعلم من جهته • ولكن يسأل سؤال توبيخ • وقرأ الحسن
وعمرو بن عبيد رحمه الله عليهما ف ولا جأن فرارا عن التقاء الساكنين وان كان على حده • يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ
بالنواصي والاقدام فباي آلاء ربكما تكذبان يؤخذ بالنواصي والاقدام • عن الضحاك يجمع بين ناصيته وقدمه
في سلسلة من وراء ظهره • وقيل تسحبهم الملائكة تارة تاخذ بالنواصي وتارة بالاقدام هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون
يطوفون بينها وبين حميم آن فباي آلاء ربكما تكذبان حميم آن ماء حار قد انتهى حره ونضجه اي يعاقب عليهم بين
التصلية بالنار وبين شرب الحميم • وقيل اذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم • وقيل آن واد من اودية جهنم
يجتمع فيه صديد اهل النار فينطلق بهم في الاغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع اوصالهم ثم يخرجون منها وقد احدث الله
تعالى لهم خلقا جديدا • وقرئ يطوفون من التطويف ويطوفون • ويطافون • وفي قراءة عبد الله هذه جهنم التي
كنتما بها تكذبان تصليان لا تموتان فيها ولا تحييان • ويطوف بينها • ونعمة فيما ذكره من هول العذاب
نجاة الناجي منه برحمته وفضله وما في الانذار به من اللطف ولمن خاف مقام ربه جنتان فباي آلاء ربكما
تكذبان مقام ربه موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة • يوم يقوم الناس لرب العالمين ونحوه ولمن
خاف مقامي • ويجوز ان يراد بمقام ربه ان الله قائم عليه اي حافظ مهيمن من قوله عز وعلا افمن هو قائم على كل نفس بما
كسبت فهو يراقب ذلك فلا يجسر على معصيته • وقيل هو مقحم كما تقول اخاف جانب فلان • وفعلت هذا لمكانك • وانشد

ذعرت به القطا • ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين • يريد نفيت عنه الذئب

فان قلت لم قال جنتان قلت الخطاب للثقلين فكانه قيل لكل خائفين منكما جنتان جنة للخائف الانسي
وجنة للخائف الجني • ويجوز ان يقال جنة لفعل الطاعات • وجنة لترك المعاصي لان التكليف دائر عليهما • وان يقال جنة
يثاب بها واخرى تضم اليها على وجه التفضل كقوله تعالى وزيادة • ذواتا افنان فباي آلاء ربكما تكذبان
فيهما عينان تجريان فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان فباي آلاء ربكما تكذبان
خص الافنان بالذكر وهي الغصنة التي تتشعب من فروع الشجرة لانها هي التي تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال ومنها تجتنى
الثمار • وقيل الافنان الوان النعم ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين • قال الشاعر •

ومن كل افنان اللذاذة والصبى • لهوت به والعيش اخضر ناضر •

عينان تجريان حيث شاؤوا في الاعالي والاسافل • وقيل تجريان من جبل من مسك • وعن الحسن رحمه الله تجريان بالماء
الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل • زوجان صنفان قيل صنف معروف وصنف غريب متكئين
على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان فباي آلاء ربكما تكذبان فيهن قاصرات الطرف
لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فباي آلاء ربكما تكذبان كانهن الياقوت والمرجان فباي آلاء
ربكما تكذبان متكئين نصب على المدح للخائفين او حال منهم لان من خاف في معنى الجمع • بطائنها من استبرق من
ديباج ثخين واذا كانت البطائن من استبرق فما ظنكم بالظهائر • وقيل ظهائرها من سندس • وقيل من نور • دان قريب
يناله القائم والقاعد والنائم • وقرئ وجنى بكسر الجيم • فيهن في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة
والفرش والجنى • او في الجنتين لاشتمالهما على اماكن وقصور ومجالس • قاصرات الطرف نساء قصرن ابصارهن على ازواجهن
لا ينظرن الى غيرهم لم يطمث الانسيات منهن احد من الانس ولا الجنيات احد من الجن • وهذا دليل على ان الجن يطمثون
كما يطمث الانس • وقرئ لم يطمثهن بضم الميم • قيل هن في صفاء الياقوت وبياض المرجان • وصغار الدر انصع بياضا • قيل

ان الحور ليلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء **هل جزاء الاحسان الا الاحسان فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان فبأي آلاء ربكما تكذبان** هل جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان في الثواب وعن محمد بن الحنفية رضي الله عنه هي مسجلة للبر والفاجر اي مرسلة يعني ان كل من احسن احسن اليه وكل من اساء اسيء عليه **ومن دونهما** ومن دون تلك الجنتين الموعودتين للمقربين جنتان لمن دونهم من اصحاب اليمين **مدهامتان** قد ادهامتا من شدة الخضرة **فيهما عينان نضاختان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات حسان فبأي آلاء ربكما تكذبان** نضاختان فوارتان بالماء والنضخ اكثر من النضح لان النضح غير معجمة مثل الرش فان قلت لم عطف النخل والرمان على الفاكهة وهما منها قلت اختصاصا لهما وبيانا لفضلهما كأنهما لما لهما من المزية جنسان آخران كقوله تعالى جبريل وميكائيل او لان النخل ثمرة فاكهة والرمان طعام ودواء فلم يخلصا للتفكه ومنه قال ابو حنيفة رحمة الله عليه اذا حلف لا يأكل فاكهة فاكل رمانا او رطبا لم يحنث وخالفه صاحباه خيرات خففت كقوله صلى الله عليه وسلم هينون لينون واما خير الذي هو بمعنى اخير فلا يقال فيه خيرون ولا خيرات وقرئ خيّرات على الاصل والمعنى فاضلات الاخلاق حسان الخلق **حور مقصورات في الخيام فبأي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان** مقصورات قصرن في خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة مخدرة وقيل الخيمة من خيامهن درة مجوفة قبلهم قبل اصحاب الجنتين دل عليهم ذكر الجنتين **متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان فبأي آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام** متكئين نصب على الاختصاص والرفرف ضرب من البسط وقيل البسط وقيل الوسائد وقيل كل ثوب عريض رفرف وقيل لاطراف البسط وفضول الفسطاط رفارف ورفرف السحاب هيدبه والعبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب انه بلد الجن فينسبون اليه كل شيء عجيب وقرئ رفارف خضر بضمتين وعباقري كمدائني نسبة الى عباقر في اسم البلد وروى ابو حاتم عباقري بفتح القاف ومنع الصرف وهذا لا وجه لصحته فان قلت كيف تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن الاوليين حتى قيل ومن دونهما قلت مدهامتان دون ذواتا افنان ونضاختان دون تجريان وفاكهة دون كل فاكهة وكذلك صفة الحور والمتكأ وقرئ ذو الجلال صفة للاسم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله عليه

سورة الواقعة مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي ست وتسعون آية

اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة وقعت الواقعة كقولك كانت الكائنة وحدثت الحادثة والمراد القيامة وصفت بالوقوع لانها تقع لا محالة فكأنه قيل اذا وقعت التي لا بد من وقوعها ووقوع الامر نزوله يقال وقع ما كنت اتوقعه اي نزل ما كنت اترقبه واذا متعلق بمحذوف يعني اذا وقعت كان كيت وكيت او باضمار اذكر **كاذبة** نفس كاذبة اي لا تكون حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب في تكذيب الغيب لان كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة واكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات كقوله عز وجل فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة واللام مثلها في قوله سبحانه وتعالى يا ليتني قدمت لحياتي او ليس لها نفس تكذبها وتقول لها لم تكوني كما لها اليوم نفوس كثيرة يكذبنها يقلن لها لم تكوني او هي من قولهم كذب فلان نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته على مباشرته وقالت له انك تطيقه وما فوقه فتعرض له ولا تبال به على معنى

انها وقعة لا تطاق شدة وفظاعة وان لا نفس حينئذ تحدث صاحبها بما تحدثه به عند عظائم الامور وتزين له
احتمالها واطاقتها لانهم يومئذ اضعف من ذلك واذل الا ترى الى قوله تعالى كالفراش المبثوث والفراش
مثل في الضعف وقيل كاذبة مصدر كالعافية بمعنى التكذيب من قولك حمل على قرنه فما كذب اى فما جبن
وحقيقته فما كذب نفسه فيما حدثته به من اطاقته له واقدامه عليه قال زهير
اذا ما الليث كذب عن اقرانه صدقا اى اذا وقعت لم تكن لها رجعة ولا ارتداد خافضة رافعة على هي خافضة
رافعة ترفع اقواما وتضع اخرين اما وصفا لها بالشدة لان الواقعات العظام كذلك يرتفع فيها ناس الى مراتب
ويتضع ناس واما لان الاشقياء يحطون الى الدركات والسعداء يرفعون الى الدرجات واما انها تزلزل
الاشياء وتزيلها عن مقارها فتخفض بعضا وترفع بعضا حيث تسقط السماء كسفا وتنتثر الكواكب وتنكدر
وتسير الجبال فتمر في الجو مر السحاب وقرئ خافضة رافعة بالنصب على الحال اذا رجت الارض رجا وبست
الجبال بسا فكانت هباء منبثا رجت حركت تحريكا شديدا حتى ينهدم كل شيء فوقها من جبل وبناء و
بست الجبال وفتت حتى تعود كالسويق او سيقت من بس الغنم اذا ساقها كقوله تعالى وسيرت الجبال
ومنبثا متفرقا وقرئ بالتاء اى منقطعا وقرئ رجت وبست اى ارتجت وذهبت وفي كلام بنت الخس عينها
هاج وصلاها راج وهي تمشي وتفاج فان قلت بم انتصب اذا رجت قلت هو بدل من اذا وقعت
ويجوز ان ينتصب بخافضة رافعة اى تخفض وترفع وقت رج الارض وبس الجبال لانه عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع
ويرتفع ما هو منخفض وكنتم ازواجا اصنافا يقال للاصناف التي بعضها مع بعض او يذكر بعضها مع بعض ازواج فاصحاب
الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة فاصحاب الميمنة الذين يؤتون صحائفهم
بايمانهم واصحاب المشأمة الذين يؤتونها بشمائلهم او اصحاب المنزلة الدنية من قولك فلان مني باليمين وفلان مني
بالشمال اذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعة وذلك لتيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل ولتفولهم بالسانح
وتطيرهم من البارح ولذلك اشتقوا لليمين الاسم من اليمن وسموا الشمال الشومى وقيل اصحاب الميمنة
واصحاب المشأمة اصحاب اليمن والشؤم لان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها
بمعصيتهم وقيل يؤخذ باهل الجنة ذات اليمين وباهل النار ذات الشمال والسابقون السابقون اولئك المقربون
في جنات النعيم ثلة من الاولين وقليل من الاخرين والسابقون المخلصون الذين سبقوا الى ما دعاهم الله عليه وشقوا
الغبار في طلب مرضات الله تعالى وقيل الناس ثلاثة فرجل ابتكر الخير في حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا
السابق المقرب ورجل ابتكر عمره بالذنب وطول الغفلة ثم تراجع بتوبته فهذا صاحب اليمين ورجل ابتكر الشر في
حداثة سنه ثم لم يزل عليه حتى خرج من الدنيا فهذا صاحب الشمال ما اصحاب الميمنة وما اصحاب المشأمة
تعجيب من حال الفريقين في السعادة والشقاوة والمعنى اي شيء هم والسابقون السابقون يريد والسابقون من عرفت
حالهم وبلغك وصفهم كقوله عبد الله عبد الله وقول ابي النجم انا ابو النجم وشعري شعري كانه قال
وشعري ما انتهى اليك وسمعت بفصاحته وبراعته وقد جعل السابقون تاكيدا واولئك المقربون خبرا وليس بذاك
ووقف بعضهم على والسابقون وابتدأ السابقون اولئك المقربون والصواب ان يوقف على الثاني لانه تمام الجملة
وهو في مقابلة ما اصحاب الميمنة وما اصحاب المشأمة المقربون في جنات النعيم الذين قربت درجاتهم في الجنة
من العرش واعليت مراتبهم وقرئ في جنة النعيم الثلة الامة من الناس الكثيرة قال وجاءت اليهم ثلة خندفية

يجلس كبارًا من السيل مزبد وقوله تعالى وقليل من الاخرين وكفى به دليلا على الكثرة وهي من الثل وهو الكسر كما
ان الامة من الامم وهو الشج كانها جماعة كسرت من الناس وقطعت منهم والمعنى ان السابقين كثير من الاولين وهم
الامم من لدن ادم الى محمد صلى الله عليه وسلم وقليل من الاخرين وهم امة محمد عليه السلام وقيل من الاولين من
متقدمي هذه الامة ومن الاخرين من متاخريها وعن النبي صلى الله عليه وسلم الثلتان جميعا من امتي فان قلت
كيف قال وقليل من الاخرين ثم قال وثلة من الاخرين قلت هذا في السابقين وذلك في اصحاب اليمين وانهم
يتكاثرون من الاولين والاخرين جميعا فان قلت فقد روي انها لما نزلت شق ذلك على المومنين فما زال
رسول الله عليه السلام يراجع ربه عز وجل حتى نزلت ثلة من الاولين وثلة من الاخرين قلت
هذا لا يصح لامرين احدهما ان هذه الاية واردة في السابقين ورودا ظاهرا وكذلك الثانية في اصحاب اليمين الا ترى
كيف عطف اصحاب اليمين ووعدهم على السابقين ووعدهم والثاني ان النسخ في الاخبار غير جائز وعن الحسن رحمة
الله عليه سابقو الامم اكثر من سابقي امتنا وتابعو الامم مثل تابعي هذه الامة وثلة خبر مبتدا محذوف اي هم ثلة
على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين موضونة مرمولة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت قد دوخل بعضها في
بعض كما يوضن حلق الدرع قال الاعشى ومن نسج داود موضونة وقيل متواصلة ادني بعضها من
بعض ومتكئين حال من الضمير في على وهو العامل فيها اي استقروا عليها ومتكئين متقابلين لا ينظر بعضهم في اقفاء بعض
وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق والاداب يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب واباريق وكاس
من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون مخلدون مبقون ابدا على شكل الولدان وحد الوصافة لا يتحولون عنه وقيل
مقرطون والخلدة القرط وقيل هم اولاد اهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها
روي عن علي رضي الله عنه وعن الحسن رحمة الله عليه وفي الحديث اولاد الكفار خدام اهل الجنة والاكواب اوان
بلا عرى وخراطيم والاباريق ذوات الخراطيم لا يصدعون عنها اي بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم
عنها او لا يفرقون عنها وقرا مجاهد لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون لا يتفرقون كقوله عز وجل
يومئذ يصدعون ويصدعون اي لا يصدع بعضهم بعضا لا يفرقونهم وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما
يشتهون وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون يتخيرون ياخذون خيره وافضله
يشتهون يتمنون وقرى ولحوم طير وقرى وحور عين بالرفع على وفيها حور عين كبيت الكتاب كنوهم

بهون عن اكل وعن شرب ※ الا رواكد جمرهن هباء ومشجج

او للعطف على ولدان وبالجر عطفا على جنات النعيم كانه قال هم في جنات النعيم وفاكهة ولحم وحور او على اكواب
لان معنى يطوفون عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب وبالنصب على ويوتون حورا وجزاء مفعول له اي يفعل
بهم ذلك كله جزاء باعمالهم لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما سلاما سلاما اما بدل من قيلا بدليل
قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما واما مفعول به لقيلا بمعنى لا يسمعون فيها الا ان يقولوا سلاما سلاما
والمعنى انهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام وقرى سلام سلام على الحكاية واصحاب اليمين ما
اصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب السدر شجر النبق والمخضود
الذي لا شوك له كانما خضد شوكه وعن مجاهد الموقر الذي تثنى اغصانه كثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو
رطب والطلح شجر الموز وقيل هو شجر ام غيلان وله نوار كثير طيب الرائحة وعن السدي شجر يشبه طلح الدنيا

ولكن له ثمر احلى من العسل. وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قرأ وطلع وما شان الطلح. وقرأ قوله لها طلع
نضيد. فقيل او نحولها. فقال اي القرآن لا يهاج اليوم ولا يحول. وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قرأ وطلع
نحوه. والمنضود الذي نضد بالحمل من اسفله الى اعلاه فليست له ساق بارزة. وظل ممدود ممتد منبسط
لا يتقلص كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس. مسكوب يسكب لهم اين شاؤا وكيف شاؤا لا يتعنون فيه. وقيل
دائم الجرية لا ينقطع. وقيل مصبوب يجري على الارض في غير اخدود. وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة
لا مقطوعة هي دائمة لا تنقطع في بعض الاوقات كفواكه الدنيا. ولا ممنوعة لا تمنع عن متناولها بوجه ولا
يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا. وقرئ وفاكهة كثيرة بالرفع على وهناك فاكهة كقوله تعالى وحور عين. وفرش
مرفوعة انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا لاصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين
وفرش جمع فراش وقرئ وفرش بالتخفيف مرفوعة نضدت حتى ارتفعت او مرفوعة على الاسرة. وقيل هي النساء لان المرأة
يكنى عنها بالفراش مرفوعة على الارائك قال الله سبحانه وتعالى هم وازواجهم في ظلال على الارائك
متكئون ويدل عليه قوله تعالى انا انشأناهن انشاء وعلى التفسير الاول اضمر لهن لان ذكر الفرش وهي المضاجع
دل عليهن انشأناهن انشاء ابتدأنا خلقهن ابتداء جديدا من غير ولادة. فاما ان يراد اللاتي ابتدئ انشاؤهن او اللاتي
اعيد انشاؤهن. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ام سلمة رضي الله عنها سألته عن قول الله عز وجل انا انشأناهن فقال
يا ام سلمة هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد في الاستواء كلما
اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا. فلما سمعت ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت واوجعاه فقال رسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هناك وجع. وقالت عجوز لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله ان يدخلني الجنة
فقال ان الجنة لا يدخلها العجائز فولت وهي تبكي فقال عليه الصلاة والسلام اخبروها انها ليست يومئذ
بعجوز. وقرأ الآية. عربا وعربا بالتخفيف جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل. اترابا
مستويات في السن بنات ثلاث وثلاثين وازواجهن ايضا كذلك. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدخل اهل الجنة الجنة جردا مردا بيضا جعادا مكحلين ابناء ثلاث وثلاثين. واللام في لاصحاب اليمين من
صلة انشأنا وجعلنا. واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم
انهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون على الحنث العظيم. في سموم في حر نار ينفذ في المسام. وحميم
وماء حار متناه في الحرارة. وظل من يحموم من دخان اسود بهيم. لا بارد ولا كريم نفى لصفتي الظل عنه يريد
انه ظل ولكن لا كسائر الظلال سماه ظلا ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه لمن يأوي اليه من اذى الحر وذلك
كرمه ليمحق ما في مدلول الظل من الاسترواح اليه. والمعنى انه ظل حار ضار الا ان للنفي في
نحو هذا شأنا ليس للاثبات. وفيه تهكم باصحاب المشأمة وانهم لا يستأهلون الظل البارد الكريم الذي هو
لاضدادهم في الجنة. وقرئ لا بارد ولا كريم بالرفع اي لا هو كذلك. والحنث الذنب العظيم ومنه قولهم
بلغ الغلام الحنث اي الحلم ووقت المؤاخذة بالمأثم. ومنه حنث في يمينه خلاف بر فيها. ويقال تحنث اذا تأثم وتحرج
وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون او آباؤنا الاولون قل ان الاولين
والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم. او آباؤنا دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف. فان
قلت كيف حسن العطف على المضمر في لمبعوثون من غير تأكيد بنحن. قلت حسن للفاصل

الذي هو الهمزة كما حسن في قوله تعالى ما اشركنا ولا اباؤنا الفصل لا المؤكدة للنفي وقرئ او اباؤنا. وقرئ لمجموعون الى ميقات يوم معلوم الى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من كخاتم فضة. والميقات ما وقت به الشيء اي حدّه ومنه مواقيت الاحرام وهي الحدود التي لا يجاوزها من يريد دخول مكة الا محرما ثم انكم ايها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم ايها الضالون عن الهدى المكذبون بالبعث وهم اهل مكة ومن في مثل حالهم من شجر من زقوم من الاولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره وانث ضمير الشجر على المعنى وذكّر على اللفظ في قوله منها وعليه ومن قرأ من شجرة من زقوم فقد جعل الضميرين للشجرة وانما ذكّر الثاني على تاويل الزقوم لانه تفسيرها وهي معنى شرب الهيم. قرئ بالحركات الثلث فالفتح والضم مصدران. وعن جعفر الصادق رضي الله عنه ايام اكل وشرب بفتح الشين واما المكسور فبمعنى المشروب اي ما يشربه الهيم. وهي الابل التي بها الهيام وهو داء يشرب منه فلا تروى جمع اهيم وهيماء قال ذو الرمة

فاصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضي عليها هيامها

وقيل الهيم الرمال ووجهه ان يكون جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على فُعُل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم الى اكل الزقوم الذي هو كالمهل فاذا ملؤا منه البطون يسلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذي يقطع امعاءهم فيشربونه شرب الهيم. فان قلت كيف صح عطف الشاربين على الشاربين وهما لذوات متفقة وصفتان متفقتان فكان عطفا للشيء على نفسه قلت ليستا متفقتين من حيث ان كونهم شاربين الحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة وقطع الامعاء امر عجيب وشربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الماء امر عجيب ايضا فكانتا صفتين مختلفتين هذا نزلهم يوم الدين نحن خلقناكم فلولا تصدقون النزل الرزق الذي يعد للنازل تكرمة له. وفيه تهكم كما في قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم وكقول ابي الشعر الضبي

وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا

وقرئ نزلهم بالتخفيف فلولا تصدقون تحضيض على التصديق. اما بالخلق لانهم وان كانوا مصدقين به الا انهم لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق فكانهم مكذبون به. واما بالبعث لان من خلق اولا لم يمتنع عليه ان يخلق ثانيا افرأيتم ما تمنون أانتم تخلقونه ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ما تمنون ما تمنونه اي تقذفونه في الارحام من النطف في الارحام من النطف وقرأ ابو السمال بفتح التاء يقال امنى النطفة ومناها قال الله تعالى من نطفة اذا تمنى تخلقونه تقدرونه وتصورونه قدرنا بينكم الموت تقديرا وقسمناه عليكم قسمة الرزق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيئتنا فاختلفت اعماركم من قصير وطويل ومتوسط وقرئ قدرنا بالتخفيف سبقته على الشيء اذا اعجزته عنه وغلبته عليه ولم تمكنه منه فمعنى قوله تعالى وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم انا قادرون على ذلك لا تغلبوننا عليه وامثالكم جمع مثل اي على ان نبدل منكم ومكانكم اشباهكم من الخلق وعلى ان ننشئكم في خلق لا تعلمونها وما عهدتم

بمثلها

بمثلها يعني انا نقدر على الامرين جميعا على خلق ما يماثلكم فكيف نعجز عن اعادتكم • ويجوز ان يكون امثالكم جمع مثل
اى على ان نبدل ونغير صفاتكم التي انتم عليها في خلقكم واخلاقكم ن وننشئكم في صفات لا تعلمونها قرئ
النشأة والنشاءة وفي هذا دليل على صحة القياس حيث جهلهم في ترك قياس النشأة الاخرى على الاولى
افرايتم ما تحرثون أانتم تزرعونه ام نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون انا
لمغرمون بل نحن محرومون افرايتم ما تحرثون من الطعام اى تبذرون حبه وتعملون في ارضه أانتم
تزرعونه تنبتونه وتردونه نباتا يرف وينمي الى ان يبلغ الغاية وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن
احدكم زرعت وليقل حرثت • قال ابو هريرة رضي الله عنه ارايتم الى قوله تعالى افرايتم الاية ن والحطام
من حطم كالفتات والجذاذ من فت وجذ وهو ما صار هشيما وتحطم ن فظلتم وقرئ بالكسر وفظللتم على الاصل
تفكهون تعجبون • وعن الحسن رحمة الله عليه تندمون على تعبكم فيه وانفاقكم عليه او على ما اقترفتم من المعاصي
التي اصبتم بذلك من اجلها • وقرئ تفكنون • ومنه الحديث مثل العالم كمثل الحمة يأتيها البعداء ويتركها القربا فبينا هم
اذ غار ماؤها فانتفع بها قوم وبقي قوم يتفكنون اي يتندمون ن انا لمغرمون لملزمون غرامة ما انفقنا او
مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك ن بل نحن محرومون محارفون محدودون لا حظ لنا ولا بخت
ولو كنا مجدودين لما جرى علينا هذا • وقرئ أئنا أفرايتم الماء الذي تشربون أانتم انزلتموه من المزن ام
نحن المنزلون لو نشاء جعلناه اجاجا فلولا تشكرون الماء الذي تشربون يريد الماء العذب الصالح للشرب
والمزن السحاب الواحدة مزنة وقيل هو السحاب الابيض خاصة • وهو اعذب ماء ن اجاجا ملحا زعاقا لا يقدر على
شربه فان قلت لم ادخل اللام على جواب لو في قوله تعالى لجعلناه حطاما ونزعت منه ههنا
قلت ان لو لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالاولى تعلق الجزاء بالشرط ولم تكن مخلصة
للشرط كان ولا عاملة مثلها وانما سرى فيها معنى الشرط اتفاقا من حيث افادتها في مضموني جملتيها ان الثاني
امتنع لامتناع الاول افتقرت في جوابها الى ما ينصب علما على هذا التعلق فزيدت هذه اللام لتكون علما
على ذلك فاذا حذفت بعد ما صارت علما مشهورا مكانه فلان الشيء اذا علم وشهر موقعه وصار مألوفا ومأنوسا به
لم يبال باسقاطه عن اللفظ استغناء بمعرفة السامع • الا ترى الى ما يحكى عن رؤبة انه كان يقول خير لمن قال
له كيف اصبحت فحذف الجار لعلم كل احد بمكانه وتساوي حالي حذفه واثباته لشهرة امره وناهيك بقول
اوس :

حتى اذا الكلاب قال لها • كاليوم مطلوبا ولا طلبا

وحذفه لم ار فاذن حذفها اختصار لفظي وهي ثابتة في المعنى فاستوى الموضعان لا فرق بينهما على ان تقدم
ذكرها والمسافة قريبة مغنية عن ذكرها ثانية ونائب عنه • ويجوز ان يقال ان هذه اللام مفيدة
معنى التوكيد لا محالة فادخلت في اية المطعوم دون اية المشروب للدلالة على ان امر المطعوم مقدم على امر
المشروب وان الوعيد بفقده اشد واصعب من قبل ان المشروب انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم • الا ترى انك
انما تسقي ضيفك بعد ان تطعمه • ولو عكست قعدت تحت قول ابي العلاء •

اذا سقيت ضيوف الناس محضا • سقوا اضيافهم شبما زلالا

وسقى بعض العرب فقال انا لا اشرب الا على ثميلة • ولهذا قدمت اية المطعوم على اية المشروب افرايتم
النار التي تورون أانتم انشأتم شجرتها ام نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين

فسبح باسم ربك العظيم تورون تقدحونها وتستخرجونها من الزناد والعرب تقدح بعودين تحك احدهما على الآخر
ويسمون الأعلى الزند والأسفل الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة و شجرتها التي منها الزناد و تذكرة تذكيرا لنار جهنم
حيث علقنا بها اسباب المعايش كلها وعممنا بالحاجة اليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون اليها ويذكرون ما
اوعدوا به او جعلناها تذكرة وانموذجا من جهنم لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التي يوقد بنو
آدم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم و متاعا ومنفعة و للمقوين الذين ينزلون القوا وهي القفر او للذين خلت
بطونهم او مزاودهم من الطعام يقال اقويت من الطعام اي لم آكل شيئا و فسبح باسم ربك العظيم فأحدث التسبيح
بذكر اسم ربك او اراد بالاسم الذكر اي بذكر ربك و والعظيم صفة للمضاف او للمضاف اليه والمعنى انه لما ذكر
ما دل على قدرته وانعامه على عباده قال فأحدث التسبيح وهو ان يقول سبحان الله اما تنزيها له عما
يقول الظالمون الذين يجحدون وحدانيته ويكفرون نعمته واما تعجبا من امرهم في غمط الآية وايادية
الظاهرة واما شكرا لله على النعم التي عدها ونبه عليها فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم
فلا اقسم معناه فأقسم ولا مزيدة موكدة مثلها في قوله عز وجل لئلا يعلم اهل الكتاب وقرأ الحسن
رحمة الله عليه فلأقسم ومعناه فلأنا اقسم عليه اللام لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدإ وخبر وهي انا اقسم
كقولك لزيد منطلق ثم حذف المبتدأ ولا يصح ان تكون اللام لام القسم لأمرين احدهما ان حقها
ان يقرن بها النون المؤكدة والاخلال بها ضعيف قبيح والثاني ان لأفعلن في جواب القسم للاستقبال
وفعل القسم يجب ان يكون للحال و بمواقع النجوم بمساقطها ومغاربها ولعل لله تعالى في آخر الليل اذا
انحطت النجوم الى المغرب افعالا مخصوصة عظيمة او للملائكة عبادات موصوفة او لانه وقت قيام المتهجدين
والمبتهلين اليه من عباده الصالحين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك اقسم بمواقعها واستعظم
ذلك بقوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم او اراد بمواقعها منازلها ومسايرها وله تعالى في
ذلك من الدليل على عظيم القدرة والحكمة ما لا يحيط به الوصف وقوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم
اعتراض في اعتراض لانه اعترض به بين القسم والمقسم عليه وهو قوله تعالى انه لقرآن كريم واعترض
بلو تعلمون بين الموصوف وصفته وقيل مواقع النجوم اوقات وقوع نجوم القرآن اي اوقات نزولها افبهذا
الحديث انتم مدهنون وتجعلون رزقكم انكم تكذبون افبهذا الحديث
يعني القرآن انتم مدهنون اي متهاونون به كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب فيه
تهاونا به وتجعلون رزقكم انكم تكذبون على حذف المضاف يعني وتجعلون شكر رزقكم
انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون تنزيل من رب العالمين
كريم حسن مرضي في جنسه من الكتب او نفاع جم المنافع او كريم على الله عز وجل و في كتاب مكنون
مصون من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وهم المطهرون من جميع الادناس
ادناس الذنوب وما سواها ان جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح وان جعلته صفة
للقرآن فالمعنى لا ينبغي ان يمسه الا من هو على الطهارة من الناس يعني مس المكتوب منه ومن الناس
من حمله على القراءة ايضا وعن ابن عمر رضي الله عنهما احب الي ان لا يقرأ الا وهو طاهر وعن ابن عباس
رضي الله عنهما في رواية انه كان يبيح القراءة للجنب ونحوه نزلت رسول الله صلى الله عليه وسلم

احد المسلم لا يظلمه ولا يسلمه اى لا ينبغى له ان يظلمه او يسلمه. وقرئ المتطهرون بالادغام. والمطهرون
من اطهره بمعنى طهره والمطهرون بمعنى يطهرون انفسهم او غيرهم بالاستغفار لهم والوحى الذى
ينزلونه. تنزيل صفة رابعة للقران اى منزل من رب العالمين. او وصف بالمصدر لانه نزل نجوما
من بين سائر كتب الله فكانه فى نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى بعض اسمائه فقيل جاء فى التنزيل
كذا ونطق به التنزيل او هو تنزيل على حذف المبتدا. وقرئ تنزيلا على نزل تنزيلا افبهذا الحديث
انتم مدهنون وتجعلون رزقكم انكم تكذبون افبهذا الحديث يعنى
القران انتم مدهنون اى متهاونون به كمن يدهن فى الامر اى يلين جانبه ولا يتصلب فيه
تهاونا به. وتجعلون رزقكم انكم تكذبون على حذف المضاف يعنى وتجعلون شكر رزقكم
التكذيب اى وضعتم التكذيب موضع الشكر. وقرأ على بن ابى طالب رضى الله عنه. وتجعلون
شكركم انكم تكذبون. وقيل هى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم. والمعنى وتجعلون
شكركم لنعمة القران انكم تكذبون به. وقيل نزلت فى الانواء ونسبتهم السقيا اليها والرزق المطر
يعنى وتجعلون شكر ما يرزقكم الله من الغيث انكم تكذبون بكونه من الله تعالى حيث تنسبونه
الى النجوم. وقرئ تكذبون وهو قولهم فى القران سحر وشعر وافترا وفى المطر هو من الانواء ولان كل
مكذب بالحق كاذب فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون ونحن اقرب
اليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين ترتيب
الاية فلولا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين. وفلولا الثانية مكررة للتوكيد والضمير
فى ترجعونها للنفس وهى الروح وفى اقرب اليه للمحتضر غير مدينين غير مربوبين من دان السلطان الرعية
اذا ساسهم ونحن اقرب اليه منكم يا اهل الميت بقدرتنا وعلمنا. او بملائكة الموت. والمعنى انكم فى
جحودكم افعال الله واياته فى كل شئ ان انزل عليكم كتابا معجزا قلتم سحر وافترا وان ارسل اليكم رسولا
قلتم ساحر كذاب وان رزقكم مطرا يحييكم به قلتم صدق نوء كذا على مذهب يؤدى الى الاهمال
والتعطيل فما لكم لا ترجعون الروح الى البدن بعد بلوغه الحلقوم ان لم يكن ثم قابض وكنتم صادقين فى
تعطيلكم وكفركم بالمحيى المميت المبدئ المعيد فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة
نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين فاما ان كان المتوفى من المقربين
من السابقين من الازواج الثلاثة المذكورة فى اول السورة فروح فله استراحة. وروت عايشة
رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم فروح بالضم. وقرأ به الحسن رحمة الله عليه. وقال الروح
الرحمة لانها كالحيوة للمرحوم وقيل البقاء اى فهذان له معا وهو الخلود مع الرزق والنعيم والريحان الرزق
فسلام لك من اصحاب اليمين اى فسلام لك يا صاحب اليمين من اخوانك اصحاب اليمين اى يسلمون عليك كقوله
تعالى الا قيلا سلاما سلاما واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ان هذا
لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم فنزل من حميم كقوله تعالى هذا نزلهم يوم الدين وقرئ
بالتخفيف وتصلية جحيم وقرئ بالرفع والجر عطفا على نزل وحميم ان هذا الذى انزل فى هذه السورة

و لهو حق اليقين اى الحق الثابت من اليقين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا

سورة الحديد مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي تسع عشرة آية

سبح لله ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم له ملك السموات والارض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير جاء في بعض الفواتح سبح على لفظ الماضي وفي بعضها على لفظ المضارع وكل واحد منهما معناه ان من شان من اسند اليه التسبيح ان يسبحه وذلك هجيراه وديدنه وقد عدي هذا الفعل باللام تارة وبنفسه اخرى في قوله تعالى وتسبحوه واصله التعدي بنفسه لان معنى سبحته بعدته عن السوء منقول من سبح اذا ذهب وبعد فاللام لا تخلو اما ان تكون مثل اللام في نصحته ونصحت له واما ان يراد بسبح لله احدث التسبيح لاجل الله ولوجهه خالصا وما في السموات والارض ما يتأتى منه التسبيح ويصح فان قلت ما محل يحيي قلت يجوز ان لا يكون له محل ويكون جملة برأسها كقوله تعالى له ملك السموات وان يكون مرفوعا على هو يحيي ويميت ومنصوبا حالا من المجرور في له والجار عاملا فيها ومعناه يحيي النطف والبيض والموتى يوم القيمة ويميت الاحياء هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم هو الاول هو القديم الذي كان قبل كل شيء والآخر الذي يبقى بعد هلاك كل شيء والظاهر بالادلة الدالة عليه والباطن لكونه غير مدرك بالحواس فان قلت فما معنى الواو قلت الواو الاولى معناها الدلالة على انه الجامع بين الصفتين الاولية والآخرية والثالثة على انه الجامع بين الظهور والخفاء واما الوسطى فعلى انه الجامع بين مجموع الصفتين الاوليين ومجموع الصفتين الاخريين فهو المستمر الوجود في جميع الاوقات الماضية والآتية وهو في جميعها ظاهر وباطن جامع للظهور بالادلة والخفاء فلا يدرك بالحواس وفي هذا حجة على من جوز ادراكه في الآخرة بالحاسة وقيل الظاهر العالي على كل شيء الغالب له من ظهر عليه اذا علاه وغلبه والباطن الذي بطن كل شيء اي علم باطنه وليس بذاك مع العدول عن الظاهر المفهوم هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير مستخلفين فيه يعني ان الاموال التي في ايديكم انما هي اموال الله تعالى بخلقه وانشائه لها وانما مولكم اياها وخولكم للاستمتاع بها وجعلكم خلفاء في التصرف فيها فليست هي باموالكم في الحقيقة وما انتم فيها الا بمنزلة الوكلاء والنواب فانفقوا منها في حقوق الله عز وجل وليهن عليكم الانفاق منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره اذا اذن له فيه او جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما في ايديكم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينتقل منكم الى من بعدكم فلا تبخلوا به وانفعوا بالانفاق منها انفسكم وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد اخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين

لا تؤمنون

لا تومنون حال من معنى الفعل في ما لكم كما تقول مالك قايما بمعنى ما تصنع قايما اي وما لكم كافرين
بالله والواو في والرسول و يدعوكم واو الحال فهما حالان متداخلتان وقرى وما لكم لا تومنون
بالله ورسوله والرسول يدعوكم والمعنى واى عذر لكم فى ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه
وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبراهين والحجج وقبل ذلك قد اخذ الله ميثاقكم بالايمان
حيث ركب فيكم العقول ونصب لكم الادلة ومكنكم من النظر وازاح عللكم فاذ لم يبق لكم
علة بعد ادلة العقول وتنبيه الرسول و فما لكم لا تومنون ان كنتم مومنين لموجب ما فان هذا
الموجب لا مزيد عليه وقرى اخذ ميثاقكم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل هو الذي ينزل على
عبده ايات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور وان الله بكم لروف رحيم
ليخرجكم الله باياته ن من ظلمات الكفر الى نور الايمان او ليخرجكم الرسول بدعوته ن لروف وقرى
لروف وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض لا يستوي منكم
من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا الا تنفقوا في الا
تنفقوا ن ولله ميراث السموات والارض يرث كل شي فيهما لا يبقى منه باق لاحد من مال وغيره
يعنى واى غرض لكم في ترك الانفاق في سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم فوارث اموالكم
وهو من ابلغ البعث على الانفاق في سبيل الله ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال لا يستوي منكم
من انفق من قبل الفتح قبل فتح مكة قبل عز الاسلام وقوة اهله ودخول الناس في دين الله افواجا وقلة
الحاجة الى القتال والنفقة فيه ومن انفق من بعد الفتح فحذف لوضوح الدلالة اولئك الذين انفقوا
قبل الفتح وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار رضوان الله عليهم اجمعين الذين قال فيهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه اعظم درجة
وقرى قبل الفتح وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير وكلا وكل واحد من الفريقين
ن وعد الله الحسنى اى المثوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات وقرى بالرفع على وكل وعده
الله وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه لانه اول من اسلم واول من انفق في سبيل الله
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله اجر كريم القرض الحسن الانفاق
في سبيل الله شبه ذلك بالقرض على سبيل المجاز لانه اذا اعطى ماله لوجهه فكانه اقرضه اياه ن
فيضاعفه له اى يعطيه اجره على انفاقه مضاعفا اضعافا من فضله و وله اجر كريم يعني وذلك
الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه وقرى فيضعفه وقريا منصوبين على جواب الاستفهام
والرفع عطف على يقرض او على فيضاعفه يوم ترى المومنين والمومنات يسعى نورهم بين ايديهم
وبايمانهم بشريكم اليوم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم
يوم ترى ظرف لقوله تعالى وله اجر كريم او منصوب باضمار اذكر تعظيما لذلك اليوم وانما قال بين
ايديهم وبايمانهم لان السعداء يوتون صحايف اعمالهم من هاتين الجهتين كما ان الاشقيا يوتونها من
شمايلهم ووراء ظهورهم فيجعل النور في الجهتين شعارا لهم واية لانهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحايفهم البيض
افلحوا فاذا ذهب بهم الى الجنة ومروا على الصراط يسعون يسعى بسعيهم ذلك النور جنيبا لهم ومتقدما ويقول

لهم الذين يتلقونهم من الملائكة يبشراكم اليوم. وقرئ ذلك الفوز. يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين
آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا. يوم يقول بدل من يوم ترى. وانظرونا
انتظرونا لأنهم يسرع بهم إلى الجنة كالبروق الخاطفة على ركاب تذف بهم وهؤلاء مشاة. أو انظروا إلينا
لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم والنور بين أيديهم فيستضيئون به. وقرئ أنظرونا من النظرة
وهي الإمهال جعل اتئادهم في المضي إلى أن يلحقوا بهم إنظارا لهم. ونقتبس من نوركم نصب منه. وذلك أن
يلحقوا بهم فيستنيروا به. وقيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا طرد لهم وتهكم بهم أي ارجعوا إلى الموقف
إلى حيث أعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك فمن ثم يقتبس. أو ارجعوا إلى الدنيا فالتمسوا نورا
بتحصيل سببه وهو الإيمان. أو ارجعوا خائبين وتنحوا عنا فالتمسوا نورا آخر فلا سبيل لكم إلى هذا النور وقد
علموا أن لا نور وراءهم وإنما هو تخييب وإقناط لهم. فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره
من قبله العذاب. فضرب بينهم بسور بين المؤمنين والمنافقين بحائط حائل بين شق الجنة وشق
النار. وقيل هو الأعراف. لذلك السور باب لأهل الجنة يدخلون منه. باطنه باطن السور أو الباب
وهو الشق الذي يلي الجنة. وظاهره ما ظهر لأهل النار. من قبله العذاب من عنده ومن جهته
العذاب وهو الظلمة والنار. وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما فضرب بينهم على البناء للفاعل.
ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم
وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور. ألم نكن معكم يريدون موافقتهم في الظاهر. فتنتم
أنفسكم محنتموها بالنفاق وأهلكتموها. وتربصتم بالمؤمنين الدوائر. وغرتكم الأماني طول الآمال
والطمع في امتداد الأعمار. حتى جاء أمر الله وهو الموت. وغركم بالله الغرور. وغركم الشيطان بأن الله عفو رحيم
غفور كريم لا يعذبكم. وقرئ الغرور بالضم. فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم
النار هي مولاكم وبئس المصير. فدية ما يفتدى به. هي مولاكم قيل هي أولى بكم. وأنشد

فغدت كلا الفرجين تحسب أنه مولى المخافة خلفها وأمامها

وحقيقة مولاكم محراكم ومقمنكم أي مكانكم الذي يقال فيه هو أولى بكم كما قيل هو مئنة للكرم
أي مكان لقول القائل إنه لكريم. ويجوز أن يراد هي ناصركم أي لا ناصر لكم غيرها. والمراد نفي
الناصر على البتات. ونحوه قولهم أصيب فلان بكذا فاستنصر الجزع. ومنه قوله عز وجل يغاثوا بماء كالمهل.
وقيل تتولاكم كما توليتم في الدنيا أعمال أهل النار. ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من
الحق. ألم يأن من أنى الأمر يأني إذا جاء إناه أي وقته. وقرئ ألم يئن من آن يئين بمعنى أنى يأني. وألما يأن. قيل
كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت. وعن
ابن مسعود رضي الله عنهما إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول
القرآن. وعن الحسن رحمة الله عليه أما والله لقد استبطأهم وهم يقرؤون من القرآن أقل مما تقرؤون فانظروا
في طول ما قرأتم منه وما ظهر فيكم من الفسق. وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه
أن هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من أهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا
فنظر إليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب. وقرئ نزل ونزّل وأنزل.

ونزل وانزل ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم
فاسقون ولا يكونوا عطف على تخشع وقرئ بالتاء على الالتفات ويجوز ان يكون نهيا لهم عن مماثلة اهل الكتاب في
قسوة القلوب بعد ان وبخوا وذلك ان بني اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التورية
والانجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا واحدثوا ما احدثوا
من التحريف وغيره فان قلت ما معنى لذكر الله وما نزل من الحق قلت يجوز ان يراد بالذكر وبما نزل من
الحق القران لانه جامع للامرين للذكر والموعظة وانه حق نازل من السماء وان يراد خشوعها اذا ذكر الله واذا تلي القرا
كقوله تعالى اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا اراد بالامد الاجل كقوله اذا انتهى
امده وقرئ الامد اي الوقت الاطول وكثير منهم فاسقون خارجون عن دينهم رافضون لما في الكتابين اعلموا
ان الله يحيي الارض بعد موتها قد بينا لكم الايات لعلكم تعقلون اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها
قيل هذا تمثيل لاثر الذكر في القلوب وانه يحييها كما يحيي الغيث الارض ان المصدقين والمصدقات
واقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم اجر كريم المصدقين المتصدقين وقرئ على الاصل
والمتصدقين من صدق وهم الذين صدقوا الله ورسوله يعني المؤمنين فان قلت علام عطف
قوله تعالى واقرضوا قلت على معنى الفعل في المصدقين لان اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى اصدقوا
كانه قيل ان الذين اصدقوا واقرضوا والقرض الحسن ان يتصدق من الطيب عن طيبة النفس وصحة
النية على المستحق للصدقة وقرئ يضعف ويضاعف بكسر العين اي يضاعف الله والذين امنوا بالله
ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا
باياتنا اولئك اصحاب الجحيم يريد ان المؤمنين بالله ورسله هم عند الله بمنزلة الصديقين والشهدا
وهم الذين سبقوا الى التصديق واستشهدوا في سبيل الله لهم اجرهم ونورهم اي مثل اجر الصديقين
والشهداء ومثل نورهم فان قلت كيف يساوي بينهم في الاجر ولا بد من التفاوت قلت المعنى
ان الله تعالى يعطي المؤمنين اجرهم ويضاعفه لهم بفضله حتى يساوي اجرهم مع اضعافه اجر اولئك
ويجوز ان يكون والشهداء مبتدأ ولهم اجرهم خبره اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة
وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا
ثم يكون حطاما وفي الاخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا
متاع الغرور اراد ان الدنيا ليست الا محقرات من الامور وهي اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر
واما الاخرة فما هي الا امور عظام وهي العذاب الشديد والمغفرة ورضوان الله وشبه حال الدنيا وسرعة
تقضيها مع قلة جدواها بنبات انبته الغيث فاستوى واكتهل واعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما
رزقهم من الغيث والنبات فبعث عليه العاهة فهاج واصفر حطاما عقوبة لهم على جحودهم كما فعل
باصحاب الجنة وصاحب الجنتين وقيل الكفار الزراع وقرئ مصفارا سابقوا الى مغفرة من ربكم
وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين امنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء والله ذو الفضل العظيم سابقوا سارعوا مسارعة السابقين لاقرانهم في المضمار الى
جنة عرضها كعرض السماء والارض قال السدي كعرض سبع سموات وسبع ارضين وذكر العرض دون

الطول لان كل ماله عرض وطول فان عرضه اقل من طوله فاذا وصف عرضه بالبسطة عرف ان طوله
ابسط وامد • ويجوز ان يراد بالعرض البسطة كقوله تعالى فذو دعاء عريض لما حقر الدنيا وصغر امرها وعظم
امر الاخرة بعث عباده على المسارعة الى نيل ما وعد من ذلك وهي المغفرة المنجية من العذاب الشديد • والفوز بدخول
الجنة ذلك الموعود من المغفرة والجنة فضل الله عطاوه يوتيه من يشا وهم المومنون ما اصاب
من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها ان ذلك على الله يسير لكيلا
تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم والله لا يحب كل مختال فخور المصيبة في الارض نحو الجدب
وافات الزرع والثمار وفي الانفس نحو الادواء والموت في كتاب في اللوح من قبل ان نبراها يعني الانفس او المصائب
ان ذلك ان تقديره ذلك واثباته في كتاب على الله يسير وان كان عسيرا على العباد • ثم علل ذلك وبين
وجه الحكمة فقال لكيلا تاسوا ولا تفرحوا يعني انكم اذا علمتم ان كل شي مقدر مكتوب عند الله تعالى
قل اساكم على الفائت وفرحكم على الاتي لان من علم ان ما عنده مفقود لا محالة لم يتفاقم جزعه عند
فقده لانه وطن نفسه على ذلك وكذلك من علم ان بعض الخير واصل اليه وان وصوله لا يفوته
بحال لم يعظم فرحه عند نيله والله لا يحب كل مختال فخور لان من فرح بحظ من الدنيا وعظم في نفسه
اختال وافتخر به وتكبر على الناس وقرئ بما اتاكم واتاكم من الايتاء والاتيان وفي قراءة ابن مسعود رضي
الله عنه بما اوتيتم فان قلت فلا احد يملك نفسه عند مضرة تنزل به ولا عند منفعة ينالها
ان لا يحزن ولا يفرح قلت المراد الحزن المخرج الى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لامر الله
ورجاء ثواب الصابرين والفرح المطغي الملهي عن الشكر فاما الحزن الذي لا يكاد الانسان يخلو منه
مع الاستسلام والسرور بنعمة الله والاعتداد بها مع الشكر فلا باس بهما الذين يبخلون ويامرون
الناس بالبخل ومن يتول فان الله هو الغني الحميد الذين يبخلون بدل من قوله كل مختال فخور كانه قال
لا يحب الذين يبخلون يريد الذين يفرحون الفرح المطغي اذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له
وعزته عندهم وعظمه في عيونهم يزوونه عن حقوق الله تعالى ويبخلون به ولا يكفيهم انهم بخلوا حتى يحملوا
الناس على البخل ويرغبوهم في الامساك ويزينوه لهم وذلك كله نتيجة فرحهم به وبطرهم عند اصابته
ومن يتول عن اوامر الله تعالى ونواهيه ولم ينته عما نهي عنه من الاسى على الفائت والفرح بالاتي فان
الله غني عنه وقرئ بالبخل وقرا نافع فان الله الغني وهو في مصاحف اهل المدينة والشام كذلك لقد ارسلنا
رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه
باس شديد ومنافع للناس لقد ارسلنا رسلنا يعني الملائكة الى الانبيا عليهم السلام بالبينات بالحجج
والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب اي الوحي والميزان • روي ان جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه
الى نوح عليه السلام وقال مر قومك يزنوا به وانزلنا الحديد قيل نزل ادم عليه السلام من الجنة ومعه
خمسة اشيا من حديد • السندان والكلبتان • والميقعة • والمطرقة • والابرة • وروي ومعه المر والمسحاة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى انزل اربع بركات من السما الى الارض انزل الحديد • والنار والملح
والماء وعن الحسن رحمه الله عليه وانزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى وانزل لكم من الانعام • وذلك
ان اوامره تنزل من السماء وقضاياه واحكامه فيه باس شديد وهو القتال به ومنافع للناس

في مصالحهم ومعايشهم وصنايعهم فما من صناعة الا والحديد آلة فيها او ما يعمل بالحديد وليعلم الله من ينصره ورسله
بالغيب ان الله قوي عزيز وليعلم الله من ينصره ورسله باستعمال السيوف والرماح وساير السلاح في مجاهدة
اعداء الدين بالغيب غايبا عنهم قال ابن عباس رضي الله عنهما ينصرونه ولا يبصرونه ان الله قوي عزيز غني
بقدرته وعزته في اهلاك من يريد هلاكه عنهم وانما كلفهم الجهاد لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الامر فيه الى
الثواب ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون
والكتاب والوحي • وعن ابن عباس رضي الله عنهما الخط بالقلم يقال كتب كتابا وكتابة فمنهم من الذرية او من المرسل
اليهم وقد دل عليهم ذكر الارسال والمرسلين • وهذا تفصيل لحالهم اي فمنهم مهتد ومنهم فاسق والغلبة للفساق
ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين
اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها قرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة وامره اهون من امر
البرطيل والسكينة فيمن رواهما بفتح الفاء لان الكلمة اعجمية لا يلزم فيها حفظ ابنية العرب وقرئ رآفة
على فعالة اي وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم • ونحوه في صفة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رحماء
بينهم والرهبانية ترهبهم في الجبال فارين من الفتنة في الدين مخلصين انفسهم للعبادة • وذلك ان الجبابرة
ظهروا على المؤمنين بعد موت عيسى عليه السلام فقاتلوهم ثلاث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا القليل
فخافوا ان يفتنوا في دينهم فاختاروا الرهبانية ومعناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف فعلان
من رهب كخشيان من خشي وقرئ ورهبانية بالضم كأنها نسبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان
وانتصابها بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وابتدعوا رهبانية ابتدعوها يعني واحدثوها من عند
انفسهم ونذروها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا
منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون ما كتبناها عليهم لم نفرضها نحن عليهم الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع
اي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها كما يجب على الناذر رعاية نذره لانه عهد
مع الله لا يحل نكثه فآتينا الذين آمنوا يريد اهل الرحمة والرأفة الذين اتبعوا عيسى عليه السلام وكثير منهم
فاسقون الذين لم يحافظوا على نذرهم ويجوز ان تكون الرهبانية معطوفة على ما قبلها وابتدعوها صفة لها في
محل النصب اي وجعلنا في قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم بمعنى وفقناهم للتراحم بينهم
ولابتداع الرهبانية واستحداثها ما كتبناها عليهم الا ليبتغوا بها رضوان الله ويستحقوا بها الثواب على انه
كتبها عليهم والزمها اياهم ليتخلصوا من الفتن ويبتغوا بذلك رضا الله وثوابه فما رعوها جميعا حق رعايتها ولكن
بعضهم فآتينا المؤمنين المراعين منهم للرهبانية اجرهم وكثير منهم فاسقون • وهم الذين لم يرعوها يا ايها
الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله
غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا يجوز ان يكون خطابا للذين آمنوا من اهل الكتاب والذين آمنوا من غيرهم فان
كان خطابا لمؤمني اهل الكتاب فالمعنى يا ايها الذين آمنوا بموسى وعيسى عليهما السلام آمنوا بمحمد يؤتكم الله كفلين
اي نصيبين من رحمته لايمانكم بمحمد وايمانكم بمن قبله ويجعل لكم يوم القيامة نورا تمشون به وهو النور
المذكور في قوله تعالى يسعى نورهم ويغفر لكم ما اسلفتم من الكفر والمعاصي لئلا يعلم اهل الكتاب ان لا يقدرون
على شيء من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم لئلا يعلم ليعلم اهل الكتاب

الذين لم يسلموا او لا منهم له ان لا يقدرون ان مخففة من الثقيلة اصله انه لا يقدرون يعني ان الشان لا يقدرون
على شيء من فضل الله ان لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة لانهم لم يؤمنوا برسول الله
فلم ينفعهم ايمانهم بمن قبله ولم يكسبهم فضلا قط وان كان خطابا لغيرهم فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله
يؤتكم ما وعد من امن من اهل الكتاب من الكفلين في قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل
اجرهم لانكم مثلهم في الايمانين ولا تفرقون بين احد من رسله روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث
جعفرا رضي الله عنه في سبعين راكبا الى النجاشي يدعوه فقدم جعفر عليه فدعاه فاستجاب له فقال ناس
ممن امن من اهل مملكته وهم اربعون رجلا ائذن لنا في الوفادة على رسول الله فاذن لهم فقدموا مع جعفر رضي
الله عنه وقد تهيأ لوقعة احد فلما راوا ما بالمسلمين من خصاصة استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرجعوا وقدموا باموال لهم فاسوا بها المسلمين فانزل الله الذين اتيناهم الكتاب الى قوله ومما رزقناهم ينفقون
فلما سمع من لم يؤمن من اهل الكتاب قوله تعالى يؤتون اجرهم مرتين فخروا على المسلمين وقالوا اما من امن بكتابكم
وكتابنا فله اجره مرتين واما من لم يؤمن بكتابكم فله اجر كاجركم فما فضلكم علينا فنزلت لئلا يعلم وقرئ
لكي يعلم ولكيلا يعلم وليعلم ولان يعلم بادغام النون في الياء وليتعلم بقلب الهمزة ياء وادغام النون في الياء
وعن الحسن رحمه الله ليلا يعلم بفتح اللام وسكون الياء ورواه قطرب بكسر اللام وقيل في وجهها
حذفت همزة ان وادغمت نونها في لام لا فصار للا ثم ابدلت اللام المدغمة ياء كقولهم ديوان وقيراط ومن
فتح اللام فعلى ان اصل لام الجر الفتح كما انشد اريد لانسى ذكرها فكانما تمثل لي ليلى بكل سبيل
وقرئ ان لا يقدروا بيد الله في ملكه وتصرفه واليد مثل يؤتيه من يشاء الا اياه من يستحقه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحديد كتب من الذين امنوا بالله ورسله صدق رسول الله

سورة المجادلة مدنية | بسم الله الرحمن الرحيم | وهي اثنتان وعشرون آية

قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع
بصير قد سمع الله قالت ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات لقد
كلمت المجادلة رسول الله عليه السلام في جانب البيت وانا عنده لا اسمع وقد سمع لها وعن عمر رضي الله
عنه انه كان اذا دخلت عليه اكرمها وقال قد سمع الله لها وعن عمر رضي الله عنه وقرئ تحاورك اي تراجعك
الكلام وتحاولك اي تسائلك وهي خولة بنت ثعلبة امراة اوس بن الصامت اخي عبادة راها وهي
تصلي وكانت حسنة الجسم فلما سلمت راودها فابت فغضب وكان به خفة ولمم فظاهر منها فاتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان اوسا تزوجني وانا شابة مرغوب في فلما خلا سني ونثرت بطني
اي كثر ولدي جعلني عليه كامه وروي انها قالت ان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي
جاعوا فقال ما عندي في امرك شيء وروي انه قال لها حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا وانما
هو ابو ولدي واحب الناس الي فقال حرمت عليه فقالت اشكو الى الله فاقتي ووجدي كلما قال رسول
الله عليه السلام حرمت عليه هتفت وشكت الى الله فنزلت في زوجها في شانه ومعناه ان الله سميع بصير
يصح ان يسمع كل مسموع ويبصر كل مبصر فان قلت ما معنى قد في قوله تعالى قد سمع قلت معناه التوقع لان

روي ان من لم يؤمن من اهل الكتاب [illegible]

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمجادلة كانا يتوقعان أن يسمع الله عز وجل مجادلتها وشكواها وينزل في ذلك ما يفرج
عنها ﴿الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم وإنهم ليقولون
منكرا من القول وزورا وإن الله لعفو غفور﴾ الذين يظاهرون منكم في منكم توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم
في الظهار لأنه كان من أيمان أهل جاهليتهم خاصة دون سائر الأمم، وما هن أمهاتهم وقرئ بالرفع على اللغتين
الحجازية والتميمية، وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه بأمهاتهم وزيادة الباء في لغة من ينصب، والمعنى أن
من يقول لامرأته أنت علي كظهر أمي ملحق في كلامه هذا للزوج بالأم وجاعلها مثلها وهذا تشبيه باطل لتباين الحالين
إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم يريد أن الأمهات على الحقيقة إنما هن الوالدات وغيرهن ملحقات بهن لدخولهن
في حكمهن فالمرضعات أمهات لأنهن لما أرضعن دخلن بالرضاع في حكم الأمهات، وكذلك أزواج رسول الله صلى
الله عليه وسلم أمهات المؤمنين، لأن الله عز وجل حرم نكاحهن على الأمة فدخلن بذلك في حكم الأمهات، وأما
الزوجات فأبعد شيء من الأمومة لأنهن لسن بأمهات على الحقيقة ولا بداخلات في حكم الأمهات، فكان قول
المظاهر منكرا من القول تنكره الحقيقة وتنكره الأحكام الشرعية، وزورا وكذبا باطلا منحرفا عن الحق
وإن الله لعفو غفور لما سلف منه إذا تيب عنه ولم يعد إليه ﴿والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما
قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير فمن لم يجد فصيام شهرين
متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك
حدود الله وللكافرين عذاب أليم﴾ ثم قال والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا يعني والذين
كانت عادتهم أن يقولوا هذا القول المنكر فقطعوه بالإسلام ثم يعودون لمثله فكفارة من عاد أن يحرر رقبة ثم
يماس المظاهر منها لا تحل له مماستها إلا بعد تقديم الكفارة، ووجه آخر ثم يعودون لما قالوا ثم يتداركون
للأمر بما يليه، ومنه المثل عاد غيث على ما أفسد أي تداركه بالإصلاح، والمعنى أن تدارك هذا القول [illegible]
بأن يكفر حتى ترجع حالهما كما كانت قبل الظهار، ووجه ثالث وهو أن يراد بما قالوا ما حرموه على أنفسهم بلفظ الظهار تنزيلا
للقول منزلة المقول فيه نحو ما ذكرنا في قوله سبحانه وتعالى ونرثه ما يقول، ويكون المعنى ثم يريدون العود
للتماس، والمماسة الاستمتاع بها من جماع أو لمس بشهوة أو نظر إلى فرجها لشهوة ذلكم الحكم توعظون به لأن الحكم
بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية فيجب أن تتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا إلى الظهار وتخافوا عقاب الله عز وجل
عليه فإن قلت هل يصح الظهار بغير هذا اللفظ قلت نعم إذا وضع مكان أنت عضوا منها يعبر به عن الجملة
كالرأس والوجه والرقبة والفرج أو مكان الظهر عضوا آخر يحرم النظر إليه من الأم كالبطن والفخذ أو مكان الأم
ذات رحم محرم منه من نسب أو رضاع أو صهر أو جماع نحو أن يقول أنت علي كظهر أختي من الرضاع أو عمتي
من النسب أو امرأة ابني أو أبي أو أم امرأتي أو ابنتها فهو مظاهر وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه رحمة الله عليه
وعليهم، وعن الحسن والنخعي والزهري والأوزاعي والثوري رحمة الله عليهم أجمعين وغيرهم نحوه، وقال
الشافعي رضي الله عنه لا يكون الظهار إلا بالأم وحدها وهو قول قتادة رحمة الله عليه والشعبي، وعن
الشعبي رحمة الله عليه لم ينس الله عز وجل أن يذكر البنات والأخوات والعمات والخالات إذ أخبر أن
الظهار إنما يكون بالأمهات الوالدات دون المرضعات، وعن بعضهم لا بد من ذكر الظهر حتى يكون ظهارا
فإن قلت فإذا امتنع المظاهر من الكفارة هل للمرأة أن ترافعه قلت لها ذلك وعلى القاضي أن يجبره

يتدارك الامر بالقول صح

علي ان يكفر وان يجبسه ولا شي من الكفارات يجبر عليه ويجبس الا كفارة الظهار وحدها لانه يضر بها في ترك التكفير
والامتناع من الاستمتاع فيلزم ايفا حقها فان قلت فان مس قبل ان يكفر قلت عليه ان يستغفر ولا يعود حتى يكفر
لما روي ان سلمة ابن صخر البياضي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرت من امراتي ثم ابصرت خلخالها في ليلة قمراء
فواقعتها فقال عليه السلام استغفر ربك ولا تعد حتى تكفر فان قلت اي رقبة تجزي في كفارة الظهار قلت
المسلمة والكافرة جميعا لانها في الاية مطلقة وعند الشافعي رضي الله عنه لا تجزي الا المومنة لقوله تعالى
في كفارة القتل فتحرير رقبة مومنة ولا تجزي ام الولد والمدبر والمكاتب الذي ادى شيا فان لم يود شيا جاز
وعند الشافعي رضي الله عنه لا يجوز فان قلت فان اعتق بعض الرقبة او صام بعض الصيام ثم مس
قلت عليه ان يستانف نهارا مس او ليلا ناسيا او عامدا عند ابي حنيفة رحمة الله عليه وعند ابي يوسف
ومحمد رحمة الله عليهما عتق بعض الرقبة عتق كلها فتجزيه وان كان المس يفسد الصوم استقبل والا بنى فان
قلت كم يعطي المسكين في الاطعام قلت نصف صاع من بر او صاعا من غيره عند ابي حنيفة وعند
الشافعي رحمة الله عليهما مدا من طعام بلده الذي يقتات فيه فان قلت ما بال التماس لم يذكر
عند الكفارة بالاطعام كما ذكر عند الكفارتين قلت اختلف في ذلك فعند ابي حنيفة رحمة الله عليه لا فرق
بين الكفارات الثلاث في وجوب تقديمها على المساس وانما ترك ذكره عند الاطعام دلالة على انه اذا وجد في خلال
الاطعام لم يستانف كما يستانف الصوم اذا وقع في خلاله وعند غيره لم يذكر لانه على ان التكفير قبله وبعده
سواء فان قلت الضمير في ان يتماسا الام يرجع قلت الى ما دل عليه الكلام من المظاهر
والمظاهر منها ذلك البيان والتعليم للاحكام والتنبيه عليها لتصدقوا بالله ورسوله في العمل بشرائعه التي
شرعها من الظهار وغيره ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم وتلك حدود الله التي لا يجوز تعديها وللكافرين
الذين لا يتبعونها ولا يعملون عليها عذاب اليم ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من
قبلهم وقد انزلنا ايات بينات وللكافرين عذاب مهين يحادون يعادون ويشاقون كبتوا اخزوا
واهلكوا كما كبت من قبلهم من اعداء الرسل قيل اريد كبتهم يوم الخندق وقد انزلنا ايات بينات تدل على صدق الرسول
وصحة ما جاء به وللكافرين بهذه الايات عذاب مهين يذهب بعزهم وكبرهم يوم يبعثهم الله جميعا
فينبيهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والله على كل شي شهيد يوم يبعثهم منصوب بلهم او بمهين او باضمار
اذكر تعظيما لليوم جميعا كلهم لا يترك منهم احد غير مبعوث او مجتمعين في حالة واحدة كما تقول حي جميع
فينبيهم بما عملوا تخجيلا لهم وتوبيخا وتشهيرا بحالهم يتمنون عنده المسارعة بهم الى النار لما يلحقهم من الخزي
على رووس الاشهاد احصاه الله احاط به عددا لم يفته منه شي ونسوه لانهم تهاونوا به حين ارتكبوه لم
يبالوا به لضراوتهم بالمعاصي وانما تحفظ معظمات الامور الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون
من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما
كانوا ثم ينبيهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شي عليم ما يكون من كان التامة وقرى بالياء والتاء والياء
على ان النجوى تانيثها غير حقيقي ومن فاصلة او على ان المعنى ما يكون شي من النجوى والنجوى التناجي فلا تخلوا
اما ان تكون مضافة الى ثلاثة اي من نجوى ثلاثة نفر او موصوفة بها اي من اهل نجوى ثلاثة فحذف الاهل
او جعلوا نجوى في انفسهم مبالغة كقوله تعالى خلصوا نجيا وقرا ابن ابي عبلة ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال

باضمار يتناجون لان نجوي يدل عليه او علي تاويل نجوي بمتناجين ونصبها من المستكن فيه فان قلت ما الداعي
الي تخصيص الثلثة والخمسة قلت فيه وجهان احدهما ان قوما من المنافقين تحلقوا للتناجي مغايظة
للمومنين علي هذين العددين ثلثة وخمسة فقيل ما يتناجي منهم ثلثة ولا خمسة كما ترونهم يتناجون كذلك
ولا ادني من عدديهم ولا اكثر الا والله معهم يسمع ما يقولون فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت
في ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان بن امية كانوا يوما يتحدثون فقال احدهم اترى ان الله يعلم ما نقول
فقال الاخر يعلم بعضا ولا يعلم بعضا وقال الثالث ان كان يعلم بعضا فهو يعلم كله وصدق لان من يعلم بعض الاشيا
بغير سبب فقد علمها كلها لان كونه عالما بغير سبب ثابت له مع كل معلوم والثاني انه قصد ان يذكر ما جرت
عليه العادة من اعداد اهل النجوي والمتحالفين للشوري والمندوبين لذلك ليسوا بكل احد وانما هم طايفة
مجتباة من اولي النهي والاحلام ورهط من اهل الراي والتجارب واول عددهم الاثنان فصاعدا الي خمسة الي
ستة الي ما اقتضته الحال وحكم به الاستصواب الا تري الي عمر بن الخطاب رضي الله عنه كيف ترك الامر
شوري بين ستة ولم يتجاوز بها الي سابع فذكر عز وعلا الثلاثة والخمسة فقال ولا ادني من ذلك فدل
علي الاثنين والاربعة وقال ولا اكثر فدل علي ما يلي هذا العدد ويقاربه وفي مصحف عبد الله الا
الله رابعهم ولا اربعة الا الله خامسهم ولا خمسة الا الله سادسهم ولا اقل من ذلك ولا اكثر الا الله معهم
اذا انتجوا وقري ولا ادني من ذلك ولا اكثر بالنصب علي ان لا لنفي الجنس ويجوز ان يكون ولا اكثر بالرفع
معطوفا علي محل لا مع ادني كقولك لا حول ولا قوة الا بالله بفتح الحول ورفع القوة ويجوز ان يكونا مرفوعين علي
الابتدا كقولك لا حول ولا قوة الا بالله وان يكون ارتفاعهما عطفا علي محل من نجوي كانه قيل ما يكون ادني ولا
اكثر الا هو معهم ويجوز ان يكونا مجرورين عطفا علي نجوي كانه قيل ما يكون من ادني ولا اكثر الا هو معهم وقري
ولا اكبر بالباء ومعني كونه معهم انه يعلم ما يتناجون به ولا يخفي عليه ما هم فيه فكانه مشاهدهم ومحاضرهم
وقد تعالي عن المكان والمشاهدة وقري ثم ينبيهم علي التخفيف الم تر الي الذين نهوا عن النجوي ثم يعودون لما
نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول واذا جاوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون
في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبيس المصير كانت اليهود والمنافقون يتناجون فيما بينهم
ويتغامزون باعينهم اذا راوا المومنين يريدون ان يغيظوهم فنهاهم رسول الله صلي الله عليه وسلم فعادوا
لمثل فعلهم وكان تناجيهم بما هو اثم وعدوان للمومنين وتواص بمعصية الرسول ومخالفته وقري ويتنجون
بالاثم والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول وحيوك بما لم يحيك به الله يعني انهم يقولون في تحيتك
السام عليك يا محمد والسام الموت والله سبحانه وتعالي يقول وسلام علي عباده الذين اصطفي ويا ايها الرسول
ويا ايها النبي لولا يعذبنا الله بما نقول كانوا يقولون ما له ان كان نبيا لا يدعو علينا حتي يعذبنا الله بما نقول
فقال الله تعالي حسبهم جهنم عذابا يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان
ومعصيت الرسول وتناجوا بالبر والتقوي واتقوا الله الذي اليه تحشرون يا ايها الذين امنوا خطاب للمنافقين
الذين امنوا بالسنتهم ويجوز ان يكون للمومنين اي اذا تناجيتم فلا تشبهوا باوليك في تناجيهم بالشر وتناجوا
بالبر والتقوي وعن النبي صلي الله عليه وسلم اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجي اثنان دون صاحبهما فان ذلك يحزنه وروي
دون الثالث وقري فلا تنتجوا وعن ابن مسعود رضي الله عنه اذا انتجيتم فلا تنتجوا انما النجوي من الشيطان

ليحزن الذين امنوا وليس بضارهم شيئا الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون انما النجوى اللام اشارة الى النجوى بالاثم والعدوان بدليل قوله ليحزن الذين امنوا والمعنى ان الشيطان يزينها لهم فكانها منه ليغيظ الذين امنوا ويحزنهم وليس الشيطان او الحزن بضارهم شيئا الا باذن الله فان قلت كيف لا يضرهم الشيطان او الحزن الا باذن الله قلت كانوا يوهمون المؤمنين في نجواهم وتغامزهم ان غزاتهم غلبوا وان اقاربهم قتلوا فقال لا يضرهم الشيطان او الحزن الا باذن الله بذلك الوهم الا باذن الله اي بمشيته وهو ان يقضي الموت على اقاربهم او الغلبة على الغزاة وقرئ ليحزن وليحزن **يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير** تفسحوا في المجلس توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح عني اي تنح ولا تتضاموا وقرئ تفاسحوا والمراد مجلس رسول الله عليه السلام وكانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه وقيل هو مجلس من مجالس القتال وهي مراكز الغزاة كقوله تعالى مقاعد للقتال وقرئ في المجالس قيل كان الرجل ياتي الصف فيقول تفسحوا فيابون لحرصهم على الشهادة وقرئ في المجلس بفتح اللام وهو الجلوس اي توسعوا في جلوسكم ولا تتضايقوا فيه يفسح الله لكم مطلق في كل ما يبتغي الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغير ذلك انشزوا انهضوا للتوسعة على المقبلين او انهضوا عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا امرتم بالنهوض عنه ولا تملوا رسول الله بالارتكاز فيه او انهضوا الى الصلاة والجهاد واعمال الخير اذا استنهضتم ولا تثبطوا ولا تفرطوا يرفع الله المؤمنين بامتثال اوامره واوامر رسول الله والعالمين منهم خاصة درجات مما تعملون قرئ بالتاء والياء وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه كان اذا قراها قال يا ايها الناس افهموا هذه الاية ولترغبكم في العلم وعن النبي صلى الله عليه وسلم بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة وعنه صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه ايضا صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيمة ثلثة الانبيا ثم العلماء ثم الشهداء فاعظم بمرتبة هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما خير سليمان رضي الله عنه بين العلم والمال والملك فاختار العلم فاعطي الملك والمال معه وقال صلى الله عليه وسلم اوحى الله تعالى الى ابرهيم عليه السلام يا ابرهيم اني عليم احب كل عليم وعن بعض الحكماء شعر ليت شعري اي شي ادرك من فاته العلم واي شي فات من ادرك العلم وعن الاحنف كاد العلماء يكونون اربابا وكل عز لم يوطد بعلم فالى ذل ما يصير وعن الزهري العلم ذكر فلا يحبه الا ذكورة الرجال **يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم واطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم** بين يدي نجواكم استعارة ممن له يدان والمعنى قبل نجواكم كقول عمر رضي الله من افضل ما اوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل امام حاجته ذلكم التقدم خير لكم في دينكم واطهر لان الصدقة طهرة وروي ان الناس اكثروا مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يريدون حتى املوه وابرموه فاريد ان يكفوا عن ذلك وامروا بان من اراد ان يناجيه قدم قبل مناجاته صدقة قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما نزلت دعاني رسول الله عليه السلام فقال ما تقول في دينار قلت لا يطيقونه قال كم قلت حبة او شعيرة قال انك لزهيد فلما راوا ذلك اشتد عليهم فارتدعوا وكفوا اما الفقير فلعسرته واما

واما الغني فلسعته وقد كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقيل ما كان الا ساعة من نهار وعن امير المؤمنين علي رضي الله عنه ان
في كتاب الله لاية ما عمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم
قال الكلبي تصدق به في كلمات سالهن رسول الله عليه السلام وعن عمر رضي الله عنهما كان لعلي رضي
الله عنه ثلاث لو كانت لي واحدة منهن كانت احب الي من حمر النعم تزويجه فاطمة رضي الله عنها
واعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى قال ابن عباس رضي الله عنهما هي منسوخة بالاية التي
بعدها وقيل هي منسوخة بالزكاة ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا
وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ اشفقتم
اخفتم تقديم الصدقات لما فيه من الانفاق الذي تكرهونه وان الشيطان يعدكم الفقر ويامركم
بالفحشاء فاذ لم تفعلوا ما امرتم به وشق عليكم وتاب الله عليكم وعذركم ورخص لكم في ان لا تفعلوه فلا
تفرطوا في الصلاة والصوم والزكاة وسائر الطاعات بما تعملون قرئ بالياء والتاء أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا
قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا
شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ كان المنافقون يتولون اليهود لعنهم الله وهم الذين غضب الله عليهم
في قوله عز وجل من لعنه الله وغضب عليه ويناصحونهم وينقلون اليهم اسرار المؤمنين وما منكم
يا مسلمون ولا منهم ولا من اليهود كقوله عز وجل مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ويحلفون
على الكذب اي يقولون والله انا لمسلمون فيحلفون على الكذب الذي هو ادعاء الاسلام وهم يعلمون اي
المحلوف عليه كذب بحت فان قلت فما فائدة قوله تعالى وهم يعلمون قلت الكذب
ان يكون الخبر لا على وفاق المخبر عنه سواء علم المخبر او لم يعلم فالمعنى انهم الذين يخبرون وخبرهم خلاف ما يخبرون
عنه وهم عالمون بذلك متعمدون له كمن يحلف بالغموس وقيل كان عبد الله بن نبتل المنافق عليه اللعنة
يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه الى اليهود عليهم اللعنة فبينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم في حجرة من حجره اذ قال لاصحابه يدخل عليكم الان رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل ابن
نبتل وكان ازرق فقال له نبي الله عليه السلام على ما تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل فقال
صلى الله عليه وسلم فعلت فانطلق فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت عذابا شديدا نوعا
من العذاب متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون يعني انهم كانوا يعملون يعني انهم كانوا في الزمان الماضي
المتطاول على سوء العمل مصرين عليه او هي حكاية ما يقال لهم في الاخرة اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ
النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وقرئ ايمانهم بالكسر اي اتخذوا ايمانهم التي حلفوا بها او ايمانهم الذي اظهروه
جنة اي سترة يستترون بها من المؤمنين ومن قتلهم فصدوا الناس في خلال امنهم وسلامتهم عن
سبيل الله وكانوا يثبطون من لقوا عن الدخول في الاسلام ويضعفون امر المسلمين عندهم وانما وعدهم
الله العذاب المهين المخزي لكفرهم وصدهم كقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا
فوق العذاب من الله من عذاب الله شيئا قليلا من الاغناء روي ان رجلا منهم قال لننصرن يوم
القيمة بانفسنا واموالنا واولادنا يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ

على شيء الا انهم هم الكاذبون فيحلفون لله تعالى على انهم مسلمون في الاخرة كما يحلفون لكم في الدنيا على ذلك ه
ويحسبون انهم على شيء من النفع يعني ليس العجب من حلفهم لكم فانكم بشر تخفى عليكم السرائر وان لهم نفعا في ذلك دفعا
عن ارواحهم واستجرار فوائد دنيوية وانهم يفعلونه لا يضطرون فيها الى علم ما يوعدون ولكن العجب من حلفهم لله تعالى
عالم الغيب والشهادة مع عدم النفع والاضطرار الى علمهم بما انذرتهم الرسل والمراد وصفهم بالتوغل في
نفاقهم ومرونهم عليه وان ذلك بعد موتهم وبعثهم باق فيهم لا يضمحل كما قال تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه
وقد اختلف العلماء في كذبهم في الاخرة والقران ناطق بثباته نطقا مكشوفا كما ترى في هذه الاية وقوله عز وعلا والله
ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ه ونحو حسبانهم انهم على شيء من نفع
اذا حلفوا استطالوا استنظارهم المؤمنين ليقتبسوا من نورهم لحسبانهم ان الايمان الظاهر مما ينفعهم وقيل عند
ذلك ختم على افواههم الا انهم هم الكاذبون يعني انهم الغاية التي لا مطمح وراءها في قول الكذب حيث استوت
حالهم فيه في الدنيا والاخرة استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان الا ان
حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين كتب الله لاغلبن
انا ورسلي ان الله قوي عزيز استحوذ عليهم استولى عليهم من حاذ الحمار العانة اذا جمعها وساقها غالبا لها ه
ومنه كان احوذيا نسيج وحده وهو احد ما جاء على الاصل نحو استصوب واستنوق اي ملكهم الشيطان لطاعتهم
له في كل ما يريده منهم حتى جعلهم رعيته وحزبه ه فانساهم ان يذكروا الله اصلا لا بقلوبهم ولا بالسنتهم
قال ابو عبيد حزب الشيطان جنده في الاذلين في جملة من هو اذل خلق الله لا ترى احدا اذل منهم كتب
الله في اللوح ولاغلبن انا ورسلي بالحجة او بالسيف او باحدهما لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون
من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او لا تجد قوما من باب التخييل خيل ان من الممتنع المحال
ان تجد قوما مؤمنين يوالون المشركين والغرض به انه لا ينبغي ان يكون ذلك وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال
مبالغة في النهي عنه والزجر عن ملابسته والتوصية بالتصلب في مجانبة اعداء الله ومباعدتهم والاحتراس من
مخالطتهم ومعاشرتهم وزاد ذلك تاكيدا وتشديدا بقوله تعالى ولو كانوا اباءهم وبقوله اولئك كتب في قلوبهم
الايمان وبمقابلة قوله تعالى اولئك حزب الشيطان وبقوله اولئك حزب الله فلا تجد شيئا ادخل في الاخلاص
من موالاة اولياء الله ومعاداة اعدائه بل هو الاخلاص بعينه اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه
ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله
الا ان حزب الله هم المفلحون كتب في قلوبهم الايمان اثبته فيها بما وفقهم فيه وشرح له صدورهم وايدهم
بروح منه بلطف من عنده حييت به قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للايمان اي بروح من الايمان على انه في نفسه
روح لحياة القلوب به وعن الثوري رحمة الله عليه انه قال كانوا يرون انها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن
عبد العزيز رحمة الله عليه ابن رواد انه لقي المنصور رحمه الله في الطواف فلما عرفه هرب منه وتلاها
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي نعمة فاني وجدت فيما اوحيت
لا تجد قوما وروي انها نزلت في ابي بكر رضي الله عنه وذلك ان ابا قحافة سب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فصكه صكة سقط منها فقال له رسول الله عليه السلام اوفعلته قال نعم قال لا تعد قال والله لو كان السيف
قريبا لقتلته وقيل في ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قتل اباه عبد الله الجراح يوم احد وفي ابي بكر رضي

ام

الله عنه دعا ابنه يوم بدر الى البراز وقال لرسول الله عليه السلام دعني اكن في الرعلة الاولى قال متعنا بنفسك يا ابا بكر اما تعلم انك عندي بمنزلة سمعي وبصري وفي مصعب بن عمير رضي الله عنه قتل اخاه عبيد بن عمير يوم احد وفي عمر بن الخطاب رضي الله عنه قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر وفي علي وحمزة وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة عليهم اللعنة يوم بدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيمة

سورة الحشر مدنية بسم الله الرحمن الرحيم وهي اربع وعشرون اية

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله صالح بنو النضير رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا هو النبي الذي نعته في التورية لا ترد له راية فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة فحالفوا عليه قريشا عند الكعبة فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الانصاري فقتل كعبا غيلة وكان اخاه من الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب وهو على حمار مخطوم بليف فقال لهم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت احب الينا من ذلك فتنادوا بالحرب وقيل استمهلوا رسول الله عليه السلام عشرة ايام ليتجهزوا للخروج فدس عبد الله بن ابي المنافق عليه اللعنة واصحابه اليهم لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله الرعب في قلوبهم وايسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء على ان يحمل كل ثلثة ابيات على بعير ما شاؤا من متاعهم فجلوا الى الشام الى اريحا واذرعات الا اهل بيتين منهم ال ابي الحقيق وال حيي بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة اللام في لاول الحشر تتعلق باخرج وهي اللام في قوله جل وعلا يا ليتني قدمت لحياتي وقولك جئت لوقت كذا والمعنى اخرج الذين كفروا عند اول الحشر ومعنى اول الحشر ان هذا اول حشرهم الى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم اول من اخرج من اهل الكتاب من جزيرة العرب الى الشام او هذا اول حشرهم واخر حشرهم اجلاء عمر اياهم من خيبر الى الشام وقيل اخر حشرهم حشر يوم القيمة لان المحشر يكون بالشام وعن عكرمة من شك ان المحشر ههنا يعني الشام فليقرا هذه الاية وقيل معناه اخرجهم من ديارهم لاول ما حشر لقتالهم لانه اول قتال قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظننتم ان يخرجوا لشدة باسهم ومنعتهم ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعدتهم وظنوا ان حصونهم تمنعهم من باس الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين فاتاهم امر الله من حيث لم يحتسبوا من حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف غرة على يد اخيه وذلك مما اضعف قوتهم وفل من شوكتهم وسلب قلوبهم الامن والطمانينة بما قذف فيها من الرعب والهمهم ان يوافقوا المؤمنين في تخريب بيوتهم ويعينوا على انفسهم وثبط المنافقين الذين كانوا يتولونهم عن مظاهرتهم وهذا كله لم يكن في حسبانهم ومنه اتاهم الهلاك فان قلت اي فرق بين قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم وبين النظم الذي جاء عليه قلت في تقديم الخبر

على المبتدا دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها اياهم وفي تصيير ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم
في انفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالي معها باحد يتعرض لهم او يطمع في معازتهم وليس ذلك في قولك وظنوا
ان حصونهم تمنعهم وقرئ فاتاهم الله اي فاتاهم الهلاك والرعب الخوف الذي يرعب الصدر اي يملاه وقذفه
اثباته وركزه ومنه قالوا في صفة الاسد مقذف كانما قذف باللحم قذفا لاكتنازه وتداخل اجزايه وقرئ يخربون
بواطنها والمسلمون ظواهرها لما اراد الله عز وجل من استيصال شافتهم وان لا يبقى لهم بالمدينة دار ولا يبقى منهم
ديار والذي دعاهم الى التخريب حاجتهم الى الخشب والحجارة ليسدوا بها افواه الازقة وان لا يتحسروا بعد جلايهم
على بقايها مساكن للمسلمين وان ينقلوا معهم ما كان في ابنيتهم من جيد الخشب والساج المليح واما المومنون فداعيهم
ازالة تحصنهم وتمنعهم وان يتسع لهم مجال الحرب فان قلت ما معنى تخريبهم لها بايدي المومنين قلت
لما عرضوهم لذلك وكانوا السبب فيه فكانهم امروهم به وكلفوه اياهم فاعتبروا فاتعظوا بما دبر الله ويسر من امر اخراجهم
وتسليط المسلمين عليهم من غير قتال وقيل وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يورثهم الله ارضهم واموالهم
بغير قتال فكان كما قال يعني ان الله عز وجل قد عزم على تطهير ارض المدينة واراحة المسلمين من جوارهم
وتوريثهم اموالهم ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب النار
ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب فلولا انه تعالى كتب عليهم الجلاء واقتضته الحكمة
ودعاه الى اختياره انه اشق عليهم من الموت لعذبهم في الدنيا بالقتل كما فعل باخوانهم بني قريظة ولهم سواء اجلوا
او قتلوا عذاب النار يعني ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الاخرة ما قطعتم من لينة او تركتموها
قايمة على اصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين من لينة بيان لما قطعتم ومحل ما نصب بقطعتم كانه
قال اي شي قطعتم وانث الضمير الراجع الى ما في قوله تعالى او تركتموها لانه معنى اللينة واللينة النخلة من الالوان
وهي ضروب النخل ما عدا العجوة والبرنية وهما اجود النخل وياؤها عن واو قلبت لكسرة ما قبلها كالديمة وقيل اللينة
النخلة الكريمة كانهم اشتقوها من اللين قال ذو الرمة

كان قتودي فوقها عش طاير ... على لينة سوقا تهفو جنوبها

وجمعها لين وقرئ قوما على اصلها وفيه وجهان انه جمع اصل كرهن ورهن او اكتفى فيه بالضمة عن الواو وقرئ
قايما على اصوله ذهابا الى لفظة ما فباذن الله فقطعها باذن الله وبامره وليخزي الفاسقين وليذل اليهود
ويغيظهم اذن في قطعها وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين امر ان يقطع نخلهم ويحرق قالوا يا محمد
قد كنت تنهى عن الفساد في الارض فما بال قطع النخل وتحريقها فكان في انفس المومنين من ذلك شي فنزلت
يعني ان الله عز وجل اذن لهم في قطعها ليزيدكم غيظا ويضاعف لكم حسرة اذا رايتموهم يتحكمون في اموالكم كيف
ويتصرفون فيها ما شاءوا واتفق العلما على ان حصون الكفرة وديارهم لا باس بان تهدم وتحرق وتغرق وترمى
بالمجانيق وكذلك اشجارهم لا باس بقلعها مثمرة كانت او غير مثمرة وعن ابن مسعود رضي الله عنه قطعوا منها ما
كان موضعا للقتال فان قلت لم خصت اهل اللينة بالقطع قلت ان كانت من الالوان فليستبقوا
لانفسهم العجوة والبرنية وان كانت من كرام النخل فليكون غيظ اليهود اشد واشق وروي ان رجلين كانا
يقطعان احدهما العجوة والاخر اللون فسالهما رسول الله عليه السلام فقال هذا تركتها لرسول الله وقال هذا
قطعتها غيظا للكفار وقد استدل به على جواز الاجتهاد وعلى جوازه بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهما

بالعجه

بالاجتهاد فعلا ذلك واحتج به من يقول كل مجتهد مصيب وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من
خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير افاء الله على رسوله جعله له فيئا خاصة والايجاف
من الوجيف وهو السير السريع. ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في الافاضة من عرفات ليس البر بايجاف الخيل ولا
ايضاع الابل على هينتكم. ومعنى فما اوجفتم عليه فما اوجفتم على تحصيله وتغنمه خيلا ولا ركابا ولا تعبتم في القتال عليه
وانما مشيتم اليه على ارجلكم. والمعنى ان ما خول الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم من اموال بني النضير شيء لم
تحصلوه بالقتال والغلبة ولكن سلطه الله تعالى عليهم وعلى ما في ايديهم كما كان يسلط رسله على اعدائهم فالامر فيه
مفوض اليه يضعه حيث يشاء يعني انه لا يقسمه قسمة الغنائم التي قوتل عليها واخذت عنوة وقهرا وذلك انهم طلبوا
القسمة فنزلت ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن
السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
واتقوا الله ان الله شديد العقاب لم يدخل العاطف على هذه الجملة لانها بيان للاولى فهي منها غير اجنبية
عنها بين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصنع بما افاء الله عليه وامره ان يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم
مقسوما على الاقسام الخمسة والدولة والدولة بالفتح والضم. وقد قرئ بهما ما يدول للانسان اي يدور من الجد
يقال دالت له الدولة وادیل لفلان ومعنى قوله تعالى كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم كي لا يكون الفيء الذي حقه
ان يعطى الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها جدا بين الاغنياء يتكاثرون به. او كي لا يكون دولة جاهلية بينهم ومعنى
الدولة الجاهلية ان الرؤساء منهم كانوا يستاثرون بالغنيمة لانهم اهل الرياسة والدولة والغلبة وكانوا
يقولون من عز بز. والمعنى كي لا يكون اخذه غلبة واثرة جاهلية. ومنه قول الحسن رحمة الله عليه اتخذوا عباد الله
خولا ومال الله دولا. يريد من غلب منهم اخذه واستاثر به. وقيل الدولة ما يتداول كالغرفة اسم ما يغترف
يعني كي لا يكون الفيء شيئا يتداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء والدولة بالفتح بمعنى التداول اي كي لا يكون
ذا تداول بينهم او كي لا يكون امساكه تداولا بينهم لا يخرجونه الى الفقراء وقرئ دولة بالرفع على كان التامة كقوله تعالى
وان كان ذو عسرة معنى كي لا يقع دولة جاهلية ولينقطع اثرها. او كي لا يكون تداول له بينهم او كي لا يكون شيئا متعاورا بينهم
غير مخرج الى الفقراء. وما آتاكم الرسول من قسمة غنيمة او فيء فخذوه وما نهاكم عن اخذه فانتهوا عنه ولا تتبعه انفسكم
واتقوا الله ان تخالفوه وتتهاونوا باوامره ونواهيه ان الله شديد العقاب لمن خالف رسوله والاجود ان يكون عاما
في كل ما اتى رسول الله ونهى عنه. وامر الفيء داخل في عمومه. وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه لقي رجلا محرما وعليه
ثيابه فقال له انزع عنك هذا فقال الرجل اقرا علي في هذا آية قال نعم فقراها عليه للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا
من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون
والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم للفقراء بدل من قوله تعالى لذي القربى والمعطوف
عليه والذي منع الابدال من لله وللرسول والمعطوف عليهما وان كان المعنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله عز وجل اخرج رسوله من الفقراء في قوله تعالى وينصرون الله ورسوله وانه تعالى يترفع برسوله عليه السلام
عن التسمية بالفقير وان الابدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب في تعظيم الله تعالى اولئك هم الصادقون في ايمانهم
وجهادهم والذين تبوؤا الدار معطوف على المهاجرين وهم الانصار فان قلت ما معنى عطف الايمان على الدار
ولا يقال تبوؤا الايمان قلت معناه تبوؤا الدار واخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا او وجعلوا

الايمان مستقرا ومتوطنا لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك او اراد دار الهجرة ودار الايمان فاقام لام التعريف في الدار مقام المضاف اليه وحذف المضاف من دار الايمان ووضع المضاف اليه مقامه او سمي المدينة لانها دار الهجرة ومكان ظهور الايمان بالايمان ومن قبلهم من قبل المهاجرين لانهم سبقوهم في تبوء دار الهجرة والايمان وقيل من قبل هجرتهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ولا يجدون ولا يعلمون في انفسهم حاجة مما اوتوا اي طلب محتاج اليه مما اوتوا المهاجرين من الفيء وغيره والمحتاج اليه يسمى حاجة يقال خذ منه حاجتك واعطاه من ماله حاجته يعني ان نفوسهم لم تتبع ما اعطوا ولم تطمح الى شيء منه تحتاج اليه ولو كان بهم خصاصة اي خلة واصلها خصاص البيت وهي فروجه والجملة في موضع الحال اي معروضة خصاصتهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم اموال بني النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين ابا دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وقال لهم ان شئتم قسمتم كانت لكم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزلت ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا انك رءوف رحيم الشح بالضم والكسر وقد قرئ بهما اللؤم وان تكون نفس الرجل كزة حريصة على المنع كما قال ــــــ يمارس نفسا بين جنبيه كزة اذا هم بالمعروف قالت له مهلا وقد اضيف الى النفس لانه غريزة فيها واما البخل فهو المنع نفسه ومنه قوله عز وجل واحضرت الانفس الشح ومن يوق شح نفسه ومن غلب ما امرته به نفسه وخالف هواها بمعونة الله تعالى وتوفيقه فاولئك هم المفلحون الظافرون بما ارادوا وقرئ ومن يوق والذين جاءوا من بعدهم عطف على المهاجرين وهم الذين هاجروا من بعد وقيل التابعون باحسان غلا وقرئ غمرا وهما الحقد الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لاخوانهم للذين بينهم وبينهم اخوة الكفر ولانهم كانوا يوالونهم ويوالونهم وكانوا معهم على المومنين في السر ولا نطيع فيكم في قتالكم احدا من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ان حملنا عليه او في خذلانكم واخلاف ما وعدناكم من نصرة والكاذبون اي في مواعيدهم لليهود عليهم اللعنة وفيه دليل على صحة النبوة لانه اخبار بالغيوب لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون فان قلت كيف قيل ولئن نصروهم بعد الاخبار بانهم لا ينصرونهم قلت معناه ولئن نصروهم على الفرض والتقدير كقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك وكما يعلم ما يكون فهو يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون والمعنى ولئن نصر المنافقين اليهود ليهزمن المنافقون ثم لا ينصرون بعد ذلك اي يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم او ليهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون رهبة مصدر رهب المبني للمفعول كانه قيل اشد مرهوبية وقوله تعالى في صدورهم دلالة على نفاقهم يعني انهم يظهرون لكم في العلانية خوف الله وانتم اهيب في صدورهم من الله فان قلت كانهم كانوا يرهبون من الله حتى تكون رهبتهم منهم اشد قلت معناه ان رهبتهم في السر منكم اشد من رهبتهم من الله التي يظهرونها لكم وكانوا يظهرون لهم رهبة شديدة من الله

ويجوز ان يريد ان اليهود عليهم اللعنة يخافونكم في صدورهم اشد من خوفهم من الله لانهم كانوا قوما اولي باس
ونجدة فكانوا يتشجعون لهم مع اضمار الخيفة في صدورهم لا يفقهون لا يعلمون الله لعظمته حتى
يخشوه حق خشيته لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة او من وراء جدر باسهم بينهم شديد
تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون لا يقاتلونكم لا يقدرون على مقاتلتكم جميعا و
مجتمعين متساندين يعني اليهود والمنافقين عليهم اللعنة الا كائنين في قرى محصنة بالخنادق والدروب او من
وراء جدر يريدون ان يتحصنوا الكم ويقاتلوكم لان قذف الله الرعب في قلوبهم وان تاييد الله ونصرته معكم وقرى محصنة
بالتحصيب وجدار وجدر وجدر ويما الجدار باسهم بينهم شديد يعني ان الباس الشديد الذي يوصفون به
انما هو بينهم اذا اقتتلوا ولو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك الباس والشدة لان الشجاع يجبن والعزيز يذل عند محاربة
الله تعالى ورسوله تحسبهم جميعا مجتمعين ذوي الفة واتحاد وقلوبهم شتى متفرقة لا الفة بينها يعني ان بينهم
احنا وعداوات فلا يتعاضدون حق التعاضد ولا يرمون عن قوس واحدة وهذا تخسير للمؤمنين وتشجيع
لقلوبهم على قتالهم وقوم لا يعقلون ان تشتت القلوب مما يوهن قواهم ويعين على ارواحهم كمثل الذين من
قبلهم قريبا ذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب اليم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني
بريء منك اني اخاف الله رب العالمين كمثل الذين من قبلهم اي مثلهم كمثل اهل بدر في زمان قريب فان قلت
بم انتصب قريبا قلت بمثل على كوجود مثل اهل بدر قريبا وبال امرهم سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول
الله صلى الله عليه وسلم من قولهم كلا وبيل وخيم سيء العاقبة يعني ذاقوا عذاب القتل في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب
النار ومثل المنافقين في اغرائهم اليهود عليهم اللعنة على القتال ووعدهم اياهم النصر ثم متاركتهم لهم واخلافهم
وكمثل الشيطان اذا استغوى الانسان بكيده ثم تبرا منه في العاقبة والمراد استغواؤه قريشا يوم بدر
وقوله تعالى لهم لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم الى قوله تعالى اني بريء منكم فكان عاقبتهما انهما في
النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد
واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون وقرا ابن مسعود رضي الله عنه خالدان فيها على انه خبر ان وفي النار
لغو وعلى القراءة المشهورة الظرف مستقر وخالدين فيها حال وقرئ انا بريء وعاقبتهما بالرفع كرر الامر بالتقوى
تاكيدا او اتقوا الله في اداء الواجبات لانه قرن بها هو عمل واتقوا الله في ترك المعاصي لانه قرن بما يجري مجرى الوعيد
والغد يوم القيامة سماه باليوم الذي يلي يومك تقريبا له وعن الحسن لم يزل يقربه حتى جعله كالغد
ونحوه كقوله تعالى كان لم تغن بالامس يريد تقريب الزمان الماضي وقيل عبر عن الاخرة بالغد كان الدنيا
والاخرة نهاران يوم وغد فان قلت ما معنى تنكير النفس والغد قلت اما تنكير النفس فاستقلال للانفس
النواظر فيما قدمن للاخرة كانه قال فلتنظر نفس واحدة في ذلك واما تنكير الغد فلتعظيمه وابهام امره كانه قيل لغد
لا يعرف كنهه لعظمه وعن مالك بن دينار رحمة الله عليه على باب الجنة وجدنا ما عملنا ربحنا ما قدمنا
خسرنا ما خلفنا ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون نسوا الله
نسوا حقه فجعلهم ناسين حق انفسهم بالخذلان حتى لم يسعوا لها بما ينفعهم عنده او فاراهم يوم القيامة من
الاهوال ما نسوا فيه انفسهم كقوله تعالى لا يرتد اليهم طرفهم لا يستوي اصحاب النار واصحاب
الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون هذا تنبيه للناس وايذان لهم بانهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم

في العاقبة ونهايتهم لكمهم على ايثار العجلة واتباع الشهوات كانهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم
بين اصحابهما وان الفوز مع اصحاب الجنة فمن حقهم ان يعلموا ذلك وينبهوا عليه كما تقول لمن يعق اباه هو ابوك
تجعله بمنزلة من لا يعرفه فتنبهه بذلك على حق الابوة الذي يقتضي البر والتعطف وقد استدل لاصحاب
الشافعي رحمهم الله بهذه الاية على ان المسلم لا يقتل بالكافر وان الكفار لا يملكون اموال المسلمين بالقهر
لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها
للناس لعلهم يتفكرون هذا تمثيل وتخييل كما مر في قوله جل وعلا انا عرضنا الامانة وقد دل عليه قوله تعالى
وتلك الامثال نضربها للناس والغرض توبيخ الانسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القران وتدبر
قوارعه وزواجره وقرئ مصدعا على الادغام وتلك الامثال اشارة الى هذا المثل والى امثاله في مواضع من التنزيل
هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم الغيب المعدوم والشهادة الموجود
المدرك كانه يشاهده وقيل ما غاب عن العباد وما شاهدوه وقيل السر والعلانية وقيل الدنيا والاخرة
هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما
يشركون القدوس بالضم والفتح وقد قرئ بهما البليغ في النزاهة عما يستقبح ونظيره السبوح وفي تسبيح
الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح والسلام بمعنى السلامة ومنه دار السلام وسلام عليكم
وصف به مبالغة في وصف كونه سليما من النقائص او في اعطائه السلامة والمؤمن واهب الامن وقرئ
بفتح الميم بمعنى المؤمن به على حذف الجار كما تقول في قوم موسى من قوله تعالى واختار موسى قومه المختارون
بلفظ صفة السبعين والمهيمن الرقيب على كل شيء والحافظ له مفيعل من الامن الا ان همزته قلبت هاء
والجبار القاهر الذي جبر خلقه على ما اراد اي اجبره والمتكبر البليغ الكبرياء والعظمة وقيل المتكبر عن ظلم
عباده هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو
العزيز الحكيم الخالق المقدر لما يوجد والبارئ المميز بعضه من بعض بالاشكال المختلفة والمصور الممثل وعن
حاطب بن ابي بلتعة انه قرا البارئ المصور بفتح الواو ونصب الراء الذي يبرا المصور اي يميز ما يصوره بتفاوت
الهيئات وقرا ابن مسعود رضي الله عنه وما في الارض عن ابي هريرة رضي الله عنه سالت حبيبي رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن اسم الله الاعظم فقال عليك باخر الحشر فاكثر قراءته فاعدت عليه فاعاد علي فاعدت عليه
فاعاد علي وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر

سورة الممتحنة مدنية | بسم الله الرحمن الرحيم | وهي ثلاث عشرة اية

يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما
جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء
مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد
ضل سواء السبيل روي ان سارة مولاة لابي عمرو بن صيفي بن هشام اتت رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها امسلمة جئت قالت لا قال امهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت
كنتم الاهل والموالي والعشيرة وقد ذهبت الموالي يعني قتلوا يوم بدر فاحتجت حاجة شديدة فحث عليها بني عبد

المطلب فكسوها وحملوها وزودها فاتاها حاطب بن ابي بلتعة واعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها كتابا
الى اهل مكة نسخته من حاطب بن ابي بلتعة الى اهل مكة اعلموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا
حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل عليه السلام بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وعمر
وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد رضوان الله عليهم اجمعين وكانوا فرسانا وقال انطلقوا حتى تاتوا روضة
خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها
فجحدت وحلفت فهموا بالرجوع فقال علي رضي الله عنه ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسل سيفه وقال لها اخرجي الكتاب او تضعي راسك فاخرجته من عقاص شعرها وروي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم امن جميع الناس يوم الفتح الا اربعة هي احدهم فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم
حاطبا وقال ما حملك عليه فقال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك
ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكني كنت امرا ملصقا في قريش وروي عزيرا فيهم اي غريبا ولم اكن من انفسها
وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون اهاليهم واموالهم غيري فخشيت على اهلي فاردت ان اتخذ عندهم
يدا وقد علمت ان الله ينزل عليهم باسه وان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه وقبل عذره فقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على اهل
بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر رضي الله عنه وقال الله ورسوله اعلم فنزلت
عدي اتخذ الى مفعوليه وهما عدوي واولياء والعدو فعول من عدا كعفو من عفا ولكونه على زنة المصدر
اوقع على الجمع ايقاعه على الواحد فان قلت تلقون بم يتعلق قلت يجوز ان يتعلق بلا تتخذوا
حالا من ضميره وباولياء صفة له ويجوز ان يكون استينافا فان قلت اذا جعلته صفة لاولياء وقد جرى على غير من هو
له فاين الضمير البارز وهو قولك تلقون اليهم انتم بالمودة قلت ذلك انما اشترطوه في الاسماء دون الافعال
لو قيل اولياء ملقين اليهم بالمودة على الوصف لما كان بد من الضمير البارز والالقاء عبارة عن ايصال المودة والافضاء
بها اليهم يقال القى اليه خراشي صدره وافضى اليه بشقوره والباء في بالمودة اما زائدة مؤكدة للتعدي
مثلها في ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واما ثابتة على ان مفعول تلقون محذوف معناه تلقون اليهم اخبار رسول
الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة التي بينكم وبينهم وكذلك قوله تعالى تسرون اليهم بالمودة اي تفضون
اليهم بمودتكم سرا او تسرون اليهم اسرار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة فان قلت
وقد كفروا حال مماذا قلت اما من لا تتخذوا واما من تلقون اي لا تتولوهم او توادونهم وهذه حالهم يخرجون
استيناف كالتفسير لكفرهم وعتوهم او حال من كفروا وان تؤمنوا تعليل ليخرجون اي يخرجونكم لايمانكم
ان كنتم خرجتم متعلق بلا تتخذوا يعني لا تتولوا اعدائي ان كنتم اوليائي وقول النحويين في مثله هو شرط
جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه وتسرون استينافا ومعناه اي طائل لكم في اسراركم وقد علمتم ان الاخفاء
والاعلان سيان في علمي لا تفاوت بينهما وانا مطلع رسولي على ما تسرون ومن يفعله ومن يفعل هذا الاسرار
فقد اخطا طريق الحق والصواب وقرا الجحدري لما جاءكم اي كفروا لاجل ما جاءكم بمعنى ان ما كان يجب ان يكون
سببا ايمانهم جعلوه سببا لكفرهم إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم
بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ان يثقفوكم ان يظفروا بكم ويتمكنوا منكم يكونوا لكم اعداء خالصي العداوة ولا يكونوا

لكم اوليا كما كنتم ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء بالقتال والشتم وتمنوا لو ترتدون عن دينكم فاذن مودة
امثالهم ومناصحتهم خطا عظيم منكم ومغالطة لانفسكم ونحوه قوله عز وجل لا يالونكم خبالا فان قلت
كيف اورد جواب الشرط مضارعا مثله ثم قال وودوا بلفظ الماضي قلت الماضي وان كان يجري في باب الشرط
مجري المضارع في علم الاعراب فان فيه نكتة كانه قيل وودوا قبل كل شي كفركم وارتدادكم يعني انهم يريدون ان يلحقوا بكم
مضار الدنيا والدين جميعا من قتل الانفس وتمزيق الاعراض وردكم كفارا وردكم كفارا اسبق المضار عندهم واولها
لعلمهم ان الدين اعز عليكم من ارواحكم لانكم بذالون لها دونه والعدو اهم شي عنده ان يقصد اعز شي عند صاحبه
لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ لن تنفعكم ارحامكم اي
قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون الكفار من اجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم ثم قال يوم القيمة يفصل بينكم وبين
اقاربكم واولادكم يوم يفر المرء من اخيه الاية فما لكم ترفضون حق الله مراعاة لحق من يفر منكم غدا خطا رايهم في
موالاة الكفار بما يرجع الي حال من والوه اولا ثم بما يرجع الي حال من اقتضي تلك الموالاة ثانيا ليريهم ان ما اقدموا عليه من اي
جهة نظرت فيه وجدته باطلا وقري يفصل ويفصل علي البناء للمفعول ويفصل ويفصل علي البناء للفاعل وهو
الله عز وجل ونفصل ونفصل بالنون قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ
إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا
بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا
وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ وقري إسوة وأسوة وهو اسم المؤتسي به اي كان فيهم مذهب حسن مرضي بان يؤتسي به ويتبع اثره وهو قولهم
لكفار قومهم ما قالوا حيث كاشفوهم بالعداوة وقشروا لهم العصا واظهروا لهم البغضا والمقت وصرحوا بان سبب
عداوتهم وبغضائهم ليس الا كفرهم بالله وما دام هذا السبب قائما كانت العداوة قائمة حتي ان ازالوه وامنوا بالله
وحده انقلبت العداوة موالاة والبغضا محبة والمقت مقة فافصحوا عن محض الاخلاص ومعني كفرنا بكم وبما
تعبدون من دون الله انا لا نعتد بشانكم ولا بشان الهتكم وما انتم عندنا علي شي فان قلت مم استثني قوله تعالي
الا قول ابراهيم قلت من قوله اسوة حسنة لانه اراد بالاسوة الحسنة قولهم الذي حق عليهم ان ياتسوا به ويتخذوه
سنة يستنون بها فان قلت فان كان قوله تعالي لاستغفرن لك مستثني من القول الذي هو اسوة حسنة
فما بال قوله تعالي وما املك لك من الله من شي وهو غير حقيق بالاستثنا الا تري الي قوله تعالي قل فمن يملك لكم من
الله شيا قلت اراد استثنا جملة قوله لابيه والقصد الي موعد الاستغفار له وما بعده مبني عليه وتابع له كانه
قال انا استغفر لك وما في طاقتي الا الاستغفار فان قلت بم اتصل قوله تعالي ربنا عليك توكلنا قلت
بما قبل الاستثنا وهو من جملة الاسوة الحسنة ويجوز ان يكون المعني قولوا ربنا امرا من الله تعالي للمومنين
بان يقولوه وتعليما منه لهم تتميما لما وصاهم به من قطع العلايق بينهم وبين الكفار والايتسا بابراهيم وقومه في
البراة منهم وتنبيها علي الانابة الي الله تعالي والاستعاذة به من فتنة اهل الكفر والاستغفار مما فرط منهم
وقري برآ كشركا وبرآء كظراف وبرا علي ابدال الضم من الكسر كرخال ورباب وبرا علي الوصف بالمصدر
والبرا والبراءة كالظما والظماءة لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ثم كرر الحث علي الاستنان (كذا) الايتسا بابراهيم عليه السلم

وقومه في البراءة منهم وتنبيهاً على الانابة الى الله تعالى والاستعاذة به من فتنة اهل الكفر والاستغفار تقريراً وتأكيداً عليهم
ولذلك جاء به مصدراً بالقسم لانه الغاية في التأكيد وابدل عن قوله لكم قوله تعالى لمن كان يرجو الله واليوم الآخر
وعقبه بقوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فلم يترك نوعاً من التأكيد الا جاء به ولما نزلت هذه الآيات
تشدد المؤمنون في عداوة آبائهم وابنائهم وجميع اقربائهم من المشركين ومقاطعتهم عسى الله ان يجعل بينكم
وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم فلما رأى الله منهم الجد والصبر على الوجد
الشديد وطول التمني للسبب الذي يبيح لهم الموالاة والمواصلة رحمهم فوعدهم تيسير ما تمنوه فلما يسر فتح مكة
اظفرهم الله بامنيتهم فاسلم قومهم وتم بينهم من التحاب والتصافي ما تم وقيل تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم
ام حبيبة رضي الله عنها فلانت عند ذلك عريكة ابي سفيان واسترخت شكيمته في العداوة وكانت ام حبيبة قد اسلمت
وهاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش الى الحبشة فتنصر وارادها على النصرانية فابت وصبرت على دينها ومات
زوجها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي فخطبها عليه وساق عنه اليها اربع مائة دينار وبلغ ذلك
اباها فقال ذلك الفحل لا يقدع انفه وعسى وعد من الله على عادات الملوك حيث يقولون في بعض الحوائج عسى ولعل
فلا يبقى للمحتاج شبهة في تمام ذلك او قصد به اطماع المؤمنين والله قدير على تقليب القلوب وتغيير الاحوال وتسهيل
اسباب المودة والله غفور رحيم لمن اسلم من المشركين لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم
من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في
الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون
ان تبروهم بدل من الذين لم يقاتلوكم وكذلك ان تولوهم من الذين قاتلوكم والمعنى لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء ولكن
وانما ينهاكم عن تولي هؤلاء وهذا ايضاً رحمة لهم لتشددهم وجدهم في العداوة متقدمة لرحمته بتيسير اسلام قومهم
حيث رخص لهم في صلة من لم يجاهر منهم بقتال المؤمنين واخراجهم من ديارهم وقيل اراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه وعن مجاهد هم الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا
وقيل هم النساء والصبيان وقيل قدمت على اسماء بنت ابي بكر امها قتيلة بنت عبد العزى وهي مشركة بهدايا
فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن
اليها وعن قتادة نسختها آية القتال وتقسطوا اليهم وتقضوا اليهم بالقسط ولا تظلموهم وناهيك بتوصية
الله تعالى المؤمنين ان يستعملوا القسط مع المشركين به ويتحاموا ظلمهم مترجمة عن حال مسلم يجترئ على ظلم اخيه المسلم
يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات
فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما انفقوا اذا جاءكم المؤمنات سماهن
مؤمنات لتصديقهن بالسنتهن ونطقهن بكلمة الشهادة ولم يظهر منهن ما ينافي ذلك او لانهن مشارفات
لثبات ايمانهن بالامتحان فامتحنوهن فابتلوهن بالحلف والنظر في الامارات ليغلب على ظنونكم صدق ايمانهن
بالامتحان وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للممتحنة بالله الذي لا اله الا هو ما خرجت من بغض زوج
بالله ما خرجت رغبة عن ارض الى ارض بالله ما خرجت التماس الدنيا بالله ما خرجت الا حباً لله ولرسوله
الله اعلم بايمانهن منكم لانكم لا تكسبون فيه علماً تطمئن معه نفوسكم وان استحلفتموهن ورزتم احوالهن
وعند الله حقيقة العلم به فان علمتموهن مؤمنات العلم الذي تبلغه طاقتكم وهو الظن الغالب

بالحلف وظهور الامارات ﴿فلا ترجعوهن الى الكفار﴾ لا تردوهن الى ازواجهن المشركين لانه لا حل بين المومنة
والمشرك ﴿وآتوهم ما انفقوا﴾ واعطوا ازواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور وذلك ان صلح الحديبية
كان على ان من اتاكم من اهل مكة رد اليهم ومن اتى مكة منكم لم يرد اليكم وكتبوا بذلك كتابا وختموه فجاءت
سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة والنبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية فاقبل زوجها مسافر المخزومي
وقيل صيفي بن الراهب فقال يا محمد اردد علي امراتي فانك قد شرطت لنا ان ترد علينا من اتاك منا وهذه طينة الكتاب
لم تجف فنزلت بيانا لان الشرط انما كان في الرجال دون النساء وعن الضحاك كان بين رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبين المشركين عهد ان لا تاتيك منا امراة ليست على دينك الا رددتها الينا فان دخلت في دينك ولها
زوج ان ترد على زوجها الذي انفق عليها وللنبي عليه السلام من الشرط مثل ذلك وعن قتادة ثم نسخ هذا الحكم
وهذا العهد براءة فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فان قلت كيف سمى الظن علما في قوله تعالى فان علمتموهن قلت ايذانا بان الظن الغالب وما يفضي
اليه الاجتهاد والقياس جار مجرى العلم وان صاحبه غير داخل في قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم فان قلت
فما فائدة قوله الله اعلم بايمانهن وذلك معلوم لا شبهة فيه قلت فائدته بيان ان لا سبيل لكم الى ما تطمئن
به النفس وثلج الصدر من الاحاطة بحقيقة ايمانهن فان ذلك مما استاثر به علام الغيوب فان ما يؤدي اليه
الامتحان من العلم كاف في ذلك وان تكليفكم لا يعدوه ﴿ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا آتيتموهن اجورهن
ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسألوا ما انفقتم وليسألوا ما انفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم
حكيم﴾ ثم نفى عنهم الجناح في تزوج هؤلاء المهاجرات اذا آتوهن اجورهن اي مهورهن لان المهر اجر البضع ولا
يخلو اما ان يراد بها ما كان يدفع اليهن ليدفعنه الى ازواجهن فيشترط في اباحة تزوجهن تقديم ادائه واما ان
يراد ان ذلك اذا دفع اليهن على سبيل القرض ثم تزوجن على ذلك لم يكن به باس واما ان يبين لهم ان ما اعطى الازواج
لا يقوم مقام المهر وانه لا بد من اصداق وبه احتج ابو حنيفة رحمة الله عليه على ان احد الزوجين
اذا خرج من دار الحرب مسلما او بذمة وبقي الآخر حربيا وقعت الفرقة ولا يرى العدة على المهاجرة ويبيح نكاحها
الا ان تكون حاملا ﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾ والعصمة ما يعتصم به من عقد وسبب يعني اياكم واياهن
ولا تكن بينكم وبينهن عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس رضي الله عنهما من كانت له امراة كافرة
بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه وعن النخعي هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر
وعن مجاهد امرهم بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن ﴿واسألوا ما انفقتم﴾ من مهور ازواجكم اللاحقات
بالكفار ﴿وليسألوا ما انفقوا﴾ من مهور نسائهم المهاجرات وقرئ ولا تمسكوا بالتخفيف ولا تمسكوا
بالتثقيل ولا تمسكوا اي ولا تتمسكوا ذلكم حكم الله يعني جميع ما ذكر في هذه الآية يحكم بينكم كلام مستانف
او حال من حكم الله على حذف الضمير اي يحكمه الله او جعل الحكم حاكما على المبالغة روي انه لما نزلت الآية ادى
المومنون ما امروا به من اداء المهور للمهاجرات الى ازواجهن المشركين وابى المشركون ان يؤدوا شيئا من
مهور الكوافر الى ازواجهن المسلمين فنزل قوله تعالى ﴿وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم فآتوا
الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا واتقوا الله الذي انتم به مومنون﴾ وان فاتكم وان سبقكم وانفلت
منكم شيء من ازواجكم احد منهن الى الكفار وهو في قراءة ابن مسعود رضي الله عنه احد فان قلت

هل لا يتابع شيء في هذا الموضع فائدة قلت نعم الفائدة فيه ان لا يغادر شيء من هذا الجنس وإن قل وحقر
غير معوض عنه تغليظا في هذا الحكم وتشديدا فيه فعاقبتم من العقبة وهي النوبة شبه ما حكم به على
المسلمين والكافرين من أداء هؤلاء مهور نساء أولئك تارة وأولئك مهور نساء هؤلاء أخرى بأمر
يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره ومعناه فجاءت عقبتكم من أداء المهر فآتوا من فاتته امرأته
إلى الكفار مثل مهرها من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها في الركوب وغيره الكافر وهكذا عن الزهري
يعطي من صداق من لحق بهم وقرئ فأعقبتم فعقّبتم بالتشديد فعقبتم بفتح القاف وكسرها فمعنى
أعقبتم دخلتم في العقبة وعقّبتم من عقّبه إذا قفاه لأن كل واحد من المتعاقبين يقفي صاحبه
وكذلك عقبتم بالتخفيف يقال عقبه وعقبته نحو تبعته وقال الزجاج فعاقبتم فأصبتموهم
في القتال بعقوبة حتى غنمتم والذي ذهبت زوجته كان يعطى من الغنيمة المهر وفسر غيرها من
القراءات فكانت العقبى لكم أي كانت الغلبة لكم حتى غنمتم وقيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين
المهاجرين راجعة عن الإسلام ست نسوة أم الحكم بنت أبي سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهري
وفاطمة بنت أبي أمية كانت تحت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهي أخت أم سلمة وبروع بنت عقبة
كانت تحت شماس بن عثمان رضي الله عنه وعبدة بنت عبد العزى بن نضلة وزوجها عمرو بن عبد ود
وهند بنت أبي جهل كانت تحت هشام بن العاص رضي الله عنه وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر رضي الله
عنه وأعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهور نسائهم من الغنيمة يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات
يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا
يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف واستغفر لهن
الله إن الله غفور رحيم ولا يقتلن أولادهن وقرئ يقتّلن بالتشديد يريد وأد البنات
ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها
هو ولدي منك كنى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذي تلصقه بزوجها
كذبا لأن بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذي تلد به بين الرجلين ولا يعصينك في معروف
فيما تأمرهن به من المحسنات وتنهاهن عنه من المقبحات وقيل كل ما وافق طاعة الله عز وجل
فإن قلت لو اقتصر على قوله ولا يعصينك فقد علم أن رسول الله عليه السلام لا يأمر إلا بمعروف
قلت نبه بذلك على أن طاعة المخلوق في معصية الخالق جديرة بغاية التوقي والاجتناب وروي
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال أخذ في بيعة النساء وهو على الصفا
وعمر بن الخطاب رضي الله عنه أسفل منه يبايعهن بأمره ويبلغهن عنه وهند بنت عتبة امرأة أبي
سفيان متقنعة متنكرة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرفها فقال عليه السلام أبايعكن على
أن لا تشركن بالله شيئا فرفعت هند رأسها وقالت والله لقد عبدنا الأصنام وإنك لتأخذ علينا
أمرا ما رأيناك أخذته على الرجال تبايع الرجال على الإسلام والجهاد فقال عليه السلام ولا يسرقن ولا يزنين
فقالت إن أبا سفيان رجل شحيح وإني أصبت من ماله هنات فما أدري أتحل لي أم لا فقال أبو سفيان ما أصبت
من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وإنك لهند بنت عتبة

قالت نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك • فقال ولا يزنين • فقالت أو تزني الحرة • وفي رواية
ما زنت منهن امرأة قط • فقال عليه السلام ولا يقتلن أولادهن • فقالت ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا
فأنتم وهم أعلم • وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول
الله صلى الله عليه وسلم • فقال عمر رضي الله عنه ولا يأتين ببهتان • فقالت والله إن البهتان لأمر قبيح
وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق • فقال ولا يعصينك في معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا
وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء • وقيل في كيفية المبايعة دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمس أيديهن
وقيل صافحهن وكان على يده ثوب قطري وكان عمر رضي الله عنه يصافحهن عنه **يا أيها الذين آمنوا
لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور** روي
أن بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود عليهم اللعنة ليصيبوا من ثمارهم فقيل لهم لا تتولوا
قوما مغضوبا عليهم قد يئسوا من أن يكون لهم حظ في الآخرة لعنادهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهم يعلمون أنه الرسول المنعوت في التوراة • كما يئس الكفار من موتاهم أن يبعثوا ويرجعوا أحياء
وقيل من أصحاب القبور بيان للكفار أي كما يئس الكفار من أصحاب القبور الذين قبروا من خير الآخرة
لأنهم تبينوا قبح حالهم وسوء منقلبهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات
شفعاء يوم القيامة

سورة الصف مكية — بسم الله الرحمن الرحيم — وهي أربع عشرة آية

**سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر
مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون** لم هي لام الإضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها
غيرها من حروف الجر في قولك بم وفيم ومم وعم وإلام وعلام وحتام وإنما حذفت الألف
لأن ما والحرف كشيء واحد ووقع استعمالهما كثيرا في كلام المستفهم وقد جاء استعمال الأصل قليلا
والوقف على زيادة هاء السكت أو الإسكان ومن أسكن في الوصل فلإجرائه مجرى الوقف كما سمع
ثلاثة أربعه بالهاء وإلقاء حركة الهمزة عليها محذوفة وهذا الكلام يتناول الكذب وإخلاف الموعد وروي
أن المؤمنين قالوا قبل أن يؤمروا بالقتال لو علمنا أحب الأعمال إلى الله لعملناه ولبذلنا فيه أموالنا
وأنفسنا فدلهم الله تعالى على الجهاد في سبيله فولوا يوم أحد فعيرهم وقيل لما أخبر الله تعالى بثواب شهداء
يوم بدر قالوا لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم أحد ولم يفوا وقيل كان الرجل
يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وضربت ولم يضرب وصبرت ولم يصبر وقيل قد آذى
المسلمين رجل ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله آخر فقال عمر لصهيب رضي الله عنهما أخبر
النبي صلى الله عليه وسلم أنك قتلته فقال إنما قتلته لله ولرسوله فقال عمر يا رسول الله قتله صهيب
قال كذلك يا أبا يحيى قال نعم فنزلت في المنتحل وعن الحسن رحمه الله عليه نزلت في المنافقين ونداؤهم
بالإيمان تهكم بهم بإيمانهم هذا من أفصح الكلام وأبلغه في معناه قصد في كبر التعجب من غير لفظه كقوله

غلت

علت نابَ كليبٍ بواؤها • ومعنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين لأن التعجب لا يكون الا من شيء
خارج عن نظائره واشكاله • وأُسند إلى أن تقولوا • ونُصب مقتاً على تفسيره دلالة على ان قولهم
ما لا يفعلون مقتٌ خالص لا شوب فيه لفرط تمكن المقت منه واختير لفظ المقت لانه اشد
البغض وابلغه • ومنه قيل نكاح المقت للعقد على الرابّة ولم يقتصر على ان جعل البغض كبيراً حتى
جعل اشده وافحشه وعند الله ابلغ من ذلك لانه اذا ثبت كبر مقته عند الله فقد تم كبره وشدته
وانزاحت عنه الشكوك • وعن بعض السلف انه قيل له حدثنا فسكت ثم قيل له حدثنا
فقال اتأمرونني ان اقول ما لا افعل فاستعجل مقت الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ
صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ في قوله ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله عقيب ذكر مقت المخلف
دليل على ان المقت قد تعلق بقول الذين وعدوا الثبات في قتال الكفار فلم يفوا وقرأ زيد بن
علي رضي الله عنهما يقاتَلون بفتح التاء وقرئ يقتّلون صفاً صافّين انفسهم او مصفوفين
كأنهم في تراصهم من غير فرجة ولا خلل بنيان رُصّ بعضه الى بعض ورُصف وقيل يجوز ان يريد
استواء نياتهم في الثبات حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص وعن بعضهم فيه دليل
على فضل القتال راجلا لان الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة وقوله تعالى كأنهم بنيان
حالان متداخلان ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾
اذ منصوب باضمار اذكر او وحين قال لهم ما قال كان كذا وكذا وتؤذونني كانوا يؤذونه بانواع الاذى
من انتقاصه وعيبه في نفسه وجحود آياته وعصيانه فيما يعود اليهم منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم
رؤية الله جهرة والتكذيب الذي هو تضييع حق الله تعالى وحقه • وقد تعلمون في موضع الحال اي تؤذونني
عالمين علماً يقيناً اني رسول الله اليكم وقضية علمكم بذلك وموجبه تعظيمي وتوقيري لا ان تؤذوني
وتستهينوا بي لان من عرف الله وعظمته عظّم رسوله علماً بان تعظيمه في تعظيم رسوله ولان من آذاه
كان وعيد الله لاحقاً به ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾
فلما زاغوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم بان منع ألطافه عنهم والله لا يهدي الفاسقين لا يلطف
بهم لانهم ليسوا من اهل اللطف فان قلت ما معنى قد في قوله وقد تعلمون قلت معناه التوكيد
كانه قال وتعلمون علماً يقيناً لا شبهة لكم فيه ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ
مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ
قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ قيل انما قال يا بني اسرائيل ولم يقل يا قوم لانه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه
والمعنى أُرسلت اليكم في حال تصديقي ما تقدمني من التوراة وفي حال تبشيري برسول يأتي من بعدي
اسمه احمد يعني ان ديني التصديق بكتب الله وانبيائه جميعاً ممن تقدم وتأخر وقرئ من بعدي
بسكون الياء وفتحها والخليل وسيبويه يختاران الفتح وعن كعب ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام
هل بعدنا من امة قال نعم امة احمد حكماء علماء ابرار اتقياء كانهم من الفقه انبياء يرضون من
الله باليسير من الرزق ويرضى منهم باليسير من العمل فان قلت بم انتصب مصدقاً ومبشراً
أبما في الرسول من معنى الارسال ام باليكم قلت بل بمعنى الارسال لان اليكم صلة للرسول فلا يجوز

أن يعمل شيئا لأن حروف الجر لا تعمل بأنفسها ولكن بما فيها من معنى الفعل فإذا وقعت صلات لم تتضمن
معنى فعل فمن أين تعمل وقرئ هذا ساحر مبين ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب
وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين وأي الناس أشد ظلما
ممن يدعوه ربه على لسان نبيه عليه السلام إلى الإسلام الذي له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان إجابته
إليه افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده إلى الحق هذا سحر لأن السحر
كذب وتمويه وقرأ طلحة بن مصرف وهو يدّعي بمعنى يدعي دعاه وادّعاه نحو لمسه والتمسه
وعنه يدّعي بمعنى يدعو وهو الله عز وجل يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم
والله متم نوره ولو كره الكافرون أصله يريدون أن يطفئوا كما جاء في
سورة براءة وكأن هذه اللام زيدت مع فعل الإرادة تأكيدا له لما فيها من معنى الإرادة
في قولك جئتك لإكرامك كما زيدت اللام في لا أبا لك تأكيدا لمعنى الإضافة في أبالك وإطفاء
نور الله بأفواههم تهكم بهم في إرادتهم إبطال الإسلام بقولهم في القرآن هذا سحر مثلت
حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه والله متم نوره أي متم
الحق ومبلغه غايته وقرئ بالإضافة هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين كله ولو كره المشركون ودين الحق الملة الحنيفية ليظهره ليعليه
على الدين كله على جميع الأديان المخالفة له ولعمري لقد فعل فما بقي دين من
الأديان إلا وهو مغلوب مقهور بدين الإسلام وعن مجاهد إذا نزل عيسى عليه السلام لم يكن في
الأرض إلا دين الإسلام وقرئ أرسل نبيه يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة
تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم
وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات
تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم ه
تنجيكم قرئ مخففا ومثقلا وتؤمنون استئناف كأنهم قالوا كيف نعمل فقال تؤمنون وهو
خبر في معنى الأمر ولهذا أجيب بقوله يغفر لكم ويدل عليه قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه
آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا فإن قلت لم جيء به على لفظ الخبر قلت للإيذان بوجوب
الامتثال وكأنه امتثل فهو يخبر عن إيمان وجهاد موجودين ونظيره قول الداعي غفر الله
لك ويغفر الله لك جعلت المغفرة لقوة الرجاء كأنها كانت ووجدت فإن قلت
هل لقول الفراء إنه جواب هل أدلكم وجه قلت وجهه أن متعلق الدلالة هو التجارة
والتجارة مفسرة بالإيمان والجهاد فكأنه قيل هل تتجرون بالإيمان والجهاد يغفر لكم فإن
قلت فما وجه قراءة زيد بن علي رضي الله عنهما تؤمنوا وتجاهدوا قلت وجهها أن
تكون على إضمار لام الأمر كقوله محمد تفد نفسك كل نفس إذا ما خفت من أمر تبالا
وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم قالوا لو نعلم أحب الأعمال إلى الله تعالى لعملناها فنزلت
هذه الآية فمكثوا ما شاء الله يقولون ليتنا نعلم ما هي فدلهم الله عليها بقوله تؤمنون وهذا

وقيل

دليل على ان تؤمنون كلام مستانف وعلى ان الامر الوارد على النفوس بعد التسوف وتطلع منها
اليه ادفع فيها واقرب من قبولها له مما لو جيئت به ذلكم يعني ما ذكر من الايمان والجهاد خير
لكم من اموالكم وانفسكم فان قلت ما معنى قوله تعالى ان كنتم تعلمون قلت معناه
ان كنتم تعلمون انه خير لكم كان خيرا لكم حينئذ لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه احببتم
الايمان والجهاد فوق ما تحبون انفسكم واموالكم فتخلصون وتفلحون ولكم الى هذه النعمة المحبوبة
واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين واخرى تحبونها
فلكم هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب في الآجلة نعمة اخرى عاجلة محبوبة
اليكم ثم فسرها بقوله تعالى نصر من الله وفتح قريب اي عاجل وهو فتح مكة
وقال الحسن هو فتح فارس والروم وفي تحبونها شيء من التوبيخ على محبة العاجل
فان قلت علام عطف قوله تعالى وبشر المؤمنين قلت على تؤمنون لانه في
معنى الامر كانه قيل آمنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم وبشر يا رسول الله المؤمنين بذلك فان قلت
لم نصب من قرأ نصرا من الله وفتحا قريبا قلت يجوز ان ينصب على الاختصاص
او على تنصرون نصرا ويفتح لكم فتحا او على يغفر لكم ويدخلكم جنات ويؤتكم
اخرى نصرا وفتحا يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى ابن مريم
للحواريين من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله قرئ
كونوا انصارا لله وانصار الله وقرأ ابن مسعود رضي الله تعالى عنه كونوا انتم انصار
وفيه زيادة حث للنصرة عليهم فان قلت ما وجه صحة التشبيه وظاهره تشبيه
كونهم انصارا بقول عيسى عليه السلام من انصاري الى الله قلت التشبيه محمول على المعنى
وعليه يصح والمراد كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصار عيسى حين قال لهم من انصاري
الى الله فان قلت ما معنى قوله تعالى من انصاري الى الله قلت يجب ان يكون
معناه مطابقا لجواب الحواريين نحن انصار الله والذي يطابقه ان يكون المعنى من جندي متوجها
الى نصرة الله واضافة انصاري خلاف اضافة انصار الله فان معنى انصار الله نحن الذين
ينصرون الله ومعنى من انصاري من الانصار الذين يختصون بي ويكونون معي في نصرة الله تعالى
ولا يصح ان يكون معناه من ينصرني مع الله لانه لا يطابق الجواب والدليل عليه قراءة من قرأ
من انصار الله والحواريون اصفياؤه وهم اول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلا وحواري
الرجل صفيه وخلصانه من الحور وهو البياض الخالص والحواري الدرمك ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم الزبير ابن عمتي والحواري من امتي وقيل كانوا
قصارين يحورون الثياب يبيضونها ونظير الحواري في زنته الحوالي الكثير
الحيل فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين
آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين فآمنت طائفة منهم بعيسى
عليه السلام وكفرت به طائفة فأيدنا مؤمنيهم على كفارهم فظهروا
عليهم وعن زيد بن علي رضي الله تعالى عنهما كان ظهورهم بالحجة عن رسول الله صلى الله عليه

من قرأ سورة الصف كان عيسى عليه الصلاة والسلام مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو في القيامة رفيقه

سورة الجمعة مكية وهي احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذي بعث
في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة
وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين قرئت صفات الله عز وجل بالرفع على
المدح كأنه قيل هو الملك القدوس ولو قرئت منصوبة لكان وجها كقول العرب الحمد لله
أهل الحمد الأمي منسوب إلى أمة العرب لأنهم كانوا لا يكتبون لأنهم كانوا لا يقرؤون ولا يكتبون
من بين الأمم وقيل بدئت الكتابة بالطائف أخذوها من أهل الحيرة وأهل الحيرة
من أهل الأنبار ومعنى بعث في الأميين رسولا منهم بعث رجلا أميا في قوم أميين كما
جاء في حديث شعيا إني أبعث أعمى في عميان وأميا في قوم أميين وقيل
منهم لقوله تعالى من أنفسكم يعلمون نسبه وأحواله وقرئ في الأمين بحذف
ياء النسب يتلو عليهم آياته يقرؤها عليهم مع كونه أميا مثلهم لم يعهد منه قراءة
ولم يعرف بتعلم وقراءة أمي بغير تعلم آية بينة ويزكيهم ويطهرهم من الشرك
وخبائث الجاهلية ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة وإن في وإن كانوا هي
المخففة من الثقيلة وإن كانوا هي المخففة من الثقيلة واللام تدل عليها أي كانوا في ضلال
لا ترى ضلالا أعظم منه وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم مجرور عطف
على الأميين يعني أنه بعثه في الأميين الذين على عهده وفي آخرين من الأميين لم يلحقوا بهم
بعد وسيلحقون بهم وهم الذين بعد الصحابة رضي الله عنهم وقيل لما نزلت قيل
من هم يا رسول الله فوضع يده على سلمان رضي الله عنه ثم قال لو كان الإيمان عند الثريا
لتناوله رجال من هؤلاء وقيل هم الذين يأتون من بعدهم إلى يوم القيامة ويجوز أن
ينتصب عطفا على المنصوب في ويعلمهم أي يعلمهم ويعلم آخرين لأن التعليم إذا
تناسق إلى آخر الزمان كان كله مستندا إلى أوله فكأنه هو الذي تولى كل ما وجد
منه وهو العزيز الحكيم في تمكينه رجلا أميا من ذلك الأمر العظيم وتأييده عليه واختياره
إياه من بين كافة البشر ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم
ذلك الفضل الذي أعطاه محمدا صلى الله عليه وسلم وهو أن يكون نبي أبناء عصره
ونبي أبناء العصور الغوابر هو فضل الله يؤتيه من يشاء إعطاءه وتقتضيه حكمته مثل
الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم
الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين شبه اليهود عليهم اللعنة

في انهم حملة التورية وقراؤها وحفاظ ما فيها ثم انهم غير عاملين بها ولا منتفعين بآياتها وذلك ان
فيها نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والبشارة به ولم يؤمنوا به بالحمار يحمل اسفارا اي كتبا
كبارا من كتب العلم فهو يمشي بها ولا يدري منها الا ما يمر بجنبيه وظهره من الكد والتعب
وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله وبئس المثل بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا
بآيات الله وهم اليهود عليهم اللعنة الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى حملوا التورية كلفوا علمها والعمل بها ثم لم يحملوها
ثم لم يعملوا بها فكأنهم لم يحملوها وقرئ حملوا التورية اي حملوها ثم لم يحملوها في — الحقيقة صح
لفقد العمل وقرئ يحمل الاسفار فان قلت يحمل ما محله قلت النصب
على الحال او الجر على الوصف لان الحمار كاللئيم في قوله • ولقد امر على اللئيم يسبني •
قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان
كنتم صادقين هاد يهود اذا تهود اولياء لله كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه
اي ان كان قولكم حقا وكنتم على ثقة فتمنوا على الله ان يميتكم وينقلكم سريعا الى دار كرامته
التي اعدها لاوليائه • ثم قال ولا يتمنونه ابدا بسبب ما قدموا من الكفر وقد قال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها احد منكم الا غص بريقه فلولا انهم
كانوا موقنين بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم لتمنوا ولكنهم علموا انهم لو تمنوا لماتوا من ساعتهم
ولحقهم الوعيد فما تمالك احد ان يتمنى وهي احدى المعجزات • وقرئ فتمنوا الموت بكسر الواو
تشبيها بلو استطعنا ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين ولا
فرق بين لا ولن في ان كل واحدة منهما نفي للمستقبل الا ان في لن تاكيدا وتشديدا ليس
لا فاتى مرة بلفظ التاكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه قل ان الموت الذي
تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم
تعملون ثم قيل لهم ان الموت الذي تفرون منه ولا تجسرون ان تتمنوه خيفة ان تؤخذوا
بوبال كفركم تفوتونه وهو ملاقيكم لا محالة ثم تردون الى الله فيجازيكم بما انتم اهله
من العقاب • وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما انه ملاقيكم • وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه
تفرون منه ملاقيكم وهي ظاهرة واما التي بالفاء فلتضمن الذي معنى الشرط وقد جعل ان الموت
الذي تفرون منه كلاما براسه في قراءة زيد اي ان الموت هو الشيء الذي تفرون منه ثم استؤنف
انه ملاقيكم يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا
البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يوم الجمعة يوم الفوج المجموع كضحكة للمضحوك
منه ويوم الجمعة بفتح الميم يوم الوقت الجامع كقولهم ضحكة ولعبة ولعبة ويوم الجمعة
تثقيل للجمعة كما قيل عسرة في عسرة وقرئ بهن جميعا فان قلت من في قوله
تعالى من يوم الجمعة ما هي قلت هي بيان لاذا وتفسير له • والنداء الاذان وقالوا
المراد به الاذان عند قعود الامام على المنبر وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذن واحد

وكان اذا جلس على المنبر آذن على باب المسجد فاذا نزل قام للصلوة ثم كان ابو بكر وعمر رضي الله عنهما
على ذلك وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد مؤذنا آخر فامر بالتاذين الاول على داره التي
تسمى زوراء فاذا جلس على المنبر اذن المؤذن الثاني فاذا نزل اقام للصلوة فلم يعب ذلك
عليه وقيل اول من سماها جمعة كعب بن لؤي وكان يقال لها العروبة وقيل ان الانصار قالوا
لليهود عليهم اللعنة يوم يجتمعون فيه في كل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما
نجتمع فيه فنذكر الله فيه ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود عليهم اللعنة ويوم الاحد للنصارى
فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى سعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه
يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فانزل الله تعالى اية الجمعة فهي اول جمعة كانت في الاسلام واما اول جمعة
جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي انه لما قدم المدينة مهاجرا نزل قباء على بني عمرو بن عوف واقام بها
يوم الاثنين والثلثا والاربعا والخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة في بني سالم بن عوف
في بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة وعن بعضهم قد ابطل الله عز وجل قول اليهود عليهم اللعنة
في ثلاث افتخروا بانهم اولياء الله واحباؤه فكذبهم في قوله = فتمنوا الموت ان كنتم صادقين
وبانهم اهل الكتاب والعرب لا كتاب لهم فشبههم بالحمار يحمل اسفارا وبالسبت وانه ليس للمسلمين
مثله فشرع الله تعالى لهم الجمعة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه
الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه اهبط الى الارض وفيه تقوم الساعة وهو
عند الله يوم المزيد وعنه صلى الله عليه وسلم ان لله في كل جمعة ستمائة الف عتيق من النار وعن
النبي صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل وفي كفه مرآة بيضاء وقال هذه يوم الجمعة يعرضها عليك
ربك لتكون لك عيدا ولامتك من بعدك وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه الى الآخرة يوم المزيد
وعن كعب ان الله فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الايام الجمعة [illegible]
وقال صلى الله عليه وسلم من مات يوم الجمعة كتب الله له اجر شهيد ووقي فتنة القبر وفي الحديث
اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على ابواب المسجد بايديهم صحف من فضة واقلام من ذهب
يكتبون الاول فالاول على مراتبهم وكانت الطرقات في ايام السلف وقت السحر وبعد الفجر
مغتصة بالمبكرين الى الجمعة يمشون بالسرج وقيل اول بدعة احدثت في الاسلام ترك البكور
الى الجمعة وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه بكر فراى ثلثة نفر سبقوه فاغتم واخذ
يعاتب نفسه يقول اراك رابع اربعة وما رابع اربعة بسعيد ولا تقام الجمعة عند ابي حنيفة
رضي الله عنه الا في مصر جامع لقوله صلى الله عليه وسلم لا جمعة ولا تشريق ولا فطر ولا اضحى
الا في مصر جامع والمصر الجامع ما اقيمت فيه الحدود ونفذت فيه الاحكام ومن شروطها
الامام او من يقوم مقامه لقوله صلى الله عليه وسلم فمن تركها وله امام عادل او جائر
الحديث وقوله صلى الله عليه وسلم اربع الى الولاة الفيء والصدقات والحدود والجمعات
فان ام رجل بغير اذن الامام او من ولاه من قاض او صاحب شرطة لم يجز فان لم يكن الاستئذان
فاجتمعوا على واحد فصلى بهم جاز وهي تنعقد بثلثة سوى الامام وعند الشافعي رضي الله تعالى عنه

باربعين

باربعين وا لجمعة على المسافرين • والعبيد والنسا • والمرضى والزمنى • ولا على الاعمى عند ابي حنيفة
رحمة الله تعالى عليه ولا على الشيخ الذي لا يمشي بقائد • وقرا عمر وابن عباس وابن مسعود رضي الله
تعالى عنهم وغيرهم فامضوا وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه سمع رجلا يقرا فاسعوا
فقال من اقراك هذا قال ابي بن كعب قال لا يزال يقرا بالمنسوخ لو كانت فاسعوا لسعيت
حتى يسقط ردائي وقيل المراد بالسعي القصد دون العدو والسعي التصرف في كل عمل ومنه
قوله تعالى فلما بلغ معه السعي وان ليس للانسان الا ما سعى وعن الحسن رحمة الله عليه ليس
السعي على الاقدام ولكنه على النيات والقلوب • وذكر محمد بن الحسن رحمة الله عليه في موطاه
ان عمر رضي الله عنهما سمع الاقامة وهو بالبقيع فاسرع المشي • قال محمد وهذا لا باس به ما لم يجهد
نفسه • الى ذكر الله الى الخطبة والصلوة وتسمية الخطبة ذكر الله قال ابو حنيفة رحمة الله عليه ان
اقتصر الخطيب مقدار يسمى ذكر الله كقوله الحمد لله سبحان الله جاز • وعن عثمان بن عفان
رضي الله تعالى عنه انه صعد المنبر فقال الحمد لله وارتج عليه • فقال ان ابا بكر وعمر رضي الله
عنهما يعدان لهذا المقام مقالا وانكم الى امام فعال احوج منكم الى امام قوال وستاتيكم
الخطب ثم نزل وكان ذلك بحضرة الصحابة رضي الله عنهم ولم ينكر عليه احد وعند صاحبيه
رحمهم الله تعالى لا بد من كلام يسمى خطبة فان قلت كيف يفسر ذكر الله بالخطبة وفيها ذكر
غير الله قلت ما كان من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم والثنا عليه وعلى خلفائه الراشدين
واتقياء المؤمنين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله فاما
ما عدا ذلك من ذكر الظلمة والقابهم والثنا عليهم والدعا لهم وهم احقا بعكس ذلك • فمن ذكر
الشيطان وهو من ذكر الله على مراحل واذا قال المنصت للخطبة لصاحبه صه فقد لغا افلا
يكون الخطيب الغالي في ذلك لاغيا • نعوذ بالله من غربة الاسلام ونكد الايام • ارادوا الامر بترك
ما يذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وانما خص البيع من بينها لان يوم الجمعة يوم يهبط الناس فيه
من قراهم وبواديهم وينصبون الى المصر من كل اوب ووقت هبوطهم واجتماعهم واغتصاص
الاسواق بهم اذا انتفخ النهار • وتعالى الضحى • ودنا وقت الظهيرة • وحينئذ تحر التجارة
ويتكاثر البيع والشرى فلما كان ذلك الوقت مظنة الذهول بالبيع عن ذكر الله والمضي الى المسجد
قيل لهم بادروا تجارة الاخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله الذي لا شي انفع منه
واربح وذروا البيع الذي نفعه يسير وربحه متقارب فان قلت فاذا كان البيع في هذا
الوقت مامورا بتركه محرما • فهل هو فاسد قلت عامة العلماء ان ذلك لا يوجب
فساد البيع قالوا لان البيع لم يحرم لعينه ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلوة في الارض
المغصوبة والثوب المغصوب والوضوء بماء مغصوب فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض
وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ثم اطلق لهم ما حظر عليهم بعد قضاء
الصلوة من الانتشار وابتغاء الربح مع التوصية باكثار الذكر وان لا يلهيهم شي من تجارة
ولا غيرها عنه وان يكون همهم في جميع احوالهم واوقاتهم موكلة به لا ينفضون عنه لان فلاحهم

وقوله هو متوكل عليه • وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة اخ في الله • وعن الحسن وسعيد بن المسيب رحمهما الله تعالى طلب العلم وقيل صلاة التطوع • وعن بعض السلف انه كان يشغل نفسه بعد الجمعة بشيء من امور الدنيا نظرا في هذه الاية **وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين** روي ان اهل المدينة اصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه خشوا ان يسبقوا اليه فما بقي معه الا يسير • قيل ثمانية واحد عشر واثنا عشر واربعون فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله عليهم الوادي نارا وكانوا اذا اقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق وهو المراد باللهو وعن قتادة فعلوا ذلك ثلث مرات في كل مقدم عير فإن قلت فان اتفق تفرق الناس عن الامام في صلاة الجمعة كيف يصنع قلت ان بقي وحده او مع اقل من ثلثة فعند ابي حنيفة رحمة الله عليه يستانف الظهر اذا نفروا عنه قبل الركوع وعند صاحبيه اذا كبر وهم معه مضى فيها • وعند زفر اذا نفروا قبل التشهد بطلت فإن قلت كيف قال اليها وقد ذكر شيئين قلت اذا رأوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليها فحذف احدهما لدلالة المذكور عليه وكذلك قراءة من قرأ انفضوا اليه • وقراءة من قرأ لهوا او تجارة انفضوا اليها وقرئ اليهما • عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة وبعدد من لم يأتها في امصار المسلمين والله سبحانه وتعالى اعلم

سورة المنافقون مكية بسم الله الرحمن الرحيم

إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ارادوا بقولهم نشهد انك لرسول الله شهادة واطأت فيها قلوبهم السنتهم فقال الله عز وجل قالوا ذلك والله يعلم ان الامر كما يدل عليه قولهم انك لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون في قولهم نشهد وادعائهم فيه المواطأة او انهم لكاذبون فيه لانه اذا خلا عن المواطأة لم يكن شهادة في الحقيقة فهم كاذبون في تسمية شهادة او اراد والله يشهد انهم لكاذبون عند انفسهم لانهم كانوا يعتقدون ان قولهم انك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه فإن قلت اي فائدة في قوله تعالى والله يعلم انك لرسوله قلت لو قال قالوا نشهد انك لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون لكان يوهم ان قولهم هذا كذب

فوسط

وتوسط بينهما قوله والله يعلم انك لرسوله ليميط هذا الايهام اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا
عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون ذلك بانهم امنوا ثم كفروا فطبع على
قلوبهم فهم لا يفقهون اتخذوا ايمانهم جنة يجوز ان يراد ان قولهم نشهد انك لرسول
الله يمين من ايمانهم الكاذبة لان الشهادة تجري مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد يقول
الرجل اشهد واشهد بالله واعزم واعزم بالله في موضع اقسم واولي وبه استشهد
ابو حنيفة رحمة الله تعالى عليه على ان اشهد يمين ويجوز ان يكون وصفا للمنافقين في
استجنانهم بالايمان وقرأ الحسن رحمه الله ايمانهم اي ما اظهروه من الايمان بالسنتهم ويعضده
قوله تعالى ذلك بانهم امنوا ثم كفروا ساء ما كانوا يعملون من نفاقهم وصدهم الناس
عن سبيل الله وفي ساء معنى التعجب الذي هو تعظيم امرهم عند السامعين ذلك اشارة الى
قوله تعالى ساء ما كانوا يعملون اي ذلك القول الشاهد عليهم بانهم اسوأ الناس اعمالا بسبب
انهم امنوا ثم كفروا او الى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستجنان بالايمان اي ذلك
كله بسبب انهم امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فجسروا على كل عظيمة فان قلت المنافقون
لم يكونوا الا على الكفر الثابت الدائم فما معنى قوله امنوا ثم كفروا قلت فيه ثلثة اوجه احدها
امنوا اي نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل في الاسلام ثم كفروا ثم ظهر كفرهم
بعد ذلك وتبين بما اطلع عليه من قولهم ان كان ما يقوله محمد حقا فنحن حمير وقولهم في غزوة
تبوك ايطمع هذا الرجل ان يفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات ونحوه قوله سبحانه وتعالى
يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم اي وظهر كفرهم بعد ان
اسلموا ونحوه قوله تعالى لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم والثاني امنوا اي نطقوا بالايمان
عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالاسلام كقوله تعالى واذا لقوا
الذين امنوا الى قوله انما نحن مستهزءون والثالث ان يراد اهل الردة منهم وقرئ فطبع على
قلوبهم [illegible] زيد بن علي رضي الله عنهما فطبع الله وإذا رأيتهم تعجبك اجسامهم
وان يقولوا تسمع لقولهم كانهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو
فاحذرهم قاتلهم الله انى يؤفكون كان عبد الله بن ابي رجلا جسيما صبيحا فصيحا
ذلق اللسان وقوم من المنافقين في مثل صفته وهم رؤساء المدينة وكانوا يحضرون مجلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستندون فيه ولهم جهارة المناظر وفصاحة الالسن
فكان النبي صلى الله عليه وسلم ومن حضر يعجبون بهياكلهم ويسمعون الى كلامهم فان قلت
ما معنى قوله كانهم خشب مسندة قلت شبهوا في استنادهم وما هم الا اجرام
خالية عن الايمان والخير المسندة الى الحائط ولان الخشب اذا انتفع به كان في سقف او جدار
او غيرهما من مظان الانتفاع وما دام متروكا فارغا غير منتفع به اسند الى الحائط فشبهوا
به في عدم الانتفاع ويجوز ان يراد بالخشب المسندة الاصنام المنحوتة من الخشب المسندة
الى الحيطان شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم والخطاب في رايتهم تعجبك لرسول الله

او لكل من يخاطب • وقرئ يُسمع على البنا للمفعول • وموضع كانهم خشب رفع على هم كانهم خشب او
هو كلام مستانف لا محل له وقرئ خُشْب جمع خَشَبة كبدنة وبُدْن وخُشُب كثمرة وثُمُر
وخَشَب كمدرة ومَدَر وهي في قراءة ابن عباس رضي الله عنهما • وعن اليزيدي انه قال الخُشُب
جمع خشباء والخشباء الخشبة التي دُعِر جوفها شبهوا بها في نفاقهم • وفساد بواطنهم عليهم
ثاني مفعولي يحسبون اي يحسبون كل صيحة واقعة عليهم ضارة لجبنهم وهلعهم وما في قلوبهم من
الرعب اذا نادى منادٍ في العسكر او انفلتت دابة او انشدت ضالة ظنوه ايقاعا بهم • وقيل
كانوا على وجل من ان ينزل الله فيهم ما يهتك استارهم ويبيح دماءهم واموالهم
ومنه اخذ الاخطل • ما زلت تحسب كل شيء بعدهم • خيلا تكر عليهم ورجالا •
يوقف على عليهم ويبتدأ هم العدو اي هم الكاملون في العداوة لان اعدى الاعداء
العدو المداجي الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوي فاحذرهم ولا تغترر
بظاهرهم ويجوز ان يكون هم العدو المفعول الثاني كما لو طرحت الضمير فان قلت
فحقه ان يقال هي العدو قلت منظور فيه الى الخبر كما ذكر في هذا ربي وان يقدر
مضاف يحذف على يحسبون كل اهل صيحة • قاتلهم الله دعاء عليهم وطلب من ذاته
ان يلعنهم ويخزيهم او تعليم للمومنين ان يدعو عليهم بذلك • انى يوفكون كيف يعدلون عن الحق
تعجبا من جهلهم وضلالتهم وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم ورأيتهم
يصدون وهم مستكبرون لووا رءوسهم ورايتهم يصدون وهم مستكبرون عطفوها
واما لوها اعراضا عن ذلك واستكبارا قرئ بالتخفيف والتشديد للتكثير • روي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين لقي بني المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتل منهم
ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد اجير لعمر رضي الله عنه يقود فرسه وسنان الجهني حليف
لعبد الله بن ابي فصرخ جهجاه يا للمهاجرين وسنان يا للانصار • فاعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين
ولطم سنانا فقال عبد الله لجعال • وانت هناك • وقال ما صحبنا محمدا الا لنلطم والله ما مثلنا
ومثلهم الا كما قيل سمن كلبك ياكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل
عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لقومه ما فعلتم بانفسكم • احللتموهم
بلادكم وقاسمتموهم اموالكم اما والله لو امسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم
ولاوشكوا ان يتحولوا عنكم ولا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن ارقم
رضي الله تعالى وهو حدث • فقال والله انت الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد في عز
من الرحمن وقوة من المسلمين • فقال عبد الله اسكت فانما كنت العب فاخبر زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال عمر رضي الله عنه دعني اضرب عنق هذا المنافق يا رسول الله قال اذن ترعد انف كثيرة بيثرب
قال فان كرهت ان يقتله مهاجري فامر به انصاريا فقال فكيف اذا تحدث الناس ان محمدا
يقتل اصحابه وقال صلى الله عليه وسلم لعبد الله انت صاحب الكلام الذي بلغني قال والله الذي انزل
عليك الكتاب ما قلت شيئا من ذلك وان زيدا لكاذب فهو قوله عز وجل اتخذوا ايمانهم
جنة فقال الحاضرون يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام عسى ان يكون قد وهم

وروي

وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لعلك غضبت عليه قال لا قال فلعله اخطأ
سمعك قال لا قال فلعله شبه عليك قال لا فلما نزلت لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا من خلفه
فعرك اذنه وقال وفت اذنك يا غلام ان الله قد صدقك وكذب المنافقين ولما اراد عبد الله
ان يدخل المدينة اعترضه ابنه حباب وهو عبد الله بن عبد الله غير رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسمه وقال ان حبابا اسم شيطان وكان مخلصا وقال وراءك والله لا تدخلها حتى تقول
رسول الله الاعز وانا الاذل فلم يزل حبيسا في يده حتى امره رسول الله بتخليته وروي انه قال لئن لم تقر
لله ولرسوله بالعز لاضربن عنقك فقال ويحك افاعل انت قال نعم فلما راى منه الجد قال
اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال عليه الصلاة والسلام لابنه جزاك الله عن رسوله
وعن المؤمنين خيرا فلما بان كذب عبد الله قيل له قد نزلت فيك اي شداد فاذهب الى رسول الله
يستغفر لك فلوى راسه فقال امرتموني ان اومن فامنت وامرتموني ان ازكي مالي فزكيت
فما بقي الا ان اسجد لمحمد فنزلت واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله ولم يلبث الا اياما
قلائل حتى اشتكى ومات سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم
ان الله لا يهدي القوم الفاسقين سواء عليهم الاستغفار وعدمه لانهم لا يلتفتون اليه
ولا يعتدون به لكفرهم او لان الله لا يغفر لهم وقرئ استغفرت على حذف حرف الاستفهام
لان ام المعادلة تدل عليه وقرا ابو جعفر آستغفرت اشباعا لهمزة الاستفهام للاظهار والبيان
لا قلبا لهمزة الوصل كما في السحر والله هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول
الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون
ينفضوا يتفرقوا من انفض القوم اذا فنيت ازوادهم وحقيقته حان لهم ان ينفضوا
من ازوادهم ولله خزائن السموات والارض وبيده الارزاق والقسم فهو رازقهم منها
وان ابى اهل المدينة ان ينفقوا عليهم ولكن عبد الله واضرابه جاهلون لا يفقهون
ذلك فيهذون بما يزين لهم الشيطان يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز
منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون وقرئ
ليخرجن الاعز منها الاذل بفتح الياء وليخرجن على البناء للمفعول وقرأ الحسن وابن
ابي عبلة لنخرجن بالنون ونصب الاعز والاذل ومعناه خروج الاذل او اخراج الاذل
او مثل الاذل ولله العزة الغلبة والقوة ولمن اعزه وايده من رسوله ومن المؤمنين
وهم الاخصاء بذلك كما ان المذلة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين
وعن بعض الصالحات رحمها وكانت في هيئة رثة الست على الاسلام وهو العز الذي لا ذل
معه والغنى الذي لا فقر معه وعن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما ان رجلا قال له ان
الناس يزعمون ان فيك تيها قال ليس بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الاية يا ايها الذين
امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك
هم الخاسرون لا تلهكم لا تشغلكم اموالكم والتصرف فيها والسعي في تدبير امرها

والتهالك على طلب الثمار فيها بالتجارة واغتلال وابتغاء النتاج والتلذذ بها والاستمتاع بمنافعها
ولا أولادكم وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤنهم وتسوية ما يصلحهم من معايشهم
في حياتكم وبعد مماتكم وقد عرفتم منفعة الاموال والاولاد وانه اهون شيء وادونه في جنب
ما عند الله عن ذكر الله وايثاره عليها ومن يفعل ذلك يريد الشغل بالدنيا عن الدين فأولئك هم
الخاسرون في تجارتهم حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وقيل ذكر الله الصلوات الخمس
وعن الحسن رحمه الله تعالى عليه جميع الفرائض كأنه قال عن طاعة الله وقيل القرآن العظيم
وعن الكلبي الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي احدكم
الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكون من الصالحين
من في مما رزقناكم للتبعيض والمراد الانفاق الواجب من قبل ان يأتي احدكم الموت من قبل ان يرى
دلائل الموت ويعاين ما ييأس معه من الامهال ويضيق به الخناق ويتعذر به الانفاق ويفوت وقت
القبول فيتحسر على المنع ويعض انامله على فقد ما كان متمكنا منه وعن ابن عباس رضي الله عنهما
تصدقوا من قبل ان ينزل عليكم سلطان الموت فلا تقبل توبة ولا ينفع عمل وعنه ما يمنع احدكم
اذا كان له مال ان يزكي واذا اطاق الحج ان يحج من قبل ان يأتيه الموت فيسأل ربه الكرة فلا يعطاها
وعنه رضي الله عنهما انها نزلت في مانع الزكوة ووالله لو رأى خيرا ما سأل الرجعة
فقيل له اما تتقي الله يسأل المؤمن الكرة قال نعم انا اقرأ عليكم به قرآنا يعني انها نزلت في المؤمنين
وهم المخاطبون بها وكذلك عن الحسن رحمه الله تعالى عليه ما من احد لم يزك ولم يصم ولم
يحج الا سأل الله الرجعة وعن عكرمة انها نزلت في اهل القبلة لولا أخرتني وقرئ أخرتن
يريد هلا اخرت موتي الى اجل قريب الى زمان قليل فأصدق وقرأ أبي فأتصدق على
الاصل وقرئ وأكن عطفا على محل فأصدق كأنه قيل ان أخرتني أصدق وأكن ومن
قرأ وأكون على النصب فعلى اللفظ وقرأ عبيد بن عمير وأكون على وأنا
أكون عدة منه بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون
ولن يؤخر الله نفي للتأخير على وجه التأكيد الذي معناه منافاة المنفي للحكمة
والمعنى انكم اذا علمتم ان تأخير الموت عن وقته مما لا سبيل اليه وانه هاجم لا محالة
وان الله عليم باعمالكم فمجاز عليها من منع واجب وغيره لم يبق الا المسارعة الى
الخروج عن عهدة الواجبات والاستعداد للقاء الله تعالى وقرئ يعملون بالياء
والتاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق

سورة التغابن مكية | بسم الله الرحمن الرحيم | وهي ثماني عشرة آية

يسبح لله ما في السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير هو الذي

مجازٍ

خلقكم

خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير قدم الظرفان ليدل
بتقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل وذلك لان الملك على الحقيقة له لانه مبدئ
كل شيء ومبدعه والقائم به والمهيمن عليه وكذلك الحمد لان اصول النعم وفروعها منه
واما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء وحمده اعتداد بان نعمة الله جرت على يده هو الذي
خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن يعني فمنكم آت بالايمان وفاعل له كقوله تعالى وجعلنا
في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون والدليل عليه قوله تعالى
والله بما تعملون بصير اي عالم بكفركم وايمانكم اللذين هما من عملكم والمعنى هو الذي تفضل
عليكم باصل النعم الذي هو الخلق والايجاد عن العدم فكان يجب ان تنظروا النظر الصحيح
وتكونوا باجمعكم عبادا شاكرين فما فعلتم مع تمكنكم بل تشعبتم شعبا وتفرقتم امما فمنكم
كافر ومنكم مؤمن وقدم الكفر لانه الاغلب عليهم والاكثر فيهم وقيل هو الذي خلقكم فمنكم
كافر بالخلق وهم الدهرية ومنكم مؤمن به فان قلت نعم ان العباد هم الفاعلون
للكفر ولكن قد سبق في علم الحكيم انه اذا خلقهم لم يفعلوا الا الكفر ولم يختاروا غيره
فما دعاه الى خلقهم وعلمه بما يكون منهم وهل خلق القبيح وخلق فاعل القبيح الا واحد
وهل مثله الا مثل من وهب سيفا باترا لمن شهر بقطع السبيل وقتل النفس المحرمة فقتل
به مؤمنا اما يطبق العقلاء على ذم الواهب وتعنيفه والدق في فروته كما يذمون القاتل
بل انحاؤهم باللوائم على الواهب اشد قلت قد علمنا ان الله عز وجل حكيم عالم بقبح
القبيح عالم بغناه عنه فقد علمنا ان افعاله كلها حسنة وخلق فاعل القبيح فعله وجب
ان يكون حسنا وان يكون وجه حسن وخفاء وجه الحسن علينا لا يقدح في حسنه كما لا يقدح في حسن
اكثر مخلوقاته جهلنا بداعي الحكمة الى خلقها خلق السموات والارض بالحق وصوركم
فاحسن صوركم واليه المصير يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما
تعلنون والله عليم بذات الصدور بالحق بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وهو ان جعلها
مقارا للمكلفين ليعملوا فيجازيهم وصوركم فاحسن صوركم وقرئ صوركم بالكسر
لتشكروا واليه مصيركم فجازيكم على الشكر والتفريط فيه فان قلت كيف احسن صوركم
قلت جعله احسن الحيوان كله وابهاه بدليل ان الانسان لا يتمنى ان يكون صورته
على خلاف ما يرى من سائر الصور ومن حسن صورته انه خلق منتصبا غير منكب كما قال
الله عز وجل في احسن تقويم فان قلت فكم من دميم مشوه الصورة سمج
الخلقة تقتحمه العيون قلت لا سماجة ثم ولكن الحسن كغيره من المعاني على طبقات
ومراتب ولانحطاط بعض الصور عن مراتب ما فوقها انحطاطا بينا واضافتها الى الموفى
عليها لا تستملح والا فهي داخلة في حيز الحسن غير خارجة عن حده الا ترى انك قد تعجب
بصورة وتستملحها ولا ترى الدنيا بها ثم ترى املح واعلى في مراتب الحسن فينبو عن الاولى
طرفك وتستثقل النظر اليها بعد افتنانك بها وتهالكك عليها وقالت الحكماء

شيئان لا غاية لهما في البيان والجمال يعلم ما في السموات والأرض ثم بعلمه ما يسره العباد ويعلنونه
ثم بعلمه ذات الصدور أن شيئا من الكليات والجزئيات غير خاف عليه ولا عازب عنه
فحقه أن يتقى ويحذر ولا يجترئ على شيء مما يخالف رضاه وتكرير العلم في معنى تكرير الوعيد
وكل ما ذكره بعد قوله تعالى فمنكم كافر ومنكم مؤمن كما ترى في معنى الوعيد على الكفر وانكار
أن يعصى الخالق ولا تشكر نعمته فما أجهل من يمزج الكفر بالخلق ويجعله من جملته
والخلق أعظم نعمة من الله تعالى على عباده والكفر أعظم كفران من العباد لربهم ألم يأتكم
نبؤ الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم ذلك بأنه
كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا
واستغنى الله والله غني حميد ألم يأتكم الخطاب لكفار مكة ذلك إشارة
إلى ما ذكر من الوبال الذي ذاقوه في الدنيا وما أعد لهم من العذاب في الآخرة بأنه
بأن الشأن والحديث كانت تأتيهم رسلهم أبشر يهدوننا أنكروا أن يكون الرسل
بشرا ولم ينكروا أن يكون الله حجرا واستغنى الله أطلق ليتناول كل شيء ومن جملته إيمانهم
وطاعتهم فإن قلت قوله وتولوا واستغنى الله يوهم وجود التولي والاستغناء معا
والله تعالى لم يزل غنيا قلت معناه وظهر استغناء الله حيث لم يلجئهم إلى الإيمان ولم
يضطرهم إليه مع قدرته على ذلك زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي
لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي
أنزلنا والله بما تعملون خبير الزعم ادعاء العلم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم زعموا
مطية الكذب وعن شريح لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا ويتعدى إلى المفعولين
تعدي العلم قال ولم أزعمك عن ذاك معزلا وأن مع ما في حيزه قائم مقامهما والذين كفروا
أهل مكة وبلى إثبات لما بعد لن وهو البعث وذلك على الله يسير أي لا يصرفه عنه صارف
وعنى برسوله والنور محمدا صلى الله عليه وسلم والقرآن يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك
يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري
من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير وقرئ نجمعكم ونكفر
وندخله بالياء والنون فإن قلت بم انتصب الظرف قلت بقوله
لتنبؤن أو بخبير لما فيه من معنى الوعيد كأنه قيل والله معاقبكم يوم يجمعكم أو بإضمار
اذكر ليوم الجمع ليوم يجمع فيه الأولون والآخرون التغابن مستعار من تغابن القوم في التجارة
وهو أن يغبن بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الأشقياء التي كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء
ونزول الأشقياء منازل السعداء التي كانوا ينزلونها لو كانوا أشقياء وفيه تهكم بالأشقياء
لأن نزولهم ليس بغبن وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يدخل الجنة
إلا أري مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار إلا أري مقعده

من الجنة لو احسن ليزداد حسرة ومعنى ذلك يوم التغابن وقد يتغابن الناس في غير ذلك اليوم استعظام له
وان تغابنه هو التغابن في الحقيقة لا التغابن في امور الدنيا وان جلت وعظمت صالحا صفة للمصدر
اي عملا صالحا ما اصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم
واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين الا باذن الله الا بتقديره
ومشيئته كانه اذن للمصيبة ان تصيبه يهد قلبه يلطف به ويشرحه لازدياد من الطاعة والخير وقيل
هو الاسترجاع عند المصيبة وعن الضحاك يهد قلبه حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطاه لم يكن
ليصيبه وعن مجاهد ان ابتلي صبر وان اعطي شكر وان ظلم غفر وقرئ يهد قلبه على البنا للمفعول
والقلب مرفوع او منصوب ووجه النصب ان يكون مثل سفه نفسه اي يهد قلبه ويجوز ان
يكون المعنى ان الكافر ضال عن قلبه بعيد منه والمؤمن واجد له مهتد اليه كقوله تعالى
لمن كان له قلب او القى السمع وقرئ نهد قلبه بالنون ويهدأ قلبه بمعنى يهتدي ويهدأ قلبه
ويطمئن ويهدا ويهدا على التخفيف والله بكل شيء عليم يعلم ما يؤثر فيه اللطف من
القلوب مما لا يؤثر فيه فيمنحه ويمنعه فان توليتم فلا عليه اذا توليتم لانه لم يكتب عليه
طاعتكم انما عليه ان يبلغ ويبين فحسب الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون وعلى الله فليتوكل
بعث لرسول الله صلى الله عليه وسلم على التوكل عليه والتقوي به في امره حتى ينصره على من كذبه
وتولى عنه يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وان
تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم ان من الازواج ازواجا يعادين بعولتهن
وتجلبن عليهم ومن الاولاد اولادا يعادون آباءهم ويعقونهم ويجرعونهم الغصص والاذى
فاحذروهم الضمير للعدو او للازواج والاولاد جميعا اي لما علمتم ان هؤلاء لا يخلون من عدو
فكونوا منهم على حذر ولا تأمنوا غوائلهم وشرهم وان تعفوا عنهم اذا اطلعتم منهم
على عداوة ولم تقابلوهم بمثلها فان الله يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم وقيل ان ناسا ارادوا
الهجرة عن مكة فثبطهم ازواجهم واولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا
فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا الذين سبقوهم قد فقهوا في الدين ارادوا ان يعاقبوا ازواجهم
واولادهم فزين لهم العفو وقيل قالوا لهم اين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم
واموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا الله في دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم
الخير فحثوا ان يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة وقيل كان عوف بن مالك الاشجعي ذا اهل
وولد فاذا اراد ان يغزو تعلقوا به وبكوا اليه ورققوه فكانه هم فنزلت انما اموالكم
واولادكم فتنة والله عنده اجر عظيم فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا وانفقوا
خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون فتنة بلاء لانهم يوقعون في الاثم
والعقوبة ولا بلاء اعظم منهما الا ترى الى قوله والله عنده اجر عظيم وفي الحديث
يؤتى برجل يوم القيمة فيقال اكل عياله حسناته وعن بعض السلف العيال سوس الطاعات
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يخطب فجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما وعليهما قميصان

باذاهم ع

احمران يعثران ويقومان فنزل اليهما فاخذهما ووضعهما في حجره على المنبر فقال صدق الله انما اموالكم
واولادكم فتنة رايت هذين الصبيين فلم اصبر عنهما ثم اخذ في خطبته وقيل اذا امكنكم الجهاد والهجرة فلا
فلا يفتننكم الميل الى الاموال والاولاد عنهما و ما استطعتم جهدكم ووسعكم اى ابذلوا فيها استطاعتكم
و واسمعوا ما توعظون به و واطيعوا فيما تؤمرون وتنهون عنه وانفقوا في الوجوه التي وجبت عليكم النفقة
فيها و خيرا لانفسكم نصب بمحذوف تقديره ايتوا خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها وانفع وهذا تاكيد
للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لان هذه الامور خير لانفسكم من الاموال والاولاد وما انتم عاكفون
عليه من حب الشهوات وزخارف الدنيا ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور
حليم عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم وذكر القرض تلطف في الاستدعاء و يضاعفه لكم يكتب
لكم الواحدة عشرة وسبعمائة الى ما شاء من الزيادة وقرئ يضعفه لكم و شكور مجاز اي يفعل بكم ما يفعل المبالغ
في الشكر من عظيم الثواب وذلك حليم يفعل بكم ما يفعل من يحلم عن المسئ فلا يعاجلكم بالعقاب مع كثرة ذنوبكم
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة التغابن دفع عنه موت الفجاءة

سورة الطلاق مدنية بسم الله الرحمن الرحيم وهي [illegible] آية

يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة واتقوا الله ربكم خص النبي عليه
السلام بالنداء وعم بالخطاب لان النبي صلى الله عليه وسلم امام امته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم
يا فلان افعلوا كيت وكيت اظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه وانه مدره قومه ولسانهم والذي يصدرون
عن رايه ولا يستبدون بامر دونه فكان هو وحده في حكم كلهم وسادا مسد جميعهم ومعنى اذا طلقتم
النساء اذا اردتم تطليقهن وهممتم به على تنزيل المقبل على الامر المشارف له منزلة الشارع فيه كقوله صلى
الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه ومنه كان الماشي الى الصلوة والمنتظر لها في حكم المصلي و فطلقوهن
لعدتهن فطلقوهن مستقبلات لعدتهن كقولك اتيته لليلة بقيت من المحرم اي مستقبلا لها وفي قراءة رسول
الله صلى الله عليه وسلم في قبل عدتهن واذا طلقت المراة في الطهر المتقدم للقرء الاول من اقرائها فقد
طلقت مستقبلة لعدتها والمراد ان يطلقن في طهر لم يجامعن فيه ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا
احسن الطلاق وادخله في السنة وابعده من الندم ويدل عليه ما روي عن ابراهيم النخعي عن اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يستحبون ان لا يطلقوا ازواجهم للسنة الا واحدة ثم لا يطلقوا غير ذلك
حتى تنقضي العدة وكان احسن عندهم من ان يطلق الرجل ثلاثا في ثلاثة اطهار وقال مالك بن انس رضي الله عنه
لا اعرف طلاق السنة الا واحدة وكان يكره الثلث مجموعة كانت او متفرقة واما ابو حنيفة واصحابه رحمهم الله
فانما كرهوا ما زاد على الواحدة في طهر واحد فاما مفرقا في الاطهار فلا لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لابن عمر رضي الله عنهما حين طلق امراته وهي حائض ما هكذا امرك الله انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا
وتطلقها لكل قرء تطليقة وروي انه قال لعمر رضي الله عنهما مر ابنك فليراجعها ثم ليدعها حتى تحيض
ثم تطهر ثم ليطلقها ان شاء فتلك العدة التي امر الله بها ان تطلق لها النساء وعند الشافعي رضي الله عنه لا باس
بارسال الثلث وقال لا اعرف في عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح فمالك رحمة الله عليه يراعي في

طلاق السنة الوحدة والوقت وابو حنيفة رحمة الله عليه يراعى التفريق والوقت والشافعي رضي الله عنه
يراعى الوقت وحده فان قلت هل يقع الطلاق المخالف للسنة قلت نعم وهو اثم لما روى عن النبي عليه السلام
ان رجلا طلق امراته ثلثا بين يديه فقال اتلعبون بكتاب الله وانا بين اظهركم وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما
انه قال يا رسول الله ارايت لو طلقتها ثلثا فقال له اذن عصيت وبانت منك امراتك وعن عمر رضي الله عنه انه
كان لا يؤتى برجل طلق امراته ثلثا الا اوجعه ضربا واجاز ذلك عليه وعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه وجماعة
من التابعين رضوان الله عليهم ان من خالف السنة في الطلاق فاوقعه في حيض او ثلث لم يقع وشبهوه بمن وكل غيره
بطلاق السنة فخالف فان قلت كيف تطلق للسنة التي لا تحيض لصغر او كبر او حمل وغير المدخول بها
قلت الصغيرة والايسة والحامل كلهن عند ابي حنيفة وابي يوسف رحمة الله عليهما يفرق عليهن الثلث
في الاشهر وخالفهما محمد وزفر في الحامل فقالا لا تطلق للسنة الا واحدة واما غير المدخول بها فلا تطلق
للسنة الا واحدة ولا يراعى الوقت فان قلت هل يكره ان تطلق المدخول بها واحدة بائنة قلت
اختلف الرواية فيه عن اصحابنا والظاهر الكراهة فان قلت قوله تعالى اذا طلقتم النساء عام يتناول
المدخول بهن وغير المدخول بهن من ذوات الاقراء والايسات والصغائر والحوامل فكيف صح تخصيصه
بذوات الاقراء المدخول بهن قلت لا عموم ثم ولا خصوص ولكن النساء اسم جنس للاناث من الانس
وهذه الجنسية معنى قائم في كلهن وفي بعضهن فجاز ان يراد بالنساء هذا وذاك فلما قيل فطلقوهن لعدتهن
علم انه اطلق على بعضهن وهن المدخول بهن من المعتدات بالحيض واحصوا العدة واضبطوها
بالحفظ واكملوها ثلاثة اقراء مستقبلات كوامل لا نقصان فيهن لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن
الا ان ياتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ولا
تخرجوهن حتى تنقضي عدتهن من بيوتهن من مساكنهن التي يسكنها قبل العدة وهي بيوت الازواج
واضيفت اليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى فان قلت ما معنى الجمع بين اخراجهن وخروجهن
قلت معنى الاخراج ان لا يخرجهن البعولة غضبا عليهن وكراهة لمساكنتهن او لحاجة لهم الى المساكن
وان لا ياذنوا لهن في الخروج اذا طلبن ذلك ايذانا بان اذنهم لا اثر له في رفع الحظر ولا يخرجن
بانفسهن ان اردن ذلك الا ان ياتين بفاحشة مبينة قرئ بفتح الياء وكسرها قيل هي الزنا
يعني الا ان يزنين فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل الا ان يطلقن على النشوز والنشوز يسقط
حقها في السكنى وقيل الا ان يبذون فيحل اخراجهن لبذائهن ويؤكده قراءة ابي رضي الله عنه الا ان
يفحشن عليكم وقيل خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة في نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد
ذلك امرا الامر الذي يحدثه الله ان يقلب قلبه من بغضها الى محبتها ومن الرغبة عنها الى الرغبة
فيها ومن عزيمة الطلاق الى الندم عليه فيراجعها والمعنى فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة
لعلكم ترغبون وتندمون فتراجعون فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او فارقوهن
بمعروف واشهدوا ذوي عدل منكم واقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان
يؤمن بالله واليوم الآخر فاذا بلغن اجلهن وهو آخر العدة وشارفنه فانتم بالخيار ان شئتم
فالرجعة والامساك بالمعروف والاحسان وان شئتم فترك الرجعة والمفارقة واتقاء الضرار وهو ان

يراجعها في آخر عدتها ثم يطلقها تطويلاً للعدة عليها وتعذيباً لها واشهدوا يعني عند الرجعة والفرقة جميعاً وهذا
الإشهاد مندوب إليه عند أبي حنيفة رحمة الله عليه كقوله عز وجل واشهدوا إذا تبايعتم وعند الشافعي
رضوان الله عليه هو واجب في الرجعة مندوب إليه في الفرقة وقيل فائدة الإشهاد أن لا يقع بينهما
التجاحد وأن لا يتهم في إمساكها ولئلا يموت أحدهما فيدعي الباقي ثبوت الزوجية ليرث منكم قال
الحسن رحمة الله عليه من المسلمين وعن قتادة من أحراركم لله لوجهه خالصاً وذلك أن تقيموها لا للمشهود
له ولا للمشهود عليه ولا لغرض من الأغراض سوى إقامة الحق ودفع الظلم كقوله عز وجل كونوا قوامين بالقسط
شهداء لله ولو على أنفسكم أي ذلكم الحث على إقامة الشهادة لوجه الله ولأجل القيام بالقسط يوعظ به
ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد
جعل الله لكل شيء قدراً ومن يتق الله يجوز أن تكون جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من إجراء أمر الطلاق
على السنة وطريقه الأحسن والأبعد من الندم ويكون المعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة
ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فأشهد يجعل الله له مخرجاً مما في شأن الأزواج من الغموم والوقوع في
المضايق ويفرج عنه وينفس ويعطه الخلاص ويرزقه من وجه لا يخطره بباله ولا يحتسبه إن أوفى المهر
وأدى الحقوق والنفقات وقل ماله وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عمن طلق ثلاثاً أو ألفاً هل له من
مخرج فتلاها وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن ذلك فقال لم تتق الله فلم يجعل لك مخرجاً بانت منك
بثلاث والزيادة إثم في عنقك ويجوز أن يجاء بها على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله تعالى ذلكم يوعظ به يعني
ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ومخلصاً من غموم الدنيا والآخرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأها فقال
مخرجاً من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم إني لأعلم
آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرأها ويعيدها وروي أن عوف بن مالك الأشجعي رحمة
الله عليه أسر المشركون ابناً له يسمى سالماً فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أسر ابني وشكا إليه الفاقة فقال
ما أمسى عند آل محمد إلا مد فاتق الله واصبر وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله ففعل فبينا هو في بيته
إذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الإبل تغفل عنها العدو فاستاقها فنزلت هذه الآية بالغ أمره أي يبلغ ما
يريد لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب وقرئ بالغ أمره بالإضافة وبالغ أمره بالرفع أي نافذ أمره وقرأ
المفضل بالغاً أمره على أن قوله تعالى قد جعل الله خبر إن وبالغاً حال قدراً تقديراً وتوقيتاً وهذا بيان لوجوب
التوكل على الله وتفويض الأمر إليه لأنه إذا علم أن كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون إلا بتقديره وتوقيته لم يبق إلا
التسليم للقدر والتوكل واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي
لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن روي أن ناساً قالوا قد عرفنا عدة ذوات الأقراء
فما عدة اللائي لا يحضن فنزلت فمعنى إن ارتبتم إن أشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن فهذا حكمهن وقيل
إن ارتبتم في دم البالغات مبلغ اليأس وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين أهو دم حيض أو استحاضة
فعدتهن ثلاثة أشهر وإذا كانت هذه عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها أولى بذلك واللائي لم يحضن هن
الصغائر والمعنى فعدتهن ثلاثة أشهر فحذف لدلالة المذكور عليه اللفظ مطلق في أولات الأحمال فاشتمل على
المطلقات والمتوفى عنهن وكان ابن مسعود وأبي وأبو هريرة رضوان الله عليهم وغيرهم لا يفرقون وعن علي

وابن عمر

وابن عباس رضي الله عنهما عدة الحامل المتوفى عنها ابعد الاجلين وعن عبد الله من شاء لاعنته ان سورة النساء
القصرى نزلت بعد التي في البقرة يعني ان هذا اللفظ مطلق في الحوامل وروت ام سلمة رضي الله عنها ان سبيعة
الاسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها قد حللت فانكحي
ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا ذلك امر الله انزله اليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته
ويعظم له اجرا يجعل له من امره يسرا ييسر له من امره ويحلل له من عقده بسبب التقوى ذلك
امر الله يريد ما علم من حكم هؤلاء المعتدات والمعنى ومن يتق الله في العمل بما انزل الله من هذه الاحكام وحافظ
على الحقوق الواجبة عليه مما ذكر من الاسكان وترك الضرار والنفقة على الحوامل وايتاء اجر المرضعات وغير
ذلك استوجب تكفير السيئات والاجر العظيم اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن
لتضيقوا عليهن وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن اسكنوهن وما بعده
بيان لما شرط من التقوى في قوله تعالى ومن يتق الله كانه قيل كيف نعمل بالتقوى في شان المعتدات فقيل اسكنوهن
فان قلت من في من حيث سكنتم ما هي قلت هي من التبعيضية مبعضها محذوف معناه اسكنوهن
مكانا من حيث سكنتم اي بعض مكان سكناكم كقوله تعالى يغضوا من ابصارهم اي بعض ابصارهم قال قتادة
ان لم يكن الا بيت واحد فاسكنها في بعض جوانبه فان قلت فقوله من وجدكم قلت هو عطف بيان
كقوله تعالى من حيث سكنتم وتفسير له كانه قيل اسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقونه والوجد الوسع
والطاقة وقرئ بالحركات الثلاث والسكنى والنفقة واجبتان لكل مطلقة وعند مالك والشافعي رحمة
الله ورضوانه عليهما ليس للمبتوتة الا السكنى ولا نفقة لها وعن الحسن رحمة الله عليه وحماد لا نفقة
لها ولا سكنى لحديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها ان زوجها ابت طلاقها فقال لها رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا سكنى لك ولا نفقة وعن عمر رضي الله عنه لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا لقول امراة
لعلها نسيت او شبه لها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لها السكنى والنفقة ولا تضاروهن ولا
تستعملوا معهن الضرار لتضيقوا عليهن في المسكن ببعض الاسباب من انزال من لا يوافقهن او بشغل مكانهن
حتى تضطروهن الى الخروج وقيل هو ان يراجعها اذا بقي من عدتها يومان ليضيق عليها امرها وقيل هو ان يلجئها
الى ان تفتدي منه فان قلت فاذا كانت كل مطلقة عندكم تجب لها النفقة فما فائدة الشرط في قوله تعالى
وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن قلت فائدته ان مدة الحمل ربما طالت فظن ظان ان النفقة تسقط اذا مضى
مقدار عدة الحامل فنفى ذلك الوهم فان قلت فما تقول في الحامل المتوفى عنها قلت هي مختلف فيها فاكثرهم
على انه لا نفقة لها لوقوع الاجماع ان من اجبر الرجل على النفقة عليه من امراة او ولد صغير لا يجب ان ينفق عليه
من ماله بعد موته فكذلك الحامل وعن علي وعبد الله وجماعة رضوان الله عليهم اجمعين اوجبوا نفقتها فان ارضعن
لكم فآتوهن اجورهن وائتمروا بينكم بمعروف وان تعاسرتم فسترضع له اخرى فان ارضعن لكم
يعني هؤلاء المطلقات ان ارضعن لكم ولدا من غيرهن او منهن بعد انقطاع عصمة الزوجية فآتوهن اجورهن
حكمهن في ذلك حكم الاظآر ولا يجوز عند ابي حنيفة واصحابه رحمة الله عليهم الاستئجار اذا كان الولد منهن
ما لم يبن ويجوز عند الشافعي رضي الله عنه الائتمار بمعنى التامر كالاشتوار بمعنى التشاور يقال ائتمر القوم
وتامروا اذا امر بعضهم بعضا والمعنى وليامر بعضكم بعضا والخطاب للآباء والامهات بمعروف بجميل

وهو المسامحة وان لا يماكس الاب ولا تعاسر الام لانه ولدهما معا وهما شريكان فيه وفي وجوب الاشفاق عليه و
وان تعاسرتم فسترضع له اخرى فستوجد ولا تعوز مرضعة غير الام ترضعه وفيه طرف من معاتبة الام
على المعاسرة كما تقول لمن تستقضيه حاجة فيتوانى سيقضيها غيرك تريد لن تبقى غير مقضية وانت ملوم وقوله
له اي للاب اي سيجد الاب غير معاسرة ترضع له ولده ان عاسرته امه لينفق ذو سعة من سعته ومن
قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا
لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه يريد ما امر به من الانفاق على المطلقات والمرضعات كما قال
الله عز وجل ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا وقرئ لينفق بالنصب اي شرعنا ذلك لينفق
وقرأ ابن ابي عبلة قدر سيجعل الله موعد لفقراء ذلك الوقت بفتح ابواب الرزق عليهم او لفقراء الازواج ان
انفقوا ما قدروا عليه ولم يقصروا وكأين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها
حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا
اعد الله لهم عذابا شديدا عتت عن امر ربها اعرضت عنه على وجه العتو والعناد حسابا شديدا
بالاستقصاء والمناقشة عذابا نكرا وقرئ نكرا منكرا عظيما والمراد حساب الآخرة وعذابها وما يذوقون
فيها من الوبال ويلقون من الخسر وجيء به على لفظ الماضي كقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب النار
ونحو ذلك لان المنتظر من وعد الله ووعيده ملقى في الحقيقة وما هو كائن فكان قد كان وقوله تعالى اعد الله
لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كانه قال اعد الله لهم هذا العذاب فليكن لكم ذلك
يا اولي الالباب من المؤمنين لطفا في تقوى الله وحذر عقابه ويجوز ان يراد احصاء السيئات واستقصاؤها
عليهم في الدنيا واثباتها في صحائف الحفظة وما اصيبوا به من العذاب في العاجل وان يكون عتت وما عطف
عليه صفة للقرية واعد الله لهم جوابا لكأين فاتقوا الله يا اولي الالباب الذين آمنوا قد انزل
الله اليكم ذكرا رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا
الصالحات من الظلمات الى النور ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا رسولا هو جبريل عليه السلم
ابدل من ذكرا لانه وصف بتلاوة آيات الله فكان انزاله في معنى انزال الذكر فصح ابداله منه
او اريد بالذكر الشرف من قوله جل ذكره وانه لذكر لك ولقومك فابدل منه كانه في نفسه شرف اما
لانه شرف للمنزل عليه واما لانه ذو مجد وشرف عند الله كقوله سبحانه وتعالى عند ذي العرش مكين
او جعل لكثرة ذكره الله وعبادته كانه ذكر او اريد ذا ذكر اي ملكا مذكورا في السموات وفي الامم كلها
او دل قوله انزل الله اليكم ذكرا على ارسل فكانه قيل ارسل رسولا او اعمل ذكرا في رسولا اعمال المصدر في
المفاعيل اي انزل الله ان ذكر رسولا او ذكره رسولا وقرئ رسول انزله ليخرج الذين آمنوا ليخرج الله اي
ليحصل لهم ما هم عليه الساعة من الايمان والعمل الصالح لانهم كانوا وقت انزاله غير مؤمنين وانما آمنوا
بعد الانزال والتبليغ او ليخرج الذين عرف منهم انهم يؤمنون قرئ يدخله بالياء والنون قد
احسن الله له رزقا فيه معنى التعجب والتعظيم لما رزق المؤمن من الثواب الله الذي خلق سبع سموات
ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما

الله الذي خلق مبتدأ وخبر وقرئ مثلهن بالنصب عطفا على سبع سموات وبالرفع على الابتداء وخبره من الارض قيل
ما في القرآن آية تدل على ان الارضين سبع الا هذه وقيل بين كل سماءين مسيرة خمس مائة عام وغلظ كل سماء كذلك
والارضون مثل السموات يتنزل الامر بينهن اي يجري امر الله وحكمه بينهن وملكه ينفذ فيهن وعن قتادة
في كل سماء وفي كل ارض خلق من خلقه وامر من امره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره
وقرئ ينزل الامر وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان نافع بن الازرق سأله هل تحت الارضين خلق قال نعم قال فما
الخلق قال اما ملائكة او جن لتعلموا قرئ بالياء والتاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطلاق
مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة التحريم مدنية بسم الله الرحمن الرحيم وهي اثنى عشرة آية

يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك والله غفور رحيم

روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا بمارية في يوم عائشة رضي الله عنها وعلمت بذلك حفصة فقال لها
اكتمي علي وقد حرمت مارية على نفسي وابشرك ان ابا بكر وعمر يملكان بعدي امر امتي فاخبرت به عائشة رضي الله عنها
وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها في يوم حفصة فارضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل
نساءه ومكث تسعا وعشرين ليلة في بيت مارية وروي ان عمر رضي الله عنه قال لها لو كان في آل الخطاب خير لما
طلقك فنزل جبريل عليه السلام وقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها لمن نسائك في الجنة وروي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطأت حفصة وعائشة رضي الله عنهما فقالتا له انا
نشم منك ريح المغافير وكان يكره رسول الله صلى الله عليه وسلم التفل فحرم العسل فمعناه لم تحرم ما احل الله
لك من ملك اليمين او من العسل وتبتغي اما تفسير لتحرم او حال او استئناف وكان هذا زلة منه لانه ليس
لاحد ان يحرم ما احل الله لان الله عز وجل انما احل ما احل لحكمة ومصلحة عرفها في احلاله فاذا حرم كان ذلك
قلب المصلحة مفسدة والله غفور قد غفر لك ما زللت فيه رحيم قد رحمك فلم يؤاخذك به قد فرض
الله لكم تحلة ايمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم قد فرض الله
لكم تحلة ايمانكم فيه معنيان احدهما قد شرع الله لكم الاستثناء في ايمانكم من قولك حلل فلان في يمينه اذا
استثنى فيها ومنه حلا ابيت اللعن بمعنى استثن في يمينك اذا اطلقها وذلك ان يقول ان شاء الله عقيبها حتى
لا يحنث والثاني قد شرع لكم تحليلها بالكفارة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا يموت لرجل ثلاثة اولاد
فتمسه النار الا تحلة القسم وقول ذي الرمة قليلا كتحليل الالى فان قلت ما تحريم الحلال قلت
قد اختلف فيه ابو حنيفة رحمة الله عليه يراه يمينا في كل شيء ويعتبر الانتفاع المقصود فيما يحرمه
فاذا حرم طعاما فقد حلف على اكله او امة فعلى وطئها او زوجة فعلى الايلاء منها اذا لم يكن له نية
وان نوى الظهار فظهار وان نوى الطلاق فطلاق بائن وكذلك ان نوى ثنتين وان نوى ثلاثا فكما نوى
وان قال نويت الكذب دين فيما بينه وبين الله ولا يدين في القضاء بابطال الايلاء وان قال كل حلال
عليه حرام فعلى الطعام والشراب اذا لم ينو والا فعلى ما نوى ولا يراه الشافعي رضي الله عنه يمينا ولكن
سببا في الكفارة في النساء وحده وان نوى الطلاق فهو رجعي عنده وعن ابي بكر وعمر وابن عباس وابن

مسعود وزيد رضوان الله عليهم ان الحرام يمين فهو رجعي وعن ابي بكر وعمر وابن عباس وابن مسعود وزيد
رضي الله عنهم ان الحرام يمين وعن عمر رضي الله عنه اذا نوى الطلاق رجعي وعن علي رضي الله عنه ثلث وعن زيد
واحدة بائنة وعن عثمان رضي الله عنه ظهار وكان مسروق لا يراه شيا ويقول ما ابالي احرمتها ام قصعة من ثريد
وكذا عن الشعبي قال ليس بشي محتجا بقوله تعالى ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام
وقوله تعالى لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم وما لم يحرمه الله فليس لاحد ان يحرمه ولا ان يصير بتحريمه حراما
ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لما احله الله هو حرام علي وانما امتنع من مارية ليمين
تقدمت منه وهو قوله عليه السلام والله لا اقربها بعد اليوم فقيل له لم تحرم ما احل الله لك اي لم تمتنع
منه بسبب اليمين يعني اقدم على ما حلفت عليه وكفر عن يمينك ونحوه قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع
من قبل اي منعناه منها وظاهر قوله تعالى قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم انه كانت منه يمين فان قلت هل كفر
رسول الله عليه السلام لذلك قلت عن الحسن رحمة الله عليه انه لم يكفر لانه كان مغفورا له ما تقدم من
ذنبه وما تاخر وانما هو تعليم للمومنين وعن مقاتل ان النبي عليه السلام اعتق رقبة في تحريم مارية والله مولاكم
سيدكم ومتولي اموركم وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم الحكيم فلا يامركم ولا ينهاكم الا بما توجبه
الحكمة وقيل مولاكم اولى بكم من انفسكم فكانت نصيحته انفع لكم من نصائحكم لانفسكم واذ اسر النبي
الى بعض ازواجه حديثا فلما نبات به واظهره الله عليه عرف بعضه واعرض عن
بعض فلما نباها به قالت من انباك هذا قال نباني العليم الخبير بعض ازواجه
حفصة والحديث الذي اسر اليها حديث مارية وامامة الشيخين واظهره واطلع النبي عليه الصلاة والسلام
على الحديث اي على افشائه على لسان جبريل عليه الصلاة والسلام وقيل اظهر الله الحديث على النبي من الظهور
عرف بعضه اعلم ببعض الحديث تكرما قال سفين رحمة الله عليه ما زال التغافل من فعل الكرام
وقرئ عرف بعضه اي جازى عليه من قولك للمسي لاعرفن لك ذلك وقد عرفت ما صنعت ومنه اوليك الذين يعلم
الله ما في قلوبهم وهو كثير في القران وكان جزاؤه تطليقه اياها وقيل المعرف حديث الامامة والمعرض عنه حديث
مارية وروي انه قال لها الم اقل لك اكتمي علي قالت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله
بها اباها فان قلت هلا قيل فلما نبات به بعضهن وعرفها بعضه قلت ليس الغرض بيان من المذاع اليه
ومن المعرف وانما هو ذكر جناية حفصة في وجود الانباء به وافشائه من قبلها وان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بكرمه وحلمه لم يوجد منه الا الاعلام ببعضه وهو حديث الامامة الا ترى انه لما كان المقصود في قوله تعالى فلما
نباها به قالت من انباك هذا ذكر المنبا كيف اتى بضميره ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما
وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المومنين والملايكة بعد ذلك ظهير
ان تتوبا الى الله خطاب لحفصة وعايشة رضي الله عنهما على طريقة الالتفات ليكون ابلغ في معاتبتهما وعن ابن عباس
رضي الله عنهما لم ازل حريصا على ان اسال عمر رضي الله عنه عنهما حتى حج وحججت معه فلما كان ببعض الطريق
عدل وعدلت معه بالاداوة فسكبت الماء على يده فتوضا فقلت من هما فقال واعجبا يا ابن عباس كانه كره ما سالته
عنه ثم قال هما حفصة وعايشة رضي الله عنهما فقد صغت قلوبكما فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل
قلوبكما عن الواجب في مخالصة النبي عليه الصلاة والسلام من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وقرا ابن مسعود

رضي الله عنهما فقد زاغت وان تظاهرا وان تعاونا عليه بما يسوءه من الافراط في الغيرة وافشاء سره فلن يعدم
هو من يظاهره كيف يعدم المظاهر من الله مولاه اي وليه وناصره وزيادة هو ايذان بان نصرته عزيمة من عزائمه
وانه يتولى ذلك بذاته و وجبريل راس الكروبيين وقرن ذكره بذكره مفردا له من الملائكة تعظيما له واظهارا
لمكانته عنده و وصالح المؤمنين ومن صلح من المؤمنين يعني كل من امن وعمل صالحا وعن سعيد بن جبير
رضي الله عنه من برئ منهم من النفاق وقيل الانبياء عليهم السلم وقيل الصحابة وقيل الخلفاء منهم فان قلت
صالح المؤمنين واحد ام جمع قلت هو واحد اريد به الجمع كقولك لا يفعل هذا الصالح من الناس تريد
الجنس كقولك كنت في السامر والحاضر ويجوز ان يكون اصله صالحوا المؤمنين بالواو فكتب بغير واو على
اللفظ لان لفظ الواحد والجمع واحد فيه كما جاءت اشياء في المصحف متبوع فيها حكم اللفظ دون وضع الخط
و والملائكة على تكاثر عددهم وامتلاء السموات من جموعهم و بعد ذلك بعد نصرة الله وناموسه وصالح
المؤمنين و ظهير فوج مظاهر له كانهم يد واحدة على من يعاديه فما يبلغ تظاهر امراتين على من هؤلاء
ظهراؤه فان قلت قوله بعد ذلك تعظيم للملائكة ومظاهرتهم وقد تقدمت نصرة الله
وجبريل وصالح المؤمنين ونصرة الله اعظم واعظم قلت مظاهرة الملائكة من جملة نصرة الله
فكانه فضل نصرته بهم وبمظاهرتهم على غيرها من وجوه نصرته لفضلهم على جميع خلقه وقرئ تظاهرا
وتتظاهرا وتظهرا عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن مسلمات
مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وابكارا
قرئ يبدله بالتخفيف والتشديد للكثرة و مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات و سائحات
صائمات وقرئ سيحات وهي ابلغ وقيل للصائم سائح لان السائح لا زاد معه فلا يزال ممسكا
الى ان يجد ما يطعمه فشبه به الصائم في امساكه الى ان يجئ وقت افطاره وقيل سائحات مهاجرات وعن
زيد بن اسلم لم تكن في هذه الامة سياحة الا الهجرة فان قلت كيف تكون المبدلات خيرا منهن
ولم تكن على وجه الارض نساء خير من امهات المؤمنين قلت اذا طلقهن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعصيانهن له وايذائهن اياه لم يبقين على تلك الصفة وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الاوصاف
مع الطاعة لرسول الله عليه السلم والنزول على هواه ورضاه خيرا منهن وقد عرض بذلك في قوله
تعالى قانتات لان القنوت هو القيام بطاعة الله وطاعة الله في طاعة رسوله فان قلت لم
اخليت الصفات كلها عن العاطف ووسط بين الثيبات والابكار قلت لانهما صفتان متنافيتان
لا يجتمعن فيهما اجتماعهن في ساير الصفات لم يكن بد من الواو يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم
واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ
شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون . قوا انفسكم بترك المعاصي
وفعل الطاعات و واهليكم بان تاخذوهم بما تاخذون به انفسكم وفي الحديث رحم الله رجلا قال
يا اهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعل الله يجمعكم معهم في الجنة وقيل
ان اشد الناس عذابا يوم القيامة من جهل اهله وقرئ واهلوكم عطفا على واو قوا وحسن
العطف للفاصل فان قلت اليس التقدير قوا انفسكم وليق اهلوكم انفسهم قلت لا ولكن المعطوف

مقارن في التقدير للواو وانفسكم واقع بعده فكانه قيل قوا انتم واهلوكم انفسكم لما جمعت مع المخاطب الغايب
غلبته عليه فجعلت ضميرهما معا على لفظ المخاطب ناراً وقودها الناس والحجارة نوعا من النار لا تتقد الا بالناس
والحجارة كما يتقد غيرها من النيران بالحطب وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي حجارة الكبريت وهي اشد
الاشيا حرا اذا اوقد عليها وقرئ وقودها بالضم اى ذو وقودها عليها يلي امرها وتعذيب اهلها ملايكة
يعني الزبانية التسعة عشر واعوانهم غلاظ شداد في اجرامهم غلظة وشدة اى جفا وقوة او في افعالهم جفا وخشونة
لا تاخذهم رافة في تنفيذ اوامر الله والغضب له والانتقام من اعدايه ما امرهم في محل النصب على البدل اي
لا يعصون ما امر الله اى امره كقوله تعالى افعصيت امرى او لا يعصونه فيما امرهم فان قلت اليست
الجملتان في معنى واحد قلت لا فان معنى الاولى انهم يتقبلون اوامره ويلتزمونها ولا يابونها ولا ينكرونها ومعنى
الثانية انهم يؤدون ما يؤمرون به لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه فان قلت قد خاطب الله عز
وجل المشركين المكذبين بالوحي بهذا بعينه في قوله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي
وقودها الناس والحجارة وقال اعدت للكافرين فما معنى مخاطبته به المومنين قلت الفساق وان كانت
دركاتهم فوق دركات الكفار فانهم مساكنون الكفار في دار واحدة فقيل للذين امنوا قوا انفسكم
باجتناب الفسوق مساكنة الذين اعدت لهم هذه النار الموصوفة ويجوز ان يامرهم بالتوقي من الارتداد
والندم على الدخول في الاسلام وان يكون خطابا للذين امنوا بالسنتهم وهم المنافقون ويعضد ذلك
قوله على اثره يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا
اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون اى يقال لهم ذلك عند دخولهم النار لا تعتذروا لانه لا عذر لكم
او لانه لا ينفعكم الاعتذار يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم
سياتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار توبة نصوحا وصفت التوبة بالنصح على الاسناد المجازي
والنصح صفة التائبين وهو ان ينصحوا بالتوبة انفسهم فياتوا بها على طريقها متداركة للفرطات ماحية
للسيات وذلك ان يتوبوا عن القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين اشد الاغتمام لارتكابها عازمين
على انهم لا يعودون في قبيح من القبائح الى ان يعود اللبن الى الضرع موطنين انفسهم على ذلك وعن
علي رضي الله عنه انه سمع اعرابيا يقول اللهم اني استغفرك واتوب اليك فقال يا هذا ان سرعة اللسان
بالتوبة توبة الكذابين قال وما التوبة قال يجمعها ستة اشيا على الماضي من الذنوب الندامة
وللفرايض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان تذيب نفسك في طاعة
الله كما ربيتها في المعصية وان تذيقها مرارة الطاعات كما اذقتها حلاوة المعاصي وعن حذيفة رضي الله
عنه بحسب الرجل من الشر ان يتوب عن الذنب ثم يعود فيه وعن شهر بن حوشب ان لا يعود ولو حز
بالسيف واحرق بالنار وعن ابن السماك ان تنصب الذنب الذي اقللت فيه الحيا من الله امام عينك وتستعد
لمنتظرك وقيل توبة لا يتاب منها وعن السدي لا تصح التوبة الا بنصيحة النفس والمومنين لان من
صحت توبته احب ان يكون الناس مثله وقيل نصوحا من نصاحة الثوب اي توبة ترفو خروقك
في دينك وترم خللك وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح اذا خلص من الشمع ويجوز ان يراد توبة تنصح
الناس اى تدعوهم الى مثلها لظهور اثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل على مقتضياتها وقرا

زيد

زيد بن علي رضي الله عنهما توبا نصوحا وقرئ نصوحا بالضم وهو مصدر نصح والنصح والنصوح كالشكر والشكور
والكفر والكفور اى ذات نصوح او تنصح نصوحا او توبوا النصح انفسكم على انه مفعول له عسى ربكم اطماع
من الله تعالى لعباده وفيه وجهان احدهما ان يكون على ما جرت عليه عادة الجبابرة من الاجابة بعسى ولعل
ووقوع ذلك منهم موقع القطع والبت والثانى ان يجئ به تعليما للعباد وجوب الترجح بين الخوف والرجاء
والذى يدل على المعنى الاول وانه فى معنى البت قراءة ابن ابى عبلة ويدخلكم بالجزم عطفا على محل عسى ان يكفر
كانه قيل توبوا يوجب تكفير سيئاتكم ويدخلكم يوم لا يخزى الله النبى والذين امنوا معه نورهم يسعى
بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شىء قدير يوم لا يخزى الله نصب
بيدخلكم ولا يخزى تعريض لمن اخزاهم الله من اهل الكفر والفسوق واستحماد الى المؤمنين على انه عصمهم
من مثل حالهم يسعى نورهم على الصراط اتمم لنا نورنا قال ابن عباس رضي الله عنهما يقولون ذلك اذا اطفى
نور المنافقين اشفاقا وعن الحسن رحمه الله عليه الله متممه لهم ولكنهم يدعون تقربا الى الله كقوله
تعالى واستغفر لذنبك وهو مغفور له وقيل يقوله ادناهم منزلة لانهم يعطون من النور قدر ما
يبصرون به مواطئ اقدامهم لان النور على قدر الاعمال فيسئلون اتمامه تفضلا وقيل السابقون الى الجنة
يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا فاولئك الذين يقولون ربنا اتمم لنا
نورنا فان قلت كيف يشفقون والمؤمنون امنون ام من ياتى امنا يوم القيامة لا خوف عليهم لا يحزنهم
الفزع الاكبر او كيف يتقربون وليست الدار دار التقرب قلت اما الاشفاق فيجوز ان يكون على عادة
البشرية وان كانوا معتقدين للامن واما التقرب فلما كانت حالهم كحال المتقرب حيث يطلبون ما هو
حاصل لهم من الرحمة سماه تقربا يا ايها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم و
بئس المصير جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالاحتجاج واستعمل الغلظة والخشونة على الفريقين فيما
تجاهدهما به من القتال والمحاجة وعن قتادة مجاهدة المنافقين باقامة الحدود عليهم وعن مجاهد
بالوعيد وقيل بافشاء اسرارهم ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا
تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع
الداخلين مثل الله عز وجل حال الكفار فى انهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين معاقبة مثلهم من
غير ابقاء ولا محاباة ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من لحمة نسب او وصلة صهر لان عداوتهم
لهم وكفرهم بالله ورسوله قطع العلائق وبت الوصل وجعلهم من الاجانب وابعد وان كان المؤمن الذى يتصل
به الكافر نبيا من انبياء الله بحال امرأة نوح وامرأة لوط لما نافقتا وخانتا الرسولين لم يغن الرسولان
عنهما بحق ما بينهما وبينهما من وصلة الزواج اغناء ما من عذاب الله وقيل لهما عند موتهما او يوم القيامة
ادخلا النار مع سائر الداخلين الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء عليهم السلام او مع داخليها من
اخوانكما من قوم نوح وقوم لوط عليهما السلام ومثل حال المؤمنين فى ان وصلة الكافرين لا تضرهم
ولا تنقص شيئا من ثوابهم وزلفاهم عند الله بحال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله مع كونها زوجة
اعدى اعداء الله الناطق بالكلمة العظمى ومريم ابنة عمران وما اوتيت من كرامة الدنيا والاخرة
والاصطفاء على نساء العالمين مع ان قومها كانوا كفارا وفى طى هذين التمثيلين تعريض بامى المؤمنين

المذكورتين في اول السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله عليه السلم بما كرهه وتحذير لهما على اغلظ
وجه واشده لما في التمثيل من ذكر الكفر ونحوه في التغليظ قوله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين واشارة
الى ان من حقهما ان تكونا في الاخلاص والكمال فيه كمثل هاتين المؤمنتين وان لا تتكلا على انهما زوجا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فان ذلك الفضل لا ينفعهما الا مع كونهما مخلصتين والتعريض بحفصة ارجح لان امراة لوط افشت
عليه كما افشت حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واسرار التنزيل ورموزه في كل باب بالغة من اللطف
والخفاء حدا تدق عن تفطن العالم وتزل عن تبصره فان قلت ما فائدة قوله من عبادنا قلت لما كان مبنى
التمثيل على وجود الصلاح في الانسان كائنا من كان وانه وحده هو الذي يبلغ به الفوز وينال ما عند الله تعالى
قال عبدين من عبادنا صالحين فذكر النبيين المشهورين العلمين بانهما عبدان لم يكونا الا كسائر
عبادنا من غير تفاوت بينهما وبينهم الا بالصلاح وحده اظهارا وابانة لان عبدا من العباد لا يرجح
عنده الا بالصلاح لا غير وان ما سواه مما يرجح به الناس عند الناس ليس بسبب للرجحان عنده فان قلت
ما كانت خيانتهما قلت نفاقهما وابطانهما الكفر وتظاهرهما على الرسولين فامراة نوح عليه السلم
قالت لقومه انه مجنون وامراة لوط عليه السلم دلت على ضيفانه ولا يجوز ان يراد بالخيانة الفجور لانه
سمج في الطباع نقيصة عند كل احد بخلاف الكفر فان الكفار لا يستسمجونه بل يستحسنونه ويسمونه حقا
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما بغت امراة نبي قط وضرب الله مثلا للذين امنوا امرات فرعون اذ
قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين
وامراة فرعون اسية رضي الله عنها بنت مزاحم وقيل هي عمة موسى عليه السلم امنت حين سمعت بتلقف
عصى موسى الافك فعذبها فرعون عن ابي هريرة رضي الله عنه ان فرعون وتد امراته باربعة اوتاد
واستقبل بها الشمس واضجعها على ظهرها ووضع رحى على صدرها وقيل امر بان يلقى عليها صخرة عظيمة فدعت
الله فرقي بروحها فالقيت الصخرة على جسد لا روح فيه وعن الحسن رحمه الله عليه فنجاها الله اكرم نجاة ورفعها
الى الجنة فهي تاكل وتشرب وتنعم فيها وقيل لما قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة اريت بيتها في الجنة
يبنى وقيل انه من درة وقيل كانت تعذب في الشمس فتظلها الملائكة فان قلت ما معنى الجمع بين
عندك وفي الجنة قلت طلبت القرب من رحمة الله والبعد من عذاب اعدائه ثم بينت مكان
القرب بقولها في الجنة او ارادت ارتفاع الدرجة في الجنة وان تكون جنتها من الجنان التي هي
اقرب الى العرش وهي جنات المأوى فعبرت عن القرب الى العرش بقولها عندك ومن فرعون
وعمله من عمل فرعون او من نفس فرعون الخبيثة وسلطانه الغشوم وخصوصا من عمله وهو الكفر
وعبادة الاصنام والظلم والتعذيب بغير جرم ونجني من القوم الظالمين من القبط كلهم وفيه دليل
على ان الاستعاذة بالله والالتجاء اليه ومسألة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين
وسنن الانبيا والمرسلين عليهم السلام فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين ربنا لا تجعلنا
فتنة للقوم الظالمين ومريم ابنت عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت
بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين فيه في الفرج وقرا ابن مسعود فيها كما قرئ في سورة
الانبيا والضمير للجملة وقد مر لي في هذا الظرف كلام ومن بدع التفاسير ان الفرج هو جيب الدرع

ومعنى

ومعنى احصنته منعته جبريل عليه السلم وانه جمع في التمثيل بين التي لها زوج والتي لا زوج لها تسلية للارامل
وتطييبا لانفسهن • وصدقت قرى بالتشديد وبالتخفيف على انها جعلت الكلمات والكتب صادقة
يعني وصفتها بالصدق وهو معنى التصديق بعينه فان قلت فما كلمات الله وكتبه قلت يجوز ان يراد
بكلماته صحفه التي انزلها على ادريس عليه السلم وغيره سماها كلمات لقصرها وبكتبه الكتب الاربعة وان
يراد جميع ما كلم الله به ملائكته وغيرهم وجميع ما كتبه في اللوح وغيره • وقرئ بكلمة الله وكتابه اي بعيسى
عليه السلم وبالكتاب المنزل عليه وهو الانجيل فان قلت لم قيل من القانتين على التذكير قلت
لان القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين فغلب ذكوره على اناثه ومن للتبعيض ويجوز ان يكون
لابتداء الغاية على انها ولدت من القانتين لانها من اعقاب هرون اخي موسى عليهما السلام • وعن النبي
صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع • اسية بنت مزاحم رضي الله عنها امراة
فرعون ومريم بنت عمران • وخديجة بنت خويلد • وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم ورضوان الله
عليهن اجمعين • وفضل عايشة على النساء كفضل الثريد على ساير الطعام • واما ما روي ان ام المومنين
عايشة رضي الله عنها سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم • كيف سمى الله المسلمة يعني مريم ولم يسم
الكافرة فقال بغضا لها قالت فما اسمها قال اسم امراة نوح واعلة واسم امراة لوط واهلة فحديث
اثر الصنعة عليه ظاهر بين ولقد سمى الله عز وجل جماعة من الكفار باسمائهم وكناهم ولو كانت
التسمية للحب وتركها للبغض لسمى اسية • وقد قرن بينها وبين مريم عليهما السلم في التمثيل للمومنين وابى
الله الا ان يجعل للمصنوع امارة تنم عليه وكلام النبي عليه السلم احكم واسلم من ذلك • عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة التحريم اتاه الله توبة نصوحا

سورة الملك مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي ثلاثون اية

تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم
احسن عملا وهو العزيز الغفور تبارك تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين • الذي بيده
الملك على كل موجود وهو على كل ما لم يوجد مما يدخل تحت القدرة قدير وذكر اليد مجاز عن الاحاطة
بالملك والاستيلاء عليه • الحياة ما يصح بوجوده الاحساس وقيل ما يوجب كون الشيء حيا وهو
الذي يصح منه ان يعلم ويقدر • والموت عدم ذلك فيه ومعنى خلق الموت والحياة ايجاد ذلك المصحح
واعدامه • والمعنى خلق موتكم وحياتكم ايها المكلفون • ليبلوكم وسمى علم الواقع منهم باختيارهم بلوى وهي الخبرة
استعارة من فعل المختبر فان قلت من اين تعلق قوله ايكم احسن عملا بفعل البلوى قلت من حيث انه
تضمن معنى العلم فكانه قيل ليعلمكم ايكم احسن عملا • واذا قلت علمته ازيد احسن عملا ام هو كانت هذه
الجملة واقعة موقع الثاني من مفعوليه كما تقول علمته هو احسن عملا فان قلت اتسمي هذا تعليقا مع
عمله لفظا قلت لا انما التعليق ان يوقع بعده ما يسد مسد المفعولين جميعا كقولك علمت ايهما عمرو
وعلمت ازيد منطلق الا ترى انه لا فصل بعد سبق احد المفعولين بين ان يقع ما بعده مصدرا بحرف
الاستفهام وغير مصدر به ولو كانت تعليقا لافترقت الحالتان كما افترقتا في قولك علمت ازيد منطلق وعلمت

زيدا منطلق. احسن عملا قيل اخلصه واصوبه لانه اذا كان خالصا غير صواب لم يقبل وكذلك اذا كان
صوابا غير خالص فالخالص ان يكون لوجه الله والصواب ان يكون على السنة. وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه
تلاها فلما بلغ قوله تعالى ايكم احسن عملا قال ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة
الله يعني ايكم اتم عقلا عن الله وفهما لاغراضه. والمراد انه اعطاكم الحياة التي تقدرون بها على العمل وتستمكنون
منه وسلط عليكم الموت الذي هو داعيكم الى اختيار العمل الحسن على القبيح لان وراءه البعث والجزاء الذي لا بد
منه وقدم الموت على الحياة لان اقوى الناس داعيا الى العمل من نصب موته بين عينيه فقدم لانه فيما يرجع
الى الغرض المسوق له الاية اهم. وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزه من اساء العمل. الغفور لمن تاب من
اهل الاساءة. **الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت** طباقا مطابقة بعضها
فوق بعض من طابق النعل اذا خصفها طبقا على طبق وهذا وصف بالمصدر او على ذات طباق او على طوبقت طباقا
من تفاوت وقرئ من تفوت ومعنى البناءين واحد كقولهم تظاهروا من نسائهم وتظهروا وتعاهده وتعهده
اي من اختلاف واضطراب في الخلقة ولا تناقض انما هي مستوية مستقيمة وحقيقة التفاوت
عدم التناسب كان بعض الشيء يفوت بعضا ولا يلائمه. ومنه قولهم خلق متفاوت وفي نقيضه متناصف فان
قلت كيف موقع هذه الجملة مما قبلها قلت هي صفة مشايعة لقوله طباقا واصلها ما ترى فيهن من تفاوت
فوضع مكان الضمير قوله خلق الرحمن تعظيما لخلقهن وتنبيها على سبب سلامتهن من التفاوت وهو خلق الرحمن.
وانه بباهر قدرته هو الذي يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب والخطاب في ما ترى للرسول صلى الله عليه وسلم. او لكل
مخاطب. وقوله تعالى فارجع البصر متعلق به على معنى التسبيب اخبره بانه لا تفاوت في خلقهن.
فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير
ثم قال فارجع البصر حتى يصح عندك ما اخبرت به بالمعاينة ولا تبقى معك شبهة فيه. وهل ترى من فطور من
صدوع وشقوق جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر ومنه فطر ناب البعير كما يقال شق وبزل. ومعناه شق
اللحم فطلع وامره بتكرير البصر فيهن متصفحا ومتتبعا يتلمس عيبا وخللا ينقلب اليك اي ان رجعت البصر وكررت
النظر لم يرجع اليك بصرك بما التمسته من رؤية الخلل وادراك العيب. بل يرجع اليك بالخسوء والحسور اي بالبعد
عن اصابة الملتمس كانه يطرد عن ذلك طردا بالصغار والقماء وبالاعياء والكلال لطول الاجالة والترديد فان قلت
كيف ينقلب البصر خاسئا حسيرا برجعه كرتين اثنتين قلت معنى التثنية التكرير بكثرة كقولهم لبيك
وسعديك يريد اجابات كثيرة بعضها في اثر بعض وقولهم في المثل دهدرين سعد القين من ذلك اي
باطلا بعد باطل فان قلت فما معنى ثم ارجع قلت امره برجع البصر ثم امره بان لا يقتنع
بالرجعة الاولى وبالنظرة الحمقاء وان يتوقف بعدها ويجم بصره ثم يعاوده ويعاوده الى ان يحسر بصره
من طول المعاودة فانه لا يعثر على شيء من فطور. **ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما
للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير** الدنيا القربى لانها اقرب السموات الى الناس ومعناها السماء
الدنيا منكم. والمصابيح السرج سميت بها الكواكب والناس يزينون مساجدهم ودورهم باثقاب
المصابيح فقيل ولقد زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح اي باي مصابيح لا توازيها مصابيحكم
اضاءة وضممنا الى ذلك منافع اخر انا جعلناها رجوما لاعدائكم الشياطين الذين يخرجونكم من النور الى

الظلمات ويهتدون بها في ظلمات البر والبحر قال قتادة خلق الله تعالى النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به وعن محمد بن كعب والله ما لاحد من اهل الارض في السماء نجم ولكنهم يتبعون الكهانة ويتخذون النجوم علة والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمي به ما يرجم به ومعنى كونها مراجم للشياطين ان الشهب التي تنقض لرمي المسترقة منهم منفصلة من نار الكواكب لا انهم يرجمون بالكواكب انفسها لانها قارة في الفلك على حالها وما ذلك الا كقبس يؤخذ من نار والنار ثابتة كاملة لا تنقص وقيل من الشياطين المرجومة من يقتله الشهاب ومنهم من يخبله وقيل معناه وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم المنجمون واعتدنا لهم عذاب السعير في الاخرة بعد عذاب الاحراق بالشهب في الدنيا وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور وللذين كفروا بربهم اي ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم ليس الشياطين المرجومين مخصوصين بذلك وقرئ عذاب جهنم بالنصب عطفا على عذاب السعير اذا القوا فيها اي طرحوا كما يطرح الحطب في النار العظيمة ويرمى به ومثله قوله عز وجل حصب جهنم سمعوا لها شهيقا اما لاهلها ممن تقدم طرحهم او من انفسهم كقوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق واما للنار تشبيها لحسيسها المنكر الفظيع بالشهيق وهي تفور تغلي بهم غليان المرجل بما فيه تكاد تميز من الغيظ كلما القي فيها فوج سألهم خزنتها الم يأتكم نذير وجعلت كالمغتاظ عليهم لشدة غليانها بهم ويقولون فلان يتميز غيظا ويتقصف غضبا وغضب فطارت منه شقة في الارض وشقة في السماء اذا وصفوه بالافراط فيه ويجوز ان يراد غيظ الزبانية والم يأتكم نذير توبيخ يزدادون به عذابا الى عذابهم وحسرة الى حسرتهم وخزنتها مالك واعوانه من الزبانية قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير قالوا بلى اعتراف منهم بعدل الله واقرار بان الله تعالى ازاح عللهم ببعثة الرسل وانذارهم ما وقعوا فيه وانهم لم يؤتوا من قدرة كما تزعم المجبرة وانما اتوا من قبل انفسهم واختيارهم خلاف ما اختار الله عز وجل وامر به واوعد على ضده فان قلت ان انتم الا في ضلال كبير من المخاطبون به قلت هو من جملة قول الكفار وخطابهم للمنذرين على ان النذير بمعنى الانذار والمعنى الم يأتكم اهل نذير او وصف منذرهم لغلوهم في الانذار كانهم ليسوا الا انذارا وكذلك قد جاءنا نذير ونظيره قوله تعالى انا رسول رب العالمين اي حاملا رسالته ويجوز ان يكون من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول ارادوا حكاية ما كانوا عليه من ضلالهم في الدنيا او ارادوا بالضلال الهلاك او سموا عقاب الضلال باسمه او من كلام الرسل لهم حكوه للخزنة اي قالوا لنا هذا فلم نقبله وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة واجر كبير لو كنا نسمع الانذار سماع طالبين للحق او نعقله عقل متأملين وقيل انما جمع بين السمع والعقل لان مدار التكليف على ادلة السمع والعقل ومن بدع التفاسير ان المراد لو كنا على مذهب اصحاب الحديث او على مذهب اصحاب الرأي كأن هذه الاية نزلت بعد ظهور هذين المذهبين وكأن سائر اصحاب المذاهب والمجتهدين قد انزل الله وعيدهم وكأن من كان من هؤلاء فهو من الناجين لا محالة وعدة المبشرين من الصحابة عشرة لم يضم اليهم حادي عشر.

وكان من يجوز على الصراط اكثرهم لم يسمعوا باسم هذين الغريقين و بذنبهم بكفرهم في تكذيبهم الرسل فسحقا
بالتخفيف والتثقيل فبعدا لهم اعترفوا او جحدوا فان ذلك لا ينفعهم واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم
بذات الصدور الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ظاهره الامر باحد الامرين الاسرار والاجهار
ومعناه ليستوي عندكم اسراركم واجهاركم في علم الله بهما ثم انه علله بانه عليم بذات الصدور اي بضمائرها
قبل ان تترجم الالسنة عنها فكيف لا يعلم ما تكلم به ثم انكر ان لا يحيط علما بالمضمر والمسر والمجهر من خلق
الاشيا وحاله انه اللطيف الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز ان يكون من خلق
منصوبا بمعنى لا يعلم مخلوقه وهذه حاله وروي ان المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم باشيا فيظهر
الله تعالى رسوله عليها فيقولون اسروا قولكم لئلا يسمعه اله محمد فنبه الله على جهلهم فان قلت
قدرت في الا يعلم مفعولا على معنى الا يعلم ذلك المذكور مما اضمر في القلب واظهر باللسان من خلق فهلا
جعلته مثل قولهم هو يعطي ويمنع وهلا كان المعنى الا يكون عالما من هو خالق لان الخلق لا يصح الا مع العلم قلت
ابت ذلك الحال التي هي قوله تعالى وهو اللطيف الخبير لانك لو قلت الا يكون عالما من هو خالق وهو
اللطيف الخبير لم يكن معنى صحيحا لان الا يعلم معتمد على الحال والشي لا يوقت بنفسه فلا يقال الا يعلم
وهو عالم بكل شي هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه
واليه النشور المشي في مناكبها مثل لفرط التذليل ومجاوزته الغاية لان المنكبين وملتقاهما
من الغارب ارق شي من البعير وانباه عن ان يطاه الراكب بقدمه ويعتمد عليه فاذا جعلها في الذل بحيث يمشي
في مناكبها لم يترك وقيل مناكبها جبالها قال الزجاج معناه سهل لكم السلوك فيها فاذا امكنكم السلوك في جبالها
فهو ابلغ التذليل وقيل جوانبها والمعنى واليه نشوركم فهو سايلكم عن شكر ما انعم به عليكم أأمنتم من في
السما ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور ام امنتم من في السما ان يرسل عليكم حاصبا فستعلمون
كيف نذير ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير من في السما فيه وجهان احدهما من
ملكوته في السما لانها مسكن ملايكته وثم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها ينزل قضاياه وكتبه واوامره
ونواهيه والثاني انهم كانوا يعتقدون التشبيه وانه في السما وان الرحمة والعذاب ينزلان منه وكانوا
يدعونه من جهتها فقيل لهم على حسب اعتقادهم أأمنتم من تزعمون انه في السما وهو متعال عن المكان ان
يعذبكم بخسف او بحاصب كما تقول لبعض المشبهة اما تخاف من فوق العرش ان يعاقبك بما تفعل اذا
رايته يرتكب بعض المعاصي فستعلمون قرى بالتا واليا كيف نذير اي انذاري اذا رايتم المنذر به علمتم كيف
انذاري حين لا ينفعكم العلم اولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن
انه بكل شي بصير امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون
الا في غرور صافات باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها لانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا
ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن فان قلت لم قيل ويقبضن ولم يقل وقابضات قلت
لان اصل الطيران هو صف الاجنحة لان الطيران في الهوا كالسباحة في الما والاصل في السباحة مد الاطراف
وبسطها واما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك فجي بما هو طارئ غير اصل بلفظ الفعل
على معنى انهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح ما يكون و ما يمسكهن الا

الا الرحمن بقدرته وبما دبر لهن من القوادم والخوافي وبنى الاجسام على شكل وخصائص قد تأتى منها الجرى
في الجو انه بكل شىء بصير يعلم كيف يخلق وكيف يدبر العجائب امن هذا الذى يرزقكم ان امسك
رزقه بل لجوا فى عتو ونفور ام من يشار اليه من الجموع ويقال هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الله
ان ارسل عليكم عذابه ام من يشار اليه ويقال هذا الذى يرزقكم ان امسك رزقه وهذا على التقدير ويجوز ان
يكون اشارة الى جميع الاوثان لاعتقادهم انهم يحفظون من النوائب ويرزقون ببركة الهتهم فكانهم
الجند الناصر والرازق ونحوه قوله تعالى ام لهم الهة تمنعهم من دوننا بل لجوا فى عتو ونفور بل تمادوا فى عناد
وشراد عن الحق لثقله عليهم فلم يتبعوه افمن يمشى مكبا على وجهه اهدى امن يمشى سويا على صراط
مستقيم قل هو الذى انشاكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون قل هو
الذى ذراكم فى الارض واليه تحشرون يجعل اكب مطاوع كبه يقال كببته فاكب من الغرائب والشواذ
ونحوه قشعت الريح السحاب فاقشع وما هو كذلك ولا شىء من بناء افعل مطاوعا ولا يتقن نحو هذا الا حملة كتاب
سيبويه وانما اكب من باب انفض والام ومعناه دخل فى الكب وصار ذا كب وكذلك اقشع السحاب دخل
فى القشع ومطاوع كب وقشع انكب وانقشع فان قلت ما معنى يمشى مكبا على وجهه وكيف قابل يمشى
سويا على صراط مستقيم قلت معناه يمشى معتسفا فى مكان معتاد غير مستو فيه انخفاض وارتفاع فيعثر
كل ساعة فيخر على وجهه منكبا فحاله نقيض حال من يمشى سويا اى قائما سالما من العثور والخرور او مستوى الجهة
قليل الانحراف خلاف المعتسف الذى ينحرف هكذا وهكذا على طريق مستو ويجوز ان يريد الاعمى
الذى لا يهتدى الى الطريق فيعتسف فلا يزال ينكب على وجهه وانه ليس كالرجل السوى الصحيح البصر
الماشى فى الطريق المهتدى له وهو مثل للمؤمن والكافر وعن قتادة الكافر اكب على معاصى الله فحشره الله يوم القيمة على
وجهه وعن الكلبى عنى به ابو جهل بن هشام وبالسوى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل حمزة بن عبد المطلب
رضى الله عنه ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل انما العلم عند الله وانما انا نذير مبين
فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذى كنتم به تدعون فلما راوه الضمير للوعد
والزلفة القرب وانتصابها على الحال او الظرف اى راوه ذا زلفة او مكانا ذا زلفة سيئت وجوه الذين كفروا اى ساءت رؤية
الوعد وجوههم بان علتها الكآبة وغشيها الكسوف والقترة وكلحوا وكما يكون وجه من يقاد الى القتل او يعرض
على بعض العذاب وقيل القائلون الزبانية وتدعون تفتعلون من الدعاء اى تطلبون وتستعجلون به وقيل
من الدعوى اى كنتم بسببه تدعون انكم لا تبعثون وقرئ تدعون وعن بعض الزهاد انه تلاها فى اول الليل فى
صلاته فبقى يكررها وهو يبكى الى ان نودى لصلاة الفجر ولعمرى انها لوقاذة لمن تصور تلك الحالة وتأملها قل ارايتم
ان اهلكنى الله ومن معى او رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم كان كفار مكة يدعون على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك فامر بان يقول لهم نحن مؤمنون متربصون لاحدى الحسنيين اما
ان نهلك كما تتمنون فننقلب الى الجنة او نرحم بالنصرة والادالة للاسلام كما نرجو فانتم ما تصنعون من يجيركم
وانتم كافرون من عذاب النار لا بد لكم منه يعنى انكم تطلبون لنا الهلاك الذى هو استعجال للفوز والسعادة
وانتم فى امر هو الهلاك الذى لا هلاك بعده وانتم غافلون لا تطلبون الخلاص منه او ان اهلكنا الله بالموت
فمن يجيركم بعد موت هداتكم والآخذين بحجزكم من النار وان رحمنا بالامهال والغلبة عليكم وقتلكم فمن يجيركم

فان المقتول على ايديهما هالك او ان اهلكنا الله فى الآخرة بذنوبنا ونحن مسلمون فمن يجير الكافرين وهم اولى بالهلاك
بكفرهم ثم قال وعليه توكلنا خصوصا لم نتكل على ما انتم متكلون عليه من رجالكم واموالكم وان رحمنا بالايمان فمن
يجير من الايمان له قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين فان قلت لم اخر
مفعول آمنا وقدم مفعول توكلنا قلت لوقوع آمنا تعريضا بالكافرين حين ورد عقيب ذكرهم كانه قيل
آمنا ولم نكفر كما كفرتم ثم قال وعليه توكلنا خصوصا لم نتكل على ما انتم متكلون عليه من رجالكم واموالكم قل
أرأيتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين غورا غائرا ذاهبا في الارض وعن الكلبي لا تناله الدلاء
وهو وصف بالمصدر كعدل ورضا وعن بعض الشطار انها تليت عنده فقال تجيء به الفؤوس والمعاول فذهب
ماء عينيه نعوذ بالله من الجراءة على الله وعلى آياته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملك فكانما
احيا ليلة القدر والله اعلم بالصواب

سورة القلم مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي اثنتان وخمسون آية

ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم
قرئ ن والقلم بالبيان والادغام وبسكون النون وفتحها وكسرها كما في صاد والمراد هذا الحرف من حروف
المعجم واما قولهم هو الدواة فما ادري اهو وضع لغوي ام شرعي ولا يخلو اذا كان اسما للدواة من ان يكون جنسا
فاين الاعراب والتنوين وان كان علما فاين الاعراب وايهما كان فلا بد له من موقع في تأليف الكلام فان قلت
هو مقسم به قلت وجب ان كان جنسا ان تجره وتنونه ويكون القسم بدواة منكرة مجهولة كانه قيل ودواة والقلم
وان كان علما ان تصرفه وتجره او لا تصرفه وتفتحه للعلمية والتأنيث وكذلك التفسير بالحوت اما ان يراد نون
من النينان او يجعل علما للبهموت الذي يزعمون والتفسير باللوح من نور او ذهب والنهر في الجنة نحو ذلك
واقسم بالقلم تعظيما له لما في خلقه وتسويته من الدلالة على الحكمة العظيمة ولما فيه من الفوائد والمنافع التي لا يحيط
بها الوصف وما يسطرون وما يكتب من كتب وقيل ما تسطره الحفظة وما موصولة او مصدرية ويجوز ان يراد
بالقلم اصحابه فيكون الضمير في يسطرون لهم كانه قيل واصحاب القلم ومسطوراتهم او وسطرهم ويراد بهم كل من
يسطر او الحفظة فان قلت بم يتعلق الباء في بنعمة ربك وما محله قلت يتعلق بمجنون منفيا كما يتعلق
بعاقل مثبتا في ذلك الاثبات والنفي استواءهما في قولك ضرب زيد عمرا وما ضرب زيد عمرا تعمل الفعل مثبتا
ومنفيا اعمالا واحدا ومحله النصب على الحال كانه قال ما انت مجنونا منعما عليك بذلك ولم تمنع الباء ان يعمل مجنون
فيما قبله لانها زائدة لتأكيد النفي والمعنى استبعاد ما كان ينسبه اليه كفار مكة لعنهم الله عداوة وحسدا
وانه من انعام الله عليه بحصافة العقل والشهامة التي يقتضيها التأهيل للنبوة بمنزل وان لك على احتمال ذلك
واساغة الغصة فيه والصبر عليه لاجرا لثوابا غير ممنون غير مقطوع كقوله تعالى عطاء غير مجذوذ او غير
ممنون عليك لانه ثواب تستوجبه على عملك وليس بتفضل ابتداء وانما تمن الفواضل لا الاجور على الاعمال
استعظم خلقه لفرط احتماله الممضات من قومه وحسن مخالقته ومداراته لهم وقيل هو الخلق الذي امره الله
به في قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وعن عائشة رضي الله عنها ان سعيد بن هشام
سألها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن ألست تقرأ القرآن قد افلح المؤمنون

فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين المفتون المجنون
لانه فتن اي محن بالجنون او لان العرب يزعمون انه من تخبيل الجن وهم الفتان للفتال منهم والباء مزيدة او المفتون
مصدر كالمعقول والمجلود اي بايكم الجنون او باي الفريقين منكم الجنون ابفريق الكافرين اى فى ايهما يوجد من يستحق
هذا الاسم وهو تعريض بابي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة واضرابهما عليهم اللعنة وهذا كقوله تعالى
سيعلمون غدا من الكذاب الاشر ان ربك هو اعلم بالمجانين على الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله وهو
اعلم بالعقلاء وهم المهتدون او يكون وعيدا ووعدا وانه اعلم بجزاء الفريقين فلا تطع المكذبين ودوا
لو تدهن فيدهنون ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد
ذلك زنيم فلا تطع المكذبين تهييج والهاب للتصميم على معاصاتهم وكانوا قد ارادوه على ان يعبد الله مدة
وآلهتهم مدة ويكفوا عنه غوائلهم لو تدهن لو تلين وتصانع فيدهنون فان قلت لم رفع فيدهنون
ولم ينصب باضمار ان وهو جواب التمني قلت قد عدل به الى طريق اخر وهو ان جعل خبر مبتدا محذوف اي
فهم يدهنون كقوله عز وعلا فمن يؤمن بربه فلا يخاف على معنى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا
ادهانك فهم الان يدهنون لطمعهم في ادهانك قال سيبويه وزعم هرون انها في بعض المصاحف ودوا لو
تدهن فيدهنوا حلاف كثير الحلف في الحق والباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف ومثله قوله عز
وجل ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم مهين من المهانة وهي القلة والحقارة يريد القلة في الراي والتمييز
او اراد الكذاب لانه حقير عند الناس هماز عياب طعان وعن الحسن رحمة الله عليه يلوي شدقيه في اقفية
الناس مشاء بنميم مضرب نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم والنميم
والنميمة السعاية وانشد لبعض العرب تشبي بتشب النميمة • تمشي بها زهرا الى تميمه
مناع للخير بخيل والخير المال او مناع اهله الخير وهو الاسلام فذكر الممنوع منه دون الممنوع كانه قال
مناع من الخير قيل هو الوليد بن المغيرة المخزومي كان موسرا وكان له عشرة من البنين فكان يقول لهم
ولحمته من اسلم منكم منعته رفدي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعنه انه ابو جهل وعن مجاهد الاسود
ابن عبد يغوث وعن السدي الاخنس بن شريق اصله في ثقيف وعداده في زهرة ولذلك قيل زنيم
معتد مجاوز في الظلم حده اثيم كثير الاثام عتل غليظ جاف من عتله اذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك
بعد ما عد له من المثالب والنقائص زنيم دعي قال حسان وانت زنيم نيط في ال هاشم
كما نيط خلف الراكب القدح الفرد • وكان الوليد دعيا في قريش ليس من سنخهم ادعاه ابوه بعد ثماني
عشرة من مولده وقيل بغت امه ولم يعرف حتى نزلت هذه الاية جعل جفاه ودعوته اشد معايبه
لانه اذا جفا وغلظ طبعه قسا قلبه واجترا على كل معصية ولان الغالب ان النطفة اذا خبثت خبث الناشئ
منها ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا ولده ولا ولد ولده وبعد ذلك نظير
ثم في قوله عز وعلا ثم كان من الذين امنوا وقرا الحسن رحمة الله عليه عتل رفعا على الذم وهذه القراءة
تقوية لما يدل عليه بعد ذلك والزنيم من الزنمة وهي الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى معلقة في حلقها
لانه زيادة معلقة بغير اهله ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين
ان كان ذا مال متعلق بقوله ولا تطع يعني ولا تطعه مع هذه المثالب لان كان ذا مال اي ليساره وحظه من الدنيا

ويجوز ان يتعلق بما بعده على معنى لكونه متمولا مستظهرا بالبنين كذب اياتنا ولا يعمل فيه قال الذي هو جواب
اذا لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ولكن ما دلت عليه الجملة من معنى التكذيب وقرئ ان كان على الاستفهام
على لان كان ذا مال كذب او اتطيعه لان كان ذا مال وروى الزبيري عن نافع ان كان بالكسر والشرط
للمخاطب اي لا تطع كل حلاف شارطا يساره لانه اذا اطاع الكافر لغناه فكانه اشترط في الطاعة الغنى ونحو
صرف الشرط الى المخاطب صرف الترجي اليه في قوله تعالى لعله يتذكر سنسمه على الخرطوم الوجه اكرم
موضع في الجسد والانف اكرم موضع في الوجه لتقدمه له ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا
منه الانفة وقالوا الانف في الانف وحمي انفه وفلان شامخ العرنين وقالوا في الذليل جدع انفه ورغم
انفه فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الاذلال والاهانة لان السمة على الوجه شين واذالة فكيف بها
على اكرم موضع منه ولقد وسم العباس رضي الله عنه اباعره في وجوهها فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم اكرموا الوجوه فوسمها في جواعرها وفي لفظ الخرطوم استخفاف به واستهانة وقيل معناه سنعلمه
يوم القيمة بعلامة مشوهة يبين بها عن سائر الكفرة كما عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم عداوة
بان بها عنهم وقيل خطم يوم بدر بالسيف فبقيت سمة على خرطومه وقيل سنشهره بهذه الشتيمة
في الدارين جميعا فلا تخفى كما لا تخفى السمة على الخرطوم وعن النضر بن شميل ان الخرطوم الخمر وان معناه سنحده
على شربها وهو تعسف وقيل للخمر الخرطوم كما قيل لها السلافة وهي ما سلف من عصير العنب او لانها
تطير في الخياشيم انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون
فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون انا بلونا اهل مكة بالقحط والجوع بدعوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليهم كما بلونا اصحاب الجنة وهم قوم من اهل الصلوة كانت لابيهم هذه الجنة دون
صنعاء بفرسخين فكان ياخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقي وكان يترك للمساكين ما اخطاه
المنجل وما في اسفل الاكداس وما اخطاه القطاف من العنب وما بقي من البساط الذي يبسط تحت
النخلة اذا صرمت فكان يجتمع لهم شيء كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا
الامر ونحن اولو عيال فحلفوا ليصرمنها مصبحين في السدف خفية عن المساكين ولم يستثنوا في يمينهم
فاحرق الله عز وجل جنتهم وقيل كانوا من بني اسرائيل مصبحين داخلين في الصبح مبكرين ولا يستثنون
ولا يقولون ان شاء الله فان قلت لم سمي استثناء وانما هو شرط قلت لانه يؤدي مؤدى
الاستثناء من حيث ان معنى قولك لاخرجن ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله واحد وطاف
عليها بلاء او هلاك طائف كقوله تعالى واحيط بثمره وقرئ طيف فاصبحت كالصريم فتنادوا
مصبحين ان اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين فاصبحت كالصريم كالمصرومة لهلاك ثمرها
وقيل الصريم الليل اي احترقت فاسودت وقيل النهار اي يبست وذهبت خضرتها ولم يبق
فيها شيء من قولهم بيض الاناء اذا فرغه وقيل الصريم الرمال صارمين حاصدين فان قلت
هلا قيل اغدوا الى حرثكم وما معنى على قلت لما كان الغدو اليه ليصرموه ويقطعوه كان غدوا
عليه كما تقول غدا عليهم العدو ويجوز ان يضمن الغدو معنى الاقبال كقولهم يغدى عليه بالجفنة
ويراح اي فاقبلوا على حرثكم باكرين فانطلقوا وهم يتخافتون ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين

وغدو

وغدوا على حرد قادرين يتخافتون يتسارون فيما بينهم وخفى وخفت وخفد ثلاثتها فى معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش ان لا يدخلنها ان مفسرة وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه بطرحها باضمار القول اى يتخافتون يقولون لا يدخلنها والنهى عن الدخول للمسكين نهى لهم عن تمكينه منه اى لا تمكنوه من الدخول حتى يدخل كقولك لا ارينك ههنا الحرد من حاردت السنة اذا منعت خيرها وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى وغدوا قادرين على نكد لا غير عاجزين عن النفع يعنى انهم عزموا ان ينكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال فقر ذهاب مال لا يقدرون فيها الا على النكد والحرمان وذلك انهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة او وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها قادرين بدل كونهم قادرين على اصابة خيرها ومنافعها اى غدوا حاصلين على الحرمان مكان الانتفاع او لما قالوا اغدوا على حرثكم وقد خبثت نيتهم عاقبهم الله عز وجل بان حاردت جنتهم وحرموا خيرها فلم يغدوا على حرث وانما غدوا على حرد قادرين من عكس الكلام للتهكم اي قادرين على ما عزموا عليه من الصرام وحرمان المساكين وعلى حرد ليس بصلة قادرين وقيل الحرد بمعنى الحرد وقرئ على حرد اى لم يقدروا الا على حنق وغضب بعضهم على بعض كقوله تعالى يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة يقال حردت حردك وقال اقبل سيل جاء من امر الله يحرد حرد الجنة المغلة وقطا حراد سراع يعني وغدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة ونشاط قادرين عند انفسهم يقولون نحن نقدر على صرامها عند انفسهم او مقدرين ان يزووا منفعتها عن المساكين وقيل حرد علم للجنة اى غدوا على تلك الجنة قادرين على صرامها عند انفسهم او مقدرين ان يتم لهم مرادهم من الصرام والحرمان فلما رأوها قالوا انا لضالون بل نحن محرومون قالوا في بديهة وصولهم انا لضالون اى ضللنا جنتنا وما هي بها لما رأوا من هلاكها فلما تأملوا وعرفوا انها هي قالوا بل نحن محرومون حرمنا خيرها لجنايتنا على انفسنا قال اوسطهم الم اقل لكم لولا تسبحون اوسطهم اعدلهم وخيرهم من قولهم هو من سطة قومه واعطنى من سطاة مالك ومنه قوله عز وجل امة وسطا لولا تسبحون لولا تذكرون الله وتتوبون اليه من خبث نيتكم كان اوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم والدليل عليه قولهم سبحان ربنا انا كنا ظالمين فتكلموا بما كان يدعوهم الى التكلم به على اثر مقارفة الخطيئة ولكن بعد خراب البصرة وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لالتقائهما في معنى التعظيم لله لان الاستثناء تفويض اليه والتسبيح تنزيه له وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم وعن الحسن رحمة الله عليه هو الصلوة كانهم كانوا يتوانون في الصلوة والا لنهتهم عن الفحشاء والمنكر ولكانت لهم لطفا في ان يستثنوا ولا يحرموا قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين سبحان ربنا سبحوا الله ونزهوه عن الظلم وعن كل قبيح ثم اعترفوا بظلمهم في منع المعروف وترك الاستثناء فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين يتلاومون يلوم بعضهم بعضا لان منهم من زين ومنهم من قبل ومنهم من امر بالكف وعذر ومنهم من عصى الامر ومنهم من سكت وهو راض عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون كذلك العذاب ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون ان يبدلنا خيرا قرئ بالتخفيف والتشديد وانا الى ربنا راغبون طالبون منه الخير راجون لعفوه وكذلك العذاب مثل ذلك العذاب الذي بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة عذاب

الدنيا ولعذاب الآخرة اشد واعظم منه • وسئل قتادة عن اصحاب الجنة اهم من اهل الجنة • ام من اهل النار
فقال لقد كلفتني تعبا • وعن مجاهد تابوا فابدلوا خيرا منها • وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه بلغني انهم اخلصوا
وعرف الله منهم الصدق فابدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا • ان للمتقين عند
ربهم جنات النعيم أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون أم لكم كتاب فيه تدرسون
ان لكم فيه لما تخيرون عند ربهم اي في الآخرة جنات النعيم جنات ليس فيها الا النعيم الخالص لا يشوبه
ما ينغصه كما يشوب جنان الدنيا كان صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها فاذا
سمعوا حديث الآخرة وما وعد الله المسلمين قالوا ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم تكن حالهم وحالنا الا
مثل ما هي في الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا واقصى امرهم ان يساوونا فقيل أنحيف في الحكم فنجعل
المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم على طريقة الالتفات • ما لكم كيف تحكمون هذا الحكم الاعوج كان امر الجزاء مفوض
اليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم • ام لكم كتاب من السماء تدرسون في ذلك الكتاب ان ما تختارونه وتشتهونه لكم •
كقوله ام لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم • والاصل تدرسون ان لكم ما تتخيرون بفتح ان لانه مدروس فلما جاءت
اللام كسرت ويجوز ان تكون حكاية للمدروس كما هو قوله عز وجل وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح وتخير
الشيء واختاره اخذ خيره ونحوه تنخله وانتخله اذا اخذ منخوله ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم أفنجعل
المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون أم لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما تخيرون عند ربهم اي في
الآخرة • جنات النعيم جنات ليس فيها الا النعيم لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنان الدنيا كان صناديد قريش يرون
وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها فاذا سمعوا حديث الآخرة وما وعد الله المسلمين قالوا ان صح انا
نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم تكن حالهم وحالنا الا مثل ما هي في الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا واقصى
امرهم ان يساوونا فقيل أنحيف في الحكم فنجعل المسلمين كالمجرمين كالكافرين • ثم قيل لهم على طريقة الالتفات • ما لكم
كيف تحكمون هذا الحكم الاعوج كان امر الجزاء مفوض اليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم • ام لكم كتاب من السماء تدرسون
في ذلك الكتاب ان ما تختارونه وتشتهونه لكم • كقوله ام لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم • والاصل تدرسون
ان لكم ما تتخيرون بفتح ان لانه مدروس فلما جاءت اللام كسرت • ويجوز ان تكون حكاية للمدروس كما هو قوله عز
وجل وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح وتخير الشيء واختاره اخذ خيره • ونحوه تنخله وانتخله اذا اخذ منخوله
أم لكم أيمان علينا بالغة الى يوم القيامة ان لكم لما تحكمون سلهم أيهم بذلك زعيم أم لهم شركاء فليأتوا
بشركائهم ان كانوا صادقين لفلان علي يمين بكذا اذا ضمنته منه وحلفت له على الوفاء به
يعني ام ضمنا منكم واقسمنا لكم بايمان مغلظة متناهية في التوكيد • فان قلت بم يتعلق الى يوم القيامة قلت
بالمقدر في الظرف اي هي ثابتة لكم علينا الى يوم القيامة لا نخرج عن عهدتها الا يومئذ اذا حكمناكم واعطيناكم
ما تحكمون • ويجوز ان يتعلق ببالغة على انها تبلغ ذلك اليوم وتنتهي اليه وافرة لم تبطل منها يمين الى ان يحصل
المقسم عليه من التحكيم • وقرأ الحسن رحمة الله عليه • بالغة بالنصب على الحال من الضمير في الظرف • ان لكم لما
تحكمون جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم • ايهم بذلك الحكم زعيم اي قائم به وبالاحتجاج لصحته
كما يقوم الزعيم المتكلم عن القوم المتكفل بامورهم • ام لهم شركاء اي ناس يشاركونهم في هذا القول ويوافقونهم
عليه ويذهبون مذهبهم فيه • فليأتوا بهم ان كانوا صادقين في دعواهم يعني ان احدا لا يسلم لهم هذا ولا يساعدهم

عليه

عليه كأنه لا كتاب لهم ينطق به ولا عهد لهم به عند الله ولا زعيم لهم يقوم به **يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون** الكشف عن الساق والإبداء عن الخدام مثل في شدة الأمر وصعوبة الخطب وأصله في الروع والهزيمة وتشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب وإبداء خدامهن عند ذلك قال حاتم

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها ۞ وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا ۞ وقال ابن الرقيات

تذهل الشيخ عن بنيه ۞ وتبدي عن خدام العقيلة العذراء ۞

فمعنى يكشف عن ساق في معنى يوم يشتد الأمر ويتفاقم ولا كشف ثم ولا ساق كما تقول للأقطع الشحيح يده مغلولة ولا يد ثم ولا غل وإنما هو مثل في البخل وأما من شبه فلضيق عطنه وقلة نظره في البيان والذي غره منه حديث ابن مسعود رضي الله عنه يكشف الرحمن عن ساقه فأما المؤمنون فيخرون سجدا وأما المنافقون فتكون ظهورهم طبقا كأن فيها السفافيد ومعناه يشتد أمر الرحمن ويتفاقم هوله وهو الفزع الأكبر يوم القيامة ثم كان من حق الساق أن تعرف على ما ذهب إليه المشبه لأنها ساق مخصوصة معهودة عنده وهي ساق الرحمن فإن قلت فلم جاءت منكرة في التمثيل قلت للدلالة على أنه أمر مبهم في الشدة منكر خارج عن المألوف كقوله تعالى يوم يدع الداع إلى شيء نكر كأنه قيل يوم يقع أمر فظيع هائل ويحكى هذا التشبيه عن مقاتل بن سليمان وعن أبي عبيدة خرج من خراسان رجلان أحدهما شبه حتى مثل وهو مقاتل بن سليمان والآخر نفى حتى عطل وهو جهم بن صفوان ومن أحس بعظم مضار فقد هذا العلم علم مقدار عظم منافعه وقرئ يوم نكشف بالنون وتكشف بالتاء على البناء للفاعل والمفعول جميعا والفعل للساعة أو للحال أي يوم يشتد الحال أو الساعة كما تقول كشفت الحرب عن ساقها على المجاز وقرئ تكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين من أكشف إذا دخل في الكشف ومنه أكشف الرجل فهو مكشف إذا انقلبت شفته العليا وناصب الظرف فليأتوا أو إضمار اذكر أو يوم يكشف عن ساق كان كيت وكيت فحذف للتهويل البليغ وأن ثم من الكوائن ما لا يوصف لعظمه عن ابن مسعود رضي الله عنه تعقم أصلابهم أي ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض وفي الحديث وتبقى أصلابهم طبقا واحدا أي فقارة واحدة فإن قلت لم يدعون إلى السجود ولا تكليف قلت لا يدعون إليه تعبدا وتكليفا ولكن توبيخا وتعنيفا على تركهم السجود في الدنيا مع إعقاب أصلابهم والحيلولة بينهم وبين الاستطاعة تحسيرا لهم وتنديما على ما فرطوا فيه حين دعوا إلى السجود وهم سالموا الأصلاب والمفاصل ممكنون مزاحوا العلل فيما تعبدوا به **فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون** يقال ذرني وإياه يريدون كله إلي فإني أكفيكه كأنه يقول حسبك إيقاعا به أن تكل أمره إلي وتخلي بيني وبينه فإني عالم بما يجب أن يفعل به مطيق له والمراد حسبي مجازيا لمن يكذب بالقرآن فلا تشغل قلبك بشأنه وتوكل علي في الانتقام منه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين استدرجه إلى كذا إذا استنزله إليه درجة فدرجة حتى يورطه فيه واستدراج الله العصاة أن يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلوا رزق الله ذريعة ومتسلقا إلى ازدياد الكفر والمعاصي **من حيث لا يعلمون** أي أي من الجهة التي لا يشعرون أنه استدراج وهو الإنعام عليهم لأنهم يحسبونه إيثارا لهم وتفضيلا على المؤمنين وهو سبب لهلاكهم **وأملي لهم إن كيدي متين أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون** وأملي لهم وأمهلهم كقوله تعالى إنما نملي لهم ليزدادوا إثما والصحة والرزق والمد في العمر إحسان من الله تعالى وإفضال يوجب

عليهم الشكر والطاعة ولكنهم يجعلونه سببا في الكفر باختيارهم فلما تدرجوا به الى الهلاك وصف المنعم بالاستدراج
وقيل كم من مستدرج بالاحسان اليه وكم من مفتون بالثناء عليه وكم من مغرور بالستر وسمى احسانه وتمكينه
كيدا كما سماه استدراجا لكونه في صورة الكيد حيث كان سببا للتورط في الهلكة ووصفه بالمتانة لقوة اثر
احسانه في التسبب للهلاك ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون المغرم الغرامة اي لم تطلب منهم على الهداية والتعليم اجرا فيثقل عليهم حمل الغرامات
في اموالهم فيثبطهم ذلك عن الايمان ام عندهم الغيب فهم يكتبون فاصبر لحكم ربك ولا تكن
كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم ام عندهم الغيب اللوح فهم يكتبون منه ما يحكمون به
ولحكم ربك وهو امهالهم وتاخير نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب الحوت يعني يونس عليه السلام اذ نادى
في بطن الحوت وهو مكظوم مملوء غيظا من كظم السقاء اذا ملأه والمعنى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر
والمغاضبة فتبتلى ببلائه لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم حسن تذكير الفعل لفصل
في تداركه وقرأ ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما تداركته وقرأ الحسن رحمة الله عليه تداركه اي تتداركه على حكاية
الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه كما يقال كان زيد سيقوم فمنعه فلان اي كان يقال فيه سيقوم
والمعنى كان متوقعا منه القيام ونعمة ربه ان انعم عليه بالتوفيق للتوبة وتاب عليه وقد اعتمد في جواب لولا على الحال
اعني قوله وهو مذموم يعني ان حاله كانت على خلاف الذم حين نبذ بالعراء ولولا توبته لكانت حالة على الذم روي انها
نزلت باحد حين حل برسول الله عليه السلام ما حل به فاراد ان يدعو على الذين انهزموا وقيل حين اراد ان يدعو على ثقيف
وقرئ رحمة من ربه فاجتباه ربه فجعله من الصالحين فاجتباه ربه فجمعه اليه وقربه بالتوبة عليه كما قال ثم
اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وجعله من الصالحين اي من الانبياء عليهم السلام وعن ابن عباس رضي الله عنهما
رد اليه الوحي وشفعه في نفسه وقومه وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون
انه لمجنون وما هو الا ذكر للعالمين ان مخففة من الثقيلة واللام علمها وقرئ ليزلقونك بضم الياء وفتحها وزلقه
وازلقه بمعنى ويقال زلق الرأس وازلقه حلقه وقرئ ليزهقونك من زهقت نفسه وازهقها يعني انهم من شدة
تحديقهم ونظرهم اليك شزرا بعيون العداوة والبغضاء يكادون يزلون قدمك او يهلكونك من قولهم نظر الي نظرا
يكاد يصرعني ويكاد يأكلني اي لو امكنه بنظره الصرع او الاكل لفعله قال
يتقارضون اذا التقوا في موطن نظرا يزيل مواطئ الاقدام
وقيل كانت العين في بني اسد فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة ايام فلا يمر به شيء فيقول فيه لم ار كاليوم مثله الا عانه فاريد
بعض العيانين على ان يقول في رسول الله عليه السلام مثل ذلك فقال لم ار كاليوم رجلا فعصمه الله تعالى وعن الحسن
رحمة الله عليه دواء الاصابة بالعين ان يقرأ هذه الاية لما سمعوا الذكر اي القرآن لم يملكوا انفسهم حسدا على ما
اوتيت من النبوة ويقولون انه لمجنون حيرة في امره وتنفيرا عنه والا فقد علموا انه اعقلهم والمعنى انهم جننوه
لاجل القرآن وما هو الا ذكر وموعظة للعالمين فكيف يجنن من جاء بمثله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم

سورة الحاقة مكية	بسم الله الرحمن الرحيم	وهي اثنتان وخمسون اية

الحاقة ما الحاقة وما ادراك ما الحاقة كذبت ثمود وعاد بالقارعة فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية

الحا

الحاقة الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجي التي هي آتية لا ريب فيها حواق الامور من الحساب والثواب والعقاب
او التي تحق فيها الامور اي تعرف على الحقيقة من قولك لا احق هذا اي لا اعرف حقيقته جعل الفعل لها وهو لاهلها
وارتفاعها على الابتداء وخبرها ما الحاقة ما هي اي عظمها اي شيء هي تفخيما لشانها وتعظيما لهولها فوضع الظاهر موضع
المضمر لانه اهول لها وما ادريك واي شيء اعلمك ما الحاقة يعني انك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها على انه
من العظم والشدة بحيث لا يبلغه دراية احد ولا وهمه وكيف ما قدرت حالها فهي اعظم من ذلك وما في موضع
الرفع على الابتداء وادراك معلق عنه لتضمنه معنى الاستفهام والقارعة الذي تقرع الناس بالافزاع
والاهوال والسما بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعت
موضع الضمير لتدل على معنى القرع في الحاقة زيادة في وصف شدتها ولما ذكرها وفخمها اتبع ذكر ذلك من كذب
بها وما حل لهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم بالطاغية بالواقعة المجاوزة
للحد في الشدة واختلف فيها فقيل الرجفة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الصاعقة وعن قتادة بعث الله
عليهم صيحة فاهمدتهم وقيل الطاغية مصدر كالعافية اي بطغيانهم وليس بذلك لعدم الطباق بينها وبين
قوله بريح صرصر واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما
فترى القوم فيها صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية والصرصر الشديد الصوت لها
صرصرة وقيل الباردة من الصر كانها التي كرر فيها البرد وكثر فهي تحرق لشدة بردها عاتية شديدة
العصف والعتو استعارة او عتت على عاد فما قدروا على ردها بحيلة من استتار ببناء او لياذ بجبل او اختفا
في حفرة فانها كانت تنزعهم من مكامنهم وتهلكهم وقيل عتت على خزانها فخرجت بلا كيل ولا وزن وروي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ارسل الله سفيه من ريح الا بمكيال ولا قطرة من مطر الا بمكيال الا يوم
عاد ويوم نوح عليه السلام فان الماء يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرا انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية
وان الريح يوم عاد عتت على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرا بريح صرصر عاتية ولعلها عبارة عن الشدة والافراط
فيها والحسوم لا يخلو من ان يكون جمع حاسم كشهود وقعود او مصدرا كالشكور والكفور فان كان
جمعا فمعنى قوله حسوما نحسات حسمت كل خير واستاصلت كل بركة او متتابعة هبوب الرياح ما خفتت ساعة
حتى اتت عليهم تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في اعادة الكي على الداء كرة بعد اخرى حتى ينحسم وان كان
مصدرا فاما ان ينتصب بفعله مضمرا اي تحسم حسوما بمعنى تستاصل استيصالا او يكون صفة كقولك
ذات حسوم او يكون مفعولا له اي سخرها عليهم للاستيصال وقال عبد العزيز بن زرارة الكلابي فرق
بين بينهم زمان تتابع فيه اعوام حسوم وقرا السدي حسوما بالفتح حالا من الريح اي سخرها عليهم مستاصلة
وقيل هي ايام العجوز وذلك ان عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فاهلكتها
وقيل هي ايام العجز وهي اخر الشتاء واسماؤها الصن والصنبر والوبر والامر والمؤتمر والمعلل
ومطفي الجمر وقيل مكفي الظعن ومعنى سخرها عليهم سلطها عليهم كما شاء فيها في بها اي في الليالي
والايام وقرئ اعجاز نخيل من باقية من بقية او من نفس باقية او من بقاء كالطاغية بمعنى الطغيان
[illegible] ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة فعصوا رسول ربهم فاخذهم اخذة رابية ومن قبله
يريد ومن عنده من اتباعه وقرئ ومن قبله اي ومن تقدمه وتعضد الاولى قراءة عبد الله

وابي ومن معه وقراءة ابي موسى ومن تلقاءه والمؤتفكات قرى قوم لوط عليه السلام بالخاطئة بالخطأ
او بالفعلة او الافعال ذات الخطأ العظيم رابية شديدة زائدة في الشدة كما زادت قبائحهم في القبح
يقال ربا الشيء يربو اذا زاد لتربوا في اموال الناس انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية لنجعلها
لكم تذكرة وتعيها اذن واعية حملناكم حملنا اباكم في الجارية في سفينة نوح عليه
السلام لانهم اذا كانوا من نسل المحمولين الناجين كان حمل آبائهم منة عليهم وكانهم هم المحمولون لان نجاتهم سبب
ولادتهم لنجعلها الضمير للفعلة وهي نجاة المؤمنين واغراق الكفرة تذكرة عظة وعبرة واذن واعية
من شانها ان تعي وتحفظ ما سمعت ولا تضيعه بترك العمل وكل ما حفظته في نفسك فقد وعيته وما حفظته
في غير نفسك فقد اوعيته كقولك اوعيت الشيء في الظرف وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعلي بن ابي
طالب رضي الله عنه عند نزول هذه الآية سالت الله ان يجعلها اذنك يا علي قال علي رضي الله عنه فما
نسيت شيئا بعد وما كان لي ان انسى فان قلت لم قيل اذن واعية على التوحيد والتنكير قلت
للايذان بان الوعاة قلة ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم وللدلالة على ان الاذن الواحدة اذا وعت وعقلت
عن الله فهي السواد الاعظم عند الله وان ما سواها لا يبالي بهم بالة وان ملؤوا ما بين الخافقين وقرئ
وتعيها بسكون العين للتخفيف شبه تعي بكبد فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة اسند الفعل الى المصدر
وحسن تذكيره للفصل وقرا ابو السمال نفخة واحدة بالنصب مسندا للفعل الى الجار والمجرور فان قلت هما نفختان
فلم قيل واحدة قلت معناه انها لا تثنى في وقتها فان قلت فاي النفختين هي قلت الاولى لان عندها
فساد العالم وهكذا الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما وروي عنه انها الثانية فان قلت اما قال بعد
يومئذ تعرضون والعرض انما هو عند النفخة الثانية قلت جعل اليوم اسما للحين الواسع الذي تقع
فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف والحساب فلذلك قيل يومئذ تعرضون كما تقول جئته عام
كذا في وقت كذا وانما كان مجيئك في وقت واحد من اوقاته وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وحملت
ورفعت من جهاتها بريح بلغت من قوة عصفها انها تحمل الارض والجبال او بخلق من الملائكة او بقدرة الله من غير سبب
وقرئ وحملت الارض بحذف المحمل وهو احد الثلاثة فدكتا فدكت الجملتان جملة الارضين وجملة الجبال فضرب
بعضها ببعض حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا والدك ابلغ من الدق وقيل فبسطتا بسطة واحدة
فصارتا ارضا لا ترى فيها عوجا ولا امتا من قولك اندك السنام اذا انفرش وبعير ادك وناقة دكاء ومنه الدكان
فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على ارجائها فيومئذ وقعت الواقعة
فحينئذ نزلت النازلة وهي القيامة واهية مسترخية ساقطة القوة جدا بعد ما كانت محكمة مستمسكة
يريد والخلق الذي يقال له الملك ورد اليه الضمير مجموعا في قوله فوقهم على المعنى فان قلت
ما الفرق بين قوله والملك وبين ان يقال والملائكة قلت الملك اعم من الملائكة الا ترى ان قولك
ما من ملك الا وهو شاهد اعم من قولك ما من ملائكة على ارجائها على جوانبها الواحد رجا مقصور يعني
انها تنشق وهي مسكن الملائكة فينضوون الى اطرافها وما حولها من حافاتها ويحمل عرش ربك فوقهم
يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ثمانية اي ثمانية منهم وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم هم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة ايدهم الله باربعة آخرين فيكونون ثمانية

وروي

وروي ثمانية املاك ارجلهم في تخوم الارض السابعة والعرش فوق رؤسهم وهم مطرقون مسبحون وقيل بعضهم
على صورة الانسان وبعضهم على صورة الاسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة النسر وروي ثمانية
املاك في خلق الاوعال ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما وعن شهر بن حوشب اربعة منهم يقولون
سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك واربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك
لك الحمد على حلمك بعد علمك وعن الحسن رحمه الله عليه الله اعلم كم هم اثمانية هي ام ثمانية الاف وعن الضحاك
ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله ويجوز ان تكون الثمانية من الروح او من خلق اخر فهو القادر على كل خلق سبحان
الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون العرض عبارة عن المحاسبة والمسالة شبه
ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرف احواله وروي ان في القيامة ثلث عرضات فاما عرضتان فاعتذار
واحتجاج وتوبيخ واما الثالثة ففيها تنشر الكتب فياخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله خافية سريرة
وحال كانت تخفى في الدنيا بستر الله عليكم فاما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه
اني ظننت اني ملاق حسابيه فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية فاما تفصيل للعرض ها صوت يصوت به
فيفهم منه معنى خذ كاف وحس وما اشبه ذلك وكتابيه منصوب على هاؤم عند الكوفيين وعند البصريين باقرؤا
لانه اقرب العاملين واصله هاؤم كتابي فحذف الاول لدلالة الثاني عليه ونظيره اتوني افرغ عليه قطرا قالوا ولو كان
العامل الاول لقيل اقرؤه وافرغه والهاء للسكت في كتابيه وكذلك في حسابيه وماليه وسلطانيه وحق هذه
الهاءات ان تثبت في الوقف وتسقط في الوصل وقد استحب ايثار الوقف ايثارا لثباتها في المصحف وقيل لا باس بالوصل والاسقاط
وعن ابن محيصن انه قرا باسكان الياء بغير هاء وقرا جماعة باثبات الهاء في الوصل والوقف جميعا لاتباع المصحف ظننت
علمت وانما اجري الظن مجرى العلم لان الظن الغالب يقام مقام العلم في العادات والاحكام وقال اظن ظنا كاليقين
انما الامر كيت وكيت راضية منسوبة الى الرضا كالدارع والنابل والنسبة نسبتان نسبة بالحرف ونسبة بالصيغة
او جعل الفعل لها مجازا وهو لصاحبها عالية مرتفعة المكان في السماء او رفيعة الدرجات او رفيعة المباني والقصور
والاشجار دانية ينالها القاعد والنائم كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية يقال لهم كلوا واشربوا
هنيئا اكلا وشربا هنيئا او هنيتم هنيئا على المصدر بما اسلفتم بما قدمتم من الاعمال الصالحة في الايام الخالية الماضية من ايام
الدنيا وعن مجاهد ايام الصيام اي كلوا واشربوا بدل ما امسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله تعالى وروي يقول الله تعالى
يا اوليائي طالما نظرت اليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة وغارت اعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم
في نعيمكم وكلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية واما من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت
كتابيه ولم ادر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه الضمير في يا ليتها
للموتة يقول يا ليتني الموتة التي متها كانت القاضية اي القاطعة لامري فلم ابعث بعدها ولم الق ما القى او للحالة اي ليت
هذه الحالة الموتة التي قضت علي لانه راي تلك الحالة ابشع وامر مما ذاقه من مرارة الموت وشدته فتمناه عندها
ما اغنى نفي او استفهام على وجه الانكار اي اي شيء اغنى عني ما كان لي من اليسار هلك عني سلطاني ملكي
وتسلطي على الناس وبقيت فقيرا ذليلا وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في الاسود بن عبد الاسد
وعن قتادة خسرة الملقب بالعضد انه لما قال عضد الدولة وابن ركنها ملك الاملاك غلاب القدر لم يفلح
بعده وشد فكان لا ينطلق لسانه الا بهذه الاية وقال ابن عباس رضي الله عنهما ضلت عني حجتي ومعناه

بطلت حتى التي كنت احتج بها في الدنيا خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه انه كان
لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام الا من غسلين لا ياكله الا الخاطئون
ثم الجحيم صلوه ثم لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى لانه كان سلطانا يتعظم على الناس يقال صلى النار وصلاه النار سلكه
في السلسلة ان تلوى على جسده حتى يلتف عليه اثناؤها وهو فيما بينها مرهق ضيق عليه لا يقدر على حركة وجعلها
سبعين ذراعا ارادة الوصف بالطول كما قال الله عز وعلا ان تستغفر لهم سبعين مرة يريد مرات كثيرة لانها اذا
طالت كان الارهاق اشد والمعنى في تقديم السلسلة على السلك مثله في تقديم الجحيم على التصلية اي لا
تسلكوه الا في هذه السلسلة لانها افظع من سائر مواضع الارهاق في الجحيم ومعنى ثم الدلالة على تفاوت
ما بين العذاب بين ما بين الغل والتصلية بالجحيم وما بينها وبين السلك في السلسلة لا على تراخي المدة • انه تعليل
على طريق الاستيناف وهو ابلغ كانه قيل ما له يعذب هذا العذاب الشديد فاجيب بذلك وفي قوله تعالى ولا يحض
على طعام المسكين دليلان قويان على عظم الجرم في حرمان المسكين احدهما عطفه على الكفر وجعله قرينة له
والثاني ذكر الحض دون الفعل ليعلم ان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وما احسن قول القائل
• اذا نزل الاضياف كان عذورا على الحي حتى تستقل مراجله •
يريد حضهم على القرى واستعجلهم وتشاكس عليهم • وعن ابي الدرداء رضي الله عنه انه كان يحض امرأته على تكثير
المرق لاجل المساكين وكان يقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان افلا نخلع نصفها الاخر • وقيل هي منع الكفار وقولهم
انطعم من لو يشاء الله اطعمه والمعنى بذل طعام المسكين حميم قريب يدفع عنه [illegible] لانهم يتحامونه ويفرون
منه كقوله تعالى ولا يسأل حميم حميما • والغسلين غسالة اهل النار وما يسيل من ابدانهم من الصديد والدم
فعلين من الغسل الخاطئون الاثمون • اصحاب الخطايا وخطئ الرجل اذا تعمد الذنب وهم المشركون عن ابن عباس
رضي الله عنهما وقرئ الخاطيون بابدال الهمزة ياء والخاطون بطرحها وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما الخاطون كلنا
نخطو وروى عنه ابو الاسود الدؤلي ما الخاطون انما هو الخاطئون ما الصابون انما هو الصابئون • ويجوز
ان يراد الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول
رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين
هو اقسام بالاشياء كلها على الشمول والاحاطة لانها لا تخرج من قسمين مبصر وغير مبصر وقيل الدنيا والاخرة
والاجسام والارواح والانس والجن • والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة • انه القرآن • لقول رسول
كريم اي يقوله ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله عز وجل • وما هو بقول شاعر ولا كاهن كما تدعون
والقلة في معنى العدم اي لا تؤمنون ولا تذكرون البتة والمعنى ما اكفركم وما اغفلكم • هو تنزيل لانه قول رسول
نزل عليه من رب العالمين وقرأ ابو السمال تنزيلا اي نزل تنزيلا وقيل الرسول الكريم جبريل عليه السلام وقوله
تعالى وما هو بقول شاعر دليل على انه محمد عليه السلام لان المعنى على اثبات انه رسول لا شاعر ولا كاهن • ولو تقول
علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجزين
وانه لتذكرة للمتقين وانا لنعلم ان منكم مكذبين التقول افتعال القول لان فيه تكلفا من
المفتعل وسمى الاقوال المتقولة اقاويل تصغيرا لها وتحقيرا كقولك الاعاجيب والاضاحيك كانها جمع
افعولة من القول والمعنى ولو ادعى علينا شيئا لم نقله لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة

ما

بالسخط والانتقام فصور قتل الصبر بصورته ليكون اهول وهو ان يوخذ بيده وتضرب رقبته وخص اليمين عن
اليسار لان القتال اذا اراد ان يوقع الضرب في قفاه اخذ بيساره واذا اراد ان يوقعه في جبينه وان يكفحه
بالسيف وهو اشد على المصبور لنظره الى السيف اخذ بيمينه ومعنى لاخذنا منه باليمين لاخذنا بيمينه
كما ان قوله عز وجل لقطعنا منه الوتين لقطعنا وتينه وهذا بين والوتين نياط القلب وهو حبل الوريد
اذا قطع مات صاحبه وقرئ ولو تقول علينا على البنا للمفعول قيل حاجزين في وصف احد لانه في معنى
الجماعة وهو اسم يقع في النفي العام مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث ومنه قوله تعالى لا نفرق
بين احد من رسله لستن كاحد من النساء والضمير في عنه للقتل اي لا يقدر احد منكم ان يحجزه عن ذلك
ويدفعه عنه او لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي لا تقدرون ان تحجزوا عنه القاتل وتحولوا بينه وبينه
والخطاب للناس وكذلك في قوله وانا لنعلم ان منكم مكذبين وهو ايعاد على التكذيب وقيل الخطاب
للمسلمين والمعنى ان منهم ناسا سيكفرون بالقران وانه لحسرة على الكافرين وانه لحق اليقين فسبح
باسم ربك العظيم وانه الضمير للقران لحسرة على الكافرين به المكذبين له اذا راوا ثواب ...
المصدقين به او للتكذيب وان القران لليقين حق اليقين كقولك هو العالم حق العالم والمعنى لعين اليقين
ومحض اليقين فسبح الله بذكر اسمه العظيم وهو قوله سبحان الله واعبده شكرا على ما اهلك له من ايحائه
اليك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة المعارج مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي اربع واربعون اية

سال سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج تعرج الملائكة والروح اليه في يوم
كان مقداره خمسين الف سنة فاصبر صبرا جميلا ضمن سال معنى دعا فعدي تعديته كانه
قيل دعا داع بعذاب واقع من قولك دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى يدعون فيها بكل
فاكهة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو النضر بن الحارث قال ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا
حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وقيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم استعجل العذاب للكافرين وقرئ
سال سايل وهو على وجهين اما ان يكون من السوال وهي لغة قريش يقولون سلت تسال وهما يتسايلان وان
يكون من السيلان ويويده قراءة ابن عباس رضي الله عنهما سال سيل والسيل مصدر في معنى السائل كالغور
بمعنى الغائر والمعنى اندفع عليهم وادي عذاب فذهب بهم واهلكهم وعن قتادة سال سائل عن عذاب الله
على من ينزل وبمن يقع فنزلت وسال على هذا الوجه مضمن معنى عني واهتم فان قلت بم اتصل قوله
للكافرين قلت هو على القول الاول متصل بعذاب صفة له اي بعذاب واقع كائن للكافرين او بالفعل
اي دعا للكافرين بعذاب واقع او بواقع اي بعذاب نازل لاجلهم وعلى الثاني هو كلام مبتدا جواب للسائل
اي هو للكافرين فان قلت فقوله من الله بم يتصل قلت يتصل بواقع اي واقع من عنده
او بدافع بمعنى ليس له دافع من جهته اذا جاء وقته واوجبت الحكمة وقوعه ذي المعارج ذي المصاعد
جمع معرج ثم وصف المصاعد وبعد مداها في العلو والارتفاع فقال تعرج الملائكة والروح اليه الى
عرشه وحيث تهبط منه اوامره في يوم كان مقداره كمقدار مدة خمسين الف سنة مما يعد الناس

والروح جبريل عليه السلام افرده بتمييزه لفضله ۔ وقيل الروح خلق هم حفظة على الملائكة كما ان الملائكة حفظة على
الناس **فان قلت** بم يتعلق قوله تعالى فاصبر **قلت** بسأل سائل لان استعجال النظر بالعذاب
انما كان على وجه الاستهزاء برسول الله عليه السلام والتكذيب بالوحي وكان ذلك مما يضجر رسول الله عليه
السلام فامر بالصبر عليه وكذلك من سأل عن العذاب لمن هو فانما سأل على طريق التعنت وكان من كفار مكة ومن
قرأ سال سايل او سيل فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فاصبر فقد شارفت الانتقام ۔ وقد جعل في يوم من
صلة واقع اي يقع في يوم طويل مقداره خمسون الف سنة من سنيكم وهو يوم القيمة ۔ اما ان يكون استطالة له
لشدته على الكفار ۔ واما لانه على الحقيقة كذلك قيل فيه خمسون موطنا كل موطن الف سنة وما قدر ذلك على المؤمن
الا كما بين الظهر والعصر **انهم يرونه بعيدا ونريه قريبا يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ولا
يسأل حميم حميما يبصرونهم** ۔ الضمير في يرونه للعذاب الواقع او ليوم القيمة فيمن علق في يوم بواقع
اي يستبعدونه على جهة الاحالة ۔ ونحن نراه قريبا هينا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر فالمراد بالبعيد
البعيد من الامكان وبالقريب القريب منه نصب ۔ ويوم تكون السماء قريبا اي يمكن ولا يتعذر في ذلك
اليوم او باضمار يقع لدلالة واقع عليه او يوم يكون السماء كالمهل كان كيت وكيت ۔ او هو بدل عن في يوم
فيمن علقه بواقع كالمهل كدردي الزيت ۔ وعن ابن مسعود رضي الله عنه كالفضة المذابة في تلونها كالعهن
كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود فاذا بست وطيرت
في الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح ۔ ولا يسأل حميم حميما اي لا يسأله بكيف حالك ولا يكلمه لان
بكل احد ما يشغله عن المسئلة ۔ يبصرونهم اي يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم فما يمنعهم من المسالة ان بعضهم
لا يبصر بعضا وانما يمنعهم التشاغل ۔ وقرئ يبصرونهم ۔ وقرئ ولا يسأل على البناء للمفعول اي لا يقال لحميم اين حميمك ولا يطلب
منه لانهم يبصرونهم فلا يحتاجون الى السؤال والطلب **فان قلت** ما موقع يبصرونهم **قلت** هو
كلام مستانف كانه لما قال ولا يسأل حميم حميما قيل لعله لا يبصره فقيل يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا
من تسائلهم **فان قلت** لم جمع الضميران في يبصرونهم وهما للحميمين **قلت** المعنى على العموم لكل
حميمين لا لحميمين اثنين ويجوز ان يكون يبصرونهم صفة اي حميما مبصرين معرفين اياهم **يود المجرم لو يفتدي
من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه وفصيلته التي تؤويه ومن في الارض جميعا ثم ينجيه**
قرئ يومئذ بالجر والفتح على البناء لاضافة الى غير متمكن ۔ ومن عذاب يومئذ بتنوين عذاب ونصب يومئذ
وانتصابه بعذاب لانه في معنى تعذيب ۔ وفصيلته عشيرته الادنون الذين فصل عنهم ۔ تؤويه تضمه
انتماء اليها او لياذا بها في النوائب ۔ ينجيه عطف على يفتدي اي يود لو يفتدي ثم لو ينجيه الافتداء او من في
الارض وثم لاستبعاد الانجاء يعني يتمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت يده وبذلهم في فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات
ان ينجيه ~~يود المجرم لو يفتدي~~ من **كلا انها لظى نزاعة للشوى تدعوا من ادبر وتولى وجمع فاوعى**
كلا ردع للمجرم عن الودادة وتنبيه على انه لا ينفعه الافتداء ولا ينجيه من العذاب ثم قال انها والضمير
للنار ولم يجر لها ذكر لان ذكر العذاب دل عليها ويجوز ان يكون ضميرا مبهما ترجم عنه الخبر او ضمير القصة ۔
ولظى علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب ۔ ويجوز ان يراد اللهب ۔ ونزاعة خبر بعد خبر ۔ لان او خبر للظى
ان كانت الهاء ضمير القصة او صفة له ان اردت اللهب والتانيث لانه في معنى النار ۔ او رفع على التهويل اي هي نزاعة

وقرئ

وقرئ نزاعةً بالنصب على الحال المؤكدة او على انها متلظية نزاعة او على الاختصاص للتهويل والشوى الاطراف الجمع شواة وهي جلدة الراس تنزعها نزعا فتبتكها ثم تعاد وتدعو مجاز عن احضارهم كانها تدعوهم فتحضرهم ونحوه قول ذي الرمة تدعو انفه الريب وقوله ليالي اللهو يطبيني فاتبعه كانني ضارب في غمرة لعب وقول ابي النجم تقول للرائد اعشبت انزل وقيل تقول لهم الي الي يا كافر يا منافق وقيل تدعو المنافقين والكافرين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب فيجوز ان يخلق الله فيها كلاما كما خلقه في جلودهم وايديهم وارجلهم وكما خلقه في الشجرة ويجوز ان يكون دعاء الزبانية وقيل تدعو تهلك من قول العرب دعاك الله اي اهلكك قال دعاك الله من رجل بافعى من ادبر عن الحق وتولى عنه وجمع المال فجعله في وعاء وكنزه فلم يؤد الزكاة والحقوق الواجبة فيه وتشاغل به عن الدين وزهي باقتنائه وتكبر

إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ

اريد بالانسان الناس فلذلك استثنى منه الا المصلين والهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير من قولهم ناقة هلواع سريعة السير وعن احمد بن يحيى رحمه الله قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر نور الله قبره ما الهلع فقلت قد فسره الله ولا يكون تفسير ابين من تفسيره وهو الذي اذا ناله شر اظهر شدة الجزع واذا ناله خير بخل به ومنعه الناس والخير المال والغنى والشر الفقر او الصحة والمرض اذا صح الغني منع المعروف وشح بماله واذا مرض جزع واخذ يوصي والمعنى ان الانسان لايثاره الجزع والمنع وتمكنهما منه ورسوخهما فيه كانه مجبول عليهما مطبوع وكانه امر خلقي وضروري غير اختياري كقوله تعالى خلق الانسان من عجل والدليل عليه انه حين كان في البطن لم يكن به هلع ولانه ذم والله تعالى لا يذم فعله والدليل عليه استثناء المؤمنين الذين جاهدوا انفسهم وحملوها على المكاره وظلفوها عن الشهوات حتى لم يكونوا جازعين ولا مانعين وعن النبي صلى الله عليه وسلم شر ما اعطي ابن ادم شح هالع وجبن خالع فان قلت ما معنى دوامهم عليها قلت ان يواظبوا على ادائها لا يخلون بها ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم افضل العمل ادومه وان قل وقول عائشة رضي الله عنها كان عمله ديمة ومحافظتهم عليها ان يراعوا اسباغ الوضوء لها ومواقيتها ويقيموا اركانها ويكملوها بسننها وادابها ويحفظوها من الاحباط باقتراف المآثم فالدوام يرجع الى انفس الصلوات والمحافظة الى احوالها حق معلوم هو الزكوة لانها مقدرة معلومة او صدقة يوظفها الرجل على نفسه يؤديها في اوقات معلومة السائل الذي يسأل والمحروم الذي يتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم يصدقون بيوم الدين تصديقا باعمالهم واستعدادهم له ويشفقون من عذاب ربهم واعترض بقوله عذاب ربهم غير مامون اي لا ينبغي لاحد وان بالغ في الطاعة والاجتهاد ان يامنه وينبغي ان يكون مترجحا بين الخوف والرجا وقرئ بشهادتهم وبشهاداتهم والشهادة من جملة الامانات وخصها من

من بينها إبانة لفضلها لأن في إقامتها إحياء الحقوق وتصحيحها وفي زيّها تضييعها وإبطالها فمال الذين
كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم
كان المشركون يحتفون حول النبي صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون ويستهزئون بكلامه ويقولون
إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت مهطعين مسرعين نحوك مادّي
أعناقهم إليك مقبلين بأبصارهم عليك عزين فرقا شتى جمع عزة وأصلها عزوة كأن كل
فرقة تعتزي إلى غير من تعتزي إليه الأخرى فهم مفترقون قال الكميت

ونحن وجندل باغ تركنا ... كتائب جندل شتى عزينا

وقيل كان المستهزئون خمسة أرهط كلا إنا خلقناهم مما يعلمون فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون
على أن نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي
يوعدون كلا ردع لهم عن طمعهم في دخول الجنة ثم علل ذلك بقوله تعالى إنا خلقناهم
مما يعلمون إلى آخر السورة وهو كلام دال على إنكارهم البعث فكأنه قال كلا إنهم منكرون للبعث
والجزاء فمن أين يطمعون في دخول الجنة فإن قلت من أي وجه دل هذا الكلام على إنكار البعث
قلت من حيث إنه احتجاج عليهم بالنشأة الأولى كالاحتجاج بها عليهم في مواضع من التنزيل
وذلك قوله تعالى خلقناهم مما يعلمون أي من النطف وبالقدرة على أن يهلكهم ويبدل ناسا خيرا
منهم وأنه ليس بمسبوق على ما يريد تكوينه لا يعجزه شيء والغرض أن من قدر على ذلك لم يعجزه الإعادة
ويجوز أن يراد إنا خلقناهم مما يعلمون أي من النطفة المذرة وهي منصبهم الذي لا منصب أوضع منه ولذلك أبهم
وأخفي إشعارا بأنه منصب يستحيى من ذكره فمن أين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن
الجنة قبلهم وقيل معناه إنا خلقناهم من نطفة كما خلقنا بني آدم كلهم ومن حكمنا أن
لا يدخل أحد منهم الجنة إلا بالإيمان والعمل الصالح فلم يطمع أن يدخلها من ليس له إيمان وعمل وقرئ
برب المشرق والمغرب يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون
أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون ويخرجون ويخرجون ومن الأجداث
سراعا بالإظهار والإدغام ونصب ونصب وهو كل ما نصب فعبد من دون الله يوفضون
يسرعون إلى الداعي مستبقين كما كانوا يستبقون إلى أنصابهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة سأل سائل أعطاه ثواب الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والله اعلم

سورة نوح عليه السلام مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي ثمان وعشرون آية

إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم قال يا قوم إني لكم
نذير مبين أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى
إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون أن أنذر أصله بأن أنذر فحذف الجار وأوصل الفعل وهي

أن

ان الناصبة للفعل والمعنى ارسلناه بأن قلنا له أنذر اي ارسلناه بالامر بالانذار ويجوز أن تكون مفسرة
لان الارسال فيه معنى القول وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه انذر بغير ان على ارادة القول وان اعبدوا
كوان انذر في الوجهين فإن قلت كيف قال ويؤخركم مع اخباره بامتناع تاخير الاجل وهل هذا إلا
تناقض قلت قضى الله مثلا ان قوم نوح عليه الصلاة والسلام ان امنوا عمرهم الف سنة وان بقوا
على كفرهم اهلكهم على رأس تسعماية فقيل لهم امنوا يؤخركم الى اجل مسمى اي الى وقت سماه الله عز
وجل وضربه امدا ينتهون اليه لا يتجاوزونه وهو الوقت الاطول تمام الالف ثم اخبر انه اذا جاء ذلكم الاجل
الامد لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت ولم يكن لكم حيلة فبادروا في اوقات الامهال والتاخير قال
رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعاءي إلا فرارا واني كلما دعوتهم لتغفر لهم
جعلوا اصابعهم في اذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكبارا ثم اني دعوتهم
جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا ليلا ونهارا دائبا من غير فتور مستغرقا
به الاوقات كلها فلم يزدهم دعاءي جعل الدعا فاعل زيادة الفرار والمعنى على انهم ازدادوا عنده فرارا
لانه سبب الزيادة ونحوه فزادتهم رجسا الى رجسهم فزادتهم ايمانا لتغفر لهم ليتوبوا عن كفرهم
فتغفر لهم فذكر المسبب الذي هو حظهم خالصا ليكونوا اقبح لاعراضهم عنه سدوا اسماعهم عن
استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم وتغطوا بها كانهم طلبوا ان تغشاهم ثيابهم او تغشيهم لئلا يبصروه
كراهة النظر الى وجه من ينصحهم في دين الله تعالى وقيل لئلا يعرفهم ويعضده قوله تعالى
الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الا حين يستغشون ثيابهم الاصرار من اصر الحمار على العانة
اذا صر اذنيه واقبل عليها يكدمها ويطردها استعير للاقبال على الاكباب والمعاصي عليها واستكبروا
واخذتهم العزة من اتباع نوح عليه الصلاة والسلام وطاعته وذكر المصدر تاكيد ودلالة على فرط
استكبارهم وعتوهم فان قلت ذكر انه دعاهم ليلا ونهارا ثم دعاهم جهارا ثم دعاهم في السر
والعلن فيجب ان يكون ثلث دعوات مختلفات حتى يصح العطف قلت قد فعل عليه الصلاة والسلام
كما يفعل الذي يامر بالمعروف وينهى عن المنكر في الابتداء بالاهون والترقي في الاشد فالاشد فافتتح
في المناصحة في السر فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة فلما لم تؤثر ثلث بين الجمع والاسرار والاعلان ومعنى
ثم الدلالة على تباعد الاحوال لان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بين الامرين اغلظ من افراد احدهما وجهارا
منصوب بدعوتهم نصب المصدر لان الدعا احد نوعيه الجهار فنصب به نصب القرفصاء بقعد لكونها احد
انواع القعود او لانه اراد بدعوتهم جاهرتهم ويجوز ان يكون صفة لمصدر دعا بمعنى دعاء جهارا اي مجاهرا [illegible]
مجاهرة [illegible] في موضع الحال اي مجاهرا فقلت [illegible] انه [illegible]
عليكم [illegible] باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا [illegible]
لله وقارا وقد خلقكم اطوارا امرهم بالاستغفار الذي هو التوبة عن الكفر والمعاصي وقدم الموعد
بما اوقع في نفوسهم واحب اليهم من المنافع الحاضرة والفوائد العاجلة ترغيبا في الايمان وبركاته والطاعة
ونتايجها من خير الدارين كما قال الله تعالى واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب ولو ان اهل
القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من

ربهم لاكلوا من فوقهم ولو استقاموا علي الطريقة لاسقيناهم وقيل لما كذبوه بعد طول تكرير الدعوة حبس
الله تعالي عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة وروي سبعين فوعدهم انهم ان امنوا
رزقهم الله الخصب ودفع عنهم ما كانوا فيه وعن عمر رضي الله تعالي عنه انه خرج يستسقي فما زاد علي
الاستغفار فقيل له ما رايناك استسقيت فقال لقد استسقيت بمجاديح السما التي يستنزل بها المطر
شبه الاستغفار بالانواء الصادقة التي لا تخطي وعن الحسن رحمه الله تعالي عليه ان رجلا شكا اليه الجدب
فقال استغفر الله وشكا اليه اخر الفقر واخر قلة النسل واخر قلة ريع ارضه فامرهم كلهم بالاستغفار
فقال له الربيع بن صبيح اتاك رجال يشكون ابوابا ويسئلون انواعا فامرتهم كلهم بالاستغفار فتلا له
هذه الاية والسما المظلة لان المطر منها ينزل الي السحاب ويجوز ان يراد السحاب و المطر من قوله

اذا نزل السما بارض قوم • رعيناه وان كانوا غضابا

والمدرار الكثير الدرور ومفعال مما يستوي فيه المذكر والمؤنث كقولهم رجل او امراة معطار ومتفال
جبات بساتين لا ترجون لله وقارا لا تاملون لله توقيرا اي تعظيما والمعني ما لكم لا تكونون علي حال
تاملون فيها تعظيم الله اياكم في دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة للوقار
وقوله تعالي وقد خلقكم اطوارا في موضع الحال كانه قال ما لكم لا تؤمنون بالله والحال هذه وهي حال
موجبة للايمان به لانه خلقكم اطوارا اي تارات خلقكم اولا ترابا ثم خلقكم نطفا ثم خلقكم علقا
ثم خلقكم مضغا ثم خلقكم عظاما ولحما ثم انشاكم خلقا اخر او لا تخافون لله حلما وترك معاجلة بالعقاب
وقيل ما لكم لا تخافون لله عظمة وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا تخافون لله عاقبة لان العاقبة حال استقرار
الامور وثبات الثواب والعقاب من وقر اذا ثبت واستقر الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا
وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا نبههم علي النظر في انفسهم اولا لانها اقرب منظور فيه
منهم ثم علي النظر في العالم وما سوي فيه من العجائب الشاهدة علي الصانع الباهر قدرته وعلمه من السموات
والارض والشمس والقمر فيهن في السموات وهي في السما الدنيا لان بين السموات ملابسة من حيث انها طباق
فجاز ان يقال فيهن كذا وان لم يكن في جميعهن كما يقال في المدينة كذا وهو في بعض نواحيها وعن ابن عباس
وابن عمر رضي الله عنهم ان الشمس والقمر وجوههما مما يلي السماء وظهورهما مما يلي الارض وجعل الشمس
سراجا يبصر اهل الدنيا في ضوءها كما يبصر اهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون الي ابصاره والقمر
ليس كذلك انما هو نور لم يبلغ قوة ضياء الشمس ومثله قوله عز وجل هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر
نورا والضياء اقوي من النور والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا والله
جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا استعير الانبات للانشاء كما يقال زرعك الله للخير
وكانت هذه الاستعارة ادل علي الحدوث لانهم اذا كانوا نباتا كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات ومنه
قيل للحشوية النابتة والنوابت لحدوث مذهبهم في الاسلام من غير اولية لهم فيه ومنه قولهم نجم فلان لبعض
المارقة والمعني انبتكم فنبتم نباتا او نصب انبتكم لتضمنه معني نبتم ثم يعيدكم فيها مقبورين ثم يخرجكم
يوم القيمة واكده بالمصدر كانه قال يخرجكم حقا ولا محالة جعلها بساطا مبسوطة يتقلبون عليها
كما يتقلب الرجل علي بساطه فجاجا واسعة منفجة قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله

وولده

وُلْدُهُ إِلَّا خَسَارًا وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا واتبعوا رؤوسهم المقدمين أصحاب الأموال والأولاد وارتسموا
ما رسموا لهم من التمسك بعبادة الأصنام وجعل أموالهم وأولادهم التي لم تزدهم إلا وجاهة
ومنفعة في الدنيا زائدة خسارا في الآخرة وأجرى ذلك مجرى صفة لازمة لهم وسمة يعرفون
بها تحقيقا له وتثبيتا وإبطالا لما سواه. وقرئ وَوَلَدُه ووُلْدُه بضم الواو وكسرها. ومكروا معطوف
على لم يزده وجمع الضمير وهو راجع إلى من لأنه في معنى الجمع والماكرون هم الرؤساء ومكرهم احتيالهم
في الدين وكيدهم لنوح عليه السلام وتحريش الناس على أذاه وصدهم عن الميل إليه والاستماع منه وقولهم
لهم لا تذرن آلهتكم ولا تذرن آلهتكم إلى عبادة رب نوح ومكرا كبارا قرئ بالتخفيف والتثقيل
والكبار أكبر من الكبير والكبّار أكبر من الكبار ونحوه طوال وطوّال وقالوا لا تذرن آلهتكم
ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين
إلا ضلالا ولا تذرن ودا أولا وكان هذه المسماة كانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم فخصوها
بعد قولهم لا تذرن آلهتكم وقد انتقلت هذه الأصنام عن قوم نوح عليه الصلاة والسلام إلى العرب
فكانت ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ولذلك سميت العرب بعبد
ود ونسر لحمير ولذلك سميت العرب بعبد ود وعبد يغوث. وقيل هي أسماء رجال صالحين
وقيل من أولاد آدم عليه الصلاة والسلام ماتوا فقال إبليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون
إليهم ففعلوا فلما مات أولئك قال لمن بعدهم إنهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقيل كان ود على صورة
رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة
نسر. وقرئ وُدّا بضم الواو. وقرأ الأعمش ولا يغوثا ويعوقا بالصرف وهذه قراءة
مشكلة لأنهما إن كانا عربيين أو عجميين ففيهما سببا منع الصرف إما التعريف ووزن الفعل وإما التعريف
والعجمة ولعله قصد الازدواج فصرفهما لمصادفته أخواتهما منصرفات ودا وسواعا ونسرا كما قرئ
وضحاها بالإمالة لوقوعه مع الممالات للازدواج وقد أضلوا الضمير للرؤساء ومعناه وقد أضلوا
كثيرا قبل هؤلاء الموصين بأن يتمسكوا بعبادة الأصنام ليسوا بأول من أضلوهم أو وقد أضلوا بإضلالهم
كثيرا يعني أن هؤلاء المضلين فيهم كثرة ويجوز أن يكون للأصنام كقوله تعالى إنهن أضللن كثيرا من الناس
فإن قلت علام عطف قوله ولا تزد الظالمين قلت على قوله تعالى رب إنهم عصوني على
حكاية كلام نوح عليه الصلاة والسلام بعد قال وبعد الواو النائبة عنه ومعناه قال رب إنهم عصوني
وقال لا تزد الظالمين إلا ضلالا أي قال هذين القولين وهما في محل النصب لأنهما مفعولا قال كقولك
قال زيد نودي للصلاة وصلّ في المسجد تحكي قوليه معطوفا أحدهما على صاحبه فإن قلت
كيف جاز أن يريد لهم الضلال ويدعو الله تعالى بزيادته قلت المراد بالضلال أن يخذلوا
ويمنعوا الألطاف لتصميمهم على الكفر ووقوع اليأس من إيمانهم وذلك حسن جميل يجوز الدعاء به بل لا
يحسن الدعاء بخلافه. ويجوز أن يريد بالضلال الضياع والهلاك كقوله تعالى ولا تزد الظالمين إلا تبارا
مما خطاياهم أغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا تقديم مما خطيئاتهم لبيان
أن لم يكن إغراقهم بالطوفان فإدخالهم النار إلا من أجل خطيئاتهم وأكد هذا المعنى بزيادة ما وفي قراءة

ابن مسعود رضي الله تعالى عنه من خطيئاتهم ما اغرقوا بتأخير الصلة وكفى بها مزجرة لمرتكب الخطايا فإن كفر
قوم نوح عليه الصلاة والسلام كان واحدة من خطيئاتهم وان كانت كبراهن وقد نعيت عليهم سائر خطيئاتهم
كما نعي عليهم كفرهم ولم يفرق بينه وبينهن في استيجاب العذاب لئلا يتكل المسلم الخاطي على اسلامه وخطيئتهم
بالتوحيد على ارادة الجنس ويجوز ان يراد الكفر فادخلوا نارا جعل دخولهم النار في الآخرة كأنه متعقب
لاغراقهم لاقترابه ولانه كائن لا محالة فكأنه قد كان او اريد عذاب القبر ومن مات في ماء او في نار او اكلته
السباع والطير اصابه ما يصيب المقبور من العذاب وعن الضحاك كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من
جانب ۝ وتنكير النار اما لتعظيمها او لان الله عز وجل اعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار فلم يجدوا
لهم من دون الله انصارا تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله وانها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم
كأنه قال فلم يجدوا لهم من دون الله آلهة ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله لقوله تعالى ام لهم آلهة تمنعهم
من دوننا وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك
ولا يلدوا الا فاجرا كفارا ديارا من الاسماء المستعملة في النفي العام يقال ما بالدار ديار وديور كقيام
وقيوم فيعال من الدور او من الدار اصله ديوار ففعل به ما فعل باصل سيد ولو كان
فعالا لكان دوارا فان قلت بم علم ان اولادهم يكفرون وكيف وصفهم بالكفر عند الولادة قلت
لبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فذاقهم واكلهم وعرف طباعهم واحوالهم وكان الرجل منهم ينطلق
بابنه اليه ويقول احذر هذا فانه كذاب وان ابي حذرنيه فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك وقد
اخبره الله عز وجل انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن ومعنى لا يلدوا الا فاجرا كفارا
لا يلدوا الا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون اليه كقوله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا
فله سلبه رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين ۝
الا تبارا ولوالدي ابوه لمك بن متوشلخ وامه شمخا بنت انوش كانا مؤمنين وقيل هما آدم
وحوا عليهما السلام وقرأ امير المؤمنين الحسين بن علي رضي الله عنهما ولولدي يريد ساما وحاما
بيتي منزلي وقيل مسجدي وقيل سفينتي خص اولا من يتصل به لانهم اولى واحق بدعائه ثم عم المؤمنين
والمؤمنات تبارا هلاكا فان قلت ما ذنب صبيانهم حتى اغرقوا قلت غرقوا معهم
لا على وجه العقاب ولكن كما يموتون بالانواع من اسباب الهلاك وكم منهم من يموتون بالغرق والحرق
وكان ذلك زيادة في عذاب الآباء والامهات اذا ابصروا اطفالهم يغرقون ومنه قوله
صلى الله عليه وسلم يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن رحمه الله تعالى عليه
انه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فاهلكهم بغير عذاب وقيل اعقم الله تعالى ارحام ۝
نسائهم وايبس اصلاب رجالهم قبل الطوفان باربعين او سبعين سنة فلم يكن معهم صبي حين اغرقوا عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح عليه الصلاة والسلام كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام

سورة الجن مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي اربع وعشرون آية

قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به

ولن نشرك بربنا احدا وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا قرئ أُحي واصله
وُحي يقال اوحى اليه ووحى اليه فقلبت الواو همزة كما يقال أعد وأزن واذا الرسل أُقتت
وهو من القلب المطلق جوازه في كل واو مضمومة وقد اطلقه المازني في المكسورة ايضا كاشاح
واسادة واعاء اخيه وقرأ ابن ابي عبلة وحي على الاصل انه استمع بالفتح لانه فاعل أوحي
وانا بالكسر لانه مبتدأ محكي بعد القول ثم تحمل عليها البواقي فما كان من الوحي فتح وما كان
من قول الجن كسر وكلهن من قولهم الا الثنتين الاخريين وان المساجد لله وانه لما قام ومن فتح كلهن
فعطفا على محل الجار والمجرور في آمنا به كانه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا
وانه كان يقول سفيهنا وكذلك البواقي نفر من الجن جماعة منهم ما بين الثلثة الى العشرة
وقيل كانوا من الشيصبان وهم اكثر الجن عددا وعامة جنود ابليس منهم فقالوا انا سمعنا اي قالوا
انا سمعنا ايضا لقومهم حين رجعوا اليهم لقوله تعالى فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين
قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا بديعا مباينا لسائر الكتب في حسن نظمه وصحة معانيه قائمة فيه
دلائل الاعجاز والعجب مصدر يوضع موضع العجيب وفيه مبالغة وهو ما خرج عن حد اشكاله
ونظايره يهدي الى الرشد يدعو الى الصواب وقيل الى التوحيد والايمان
والضمير للقرآن فآمنا به ولما كان الايمان به ايمانا بالله عز وجل وبوحدانيته وبراءة من الشرك قالوا
ولن نشرك بربنا احدا اي ولن نعود الى ما كنا عليه من الاشراك به في طاعة الشيطان ويجوز ان
يكون الضمير لله عز وجل لان قوله تعالى بربنا يفسره جد ربنا عظمته من قولك جد فلان في
عيني اي عظم وفي حديث عمر رضي الله عنه كان الرجل منا اذا قرأ البقرة وآل عمران جد
فينا وروي في اعيننا او ملكه وسلطانه او غناه استعارة من الجد الذي هو الدولة والبخت
لان الملوك والاغنياء هم المجدودون والمعنى وصفه بالتعالي عن الصاحبة والولد لعظمته
او لسلطانه وملكوته او لغناه وقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لذلك وقرئ جدا
ربنا على التمييز وجد ربنا بالكسر اي صدق ربوبيته وحق الهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد
وذلك انهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد والايمان تنبهوا على الخطاء فيما اعتقده
كفرة الجن من تشبيه الله بخلقه واتخاذه صاحبة وولدا فاستعظموه ونزهوه عنه وانه كان
يقول سفيهنا على الله شططا وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا
وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا سفيههم ابليس عليه
او غيره من مردة الجن والشطط مجاوزة الحد والظلم وغيره ومنه الشط في السوم اذا
ابعد فيه اي يقول قولا هو في نفسه شطط لفرط ما اشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد الى الله
تعالى وكان في ظننا ان احدا من الثقلين ان لا يكذب على الله ولن يفتري عليه ما ليس بحق فكنا
نصدقهم فيما اضافوا اليه وذلك حتى تبين لنا بالقرآن كذبهم وانتصاب كذبا على انه مصدر
مؤكد وبابه او نصب نصب المصدر لان الكذب نوع من القول ومن قرأ ان لن تقول
وضع كذبا موضع تقولا ولم يجعله صفة لان التقول لا يكون الا كذبا الرهق غشيان المحارم

والمعنى ان الانس باستعاذتهم زادوهم كبرا وكفرا وذلك ان الرجل من العرب كان اذا امسى في واد قفر
في بعض مسايره وخاف على نفسه قال اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم
فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الجن والانس فذلك رهقهم او فزادوهم الجن والانس رهقا
باغوائهم واضلالهم لاستعاذتهم بهم وانهم ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله احدا وانا لمسنا
السما فوجدناها ملئت حرسا شديدا وانهم وان الانس ظنوا كما ظننتم وهو من كلام الجن يقوله
بعضهم لبعض وقيل الايتان من جملة الوحي والضمير في وانهم ظنوا للجن والخطاب في ظننتم لكفار
قريش اللمس المس فاستعير للطلب لان الماس طالب متعرف قال مسسنا من الآباء شيئا وكلنا الى نسب
في قومه غير واضع يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه ونحوه الجس وقولهم
جسوه باعينهم وتجسسوا والمعنى طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام اهلها والحرس اسم مفرد في
معنى الحراس كالخدم في معنى الخدام فلذلك وصف بشديد ولو ذهب الى معناه لقيل شدادا
ونحوه اخشى رجيلا او ركيبا غاديا لان الرجل والركب مفردان في معنى الرجال والركاب
وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا وانا لا ندري اشر
اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا والرصد مثل الحرس اسم جمع للراصد على معنى
ذوي شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع
ويجوز ان يكون صفة للشهاب بمعنى الراصد او كقوله ومعا جياعا يعني يجد شهابا راصدا له
ولاجله فان قلت كان الرجم لم يكن في الجاهلية وقد قال تعالى ولقد زينا السما الدنيا
بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فذكر فايدتين في ذكر الكواكب التزيين ورجم الشياطين
قلت قال بعضهم حدث مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وهو احدى اياته والصحيح انه
كان قبل المبعث وقد جاء ذكره في شعر اهل الجاهلية قال بشر بن ابي خازم والعير
يرهقها الغبار وجحشها ينقض خلفهما انقضاض الكواكب • وقال اوس بن حجر
• وانقض كالدري يتبعه نقع يثور تخاله طنبا • وقال عوف بن الخرع
• يرد علينا العير من دون الفه • او الثور كالدري يتبعه الدم •
ولكن الشياطين كانت تسترق في بعض الاحوال فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كثر الرجم وزاد
زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق اصلا • وعن عمر رضي الله تعالى عنه
قلت للزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت ارايت قوله تعالى • وانا كنا
نقعد منها فقال غلظت وشدد امرها حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم وروى
الزهري عن ابن الحسين عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
جالس في نفر من الانصار • اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية
فقالوا كنا نقول يموت عظيم • او يولد عظيم • وفي قوله ملئت دليل على ان الحادث • هو
الملء والكثرة • وكذلك قوله تعالى نقعد منها مقاعد اي كنا نجد فيها بعض المقاعد •
خالية من الحرس • والشهب والان ملئت • المقاعد كلها وهذا ذكر ما حملهم على الضرب في البلاد

حتى

حتي عثروا علي رسول الله صلي الله عليه وسلم واستمعوا قراءته يقولون لما حدث هذا الحادث من كثرة الرجم
ومنع الاستراق قلنا ما هذا الا لامر اراده الله باهل الارض ولا يخلو من ان يكون شرا او رشدا اي خيرا
من عذاب او رحمة او من خذلان او توفيق وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرايق
قددا وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا منا الصالحون الابرار المتقون
ومنا دون ذلك ومنا قوم دون ذلك فحذف الموصوف كقوله تعالي وما منا الا له مقام معلوم
وهم المقتصدون في الصلاح غير الكاملين فيه او اراد الطالحين كنا طرايق قددا بيان للقسمة المذكورة
اي كنا ذوي مذاهب متفرقة مختلفة او كنا في اختلاف احوالنا مثل الطرايق المختلفة او كنا في طرايق
مختلفة كقوله • كما عسل الطريق الثعلب • او كانت طرايقنا طرايق قددا علي حذف الطرايق الذي هو المضاف
الذي هو الطرايق واقامة الضمير المضاف اليه مقامه والقدد من قد كالقطعة من قطع ووصفت
الطرايق بالقدد لدلالتها علي معني التقطع والتفرق في الارض وهربا حال اي لن نعجزه كاينين
في الارض اينما كنا فيها ولن نعجزه هاربين منها الي السما وقيل لن نعجزه في الارض ان اراد بنا
امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا والظن بمعني اليقين وهذه صفة احوال الجن وما هم عليه من احوالهم
وعقايدهم منهم اخيار واشرار ومقتصدون وانهم يعتقدون ان الله تعالي عزيز غالب لا يفوته مطلب
ولا ينجي عنه مهرب وانا لما سمعنا الهدي امنا به فمن يومن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا
لما سمعنا الهدي هو سماعهم القران وايمانهم به فلا يخاف فهو لا يخاف اي فهو غير خايف ولان الكلام
في تقدير مبتدا وخبر دخلت الفاء ولولا ذلك لقيل لا يخف فان قلت اي فايدة في رفع
الفعل وتقدير مبتدا قبله حتي يقع خبرا له ووجوب ادخال الفاء وكان ذلك كله مستغني عنه
بان يقال لا يخف قلت الفايدة فيه انه اذا فعل ذلك فكانه قيل فهو لا يخاف فكان دالا علي
تحقيق ان المومن ناج لا محالة وانه هو المختص بذلك دون غيره وقرا الاعمش فلا يخف علي
النهي بخسا ولا رهقا اي جزا بخس ولا رهق لانه لم يبخس احدا حقا ولا رهق ظلم احد فلا يخاف
جزاهما وفيه دلالة علي ان من حق من امن بالله ان يجتنب المظالم ومنه قوله صلي الله عليه وسلم
المومن من امنه الناس علي انفسهم ودمايهم واموالهم ويجوز ان يراد فلا يخاف ان يبخس بل يجزي الجزا
الاوفي ولا ان ترهقه ذلة من قوله سبحانه وتعالي ترهقهم ذلة وانا منا المسلمون
ومنا القاسطون فمن اسلم فاوليك تحروا رشدا واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا
القاسطون الكافرون الجايرون علي طريق الحق وعن سعيد بن جبير رضي الله تعالي عنه ان الحجاج
قال له حين اراد قتله ما تقول في قال قاسط عادل فقال القوم ما احسن ما قال حسبوا انه يصفه
بالقسط والعدل فقال الحجاج يا جهلة انه سماني ظالما جاهلا مشركا وتلا لهم قوله تعالي واما القاسطون
وقوله تعالي ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقد زعم من لا يري للجن ثوابا ان الله تعالي اوعد
قاسطيهم وما وعد مسلميهم وكفي به وعدا ان قال فاوليك تحروا رشدا فذكر سبب الثواب
وموجبه والله اعدل ان يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد وان لو استقاموا علي الطريقة
لاسقيناهم ما غدقا لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا

وان لو استقاموا ان مخففة من الثقيلة وهو من جملة الموحى والمعنى واوحي الي ان الشان والحديث لو استقام الجن على الطريقة المثلى اي لو ثبت ابوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله والطاعة ولم يستكبر عن السجود لادم عليه الصلاة والسلام ولم يكفر وتبعه ولده على الاسلام لانعمنا عليهم ولوسعنا رزقهم وذكر الماء الغدق وهو الكثير بفتح الدال وكسرها وقرئ بهما لانه اصل المعاش وسعة الرزق لنفتنهم فيه لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما خولوا فيه ويجوز ان يكون معناه ولو استقام الجن الذين استمعوا على طريقتهم التي كانوا عليها قبل الاستماع ولم ينتقلوا عنها الى الاسلام لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنفتنهم فيه لتكون النعمة سببا في اتباعهم شهواتهم ووقوعهم في الفتنة وازديادهم اثما او لنعذبهم في كفران النعمة عن ذكر ربه عن عبادته او عن موعظته او عن وحيه يسلكه وقرئ بالنون مفتوحة ومضمومة اي ندخله عذابا والاصل نسلكه في عذاب كقوله تعالى ما سلككم في سقر فعدي الى مفعولين اما بحذف الجار وايصال الفعل كقوله تعالى واختار موسى قومه سبعين رجلا واما بتضمينه معنى ندخله سلكه واسلكه قال حتى اذا سلكوهم في قتائدة والصعد مصدر صعد يقال صعد صعدا وصعودا فوصف به العذاب لانه يتصعد المعذب اي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه ومنه قول عمر رضي الله تعالى عنه ما تصعدني شيء ما تصعدتني خطبة النكاح يريد ما شق علي ولا غلبني وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وان المساجد من جملة الموحى وقيل معناه ولان المساجد لله فلا تدعوا على ان اللام متعلقة بلا تدعوا اي فلا تدعوا مع الله احدا في المساجد لانها لله خاصة ولعبادته وعن الحسن رحمة الله عليه يعني الارض كلها لانها جعلت للنبي صلى الله عليه وسلم مسجدا وقيل المراد بها المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومنه قوله عز وجل ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وعن قتادة كان اليهود لعنهم الله والنصارى اذا دخلوا بيعهم وكنائسهم اشركوا بالله فامرنا ان نخلص لله الدعوة اذا دخلنا المساجد وقيل المساجد اعضاء السجود السبعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اسجد على سبعة اراب وهي الجبهة والانف واليدان والركبتان والقدمان وقيل هي جمع مسجد وهو السجود وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا عبد الله النبي صلى الله عليه وسلم فان قلت هلا قيل رسول الله صلى الله عليه وسلم او النبي قلت لان تقديره واوحي الي انه لما قام عبد الله فلما كان واقعا في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه جيء به على ما يقتضيه التواضع والتذلل او لان المعنى ان عبادة عبد الله لله ليست بامر مستبعد عن العقل ولا مستنكر حتى يكونوا عليه لبدا ومعنى قام يدعوه قام يعبده يريد قيامه لصلاة الفجر بنخلة حين اتاه الجن فاستمعوا لقراءته كادوا يكونون عليه لبدا اي يزدحمون عليه متراكمين تعجبا مما راوا من عبادته واقتداء اصحابه به قائما وراكعا وساجدا واعجابا بما تلا من القران لانهم راوا ما لم يروا مثله وسمعوا ما لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام رسولا يعبد الله وحده مخالفا للمشركين في عبادتهم الالهة من دونه كاد المشركون لتظاهرهم عليه وتعاونهم على عداوته يزدحمون عليه متراكمين لبدا جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه فوق بعض

ومنه

ومنها اللبدة الاسد. وقرئ لُبَدًا واللبدة في معنى اللبدة ولبدا جمع لابد كساجد وسجد ولبدا بضمتين جمع لبود كصبور وصبر. وعن قتادة تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطفئوه فابى الله الا ان ينصره ويظهره على من ناواه ومن قرأ وانه بالكسر جعله من كلام الجن قالوه لقومهم حين رجعوا اليهم حاكين ما راوا من صلوته وازدحام اصحابه عليه في ائتمامهم به قال انما ادعوا ربي ولا اشرك به احدا قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا قالت للظاهرين عليه انما ادعوا ربي يريد ما اتيتكم بامر منكر انما اعبد ربي وحده ولا اشرك به احدا وليس ذلك مما يوجب اطباقكم على مقتي وعداوتي او قال للجن عند ازدحامهم متعجبين ليس ما ترون من عبادتي الله ورفضي الاشراك به بامر يتعجب منه انما يتعجب ممن يدعو غير الله ويجعل له شريكا او قال الجن لقومهم ذلك حكاية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولا رشدا ولا نفعا. او اراد بالضر الغي ويدل عليه قراءة ابي رضي الله عنه غيا ولا رشدا. والمعنى لا استطيع ان اضركم وان انفعكم انما الضار والنافع الله او لا استطيع ان اقسركم على الغي والرشد انما القادر على ذلك الله عز وجل. الا بلاغا استثناء منه اي لا املك الا بلاغا من الله قل اني لن يجيرني من الله احد ولن اجد من دونه ملتحدا الا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا وقل اني لن يجيرني جملة معترضة اعترض بها لتاكيد نفي الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه على معنى ان الله تعالى ان اراد به سوءا من مرض او موت او غيرهما لم يصح ان يجيره منه احد او يجد من دونه ملاذا ياوي اليه والملتحد الملتجا واصله المفتعل من اللحد. وقيل محيصا ومعدلا. وقرئ لا املك اي لا يملك عبد الله للمشركين وللجن ويجوز ان يكون من حكاية الجن لقومهم. وقيل بلاغا بدل من ملتحدا اي لن اجد من دونه منجا الا ان ابلغ عنه ما ارسلني به. وقيل الا هي ان لا ومعناه ان لا ابلغ بلاغا كقولك ان لا قياما فقعودا. ورسالاته عطف على بلاغا كانه قيل لا املك لكم الا التبليغ والرسالات والمعنى الا ان ابلغ عن الله فاقول قال الله كذا ناسبا لقوله اليه وان ابلغ رسالاته التي ارسلني بها من غير زيادة ولا نقصان فان قلت الا يقال بلغ عنه ومنه قوله عليه السلام بلغوا عني قلت من ليست بصلة للتبليغ انما هي بمنزلة من في قوله براءة من الله بمعنى بلاغا كائنا من الله. وقرئ فان له نار جهنم على فجزاؤه ان له نار جهنم كقوله تعالى فان لله خمسه اي فحكمه ان لله خمسه وقال خالدين حملا على معنى الجمع في من حتى اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا فان قلت بم تعلق حتى وجعل ما بعده غاية له قلت بقوله يكونون عليه لبدا على انهم يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون انصاره ويستقلون عدده حتى اذا راوا ما يوعدون من يوم بدر واظهار الله تعالى له عليهم او من يوم القيمة فسيعلمون حينئذ انهم اضعف ناصرا واقل عددا ويجوز ان يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال من استضعاف الكفار له واستقلالهم لعدده كانه قال لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا راوا ما يوعدون قل ان ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول قال المشركون متى يكون هذا الموعود انكارا له فقيل قل انه كائن لا ريب فيه فلا تنكروه فان الله قد وعد ذلك وهو لا يخلف الميعاد. واما وقته فما ادري متى يكون لان الله عز وجل لم يبينه لما راى من اخفاء وقته من المصلحة فان قلت ما معنى قوله تعالى ام يجعل له ربي امدا. والامد يكون قريبا وبعيدا الا ترى الى قوله عز وعلا تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا قلت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقرب الموعد فكانه قال ما ادري اهو حال متوقع في كل ساعة ام موجل ضربت

له غاية اي هو عالم الغيب فلا يظهر فلا يطلع ومن رسول تبيين لمن ارتضى يعني انه لا يطلع على الغيب الا المرتضى الذي
هو مصطفى للنبوة خاصة لا كل مرتضى وفي هذا ابطال الكرامات لان الذين تضاف اليهم وان كانوا اولياء مرتضين
فليسوا برسل وقد خص الله تعالى الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وابطال الكهانة والتنجيم لان اصحابهما ابعد
شيء من الارتضاء وادخله في السخط **فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم**
واحاط بما لديهم واحصى كل شيء عددا فانه يسلك من بين يدي من ارتضى للرسالة ومن خلفه رصدا حفظة
من الملائكة يحفظونه من الشياطين يطردونهم عنه ويعصمونه من وساوسهم وتخاليطهم حتى يبلغ ما اوحي اليه
وعن الضحاك ما بعث نبي الا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين ان يتشبهوا بصورة الملك **ليعلم** الله ان قد ابلغوا
رسالات ربهم يعني الانبياء عليهم السلم وحد اولا على اللفظ في قوله من بين يديه ومن خلفه ثم جمع على المعنى
كقوله تعالى فان له نار جهنم خالدين والمعنى ليبلغوا رسالات ربهم كما هي محروسة من الزيادة والنقصان وذكر
العلم كذكره في قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين منكم وقرئ ليعلم على البناء للمفعول واحاط بما لديهم بما عند
الرسل من الحكم والشرائع لا يفوته منها شيء ولا ينسى منها حرفا فهو مهيمن عليها حافظ لها **واحصى كل شيء**
عددا من القطر والرمل وورق الاشجار وزبد البحار فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه **وعددا**
حال اي وضبط كل شيء معدودا محصورا او مصدر في معنى احصاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا عليه السلم وكذب به عتق رقبة

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible] آية

يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه ورتل القرآن ترتيلا المزمل المتزمل
وهو الذي تزمل في ثيابه اي تلفف بها بادغام التاء في الزاي ونحوه المدثر في المتدثر وقرئ المتزمل على الاصل
والمزمل بتخفيف الزاي وفتح الميم وكسرها على انه اسم فاعل او مفعول من زمله وهو الذي زمله غيره او زمل
نفسه وكان رسول الله عليه السلام نائما بالليل متزملا في قطيفة فنبه ونودي بما يهجن اليه الحالة التي كان عليها
من التزمل في قطيفته واستعداده للاستثقال في النوم كما يفعل من لا يهمه امر ولا يعنيه شان الا ترى الى قول
ذي الرمة وكاين تخطت ناقتي من مفازة ومن نائم عن ليلها متزمل **و**يريد الكسلان المتقاعس الذي لا ينهض
في معاظم الامور وكفايات الخطوب ولا يحمل نفسه المشاق والمتاعب ونحوه شمر اذا ما نام ليل الهوجل وفي امثالهم
اوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا توردها يا سعد الابل **ف**ذمه بالاشتمال بكسائه وجعل ذلك خلاف الجلد والكيس
وامر بان يختار على الهجود التهجد وعلى التزمل التشمر والتخفف للعبادة والمجاهدة في الله تعالى لا جرم ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قد تشمر لذلك مع اصحابه حق التشمر واقبلوا على احياء لياليهم ورفضوا له الرقاد والدعة
وتجاهدوا فيه حتى انتفخت اقدامهم واصفرت الوانهم وظهرت السيمى في وجوههم وترامى امرهم الى
حد رحمهم له ربهم فخفف عنهم وقيل كان متزملا في مرط لعائشة رضي الله عنها يصلي فهو على هذا ليس
بتهجين بل هو ثناء عليه وتحسين لحاله التي كان عليها وامر بان يدوم على ذلك ويواظب عليه وعن عائشة رضي
الله عنها انها سئلت ما كان تزميله قالت كان مرطا طوله اربع عشرة ذراعا نصفه علي وانا نائمة ونصفه
عليه وهو يصلي فسئلت ما كان قالت والله ما كان خزا ولا قزا ولا مرعزى ولا ابريسما ولا صوفا كان سداه شعرا

الحمة

وحمته وبزّله وقيل دخل على خديجة رضي الله عنها وقد جئث فرقا اول ما اتاه جبريل عليه السلام وبوادره ترعد فقال زملوني زملوني
وحسب انه عرض له فبينا هو على ذلك اذ ناداه جبريل عليه السلام فقال يا ايها المزمل وعن عكرمة ان المعنى يا ايها الذي
زمّل امرا عظيما اي حُمّله والزمل الحمل وازدمله احتمله وقرئ قم الليل بضم الميم وفتحها قال عثمان بن جني رحمه
الله الغرض بهذه الحركة التبلغ بها هربا من التقاء الساكنين فباي الحركات تحرك فقد وقع الغرض و نصفه بدل
من الليل والا قليلا استثناء من النصف كانه قيل قم اقل من نصف الليل والضمير في منه وعليه للنصف والمعنى التخيير
بين امرين بين ان يقوم اقل من نصف الليل على البت وبين ان يختار احد الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة ده:
عليه وان شئت جعلت نصفه بدلا من قليلا وكان تخييرا بين ثلاث بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص
منه وبين قيام الزائد عليه وانما وصف النصف بالقلة بالنسبة الى الكل وان شئت قلت لما كان معنى قم الليل
الا قليلا نصفه اذا ابدلت النصف من الليل قم اقل من نصف الليل او قم انقص من ذلك الاقل او ازيد منه قليلا
فيكون التخيير فيما وراء النصف بينه وبين الثلث ويجوز اذا ابدلت نصفه من قليلا وفسرته به ان تجعل
قليلا الثاني بمعنى نصف النصف وهو الربع كانه قيل او انقص منه قليلا نصفه وتجعل المزيد على هذا القليل اعني
الربع نصف الربع كانه قيل او زد عليه قليلا نصفه ويجوز ان تجعل الزيادة لكونها مطلقة تتمة الثلث فيكون تخييرا
بين النصف والثلث والربع فان قلت اكان القيام فرضا او نفلا قلت عن عائشة رضي الله عنها ان الله والربع م
جعله تطوعا بعد ان كان فريضة وقيل كان فرضا قبل ان تفرض الصلوات الخمس ثم نسخ بهن الا ما تطوعوا به
وعن الحسن رحمة الله عليه كان قيام ثلث الليل فريضة وكانوا على ذلك سنة وقيل كان واجبا وانما وقع التخيير في
المقدار ثم نسخ بعد عشر سنين وعن الكلبي كان يقوم الرجل حتى يصبح مخافة ان لا يحفظ بين النصف والثلث والثلثين
ومنهم من قال كان نفلا بدليل التخيير في المقدار ولقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك و ترتيل القرآن
قراءته على ترسل وتؤدة بتبيين الحروف واشباع الحركات حتى يجيء المتلو منه شبيها بالثغر المرتل وهو المفلج
المشبه بنور الاقحوان وان لا يهذه هذا ولا يسرده سردا كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه شر السير
الحقحقة وشر القراءة الهذرمة حتى يشبه المتلو في تتابعه الثغر الالص وسئلت عائشة رضي الله عنها عن
قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا كسردكم هذا لو اراد السامع ان يعد حروفه لعدها و ترتيلا تاكيد
في ايجاب الامر به وانه ما لا بد منه للقارئ انا سنلقي عليك قولا ثقيلا هذه الاية اعتراض ويعني بالقول
الثقيل القرآن وما فيه من الاوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين خاصة على رسول الله عليه السلام
لانه يتحملها بنفسه ويحملها امته فهي اثقل عليه وابهظ له واراد بهذا الاعتراض ان ما كلفه من قيام الليل من
جملة التكاليف الثقيلة الصعبة التي ورد بها القرآن لان الليل وقت السبات والراحة والهدو فلا بد لمن احياه
من مضادة لطبعه ومجاهدة لنفسه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان اذا نزل عليه الوحي ثقل عليه وتربد له
جلده وعن عائشة رضي الله عنها رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه
ليرفض عرقا وعن الحسن رحمة الله عليه ثقيل في الميزان وقيل ثقيل على المنافقين وقيل كلام له وزن ورجحان
ليس بالسفساف ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا ناشئة الليل النفس الناشئة بالليل التي تنشأ
من مضجعها الى العبادة اي تنهض وترتفع من نشأت السحابة اذا ارتفعت ونشأ من مكانه ونشز اذا
نهض قال نشأنا الى خوص برى نيّها السرى والصق منها مشرفات القماحد

او قيام الليل على ان الناشئة مصدر من نشأ اذا قام ونهض على فاعلة كالعاقبة ويدل عليه ما روي عن عبيد بن عمير
قلت لعائشة رضي الله عنها رجل قام من اول الليل اتقولين له قام ناشئة قالت لا انما الناشئة القيام بعد النوم ففسرت
الناشئة بالقيام عن المضجع او العبادة التي تنشأ بالليل اي تحدث وترتفع وقيل هي ساعات الليل كلها لانها تحدث واحدة بعد
اخرى وقيل الساعات الاول منه وعن علي بن الحسين رضي الله عنهما انه كان يصلي بين المغرب والعشاء ويقول اما
سمعتم قول الله تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطأ هي خاصة دون ناشئة النهار اشد مواطأة يواطئ قلبها لسانها
ان اردت النفس او يواطئ فيها قلب القائم لسانه ان اردت القيام او العبادة او الساعات او اشد موافقة لما يراد من
الخشوع والاخلاص وعن الحسن رحمة الله عليه اشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق وقرئ اشد
وطأ بالفتح والكسر اشد ثبات قدم وابعد من الزلل او اثقل واغلظ على المصلي من صلوة النهار من قوله صلى
الله عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر واقوم قيلا واشد مقالا واثبت قراءة لهدو الاصوات وعن
انس رضي الله عنه انه قرأ واصوب قيلا فقيل له يا ابا حمزة انما هي اقوم فقال ان اقوم واصوب واهيأ واحد وروى ابو زيد
الانصاري عن ابي سرار الغنوي انه كان يقرأ فحاسوا بالحاء غير معجمة فقيل له انما هو جاسوا فقال جاسوا وحاسوا
واحد ان لك في النهار سبحا طويلا تصرفا وتقلبا في مهماتك وشواغلك ولا تفرغ الا بالليل فعليك بمناجاة
الله التي تقتضي فراغ البال وانتفاء الشواغل فاما القراءة بالخاء فاستعارة من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر
اجزائه لانتشار الهم وتفرق القلب بالشواغل كلفه قيام الليل ثم ذكر الحكمة فيما كلفه منه وهو ان الليل اعون
على المواطأة واشد للقراءة لهدو الرجل وخفوت الصوت وانه اجمع للقلب واضم لنشر الهم من النهار لانه
وقت تفرق الهموم وتوزع الخواطر والتقلب في حوائج المعاش والمعاد وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك
في حوائجك وقيل ان فاتك من الليل شيء فلك في النهار فراغ تقدر على تداركه فيه واذكر اسم ربك وتبتل
اليه تبتيلا واذكر اسم ربك ودم على ذكره في ليلك ونهارك واحرص عليه وذكر الله يتناول كل ما كان من ذكر
طيب تسبيح وتهليل وتكبير وتمجيد وتوحيد وصلوة وتلاوة قران ودراسة علم وغير ذلك مما كان رسول
الله عليه السلام يستغرق به ساعات ليله ونهاره وتبتل اليه وانقطع اليه فان قلت كيف قيل
تبتيلا مكان تبتلا قلت لان معنى تبتل بتل نفسه فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل
رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا رب المشرق
والمغرب قرئ مرفوعا على المدح ومجرورا على البدل من ربك وعن ابن مسعود رضي الله عنهما على القسم
باضمار حرف القسم كقولك الله لافعلن وجوابه لا اله الا هو كما تقول والله لا احد في الدار الا زيد وقرأ ابن
عباس رضي الله عنهما رب المشارق والمغارب فاتخذه وكيلا مسبب عن التهليلة لانه هو وحده هو
الذي يجب لتوحده بالربوبية ان توكل اليه الامور وقيل وكيلا كفيلا بما وعدك من النصر والاظهار والهجر الجميل
ان تجانبهم بقلبك وهواك وتخالفهم مع حسن المخالقة والمداراة والاغضاء وترك المكافاة وعن ابي الدرداء
رضي الله عنه انا لنكشر في وجوه قوم ونضحك اليهم وان قلوبنا لتقليهم وقيل هو منسوخ باية السيف
وذرني والمكذبين اولي النعمة ومهلهم قليلا ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا
اليما اذا عرف الرجل من صاحبه انه مستهم بخطب يريد ان يكفاه او بعدو يشتهي ان ينتقم له منه وهو
مطلع بذلك مقتدر عليه قال ذرني واياه اي لا تحتاج الى الظفر بمرادك ومشتهاك الا ان تخلي

بيني

يعني وبينه بان تكل امره الي وتستكفينيه فانّ فى مايفرغ بالك ويجلي همك وليس ثم منع حتى يطلب اليه ان يذره واياه الا
ترك الاستكفا والتفويض كانه اذا لم يكل اليه امره فكانه منعه منه فاذا وكله اليه فقد ازال المنع وتركه واياه وفيه
دليل على الوثوق بانه يتمكن من الوفا باقصى ما تدور حوله امنية الخاطب ومما يزيد عليه ۞ النعمة بالفتح التنعم وبالكسر
الانعام وبالضم المسرة يقال نعم ونعمة عين وهم صناديد قريش وكانوا اهل تنعم وترفه ۞ ان لدينا ما يضاد تنعمهم من
انكال وهي القيود الثقال ۞ عن الشعبي اذا ارتفعوا استفلت بهم الواحد نكل ونكل ومن جحيم وهي النار الشديدة الحر والا
من طعام ذي غصة وهو الذي ينشب في الحلوق فلا يساغ يعني الضريع وشجر الزقوم ۞ ومن عذاب اليم من ساير
العذاب فلا ترى موكولا اليه امرهم موذورا بينه وبينهم ينتقم منه بمثل ذلك الانتقام ۞ وروى ان النبي صلى
الله عليه وسلم قرا هذه الاية فصعق ۞ وعن الحسن رحمة الله عليه انه امسى صايما فاتى بطعام فعرضت له هذه
الاية فقال ارفعه ۞ ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه ۞ وكذلك الثالثة فاخبر ثابت البناني
ويزيد الضبي ۞ ويحيى البكا ۞ فجاوا فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق يوم ترجف الارض والجبال وكانت
الجبال كثيبا مهيلا انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول
فاخذناه اخذا وبيلا يوم ترجف منصوب بما في لدينا والرجفة الزلزلة والزعزعة الشديدة ۞ والكثيب الرمل المجتمع
من كثب الشي اذا جمعه كانه فعيل بمعنى مفعول في اصله ۞ ومنه الكثبة من اللبن ۞ قالت الصابية
اجرجفا لا واحلب كثبا عجالا ۞ اي كانت مثل رمل مجتمع هيل هيلا اي نثر واسيل الخطاب لاهل مكة ۞ شاهدا عليكم
يشهد عليكم يوم القيمة بكفركم وتكذيبكم فان قلت لم نكر الرسول ثم عرف قلت لانه اراد
ارسلنا الى فرعون بعض الرسل فلما اعاده وهو معهود بالذكر ادخل لام التعريف اشارة الى المذكور بعينه ۞ وبيلا ثقيلا
غليظا من قولهم كلا وبيل وخم لا يستمرا لثقله والوبيل العصا الضخمة ومنه الوابل للمطر العظيم فكيف تتقون
ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا السما منفطر به كان وعده مفعولا يوما مفعول به اي فكيف
تقون انفسكم يوم القيمة وهوله ان بقيتم على الكفر ولم تومنوا وتعملوا صالحا ۞ ويجوز ان يكون ظرفا اي فكيف
لكم بالتقوى في يوم القيمة ان كفرتم في الدنيا ۞ ويجوز ان ينتصب بكفرتم على تاويل جحدتم اي فكيف تتقون
الله وتخشونه ان جحدتم يوم القيمة والجزا لان تقوى الله خوف عقابه ۞ ويجعل الولدان شيبا مثل في
الشدة يقال في اليوم الشديد يوم يشيب نواصي الاطفال ۞ والاصل فيه ان الهموم والاحزان اذا تفاقمت
على الانسان اسرع فيه الشيب قال ابو الطيب

والهم يخترم الجسيم نحافة ۞ ويشيب ناصية الصبي ويهرم

وقد مر بي في بعض الكتب ان رجلا امسى فاحم الشعر كحنك الغراب ۞ واصبح وهو ابيض الراس واللحية كالثغامة
فقال رايت القيامة والجنة والنار في المنام ۞ ورايت الناس يقادون في السلاسل الى النار فمن هول
ذلك اصبحت كما ترون ۞ ويجوز ان يوصف اليوم بالطول وان الاطفال يبلغون فيه اوان الشيخوخة والشيب
۞ السما منفطر به وصف اليوم بالشدة ايضا وان السما على عظمها واحكامها تنفطر فيه فما ظنك بغيرها
من الخلايق ۞ وقرئ منفطر به ومنفطر ۞ والمعنى ذات انفطار او على تاويل السما بالسقف او السما شي منفطر
والبا في به مثلها في قولك فطرت العود بالقدوم فانفطر به يعني انها تنفطر لشدة ذلك اليوم وهوله كما
ينفطر الشي بما يفطر به ۞ ويجوز ان يراد السما مثقلة به اثقالا يودي الى انفطارها لعظمه عليها وخشيتها

نقاد

من وقوعه كقوله تعالى ثقلت في السموات والارض ووعده من اضافة المصدر الى المفعول والضمير لليوم
ويجوز ان يكون مضافا الى الفاعل وهو الله تعالى ولم يجر له ذكر لكونه معلوما ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه
سبيلا ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك ان هذه الايات
الناطقة بالوعيد الشديد تذكرة موعظة فمن شاء اتعظ بها واتخذ سبيلا الى الله عز وجل بالتقوى والخشية
ومعنى اتخاذ السبيل اليه التقرب والتوسل بالطاعة ادنى من ثلثي الليل اقل منهما وانما استعير الادنى
وهو الاقرب للاقل لان المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز واذا بعدت كثر ذلك ونصفه و
وثلثه بالنصب على انك تقوم اقل من الثلثين وتقوم النصف والثلث وهو مطابق لما مر في اول السورة من
التخيير بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وهو الثلث وبين قيام الزائد عليه وهو الادنى من
الثلثين ونصفه وثلثه بالجر اي تقوم اقل من الثلثين واقل من النصف والثلث وهو مطابق للتخيير
بين النصف وهو ادنى من الثلثين والثلث وهو ادنى من النصف والربع وهو ادنى من الثلث وهو الوجه
الاخير وطائفة من الذين معك ويقوم ذلك جماعة من اصحابك والله يقدر الليل والنهار علم ان لن
تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسر من القرآن علم ان سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في
الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه والله يقدر الليل
والنهار ومعرفة مقادير ساعاتهما الا الله وحده وتقديم اسمه عز وجل مبتدأ مبنيا عليه يقدر هو
الدال على معنى الاختصاص بالتقدير والمعنى انكم لا تقدرون عليه والضمير في لن تحصوه لمصدر يقدر
اي علم انه لا يصح منكم ضبط الاوقات ولا يتأتى حسابها بالتعديل والتسوية الا ان تأخذوا بالاوسع
للاحتياط وذلك شاق عليكم بالغ منكم فتاب عليكم عبارة عن الترخيص في ترك القيام المقدر كقوله
سبحانه وتعالى فتاب عليكم وعفا عنكم فالان باشروهن والمعنى انه رفع التبعة في تركه عنكم كما يرفع التبعة
عن التائب وعبر عن الصلوة بالقراءة لانها بعض اركانها كما عبر عنها بالقيام والركوع والسجود يريد فصلوا
ما تيسر عليكم ولم يتعذر من صلوة الليل وهذا ناسخ للاول ثم نسخا جميعا بالصلوات الخمس وقيل هي قراءة
القرآن بعينها قيل يقرأ مائة آية ومن قرأ مائة آية في ليلة لم يحاجه القرآن وقيل من قرأ مائة آية
كتب من القانتين وقيل خمسين آية وقد بين الحكمة في النسخ وهي تعذر القيام على المرضى والضاربين في
الارض للتجارة والمجاهدين في سبيل الله وقيل سوى الله عز وجل بين المجاهدين والمسافرين لكسب الحلال وعن
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ايما رجل جلب شيئا الى مدينة من مدائن المسلمين محتسبا صابرا فباعه
بسعر يومه كان عند الله من الشهداء وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ما خلق الله موتة اموتها بعد
القتل في سبيل الله احب الي من ان اموت بين شعبتي رحل اضرب في الارض ابتغي من فضل الله وعلم
استيناف على تقدير السؤال عن وجه النسخ واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واقرضوا الله قرضا حسنا وما
تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا واستغفروا الله ان الله غفور
رحيم واقيموا الصلوة يعني المفروضة وآتوا الزكوة الواجبة وقيل زكوة الفطر لانه لم يكن بمكة زكوة
وانما وجبت بعد ذلك ومن فسرها بالزكوة الواجبة جعل آخر السورة مدنيا واقرضوا الله قرضا
حسنا يجوز ان يريد سائر الصدقات وان يريد اداء الزكوة على احسن وجه من اخراج اطيب

المال

المال واعوده على الفقراء ومراعاة النية وابتغاء وجه الله والصرف الى المستحق وان يريد كل شيء يفعل من الخير مما يتعلق بالنفس والمال وخيرا ثاني مفعولي وجد وهو فصل وجاز وان لم يقع بين معرفتين لان افعل من اشبه من حرف التعريف المعرفة وقرا ابو السمال هو خير واعظم اجرا بالرفع على الابتداء والخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المزمل دفع الله عنه العسر في الدنيا والآخرة

سورة المدثر مكية | بسم الله الرحمن الرحيم | وهي ست وخمسون آية

يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر

المدثر لابس الدثار وهو ما فوق الشعار وهو الثوب الذي يلي الجسد ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الانصار شعار والناس دثار وقيل هي اول سورة نزلت روي جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن رسول الله عليه السلام قال كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني ويساري فلم ار شيئا فنظرت فوقي فرايت شيئا وفي رواية عائشة رضي الله عنها فنظرت فوقي فاذا به قاعد على عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثروني دثروني فنزل جبريل عليه السلام وقال يا ايها المدثر وعن الزهري اول ما نزل سورة اقرا باسم ربك الى قوله ما لم يعلم فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يعلو شواهق الجبال فاتاه جبريل انك نبي الله فرجع الى خديجة رضي الله عنها فقال دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزل يا ايها المدثر وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه مفكرا كما يفعل المغموم فامر ان لا يدع انذارهم وان اسمعوه واذوه وعن عكرمة انه قرا على لفظ اسم المفعول من دثره وقال دثرت هذا الامر وعصب بك كما قال في المزمل قم من مضجعك او قم قيام عزم وتصميم فانذر فحذر قومك من عذاب الله ان لم يؤمنوا والصحيح ان المعنى فافعل الانذار من غير تخصيص له باحد وربك فكبر واختص ربك بالتكبير وهو الوصف بالكبرياء وان يقال الله اكبر ويروى انه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر فكبرت خديجة وفرحت وايقنت انه الوحي وقد يحمل على تكبير الصلاة ودخلت الفاء لمعنى الشرط كانه قيل وما كان فلا تدع تكبيره وثيابك فطهر امر بان يكون ثيابه طاهرة من النجاسات لان طهارة الثياب شرط في الصلاة لا تصح الا بها وهي الاولى والاحب في غير الصلاة وقبيح بالمؤمن الطيب ان يحمل خبثا وقيل هو امر بتقصيرها ومخالفة العرب في تطويلهم الثياب وجرهم الذيول وذلك مما لا يؤمن معه اصابة النجاسة وقيل هو امر بتطهير النفس مما يستقذر من الافعال ويستهجن من العادات يقال فلان طاهر الثياب وطاهر الجيب والذيل والاردان اذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس الاخلاق وفلان دنس الثياب للغادر وذلك لان الثوب يلابس الانسان ويشتمل عليه فكنى به عنه الا ترى انهم قالوا اعجبني زيد ثوبه كما يقولون اعجبني زيد عقله وخلقه ويقولون المجد في ثوبه والكرم تحت حلته ولان الغالب ان من طهر باطنه ونقاه عني بتطهير الظاهر وتنقيته وابى الا اجتناب الخبث وايثار الطهر في كل شيء والرجز قرئ بالكسر والضم وهو العذاب والمعنى اهجر ما يؤدي اليه من عبادة الاوثان وغيرها من الماثم والمعنى الثبات على هجره لانه عليه السلام كان بريئا منه وقرا الحسن رحمة الله عليه لا تمن وتستكثر مرفوع منصوب المحل على الحال اي ولا تعط مستكثرا رائيا لما تعطيه كثيرا او طالبا للكثير نهى عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا وهو يطمع ان يتعوض من الموهوب له اكثر

اكثر من الموهوب • وهذا جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته • وفيه وجهان احدهما ان يكون نهيا خاصا برسول الله عليه السلام لان الله عز وجل اختار له اشرف الاداب واحسن الاخلاق • والثاني ان يكون نهي تنزيه لا تحريم له ولامته • وقرأ الحسن رحمة الله عليه تستكثر بالسكون • وفيه ثلثة اوجه الابدال من تمنن كانه قيل ولا تمنن لا تستكثر على انه من المن في قوله عز وعلا ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لان من شأن المنان بما يعطي ان يستكثره اي يراه كثيرا ويعتد به وان يشبه ثرو بعضد فيسكن تخفيفا • وان يعتبر حال الوقف وقرأ الاعمش بالنصب باضمار ان كقوله • الا ايهذا الزاجري احضر الوغى • ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه • ولا تمنن ان تستكثر ويجوز في الرفع ان تحذف ويبطل عملها كما روي احضر الوغى بالرفع • ولربك فاصبر ولوجه الله فاستعمل الصبر • وقيل على اذى المشركين وقيل على اداء الفرائض • وعن النخعي على عطيتك كانه وصله بما قبله وجعله صبرا على العطاء من غير استكثار • والوجه ان يكون امرا بنفس الفعل وان يتناول على العموم كل مصبور عليه ومصبور عنه ويراد الصبر على اذى الكفار لانه احد ما يتناوله العام **فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير** والفاء في قوله تعالى فاذا نقر للتسبيب كانه قال اصبر على اذاهم فبين ايديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة اذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه • والفاء في فذلك للجزاء **فان قلت** بم انتصب اذا وكيف صح ان يقع يومئذ ظرفا ليوم عسير **قلت** انتصب اذا بما دل عليه الجزاء لان المعنى فاذا نقر في الناقور عسر الامر على الكافرين والذي اجاز وقوع يومئذ ظرفا ليوم عسير ان المعنى فذلك وقت النقر وقوع يوم عسير • لان يوم القيمة ياتي ويقع حين ينقر في الناقور • واختلف في انها النفخة الاولى ام الثانية • ويجوز ان يكون يومئذ مبنيا مرفوع المحل بدلا من ذلك • ويوم عسير خبر كانه قيل فيوم النقر يوم عسير **فان قلت** فما فائدة قوله تعالى غير يسير وعسير مغن عنه **قلت** لما قال على الكافرين فقصر العسر عليهم قال غير يسير ليؤذن بانه لا يكون عليهم كما يكون على المؤمنين يسيرا هينا ليجمع بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المؤمنين وتسليتهم • ويجوز ان يراد انه عسير لا يرجى ان يرجع يسيرا كما يرجى تيسير العسير من امور الدنيا **ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا** وحيدا حال من الله عز وجل على معنيين احدهما ذرني وحدي معه فانا اجزيك في الانتقام منه عن كل منتقم • والثاني خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد او حال من المخلوق على معنى خلقته وهو وحيد فريد لا مال له ولا ولد **كقوله عز وجل** ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة • وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يلقب في قومه بالوحيد ولعله لقب بذلك بعد نزول الاية • فان كان ملقبا به قبل فهو تهكم به وبلقبه وتغيير له عن الغرض الذي كانوا يؤمونه من مدحه والثناء عليه بانه وحيد قومه لرياسته ويساره وتقدمه في الدنيا الى وجه الذم والعيب وهو انه خلق وحيدا لا مال له ولا ولد فاتاه الله ذلك فكفر بنعمة الله واشرك به واستهزأ بدينه ممدودا مبسوطا كثيرا او ممدا بالنماء من مد النهر ومده نهر اخر • قيل كان له الزرع والضرع والتجارة • وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الاموال • وقيل كان له بستان بالطائف لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء • وقيل كان له الف مثقال وقيل اربعة الاف وقيل تسعة الاف • وقيل الف الف • وعن ابن جريج غلة شهر بشهر • وبنين شهودا حضورا معه بمكة لا يغيبون عنه للتصرف في عمل او تجارة لانهم مكفيون لوفور نعمة ابيهم واستغنائهم عن التكسب وطلب المعاش بانفسهم فهو مستانس

بهم

بهم لا يشتغل قلبهم بغيبتهم وخوف معاطب السفر عليهم ولا يحزن لفراقهم والاشتياق اليهم ويجوز ان
يكون معناه انهم رجال يشهدون معه المجامع والمحافل او تسمع شهاداتهم فيما يتحاكم فيه وعن مجاهد كان له عشرة
بنين وقيل ثلثة عشر وقيل سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص
وقيس وعبد شمس اسلم منهم ثلثة خالد وهشام وعمارة ومهدت له تمهيدا ثم يطمع ان ازيد كلا انه
كان لاياتنا عنيدا سارهقه صعودا ومهدت له تمهيدا وبسطت له الجاه العريض والرياسة في قومه فاتممت عليه
نعمتي الجاه والمال واجتماعهما هو الكمال عند اهل الدنيا ومنه قول الناس ادام الله تاييدك وتمهيدك يريدون
زيادة الجاه والحشمة وكان الوليد من وجهاء قريش وصناديدهم ولذلك لقب الوحيد وريحانة قريش ثم يطمع
استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه يعني انه لا مزيد على ما اوتي سعة وكثرة وقيل انه كان يقول ان كان محمد صادقا
فما خلقت الجنة الا لي كلا ردع له وقطع لرجائه وطمعه انه كان لاياتنا عنيدا تعليل للردع على وجه الاستيناف
كان قائلا قال لم لا يزاد فقيل انه كان معاندا لايات المنعم وكفر بذلك نعمته والكافر لا يستحق المزيد ويروى انه ما زال بعد
نزول هذه الاية في نقصان من ماله حتى هلك سارهقه صعودا ساغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى
من العذاب الشاق الصعب الذي لا يطاق وعن النبي صلى الله عليه وسلم يكلف ان يصعد عقبة في النار كلما
وضع عليها يده ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وعنه صلى الله عليه وسلم
الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك ابدا انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم
قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر انه فكر تعليل للوعيد كان الله تعالى عاجله
بالفقر بعد الغنى والذل بعد العز في الدنيا لعناده ويعاقبه في الاخرة باشد العذاب وافظعه لبلوغه
بالعناد غايته واقصاه في تفكيره وتسميته القران سحرا ويجوز ان يكون كلمة الردع متبوعة بقوله
تعالى انه فكر بدلا من قوله انه كان لاياتنا عنيدا بيانا لكنه عناده ومعناه فكر ماذا يقول في القران وقدر
في نفسه ما يقوله وهياه فقتل كيف قدر تعجيب من تقديره واصابته فيه المحز ورميه الغرض الذي كان
تنتحيه قريش او ثناء عليه على طريقة الاستهزاء به او هي حكاية لما كرروه من قولهم قتل كيف قدر تهكما بهم وباعجابهم
بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قول القايل قتله الله ما اشجعه واخزاه الله ما اشعره الاشعار
بانه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك روي ان الوليد قال لبني مخزوم
والله لقد سمعت من محمد انفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان
اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى عليه فقالت قريش صبا والله الوليد والله لتصبان
قريش كلهم فقال ابو جهل لعنه الله انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه فقام فاتاهم فقال
اتزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رايتموه قط يتكهن وتزعمون انه شاعر
فهل رايتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيا من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا
ثم قالوا فما هو ففكر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر فقال ما هو الا ساحر اما رايتموه
يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه وما الذي يقوله الا سحر يؤثره عن مسيلمة وعن اهل بابل فارتج النادي
فرحا وتفرقوا متعجبين منه ثم نظر في وجوه الناس ثم قطب وجهه ثم زحف مدبرا
وتشاوس مستكبرا لما خطرت بباله الكلمة الشنعاء وهم بان يرمي بها وصف اشكاله التي تشكل بها حتى

استنبط استهزا به. وقيل قدر ما يقوله ثم نظر فيه ثم عبس لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر ما يقول
وقيل قطب في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ادبر عن الحق واستكبر عنه فقال ما قال وثم نظر
عطف على فكر وقدر والدعا اعتراض بينهما فان قلت ما معنى ثم الداخلة في تكرير الدعا قلت
الدلالة على ان الكرة الثانية ابلغ من الاولى ونحوه قوله الا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي فان قلت
فما معنى المتوسطة بين الافعال التي بعدها قلت الدلالة على انه قد تانى في التامل وتمهل وكان
بين الافعال المتناسقة تراخ وتباعد فان قلت فلم قيل فقال ان هذا بالفا بعد عطف ما قبله بثم قلت
لان الكلمة لما خطرت بباله بعد التطلب لم يتمالك ان نطق بها من غير تلبث فان قلت فلم لم يوسط
العطف بين الجملتين قلت لان الاخرى جرت من الاولى
مجرى التوكيد من المؤكد. سأصليه سقر وما ادراك ما سقر لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر
سأصليه سقر بدل من سأرهقه صعودا لا تبقي شيا يلقى فيها الا اهلكته واذا هلك لم تذره هالكا
حتى يعاد او لا تبقي على شي ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة. ولواحة من لوح الهجير
قال. تقول ما لاحك يا مسافر. يا ابنة عمي لاحني الهواجر.
قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه اشد سوادا من الليل. والبشر اعلى الجلود. وعن الحسن رحمة الله عليه
تلوح للناس كقوله عز وجل ثم لترونها عين اليقين. وقري لواحة نصبا على الاختصاص للتهويل. وعليها
تسعة عشر اي يلي امرها ويتسلط على اهلها تسعة عشر ملكا. وقيل صنفا من الملائكة. وقيل صفا وقيل
نقيبا. وقري تسعة عشر بسكون العين لتوالي الحركات فيما هو في حكم اسم واحد. وقيل تسعة اعشر جمع
عشير مثل يمين وايمن جعلهم ملائكة لانهم خلاف جنس المعذبين من الجن والانس فلا ياخذهم ما ياخذ
المجانس من الرافة والرقة ولا يستروحون. ولانهم اقوم خلق الله بحق الله وبالغضب له فتومن هوادتهم
ولانهم اشد الخلق باسا واقواهم بطشا عن عمرو بن دينار رحمة الله عليه واحد منهم يدفع بالدفعة الواحدة
في جهنم اكثر من ربيعة ومضر وعن النبي صلى الله عليه وسلم كان اعينهم البرق وكان افواههم الصياصي يجرون
اشعارهم لاحدهم مثل قوة الثقلين يسوق احدهم الامة وعلى رقبته جبل فيرمي بهم في النار ويرمي بالجبل
عليهم. وروي انه لما نزلت عليها تسعة عشر قال ابو جهل لعنه الله لقريش ثكلتكم امهاتكم اسمع ابن ابي كبشة
يخبركم ان خزنة النار تسعة عشر وانتم الدهم افيعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فقال ابو الاشد بن اسيد
بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني انتم اثنين فانزل الله عز وجل وما جعلنا
اصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب
ويزداد الذين امنوا ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وما جعلنا اصحاب النار الا
ملائكة. اي ما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون فان قلت قد جعل افتتان الكافرين بعدة
الزبانية سببا لاستيقان اهل الكتاب وزيادة ايمان المؤمنين واستهزاء الكافرين والمنافقين فما وجه صحة
ذلك قلت ما جعل افتتانهم بالعدة سببا لذلك وانما العدة نفسها هي التي جعلت سببا وذلك
ان المراد بقوله تعالى وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا. وما جعلنا عدتهم الا تسعة عشر فوضع فتنة للذين
كفروا موضع تسعة عشر لان حال هذه العدة الناقصة واحدا من عقد العشرين ان يفتتن بها من لا يؤمن

بانه

باسه وحكمته ويعترض ويستهزئ ولا يذعن اذعان المؤمن وان خفي عليه وجه الحكمة كأنه قيل ولقد جعلنا عدتهم عدة من
شأنها ان يفتتن بها لاجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين واستيقان اهل الكتاب لان عدتهم تسعة عشر في
الكتابين فاذا سمعوا بمثلها في القرآن ايقنوا انه منزل من الله تعالى وازدياد المؤمنين ايمانا لتصديقهم بذلك كما
صدقوا سائر ما انزل ولما رأوا من تسليم اهل الكتاب وتصديقهم انه كذلك فان قلت لم قال ولا يرتاب
الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون والاستيقان وازدياد الايمان دالا على انتفاء الارتياب قلت لانه اذا جمع
لهم اثبات اليقين ونفي الشك كان ابلغ وآكد لوصفهم بسكون النفس وثلج الصدر ولان فيه تعريضا بحال من عداهم
كانه قال ولتخالف حالهم حال الشاكين المرتابين من اهل النفاق والكفر وليقول الذين في قلوبهم مرض
والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا فان قلت كيف ذكر الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون
والسورة مكية ولم يكن بمكة نفاق وانما نجم بالمدينة قلت معناه وليقول المنافقون الذين
ينجمون في مستقبل الزمان بالمدينة بعد الهجرة والكافرون بمكة ماذا اراد الله بهذا مثلا وليس في ذلك الا اخبار بما
سيكون كسائر الاخبارات بالغيوب وذلك لا يخالف كون السورة مكية ويجوز ان يراد بالمرض الشك والارتياب لان اهل
مكة كان اكثرهم شاكين وبعضهم قاطعين بالكذب فان قلت قد علل جعلهم تسعة عشر بالاستيقان وانتفاء
الارتياب وقول المنافقين والكافرين ما قالوا فهب ان الاستيقان وانتفاء الارتياب يصح ان يكونا غرضين فكيف صح
ان يكون قول المنافقين والكافرين غرضا قلت افادة اللام معنى العلة والسبب ولا يجب في العلة ان
تكون غرضا الا ترى الى قولك خرجت من البلد لمخافة الشر فقد جعلت المخافة علة لخروجك وما هي بغرضك
مثلا تمييز لهذا او حال منه كقوله عز وعلا هذه ناقة الله لكم آية فان قلت لم سموه مثلا قلت هو
استعارة من المثل المضروب لانه مما غرب من الكلام وبدع استغرابا منهم لهذا العدد واستبعادا له والمعنى
اي شيء اراد الله بهذا العدد العجيب واي غرض قصد في ان جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين سواء ومرادهم
انكاره من اصله وانه ليس من عند الله وانه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص كذلك يضل الله
من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو وما هي الا ذكرى للبشر الكاف في كذلك نصب
وذلك اشارة الى ما قبله من معنى الاضلال والهدى اي مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل الكافرين
ويهدي المؤمنين يعني يفعل فعلا حسنا مبنيا على الحكمة والصواب فيراه المؤمنون حكمة ويذعنون له
لاعتقادهم ان افعال الله عز وجل كلها حسنة وحكمة فيزيدهم ايمانا وينكره الكافرون ويشكون فيه
فيزيدهم كفرا وضلالا وما يعلم جنود ربك وما عليه كل جند من العدد الخاص من كون بعضها على
عقد كامل وبعضها على عدد ناقص وما في اختصاص كل جند بعدده من الحكمة الا هو ولا سبيل
الحكمة لاحد الى معرفة ذلك كما لا يعرف في اعداد السموات والارضين وايام السنة والشهور والبروج والكواكب
واعداد النصب والحدود والكفارات والصلوات في الشريعة او وما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها الا هو
فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له في هذا العدد الخاص حكمة لا تعلمونها وهو يعلمها وقيل هو جواب لقول
ابي جهل لعنه الله اما لرب محمد اعوان الا تسعة عشر وما جعلنا اصحاب النار الى قوله تعالى الا هو اعتراض
وقوله تعالى وما هي الا ذكرى متصل بوصف سقر وهي ضميرها اي وما سقر وصفتها الا تذكرة للبشر او ضمير
الآيات ذكرت فيها كلا والقمر والليل اذ ادبر والصبح اذا اسفر انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر

كلا انكار بعد ان جعلها ذكرى ان تكون لهم ذكرى لانهم لا يتذكرون او ردع لمن ينكر ان تكون احدى الكبر نذيرا
ودبر بمعنى ادبر كقبل بمعنى اقبل ومنه صاروا كامس الدابر . وقيل هو من دبر الليل النهار اذا خلفه . وقرئ
اذا ادبر و انها لاحدى الكبر جواب القسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد . والكبر جمع الكبرى جعلت
الف التانيث كتايها فكما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظير ذلك السوافي في جمع السافياء والقواصع في جمع
القاصعاء كانها جمع فاعلة اي لاحدى البلايا والدواهي الكبر ومعنى كونها احداهن انها من بينهن واحدة في العظم
لا نظيرة لها كما تقول هو احد الرجال وهي احدى النساء و نذيرا تمييز من احدى على معنى . انها لاحدى الدواهي
انذارا كما تقول هي احدى النساء عفافا وقيل هي حال . وقيل هو متصل باول السورة يعني قم نذيرا وهو من بدع التفاسير .
وفي قراءة ابي رضي الله عنه نذير بالرفع خبر بعد خبر لان او بحذف المبتدا لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر
كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين ان يتقدم في موضع الرفع بالابتدا ولمن شاء خبر مقدم عليه
كقولك لمن توضا ان يصلي ومعناه مطلق لمن شاء التقدم او التاخر ان يتقدم او يتاخر والمراد بالتقدم والتاخر
السبق الى الخير والتخلف عنه وهو كقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ويجوز ان يكون لمن شاء
بدلا من للبشر على انها منذرة للمكلفين الممكنين الذين ان شاؤا تقدموا ففازوا وان شاؤا تاخروا فهلكوا و رهينة
ليست بتانيث رهين في قوله تعالى كل امرئ بما كسب رهين لتانيث النفس لانه لو قصدت الصفة لقيل
رهين لان فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث . وانما هي اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم
كانه قيل كل نفس بما كسبت رهن . ومنه بيت الحماسة .

. ابعد الذي بالنعف نعف كويكب . رهينة رمس ذي تراب وجندل .

كانه قال رهن رمس والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله تعالى غير مفكوك و الا اصحاب اليمين فانهم فكوا
عنه رقابهم بما اطابوه من كسبهم كما يخلص الراهن رهنه باداء الحق . وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه
فسر اصحاب اليمين بالاطفال لانه لا اعمال لهم يرتهنون بها . وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم الملائكة
في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم
المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى اتانا اليقين اي هم في جنات
لا يكتنه وصفها يتساءلون عن المجرمين يسال بعضهم بعضا عنهم او يتساءلون غيرهم عنهم كقولك دعوته وتداعيناه
فان قلت كيف طابق قوله تعالى ما سلككم وهو سؤال للمجرمين قوله يتساءلون عن المجرمين وهو سؤال
عنهم وانما كان يطابق ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين ما سلككم في سقر قلت ما سلككم ليس ببيان
للتساؤل عنهم وانما هو حكاية قول المسؤولين عنهم لان المسؤولين يلقون الى السائلين ما جرى بينهم وبين
المجرمين فيقولون قلنا لهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين الا ان الكلام جيء به على الحذف والاختصار
كما هو نهج التنزيل في غرابة نظمه و الخوض الشروع في الباطل وما لا ينبغي فان قلت
لم يتساءلون وهم عالمون بذلك قلت توبيخا لهم وتحسيرا وليكون حكاية الله ذلك في كتابه تذكرة
للسامعين وقد عضد بعضهم تفسير اصحاب اليمين بالاطفال انهم انما سالوهم لانهم ولدان لا يعرفون
موجب دخول النار فان قلت ايريدون ان كل واحد منهم بمجموع هذه الاربع دخل النار ام دخلها
بعضهم بهذه وبعضهم بهذه قلت يحتمل الامرين جميعا فان قلت لم اخر التكذيب وهو

اعظمها

اعظمها قلت ارادوا انهم بعد ذلك كله كانوا مكذبين بيوم الدين تعظيما للتكذيب كقوله تعالى ثم كان من
الذين امنوا واليقين ومقدماته فما تنفعهم شفاعة الشافعين فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم
حمر مستنفرة فرت من قسورة اي لو شفع لهم الشافعون جميعا من الملائكة والنبيين وغيرهم لم تنفعهم
شفاعتهم لان الشفاعة لمن ارتضاه الله عز وجل وهم مسخوط عليهم وفيه دليل على ان الشفاعة تنفع يومئذ لانها
تزيد في درجات المرتضين وعن التذكرة عن التذكير وهو العظة يريد القران وغيره من المواعظ ومعرضين
نصب على الحال كقولك ما لك قائما والمستنفرة الشديدة النفار كانها تطلب النفار من نفوسها في جمعها له وحملها عليه وقرئ
بالفتح وهي المنفرة المحمولة على النفار والقسورة جماعة من الرماة الذين يتصيدونها وقيل الاسد يقال
ليوث قساور وهي فعولة من القسر وهو القهر والغلبة وفي وزنه الحيدرة من اسماء الاسد وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ركز الناس واصواتهم وعن عكرمة ظلمة الليل شبههم في اعراضهم عن القران واستماع الذكر والموعظة
وشرادهم عنه بحمر جدت في نفارها مما افزعها وفي تشبيههم بالحمر مذمة ظاهرة وتهجين لحالهم بين كما في
قوله جل وعلا كمثل الحمار يحمل اسفارا وشهادة عليهم بالبله وقلة العقل ولا ترى مثل نفار حمير الوحش
واطرادها في العدو اذا رابها رايب ولذلك كان اكثر تشبيهات العرب في وصف الابل وشدة سيرها بالحمر
وعدوها اذا وردت ماء فاحست عليه بقانص بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة كلا
بل لا يخافون الاخرة كلا انه تذكرة صحفا منشرة قراطيس تنشر وتقرا كالكتب التي يتكاتب بها او كتبا
كتبت في السماء ونزلت بها الملائكة ساعة كتبت منشرة على ايديها غضة رطبة لم تطو بعد وذلك انهم
قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تاتي كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين
الى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك ونحوه قوله تعالى لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقروه
وقال تعالى ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم الاية وقيل قالوا ان كان محمد صادقا فليصبح
عند راس كل رجل منا صحيفة فيها براءته وامنه من النار وقيل كانوا يقولون بلغنا ان الرجل من بني اسرائيل
كان يصبح مكتوبا على راسه ذنبه وكفارته فاتنا بمثل ذلك وهذا من الصحف المنشرة بمعزل الا ان يراد بالصحف
المنشرة الكتابات الظاهرة المكشوفة وقرا سعيد بن جبير رضي الله عنه صحفا منشرة بتخفيفهما اي
نشر الصحف ونشرها واحد كانزله ونزله ردعهم بقوله كلا عن تلك الارادة وزجرهم عن اقتراح الايات
ثم قال بل لا يخافون الاخرة فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف ثم ردعهم عن اعراضهم
عن التذكرة وقال انه تذكرة يعني تذكرة بليغة كافية مبهم امرها في الكفاية فمن شاء ذكره وما يذكرون
الا ان يشاء الله هو اهل التقوى واهل المغفرة فمن شاء ان يذكره ولا ينساه ويجعله نصب عينه فعل فان
نفع ذلك راجع اليه والضمير في انه وذكره للتذكرة في قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين وانما ذكر
لانها في معنى الذكر والقران وما يذكرون الا ان يشاء الله يعني الا ان يقسرهم على الذكر ويلجئهم اليه لانهم
مطبوع على قلوبهم معلوم انهم لا يؤمنون اختيارا هو اهل التقوى واهل المغفرة هو حقيق بان يتقيه عباده
ويخافوا عقابه فيؤمنوا ويطيعوا وحقيق بان يغفر لهم اذا امنوا واطاعوا وروى انس رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم هو اهل ان يتقى واهل ان يغفر لمن اتقاه وقرئ يذكرون بالياء والتاء مخففا ومشددا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به

لا اقسم بيوم القيمة ولا اقسم بالنفس اللوامة ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه بلى قادرين
على ان نسوي بنانه ادخال لا النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم واشعارهم قال امرؤ القيس

لا وابيك ابنة العامري • لا يدعي القوم اني افر •

وقال غوية بن السلمي • الا نادت امامة باحتمال • ليحزنني فلا بك ما ابالي •

وفائدتها توكيد القسم • وقالوا انها صلة مثلها في لئلا يعلم اهل الكتاب • وفي قوله • في بير لا حور سرى وما شعر •
واعترضوا عليه بانها انما تزاد في وسط الكلام لا في اوله واجابوا بان القران في حكم سورة واحدة متصل بعضه
ببعض والاعتراض صحيح لانها لم تقع مزيدة الا في وسط الكلام ولكن الجواب غير سديد • الا ترى الى امرئ القيس
كيف زادها في مستهل قصيدته • والوجه ان يقال هي للنفي • والمعنى في ذلك انه لا يقسم بالشيء الا اعظاما له
يدلك عليه قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم فكانه بادخال حرف النفي
يقول ان اعظامي له باقسامي به • كلا اعظام يعني انه يستاهل فوق ذلك • وقيل ان لا نفي لكلام وارد
له قبل القسم كانهم انكروا البعث فقيل لا اي ليس الامر على ما ذكرتم ثم قيل اقسم بيوم القيمة فان قلت
قوله تعالى فلا وربك لا يومنون والابيات التي انشدتها المقسم عليه فيها منفي فهلا زعمت ان لا التي قبل القسم
زيدت موطية للنفي بعده ومؤكدة له وقدرت المقسم عليه المحذوف ههنا منفيا كقولك لا اقسم بيوم القيمة
لا يتركون سدى قلت لو قصر الامر على النفي دون الاثبات لكان لهذا القول مساغ ولكنه لم يقصر
الا ترى انه كيف لقي لا اقسم بهذا البلد بقوله تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد • وكذلك فلا اقسم بمواقع النجوم بقوله
تعالى انه لقران كريم وقرئ لاقسم على ان اللام للابتدا واقسم خبر مبتدا محذوف معناه لانا اقسم قالوا ويعضده
انه في الامام بغير الف • بالنفس اللوامة • بالنفس المتقية • التي تلوم النفوس فيه اي في يوم القيمة على تقصيرهن • في
التقوى او بالتي لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت في الاحسان • وعن الحسن رحمه الله عليه ان المومن لا تراه الا
لايما نفسه وان الكافر يمضي قدما لا يعاتب نفسه • وقيل هي التي تتلوم يومئذ على ترك الازدياد ان كانت محسنة
وعلى التفريط ان كانت مسيئة • وقيل هي نفس ادم عليه السلم لم تزل تتلوم على فعلها الذي خرجت به من الجنة • وجواب
القسم ما دل عليه قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه • وهي لتبعثن • وقرا قتادة ان لن يجمع عظامه على البنا
للمفعول • والمعنى نجمعها بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد ما سفتها الرياح وطيرتها في
اباعد الارض • وقيل ان عدي بن ربيعة ختن الاخنس بن شريق وهما اللذان كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول فيهما اللهم اكفني جاري السو • قال لرسول الله يا محمد حدثني عن يوم القيمة متى يكون وكيف امره
فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك يا محمد • ولم او من به او يجمع الله
العظام • فنزلت بلى اوجبت ما بعد النفي وهو الجمع فكانه قيل بلى نجمعها • وقادرين حال من الضمير في نجمع
اي نجمع العظام قادرين على تاليف جميعها واعادتها الى التركيب الاول الى ان نسوي بنانه • اي اصابعه التي هي
اطرافه واخر ما يتم به خلقه • او على ان نسوي بنانه ونضم سلامياته على صغرها ولطافتها بعضها الى بعض كما كانت اولا
من غير نقصان • ولا تفاوت فكيف بكبار العظام • وقيل معناه بلى نجمعها ونحن قادرون على ان نسوي اصابع يديه
ورجليه اي نجعلها مستوية شيا واحدا كخف البعير وحافر الحمار لا تفرق بينها فلا يمكنه ان يعمل بها شيا مما يعمل باصابعه
المتفرقة ذات المفاصل • والانامل من فنون الاعمال والبسط والقبض • والتاتي لما يريد من الحوايج • وقرئ قادرون

اي

اي نحن قادرون بل يريد الانسان ليفجر امامه يسئل ايان يوم القيمة فاذا برق البصر وخسف القمر
وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ اين المفر بل يريد عطف على ايحسب فيجوز ان يكون مثله
استفهاما وان يكون ايجابا على ان يضرب عن مستفهم عنه الى اخر او يضرب عن مستفهم عنه الى موجب ليفجر امامه
ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الاوقات وفيما يستقبله من الزمان لا ينزع عنه وعن سعيد بن جبير رضي الله
عنه يقدم الذنب ويؤخر التوبة يقول سوف اتوب سوف اتوب حتى ياتيه الموت على شر احواله واسوأ
اعماله يسئل سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة في قوله تعالى ايان يوم القيمة ونحوه ويقولون متى هذا
الوعد برق البصر تحير فزعا واصله من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرئ برق من البريق اي لمع
من شدة شخوصه وقرا ابو السمال بلق اذا انفتح وانفرج يقال بلق الباب وابلقته وبلقته فتحته وخسف القمر
وذهب ضوءه او ذهب بنفسه وقرئ وخسف على البناء للمفعول وجمع الشمس والقمر حيث يطلعهما الله من
المغرب وقيل وجمعا في ذهاب الضوء وقيل يجمعان اسودين مكورين كانهما ثوران عقيران في النار وقيل
يجمعان ثم يقذفان في البحر فيكون نار الله الكبرى المفر بالفتح المصدر وبالكسر المكان ويجوز ان
يكون مصدرا كالمرجع وقرئ بهما كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم
واخر كلا ردع عن طلب المفر لا وزر لا ملجأ وكل ما التجات اليه من جبل او غيره وتخلصت به فهو وزرك الى
ربك خاصة يومئذ مستقر العباد اي استقرارهم يعني انهم لا يقدرون ان يستقروا الى غيره وينصبوا اليه
او الى حكمه يرجع امور العباد لا يحكم فيها غيره كقوله تعالى لمن الملك اليوم او الى ربك مستقرهم اي موضع
قرارهم من جنة او نار اي مفوض ذلك الى مشيئته من شاء ادخله الجنة ومن شاء ادخله النار بما قدم من عمل
عمله وبما اخر منه لم يعمله او بما قدم من ماله فتصدق به وبما اخره فخلفه او بما قدم من عمل الخير والشر
وبما اخر من سنة حسنة تعمل بها بعده وعن مجاهد باول عمله واخره ونحوه فينبئهم بما عملوا احصيه
الله ونسوه بل الانسان على نفسه بصيرة ولو القى معاذيره لا تحرك به لسانك لتعجل به
ان علينا جمعه وقرانه بصيرة حجة بينة وصفت بالبصارة على المجاز كما وصفت الايات بالابصار في قوله
تعالى فلما جاءتهم اياتنا مبصرة او عين بصيرة والمعنى انه ينبأ باعماله وان لم ينبأ ففيه ما يجزئ عن الانباء لانه
شاهد عليها بما عملت لان جوارحه تنطق بذلك يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون ولو
القى معاذيره ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه ويجادل عنها وعن الضحاك ولو ارخى ستوره وقال المعاذير
الستور واحدها معذار فان صح فلانه يمنع رؤية المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب فان قلت
ليس قياس المعذرة ان تجمع معاذر لا معاذير قلت المعاذير ليس بجمع معذرة انما هو اسم جمع لها ونحوه المناكير
للمنكر الضمير في به للقرآن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقن الوحي نازع جبريل عليه السلام القراءة
ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من ان يتفلت منه فامر بان يستنصت له ملقيا اليه بقلبه
وسمعه حتى يقضى اليه وحيه ثم يقفيه بالدراسة الى ان يرسخ فيه والمعنى لا تحرك لسانك بقراءة الوحي ما دام
جبريل عليه السلام يقرأ لتعجل به لتاخذه على عجلة ولئلا يتفلت منك ثم علل النهي عن العجلة بقوله ان علينا
جمعه في صدرك واثبات قراءته في لسانك فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه فاذا قرأناه جعل قراءة
جبريل عليه السلام قراءته والقرآن القراءة فاتبع قرآنه فكن مقفيا له فيه ولا تراسله وطامن نفسك انه لا يبقى

غير محفوظ فنحن في ضمان تحفيظه ثم ان علينا بيانه اذا اشكل عليك شيء من معانيه كانه كان يعجل في الحفظ والسؤال عن المعنى
جميعا كما ترى بعض الحراص على العلم ونحوه ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه كلا بل تحبون العاجلة
وتذرون الاخرة كلا ردع لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة وانكار لها عليه وحث على الاناة
والتؤدة وقد بالغ في ذلك باتباعه قوله بل تحبون العاجلة كانه قال بل انتم يا بني ادم لانكم خلقتم من عجل
وطبعتم عليه تعجلون في كل شيء ومن ثم تحبون العاجلة وتذرون الاخرة وقرئ بالياء وهو ابلغ فان قلت
كيف اتصل قوله لا تحرك به لسانك الى اخره بذكر القيامة قلت اتصاله به من جهة هذا التخلص منه الى
التوبيخ بحب العاجلة وترك الاهتمام بالاخرة وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ
باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة الوجه عبارة عن الجملة والناضرة من نضرة النعيم الى ربها ناظرة تنظر
الى ربها خاصة لا تنظر الى غيره وهذا معنى تقديم المفعول الا ترى الى قوله الى ربك يومئذ المستقر
الى ربك يومئذ المساق الى الله تصير الامور واليه ترجعون والى الله المصير عليه توكلت واليه انيب كيف دل فيها
التقديم على معنى الاختصاص ومعلوم انهم ينظرون الى اشيا لا يحيط بها الحصر ولا تدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه
الخلايق كلهم فان المومنين نظارة ذلك اليوم لانهم الامنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فاختصاصه
بنظرهم اليه لو كان منظورا اليه محال فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص والذي يصح معه ان يكون
من قول الناس انا الى فلان ناظر ما يصنع بي تريد معنى التوقع والرجا ومنه قول القايل

واذا نظرت اليك من ملك * والبحر دونك زدتني نعما

وسمعت سروية مستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس ابوابهم ويأوون الى مقايلهم تقول
عيينتي نويظرة الى الله واليكم والمعنى انهم لا يتوقعون النعمة والكرامة الا من ربهم كما كانوا في الدنيا لا يخشون
ولا يرجون الا اياه والباسر الشديد العبوس والباسل اشد منه ولكنه غلب في الشجاع اذا اشتد كلوحه
تظن تتوقع ان يفعل بها فعل هو في شدته وفظاعته فاقرة داهية تقصم فقار الظهر كما توقعت الوجوه الناضرة
ان يفعل بها كل خير كلا اذا بلغت التراقي وقيل من راق وظن انه الفراق والتفت الساق
بالساق الى ربك يومئذ المساق كلا ردع عن ايثار الدنيا على الاخرة كانه قيل ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا
على ما بين ايديكم من الموت الذي عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنتقلون الى الاجلة التي تبقون فيها مخلدين
والضمير في بلغت للنفس وان لم يجر لها ذكر لان الكلام الذي وقعت فيه يدل عليها كما قال حاتم

اماوي ما يغني الثراء عن الفتى * اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

وتقول العرب ارسلت يريدون جاء المطر ولا تكاد تسمعهم يذكرون السماء التراقي العظام المكتنفة
لثغرة النحر عن يمين وشمال ذكرهم صعوبة الموت الذي هو اول مراحل الاخرة حين تبلغ الروح التراقي ودنا زهوقها
وقال حاضرو صاحبها وهو المحتضر بعضهم لبعض من راق ايكم يرقيه مما به وقيل هو من كلام ملايكة الموت ايكم
يرقى بروحه ملايكة الرحمة ام ملايكة العذاب وظن المحتضر انه الفراق ان هذا الذي نزل به هو فراق
الدنيا المحبوبة والتفت ساقه بساقه والتوت عليها عند علز الموت وعن قتادة ماتت رجلاه فلا تحملانه لعزج
وقد كان عليهما جوالا وقيل شدة فراق الدنيا بشدة اقبال الاخرة على ان الساق مثل في الشدة وعن
سعيد بن المسيب رضي الله عنه هما ساقاه حين تلفان في اكفانه والمساق ان يساق الى الله والى حكمه

فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب إلى أهله يتمطى أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى
فلا صدق ولا صلى يعني الإنسان في قوله أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه ألا ترى إلى قوله أيحسب الإنسان أن يترك سدى وهو معطوف على قوله تعالى يسأل أيان يوم القيامة أي لا يؤمن بالبعث فلا صدق بالرسول والقرآن ولا صلى ويجوز أن يراد فلا صدق ماله بمعنى فلا زكاه وقيل نزلت في أبي جهل عليه اللعنة يتمطى يتبختر وأصله يتمطط أي يتمدد لأن المتبختر يمد خطاه وقيل هو من المطا وهو الظهر لأنه يلويه وفي الحديث إذا مشت أمتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم فقد جعل بأسهم بينهم يعني كذب برسول الله عليه السلام وتولى عنه وأعرض ثم ذهب إلى قومه يتبختر افتخارا بذلك أولى لك بمعنى ويل لك وهو دعاء عليه بأن يليه ما يكره أيحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى فخلق فقدر فسوى فعدله منه من الإنسان الزوجين الصنفين أليس ذلك الذي أنشأ هذا الإنسان بقادر على الإعادة وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأها قال سبحانك بلى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القيامة شهدت له أنا وجبريل يوم القيامة أنه كان مؤمنا بيوم القيامة

سورة الدهر مكية | بسم الله الرحمن الرحيم | وهي إحدى وثلاثون آية

هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة والأصل أهل بدليل قوله أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكم فالمعنى أقد أتى على التقرير والتقريب جميعا أي أتى على الإنسان قبل زمان قريب حين من الدهر لم يكن فيه شيئا مذكورا أي كان شيئا منسيا غير مذكور نطفة في الأصلاب والمراد بالإنسان جنس بني آدم بدليل قوله تعالى إنا خلقنا الإنسان من نطفة حين من الدهر طائفة من الزمان الطويل الممتد فإن قلت ما محل لم يكن شيئا مذكورا قلت محله النصب على الحال من الإنسان كأنه قيل هل أتى عليه حين من الدهر غير مذكور أو الرفع على الوصف لحين كقوله تعالى يوما لا يجزي والد عن ولده وعن بعضهم أنها تليت عنده فقال ليتها تمت أراد ليت تلك الحالة تمت وهي كونه شيئا غير مذكور ولم يخلق ولم يكلف نطفة أمشاج كبرمة أعشار وبرد أكياش وهي ألفاظ مفردة غير جموع ولذلك وقعت صفات للأفراد ويقال أيضا نطفة مشيج قال الشماخ

طوت أحشاء مرتجة لوقت ... على مشج سلالته مهين

ولا يصح أمشاج أن يكون تكسيرا له بل هما مثلان في الإفراد لوصف المفرد بهما ومشجه ومزجه بمعنى والمعنى من نطفة قد امتزج فيها الماءان وعن ابن مسعود رضي الله عنه هي عروق النطفة وعن قتادة أمشاج ألوان وأطوار يريد أنها تكون نطفة ثم علقة ثم مضغة نبتليه في موضع الحال أي خلقناه مبتلين له بمعنى مريدين ابتلاءه كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا تريد قاصدا به الصيد غدا ويجوز أن يراد ناقلين له من حال إلى حال فسمى ذلك ابتلاء على طريق الاستعارة وعن ابن

عباس رضي الله عنهما نصرفه في بطن امه نطفة ثم علقة وقيل هو في تقدير التاخير يعني فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه
وهو من التعسف وشاكرا وكفورا حالان من الهاء في هديناه اي مكناه واقدرناه في حالتيه جميعا او دعوناه
الى الاسلام بادلة العقل والسمع كان معلوما منه انه يؤمن او يكفر لالزام الحجة ويجوز ان يكونا حالين من
السبيل اي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا كقوله تعالى وهديناه النجدين ووصف
السبيل بالشكر والكفر مجاز وقرا ابو السمال بفتح الهمزة في اما وهي قراءة حسنة والمعنى اما شاكرا فبتوفيقنا
واما كفورا فبسوء اختياره انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا ان الابرار يشربون
من كاس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا ولما ذكر الفريقين اتبعهما
الوعيد والوعد وقرئ سلاسل غير منون وسلاسلا بالتنوين وفيه وجهان احدهما ان تكون هذه النون
بدلا من حرف الاطلاق ويجري الوصل مجرى الوقف والثاني ان يكون صاحب القراءة به ممن ضري برواية الشعر
ومرن لسانه على صرف غير المنصرف والابرار جمع بر او بار كرب وارباب وشاهد واشهاد وعن الحسن رحمة الله عليه هم
الذين لا يؤذون الذر الكاس الزجاجة اذا كانت فيها خمر وتسمى الخمر نفسها كاسا ومزاجها ما تمزج به
كافورا ماء كافور وهو اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده وعينا بدل منه وعن
قتادة تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك وقيل تخلق فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده فكانها مزجت
بالكافور وعينا على هذين القولين بدل من محل من كاس على تقدير حذف مضاف كانه قيل يشربون خمرا
خمر عين او نصب على الاختصاص فان قلت لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء اولا وبحرف الالصاق
اخرا قلت لان الكاس مبدا شربهم واول غايته واما العين فبها يمزجون شرابهم فكان المعنى
يشرب عباد الله بها الخمر كما تقول شربت الماء بالعسل يفجرونها يجرونها حيث شاؤوا من منازلهم تفجيرا سهلا لا يمتنع
عليهم يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا
ويتيما واسيرا يوفون جواب من عسى يقول ما لهم يرزقون ذلك والوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم بالتوفر
على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه هو على نفسه لوجه الله كان بما اوجبه الله عليه اوفى ومستطيرا
فاشيا منتشرا بالغا اقصى المبالغ من استطار الحريق واستطار الفجر وهو من طار بمنزلة استنفر من نفر
وعلى حبه الضمير للطعام اي مع اشتهائه والحاجة اليه ونحوه وآتى المال على حبه لن تنالوا البر حتى تنفقوا
مما تحبون وعن الفضيل بن عياض رحمة الله عليه على حب الله عز وجل واسيرا عن الحسن رحمه الله عليه
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه فيقعد
عنده اليومين والثلاثة فيؤثره على نفسه وعند عامة العلماء يجوز الاحسان الى الكفار في دار الاسلام
ولا يصرف اليهم الواجبات وعن قتادة كان اسيرهم يومئذ المشرك واخوك المسلم احق ان تطعمه وعن
سعيد بن جبير وعطاء هو الاسير من اهل القبلة وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه هو المملوك والمسجون
وسمى رسول الله عليه السلام الغريم اسيرا فقال غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم
لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا انما نطعمكم على ارادة القول ويجوز ان يكون قولا باللسان
منعا لهم عن المجازاة بمثله او بالشكر لان احسانهم مفعول لوجه الله عز وجل فلا معنى لمكافاة الخلق
وان يكون قولهم لهم لطفا وتفقيها وتنبيها على ما ينبغي ان يكون عليه من اخلص لله وعن عايشة رضي الله عنها

بها كانت تبعث بالصدقة الى بيت. ثم تسأل الرسول ما قالوا فاذا ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله تعالى. ويجوز ان تكون ذلك بيانا وكشفا عن اعتقادهم وصحة نيتهم وان لم يقولوا شيئا. وعن مجاهد اما انهم ما تكلموا به ولكن علمه الله تعالى منهم فاثنى عليهم. والشكور والكفور مصدران كالشكر والكفر. **انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا** انا نخاف يحتمل ان احساننا اليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا لارادة مكافاتكم وانا لا نريد منكم المكافاة لخوف عقاب الله على طلب المكافاة بالصدقة. ووصف اليوم بالعبوس مجاز على طريقين ان يوصف بصفة اهله من الاشقياء كقولهم نهارك صائم. روي ان الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران. وان يشبه في شدته وضرره بالاسد العبوس او بالشجاع الباسل. والقمطرير الشديد العبوس الذي يجمع ما بين عينيه قال الزجاج يقال اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها وزمت بانفها فاشتقه من القطر وجعل الميم مزيدة. قال اسد بن ناعصة:

واصطليت الحروب في كل يوم ... باسل الشر قمطرير الصباح

ولقاهم نضرة وسرورا اي اعطاهم بدل عبوس الفجار نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب وهذا يدل على ان اليوم موصوف بعبوس اهله **وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا** بما صبروا بصبرهم على الايثار. وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الحسن والحسين رضي الله عنهما مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس معه فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة رضي الله عنهما وفضة جارية لهما ان برئا مما بهما ان يصوموا ثلاثة ايام فشفيا وما معهم شيء فاستقرض علي رضي الله عنه من شمعون اليهودي الخيبري ثلث اصوع من شعير فطحنت فاطمة رضي الله عنها صاعا واختبزت خمسة اقراص على عددهم فوضعوها بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم يا اهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين اطعموني اطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا شيئا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف عليهم يتيم فآثروه ووقف عليهم اسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك فلما اصبحوا اخذ علي رضي الله عنه بيد الحسن والحسين رضوان الله عليهما واقبلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال ما اشد ما يسوءني ما ارى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة رضي الله عنها في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل عليه السلام وقال خذها يا محمد هناك الله في اهل بيتك فاقرأه السورة. **فان قلت** ما معنى ذكر الحرير مع الجنة **قلت** معنى وجزاهم بصبرهم على الايثار وما يؤدي اليه من الجوع والعري بستانا فيه مأكل هنيء وحريرا فيه ملبس بهي. **متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا** يعني ان هواءها معتدل لا حر شمس يحمي ولا شدة برد تؤذي. وفي الحديث هواء الجنة سجسج لا حر ولا قر. وقيل الزمهرير القمر وعن ثعلب انه في لغة طي وانشد:

وليلة ظلامها قد اعتكر ... قطعتها والزمهرير ما زهر

والمعنى ان الجنة ضياء فلا يحتاج فيها الى شمس وقمر **ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا** فان قلت ودانية عليهم ظلالها علام عطف قلت على الجملة التي قبلها لانها في موضع الحال من المجزيين

وهذه حال مثلها عنهم لرجوع الضمير منها اليهم في عليهم الا انها اسم مفرد وتلك جملة في حكم مفرد تقديره غير
رائين فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها ودخلت الواو للدلالة على ان الامرين مجتمعان لهم كانه
قيل وجزاهم جنة جامعين فيها بين البعد عن الحر والقر ودنو الظلال عليهم وقرئ ودانية بالرفع على ان
ظلالها مبتدأ ودانية خبر والجملة في موضع الحال والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والحال ان ظلالها
دانية عليهم ويجوز ان تجعل متكئين ولا يرون ودانية كلها صفات لجنة ويجوز ان يكون ودانية معطوفة على جنة
اي وجنة اخرى دانية عليهم ويجوز ان تجعل متكئين ولا يرون ظلالها على انهم وعدوا جنتين كقوله تعالى
ولمن خاف مقام ربه جنتان لانهم وصفوا بالخوف انا نخاف من ربنا فان قلت علام عطف وذللت قلت
هي اذا رفعت ودانية جملة فعلية معطوفة على الجملة ابتدائية واذا نصبتها على الحال فهي حال من دانية اي تدنو
ظلالها عليهم في حال تذليل قطوفها لهم او معطوفة عليها على ودانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها واذا
نصبت ودانية على الوصف فهي صفة مثلها الا ترى انك لو قلت جنة ذللت قطوفها كان صحيحا وتذليل
القطوف ان تجعل ذللا لا تمتنع على قطافها كيف شاؤوا او تجعل خاضعة متقاصرة من قولهم حائط ذليل اذا كان قصيرا
ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا قوارير من فضة قدروها تقديرا
قوارير قوارير بغير تنوين وبتنوين الاول وبتنوينهما وهذا التنوين بدل من الف الاطلاق
لانه فاصلة وفي الثاني لاتباعه الاول ومعنى قوارير من فضة انها مخلوقة من فضة وهي مع بياض الفضة
وحسنها في صفاء القوارير وشفيفها فان قلت ما معنى كانت قلت هو من يكون في قوله كن
فيكون اي تكونت قوارير بتكوين الله تعالى تفخيما لتلك الخلقة العجيبة الشان الجامعة بين صفتي الجوهرين المتباينين
ومنه كان في قوله تعالى كان مزاجها كافورا وقرئ قوارير من فضة بالرفع على هي قوارير وقدروها صفة لقوارير
من فضة ومعنى تقديرهم لها انهم قدروها في انفسهم ان تكون على مقادير واشكال على حسب شهواتهم فجاءت
كما قدروا وقيل الضمير للطائفين بها دل عليهم قوله ويطاف عليهم على انهم قدروا شرابها على قدر
الري وهو الذ للشارب لكونه على مقدار حاجته لا يفضل عنها ولا يعجز وعن مجاهد لا تفيض ولا تغيض وقرئ
قدروها على البناء للمفعول ووجهه ان يكون من قدر منقولا من قدر تقول قدرت الشيء وقدرنيه
فلان اذا جعلك قادرا له ومعناه جعلوا قادرين لها كما شاؤوا واطلق لهم ان يقدروا على حسب ما اشتهوا
ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا سميت العين زنجبيلا لطعم
الزنجبيل فيها والعرب تستلذه وتستطيبه قال الاعشى

كان القرنفل والزنجبيل ... باتا بفيها واريا مشورا

وقال المسيب بن علس

وكان طعم الزنجبيل به ... اذ ذقته وسلافة الخمر

وسلسبيل
لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يعني انها في طعم الزنجبيل وليس فيها لذعه ولكن نقيض
اللذع وهو السلاسة يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل وقد زيدت الباء في التركيب حتى صارت
الكلمة خماسية ودلت على غاية السلاسة قال الزجاج السلسبيل في اللغة صفة لما كان في
غاية السلاسة وقرئ سلسبيل على منع الصرف لاجتماع العلمية والتانيث وقد عزوا الى علي بن ابي طالب
كرم الله وجهه ان معناه سل سبيلا اليها وهذا غير مستقيم على ظاهره الا ان يراد ان جملة قول القائل

سل سبيلا

سلسبيلا جعلت علما للعين كما قيل تأبط شرا وذري حبا وسميت بذلك لانه لا يشرب منها الا من سال اليها سبيلا بالعمل الصالح وهو مع استقامته في العربية تكلف وابتداع وعزوه الى مثل علي ابدع وفي شعر بعض المحدثين سلسبيلا فيها الى راحة النفس براح كانها سلسبيل وعينا بدل من زنجبيلا وقيل تمزج كاسهم بالزنجبيل بعينه او يخلق الله تعالى طعمه فيها وعينا على هذا القول مبدلة من كاسا كانه قيل ويسقون فيها كاسا كاس عين او منصوبة على الاختصاص ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا شبهوا في حسنهم وصفاء الوانهم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم باللؤلؤ المنثور وعن المامون رحمه الله انه ليلة زفت اليه بوران بنت الحسن بن سهل وهو على بساط منسوج من ذهب وقد نثرت عليه نساء دار الخلافة اللؤلؤ فنظر اليه منثورا على ذلك البساط فاستحسن المنظر وقال لله در ابي نواس كانه ابصر هذا حيث يقول

كان صغرى وكبرى من فواقعها ... حصباء در على ارض من الذهب

وقيل شبهوا باللؤلؤ الرطب اذا نثر من صدفه لانه احسن واكثر ماء واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا رايت ليس له مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع ويعم كانه قيل واذا اوجدت الرؤية ثم ومعناه ان بصر الرائي اين ما وقع لم يتعلق ادراكه الا بنعيم كثير وملك كبير وثم في موضع النصب على الظرف يعني في الجنة ومن قال معناه ما ثم فقد اخطا لان ثم صلة لما ولا يجوز اسقاط الموصول وترك الصلة من كبيرا واسعا وهنيئا ويروى ان ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل لا زوال له وقيل اذا ارادوا شيئا كان وقيل يسلم عليهم الملائكة ويستاذنون عليهم عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا اساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا قرئ عاليهم بالسكون على انه مبتدا خبره ثياب سندس اي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس وعاليهم بالنصب على انه حال من الضمير في يطوف عليهم او في حسبتهم اي يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب او حسبتهم لؤلؤا عاليا لهم ثياب ويجوز ان يراد رايت اهل نعيم وملك عاليهم ثياب وعاليتهم بالرفع والنصب على ذلك وعليهم وخضر واستبرق بالرفع حملا على الثياب وبالجر على السندس وقرئ واستبرق نصبا في موضع الجر على منع الصرف لانه اعجمي وهو غلط لانه نكرة يدخله حرف التعريف تقول الاستبرق الا ان يزعم ابن محيصن انه قد يجعل علما لهذا الضرب من الثياب وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه مسمى باستفعل من البريق وليس بصحيح ايضا لانه معرب مشهور تعريبه وان اصله استبره وحلوا عطف على ويطوف عليهم فان قلت ذكر هاهنا ان اساورهم من فضة وفي موضع اخر انها من ذهب قلت هب انه قيل وحلوا اساور من ذهب ومن فضة وهذا صحيح لا اشكال فيه على انهم يسورون بالجنسين اما على المعاقبة واما على الجمع كما تزاوج نساء الدنيا بين انواع الحلي وتجمع بينها وما احسن بالمعصم ان يكون فيه سواران سوار من ذهب وسوار من فضة وشرابا طهورا ليس برجس كالخمر ... لكونها رجسا بالشرع لا بالعقل وليست الدار دار تكليف او لانه لم يعصر فتمسه الايدي الوضرة وتدوسه الاقدام الدنسة ولم يجعل في الدنان والاباريق التي لم يعن بتنظيفها او لانه لا يؤول الى النجاسة لانه يرشح عرقا من ابدانهم له ريح كريح المسك ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا اي يقال لاهل الجنة ان هذا وهذا اشارة الى ما تقدم من عطاء الله لهم ما جوزيتم به على اعمالكم وشكر به سعيكم والشكر مجاز انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا تكرير الضمير بعد ايقاعه اسما لان تاكيد على تاكيد

لمعنى اختصاص الله تعالى بالتنزيل ليتقرر في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله على
اي وجه نزل الا حكمة وصوابا كانه قيل ما نزل عليك القران تنزيلا مفرقا منجما الا انا لا غيري وقد عرفتني حكيما
فاعلا لكل ما افعله بدواعي الحكمة ولقد دعتني حكمة بالغة الى ان انزل عليك الامر بالمكافة والمصابرة وسانزل
عليك الامر بالقتال والانتقام بعد حين فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم اثما او كفورا فاصبر لحكم ربك الصادر
عن الحكمة وتعليقه الامور بالمصالح وتاخيره نصرتك على اعدائك من اهل مكة ولا تطع منهم احدا قلة صبر
منك على اذاهم وضجرا من تاخر الظفر وكانوا مع افراطهم في العداوة والايذاء له ولمن معه يدعونه الى ان يرجع عن
امره ويبذلون له اموالهم وتزويج اكرم بناتهم ان اجابهم فان قلت كانوا كلهم كفرة فما معنى
القسمة في قوله اثما او كفورا قلت معناه ولا تطع منهم راكبا لما هو اثم داعيا لك اليه او فاعلا لما هو
كفر داعيا لك اليه لانهم اما ان يدعوه الى مساعدتهم على فعل هو اثم او كفر او غير اثم ولا كفر فنهي ان يساعدهم على الاثنين
دون الثالث وقيل الاثم عتبة والكفور الوليد لان عتبة كان ركابا للمآثم متعاطيا لانواع الفسوق وكان الوليد
غاليا في الكفر شديد الشكيمة في العتو فان قلت معنى او ولا تطع احدهما فهلا جيء بالواو ليكون نهيا عن
طاعتهما جميعا قلت لو قيل ولا تطعهما لجاز ان يطيع احدهما واذا قيل لا تطع احدهما علم ان الناهي
عن طاعة احدهما عن طاعتهما جميعا انهى كما اذا نهي ان يقول لابويه اف علم انه منهي عن ضربهما على طريق الاولى
واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون
وراءهم يوما ثقيلا نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا واذكر اسم
ربك بكرة واصيلا ودم على صلوة الفجر والعصر ومن الليل فاسجد له وبعض الليل فصل له يعني صلوة المغرب
والعشا وادخل من على الظرف للتبعيض كما دخل على المفعول في قوله عز وجل يغفر لكم من ذنوبكم وسبحه
ليلا طويلا وتهجد له هزيعا طويلا من الليل ثلثيه او نصفه او ثلثه ان هؤلاء الكفرة يحبون العاجلة يؤثرونها
على الاخرة كقوله بل تؤثرون الحياة الدنيا وراءهم قدامهم او خلف ظهورهم لا يعبؤن به يوما ثقيلا
استعير الثقل لشدته وهوله من الشيء الثقيل الباهظ لحامله ونحوه ثقلت في السموات والارض الاسر الربط والتوثيق
ومنه اسر الرجل اذا اوثق بالقد وهو الاسار وفرس ماسور الخلق وترس ماسور بالعقب والمعنى شددنا
توصيل عظامهم بعضها ببعض وتوثيق مفاصلهم بالاعصاب ومثله قولهم جارية معصوبة الخلق ومجدولته
واذا شئنا اهلكناهم وبدلنا امثالهم في شدة الاسر يعني النشاة الاخرى وقيل معناه بدلنا غيرهم ممن يطيع
وحقه ان يجي بان لا باذا كقوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ان يشا يذهبكم ان هذه
تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وما تشاؤن الا ان يشاء الله ان الله كان عليما حكيما
هذه اشارة الى السورة او الى الايات القريبة فمن شاء فمن اختار الخير لنفسه وحسن العاقبة واتخاذ
السبيل الى الله تعالى عبارة عن التقرب اليه والتوسل بالطاعة وما تشاؤن الطاعة الا ان يشاء الله بقسرهم ان
الله كان عليما حكيما باحوالهم وما يكون منهم وحكيما حيث خلقهم مع علمه بهم وقرئ تشاؤن بالتاء فان
قلت ما محل ان يشاء الله قلت النصب على الظرف واصله الا وقت مشيئة الله وكذلك قراءة ابن مسعود
رضي الله عنه الا ما شاء الله لان ما مع الفعل كان معه يدخل من يشاء في رحمته والظالمين اعد لهم عذابا اليما
يدخل من يشاء هم المؤمنون ونصب الظالمين بفعل يفسره اعد لهم نحو اوعد وكافا وما اشبه ذلك

وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه وللظالمين على واعد للظالمين وقرأ ابن الزبير رضي الله عنه والظالمون على الابتدا
وغيرها اولى لذهاب الطباق بين الجملة المعطوفة عليها فيها مع مخالفتها للمصحف عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

سورة المرسلات مكية | بسم الله الرحمن الرحيم | وهي خمسون اية

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا
او نذرا انما توعدون لواقع اقسم سبحانه وتعالى بطوائف من الملائكة ارسلهن باوامره فعصفن في مضيهن
كما تعصف الرياح تخففا في امتثال امره وبطوائف منهم نشرن اجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي او
نشرن الشرائع في الارض او نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما اوحين ففرقن بين الحق والباطل فالقين
ذكرا الى الانبياء عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين او اقسم برياح عذاب ارسلهن فعصفن وبرياح رحمة
نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله تعالى ويجعله كسفا او بسحاب نشرن الموات ففرقن
بين من يشكر الله وبين من يكفر كقوله عز وجل لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه فالقين ذكرا اما عذرا
للذين يعتذرون الى الله تعالى بتوبتهم واستغفارهم اذا راوا نعمة الله تعالى في الغيث ويشكرونها واما
انذارا للذين يغفلون الشكر لله تعالى وينسبون ذلك الى الانواء وجعلن ملقيات للذكر لكونهن سببا في حصوله
اذا شكرت النعمة فيهن او كفرت فان قلت ما معنى عرفا قلت متتابعة كشعر العرف
يقال جاؤا عرفا واحدا وهم عليه كعرف الضبع اذا تالبوا عليه ويكون بمعنى العرف الذي هو نقيض النكر
وانتصابه على انه مفعول له اي ارسلن للاحسان والمعروف والاول على الحال وقرئ عرفا على التثقيل نحو
نكر في نكر فان قلت قد فسرت المرسلات بملائكة العذاب فكيف يكون ارسالهم معروفا قلت
ان لم يكن معروفا للكفار فانه معروف للانبياء والمؤمنين الذين انتقم لهم منهم فان قلت ما العذر والنذر
وبم انتصبا قلت هما مصدران من عذر اذا محا الاساءة ومن انذر اذا خوف على فعل كالكفر والشكر ويجوز
ان يكون جمع عذير بمعنى المعذرة وجمع نذير بمعنى الانذار او بمعنى العاذر والمنذر واما انتصابهما فعلى
البدل من ذكرا على الوجهين الاولين او على المفعول له واما على الوجه الثالث فعلى الحال بمعنى عاذرين او
منذرين وقرئا مخففين ومثقلين ان الذي توعدونه من مجيء يوم القيامة لكائن نازل لا ريب فيه
وهو جواب القسم وعن بعضهم ان المعنى ورب المرسلات فاذا النجوم طمست واذا السماء فرجت
واذا الجبال نسفت واذا الرسل اقتت لاي يوم اجلت ليوم الفصل وما ادراك ما يوم الفصل
ويل يومئذ للمكذبين طمست محيت ومحقت وقيل ذهب بنورها ومحق ذواتها موافق لقوله
تعالى انتثرت وانكدرت ويجوز ان يمحق نورها ثم تنتثر ممحوقة النور فرجت فتحت فكانت ابوابا
قال الفارجي باب الامير المبهم نسفت كالحب اذا نسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال
بسا وكانت الجبال كثيبا مهيلا وقيل اخذت بسرعة من اماكنها من انتسفت الشيء اذا اختطفته
وقرئت طمست وفرجت ونسفت مشددة وقرئ اقتت ووقتت بالتشديد والتخفيف فيهما والاصل
الواو ومعنى توقيت الرسل تبيين وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على اممهم والتاجيل من الاجل كالتوقيت

من الوقت و لاي يوم اجلت تعظيم لليوم وتعجيب من هوله ليوم الفصل بيان ليوم التاجيل وهو اليوم الذي
يفصل فيه بين الخلائق والوجه ان يكون معنى وقتت بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وهو يوم القيمة واجلت
اخرت فان قلت كيف وقع النكرة مبتدأ في قوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين قلت هو في
الجملة مصدر منصوب ساد مسد فعله ولكنه عدل به الى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه
للمدعو عليه ونحوه سلام عليكم ويجوز ويلا بالنصب ولكن لم يقرأ به يقال ويلا له وويلا كيلا الم نهلك
الاولين ثم نتبعهم الاخرين كذلك نفعل بالمجرمين ويل يومئذ للمكذبين قرأ قتادة نهلك بفتح
النون من هلكه بمعنى اهلكه قال العجاج ومهمه هالك من تعرجا ثم نتبعهم بالرفع على الاستئناف
وهو وعيد لاهل مكة يريد ثم نفعل بامثالهم من الاخرين مثل ما فعلنا بالاولين ونسلك بهم سبيلهم
لانهم كذبوا مثل تكذيبهم وتقويها قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ثم سنتبعهم وقرئ بالجزم للعطف
على نهلك ومعناه انه اهلك الاولين من قوم نوح وعاد وثمود ثم اتبعهم الاخرين من قوم شعيب
ولوط وموسى عليهم السلام و كذلك مثل ذلك الفعل الشنيع نفعل بكل من اجرم انذارا وتحذيرا
من عاقبة الجرم وسوء اثره الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين الى قدر معلوم فقدرنا
فنعم القادرون ويل يومئذ للمكذبين الى قدر معلوم الى مقدار من الوقت معلوم قد علمه
الله وحكم به وهو تسعة الاشهر او ما دونها او ما فوقها فقدرنا فقدرنا ذلك تقديرا فنعم
القادرون فنعم المقدرون له نحن او فقدرنا على ذلك فنعم القادرون عليه نحن والاول اولى لقراءة من قرأ
فقدّرنا بالتشديد ولقوله تعالى من نطفة خلقه فقدره الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا
وجعلنا فيها رواسي شامخات واسقيناكم ماء فراتا ويل يومئذ للمكذبين الكفات من كفت
الشيء اذا ضمه وجمعه وهو اسم ما يكفت كقولهم الضمام والجماع لما يضم ويجمع ويقال هذا الباب جماع
الابواب وبه انتصب احياء وامواتا كانه قيل كافتة احياء وامواتا او بفعل مضمر يدل عليه وهو تكفت
والمعنى تكفت احياء على ظهرها وامواتا في بطنها وقد استدل بعض اصحاب الشافعي رضي الله عنه على
النباش بان الله تعالى جعل الارض كفاتا للاموات فكان بطنها حرزا لهم فالنباش سارق من الحرز فان
قلت لم قيل احياء وامواتا على التنكير وهي كفات الاحياء والاموات جميعا قلت هو من
تنكير التفخيم كانه قيل احياء لا يعدون وامواتا لا يحصرون على ان احياء الانس وامواتهم ليس بجميع الاحياء
والاموات ويجوز ان يكون المعنى تكفتكم احياء وامواتا فينتصبا على الحال من الضمير لانه قد علم انها كفات
الانس فان قلت فالتنكير في رواسي شامخات وماء فراتا قلت يحتمل افادة التبعيض
لان في السماء جبالا قال الله تعالى من جبال فيها من برد وفيها ماء فراتا ايضا بل هي معدنه ومصبه وان
يكون للتفخيم انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون انطلقوا الى ظل ذي ثلث شعب لا ظليل
ولا يغني من اللهب انها ترمي بشرر كالقصر كانه جمالات صفر ويل يومئذ للمكذبين
اي يقال لهم انطلقوا الى ما كذبتم به من العذاب وانطلقوا الثاني تكرير وقرئ انطلقوا على لفظ الماضي
اخبارا بعد الامر عن عملهم بموجبه لانهم مضطرون اليه لا يستطيعون امتناعا منه والى ظل يعني
دخان جهنم كقوله تعالى وظل من يحموم ذي ثلث شعب تتشعب لعظمه ثلث شعب وهكذا الدخان

العظيم

العظيم تراه يتفرق ذوائب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون في ظل العرش لا ظليل تهكم بهم وتعريض بان ظلهم غير ظل المؤمنين ولا يغني في محل الجر اي وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئا بشرر وقرئ بشرار كالقصر اي كل شررة كالقصر من القصور في عظمها وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمرة وجمر وقرئ كالقصر بفتحتين وهي اعناق الابل او اعناق النخل نحو شجرة وشجر وقرا ابن مسعود رضي الله عنه كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وقرا سعيد بن جبير كالقصر في جمع قصرة كحاجة وحوج جمالات جمع جمال او جمالة جمع جمل شبهت بالقصور ثم بالجمال لبيان التشبيه الا تراهم يشبهون الابل بالافدان والمجادل وقرئ جمالات بالضم وهي قلوس الجسور وقيل قلوس سفن البحر الواحدة جمالة وقرئ جمالة بالكسر بمعنى جمال وجمالة بالضم وهي القلس وقيل صفر لارادة الجنس وقيل صفر سود تضرب الى الصفرة وفي شعر عمران بن حطان الخارجي

دعتهم باعلى صوتها ورمتهم بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى

وقال ابو العلاء

حمراء ساطعة الذوائب في الدجى ترمي بكل شرارة كطراف

فشبهها بالطراف وهو بيت الادم في العظم والحمرة وكانه قصد بخبثه ان يزيد على تشبيه القران ولتبجحه بما سول له من توهم الزيادة جاء في صدر بيته بقوله حمراء توطية لها ومناداة عليها وتنبيها للسامعين على مكانها ولقد عمي جمع الله له عمى الدارين عن قوله تعالى كانه جمالات صفر فانه بمنزلة قوله كبيت احمر وعلى ان في التشبيه بالقصر وهو الحصن تشبيها من جهتين من جهة العظم ومن جهة الطول في الهواء وفي التشبيه بالجمالات وهي القلوس تشبيها من ثلث جهات من جهة العظم والطول والصفرة فابعد الله اغرابه في طرازه وما نفخ شدقيه من استطرافه هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين فان كان لكم كيد فكيدون ويل يومئذ للمكذبين قرئ بنصب اليوم ونصبه الاعمش اي هذا الذي قص عليكم واقع يومئذ ويوم القيامة طويل ذو مواطن ومواقيت ينطقون في وقت ولا ينطقون في وقت ولذلك ورد الامران في القران او جعل نطقهم كلا نطق لانه لا ينفع ولا يسمع فيعتذرون عطف على لا يؤذن منخرط في سلك النفي والمعنى ولا يكون لهم اذن واعتذار متعقب له من غير ان يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن ولو نصب لكان مسببا عنه لا محالة جمعناكم والاولين كلام موضح لقوله تعالى هذا يوم الفصل لانه اذا كان يوم الفصل بين السعداء والاشقياء وبين الانبياء واممهم فلا بد من جمع الاولين والاخرين حتى يقع ذلك الفصل بينهم فان كان لكم كيد فكيدون تقريع لهم على كيدهم لدين الله عز وجل وذويه وتسجيل عليهم بالعجز والاستكانة ان المتقين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون انا كذلك نجزي المحسنين ويل يومئذ للمكذبين كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون ويل يومئذ للمكذبين كلوا واشربوا في موضع الحال من ضمير المتقين في الظرف الذي هو في ظلال اي هم مستقرون في ظلال مقولا لهم ذلك وكلوا وتمتعوا حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم كلوا وتمتعوا فان قلت كيف يصح ان يقال لهم ذلك في الاخرة قلت يقال لهم في الاخرة ايذانا بانهم كانوا في الدنيا احقاء

بان يقال لهم وكانوا من اهله قد كبروا اجسامهم السمجة وتماجنوا على انفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم والملك
الخالد وفي طريقته قوله اخوتي لا تبعدوا ابدا وبلى والله قد بعدوا
يريد كنتم احقاء في حياتكم بان ندعو لكم بذلك وعلل ذلك بكونهم مجرمين دلالة على ان كل مجرم ماله الا الاكل والتمتع
اياما قلائل ثم البقاء في الهلاك ابدا ويجوز ان يكون كلوا وتمتعوا كلاما مستانفا خطابا للمكذبين في الدنيا
واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ويل يومئذ للمكذبين فباي حديث بعده يؤمنون اركعوا
اخشعوا لله وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع دينه واطرحوا هذا الاستكبار والنخوة لا يخشعون ولا
يقبلون ذلك ويصرون على استكبارهم وقيل ما كان على العرب اشد من الركوع والسجود وقيل نزلت في
ثقيف حين امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة فقالوا لا نجبي فانها مسبة علينا فقال صلى الله
الله عليه وسلم لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود بعده بعد القران يعني ان القران من بين الكتب المنزلة
اية مبصرة ومعجزة باهرة فحين لم يؤمنوا به فباي كتاب بعده يؤمنون وقرئ تؤمنون بالتاء
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والمرسلات كتب له انه ليس من المشركين

سورة النبأ مكية — بسم الله الرحمن الرحيم — وهي اربعون اية

عم يتساءلون عن النبإ العظيم الذي هم فيه مختلفون كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون
عم اصله عما على انه حرف جر دخل على ما الاستفهامية وهو في قراءة عكرمة وعيسى بن عمر قال
حسان على ما قام يشتمني لئيم كخنزير تمرغ في رماد
والاستعمال الكثير على الحذف والاصل قليل ومعنى هذا الاستفهام تفخيم الشان كانه قال عن اي
شيء يتساءلون ونحوه ما في قولك زيد ما زيد جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كانه شيء خفي عليك جنسه فانت
تسال عن جنسه وتفحص عن جوهره كما تقول ما الغول وما العنقاء تريد اي شيء هو من الاشياء هذا
اصله ثم جرد للعبارة عن التفخيم حتى وقع في كلام من لا يخفى عليه خافية يتساءلون يسال بعضهم بعضا او
يتساءلون غيرهم عنه على طريق الاستهزاء عن النبإ العظيم بيان للشان المفخم وعن ابن كثير انه قرا عمه بهاء
السكت ولا يخلو اما ان يجري الوصل مجرى الوقف واما ان يقف ويبتدئ يتساءلون عن النبإ العظيم على ان
يضمر يتساءلون لان ما بعده يفسره كشيء مبهم ثم يفسره فان قلت قد زعمت ان الضمير
في يتساءلون للكفار فما تصنع بقوله هم فيه مختلفون قلت كان فيهم من يقطع القول بانكار البعث
ومنهم من يشك وقيل الضمير للمسلمين والكافرين جميعا وكانوا جميعا يسالون عنه اما المسلم فيزداد خشية
واستعدادا واما الكافر فيزداد استهزاء وقيل المتساءل عنه القران وقيل نبوة محمد عليه السلام وقرئ
يساءلون بالادغام وستعلمون بالتاء كلا ردع للمتسائلين هزؤا وسيعلمون وعيد لهم بانهم سوف يعلمون ان
ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حق لانه واقع لا ريب فيه وتكرير الردع مع الوعيد تشديد في ذلك
ومعنى ثم الاشعار بان الوعيد الثاني ابلغ من الاول واشد الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا
وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم
سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا فان قلت كيف اتصل به قوله الم نجعل الارض مهادا

كيف اتصل به قوله الم نجعل الارض مهادا

قلت لما انكروا البعث قيل لهم الم يخلق من يضاف اليه البعث هذه الخلايق العجيبة الدالة على كمال القدرة فما وجه انكاركم قدرته على البعث وما هو الا اختراع كهذه الاختراعات او قيل لهم الم يفعل هذه الافعال المتكاثرة والحكيم لا يفعل فعلا عبثا وما تنكرونه من البعث والجزاء مؤد الى انه عابث في كل ما فعل مهادا فراشا وقرئ مهدا ومعناه انها لهم كالمهد للصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر كضرب الامير او وصفت بالمصدر او بمعنى ذات مهد اي ارسيناها بالجبال كما يرسى البيت بالاوتاد سباتا موتا والمسبوت الميت من السبت وهو القطع لانه مقطوع عن الحركة والنوم احد التوفيين وهو على بناء الادواء ولما جعل النوم موتا جعل اليقظة معاشا اي حيوة في قوله تعالى وجعلنا النهار معاشا اي وقت معاش تستيقظون فيه وتتقلبون في حوائجكم ومكاسبكم وقيل السبات الراحة لباسا يستركم عن العيون اذا اردتم هربا من عدو او بياتا له او اخفاء ما لا تحبون الاطلاع عليه من كثير من الامور قال

وكم لظلام الليل عندك من يد ... تخبر ان المانوية تكذب

سبعا سبع سموات شدادا جمع شديدة يعني محكمة قوية الخلق لا يؤثر فيها مرور الازمان وهاجا متلألئا يعني الشمس [illegible] الوهج مجمع النور والحرارة [illegible] اذا تلظت فتوهجت بضوئها وحرها [illegible]

[illegible] المعصرات السحائب اذا اعصرت اي شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك احصد الزرع اذا حان له ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض وقرأ عكرمة بالمعصرات وفيه وجهان ان يراد الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب وان يراد السحائب لانه اذا كان الانزال منها فهو بها كما تقول اعطى من يده درهما واعطى بيده وعن مجاهد المعصرات الرياح ذوات الاعاصير وعن الحسن رحمة الله عليه وقتادة هي السموات وتاويله ان الماء ينزل من السماء الى السحاب فكأن السموات يعصرن اي يحملن على العصر ويمكن منه فان قلت فما وجه من قرأ من المعصرات وفسرها بالرياح ذوات الاعاصير والمطر لا ينزل من الرياح قلت الرياح هي التي تنشئ السحاب وتدر اخلافه فصح ان تجعل مبدأ للانزال وقد جاء ان الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء الى السحاب فان صح ذلك فالانزال منها ظاهر فان قلت ذكر ابن كيسان انه جعل المعصرات بمعنى المغيثات والعاصر هو المغيث لا المعصر يقال عصره فاعتصر قلت وجهه ان يريد اللاتي اعصرن اي حان لها ان تعصر اي يغثن ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي [illegible] ابن عباس رضي الله عنهما مثجا يسيل غربا يعني ثج الكلام ثجا في خطبته وقرأ الاعرج ثجاجا ومثاجج الماء مصابه والماء ينثج في الوادي حبا ونباتا يريد ما يتقوت به من نحو الحنطة والشعير وما يعتلف من التبن والحشيش كما قال تعالى كلوا وارعوا انعامكم والحب ذو العصف والريحان الفاف ملتفة ولا واحد له كالاوزاع والاخياف وقيل الواحد لف وقال صاحب الاقليد انشدني الحسن بن علي الطوسي

جنة لف وعيش مغدق ... وندامى كلهم بيض زهر

وزعم ابن قتيبة انه لفاء ولف ثم الفاف وما اظنه واجدا له نظيرا من نحو خضر واخضار وحمر وحمار ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان قولا وجيها [illegible]

[illegible] فتأتون [illegible] ابوابا وسيرت [illegible] كان [illegible]

لله وحكمه حدّا توقت به الدنيا وتنتهي عنده او حدّا للخلائق ينتهون اليه ﴿يوم ينفخ﴾ بدل من يوم الفصل
او عطف بيان ﴿فتأتون افواجا﴾ من القبور الى الموقف امما كل امة مع امامهم • وقيل جماعات مختلفة • وعن معاذ
رضي الله عنه انه سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معاذ سألت عن امر عظيم من الامور • ثم
ارسل عينيه • وقال تحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم
منكسون ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها • وبعضهم عميا وبعضهم صما بكما وبعضهم يمضغون السنتهم فهي
مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع • وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم •
وبعضهم مصلبون على جذوع من نار • وبعضهم اشد نتنا من الجيف • وبعضهم ملبسون جبابا سابغة
من قطران لازقة بجلودهم • فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس • واما الذين على صورة الخنازير
فاهل السحت • واما المنكسون على وجوههم فأكلة الربا • واما العمي فالذين يجورون في الحكم • واما الصم والبكم
فالمعجبون باعمالهم • واما الذين يمضغون السنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم اعمالهم • واما الذين
قطعت ايديهم وارجلهم فهم الذين يؤذون الجيران • واما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس الى
السلطان • واما الذين هم اشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات • ومنعوا حق الله
في اموالهم • واما الذين يلبسون الجباب فاهل الكبر والفخر والخيلاء • ﴿وفتحت﴾ قرئ بالتشديد والتخفيف
والمعنى كثرت ابوابها المفتحة لنزول الملائكة كأنها ليست الا ابوابا مفتحة كقوله تعالى وفجرنا الارض
عيونا كأن كلها عيون تتفجر • وقيل الابواب الطرق والمسالك اي تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها شيء • ﴿فكانت
سرابا﴾ كقوله تعالى فكانت هباء منبثا يعني انها تصير شيئا كلا شيء لتفرق اجزائها وانبثاث جواهرها ﴿ان جهنم
كانت مرصادا للطاغين مآبا لابثين فيها احقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا جزاء
وفاقا﴾ المرصاد الحد الذي يكون فيه الرصد • والمعنى ان جهنم هي حد الطاغين الذين يرصد فيه للعذاب
وهي مآبهم او هي مرصاد لاهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لان مجازهم عليها وهي مآب للطاغين
وعن الحسن وقتادة رحمة الله عليهما نحوه قالا طريقا وممرا لاهل الجنة • وقرأ ابن يعمر ان جهنم بفتح الهمزة على تعليل
قيام الساعة بان جهنم كانت مرصادا للطاغين كأنه قيل كان ذلك لاقامة الجزاء • قرئ لابثين ولبثين وا
اقوى • لان اللابث من وجد منه اللبث • ولا يقال لبث الا لمن شأنه اللبث كالذي يجثم بالمكان لا يكاد ينفك
منه ﴿احقابا﴾ حقبا بعد حقب كلما مضى حقب تبعه آخر الى غير نهاية ولا يكاد يستعمل الحقب والحقبة الا
حيث يراد تتابع الازمنة وتواليها والاشتقاق يشهد لذلك • الا ترى الى حقيبة الراكب • والحقب الذي
التصدير • وقيل الحقب ثمانون سنة • ويجوز ان يراد لابثين فيها احقابا غير ذائقين بردا او شرابا الا حميما
وغساقا • ثم يبدلون بعد الاحقاب غير الحميم والغساق من جنس آخر من العذاب • وفيه وجه آخر وهو ان يكون
من حقب عامنا اذا قل مطره وخيره • وحقب فلان اذا اخطأه الرزق فهو حقب وجمعه احقاب فينتصب
حالا عنهم يعني لابثين فيها حقبين جحدين • وقوله تعالى لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا • تفسير له والاستثناء
منقطع يعني لا يذوقون فيها بردا وروحا ينفس عنهم حر النار ولا شرابا يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها
حميما وغساقا • وقيل البرد النوم • وانشد يقول

فلو شئت حرمت النساء سواكم • وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا

وعن بعض العرب منع البرد البرد • وقرئ غساقا بالتخفيف والتشديد وهو ما يغسق اي يسيل من
صديدهم و وفاقا وصف بالمصدر او ذا وفاق • وقرأ ابو حيوة وفاقا فعال من وفقه كذا انهم كانوا
لا يرجون حسابا وكذبوا باياتنا كذابا وكل شيء احصيناه كتابا فذوقوا فلن نزيدكم الا
عذابا كذابا تكذيبا وفعال في باب فعل كله فاش في كلام فصحاء من العرب لا يقولون غيره وسمعني بعضهم
افسر اية فقال لقد فسرتها فسارا ما سمع بمثله • وقرئ بالتخفيف • وهو مصدر كذب بدليل قوله

• فصدقتها وكذبتها • والمرء ينفعه كذابه •

وهو مثل قوله تعالى انبتكم من الارض نباتا يعني وكذبوا باياتنا فكذبوا كذابا • او تنصبه بكذبوا لانه
يتضمن معنى كذبوا لان كل مكذب بالحق كاذب وان جعلته بمعنى المكاذبة فمعناه وكذبوا باياتنا
فكاذبوا مكاذبة او كذبوا بها مكاذبين لانهم اذا كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون عندهم كاذبين
فبينهم مكاذبة • او لانهم يتكلمون بما هو افراط في الكذب فعل من يغالب في امره فيبلغ فيه اقصى جهده • وقرئ
كذابا وهو جمع كاذب اي كذبوا باياتنا كاذبين • وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ في الكذب
يقال رجل كذاب • كقولك حسان وبخال فيجعل صفة لمصدر كذبوا اي تكذيبا كذابا مفرطا كذبه • وقرأ ابو
السمال و وكل شيء احصيناه بالرفع على الابتداء و كتابا مصدر في موضع احصاء او احصينا في معنى كتبنا لالتقاء
الاحصاء والكتبة في معنى الضبط والتحصيل او يكون حالا في معنى مكتوبا في اللوح وفي صحف الحفظة • والمعنى
احصاء معاصيهم كقوله تعالى احصاه الله ونسوه وهو اعتراض • وقوله فذوقوا مسبب عن كفرهم
بالحساب وتكذيبهم بالايات وهي اية في غاية الشدة وناهيك بلن نزيدكم • وبدلالته على ان ترك
الزيادة كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة وبمجيئها على طريقة الالتفات شاهدا على ان الغضب قد تبالغ
• وعن النبي صلى الله عليه وسلم هذه الاية اشد ما في القران على اهل النار ان للمتقين مفازا حدائق واعنابا
وكواعب اترابا وكاسا دهاقا مفازا فوزا وظفرا بالبغية • او موضع فوز وقيل نجاة مما فيه اولئك
او موضع نجاة وفسر المفاز بما بعده • و الحدائق البساتين فيها انواع الشجر المثمر و الاعناب الكروم و
الكواعب اللاتي فلكت ثديهن وهن النواهد و الاتراب اللدات و الدهاق المترعة وادهق الحوض
ملاه حتى قال قطني لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا جزاء من ربك عطاء حسابا وقرئ ولا كذابا
بالتشديد والتخفيف اي لا يكذب بعضهم بعضا او لا يكذبه او لا يكاذبه وعن علي رضي الله عنه انه قرأ
بتخفيف الاثنين و جزاء مصدر مؤكد منصوب بمعنى قوله تعالى ان للمتقين مفازا كانه قال
جازى المتقين بمفاز وعطاء نصب بجزاء نصب المفعول به اي جزاهم عطاء و حسابا صفة بمعنى
كافيا من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي • وقيل على حسب اعمالهم وقرأ ابن قطيب حسابا
بالتشديد على ان الحساب بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك رب السموات والارض وما
بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا قرئ رب السموات والرحمن بالرفع على هو رب السموات الرحمن
او رب السموات مبتدا والرحمن صفته و لا يملكون خبر او هما خبران وبالجر على البدل من ربك
وبجر الاول ورفع الثاني على انه مبتدا خبره لا يملكون • او هو الرحمن لا يملكون • والضمير في لا يملكون
لاهل السموات والارض • اي ليس في ايديهم مما يخاطب الله تعالى ويامر به في امر الثواب • والعقاب

خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه او ينقصون منه او لا يملكون ان يخاطبوه بشي
من نقص العذاب او زيادة في الثواب الا ان يهب لهم ذلك ويأذن لهم فيه • يوم يقوم الروح والملائكة
صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا
ويوم يقوم متعلق بلا يملكون او بلا يتكلمون • والمعنى ان الذين هم افضل الخلائق واشرفهم واكثرهم طاعة
واقربهم منه وهم الروح والملائكة لا يملكون التكلم بين يديه فما ظنك بمن عداهم من اهل السموات والارض
والروح اعظم خلقا من الملائكة واشرف منهم واقرب من رب العالمين • وقيل هو ملك ما خلق الله
تعالى بعد العرش خلقا اعظم منه • وقيل ليس بالملائكة وهم يأكلون وقيل جبريل عليه السلم ومما شرطان
ان يكون المتكلم منهم مأذونا له في الكلام • وان يتكلم بالصواب فلا يشفع لغير مرتضى لقوله تعالى
ولا يشفعون الا لمن ارتضى انا انذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر
يا ليتني كنت ترابا المؤمن والكافر لقوله تعالى انا انذرناكم عذابا قريبا • والكافر ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة
الذم ومعنى ما قدمت يداه من الشر كقوله تعالى وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم • ونذيقه يوم
القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك • بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين • وما يجوز ان تكون
استفهامية منصوبة بينظر يقال نظرته بمعنى نظرت اليه والراجع من الصلة محذوف • وقيل المرء عام
وخصص منه الكافر • وعن قتادة هو المؤمن • ويا ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او ليتني
كنت ترابا في هذا اليوم فلم ابعث • وقيل يحشر الله تعالى الحيوان غير مكلف حتى يقتص للجماء من القرناء
ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله • وقيل الكافر ابليس عليه اللعنة يرى آدم عليه السلام وولده وثوابهم
فيتمنى ان يكون الشيء الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين • عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرأ سورة عم يتساءلون سقاه الله برد الشراب يوم القيمة

سورة النازعات مكية | بسم الله الرحمن الرحيم | وهي ست واربعون آية

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا
اقسم سبحانه وتعالى بطوائف الملائكة التي تنزع الارواح من الاجساد وبالطوائف التي تنشطها اي
تخرجها من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها وبالطوائف التي تسبح في مضيها اي تسرع فتسبق الى ما
امروا به فتدبر امرا من امور العباد مما امروا به فتدبر امرا من امور العباد مما يصلحهم في دينهم
او دنياهم كما رسم لهم • غرقا اغراقا في النزع اي تنزعها من اقاصي الاجساد من اناملها واظافرها او اقسم
بخيل الغزاة التي تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها لانها عراب والتي تخرج من
دار الاسلام الى دار الحرب من قولك ثور ناشط اذا خرج من بلد الى بلد والتي تسبح في جريها فتسبق الى
الغاية فتدبر امر الغلبة والظفر واسناد التدبير اليها لانها من اسبابه او اقسم بالنجوم التي تنزع
من المشرق الى المغرب واغراقها في النزع ان تقطع الفلك حتى تنحط في اقصى الغرب والتي تخرج
من برج الى برج والتي تسبح في الفلك من السيارة فتسبق فتدبر امرا من علم الحساب وقيل
النازعات ايدي الغزاة او انفسهم تنزع القسي باغراق السهام والتي تنشط الاوهاق والمقسم

عليه

عليه محذوف وهو لتبعثن لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيمة يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة
قلوب يومئذ واجفة ابصارها خاشعة ويوم ترجف منصوب بهذا المضمر والراجفة الواقعة التي
ترجف عندها الارض والجبال وهي النفخة الاولى وصفت بما يحدث بحدوثها تتبعها الرادفة اي الواقعة
التي تردف الاولى وهي النفخة الثانية ويجوز ان تكون الرادفة من قوله جل وعلا عسى ان يكون
ردف لكم بعض الذي تستعجلون اي القيمة التي تستعجلها الكفرة استبعادا لها وهي رادفة لهم لاقترابها
وقيل الراجفة الارض والجبال من قوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال والرادفة السماء والكواكب
لانها تنشق وتنتثر كواكبها على اثر ذلك فان قلت ما محل تتبعها قلت الحال اي ترجف
تابعتها الرادفة فان قلت كيف جعلت يوم ترجف ظرفا للمضمر الذي هو لتبعثن ولا يبعثون
عند النفخة الاولى قلت لتبعثن في الوقت الواسع الذي تقع فيه النفختان وهم يبعثون في بعض ذلك
الوقت الواسع وهو وقت النفخة الاخرى ودل على ذلك ان قوله تعالى تتبعها الرادفة جعل حالا عن الراجفة
ويجوز ان ينتصب يوم ترجف بما دل عليه قلوب يومئذ واجفة اي يوم ترجف وجفت القلوب
واجفة شديدة الاضطراب والوجيب والوجيف اخوان وخاشعة ذليلة فان قلت كيف جاز
الابتداء بالنكرة قلت قلوب مرفوعة بالابتداء وواجفة صفتها وابصارها خاشعة خبرها فهو كقوله
تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك فان قلت كيف صح اضافة الابصار الى القلوب قلت
معناه ابصار اصحابها بدليل قوله يقولون يقولون أئنا لمردودون في الحافرة أئذا كنا عظاما نخرة
في الحافرة في الحالة الاولى يعنون الحياة بعد الموت فان قلت ما حقيقة هذه الكلمة قلت يقال
رجع فلان في حافرته اي في طريقته التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيه فيها جعل اثر قدميه حفرا كما قيل حفرت
اسنانه حفرا اذا اثر الاكال في اسناخها والخط المحفور في الصخر وقيل حافرة كما قيل عيشة راضية اي
منسوبة الى الحفر والرضا او كقولهم نهارك صائم ثم قيل لمن كان في امر فخرج منه ثم عاد اليه رجع
الى حافرته اي الى طريقته وحالته الاولى قال

احافرة على صلع وشيب • معاذ الله من سفه وعار

يريد ارجوعا الى حافرة وقيل النقد عند الحافرة يريدون عند الحالة الاولى وهي الصفقة وقرأ ابو حيوة
في الحفرة والحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت اسنانه فحفرت حفرا وهي حفرة وهذه القراءة
دليل على ان الحافرة في اصل الكلمة بمعنى المحفورة يقال نخر العظم فهو نخر وناخر كقولك طمع
فهو طامع وفعل ابلغ من فاعل وقد قرئ بهما وهو البالي الاجوف الذي تمر فيه الريح فيسمع له نخير
قالوا تلك اذا كرة خاسرة فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة اذا منصوب بمحذوف
تقديره أئذا كنا عظاما نرد ونبعث وكرة خاسرة منسوبة الى الخسران او خاسر اصحابها والمعنى
انها ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهذا استهزاء منهم فان قلت بم يتعلق قوله
فانما هي زجرة واحدة قلت بمحذوف معناه لا تستصعبوها فانما هي زجرة واحدة يعني لا تحسبوا
تلك الكرة صعبة على الله فانها سهلة هينة في قدرته تعالى ما هي الا صيحة واحدة يريد النفخة الثانية
فاذا هم احياء على وجه الارض بعد ما كانوا امواتا في جوفها من قولهم زجر البعير اذا صاح عليه والساهرة

الارض البيضا المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفي ضدها نايمة
قال الاشعث بن قيس رضي الله عنهما

وساهرة يضحي السراب مجللا ۔ لاقطارها قد جبتها متلثما ۔

او لان سالكها لا ينام خوف الهلكة ۔ وعن قتادة فاذا هم في جهنم هل اتيك حديث موسى اذ ناداه ربه
بالواد المقدس طوى اذهب الى فرعون انه طغى فقل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك
فتخشى اذهب على ارادة القول وفي قراة عبد الله ان اذهب لان في النداء معنى القول هل لك في كذا كما
تقول هل ترغب فيه وهل ترغب اليه الى ان تزكى الى ان تطهر من الشرك وقرا اهل المدينة تزكى بالادغام
و واهديك الى ربك وارشدك الى معرفة الله وانبهك عليه فتعرفه فتخشى لان الخشية لا تكون الا بالمعرفة
قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء اي العلماء به وذكر الخشية لانها ملاك الامر من خشي الله
اتى منه كل خير ومن امن اجترا على كل شر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من خاف ادلج ومن ادلج بلغ
المنزل ۔ بدا مخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض كما يقول الرجل لضيفه هل لك ان تنزل بنا
واردفه الكلام الرقيق ليستدعيه بالتلطف في القول ويستنزله بالمداراة من عتوه كما امر بذلك
في قوله تعالى فقولا له قولا لينا فاريه الاية الكبرى فكذب وعصى ثم ادبر يسعى
فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى الاية الكبرى قلب العصا حية لانها كانت المقدمة والاصل
والاخرى كالتبع لها لانه كان يتقيها بيده ۔ فقيل له ادخل يدك في جيبك ۔ او ارادهما جميعا ۔ الا انه جعلهما واحدة لان
الثانية كانها من جملة الاولى لكونها تابعة لها ۔ فكذب بموسى عليه السلم ۔ والاية الكبرى وسماهما ساحرا وسحرا
و وعصى الله تعالى بعد ما علم صحة الامر وان الطاعة قد وجبت عليه ۔ ثم ادبر يسعى اي لما راى الثعبان ادبر
مرعوبا و يسعى يسرع في مشيته قال الحسن رحمة الله عليه كان رجلا طياشا خفيفا او تولى عن موسى عليه
السلم يسعى ويجتهد في مكايدته ۔ او اريد ثم اقبل يسعى كما تقول اقبل فلان يفعل كذا بمعنى انشا يفعل فوضع
ادبر موضع اقبل لئلا يوصف بالاقبال و فحشر فجمع السحرة كقوله تعالى فارسل فرعون في المداين حاشرين
و فنادى في المقام الذي اجتمعوا فيه معه او امر مناديا فنادى في الناس بذلك ۔ وقيل قام فيهم خطيبا فقال
تلك العظيمة ۔ وعن ابن عباس رضي الله عنهما كلمته الاولى ما علمت لكم من اله غيري والاخرة انا ربكم الاعلى فاخذه
الله نكال الاخرة والاولى ان في ذلك لعبرة لمن يخشى هو مصدر موكد كوعد الله وصبغة الله كانه
قيل نكل الله به نكال الاخرة والاولى و والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم يعني الاغراق في الدنيا
والاحراق في الاخرة ۔ وعن ابن عباس رضي الله عنهما نكال كلمته في الاخرة وهي قوله انا ربكم الاعلى والاولى
وهي قوله ما علمت لكم من اله غيري ۔ وقيل كان بين الكلمتين اربعون سنة وقيل عشرون ءانتم اشد
خلقا ام السما بنيها رفع سمكها فسويها واغطش ليلها واخرج ضحيها الخطاب لمنكري البعث
يعني ءانتم اصعب خلقا وانشاء ام السماء ثم بين كيف خلقها فقال بناها ثم بين البنا فقال رفع سمكها
اي جعل مقدار ذهابها في سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام و فسويها فعدلها مستوية
ملسا ليس فيها تفاوت ولا فطور ۔ او فتممها بما علم انها تتم به واصلحها من قولك سوى فلان امر فلان
و وغطش الليل واغطشه الله كقولك ظلم واظلمه ۔ ويقال ايضا اغطش الليل كما يقال اظلم و واخرج

ضحاها

ضحاها. وابرز ضوء شمسها. يدل عليه قوله عز وجل والشمس وضحاها. يريد وضوئها وقولهم وقت الضحى للوقت الذي
تشرق فيه الشمس ويقوم سلطانها. واضيف الليل والشمس الى السما. لان الليل ظلها والشمس هي السراج
المثقب في جوها. والارض بعد ذلك دحاها اخرج منها ماءها ومرعاها والجبال ارسيها ماءها عيونها
المتفجرة بالماء. ومرعاها ورعيها وهو في الاصل موضع الرعي ونصب الارض والجبال باضمار دحا وارسا وهو
الاضمار على شريطة التفسير. وقراهما الحسن رحمة الله عليه مرفوعين على الابتدا. فان قلت هلا
ادخل حرف العطف على اخرج قلت فيه وجهان احدهما ان يكون معنى دحاها بسطها ومهدها
للسكنى ثم فسر التمهيد بما لا بد منه في تاتي سكناها من تسوية امر الماكل والمشرب. وامكان القرار عليها
والسكون باخراج الما والمرعى وارسا الجبال. واثباتها اوتادا لها حتى تستقر ويستقر عليها. والثاني ان يكون
اخرج حالا باضمار قد كقوله عز وعلا او جاؤكم حصرت صدورهم. واراد بمرعاها ما ياكل الناس
والانعام. واستعير الرعي للانسان كما استعير الرتع في قوله تعالى يرتع ونلعب. وقري نرتع من الرعي
ولهذا قيل دل سبحانه وتعالى بذكر الماء والمرعى على عامة ما يرتفق به ويتمتع مما يخرج من الارض حتى الملح
لانه من الما. متاعا لكم ولانعامكم متاعا لكم فعل ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم لان منفعة ذلك التمهيد
واصلة اليهم والى انعامهم فاذا جاءت الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى وبرزت
الجحيم لمن يرى الطامة الداهية التي تطم على الدواهي اي تعلو وتغلب. وفي امثالهم جرى الوادي فطم
على القري وهي القيمة لطمها على كل هايلة. وقيل هي النفخة الثانية. وقيل الساعة التي يساق فيها اهل الجنة
الى الجنة واهل النار الى النار. يوم يتذكر بدل من اذا جاءت يعني اذا راى اعماله مدونة في كتابه تذكرها
وكان قد نسيها كقوله تعالى احصاه الله ونسوه. وما في ما سعى موصولة او مصدرية. وبرزت واظهرت
وقرا ابو نهيك. وبرزت لمن يرى للرائين جميعا. اي لكل احد يعني انها تظهر اظهارا بينا مكشوفا يراها اهل
الساهرة كلهم كقولهم. قد بين الصبح لذي عينين. يريد لكل من له بصر وهو مثل في الامر المنكشف
لا يخفى على احد. وقرا ابن مسعود رضي الله عنه لمن راى. وقرا عكرمة لمن ترى. والضمير للجحيم كقوله
اذا راتهم من مكان بعيد. وقيل لمن ترى يا محمد فاما من طغى واثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي الماوى
واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى فالجواب فاذا اي فاذا جاءت
الطامة فان الامر كذلك. والمعنى فان الجحيم ماواه كما تقول للرجل غض الطرف تريد طرفك وليس الالف واللام
بدلا من الاضافة ولكن لما علم ان الطاغي هو صاحب الماوى وانه لا يغض الرجل طرف غيره تركت الاضافة
ودخول حرف التعريف في الماوى والطرف للتعريف لانهما معروفان وهي فصل او مبتدا. ونهى النفس الامارة
بالسوء عن الهوى المردي وهو اتباع الشهوات وزجرها عنه وضبطها بالصبر والتوطين على ايثار الخير.
وقيل الايتان نزلتا في ابي عزيز بن عمير ومصعب بن عمير. وقد قتل مصعب اخاه ابا عزيز يوم احد ووقى رسول
الله عليه السلام بنفسه حتى نفذت المشاقص في جوفه يسئلونك عن الساعة ايان مرسيها فيم
انت من ذكريها الى ربك منتهيها ايان مرساها متى ارساؤها اي اقامتها اراد متى يقيمها الله تعالى
ويثبتها ويكونها. وقيل ايان منتهاها ومستقرها كما ان مرسى السفينة مستقرها حيث تنتهي اليه. فيم
انت في اي شي انت من ان تذكر وقتها لهم وتعلمهم به يعني ما انت من ذكراها لهم وتبيين وقتها في شي

وعن عائشة رضي الله عنها لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت فهو على هذا
من كثرة ذكره لها كأنه قيل في أي شغل واهتمام أنت من ذكرها والسؤال عنها والمعنى انهم يسألونك عنها فلحرصك
على جواب‌هم لا تزال تذكرها وتسأل عنها ثم قال الى ربك منتهاها اي منتهى علمها لم يؤت علمها احدا من خلقه
وقيل فيم انكار لسؤالهم اي فيم هذا السؤال ثم قيل انت من ذكراها اي ارسالك وانت خاتم الانبياء وآخر الرسل
المبعوث في نسم الساعة ذكر من ذكراها وعلامة من علاماتها فكفاهم بذلك دليلا على دنوها ومشارفتها ووجوب
الاستعداد لها ولا معنى لسؤالهم عنها **انما انت منذر من يخشاها كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية
او ضحاها** انما انت منذر من يخشاها اي لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة الذي لا فائدة لهم في علمه
وانما بعثت لتنذر من اهوالها من يكون انذارك لطفا له في الخشية منها وقرئ منذر بالتنوين وهو
الاصل والاضافة تخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال فاذا اريد الماضي فليس الا الاضافة كقولك
هو منذر زيد امس اي كأنهم لم يلبثوا في الدنيا وقيل في القبور الا عشية او ضحيها فان قلت
كيف صحت اضافة الضحى الى العشية قلت لما بينهما من الملابسة لاجتماعهما في نهار واحد
فان قلت فهلا قيل الا عشية او ضحى وما فائدة الاضافة قلت الدلالة على ان مدة لبثهم
كأنها لم تبلغ يوما كاملا ولكن ساعة منه عشيته او ضحاه فلما ترك اليوم اضافه الى عشيته فهو كقوله
تعالى لم يلبثوا الا ساعة من نهار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النازعات كان ممن
حبسه الله في القبر والقيمة حتى يدخل الجنة قدر صلوة مكتوبة

سورة عبس مكية | بسم الله الرحمن الرحيم | وهي اثنتان واربعون آية

عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى اتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ابن ام مكتوم وام مكتوم ام ابيه واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة
الفهري رضي الله عنه من بني عامر بن لؤي وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل
بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم
باسلامهم غيرهم فقال يا رسول الله اقرئني وعلمني مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم
فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة
مرتين وقال انس رضي الله عنه رأيته يوم القادسية وعليه درع وله راية سوداء وقرئ عبّس بالتشديد
للمبالغة ونحوه كلّح في كلح ان جاءه منصوب بتولى او بعبس على اختلاف المذهبين ومعناه عبس لان جاءه
الاعمى واعرض لذلك وقرئ أان جاءه بهمزتين وبالف بينهما وقف على عبس وتولى ثم ابتدئ على معنى
الان جاءه الاعمى فعل ذلك انكارا عليه وروي انه ما عبس بعدها في وجه فقير قط ولا تصدى لغني
وفي الاخبار عما فرط منه ثم الاقبال عليه بالخطاب دليل على زيادة الانكار كمن يشكو الى الناس جانيا جنى
عليه ثم يقبل على الجاني اذا حمي في الشكاية مواجها بالتوبيخ والزام الحجة وفي ذكر الاعمى نحو من ذلك كأنه
يقول قد استحق عنده العبوس والاعراض لانه اعمى وكان يجب ان يزيده لعماه تعطفا وترؤفا وتقريبا

وترحيبا

وترحيبا ولقد تأدب الناس بأدب الله تعالى في هذا تأدبا حسنا فقد روي عن سفين الثوري رحمة الله عليه
ان الفقراء كانوا في مجلسه امراء وما يدريك واي شيء يجعلك داريا بحال هذا الاعمى لعله يزكى اي
يتطهر بما يتلقن من الشرائع من بعض اوضار الاثم او يذكر او يتعظ فتنفعه ذكراك اي موعظتك وتكون
له لطفا في بعض الطاعات انك لا تدري ما هو مترقب منه من تزكٍ او تذكر ولو دريت لما فرط ذلك منك
وقيل الضمير في لعله للكافر يعني انك طمعت في ان يتزكى بالاسلام او يذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق وما
يدريك ان ما طمعت فيه كائن وقرئ فتنفعه بالرفع عطفا على يذكر وبالنصب جوابا للعل كقوله عز وجل
فاطلع الى اله موسى اما من استغنى فانت له تصدى وما عليك الا يزكى واما من جاءك يسعى وهو
يخشى فانت عنه تلهى كلا انها تذكرة تصدى تتعرض بالاقبال عليه والمصاداة المعارضة وقرئ
تصّدّى بالتشديد بادغام التاء في الصاد وقرأ ابو جعفر تُصدّى بضم التاء اي تعرض ومعناه يدعوك
داع الى التصدي له من الحرص والتهالك على اسلامه وليس عليك بأس في ان لا يتزكى بالاسلام ان عليك الا
البلاغ يسعى يسرع في طلب الخير وهو يخشى الله او يخشى الكفار واذاهم في اتيانك وقيل جاء وليس معه قائد
فهو يخشى الكبوة وتلهى تتشاغل من لهي عنه والتهى وتلهى وقرأ طلحة بن مصرف تتلهى وقرأ ابو جعفر تُلهى
اي يلهيك شأن الصناديد فان قلت قوله فانت له تصدى فانت عنه تلهى كان فيه اختصاصا
قلت نعم ومعناه انكار التصدي والتلهي عليه اي مثلك خصوصا لا ينبغي ان يتصدى للغني ويتلهى
عن الفقير وكلا ردع عن المعاتب عليه وعن معاودة مثله انها تذكرة اي موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل
بموجبها فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة فمن شاء ذكره وكان
حافظا له غير ناسيه وذكر الضمير لان التذكرة في معنى الذكر والوعظ في صحف صفة لتذكرة يعني انها
مثبتة في صحف منتسخة من اللوح مكرمة عند الله عز وجل مرفوعة في السماء او مرفوعة المقدار مطهرة
منزهة عن ايدي الشياطين لا يمسها الا ايدي ملائكة مطهرين وسفرة كتبة ينتسخون الكتب من اللوح
وبررة اتقياء وقيل هي صحف الانبياء عليهم السلام كقوله تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى وقيل السفرة
القراء وقيل اصحاب رسول الله عليه السلم قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه
قتل الانسان دعاء عليه وهي من اشنع دعواتهم لان القتل قصارى شدائد الدنيا وفظائعها مع
لطرفيه فيه ولا اجمع للائمة على قصر متنه ثم اخذ في وصف حاله من ابتداء حدوثه الى انتهائه وما هو مغمور
في اصول النعم وفروعها وما هو غارز فيه رأسه من الكفر والغمط وقلة الالتفات الى ما يتقلب فيه
وما يجب عليه من القيام بالشكر ومن اي شيء خلقه من اي شيء حقير مهين خلقه ثم بين ذلك الشيء بقوله
من نطفة خلقه فقدره فهيأه لما يصلح له ويختص به ونحوه وخلق كل شيء فقدره تقديرا ثم
السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره كلا لما يقض ما امره نصب السبيل باضمار
يسر وفسره بيسره والمعنى ثم سهل سبيله وهو مخرجه من بطن امه او السبيل الذي يختار سلوكه
من طريقي الخير والشر باقداره وتمكينه كقوله عز وجل انا هديناه السبيل وعن ابن عباس رضي
عنهما بين له سبيل الخير والشر فاقبره فجعله ذا قبر يوارى فيه تكرمة له ولم يجعله مطروحا على وجه
الارض جزرا للسباع والطير كسائر الحيوان يقال قبر الميت اذا دفنه واقبر الميت اذا امره ان يقبره ومكنه منه

ومنه قول من قال للحجاج اقبرنا صالحا و انشره النشأة النشأة الاخرى وقرئ نشره و كلا ردع للانسان
عما هو عليه و لما يقض لم يقض بعد مع تطاول الزمان وامتداده من لدن ادم عليه السلم الى هذه الغاية
ما امره الله تعالى حتى يخرج عن جميع اوامره يعني ان انسانا لم يخل من تقصير قط فلينظر الانسان الى طعامه
انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق
غلبا وفاكهة وابا متاعا لكم ولانعامكم ولما عدد النعم في نفسه [illegible]كر النعم فيما يحتاج اليه فقال فلينظر
الانسان الى مطعمه الذي يعيش به كيف دبرنا امره انا صببنا الماء الغيث قرئ بالكسر على الاستئناف وبالفتح على
البدل من الطعام وقرأ الحسين بن علي رضي الله عنهما انى صببنا بالامالة على معنى فلينظر الانسان كيف صببنا
الماء و شققنا من شق الارض [illegible] ويجوز ان يكون من شقها بالكراب على البقر واسند الشق الى نفسه
اسناد الفعل الى [illegible] و الحب كل ما حصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما و القضب الرطبة والمقضاب
ارضه سمي [illegible] قضبه اذا قطعه لانه يقضب مرة بعد مرة و حدائق غلبا يحتمل ان يجعل كل حديقة غلبا
[illegible] فيها وكثرة اشجارها وعظمها كما تقول حديقة ضخمة وان يجعل شجرها غلبا اي عظاما غلاظا والاصل في
الوصف بالغلب الرقاب فاستعير قال عمرو بن معدي كرب رضي الله عنه

يمشي بها غلب الرقاب كانهم • بزل كسين من الكحيل جلالا

والاب المرعى لانه يؤب اي يؤم وينتجع والاب والام اخوان قال جذمنا قيس ونجد دارنا ولنا
الاب به والمكرع • وعن ابي بكر رضي الله عنه انه سئل عن الاب فقال اي سماء تظلني واي ارض تقلني اذا قلت
في كتاب الله ما لا علم لي به وعن عمر رضي الله عنه انه قرأ هذه الاية فقال كل هذا قد عرفنا فما الاب ثم
رفض عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن ام عمر ان لا تدري ما الاب ثم قال
اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه فان قلت فهذا يشبه النهي عن تتبع معاني
القران والبحث عن مشكلاته قلت لم يذهب الى ذلك ولكن القوم كانت اكبر همتهم عاكفة على
العمل وكان التشاغل بشيء من العلم لا يعمل به تكلفا عندهم فاراد ان الاية مسوقة في الامتنان على الانسان
بمطعمه واستدعاء شكره وقد علم من فحوى الاية ان الاب بعض ما انبته الله تعالى للانسان متاعا له او لانعامه فعليك
بما هو اهم من النهوض بالشكر لله عز وجل على ما تبين لك ولم يشكل مما عدد من نعمه ولا تتشاغل عنه بطلب
معنى الاب ومعرفة النبات الخاص الذي هو اسم له واكتف بالمعرفة الجملية الى ان يتبين لك في غير هذا
الوقت ثم وصى الناس بان يجروا على هذا السنن فيما اشبه ذلك من مشكلات القران فاذا جاءت الصاخة يوم يفر
المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه يقال صخ لحديثه
مثل اصاخ له فوصفت النفخة بالصاخة مجازا لان الناس يصخون لها و يفر منهم لاشتغاله بما هو مدفوع اليه
ولعلمه انهم لا يغنون عنه شيئا وبدأ بالاخ ثم بالابوين لانهما اقرب منه ثم بالصاحبة والبنين لانهم اقرب
واحب كانه قيل يفر من اخيه بل من ابويه بل من صاحبته وبنيه وقيل يفر منهم حذرا من مطالبتهم بالتبعات
يقول الاخ لم تواسني بمالك والابوان قصرت في برنا والصاحبة اطعمتنا الحرام وفعلت وصنعت والبنون
لم تعلمنا ولم ترشدنا وقيل اول من يفر من اخيه هابيل ومن ابويه ابراهيم صلوات الله عليه ومن صاحبته
نوح ولوط عليهما السلم ومن ابنه نوح عليه السلام يغنيه يكفيه في الاهتمام به وقرئ يعنيه اي يهمه

وجوه

وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة مسفرة مضيئة متهللة من اسفر الصبح اذا اضاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما من قيام الليل لما روي في الحديث من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك رحمة الله عليه من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله ؀ غبرة غبار يعلوها ؀ قترة سواد كالدخان ولا ترى اوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه كما ترى من وجوه الزنوج اذا اغبرت وكان الله عز وجل يجمع الى سواد وجوههم الغبرة كما جمعوا الفجور الى الكفر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عبس وتولى جاء يوم القيمة ووجهه ضاحك مستبشر

سورة التكوير وهي | بسم الله الرحمن الرحيم | عشرون وتسع آيات مكية

اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت واذا العشار عطلت واذا الوحوش حشرت في التكوير وجهان ان يكون من كورت العمامة اذا لففتها اي يلف ضوؤها لفا فيذهب انبساطه وانتشاره في الآفاق وهو عبارة عن ازالتها والذهاب بها لانها ما دامت باقية كان ضياؤها منبسطا غير ملفوف او يكون لفها عبارة عن رفعها وسترها لان الثوب اذا اريد رفعه لف وطوي ونحوه قوله تعالى يوم نطوي السماء وان يكون من طعنه فجوره وكوره اذا القاه اي تلقى وتطرح عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار وهو السقوط فان قلت ارتفاع الشمس على الابتداء او على الفاعلية قلت بل على الفاعلية رافعها فعل مضمر يفسره كورت لان اذا تطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط ؀ انكدرت انقضت قال

اذا الكرام ابتدروا الباع ابتدر ⁂ ابصر خربان فضاء فانكدر

ويروى في الشمس والنجوم انها تطرح في جهنم ليراها من عبدها كما قال عز اسمه انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ؀ سيرت اي عن وجه الارض وابعدت او سيرت في الجو تسيير السحاب كقوله تعالى وهي تمر مر السحاب ؀ والعشار في جمع عشراء كالنفاس في جمع نفساء وهي التي اتى على حملها عشرة اشهر ثم هو اسمها الى ان تضع لتمام السنة وهي انفس ما يكون عند اهلها واعزها عليهم ؀ عطلت تركت مسيبة مهملة وقيل عطلها اهلها عن الحلب والصر لاشتغالهم بانفسهم وقرئ عطلت بالتخفيف ؀ حشرت جمعت من كل ناحية قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص وقيل اذا قضي بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبني آدم واعجاب بصورته كالطاوس ونحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما حشرها موتها يقال اذا اجحفت السنة بالناس حشرتهم السنة وقرئ حشرت بالتشديد واذا البحار سجرت واذا النفوس زوجت واذا الموؤدة سئلت باي ذنب قتلت سجرت قرئ بالتخفيف والتشديد من سجر التنور اذا ملأه بالحطب اي ملئت وفجر بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا وقيل ملئت نيرانا تضطرم لتعذيب اهل النار وعن الحسن رحمة الله عليه يذهب ماؤها فلا يبقى فيها قطرة ؀ زوجت قرنت كل نفس بشكلها وقيل قرنت الارواح بالاجساد وقيل بكتبها واعمالها وعن الحسن هو كقوله سبحانه وتعالى وكنتم ازواجا ثلاثة وقيل نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين ؀ وأد يئد مقلوب من آد يؤود اذا اثقل قال الله عز وجل ولا يؤوده حفظهما لانه اثقال بالتراب ؀ كان الرجل اذا ولدت له بنت واراد ان يستحييها البسها جبة من صوف او شعر ترعى له الابل والغنم في البادية فان اراد قتلها تركها حتى اذا

كانت سداسية فيقول لامها طيبيها وزينيها حتى اذهب بها الى احمائها وقد حفر لها بيرا في الصحرا فيبلغ بها البير فيقول لها انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوي البير بالارض وقيل كانت الحامل اذا اقربت حفرت حفرة فتمخضت على راس الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها في الحفرة وان ولدت ابنا حبسته

فان قلت ما حملهم على واد البنات قلت الخوف من لحوق العار بهم من اجلهن او الخوف من الاملاق كما قال الله تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق وكانوا يقولون ان الملايكة بنات الله فالحقوا البنات به فهو احق بهن وصعصعة بن ناجية ممن منع الوادد وبه افتخر الفرزدق في قوله

ومنا الذي منع الوايدات فاحيا الوييد فلم توئد

فان قلت فما معنى سوال الموودة عن ذنبها الذي قتلت به وهلا سيل الوايد عن موجب قتله لها قلت سوالها وجوابها تبكيت لقاتلها نحو التبكيت في قوله تعالى لعيسى عليه السلم انت قلت للناس الى قوله تعالى سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق وقرئ سالت اي خاصمت عن نفسها وسالت الله عز وجل او قاتلها وانما قيل قتلت بناء على ان الكلام اخبار عنها ولو حكي ما خوطبت به حين سيلت لقيل قتلت او كلامها حين سيلت لقيل قتلت وقرا ابن عباس رضي الله عنهما قتلت على الحكاية وقرئ قتلت بالتشديد وفيه دليل بين على ان اطفال المشركين لا يعذبون وعلى ان التعذيب لا يستحق الا بالذنب واذا بكت الله عز وجل الكافر ببراءة الموودة من الذنب فما اقبح به وهو الذي لا يظلم مثقال ذرة ان يكر عليها بعد هذا التبكيت فيفعل بها ما تنسى عنده فعل المبكت من العذاب السرمد وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه سئل عن ذلك فاحتج بهذه الاية واذا الصحف نشرت واذا السما كشطت واذا الجحيم سعرت واذا الجنة ازلفت علمت نفس ما احضرت نشرت قرئ بالتخفيف والتشديد يريد صحف الاعمال تطوى صحيفة الانسان عند موته ثم تنشر اذا حوسب وعن قتادة صحيفتك يا ابن ادم تطوى على عملك ثم تنشر يوم القيمة فلينظر رجل ما يملي في صحيفته وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا قراها قال اليك يسار الامر يا ابن ادم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يحشر الناس حفاة عراة فقالت ام سلمة رضي الله عنها كيف بالنسا فقال شغل الناس يا ام سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل ويجوز ان يراد نشرت بين اصحابها اي فرقت بينهم وعن مرثد بن وداعة اذا كان يوم القيمة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المومن في يده في جنة عالية وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم اي مكتوب فيها ذلك وهي صحف غير صحف الاعمال كشطت كشفت وازيلت عما فوقها وهو العرش كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشي وقرا ابن مسعود رضي الله عنه قشطت واعتقاب الكاف والقاف كثير يقال لبكت الثريد ولبقته والكافور والقافور سعرت اوقدت ايقادا شديدا وقرئ سعرت بالتشديد للمبالغة قيل سعرها غضب الله تعالى وخطايا بني ادم ازلفت ادنيت من المتقين عز وجل وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها في الدنيا وست في الاخرة وعلمت هو عامل النصب في اذا الشمس كورت وفيما عطف عليه فان قلت كل نفس تعلم ما احضرت كقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا لا نفس واحدة فما معنى قوله علمت نفس قلت هو من عكس كلامهم الذي يقصدون به الافراط فيما يعكس عنه ومنه قوله عز وجل ربما

يود

الذين كفروا لو كانوا مسلمين ومعناه معنى كم وابلغ منه قول القايل

قد اترك القرن مصفرا انامله ❊ كان اثوابه مجت بفرصاد

وتقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي او لا تعدم عندي فارسا وعنده المقانب وقصده بذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه اراد اظهار براءته من التزيد وانه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا ان يتزيد فجا بلفظ التقليل ففهم منه معنى الكثرة على الصحة واليقين وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان قاريا قراها عنده فلما بلغ علمت نفس ما احضرت قال وانقطاع ظهرياه فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس الخنس الرواجع بينا ترى النجم في اخر البرج اذ كر راجعا الى اوله و والجواري السيارة و والكنس الغيب من كنس الوحشي اذا دخل كناسه قيل هي الدراري الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري تجري مع الشمس والقمر فترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس وقيل هي جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل اي تطلع في اماكنها كالوحش في كنسها و عسعس الليل وسعسع اذا ادبر قال النجاح

حتى اذا الصبح لها تنفسا ❊ وانجاب عنها ليلها وعسعسا

وقيل عسعس اذا اقبل ظلامه فان قلت ما معنى تنفس الصبح قلت اذا اقبل الصبح اقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له على المجاز وقيل تنفس الصبح انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وما صاحبكم بمجنون انه الضمير للقران و رسول كريم هو جبريل عليه السلم و ذي قوة هو كقوله عز وعلا شديد القوى ذو مرة لما كانت حال المكانة حسب حال الممكن قال عند ذي العرش ليدل على عظم منزلته ومكانته ثم اشارة الى الظرف المذكور اعني عند ذي العرش على انه عند الله عز وجل و مطاع في ملايكته المقربين يصدرون عن امره ويرجعون الى رايه وقري ثم تعظيما للامانة وبيانا لانها افضل صفاته المعدودة و وما صاحبكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بمجنون كما تبهته الكفرة وناهيك بهذا دليلا على جلالة مكان جبريل عليه السلم وفضله على الملايكة ومباينة منزلته لمنزلة افضل الانس محمد صلوات الله وسلامه عليه اذا وازنت بين الذكرين حين قرن بينهما وقايست بين قوله انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وبين قوله وما صاحبكم بمجنون ولقد راه بالافق المبين وما هو على الغيب بضنين وما هو بقول شيطان رجيم فاين تذهبون ان هو الا [illegible]

ولقد راى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلم و بالافق المبين بمطلع الشمس [illegible] هو وما محمد صلى الله عليه وسلم على ما يخبر به من الغيب من رؤية جبريل عليه السلام والوحي اليه [illegible] و بظنين بمتهم من الظنة وهي التهمة وقري بضنين من الضن وهو البخل اي لا يبخل بالوحي [illegible] بعضه غير مبلغه او يسال تعليمه فلا يعلمه وهو في مصحف عبد الله بالظاء وفي مصحف ابي بالضاد [illegible] رسول الله يقرا بهما واتقان الفصل بين الضاد والظاء واجب ومعرفة مخرجيهما مما لا بد منه للقاري فان اكثر العجم لا يفرقون بين الحرفين وان فرقوا ففرقا غير صواب وبينهما بون بعيد فان مخرج الضاد من اصل [illegible] اللسان وما يليها من الاضراس من يمين اللسان او يساره وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اضبط يعمل بكلتا يديه وكان يخرج الضاد من جانبي لسانه وهو احد الاحرف الشجرية اخت الجيم والشين [illegible] الظا فمخرجها من طرف اللسان واصول الثنايا العلى وهي احد الاحرف الذولقية اخت الذال والثاء

ولو استوى الحرفان لما ثبتت في هذه الكلمة قراءتان اثنتان واختلاف بين جبلين من جبال العلم والقراءة ولما اختلف المعنى والاشتقاق والتركيب **فان قلت** فان وضع المصلي احد الحرفين مكان صاحبه **قلت** هو كواضع الذال مكان الجيم والثاء مكان الشين لان التفاوت بين الظاء والضاد كالتفاوت بين اخواتهما وما هو وما القران بقول شيطان رجيم اي بقول بعض المسترقة للسمع وبوحيهم الى اوليائهم من الكهنة **فاين تذهبون** استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا او ذهابا في بنيات الطريق اين تذهب مثلت حالهم بحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه الى الباطل **لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين** لمن شاء منكم بدل من للعالمين وانما ابدلوا منهم لان الذين شاؤا الاستقامة يامن يشاؤها الا بتوفيق الله ولطفه او وما تشاؤنها انتم يامن لا يشاؤها الا بقسر الله والجائه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الكورت اعاذه الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته

سورة الانفطار وهي تسعة عشر اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت واذا البحار فجرت واذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت واخرت انفطرت انشقت فجرت فتح بعضها الى بعض فاختلط العذب بالمالح وزال البرزخ الذي بينهما وصارت البحار بحرا واحدا وروى ان الارض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن رحمة الله عليه وقرئ فجرت بالتخفيف وقرا مجاهد فجرت على البناء للفاعل والتخفيف بمعنى بغت لزوال البرزخ نظرا الى قوله تعالى لا يبغيان لان البغي والفجور اخوان وبعثرت بحثر بمعنى وهما مركبان من البعث والبحث مع راء مضمومة اليهما والمعنى بحثت واخرج موتاها وقيل لبراءة المبعثرة لانها بعثرت اسرار المنافقين **يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في اي صورة ما شاء ركبك فان قلت** ما معنى قوله ما غرك بربك الكريم وكيف طابق الوصف بالكرم انكار الاغترار به وانما يغتر بالكريم كما يروى عن علي رضي الله عنه انه صاح بغلام له كرات فلم يلبه فنظر فاذا هو بالباب فقال له ما لك لم تجبني قال لثقتي بحلمك وامني من عقوبتك فاستحسن جوابه واعتقه وقالوا من كرم الرجل سوء ادب غلمانه **قلت** معناه ان حق الانسان ان لا يغتر بتكرم الله تعالى عليه حيث خلقه حيا لينفعه وبتفضله عليه بذلك حتى يطمع بعد ما مكنه وكلفه فعصى وكفر النعمة المتفضل بها ان يتفضل عليه بالثواب وطرح العقاب اغترارا بالتفضل الاول فانه منكر خارج من حد الحكمة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلاها غره جهله وقال عمر رضي الله عنه غره حمقه وجهله وقال الحسن رحمة الله عليه غره والله شيطانه الخبيث اي زين له المعاصي وقال له افعل ما شئت فربك الكريم الذي تفضل عليك بما تفضل به اولا وهو متفضل عليك اخرا حتى ورطه وقيل للفضيل بن عياض رحمة الله عليه ان اقامك الله يوم القيمة وقال لك ما غرك بربك الكريم ماذا تقول قال اقول غرتني ستورك المرخاة وهذا على سبيل الاعتراف بالخطا في الاغترار بالستر وليس باعتذار كما يظنه الطماع ويظن به قصاص الحشوية ويروون عن ائمتهم انما قال بربك الكريم دون سائر صفاته ليلقن عبده الجواب حتى يقول غرني كرم الكريم وقرا سعيد بن جبير رضي الله عنه ما اغرك اما على التعجب واما على الاستفهام من قولك غر الرجل فهو غار اذا غفل من قولك بينهم العدو وهم غارون واغره غيره جعله غارا فسواك فجعلك سويا سالم الاعضاء فعدلك فصيرك

معتدل متناسب الخلق من غير تفاوت فيه فلم تجعل احدى اليدين اطول ولا احدى العينين اوسع ولا بعض الاعضاء ابيض وبعضها اسود ولا بعض الشعر فاحما وبعضه اشقر او جعلك معتدل الخلق تمشي قائما لا كالبهائم. وقرئ فعدلك بالتخفيف وفيه وجهان احدهما ان يكون بمعنى المشدد اي عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت والثاني فعدلك فصرفك يقال عدله عن الطريق يعني فعدلك عن خلقة غيرك وخلقك خلقة حسنة مفارقة لسائر الخلق او فعدلك الى بعض الاشكال والهيآت في اي صورة ما شاء ركبك ما مزيدة اي ركبك في اي صورة اقتضتها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة في الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والانوثة والشبه ببعض الاقارب وخلاف الشبه فان قلت هلا عطفت هذه الجملة كما عطف ما قبلها قلت لانها بيان لعدلك فان قلت بم يتعلق الجار قلت يجوز ان يتعلق بركبك على معنى وضعك في بعض الصور ومكنك فيه وبمحذوف اي ركبك حاصلا في بعض الصور ومحله النصب على الحال ان علق بمحذوف ويجوز ان يتعلق بعدلك ويكون في اي معنى التعجب اي فعدلك في صورة عجيبة ثم قال ما شاء ركبك اي ركبك ما شاء من التراكيب يعني تركيبا حسنا كلا بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين كلا ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله تعالى والتسلق به وهو موجب الشكر والطاعة الى عكسهما الذي هو الكفر والمعصية ثم قال بل تكذبون بالدين اصلا وهو الجزاء او دين الاسلام فلا تصدقون ثوابا ولا عقابا وهو شر من الطمع المنكر وان عليكم لحافظين تحقيق لما يكذبون به من الجزاء يعني انكم تكذبون بالجزاء والكاتبون يكتبون عليكم اعمالكم لتجازوا بها وفي تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لامر الجزاء وانه عند الله تعالى من جلائل الامور ولولا ذلك لما وكل بضبط ما يحاسب عليه ويجازي به الملائكة الكرام الحفظة الكتبة وفيه انذار وتهويل وتشوير للعصاة ولطف للمؤمنين وعن الفضيل انه اذا كان قرأها قال ما اشدها من اية على الغافلين وما هم عنها بغائبين كقوله تعالى وما هم بخارجين منها ويجوز ان يراد يصلون النار يوم الدين وما يغيبون عنها قبل ذلك يعني في قبورهم وقيل اخبر الله تعالى في هذه السورة ان لابن ادم ثلاث حالات حال الحياة التي يحفظ فيها عمله وحال الاخرة التي يجازى فيها وحال البرزخ وهو قوله وما هم عنها بغائبين وما ادريك ما يوم الدين ثم ما ادريك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله يعني ان امر يوم الدين بحيث لا يدرك دراية دار كنهه في الهول والشدة وكيف ما تصورته فهو فوق ذلك وعلى اضعافه والتكرير لزيادة التهويل ثم اجمل القول في وصفه فقال يوم لا تملك نفس لنفس شيئا اي لا تستطيع دفعا عنها ولا نفعا لها بوجه ولا امر الا لله وحده من رفع فعلى البدل من يوم الدين او على هو يوم لا تملك ومن نصب فباضمار يدانون لان الدين يدل عليه او باضمار اذكر ويجوز ان يفتح لاضافته الى غير متمكن وهو في محل الرفع عن رسول الله عليه افضل الصلوات واكمل التحيات من قرا اذا السماء انفطرت كتب له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد

سورة المطففين بسم الله الرحمن الرحيم وهي ست وثلاثون اية

ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون التطفيف

لبخس في الكيل والوزن لان ما يبخس شيء طفيف حقير وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكانوا
من اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوا الكيل وقيل قدمها وبها رجل يعرف بابي جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما
ويكتال بالاخر وقيل كان اهل المدينة تجارا يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقراها عليهم وقال خمس بخمس قيل يا رسول الله وما خمس بخمس قال ما نقض
قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله فيهم الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم
الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم
القطر وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه مر برجل يزن الزعفران وقد ارجح فقال له اقم الوزن بالقسط ثم ارجح
بعد ذلك ما شئت كانه امره بالتسوية اولا ليعتادها ويفصل الواجب من النفل وعن ابن عباس رضي الله عنهما انكم
معشر الاعاجم وليتم امرين بهما هلك من كان قبلكم المكيال والميزان وخص الاعاجم لانهم يجمعون الكيل والوزن جميعا
وكانا مفرقين في الحرمين كان اهل مكة يزنون واهل المدينة يكيلون وعن ابن عمر رضي الله عنهما يمر بالبايع فيقول اتق
الله واوف الكيل فان المطففين يوقفون يوم القيمة لعظمة الرحمن حتى ان العرق ليلجمهم وعن عكرمة اشهد ان كل
كيال ووزان في النار فقيل له ان ابنك كيال ووزان فقال اشهد انه في النار وعن ابي رضي الله عنه لا تلتمس الحو-
الحوائج ممن رزقه في رؤس المكاييل والسن الموازين لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم ابدل على مكان من
للدلالة على ذلك ويجوز ان يتعلق على بيستوفون ويقدم المفعول على الفعل لافادة الحصر [illegible] اي يستوفون
على الناس خاصة فاما انفسهم فيستوفون لها وقال الفراء رحمة الله عليه من وعلى يعتقبان في هذا الموضع لانه
حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكانه قال اخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك
والضمير في كالوهم او وزنوهم ضمير منصوب راجع الى الناس وفيه وجهان ان يراد كالوا لهم او وزنوا لهم فحذف
الجار واوصل الفعل كما قال ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا ولقد نهيتك عن بنات الاوبر
والحريص يصيدك لا الجواد بمعنى جنيت لك ويصيد لك وان يكون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
والمضاف هو المكيل او الموزون ولا يصح ان يكون ضميرا مرفوعا للمطففين انقلب الى قولك اذا اخذوا من الناس
استوفوا واذا تولوا الكيل او الوزن هم على الخصوص اخسروا وهو كلام متنافر لان الحديث واقع في الفعل لا في
والتعلق في ابطاله بخط المصحف وان الالف التي تكتب بعد واو الجمع غير ثابتة فيه ركيك لان خط المصحف
كثير منه خارج عن حد المصطلح عليه في علم الخط على اني رايت في الكتب المخطوطة بايدي الائمة المتقنين هذه الالف مرفوضة لكونها
غير ثابتة في اللفظ والمعنى جميعا لان الواو وحدها معطية معنى الجمع وانما كتبت هذه الالف تفرقة بين واو الجمع
وغيرها في نحو قولك هم لم يدعوا وهو يدعو فمن لم يثبتها قال المعنى كاف في التفرقة بينهما وعن عيسى بن عمر وحمزة
انهما كانا يرتكبان ذلك اي يجعلان الضميرين للمطففين ويقفان عند الواوين وقيفة يبينان بها ما ارادا [illegible]
هلا قيل او اتزنوا كما قيل او وزنوهم قلت كان المطففين كانوا لا ياخذون ما يكال ويوزن الا بالمكاييل دون
الموازين لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لانهم يدعدعون ويحتالون في الملء واذا اعطوا كالوا او وزنوا لتمكنهم
من البخس في النوعين جميعا يخسرون ينقصون يقال خسر الميزان واخسره الا يظن اولئك انهم مبعوثون
ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين الا يظن انكار وتعجيب عظيم من حالهم في الاجتراء على التطفيف كانهم
لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينا انهم مبعوثون ومحاسبون على مقدار الذرة والخردلة وعن قتادة اوف

يا ابن آدم كما تحب ان يوفى لك واعدل كما تحب ان يعدل لك. وعن الفضيل بخس الميزان سواد الوجه يوم القيمة. وعن عبد الملك بن مروان ان اعرابيا قال له لقد سمعت ما قال الله في المطففين اراد بذلك ان المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذي سمعت به فما ظنك بنفسك وانت تاخذ اموال المسلمين بلا كيل ولا وزن. وفي هذا الانكار والتعجيب وكلمة الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله عز وجل ووصفه ذاته برب العالمين بيان بليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم في التطفيف وفيما كان في مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط والعمل على السوية والعدل في كل اخذ واعطاء بل في كل قول وعمل. وقيل الظن بمعنى اليقين والوجه ما ذكر. ونصب يوم يقوم بمبعوثون. وقرئ بالجر بدلا من يوم عظيم. وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه قرأ هذه السورة فلما بلغ قوله يوم يقوم الناس لرب العالمين بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعده. كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وما ادريك ما سجين كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به الا كل معتد اثيم اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين كلا ردعهم عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن ذكر البعث والحساب ونبههم على انه مما يجب ان يتاب عنه ثم اتبعه وعيد الفجار. ما يكتب من اعمالهم. فان قلت قد اخبر الله عز وجل عن كتاب الفجار بانه في سجين. وفسر سجينا بكتاب مرقوم فكانه قيل ان كتابهم في كتاب مرقوم فما معناه. قلت سجين كتاب جامع وهو ديوان الشر دونه الله عز وجل فيه اعمال الشياطين واعمال الكفرة والفسقة من الجن والانس وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من راه انه لا خير فيه. والمعنى ان ما كتب من اعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان وسمي سجينا فعيلا من السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق في جهنم او لانه مطروح كما روي تحت الارض السابعة في مكان وحش مظلم وهو مسكن ابليس وذريته استهانة به واذالة ويشهده الشياطين المدحورون كما يشهد ديوان الخير الملائكة المقربون. فان قلت فما سجين اصفة هو ام اسم. قلت بل هو اسم علم منقول من وصف كحاتم وهو منصرف لانه ليس فيه الا سبب واحد وهو التعريف. الذين يكذبون مما وصف به للذم لا للبيان كقولك فعل ذلك فلان الفاسق الخبيث. كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا ردع للمعتدي الاثيم عن قوله ران على قلوبهم ركبها كما يركب الصدأ وغلب عليها وهو ان يصر على الكباير ويسوف التوبة حتى يطبع على قلبه فلا يقبل الخير ولا يميل اليه. وعن الحسن رحمه الله عليه الذنب بعد الذنب حتى يسود القلب يقال ران عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا والغين الغيم. ويقال ران فيه النوم رسخ فيه ورانت به الخمر ذهبت به. وقرئ بادغام اللام في الراء. وبالاظهار والادغام اجود وامليت الالف وفخمت. كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون كلا ردع عن الكسب الراين على قلوبهم وكونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم واهانتهم لانه لا يوذن على الملوك الا للوجهاء المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم الا الادنياء المهانون عندهم. قال

:. اذا اعتروا باب ذي عبية رجبوا :. والناس من بين مرجوب ومحجوب :.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وابن ابي مليكة محجوبين عن رحمته. وعن ابن كيسان عن كرامته. كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادريك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون كلا ردع عن التكذيب. وكتاب الابرار ما كتب من اعمالهم. وعليون علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع علي فعيل من العلو كسجين من السجن سمي بذلك اما لانه سبب الارتفاع

الملك المعروف فاد...
قلت ما سجين اصفة...
منقول من وصف كحا...
وهو منصرف
ح

الى اعالى الدرجات فى الجنة واما لانه مرتفع فى السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما وروى
ان الملائكة لتصعد بعمل العبد فيستقلونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله من سلطانه اوحى اليهم انكم الحفظة على عبدى
وانا الرقيب على ما فى قلبه وانه اخلص عمله فاجعلوه فى عليين فقد غفرت له وانها لتصعد بعمل العبد فيزكونه فاذا
انتهوا به الى ما شاء الله اوحى اليهم انتم الحفظة على عبدى وانا الرقيب على قلبه وانه لم يخلص لى عمله فاجعلوه فى سجين
ان الابرار لفى نعيم على الارائك ينظرون تعرف فى وجوههم نضرة النعيم الارائك الاسرة فى الحجال ينظرون
الى ما شاءوا مد اعينهم اليه من مناظر الجنة والى ما اولاهم الله من النعمة والكرامة والى اعدائهم يعذبون فى
النار وما تحجب الحجال ابصارهم عن الادراك نضرة النعيم بهجة التنعم وماؤه ورونقه كما ترى فى وجوه الاغنياء واهل
الترفه وقرئ تعرف على البناء للمفعول ونضرة النعيم بالرفع يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفى ذلك
فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون الرحيق الشراب الخالص الذى لا غش فيه
مختوم تختم اوانيه من الاكواب والاباريق بمسك مكان الطينة وقيل ختامه مسك مقطعه رائحة مسك
اذا شرب وقيل يمزج بالكافور ويختم مزاجه بالمسك وقرئ خاتمه بفتح التاء وكسرها اى ما يختم به ويقطع
فليتنافس المتنافسون فليرتغب المرتغبون تسنيم علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذى هو مصدر سنمه اذا
رفعه اما لانها ارفع شراب فى الجنة واما لانها تأتيهم من فوق على ما روى انها تجرى فى الهواء [illegible] فتنصب فى
اوانيهم وعينا نصب على المدح وقال الزجاج نصب على الحال وقيل هى للمقربين يشربونها صرفا وتمزج لسائر اهل الجنة
ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى اهلهم
انقلبوا فكهين واذا راوهم [illegible] لضالون وما ارسلوا عليهم حافظين هم مشركو مكة ابو جهل
والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل [illegible]
[illegible] وخباب وبلال وصهيب
[illegible] رضى الله عنهم وغيرهم من فقراء المؤمنين ويستهزؤن بهم وقيل [illegible] بنفر من المسلمين
فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا الى اصحابهم فقالوا راينا اليوم الاصلع [illegible] منه فنزلت
قبل ان يصل على رضى الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتغامزون يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم
فكهين متلذذين بذكرهم والسخرية منهم اى ينسبون المسلمين الى الضلال وما ارسلوا على المسلمين
موكلين بهم يحفظون عليهم احوالهم ويهيمنون على اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وهذا تهكم
من جملة اقوال الكفار انهم اذا راوا المسلمين قالوا ان هؤلاء لضالون وانهم لم يرسلوا عليهم حافظين
انكارا لصدهم اياهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وجدهم فى ذلك فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون
على الارائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون على الارائك ينظرون حال من يضحكون
ناظرين اليهم والى ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والكبر ومن الوان العذاب بعد النعيم
وهم على الارائك امنون وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليها
اغلق دونهم مرارا فيضحك المؤمنون منهم ثوبه واثابه بمعنى اذا جازاه قال اوس
سأجزيك او يجزيك عنى مثوب ... وحسبك ان يثنى عليك وتحمدى
وقرئ بادغام اللام فى الثاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المطففين سقاه الله
الرحيق المختوم يوم القيامة صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

٢٩ كانوا يضحكون من عمار وصهيب وخباب
على بن ابى طالب كرم الله وجهه فى نفر

سورة انشقت مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي خمس وعشرون آية

اذا السما انشقت واذنت لربها وحقت حذف جواب اذا ليذهب المقدر كل مذهب او اكتفا بما علم في مثلها من سورتي
التكوير والانفطار وقيل جوابها ما دل عليه فملاقيه اي اذا السما انشقت لاقى الانسان كدحه ومعناه اذا انشقت بالغمام
كقوله جل وعلا يوم تشقق السما بالغمام وعن علي رضي الله عنه تنشق من المجرة اذن له استمع له ومنه قوله
صلى الله عليه وسلم ما اذن الله لشي كاذنه لنبي يتغنى بالقران وقول جحاف بن حكيم اذنت لكم لما سمعت هريركم
والمعنى انها فعلت في انقيادها لله عز وجل حين اراد انشقاقها فعل المطواع الذي اذا ورد عليه الامر من جهة
المطاع انصت له واذعن ولم ياب ولم يمتنع كقوله تعالى اتينا طائعين وحقت من قولك هو محقوق بكذا
وحقيق به يعني وهي حقيقة بان تنقاد ولا تمتنع ومعناه الايذان بان القادر بالذات يجب ان يتاتى له كل مقدور
ويحق ذلك واذا الارض مدت والقت ما فيها وتخلت واذنت لربها وحقت مدت من مد الشي فامتد
وهو ان تزال جبالها واكامها وكل امت فيها حتى تمتد وتنبسط ويستوي ظهرها كما قال الله تعالى قاعا صفصفا
لا ترى فيها عوجا ولا امتا وعن ابن عباس رضي الله عنهما مدت مد الاديم العكاظي لان الاديم اذا مد زال كل انثنا
فيه وامت واستوى او من مده بمعنى امده اي زيدت سعة وبسطة والقت ما فيها ورمت بما في جوفها
مما دفن فيها من الموتى والكنوز وتخلت وخلت غاية الخلو حتى لم يبق شي في باطنها كانها تكلفت اقصى جهدها في الخلو
كما يقال تكرم الكريم وترحم الرحيم اذا بلغا جهدهما في الكرم والرحمة وتكلفا فوق ما في طبعهما واذنت لربها
في القا ما في بطنها وتخليها يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه فاما من اوتي كتابه بيمينه
فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى اهله مسرورا الكدح جهد النفس في العمل والكد فيه حتى
يوثر فيها من كدح جلده اذا خدشه ومعنى كادح الى ربك جاهد الى لقا ربك وهو الموت وما بعده من الحال
الممثلة باللقا فملاقيه فملاق له لا محالة لا مفر لك منه وقيل الضمير في ملاقيه للكدح يسيرا سهلا هينا
لا يناقش فيه ولا يعترض بما يسوءه ويشق عليه كما يناقش اصحاب الشمال وعن عائشة رضي الله عنها هو ان يعرف
ذنوبه ثم يتجاوز عنه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من يحاسب يعذب فقيل يا رسول الله فسوف يحاسب حسابا
يسيرا قال ذلكم العرض من نوقش في الحساب عذب الى اهله الى عشيرته ان كانوا مومنين او الى فريق المومنين
او الى اهله في الجنة من الحور العين واما من اوتي كتابه ورا ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا انه
كان في اهله مسرورا انه ظن ان لن يحور بلى ان ربه كان به بصيرا ورا ظهره قيل تغل يمناه الى
عنقه وتجعل شماله ورا ظهره فيوتى كتابه بشماله من ورا ظهره وقيل تخلع يده اليسرى من ورا ظهره
ويدعو ثبورا يقول يا ثبوراه والثبور الهلاك وقرى ويصلى سعيرا كقوله تعالى وتصلية جحيم
ويصلى بضم الياء والتخفيف كقوله تعالى ونصله جهنم في اهله فيما بين ظهرانيهم او معهم على انهم كانوا جميعا مسرورين
يعني انه كان في الدنيا مترفا بطرا مستبشرا كعادة الفجار الذين لا يهمهم امر الاخرة ولا يفكرون في العواقب ولم يكن
كئيبا حزينا متفكرا كعادة الصلحا والمتقين وحكاية الله عز وجل عنهم انا كنا قبل في اهلنا مشفقين ظن ان لن
يحور لن يرجع الى الله تعالى تكذيبا بالمعاد يقال لا يحور ولا يحول اي لا يرجع ولا يتغير قال لبيد
يحور رمادا بعد اذ هو ساطع وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما كنت ادري ما معنى يحور حتى سمعت اعرابية تقول

لبنيه للحور اي الرجوع وبلى ايجاب لما بعد النفي في لن يحور اي بلى ليحورن ان ربه كان به بصيرا وبا عماله لا ينساها ولا تخفى عليه فلا بد ان يرجعه ويجازيه عليها . وقيل نزلت الايتان في ابي سلمة بن عبد الاشد واخيه الاسود بن عبد الاشد

فلا اقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر اذا اتسق لتركبن طبقا عن طبق فما لهم لا يؤمنون الشفق الحمرة التي ترى في المغرب بعد سقوط الشمس وبسقوطه يخرج وقت المغرب . ويدخل وقت العتمة عند عامة العلماء الا ما روي عن ابي حنيفة رحمة الله عليه في احدى الروايتين انه البياض وروى اسد بن عمرو انه رجع عنه سمي لرقته ومنه الشفقة على الانسان رقة القلب عليه وما وسق وما جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق قال

ان لنا قلائصا حقائقا مستوسقات لو يجدن سائقا

ونظيره في وقوع افتعل واستفعل مطاوعين اتسع واستوسع ومعناه وما جمعه وستره واوى اليه من الدواب وغيرها واذا اتسق اذا اجتمع واستوى ليلة اربع عشرة قرئ لتركبن على خطاب الانسان في يا ايها الانسان ولتركبن بالضم على خطاب الجنس لان النداء للجنس ولتركبن بالكسر على خطاب النفس وليركبن بالياء على ليركبن الانسان والطبق ما طابق غيره يقال ما هذا بطبق لذا اي لا يطابقه ومنه قيل للغطاء الطبق واطباق الثرى ما يطابق منه . ثم قيل للحال المطابقة لغيرها طبق ومنه قوله عز وجل طبقا عن طبق اي حالا بعد حال كل واحدة مطابقة لاختها في الشدة والهول ويجوز ان يكون جمع طبقة وهي المرتبة من قولهم هو على طبقات ومنه طبق الظهر لفقاره الواحدة طبقة على معنى لتركبن احوالا بعد احوال هي طبقات في الشدة بعضها ارفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة واهوالها فان قلت ما محل عن طبق قلت النصب على انه صفة لطبقا اي طبقا مجاوزا لطبق او حال من الضمير في لتركبن اي لتركبن طبقا مجاوزين لطبق او مجاوزا او مجاوزة على حسب القراءة وعن مكحول كل عشرين عاما تجدون امرا لم تكونوا عليه واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون بل الذين كفروا يكذبون والله اعلم بما يوعون فبشرهم بعذاب اليم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون لا يستكينون ولا يخضعون . وقيل قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤوسهم وتصفر فنزلت وبه احتج ابو حنيفة على وجوب السجدة . وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليس في المفصل سجدة . وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه سجد فيها وقال والله ما سجدت فيها الا بعد ان رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها وعن انس رضي الله عنه صليت خلف ابي بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم فسجدوا وعن الحسن رحمة الله عليه هي غير واجبة الذين كفروا اشارة الى المذكورين بما يوعون بما يجمعون في صدورهم ويضمرون من الكفر والحسد والبغي والبغضاء او بما يجمعون في صحفهم من اعمال السوء ويدخرون لانفسهم من انواع العذاب والا الذين امنوا استثناء منقطع . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا السماء انشقت اعاذه الله ان يعطيه كتابه وراء ظهره .

سورة البروج مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي اثنتان وعشرون اية

والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود قتل اصحاب الاخدود النار ذات الوقود اذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود هي البروج الاثنا عشر وهي قصور السماء على التشبيه وقيل البروج النجوم التي هي منازل القمر وقيل عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها وقيل ابواب السماء

الموعود يوم القيمة ❊ وشاهد ومشهود يعني وشاهد في ذلك اليوم ومشهود فيه ❊ والمراد بالشاهد من يشهد فيه
من الخلايق كلهم وبالمشهود ما في ذلك اليوم من عجايبه وطريق تنكيرهما اما ما ذكرته في **قوله تعالى**
علمت نفس ما احضرت كانه قيل وما افرطت كثرته من شاهد ومشهود ❊ واما الابهام في الوصف كانه قيل وشاهد
ومشهود لا يكتنه وصفهما ❊ وقد اضطربت اقاويل المفسرين فيهما فقيل الشاهد والمشهود محمد صلى الله عليه وسلم
وامته ❊ وقيل عيسى عليه السلم وامته **لقوله عز وعلا** وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ❊ وقيل امة محمد عليه السلم
وساير الامم ❊ وقيل يوم التروية ويوم عرفة ❊ وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة ❊ وقيل الحجر الاسود والحجيج ❊ وقيل الايام والليالي وبنو ادم
وعن الحسن رحمه الله عليه ما من يوم الا وينادي اني يوم جديد واني على ما يعمل في شهيد فاغتنمني فلو غابت شمسي
لم تدركني الى يوم القيمة ❊ وقيل الحفظة وبنو ادم ❊ وقيل الانبيا ومحمد صلوات الله عليهم اجمعين **فان قلت**
اين جواب القسم **قلت** محذوف يدل عليه قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود ❊ كانه قيل اقسم بهذه
الاشيا انهم ملعونون يعني كفار قريش كما لعن اصحاب الاخدود ❊ وذلك ان السورة وردت في تثبيت المومنين
وتصبيرهم على اذى اهل مكة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان والحاق انواع الاذى
وصبرهم وثباتهم حتى يانسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا ان كفارهم عند الله بمنزلة
اوليك المعذبين المحرقين بالنار ملعونون احقا بان يقال فيهم قتلت قريش كما قيل قتل اصحاب الاخدود ❊ وقيل
دعا عليهم كقوله تعالى قتل الانسان ما اكفره ❊ وقرئ قتل بالتشديد ❊ والاخدود الخد في الارض وهو
الشق ونحوهما بناء ومعنى الخق والاخقوق ❊ ومنه فساخت قوايمه في اخاقيق جرذان ❊ روي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ❊ انه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فسمع
منه فراى في طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان هذا الراهب احب اليك
من الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادوا ❊ وعمي جليس للملك
فابراه فابصره الملك فساله من رد عليك **بصرك** فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على
الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد **بالمنشار** وابى الغلام فذهب به الى الجبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف
بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفات بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك
لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني على **جذع وتاخذ** سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام
ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده **عليه** ومات فقال الناس امنا برب الغلام ❊ فقيل للملك
نزل بك ما كنت تحذر ❊ فامر باخاديد في افواه السكك واوقدت فيها النيران ❊ فمن لم يرجع منهم طرحه
فيها حتى جاءت امراة معها صبي فتقاعست ان تقع فيها فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت
وقيل قال لها قعي ولا تنافقي ❊ وقيل قال ما هي الا غميضة فصبرت ❊ وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انهم
حين اختلفوا في احكام المجوس قال هم اهل الكتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمر قد احلت لهم فتناو
لها بعض ملوكهم فسكر فوقع على صح
اخته فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج ان تخطب الناس فتقول يا ايها الناس
ان الله تعالى احل نكاح الاخوات ❊ ثم تخطبهم بعد ذلك ان الله حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له ابسط فيهم
السوط فلم يقبلوا فقالت ابسط فيهم السيف فلم يقبلوا فامرته بالاخاديد وايقاد النيران وطرح من ابى فيها
هم الذين ارادهم الله بقوله تعالى قتل اصحاب الاخدود ❊ وقيل وقع الى نجران رجل ممن كان على دين عيسى عليه

السلم فدعاهم فاجابوه فسار اليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فابوا فاحرق منهم
اثني عشر الفا في الاخاديد وقيل سبعين الفا وذكر ان طول الاخدود اربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا وعن
النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا ذكر اصحاب الاخدود تعوذ من جهد البلاء النار بدل اشتمال من الاخدود
ذات الوقود وصف لها بانها نار عظيمة لها ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير وابدان الناس وقرئ الوقود بالضم
اذ ظرف لقتل اي لعنوا حين احدقوا بالنار قاعدين حولها ومعنى عليها على ما يدنو منها من حافات الاخدود كقوله

∴ تشب لمقرورين يصطليانها ∴ وبات على النار الندى والمحلق ∴

وكما تقول مررت عليه تريد مستعليا بمكان يدنو منه ومعنى شهادتهم على احراق المؤمنين انهم وكلوا بذلك
وجعلوا شهودا يشهد بعضهم لبعض عند الملك ان احدا منهم لم يفرط فيما امر به وفوض اليه من التعذيب ويجوز ان
يراد انهم شهود على ما يفعلون بالمؤمنين يؤدون شهادتهم يوم القيمة يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم
وارجلهم بما كانوا يعملون وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي له ملك السموات
والارض والله على كل شيء شهيد وما نقموا منهم وما عابوا وما انكروا الا الايمان ∴ كقوله ∴

∴ ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ∴ بهن فلول من قراع الكتائب

وكما قال ابن الرقيات ما نقموا من بني امية الا انهم يحلمون ان غضبوا وقرا ابو حيوة نقموا بالكسر والفصيح الفتح
وذكر الاوصاف التي يستحق بها ان يؤمن به ويعبد وهو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا منعما
يجب الحمد على نعمته ويرجى ثوابه له ملك السموات والارض وكل من فيهما تحق عليه عبادته والخشوع له تقريرا
لان ما نقموا منهم هو الحق الذي لا ينقمه الا مبطل منهمك في الغي وان الناقمين اهل لانتقام الله تعالى منهم بعذاب
لا يعدله عذاب والله على كل شيء شهيد وعيد لهم يعني انه علم ما فعلوا وهو مجازيهم عليه ان الذين
فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق يجوز ان يريد بالذين فتنوا
اصحاب الاخدود خاصة وبالذين امنوا المطروحين في الاخدود ومعنى فتنوهم عذبوهم بالنار واحرقوهم
فلهم في الاخرة عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق وهي نار اخرى عظيمة تتسع كما يتسع الحريق باحراقهم
المؤمنين او لهم عذاب جهنم في الاخرة ولهم عذاب الحريق في الدنيا لما روي ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم
ويجوز ان يريد الذين فتنوا المؤمنين اي بلوهم بالاذى على العموم والمؤمنين المفتونين وان للفاتنين عذابين
في الاخرة لكفرهم ولفتنتهم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك
الفوز الكبير ان بطش ربك لشديد انه هو يبدئ ويعيد وهو الغفور الودود ذو العرش
المجيد فعال لما يريد البطش الاخذ بالعنف فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة
والظلمة واخذهم بالعذاب والانتقام انه هو يبدئ ويعيد اي يبدئ البطش ويعيده يعني يبطش بهم
في الدنيا وفي الاخرة او دل باقتداره على الابداء والاعادة على شدة بطشه او اوعد الكفرة بانه يعيدهم كما
ابداهم ليبطش بهم اذ لم يشكروا نعمة الابداء وكذبوا بالاعادة وقرئ يبدا الودود الفاعل باهل طاعته
ما يفعله الودود من اعطائهم ما ارادوا وقرئ ذي العرش صفة لربك وقرئ المجيد بالجر صفة للعرش ومجد الله
عظمته ومجد العرش علوه وعظمه فعال خبر مبتدا محذوف وانما قيل فعال لان ما يريد ويفعل في غاية الكثرة
هل اتاك حديث الجنود فرعون وثمود بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط بل هو

قران مجيد في لوح محفوظ فرعون وثمود بدل من الجنود واراد بفرعون اياه واله كما في قوله تعالى من فرعون
وملايهم والمعنى قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسل وما نزل بهم لتكذيبهم و بل الذين كفروا من قومك
و في تكذيب اي تكذيب واستيجاب للعذاب و والله عالم باحوالهم وقادر عليهم وهم لا يعجزونه والاحاطة
بهم و من ورايهم مثل لانهم لا يفوتونه كما لا يفوت فايت الشي والمحيط به ٭ ومعنى الاضراب ان امرهم
اعجب من امر اوليك لانهم سمعوا بقصصهم وبما جرى عليهم وراوا اثار هلاكهم ٭ ولم يعتبروا وكذبوا اشد
من تكذيبهم و بل هو اي بل هذا الذي كذبوا به وقران مجيد شريف عالي الطبقة في الكتب وفي نظمه واعجازه وقري
قران مجيد بالاضافة اي قران رب مجيد وقرا يحيى بن نعيم و في لوح واللوح الهواء يعني اللوح فوق السما
السابعة الذي فيه اللوح و محفوظ من وصول الشياطين اليه ٭ وقري محفوظ بالرفع صفة للقران ٭ عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة البروج اعطاه الله بعدد كل يوم جمعة ويوم عرفة يكون في الدنيا عشر
حسنات سورة الطارق مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي تسعة عشر اية
والسماء والطارق وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب ان كل نفس لما عليها حافظ النجم الثاقب
المضي كانه يثقب الظلام بضوءه فينفذ فيه كما قيل دري لانه يدروه اي يدفعه ٭ ووصف بالطارق لانه يبدو
بالليل كما يقال للاتي ليلا طارق او لانه يطرق الجني اي يصكه ٭ والمراد جنس النجوم او جنس الشهب التي
يرجم بها فان قلت ما يشبه قوله وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب الا ترجمة كلمة باخرى
فبين لي اي فايدة تحته قلت اراد الله عز وجل ان يقسم بالنجم الثاقب تعظيما له لما عرف فيه
من عجيب القدرة ولطيف الحكمة وان ينبه على ذلك فجا بما هو صفة مشتركة بينه وبين غيره وهو الطارق
ثم قال وما ادريك ما الطارق ٭ ثم فسره بقوله النجم الثاقب كل هذا اظهار الفخامة شانه كما قال الله تعالى
فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم ٭ وروي ان ابا طالب كان عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانحط نجم فامتلا ما ثم نورا ففزع ابو طالب وقال اي شي هذا فقال عليه السلام هذا نجم
رمي به وهو اية من ايات الله فعجب ابو طالب فنزلت فان قلت ما جواب القسم قلت ان كل
نفس لما عليها حافظ لان ان لا يخلو فيمن قرا لما مشددة بمعنى الا ان تكون نافية ٭ ومن قراها مخففة على ان
ما صلة ان تكون مخففة من الثقيلة وايتهما كانت فهي مما يتلقى به القسم وحافظ مهيمن عليها
رقيب وهو الله عز وجل ٭ وكان الله على كل شي رقيبا ٭ وكان الله على كل شي مقيتا ٭ وقيل ملك يحفظ
عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر ٭ وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وكل بالمومن مائة وستون
ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ٭ ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشيا طيع
فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب فان قلت ما
وجه اتصال قوله فلينظر بما قبله قلت وجه اتصاله به انه لما ذكر ان على كل نفس حافظا اتبعه
توصية الانسان بالنظر في اول امره ونشاته الاولى حتى يعلم ان من انشاه قادر على اعادته وجزايه
فيعمل ليوم الاعادة والجزا ولا يملي على حافظه الا ما يسره في عاقبته ومم خلق استفهام جوابه وخلق من ما
دافق والدفق صب فيه دفع ومعنى دافق النسبة الى الدفق الذي هو مصدر دفق كاللابن والتامر او
الاسناد المجازي والدفق في الحقيقة لصاحبه ولم يقل ما ين لامتزاجهما في الرحم واتحادهما حين

ابتدي في خلقه من بين الصلب والترايب * من بين صلب الرجل وترايب المراة وهي عظام الصدر حيث
تكون القلادة . وقري الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه اربع لغات . صُلْب . وصَلَب . وصالب
وصَلَب . قال العجاج ؛ ريا العظام فخمة المخدم ؛ في صلب مثل العنان المودم ؛
وقيل العظم والعصب من الرجل واللحم والدم من المراة انه على رجعه لقادر يوم تبلى السراير فما له من
قوة ولا ناصر انه الضمير للخالق لدلالة خلق عليه . ومعناه ان ذلك الذي خلق الانسان ابتداء من نطفة
وعلى رجعه اعادته خصوصا . لقادر لبين القدرة لا يلتاث عليه ولا يعجز عنه كقوله انني لفقير ويوم
تبلى منصوب برجعه ومن جعل الضمير في رجعه للماء وفسره برجعه الى مخرجه من الصلب والترايب او
الاحليل او الى الحالة الاولى نصب الظرف بمضمر والسراير ما اسر في القلوب من العقايد والنيات وغيرها
وما اخفي من الاعمال وبلاوها تعرفها وتصفحها والتمييز بين ما طاب منها وما خبث وعن الحسن انه سمع رجلا
ينشد ؛ سيبقى لها في مضمر القلب والحشا ؛ سريرة ود يوم تبلى السراير ؛
فقال ما اغفله عما في السماء والطارق فما له فما للانسان من قوة من منعة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر ولا مانع
يمنعه والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع سمي المطر رجعا كما سمي اوبا . قال
؛ رباء شماء لا ياوي لقلتها ؛ الا السحاب والا الاوب والسبل ؛
تسمية بمصدري رجع واب وذلك ان العرب كانوا يزعمون ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض او ارادوا التفاول [خ ثم ترجعه الى الارض]
فسموه رجعا واوبا ليرجع ويوب . وقيل لان الله عز وجل يرجعه وقتا فوقتا قالت الخنساء كالرجع في المدجنة
السارية . والصدع ما تتصدع عنه الارض من النبات انه لقول فصل وما هو بالهزل انه الضمير للقران
وفصل فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان وما هو بالهزل يعني انه جد كله لا هوادة فيه ومن حقه
وقد وصفه الله تعالى بذلك ان يكون مهيبا في الصدور معظما في القلوب يترفع به قاريه وسامعه ان يلم
بهزل او يتفكه بمزاح . وان يلقي ذهنه الى ان جبار السموات يخاطبه في ما يامره وينهاه ويعده ويوعده حتى
ان لم يستفزه الخوف ولم يتبالغ فيه الخشية فادنى امره ان يكون جادا غير هازل . فقد نعى الله تعالى على المشركين
ذلك في قوله وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون والغوا فيه انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا فمهل الكافرين
امهلهم رويدا انهم يعني اهل مكة يعملون المكايد في ابطال امر الله تعالى واطفاء نور الحق وانا اقابلهم
بكيدي من استدراجي لهم وانتظاري بهم الميقات الذي وقته للانتصار منهم . فمهل الكافرين يعني لا تدع
بهلاكهم ولا تستعجل به وامهلهم رويدا اي امهالا يسيرا وكرر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين منه
والتصبير . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الطارق اعطاه الله تعالى بعدد كل نجم
في السماء عشر حسنات سورة الاعلى مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي تسع عشرة اية
سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي اخرج المرعى فجعله غثاء احوى
تسبيح اسمه عز وعلا تنزيهه عما لا يصح فيه من المعاني التي هي الحاد في اسمايه كالجبر والتشبيه . ونحو ذلك
مثل ان يفسر الاعلى بمعنى العلو الذي هو القهر والاقتدار لا بمعنى العلو في المكان والاستوى على العرش
حقيقة . وان يصان عن الابتذال والذكر لا على وجه الخشوع والتعظيم . ويجوز ان يكون الاعلى صفة للرب
والاسم . وقرا علي رضي الله عنه سبحان ربي الاعلى . وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم . قال

رسول الله

رسول الله عليه السلام اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى • قال اجعلوها في سجودكم
وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت • وفي السجود اللهم لك سجدت • خلق فسوى اي خلق كل شي فسوى
خلقه تسوية ولم يات به متفاوتا غير ملتئم • ولكن على احكام واتساق ودلالة على انه صادر عن عالم وانه
صنعة حكيم وقدر فهدى قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه اليه وعرفه وجه الانتفاع به • يحكي ان الافعى اذا
اتت عليها الف سنة عميت وقد الهمها الله تعالى ان مسح العين بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما
كانت في برية بينها وبين الريف مسيرة ايام فتطوي تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تهجم في بعض
البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك بها عينها وترجع باصرة باذن الله تعالى • وهدايات الله للانسان
الى ما لا يحد من مصالحه وما لا يحصر من حوائجه في اغذيته وادويته • وفي ابواب دنياه ودينه • والهامات
البهائم والطيور وهوام الارض باب واسع وشوط بطين لا يحيط به وصف واصف • فسبحان ربي الاعلى
وقرى قدر بالتخفيف واحوى صفة لغثاء اي اخرج المرعى انبته فجعله بعد خضرته ورفيفه غثاء احوى
درينا اسود • ويجوز ان يكون احوى حالا من المرعى اي اخرجه احوى اسود من شدة الخضرة والري فجعله
غثاء بعد حوته سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى بشره الله تعالى باعطاء
اية بينة وهي ان يقرا جبريل صلوات الله عليه ما يقرا عليه من الوحي وهو امي لا يكتب ولا يقرا فيحفظه
ولا ينساه والا ما شاء الله فيذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته كقوله تعالى او ننسها وقيل كان يعجل
القراة اذا لقنه جبريل عليه السلام • فقيل لا تعجل فان جبريل مامور بان يقرا عليك قراة مكررة الى ان
تحفظه ثم لا تنساه الا ما شاء الله ثم تذكر بعد النسيان او قال الا ما شاء الله يعني القلة والندرة كما روي انه
اسقط في قراءته اية في الصلوة فحسب ابي انها نسخت فساله فقال نسيتها • او قال الا ما شاء الله والغرض
نفي النسيان راسا كما يقول الرجل لصاحبه انت سهيمي فيما املك الا فيما شاء الله ولا يقصد استثنا شي وهو
من استعمال القلة في معنى النفي • وقيل قوله فلا تنسى على النهي والالف مزيدة للفاصلة كقوله تعالى
السبيلا يعني فلا تغفل قراته وتكريره فتنساه الا ما شاء الله ان ينسيكه برفع تلاوته للمصلحة وانه يعلم الجهر
يعني انك تجهر بالقراة مع قراة جبريل عليه السلام مخافة التفلت والله يعلم جهرك معه وما في نفسك مما
يدعوك الى الجهر فلا تفعل فانا اكفيك ما تخافه او يعلم ما اسررتم وما اعلنتم من اقوالكم وافعالكم وما ظهر
وما بطن من احوالكم • وما هو مصلحة لكم في دينكم ومفسدة فيه فينسي من الوحي ما يشاء ويترك محفوظا
ما يشا ونيسرك لليسرى فذكر ان نفعت الذكرى سيذكر من يخشى ونيسرك معطوف على سنقرئك
وقوله انه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض ومعناه ونوفقك للطريقة التي هي ايسر واسهل يعني حفظ الوحي •
وقيل للشريعة السمحة التي هي ايسر الشرايع واسهلها ماخذا وقيل نوفقك لعمل الحسنة فان قلت كان
الرسول صلى الله عليه وسلم مامورا بالذكرى نفعت او لم تنفع فما معنى اشتراط النفع قلت هو على
وجهين احدهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استفرغ مجهوده في تذكيرهم وما كانوا يزيدون على
زيادة الذكرى الا عتوا وطغيانا • وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتلظى حسرة وتلهفا ويزداد جدا في تذكيرهم
وحرصا عليه فقيل له وما انت عليهم بجبار فذكر بالقران من يخاف وعيد • واعرض عنهم وقل سلام • فذكر ان
نفعت الذكرى وذلك بعد الزام الحجة بتكرير التذكير • والثاني ان يكون ظاهره شرطا ومعناه ذما للمذكرين

واخبار عن حالهم واستبعاد التاثير الذكرى فيهم وتسجيلا عليهم بالطبع على قلوبهم كما تقول للواعظ عظ
المكاسين ان سمعوا منك قاصدا بهذا الشرط استبعاد ذلك وانه لن يكون وسيذكر سيقبل التذكرة وينتفع
بها من يخشى الله وسوء العاقبة فينظر ويفكر حتى يقوده النظر الى اتباع الحق فاما هولاء فغير خاشين
ولا ناظرين فلا تامل ان يقبلوا منك ويتجنبها الاشقى الذي يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى
قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى ويتجنبها ويتجنب الذكرى ويتحاماها والاشقى الكافر لانه اشقى من الفاسق
والذي هو اشقى الكفرة لتوغله في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة
بن ربيعة عليهما اللعنة والنار الكبرى السفلى من اطباق النار وقيل النار الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا
وقيل ثم لان الترجح بين الحيوة والموت افظع من الصلى فهو متراخ عنه في مراتب الشدة والمعنى لا يموت
فيستريح ولا يحيى حيوة تنفعه وتزكى تطهر من الشرك والمعاصي • او تطهر للصلوة او تكثر من التقوى من
من الزكاء وهي النما او تفعل من الزكاة كتصدق من الصدقة وفصلى فصلى الصلوات الخمس نحو قوله تعالى واقام
الصلوة واتى الزكوة • وعن ابن مسعود رضى الله عنه رحم الله امرا تصدق وصلى • وعن على رضى الله عنه انه
التصدق بصدقة الفطر وقال لا ابالى ان لا اجد في كتابي غيرها كقوله تعالى قد افلح من تزكى اي اعطى زكاة الفطر
فتوجه الى المصلى فصلى صلوة العيد • وذكر اسم ربه فكبر تكبيرة الافتتاح وبه يحتج على تكبيرة الافتتاح وعلى
انها ليست من الصلاة لان الصلوة معطوفة عليها • وعلى ان الافتتاح جايز بكل اسم من اسمايه جل ذكره • وعن ابن
عباس رضى الله عنهما ذكر معاده وموقفه بين يدى ربه فصلى له • وعن الضحاك وذكر اسم ربه في طريق المصلى
فصلى صلاة العيد بل تؤثرون الحيوة الدنيا والاخرة خير وابقى بل تؤثرون الحيوة الدنيا فلا تفعلون ما
تفلحون به • وقرئ يؤثرون على الغيبة ويعضد الاولى قراة ابن مسعود رضى الله عنه بل انتم تؤثرون
خير وابقى افضل في نفسها وانعم وادوم • وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما الدنيا في الاخرة الا كنفجة
ارنب ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى هذا اشارة الى قوله قد افلح الى ابقى يعني ان
معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف وقيل الى ما في السورة كلها • وروي عن ابي ذر رضى الله عنه انه
سال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم انزل الله من كتاب فقال مائة واربعة كتب منها على آدم عليه السلام عشر
صحف • وعلى شيث عليه السلام خمسون صحيفة • وعلى اخنوخ وهو ادريس عليه السلام ثلثون صحيفة
وعلى ابراهيم عليه السلام عشر صحايف • والتورية • والانجيل • والزبور • والفرقان • وقيل ان في صحف
ابراهيم عليه السلام ينبغي للعاقل ان يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شانه • عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم • من قرا سورة الاعلى اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله على ابراهيم
وموسى ومحمد عليهم السلام • وكان اذا قراها قال سبحان ربي الاعلى • وكان على وابن عباس رضى الله
عنهما يقولان ذلك • وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحبها • وقال اول من قال سبحان ربي الاعلى ميكائيل

سورة الغاشية مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي ست وعشرون اية

هل اتيك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية تسقى
من عين انية الغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدايدها وتلبسهم اهوالها يعني القيمة من قوله
سبحانه وتعالى يوم يغشيهم العذاب من فوقهم وقيل النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار ومن

فوقهم غواش ويوميذ يوم اذ غشيت وخاشعة ذليلة وعاملة ناصبة تعمل في النار عملا تتعب فيه وهو جرها السلاسل والاغلال وخوضها في النار كما تخوض الابل في الوحل وارتقاوها دائبة في صعود من نار وهبوطها في حدور منها. وقيل عملت في الدنيا اعمال السوء والتذت بها وتنعمت فهي في نصب منها في الاخرة • وقيل عملت ونصبت في اعمال لا تجدي عليها في الاخرة من قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل. وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا • اولئك الذين حبطت اعمالهم • وقيل هم اصحاب الصوامع ومعناه انها خشعت لله تعالى وعملت ونصبت في اعمالها من الصوم الدايب والتهجد الواصب. وقري عاملة ناصبة على الشتم • وقري تصلى بفتح التا وتصلى بضمها. وتصلى بالتشديد • وقيل المصلى عند العرب ان يحفروا حفيرا فيجمعوا فيه جمرا كثيرا ثم يعمدوا الى شاة فيدسوها وسطه فاما ما يشوى فوق الجمر او على المقلى او في التنور فلا يسمى مصليا وانية متناهية في الحر كقوله تعالى بين حميم ان ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع الضريع يبيس الشبرق وهو جنس من الشوك ترعاه الابل ما دام رطبا فاذا يبس تحامته وهو سم قاتل قال

ابو ذويب

رعى الشبرق الريان حتى اذا ذوى • وعاد ضريعا بان عنه النحايص

وحبسن في هزم الضريع فكلها • حدباء دامية اليدين حرود

فان قلت كيف قال ليس لهم طعام الا من ضريع • وفي الحاقة ولا طعام الا من غسلين قلت العذاب الوان والمعذبون طبقات فمنهم اكلة الزقوم • ومنهم اكلة الغسلين • ومنهم اكلة الضريع • لكل باب منهم جزء مقسوم ولا يسمن مرفوع المحل او مجرور على وصف طعام او ضريع يعني ان طعامهم من شي ليس من طعام الانس وانما هو شوك والشوك مما ترعاه الابل وتتولع به • وهذا نوع منه تنفر عنه ولا تقربه • ومنفعتا الغذاء منتفيتان عنه وهما اماطة الجوع وافادة القوة والسمن في البدن او اريد ان لا طعام لهم اصلا لان الضريع ليس بطعام للبهايم فضلا عن الانس لان الطعام ما اشبع او اسمن وهو منهما بمعزل كما تقول ليس لفلان ظل الا الشمس تريد نفي الظل على التوكيد • وقيل قالت كفار قريش لعنهم الله ان الضريع لتسمن عليه ابلنا فنزلت لا يسمن فلا يخلوا اما ان يتكذبوا او يتعنتوا بذلك وهو الظاهر فيرد قولهم بنفي السمن والشبع واما ان يصدقوا فيكون المعنى ان طعامهم من ضريع ليس من جنس ضريعكم انما هو ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع وجوه يوميذ ناعمة لسعيها راضية في جنة عالية لا تسمع فيها لاغية فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة واكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم او متنعمة ولسعيها راضية رضيت بعملها لما رات ما ادام اليه من الكرامة والثواب وعالية من علو المكان والمقدار ولا تسمع يا مخاطب او الوجوه ولاغية اي لغوا او كلمة ذات لغو ونفسا تلغو لا يتكلم اهل الجنة الا بالحكمة وحمد الله تعالى على ما رزقهم من النعيم الدايم • وقري لا تسمع على البنا للمفعول بالتا والبا وفيها عين جارية يريد عيونا في غاية الكثرة كقوله تعالى علمت نفس ما احضرت ومرفوعة من رفعة المقدار او السمك ليرى المومن بجلوسه عليه جميع ما خوله ربه من الملك والنعيم • وقيل مخبوءة لهم من رفع الشي اذا خباه وموضوعة كلما ارادوها وجدوها موضوعة بين ايديهم عتيدة حاضرة لا يحتاجون الى ان يدعوها او موضوعة على حافات العيون معدة للشرب • ويجوز ان يراد موضوعة عن حد الكبار اوساط بين الصغر والكبر كقوله تعالى قدروها

تقديرا او مصفوفة بعضها الى جنب بعض مساند ومطارح اينما اراد ان يجلس جلس على مسورة واستند الى اخرى
وزرابي وبسط عراض فاخرة • وقيل هي الطنافس التي لها خمل رقيق جمع زربية ومبثوثة مبسوطة او مفرقة
في المجالس افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السما كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض
كيف سطحت فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر
ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم افلا ينظرون الى الابل نظر اعتبار كيف خلقت خلقا عجيبا دالا على تقدير
مقدر شاهدا بتدبير مدبر حيث خلقها للنهوض بالاثقال وجرها الى البلاد الشاحطة فجعلها تبرك حتى تحمل عن
قرب ويسر • ثم تنهض بما حملت وسخرها منقادة لكل من اقتادها بازمتها لا تعاز ضعيفا ولا تمانع صغيرا
وبراها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار • وعن بعض الحكما انه حدث عن البعير وبديع خلقه وقد نشا في بلاد لا ابل
بها ففكر ثم قال يوشك ان تكون طوال الاعناق وحين اراد بها ان تكون سفاين البر صبرها على احتمال العطش
حتى ان اظماها لترتفع الى العشر فصاعدا وجعلها ترعى كل شي نابت في البراري والمفاوز مما لا ترعاه
ساير البهايم • وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال لقيت شريحا القاضي فقلت اين تريد قال
اريد الكناسة قلت وما تصنع بها قال انظر الى الابل كيف خلقت فان قلت كيف حسن ذكر الابل
مع السما والارض ولا مناسبة قلت قد انتظم هذه الاشيا نظر العرب في اوديتهم وبواديهم فانتظمها والجبال صح
الذكر على حسب ما انتظمها نظرهم ولم يدع من زعم ان الابل السحاب الى قوله الا طلب المناسبة ولعله لم يرد ان
الابل من اسما السحاب كالغمام والمزن والرباب والغيم والغين وغير ذلك وانما راى السحاب مشبها بالابل كثيرا
في اشعارهم فجوز ان يراد بها السحاب على طريق التشبيه والمجاز كيف رفعت رفعا بعيد المدا بلا امساك وبغير
عمد وكيف نصبت نصبا ثابتا فهي راسخة لا تميل ولا تزول وكيف سطحت سطحا بتمهيد وتوطية فهي مهاد
للمتقلب عليها • وقرى على عليه السلام خلقت ورفعت ونصبت وسطحت على البنا للفاعل وتا الضمير والتقدير خلقت صح
فعلتها فحذف المفعول • وعن هارون الرشيد انه سطحت بالتشديد والمعنى افلا ينظرون الى هذه
المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق حتى لا ينكروا اقتداره على البعث ويسمعوا انذار الرسول ويومنوا
به ويستعدوا للقائه اي لا ينظرون فذكرهم ولا تلح عليهم ولا يهمنك انهم لا ينظرون ولا يذكرون
وانما انت مذكر كقوله ان عليك الا البلاغ ولست عليهم بمسيطر بمتسلط كقوله تعالى وما انت عليهم بجبار
وقيل هو في لغة تميم مفتوح الطا على ان سيطر متعد عندهم وقولهم تسيطر يدل عليه والا من تولى استثنا
منقطع اي لست بمستول عليهم ولكن من تولى وكفر منهم فان لله الولاية والقهر فهو يعذبه العذاب الاكبر
الذي هو عذاب جهنم • وقيل هو استثنا من قوله اي فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق
العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض • وقرى الا من تولى على التنبيه • وفي قراة ابن مسعود فانه يعذبه •
وقرا ابو جعفر المدني ايابهم بالتشديد ووجهه ان يكون فيعالا مصدر ايب فيعل من الاياب او اصله
اوابا فعالا من اوب ثم قيل ايوابا كديوان في دوان ثم فعل به ما فعل باصل سيد فان قلت ما
معنى تقديم الظرف قلت معناه التشديد في الوعيد وان ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام
وان حسابهم ليس بواجب الا عليه وهو الذي يحاسب على النقير والقطمير • ومعنى الوجوب الوجوب في
الحكمة • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا • • •

سورة الفجر

سورة الفجر مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي تسع وعشرون اية

والفجر وليال عشر والشفع والوتر هل فيه والليل اذا يسر هل في ذلك قسم لذي حجر اقسم
بالفجر كما اقسم بالصبح في قوله والصبح اذا اسفر • والصبح اذا تنفس • وقيل بصلوة الفجر واراد بالليالي العشر عشر
ذي الحجة فان قلت فما بالها منكرة من بين ما اقسم به قلت لانها ليال مخصوصة من بين جنس الليالي
العشر بعض منها او مخصوصة بفضيلة ليست لغيرها فان قلت فهلا عرفت بلام العهد لانها ليال
معهودة قلت لو فعل ذلك لم تستقل بمعنى الفضيلة التي في التنكير ولان الاحسن ان تكون اللامات
متجانسة ليكون الكلام ابعد من الالغاز والتعمية • وبالشفع والوتر اما الاشيا كلها شفعها ووترها واما شفع هذه
الليالي ووترها • ويجوز ان يكون شفعها يوم النحر ووترها يوم عرفة لانه تاسع ايامها وذلك عاشرها •
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه فسرهما بذلك • وقد اكثروا في الشفع والوتر حتى كادوا يستوعبون
اجناس ما يقعان فيه • وذلك قليل الطائل جدير بالتلهي عنه • وبعد ما اقسم بالليالي المخصوصة اقسم بالليل
على العموم • اذا يسر اذا يمضي كقوله تعالى والليل اذا دبر • والليل اذا عسعس • وقرئ والوتر بفتح الواو وهما
لغتان كالحَبر والحِبر في العدد وفي الترة الكسر وحده • وقرئ الوتر بفتح الواو وكسر التاء رواها يونس
عن ابي عمرو • وقرئ والفجرٍ والوترٍ ويسرٍ بالتنوين وهو التنوين الذي يقع بدلا من حرف الاطلاق • وعن
ابن عباس وليال عشر بالاضافة يريد وليال ايام عشر • والياء في يسري تحذف في الدرج اكتفاء عنها بالكسرة
واما في الوقف فتحذف مع الكسرة • وقيل معنى يسري يُسْرَى فيه • هل في ذلك اي فيما اقسمت به من هذه
الاشيا • قسم اي مقسم به • لذي حجر يريد هل تحق عنده ان تعظم بالاقسام بها • او هل في اقسامي بها
اقسام لذي حجر اي هل هو قسم عظيم يوكد بمثله المقسم عليه • والحجر العقل لانه يحجر عن التهافت فيما لا
ينبغي كما سمي عقلا ونهية لانه يعقل وينهي وحصاة من الاحصا وهو الضبط • وقال الفرا يقال انه
لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها • والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله الم تر
الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها
في البلاد قيل لعقب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام عاد كما يقال لبني هاشم هاشم
ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى • وارم تسمية لهم باسم جدهم • ولمن بعدهم عاد الاخيرة • قال ابن
الرقيات • مجدا تليدا بناه اوله • ادرك عادا وقبلها ارما •
فارم في قوله بعاد ارم عطف بيان لعاد وايذان بانهم عاد الاولى القديمة • وقيل ارم بلدتهم وارضهم التي
كانوا فيها • ويدل عليه قراة ابن الزبير بعاد ارم على الاضافة وتقديره بعاد اهل ارم كقوله تعالى واسئل
القرية • ولم تنصرف قبيلة كانت او ارضا للتعريف والتانيث • وقرا الحسن بعادَ ارمَ مفتوحتين • وقرئ
بعاد ارم بسكون الرا على التخفيف كما قرئ بورقكم • وقرئ بعاد ارم ذات العماد باضافة ارم الى ذات
العماد • والارم العلم يعني بعاد اهل اعلام ذات العماد • وذات العماد اسم للمدينة • وقرئ بعاد ارم ذات العماد
اي جعل الله ذات العماد رميما بدلا من فعل ربك • وذات العماد اذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى انهم كانوا
بدويين اهل عمد او طوال الاجسام على تشبيه قدودهم بالاعمدة • ومنه قولهم رجل معمد وعمدان اذا
كان طويلا • وقيل ذات البنا الرفيع وان كانت صفة للبلدة فالمعنى انها كانت ذات اساطين • ورد

ي

انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملو كها
فسمع بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم في بعض صحاري عدن في ثلثماية سنة وكان عمره تسع ماية وهي
مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار
والانهار المطردة ولما تم بناها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم
صيحة من السما فهلكوا ۔ وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثم
وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فساله فقال هي ارم ذات العماد ۔ وسيدخلها
رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج يخرج في طلب ابل له
ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل ۔ لم يخلق مثلها في البلاد عظم اجرام وقوة كان طول
الرجل منهم اربعماية ذراع وكان ياتي الصخرة العظيمة فيحملها فيلقيها على الحي فيهلكهم ۔ اولم يخلق مثل مدينة
شداد في جميع بلاد الدنيا ۔ وقرا ابن الزبير رضي الله عنه لم يخلق مثلها اي لم يخلق الله مثلها وثمود الذين
جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الاوتاد الذين طغوا في البلاد فاكثروا فيها الفساد فصب
عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد جابوا الصخر قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتا كقوله
تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا ۔ قيل اول من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود وبنوا الفا وسبعماية مدينة
كلها من الحجارة قيل له ذو الاوتاد لكون جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا ۔ او لتعذيبه بالا وتاد
كما فعل بماشطة بنته وباسية رضي الله عنها ۔ الذين طغوا احسن الوجوه فيه ان يكون في محل النصب
على الذم ۔ ويجوز ان يكون مرفوعا على هم الذين طغوا او مجرورا على وصف المذكورين ۔ عاد وثمود وفرعون
يقال صب عليه السوط وغشاه وقنعه ۔ وذكر السوط اشارة الى ان ما احله عليهم في الدنيا من العذاب
العظيم بالقياس الى ما اعدلهم في الاخرة كالسوط اذا قيس الى ساير ما يعذب به ۔ وعن عمرو بن عبيد
كان الحسن اذا اتى على هذه الاية قال ان عند الله اسواطا كثيرة فاخذهم بسوط منها ۔ المرصاد المكان الذي
يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهذا مثل لارصاده العصاة بالعقاب وانهم
لا يفوتونه ۔ وعن بعض العرب انه قيل له اين ربك فقال بالمرصاد ۔ وعن عمرو بن عبيد رحمة الله عليه انه قرا
هذه السورة عند المنصور حتى بلغ هذه الاية فقال ان ربك لبالمرصاد يا ابا جعفر عرض له في هذا النداء
بانه بعض من توعد بذلك من الجبابرة فلله دره اي اسد فراس كان بين ثوبيه يدق الظلمة بانكاره ويقطع
اهل الاهواء والبدع باحتجاجه فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما
اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن فان قلت بما اتصل قوله فاما الانسان قلت
بقوله ان ربك لبالمرصاد كانه قيل ان الله تعالى لا يريد من الانسان الا الطاعة والسعي للعاقبة وهو مرصد
بالعقوبة للعاصي فاما الانسان لا يريد ذلك ولا يهمه الا العاجلة وما يلذه وينعمه فيها فان قلت كيف
توازن قوله فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه وقوله واما اذا ما ابتلاه وحق التوازن ان يتقابل الواقعان
بعد اما ۔ واما تقول اما الانسان فكفور واما الملك فشكور ۔ اما اذا احسنت الى زيد فهو محسن اليك واما
اذا اسات اليه فهو مسيء اليك قلت هما متوازنان من حيث ان التقدير واما هو اذا ما ابتلاه ربه
وذلك ان قوله تعالى فيقول ربي اكرمن خبر المبتدا الذي هو الانسان ودخول الفاء لما في اما من معنى الشرط

والظرف

والظرف المتوسط بين المبتدا والخبر في تقدير التاخير كانه قيل فاما الانسان فقايل ربي اكرمن وقت الابتلا
فوجب ان يكون فيقول الثاني خبر المبتدا واجب تقديمه فان قلت كيف سمي كلا الامرين من بسط الرزق
وتقديره ابتلاء قلت لان كل واحد منهما اختبار للعبد فاذا بسط فقد اختبر حاله ايشكر ام يكفر
واذا قدر عليه فقد اختبر حاله ايصبر ام يجزع فالحكمة فيهما واحدة ونحوه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير
فتنة فان قلت هلا قال فاهانه وقدر عليه رزقه كما قال فاكرمه ونعمه قلت لان البسط اكرام
من الله لعبده بانعامه عليه متفضلا من غير سابقة واما التقدير فليس باهانة له لان الاخلال بالتفضل لا يكون
اهانة ولكن تركا للكرامة وقد يكون المولى مكرما لعبده ومهينا له وغير مكرم ولا مهين واذا اهدى لك
زيد هدية قلت اكرمني بالهدية ولا تقول اهانني ولا اكرمني اذا لم يهد لك فان قلت فقد قال
فاكرمه فصحح اكرامه واثبته ثم انكر قوله ربي اكرمن وذمه عليه قلت فيه جوابان احدهما انه انما
انكر قوله ربي اكرمن وذمه عليه لانه قاله على قصد خلاف ما صححه الله عليه واثبته وهو قصده الى ان الله تعالى اعطاه
ما اعطاه اكراما له مستحقا مستوجبا على عادة افتخارهم وجلالة اقدارهم عندهم كقوله تعالى انما اوتيته على علم
عندي وانما اعطاه الله تعالى على وجه التفضل من غير استيجاب منه ولا سابقة مما لا يعتد الله الا به وهو التقوى دون
الاحساب والانساب التي كانوا يفتخرون بها ويرون استحقاق الكرامة من اجلها • والثاني ان ينساق الانكار والذم
الى قوله ربي اهانن يعني انه اذا تفضل عليه بالخير واكرمه به اعترف بتفضل الله واكرامه واذا لم يتفضل عليه سمي
ترك التفضل هوانا وليس بهوان • ويعضد هذا الوجه ذكر الاكرام في قوله فاكرمه • وقرئ فقدر بالتخفيف والتشديد
واكرمنْ واهاننْ بسكون النون في الوقف فيمن ترك الياء في الدرج مكتفيا عنها بالكسرة **كلا بل لا تكرمون اليتيم**
ولا تحاضون على طعام المسكين وتاكلون التراث اكلا لما وتحبون المال حبا جما كلا ردع للانسان عن قوله
ثم قال بل هناك شر من هذا القول وهو ان الله يكرمهم بكثرة المال فلا يودون ما يلزمهم فيه من اكرام اليتيم
بالتفقد والمبرة وحض اهله على طعام المسكين وياكلونه اكل الانعام ويحبونه فيشحون به • وقرئ يكرمون
وما بعده بالياء والتاء • وقرئ تحاضون اي يحض بعضكم بعضا • وفي قراءة ابن مسعود ولا تحاضون بضم التاء
من المحاضة • اكلا لما ذا لم وهو الجمع بين الحلال والحرام قال الحطيئة اذا كان لما يتبع الذم ربه فلا قدس الرحمن
تلك الطواحنا يعني انهم يجمعون في اكلهم بين نصيبهم من الميراث ونصيب غيرهم • وقيل كانوا لا يورثون
النساء ولا الصبيان وياكلون تراثهم مع تراثهم • وقيل ياكلون ما جمعه الميت من الظلمة وهو عالم بذلك
فيلم في الاكل بين حلاله وحرامه • ويجوز ان يذم الوارث الذي ظفر بالمال سهلا مهلا من غير ان يعرق فيه
جبينه فيسرف في انفاقه وياكله اكلا واسعا جامعا بين الوان المشتهيات من الاطعمة والاشربة والفواكه
كما يفعل الوراث البطالون • حبا جما كثيرا شديدا مع الحرص والشره ومنع الحقوق **كلا اذا دكت الارض**
دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا كلا ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم ثم اتى بالوعيد وذكر تحسرهم
على ما فرطوا فيه حين لا تنفع الحسرة **وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى** يومئذ
بدل من اذا دكت الارض وعامل النصب فيهما يتذكر • دكا دكا اي دكا بعد دك كقوله حسبته بابا بابا •
اي كرر عليها الدك حتى عادت هباء منبثا فان قلت ما معنى اسناد المجيء الى الله والحركة والانتقال
انما يجوز على من كان في جهة قلت هو تمثيل لظهور ايات الله واقتداره وتبيين اثار قهره وسلطانه

كما انكر قوله اهانن وذمه عليه

مثلث حاله في ذلك بحال الملك اذا حضر بنفسه ظهر من حضوره من اثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور
عساكره كلها ووزرائه وخواصه عن بكرة ابيهم • صفا صفا تنزل ملايكة كل سما فيصطفون صفا بعد صف
محدقين بالجن والانس • وجيء يومئذ بجهنم كقوله تعالى وبرزت الجحيم • وروي انها لما نزلت تغير وجه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعرف في وجهه حتى اشتد على اصحابه فاخبروا عليا رضي الله عنه فجا فاحتضنه من
خلفه وقبل بين عاتقيه ثم قال بابي انت وامي ما الذي حدث اليوم وما الذي غيرك فتلى هذه الاية فقال علي
كيف يجاء بها قال يجيء بها سبعون الف ملك يقودونها بسبعين الف زمام فتشرد شردة لو تركت لاحرقت
اهل الجمع • اي يتذكر ما فرط فيه او يتعظ • وانى له الذكرى ومن اين له منفعة الذكرى لا بد من تقدير حذف المضاف
والا فبين يتذكر وبين وانى له الذكرى تنافٍ وتناقض يقول يا ليتني قدمت لحياتي فيومئذ لا يعذب
عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد قدمت لحياتي هذه وهي حيوة الاخرة او وقت حيوتي في الدنيا كقولك
جيته لعشر ليال خلون من رجب وهذا ابين دليل على ان الاختيار كان في ايديهم ومعلقا بقصدهم وارا
وانهم لم يكونوا محجورين عن الطاعات مجبرين على المعاصي كمذهب اهل الاهوا والبدع والا فما معنى التحسر •
قري بالفتح يعذب ويوثق وهي قراة رسول الله صلى الله عليه وسلم • وعن ابي عمرو انه رجع اليها في اخر عمره
والضمير للانسان الموصوف • وقيل هو ابي بن خلف اي لا يعذب احد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والاغلال
مثل وثاقه لتناهيه في كفره وعناده • او لا يحمل عذاب الانسان احد كقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى •
وقري بالكسر والضمير لله تعالى اي لا يتولى عذاب الله احد لان الامر لله وحده في ذلك اليوم • او للانسان
اي لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه يا ايتها النفس المطمينة ارجعي الى ربك راضية مرضية
فادخلي في عبادي وادخلي جنتي يا ايتها النفس على ارادة القول اي يقول الله للمومن يا ايتها النفس
اما ان يكلمه اكراما له كما كلم موسى عليه السلام او على لسان ملك • والمطمينة الامنة التي لا يستفزها
خوف ولا حزن وهي النفس المومنة • او المطمينة الى الحق التي سكنها ثلج اليقين فلا يخالجها شك ويشهد
للتفسير الاول قراة ابي بن كعب يا ايتها النفس الامنة المطمينة فان قلت متى يقال لها ذلك قلت
اما عند الموت واما عند البعث واما عند دخول الجنة على معنى • ارجعي الى موعد ربك • راضية بما اوتيت
مرضية عند الله سبحانه • فادخلي في عبادي اي في جملة عبادي الصالحين وانتظمي في سلكهم • وادخلي جنتي
معهم • وقيل النفس الروح ومعناه فادخلي في اجساد عبادي • وقرا ابن عباس فادخلي في عبدي • وقرا ابن مسعود
رضي الله عنه في جسد عبدي • وقرا ابي رضي الله عنه ايتي ربك راضية مرضية ادخلي في عبدي • وقيل نزلت
في حمزة بن عبد المطلب • وقيل في حبيب بن عدي الذي صلبه اهل مكة وجعلوا وجهه الى المدينة فقال اللهم
ان كان لي عندك خير فحول وجهي نحو قبلتك فحول الله وجهه نحوها فلم يستطع احد ان يحولها والظاهر
العموم • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفجر في الليالي العشر غفر الله له ومن قراها
في ساير الايام كانت له نورا يوم القيمة سورة البلد مكية وهي عشرون اية
بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد
ووالد وما ولد لقد خلقنا الانسان في كبد ايحسب ان لن يقدر عليه احد يقول اهلكت مالا
لبدا ايحسب ان لم يره احد اقسم سبحانه وتعالى بالبلد الحرام وبما بعده على ان الانسان خلق مغمورا

في مكابدة

في مكابدة المشاق والشدايد واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله • وانت حل بهذا البلد يعني ومن المكا برة
ان مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد الحرام كما يستحل الصيد في غير الحرم • عن شرحبيل يحرمون ان يقتلوا
بها صيدا ويعضد وا بها شجرة • ويستحلون اخراجك وقتلك وفيه تثبيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبعث على احتمال ما كان يكابد من اهل مكة • وتعجيب من حالهم في عداوته • او سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالقسم ببلده على ان الانسان لا يخلوا من مقاسات الشدايد واعترض بان وعده فتح مكة تتميما للتسلية والتنفيس
عنه فقال وانت حل بهذا البلد • يعني وانت حل به في المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر • وذلك ان الله
عز وجل فتح عليه مكة واحلها له • وما فتحت على احد قبله ولا احلت له فاحل ما شا وحرم ما شا • قتل ابن خطل وهو
متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما • وحرم دار ابي سفيان ثم قال ان الله حرم مكة يوم خلق
السموات والارض فهي حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من
نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد • فقال العباس رضي الله
عنه الا الاذخر فانه لبيوتنا وقبورنا وبيوتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا الاذخر فان قلت يارسول الله
من اين نظير قوله وانت حل في معنى الاستقبال قلت قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون ومثله واسع
في كلام العباد تقول لمن تعده للاكرام والحيانات مكرم محبو وهو في كلام الله اوسع لان الاحوال المستقبلة
عنده كالحاضرة المشاهدة وكفاك دليلا قاطعا على انه للاستقبال وان تفسيره بالحال محال ان السورة بالا تفاق
مكية واين الهجرة عن وقت نزولها فما بال الفتح فان قلت ما المراد بوالد وما ولد قلت رسول الله صلى الله
عليه وسلم • ومن ولده اقسم ببلده الذي هو مسقط راسه وحرم ابيه ابراهيم ومنشا ابيه اسمعيل عليهما
السلام • وبمن ولده وبه فان قلت لم نكر قلت للابهام المستقل بالمدح والتعجب فان قلت هلا
قيل ومن لد قلت فيه ما في قوله تعالى والله اعلم بما وضعت اي باي شي وضعت يعني موضوعا عجيب الشان
وقيل هما آدم عليه السلام وولده • وقيل كل والد وولده والكبد اصله من قولك كبد الرجل كبدا فهو اكبد اذا وجعت
كبده وانتفخت فاتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة • ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته بمعنى اهلكه
واصله كبده اذا اصاب كبده قال لبيد ، يا عين هلا بكيت اربد اذ ، قمنا وقام الخصوم في كبد ، ،
اي في شدة الامر وصعوبة الخطب • والضمير في ايحسب لبعض صناديد قريش الذين كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يكابد منهم ما يكابد • والمعنى ايظن هذا الصنديد القوي في قومه المتضعف للمومنين ان لن تقوم قيا مة
ولن يقدر على الانتقام منه وعلى مكافاته بما هو عليه • ثم ذكر ما يقوله في ذلك اليوم وانه يقول اهلكت
مالا لبدا يريد كثرة ما انفقه فيما كان اهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالي ومفاخر • ايحسب
ان لم يره احد حين كان ينفق ما ينفق رياء الناس وافتخارا بينهم يعني ان الله كان يراه وكان عليه رقيبا
ويجوز ان يكون الضمير للانسان على ان يكون المعنى اقسم بهذا البلد الشريف ومن شرفه انك حل به مما
يقترفه اهله من المآثم متحرج بري فهو حقيق بان اعظمه بقسمي به • لقد خلقنا الانسان في كبد اي مرض
وهو مرض القلب وفساد الباطن يريد الذي علم الله منهم حين خلقهم انهم لا يومنون ولا يعملون الصالحات
وقيل الذي يحسب ان لن يقدر عليه احد هو ابو الاشد وكان قويا يبسط له الاديم العكاظي فيقوم عليه
ويقول من ازالني عنه فله كذا فلا ينزع عنه الا قطعا ويبقى موضع قدميه • وقيل الوليد بن المغيرة • لبدا

قري بالضم والكسر جمع لُبدة ولِبدة وهو ما تكبد يريد الكثرة • وقري لُبُدا بضمتين جمع لبود • ولبدا بالتشديد جمع لابد الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين فلا اقتحم العقبة وما ادريك ما العقبة فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة

الم نجعل له عينين يبصر بهما المرئيات • ولسانا يترجم به عن ضمايره • وشفتين يطبقهما على فيه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب والنفخ وغير ذلك • وهديناه النجدين اي طريقي الخير والشر وقيل الثديين • فلا اقتحم العقبة يعني فلم يشكر تلك الايادي بالاعمال الصالحة من فك الرقاب واطعام اليتامي والمساكين ثم بالايمان الذي اصل كل طاعة واساس كل خير بل غمط النعم وكفر بالمنعم • والمعنى ان من الانفاق على هذا الوجه هو الانفاق المرضي النافع عند الله تعالى لا ان يهلك ما لا لبدا في الربا والفخار فيكون مثله كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم الاية قلت قلما تقع لا الداخلة على الماضي الا مكررة ونحو قوله • فاي امر سيئ لا فعله • لا يكاد لا يقع فما لها لم تكرر في الكلام الافصح قلت هي متكررة في المعنى لان المعنى فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا اطعم مسكينا الا يري انه فسر اقتحام العقبة بذلك • وقال الزجاج قوله تعالى ثم كان من الذين امنوا يدل على معنى فلا اقتحم العقبة ولا آمن • والاقتحام الدخول والمجاوزة بشدة ومشقة • والقحمة الشدة وجعل الصالحة عقبة وعملها اقتحاما لها لما في ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس • وعن الحسن رحمة الله عليه والله شديدة مجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان • فك الرقبة تخليصها من رق او غيره • وفي الحديث ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم دلني على عمل يدخلني الجنة قال تعتق النسمة وتفك الرقبة قال اوليسا سوا قال لا • اعتاقها ان تنفرد بعتقها وفكها ان تعين في تخليصها من قود او غرم • والعتق والصدقة افضل الاعمال وعن ابي حنيفة رحمة الله عليه ان العتق افضل من الصدقة • وعند صاحبيه الصدقة افضل • والآية ادل على قول ابي حنيفة رحمة الله عليه لتقديم العتق على الصدقة • وعن الشعبي في رجل عنده فضل نفقة ايضعه في ذي قرابة او يعتق رقبة قال الرقبة افضل لان النبي صلى الله عليه وسلم قال من فك رقبة فك الله بكل عضو منها عضوا منه من النار • وقري فك رقبة او اطعام على هي فك رقبة او اطعام • وقري فكّ رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم العقبة • وقوله عز وعلا وما ادريك ما العقبة اعتراض ومعناه انك لم تدركنه صعوبتها على النفس وكنه ثوابها عند الله تعالى • والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي • وترب اذا افتقر ومعناه التصق بالتراب واما اترب فاستغني اي صار ذا مال كالتراب في الكثرة كما قيل اثرى • وعن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ذا متربة الذي ماواه المزابل • ووصف اليوم بذي مسغبة نحو ما يقول النحويون في قولهم هم ناصب ذو نصب • وقرا الحسن ذا مسغبة نصبه باطعام • ومعناه او اطعام في يوم من الايام ذا مسغبة ثم كان من الذين امنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اوليك اصحاب الميمنة والذين كفروا باياتنا هم اصحاب المشئمة عليهم نار موصدة ثم كان من الذين امنوا جاء بثم لتراخي الايمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا في الوقت لان الايمان هو السابق المقدم على غيره ولا يثبت عمل صالح الا به • والمرحمة الرحمة اي اوصا بعضهم بعضا بالصبر على الايمان

والنعم صح

ان

فان صح

والثبات

والثبات عليه او بالصبر عن المعاصي • وعلى الطاعات والمحن الذي يبتلي بها المومن وبان تكونوا متراحمين
متعاطفين • او بما يودي الى رحمة الله تعالى • الميمنة والمشئمة اليمين والشمال او اليمن والشوم
اي الميامين على انفسهم والمشائيم عليهن • وقرى موصدة بالواو والهمزة من اوصدت الباب وآصدته
اذا اطبقته واغلقته • وعن ابي بكر بن عياش لنا امام يهمز موصدة فاشتهي ان اسد اذني اذا سمعته
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله الامان من غضبه يوم القيمة

سورة الشمس مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي خمسة عشر اية

والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها والسما وما
بنيها والارض وما طحاها ضحاها ضوها اذا اشرقت وقام سلطانها ولذلك قيل وقت الضحى وكان
وجهه شمس الضحى وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك • والضحا بالفتح والمد اذا امتد النهار وكرب
ان ينتصف • اذا تلاها طالعا عند غروبها اخذا من نورها وذلك في النصف الاول من الشهر وقيل اذا
استدار فتلاها في الضيا والنور • اذا جلاها عند انتفاخ النهار وانبساطه لان الشمس تنجلي في ذلك الوقت
تمام الانجلاء • وقيل الضمير للظلمة او للدنيا او للارض وان لم يجر لها ذكر كقولهم اصبحت باردة يريدون
الغداة • وارسلت يريدون السماء • اذا يغشاها فتغيب وتظلم الافاق فان قلت الامر في نصب
اذا معضل لانك لا تخلو اما ان تجعل الواوات عاطفة فتنصب بها وتجر فتقع في العطف على عاملين
في نحو قولك مررت امس بزيد واليوم عمرو واما تجعلهن للقسم فتقع فيما اتفق سيبويه والخليل
على استكراهه قلت الجواب فيه ان واو القسم مطرح مع ابراز الفعل اطراحا كليا فكان لها شان
على خلاف شان البا حيث ابرز معها الفعل واضمر فكانت الواو قايمة مقام الفعل والبا سادة مسدهما
معا والواوات العواطف نوايب عن هذه الواو فحققن ان يكن عوامل عمل الفعل والجار جميعا كما تقول
ضرب زيد عمروا وبكر خالدا فيرفع بالواو وينصب لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملهما • جعلت ما
مصدرية في قوله تعالى • وما بناها وما طحاها وما سواها وليس بالوجه لقوله فالهمها • وما يودي اليه
من فساد النظم والوجه ان تكون موصولة وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية كانه قيل والسما
والقادر العظيم الذي بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها • وفي كلامهم سبحان ما سخركن
لنا فان قلت لم نكرت النفس قلت فيه وجهان احدهما ان يريد نفسا خاصة من بين النفوس وهي
نفس آدم كانه قيل وواحدة من النفوس • والثاني ان يريد كل نفس وينكر للتكثير على الطريقة المذكورة في
قوله علمت نفس فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها ومعنى
الهام الفجور والتقوى افهامهما واعقالهما وان احدهما حسن والاخر قبيح وتمكينه من اختيار ما يشا
منهما بدليل قوله قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها فجعله فاعل التزكية والتدسية ومتوليهما •
والتزكية الانماء والاعلا بالتقوى • والتدسية النقص والاخفاء بالفجور • واصل دسا دسس كما قيل
في تقضض تقضي • وسيل ابن عباس رضي الله عنهما فقال اتقرا قد افلح من تزكي • وقد خاب من حمل ظلما
واما قول من زعم ان الضمير في زكا ودسا لله تعالى وان تانيث الراجع الى من لانه في معنى النفس فمن تعكيس
القدرية الذين يوركون على الله تعالى قدرا هو بري منه ومتعال عنه ويحيون لياليهم في تمحل فاحشة

ونفس وما سواها

ينسبونها اليه فان قلت فاين جواب القسم قلت هو محذوف تقديره ليدمدمن الله عليهم اي
على اهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لانهم كذبوا صالحا • واما قد افلح من
زكاها فكلام تابع لقوله فالهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شي
كذبت ثمود بطغويها اذ انبعث اشقاها الباء في بطغواها مثلها في كتبت بالقلم والطغوى من الطغيان
فصلوا بين الاسم والصفة في فعلى من بنات الياء بان قلبوا الياء واوا في الاسم وتركوا القلب في الصفة
فقالوا امراة خزيا وصديا يعني فعلت التكذيب بطغيانها كما تقول ظلمني بجراته على الله • وقيل
كذبت بما اوعدت به من عذابها ذي الطغوى كقوله تعالى فاهلكوا بالطاغية • وقرا الحسن رحمة الله عليه
بطغواها بضم الطاء كالحسنى والرجعى في المصادر • اذ انبعث منصوب بكذبت او بالطغوى • اشقاها
قدار بن سالف • ويجوز ان يكونوا جماعة • والتوحيد لتسويتك في افعل التفضيل اذا اضفته بين الواحد
والجمع والمذكر والمونث وكان يجوز ان يقال اشقوها كما يقول افاضلهم والضمير في لهم يجوز ان يكون
للاشقين والتفضيل في الشقاوة لان من تولى العقر وباشره كانت شقاوته اظهر وابلغ ناقة الله
نصب على التحذير كقولك الاسد الاسد والصبي الصبي باضمار ذروا واحذروا عقرها • وسقياها
فلا تزووها عنها ولا تستاثروا بها عليها • فكذبوه فيما حذرهم منه من نزول العذاب ان فعلوا • فدمدم
عليهم فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسويها ولا يخاف عقباها فدمدم عليهم فاطبق عليهم العذاب
وهو من تكرير قولهم ناقة الله مدمومة اذا البسها الشحم بذنبهم بسبب ذنبهم وفيه انذار عظيم
بعاقبة الذنب فعلى كل مذنب ان يعتبر ويحذر فسواها الضمير للدمدمة اي فسواها بينهم لم
يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم • ولا يخاف عقباها اي عاقبتها وتبعتها كما يخاف كل معاقب
من الملوك فيبقي بعض الابقاء • ويجوز ان يكون الضمير لثمود على معنى فسواها بالارض او في الهلاك
ولا يخاف عقبى هلاكها • وفي مصاحف اهل المدينة والشام • فلا يخاف وفي قراءة النبي صلى الله عليه
وسلم ولم يخف • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم • من قرا سورة الشمس فكانما تصدق بكل شي
طلعت عليه الشمس والقمر سورة الليل مكية وهي احدى وعشرون اية
بسم الله الرحمن الرحيم والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما
خلق الذكر والانثى ان سعيكم لشتى المغشي اما الشمس من قوله تعالى والليل اذا يغشاها واما
النهار من قوله يغشي الليل النهار • واما كل شي يواريه بظلامه من قوله تعالى اذا وقب • تجلى ظهر
بزوال ظلمة الليل او تبين او تكشف بطلوع الشمس • وما خلق والقادر العظيم القدرة الذي قدر
على خلق الذكر والانثى من ماء واحد وقيل هما آدم وحوى • وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم والذكر والانثى
وفي قراءة ابن مسعود والذي خلق الذكر والانثى • وعن الكسائي وما خلق الذكر والانثى بالجر على انه بدل
من محل ما خلق بمعنى وما خلقه الله او ومخلوق الله الذكر والانثى • وجاز اضمار اسم الله لانه معلوم
لانفراده بالخلق اذ لا خالق سواه • وقيل ان الله لم يخلق خلقا من ذوي الازواج ليس بذكر ولا انثى والخنثى
وان اشكل امره عندنا فهو عند الله غير مشكل معلوم بالذكورة والانوثة فلو حلف بالطلاق انه لم يلق يومه
ذكرا ولا انثى وقد لقي خنثى مشكلا كان حانثا لانه في الحقيقة اما ذكر او انثى وان كان مشكلا عندنا

فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها فكذبوه فعقروها

لشتى

لشتي جمع شتيت ان مساعيكم اشتات مختلفة وبيان اختلافها فيما فصل على اثره **فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى** اعطى يعني حقوق الله في ماله ٠ واتقى الله فلم يعصه ٠ وصدق بالحسنى بالخصلة الحسنى وهي الايمان ٠ او بالملة الحسنى وهي ملة الاسلام ٠ او بالمثوبة الحسنى وهي الجنة ٠ فسنيسره لليسرى فسنهيئه لها من يسر الفرس للركوب اذا اسرجها والجمها ٠ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له والمعنى فسنلطف به ونوفقه حتى تكون الطاعة ايسر الامور عليه واهونها ٠ من قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام **واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى** واستغنى وزهد فيما عند الله كانه مستغن عنه فلم يتقه ٠ او استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة لانه في مقابلة واتقى ٠ فسنيسره للعسرى فسنخذله ونمنعه الالطاف حتى تكون الطاعة اعسر شي عليه واشده ٠ من قوله تعالى يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السما ٠ او سمى طريقة الخير باليسرى لان عاقبتها اليسر وطريقة الشر بالعسرى لان عاقبتها العسر ٠ او اراد بهما طريقي الجنة والنار اي فسنهديهما في الاخرة للطريقين وقيل نزلتا في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وفي ابي سفيان **وما يغني عنه ماله اذا تردى** وما يغني استفهام في معنى الانكار او نفي ٠ تردى تفعل من الردى وهو الهلاك يريد الموت او تردى في الحفرة اذا قبر او تردى في قعر جهنم **ان علينا للهدى وان لنا للاخرة والاولى** ان علينا للهدى ان الارشاد الى الحق واجب علينا بنصب الدلايل وبيان الشرايع ٠ وان لنا للاخرة والاولى اي ثواب الدارين للمهتدي كقوله واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين **فانذرتكم نارا تلظى لا يصليها الا الاشقى الذي كذب وتولى وسيجنبها الاتقى الذي يوتي ماله يتزكى** وقرا ابو الزبير تتلظى فان قلت كيف قال لا يصلاها الا الاشقى وسيجنبها الاتقى وقد علم ان كل شقي يصليها وكل تقي يجنبها لا يختص بالصلي اشقى الاشقيا ولا بالنجاة اتقى الاتقيا ٠ وان زعمت انه نكر النار فاراد نارا بعينها مخصوصة بالاشقى فما تصنع بقوله وسيجنبها الاتقى فقد علم ان افسق المسلمين يجنب تلك النار المخصوصة لا الاتقى منهم خاصة قلت الاية واردة في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المومنين فاريد ان يبالغ في صفتيهما المتناقضتين فقيل الاشقى وجعل مختصا بالصلي كان النار لم تخلق الا له ٠ وقيل الاتقى وجعل مختصا بالنجاة كان الجنة لم تخلق الا له ٠ وقيل هما ابو جهل او امية بن خلف ٠ وابو بكر رضي الله عنه يتزكى من الزكا اي يطلب ان يكون عند الله زكيا لا يريد به رياء ولا سمعة ٠ او يتفعل من الزكاة فان قلت ما محل يتزكى قلت هو على وجهين ان جعلته بدلا من يوتي فلا محل له لانه داخل في حكم الصلة والصلات لا محل لها ٠ وان جعلته حالا من الضمير في يوتي فمحله النصب **وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى** ابتغاء وجه ربه مستثنى من غير جنسه وهو النعمة ٠ اي ما لاحد عنده نعمة الا ابتغا وجه ربه ٠ كقولك ما في الدار احد الا حمارا ٠ وقرا يحيى بن وثاب الا ابتغاءُ وجهِ ربه الاعلى بالرفع على لغة من يقول ما في الدار احد الا حمار ٠ وانشد في اللغتين قول بشر بن ابي حازم

اضحت خلاء قفارا لا انيس بها ، الا الجآذر والظلمان تختلف ، وقول القايل ،

وبلدة ليس بها انيس ، الا اليعافير والا العيس ،

ويجوز ان يكون ابتغاء وجه ربه مفعولا له على المعنى لان معنى الكلام لا يوتي ماله الا ابتغا وجه ربه لا لمكافاة نعمة ٠ ولسوف يرضى موعد بالثواب الذي يرضيه

ويقر عينه • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم • من قرا سورة والليل اعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر
ويسر له اليسر سورة الضحى مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي احدى عشرة اية
والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وللاخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك
ربك فترضى المراد بالضحى وقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس وتلقي شعاعها • وقيل
انما خص وقت الضحى بالقسم لانها الساعة التي كلم فيها موسى عليه السلام والقي فيها السحرة سجدا لقوله
تعالى • وان يحشر الناس ضحى • وقيل اريد بالضحى النهار وبيانه قوله عز وجل ان ياتيهم باسنا ضحى في
مقابلة بياتا • سجى سكن وركد ظلامه • وقيل ليلة ساجية ساكنة الريح • وقيل معناه سكون الناس والاصوا ت
فيه وسجى البحر سكنت امواجه • وطرف ساج ساكن فاتر • ما ودعك جواب القسم ومعناه ما قطعك قطع المودع
وقرئ بالتخفيف يعني ما تركك قال • وثم ودعنا آل عمرو وعامر • فرائس اطراف المثقفة السمر •
والتوديع مبالغة في الودع لان من ودعك فارقك فقد بالغ في تركك • روي ان الوحي قد تاخر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم اياما فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه • وقيل ان ام جميل امراة ابي لهب
قال له يا محمد ما ارى شيطانك الا قد تركك فنزلت • حذف الضمير من قلى كحذفه من الذاكرات في قوله تعالى
والذاكرين الله كثيرا والذاكرات يريد والذاكراته ونحوه فاوى فهدى فاغنى وهو اختصار لفظي لظهور المحذوف
فان قلت كيف اتصل قوله وللاخرة خير لك من الاولى بما قبله قلت لما كان في ضمن نفي التوديع و
القلى ان الله مواصلك بالوحي اليك وانك حبيب الله ولا ترى كرامة اعظم من ذلك ولا نعمة اجل منه •
اخبره ان حاله في الاخرة اعظم من ذلك واجل وهو السبق والتقدم على جميع انبياء الله ورسله وشهادة امته
على ساير الامم • ورفع درجات المومنين واعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية • ولسوف
يعطيك ربك فترضى موعد شامل لما اعطاه في الدنيا من الفلج والظفر باعدايه يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول
الناس في الدين افواجا والغلبة على قريظة والنضير واجلايهم وبث عساكره وسراياه في بلاد العرب وما
فتح على خلفايه الراشدين في اقطار الارض من المداين وهدمها بايديهم من ممالك الجبابرة وانهبهم من كنوز
الاكاسرة وما قذف في قلوب اهل الشرق والغرب من الرعب وتهيب الاسلام وفشو الدعوة واستيلا
المسلمين ولما ادخره من الثواب الذي لا يعلم كنهه الا الله تعالى • قال ابن عباس رضي الله عنهما له في الجنة الف
قصر من لولو ابيض ترابه المسك فان قلت ما هذه اللام الداخلة على سوف قلت هي لام الابتدا
المؤكدة لمضمون الجملة والمبتدا المحذوف تقديره ولانت سوف يعطيك كما ذكرنا في لا اقسم ان المعنى لانا
اقسم • وذلك انها لا تخلو من ان تكون لام قسم او ابتدا فلام القسم لا تدخل على المضارع الا مع نون التوكيد فبقي
ان تكون لام ابتدا ولام الابتدا لا تدخل الا على الجملة من المبتدا والخبر فلا بد من تقدير مبتدا وخبر وان يكون
اصله ولانت سوف يعطيك فان قلت ما معنى الجمع بين حرفي التوكيد والتاخير قلت معناه ان
العطا كاين لا محالة وان تاخر لما في التاخير من المصلحة عدد عليه نعمه واياديه وانه لم يخله منها من اول
تربيه وابتداء نشئه ترشيحا لما اراد به ليقبس المترقب من فضل الله على ما سلف منه لئلا يتوقع الا الحسنى
وزيادة الخير والكرامة ولا يضيق صدره ولا يقل صبره الم يجدك يتيما فاوى ووجدك ضالا فهدى ووجد ک
عايلا فاغنى الم يجدك من الوجود الذي بمعنى العلم والمنصوبان مفعولا وجد والمعنى الم تكن يتيما وذلك

اذاباه

اذ اباه مات وهو جنين قد اتت عليه ستة اشهر وماتت امه وهو ابن ثماني سنين فكفله عمه ابو طالب وعطفه
الله عليه فاحسن تربيته • ومن بدع التفاسير انه من قولهم درة يتيمة • وان المعنى الم يجدك واحدا في قريش
عديم النظير فآواك • وقرئ فاوى وهو على معنيين اما من اواه بمعنى آواه • سمع بعض الرعاة يقول
اين اوى هذه الموقسه • واما من اوى له اذا رحمه • ضالا معناه الضلال عن علم الشرايع وما طريقه
السمع كقوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب • وقيل ضل في صباه في بعض شعاب مكة فرده ابو جهل الى عبد
المطلب • وقيل اضلته حليمة عند باب مكة حين فطمته وجات به لترده على عبد المطلب • وقيل ضل في
طريق الشام حين خرج به ابو طالب • فهداك فعرفك القران والشرايع • او فازال ضلالك عن جدك
وعمك • ومن قال كان على امر قومه اربعين سنة فان اراد انه كان على خلوهم عن العلوم السمعية فنعم
وان اراد انه كان على دينهم وكفرهم فمعاذ الله والانبيا يجب ان يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها
من الكباير والصغاير الشاينة فما بال الكفر والجهل بالصانع • ما كان لنا ان نشرك بالله من شي • وكفى بالنبي
نقيصة عند الكفار ان يسبق له كفر • عايلا فقيرا وقرئ عيلا كما قرئ سيحات وعديما • فاغنى فاغناك
بمال خديجة رضي الله عنها • او بما افاء عليك من الغنايم قال صلى الله عليه وسلم جعل رزقي تحت ظل رمحي
وقيل قنعك واغنى قلبك فاما اليتيم فلا تقهر واما السايل فلا تنهر واما بنعمة ربك فحدث
فلا تقهر فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه • وفي قراءة ابن مسعود فلا تكهر وهو ان يعبس في وجهه وفلان
ذو كهورة عابس الوجه • ومنه الحديث فبابي وامي هو ما كهرني • النهر والنهم الزجر • وعن النبي صلى
الله عليه وسلم اذا رددت السايل ثلاثا فلم يرجع فلا عليك ان تزبره • وقيل اما انه ليس بالسايل المستجدي
ولكن طالب العلم اذا جاك فلا تنهره • التحديث بنعمة الله شكرها واشاعتها يريد ما ذكره من نعمة الايوا
والهداية والاغنا وما عدا ذلك • وعن مجاهد بالقران فحدث اقرئه وبلغ ما ارسلت به • وعن عبد الله
ابن غالب انه كان اذا اصبح يقول رزقني الله البارحة خيرا قرات كذا وصليت كذا فاذا قيل له يا ابا فراس
امثلك يقول مثل هذا قال يقول الله تعالى واما بنعمة ربك فحدث وانتم تقولون لا تحدث بنعمة الله • وانما
يجوز مثل هذا اذا قصد به اللطف وان يقتدي غيره به وامن على نفسه الفتنة والستر افضل ولو لم يكن
فيه الا التشبه باهل الريا والسمعة لكفى به • وفي قراءة علي رضي الله عنه فخبر • والمعنى انك كنت يتيما وضالا
وعايلا فآواك الله وهداك واغناك فمهما يكن من شي وعلى ما خيلت فلا تنس نعمة الله عليك في هذه الثلاث
واقتد بالله فتعطف على اليتيم وآوه فقد ذقت اليتم وهوانه • ورايت كيف فعل الله بك • وترحم على السايل
وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك كما رحمك ربك فاغناك بعد الفقر • وحدث بنعمة الله كلها • ويدخل تحت
هداية الضلال وتعليمه الشرايع والقران مقتديا بالله وان هداه من الضلال • عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم • من قرا سورة الضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد عليه السلام ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله
له بعدد كل يتيم وسايل سورة الم نشرح مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي ثمان ايات
الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك استفهم
عن انتفا الشرح على وجه الانكار فافاد اثبات الشرح وايجابه فكانه قال قيل شرحنا لك صدرك ولذلك
عطف عليه وضعنا اعتبارا للمعنى • ومعنى شرحنا صدرك فسحناه حتى وسع هموم النبوة ودعوة الثقلين

جميعا او حتى احتمل المكاره التي يتعرض لك بها كفار قومك وغيرهم • او فسحناه لما اودعناه من العلوم والحكم
وازلنا عنه الضيق • والحرج الذي يكون مع العمى والجهل • وعن الحسن ملئ حكمة وعلما • وعن ابي جعفر المنصور
انه قرا الم نشرحَ بفتح الحا وقالوا لعله بيّن الحا واشبعها في مخرجها فظن السامع انه فتحها • والوزر الذي
انقض ظهره اي حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك لثقله مثل لما كان يثقل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويغمه من فرطاته قبل النبوة او من جهله بالاحكام والشرايع • او من تهالكه على اسلام او لي
العناد من قومه وتلهفه ووضعه عنه ان غفر له • او علم الشرايع او مهد عذره بعد ما بلغ وبالغ • وقرا
انس وحللنا وحططنا • وقرا ابن مسعود رضي الله عنه وحللنا عنك وقرك • ورفع ذكره ان قرن بذكر الله
في كلمة الشهادة والاذان والاقامة والتشهد والخطب • وفي غير موضع من القران والله ورسوله احق ان
يرضوه • ومن يطع الله ورسوله • واطيعوا الله واطيعوا الرسول وفي تسميته رسول الله ونبي الله ومنه
ذكره في بيان المواضع والاخذ على الانبيا واممهم ان يومنوا به فان قلت اي فايدة في زيادة لك والمعنى
مستقل بدونه قلت في زيادة لك ما في طريقة الابهام والايضاح كانه قيل الم نشرح لك ففهم ان ثم
مشروحا ثم قيل صدرك فاوضح ما علم مبهما • وكذلك لك ذكرك وعنك وزرك فان مع العسر يسرا ان مع
العسر يسرا فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب فان قلت كيف تعلق قوله فان مع العسر
يسرا بما قبله قلت كان المشركون يعيرون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين بالفقر والضيقة •
حتى سبق الى وهمه انهم رغبوا عن الاسلام لافتقار اهله واحتقارهم فذكره ما انعم به عليه من جلايل النعم
ثم قال ان مع العسر يسرا كانه قال خولناك ما خولناك فلا تياس من فضل الله فان مع العسر الذي انتم فيه
يسرا فان قلت ان مع للصحبة فما معنى اصطحاب اليسر والعسر قلت اراد ان الله يصيبهم بيسر
بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب فقرب اليسر المترقب حتى جعله كالمقارن للعسر زيادة في التسلية وتقو ية
القلوب فان قلت ما معنى قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما لن يغلب عسر يسرين • وقد روي
مرفوعا انه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو يضحك ويقول لن يغلب عسر يسرين قلت
هذا عمل على الظاهر وبناء على قوة الرجا • وان موعد الله لا يحمل الا على اوفا ما يحتمله اللفظ وابلغه والقول فيه
انه يحتمل ان تكون الجملة الثانية تكريرا للاولى كما كرر قوله تعالى ويل يوميذ للمكذبين لتقرير معناها في النفوس
وتمكينها في القلوب • وكما يكرر المفرد في قولك جاني زيد زيد • وان تكون الاولى عدة بان العسر مردوف بيسر
لا محالة • والثانية عدة مستانفة بان العسر متبوع بيسر فهما يسران على تقدير الاستيناف وانما كان العسر
واحدا لانه لا يخلو اما ان يكون تعريفه للعهد وهو العسر الذي كانوا فيه فهو هو لان حكمه حكم زيد في قولك
ان مع زيد مالا • واما ان تكون للجنس الذي لا يعلمه واحد فهو هو ايضا • واما اليسر فمنكر متناول للجنس فاذا
كان الكلام الثاني مستانفا غير مكرر فقد تناول بعضا غير البعض الاول بغير اشكال فان قلت فما المراد
باليسرين قلت يجوز ان يراد ما تيسر لهم من الفتوح في ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تيسر لهم في
ايام الخلفاء • وان يراد يسر الدنيا ويسر الاخرة كقوله تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين وهما
حسنى الظفر وحسنى الثواب فان قلت فما معنى هذا التنكير قلت التفخيم كانه قيل ان مع العسر
يسرا عظيما واي يسر • وهو في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه مرة واحدة فان قلت فاذا ثبت في

في قراءة غير مكرر فلم قال والذي نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه انه لن يغلب عسرين يسرين قلت كانه قصد باليسرين ما في قوله يسرا من معنى التفخيم فتاوله بيسر الدارين وذلك يسران في الحقيقة فان قلت فكيف تعلق قوله فاذا فرغت فانصب بما قبله قلت لما عدد عليه نعمه السالفة ووعده الانفة بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها وان يواصل بين بعضها وبعض ويتابع ويحرص على ان لا يخلي وقتا من اوقاته منها فاذا فرغ من عبادة ذنبها باخرى وعن ابن عباس رضي الله عنهما فاذا فرغت من صلوتك فاجتهد في الدعا وعن الحسن رحمة الله عليه فاذا فرغت من الغزو فاجتهد في العبادة وعن مجاهد فاذا فرغت من دنياك فانصب في صلوتك وعن الشعبي انه راى رجلا يشيل حجرا فقال ليس بهذا امر الفارغ وقعود الرجل فارغا من غير شغل او اشتغاله بما لا يعنيه في دينه او دنياه من سفه الراي وسخافة العقل واستيلا الغفلة ولقد قال عمر رضي الله عنه اني لاكره ان ارى احدكم فارغا سبهللا لا في عمل دنيا ولا في عمل اخرة وقال ابو السمال فرغت بكسر الرا وليست بفصيحة ومن البدع ما روي عن بعض الرافضة انه قرا فانصب بكسر الصاد اي فانصب عليا للامامة ولو صح هذا للرافضي لصح للناصبي ان يقرا هكذا ويجعله امرا بالنصب الذي هو بغض علي عليه السلام وعداوته والى ربك فارغب واجعل رغبتك اليه خصوصا ولا تسال الا فضله متوكلا عليه وقرى فرغب اي رغب الناس الى طلب ما عنده عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا الم نشرح فكانما جاني وانا مغتم ففرج عني

سورة التين مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي ثمان ايات

والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين اقسم بهما لانهما عجيبان من بين اصناف الاشجار المثمرة روي انه اهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم طبق من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس ومر معاذ بن جبل بشجرة الزيتون فاخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعته يقول هي سواكي وسواك الانبياء قبلي وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو تينكم هذا وزيتونكم وقيل جبلان من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما منبتا التين والزيتون وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمدان والزيتون جبال الشام لانهما منابتهما كانه قيل ومنابت التين والزيتون واضيف الطور وهو الجبل الى سينين وهو البقعة ونحو سينون يبرون في جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء وتحريك النون بحركات الاعراب والبلد مكة حماها الله والامين من امن الرجل امانة فهو امين وقيل امان كما قيل كرام في كريم وامانته انه يحفظ من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ويجوز ان يكون فعيلا بمعنى مفعول من امنه فهو مامون لانه مامون الغوايل كما وصف بالامن في قوله تعالى حرما امنا بمعنى ذي امن ومعنى القسم بهذه الاشيا الابانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الانبيا والصالحين فمنبت التين والزيتون مهاجر ابراهيم ومولد عيسى عليهما السلام ومنشاوه والطور المكان الذي نودي منه موسى عليه السلام ومكة مكان البيت الذي هو هدى للعالمين ومولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومبعثه لقد خلقنا الانسان في احسن

تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون في احسن تقويم في احسن تعديل لشكله وصورته وتسوية لاعضائه ثم كان عاقبة امره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة السوية ان رددناه اسفل سافلين من سفل خلقا وتركيبا ٠ يعني اقبح من قبح صورة واشوهه خلقة وهم اصحاب النار ٠ او اسفل من سفل من اهل الدركات ٠ او ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين اسفل من سفل في حسن الصورة والشكل حيث نكسناه في خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد سواده ٠ وتشنن جلده وكان بضا وكل سمعه وبصره وكانا حديدين وتغير كل شي منه فمشيه دليف وصوته خفات وقوته ضعف ٠ وشاهته خرف ٠ وقرا عبد الله اسفل السافلين فان قلت فكيف الاستثنا على المذهبين قلت هو على الاول متصل ظاهر الاتصال ٠ وعلى الثاني منقطع ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم ثواب دايم غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلا الله تعالى بالشيخوخة والهرم وعلى مقاسات المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم فما يكذبك بعد بالدين اليس الله باحكم الحاكمين فان قلت فما يكذبك من المخاطب به قلت هو خطاب للانسان على طريقة الالتفات اي فما يجعلك كاذبا بسبب الدين وانكاره بعد هذا الدليل يعني انك تكذب اذا كذبت بالجزا لان كل مكذب بالحق فهو كاذب فاي شي يضطرك الى ان تكون كاذبا بسبب تكذيب الجزا ٠ والبا مثلها في قوله تعالى الذين يتولونه والذين هم به مشركون ٠ والمعنى ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتدريجه في مراتب الزيادة الى ان يكمل ويستوي ثم تنكيسه الى ان يبلغ ارذل العمر لا ترى دليلا اوضح منه على قدرة الخالق وان من قدر على الانسان على هذا كله لم يعجز عن اعادته ٠ فما سبب تكذيبك ايها الانسان بالجزا بعد هذا الدليل القاطع ٠ وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ٠ اليس الله باحكم الحاكمين وعيد للكفار وانه يحكم عليهم بما هم اهله ٠ وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قراها قال بلى وانا على ذلك من الشاهدين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة التين اعطاه الله خصلتين العافية واليقين في دار الدنيا ٠ واذا مات اعطاه الله من الاجر بعدد من قرا هذه السورة صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة العلق مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي تسعة عشر اية

اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم عن ابن عباس ومجاهد هي اول سورة نزلت واكثر المفسرين على ان الفاتحة اول ما نزل ثم سورة القلم ٠ محل باسم ربك النصب على الحال اي اقرا مفتتحا باسم ربك قل بسم الله ثم اقرا فان قلت كيف قال خلق فلم يذكر له مفعولا ثم قال خلق الانسان قلت هو على وجهين اما ان لا يقدر له مفعول وان يراد انه الذي حصل منه الخلق واستاثر به لا خالق سواه واما ان يقدر ويراد خلق كل شي فيتناول كل مخلوق لانه مطلق فليس بعض المخلوقات اولى بتقديره من بعض وقوله ٠ خلق الانسان تخصيص للانسان بالذكر من بين ما يتناوله الخلق لان التنزيل اليه وهو اشرف ما على الارض ٠ ويجوز ان يراد الذي خلق الانسان كما قال الرحمن علم القران خلق الانسان فقيل الذي خلق مبهما ثم فسره بقوله خلق الانسان تفخيما لخلق الانسان ودلالة على عجيب فطرته فان قلت لم قال من علق على الجمع وانما خلق من علقة كقوله تعالى من نطفة ثم من علقة ٠ قلت لان الانسان في معنى الجمع كقوله تعالى ان

الانسان

يد

الانسان لفي خسر • الاكرم الذي له الكمال في الكرم في زيادة كرمه على كل كريم ينعم على عباده النعم التي لا تحصي
ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وركوبهم المناهي واطراحهم الاوامر ويقبل
توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقتراف العظايم • فما لكرمه غاية ولا امد • وكانه ليس وراء التكرم بافادة الفوايد
العلمية تكرم حيث قال الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم • فدل على كمال كرمه بانه علم عباده
مالم يعلموا • ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم • ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا
يحيط بها الا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار الاولين ومقالاتهم • ولا كتب الله
المنزلة الا بالكتابة • ولولاهي لما استقامت امور الدين والدنيا • ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطف
تدبيره دليل الا امر القلم والخط لكفا به • ولبعضهم في صفة القلم •
ورواقم رقش كمثل اراقم • قطف الخطى نيالة اقصى المدا • سود القوايم ما يحد مسيرها • الا اذا لعبت بها بيض المدى •
وقرا ابن الزبير علم الخط بالقلم كلا ان الانسان ليطغى ان راه استغنى ان الى ربك الرجعى
ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى ارايت ان كذب
وتولى الم يعلم بان الله يرى كلا ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه
ان راه ان راى نفسه يقال في افعال القلوب رايتني وعلمتني وذلك بعض خصايصها • ومعنى الروية
العلم ولو كانت بمعنى الابصار لامتنع في فعلها الجمع بين الضميرين واستغنى هو المفعول الثاني • ان الى
ربك الرجعى واقع على طريقة الالتفات الى الانسان تهديدا له وتحذيرا له من عاقبة الطغيان • والرجعى
مصدر كالبشرى بمعنى الرجوع • وقيل نزلت في ابي جهل وكذلك ارايت الذي ينهى • وروي انه قال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم اتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة ذهبا وفضة لعلنا ناخذ منها
فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل فقال ان شيت فعلنا ذلك ثم ان لم يومنوا فعلنا بهم مثل ما فعلنا
باصحاب المايدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعا ابقاء عليهم • وروي عنه لعنه الله انه
قال هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم قالوا نعم قال فوالذي يحلف به لان رايته توطات عنقه • فجاه ثم
نكص على عقبيه فقالوا مالك يا ابا الحكم قال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت
ارايت الذي ينهى ومعناه اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلوته ان كان ذلك الناهي على طريقة
سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله • او كان امرا بالمعروف والتقوى فيما يامر به من عبادة الاوثان
كما يعتقد وكذلك ان كان على التكذيب للحق والتولي عن الدين الصحيح كما نقول نحن • الم يعلم بان الله
يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك وهذا وعيد • فان قلت ما متعلق
ارايت قلت الذي ينهى مع الجملة الشرطية وهما في موضع المفعولين فان قلت فاين جواب
الشرط قلت محذوف تقديره ان كان على الهدى او امر بالتقوى الم يعلم بان الله يرى وانما
حذف لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني فان قلت فكيف صح ان يكون الم يعلم جوابا للشرط
قلت كما صح في قولك ان اكرمتك اتكرمني وان احسن اليك زيد هل تحسن اليه فان قلت
فما ارايت الثانية وتوسطها بين مفعولي ارايت قلت هي زايدة مكررة للتوكيد • وعن الحسن انه
امية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلوة كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة

خاطئة كلا ردع لابي جهل وخسؤ له عن نهيه عن عبادة الله وامره بعبادة اللات ثم قال • لئن لم ينته عما هو فيه • لنسفعا بالناصية لناخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار • والسفع القبض على الشي وجذبه بشدة • قال عمرو بن معدي كرب ، قوم اذا نقع الصريخ رايتهم ، من بين ملجم مهره او سافع ، وقرئ لنسفعن بالنون المشددة • وقرا ابن مسعود رضي الله عنه لاسفعن • وكتبتها في المصحف بالالف على حكم الوقف • ولما علم انها ناصية المذكور اكتفى بلام العهد عن الاضافة • ناصية بدل من الناصية وجاز بدلها عن المعرفة وهي نكرة لانها وصفت فاستقلت بفايدة • وقرئ ناصية على هي ناصية وناصية بالنصب وكلاهما على الشتم • ووصفها بالكذب والخطا على الاسناد المجازي وهما في الحقيقة لصاحبها • وفيه من الحسن والجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطي فليدع ناديه سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب والنادي المجلس الذي ينتدي فيه القوم اي يجتمعون والمراد اهل النادي اي
كما قال جرير ، لهم مجلس صهب السبال اذلة ، وقال زهير ، وفيهم مقامات حسان وجوههم ، على سرر مصفوفة ونمارق ، والمقامة المجلس • وروي ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتهددني وانا اكثر اهل الوادي ناديا فنزلت • وقرا ابن ابي عبلة • سيدعى الزبانية على البنا للمفعول والزبانية في كلام العرب الشرط الواحد زبنية • كعفرية من الزبن وهو الرفع • وقيل زبني وكانه نسب الى الزبن ثم غير للنسب كقولهم امسي واصله زباني فقيل زبانية على التعويض • والمراد ملايكة العذاب • وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا • كلا ردع لابي جهل لا تطعه اي اثبت على ما انت عليه من عصيانه كقوله تعالى ولا تطع المكذبين • واسجد ودم على سجودك يريد الصلوة • واقترب وتقرب الى ربك • وفي الحديث اقرب ما يكون العبد من ربه اذا سجد • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم • من قرا سورة العلق اعطي من الاجر كانما قرا المفصل كله سورة القدر مختلف فيها بسم الله الرحمن الرحيم وهي خمس ايات
انا انزلناه في ليلة القدر وما ادريك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر عظم القران من ثلاثة اوجه احدها ان اسند انزاله اليه وجعله مختصا به دون غيره • والثاني انه جاء بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغنى عن التنبيه عليه • والثالث الرفع من مقدار الوقت الذي انزل فيه • وروي انه انزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا واملاه جبريل عليه السلام على السفرة • ثم كان ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة • وعن الشعبي المعنى انا ابتدانا انزاله في ليلة القدر واختلفوا في وقتها فاكثرهم على انها في شهر رمضان في العشر الاواخر في اوتارها • واكثر القول انها السابعة منها • ولعل الداعي الى اخفائها هو ان يحيي من يريدها الليالي الكثيرة طلبا لموافقتها فتكثر عبادته ويتضاعف ثوابه وان لا يتكل الناس عند اظهارها على اصابة الفضل فيها فيفرطوا في غيرها ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الامور وقضايها من قوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم وقيل سميت بذلك لخطرها وشرفها على ساير الليالي • وما ادريك ما ليلة القدر يعني ولم تبلغ درايتك غاية فضلها ومنتهى علو قدرها ثم بين له ذلك بانها خير من الف شهر وسبب ارتقاء فضلها الى هذه الغاية ما يوجد فيها من المصالح الدينية التي ذكرها من تنزل الملايكة

تنزل الملايكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر سلام هي حتى مطلع الفجر صح

والروح

والروح وفصل كل امر حكيم • وذكر في تخصيص هذه المدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المومنون من ذلك وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة القدر خير من مدة ذلك الغازي • وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله الف شهر فاعطوا ليلة ان احيوها كانوا احق بان يسموا عابدين من اوليك العباد • تنزل الملايكة الى السما الدنيا وقيل الى الارض • والروح جبريل وقيل خلق من الملئكة لا تراهم الملايكة الا تلك الليلة • من كل امر اي تنزل من اجل كل امر قضاه الله لتلك السنة الى قابل • وقرى من كل امرئ اي من اجل كل انسان قيل لا يلقون مومنا ولا مومنة الا سلموا عليه في تلك الليلة • سلام هي ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله فيها الا السلامة ويقضي في غيرها بلاء وسلامة او ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون على المومنين • وقرى مطلع الفجر بفتح اللام وكسرها • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم • من قرا سورة القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر •

سورة البينة مكية وقيل مدنية وهي ثمان ايات بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة فيها كتب قيمة كان الكفار من الفريقين اهل الكتاب وعبدة الاوثان الاصنام يقولون قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم لا ننفك مما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التورية والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه ثم قال وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد يعني انهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق اذا جاهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا اقرهم على الكفر الا مجي الرسول • ونظيره في الكلام ان يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لست بمنفك مما انا فيه حتى يرزقني الله الغنا فيرزقه الله الغنا فيزداد فسقا فيقول واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما غمست راسك في الفسق الا بعد اليسار يذكره ما كان يقوله توبيخا والزاما وانفكاك الشي من الشي ان يزايله بعد التحامه به كالعظم اذا انفك عن مفصله • والمعنى انهم متشبثون بدينهم لا يتركونه الا عند مجي البينة • والبينة الحجة الواضحة • رسول من الله بدل من البينة • وفي قراة عبد الله رسولا حالا من البينة • صحفا قراطيس • مطهرة من الباطل فيها كتب مكتوبات والبينة القرات او لم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى • ورسول من الله جبريل صلوات الله عليه وهو التالي للصحف المطهرة المنتسخة من اللوح التي ذكرت في سورة عبس ولا بد من مضاف محذوف وهي الوحي ويجوز ان يراد النبي صلى الله عليه وسلم فان قلت كيف نسبت تلاوة الصحف المطهرة اليه وهو امي قلت اذا تلا مثل المسطور فيها كان تاليا لها • قيمة مستقيمة ناطقة بالحق والعدل وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاتهم البينة وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفا ويقيموا الصلوة ويوتوا الزكوة وذلك دين القيمة والمراد بتفرقهم تفرقهم عن الحق وانقشاعهم عنه او تفرقهم فرقا فمنهم من امن ومنهم من انكر وقال ليس به • ومنهم من عرف وعاند فان قلت لم جمع بين اهل الكتاب والمشركين اولا ثم افرد اهل الكتاب في قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب قلت لانهم كانوا على علم به لوجوده في كتبهم فاذا وصفوا بالتفرق كان من لا كتاب له ادخل في هذا الوصف • وما امروا يعني في التورية والانجيل الا بالدين الحنيفي ولكنهم حرفوا وبدلوا • وذلك دين القيمة اي دين الملة القيمة • وقري وذلك الدين القيمة

على تاويل الدين بالملة فان قلت ماوجه قوله وما امروا الا ليعبدوا الله قلت معناه وما امروا بما في
الكتابين الا لاجل ان يعبدوا الله على هذه الصفة ٭ وقرا ابن مسعود الا ان يعبدوا والمعنى بان يعبدوا ان الذين
كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه قرا نافع البريئة بالهمز والقراء على التخفيف والنبي والبرية
مما استمر الاستعمال على تخفيفه ورفض الاصل ٭ وقرئ خيار البرية جمع خير كجياد وطياب جمع جيد وطيب
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٭ من قرا لم يكن كان يوم القيمة مع خير البرية مساء ومقيلا

سورة الزلزلة مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي ثمان ايات

اذا زلزلت الارض زلزالها واخرجت الارض اثقالها وقال الانسان ما لها يومئذ تحدث اخبارها
بان ربك اوحى لها زلزالها قرئ بكسر الزاي وفتحها فالمكسور مصدر والمفتوح اسم ٭ وليس في الابنية فعلال
بالفتح الا في المضاعف فان قلت ما معنى زلزالها بالاضافة قلت معناه زلزالها الذي تستوجبه في
الحكمة ومشيئة الله وهو الزلزال الشديد الذي ليس بعده ونحوه قولك اكرم التقي اكرامه واهن الفاسق اهانته
تريد ما يستوجبانه من الاكرام والاهانة ٭ او زلزالها كله وجميع ما هو ممكن منه ٭ والاثقال جمع ثقل وهو متاع
البيت ٭ وتحمل اثقالكم جعل ما في جوفها من الدفائن اثقالا لها ٭ وقال الانسان ما لها زلزلت هذه الزلزلة الشديدة
ولفظت ما في بطنها وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ امواتها احياء فيقولون ذلك لما
يبهرهم من الامر الفظيع كما يقولون من بعثنا من مرقدنا ٭ وقيل هذا قول الكافر لانه كان لا يؤمن بالبعث ٭
واما المؤمن فيقول هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فان قلت ما معنى تحديث الارض والايحاء لها
قلت هو مجاز عن احداث الله تعالى فيها من الاحوال ما يقوم مقام التحديث باللسان حتى ينظر من يقول
ما لها الى تلك الاحوال فيعلم لم زلزلت ولم لفظت الاموات وان هذا ما كانت الانبياء ينذرونه
ويحذرون منه ٭ وقيل ينطقها الله على الحقيقة وتخبر بما عمل عليها من خير وشر ٭ وروي عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم تشهد على كل احد بما عمل على ظهرها فان قلت اذا ويومئذ ما ناصبهما قلت يومئذ
بدل من اذا وناصبهما تحدث ويجوز ان ينتصب اذا بمضمر ويومئذ بتحدث فان قلت اين مفعولا تحدث
قلت قد حذف اولهما والثاني اخبارها ٭ واصله تحدث الخلق اخبارها الا ان المقصود ذكر تحديثها
الاخبار لا ذكر الخلق تعظيما لليوم فان قلت بم تعلقت الباء في قوله بان ربك قلت بتحدث معناه
تحدث اخبارها بسبب ايحاء ربك وامره اياها بالتحديث ٭ ويجوز ان يكون المعنى يومئذ تحدث بتحديث ان
ربك اوحى لها اخبارها على ان تحديثها بان ربك اوحى لها تحديث باخبارها كما تقول نصحتني كل نصيحة بان
نصحتني في الدين ٭ ويجوز ان يكون بان ربك بدلا من اخبارها كانه قيل يومئذ تحدث باخبارها بان ربك
اوحى لها لانك تقول حدثته كذا وحدثته بكذا ٭ واوحى لها بمعنى اوحى اليها وهو مجاز كقوله تعالى ان
يقول له كن فيكون ٭ قال اوحى لها القرار فاستقرت ٭ وقرا ابن مسعود تنبئ اخبارها ٭ وسعيد بن جبير
تنبي بالتخفيف يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن
يعمل مثقال ذرة شرا يره يصدرون عن مخارجهم من القبور الى الموقف ٭ اشتاتا بيض الوجوه امنين

وسود

وسود الوجوه فزعين • او يصدرون عن الموقف اشتاتا يتفرق بهم طريقا الجنة والنار • ليروا اعمالهم
وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ليروا بالفتح • وقرا ابن عباس وزيد بن ثابت رضي الله عنهما يره بالضم
ويحكي ان اعرابيا اخر خيرا يره فقيل له قدمت واخرت فقال

خذا بطن هرشى او قفاها فانه • كلا جانبي هرشا لهن طريق

والذرة النملة الصغيرة • وقيل الذر ما يرى في شعاع الشمس من الهباء فان قلت حسنات الكافر
محبطة بالكفر • وسيئات المؤمن معفوة باجتناب الكبائر فما معنى الجزاء بمثقال الذر من الخير والشر
قلت المعنى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا من فريق السعداء • ومن يعمل مثقال ذرة شرا من فريق الاشقياء
لانه جاء بعد قوله يصدر الناس اشتاتا • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم • من قرا اذا زلزلت اربع
مرات كان كمن قرا القرآن كله سورة العاديات مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي احدى عشرة اية
والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا فاثرن به نقعا فوسطن به جمعا ان
الانسان لربه لكنود وانه على ذلك لشهيد وانه لحب الخير لشديد اقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح
والضبح صوت انفاسها اذا عدون • وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه حكاه فقال اح اح فقال عنترة
والخيل تكدح حين تضبح • في حياض الموت ضبحا • وانتصاب ضبحا على تضبحن ضبحا او بالعاديات
كانه قيل والضابحات لان الضبح يكون مع العدو او على الحال اي ضابحات • فالموريات تورى نار الحباحب
وهي ما ينقدح من حوافرها • قدحا قادحات صاكات بحوافرها الحجارة والقدح الصك • والايراء اخراج النار
تقول قدح فاورى وقدح فاصلد • وانتصب قدحا بما انتصب به ضبحا • فالمغيرات تغير على العدو • صبحا
في وقت الصبح • فاثرن به نقعا فهيجن بذلك غبارا • فوسطن به بذلك الوقت او بالنقع اي وسطن
النقع الجمع • او فوسطن ملتبسات به • جمعا من جموع الاعداء ووسطه بمعنى توسطه • وقيل الضمير
لمكان الغارة • وقيل للعدو الذي دل عليه والعاديات • ويجوز ان يراد بالنقع الصياح من قوله عليه السلام
ما لم يكن نقع ولا لقلقة • وقول لبيد • فمتى ينقع صراخ صادق • اي فهيجن في المغار عليهم صياحا
وجلبة • وقرا ابو حيوة فاثرن بالتشديد بمعنى فاظهرن به غبارا لان التاثير فيه معنى الاظهار • او
قلب ثورن الى وثرن وقلب الواو همزة • وقرئ فوسطن بالتشديد للتعدية والباء مزيدة للتوكيد كقوله تعالى
واتوا به • او هي مبالغة في وسطن • وعن ابن عباس رضي الله عنهما كنت جالسا في الحجر فجاء رجل فسالني
عن العاديات ضبحا ففسرتها بالخيل فذهب الى علي رضي الله عنه وهو تحت سقاية زمزم فساله وذكر له
ما قلت له فقال ادعه لي فلما وقفت على راسه قال تفتي الناس بما لا علم لك به والله ان كانت لاول غزوة
في الاسلام بدر وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد • العاديات ضبحا الابل من عرفة
الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى فان صحت الرواية فقد استعير الضبح للابل كما استعير المشافر والحافر فر
للانسان والشفتان للمهر والثغر للثورة وما اشبه ذلك • وقيل الضبح لا يكون الا للفرس والكلب والثعلب
وقيل الضبح بمعنى الضبع يقال ضبحت الابل وضبعت اذا مدت اضباعها في السير وليس بثبت • وجمع
هو المزدلفة فان قلت علام عطف فاثرن قلت على الفعل الذي وضع اسم الفاعل موضعه لان المعنى
واللاتي عدون فاورين فاغرن فاثرن • الكنود الكفور وكند النعمة كنودا ومنه سمي كندة لانه كند اباه ففارقه قد

وعن الكلبي الكنود بلسان كندة العاصي • وبلسان بني مالك البخيل • وبلسان مضر وربيعة الكفور يعني انه لنعمة ربه خصوصا الشديد الكفران لان تفريطه في شكر نعمة غير الله تعالى تفريط قريب لمقاربة النعمة لان اجل ما انعم به على الانسان من مثله نعمة ابويه ثم ان عظماها في جنب ادنى نعمة الله قليلة ضئيلة • وانه وان الانسان على ذلك على كنوده لشهيد يشهد على نفسه ولا يقدر يجحده لظهور امره • وقيل وان الله على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد • لحب الخير المال من قوله تعالى ان ترك خيرا • والشديد البخيل الممسك • يقال فلان شديد ومتشدد قال طرفه ؎ ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي ؎ عقيلة مال الفاحش المتشدد ؎ يعني وانه لاجل حب المال وان انفاقه يثقل عليه لبخيل ممسك • او اراد بالشديد القوي وانه لحب المال وايثار الدنيا وطلبها قوي مطيق وهو لحب عبادة الله وشكر نعمه ضعيف متقاعس • يقال هو شديد لهذا الامر وقوي له اذا كان مطيقا له ضابطا • او اراد انه لحب الخيرات غير هش منبسط ولكنه شديد منقبض افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور ان ربهم بهم يومئذ لخبير بعثر بعث وقرئ بحثر وبحث وبعثر وحصل على بنائهما للفاعل وحصل بالتخفيف • ومعنى حصل جمع في الصحف اي اظهر محصلا مجموعا وقيل ميز بين خيره وشره • ومنه قيل للمنخل المحصل • ومعنى علمه بهم يوم القيمة مجازاته لهم على مقادير اعمالهم لان ذلك اثر خبره بهم • وقرا ابو السماك ان ربهم بهم يومئذ خبير • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم • من قرا سورة والعاديات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا •

سورة القارعة مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي احدى عشرة اية

القارعة ما القارعة وما ادريك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية الظرف نصب بمضمر دلت عليه القارعة اي تقرع يوم • يكون الناس كالفراش المبثوث شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير الى الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش الى النار قال جرير •

ان الفرزدق ما علمت وقومه ؎ مثل الفراش غشين نار المصطلي ؎ وفي امثالهم اضعف من فراشة واذل واجهل • وسمي فراشا لتفرشه وانتشاره • وشبه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبغ الوانا لانها الوان • وبالمنفوش منه لتفرق اجزائها • وقرا ابن مسعود رضي الله عنه كالصوف • الموازين جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله او جمع ميزان • وثقلها رجحانها • ومنه حديث ابي بكر رضي الله عنه لعمر في وصيته له • وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيمة باتباعهم الحق وثقله في الدنيا وحق لميزان ان لا توضع فيه الا الحسنات ان يثقل • وانما خفت موازين من خفت موازينهم باتباعهم الباطل وخفته في الدنيا • وحق لميزان ان لا يوضع فيه الا السيئات ان يخف واما من خفت موازينه فامه هاوية وما ادريك ما هيه نار حامية فامه هاوية من قولهم اذا دعوا على الرجل بالهلكة هوت امه لانه اذا هوى اي سقط وهلك فقد هوت امه ثكلا وحزنا قال ؎

هوت امه ما يبعث الصبح غاديا ؎ وما ذا يرد الليل حين يؤوب ؎ فكانه قيل واما من خفت موازينه فقد هلك • وقيل هاوية من اسماء النار وكانها النار العميقة لهوي اهل النار فيها مهوى بعيدا كما روي يهوي فيها سبعين خريفا اي فماواه النار • وقيل للماوى ام على التشبيه لان الام ماوى الولد ومفزعه

وعن قتادة

وعن قتادة فامه هاوية فام راسه هاوية في قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوسا • هيه ضمير الداهيه التي
دل عليها قوله فامه هاوية في التفسير الاول • او ضمير هاوية والها للسكت اذا وصل القاري حذفها • وقيل
حقه ان لا يدرج لئلا يسقطها الادراج لانها ثابتة في المصحف وقد اجيز اثباتها مع الوصل • عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم • من قرا سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيمة •

سورة التكاثر مكيه بسم الله الرحمن الرحيم وهي ثمان ايات
الهيكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون علم اليقين
لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ثم لتسئلن يوميذ عن النعيم الهاه عن كذا وافهاه اذا شغله
والتكاثر التباري في الكثرة والتباهي بها وان يقول هولا نحن اكثر وهولا نحن اكثر • وروي ان بني عبد مناف
وبني سهم تفاخروا ايهم اكثر عددا فكثرهم بنوا عبد مناف فقالت بنوا سهم ان البغي اهلكنا في الجاهلية
فعادونا بالاحيا والاموات فكثرهم بنوا سهم • والمعنى انكم تكاثرتم بالاحيا حتى اذا استوعبتم عددهم صرتم
الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكما بهم • وقيل كانوا يزورون المقا بر.
فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان عند تفاخرهم • والمعنى الهيكم ذلك وهو مما لا يعنيكم ولا يجدي عنكم
في دنياكم واخرتكم عما يعنيكم من امر الدين الذي هو اهم واعنى من كل مهم • او اراد الهيكم التكاثر بالاموال
والاولاد الى ان متم وقبرتم منفقين اعماركم في طلب الدنيا والاستباق اليها والتهالك عليها الى ان اتاكم الموت
لاهم لكم غيرها كما هو اولى لكم من السعي لعاقبتكم والعمل لاخرتكم وزيارة القبر عبارة عن الموت قال •

لن يخلص العام جليل عشرا • ذاق الضماد او يزور القبرا • وقال الاخطل •
زار القبور ابو مالك • فاصبح الام رواد ها • وقرا ابن عباس ء الهاكم على الاستفهام الذي معناه
التقرير • كلا ردع وتنبيه على انه لا ينبغي للناظر لنفسه ان تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه • سوف
تعلمون انذار ليخافوا فينتبهوا عن غفلتهم والتكرير تاكيد للردع والانذار عليهم • وثم دلالة على ان الانذار
الثاني ابلغ من الاول واشد كما تقول للمنصوح اقول لك ثم اقول لك لا تفعل • والمعنى سوف تعلمون الخطا
فيما انتم عليه اذا عاينتم ما قدامكم من هول لقاء الله تعالى • وان هذا التنبيه نصيحة لكم ورحمة عليكم ثم
كرر التنبيه ايضا وقال • لو تعلمون محذوف الجواب يعني لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر علم اليقين
اي كعلمكم ما تستيقنونه من الامور التي وكلتم بعلمها هممكم لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه ولكنكم ضلال جهلة
ثم قال • لترون الجحيم فبين ما انذرهم منه واوعدهم وقد مر في ايضاح الشي بعد ابهامه من تفخيمه
وتعظيمه وهو جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد وان ما اوعدوا به ما لا مدخل فيه للريب وكرره
معطوفا بثم تغليظا في التهديد وزيادة في التهويل • وقري لترؤن بالهمزة وهي مستكرهة فان قلت
لم استكرهت والواو المضمومة قبلها همزة قياس مطرد قلت ذاك في الواو التي ضمتها لازمة وهذه عارضة
لالتقا الساكنين • وقري لترون ولترونها على البنا للمفعول • عين اليقين اي الروية التي هي نفس اليقين
وخالصته • ويجوز ان يراد بالروية العلم والابصار • عن النعيم عن اللهو والتنعم الذي شغلكم الالتذاذ به
عن الدين وتكاليفه فان قلت ما النعيم الذي يسال عنه الانسان ويعاتب عليه فما من احد الا وله نعيم
قلت هو نعيم من عكف همته على استيفا اللذات ولم يعش الا لياكل الطيب • ويلبس اللين • ويقطع اوقاته

باللهو والطرب لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فاما من تمتع بنعمة الله وارزاقه التي لم يخلقها الا لعباده ويتقوى بها على دراسة العلم والقيام بالعمل وكان ناهضا بالشكر فهو من ذاك بمعزل والىه اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى انه اكل هو واصحابه تمرا وشربوا عليه ماء فقال الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم • من قرا الهيكم التكاثر لم يحاسبه الله بالنعيم الذي انعم عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر كانما قرا الف اية • • •

سورة والعصر مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي ثلاث ايات

والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر اقسم بصلوة العصر لفضلها بدليل قوله تعالى والصلوة الوسطى صلاة العصر في مصحف حفصة • وقوله عليه السلام من فاتته صلاة العصر فكانما وتر اهله وماله • ولان التكليف في ادائها اشق لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم اخر النهار واشتغالهم بمعايشهم • او اقسم بالعشي كما اقسم بالضحى لما فيهما جميعا من دلايل القدرة • او اقسم بالزمان لما في مروره من تحقيقا اصناف العجايب الانسان للجنس • والخسر الخسران كما قيل الكفر في الكفران • والمعنى ان الناس في خسران من تجاراتهم الا الصالحين وحدهم لانهم اشتروا الاخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا • ومن عداهم تجروا خلاف تجاراتهم فوقعوا في الخسارة والشقاوة • وتواصوا بالحق بالامر الثابت الذي لا يسوغ انكاره وهو الخير كله من توحيد الله تعالى وطاعته واتباع كتبه ورسله والزهد في الدنيا والرغبة في الاخرة • وتواصوا بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات وعلى ما يبلو الله به عباده • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم • من قرا سورة والعصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة الهمزة مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي تسع ايات

ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده يحسب ان ماله اخلده الهمزة الكسر كالهمز واللمز الطعن يقال لمزه ولهزه • والمراد الكسر من اعراض الناس والغض منهم واغتيابهم والطعن فيهم وبنا فعلة يدل على ان ذلك عادة منه قد ضري بها ونحوهما اللعبة والضحكة قال •

• اذا لقيتك عن شحط تكاشرني • وان تغيبت فانت الهامز اللمزه • وقري ويل للهمزة اللمزة • وقري ويل لكل همزة لمزة بسكون الميم وهو المسخرة التي ياتي بالاوابد والاضاحيك فيضحك منه ويشتم وقيل نزلت في الاخنس بن شريق وكانت عادته الغيبة والوقيعة • وقيل في امية بن خلف • وقيل في الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وغضه منه • ويجوز ان يكون السبب خاصا والوعيد عاما ليتناول كل من باشر ذلك القبيح وليكون جاريا مجرى التعريض بالوارد فيه فان ذلك ازجر له وانكى فيه • الذي بدل من كل او نصب على الذم • وقري جمع بالتشديد وهو مطابق لعدده وقيل عدده جعله عدة لحوادث الدهر • وقري وعدده اي جمع المال وضبط عدده واحصاه وجمع ماله وقومه الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد وعدد اذا كان له عدد وافر من الانصار وما يصلحهم وقيل وعدده معناه وعده على ذلك الادغام نحو ظلنوا • اخلده وخلده بمعنى اي طول المال امله ومناه الاماني البعيدة حتى اصبح لفرط غفلته وطول امله يحسب ان المال

ترك

تركه خالدا في الدنيا لا يموت ٠ او يعمل من تشييد البنيان الموثق بالصخر والاجر وغرس الاشجار وعمارة
الارض عمل من يظن ان ماله ابقاه حيا ٠ او هو تعريض بالعمل الصالح وانه هو الذي اخلد صاحبه في النعيم
فاما المال فما اخلد احدا فيه ٠ وروي انه كان للاخنس بن شريق اربعة الاف دينار وقيل عشرة الاف
وعن الحسن انه عاد موسرا فقال ما تقول في الوف لم افتد بها من لئيم ولا تفضلت على كريم قال
ولكن لماذا قال لنبوة الزمان وجفوة السلطان ونوايب الدهر ومخافة الفقر قال اذا تدعه لمن
لا يحمدك وترد على من لا يعذرك كلا لينبذن في الحطمة وما ادريك ما الحطمة نار الله الموقدة
التي تطلع على الافئدة انها عليهم موصدة في عمد ممددة كلا ردع له عن حسبانه ٠ وقرئ
لينبذان اي هو وماله ولينبذن بضم الذال اي هو وانصاره ولينبذنه ٠ في الحطمة في النار التي
من شانها ان تحطم كلما يلقى فيها ٠ ويقال للرجل الاكول انه لحطمة وقرئ الحاطمة يعني انها تدخل في
اجوافهم حتى تصل الى صدورهم ٠ وتطلع على الافئدة اي على افئدتهم وهي اوساط القلوب ولا شيء
في بدن الانسان الطف من الفواد ولا اشد تالما منه بادنى اذا يمسه فكيف اذا اطلعت عليه نار
جهنم واستولت عليه ٠ ويجوز ان تخص الافئدة لانها مواطن الكفر والعقايد الفاسدة والنيات
الخبيثة ٠ ومعنى اطلاع النار عليها انها تعلوها وتغلبها وتشتمل عليها ٠ او تطلع على سبيل المجاز معادن ن
موجبها ٠ موصدة مطبقة قال ٠ تحن الى اجبال مكة ناقتي ٠ ومن دونها ابواب صنعاء موصدة
وقرئ في عمد بضمتين ٠ وعمد بسكون الميم ٠ وعمد بفتحتين ٠ والمعنى انه يوكد يأسهم من الخروج ٠
وتيقنهم بحبس الابد فتوصد عليهم الابواب ٠ وتمدد على الابواب العمد استيثاقا في استيثاق ٠ ويجوز
ان يكون المعنى انها عليهم موصدة موثقين في عمد ممددة مثل المقاطر التي يقطر فيها اللصوص ٠ اللهم
اجرنا من النار ٠ يا خير مستجار ٠ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠ من قرا سورة الهمزة اعطاه الله عشر
حسنات بعدد من استهزا بمحمد واصحابه سورة الفيل مكية وهي خمس ايات
بسم الله الرحمن الرحيم الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الم يجعل
كيدهم في تضليل وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف
ماكول روي ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنا كنيسة بصنعاء ٠
وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك
وقيل اججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه
فيل له اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنى عشر فيلا غيره وقيل ثمانية ٠ وقيل كان معه الف فيل
وقيل كان وحده فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض ثلث اموال تهامة فابى وعبى جيشه
وقدم الفيل فكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى غيره من الجهات ت
هرول فارسل الله طيرا سودا وقيل خضرا وقيل بيضا مع كل طاير حجر في منقاره وحجران في رجليه
اكبر من العدسة واصغر من الحمصة ٠ وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه راى منها عند ام هانى
نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفاري فكان الحجر يقع على راس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر
اسم من يقع عليه ففروا وهلكوا في كل طريق ومنهل ودوي ابرهة فتساقطت انامله وارابه وما مات

حتى انصدع صدره عن قلبه • وانفلت وزيره ابو يكسوم وطاير يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه
القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وقيل كان ابرهه جد النجاشي الذي كان في زمن رسول
الله صلى الله عليه وسلم باربعين سنة وقيل بثلاث وعشرين سنة • وعن عايشة رضي الله عنها رايت قايد
الفيل وسايسه اعميين مقعدين يستطعمان • وفيه ان ابرهه اخذ لعبد المطلب ماتي بعير فخرج اليه
فيها فجهره وكان رجلا جسيما وسيما • وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل
والوحوش في روس الجبال • فلما ذكر حاجته قال سقطت من عيني جيت لاهدام البيت الذي هو دينك
ودين ابائك وعصمتكم وشرفكم في قديم الدهر • فالهاك عنه ذود اخذتك فقال انا رب الابل وللبيت رب
سيمنعه ثم رجع فاتى باب البيت فاخذ بحلقته وهو يقول • لاهم ان المرء يمنع رحله • فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم • ومحالهم عدوا محالك • ان كنت تاركهم وكعبتنا • فامر ما بدالك • يا رب لا ارجو لهم
سواكا • يا رب فامنع منهم حماكا • فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير من نحو اليمن فقال والله انها
لطير غريبة ما هي بنجدية ولا تهامية • وفيه ان اهل مكة قد احتووا على اموالهم وجمع عبد المطلب
من جواهرهم وذهبهم الجور وكان سبب يساره • وعن ابي سعيد الخدري انه سيل عن الطير
فقال حمام مكة منها • وقيل جات عشية ثم صبحتهم • وعن عكرمة من اصابته جدرية وهو اول جدري
ظهر • قرى الم تر بسكون الرا الجد في اظهار اثر الجازم • والمعنى انك رايت اثار فعل الله بالحبشة
وسمعت الاخبار به متواترة فقامت لك مقام المشاهدة • وكيف في موضع نصب بفعل ربك لا بالم تر
لما في كيف من معنى الاستفهام • في تضليل في تضييع وابطال يقال ضلل كيده اذا جعله
ضالا ضايعا ونحوه قوله تعالى وما كيد الكافرين الا في ضلال • وقيل لامرء القيس الملك الضليل لانه
ضلل ملك ابيه اي ضيعه • يعني انهم كادوا البيت اولا ببنا القليس وارادوا ان ينسخوا امره بصرف
وجوه الحاج اليه فضلل كيدهم بايقاع الحريق فيه • وكادوه ثانيا بارادة هدمه فضلل بارسال الطير
عليهم • ابابيل حزاين الواحدة ابالة وفي امثالهم ضغث على ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت الحزقة
من الطير في تضامها بالابالة • وقيل ابابيل مثل عباديد وشماطيط لا واحد لها • وقرا ابو حنيفة
رحمه الله يرميهم اي الله تعالى او الطير لانه اسم جمع مذكر وانما يونث على المعنى • وسجيل كانه
علم للديوان الذي يكتب فيه عذاب الكفار كما ان سجينا علم لديوان اعمالهم كانه قيل بحجارة من العذاب
المكتوب المدون واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال لان العذاب موصوف بذلك • وارسل
عليهم طيرا فارسلنا عليهم الطوفان • وعن ابن عباس من طين مطبوخ كما يطبخ الاجر وقيل هو معرب
من سنك كل • وقيل من شديد عذابه ورووا بيت ابن مقبل • ضربا تواصت به الابطال سجيلا •
وانما هو سجينا والقصيدة نونية مشهورة في ديوانه وشبهوا بورق الزرع اذا اكل اي وقع فيه الاكال
وهو ان تاكله الدود او بتبن اكلته الدواب وراثته ولكنه جا على ما عليه اداب القران كقوله تعالى
كانا ياكلان الطعام • او اريد اكل حبه فبقي صفرا منه • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم • من قرا
سورة الفيل اعفاه الله ايام حياته من الخسف والمسخ

سورة قريش مكية وهي اربع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء

والصيف

والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وامنهم من خوف لايلاف قريش
متعلق بقوله فليعبدوا امرهم ان يعبدوه لاجل ايلافهم الرحلتين فان قلت فلم دخلت الفا قلت
لما في الكلام من معنى الشرط لان المعني اما لا فليعبدوه لايلافهم على معني ان نعم الله عليهم لا تحصي فان لم
يعبدوه لساير نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة • وقيل المعنى اعجبوا لايلاف • وقيل هو
متعلق بما قبله اي جعلهم كعصف ماكول لايلاف قريش وهذا بمنزلة التضمين في الشعر وهو ان يتعلق
معنى البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح الا به وهما في مصحف ابي سورة واحدة بلا فصل • وعن عمر انه
قراهما في الثانية من صلاة المغرب • وقرى في الاولى والتين • والمعني انه اهلك الحبشة الذين قصدوهم
ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الامر في رحلتيهم
فلا يجتري احد عليهم • وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتا الى اليمن وفي الصيف الى الشام •
فيمتارون ويتجرون وكانوا في رحلتيهم امنين لانهم اهل حرم الله وولاة بيته فلا يتعرض لهم • والناس
غيرهم يتخطفون ويغار عليهم • والايلاف من قولك الفت المكان اولفه ايلافا اذا الفته فانا
مولف قال • من المولفات الرهو غير الاوارك • وقري لالاف قريش اي لموالفة قريش • وقيل
الفته الفا والافا وقرا ابو جعفر لالف قريش وقد جمعها من قال • • • •
• زعمتم ان اخوتكم قريش • لهم الف وليس لكم الاف • وقرا عكرمة ليالف قريش الفهم رحلة
الشتا والصيف • وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث
بالسفن ولا تطاق الا بالنار • وعن معاوية انه سال ابن عباس لم سميت قريش قال بدابة في البحر
تاكل ولا توكل وتعلو ولا تعلى • وانشد • وقريش هي التي تسكن البحر • بها سميت قريش قريشا •
والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم في
البلاد اطلق الايلاف ثم ابدل عنه المقيد بالرحلتين تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا بعظيم النعمة
فيه ونصب الرحلة بايلافهم مفعولا كما نصب يتيما باطعام واراد رحلتي الشتا والصيف •
فافرد لامن الالباس • كقوله كلوا في بعض بطنكم • وقري رحلة بالضم وهي الجهة التي يرحل اليها
والتنكير في جوع وخوف لشدتهما يعني اطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما
وامنهم من خوف عظيم وهو خوف اصحاب الفيل او خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم وقيل
كانوا قد اصابتهم شدة حتى اكلوا الجيف والعظام المحرقة • وامنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم
ببلدهم • وقيل ذلك كله بدعا ابراهيم صلوات الله عليه • ومن بدع التفاسير وامنهم من خوف
من ان تكون الخلافة في غيرهم • وقري من خوف باخفاء النون • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة لايلاف قريش اعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف فيها

سورة الماعون مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي سبع ايات

ارايت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين فويل
للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون الذين هم يراون ويمنعون الماعون
قري اريت بحذف الهمزة وليس بالاختيار لان حذفها مختص بالمضارع ولم يصح عن العرب

ريت ولكن الذي سهل من امرها وقوع حرف الاستفهام في اول الكلام. ونحوه
صاح هل ريت اوسمعت براع ردّ في الضرع ما قرى في العلاب وقرا ابن مسعود رضي الله عنه
ارايتك بزيادة حرف الخطاب كقوله تعالى ارايتك هذا الذي كرمت علي. والمعنى هل عرفت الذي يكذب
بالدين بالجزا من هو ان لم تعرفه فذلك الذي يكذب بالجزا هو الذي يدع اليتيم اي يدفعه دفعا عنيفا
بجفوة واذى. ويرده ردا قبيحا بزجر وخشونة. وقرى يدع اي يترك ويجفو. ولا يحض ولا يبعث
اهله على بذل طعام المسكين. جعل علم التكذيب بالجزا منع المعروف والاقدام على ايذاء الضعيف
يعني انه لو امن بالجزا وايقن بالوعيد لخشي الله وعقابه ولم يقدم على ذلك فحين اقدم عليه
علم انه مكذب فما اشده من كلام وما اخوفه من مقام وما ابلغه في التحذير من المعصية وانها
جديرة بان يستدل بها على ضعف الايمان ورخاوة عقد اليقين. ثم وصل به قوله تعالى فويل للمصلين
كانه قال فاذا كان الامر كذلك فويل للمصلين الذين يسهون عن الصلوة قلة مبالاة بها حتى تفوتهم
او يخرج وقتها او لا يصلونها كما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف ولكن ينقرونها
نقرا من غير خشوع واخبات ولا اجتناب لما يكره فيها من العبث باللحية والثياب وكثرة التثاوب
والالتفات لا يدري الواحد منهم عن كم انصرف ولا ما قرا من السور وكما ترى صلاة اكثر من ترى الذين
عادتهم الريا باعمالهم ومنع حقوق اموالهم. والمعنى ان هولا احق من ان يكون سهوهم عن الصلا
التي هي عماد الدين والفارق بين الايمان والكفر والريا الذي هو شعبة من الشرك. ومنع الزكاة التي
هي شقيقة الصلوة وقنطرة الاسلام علما على انهم يكذبون بالدين. وكم ترى من المتسمين بالاسلام بل من
العلما منهم من هو على هذه الصفة فيا مصيبتاه. وطريقة اخرى ان يكون فذلك عطفا على الذي يكذب
اما عطف ذات او صفة على صفة ويكون جواب ارايت محذوفا لدلالة ما بعده عليه كانه قيل اخبرني على ذات صح
وما تقول فيمن يكذب بالجزا وفيمن يوذي اليتيم ولا يطعم المسكين انعم ما يصنع ثم قال فويل
للمصلين اي اذا علم انه مسيء فويل للمصلين على معنى فويل لهم الا انه وضع صفتهم موضع ضميرهم
لانهم كانوا مع التكذيب وما اضيف اليهم ساهين عن الصلوة مرائين غير مزكين اموالهم فان قلت
اي فرق بين قوله تعالى عن صلوتهم وبين قولك في صلاتهم قلت معنى عن انهم ساهون عنها سهو
ترك لها وقلة التفات اليها وذلك فعل المنافقين او الفسقة الشطار من المسلمين. ومعنى في ان السهو
يعتريهم فيها بوسوسة شيطان. او حديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم وكان صلى الله عليه
وسلم يقع له السهو في صلاته فضلا عن غيره. ومن ثم اثبت الفقها باب سجود السهو في كتبهم. وعن
انس رضي الله عنه الحمد لله على ان لم يقل في صلاتهم. وقرا ابن مسعود رضي الله عنه لاهون فان قلت
ما معنى المراآت قلت هي مفاعلة من الاراة لان المرائي يري الناس عمله وهم يرونه الثنا عليه
والاعجاب به ولا يكون الرجل مرائيا باظهار العمل الصالح ان كان فريضة فمن حق الفرايض الاعلان
بها وتشهيرها لقوله صلى الله عليه وسلم ولا غمة في فرايض الله لانها اعلام الاسلام وشعاير الدين
ولان تاركها يستحق الذم والمقت فوجب اماطة التهمة بالاظهار. وان كان تطوعا فحقه ان يخفى
لانه مما لا يلام بتركه ولا تهمة فيه فان اظهره قاصدا للاقتدا به كان جميلا وانما الريا ان يقصد بالاظهار

فان قلت كيف جعلت المصلين قائما مقام ضمير الذي يكذب وهو واحد قلت معناه الجمع لان المراد به الجنس صح صح

اما تراه

ان تراه الاعين فيثني عليه بالصلاح • وعن بعضهم انه راى رجلا في المسجد قد سجد سجدة الشكر واطالها فقال ما احسن هذا لو كان في بيتك وانما قال هذا لانه توسم فيه الريا والسمعة على ان اجتناب الريا صعب الا على المرتاضين بالاخلاص • ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الريا اخفى في امتي من دبيب النمل السود في الليلة المظلمة على المسح الاسود • الماعون الزكوة قال الراعي ،

قوم على الاسلام لما يمنعوا ، ماعونهم ويضيعوا التهليلا ، وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما يتعاور الناس في العادة من الفاس والقدر والدلو والمقدحة ونحوها • وعن عايشة رضي الله عنها الماء والنار والملح • وقد يكون منع هذه الاشيا محظورا في الشريعة اذا استعيرت عن اضطرار • وقبيحا في المروة في غير حال الضرورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم • من قرا سورة ارايت غفر الله له ان كان للزكاة موديا •

سورة الكوثر مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي ثلاث ايات

انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانيك هو الابتر في قراة النبي صلى الله عليه وسلم انا انطيناك الكوثر بالنون • وفي حديثه عليه السلام وانطوا الثبجة والكوثر فوعل من الكثرة وهو المفرط الكثرة قيل لاعرابية رجع ابنها من السفر بم آب ابنك قالت آب بكوثر قال ،

وانت كثير يا ابن مروان طيب ، وكان ابوك ابن العقايل كوثرا ، وقيل الكوثر نهر في الجنة • وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قراها حين انزلت عليه فقال اتدرون ما الكوثر انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير • وروي في صفته احلى من العسل واشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه فضة عدد نجوم السما وروي لا يظما من شرب منه ابدا اول وارديه فقرا المهاجرين الدنسو الثياب الشعث الروس الذين لا يزوجون المنعمات ولا تفتح لهم ابواب السدد يموت احدهم وحاجته تتلجلج في صدره لو اقسم على الله لابره • وعن ابن عباس انه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير ان ناسا يقولون هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير • والنحر نحر البدن • وعن عطية هي صلوة الفجر بجمع والنحر بمنى • وقيل صلاة العيد والتضحية • وقيل هي جنس الصلوة • والنحر وضع اليمين على الشمال • والمعنى اعطيت ما لا غاية لكثرته من خير الدارين الذي لم يعطه احد غيرك • ومعطي ذلك كله انا اله العالمين فاجتمعت لك الغبطتان السنيتان اصابة اشرف عطا واوفره من اكرم معط واعظم منعم فاعبد ربك الذي اعزك باعطايه وشرفك وصانك من منن الخلق مراغما لقومك الذين يعبدون غير الله • وانحر لوجهه وباسمه اذا نحرت مخالفا لهم في النحر للاوثان • ان من ابغضك من قومك لمخالفتك لهم • هو الابتر لا انت لان كل من يولد الى يوم القيمة من المومنين فهم اولادك واعقابك وذكرك مرفوع على المنابر والمنائر وعلى لسان كل عالم وذاكر الى اخر الدهر يبدا بذكر الله ويثنى بذكرك • ولك في الاخرة ما لا يدخل تحت الوصف • فمثلك لا يقال له ابتر وانما الابتر هو شانيك المنسي في الدنيا والاخرة وان ذكر ذكر باللعن • وكانوا يقولون ان محمدا صنبور اذا مات مات ذكره • وقيل نزلت في العاص بن وايل وقد سماه الابتر • والابتر الذي لا عقب له ومنه الحمار الابتر الذي لا ذنب له • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر او يقربونه •

سورة الكافرين مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي ست ايات

قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولي دين المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله منهم انهم لا يومنون • روي ان رهطا من قريش قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله ان اشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض الهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملا من قريش فقام على روسهم فقراها عليهم فايسوا • لا اعبد لا اريد به العبادة فيما يستقبل لان لا لا تدخل الا على مضارع في معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع في معنى الحال الا ترى ان لن تاكيد فيما تنفيه لا وقال الخليل في لن ان اصله لا ان والمعنى لا افعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة الهتكم ولا انتم فاعلون فيه ما اطلب منكم من عبادة الهي • ولا انا عابد ما عبدتم اي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه يعني لم تعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف ترجى مني في الاسلام • ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت ما انا على عبادته فان قلت فهلا قيل ما عبدت كما قيل ما عبدتم قلت لانهم كانوا يعبدون الاصنام قبل المبعث وهو لم يكن يعبد الله تعالى في ذلك الوقت فان قلت فلم جا على ما دون من قلت لان المراد الصفة كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق • وقيل ان ما مصدرية اي لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي • لكم دينكم ولي دين لكم شرككم ولي توحيدي والمعنى اني نبي مبعوث اليكم لادعوكم الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا مني وتتبعوني فدعوني كفافا ولا تدعوني الى الشرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم • من قرا سورة الكافرين فكانما قرا ربع القران وتباعدت عنه مردة الشياطين وبري من الشرك ويعافى من الفزع الاكبر

سورة النصر مدنيه بسم الله الرحمن الرحيم وهي ثلاث ايات

اذا جا نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا اذا منصوب بسبح وهو لما يستقبل والاعلام بذلك قبل كونه من اعلام النبوة • روي انها نزلت في ايام التشريق بمنى في حجة الوداع فان قلت ما الفرق بين النصر والفتح حتى عطف عليه قلت النصر الاغاثة والاظهار على العدو ومنه نصر الله الارض اغاثها • والفتح فتح البلاد والمعنى نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على العرب او على قريش وفتح مكة • وقيل جنس نصر الله للمومنين وفتح بلاد الشرك عليهم وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة الاف من المهاجرين والانصار وطوايف العرب واقام بها خمس عشرة ليلة ثم خرج الى هوازن وحين دخلها وقف على باب الكعبة • ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده • ثم قال يا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم • قال اذهبوا فانتم الطلقا فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله امكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيا فلذلك سمي اهل مكة الطلقا • ثم بايعوه على الاسلام • في دين الله في ملة الاسلام التي لا دين له يضاف اليه غيرها ومن يتبع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه • افواجا جماعات كثيفة كانت تدخل فيه القبيلة باسرها بعد ما كانوا يدخلون فيه واحدا بعد واحد واثنين اثنين • وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه انه بكا

ذات يوم

ذات يوم فقيل له ما يبكيك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دخل الناس في دين الله
افواجا وسيخرجون منه افواجا • وقيل اراد بالناس اهل اليمن قال ابو هريرة لما نزلت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الله اكبر جا نصر الله والفتح وجا اهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم الايمان يمان والفقه يمان
والحكمة يمانية وقال اجد نفس ربكم من قبل اليمن • وعن الحسن لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة اقبلت
العرب بعضها على بعض فقالوا اما اذ ظفر باهل الحرم فليس به يدان وقد كان الله اجارهم من اصحاب الفيل
وعن كل من ارادهم وكانوا يدخلون في الاسلام افواجا من غير قتال • وقرا ابن عباس رضي الله عنهما فتح الله
والنصر • وقري يدخلون على البنا للمفعول فان قلت ما محل يدخلون قلت النصب اما على الحال على
ان رايت بمعني ابصرت او عرفت او هو مفعول ثان على انه بمعني علمت **فسبح بحمد ربك واستغفره**
انه كان توابا فسبح بحمد ربك فقل سبحان الله حامدا له اي فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببالك وبال
احد من ان يغلب احد على اهل الحرم واحمده على صنعه • او فاذكره مسبحا حامدا زيادة في عبادته
والثنا عليه لزيادة انعامه عليك • او فصل له • روت ام هاني انه لما فتح باب الكعبة صلى صلوة الضحي
ثماني ركعات • وعن عايشة رضي الله عنها كان يكثر قبل موته ان يقول سبحانك الله وبحمدك استغفرك
واتوب اليك • والامر بالاستغفار مع التسبيح تكميل للامر بما هو قوام الدين من الجمع بين الطاعة والا حتراس
من المعصية وليكون امره بذلك مع عصمته لطفا لامته ولان الاستغفار من التواضع لله وهضم النفس
فهو عبادة في نفسه • وعن النبي صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر في اليوم والليلة مائة مرة • وروي
انه لما قراها رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه استبشروا وبكا العباس رضي الله عنه فقال
عليه السلام ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك قال انها لكما تقول فعاش بعدها سنتين لم
ير فيهما ضاحكا مستبشرا • وقيل ان ابن عباس رضي الله عنهما هو الذي قال ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لقد اوتي هذا الغلام علما كثيرا • وروي انه لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ان عبدا خيره الله بين الدنيا وبين لقايه فاختار لقاء الله فعلم ابو بكر رضي الله عنه فقال فديناك بانفسنا
واموالنا واولادنا • وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان عمر رضي الله عنه كان يدنيه ويأذن له مع اهل بدر
فقال عبد الرحمن اتاذن لهذا الفتي معنا وفي ابنائنا من هو مثله فقال انه ممن قد علمتم قال ابن عباس
فاذن لهم ذات يوم واذن لي معهم فسالهم عن قول الله عز وجل اذا جا نصر الله والفتح ولا اراه سا لهم
الا من اجلي فقال بعضهم امر الله نبيه اذا فتح عليه ان يستغفره ويتوب اليه فقلت ليس كذلك و
لكن نعيت اليه نفسه فقال عمر ما اعلم منها الا مثل ما تعلم ثم قال كيف تلومونني عليه بعد ما ترون
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه دعا فاطمة رضي الله عنها فقال يا بنتاه انه نعيت الى نفسي فبكت
فقال لا تبكي فانك اول اهلي لحوقا بي • وعن ابن مسعود ان هذه السورة تسمي سورة التوديع • كان
توابا اي كان في الازمنة الماضية منذ خلق المكلفين توابا عليهم اذا استغفروا فعلى كل مستغفر ان
يتوقع مثل ذلك • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا اذا جا نصر الله اعطي من الاجر كمن شهد
مع محمد صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة • صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم •

سورة تبت مكية بسم الله الرحمن الرحيم **وهي خمس ايات**

تبت يدا ابي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وماكسب التباب الهلاك ومنه قولهم اشابة ام
تابة اي هالكة من الهرم والتعجيز والمعني هلكت يداه لانه فيما يروي اخذ حجرا ليرمي به رسول الله صلى الله
عليه وسلم • وتب وهلك كله او جعلت يداه هالكتين والمراد هلاك جملته كقوله تعالى بما قدمت يداك
والمعني وتب وكان ذلك وحصل كقوله • جزاني جزاه الله شر جزايه • جزاء الكلام العاويات وقد فعل
ويدل عليه قراة ابن مسعود وقد تب • وروي انها لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين • رقا الصفا
وقال يا صباحاه فاستجمع اليه الناس من كل اوب فقال يا بني عبد المطلب يا بني فهر ان اخبرتكم
ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي الساعة فقال ابو لهب
تبا لك الهذا دعوتنا فنزلت فان قلت لم كناه والتكنية تكرمه قلت فيه ثلاثة اوجه
احدها ان يكون مشتهرا بالكنية دون الاسم فقد يكون الرجل معروفا باحدهما ولذلك تجرى الكنية
على الاسم والاسم على الكنية عطف بيان فلما اريد تشهيره بدعوة السوء وان تبقى اسمه له
ذكر الاشهر من علميه ويويد ذلك قراة من قرا يدا ابو لهب كما قيل علي ابن ابو طالب ومعوية ابن ابو
سفيان ليلا يغير منه شي فيشكل على السامع ولفلية ابن قاسم امير مكة ابنان احدهما عبد الله بالجر
والاخر عبد الله بالنصب وكان بمكة رجل يقال له عبد الله مجرور الدال لا يعرف الا هكذا والثاني
انه كان اسمه عبد العزي فعدل عنه الى كنيته • والثالث انه لما كان من اهل النار وماله الى نار ذات
لهب وافقت حاله كنيته فكان جديرا بان يذكر بها ويقال ابو لهب كما يقال ابو الشر للشرير وابو
الخير للخير • وكما كني رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا المهلب ابا صفرة بصفرة في وجهه • وقيل
كني بذلك لتلهب وجنتيه واشراقهما فيجوز ان يذكر بذلك تهكما به وبافتخاره بذلك • وقري ابي لهب
بالسكون وهو من تغيير الاعلام كقولهم • شمس بن مالك بالضم • ما اغني استفهام في معنى الانكا
ومحله النصب او نفي • وماكسب مرفوع وما موصوله او مصدرية بمعني ومكسوبه او وكسبه •
والمعنى لم ينفعه ماله وماكسب بماله يعني راس المال والارباح • او ماشيته وماكسب من نسلها ومنا
فعها وكان ذا سابيا او ماله الذي ورثه من ابيه والذي كسبه بنفسه او ماله التالد والطارف • وعن
ابن عباس رضي الله عنهما ماكسب ولده • وحكي ان بني ابي لهب احتكموا اليه فاقتتلوا فقام يحجر
بينهم فدفعه بعضهم فوقع فغضب فقال اخرجوا عني الكسب الخبيث ومنه قوله عليه السلام ان اطيب
ما ياكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه • وعن الضحاك ما ينفعه وعمله الخبيث يعني كيده في عداوة رسول
الله صلى الله عليه وسلم • وعن قتادة عمله الذي ظن انه منه على شي كقوله تعا وقدمنا الى ما عملوا من عمل • وروي
انه كان يقول ان كان ما يقوله ابن اخي حقا فانا افتدي منه نفسي بمالي وولدي **سيصلى نارا ذات لهب**
وامراته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد سيصلى وقري بفتح اليا وبضمها مخففا ومشددا
والسين للوعيد اي هو كاين لا محالة وان تراخي وقته • وامراته هي ام جميل بنت حرب اخت ابي
سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان وتنثرها بالليل في طريق رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل كانت تمشي بالنميمة • ويقال للمشاء بالنمايم المفسد بين الناس يحمل الحطب اي
يوقد بينهم النايرة ويورث الشر قال

، من البيض لم تصطد على ظهر لامة ، وما تمش بين الحي بالحطب الرطب ، جعله رطبا ليدل على التدخين
الذي هو زيادة في الشر ورفعت عطفا على الضمير في سيصلى اي سيصلى هو وامراته . وفي
جيدها في موضع الحال او على الابتداء وفي جيدها الخبر . وقرئ حمالة الحطب بالنصب على الشتم
وانا استحب هذه القراة . وقد توسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميل من احب شتم ام جميل .
وقرئ حمالة للحطب وحمالة للحطب بالتنوين والرفع والنصب . وقرئ ومريئته بالتصغير . المسد
الذي فتل من الحبال فتلا شديدا من ليف كان او جلد او غيرهما قال . ومسد امر من ايانق . ورجل
ممسود الخلق مجدوله . والمعنى في جيدها حبل مما مسد من الحبال . وانها تحمل تلك الحزمة من الشوك
وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها وتحقيرا لها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات
من المواهن لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها وهما في بيت العز والشرف وفي منصب الثروة والجدة
ولقد عير بعض الناس الفضل بن العباس بن عتبة بن ابي لهب بحمالة الحطب فقال ،
، ماذا اردت الى شتمي ومنقصتي . ام ما تعير من حمالة الحطب ،
، غراء شادخة في المجد غرتها ، كانت سليلة شيخ ثاقب الحسب ، ويحتمل ان يكون المعنى ان حالها
تكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها حين كانت تحمل الشوك فلا تزال على ظهرها حزمة
من حطب النار من شجرة الزقوم او من الضريع او في جيدها حبل مما مسد من سلاسل النار كما يعذب
كل مجرم بما يجانس حاله في جرمه . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة تبت رجوت ان لا يجمع
الله بينه وبين ابي لهب في دار واحدة .

سورة الاخلاص مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي اربع ايات

قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد هو ضمير الشان . والله
احد هو الشان كقولك زيد منطلق كانه قيل الشان هذا وهو ان الله واحد لا ثاني له فان قلت
ما محل هو قلت الرفع على الابتدا والخبر الجملة فان قلت فالجملة الواقعة خبرا لابد فيها من راجع
الى المبتدا فاين الراجع قلت حكم هذه الجملة حكم المفرد في قولك زيد غلامك في انه هو المبتدا في المعنى
وذلك ان قوله الله احد هو الشان الذي هو عبارة عنه . وليس كذلك زيد ابوه منطلق فان زيدا والجملة
يدلان على معنيين مختلفين فلا بد مما يصل بينهما . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قالت قريش يا محمد
صف لنا ربك الذي تدعونا اليه فنزلت يعني الذي سالتموني وصفه هو الله احد بدل من قوله الله
او على هو احد وهو بمعنى واحد . واصله وحد وقرا عبد الله وابي هو الله احد بغير قل . وفي قراءة
النبي صلى الله عليه وسلم الله احد بغير قل هو وقال من قرا الله احد كان بعدل القران . وقرا
الاعمش قل هو الله الواحد . وقرئ احد الله بغير تنوين اسقط لملاقاته لام التعريف ونحوه ولا ذاكر
الله الا قليلا . والجيد هو التنوين وكسره لالتقا الساكنين . والصمد فعل بمعنى مفعول من صمد اليه
اذا قصده وهو السيد المصمود اليه في الحوائج والمعنى هو الله الذي تعرفونه وتقرون بانه خالق السموات ت
والارض وخالقكم وهو واحد متوحد بالالهية لا يشارك فيها وهو الذي يصمد اليه كل مخلوق . ولا
يستغنون عنه وهو الغني عنهم . لم يلد لانه لا يجانس حتى تكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا . وقد دل

على هذا المعنى بقوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة • ولم يولد لان كل مولود محدث وجسم • وهو قديم
لا اول لوجوده وليس بجسم ولم يكافيه احد اي لم يماثله ولم يشاكله • ويجوز ان تكون من الكفاة في النكاح
نفيا للصاحبة • سالوه ان يصفه لهم فاوحى اليه ما يحتوي على صفاته فقوله هو الله اشارة لهم الى
من هو خالق الاشيا وفاطرها • وفي طي ذلك وصفه بانه قادر عالم لان الخلق يستدعي القدرة والعلم
لكونه واقعا على غاية احكام واتساق وانتظام • وفي ذلك وصفه بانه حي سميع بصير • وقوله احد
وصف بالوحدانية ونفي الشركا وقوله الصمد وصف له بانه ليس الا محتاجا اليه واذا لم يكن الا محتاجا
اليه فهو غني وفي كونه غنيا مع كونه عالما انه عدل غير فاعل للقبايح لعلمه بقبح القبيح وعلمه بغناه عنه
وقوله ولم يولد وصف بالقدم والاوليه • وقوله لم يلد نفي للشبيه والمجانسة • وقوله ولم يكن له
كفوا احد تقرير لذلك وبث للحكم به فان قلت الكلام العربي الفصيح ان يوخر الظرف الذي هو
لغو غير مستقر ولا يقدم وقد نص سيبويه على ذلك في كتابه فما باله مقدما في افصح الكلام واعربه
قلت هذا الكلام انما سيق لنفي المكافاة عن ذات الباري تعالى وهذا المعنى مصبه ومركزه هو
هذا الظرف فكان لذلك اهم شي واعناه واحقه بالتقديم واحراه • وقرى كفوا بضم الكاف
والفا وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفا فان قلت لم كانت هذه السورة عدل القران كله
على قصر متنها وتقارب طرفيها قلت لامر ما يسود من يسود وما ذاك الا لاحتوايها على صفات
الله تعالى وعدله وتوحيده وكفى دليلا من اعترف بفضلها وصدق بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيها ان علم التوحيد من الله بمكان وكيف لا يكون كذلك والعلم تابع للمعلوم يشرف شرفه ويتضع
بضعته • ومعلوم هذا العلم هو الله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز فما ظنك بشرف منزلته وجلالة
محله وانافته على كل علم واستيلايه على قصب السبق دونه ومن ازدراه فلضعف علمه بمعلومه و
قلة تعظيمه له وخلوه من خشيته وبعده من النظر لعاقبته • اللهم احشرنا في زمرة العالمين بك
العاملين لك • القايلين بعدلك وتوحيدك الخايفين من وعيدك • وتسمى سورة الاساس لاشتمالها
على اصول الدين • وروى ابي وانس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم اسست السموات
السبع والارضون السبع على قل هو الله احد يعني ما خلقت الا لتكون دلايل على توحيد الله ومعرفة
صفاته التي نطقت بها هذه السورة • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سمع رجلا يقرا
قل هو الله احد فقال وجبت قيل يا رسول الله وما وجبت قال وجبت له الجنة •

سورة الفلق مكيه بسم الله الرحمن الرحيم وهي خمس ايات

قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب ومن شر النفاثات في العقد
ومن شر حاسد اذا حسد الفلق والفرق الصبح لان الليل يفلق عليه ويفرق • فعل بمعنى مفعول
يقال في المثل هو ابين من فلق الصبح ومن فرق الصبح • ومنه قولهم سطع الفرقان اذا طلع الفجر
وقيل هو كل ما يفلقه الله كالارض عن النبات • والجبال عن العيون • والسحاب عن المطر • والارحام
عن الاولاد • والحب والنوى وغير ذلك • وقيل هو واد في جهنم او جب فيها من قولهم لما اطمان من الارض
الفلق والجمع فلقان • وعن بعض الصحابة انه قدم الشام فراى دور اهل الذمة وما هم فيه من خفض

العيش وما وسع عليهم من دنياهم فقال لا ابالي اليس من ورائهم الفلق فقيل وما الفلق فقال
بيت في جهنم اذا فتح صاح جميع اهل النار من شدة حره من شر ما خلق من شر خلقه وشرهم ما يفعله
المكلفون من الحيوان من المعاصي والمآثم ومضارة بعضهم بعضا من ظلم وبغي وقتل وضرب وشتم
وغير ذلك • وما يفعله غير المكلفين منه من الاكل والنهش واللدغ والعض كالسباع والحشرات وما وضعه
الله في الموات من انواع الضرر كالاحراق في النار والقتل في السم • والغاسق الليل اذا اعتكر ظلامه من قوله
تعالى الى غسق الليل ومنه غسقت العين امتلات دمعا وغسقت الجراحة امتلات دما • ووقوبه دخول
ظلامه في كل شي ويقال وقبت الشمس اذا غابت • وفي الحديث لما راى الشمس قد وقبت قال هذا حين
حلها يعني صلوة المغرب • وقيل هو القمر اذا امتلا • وعن عايشة رضي الله عنها اخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم بيدي فاشار الى القمر فقال تعوذي بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب ووقوبه دخوله
في الكسوف واسوداده • ويجوز ان يراد بالغاسق الاسود من الحيات ووقبه ضربه ونقبه والوقب
النقب ومنه وقبه الثريد • والتعوذ من شر الليل لان انبثاث فيه اكثر والتحرز منه اصعب • ومنه قولهم
الليل اخفى للويل • وقولهم اغدر الليل لانه اذا اظلم كثر فيه الغدر • واسند الشر اليه لملابسته له من حدوثه
فيه • النفاثات النسا او النفوس او الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها
ويرقين والنفث النفخ مع ريق ولا تاثير لذلك • اللهم الا اذا كان ثم اطعام شي ضار او سقيه او اشمامه
او مباشرة المسحور به على بعض الوجوه ولكن الله عز وجل قد يفعل عند ذلك فعلا على سبيل الامتحان الذي
يتميز به الثبت على الحق من اهل الحشوية والجهلة من العوام فينسبه الحشو والرعاع اليهن والى نفثهن
والثابتون بالقول الثابت لا يلتفتون الى ذلك ولا يعباون به فان قلت فما معنى الاستعاذة
من شرهن قلت فيها ثلاثة اوجه احدها ان يستعاذ من عملهن الذي هو صنعة السحر ومن اثمهن
في ذلك • والثاني ان يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن وما يخدعنهم به من باطلهن • والثالث
ان يستعاذ بما يصيب الله به من الشر عند نفثهن • ويجوز ان يراد بهن النسا الكيادات من قوله تعالى
ان كيدكن عظيم تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث في العقد • او اللاتي يفتن الرجال بتعرضهن
لهم وعرضهن محاسنهن كانهن يسحرنهم بذلك • اذا حسد اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه من بغي
الغوائل للمحسود لانه اذا لم يظهر اثر ما اضمره فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هو الضار لنفسه
لاغتمامه بسرور غيره • وعن عمر بن عبد العزيز لم ار ظالما اشبه بالمظلوم من حاسد • ويجوز ان يراد
بشر الحاسد اثمه وسماجة حاله في وقت حسده واظهاره اثره فان قلت قوله من شر ما خلق
تعميم في كل ما يستعاذ منه فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد قلت
قد خص شر هولاء من كل شر لخفاء امره وانه يلحق الانسان من حيث لا يعلم كانه يغتال به • وقالوا شر
العداة والمداجي الذي يكيدك من حيث لا تشعر فان قلت فلم عرف بعض المستعاذ منه ونكر
بعضه قلت عرفت النفاثات لان كل نفاثة شريرة ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر
انما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد محمود وهو الحسد في الخيرات • ومنه
قوله عليه السلام لا حسد الا في اثنين • وقال ابو تمام • وما حاسد في المكرمات بحاسد •

وقال ان العلي حسن في مثلها الحسد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا المعوذتين فكانما قرا الكتب التي انزلها الله تعالى كلها

سورة الناس مدنية بسم الله الرحمن الرحيم وهي ست ايات

قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس وقرئ قل اعوذ بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام ونحو فخذ اربعة فان قلت لم قيل برب الناس مضافا اليهم خاصة قلت لان الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس فكانه قيل اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذي يملك عليهم امورهم وهو الههم ومعبودهم كما يستغيث بعض الموالي اذا اعتراهم خطب بسيدهم ومخدومهم ووالي امرهم فان قلت ملك الناس اله الناس ما هما من رب الناس قلت هما عطف بيان كقولك سيرة ابي حفص عمر الفاروق بين بملك الناس ثم زيد بيانا باله الناس لانه قد يقال لغيره رب الناس كقوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وقد يقال ملك الناس واما اله الناس فخاص لا شركة فيه فجعل غاية للبيان فان قلت فهلا اكتفي باظهار المضاف اليه الذي هو الناس مرة واحدة قلت لان عطف البيان للبيان فكان مظنة للاظهار دون الاضمار الوسواس اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فوسواس بالكسر كالزلزال والمراد به الشيطان سمي بالمصدر كانه وسوسة في نفسه لانها صنعته وشغله الذي هو عاكف عليه او اريد ذا الوسواس والوسوسة الصوت الخفي ومنه وسواس الحلي والخناس الذي عادته ان يخنس منسوب الى الخنوس وهو التاخر كالعواج والبتات لما روي عن سعيد بن جبير اذا ذكر الانسان ربه خنس الشيطان وولى واذا غفل وسوس اليه الذي يوسوس يجوز في محله الحركات الثلاث فالجر على الصفة والرفع والنصب على الشتم ويحسن ان يقف القارئ على الخناس ويبتدي الذي يوسوس على احد الوجهين من الجنة والناس بيان للذي يوسوس على ان الشيطان ضربان جني وانسي كما قال تعالى شياطين الانس والجن وعن ابي ذر رحمه الله تعالى انه قال لرجل هل تعوذت بالله من شياطين الانس ويجوز ان يكون من متعلقا بيوسوس ومعناه ابتداء الغاية اي يوسوس في صدورهم من جهة الجن ومن جهة الناس وقيل من الجنة والناس بيان للناس وان اسم الناس ينطلق على الجنة واستدلوا بنفر ورجال في سورة الجن وما احقه لان الجن سموا جنا لاجتنانهم والناس ناسا لظهورهم من الايناس وهو الابصار كما سموا بشرا ولو كان يقع الناس على القبيلين وصح ذلك وثبت لم يكن مناسبا لفصاحة القرآن وبعده من التصنيع واجود منه ان يراد بالناس الناسي كقوله تعالى يوم يدع الداعي وكما قرئ من حيث افاض الناس ثم بين بالجنة والناس لان الثقلين هما النوعان الموصوفان بنسيان حق الله عز وجل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد انزلت علي سورتان ما انزل مثلهما وانك لن تقرا سورتين احب ولا ارضى عند الله منهما ويقال للمعوذتين المقشقشتان قال عبد الله الفقير اليه وانا اعوذ بهما وبجميع كلمات الله الكاملة التامة والوذ بكنف رحمته الشاملة العامة من كل ما يكلم الدين ويثلم اليقين

ويعوذ

هرة

اويعود في العاقبة بالندم • اويقدح في الايمان المسوط باللحم والدم • واساله بخضوع العنق • وخشوع البصر • ووضع الخد لجلاله الاعظم الاكبر • مستشفعا اليه بنوره الذي هو الشيبة في الاسلام • متوسلا بالتوبة الممحصة للاثام • وبما عنيت به من مهاجرتي اليه • ومجاورتي ومرابطتي بمكة ومصابرتي • على ثوا كل من القوى • وتخاذل من الخطا • ثم اساله بحق صراطه المستقيم • وقرانه المجيد الكريم • وبما لقيت من كدح اليمين • وعرق الجبين • في عمل الكشاف عن حقايقه • المخلص عن مضايقه • المطلع على غوامضه • المثبت في مداحضه • الملخص لنكته • ولطايف نظمه • المنقر عن فقره • وجواهر علمه • المكتنز بالفوايد المفتنه • التي لا توجد الا فيه • المحيط بما لا يكتنه من بدع الفاظه ومعانيه • مع الايجاز الحاذف للفضول • وتجنب المستكره المملول • ولو لم يكن في مضمونه الا ايراد كل شي على قانونه لكفى به ضالة ينشدها محققة الاخبار • وجوهرة يتمنى العثور عليها غاصة البحار • وبما شرفني به وبجدني واختصني بكرامته • وتوحدني من ارتفاعه على يدي في مهبط بشاراته ونذره • ومتنزل اياته وسوره • من البلد الامين بين ظهراني الحرم • وبين يدي البيت المحرم • حتى وقع التاويل • حيث وجد التنزيل • ان يهب لي خاتمة الخير • ويقيني مصارع السوء • ويتجاوز عن فرطاتي يوم التناد • ولا يفضحني بها على روس الاشهاد • ويحلني دار المقامة من فضله • بواسع طوله وسابغ نوله • انه الجواد الكريم • الرووف الرحيم •

تم الكتاب الكشاف المبارك • بعون الملك الوهاب • بحمد الله وحسن تيسيره وشكر توفيقه • والصلاة والسلام على نبيه • وصفيه وحبيبه • الرسول العربي • المكي المدني • القرشي الهاشمي الابطحي • محمد واله وعترته الطاهرين • واصحابه اجمعين في يوم الاثنين المبارك الثامن عشر من شهر ربيع اول احد شهور سنة اربعة وخمسين ومايتين والف من هجرة من له العز والشرف صلى الله تعالى عليه وعلى اله وصحبه وسلم •

[illegible]

Luzac.
~~Campbell~~
(Sotheby-Kay)



